هذا كتاب التفسير المسمى بغرائب القرآن من تأليف نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الى الكريم رغب في ابداع غرائب القرآن وبفضله العميم تأهب لابداع رغائب الفرقان فاليه منتهى الآمال والنوال وهذا حين افتتح فاقول الحمد لله الذي جعلنا ممن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه وجبلني بنفس ابية وهمة علية لا تكاد تشتاق الا بذكر حبه اغاف سفساف الامور واعاف الموبقات الموجبات للثبور وابعد عن زخرف الدنيا وزبرجها واكبح النفس عن حوم حول مخرجها وموبجها اهي النفس ان حملتها تحملت ارسلت استرسلت وان قدعت تقدعت في الاولى لله السلف الشريف العيون الى الاماني الفانية والاماني الباقية والاضاليل الملهية عن السعادات الباقية قلوبهم الى الكرامات الدائمات واشتاقت ارواحهم الى اللذات الحقيقيات وتاهت ضمائرهم في تيار عظمة الملك والملكوت وتلاشت سرائرهم في داماء ديمومية العزة والجبروت فخلصوا من الناسوت ووصلوا الى اللاهوت فنوا بشهوده وبقوا بوجوده ورضي كل منهم بقضاء معبوده فتجلت لهم الذات وتحدث عندهم المتلفات فطابت لهم الغدوات واعتدلت لهم العشيات ولم تطمح اعينهم الا الى تحصيل ما يقرب الى الله زلفى وما جرت السنتهم الا بذكر الحق طوبى لهم وبشرى ستلك اللهم قدله بالاقتداء باولئك التوفيق لشكر ما اسبغت علي من عطائك بمتمم من نعمائك واعوذ بك ان ازل او اضل فيما اتى واذر وان اركن الى الذين ظلموا فتمسني النار يوم العرض الاكبر ثبت قدام اقدامي على الصدق ولا تقيض لي ينطق في بكلام سوى الحق واجعلني بفضلك ممن لا ينظر الا اليك ولا يرغب الا فيما لديك ترقبني من غير سابقة علم مني وربيتني من غير حق يوجب ذلك عليك فان افتخرت فبما انعمت علي وان تذمرت واما بعمة ربك فحدث وان استغفرت فبما اسرفت على نفسي وقد قلت ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فيا من لا يوجد في جوده شوب غرض ولا علة شرفني في الاخرة بالعزة واحرسني في دنياي من الذلة ولا تؤاخذني بالنقصان الامكاني ولا تعاقبني بالنسيان الانساني حتى يكون لك الفضل في الاخرة والاولى والثاني في المبداء والمحمدة في العقبى دعوك دعاء البائس الفقير المستعين وتضرع اليك تضرع الذليل المهين المستكين الماثل بين يدي مولاه الآيس بالكلية عمن سواه فاسمع فانك سميع الدعاء واجب فانك فاعل على ما تشاء والصلوة والسلام على عبيدك المخصوصين بتاييدك المنزهين عن الادناس الجسمية المطهرين عن الانجاس النفسية الفائزين باشرف مراتب الانس الواصلين الى اعلى مدارج الانس الصائرين في ارقى معارج القدس ولا سيما محمد الذي اشرق في سماء النبوة بدرا واشرف على بساط الرسالة صدرا سيد الثقلين وسند الخافقين امام المتقين ورسول رب العالمين الكائن نبيا وادم بين الماء والطين المعفر له جباه الاملاك المشرف بلولاك لما خلقت الافلاك وعلى آله مفاتيح الجنة واصحابه مصابيح الدجنة وسلم تسليما كثيرا وبعد فان المفتقر الى عفو ربه الكريم الحسن بن محمد القمي المشتهر بنظام النيسابوري نظم الله احواله في اولاه واخراه يقول من العلوم عند ذوي الافهام ان كلام الملوك ملوك الكلام وبقدر البون بين الواجب لذاته والممكن لذاته يوجد التفاوت بين كلام الله تعالى وكلام المخلوقات ولا سيما اذا وقع في معرض التحدي الذي يظهر النبي هنالك من المتنبي وهذا شان القرآن العظيم والفرقان الكريم الذي اخرس شقاشق المناطيق تفنهم بقضيضهم واوقر مسامع المصاقع قاطبين وهم بحضيضهم حتى اختاروا المقارعة بالسيوف على المعارضة بالحروف والمقاتلة بالاسنة على المقاولة بالالسنة والمكالمة بالملاهذم على المبارزة بالكلام على الاتيان باقصر سورة من القرآن قال الله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله فقال ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فقال وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله درج لهم الامر فاوقع التحدي على القرآن جملة ثم على سورة فاضطرهم التعجيز الى بيان الاصعب على الاسهل فتبين ان الاسهل في النظر هو الاصعب في نفس الامر وذلك من ادل الدلائل على حقية المنزل وصدق

انزل عليه كيف لا وفيه نباء الاولين وخبر الاخرين وحكم ما بين الخلايق اجمعين قال عم في صفته هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يزيغ به الاهواء ولا يلتبس به الالسنة
ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا ينقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا
به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ولقد انتصب جم غفير وجمع كثير من الصحابة والتابعين والراسخين
والفضلاء والمحققين والائمة المتقنين في كل عصر وحين للخوض في تيار بحاره والكشف عن استار اسراره والفحص عن غرائبه والاطلاع على رغائبه
نقلا وعقلا واخذا واجتهادا فتشعبت مطامح هماتهم وتفاوتت سوابغ نياتهم وتشعبت مسالك اقدامهم وتشتتت مقاطع اقلامهم فمن بين
وجيز واوجز ومطنب مطنب ومن مقتصر على حل الالفاظ ومن ملاحظ مع ذلك لحظ المعاني والبيان فهم الحفاظ شكر الله تعالى مساعيهم وصان
عن ارزاء القادح معاليهم منهم من اعرض عن التفسير واقبل على التاويل وهو عند كون الى الاضاليل وسكون على شفا جرف هار الا من عصمه الله
وانه لقليل ومنهم من مرج البحرين وجمع بين الامرين فللراغب الطالب ان ياخذ العذب الفرات ويترك الملح الاجاج ويلتقط الدر الثمين ويسقط
السقط والزجاج اذ وفقني الله تعالى لتحريك القلم في اكثر الفنون المنقولة والمعقولة كما اشتهر بحمد الله تعالى ومنه فيما بين اهل الزمان وكان علم التفسير من
العلوم بمنزلة الانسان من العين والعين من الانسان وكان قد رزقني الله تعالى من ابان الصبى وعنفوان الشباب حفظ لفظ القران وفهم معنى
الفرقان وطالما طالبني بعض اجلة الاخوان واعزة الاخلاء الاخدان ممن كنت مشارا اليه عندهم بالبنان في البيان والله المنان بجازيهم
عن حسن ظنونهم ويوفقنا لاسعاف سولهم وانجاح مطلوبهم ان اجمع كتابا في علم التفسير مشتملا على المهمات مبنيا على ما وقع الينا من نقل
الاثبات واقوال الثقاة من الصحابة والتابعين ثم من العلماء الراسخين والفضلاء المحققين المتقدمين والمتاخرين جعل الله تعالى سعيهم
مشكورا وعملهم مبرورا استعنت بالمعبود وشرعت في المقصود معترفا بالعجز والقصور في هذا الفن وفي سائر الفنون لا كمن هو بابه شعر ومفنون
كيف وقد قال عز من قائل وما اوتيتم من العلم الا قليلا ومن اصدق من الله قيلا وكفى بالله وليا وكفى بالله وكيلا ولما كان التفسير الكبير المنسوب
الى الامام الافضل والهمام الامثل الحبر النحرير والبحر الغزير الجامع بين المعقول والمنقول الفائز بالفروع والاصول افضل المتاخرين فخر الملة والحق و
الدين محمد بن عمر بن الحسين الخطيب الرازي تغمده الله برضوانه واسكنه بحبوحة جنانه اسمه مطابق لمسماه وفيه من اللطائف والبحوث ما لا
يحصى ومن الزوائد والفتوى ما لا يخفى فانه قد بذل مجهوده ونثل موجوده حتى عسر كتبه على الطالبين واعوز تحصيله على الراغبين وحاذى
سياقه مرامه واورث حاصل كلامه تريب مسائل قدامه وقطعت عقود نظامه من غير اخلال بالشيء من الفوائد واهمال لما يعد من اللطائف
والعوائد وضممت اليه ما وجدت في الكشاف وفي سائر التفاسير من اللطائف المهمات ورزقني الله تعالى من البضاعة المزجاة واثبت القراءات
المعتبرة والوقوف المعللات ثم التفسير المشتمل على المباحث اللفظيات والمعنويات مع اصلاح ما يجب اصلاحه اتمام ما ينبغي تمامه من المسائل المودعة
في التفسير الكبير والاعتراضات مع كل ما يوجد في الكشاف من المواضع المعضلات سوى الابيات المعقدات فان ذلك يورثها من طول تصحيح
القران وغرائب القران انما يكون بالامثال والمستشهد كلا فان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه فلا علينا ان نقتصر في غرائب القران
على تفسيرها بالالفاظ المشهورات مع الاشارة على ايراد بعض المجانسات التي تعرف منها اصول الاشتقاقات وذكرت طرفا من الاشارات المقنعات والتاويلات
الممكنات والحكايات المبكيات والمواعظ الزاجرة عن المنهيات الباعثة على اداء الواجبات والتزمت ايراد لفظ القران الكريم والا مع ترجمة على
وجه بديع وطريق منيع يشتمل على ابراز المقدرات واظهار المضمرات وتاويل المتشابهات وتصريح الكنايات وتحقيق المجازات والاستعارات فان
هذا النوع من الترجمة مما اشتبه العبارات وتوقف المترجمون هنالك الى العثرات وقلما يفطن له الناشي الواقف على متن اللغة العربية فضلا عن
الدخيل الزحيل القاصر في العلوم الادبية واجتهدت كل الاجتهاد في تسهيل سبيل الرشاد ووضعت الجميع على طرف التمام ليكون الكتاب كالبدر في
التمام وكالشمس في افادة الخاص والعام من غير تطويل يورث الملال ولا تقصير يوعر مسالك السالك ويبدد نظام الكلام فخير الكلام ما قل ودل
وحسبك من الزاد ما بلغك المحل والتكلان في الجميع على الرحمن المستعان والتوفيق مسؤول ممن بيده مفاتيح الفضل والاحسان وخزائن البر والامتنان
وهذا اوان الشروع في تفسير القران ولنقدم امام ذلك مقدمات المقدمة الاولى في فضل القراءة والقاري واداب القراءة وجواز اختلاف
القراءات وذكر القراء المشهورين المعتبرين عن علي بن ابي طالب امير المومنين ع قال قال رسول الله صلعم من قرا القران فاستظهره واحل حلاله
وحرم حرامه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار وعنه ع ان النبي قال خيركم من تعلم القران وعلمه وعن ابن عباس
قال قال رجل يا رسول الله صلعم اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل وفي الصحيحين عن عائشة
قالت قال رسول الله صلعم الماهر في القران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران وعن ابي هريرة ان رسول الله
قال ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة و
حفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده وعن سهل بن معاذ الجهني ان رسول الله صلعم قال من قرا القران وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه
احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا وفي الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلعم قال انما مثل صاحب القران

مثل الابل المعلقة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت وفيهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلعم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله قال يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها وفي الصحاح
كلها عن عمر بن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حيوة رسول الله فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله فكدت اساوره في الصلوة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها قال اقرأنيها
رسول الله صلعم فقلت كذبت فان رسول الله صلعم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت يا رسول الله صلعم اني سمعت هذا
يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلعم هكذا انزلت
ثم قال النبي صلعم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله هكذا انزلت ان القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ما تيسر منه اذا تقرر ذلك فنحن
نذكر في الكتاب من القراءات السبع المنسوبة الى القراء السبعة والاربع المنسوبة الى الائمة المختارين ونريد ان نفصل ههنا اساميهم واسانيدهم
لتعين ما نسب في اثناء التفسير الى كل منهم بالله ولي التوفيق ذكر القراء السبعة ولنميز نقلتهم من الرواة وطرقهم من الثقات ابو عمرو زبان بن العلاء
البصري روى عن مجاهد بن جبر وسعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلعم ومات سنة اربع وخمسين ومائة ورواته ثلثة ابو محمد يحيى
بن المبارك اليزيدي روى عنه ابو عمر وحفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري وطريقا ابي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس وابو الفتح عامر بن صالح المو
المعروف باوقية وطريقا ابي قبيصة حاتم بن اسحق الموصلي وابي شعيب صالح بن زياد السوسي طريقا ابي الحرث محمد بن احمد الرقي وابو اسحق ابراهيم بن حماد
طريقا ابي عيسى موسى بن عبد الله الهاشمي وابو نعيم شجاع بن ابي نصر الخراساني روى عنه ابو جعفر محمد بن غالب طريقا ابي علي الحسين بن
الصواف وعباس بن الفضل الانصاري روى عنه ابو عمر محمد بن عمر روى طريقا ابي اسحق ابراهيم بن كعب الموصلي وطريق شبابة بن خليفة
هو الاصح واوقية طريقا اسحق ابيه عن ابي عمرو وغيره ابن كثير هو ابو محمد عبد الله بن كثير المكي روى عن مجاهد بن جبر عن ابن عباس عن ابي بن
كعب عن رسول الله وتوفي سنة عشرين ومائة ورواته بعد ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله بن القسم بن نافع بن ابي بزة البزي وبينه وبين ابن
كثير رجال لانه روى عن عكرمة بن سليمان بن كثير عن شبل بن عباد واسمعيل بن عبد الله بن قسطنطين عن ابن كثير روى عن البزي ابو ربيعة
محمد بن اسحق بن اعين الربعي طريقا الزينبي وهو الهاشمي وطريقا ابي بكر احمد بن محمد الطرايفي وطريقا ابي القاسم الزيدي وطريق ابي الحسن علي بن الزيد الطوايفي
القرشي وطريقا ابي بكر محمد بن عيسى بن بندار الجصاص وابو علي الحسين بن محمد الحداد طريقا الهاشمي عن البزي روى عبد الله بن فليح عن رجال
عن ابن كثير ورجاله محمد بن سبعون وداود بن شبل عن اسمعيل بن عبد الله عن ابن كثير روى عن ابن فليح ابو علي الحداد طريقا النقاش وطريقا الحمامي
وطريقا الخزاعي وطريقا ابن شنبوذ روى ابو الحسن محمد بن عون القواس وبينه وبين ابن كثير ايضا رجال لانه روى عن ابي الاخريط وهب بن واضح لمحمد بن مح
عن اسمعيل بن عبد الله ومعروف بن مشكان وشبل بن عباد عن ابن كثير روى عن القواس قنبل طريقا الزينبي طريقا ابي ربيعة طريقا ابي
نجاح طريقا ابي عون القاضي طريقا ابن شنبوذ طريقا ابي القسم الزيدي نافع ابن نعيم المدني قرأ على ابي جعفر القاري وعلى سبعين من
التابعين على ابن عباس وابي هريرة على ابي بن كعب على النبي صلعم وتوفي سنة تسع وستين ومائة ورواته ثلثة روى عنه بن صالح عن ابن كثير طريق
عبد الله بن سعود وطريق شعيب بن حمزة اسمعيل بن جعفر بن كثير الانصاري روى عنه ابو الزعراء وابو بكر بن الحسين علي بن بشار النحوي وابو
جعفر احمد بن فرج الضرير وورش اسمه عثمان بن سعيد المصري روى عنه محمد بن الرحيم الاصفهاني طريقا ابي الحسن محمد بن احمد المروزي و
قالون واسمه عيسى بن مينا النحوي روى عنه ابو علي الحسن بن العباس الرازي طريقا ابي بكر احمد بن حماد المقري ابو ابراهيم مصعب بن ابراهيم
الزبيري طريقا ابي بكر محمد بن عبد الله بن فليح وابو نشيط محمد بن هرون المروزي طريقا ابي حسان محمد بن احمد بن الاشعث الجزري وطريقا ابي القسم
هبة الله بن جعفر بن محمد بن الهيثم وابو عبد الله محمد بن اسحق البخاري طريقا ابي الاسد احمد بن ابراهيم الفقيه وطريقا ابي بكر محمد بن احمد بن مرثد
التميمي وابو الحسن احمد بن يزيد الحلواني طريقا حسن بن العباس الرازي وطريقا ابي عون القاضي عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي قرأ على المغيرة بن
شهاب المخزومي على عثمان بن عفان على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة وله راويان روى عنه عن رجاله ابو محمد عبد الله بن
احمد بن بشير بن ذكوان الدمشقي ورجاله ايوب بن تميم عن يحيى بن الحرث عن ابن عامر روى عنه احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد طريقا الحسن بن عبد الله
المقري وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي المفسر طريقا الحسن بن عبد الله ايضا وابو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربعي المعروف بابن
الاخفش عن ابي ذكوان هشام بن عمار عن رجاله عن ابن عامر ورجاله ايوب بن تميم وسويد بن عبد العزيز عن يحيى بن الحرث روى عنه
الفارس بن الحلواني عن هشام عن طريقا احمد بن الحسين بن مهران وابو الحسين احمد بن يزيد الحلواني الصفار طريقا ابي الحسن علي بن حماد
الازرق وابو اسحق بن ابراهيم بن يونس الرازي عاصم هو ابن بهدلة الاسدي قرأ عاصم على زر بن حبيش على عبد الله بن مسعود على رسول الله
وقرأ ايضا على عبد الرحمن السلمي معلم الحسن والحسين على علي على رسول الله صلعم وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائة ورواته ابو عمرو حفص
بن سليمان بن المغيرة البزاز الاسدي وكان ربيبه يعني ابن امرأته روى عنه ابو محمد هبيرة بن محمد التمار طريقا الحسنون بن الهيثم وطريقا احمد بن علي الخزاز
وابو حفص عمرو بن الصباح طريق عبد الصمد بن محمد ابو بكر شعبة بن عياش روى عنه عبد الحميد بن صالح البرجمي طريق جعفر بن غالب الشكري

الصيرفي

الصيرفي وابو يوسف يعقوب بن خليفة بن سعد الاعشى ولهم روايتان روى عنه محمد بن غالب محمد بن حبيب الشموني وحماد بن ابي زياد طريق يحيى بن
محمد العليمي الانصاري ورواه المفضل بن محمد الضبي وروى عنه جبلة بن مالك البصري طريق ابي زيد عمر بن شبة وابو زيد سعيد بن اوس الانصاري طريق محمد بن يحيى
القطيعي وحمزة بن حبيب الزيات العجلي قرأ على سليمان بن مهران الاعمش على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على علي بن ابي طالب وعثمان وابن مسعود على
النبي صلعم وتوفي سنة ست وخمسين ومائة ورواته اربعة ابو اسحق ابرهيم بن زربي طريق ابي المستنير جعفر بن عيسى بن سماء الجوهري وعبد الرحمن فلوفاء طريق
ابي المستنير ايضا وابو محمد عبد الله بن صالح العجلي طريق ابي اسحق حمدان الطيب بن اسمعيل وطريق ابي اسحق ابرهيم بن نصر بن عبد العزيز المقري وروى نصير بن عبد الله
المقري وهو الاصح سليم بن عيسى الحنفي وروى عنه خلاد بن خالد الصيرفي طريق محمد بن شاذان الجوهري وطريق القسم بن يزيد الوزان وابو محمد خلف بن
هشام بن البزار طريق ابي الحسين ادريس بن عبد الكريم الحداد وابو جعفر محمد بن سعدان النحوي طريق محمد بن سليمان وطريق ابي واصل احمد بن واصل
وابو عمر الدوري طريق ابي الزعراء علي بن حمزة الكسائي قرأ على حمزة بن حبيب على يحيى بن وثاب على زر بن حبيش على عثمان وعلي وابن مسعود على النبي صلعم
توفي سنة تسع وثمانين ومائة وله ستة رواة ابو عبد الرحمن قتيبة بن مهران الازاذاني روى عنه ابو الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم المقري طريق ابي الفضل العباس بن
الوليد بن مرداس وابو بكر احمد بن الحسن بن مهران طريق احمد بن ابي المنذر نصر بن يوسف النحوي وروى عنه محمد بن ادريس الاشعري المعروف بالدنداني
طريق ابي علي الحسين بن علي بن حماد الازرق المعروف بالجمال وابو عبد الله محمد بن عيسى الاصفهاني طريق ابي علي الحسن بن العباس الرازي وابو جعفر احمد بن رستم الطبري
طريق بكار بن احمد المقري وابو جعفر علي بن ابي نصر النحوي طريق الازرق المذكور وابو الحارث الليث بن خالد طريق ابي عبد الله محمد بن يحيى الكسائي وحمدويه
ابن ميمون الزجاج طريق ابي العباس احمد بن يعقوب التستري وابو محمد الحسن بن الطيب بن اسمعيل طريق ابي علي الحسن بن الحسين الصواف وابو عمر حفص بن عمر
بن عبد العزيز الدوري وروى عنه ابو بكر الحسن بن علي بن بشار النحوي طريق ابي الفرج محمد بن احمد بن ابرهيم وابو الزعراء طريق ابي بكر بن مجاهد وابو الحسن علي بن
سليم طريق ابي القسم هبة الله بن جعفر وطريق ابي ابرهيم بن احمد الخرقي وابو جعفر احمد بن فرج الضرير طريق ابي بكر النقاش الموصلي ذكر الائمة المختارين وثلثة
رواتهم ابو جعفر يزيد بن القعقاع القاري المدني وقار موضع من المدينة وروايته اثنان ابو موسى عيسى بن وردان الحذاء طريق قالون وعيسى بن ميناء النحوي
ابو مسلم سليمان بن مسلم الجماز الزهري طريق ابي عبد الرحمن قتيبة بن مهران ابو محمد يعقوب بن اسحق الحضرمي توفي في ذي الحجة سنة خمس ومائتين وقرأ على ابي
المنذر سلام بن سليمان الطويل على عاصم ابي بكر وعمرو ورواته ثلثة روح بن عبد المؤمن طريق احمد بن يحيى المعدل ابو بكر محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب
برويس طريق ابي بكر محمد بن هرون وطريق ابي الحسن احمد محمد بن يعقوب بن مقسم ابو احمد زيد بن احمد بن اسحق طريق المعدل ايضا وطريق محمد بن هرون
ابو محمد خلف بن هشام بن طالب بن غراب البزار طريق ابي الحسن ادريس بن عبد الكريم ونقله ابو بكر محمد بن يعقوب بن مقسم العطار وقرأ خلف على سليم على حمزة
ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني طريق ابي علي الحسن بن تميم وطريق ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد وطريق مسيح بن حاتم وقرأ سهل على يعقوب وايوب بن المتوكل
فهذا هو المعول عليه من علم القرآن واما الشواذ فلا نتعرض منها الا لما فيه نكتة او غرابة وذلك في اثناء التفسير لا في خلال القرآن والله اعلم بالصواب المقدمة الثانية
الاستعاذة المندوب اليها في قوله عز من قائل فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ قرأها ابو عمرو ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وعاصم غير
هبيرة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم قرأها ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وعلي الكسائي وخلف اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
ان الله هو السميع العليم وقد يروى عن حمزة استعيذ بالله ونستعيذ بالله مخيرا وقرأ سهل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله
الرحمن الرحيم ومنشأ هذه الاختلافات انه قد جاء في سورة النحل فَاِذَا قَرَأْتَ الْقُرْاٰنَ الاية وفي حم السجدة فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ وروى جبير بن
مطعم ان النبي صلعم حين افتتح الصلوة قال الله اكبر كبيرا ثلث مرات والحمد لله كثيرا ثلث مرات وسبحان الله بكرة واصيلا ثلث مرات ثم قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى البيهقي في كتاب السنن عن ابي سعيد الخدري انه قال كان رسول الله صلعم اذا قام من الليل كبر ثلثا وقال اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وروى الضحاك عن ابن عباس ان اول ما نزل جبرئيل على محمد صلعم قال قل يا محمد استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال قل
بسم الله الرحمن الرحيم اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ ثم في المقدمة مسائل الاولى الاكثرون على ان وقت الاستعاذة قبل القراءة اذ المراد من قوله تعالى فاذا
قرأت اذا اردت قراءة القرآن كما في قوله تعالى اِذَا قُمْتُمْ اِلَى الصَّلٰوةِ فَاغْسِلُوْا المراد اذا اردتم القيام الى الصلوة والاخبار المذكورة ايضا تؤيد ذلك وعن النخعي
وقد يروى عن حمزة وابن سيرين ان وقتها بعد القراءة نظرا الى ظاهر اللفظ لانه قد يدخل المرء اعجاب بسبب القراءة حيث انها طاعة موجبة للثواب
فيناسب ان يستعيذ من ذلك الثانية الاكثرون على ان الاستعاذة مندوب لان النبي صلعم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلوة ولا يتوقف ان الخبر غير
مشتمل على بيان جملة واجبات الصلوة فلا يلزم من عدم ذكر الاستعاذة فيه عدم وجوبها وعن عطاء ان الاستعاذة واجبة في كل قراءة في الصلوة وغيرها
لان النبي صلعم واظب عليها وقال تعالى فَاتَّبِعُوْهُ ولان الامر في فاستعذ للوجوب فانما تجب عند كل قراءة لانه قال فاذا قرأت فاستعذ وذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على التعليل والحكم يتكرر بتكرر العلة ولان الاستعاذة لدفع شر الشيطان ودفعه واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وعن ابن سيرين يجب بها
في العمر مرة واحدة وعن مالك انه لا يتعوذ في المكتوبة الا في قيام رمضان ج المستحب فيها الاسرار في الصلوة وان كانت جهرية الحاقا لها بما قبلها من
وهو دعاء الاستفتاح ولان الجهر كيفية وجودية والاخفاء عبارة عن عدم تلك الكيفية والاصل هو العدم د انما تستحب في كل ركعة لما مر من ان الحكم
يتكرر بتكرر العلة ولكنها اكد في الاولى د اعلم ان الكلام في معنى قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يتعلق بخمسة اركان الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ

السميع العليم

بهو المستعاذ منه وما لاجله الاستعاذة فههنا ابحاث البحث الاول معنى العوذ الالتجاء او الالتصاق قال الجوهري اطيب اللحم عوذه وهو ما التصق
بالعظم اي التجئ الى رحمة الله والتصق بفضله والتجئ بالله للالتصاق كان من في من الشيطان للابتداء لانه ابتداء بالتبري من الشيطان والتصق
برحمة الله تعالى واغاثته والاستعاذة لا تتم الا بان يعلم العبد كونه عاجزا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية وعن دفع المضار العاجلة والآجلة وان الله تعالى
قادر على ايصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لاحد سواه فتولى يتولد عن هذا العلم في القلب حالة هي انكسار وخضوع ويحصل منها في القلب
ان يصير العبد مريدا لان يصونه الله تعالى عن الآفات ويفيض عليه الخيرات ثم يصير بلسانه طالبا لذلك فيقول اعوذ بالله فالركن الاعظم في الاستعاذة
هو ان يعلم العبد ان الله تعالى عالم بكل المعلومات والا جاز ان لا يعلم حاله فيقع الاستعاذة عبثا وان يعلم انه قادر على جميع الممكنات والا فربما كان عاجزا
عن تحصيل مراد العبد وان يعلم انه جواد مطلق والا جاز ان يبخل بمقصوده وان يعلم انه لا يقدر احد سوى الله على تحصيل مرامه والا لم يكن صادق الرغبة في
الاستعاذة والحاصل ان العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لم يصح منه الاستعاذة ومما يدل على ذلة الانسان وعجزه ان بعض الاكياس
ربما يبقى في شبهة واحدة طول عمره ولا ينكشف له الى ان يجيء بعده من يحلها ولهذا وقع الاختلاف في الاديان والمذاهب لولا اغاثة الله تعالى وارشاده
لم يتخلص سفينة فكره من امواج الضلالات وايضا كل احد يريد ان يحصل له الدين الحق ولا يرضى لنفسه الجهل والكفر ولكن من ضل مبتلى في الدنيا فلا
خلاص من ظلمات الشبهات الا باغاثة رب الارض والسموات ولا يقع الحد الاوسط للمطالب في الذهن الا بهداية من بيده مفاتيح الخيرات وايضا البدن
يشبه جحيما عليها تسعة عشر من الزبانية وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والقوى الطبيعية السبع والشهوة والغضب فحال تدرك كل منها غير
بحسب الشخص والعدد ويحصل من كل منها آفة في القلب بجره من اوج عالم الروحانيات الى حضيض الجسمانيات فلا خلاص للقلب عن هذه الظلمات الا بنور
الله تعالى وايضا كما انه لا نهاية لمراتب الكمالات فلا نهاية لدرجات الحرص على اللذات الحسيات والخيالات وكما انه لا يمكن تحصيل الكمالات التي لا نهاية لها فكذلك
لا يمكن ازالة مرض الحرص على اللذات فيجب الرجوع الى واهب السعادات الحقيقيات وفي بعض الكتب الالهية قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاقطعن امل
من يؤمل غيري باليأس ولالبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي
وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ثم الكلام في صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية
والعبادات التي جعلها الله تعالى سببا وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد وذلك انه تعالى فعال لما يريد خالق لما يشاء لا اعتراض لاحد من خلقه عليه
وعلى افعاله وعلى النظام الذي اخترعه الكل منه وبه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه اذا امر بالاستعاذة فاستعذ لانه جعلها سببا لدفع
الوساوس والهواجس كما انه جعل الاكل والشرب سببا لدفع الجوع والعطش فان ما تأكل وتشرب لا تقول ما الفائدة في الاكل والشرب ان كان الاشباع
والارواء من الله تعالى وان كان بقدرة الله تعالى وبهذا التحقيق يسقط الاعتراضات المشهورة للجبرية والمعتزلة لانها تعم عموما اشرنا اليه ولا
ينبئك على سر الاستعاذة مثل قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
البحث الثاني المستعيذ ليس شخصا معينا بل كل مخلوق مفتقر الى الاستعاذة ولهذا قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم فاعطي
السلام والبركات في قوله يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وقال يوسف معاذ الله انه ربي احسن مثواي فصرف عنه السوء والفحشاء وقال موسى
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب فاغرق الله تعالى عدوه واورثه ارضهم وديارهم واموالهم وقالت امرأة عمران اني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وقد امر نبينا صلعم وقال تعالى قل اعوذ برب الناس وفي شر النفاثات
في العقد كفى من شر الوسواس الخناس البحث الثالث المستعاذ به انما هو الله وكلمات الله كما جاء في الاخبار اعوذ بكلمات الله التامة اما البحث عن اسم
الله فسيجيء في تفسير البسملة واما كلمات الله فالمراد بها المبدعات الصادرة عنه تعالى بكلمة كن من غير مادة ومدة وكان الارواح البشرية تستعيذ وتستعين
بالارواح العلوية المقدسة في دفع شرور الارواح الخبيثة وانما يحسن الاستعاذة بالكلمات اذا كان قد بقي في نظره التفات الى ما سوى الله تعالى
واما اذا تغلغل في بحر التوحيد لم يستعذ الا بالله من الله كما قال صلعم اعوذ بك منك اذ فني عن نفسه وفني ايضا عن فناء نفسه قال انت كما اثنيت على نفسك
البحث الرابع المستعاذ منه الشيطان وما لاجله الاستعاذة دفع شره فنقول ما اشتقاقه فمن شطن ويقال شطن الدار اي بعدت والشيطان لبعده
عن السداد والرشاد وقد يسمى كل متمرد من انس او دابة شيطانا قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس وركب عمر برذونا فطفق
يتبختر فجعل يضربه ولا يزداد الا تبخترا فنزل عنه فقال ما حملتموني الا على شيطان هذا احد قولي سيبويه على هذا فنونه اصلية ووزنه فيعال وقد جعل
سيبويه في موضع آخر النون زائدة وجعله فعلان من شاط يشيط اذا بطل ولما كان كل متمرد كالباطل في نفسه لانه مبطل لوجوه مصالح نفسه سمي شيطانا
والرجيم معناه المرجوم كاللعين بمعنى الملعون ومعنى المرجوم اما الملعون من قبل الله تعالى واما لانه تعالى امر الملائكة برمي الشيطان بالشهب الثواقب ثم
وصف بذلك كل شرير متمرد واما من ضم الى الاستعاذة قوله ان الله هو السميع العليم فوجه ذلك بعد الاقتداء بما ورد في القرآن ان العبد كانه يقول
يا من يسمع كل مسموع ويعلم كل خفي انت تسمع وسوسة الشيطان وتعلم غرضه فيها وانت القادر على دفعها عني فادفعها عني بفضلك ثم لنتكلم في الجن
والشياطين فنقول من الناس من انكرهم لوجوه الاول لو كان موجودا فان كان جسما كثيفا لوجب ان يراه كل من كان سليم الحس والا لما امكن ان يراه وان كان
لطيفا ان يتمزق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة ولزم ايضا ان لا يقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليه المثبتون والجواب انه لا يجوز ان يكون حيا

مجرد هو بتقدير ان يكون جسما كثيفا فلم لا يجوز ان يصرف الله تعالى عنه ابصار الانسان لحكمة في ذلك كما قال عز من قائل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
وعلى تقدير كونه جسما لطيفا فلم لا يجوز ان يكون تركيبه محكما كالافلاك الوجه الثاني قالوا الظاهر الغالب انهم لو كانوا في العالم لخالطوا الناس وشوهد
منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا تابوا من صنعتهم يكذبون انفسهم فيما ينسبون من الجن اليهم ومجال المنع في هذا الوجه لا يخفى لثبوت
الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الى كثيرين قال عز من قائل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ومن الجن من
يعمل بين يديه يا معشر الجن والانس وقال ان بالمدينة جنا قد اسلموا ان الشيطان قد يجري من ابن آدم مجرى الدم ما منكم احد الا وله شيطان
قالوا ولا انت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم الوجه الثالث قالوا ان اخبار الانبياء عنهم لا يفيد اثباتهم اذ على تقدير
ثبوتهم يجوز ان يقال كل ما اتى به الانبياء فانما حصل باعانة الجن فمن الجائز ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ الجن في الجذع وكل فرع ادى الى
ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة نبوة الانبياء كما يجيء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا عنه وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم واعلم ان كثيرا من الناس اثبتوا موجودات لا متحيزة ولا حالة في المتحيز زعموا انها مجردات عن شوائب الجسمانيات وهم الملائكة المقربون
الذين لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وتليها مرتبة الارواح المعلقة بتدبير الاجسام واشرفها حملة العرش ثم الحافون من حول العرش ثم
ملائكة الكرسي ثم ملائكة السموات طبقة وطبقة ثم ملائكة كرة الاثير ثم ملائكة كرة النسيم ثم ملائكة كرة الزمهرير ثم الملائكة المسلطة على
الجبال ثم مرتبة الارواح السفلية المتصرفة في هذه الاجسام النباتية والحيوانية وهذه الارواح قد تكون مشرقة خيرة وهم من قبيل الملائكة وقد
تكون مظلمة شريرة وهم شياطين الانس والجن ولفظة الجن ماخوذ من الاستتار عن العيون ومنه المجنون لاستتار عقله والجنة لكونها ساترة
للانسان وطوائف المكلفين اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين والاختلاف بين الجن والشياطين قيل بالذات كما بين الانسان والفرس
وقيل بالعوارض فالجن خيارهم والشياطين اشرارهم والمشهور ان الجن لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر لانهم لو كانوا مجردين فلا استبعاد في كونهم
متصرفين في باطن الانسان وان كانوا اجساما لطيفة فكذلك لا يبعد نفوذهم في باطن الآدمي كيف وقد ورد في القرآن لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وفي الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا خلاف في ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبحون
الليل والنهار لا يفترون واما الجن والشياطين فبخلاف ذلك قال صلى الله عليه وسلم في العظم انه زاد اخوانكم من الجن وفي القرآن افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
واما كيفية الوسوسة فيروى ان عيسى عليه السلام دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه ذلك فاذا راسه مثل راس الحية واضع راسه على قلبه
فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع راسه على حبة قلبه وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وقال
ايضا ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد
ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء الآية فمن الخواطر ما هو
الاصل للسعادة ومنها ما هو اصل الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر بعضها ببعض احد اربعة اشياء اما ضعف اليقين او قلة العلم بصفات النفس واخلاقها
او متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى او محبة الدنيا وجاهها ومالها فمن عصم من هذه الاربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها فلا و
اتفق المحققون على ان من كان اكله من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بان النفس تطالب وتلح
فلا تزال كذلك حتى تصل الى مرادها والشيطان اذا دعا الى زلة ولم يجب يوسوس باخرى اذ لا مراد له الا الاغواء كيف امكن وحقيقة الوسوسة راجعة الى
ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشيء اذ ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل يترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكان الذي اتى به الشيطان من خارج
ليس الا ذلك التذكير واليه الاشارة في القرآن حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولا يتسلسل هذا التذكير
وانما يقدم الشيطان على ذلك لعداوة جبلية وقع في فطرته الاولى لحكمة عرفها الله تعالى بينه والمقصود من الاستعاذة لا ينحصر في دفع وسوسة الشيطان الا ان
ذلك معظم المقاصد فلهذا خص بالذكر في القرآن ولو نوى المستعيذ دفع جميع المضار الدنيوية والاخروية فلا ضير نكت في الاستعاذة الاولى اعوذ بالله
عروج من الخلق الى الحق ومن الممكن الى الحاجة التامة وبالله اشارة الى المعبود القادر على تحصيل كل الخيرات ودفع كل الآفات فمن عرف نفسه بالنقصان
عرف الله بانه قادر على كل مقدور ومن عرف نفسه باختلال الحال عرف ربه بالجلال والكمال ومن عرف نفسه بالامكان عرف ربه بالوجوب الثانية سر الاستعاذة
الالتجاء الى قادر يدفع عنك الآفات وقراءة القرآن من اعظم الطاعات ولذلك جاء من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
فلهذا خصت الاستعاذة بالقراءة الثالثة عند الفرار من العدو الظاهر يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وبعد الاستقرار في حضرة الملك
الجبار يقول بسم الله الرحمن الرحيم الرابعة الاستعاذة تطهير اللسان عما جرى عليه من ذكر غير الله واذا حصل الطهور استعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله
فيقول بسم الله الخامسة العبد مامور بمحاربة العدو الظاهر قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبمحاربة العدو الباطن ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا فاذا حارب العدو الظاهر كان مدده الملك يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين واذا حارب العدو الباطن كان مدده
الملك ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ومحاربة العدو الباطن اولى لان العدو الظاهر غايته ان يفوت الدين واليقين فكنا ماجورين وان غلب العدو الباطن
فكنا مفتونين ومن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا فلا خلاص من شره الا بان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

السادسة قال الله تعالى يا عبدي قلبك بستاني وجنتي بستانك فلما لم تبخل علي ببستانك بل انزلت معرفتي فيه لم ابخل عليك ببستاني وانزلتك فيها
فههنا لطيفة وهي ان الله تعالى كانه يقول للعبد انزلت سلطان المعرفة في حجرة قلبك ومن اراد ان ينزل سلطانا في حجرة نفسه يجب عليه كنس الحجرة
وتنظيفها فنظف حجرة قلبك من تلوث الوسوسة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم السابعة اقسم في حق ابويك انه لمن الناصحين فدليهما بغرور
واقسم فيك لاغوينهم اجمعين فما ظنك بما فيه معاملته معك فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الثامنة انما اختص اسم الله للاستعاذة من بين
سائر الاسماء لان العبد كلما كان ارشد احتياجه الى عدد اكثر والاسم الجامع لجميع الصفات الكمالية انما هو الله وكان العبد قال اعوذ بالقادر العالم الحكيم
الذي لا يخفى عليه شيء من المكونات من الشيطان الرجيم التاسعة الشيطان اسم والرجيم صفة له ثم انه تعالى لم يقتصر على الاسم بل ذكر صفته تنبيها للعبد ان
الشيطان بقي في الخدمة الوفا من السنين ولم يفتك على مضرتنا ومع ذلك رجمناه وطردناه وانت لو صاحبك الشيطان لحظة واحدة لخلد
في النار فكيف لا تشتغل بطرده فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العاشرة يقول الله تعالى عبدي انه يراك وانت لا تراه فينفذ كيده فيك فتمسك
بمن يرى الشيطان ولا يراه الشيطان وقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم الحادية عشر الالف واللام في الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس
مطلقا من مرئيا او غير مرئي ولو جعل للعهد جاز ويدخل ذريته فيه تبعا الثانية عشر الشيطان بعيد وانت قريب ونحن اقرب اليه من حبل الوريد فكما
ان الشيطان لا يجعله الله قريبا لقوله تعالى ولن تجد لسنته تبديلا فاعرف انه لا يجعلك الله تعالى بعيدا حيث جعلك قريبا الثالثة عشر ان
الشيطان رجيم وان الله رحمن رحيم فابعد من الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم الرابعة عشر الشيطان عدو وغائب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم
والله تعالى حبيب غالب والله غالب على امره فاذا قصد العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب المقدمة الثالثة في مسائل مهمة المسألة الاولى القراءات
السبع متواترة لا بمعنى ان سبب تواترها اطباق القراء السبعة عليها بل بمعنى ان تواتر النسبة الى المتفق على قراءته كثبوته بالنسبة الى كل من المختلف
في قراءته ولا مدخل للقارئ في ذلك الامر حيث ان مباشرته لقراءته اكثر من مباشرته لغيرها حتى نسبت اليه وانما قلنا ان القراءات متواترة لانه لو لم يكن كذلك
لكان بعض القرآن غير متواتر كمالك وملك ونحوهما اذ لا سبيل الى كون كليهما غير متواتر فان احدهما قرآن بالاتفاق وتخصيص احدهما بانه
متواتر دون الآخر تحكم باطل لاستوائهما في النقل فلا اولوية فكلاهما متواتر وانما يثبت التواتر فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف
الهمزة ونحوها الثانية اتفقوا على انه لا يجوز القراءة في الصلوة بالوجوه الشاذة لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن
لبلغت في الشهرة الى حد المتواتر عدلنا عن الدليل في جواز القراءة خارج الصلوة للاحتمال فوجب ان يبقى قراءتها في الصلوة على اصل المنع
الثالثة السبعة الاحرف التي نزل بها القرآن في قوله ص ان هذا القرآن نزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع عند اكثر العلماء
انها سبع لغات من لغات قريش لا يختلف ولا يتضاد بل هي متفقة المعنى وغير جائز عندهم ان يكون في القرآن لغة لا يعرفها قريش لقوله تعالى وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وذلك ان قريشا مجاور البيت وكان احياء العرب يأتونهم للحج ويسمعون لغاتهم ويختارون من كل
لغة احسنها وصفا كلامهم واجتمع لهم مع ذلك العلم بلغة غيرهم ومما يدل على ان سبعة الاحرف هي سبع لغات متفقة المعنى ما روي عن ابن سيرين ان ابن
مسعود قال نزل القرآن على سبعة احرف هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل وقال بعضهم انها سبع قبائل من العرب قريش وقيس وتميم وهذيل واسد
وخزاعة وكنانة لمجاورتهم قريشا وقيل سبع لغات من اي لغة كانت من لغات العرب مختلفة الالفاظ متفقة المعاني لقوله انه قد وسع الى ان اقرئ
كل قوم بلغتهم وقيل معناه ان يقول في صفات الرب تبارك وتعالى مكان قوله غفورا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا لما روي انه قال اقرؤوا
القرآن على سبعة احرف ما لم تختموا مغفرة بعذاب او عذابا بمغفرة او جنة بنار او نارا بجنة وقيل ان لفظ السبعة في الخبر جاء على جهة التمثيل لانه قد جاء
في كلمة اكثر من سبع قراءات جاز ان يقرأ بها وعن مالك بن انس انه كان يذهب في معنى السبعة الاحرف الى انه كالجمع والتوحيد في مثل وتمت كلمة ربك وكلمات
وكالتذكير والتانيث في مثل لا يقبل ولا تقبل وكوجوه الاعراب في مثل هل من خالق غير الله وغير الله وكوجوه التصريف في مثل يعرشون ويعرشون وكاختلاف
الادوات في مثل قوله ولكن الشياطين بالتشديد لينصب ما بعدها او بالتخفيف ليرفع وكاختلاف اللفظ في الحروف نحو تعلمون بالتاء والياء وننشرها بالراء
والزاء وكالتخفيف والتفخيم والامالة والمد والقصر والهمز وتركه والاظهار والادغام ونحوها فجماعة ذهب الى حملها على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن
دون الالفاظ من حلال وحرام ووعد ووعيد وامر ونهي ومواعظ وامثال واحتجاج وغير ذلك واستبعده المحققون من قبل الاخبار الواردة في
مخاصمتهم للصحابة في القراءة تدل على ان اختلافهم كان في اللفظ دون المعنى قال بعض العلماء اني تدبرت الوجوه التي تختلف فيها لغات العرب فوجدتها
على سبعة انحاء لا يزيد ولا ينقص وبجميع ذلك نزل القرآن الوجه الاول ابدال لفظ بلفظ كالحوت بالسمك وبالعكس وكالعهن المنفوش قرأها
ابن مسعود كالصوف المنفوش الثاني ابدال الحرف بحرف كالتابوت والتابوه الثالث تقديم وتأخير اما في الكلمة نحو سلب زيد ثوبه وسلب ثوب زيد واما
في الحرف نحو او لم ييأس الذين وافلم يايس الرابع زيادة حرف او نقصانه نحو ماليه وسلطانيه فلا تك في مرية الخامس اختلاف حركات البناء نحو تحسبن
بفتح السين وكسرها السادس اختلاف الاعراب نحو ما هذا بشرا وقراءة ابن مسعود بالرفع السابع التفخيم والامالة وهذا اختلاف في اللحن والتزيين
لا في نفس اللغة والتفخيم اعلى واشهر عند فصحاء العرب فهذه الوجوه السبعة التي بها اختلفت لغات العرب وقد انزل الله بها اختلافها القرآن
متفرقة فيه ليعلم بذلك ان من زل عن ظاهر التلاوة بمثله او من تعمد عليه ترك عادته فخرج الى نحو مما قد نزل به فليس بملوم ولا معاقب عليه كل

هذا فيما اذا لم يختلف فيه المعنى فان قيل فما قولكم في القراءات التي يختلف فيها المعنى قلنا انها صحيحة منزلة من عند الله ولكنها خارجة من هذه السبعة الاحرف وليس يجوز ان يكون فيما انزل الله من الالفاظ الذي يختلف معانيها ما يجري اختلافها مجرى التضاد والتناقض لكن مجرى التغاير الذي لا تضاد فيه ثم انها تنقسم على وجوه فمنها ان يختلف بها الحكم الشرعي على المبادلة بمنزلة قوله وارجلكم بالجر والنصب جميعا واحدى القراءتين تقتضي فرض المسح والاخرى فرض الغسل وقد بينهما رسول الله فجعل المسح للابس الخف في وقته والغسل لحاسر الرجل وهذا الضرب هو الذي لا يجوز القراءة الا اذا تواتر نقله وثبت من الشارع بيانه وليس بعذر من لم يعلم مثله عما هو المنزل حتى يرجع الصواب فيرجع الى الاستغفار وقد يكون ما يختلف الحكم فيه على غير المبادلة لكن على الجمع بين الامرين بمنزلة ولا تقربوهن حتى يطهرن مشددة الطاء من التطهر فان القراءتين ههنا تقتضيان حكمين مختلفين يلزم الجمع بينهما وذلك ان الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع حيضها وحتى تطهر بالاغتسال ولا يجوز القراءة في مثل هذا الا بالنقل الظاهر ومن لم يعلم مثله الى ما يقتضي امرا وقد علم ثبوته ولم يقرا بما يلزم فيه حرج كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا لو صحف احد فيقرا الربا بالراء والباء من الربو في المال فانه منهي عنه كالزنا فان كان عدوله عرضا للتلاوة على سبيل التعمد فهو ملوم على ذلك واما التضاد والتناقض فغير موجود في كتاب الله والنسخ ليس من هذا القبيل لان اتحاد الزمان شرط التناقض وعند ورود الناسخ ينتهي المنسوخ ويتبين ان في علم الله حكم المنسوخ كان مؤجلا الى ورود الناسخ والله اعلم وقوله لكل اية ظهر وبطن اي ظاهر وباطن فالظاهر ما يعرفه العلماء والباطن ما يخفى عليهم فنقول في ذلك كما امرنا ونكل علمه الى الله تعالى وقيل ان ظهره ما يؤمن به ظاهرا كما يؤمن باطنا او قوله ولكل حد ومطلع اي لكل طرف من حدود الله التي يوقف عندها لك ولا يتجاوز وغيره من مامور او منهي ومطلع مصعد وما يؤتى منه فيفهم كما هو ومقدار من الثواب والعقاب يعاينه في الآخرة ويطلع عليه كما قال عمر لو ان لي ما في الارض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع يعني ما يشرف عليه من امر الله بعد الموت المقدمة الرابعة في كيفية جمع القرآن روي عن زيد بن ثابت انه قال ارسل الي ابو بكر مقتل اهل اليمامة واذا عنده عمر فقال ابو بكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر بقراء القرآن يوم اليمامة واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال فقلت كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله فقال لي هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي رايت فيه الذي راى عمر قال زيد بن ثابت قال ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع القرآن فاجمعه فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الرجال وكانت الصحف عند ابي بكر حتى مات ثم كانت عند عمر حتى مات ثم كانت عند حفصة ثم ارسل عثمان الى حفصة ان ارسلي الي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها عليك فارسلت الى عثمان فارسل عثمان الى زيد بن ثابت والى عبد الله بن زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فامرهم ان ينسخوا الصحف في المصاحف ثم قال للرهط القرشيين الثلثة ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم قال ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان في كل افق بمصحف من تلك المصاحف وامر بما سوى ذلك من القرآن ان يحرق ويخرق قال زيد بن ثابت فرايت اصحاب محمد يقولون احسن والله عثمان احسن والله عثمان وقال علي لو وليت لفعلت في المصاحف التي فعل عثمان الا ان عبد الله بن مسعود كره ان ولي زيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال يا معشر المسلمين اعزل من نسخ كتاب الله ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه لفي صلب رجل كافر يعني زيدا فكان اول من امر بجمع القرآن في المصحف ابا بكر مخافة ان يضيع منه شيء غير انه لم يجمع الناس عليه فكان الناس يقرؤن بقراءات مختلفة على سبيل ما اقرأهم رسول الله واصحابه الى وقت عثمان ثم ان عثمان جمع الناس على مصحف واحد وحرف واحد ولذلك نسب المصحف اليه وجعل ذلك اماما واعلم ان القرآن كان مجموعا على عهد رسول الله فانه ما انزلت اية الا وقد امر رسول الله من كان يكتب له ان يضعها في موضع كذا من سورة كذا ولا انزلت سورة الا وقد امر رسول الله الكاتب ان يضعها بجنب سورة كذا روي عن ابن عباس قال كان رسول الله اذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وعن انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله اربعة من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي غير انهم لم يكونوا قد جمعوا السور فيما بين الدفتين ولم يلزموا القراءة توالي سورها وذلك ان الواحد منهم اذا حفظ سورة انزلت على رسول الله او كتبها ثم خرج في سرية ثم نزلت في وقت مغيبه سورة فانه كان اذا رجع ياخذ في حفظ ما ينزل بعد رجوعه وكتابته ويتتبع ما فاته على حسب ما يتسهل له فيقع فيما يكتبه تقديم وتاخير من هذا الوجه وقد كان منهم من يعتمد على حفظه فلا يكتب على ما كان من عادة العرب في حفظ انسابها واشعارها من غير كتابة ومنهم من كان كتبها في مواضع مختلفة من قرطاس وكتف وعسيب ثقة منهم بما كانوا يعهدونه من جد المسلمين في حفظ القرآن فلا يرون باكثرهم حاجة الى مصحف ينظر فيه فلما ان مضى رسول الله لسبيله وجند المهاجرون والانصار اجنادا افترقوا في اقطار الدنيا واستحر القتل في بعضهم كما مر خيف حينئذ ان يتطرق اليه ضياع فامروا بجمعه في المصحف المقدمة الخامسة في معاني المصحف والكتاب والقرآن والسورة والاية والكلمة والحرف وغير ذلك المصحف مفعل من اصحف اي جمع فيه الصحف والصحف جمع الصحيفة والصحيفة قطعة من جلد او ورق يكتب فيه وقد يقال مصحف بكسر الميم وروي ان ابا بكر الصديق استشار الناس بعد جمع القرآن في اسمه فسماه مصحفا والكتاب معناه ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض لانه مصدر كتب اي جمع قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي جمع حتى امنوا بجميع ما يجب عليهم فالكتاب فعل الكاتب ولكنه قد يسمى الشيء باسم الفاعل نحو هذا الدرهم ضرب الامير وهذا خلق الله والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبينا محمد كما ان التورية اسم للكتاب المنزل على موسى والانجيل للمنزل

علی عیسی والزبور المنزل علی داود والقرآن بهمز ولا بهمز فمن همزه وهو الاکثر فوزنه فعلان مثل قربان والترکیب یدل علی الجمع والضم ومنه القرء
الطهر والحیض لاجتماع الدم فی ذلک الوقت ومنه قولهم قریت الماء فی الحوض فالقرآن نزل شیئا بعد شیء فلما جمع بعضه الی بعض سمی قرآنا وقیل سمی
قرآنا لانه جمع السور وضمها قال تعالی ان علینا جمعه وقرآنه ای تالیفه وضم بعضه الی بعض وقولک قرأت معناه جمعت الحروف بعضها الی بعض
ومن لم یهمز القرآن وهو قراءة اهل مکة فاما علی تخفیف الهمزة واصله کما مر واما علی ان وزنه فعال من قرنت والنون لام الکلمة سمی بذلک لانه قرن
السور وما فیها بعضها الی بعض وقیل ان القرآن اسم موضوع علی فعال من غیر اشتقاق کالتوریة والانجیل ویسمی القرآن فرقانا لانه یفرق بین الحق
والباطل والمؤمن والکافر والحلال والحرام واما السورة من القرآن فانها تهمز وهذا اکثر علیه القراءة والسورة اسم لآی جمعت وقرنت
بعضها الی بعض حتی تمت وکملت وبلغت فی الطول المقدار الذی اراد الله تعالی ثم فصل بینها وبین سورة اخری ببسم الله الرحمن الرحیم ولا تکون
السورة الا معروفة المبتداء معلوم المنتهی وقیل اشتقاقها من سور البناء والمدینة لان السور یوضع بعضه فوق بعض حتی ینتهی
الی ارتفاع الذی یراد فالقرآن ایضا وضع آیة الی جنب آیة حتی بلغت السورة فی عدد الآی المبلغ الذی اراده تعالی وقیل سمیت سورة لانها
وضعت بالعلو والرفعة کان سور المدینة سمی سورا لارتفاعه قال النابغة الم تر ان الله اعطاک سورة تری کل ملک دونها یتذبذب ای
شرفا ورفعة وقیل سمیت سورة لاحاطتها بما فیها من الآیات کان هو سورة المدینة محیطة بساکنها وابنیتها وجمع سورة القرآن سور بفتح الواو
مثل حلة وحلل وجمع سورة البناء سور بالسکون مثل صوفة وصوف ومن همز سورة جعلها من اسارت فی الاناء سورا ای فضلت ومنه بقیته
سور الدواب کانها قطعة من القرآن علی حدة واما الآیة فقد قال جمع من العلماء انها فی القرآن عبارة عن کلام متصل الی انقطاعه وانقطاع
معناه فصلا فصلا ولا یخفی توقف الآیة علی التوقیف وقال غیرهم معناها العلامة لانها تدل علی نفسها بانفصالها عن الآیة المتقدمة علیها والمتاخرة
عنها وقیل معناها جماعة حروف من قولهم خرج القوم بآیتهم ای بجماعتهم ولم یدعوا ورائهم شیئا وقیل معناها العجیبة لانها عجیبة لمباینتها کلام
المخلوقین من قولهم فلان آیة من الآیات واختلف فی وزنها فعلة بالتحریک قال الفراء وزنها فعلة بسکون العین واصلها ایة فاستثقلوا التشدید فابدل
الفتحة التی قبله وقال الخلیل واصحابه وزنها فعلة بالفتح والاصل اییة قلبت الیاء الفا لتحرکها وانفتاح ما قبلها وقال الکسائی اصلها آییة فاعلة
وکان یلزمه للیائین الادغام علی نحو دابة وخاصة فیکون مستثقلا فحذفوا احدی الیائین واما الکلمة فان تراکیبها لم تفید القوة والشدة وتقالیب
هذه الحروف الثلثة بحسب الاشتقاق الکبیر ستة واحد مهمل والبواقی معتبرة منها الکلم فمنه الکلام لانه یقرع السمع یؤثر فیه وایضا یؤثر فی الذهن
بواسطة افادة المعنی ومنه الکلم للجرح وفیه شدة ومنها الکمل لان الکامل اقوی من الناقص ومنها الکمل ومعنی الشدة فی الاکم واضح ومنها اللمک
منه بئر مکول اذا قل ماؤها واذا کان کذلک کان ورودها مکروها فیحصل نوع شدة عند ورودها وایضا یدل علی شدة منابعها ومنها
ملک الملک العجین اذا انعمت عجنه ومنه ملاک الانسان لانه نوع قوة ولفظ الکلمة قد یستعمل فی اللفظة الواحدة وقد یراد بها الکلام الکثیر المرتبط
بعضه ببعض ومنه قولهم للقصیدة کلمة ومنه کلمة الشهادة والکلمة الطیبة صدقة ولان المجاز خیر من الاشتراک فاطلاق الکلمة علی الکلام المرکب مجاز
اما من باب اطلاق الجزء علی الکل واما من باب المشابهة لان الکلام المرتبط یشبه المفرد فی الوحدة وقال الله تعالی کلا انها کلمة هو قائلها لانه حکایة بقوله رب
ارجعون حدث فی زمان قلیل کما یحدث الکلمة کذلک وعند النحویین الکلمة لفظ وضع لمعنی مفرد وفائدة القیود تذکر فی ذلک العلم والکلام ما تضمن
کلمتین بالاسناد ومنکروا الکلام النفسی یتفقوا علی ان الکلام اسم لهذه الالفاظ والکلمات والاشاعرة یثبتون الکلام النفسی یقولون ان الکلام
لفی الفؤاد وانما جعل اللسان علی الفؤاد دلیلا وقد یسمی الکلمات والعبارات احادیث لان کل واحدة منها تحدث عقیب صاحبتها قال تعالی فلیاتوا بحدیث
مثله وجمع الکلمة کلم والتاء فی الکلمة لیست للوحدة کالنبقة واللبن والرطبة والرطب لان الرطب واللبن مذکر والکلم مؤنث وتصغیره کلیمة وتصغیر
الکلم کلیم والکلمات جمع الکلمة ثم جمعه بالالف والتاء وقد یکون الکلام مصدرا بمعنی التکلیم کالسلام بمعنی التسلیم قال تعالی یسمعون کلام الله ثم یحرفونه
فسره ابن عباس بتکلیم الله موسی وقت المناجات واما الحرف فهو الواحد من حروف المعجم سمی حرفا لقلته ودقته ولذلک قیل حرف الشیء لطرفه لانه اخره
والقلیل منه وحرف ایضا القراءة بکمالها والقصیدة بتمامها والحرف ایضا احد اقسام الکلمة وذلک ان الکلمة ان احتاجت فی الدلالة علی معناها الافرادی
الی ضمیمة نحو من قد فهو حرف والا فان دلت فی اصل الوضع بهیئتها التصریفیة علی احد الازمنة الثلثة الماضی والحال والاستقبال فهو فعل نحو
نصر وینصر والا فهو اسم کالانسان فان معناه لا یقترن بالزمان اصلا ومثل الیوم والساعة والزمان فان الزمان کل معناه ومثل الصبوح والغبوق
لان الزمان جزء معناه ومثل علم وجهل وضرب فان معناه یدل علی الزمان عقلا لا بحسب الهیئة ومثل ضارب ومضروب فانه لو سلم ان معناه
یدل علی الزمان بحسب الهیئة اذ لکل منها هیئة مخصوصة لغرض الانشاء ولا الفعل المستقبل لکون معناه مقترنا بزمانین الحال والاستقبال لان
قولنا احد الازمنة تحدید لکنها لیست فی اصل الوضع ولا یخرج من حد الفعل نحو عسی مما لا یدل علی زمان لان تجرده عن الزمان عرض لغرض الانشاء
ولا الفعل المستقبل لکون معناه مقترنا بزمانین الحال والاستقبال لان قولنا باحد الازمنة تحدید له ادنی درجات الاقتران ولو سلم باحد الازمنة
فقط فذلک فی اصل الوضع ولا مانع من اقترانه بعد ذلک بزمان اخر مجازا المقدمة السادسة فی ذکر السبع الطوال والمثانی والمئین والطواسیم والحوامیم
والمفصل وما شابهها وغیرها فالسبع الطوال مضمومة الطاء مفتوحة الواو وجمع الطولی کالفضلی والفضل هی البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام

والاعراف

المقدمة

والاعراف والانفال مع التوبة لانهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله وكانتا تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقال بعضهم
السابعة من السبع سورة يونس لا الانفال مع التوبة واما المثاني فسبع سور تتلوا السبع الطول ولها سورة يونس واخرها سورة النحل لانها تثني
الطوال اي تليها واحدها مثنى مثل معنى ومعان وقد يكون المثاني سور القرآن كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثاني وقوله ولقد آتيناك
سبعا من المثاني وقيل المثاني في هذه الاية آيات الفاتحة لانها نزلت مرتين او لانها تثنى في كل صلوة واما المائون فهي سبع اولها سورة بني
اسرائيل واخرها سورة المؤمنون لان كل سورة منها نحو من مائة اية وقيل المائون ما لي السبع الطول ثم المثاني بعدها وقيل ان ما بعد السبع
الطول من المائين الى الحواميم ثم بعد الحواميم المفصل واما الطواسيم فان شئت قلت هكذا وان شئت قلت الطواسين قال الراجز وبالطواسين التي قد ثلثت وفي الحديث واعطيت طه والطواسيم من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب واما الحواميم فان شئت قلت هكذا وان شئت
قلت الحم قال ابن عباس لكل شيء لباب ولباب القرآن الحم وقال الحواميم فكان من قال آل حم نسب السور كلها الى حم وهو من اسماء الله تعالى
بدليل قوله يا حم لا ينصرون الليلة فقولوا حم لا ينصرون وتسمى الحواميم عرائس القرآن عن عاصم عن زر بن حبيش الاسدي قال قرأت على علي بن ابي طالب
القرآن في المسجد الجامع بالكوفة فلما بلغت عرائس القرآن فلما بلغت راس العشرين منهم عسق والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير بكى حتى ارتفع نحيبه ثم رفع راسه الى السماء وقال يا زر امن على دعائي ثم قال اللهم اني اسئلك
اخبات المخبتين واخلاص الموقنين ومرافقة الابرار واستحقاق حقائق الايمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك
والفوز بالجنة والخلاص من النار يا زر واذا ختمت القرآن فادع بهؤلاء الدعوات فان حبيبي رسول الله امرني ان ادعو بهن عند ختم القرآن واما
المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القرآن لكثرة التفصيل فيها بالبسملة واما المسبحات فسورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن
والاعلى لانه في فواتحهن ما يدل على التسبيح في الحديث كان رسول الله لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها اية كالف اية وافضل المسبحات
سبح اسم ربك الاعلى فقد كان العلماء يقرؤن هذه السورة في التهجد والجمعة يتعرفون بركتها واما المقشقشتان فسورة الكافرون والاخلاص لانهما تبريان
من النفاق والشرك يقال تقشقش وتشقشق المريض من علته اذا افاق منها وبرأ واما المعوذتان فالفلق والناس وقد يضم اليهما الاخلاص فيقال
المعوذات المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي كتب بعضها على خلاف بعض في المصحف وهي في الاصل واحد وهو ان يكتب بالالف وانما حذفت من
باسم الله فقط لانها الف وصل ساقطة من اللفظ كثيرا قد كثر استعمال الناس اياها في صدور الكتب وفواتح السور وعند كل امر يبتدأ به فامنوا
ان يجهل القاري معناها وكتب فيما موصولا في كل القرآن الا في البقرة فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفيها فيما فعلن في انفسهن من معروف
وفي الانعام فيما اوحي الي محرما وفيها ليبلوكم فيما اتيكم وفي الانفال في ما اخذتم عذاب عظيم وفي الانبياء في ما اشتهت انفسهم وفي
النور في ما افضتم وفي الشعراء في ما ههنا امنين وفي الروم في ما رزقناكم وفي الزمر فيما هم فيه يختلفون وفيها فيما كانوا فيه يختلفون وفي
الواقعة فيما لا تعلمون فذلك اثنا عشر حرفا مقطوع وما سوى ذلك موصول وكتب مما موصولا كل القرآن الا ثلثة مواضع في النساء فمن ما ملكت
ايمانكم وفي المنافقين من ما رزقناكم وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الحج وان ما تدعون من دونه هو الباطل وفي لقمان وان ما تدعون من دونه
الباطل وفيها ولو ان ما في الارض وكتب انما موصولا كل القرآن الا في الانعام ان ما توعدون لات وكتب لكيلا مقطوعة كل القرآن الا ثلثة
مواضع في الحج لكيلا يعلم وفي الاحزاب لكيلا يكون عليك حرج وفي الحديد لكيلا تاسوا وكتب بئسما مقطوعا حيث كان الا ثلثة مواضع في البقرة
بئسما يامركم به ايمانكم وفيها ولبئسما وشروا به انفسهم وفي الاعراف بئسما خلفتموني وكتب اينما مقطوعا في جميع القرآن الا اربعة مواضع في البقرة
فاينما تولوا وفي النحل اينما يوجهه وفي الشعراء اينما كنتم وفي الاحزاب اينما ثقفوا وكتب الا موصولا كل القرآن الا عشرة مواضع في الاعراف ان لا اقول
الا الحق وفيها ان لا تقولوا على الله الا الحق وفي التوبة ان لا ملجاء من الله الا اليه وفي هود وان لا تعبدوا الا الله وفيها ان لا اله الا هو وفي الحج
ان لا تشرك بي شيئا وفي يس ان لا تعبدوا الشيطان وفي الدخان وان لا تعلوا على الله وفي الممتحنة ان لا يشركن بالله شيئا وفي القلم ان لا يدخلنها
اليوم واختلف في يوسف الا تعبدوا الا اياه وما سواهن فهو الا مدغما بغير نون وكتب الا باسقاط النون كل القرآن من غير استثناء مثل الا تفعلوه
والا تغفر لي وكتب الم موصولا في كل القرآن الا في الانعام ان لم يكن ربك في البلدان لم يره احد وكتب في هود فالم يستجيبوا لكم موصولا مدغما وفي
القصص فان لم يستجيبوا لك مقطوعا وكتب امن موصولا كل القرآن الا اربعة مواضع في سورة الانعام ام من يكون عليهم وكيلا وفي التوبة
امن اسس بنيانه وفي الصافات ام من خلقنا وفي السجدة ام من ياتي امنا وكتب ما واما موصولا الا في الرعد وان ما نرينك وكتب عما موصولا
الا في الاعراف عن ما نهوا عنه وكتب الن مقطوعا الا ثلثة مواضع في الكهف الن نجعل لكم موعدا وفي المزمل الن تحصوه وفي القيمة الن نجمع عظامه
وكتب كلما موصولا الا خمسة مواضع في النساء كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا وفي الاعراف كل ما دخلت امة وفي سبحان كل ما جاء وفي الملك كل ما القي
فيها وفي نوح كل ما دعوتهم وكتب يوم هم موصولا الا في المؤمن يوم هم بارزون وفي الذاريات يوم هم على النار يفتنون وكتب الرحمة في جميع القرآن
بالهاء الا سبعة مواضع في البقرة اولئك يرجون رحمت الله وفي الاعراف ان رحمت الله قريب وفي هود رحمت الله وبركاته وفي مريم ذكر رحمت ربك
وفي الروم الى اثار رحمت الله وفي الزخرف اهم يقسمون رحمت ربك وفيها ورحمت ربك فانها بالتاء وكتبت النعمة بالهاء الا احد عشر موضعا في البقرة

الحواميم قال يا زر بن حبيش بلغت

وفي الروم من ما ملكت ايمانكم

على الله الا

واذكروا

واذكروا نعمت الله عليكم وفي ال عمران واذكروا نعمت الله عليكم وفي المائدة واذكروا نعمت الله عليكم اذ هم وفي ابرهيم بدلوا نعمت الله كفرا وفيها
وان تعدوا نعمت الله وفي النحل وبنعمت الله هم يكفرون وفيها ويعرفون نعمت الله وفيها واشكروا نعمت الله وفي لقمن في البحر بنعمت الله وفي
الملائكة اذكروا نعمت الله وفي الطور بنعمت ربك بكاهن وكتب امرأة بالهاء الا سبعة مواضع في ال عمران اذ قالت امرأت عمران وفي يوسف
امرأت العزيز تراود فتىها وفيها امرأت العزيز الان وفي القصص قالت امرأت فرعون وفي التحريم امرأت نوح وامرأت لوط وامرأت فرعون
وكتب سنة بالهاء كل القران الا خمسة مواضع في الانفال مضت سنت الاولين وفي فاطر الا سنت الاولين ولن تجد لسنت الله تحويلا
وفي المؤمن سنت الله التي قد خلت وكتب معصية بالها حيث كانت الا موضعين في المجادلة ومعصيت الرسول بالتاء وكتب لعنة بالهاء
كل القران الا في ال عمران فنجعل لعنت الله وفي النور ان لعنت الله وكتب جنة بالهاء الا في الواقعة وجنت نعيم وكتب شجرة بالهاء الا في الدخان
ان شجرت الزقوم وكتب قرة بالهاء الا في القصص قرت عين لي ولك وكتب بقية بالهاء الا في هود بقيت الله وكتب من ثمرة بالهاء الا في حم السجدة
من ثمرت من اكمامها وكتب كلمة بالهاء الا اربعة مواضع في الانعام وتمت كلمت ربك وفي يونس حرفان كلمت ربك وفي المؤمن حقت كلمت ربك وكتب
غيابت الجب بالتاء فهم على بينت منه بالتاء وكتب كل ما في القران من ذكر الاية بالهاء الا في العنكبوت لولا انزل عليه ايت فانها بالتاء وكتب
فطرت وعمرت فرءيتم اللت والعزى ولات حين مناص وذات بهجة وهيهات ومريم ابنت عمران ومرضات كلها بالتاء وكتب الملا بالالف الا
اربعة مواضع في المؤمنون فقال الملؤا الذين كفروا وفي النمل يايها الملؤا اني يايها الملؤا افتوني يايها الملؤا ايكم ياتيني فانها كتب بالواو
وكتب في البقرة ويبصط بالصاد وما سواه بالسين كتب في البقرة بسطة بالسين وفي الاعراف بالصاد وكتب في ال عمران منهم تقية بالتا وحق تقاته
بالالف وكتب في اول يوسف والزخرف قرءنا عربيا بغير الف وسائر القران قرانا بالـ كتب في الاعراف ويونس بكل سحر عليم بغير الف وفي الشعرا
سحار عليم بالالف بعد الحاء وكتب في الذاريات ساحر او مجنون بالالف وما سواه بغير الف وكتب في يونس لننظر كيف تعملون بنون واحدة واختلف في قوله
انا لننصر رسلنا في المؤمن وكتب في يونس ننج المؤمنين بنونين وحذف الياء وفي اخر يوسف فنجي من نشاء بنون واحدة وفي الانبياء وكذلك
نجي المؤمنين بالياء وبنون واحدة وكتب جميع ما في القران من ذكر الايد بياء واحدة الا في الذاريات والسماء بنينها بايد فانها كتبت بياءين في
الاصل كتبه بياء واحدة وكتب لن بغير الف كل القران الا في الجن فمن يستمع الان فانه بالالف وكتب في حم السجدة سموات بالالف وما سوا
كتب سموات بغير الف وكتب في اول سبا علم الغيب بغير الف وكتب في البقرة خطيكم بحرف واحد بين الطا والكاف وفي الاعراف خطيتكم بحرفين بينهما
وكتب بغير ياء كل القران الا في النجم لقد راى من ايت ربه الكبرى ما كذب الفؤاد ما راى كتب في يونس وما تغني الايت بالياء على الاصل وفي
القمر فما تغن النذر بغير ياء على اللفظ وكتب في البقرة يؤت الحكمة بالياء وفي النسا وسوف يؤت الله بغير ياء وكتب ويمح الله الباطل بغير واو ويمحوا
ما يشاء بالواو والالف وكتب الداع بغير ياء حيث كان الا قوله اجيبوا داعي الله وكتب ثمودا بالالف في حال النصب في اربعة مواضع في هود والفرقان
والعنكبوت والنجم وكتب ثمود الناقة بغير الف وكتب في النمل وما انت بهادي بالياء وفي الروم بهاد بغير ياء والاصل فيهما الياء وكتب في الحج ولؤلؤا
بالالف وفي فاطر بغير الف وكتب في الاعراف قال ابن ام بالالف مقطوعا وفي طه يبنؤم بالواو موصولا وكتب في الحجر وق اصحاب الايكة بالالف
وفي الشعراء وص ليكة بغير الف وكتب في يوسف لذو علم لما علمناه وفي المؤمن ذو العرش وفي السجدة لذو مغفرة وذو عقاب اليم وفي الجمعة ذو الفضل
العظيم وفي البروج ذو العرش بغير الف في هذه المواضع وما سواها ذوا بالالف وكتب الربوا بواو وبعدها الف كل القران الا قوله وما اتيتم من
ربا فانه بغير واو وكتب الفى الباب لدى الحناجر بالياء وكتب لا اوضعوا خلالكم ولا اذبحنه بزيادة الف في مصاحف الشام ولا امة مومنة بزيادة
الف ايضا وكتب ايه المومنون وايه الساحر وايه الثقلان بغير الف وما سواها يايها بالالف وكتب في الاحزاب الظنونا والرسولا والسبيلا
بالالف وفي الفرقان ام هم ضلوا السبيل وفي الاحزاب وهو يهدي السبيل فهما [illegible] وكتب في الانسان قواريرا بالالف قواريرا من فضة بغير
الف وكتب في الانعام ائنكم لتشهدون وفي الاعراف ائنكم لتاتون الرجال وفي العنكبوت ائنكم لتاتون الرجال وفي حم السجدة ائنكم لتكفرون بالياء
وما سواها بغير ياء وكتب في الاعراف ان لنا لاجرا بالياء وكتب في النمل ائنا لمخرجون بالياء وكذلك في الصافات ائنا لتاركوا وما سواها
فهو انا بغير ياء وكتب في الواقعة ائذا بالياء وفي سائر القران اذا بغير ياء وكتب في هود في اموالنا ما نشؤا بالالف بعد الواو ومثله في الانعام
يانيهم انبؤا وفيها الذين زعمتم انهم فيكم شركؤا وفي حم عسق ام لهم شركؤا وفي الروم من شركائهم شفعؤا وفي ابرهيم فقال الضعفؤا وفي الشعراء فسياتيهم انبؤا
وفيها ايضا ان يعلمه علمؤا وفي فاطر من عباده العلمؤا وفي الصافات لهو البلؤا وفي حم الاولى وما دعؤا الكافرين وفي الدخان ما فيه بلؤا وفي
الممتحنة انا برءؤا وكتب جزؤا بالواو الا في الكهف فله جزاء الحسنى وكتب ان امرؤا هلك يتفيؤا ظلاله ويعبؤا بكم ولتوكؤا عليها وتفتؤا تذكر
ويدرؤا عنها وينبؤا الذين ونبؤا الخصم ينشؤا في الحلية ولا تظمؤا فيها ويبدؤا الخلق وما اشبهها بواو والف ليشعروا انها الهمزة المضمومة وعلى
لغة من لا يهمز يتلو كتب كلها بالواو وحدها وبالالف حذفها وكتب في الانعام من نبائ المرسلين بياء بعد الهمزة وكذلك في يونس من
تلقائ نفسي وفي النحل وايتائ ذي القربى وفي طه ومن انائ الليل وفي عسق ومن ورائ حجاب كلها في القران من [illegible] وان الواو والالف مثل
دعا وعفا [illegible] الا دحيها وتليها وطحيها وسجى وذكرى ذوات الياء يكتب بالياء مثل هدى [illegible] وقضى [illegible] مثل الاولين وجنا الجنتين

ان تجد لسنت الله تبديلا ١٢

بغير ياء وفي الشعر ائن لنا لاجرا بالياء

دان وطغا الماء واقصا المدينة واحيا الناس وكل باثنين اجتمعتا في كلمة مثل الدنيا والعليا جعلت الاخيرة الفا كراهة الجمع بين اليائين الا في قوله تعالى يحيي واما نه واحيي في بعض المصاحف وكتب الزكوة والحيوة ومنوة ومشكوة والغدوة بالواو وكتب الصلوة بالواو الا في الانعام وهم على صلاتهم يحافظون وصلاتي ونسكي وفي الانفال وما كان صلاتهم وفي ول المؤمنين في صلاتهم خاشعون وفي الواقع على صلاتهم وفيها على صلاتهم يحافظون وفي ارايت عن صلاتهم ساهون وكتب فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وليكونا من الصاغرين ولنسفعا بالناصية بالالف والوقف عليها بالالف وكتب في البقرة واخشوني ولاتم بالياء وفي المائدة واخشون اليوم واخشون لا بغير ياء وكتب في يوسف ومن تبعني وسبحان الله بالياء وفي ال عمران ومن اتبعن وقل بغير ياء وكتب في سبحان الذي لئن اخرتن بغير ياء وفي المنافقون لولا اخرتني بالياء وكتب في يوسف ما نبغي بالياء وفي الكهف ما كنا نبغ بغير ياء وفي هود يوم يات لا تكلم بغير ياء وفي النحل يوم تاتي كل نفس بالياء وفي الدخان يوم تاتي السماء بالياء وفي الانعام وقد هدان بغير ياء وفي هدىني ربي بالياء وفي الاعراف ثم كيدون بغير ياء وفي هود فكيدوني جميعا بالياء وفي هود فلا تسئلن بغير ياء وفي الكهف فلا تسالني بالياء وفي الكهف ان يهدين ربي بغير ياء وفي القصص ان يهديني سواء السبيل بالياء وفي طه فاتبعوني واطيعوا امري بالياء وفي الزخرف واتبعون هذا بغير ياء وكذلك في المؤمن وفي الاعراف فهو المهتدي بالياء وفي سبحان الذي وسورة الكهف فهو المهتد بغير ياء وفي الزمر فبشر عباد الذين بغير ياء وفي ابرهيم قل لعبادي الذين امنوا بالياء وكتب الذي والذين بلام واحدة واللذان واللذين بلامين وكتب جزاء بغير واو وهزوا وكفوا بالواو وكتب بين المرء وجزء مسقوم ويخرج الخبء وملء الارض ودفء باسقاط الهمزة ومن غرائب الهجاء ونوادره ما كتب في الفرقان وعتوا عتوا كبيرا بغير الف وفي سبا والذين سعوا بغير الف وفي الحشر والذين تبوؤ الدار بواو من غير الف وفي المعصرات كنت ترابا بغير الف وفي القلم بايكم المفتون بيائين وفي ال عمران افائن مات بالياء وفي الانبياء افائن مت بغير ياء وكتب اانتم ونحوه بالالف وكتب فاذا لقيتم ليس بين الدال والراء ولا بين الراء والتاء الف في جميع المصاحف وكتب الكافر لبيان الحركة كتابيه حسابيه ماليه سلطانيه وفي القارعة ما هيه باثبات الهاء واختلف في لم يتسنه وبهديهم اقتده ان الهاء فيها لبيان الحركة اولا وكتب في سورة النساء فمال هؤلاء القوم وفي الكهف مال هذا الكتاب وفي الفرقان مال هذا الرسول وفي الواقع فمال الذين كفروا باللام مع ما مقطوعة عما بعدها واعلم ان هجاء المصحف كثير وتذكرنا منها ما هو انفع للقاري واكثر فائدة واما الحركات كلها فقد راعيناها الا ما شاء الله في كتابة متن القران من هذا الكتاب كما بلغنا عمن تقدمنا من السلف الصالحين والعلماء المتقين ودونوا ووجدناها في الامام كذلك وسنراها في مواضعها ان شاء الله وانما كتب هذه الحروف بعضها على خلاف بعض في الاصل واحد لان الكتابة بالوجهين كانت جائزة عندهم فكتبوا بعضها على وجه وبعضها على وجه اخر جمعا بين المذهبين على انهم كتبوا اكثرها على الاصل وكل ما كتب في المصحف على الاصل لا يقاس عليه غيره من الكلام لان القران يلزمه لكثرة الاستعمال ما لا يلزم غيره واتباع المصحف في هجائه واجب من طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته لانه بالهجاء يتلى والفائدة للقاري في معرفته ان يكون على يقين ان الذي يقرا هو القران الذي انزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلا خلل فيه من جهة من الجهات وقال جماعة من الائمة ان الواجب على القراء والعلماء واهل الكتاب ان يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف فانه رسم زيد بن ثابت وكان امين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه علم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره فما كتب شيئا من ذلك الا لعلة لطيفة وحكمة بليغة وان قصر عنها رايُنا الا ترى انه لو كتب على صلوتهم وان صلوتك بالالف بعد الواو او بالالف من غير واو لما دل ذلك الا على وجه واحد وقراءة واحدة وكذلك في سيعلم الكفار لمن عقبى الدار كتب في سيعلم الكفر بغير الف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراءتين والله تعالى اعلم

المقدمة الثامنة في اقسام الوقف هو قطع الكلمة اسما او فعلا او حرفا عما بعدها ولو فرضا وله عند اكثر الائمة خمس مراتب لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة فاللازم من الوقف ما لو وصل طرفاه غير المرام وشنع الكلام كقوله تعالى وما هم بمؤمنين انه لو وصل بقوله يخادعون الله صار التبادر ان الجملة صفة للمؤمنين فانتفى الخداع عنهم وتقرر الايمان خالصا عن الخداع كما تقول ما هو بمؤمن مخادع ومراد الله جل ذكره نفي الايمان واثبات الخداع وفي نظائر ذلك كثرة يوصل المرور بها الى العثور عليها والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده كالاسم المبتدا به نحو الله يجتبي اليه من يشاء وكالفعل المستانف مع السين نحو سيقول السفهاء وسيجعل الله بعد عسر يسرا وبغير السين نحو يعبدونني لا يشركون بي شيئا الى غير ذلك من النظائر والجائز ما يجوز فيه طرفا الوصل والوقف مثل وما انزل من قبلك لان واو الوصل يقتضي العطف وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم فان التقدير ويوقنون بالاخرة والمجوز لوجه مثله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة لان الفاء في قوله فلا يخفف لتعقيب تتضمن معنى الجواب والجزاء وذلك يوجب الوصل الا ان نظم الفعل على الاستيناف يرى للفصل وجها والمرخص ضرورة ما لا يستغني ما بعده عما قبله لكن يرخص الوقف ضرورة انقطاع النفس لطول الكلام ولا يلزمه الوصل بالعود لان ما بعده جملة مفهومة كقوله والسماء بناء لان قوله وانزل لا يستغني عن سياق الكلام فان فاعله ضمير يعود الى الضمير المذكور قبله غير انها جملة مفهومة لكون الضمير مستكنا وان كان لا يبرز الى النطق واما ما لا يجوز الوقف عليه ففي مواجبه مواقعه كثرة وسيتلى عليك مواقع الفصل والوصل في جميع القران مع علامات ذلك مفصلة ان شاء الله تعالى وبعضهم قسم مراتب الوقوف الى ثلث التام والكافي والحسن لا مشاحة في الاصطلاح بعد غاية المعنى وليكن علامة اللازم م المطلق ط والجائز ج والمجوز ز والمرخص ص وما لا وقف عليه فعلامته لا وعلامة الاية دائرة صغيرة هكذا ○ وانما الزم ايراد هذه الوقوف لدقة مسلكها وبلوغها في الغوص الى حيث تقصر البلاغة على معرفة الفصل والوصل الا ان ذلك بحسب الصناعة وكل منها نابر رقما

المعنى بالمعنى وانفصاله عنه بالكل وبالبعض وسيتلى عليك تفاصيلها وبالله التوفيق المقدمة التاسعة في تقسيم يعرف منها اصطلاحات مهمة اللفظ اما ان يعتبر دلالته على تمام مسماه او على جزء مسماه او على لازمه الذهني الاولى دلالة مطابقة كدلالة البيت على مجموع الحائط والسقف والثاني دلالة تضمن كدلالة البيت على السقف او الحائط والثالث دلالة الالتزام كدلالة السقف على الحائط والدلالة الاولى وضعية صرفة والباقيتان بمشاركة من الوضع والعقل تقسيم آخر اللفظ اما ان يقصد بجزء منه دلالة على جزء معناه وهو المركب كعبد الله غير علم او لا يقصد وهو المفرد ويشمل ما لا جزء له اصلا مثل ق علما وما كان له جزء ولكن لا يدل على معنى اصلا نحو زيد وما كان له جزء دال على معنى لكن لا في ذلك المسمى نحو اسد الله علما للشخص الانساني وما له جزء دال على معنى في ذلك المسمى لكنه لم يقصد مثل عبد الله علما له تقسيم آخر اللفظ المفرد باعتبار وحدة مدلوله وتعدده اربعة اقسام الاول اللفظ واحد والمدلول واحد الثاني مقابله اي اللفظ كثير والمعنى كثير الثالث اللفظ واحد والمعنى كثير الرابع عكسه المعنى واحد واللفظ كثير فالاول ان اشترك في مفهومه كثيرون مجردا عن سبب من خارج فهو الكلي ويقال له اسم الجنس وهو اقسام ستة لانه اما موجود او معدوم والموجود اما واحد او كثير والواحد اما ان يكون مثله ممكنا كالشمس او غير ممكن كالاله والكثير اما متناه كالكواكب او غير متناه كالعدد والمعدوم اما ممكن الوجود في الخارج كجبل من ذهب او غير ممكن كشريك الاله وعلى التقادير فان تفاوت وقوعه على افراده بان يكون لبعضها اولى او اول واشد كالوجود للخالق والمخلوق فان وقوعه على الخالق اول واولى واشد وكالابيض فانه على الثلج والعاج فان وقوعه على الثلج اشد فاللفظ مشكك لانه يشكك بالنسبة الى السامع في انه متواطئ نظرا الى اشتراك الكل في اصل المعنى او مشترك نظرا الى اختلافها في ذلك وان لم يكن في وقوعه تفاوت فمتواطئ كالانسان بالنسبة الى افراده فان كلها متوافقة في الانسانية مستوية فيها وان لم يشترك في مفهومه كثيرون فهو الجزئي علم ان استقل في الدلالة بحيث لا يحتاج الى ان ينضم اليه من ضم قرينة التخاطب والتكلم وتقدم الذكر ولام العهد والاشارة مضمر ان احتاج الى احد القرائن الثلث الاول ومبهم ان احتاج الى شيء من الباقيتين والعلم اما اسم كابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام او ان يكون لقبا اشعر المسمى به مدحا او ذما كاسرائيل او كنية وتختص بما في اوله الاب او الام او البنت او الابن نحو ابي لهب وام القرى وابنة عمران وابن مريم وقد يكون العلم علما للجنس باسره بحيث لا يكون بعض افراده الخارجية اولى بذلك من بعض لكونه للحقيقة الخارجية واذا اطلق على فرد من افراده الخارجية نحو هذا اسامة مقبلا فليس ذلك بالوضع بل بالمطابقة الكلي الطبيعي لجزئياته فهذه تمام اقسام القسم الاول وهو ان اللفظ واحد والمعنى واحد الثاني من الاربعة متباينة كالانسان والفرس الثالث ان كان اللفظ حقيقة في المعنى من مدلوله بان كان موضوعا للجميع فمشترك والا فمنقول ان نقل من الموضوع له الى معنى آخر لعلاقة واشتهر فيه عرفي ان كان الناقل هو العرف العام واصطلاحي ان العرف الخاص شرعي والا فبالنسبة الى المنقول عنه حقيقة وبالنسبة الى المنقول اليه مجاز ان لم ينتقل من الملزوم الى اللازم وكناية ان كان العكس وان نقل لا لعلاقة فمرتجل الرابع من الاقسام مترادفة كالليث والاسد لا يخفى ان القسمين الاولين والقسم الرابع كلها نصوص في معناها اما الاول فلاتحاد المعنى الموجب لعدم احتمال الغير وهو معنى النص واما المتكثرة اللفظ والمعنى فلانه يكون لكل معنى لفظ فلا يحتمل اللفظ غير ذلك واما الرابع فلاشتراط الاتحاد في المعنى واما القسم الثالث وهو ان اللفظ واحد والمعنى كثير فينقسم الى مجمل وظاهر ومأول لان اللفظ بالنسبة الى تلك المعاني ان كان متساوي الدلالة فهو المجمل بازائه المبين وان كانت متفاوتة فالراجح هو الظاهر والمرجوح هو المأول فالاول كقوله تعالى ثلثة قروء فان دلالة القرء بالنسبة الى الطهر والحيض على السواء والثاني نحو اقيموا الصلوة فان الامر كما يحتمل الوجوب كذا يحتمل الندب والاركان تحتمل الدعاء الا ان الامر بالنسبة الى الوجوب ارجح والصلوة بالنسبة الى الهيئات المخصوصة ارجح والثالث نحو يد الله فوق ايديهم فان اليد تحتمل القدرة والجارحة لكنها بالنسبة الى القدرة مرجوحة فالرجحان مشترك بين النص والظاهر ويسمى بالمحكم وعدم الرجحان مشترك بين المجمل والمأول ويسمى المتشابه والنص يمتاز عن الظاهر بانه لا يحتمل الغير والظاهر يحتمله احتمالا مرجوحا والمجمل يتميز بكونه غير مرجوح والمأول مرجوح والتاويل اشتقاقه من الاول اي رجع وفي الاصطلاح كما يقرر حمل الظاهر على المحتمل المرجوح فيشمل التاويل الفاسد والتاويل الصحيح فان اريد التاويل الصحيح فقد زيد في الرسم بدليل يصيره راجحا اي بحسب ذلك الدليل وان كان مرجوحا بحسب مفهوم اللفظ وضعا او عرفا كما قلنا في اليد بمعنى القدرة واذا عرفت الاقسام الاربعة باسرها فنقول كل منها قد يكون مشتقا ان وجد له اصل يرجع اليه كالموجود والضارب بالاضافة الى الوجود والضرب فان معنى الاشتقاق ان تجد بين اللفظين تناسبا في المعنى والتركيب فترد احدهما الى الآخر وقد يكون غير مشتق ان فقد له اصل كالوجود والانسان وغير المشتق صفة ان دل على معنى قائم بالذات كالعالم والكاتب وغير صفة ان لم يدل كالجسم مثلا تنبيه العلاقة المعتبرة في المجاز انما يقع بحكم الاستقراء على نيف وعشرين وجها منها الاشتراك في صفة ظاهرة كالاسد على الرجل الشجاع لا على الابخر لخفاء ذلك وهذا معظم انواع المجاز لانه اطلاق اسم الملزوم على اللازم واكثر المجازات بل جميعها يرجع الى ذلك ومنها الاشتراك في الشكل كالانسان للصورة المنقوشة ومنها كونه آيلا الى ذلك كالخمر للعصير او كائنا عليه كالعبد على من عتق ومنها المجاورة مثل جرى الميزاب فان الجاري في الحقيقة هو الماء لا الميزاب المجاور له ومنها اطلاق اسم الحال على المحل مثل واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي في الجنة لانها محل الرحمة ومنها عكسه كقوله لا يفضض الله فاك اي اسنانك اذ الفم محل الاسنان ومنها اطلاق اسم السبب على المسبب كقوله عليه السلام بلوا ارحامكم ولو بالسلام اي صلوها فانهم لما رأوا بعض الاشياء يتصل بالندا وتستعار البل للوصل ومنها عكس ذلك كقولهم للخمر اثما لكون الاثم مسببا عنها ومنها اطلاق الكل على الجزء نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم اي انامل

ومنها العكس نحو كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته ومنها اسم المطلق على المقيد كقوله فيا ليت كل اثنين بينهما هوى من الناس قبل اليوم يلتقيان
اي قبل يوم القيمة ومنها العكس كقول شريح اصبحت ونصف الخلق علي غضبان يريد المحكوم عليهم ظاهر انهم ليسوا النصف سواء ومنها اسم الخاص على العام
كقوله سبحانه وحسن اولئك رفيقا اي رفقاء لدلالته ومنها العكس كقوله سبحانه حكاية عن محمد صلعم وانا اول المسلمين لان الانبياء قبله كانوا كلهم
ومنها كون المضاف محذوفا نحو واسئل القرية ومنها كون المضاف اليه محذوفا كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا اي انا ابن رجل جلا ومنها اطلاق
اسم آلة الشيء عليه مثل واجعل لي لسان صدق اي ذكرا حسنا لان اللسان آلة الذكر ومنها اطلاق اسم الشيء على بدله كما يقال فلان اكل الدم اي الدية فانه
يأكلن كل ليلة اكافا اي ثمن اكاف ومنها اطلاق النكرة للعموم كقوله عز من قائل علمت نفس ما احضرت اي كل نفس ومنها اطلاق اسم احد الضدين
على الاخر مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها اذ جزاء السيئة حسنة ومنه قولهم قاتله الله ما احسن ما قال يريدون الدعاء له ومنها اطلاق
المعرف باللام وارادة واحد منكر كقوله تع ادخلوا الباب سجدا اي بابا من ابوابها وسيجيء ومنها الحذف نحو يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا
ومنها الزيادة نحو ليس كمثله شيء واعلم ان المجاز بالحقيقة نوع من فروع التشبيه لانك اذا قلت زيد اسد فكانك قلت زيد كالاسد فكانك
قلت زيد كالاسد في الجرأة فيستدعي مشبها ومشبها به ووجه الشبه بينهما والمشبه والمشبه به قد يكونان حسيين كقولك خده كالورد او عقليين كالعلم
اذا شبه بالحيوة او احدهما محسوسا والاخر معقولا كالعطر اذا شبه بخلق كريم او كالعدل اذا شبه بالقسطاس والخياليات كالشقيق اذا شبه باعلام
ياقوت منشرة ملزوزة في قرن الحبا والوهميات في قولك نطقت الحال لشيء هو شبيه باللسان فانه صورة وهمية محضة وكذا الوجدانيات
كاللذة والالم والشبع والجوع ملحقة بالعقليات ووجه التشبيه اما ان يكون امرا واحدا او لا والثاني اما ان لا يكون في حكم الواحد كما اذا شبهت انسانا
بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشان وعلو الرتبة او يكون وذلك لكونه اما حقيقة ملتئمة من اوصاف كسقط النار اذا شبه بعين الديك
الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة كقول الشاعر كان مثار النقع
فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه فليس المراد تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من
النقع الاسود والسيوف البيض حال كون السيوف متفرقات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة في جوانب منه ويسمى هذا
تشبيه المركب بالمركب متى كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور يخص باسم التمثيل كما في قوله عز من قائل مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا الاية وسيجيء تفسيرها ثم ان التشبيه التمثيلي اذا شاع استعماله على سبيل الاستعارة لا غير يسمى مثلا كقولك لمن يتردد في امر تقدم
رجلا وتؤخر اخرى وذلك لان الاستعارة هي ان تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الاخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك
باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به كما تقول في الحمام اسد انت تريد به الشجاع مدعيا انه من جنس الاسد فتثبت للشجاع ما يخص المشبه به وهو اسم جنسه اعني
الاسد مع سد طريق التشبيه بافراده في الذكر لان التشبيه لا بد له من طرفين مشبه ومشبه به فاذا افردت بالذكر احدهما فكانك قد سددت طريق التشبيه
فاذن الاستعارة نوع من المجاز لان المستعار له وهو زيد مثلا في قولك زيد اسد برز في معرض المستعار منه وهو الاسد نظرا الى الدعوى وهذا
شان العارية وانما اجراؤهم على الدعوى ما داروا بينهما من الاشتراك في اللازم وهو الشجاعة والاستعارة في نحو عندي اسد لا يعقب بصفات ثمة
كلام لا يكون مجردة ولا مرشحة لفقده موضوعي التجريد والترشيح انما يليهما التجريد والترشيح سميتها مرشحة نحو شاورت اسدا وافي البراثن محصود او
قد يجيء من الاصطلاحات قولهم هذا عام وخاص ومطلق ومقيد فالعام ما دل على مسميات باعتبار امر اشتركت فيه مطلقا فقولنا ما دل
يشمل العموم باللفظ والمعنى جميعا فان العموم من عوارض المعاني ايضا حقيقة كقولهم عم المطر والخصب كالمعنى الكلي كالانسان لشموله جزئياته
التي تحته وقولنا على مسميات يخرج المثنى دليل خلفه لعال المعدوم والمستحيل اذ لو قلنا على اشياء لخرجا بناء على انهما ليسا بشيء وقولنا باعتبار امر
اشتركت تلك المسميات فيه يخرج نحو عشرة وغيرها من اسماء العدد النكرات فانها وان دلت على مسميات هي احادها لكن لا باعتبار امر اشتركت هي فيه بل
باعتبار وضع اسم العدد للمجموع وكذا الكلام في كل ذي اجزاء حسية وعقلية وقولنا مطلقا يخرج الرجال المعهودون فانها بقرينة العهد منه احتراز
من نحو رجل فانه وان دل على مسميات باعتبار كون كل منها ذكرا من بني ادم مطلقا لكن لا دفعة بل على سبيل البدل ولهذا يخرج نحو رجال اذا تاملت فيه نحو
العام والخاص بخلافه هو ما دل لا على مسميات الخ ومن صيغ العموم اسماء الشرط والاستفهام مثل من وما والموصولات نحو الذي والتي والجموع المعرفة
تعريف جنس كالرجال والمسلمات والجموع المضافة نحو عبيدكم واسم الجنس المضاف تعريف المعرف الجنس مثل غلامي والعلام والنكرة في سياق النفي نحو ما في
نحو ما في الدار احد والتخصيص قصر العام على بعض مسمياته وقد يطلق التخصيص على قصر اللفظ على بعض ما يتناوله وان لم يكن ذلك اللفظ عاما
كما يطلق عليه ايضا انه عام لتعدده وتكثره وان لم يكن من صيغ العموم كعشرة والمسلمين المعهودين وكضمائر الجمع لا يستقيم تخصيص الا فيما يستقيم توكيده
بكل لكونه ذا اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما الا النكرة مثل قوله تع تلك عشرة كاملة ونحو جاءني رجال كرماء والمخصص اما متصل وهو خمسة اشياء الاول
الاستثناء بالا ونحوها والثاني الشرط وهو ما يتوقف تاثير المؤثر عليه لا وجوده كالاحصان فانه يتوقف عليه اقتضاء الزنى الرجم لا وجود الزنى
الثالث الصفة مثل فتحرير رقبة مؤمنة والرابع الغاية نحو ثم اتموا الصيام الى الليل هذا هو التخصيص بالمتصل وقد يخص بالمنفصل وذلك ما العقل
كقوله تع الله خالق كل شيء واما الحس نحو واوتيت من كل شيء واما الدليل السمعي كقوله تع والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء فخصص

الاية الاخرى وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ويوصيكم الله في أولادكم خصصه قوله عليه السلام القاتل لا يرث والمطلق هو اللفظ الدال على
الماهية من حيث هي هي ويلزم منه تمكن المأمور من الاتيان بفرد منها اي فرد كان لانه لا يمكن الاتيان بالماهية الا بالاتيان به ويتصور الاطلاق
في معرض الخبر المتعلق بالماضي مثل رأيت رجلا ضرورة تعينه باسناد الرؤية اليه والمقيد بخلاف المطلق فهو لفظ دال على مدلول غير شايع في جنسه
فيدخل فيه الدال على المتعين مطلقا نحو زيد وهذا الرجل وانا وانت والدال على الشايع لا في جنسه بل في افراده كالعام فهو مقيد لغة لا اصطلاحا
ويطلق المقيد على ما اخرج من شياع بوجه بان يذكر الدال على الماهية بوصف زائد عليها كرقبة مؤمنة فانها وان كانت مطلقة في جنسها
من حيث هي رقبة مؤمنة الا انها مقيدة بالنسبة الى مطلق الرقبة فهي مطلقة من وجه وتقييد المطلق شبيه بتخصيص العام فيجوز التقييد بالمتصل
استثناء كان او صفة او شرطا او غاية او بدل بعض وبالمنفصل عقلا كان او نقلا كتابا او سنة ويقسم الخبر التركيب المفيد اعني الكلام قسمان احدهما
الذي يحتمل ان يقال لقائله صدقت وكذبت من حيث ذلك التركيب لا من امر خارج عن ذات التركيب يقال له الخبر واذا بلغ رواة الخبر مبلغا احال
العقل تواطؤهم على الكذب فهو متواتر والا فخبر واحد والثاني ما لا يحتمل ذلك ويقال له الطلب والاول عبارة عن الجمل الاربع الاسمية والفعلية
والشرطية والظرفية والثاني نوعان نوع لا يستدعي مطلوبا بامكان الحصول وهو التمني ونوع يستدعي مطلوبه ذلك ثم ان كان طلب فعل فامر وان
كان طلب ترك فنهي وان كان طلب فهم فاستفهام وان كان طلب قبال فنداء ففي امتنع اجراء هذه الابواب على الاصل تولد منها ما ناسب المقام كالالتماس
والاغراء والتعجب والتوبيخ ونحو ذلك تقسيم الحكم الحكم خطاب الله او من اذن له الله متعلقا بافعال المكلفين بالاقتضاء او التخيير او الوضع اما
التخيير فيراد به الاباحة واما الاقتضاء فاما اقتضاء فعل مع امتناع الترك فهو الوجوب او مع جواز الترك وهو الندب واما اقتضاء ترك مع امتناع
الفعل وهو الحظر والتحريم او مع جوازه وهو الكراهة واما الوضع فيراد به ما جعله الشارع بوضعه دليلا على شيء كدلوك الشمس على وجوب الصلوة
او سببا كالزنى لوجوب الحد او شرطا كالوضوء لصحة الصلوة واما الصحة والبطلان او الحكم بهما فامر عقلي لا حكم شرعي لان صحة العبادات ما كون
الفعل مسقطا للقضاء كالفقهاء او ما موافقة امر شرعي للمتكلمين ولا شك ان العبادة اذا اشتملت على اركانها وشرائطها حكم العقل بصحتها بكلا
التفسيرين سواء حكم الشارع بها اولا والصحة في المعاملات ايضا حكم عقلي لانها كون الشيء بحيث يترتب عليه اثره واذا كان البيع مشتملا على الاسباب
والشرائط وارتفاع الموانع حكم العقل بترتب اثره عليه سواء حكم الشرع بها او لم يحكم وقس البطلان والفساد على ما قلنا والحكم ثابت على خلاف
الدليل لعذر فهو رخصة كحل الميتة للمضطر والقصر والفطر للمسافر واجبا ومندوبا ومباحا والا فعزيمة واذا عرفت ما ذكرنا من التقسيم لا يخفى عليك
المقصود من ايراده الا ان معاني كتاب الله تعالى منها محكم ومتشابه منها مجمل ومبين مندرج فيها المنسوخ والناسخ باعتبار ان النسخ بيان انتهاء امد
الحكم الشرعي ومنها مطلق ومقيد ومنها امر ونهي ومنها ظاهر ومؤول ومنها حقيقة ومجاز ومنها التشبيه وتمثيل ومنها كناية وتصريح ومنها الكلي
والجزئي ومنها الخبر والطلب باقسامها ومنها الاحكام باصنافها ولا ريب ان تصور هذه الاصطلاحات فذكرها في علم التفسير مهم والله اعلم
المقدمة العاشرة في ان كلام الله تعالى قديم ولا ذكر قوم من ائمة الامة ان كلام الله تعالى قديم بعد ان عنوا بكلامه هذه الحروف المنتظمة المسموعة اما انه
كلامه تعالى هو هذه الحروف فلقوله تعالى وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ومعلوم ان المسموع ليس الا من هذه الحروف واما
انها قديمة فلان الكلام صفة الله تعالى ومن المحال قيام الحادث بالقديم وايضا كل حادث متغير والتغير على ذات الله تعالى وصفاته محال وزعم قوم ان الكلام
المؤلف من الاصوات يمتنع ان يكون قديما بالبديهة وكيف لا وانها اصوات تحدث عن فاعلها شيئا بعد شيء فلو قلنا انها عين كلام الله تعالى لزمنا القول
بان الصفة الواحدة بعينها قائمة بذات الله تعالى وحالة في بدن هذا الانسان وهذا معلوم الفساد وجمع قوم بين المذهبين فقالوا للشيء وجود في الاعيان
ووجود في الاذهان ووجود في العبارة ووجود في الكتابة فللقرآن وجود عيني هو القائم بذات الله تعالى وانه قديم لا محالة لا يتطرق اليه شيء من سمات النقص
ووجود ذهني كالحفاظ للقرآن ووجود في العبارة وهو على لسان القاري ووجود كتابي وهو المثبت في المصاحف ولا ريب ان القرآن من حيثيات
هذه الوجوه حادث بل القرآن انما يطلق على المحفوظ والمتلو والمكتوب بالمجاز من حيث انها دالة على الكلام القائم بذات الله تعالى واعلم انه لا برهان على
ان كل صوت فانه يقوم بجسم ولا على ان كل حرف انما يقدر عليه ذو جارحة بل العلم بذلك في الشاهد فقط فالكلام للقديم كمال قديم نطق وسمع وبصر
وآلة ولا جارحة كما انه ادراك وعلم من غير ما نوى وعضو من لم يدرك ادراكا كما ينبغي فليبلو من الانفس كلامه كتاب كتابه صواب قوله فصل
وحكمه عدل ونوره ظاهر ووجوده شهود وعيانه بيان والكفر به سواء ايمان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام المقدمة الحادية
عشرة في كيفية استنباط المسائل الكثيرة من الالفاظ القليلة اذا شرعنا مثلا في تفسير قول القائل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فههنا
مباحث لفظية ومباحث معنوية واما اللفظية فمنها ما يتعلق بالقراءة ومنها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بعلم الاشتقاق ومنها
ما يتعلق بعلم الصرف ومنها ما يتعلق بالنحو ومنها ما يتعلق بعلم البديع اعني المحسنات اللفظية واما المعنوية فمنها ما يتعلق بالمعاني ومنها ما يتعلق
بالبيان ومنها ما يتعلق بالاستدلال ومنها ما يتعلق باصول الدين ومنها ما يتعلق باصول الفقه ومنها ما يتعلق بعلم الاحوال اما القراءة فكامر
واما اللغة فاذا قلنا العوذ معناه كذا واسم الله معناه كذا والشيطان كذا والرجيم كذا والباء واللام ومن معانيها ههنا كذا فكل واحد منها
مسئلة واما الاشتقاق فان اعتبر الاشتقاق الكبير قلنا ان التراكيب الستة الممكنة من ع و ذ هل هي مستعملة او مهملة وكذا كل من تراكيب

المفتاح

الى شرطين او شرط ومن التركيب تم واذا كانت مستعملة فاصل المعنى في كل من المشتقات كيف يعتبر فيحصل مسائل كثيرة وان اعتبر في الاشتقاق
الصغير فهل للعوذ معنى اخر غير الالتجاء وان كان فما به الاشتراك بينهما اى شيء هو فيحصل مسائل واما الصرف فكان نقول العوذ فعل مضارع متكلم
واصله اعوذ مثل اطلب نقلت الضمة من الواو الى ما قبلها تخفيفا والله لاله كالناس اصله الاناس فعال بمعنى مفعول نقلت الكسرة من الهمزة
الى اللام وحذفت الهمزة للتخفيف فاجتمعت اللامان فاسكنت الاولى وادغمت في الثانية وقالوا يا الله في النداء خاصة بالقطع لانها كالعوض من
المحذوفة فكانك قلت يا اله لاه الله وقيل اصله لاه الحقوا بها الالف واللام وانشدوا الحلفة من ابى رباح يسمعها لاهه الكبار ولو عد هذه المسائل
من اللغة جاز لانها غير قياسية والشيطان فعلان او فيعال والرجيم فعيل بمعنى مفعول كلاهما للمبالغة فهذه مسائل واما النحو فاعوذ فعل فاعله
ضمير المتكلم المستتر وهو انا والمجموع جملة فعلية وبالله متعلق به وكذا من الشيطان الرجيم نحو سرت من البصرة الى الكوفة والرجيم صفة للشيطان معرف
مثله وشيطان منصرف لانه اسم جنس لا علم فهذه مسائل واما البديع فان نقول انما اختير الرجيم دون اللعين او المرجوم مثلا ليوافق الفاصلة الاخرى
وهو الرحيم اذا ابتدأ القارى بعد الاستعاذة بالبسملة وهو الاكثر مع ان اول القرآن ايضا البسملة واعتبار الاستعاذة ههنا اولى ولم يكون مجنسا
خطيا وترصيعا واما المعانى فان نقول انما اختير المضارع على الماضى ليدل على الاستمرار والدوام اى شانى انى اعوذ كقولك يشرب الخطيب وانما لم يقل
انا اعوذ وانا عائذ وان كانت الجملة الاسمية تدل على الثبات لان المراد انى على تجدد وهذا القول منى لحظة فلحظة ثابت مستمر لا ان عوذى مستمر
وانما لم يقل بالله اعوذ ليفيد الحصر كما يقال في بسم الله ابتدئ لان الاستعاذة ههنا اهم امتثالا للامر ولانه لا يعوذ الا بالانقطاع عن الغير والتبرى عن سوى
الحق جل ذكره فلا حاجة الى التخصيص ولانه موافق لما ورد في القرآن فاستعذ بالله وانما اختير اسم الله لانه كالعلم والمقام مقام احضاره في ذهن السامع
بعينه ليكون ادل على الانقطاع عما سواه وانما ذكر الشيطان معرفا باللام الجنسى ليدل على هذه الحقيقة التى هى مادة كل شر ويشمل كل فرد منها ضرورة
وجود الحقيقة في اى فرد يفرض ولو اريد العهد ايضا جاز كما لو نكرت بان قلت من شيطان رجيم لم يفد العموم وان قلت من كل شيطان لطال
والمقام مقام اختصار وانما وصف بالرجيم لان المقام مقام تاكيد ذم ولا ذم ابلغ من البعد عن حضرة من هو منشأ كل كمال ومصدر كل خير واما البيان
فان قوله اعوذ معناه اللصوق ولا ريب ان الالتصاق بالله محال لان ذلك من شان الاجسام والمراد اللصوق برحمة الله وفضله فهو اذن مجاز لغوى وفى
نفس الالتصاق ايضا بعد تقدير الرحمة تجوز بعيد على ما لا يخفى ولو اريد بالشيطان شيطان الانس ايضا ويثبت كون اللفظ موضوعا للشيطان
الجن فقط كان استعارة واذا قدرنا الاستعاذة من شر الشيطان كما مر كان مجازا بالنقصان ايضا واما ما يتعلق بالاستدلال فاما من جهة التصور
واما من جهة التصديق اما الاول فنحو كيفية اقتناص التصورات الواقعة في التركيب من مفهوم العوذ ومفهوم اسم الله ومفهوم الشيطان ومفهوم الرجيم
وان كلا منها كيف يعرف بالحد او الرسم فان عرف بالحد فكيف يرتب جنسه وفصله وان عرف بالرسم فكيف يركب لوازمه واما معرفة الجنس والفصل
واللوازم انفسها لكل منها فمن الامور العامة واما الثانى فان قولنا اعوذ لفظه خبر ومعناه اما دعاء اى اللهم اعذنى واما انشاء نحو بعت واشتريت
واذا كان كذلك فلا يتطرق اليه احتمال الصدق والكذب فلا يحتاج الى البرهان على احدهما واستعمال الخبر في معنى الطلب من مسائل علم المعانى ايضا واما
ما يتعلق باصول الدين فان يعلم ذات الله تعالى وصفاته من انه قادر مختار عليم الى غير ذلك من الصفات التى بها يتمكن المستعاذ به من دفع المضار
والشرور عن المستعيذ بحيث لا يمنعه مانع ولا يغلبه منازع وتصور الشيطان ولوازمه وكيفية وسوسته بنحو ما سبق في المقدمة الثانية واما ما
يتعلق باصول الفقه فان يعرف ان الاستعاذة الواردة في الكتاب والسنة واجبة ام لا بل مندوبة وان كانت واجبة فيتكرر بتكرر القراءة ام لا
وانها يقتضى الفور او يحتمل التراخى واما ما يتعلق بالفقه فانها يستحب في الصلوة ام لا وان استحب فيجوز في المكتوبة ام لا وان جازت ففى كل ركعة ام
في الاولى وحدها وسرها ام يجهر واما ما يتعلق بعلم الاحوال فكالنكت التى بيناها في المقدمة الثانية وانها لا تكاد تنحصر فهكذا يجب ان يستنبط المسائل
من كل كلام يراد تفسيره من غير ان يتخطى في شيء من ذلك الى ما ليس من العلم كان نقول في كل قراءة الاستعاذة والقراءات المشهورة سبع كذا وكذا وروى
كل قراءة من هم وما منشأ كل قراءة وفى اللغة ان واضعها من هو وكيف نشأت اللغات وما معنى الاشتقاق وما فائدته وفى الصرف انه معرفة احوال
الكلم التى ليست باعراب ومن جملة الاحوال صيغة المضارع وما معناها وما حد الفعل والكلمة الى غير ذلك من قواعد الصرف بل ما فوق ذلك من مباحث
الحرف والصوت بل مقولة الكيف وفى النحو ان التركيب مشتمل على الاسم والفعل والحرف والاسم معرب منصرف وغير منصرف وغير متصرف ومبنى
وما سبب الاعراب والبناء والصرف ومنعه وانواع الاعراب كم هى وكل منها يختص باى شيء من الفاعل والمفعول والمضاف اليه ولم يختص كل صنف
بما يختص واصناف الفعل كم هى واصناف الحروف كم هى ولا سيما حروف الجر وما معنى كل منها الى غير ذلك وبالجملة فمن كل علم يوجد نكتة مخصوصة بهذه
المادة يلزمنا ايرادها فقط اذ لو تعدينا الى ما فوق ذلك من القواعد والقوانين لزم ايراد كل العلوم او اكثرها في تفسير كلام واحد وانه محال شنيع اذ
يلزم تداخل العلوم واضطراب القوانين وايضا لو فسر الشيطان الرجيم بما يلزمه من انواع الضلالات والجهالات والعقائد الفاسدة والمذاهب
الباطلة في الملة الاسلامية وغيرها ودفعها بما هو مباين عنه كانواع الآفات واصناف المخافات حتى لزم تكثير المسائل لم يخل عن التعسف والا
ومن ارتكب شيئا من ذلك فقد نطق بالخلف وزاغ عن الجادة وانحرف عن سواء السبيل نعم لو اورد طرف من الاصطلاحات والمسائل على
سبيل التصدير من غير اشارة الى ماخذها الاصلية ودلائلها الكلية لا لافادتها بل لما زهما الرعاية وحد الضرورة ومقدار الواجب كالشرائط لها في

المقدمات وقد بقي مما يمكن ان يعد من المقدمة ما ذكر ابتداء الوحي وكيفية نزول القرآن شيئا بعد شيء وبيان كيفية اعجاز القرآن ونحن قد بينا الاليق بها ايرادها في مواضعها اذا افضت النوبة اليها فلنشرع الآن في المقصود وهو التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان والله المستعان وعليه التكلان

سورة الفاتحة وهي سبع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين القراءة مالك بالالف سهل ويعقوب وعاصم وعلي وخلف الباقون ملك الرحيم ملك مدغما ابو عمرو وكذلك يدغم كل حرفين التقيا من كلمتين اذا كانا من جنس واحد مثل فيه هدى او من مخرج واحد مثل قالت طائفة او قريبي المخرج مثل خلقكم ولقد جاءكم سواء كان الحرف المدغم ساكنا مثل انبتت سبع سنابل ويسمى بالادغام الصغير او متحركا فاسكن للادغام مثل قيل لهم ولذهب بسمعهم ويسمى بالادغام الكبير الا ان يكون مضاعفا نحو هالكم ومس سقر او منقوصا مثل ما كنت ترابا ونعني بالمنقوص الاجوف المحذوف العين او مفتوحا قبله ساكن مثل البحر لتأكلوا والحمير لتركبوها الا في مواضع اربعة كاد تزيغ وقال رب كل القرآن والصلوة طرفي النهار وبعد توكيدها او يكون الاظهار اخف من الادغام نحو فانت تهدي فانت تسمع وعن يعقوب ادغام المتجانسين في جميع القرآن اذا التقيا من كلمتين الصراط باشمام الزاء سهلها وفي جميع القرآن حمزة وبعقوب بالسين كل القرآن وعن الكسائي باشمام السين كل القرآن والباقون بالصاد عليهم واليهم ولديهم بضم الهاءات كل القرآن حمزة وسهل ويعقوب ضم كل ميم جمع يزيد وابن كثير ونافع غير ورش مخيرين ورش بضم الميم عند الالف القطع فقط نحو ءانذرتهم ام الوقوف العالمين لا لاتصال الصفة بالموصوف الرحيم لا لذلك الدين ط للعدول عن الغائب الى الخطاب نستعين ط لابتداء الدعاء المستقيم لا لاتصال البدل بالمبدل انعمت عليهم لا لاتصال البدل او الصفة الضالين ٥ التفسير روي عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فاصاب فقد اخطأ وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار فذكر العلماء ان النهي عن تفسير القرآن بالرأي لا يخلو اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والمراد به امر آخر وباطل ان يكون المراد به ان لا يتكلم احد في القرآن الا بما سمعه فان الصحابة قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه كيف وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك وانما النهي يحمل على وجهين احدهما ان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق هواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا قد يكون مع العلم بان المراد من الآية ليس ذلك ولكن يلبس على خصمه وقد يكون مع الجهل وذلك اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذي يوافق غرضه ويترجح ذلك الجانب برأيه وهواه ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه ما اريد به كمن يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول المراد بفرعون في قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى هو النفس الوجه الثاني ان يتسارع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغريب القرآن وما فيه من الالفاظ المبهمة والاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم الا بالسماع كثيرة كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا انفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وما يدري بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم او انفسهم وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي اليه ما دام على قوانين العلوم العربية والقواعد الاصلية والفرعية واعلم ان مقتضى الديانة ان لا يأول المسلم شيئا من القرآن والحديث بالمعاني بحيث يبطل الاعيان التي فسرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مثل الجنة والنار والصراط والميزان والحور والقصور والانهار والاشجار والثمار وغيرها ولكنه يجب ان يثبت تلك الاعيان كما جاءت ثم ان فهم منها حقائق اخرى ورموزا ولطائف بحسب ما كوشف فلا بأس فان الله تعالى ما خلق شيئا في عالم الصورة الا وله نظير في عالم المعنى وهو الآخرة الا وله حقيقة في عالم الحق وهو غيب الغيب ما خلق في العالمين شيئا الا وله انموذج في عالم الانسان والله تعالى اعلم والتفسير اصله الكشف والاظهار وكذلك سائر تقاليبه من ذلك سفرت المرأة كشفت عن وجهها والفرس لانه يكشف عن وجوه الحوائج ومنه السرف لانه يكشف عن المال والرفس لانه يكشف عن عضو وانكشاف حال المقيد في سفانه وواضح من التفسير ما يتعلق باللغة ومنه ما يتعلق بالصرف والنحو والمعاني والبيان الى غير ذلك من العلوم كما اشرنا الى ذلك في آخر المقدمة العاشرة ومنه اسباب النزول وذكر القصص والاخبار وغير ذلك ونحن على ان نورد نص القرآن مع الترجمة ثم القراءة ثم الوقوف ثم اسباب النزول ثم التفسير الشامل لجميع ذلك ثم التأويل ان كان ولم نذكره في التفسير نذكر منه ما هو اقرب الى الافكار والله المستعان فلنشتغل بتفسير الفاتحة فنقول في البسملة مسائل الاولى الجار والمجرور لا بد له من متعلق وليس بمذكور فيكون مقدرا وانه يكون فعلا او اسما فيه رائحة الفعل وعلى التقديرين فاما ان يقدر مقدما او مؤخرا نحو ابدأ بسم الله وابتدائي بسم الله وبسم الله ابتدائي او بسم الله ابتدائي والابتداء وتقدير الفعل اولى من تقدير الاسم لان كل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله يكون مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له فيكون المراد ان انشاء ذلك الفعل انما هو على اسم الله فيقدر ههنا بسم الله اقرأ واتلو وابدأ لان الذي يتلو التسمية مقروء ومبدأ به كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله

والبركات كان المعنى بسم الله احل وارتحل وكذلك الذابح ونظيره فى حذف متعلق الجار قولهم فى الدعاء للعرس بالرفاء والبنين اى بالرفاء اعرست
وتقدير المحذوف متاخرا اولى على قوله تعم بسم الله مجريها ومرسيها لان تقديم ذكر الله ادخل فى التعظيم ولان ما هو السابق فى الوجود يستحق
السبق فى الذكر ولهذا قال المحققون ما رايت شيئا الا ورايت الله تعم قبله ولانهم كانوا يبدؤن باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى
فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل فى اقرأ هناك اوقع لانها اول سورة نزلت وكان
الامر بالقراءة اهم قال صاحب المفتاح الصواب ان يقال معنى اقرأ اوجد القراءة ثم يكون باسم ربك متعلقا باقرأ الثانى وذكر فى معنى تعلق اسم الله
بالقراءة وجهان اما تعلق الكتبة بالقلم فى قولك كتبت بالقلم كان فعله لا يجئ معتدا به شرعا الا بعد تصديره بذكره قال عم كل امر ذى بال لم يبدأ
بسم الله فهو ابتر واما تعلق الدهن بالانبات فى قوله تنبت بالدهن اى متبركا باسم الله قرأ كما فى قوله بالرفاء والبنين اى اعرست متلبسا
بالرفاء وهذا اعرب واحسن اما كونه ادخل فى العربية فلانه لا يعرفه الا من له دربة بفنون الاستعمالات بخلاف الاول فانه مبتذل واما كونه
احسن فلان جعل اسم الله كالالة خروج عن الادب لان الالة من حيث هى الة غير مقصودة بالذات واسم الله تعم عند الموحد اهم شئ واتم
وانه مقول على السنة العباد تعليما لهم كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره ثم استحسنوا تفخيم الكلام و
تغليظها من لفظ الله بعد الفتحة والضمة دون الكسرة اما الاول فللفرق بينه وبين لفظ اللات فى الذكر ولان التفخيم مشعر بالتعظيم ولان اللام الرقيقة
يذكر بطرف اللسان والغليظة تذكر بكل اللسان فكان العمل فيه ادخل فى الثواب وهذا كما جاء فى التورية احبب ربك بكل قلبك واما الثانى فلان النقل من
الكسرة الى اللام الغليظة ثقيل على اللسان لكونه كالصعود بعد الانحدار وانما يعد اللام الغليظة حرفا اخر كما عدوا الدال حرفا والطاء حرفا اخر مع ان نسبة
الرقيقة الى الغليظة كنسبة الدال الى الطاء بطرف اللسان والطاء بكل اللسان لاطراد استعمال الغليظة مكان كل رقيقة ما لم يقع عقيب الكسرة وعدم اطراد
الطاء مكان كل دال الثالثة طولوا الباء من بسم الله ما لم تدل على همزة الوصل المحذوفة واما لانهم ارادوا ان لا يستفتحوا كتاب الله الا بحرف معظم
وكان يقول عمر بن عبد العزيز لكتابه طولوا الباء واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله وقال اهل الاشارة الباء حرف منخفض فى الصورة
فلما اتصل بكتبة لفظ الله ارتفعت واستعلت فلا يبعد ان القلب اذا اتصل بحضرة الله ينتفع حاله ويعلو شانه الرابعة ابقاء لام التعريف فى
الخط على اصله فى لفظ الله كما فى سائر اسماء المعرفة واما حذف الالف قبل الهاء فلكراهتهم اجتماع الحروف المتشابهة فى الصورة فى الكتابة ولانه
يشبه اللات فى الكتابة قال اهل الاشارة الاصل فى قولنا الله الاله وهى ستة احرف يبقى بعد التصرف اربعة فى اللفظ الف كالامان وهاء فى
من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان والهاء من اقصى الحلق وهذه حال العبد يبتدئ من النكرة والجهالة ويترقى قليلا فى مقامات العبودية
حتى اذا وصل الى اخر مراتب الوسع الطاقة ودخل فى عالم المكاشفات والانوار اخذ يرجع قليلا قليلا حتى ينتهى الى الفنا فى بحر التوحيد كما قيل
النهاية رجوع الى البداية واما حذف الالف قبل النون من لفظ الرحمن فهو جائز فى الخط ولو كتب كان احسن الخامسة الاسم احد الاسماء العشرة التى
بنوا اوائلها على السكون وهو عند البصريين فى الاصل سمو بدليل تكسيره على اسماء وتصغيره على سمى وتصريفه على سميت ونحوه واشتقاقه
من السمو العلو وهو مناسب لان التسمية تنويه بالمسمى واشارة بذكره وقيل لان اللفظ معرف للمعنى والمعرف متقدم على المعرف فى العلو ثم
نهوا على حذف عجزه كما فى يد ودم فبقى حرفان اولهما متحرك والثانى ساكن فلما حرك الساكن للاعراب سكن المتحرك للاعتدال فاحتيج الى همزة
الوصل اذ كان دابهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن حذرا من اللكنة والبشاعة ومنهم من لم يرد الهمزة وابقى السين بحاله فيقول سم كما قال
باسم الذى فى كل سورة سمه قد يضم السين فيقال سم كان الاصل عنده سمو وعند الكوفيين اشتقاق الاسم من الوسم السمة لان الاسم كالعلامة
المعرفة وزيف بانه لو كان كذلك لكان تصغيره وسيما وجمعه اوساما السادسة قال بعض المتكلمين منهم الاشعرى ان الاسم غير المسمى وغير التسمية
وهو حق لان الاسم قد يكون موجودا والمسمى معدوما كلفظ المعدوم والمنفى ونحو ذلك وقد يكون بالعكس كالحقايق التى لم توضع لها اسماء ولان
الاسماء قد يكون كثيرة مع كون المسمى واحدا كالاسماء المترادفة وكاسماء الله التسعة والتسعين وبالعكس كالاسماء المشتركة ولان كون الاسم
اسما للمسمى وكون المسمى مسمى له من باب الاضافة كالمالكية والمملوكية والمضافان متغايران لا محالة ولا يشكل التحقيق بالعالم بنفسه
لانهما متغايران اعتبارا ولان الاسم اصوات وحروف هى اعراض غير باقية والمسمى قد يكون باقيا بل واجب الوجود لذاته ولانه لو كان يلزم من التلفظ بالعسل
وجود الحلاوة فى اللسان ومن التلفظ بالنار وجود الحرارة وقالت المعتزلة الاسم نفس المسمى لقوله تعم تبارك اسم ربك مكان تبارك ربك
والجواب كما يجب علينا تنزيه ذات الله تعم من النقايص يجب تنزيه اسمه عما لا ينبغى وايضا قد يراد لفظ الاسم مجازا كقوله الى الحول ثم اسم السلام
عليكما قالوا اذا قال الرجل زينب طالق وكان له زوجة مسماة بزينب طلقت شرعا قلنا المراد بالذات التى يعبر عنها بهذا اللفظ طالق فلهذا
وقع الطلاق عليها والتسمية ايضا مغايرة للمسمى وللاسم لانها عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف الذات المعينة وذلك التعيين معناه
قصد الواضع وارادته والاسم عبارة عن ذلك اللفظ المعين فانه السابعة وضع الاسماء والافعال سابق على وضع الحروف لان الحرف
رابطة بينهما والظاهر ان وضع الاسماء سابق على وضع الافعال لان الاسم لفظ دال على الماهية والفعل لفظ دال على حصول الماهية لشئ من
الاشياء فى زمان معين فكان الاسم مفرد والفعل مركب والمفرد سابق على المركب طبعا فيكون سابقا عليه وضعا وايضا الفعل مفتقر الى

الفاعل والفاعل لا يفتقر الى الفعل وايضا الاسم مستقل في الافادة عن الفعل دون العكس ولا ظهر ان الاسماء الماهيات سابقة بالرتبة على الاسماء
المشتقات لان الاولى مفردة والثانية مركبة ويشبه ان يكون اسماء الصفات سابقة بالرتبة على اسماء الذوات القائمة بانفسها لانا لا نعرف
الذوات الا بتوسط الصفات القائمة بها والمعرف معلوم قبل المعرف فتناسب لسبوقه في الذكر الثامنة اقسام الاسماء الواقعة على المسميات
تسعة اولها الاسم الواقع على الذات بحسب صفات على الذات ثانيها الاسم الواقع على الشيء بحسب جزء من اجزائه كالحيوان على الانسان ثالثها الواقع
عليه بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته كالاسود والحار رابعها الواقع عليه بحسب صفة اضافية كقولنا للشيء انه معلوم ومفهوم ومالك ومملوك
خامسها الواقع عليه بحسب صفة سلبية كالاعمى والفقير سادسها الواقع عليه بحسب صفة حقيقية لها اضافة كالعالم والقادر عند القائل بان العلم
صفة حقيقية ولها اضافة الى المعلومات وكذا القدرة سابعها صفة حقيقية مع صفة سلبية كالمفهوم من مجموع قولنا قادر لا يعجز عن شيء
وعالم لا يجهل شيئا ثامنها صفة اضافية مع صفة سلبية كالاول فان معناه سابق غير مسبوق تاسعها صفة حقيقية اضافية وصفة سلبية
فهذه اقسام الاسماء لا تكاد تجد سما خارجا عنها سواء كان لله تعالى او للمخلوقات التاسعة هل لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم ام لا ذكر بعضهم ان
حقيقته تعالى لما كانت غير مدركة للبشر فكيف يوضع له اسم مخصوص بذاته وما الفائدة في ذلك اقول لا ريب ان الادراك التام عبارة عن الاحاطة التامة
والمحاط لا يمكن ان يحيط بمحيطه ابدا وانه تعالى بكل شيء محيط فلا يدركه شيء مما دونه كما ينبغي لان وضع الاسم للذات لا ينافي عدم ادراكه كما ينبغي وانما
ينافي عدم ادراكه مطلقا فيجوز ان يقال الشيء الذي يصدر منه هذه الاثار واللوازم مسمى بهذا اللفظ وايضا اذا كان الواضع هو الله تعالى وانه يدرك
ذاته على ما هو عليه فله ان يضع لذاته اسما مخصوصا الا ان ادراكه غير حقيقته اذا كان وضع الاسم لتلك الحقيقة المخصوصة كما ينبغي ان يكون ذلك
الاسم اعظم الاسماء وذلك لان الذكر يشرف بالذكر لان شرف العلم والذكر بشرف المعلوم والمذكور فلا يتفق لعبد من عبيده المقربين الوقوف على ذلك
الاسم حال ما يكون قد تجلى معناه لو بعدان يفاد له عوالم الجسمانيات والروحانيات ثم القائلون بان الاسم الاعظم موجود اختلفوا فيه
على وجوه منهم من قال هو ذو الجلال والاكرام لهذا قال الظوا بيا ذا الجلال والاكرام ورد بان الجلال هو الصفات السلبية والاكرام هو الاضافية
ومن البين ان حقيقته المخصوصة مغايرة للسلوب والاضافات ومنهم انه الحي القيوم لقوله صلعم لابي بن كعب حين قال له ما اعظم آية في كتاب الله فقال
الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال صلعم ليهنك العلم يا ابا المنذر وزيف بان الحي هو الدراك الفعال وهذا ليس فيه عظمة ولانه صفة واما القيوم
فمعناه كونه قائما بنفسه مقوما لغيره والاول منهم هو سلبي هو استغناؤه عن غيره والثاني اضافي ومنهم من قال ان اسماء الله تعالى كلها
عظيمة لا ينبغي ان يفاوت بينها ورد بما مر من ان اسم الذات اشرف من اسم الصفة ومنهم من قال ان الاسم الاعظم هو الله وهذا اقرب لانا
سنقيم الدلالة على ان هذا الاسم يجري مجرى اسم العلم في حقه سبحانه واذا كان كذلك كان دالا على ذاته المخصوصة ويؤيده ما روى اسماء بنت يزيد ان
رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة سورة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
وعن بريدة ان رسول الله صلعم سمع رجلا يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سئل الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى ولا شك ان اسم الله في الاية والحديث
اصل والصفات مرتبة عليه هذا واما الاسم الدال على المسمى بحسب جزء من اجزائه فمحال في حق الله تعالى لان ذاته تعالى مبرء عن شائبة التركيب بوجه من
الوجوه واما الاسم الدال بحسب صفة حقيقية قائمة بذاته المخصوصة فتلك الصفة اما ان تكون هي الوجود واما ان تكون كيفية من كيفيات الوجود
واما ان تكون صفة اخرى مغايرة للوجود فهذه ثلثة اقسام القسم الاول الاسماء الدالة على الوجود منها الشيء ويجوز اطلاقه على الله تعالى عند الله
(في الهامش: ومكنيا الوجود صح)
الاكثرين لقوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وفي الخبر كان الله ولم يكن شيء غيره
ولان الشيء عبارة عما يصح ان يعلم ويخبر عنه وذاته تعالى كذلك حجة المخالف قوله تعالى الله خالق كل شيء فلو كان الله تعالى شيئا لزم ان يكون خالق نفسه
ومثله وهو على كل شيء قدير قلنا خص بدليل العقل قالوا ليس من صفات المدح قلنا نعم هو خبر من كل شيء وان كان سائر الاشياء مشتركة
معه في ذلك كالموجود والكريم والحليم فان كلا منها مدح بالنسبة الى من لا وجود له ولا كرم ولا حلم بل الشيء بالحقيقة هو وباقي الاشياء مشبهة
مستعارة كوجودها ومنها الموجود واطبق المسلمون على جواز اطلاقه عليه تعالى وكيف لا ومعنى قول الموحد لا اله الا الله اي لا اله في الوجود الا الله
ومنها الذات ولا شك في جواز اطلاقه عليه لصدقه على كل حقيقة انها ذات الصفات اي صاحبة الصفات القائمة بها ويؤيد ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال ان ابراهيم لم يكذب الا في ثلث ثنتين في ذات الله اي في طلب رضاته ومنها النفس قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك وقال صلعم كما اثنيت على نفسك اي على ذاتك وحقيقتك ومنها الشخص غير من الله تعالى ومن اجل غيرته حرم من الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا شخص احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة من الله والمراد بالشخص
الحقيقة المتعينة الممتازة عما عداها ومنها النور قال من قائل الله نور السموات والارض وليس المراد انه الظاهر في نفسه المظهر لغيره واذا ظهور
واظهاره فانه واجب الوجود لذاته ازلا وابدا ويخرج جميع الممكنات من العدم الى الوجود فاذن هو نور الانوار تعالى وتقدس وسوف يأتيك تمام
التحقيق اذا وصلنا الى سورة النور وهو محقق الامور ومنها ما ظهر منها وما بطن ومنها الصورة وقد ورد في الحديث ان الله خلق آدم على

(في الهامش: المراد بما في نفسي الكيفية المستورة واما تعلم ... صح)

صورة

سورة الحج

صورته فقيل معناه خلق آدم على صورته التي كان عليها يعني ما تولد من نطفة ودم وما كان جنينا ورضيعا بل خلقه الله تعالى رجلا كاملا دفعة واحدة

وقيل في حديث آخر لا تقبحوا الوجه فان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن المراد من الصورة الصفة كما يقال صورة هذه المسئلة كذا اي خلقه

على صفته في ارضه متصرفا في جميع الاجسام الارضية كما انه تعالى نافذ القدرة في جميع العالم ويمكن ان يقال الصورة اشارة الى وجه المناسبة كونه خلق

التي ينبغي ان يكون بين كل علة ومعلولها فان الظلمة لا تصدر عن النور وبالعكس كما نا فزكتبا في هذا الرسالة ومنها الجوهر وانه لا يطلق عليه بمعنى

موجود لا في موضوع اي اذا وجد كان وجوده بحيث لا يحتاج الى محل يقوم به ويستغنى المحل عنه لان ذلك ينبئ عن كون وجوده زائدا على ماهيته

وانما يمكن ان يطلق عليه بمعنى آخر وهو كونه قائما بذاته غير مفتقر الى شيء في شيء اصلا لكن الاذن الشرعي حيث لم يرد بذلك فيجب الامتناع عنه

ومنها الجسم ولا يطلق عليه لا المجسمة فان ارادوا الجوهر القابل للابعاد الثلثة فمحال للزوم التركيب والتجزي وان ارادوا معنى يليق بذاته من كونه

موجودا قائما بالنفس غنيا عن المحل فالاذن الشرعي لم يرد به فلزم الامتناع ومنها الماهية والانية اي الحقيقة التي يسئل عنها بما هي وثبوته

الدال عليه لفظ انا ولا باس باطلاقهما عليه اذ يراد بهما الحقيقة والذات المخصوصة الا من حيث الشرع ومنها الحق فانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم

اما بحسب ذاته فلانه الموجود الذي يمتنع عدمه وزواله والحق يقال بازاء الباطل والباطل يقال للمعدوم قال لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل واما بحسب

ما يقال ان هذا الخبر حق وصدق فهذا الخبر حق وصدق واما بحسب ما يقال هذا الاعتقاد حق فلان اعتقاد وجوده ووجوبه اصوب الاعتقادات

المطابقة القسم الثاني في الاسماء الدالة على كيفية الوجود منها القديم وهو في اللغة يفيد طول المدة وفي الشرع يراد به الازلي ويراد بهما ما لا اول

له في الطرف الماضي كما الابدي في الطرف المستقبل وكذا السرمدي واشتقاقه من السرد التوالي والتعاقب يدخل الميم للمبالغة ونعني بالتسبه في هذه الالفاظ

انه منسوب الى عدم البداية والنهاية في كل طرفي الامتداد الوهمي المسمى بالزمان ومنها الممتد المستمر ونعني بهما انه يخفى الاجزاء وتعاقب الابعاض ولا

ان امثال هذه الالفاظ انما يصح اطلاقها بالحقيقة على الزمان والزمانيات واما في حق الله جل ذكره فلا يصح الا بالمجاز بعد التوقيف ومنها الباقي قال

تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك وانه تعالى احق الاشياء بهذا الاسم ومنها الدائم وهو كالباقي ومنها واجب الوجود لذاته اي ذاته اقتضى وجوده

وما بالذات لا ينفك عنه ابدا فهو يمتنع الفناء والعدم ازلا وابدا ولهذا قيل حد اي معناه خود اي انه جاء بنفسه ومنها الكائن قال تعالى وكان

الله عليما حكيما وفي بعض الادعية المأثورة عن النبي صلعم يا كائنا قبل كل كون ويا حاضرا مع كل كون ويا باقيا بعد انقضاء كل كون واعلم ان لفظ كان

يفيد الحصول والثبوت والوجود الا ان هذا قسمان منه ما يفيد حصول الشيء في نفسه ومنه ما يفيد حصول موصوفية شيء لشيء والاول يتم

باسناده الى ذلك الشيء وهي التامة والثاني لا يتم الا بذكر شيئين وهي الناقصة نحو كان زيد عالما اي حصل موصوفيته بذلك العلم

وكلا القسمين يجوز اطلاقه عليه تعالى القسم الثالث في الصفات الحقيقية المغايرة للوجود والكيفيات الوجودية الفلاسفة والمعتزلة انكروا قيام مثل

هذه الصفات بذات الله تعالى اشد انكار لان واجب الوجود لذاته يجب ان يكون واحدا من جميع جهاته ولان تلك الصفة لو كانت واجبة الوجود

لزم شريك الباري مع ان الجمع بين الوجوب الذاتي وبين كونه صفة للغير فان الصفة مفتقرة الى الموصوف محال وان كانت ممكنة الوجود فلها علة

موجدة ومحال ان يكون هو الله تعالى لانه قابل لها فلا يكون فاعلا لها ولان ذاته لو كانت كافية في تحصيل تلك الصفة فيكون ذاته بدون تلك الصفة

كاملة في العلية وهو المطلوب وان لم يكن كافيا فيلزم النقص المنافي لوجوب الوجود حجة المثبتين ان اله العالم يجب ان يكون عالما قادرا حيا ثم

انا ندرك التفرقة بين قولنا ذات الله تعالى وبين قولنا ذاته عالم قادر وذلك يدل على المغايرة بين الذات وهذه الصفات واذا قلنا باثبات

الصفات الحقيقية فنقول العلم صفة يلزمها كونه متعلقة بالمعلوم والقدرة صفة يلزمها صفة تعلقها بايجاد المقدور والصفة الحقيقية

العارية عن النسب والاضافات في حقه تعالى ليست الا صفة الحيوة ان لم نقل انها عبارة عن الدراكية والفعالية بل يقال انها صفة باعتبارها

يصح ان يكون عالما وقادرا والتحقيق ان الحيوة عبارة عن كون الشيء بحيث يصدر عنه ما من شانه ان يصدر عنه كما ينبغي ان يصدر عنه ولا ريب ان

واجب الوجود تعالى احق الاشياء بهذا الاسم لان وجوب الوجود يقتضي اتصافه بجميع الصفات الكمالية وصدور الاشياء الممكنة عنه على النحو

الافضل ولهذا مدح الله تعالى نفسه فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم واما الاسماء الدالة على الصفات الاضافية

فمنها التكوين وهو عند المعتزلة والاشعري نفس المكون وقال غيرهم انه غيره حجة الاولين ان الصفة المسماة بالتكوين اما ان يؤثر على سبيل

الصحة وهي القدرة لا غير او على سبيل الوجوب يلزم كونه موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار وايضا ان كانت قديمة لزم قدم الآثار وان كانت

حادثة افتقرت الى تكوين آخر وتسلسل الآخرون قالوا كونه خالقا رازقا ليس عبارة عن الصفة الاضافية فقط بل هو عبارة عن صفة حقيقية

موصوفة بصفة اضافية لان المعقول من كونه موجدا مغاير للمعقول من كونه قادرا فان القادر على الفعل قد يوجد وقد لا يوجد منها كونه تعالى

معلوما مذكورا مسبحا ممجدا فيقال بانه المسبح بكل لسان وبانه الممدوح عند كل انسان وبانه المرجوع اليه في كل حين واوان ولما كان هذا

النوع من الاضافات غير متناه كانت الاسماء الممكنة لله بحسب هذا النوع من الصفات غير متناهية ومنها الفاظ متقاربة تدل على مجرد كونه موجدا

مثل الموجد معناه المؤثر في الوجود والمحدث هو مخصوص لانه الذي جعله موجودا بعد العدم والمكون وهو كالموجد والمنشئ ومعناه ينشئ على

التدريج والمبدع والمخترع ويفهم منها الايجاد الدفعي وكذا الفاطر ومثل الصانع ويفهم منه تكلف ما المخلوق فهو التقدير وانه في حق الله تعالى يرجع

الى العلم واما البارى فهو الذى يحدثه على الوجه الموافق للمصلحة يقال برأ القلم اذا اصلحه وجعله موافقا للغرض المعين ومنها الفاظ تدل على ايجاد شىء
بعينه وانها تكاد تكون غير متناهية ومنها الفاظ تدل على ايجاد النوع الفلانى لاجل الحكمة الفلانية فاذا خلق المنافع سمى نافعا واذا خلق الالم
سمى ضارا واذا خلق الحيوة سمى محييا واذا خلق الموت سمى مميتا واذا خصهم بالاكرام سمى برا لطيفا واذا خصهم بالقهر سمى قهارا جبارا واذا اقل العطا
سمى قابضا واذا اكثر سمى باسطا واذا جازى الذنوب بالعقاب سمى منتقما واذا ترك ذلك الجزاء سمى عفوا غفورا رحمانا رحيما واذا حصل المنع والاعطاء فى
المال سمى قابضا باسطا واذا حصلا فى الجاه والحشمة سمى خافضا رافعا واما الصفات السلبية فمنها ما يعود الى الذات كقولنا انه ليس جوهرا ولا
جسما ولا مكانيا ولا زمانيا ولا حالا ولا محلا ولا مفتقرا الى شىء غيره تع فى ذاته وفى صفاته وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ومنها ما يعود
الى الصفات ولا يخفى ان كل صفة من صفات النقص يجب تنزيهه تع عنها وذلك اما راجع الى اضداد العلم كنفى النوم لا تأخذه سنة ولا نوم
وكنفى النسيان وما كان ربك نسيا وكنفى الجهل لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وكان لا يمنعه العلم ببعض المعلومات عن العلم بغيره
لا يشغله شان عن شان واما راجع الى اضداد القدرة لكونه منزها فى افعاله عن التعب لنصب وما مسنا من لغوب وانه لا يحتاج فى فعله الى الالات
وتقديم المادة والمدة انما امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وانه لا يتفاوت فى قدرته القليل والكثير وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب وانه لا ينتهى بل ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واما راجع الى صفة الوحدة كنفى الانداد و
الاضداد ليس كمثله شىء ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله او الى صفة الاستغناء وهو يطعم ولا يطعم وهو يجير ولا يجار عليه ومنها
ما يعود الى الافعال لا يخلق الباطل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا لا يخلق اللعب ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
لا يخلق العبث افحسبتم انما خلقناكم عبثا لا يرضى بالكفر لا يريد الظلم لا يحب الفساد لا يعذب من غير سابقة جرم ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم لا ينتفع بطاعات المطيعين ولا يتضرر بمعاصى المذنبين ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فليس لاحد ان يعترض
عليه فى افعاله واحكامه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يخلف الله الميعاد ومن اسماء السلوب القدوس والسلام لانه منزه وسالم من نقائص
الامكان ومنها العزيز وهو الذى لا يوجد له نظير ولا يغلبه شىء والحليم الذى لا يعاجل بالعقوبة ولا يمنع من ايصال الرحمة والصبور الذى لا يعاقب
المسىء مع القدرة عليه واما الاسماء الدالة على الصفات الحقيقية مع الاضافية فمنها القادر والقدير والمقتدر والمالك والملك ومالك الملك و
المليك والقوى ذو القوة ومعانيها ترجع الى القدرة ومنها ما يرجع الى العلم ولا يحيطون بشىء من علمه عالم الغيب والشهادة وهو بكل شىء
عليم علام الغيوب الله اعلم حيث يجعل رسالته علم الله انكم كنتم تختانون والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وعلم ادم الاسماء ولم يرد
علامة وان كان يفيد المبالغة لان ذلك يتناول مدحا وجماعة والخبير يقرب من العلم وكذا الشهيد اذ فسر بكونه مشاهدا لها اما اذا اخذ من الشهادة
كان من صفة الكلام والحكمة تشارك العلم من حيث انه ادراك حقائق الاشياء كما هى وتباينه بانه ايضا صدور الاشياء عنه كما ينبغى واللطيف
قد يراد به ايصال المنافع الى الغير بطرق خفية عجيبة والتحقيق انه الذى ينفذ تصرفه فى جميع الاشياء ومنها ما يرجع الى الكلام وكلم الله موسى تكليما
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا واذ قال ربك ما يبدل القول لدى ومن اصدق من الله قيلا انما امره ان الله يامركم وعد الله حقا
فاوحى الى عبده ما اوحى وكان الله شاكرا عليما كان سعيكم مشكورا وذلك انه اثنى على عبده مثل قوله كانوا قليلا ما يهجعون وبالاسحار
هم يستغفرون وهذا صورة الشكر ومنها ما يرجع الى الارادة يريد الله بكم اليسر رضى الله عنهم اى يريد الافعال لهم يحبهم ويحبونه والله
يحب المطهرين يريد ايصال الخير اليهم كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها الاشعرية الكراهية عبارة عن ارادة عدم الفعل المعتزلة
صفة اخرى غير الارادة ومنها ما يرجع الى السمع والبصر اننى معكما اسمع وارى انه هو السميع البصير لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
واما الصفات الاضافية مع السلبية فكالاول لانه مركب من معنيين احدهما انه سابق على غيره والثانى لا يسبق عليه غيره وكالاخر فانه الذى يبقى
بعد غيره ولا يبقى بعده غيره وكالقيوم فانه الذى يفتقر اليه غيره ولا يفتقر هو الى غيره والظاهر اضافة محضة وكذا الباطن اى انه ظاهر بحسب الدلائل لا ما بالمن على
بحسب الماهية واما الاسم الدال على مجموع الذات والصفات الحقيقية والاضافية والسلبية فالاله ولا يجوز اطلاق هذا اللفظ فى الاسلام على
غير الله واما الله فسيأتى انه اسم علم وقد بقى ههنا اسماء يطلقها عليه تع اهل التشبيه لكونه متحيزا وحالا فى المتحيز استبعادا منهم انه كيف يكون
موجودا خاليا عن كلا الوصفين وهو عند اهل التقديس محال للزوم الافتقار اللهم الا ان يقال استصحاب المكان لا يستلزم الافتقار الى
المكان ومنها العظيم والكبير وهما مترادفان لقوله تع فى موضع وهو العلى العظيم وفى اخر وهو العلى الكبير وقد يفرق بينهما بانه ورد الكبرياء
ردائى والعظمة ازارى والرداء ارفع من الازار وايضا خص تحريم الصلوة بالله اكبر دون الله اعظم ولا ريب ان اطلاق العظم والكبر على الله تع
بحسب الجثة والمقدار كالاجسام محال للزوم التبعيض والتجزية ومنها العلى والمتعالى فان العلو بالمعنى المستلزم للتمكن محال على الله فاما
ان يراد بمثل هذه الالفاظ مزيد الرتبة والشرف على الممكنات واما ان يقال انا نطلق هذه الاسماء للاذن الشرعى ونكل معانيها الى مراد
الله تع واما ان ندنة فى ادراكها بضرب من الكشف والعيان فى الاسماء المضمرة قال عز من قائل اننى انا الله لا اله الا انا ولا يصح لغيره
لغيره هذا الذكر الا حكاية وما جاء من قول بعض اهل الكمال انا من اهوى ومن اهوى انا اشارة الى كمال المحبة وغاية ارادة الاتصاف بصفة المحبوب وفنائه و

اراده في ارادته وقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ولا يصح هذا الا من العبد بشرط الحضور والمشاهدة وقال لا اله الا هو
وانما يصح هذا من الغائبين واعلم ان درجات الحضور مختلفة بالقرب والبعد وكمال التجلي ونقصانه فكل حاضر غائب بالنسبة الى فوق تلك
الدرجة ورب غائب حاضر كما قيل يا غائبا حاضرا في الفؤاد سلام على الغائب الحاضر وفي لفظة هو اسرار عجيبة منها ان العبد اذا قال يا هو
فكانه يقول ما للتراب ورب الارباب ما المناسبة بين المتولد من النطفة والدم وبين الموصوف بالازلية والقدم فلهذا ينادي نداء الغائبين
ويقول يا هو ومنها انه اذا قال يا هو فقد حكم على ان كل ما سوى الله تعالى نفي محض لانه لو حصل في الوجود شيئان لكان قوله هو صالحا لهما
جميعا فلا يتعين للنداء ومنها انه اذا قال يا رحمن فكانه يتذكر رحمته ويطلب رحمته وكذا اذا قال يا كريم وغيره من الصفات فاما اذا قال يا هو
فكانه استغرق في بحر العرفان وفني عما سوى الذات ومنها اذا قال يا هو فكانه يقول جل حضرتك ان امدحك واثني عليك بسلب نقائص
المخلوقات عنك وهي صفات الجلال كقولي ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا في المحل وباسناد كمالات الممكنات اليك وهي صفات الاكرام لكونه مرتبا
للوجود على الوجه الاكمل بل لا امدحك ولا اثني عليك الا بهويتك من حيث هي ومنها ان هذا الذكر يفيد ان المنادى بسيط محض لا طريق الى تصوره
الا بالاشارة العقلية ومنها ان العبد كانه دهش في ذهاب عن كل ما يوصف به ما الكل الا عن هذه الاشارة ولاختصاص هذا الذكر بهذه الاسرار
ذكر الغزالي لا اله الا الله توحيد للعوام ولا هو الا هو توحيد الخواص وذلك ان قوله لا هو معناه كل شيء هالك في قوله لا هو الا هو الا وجهه ومن جملة
الاذكار الشريفة يا هو يا من لا هو الا هو يا ازل يا ابد يا دهر يا ديهور يا من هو الحي الذي لا يموت ولقد لقنني بعض المشايخ من الذكر يا هو يا من لا هو الا هو يا
من لا هو الا هو فالاول فناء عما سوى الله الثاني فناء في الله والثالث فناء عن سوى الذات والرابع فناء عن الفناء عما سوى الذات يا في بقية

مباحث الاسماء اختلفوا في ان اسماء الله تعالى توقيفية ام لا فمال بعضهم الى التوقيف لانا نصف الله تعالى بكونه عالما ولا نصفه بكونه طبيبا
وفقيها ومستقيما ولولا ان اسماءه توقيفية لوصف بمثلها وان كان على سبيل التجوز لغا ولو تعدم التوقيف احتجوا بان اسماء الله تعالى
وصفاته مذكورة بالفارسية والتركية وان شيئا منها لم يرد في القرآن ولا في الاخبار مع ان المسلمين اجمعوا على جواز اطلاقها والجواب ان
التوقيف في غير اللغة العربية لا يوجب عدمه في العربية وبان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وكل اسم دال على صفات الكمال و
نعوت الجلال كان حسنا ويجوز اطلاقه والجواب انه يجوز ولكن بعد التوقيف فلم قلتم انه ليس كذلك والغزالي فرق بين اسم الذات وبين اسماء الصفات
فمنع الاول وجوز الثاني واعلم انه قد ورد في القرآن الفاظ دالة على معان لا يمكن اثباتها بالحقيقة في حق الله تعالى منها الاستهزاء الله يستهزئ
بهم والاستهزاء مذموم لكونه جهلا قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ومنها المكر ومكروا ومكر الله ومنها التعجب
بل عجبت ويسخرون فيمن قرأ بضم التاء والتعجب حالة للقلب تعرض عند الجهل بسبب الشيء ومنها التكبر الجبار المتكبر ومنها الحياء ان الله لا يستحيي
ان يضرب مثلا والحياء تغير يعرض للقلب والوجه عند فعل شيء قبيح والقانون في تصحيح هذه الالفاظ ان يقال لكل واحدة من هذه الاحوال
امور توجد معها في البداية واثار يقصد منها في النهاية مثاله الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم وسخونة مزاجه والاثر الحاصل ايصال
الضرر الى المغضوب عليه فالغضب في حقه تعالى محمول على الاثر الحاصل في النهاية لا الاثر الكائن في البداية وقس عليه هذا قيل ان لله تعالى اربعة الاف اسم
منها في القرآن والاخبار والالف في التوراة والالف في الانجيل والالف في الزبور وقد يقال الالف الاخر في اللوح المحفوظ ولم يصل ذلك الى البشر وهذا
غير مستبعد فان اقسام صفات الله تعالى بحسب السلوب والاضافات لا تكاد تنحصر وكل من كان اطلاعه على اثار حكمة الله تعالى في تدبير العالم العلوي
والعالم السفلي اكثر كان اطلاعه على اسماء الله اكثر وان قلنا ان له بكل مخلوق اسما وكذا بكل خاصية ومنفعة فيه كمنافع الاعضاء والحيوان والنبات
والاحجار خرجت الاسماء عن حد العد والاحصاء كما قال عز من قائل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فان قلت انا نرى في كتب العزائم اذكارا غير
معلومة ورقى غير مفهومة وقد يكون كتابتها ايضا غير معلومة فما بال تلك الاذكار والرقى قلت لا شك ان تلك الكلمات ان لم تدل على شيء اصلا لم تفد
وان دلت فاحسن احوال تلك الكلمات ان تكون شيئا من هذه الادعية ولا ريب ان الاذكار المعلومة ادخل في التأثير من قراءة تلك المجهولات الا ان
اكثر الناس اذا قرأوا هذه الاذكار المعلومة ولم يكن لهم نفوس مشرقة تجذبهم الى عالم القدس يلوح عليهم اثر الالهيات لم يكد يظهر عليهم شروق نورها
ولهذا فقد ترى رب تالي القرآن والقرآن يلعنه نعوذ بالله من هذه الحالة اما اذا قرأوا تلك الالفاظ المجهولة ولم يفهموا منها شيئا وحصلت عندهم
اوهام انها كلمات عالية استولى الفزع والرعب على قلوبهم فيحصل لهم بهذا السبب نوع تجرد عن الجسمانيات وتوجه الى الروحانيات فتتأثر نفوسهم
ويؤثر وهذا وجه مناسب في قراءة الرقى المجهولة واعلم ان بين الخلق وبين اسماء الله تعالى مناسبات عجيبة والنفوس مختلفة والجبلية علة الضم لكل
اسم يغلب معناه على بعض النفوس فاذا واظب صاحبه على ذلك الاسم كان انتفاعه به اسرع والله الموفق حكي ان الشيخ ابا النجيب البغدادي كان يامر المريد
بالاربعين مرة بعد ما يرى مصلحته فيه ثم يقرأ عليه الاسماء التسعة والتسعين وكان ينظر الى وجهه فان رآه عديم التأثر عند قراءتها عليه قال
له اخرج الى السوق واشتغل بمهمات الدنيا فانك ما خلقت لهذا الطريق وان رآه تأثر عند سماع اسم خاص امره بالمواظبة على ذلك الذكر وقال
ان ابواب المكاشفات ينفتح عليك من هذا الطريق وذلك ان الرياضة والمجاهدة لا تغلب النفوس عن احوالها الفطرية ولكنها تضعفها بحيث
لا تستولي على الانسان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة الارواح جنود مجندة اعملوا فكل ميسر لما خلق له فهذا تمام البحث

يعذبون ميتا فلما انصرف من حاجته مر بالقبر فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك ودعا الله من هذه فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى
كان هذا العبد عاصيا وكان تركه امرأة حبلى فولدت وربته حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت من عبدي ان اعذبه
بناري في بطن الارض وولده يذكر اسمي على ظهر الارض الثانية عشرة كتب عارف بسم الله الرحمن الرحيم واوصى ان يجعل في كفنه فقيل له في ذلك فقال
اقول يوم القيمة الهي بعثت كتابا وجعلت عنوانه بسم الله الرحمن الرحيم فعاملني بعنوان كتابك الثالثة عشرة بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفا
والزبانية تسعة عشرة فالله تعالى يدفع بأسهم بهذه الحروف التسعة عشر الرابعة عشرة اليوم بليلة اربع وعشرون ساعة ثم فرض خمس صلوات
في خمس ساعات فبقيت التسعة عشر ساعة لا يستغرق بذكر الله تعالى وهذه التسعة عشر حرفا تقع كفارات الذنوب الواقعة في تلك التسع عشرة
الخامسة عشرة لما كانت سورة التوبة مشتملة على القتال والبراءة لم يكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم وايضا السنة ان يقال عند الذبح بسم الله والله اكبر
ولا يقال بسم الله الرحمن الرحيم فلما وفقك الله لذكر هذه الكلمات كل يوم سبع عشرة مرة في الصلوة المفروضة دل ذلك على انه ما خلقك للقتل
العذاب انما خلقك للرحمة والثواب السادسة عشرة قال صلعم من رفع قرطاسا من الارض فيه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا لله تعالى كتب عند الله
من الصديقين وخفف عن والديه وان كانا من المشركين وعن علي رضي الله عنه قال لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم قال رسول الله صلعم اول ما انزلت
هذه الآية على آدم قال امن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم رفعت فانزلت على ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار
بردا وسلاما ثم رفعت بعده فما انزلت الا على سليمان وعندها قالت الملائكة الآن تم والله ملكك ثم رفعت فانزلها الله تعالى علي ثم يأتي امتي يوم
القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم وعن ابي هريرة انه صلعم قال يا ابا هريرة اذا توضأت
فقل بسم الله الرحمن الرحيم فان حفظتك لا يستريحون ان يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ واذا غشيت اهلك فقل بسم الله فان حفظتك الرحمن الرحيم
يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فان حصل من تلك الواقعة ولد كتب لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد انفاس اعقابه
ان كان له عقب حتى لا يبقى منهم احد يا ابا هريرة اذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة واذا ركبت سفينة
فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها وعن انس ان رسول الله صلعم قال ستر ما بين اعين الجن وعورات بني آدم اذا نزعوا ثيابهم
ان يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم الاشارة فيه اذا صار هذا الاسم حجابا بينك وبين اعدائك من الجن في الدنيا افلا يصير حجابا بينك وبين
الزبانية في العقبى شعر كانت لنفسي اهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك النفس اهوائي فصار يحسدني من كنت احسده وصرت مولى الورى
مذ صرت مولائي تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي هذا تمام الكلام في تفسير البسملة واما تفسير الفاتحة ففيه ابحاث
مسائل الاولى في اسماء هذه السورة وهي كثيرة وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى الاول فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه يفتتح بها في المصاحف
وفي التعليم وفي القراءة في الصلوة ولان الحمد فاتحة كل كتاب كما هي فاتحة القرآن وقيل لانها اول سورة نزلت من السماء الثاني سورة الحمد لان
اولها الحمد الثالث ام الكتاب ام القرآن لانها اصل القرآن واصل كل كتاب منزل لاشتمالها على الالهيات والمعاد واثبات القضاء والقدر
والنبوات ولان فيها حاصل جميع كتب السماوية وذلك هو الثناء على الله والاشتغال بالخدمة والطاعة وطلب المكاشفات والمشاهدات
او لان المقصود من جميع العلوم معرفة عزة الربوبية وذلة العبودية او لانها افضل سور القرآن كما ان مكة وهي ام القرى اشرف البلدان او
اصل جميع البلدان حيث دحيت من تحتها وكما ان الحمى سميت ام ملدم لانهم جعلوها معظم الاوجاع والملدم الضرب الرابع السبع المثاني لانها سبع
آيات ولانها تثنى في كل صلوة او لان نصفها ثناء العبد للرب ونصفها عطاء الرب للعبد ولانها مستثناة لهذه الامة قال صلعم والذي نفسي
بيده ما انزلت في التورية والانجيل ولا في الزبور مثل هذه السورة وانها السبع المثاني والقرآن العظيم ولانها الثناء ومدائح لله تعالى الخامس
الوافية لانها يجب قراءتها كلها ولا يجزي بعضها في الصلوة السادس الكافية قال صلعم ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها السابع الشفاء
والشافية لقوله صلعم فاتحة الكتاب شفاء من كل سم الثامن الاساس لانها اول سور القرآن فهو كالاساس ولانها تشتمل على اساس العبادات
والمطالب قال الشعبي سمعت عبد الله بن عباس يقول اساس الكتب القرآن واساس القرآن فاتحة الكتاب واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم
فاذا اعتللت واشتكيت فعليك بالاساس تشف باذن الله تعالى التاسع الصلوة قال النبي صلعم حكاية عن الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين
عبدي نصفين يعني الفاتحة وهو من باب تسمية الشيء باسم معظم اركانه ومنه يعلم وجوب قراءة الفاتحة في الصلوة العاشر سورة تعليم المسألة
لان الله تعالى علم عباده فيها اداب السؤال لانه قال فابدأ بالثناء ثم بالاخلاص ثم بالدعاء الحادي عشر سورة الكنز لما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه قال نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش لهذا قال اكثر العلماء انها مكية وخطأوا مجاهدا في قوله انها مدنية وكيف لا وقد صح عن النبي
في حديث ابي بن كعب انها من اول ما نزل بالقرآن وانها السبع المثاني وسورة الحجر مكية بلا خلاف وفيها قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني
ولا يسعنا القول بان رسول الله صلعم لبث بضع عشرة سنة بلا فاتحة الكتاب ثم جمع طائفة من العلماء بين القولين فقالوا انها نزلت بمكة
مرة وبالمدينة اخرى وعلى هذا فانها لم تثبت في المصحف مرتين لانه لم يقع التواتر على نزولها مرتين ومن فضائل هذه السورة انه لم يوجد
فيها الثاء وهو الثبور ولا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا والجيم وهو جهنم وان جهنم لموعدهم اجمعين والخاء وهو الخزي يوم

لا يخزي الله

لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والزاء وهو الزفير والزقوم والشين وهو الشهيق لهم فيها زفير وشهيق والظاء وهو الظلى كلا انها لظى والفاء وهو الفراق ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فلما اسقط الله تعالى من الفاتحة هذه الحروف الدالة على العذاب هي بعدد ابواب جهنم لقوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم غلب على الظن ان من قرأ الفاتحة نجى من جهنم ودخول ابوابها وتخلص من دركات النار وعذابها الثاني في المباحث اللفظية الحمد مبتدأ ولله خبره اي الحمد ثابت لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله كقولهم شكرا وعجبا وسبحانك معاذ الله نقل الى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره نحو قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولهذا كانت تحية ابرهيم احسن من تحيتهم كما جاء واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها ومما يدل على ان اصله النصب قوله اياك نعبد واياك نستعين بيان لحمدهم وكانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد والاصل توافق الجملتين واللام في الحمد للتعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والاستغراق وهم لانه لو سلم كون اللام للاستغراق فحمد ابويه مثلا لا يدخل فيه وانه يعني الحمد لله لا يفهم منه الا حقيقة الحمد من حيث هي فكذا ما نابت منابه هو الحمد لله وقرأ بعضهم بكسر الدال اتباعا وبعضهم بضم اللام لاتباع الدال رب بمعنى مربي ورب مصدر وصف للمبالغة كالعدل وهو مطلقا مختص بالله تعالى ومضافا يجوز اطلاقه على غيره نحو رب الدار رجع الى ربك وقرئ بالنصب على المدح او بتقدير نحمد والعالم اسم موضوع للجمع كالانام والرهط وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين قاله ابن عباس والاكثرون وقيل كل ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض كقوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما فعلى الاول مشتق من العلم وخصوا بالذكر للتغليب وعلى الثاني من العلامة وجمع ليشمل كل جنس مما سمي به وجمع بالواو والنون تغليبا لما فيه من صفات العقلاء مالك يوم الدين اليوم هو المدة من طلوع نصف جرم الشمس الى غروب نصف جرمها او من ابتداء طلوعها الى الغروب كلها او من طلوع الفجر الثاني الى غروبها وهذا في عرف الشرع ويراد به الابد والوقت لعدم الشمس ثمه والدين الجزاء بالخير والشر كما تدين تدان واضافة اسم الفاعل الى الظرف اتساع واجراء للظرف مجرى المفعول به مثل يا سارق الليلة اهل الدار وانما افادت التعريف حتى جاز وقوعه صفة للمعرفة لانه ما بمعنى الماضي نحو ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا وبمعنى الاستمرار نحو زيد مالك العبيد فيكون بمعنى من يملك المفيد للاستمرار نحو فلان يعطي ويمنع وحينئذ لا يعمل فيكون الاضافة حقيقية وقرئ بنصب الكاف ورفعها مدحا وبسكون اللام مخفف ملك مكسور اللام وبجعله فعلا ماضيا ونصب يوم ومليك نعاء ونصبا وجرا اياضمير منصوب منفصل ولا محل للكاف للخطاب نحو ذلك وهو مذهب الاخفش والمحققين وفي حكاية الخليل اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب شاذ والاصل نعبدك ونستعينك فلما قدم الضمير المتصل للاختصاص صار منفصلا وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل فهياك والامر الذي ان تراجعت مواردة ضاقت عليك مصادره فان قيل لم عدل عن الغيبة الى الخطاب قلنا هذا يسمى التفاتا في علم البيان وذلك على عادة افتنانهم في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب تطرية لنشاط السامع وقد يختص مواقعه بفوائد وسننظم لك في سلك التقرير فائدته في هذا الموضع والعبادة اقصى غاية الخضوع طريق معبد اي مذلل ثوب ذو عبدة في غاية الصفاقة وقوة النسج هدى يتعدى باللام وبالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه والاصل فيه ما لزم ومنه انا هدنا اليك اي ملنا والهدية لانها تمال من ملك الى ملك والهدي للذي يساق الى الحرم اي امل قلوبنا الى الحق والصراط الجادة واصله السين من سرط الشيء ابتلعه لانه يسرط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم وسلم ومسيطر ومصيطر والصراط يذكر ويؤنث كالطريق والسبيل صراط الذين انعمت عليهم بدل الكل من الصراط المستقيم فائدته التوكيد كقولك هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان ويكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك بينت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا وقراءة ابن مسعود صراط من انعمت عليهم وغير المغضوب بدل من الذين او صفة وانما جاز وقوعه صفة للمعرفة لان تعريف الذين كلا تعريف كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني او لان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فهو كقولك عليك بالحركة غير السكون ويجوز ان يكون بدلا وان كان من معرفة ولا نعت للافادة والفرق بين عليهم الاولى والثانية ان الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على انها مفعول اقيم مقام الفاعل واصل النعمة المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وكل ما في القرآن من ذكر النعمة بكسر النون فهي المنة والعطية والنعمة بفتح النون التنعم وسعة العيش في نعمة كانوا فيها فاكهين والغضب اللغة الشدة وقد عرفت معناه بحسب اطلاقه على الخلق وعلى الخالق واصل الضلال الغيبوبة ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه وضل الكافر غاب عن الحق قال اذا ضللنا في الارض وغير ههنا بمعنى غير ولا بمعنى غير ولذلك جاز عطف احدهما على الاخر تقول انا زيدا غير ضارب كما تقول انا زيدا لا ضارب ويعضده ما قرئ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وامين مدا وقصرا معناه استجب كما ان رويد معناه امهل وعن ابن عباس عن رسول الله صلعم معناه افعل الثالث في المباحث الفقهية البحث الاول جمع الاكثرون ومنهم الشافعي على ان قراءة الفاتحة واجبة في الصلوة وان ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم يصح صلوته وعند ابي حنيفة قراءتها غير واجبة لنا انه صلعم واظب طول عمره على قراءتها في الصلوة فيجب علينا لقوله فاتبعوه ولقوله تعالى واقيموا الصلوة ومعناه الصلوة التي اتى بها الرسول صلعم لانه كان يقرأ الفاتحة

ان تقرا فاتحة الكتاب في كل ركعة فريضة كانت او نافلة وايضا القراءة في كل ركعة احوط فيجب المصير اليها وقيل غير واجب اصلا وقيل يجب في كل صلوة ركعة واحدة فقط وبه يحصل امتثال قوله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وعند ابي حنيفة القراءة تجب في الركعتين الاوليين لقول عائشة فرضت الصلوة في الاصل ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فهما اصل والزائد تبع قلنا ما ذكرنا احوط وقيل تجب الفاتحة في الاوليين وتكره في الاخريين وعند مالك تجب في اكثر الركعات ففي الثنائية فيهما وفي الثلاثية في اثنتين وفي الرباعية في ثلاث البحث الثامن اذا ثبت ان القراءة شرط في الصلوة فلو تركها او حرفا من حروفها عمدا بطلت صلوته وكذا سهوا على الجديد لما روي ان عمر بن الخطاب صلى المغرب فترك القراءة فقيل له تركت القراءة قال كيف كان الركوع والسجود قالوا حسنا قال فلا بأس معارض بما روى الشعبي عنه انه اعاد الصلوة ولعله ترك الجهر بالقراءة لا نفس القراءة البحث التاسع يجب رعاية الترتيب في اجزاء الفاتحة وما وقع غير مرتب فغير محسوب البحث العاشر لو لم يحفظ شيئا من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم ذكر من الاذكار مثل ثم على قدرها ثم وقف بقدرها فان لم يتعلم قراءة ما لم يفرغ منه البحث الحادي عشر ما نقل عن ابن مسعود انه كان ينكر ان يكون الفاتحة والمعوذتان من جملة القرآن الظن به ان هذا النقل عنه كاذب لا نجد المتواتر كيف يليق بحاله

الباب الرابع فيما يختص بتفسير الحمد لله من فوائد الفائدة الاولى في الفرق بين الحمد والمدح والشكر المدح للحي ولغير الحي كاللؤلؤ والياقوت الثمينة والحمد للحي فقط والمدح قد يكون قبل الاحسان وقد يكون بعده والحمد انما يكون بعد الاحسان والمدح قد يكون منهيا عنه قال صلعم احثوا التراب في وجوه المداحين والحمد مأمور به مطلقا قال صلعم من لم يحمد الناس لم يحمد الله والمدح عبارة عن القول الدال على انه مختص بنوع من انواع الفضائل باختياره وبغير اختياره والحمد قول دال على انه مختص بفضيلة اختيارية معينة وهي فضيلة الانعام اليك والى غيرك ولا بد ان يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكم والاستهزاء والشكر على النعمة الواصلة اليك خاصة وهو باللسان وقد يكون بالقلب والجوارح قال الشاعر افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو احد شعب الشكر ومنه قوله صلعم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي والحمد نقيضه الذم ولهذا قيل الشعير يؤكل ويذم والمدح نقيضه الهجاء والشكر نقيضه الكفران اذا عرفت ذلك فنقول لو قال المدح لله لم يدل ذلك على كونه تعالى فاعلا مختارا لان المدح قد يكون لغير المختار ولو قال الشكر لله كان ثناء بسبب انعام وصل الى ذلك القائل واذا قال الحمد لله فكانه يقول سواء اعطيتني او لم تعطني فانعامك واصل الى كل العالمين وانت مستحق للحمد العظيم وقيل الحمد لله على ما دفع من البلاء والشكر لله على ما اعطى من النعماء والنعمة في الاعطاء اكثر من النعمة في دفع البلاء فكانه يقول انا شاكر لادنى النعمتين فكيف لاعلاهما ويمكن ان يقال المنع غير متناه والاعطاء متناه والابتداء بشكر دفع البلاء الذي لا نهاية له اولى وايضا دفع الضرر اهم من جلب النفع فتقديمه احرى الثانية لو قال احمد الله افاد كون ذلك القائل على حمده واذا قال الحمد لله افاد انه كان محمودا قبل حمد الحامدين وقبل شكر الشاكرين وايضا الحمد والثناء لله معناه ان مطلق الحمد والثناء حق لله وملكه كما ينبئ عنه اللام الجنسي في اللام الجارة وذلك بسبب كثرة آلائه وانواع آلائه على عبيده وامائه ولا يخفى ان هذا اولى من ان يحمده شخص واحد فقط ولهذا لو سئلت هل حصل لفلان عليك نعمة فان قلت نعم فقد حمدته ولكن حمدا ضعيفا ولو قلت في الجواب بل نعمه على كل الخلائق كان كاملا فان قيل اليس ان المنعم يستحق الحمد من المنعم عليه فالاستاذ يستحق الحمد من التلميذ والسلطان العادل يستحق الحمد من الرعية وقال صلعم من لم يحمد الناس لم يحمد الله قلنا المنعم في الحقيقة هو الله لانه خلق تلك الداعية في ذلك المنعم بعد ان خلق تلك النعمة وسلط المنعم عليها ومكن المنعم عليه من الانتفاع ولهذا قال عز من قائل وما بكم من نعمة فمن الله وايضا كل مخلوق ينعم على غيره فانه يطلب بذلك الانعام عوضا اما ثوابا او ثناء او تحصيل خلق او تخليصا من رذيلة البخل وطالب العوض لا يكون منعما ولا مستحقا للحمد في الحقيقة اما الله سبحانه فانه كامل لذاته والكامل لذاته لا يطلب الكمال لان تحصيل الحاصل محال فكان عطاؤه جودا محضا فثبت ان لا مستحق للحمد الا الله تعالى الثالثة انما لم يقل احمد الله لان الانسان عاجز من الاتيان بحمد الله وشكره فلم يحسن ان يكلف فوق ما يستطيعه وذلك لان نعم الله على العباد غير محصورة وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واذا امتنع الوقوف عليها امتنع اقتداره على الشكر والثناء اللائق بها وايضا انما يمكنه القيام بحمد الله وشكره اذا اقدره الله على ذلك الحمد والشكر وخلق في قلبه داعية ذلك وازال عنه العوائق والصوارف وكل ذلك انعام من الله فيتسلسل وايضا الاشتغال بالحمد والشكر معناه ان المنعم عليه يقابل انعام المنعم بشكر نفسه ومن اعتقد ان حمده وشكره يساوي نعمة الله فقد اشرك وهذا معنى قول الواسطي الشكر شرك اما اذا قال الحمد لله فالمعنى ان كل الحمد حقه وملكه سواء قدر الخلق على الاتيان به او لم يقدر وينقل ان داود عم قال يا رب كيف اشكرك وشكري لك لا يتم الا بانعامك علي وهو ان توفقني لذلك الشكر فقال يا داود لما علمت عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب قدرتك الرابعة عن النبي صلعم اذا انعم الله على عبده فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا الى عبدي اعطيته ما لا قدر له فاعطاني ما لا قيمة له ومعناه ان ما انعم الله على العبد شيء واحد واذا قال الحمد فمعناه المحامد التي اتى بها الاولون والاخرون من الملائكة والثقلين لله تعالى وكذا المحامد التي سيذكرونها الى قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

والبحث الاول

والى الابد الابدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه واذا اسقط المتناهي من غير المتناهي بقي غير المتناهي فالذي يبقى للعبد المؤبد طاعات
غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فلهذا يستحق العبد الثواب الابدي والخير السرمدي الحادية عشرة لا شك ان الوجود خير من العدم وان
وجود كل ما سوى الله فانه حصل بايجاد الله وجوده فانعام الله تعالى واصل الى كل من سواه فاذا قال العبد الحمد لله فكانه قال الحمد لله على كل مخلوق
على كل محدث حدث من نور وظلمة وسكون وحركة وعرش وكرسي وجني وانسي وذات وصفة وجسم وعرض من ازل الازال الى ابد الاباد وانا
اشهد انها باسرها لله لا شريك لاحد فيها معك الثانية عشرة التسبيح مقدم على التحميد لانه يقول سبحان الله والحمد لله فما السبب في وقوع البداية بالتحميد
والجواب ان التسبيح داخل في التحميد دون العكس فان التسبيح يدل على كونه مبرءا في ذاته وصفاته عن النقائص والتحميد يدل على كونه محسنا الى العباد ولا يكون
محسنا اليهم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات ليعلم مواقع الحاجات والا اذا كان قادرا على المقدورات ليقدر على تحصيل ما يحتاجون اليه والا اذا كان
غنيا في نفسه والا لشغله حاجة نفسه عن حاجة غيره فثبت ان كونه محسنا لا يتم الا بعد كونه منزها عن النقائص والافات الثالثة عشرة الحمد لله يتعلق
بالماضي وهو وقوعه شكرا على النعم السابقة ويتعلق بالمستقبل وهو اقتضاء تجدد النعم لقوله لئن شكرتم لازيدنكم فبالاول يغلق عنك
ابواب النيران وبالثاني يفتح لك ابواب الجنان فان الحمد لله ثمانية احرف بعدد ابواب الجنة الثامنة الحمد لله كلمة جليلة لكنه يجب ان يذكره في موضعها
ليحصل المقصود قال السري منذ ثلثين سنة استغفر الله لقولي مرة واحدة الحمد لله وذلك انه وقع الحريق في بغداد واحترقت دكاكين
الناس فاخبروا احدا ان دكاني لم يحترق فقلت الحمد لله وكان من حق الدين والمروة ان لا افرح بذلك فانا في الاستغفار منذ ثلثين سنة
فالحمد على نعم الدين افضل من الحمد على نعم الدنيا والحمد على اعمال الجوارح والحمد على النعم من حيث انها عطية المنعم اولى من الحمد عليها من حيث
هي نعم فهذه مقامات يجب اعتبارها حتى يقع الحمد في موضعه اللائق به التاسعة اول ما بلغ الروح الى سرة ادم عطس فقال الحمد لله رب
العالمين واخر دعوى اهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم مبنية على الحمد وخاتمته مبنية على الحمد فاجتهد ان يكون اول اعمالك
واخرها مقرونا بكلمة الحمد العاشرة لا يحسن عندنا ان يقال قولوا الحمد لله لان الاضمار خلاف القياس ولان الوالد اذا قال لولده
اعمل كذا وكذا فلم يمتثل كان عاقا فالاولى ان يقول الامر الفلاني ينبغي ان يفعل ثم ان كان الولد بارا فانه يجيبه ويطيعه وان كان عاقا كان اثمه
اقل فكذلك اذا قال الحمد لله فمن كان مطيعا حمده ومن كان عاصيا كان اثمه اقل بخلاف ما لو قال قولوا الحمد لله الحادية عشرة شنعت الجبرية
على المعتزلة ومن يجري مجراهم بانكم تثبتون للعبد فعلا واختيارا واستحقاق الحمد انما يكون على اشرف النعم وهو الايمان فلو كان الايمان
بفعل العبد لكان المستحق للحمد هو العبد والجواب ان الايمان باختيار العبد لكن الاختيار ايضا مستند الى الله تعالى فاستحق الحمد لذلك و
شنعت المعتزلة على الجبرية بان قوله الحمد لله لا يتم الا على مذهبنا لان المستحق للحمد على الاطلاق هو الذي لا قبيح في فعله ولا جور في قضيته وعندكم
لا قبيح الا وهو فعله ولا جور الا وهو حكمه والجواب ان القبح والجور انما يثبتان لو امكن تصور الفعل المخصوص في القابل المخصوص احسن واتم
مما صدر لكنه محال فانه تعالى حكيم وكل ما يصدر عن الحكيم كان على افضل ما يمكن بالنسبة الى المحل المخصوص الثانية عشرة اختلفوا في ان شكر
المنعم واجب عقلا او شرعا فمنهم من قال عقلا ومن جملة ادلتهم قوله الحمد لله فانه يدل على ثبوت الاستحقاق على الاطلاق وايضا عقبه بقوله
رب العالمين وترتيب الحكم على الوصف المناسب يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فدل ذلك على ان استحقاقه للحمد ثابت لكونه
ربا للعالمين قبل مجئ الشرع وبعده والجواب ان استحقاقه لمثل هذا الحمد عرفناه من قبل الشرع واعلم ان الحمد سبيله سبيل سائر الاذكار و
العبادات في انها انما يؤتى بها لا لان الله تعالى مستكمل بها ولا لانه تعالى يجازى بها ولكنها لتحقيق نسبة العبودية واضافة الامكان الى الله حسبما مر
في فوائد قوله رب العالمين الاولى الموجود اما واجب لذاته وهو الله سبحانه وتعالى فقط واما ممكن لذاته وهو كل ما سواه ويسمى العالم
وذلك اما متحيز او صفة للمتحيز او لا هذا ولا ذاك القسم الاول ان كان قابلا للقسمة فهو الجسم والا فالجوهر الفرد فالجسم اما علوي او سفلي والعلوي
كالسموات ويندرج فيها العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة والكواكب والسفلي اما بسيط وهو العناصر الاربعة الارض
بما عليها وفيها والماء وهو البحر المحيط وما يتشعب منه في القدر المكشوف من الارض والهواء ومنه كرة البخار وكرة النسيم ومنه الهواء الصافي
والنار واما مركب وهو المعادن والنبات والحيوان على تباين انواعها واصنافها القسم الثاني الاعراض باجناسها وانواعها القسم الثالث
الارواح جنسين وهي اما سفلية خيرة او شريرة كالجن والشياطين واما علوية متعلقة بالاجسام كملائكة السموات قال ما في السموات موضع
شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد وغير متعلقة وهي الملائكة المقربون وما يعلم جنود ربك الا هو ولان كل موجود سوى الواجب يحتاج الى
الواجب في الوجود وفي البقاء ايضا فهو اله العالمين من حيث انه يبقيها حال استقرارها ثم الكلام ان كان اكثر احاطة باحوال الموجودات وتفاصيلها
كان اكثر وقوفا على تفسير قوله رب العالمين الثانية المربي قسمان احدهما ان يربي ليربح عليه والثاني ان يربي ليرحم عليه والاول شان المخلوقين الذين
غرضهم من التربية اما ثواب او ثناء او تعصب اخر والثاني ذات الحق سبحانه وتعالى كما قال خلقتكم لتربحوا علي لا لاربح عليكم وكيف لا
يربحون عليه وانه متعال عن الاستكمال منزه عن ان يحدث في حقه تعالى بسبب التربية والارادة والافاضة اختلال يحب الملحين في الدعاء ويزيد
في الخلق كيف يشاء يكفي علمه عن المقال ويغني كرمه عن السؤال وسع كل شئ رحمة وعلما ويرى كل حي كرما وعلما ولقد خلقنا الانسان من

سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا
العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فا
نبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا متاعا لكم ولانعامكم الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا
وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا الثالثة لما كان الله احسن الاسماء عقبه باكمل الصفات وهو رب العالمين اذ معناه
ان وجود ما سواه فائض عن تربيته واحسانه وجوده وامتنانه فالاول يدل على التمام والثاني على انه فوق التمام الرابعة رب العالمين ثم انه تربى
كانه يقول لي عبيد سواك وهو الله الواحد الاحد الصمد وانت تخدم من كان لك ربا باغيره فما انصفك ايها الانسان قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن
خلقت لعبادة الى الرب فلا تهدم حقيقتك بمعصية الرب الا ترى ان بنيان الرب ملعون من هدم بنيان الرب الخامسة في فوائد قوله الرحمن الرحيم الا
الرحمن بما لا يتصور صدوره من العباد والرحيم بما يقدر عليه العباد انا الرحمن لانك تسلم الى نطفة مذرة فاسلمها اليك صورة حسنة انا الرحيم
لانك تسلم الى طاعة ناقصة فاسلم اليك جنة خالصة الثانية ذهب بعضهم الى ملك فقال جئتك لمهم يسير فقال اطلب للمهم اليسير من الرجل اليسير فكان
الله تعالى يقول لو اقتصرت على الرحمن لاحتشمت مني ولتعذر عليك سؤالي الامور اليسيرة فانا الرحمن لتطلب مني الامور العظيمة وانا الرحيم لتطلب مني
شراك نعلك وملح قدرك الثالثة الوالدة اذا اهملت حال ولده ولم يؤدبه ظنا ان ذلك خير فهو في الحقيقة عذاب من لم يؤدبه الابوان ادبه الملوان
وعكسه حال من يقطع يده تنبيها الاكلة فيها او يضرب لتعليم حرفة او التاديب بخصلة شريفة فكل ما في العالم من محنة وبلية فهو في الحقيقة رحمة
ونعمة عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وقصة موسى مع الخضر كما يجيء في موضعها يؤيد ما ذكرناه والحكيم المحقق
هو الذي يبني الامور على الحقائق لا على الظواهر فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الرابعة اعطى مريم عليها رحمة ويجعله اية للناس ورحمة
منا فصارت سببا لنجاتها من توبيخ الكفار والفجار واعطانا رحمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكيف لا ننجو بسببه من عذاب النار الخامسة
وصف النبي صلعم بالرحمة فكان من حاله انه لما كسر سنانه قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وانه يوم القيمة يقول امتي امتي فهذا وصف نفسه بكونه رحمانا
رحيما ايضا فكانه يقول الرحمة الواحدة لا تكفي لصلاح المخلوقات فذرني وعبيدك فاني انا الرحمن الرحيم رحمتي غير متناهية ومعصيتهم متناهية
والمتناهي لا يدرك غير المتناهي فتستغرق معصيتهم في بحار رحمتي ولسوف يعطيك ربك فترضى السادسة حكي عن ابراهيم بن ادهم انه قال كنت
ضيفا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفا فاتبعته تعجبا فنزل في بعض التلال فاذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فالقى الغراب
ذلك الرغيف على وجهه وعن ذي النون انه قال كنت في البيت اذ وقعت في قلبي داعية ان اخرج من البيت فانتهيت الى شط النيل فرأيت عقربا قويا
يعدو فلما وصل الى النيل فاذا هو بضفدع على طرف النهر فقفز العقرب عليه واخذ الضفدع يسبح فركبت السفينة فاتبعته حتى اذا وصل الضفدع
الى الطرف الاخر نزل العقرب عن ظهره واخذ يعدو فتبعته فرأيت شابا نائما تحت شجرة وعنده افعى تقصده فلما قربت الافعى من ذلك الشاب وصل
العقرب الى الافعى فوثب على الافعى فلدغها والافعى ايضا لدغتها فماتتا معا وفي ادعية العرب يا رازق النعاب في عشه وحكايته ان ولد الغراب كما يخرج من البيض
يكون كانه قطعة لحم فيهجره امه فتفر منه حتى اذا خرج الى ريشه عادت اليه فيبعث الله تعالى اليه في تلك المدة ذبابا يتغذى به وروي ان فتى قرب موته
واعتقل لسانه عن شهادة ان لا اله الا الله فاتوا النبي صلعم واخبروه فقام فدخل عليه وكان يعرض عليه الشهادة ولا يعمل لسانه فقال صلعم اما كان يصلي
اما كان يزكي اما كان يصوم فقالوا بلى فقال هل عق والدته قالوا نعم فقال هاتوا بامه فاتي بعجوزة عوراء فقال النبي صلعم هلا عفوت عنه فقالت لا اعفو
لانه لطمني ففقأ عيني فقال صلعم هاتوا بالحطب والنار فقالت وما تصنع بالنار فقال صلعم احرقه بالنار بين يديك جزاء بما عمل فقالت عفوت
عفوت اللنار حملته تسعة اشهر اللنار ارضعته سنتين فاين رحمة الام فعند ذلك انطلق لسانه وذكر اشهد ان لا اله الا الله والنكتة انها كانت
رحيمة فقط ولم تجوز الاحراق فالرحمن الرحيم كيف يجوز احراق عبد واظب على ذكر الرحمن الرحيم سبعين سنة قال صلعم ان لله تعالى مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الانس والجن والطير والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيمة
ولعل هذا على سبيل التفهيم والتمثيل والا فكرمه بلا غاية ورحمته بلا نهاية السابع في فوائد قوله مالك يوم الدين الاولى قضية العدالة
الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصي والموافق والمخالف ولا يظهر ذلك الا في يوم الجزاء ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس
بما تسعى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره روي انه يجاء برجل
يوم القيمة وينظر في احوال نفسه ولا يرى لنفسه حسنة البتة فياتيه النداء يا فلان ادخل الجنة بعملك فيقول الهي ماذا عملت فيقول الله
الست لما كنت نائما تقلبت من جنب الى جنب ليلة كذا فقلت في خلال ذلك الله ثم غلبك النوم في الحال فنسيت ما انا فلا تاخذني سنة ولا
نوم فما نسيت ذلك ويجاء برجل يوزن حسناته فيأتيه بطاقة فيثقل ميزانه فاذا فيها شهادة ان لا اله الا الله فلا يثقل مع ذكر الله غيره وعلم
ان حقوق الله تعالى على المسامحة لانه غني عن العالمين واما حقوق العباد فهي اولى بالاحتراز عنها روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلعم
اتدرون ما المفلس فقالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وزكوة وصيام وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل

قال

مالِ هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم
فطرحت عليه ثم يطرح في النار الثانية من قرأ مالك احتج بوجوه الاول ان فيه حرفا زائدا فيكون ثوابه اكثر الثاني انه في القيمة يكون ولا مالك
الا الله الثالث المالكية سبب لاطلاق التصرف والملكية ليست كذلك الرابع العبد ادون حالا من الرعية فيكون القهر في المالكية اكثر منه في الملكية
الخامس الرعية يمكنهم اخراج انفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك السادس الملك يجب عليه رعاية حال الرعية
كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ولا يجب على الرعية خدمة الملك اما المملوك فيجب عليه خدمة مالكه وان لا يشتغل في الامر الا باذنه حتى انه لا
يصح منه القضاء والامامة والشهادة ويصير مسافرا اذا نوى مولاه السفر ومقيما اذا نوى الاقامة حجة من قرأ ملك ان كل واحد من اهل البلد يكون
مالكا والملك لا يكون الا اعلاهم شانا ايضا قل اعوذ برب الناس لم يقرأ فيه غير ملك فتعين وايضا الملك اقصر ومالك يلزم منه تطويل الامل — ملك الناس
فانه يمكن ان يدركه الموت قبل تمام التلفظ به واجيب بان العزم يقوم مقام الفعل لو مات قبل الاتمام كما لو نوى بعد غروب الشمس صوم يوم يجب
صومه بخلاف ما لو نوى في النهار عن الغد ثم يتفرع على كل من القراءتين احكام اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة الملك لان اقصى
ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه راسا برأس والمالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام يا عبادي
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم والملك يطمع فيك والمالك انت تطمع فيه والملك لا ينجا
من العسكر الا كل قوي صحيح ويترك من كان مريضا عاجزا والمالك ان مرض عبده عالجه وان ضعف اعانه والملك له هيبة وسياسة والمالك له رافة ورحمة
واحتياجنا الى الرافة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرعة على الثانية فانه في الدنيا ملك لمملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الاخرة لا ملك الا هو لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم اذا بذلوا قلت خزائنهم
ونفدت ذخائرهم وانه سبحانه كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فانا اعطاك عشر اعبد ومن لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا اقرن بقوله ملك يوم الدين — عشرا ولاد زاد في ملكه
قوله رب العالمين الرحمن الرحيم مثله الملك يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه
ظل الله في الارض الكفر سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة يتضمن صلاح
المعاش والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى فهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي
الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وبثبوت العدل اخرى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا خلة للملك اعم نفعا واتم وقعا من ان يكون
عادلا ومن هنا يظهر البركة في العالم وترتفع ان كان السلطان عادلا او جائرا يحكى ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
عليه العطش فرأى بستانا فيه رمان فلما دخله قال للصبي فيه اعطني رمانة فعصرها واخرج منها ماء كثيرا فشربه واعجبه ذلك فعزم على ان ياخذ ذلك
البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني رمانة اخرى فاعطاه فوجدها ما اخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا فقال ايها الصبي لم صار الرمان — اطيب من الاول فعصرها
هكذا فقال الصبي فلعل ملك البلد عزم على الظلم فلشؤم ظلمه صار هكذا فتاب انوشروان في قلبه وتاب فقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها
اطيب من الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال الملك تاب عن ظلمه فلما وجد انوشروان مقالة الصبي مطابقة لاحواله في قلبه تاب بالكلية — لعل
فكان من ميامن عدله ان ولد في زمنه نبينا وقد تحقق قول نبينا ولدت في زمن الملك العادل الثالثة كونه مالكا وملكا معناه انه قادر على ترجيح جانب وجود الممكنات
على عدمها وانه قادر على نقلها من صفة الى صفة كما يشاء من غير مانع ولا منازع وعلى قضية الحكمة والعدالة فهو الملك الحق وانه ملك يوم الدين
ايضا لان القدرة على احياء الخلق بعد مماتهم والعلم بتلك الاجزاء المتفرقة من ابدان الناس لا يختص به احد غيره فاذا كان الحشر والنشر لا يتاتى
الا بعلم يتعلق بجميع المعلومات وقدرة تنفذ في كل الممكنات فلا مالك ليوم الدين الا الله فان قيل لا يكون مالكا الا اذا كان المملوك موجودا لكن
القيمة غير موجودة فينبغي ان يقال انه مالك يوم الدين بالتنوين بدليل انه لو قال انا قاتل زيد كان اقرارا ولو قال انا قاتل زيدا كان تهديدا قلنا
لما كان قيام القيمة امرا حقا لا يجوز الاخلال به في الحكمة جعل وجوده كالشيء القائم في الحال ولو قيل من مات فقد قامت قيمته زال السؤال
الرابعة قالت القدرية ان كان الكل من الله فثواب الرجل على ما لم يعمله عبث وعقابه على ما لم يفعله ظلم فيبطل كونه مالكا ليوم الدين قلنا
خلق الجنة وخلق اهلا لها وخلق النار وخلق اهلا لها وذلك ان له صفة لطف وصفة قهر كما ينبغي لكل صفة مظهر او لا يسئل عما يفعل لان كل — ملك لخلق الكل
سؤال ينقلب فهو باطل الخامسة في هذه السورة من اسماء الله تعالى خمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك
باصناف النعم فانا الرب ثم عصيت فسترت عليك فانا الرحمن ثم تبت فغفرت لك فانا الرحيم ثم اجازيك بما عملت فانا مالك يوم الدين وذكر
الرحمن الرحيم مرة في التسمية ومرة في السورة اخرى يدل على ان العناية بالرحمة اكثر منها بسائر الاوصاف ومع ذلك عقبها بقوله مالك يوم الدين
كيلا يغتروا بها ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب السادسة الحمد المدح والتعظيم فيما بين الناس انما يكون لكونه كاملا في ذاته
وان لم يكن له احسان اليك واما لكونه محسنا اليك واما رجاء وطمعا في المستقبل واما خوفا ورهبة فكانه سبحانه يقول ان كنتم تعظمون للكمال
الذاتي فاحمدوني فاني انا الله وان كنتم تعظمون للاحسان السالف فانا رب العالمين وان كنتم تعظمون للاحسان المترقب فانا الرحمن الرحيم وان

كنتم تعظمون هيبة عن العقاب فانا مالك يوم الدين الثامن في فوائد قوله اياك نعبد الاولى لا شك ان تقديم المعمول مفيد للاختصاص اي لا نعبد احدا
سواك والحاكم بهذا الذوق السليم واستحقاق هذا الاختصاص لله تعالى ظاهر لان العبادة عبارة عن نهاية التعظيم فلا يليق الا لمن صدر منه غاية الانعام
وهو الله تعالى وذلك ان للعبد احوالا ثلثة الماضي والحاضر والمستقبل اما الماضي فقد كان معدوما فاوجده وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا او
كان ميتا فاحياه وكنتم امواتا فاحياكم وكان جاهلا فعلمه اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اسمعه وابصره واعقله وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة فرجاؤه بهذه المعاني واما الحاضر فحاجاته كثيرة ووجوه افتقاره غير محصورة ولعمري الى اخره مع انفتاح ابواب المعصية وانخلاع
ربقة الطاعة فهو رب حسن رحيم من هذه الوجوه واما المستقبل فاموره المتعلقة بما بعد الموت وانه مالك يوم الدين بهذه الحيثية فلا مفزع
للعبد في شيء من احواله الا اليه فلا يستحق عبادة العبد الا هو وايضا ثبت بالدلائل القاطعة وجوب كونه تعالى عالما قادرا جوادا غنيا حكيما الى غير ذلك
من الصفات الكاملة واما كون غيره من الفلكيات والطبائع والنفوس كذلك فمشكوك فيه وان لم نجزم بانه لا تاثير لها فوجب طرح المشكوك والاخذ
باليقين فلا معبود بالحق الا الله سبحانه وايضا العبودية ذلة ومهانة فكلما كان المولى اشرف واعلى كانت العبودية اهنا واشرف ولما كان الله تعالى اشرف
الموجودات واعلاها واولاها بالصفات العلى فعبوديته اولى وايضا كل ما سوى الواجب الغني ممكن فقير والفقير مشغول بحاجة نفسه فلا يمكنه ادفع
غيره فدافع الحاجات هو الله فلا يستحق العبادة الا هو فقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الثانية تقديم ذكر الله تعالى يورث الخشية والمهابة حتى
لا يلتفت في العبادة يمينا وشمالا بخلاف العكس يحكى ان واحدا من الصارعين الاستادين صارع بعض من هو دونه ولا يعرفه فصرع
الاستاد فانصرع في الحال وما ذاك الا الاحتشام بعد عرفانه وايضا ذكره تعالى اولا لما يورث العبد قوة يسهل بها عليه ثقل العبودية فوجب تقديمه
كما ان من اراد حمل ثقيل يقدم عليه دواء او غذاء يعينه على ذلك كما ان العاشق يسهل عليه جميع الالام عند حضور معشوقه وايضا ان الذين اتقوا
اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون فالنفس اذا مسها طائف الشيطان من الكسل والغفلة والبطالة طلع لها جلال الله
من مشرق اياك نعبد فتصير مبصرة مستعدة لاداء العبودية وايضا ان بدأ بالعبادة تصل بليس قلبه ان المعبود من هو فيلقي في نفسه وساوس
اما اذا غير هذا الترتيب فقال اياك نعبد كان بعيدا عن احتمال الشرك وايضا الواجب لذاته متقدم في الوجود فيناسب ان يكون مقدما في الذكر
وايضا المحققون نظرهم على المعبود لا على العبادة وعلى المنعم لا على النعمة ولهذا قيل لبني اسرائيل اذكروا نعمتي ولامة محمد اذكروني فذكر المعبود عندهم
اولى من ذكر العبادة الثالثة النون في نعبد فيه وجوه من الحكمة منها انه تشريف من الله تعالى للعبد حيث لقنه لفظا ينبئ عن التعظيم والتكريم كقوله حكاية
عن نفسه نحن نقص عليك احسن القصص كانه قال لما اظهرت عبوديتي عبدا لي جعلناك امة ان ابراهيم كان امة ومنها انه لو قال اياك اعبد
كان اخبارا عن كونه عبدا فقط ولما قال اياك نعبد صار معناه اني واحد من عبيدك ولا ريب ان الثاني ادخل في الادب والتواضع ومنها
ان يكون تنبيها على ان الصلوة بالجماعة اولى قال عم التكبيرة الاولى في صلوة خير من الدنيا وما فيها وههنا نكتة وهي ان الانسان اذا اكل
الثوم والبصل فليس له ان يحضر الجماعة كيلا يتاذى منه جاره واذا كان ثواب الجماعة لا يفي بهذا القدر من الايذاء فكيف يفي بما هو اكثر
من ذلك ايذاء المسلمين من الغيبة والتهمة والنميمة والسعاية وسائر انواع الظلم ومنها ان يكون المراد عبدك والملائكة معي والحاضرون
بل جميع عبادك الصالحين ومنها ان المؤمنين اخوة فكان الله تعالى قال لما اثنيت على بقولك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
ارتفع منزلتك عندنا فلا تقتصر على اصلاح حالك بل عليك السعي في اصلاح حال جميع اخوانك فقل اياك نعبد واياك نستعين ومنها
ان العبد يقول الهي عبادتي مخلوطة بالتقصير فاني اخلطها بعبادة جميع العابدين فلا يليق بكرمك ان تميز بين العبادات ولا ان ترد الكل
وفيها عبادة الانبياء والاولياء بل الملائكة المقربين وهذا كما ان الرجل اذا باع من غيره عشرة اعبد فالمشتري اما ان يقبل الكل او يرد
الكل وليس له ان يقبل البعض دون البعض في تلك الصفقة الرابعة من عرف فوائد العبادة طاب له الاشتغال بها وثقل عليه الاشتغال بغيرها
لان الكمال محبوب لذاته واكمل احوال الانسان اشتغاله بخدمة مولاه فانه يستنير قلبه بنوره ويشرق عليه من جماله ولهذا قد ورد من
كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وايضا التكليف امانة انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها
الانسان واداء الامانة واجب عقلا وشرعا ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واداء الامانات من احد الجانبين سبب لاداء ما
من الجانب الاخر قال بعض الصحابة رأيت اعرابيا اتى باب المسجد فنزل عن ناقته وتركها ودخل المسجد وصلى بالسكينة والوقار ودعا بما شاء فتعجبنا
فلما خرج لم يجد الناقة فقال الهي اديت امانتك فاين امانتي قال الراوي فزدنا تعجبا فلم يمكث حتى جاء رجل على ناقته وقد قطع يده و
سلم الناقة اليه وقال عم لابن عباس يا غلام احفظ الله في الخلوات يحفظك في الفلوات وايضا الاشتغال بالعبادة انتقال من عالم
الغرور الى دار السرور ويكون من الخلق الى حضرة الحق وذلك يوجب كمال اللذة والبهجة يحكى عن ابي حنيفة رح انه سقطت من السقف حية وتفرق
الناس وهو في الصلوة فلم يشعر به وعن رسول الله صلعم انه حين يشرع في الصلوة كانوا يسمعون من صدره ازيزا كازيز المرجل ومن استبعد
فليقرأ قصة النسوة فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن فاذا كان لجمال البشر مثل هذا التاثير فكيف بجلال الله وعظمته اذا تجلى على قلب العابد الموحد
وقد يحدث الحيرة والدهش عند رؤية بعض السلاطين فكيف اذا كان الوقوف بين يدي رب العالمين واعلم ان العبادة لها ثلث درجات

لانه اما ان يعبد الله رغبة في ثوابه او رهبة من عقابه وتسمى باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعا فيما هو اشرف منها
وادوم وهذه مرتبة نازلة عند المحققين واما ان يعبد الله تشرفا بعبادته او بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه مرتبة متوسطة
وتسمى بالعبودية واما ان يعبد الله لكونه الها ولكونه عبدا له والالهية توجب العزة والهيبة والعبودية تقتضي الخضوع والذلة وهذه
اعلى الدرجات وتسمى بالعبودة واليها الاشارة بقول المصلي اصلي لله فانه لو قال اصلي لثواب الله او هربا من عقابه فسدت صلوته يحكى
ان عابدا في بني اسرائيل اعتزل لعبادة الله تعالى سبعين سنة فارسل الله تعالى اليه ملكا فقال عبادتك غير مقبولة فلا تتعب على نفسك وكان
يجاهد فاجاب العابد بان الذي علي هو العبودية واني لا ازال افعل ما علي فاما القبول وعدم القبول فموكول الى المعبود فرجع الملك فقال
اللهم اجاب العابد فقال انت اعلم يا ربنا قال كذا وكذا فقال الله تعالى اليه قل له قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك والتحقيق ان اثبات
نسبة الامكان هو قصارى جهد العابدين ونهاية مطامح ابصار العارفين وفي العبادة انشراح صدور المؤمنين ولهذا عاقبة حال النبي ارجع
قال عز من قائل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولان
العبودية اشرف المقامات مدح الله تعالى به نبيه في قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وافتخر عليه السلام بذلك واول ما نطق فقال اني عبد الله
وكان علي كرم الله وجهه يقول كفى لي فخرا ان اكون لك عبدا وكفى لي شرفا ان تكون لي ربا اللهم اني وجدتك الها كما اردت ومنهم من قال العبودية اشرف
من الرسالة فالعبودية اشرف من الرسالة فبالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق وبالعبودية ينعزل عن
التصرفات وبالرسالة يقبل على التصرفات ولهذا قال اشرفنا لتقدم في قول الموحد اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون التاسع في فوائد قوله واياك نستعين الاولى لا شك ان للعبد قدرة
بها يتمكن من الفعل والترك وانما يحصل الرجحان بمرجح ولو كان المرجح من عند العبد عاد التقسيم فلا بد ان ينتهي الى الله تعالى وايضا كل الخلائق يطلبون ذلك
طريق الحق مع استوائهم في القدرة والفعل والجد في الطلب لا يفوز به الا بعضهم فليس ذلك الا باعانة الحق وايضا قد يطلب الانسان حاجة من
غيره ويلح مدة مديدة ثم يقضي حاجته فالقاء تلك الداعية في القلب ليس الا من الله فثبت انه لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا
قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ويظهر فائدة الاستعانة في انه انما جعل الله تعالى ذلك واسطة الى نيل المطلوب كالشبع الحاصل عقيب اكل
الطعام ونحوه فيسقط اعتراض الجبري والقدري وانهم الثانية لقائل ان يقول شرعت في العبادة فتستعين في ان الاستعانة على العمل انما يحسن
قبل الشروع فيه لا بعده فهلا قدمت الاستعانة على ذكر العبادة فاستعين بك في اتمامها حتى لا يمنعني مانع ولا يعارضني صارف فان قلب
المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وايضا قيل الاستعانة مطلقة فيتناول كل مستعان فيه فذكر العبادة كالوسيلة الى طلب الاعانة
على الحوائج وتقديم الوسيلة مناسب الثالثة لا اريد بالاعانة غيرك اقتداء بالخليل عليه السلام حيث قيد نمرود يديه ورجليه ورماه الى النار فجاءه
جبرئيل وقال هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فاسئل الله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وههنا نكتة وهي ان المؤمن في الصلوة مقيد رجلاه
عن المشي ويداه عن البطش ولسانه الا عن القراءة والذكر فكما ان الله قال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم فكذلك يقول لنار جهنم جز يا مؤمن
فقد اطفأ نورك لهبي الرابعة لا استعين غيرك لان الغير لا يمكنه اعانتي الا اذا اعنته فانا اقطع الواسطة ولا انظر الا الى اعانتك الخامسة اياك
نعبد يورث العجب بالعبادة فاردفه بقوله واياك نستعين لازالة ذلك السادسة ههنا مقامان معرفة الربوبية ومعرفة العبودية وعند
اجتماعهما يحصل الربط المذكور في قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اما معرفة الربوبية فكما مذكور في قوله الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين فانتقال العبد من العدم السابق الى الوجود يدل على كونه الها وحصول الفوائد للعبد حال وجوده يدل على كونه
ربا رحمانا رحيما واحوال معاده يدل على انه مالك يوم الدين واما معرفة العبودية فمبدأها اياك نعبد وكمالها اياك نستعين في جميع المطالب اذا
تم الوفاء بالعهدين ترتبت عليه الثمرة وهو قوله اهدنا الى آخره وهذا ترتيب لا يتصور احسن منه السابعة في الالتفات الوارد في السورة وجوه منها ان
المصلي كان اجنبيا عند الشروع في الصلوة فلا جرم اثنى على الله بالالفاظ الغائبة الى قوله مالك يوم الدين ثم الله تعالى كانه يقول حمدتني واقررت
باني اله رب العالمين رحمن رحيم مالك يوم الدين فنعم العبد انت يا عبدي رفعنا الحجاب وابدلنا البعد بالقرب فتكلم بالمخاطبة وقل اياك نعبد ومنها
انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام من كونه ربا لا يخرج شيء من ملكوته منعما على الخلق بانواع النعم جلائلها ودقائقها
مالكا للامر كله في العاقبة تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات
فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة فلم يكن الخطاب دل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به ومنها
ان الدعاء بالحضور اولى كان الثاني في الغيبة اوقع واحرى وهكذا فعل الانبياء ربنا ظلمنا انفسنا رب هب لي حكما رب زدني علما رب اني
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين ومنها انه اذا شرع في الصلوة نوى القربة فاثنى على الله بما هو اهله فاستجاب الله دعاءه في تحصيل
تلك القربة ونقله الى مقام الحضور من مقام الغيبة الثامنة اعلم ان المشركين طوائف منهم من اتخذ الهه من الاجسام المعدنية كالحجر والذهب
والفضة والنحاس ومنهم من اتخذه من النبات كالشجر المعين ومنهم من اتخذه من الانسان كعبدة المسيح وعزير ومنهم من اتخذه الاجسام البسيطة

والجواب كانه يقول شرعت في العبادة

اما السفلية كعبدة النار وهم المجوس والعلوية كعبدة الشمس والقمر وسائر الكواكب ومنهم من قال مدبر العالم نور وظلمة وهم الثنوية ومنهم من قال الملائكة عبارة عن الارواح الفلكية ولكل اقليم روح من الارواح الفلكية يدبره وكذا لكل نوع من انواع العالم فيتخذون لتلك الارواح صورا وتماثيل ويعبدونها وهم عبدة الملائكة ومنهم من قال للعالم الهان احدهما خير وهو الله والآخر شرير وهو ابليس اذا عرفت ذلك فنقول قوله الحمد لله يتضمن التسبيح له وسائر الصفات منبئة عن سبب ثبات جميع انواع الحمد له واياك نعبد يدل على التوحيد المحض والبراءة من كل ما يعبد من دون الله وان الله اكبر من جميع المعبودين فيقوم مقام قوله لا اله الا الله والله اكبر واياك نستعين يدل على قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فثبت ان سورة الفاتحة مشتملة الى هنا على الذكر المشهور سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العاشر في فوائد قوله اهدنا الصراط المستقيم الاولى سئل ان طلب الهداية من المؤمن وهو مهتد تحصيل للحاصل واجيب بان المراد منه صراط الاولين في تحمل المشاق العظيم لاجل مرضات الله تعالى يحكى ان نوحا عم كان يضرب في كل يوم مرات بحيث يغشى عليه وكان يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وايضا ان في كل خلق من الاخلاق طرفي افراط وتفريط فهما مذمومان والحق هو الوسط والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مهتديا لكنه لا بد مع ذلك من حصول الملكات والاخلاق الفاضلة التي هي وسط بين الطرفين ومستقيم بين المنحرفين ففي القوة الشهوية طرف الافراط فجور وطرف التفريط خمود وهما مذمومان والوسط وهو استعمالها في مواضعها على قضية العدالة والشريعة محمود وهو عفة وكذا في القوة الغضبية طرفا التهور والجبن مذموم والوسط وهو الشجاعة محمود وفي القوة النفسانية الجربزة والبله مذمومان والوسط وهو الحكمة محمود وبالجملة فانه يحصل من توسيط استعمال القوة الشهوية الحياء والرفق والصبر والقناعة والورع والحرية والسخاء ومن توابع السخاء الكرم والايثار والعفو والمروة والمسامحة ويلزم من توسط استعمال القوة الغضبية كبر النفس وعلو الهمة والثبات والحلم والتواضع والحمية والرقة ومن توسط استعمال القوة النطقية الذكاء وسرعة الفهم وصفاء الذهن وسهولة التعلم وحسن التعقل والتحفظ والتذكر ويحصل من كمال التوسط في القوى الثلث كمال العدالة ويتبعها الصداقة والالفة والوفاء والشفقة وصلة الرحم والمكافاة وحسن الشركة والتسليم والتوكل وتعظيم المعبود الحق وملائكته وانبيائه واولي الامر وانقياد اوامرهم ونواهيهم والنفوس تكمل هذه المعاني وتتممها ولان القوة النطقية ذاتية للانسان والشهوية والغضبية حصلتا له بواسطة التعلق بالبدن فكمال التوسط في النطقية ان يستعملها بحيث لا يمكن ازيد منها وكمال التوسط في الاخريين ان يستعملهما بحيث لا يمكن اقل من ذلك ليفضي الى تحصيل سعادة الدارين الثاني العلم الفطري يقبل الزيادة بمعنى تواصل اوقاته وقلة التغيرات وبمعنى زيادة الادلة فليس من علم بدليل كمن علم بادلة فلا موجود من اقسام الممكنات الا وفيه دلالة على وجود الله وعلمه وقدرته وجوده ورحمته وحكمته وربما صح دين الاسلام بالدليل الواحد وبقي غافلا عن سائر الدلائل فكانه يقول عرفنا الهنا ما في كل شيء من كيفية دلالته على ذاتك وصفاتك وعلمك وقدرتك وايضا قد يراد بالصراط المستقيم الاقتداء بالانبياء وهو ان يكون الانسان معرضا عما سوى الله مقبلا بكليته قلبه وفكره وذكره على الله حتى لو امر بذبح ولده لاطاع كالخليل ولو امر ان يذبح انقاد كاسمعيل ولو امر بالقاء نفسه في البحر امتثل كيونس ولو امر بتلمذ من هو اعلم منه بعد بلوغه على منصب ثم كموسى مع الخضر وعن خباب قال شكونا الى الرسول صلعم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه وايضا كان العبد يقول الاحباب يدعونني الى طريق والاعداء الى طريق ثان والشيطان الى ثالث وكذا القول في الشهوة والغضب والاعتقادات والاراء والعقل ضعيف والعمر قصير والقضاء عسير فاهدني هذا الطريق السوي الذي لا ازيغ به حكي عن ابرهيم بن ادهم انه كان يسير الى بيت الله فاذا اعرابي على ناقة له فقال يا شيخ الى اين فقال الى بيت الله قال كانك مجنون لا ارى لك مركبا ولا زادا والسفر طويل فقال ابرهيم ان لي مراكب كثيرة ولكنك لا تراها قال وما هي قال اذا نزلت علي بلية ركبت مركب الصبر واذا نزل علي نعمة ركبت مركب الشكر واذا الم بي القضاء ركبت مركب الرضاء واذا دعتني النفس الى شيء علمت ان ما بقي من العمر قليل فمضى فقال الاعرابي سر باذن الله فانت الراكب وانا الراجل وقيل الصراط القرآن او الاسلام وليس بصحيح لان المعنى اهدنا الصراط المتقدمين مع انه لم يكن لهم قرآن ولا اسلام اللهم الا ان يراد اصول هذه الشريعة وقواعدها كما قال فبهداهم اقتده وعن علي كرم الله وجهه ثبتنا على الهداية كقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا فكم من عالم يزل ومهتد يضل في اختيار لفظ الصراط دون الطريق والسبيل تذكير للصراط الذي هو الجسر الممدود من طرفي جهنم سهل الله تعالى علينا عبوره ووروده انما قيل اهدنا بلفظ الجمع لان الدعاء متى كان اعم كان الى الاجابة اقرب ولهذا قال بعض العلماء لتلميذه اذا قلت قبل القراءة رضي الله عنك وعن جماعة المسلمين فاياك ان تنسى قولك وعن جماعة المسلمين فان كل الوضع عندي من قولك رضي الله عنك لان هذا تخصيص بالدعاء ويجوز ان لا يقبل واما قولك وعن المسلمين فانه دعاء لا بد ان يكون في المسلمين من يستحق الاجابة واذا اجاب الله دعاء في البعض فهو اكرم من ان يرده في الباقي ومن ثمة ورد في السنة ان يصلي على النبي صلعم قبل كل دعاء وبعده لان الدعاء في الطرفين مستجاب البتة لانه في حق النبي صلعم فيستجاب الوسط بتبعيته ذلك لا محالة وفي الرواية قالت ادعوا الله بالسنة ما عصيتموه بها قال يا رسول الله ومن لنا بتلك

بيان اصول الاخلاق التي يتوقف عليها الانسان

النظرية

في بيان كيفية الاطاعة لله وامتثال امره

تنبيه

في معنى الصراط

البقرة قال يدعو بعضكم لبعض لانك ما عصيتني بلسانه وهو ما عصى بلسانك وايضا الحمد لله شامل لحمد جميع الحامدين واياك نعبد لعبادة الجميع واياك نستعين لاستعانة الكل فلا جرم لما طلب الهداية طلبها للكل كما طلب الاقتداء بالصالحين جميعا في قوله صراط الذين انعمت عليهم والفرار من الطالحين جميعا في قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين واذا كان كذلك في الدنيا يرجى ان يكون كذلك في الآخرة وَمَن يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ فَاُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا الثالثة الخط المستقيم اقرب خط يصل بين النقطتين والعبد عاجز فلا يليق بضعفه الا الطريق المستقيم وايضا المستقيم واحد وما سواه معوجة يشبه بعضها بعضا في الاعوجاج فكان ابعد من الخوف واقرب الى الخلاص وايضا ميل الطباع الى الاستقامة اكثر فلهذه الاسباب سئل الصراط المستقيم الحادي عشر في فوائد قوله صراط الذين انعمت عليهم الاولى حد النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير لانه لو قصد الفاعل منفعة نفسه او لا على جهة الاحسان لم يكن نعمة فلا يستحق الشكر ثم نقول كل ما يصل الى الخلق من نفع او دفع ضر فهو من الله تعالى لقوله وما بكم من نعمة فمن الله ولان الواصل من جهة غير الله ينتهي اليه ايضا لانه الخالق لتلك النعمة ولذلك المنعم ولداعيته ذلك الانعام فيه والنعم الواصلة الينا بطاعاتنا فهي ايضا من الله تعالى لانه بتوفيقه واعانته بان اتاح الاسباب وازاح الاعذار واول نعمة من الله تعالى على عبيده نعمة الحيوة التي بها يمكن الانتفاع بالمنافع والاحتراز عن المضار قال تعالى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثم عقب ذلك بقوله هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا الثانية هل لله تعالى على الكافر نعمة ام لا انكر ذلك بعض اصحابنا لوجوه منها قوله صراط الذين انعمت عليهم فانه لو كان لله على الكفار نعمة لزم طلب صراط الكفار لان المبدل منه هو الصراط المستقيم في حكم المنحى والجواب ان قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يدفع ذلك ومنها قوله وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِاَنْفُسِهِمْ اِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا اِثْمًا والجواب انه لا يلزم من ان لا يكون الاملاء خيرا ونعمة لهم ان لا يكون اصل الحيوة وسائر اسباب الانتفاع نعمة فان الاملاء تاخير النقمة بعد ثبوت استحقاقها فما قبل هذه الحالة لا يكون كذلك على ان نفس الاملاء ايضا تمتع حالي قال وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ اَضْطَرُّهُ اِلٰى عَذَابِ النَّارِ وليس هذا كمن جعل السم في الحلواء على ما ظن وانما هو كمن ناول شخصا حلواء لذيذة غير مسمومة ولكن ذلك الشخص لفساد مزاجه ولاستعمال الحلواء لا كما ينبغي افسد مزاج الحلواء ايضا وصيره كالسم القاتل بالنسبة اليه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكيف لا يعم نعم الله تعالى وقد قال على العموم يَا اَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وقال وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ كل ذلك في معرض الامتنان وشرح النعم وقال وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ وَلَا تَجِدُ اَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ والشكر لا يكون الا بعد النعمة الثالثة ما المراد بالنعمة المذكورة في قوله انعمت عليهم قلنا يتناول كل من كان لله عليه نعم دينية ودنيوية ثم انه يخرج بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين كل من عليه نعمة دنيوية فقط ويبقى الذين انعم الله عليهم في الدنيا والآخرة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وكما ان اصل النعم الدنيوية هو الحيوة المستتبعة لكل المنافع فكذلك اصل النعم الدينية هو الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات وكما ان كمال البدن بالحيوة فكمال النفس بالايمان وموتها بفقده اِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتٰى وَمَا اَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ وكما ان حيوة البدن من الله فكذا الايمان منه وبتوفيقه واضافة الايمان الى العبد اضافة الاثر الى القابل وبذلك القبول يستاهل الثواب والمؤمن لا يبقى مخلدا في النار فان من شرفه الله تعالى باعظم الانعام لم يعاقبه باشد الالام فما الانعام الا بالاتمام قيل لو كان رعاية الاصلح على الله واجبا لم يكن ذلك انعاما لان اداء الواجب لا يسمى انعاما قلنا النزاع لفظي لان الاصلح لا بد ان يصدر عنه لانه يليق بحكمته وكماله ولا خلاف في ذلك ثم ما شئت تسميته الثاني عشر في فوائد قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين الاولى من المغضوب عليهم ومن الضالون قلت المغضوب عليهم هم المائلون في كل خلق واعتقاد الى طرف التفريط ومنهم اليهود والضالون هم المائلون الى طرف الافراط ومنهم النصارى وانما خص الاولون بالغضب عليهم لان الغضب لازمه البعد والطرد والمفرط في شيء هو المعرض عنه غير مجد بطائل فهو بعيد عن ذلك واما المفرط فقد اقبل عليه وجاوز حد الاعتدال فغاب عن المقصود ومني بالحرمان كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له فاليهود فرطوا في شان نبي الله ولم يطيعوه واذوه وما كادوا بعد ان نجاهم الله من عدوهم يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا اِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ جَهْرَةً ولهذا قال عز من قائل يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسٰى فَبَرَّاَهُ اللّٰهُ مِمَّا قَالُوا والنصارى افرطوا وقالوا المسيح ابن الله ان الله ثالث ثلثة وروي عن عدي بن حاتم ان رسول الله قال غير المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى وتصديق ذلك من كتاب الله حيث قال في اليهود وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وفي النصارى قَدْ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ هذا شان الفريقين واما المؤمنون فطلبوا الوسط من المنحرفين وذلك من لطف الله تعالى بهم وفضله عليهم وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وخير الامور اوسطها الثانية الاية تدل على ان احدا من الملائكة والانبياء ما اقدم على عمل او عقد يخالف الحق والا لكان ضالا لقوله تعالى فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلَالُ ولم يصلح للاقتداء به والاهتداء بطريقه الثالثة ما الفائدة في ان عدل من ان يقول اهدنا الصراط الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الى ما عدل قلت الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عم لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يدل على الرجاء وباقي الاية يدل على الخوف فيكمل

الايمان بطرفيه وركنيه الثالث عشر في تفسير السورة بمجموعة وفيه مناهج المنهج الاول لنسبة عالم الغيب الى عالم الشهادة نسبة الاصل الى الفرع والنور الى الظل فكل شاهد فله في الغائب اصل والاكان كسراب بل وخيال باطل وكل غائب فله في الشاهد مثال والاكان كشجرة بلا ثمرة ومدلول بلا دليل وكل شريف فهو بالنسبة الى ما دونه مطاع كما قال عز من قائل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ولكل مطاع في عالم الروحانيات مطاع في عالم الجسمانيات فالمطاع في عالم الارواح هو المصدر والمطاع في عالم الاجسام هو المظهر ولا بد من ان يكون بينهما مقابلات ومجانسة وبهما يتم سعادة الدارين لانهما يدعوان الى الله بالرسالة وحاصل الدعوة امور سبعة يشتمل عليها خواتيم سورة البقرة اربعة منها يتعلق بالمبدأ وهي معرفة الربوبية اعني معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله واثنان منها يتعلق بالوسط احدهما مبدأ العبودية وقالوا سمعنا واطعنا والثاني كمال العبودية وهو الالتجاء الى الله وطلب المغفرة منه غفرانك ربنا وواحد يتعلق بالمعاد وهو الذهاب الى حضرة الملك الوهاب واليك المصير ويتفرع على هذه المراتب سبع مراتب في الدعاء والتضرع اولها ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فضد النسيان هو الذكر واذكر ربك اذا نسيت وهذا الذكر انما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ودفع الاصر الثقل يوجب الحمد الحمد لله رب العالمين وثالثها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك اشارة الى كمال رحمته الرحمن الرحيم ورابعها واعف عنا واغفر لنا انك انت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وخامسها واغفر لنا لانا التجأنا بكليتنا اليك وتوكلنا في جميع الامور عليك اياك نعبد واياك نستعين وسادسها وارحمنا لانا طلبنا الهداية منك اهدنا الصراط المستقيم وسابعها انت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب ذكرها محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الروحانيات عند صعوده الى المعراج فلما نزل من المعراج فاض اثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلوته صعدت هذه الانوار من المظهر الى المصدر كما نزلت في عهد الرسول من المصدر الى المظهر فلهذا السبب قال عليه السلام الصلوة معراج المؤمن المنهج الثاني المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الاصل ثلاثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية والغضب سبعية والهوى شيطانية لهذا قال تعالى فالشهوة آفة لكن الغضب اعظم منها والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه قال تعالى وينهى عن الفحشاء اي الشهوة والمنكر اي الغضب والبغي اي الهوى فبالشهوة يصير الانسان ظالما لنفسه وبالغضب ظالما لغيره وبالهوى لربه ولهذا قال الظلم ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان نفسه ونتيجة الشهوة الحرص والبخل ونتيجة الغضب العجب والكبر ونتيجة الهوى الكفر والبدعة ويحصل من اجتماع هذه الست في بني آدم خصلة سابعة هي الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله تعالى مجامع الشرور الانسانية بالحسد في قوله ومن شر حاسد اذا حسد كما ختم جوامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة في قوله يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وروي ان ابليس اتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا قال ابليس ولو كنت الها ما جهلته فلما دخل فقال فرعون اتعرف في الارض شرا مني ومنك قال نعم الحاسد وبالحسد وقعت فيما وقعت ثم نقول الاسماء الثلثة في التسمية دافعة للاخلاق الثلثة الاصلية والايات السبع التي هي الفاتحة دافعة للاخلاق السبعة بيان ذلك من عرف الله تباعد عنه شيطان الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه يا موسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشأ الغضب طلب الولاية والولاية للرحمن الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم صح نسبته اليه فلا يظلم نفسه ولا يلطخها بالافعال البهيمية واما الفاتحة فاذا قال الحمد لله فقد شكر الله واكتفى بالحاصل فزالت شهوته ومن عرف انه رب العالمين زال حرصه فيما لم يجد وبخله فيما وجده من عرف انه مالك يوم الدين بعد ان عرف انه الرحمن الرحيم زال غضبه من قال اياك نعبد واياك نستعين زال كبره بالاول وعجبه بالثاني واذا قال اهدنا الصراط المستقيم اندفع عنه شيطان الهوى واذا قال صراط الذين انعمت عليهم زال كفره واذا قال غير المغضوب عليهم ولا الضالين اندفعت بدعته واذا زالت عنه الاخلاق الستة اندفع عنه الحسد ثم ان جملة القرآن كالنتائج والشعب عن الفاتحة وكذا جميع الاخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الاخلاق الذميمة وههنا دقيقة تتعلق بالرب والملك والاله ولسببها ختم القرآن عليها كأنه قال ان اتاك الشيطان من قبل الشهوة قل اعوذ برب الناس وان اتاك من قبل الغضب فقل ملك الناس وان اتاك من قبل الهوى فقل اله الناس المنهج الثالث في ان سورة الفاتحة جامعة لكل ما يفتقر اليه الانسان في معرفة المبدأ والوسط والمعاد الحمد لله اشارة الى اثبات الصانع المختار العليم الحليم المستحق للحمد والثناء والتعظيم رب العالمين يدل على ان ذلك الاله واحد وان كل العالمين ملكه وملكه وليس في العالم اله سواه ولهذا جاء في القرآن الاستدلال بالخلق كثيرا قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت الذي خلقني فهو يهدين ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ربكم ورب آبائكم الاولين اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وهذه الحالة كانها في نفسها

الفاتحة ثلاث عشر

المنهج الاول

المنهج الثاني في المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها

في بيان ان ايات الفاتحة السبع تدفع الاخلاق السبعة

المنهج الثالث

دليل على وجود الرب فكذلك هي في نفسها انعام عظيم وذلك ان تولد الاعضاء المختلفة الطبايع والصور من النطفة المتشابهة الاجزاء لا يمكن الا اذا قصد الخالق ايجاد تلك الاعضاء على تلك الصور والطبايع وكل منها مطابق للمطلوب موافق للغرض كما يشهد به تشريح الابدان فلا احق بالحمد والثناء من هذا المنعم المنان الكريم الرحمن الرحيم الذي شمل احسانه قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مالك يوم الدين يدل على ان من لوازم حكمته ورحمته ان يقدر بعد هذا اليوم يوما اخر يظهر فيه تميز المحسن من المسيء والمظلوم من الظالم وههنا تمت معرفة الربوبية ثم ان قوله اياك نعبد اشارة الى الامور التي لا بد من معرفتها في تقرير العبودية وهي نوعان الاعمال والاثار المتفرعة على

علم

الاعمال اما الاعمال فهاركان احدها الاتيان بالعبادة وهو قوله اياك نعبد والثاني علمه بانه لا يمكنه ذلك الا باعانة الله وهو قوله واياك نستعين واما الاثار المتفرعة على الاعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالاخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين اهدنا الصراط المستقيم الى اخره وفي قوله صراط الذين انعمت عليهم دليل على ان الاستضاءة بانوار ارباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية بين القوم لا يشقى بهم جليسهم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين اشارة الى ان التجنب عن مرافقة اصحاب البدع والاهواء واجب على المرء لا تسئل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي والجمر يوضع في الرماد فيخمد

المنهج الرابع

المنهج الرابع قال عم حكاية عن الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي وفي رواية فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدني عبدي واذا قال واياك نستعين يقول الله توكل علي عبدي وفي رواية واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول هذا بيني وبين عبدي واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول هذا لعبدي ولعبدي ما سئل فقوله قسمت الصلوة بيني وبين عبدي اشارة الى ان اهم مهمات العبد ان يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية لانه انما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلاجرم انزل الله تع هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج اليه العبد في الوفاء بذلك العهد وقوله اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي مناسب لقوله تع فاذكروني اذكركم انا جليس من ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه والذكر مقام عال شريف ذكره الله تع في القران كثيرا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا واذكر ربك في نفسك تذكروا فاذا هم مبصرون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولهذا وقع الابتداء به وقوله ذكرني عبدي يدل على ان ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهذا يدل على ان الله اسم علم وقوله اذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يدل على ان مقام الحمد اعلى من مقام الذكر لانه اول كلام في اول خلق العالم حيث قالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك واخر كلام في الجنة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ولان الفكر في ذات الله تع غير ممكن تفكروا في الاء الله ولا تفكروا في الله وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله واحسانه اكثر فيحمد الله اكثر فيحمد الله تع اكثر فقوله حمدني عبدي شهادة من الله تع على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وانعامه في ترتيب العالم وتربيتها العالمين انه اقر بقلبه ولسانه بكرمه واحسانه وقوله واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي يدل ذلك على ان الاله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك ان غاية ما يصل العقل والفهم والوهم اليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس الا هذا المقام وهو التعظيم لله وقوله واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي اي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر اليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف ولو لم يحصل المعاد لكان ذلك قادحا في حكمه وعدله لان الظالم في ظلمه وامهله القادر امهله بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وقوله واذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذا بيني وبين عبدي معناه ان اياك نعبد يدل على اقدام العبد على العمل غير مستقل بالاتيان بذلك العمل فهو المراد من قوله واياك نستعين وقوله واذا قال اهدنا الصراط المستقيم يقول الله هذا لعبدي ولعبدي ما سئل تقريره ان اهل العالم يختلفون بالنفي والاثبات في جميع المسائل الالهية او اكثرها وفي المعاد والنبوات وغيرها مع استواء الكل في العقل والنظر فالاهتداء الى ما هو الحق في الامر نفسه ليس الا بهداية الله تع وارشاده كما قالت الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وقال ابرهيم عم لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري

المنهج الخامس

المنهج الخامس ان الفاتحة سبع والاعمال المحسوسة في الصلوة ايضا سبعة القيام والركوع والانتصاب منه والسجود الاول والانتصاب منه والسجود الثاني والقعدة فهذه الاعمال كالشخص والفاتحة لها كالروح وانما يحصل الكمال عند اتصال الروح بالجسد فقوله بسم الله الرحمن الرحيم بازاء القيام الا ترى الباء في بسم الله لما اتصل باسم الله حصل قائما مرتفعا وايضا التسمية لبداية الامور كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر والقيام ايضا اول الاعمال وقوله الحمد لله رب العالمين بازاء الركوع لان الحمد في مقام التوحيد نظر الى الحق والى الخلق والمنع والنعمة لانه الثناء على الله بسبب الانعام الصادر منه الى العبد فهو حالة متوسطة بين الاعراض والاستغراق كما ان الركوع متوسط بين القيام والسجود وايضا ذكر النعم الكثيرة مما يثقل الظهر فينحني وقوله الرحمن الرحيم مناسب للانتصاب لان العبد لما تضرع الى الله بالركوع فالاليق بحمته ان يرده الى الانتصاب ولهذا قال عم اذا قال العبد سمع الله لمن حمده نظر الله اليه بالرحمة وقوله مالك يوم الدين مناسب

السجدة الاولى لانه على كمال القهر والجلال والكبرياء وذلك يوجب الخوف الشديد المستتبع لغاية الخضوع وقوله اياك نعبد واياك نستعين مثال للقعدة بين السجدتين لان اياك نعبد اخبار عن السجدة التي تقدمت واياك نستعين استعانة بالله في ان يوفقه للسجدة الثانية وقوله اهدنا الصراط المستقيم سؤال لاهم الاشياء فيليق به السجدة الثانية ليدل على نهاية الخشوع وقوله صراط الذين انعمت عليهم الى اخره مثال للقعود لان العبد لما اتى بغاية التواضع قابله الله بالاكرام والقعود بين يديه وحينئذ يقرأ التحيات كما ان محمدا عم قراها في معراجه فالصلوة معراج المؤمن المنهج السادس ان آيات الفاتحة سبع واعمال الصلوة المحسوسة سبع كما تقدم ومراتب خلق الانسان سبع ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فنور آيات الفاتحة يسري الى الاعمال السبعة ونور الاعمال السبعة يسري الى هذه المراتب فيحصل في القلب نور على نور ثم ينعكس الى وجه المؤمن من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار المنهج السابع انه كان لرسول الله صلعم معراجان من المسجد الاقصى الى عالم الملكوت هذا في عالم الحس واما في عالم الارواح فمن الشهادة الى الغيب ثم من الغيب الى غيب الغيب فهذا بمنزلة قوسين متلاصقين فتخطاهما محمد صلعم فكان قاب قوسين وقوله او ادنى اشارة الى فنائه في نفسه والمراد بعالم الشهادة كل ما يتعلق بعالم الجسم والجسمانيات وبعالم الارواح ما فوقه من الارواح السفلية ثم المتعلقة بالسماء سماء سماء الى الملائكة الحافين من حول العرش ثم الى حملة العرش ومن عند الله الذين طعامهم ذكر الله وشرابهم محبته وانسهم بالثناء عليه ولذتهم في خدمته لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهكذا يتصاعد الى ان ينتهي الى نور الانوار وروح الارواح ولا يعلم تفاصيلها الا الله ومن ارتضاه والمقصود ان نبينا صلعم لما عرج واراد ان يرجع قال رب العزة المسافر اذا عاد الى وطنه اتحف اصحابه فقيل ان تحفة امتك الصلوة الجامعة بين المعراجين الجسماني بالافعال والروحاني بالاذكار فليكن المصلي بثوب طاهر وبدن طاهر لانه بالوادي المقدس طوى وايضا في عنده ملك وشيطان ودين ودنيا وعقل وهوى وخير وشر وصدق وكذب وحق وباطل وحلم وطيش وقناعة وحرص وسائر الاخلاق المتضادة والصفات المتنافية فلينظر ايهما مختار فانه اذا استحكم المرافقة تعذرت المفارقة اختار الصديق صحبة محمد صلعم فلم يفارقه في الدنيا وفي القبر ويكون معه في القيامة وفي الجنة وصحب كلب اصحاب الكهف فلزمهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ثم اذا تطهر فليرفع يديه اشارة الى توديع الدنيا والآخرة وليوجه قلبه وروحه وسره الى الله ثم ليقل الله اكبر اي من كل الموجودات بل هو اكبر من ان يقابل بغيره او انه اكبر منه ثم ليقل سبحانك اللهم وبحمدك وفي هذا المقام ينكشف له نور سبحات الجلال ثم ليقل تبارك اسمك اشارة الى الدوام المنزه عن الافناء والاعدام ليطالع حقيقة الازل في القدم وحقيقة الابد في البقاء فيتجلى له نور الازل والابد ثم ليقل وتعالى جدك اشارة الى انه اعلى واعظم من ان يكون صفات جلاله ونعوت كماله محصورة في القدر المذكور ثم ليقل ولا اله غيرك اشارة الى ان صفات الجلال وسمات الكمال له تعالى لا لغيره فهو الكامل الذي لا كامل الا هو وفي الحقيقة لا هو الا هو وههنا يكل اللسان ويدهش الالباب ثم عد ايها المصلي الى نفسك وحالك وقل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقولك سبحانك اللهم وبحمدك معراج الملائكة المقربين حيث قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو ايضا معراج محمد صلعم لان معراجه مفتتح بقوله سبحانك اللهم وبحمدك وقولك وجهت وجهي معراج الخليل وقولك ان صلوتي ونسكي ومحياي ومماتي معراج الحبيب محمد فقد جمع المصلي بين معراج الملائكة المقربين ومعراج عظماء الانبياء والمرسلين ثم اذا فرغت من هذه الحالة فقل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليدفع العجب عن نفسك وفي هذا المقام يفتح لك احد ابواب الجنة وهو باب المعرفة وبقولك بسم الله الرحمن الرحيم يفتح باب الذكر وبقولك الحمد لله رب العالمين يفتح باب الشكر وبقولك الرحمن الرحيم يفتح باب الرجاء وبقولك مالك يوم الدين يفتح باب الخوف وبقولك اياك نعبد واياك نستعين يفتح باب الاخلاص المتولد من معرفة العبودية ومعرفة الربوبية وبقولك اهدنا الصراط المستقيم يفتح باب الدعاء والتضرع ادعوني استجب لكم وبقولك صراط الذين انعمت الى اخره يفتح باب الاقتداء بالارواح الطيبة والاهتداء بانوارهم فبمفاتيح المعارف الربانية تفتحت لك ابوابها الثمانية بهذه المقاليد الروحانية فهذا بيان المعراج الروحاني في الصلوة واما الجسماني فاولى المراتب ان يقوم بين يدي الله كقيام اصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض بل قيام اهل القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم اقرأ سبحانك اللهم وبحمدك ثم وجهت وجهي ثم الفاتحة وبعدها ما تيسر لك من القرآن واجهد في ان تنظر من الله الى عبادتك حتى تستحقرها واياك ان تنظر من عبادتك الى الله فانك ان فعلت ذلك صرت من الهالكين وهذا سر قوله اياك نعبد واياك نستعين واعلم ان نفسك الى الآن جارية مجرى خشبة عرضتها على نار خوف الجلال فلان تجعلها منحنية بالركوع حتى تترك الاستقامة مرة اخرى فان هذا الدين متين فاوغل فيه بالرفق ولا تبغض طاعة الله الى نفسك فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاذا عادت الى الاستقامة فانحدر الى الارض بنهاية العلو وقل سبحان ربي الاعلى فاذا سجدت ثانية فقد حصل لك ثلثة انواع من الطاعة ركوع واحد وسجدتان فبالركوع تنجو من عقبة الهوى الداعي الى كل الضلالات فاذا تجاوزت هذه الصفات وتخلصت عن هذه الدركات وصلت الى الدرجات العاليات وملكت الباقيات الصالحات وانتهيت الى عقبة جلال مدبر الارض والسموات فقل عند ذلك التحيات المباركات باللسان والصلوات بالاركان والطيبات

بالجنات وقوة الايمان بالله فيصعد نور روحك وينزل نور روح محمد فيتلاقى الروحان ويحصل هنالك الروح والريحان فقل السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فعند ذلك يقول محمد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فكانه قيل للنبي نلت هذه الكرامات فقل بقول لي
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا رسول الله فقيل ان محمد الذي هداك اي شئ هديتك له فقل اللهم صل على
محمد وال محمد فقيل لك ان ابرهيم هو الذي قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فما جزاؤك له فقل كما صليت على ابرهيم وعلى ال ابرهيم في العالمين
فيقال لك هذه الخيرات من محمد او ابرهيم او من الله فقل بل من الحميد المجيد انك حميد مجيد ثم ان العبد اذا ذكر الله تعم بهذه الاثنية والمدائح
ذكره الله تعم في محافل الملائكة اذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه فاذا سمع الملائكة ذلك اشتاقوا الى العبد فقال الله تعم ان
الملائكة اشتاقوا الى زيارتك فدجاؤك زائرين فابدا بالسلام عليهم لتكون من السابقين فقل عن اليمين وعن الشمال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فلا جرم اذا دخل المصلون الجنة فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار المنهج الثاني من اعظم
المخلوقات جلالة ومهابة المكان والزمان فالمكان فضاء لا نهاية له وخلاء لا غاية له والزمان امتداد وهمي شبيه بنهر خرج من قعر جبل الازل
فامتد ودخل في قعر الابد فلا يعرف لانفجاره مبدء ولا لاستقراره منزل فالاول والاخر صفة الزمان والظاهر والباطن صفة المكان وكمال
هذه الاربعة الرحمن الرحيم فالحق سبحانه وسع المكان ظاهرا وباطنا ووسع الزمان اولا واخرا وهو منزه عن الافتقار الى المكان والزمان فانه
كان ولا مكان ولا زمان فعقد المكان بالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وعقد الزمان بالعرش وكان عرشه على الماء لان جري الزمان
يشبه جري الماء فالعلو صفة الكرسي وسع كرسيه لعظمة صفة العرش العظيم وكمال العلو والعظمة لله ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم
والعلو والعظمة درجتان من درجات الكمال الا ان العظمة اقوى وفوق الكل درجة الكبرياء ردائي والعظمة ازاري ولا يخفى ان الرداء اعظم من
الازار وفوق جميع الصفات صفة الجلال وهي تقدسه في هويته المخصوصة من مناسبة الممكنات وبه يستحق الالهية ولهذا قال تع اللهوانا
الجلال والاكرام وفي التنزيل ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فالمصلي يبتغي وجه الله والداخل على السلطان يجب ان يتطهر من الادناس
والارجاس واولى المراتب التطهر من الذنوب ودنس الذنوب توبوا الى الله توبة نصوحا ثم من الدنيا حلالها وحرامها وهو الزهد ثم من الكونين الدنيا
والاخرة وهو مقام المعرفة ثم من الالتفات الى عمله وهو مقام الاخلاص ثم الالتفات الى عدم الالتفات وهو مقام المحسنين ثم الالتفات
الى كل ما سوى الله وهو مقام الصديقين ثم قم قائما وجهك للدين حنيفا واستحضر في نفسك جميع اقسام العالم من الروحانيات والجسمانيات
فقل الله اكبر من الكل كما روي ان لا يراني ولا يسمع كلامي كما قال النبي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق وافهامهم كما قال علي بن ابي طالب التوحيد ان لا تتوهمه او اكبر من ان يقدر الخلق على قضاء حق عبوديته
فاذا قلت الله اكبر فاجعل طرف عقلك في ميادين جلال الله وقل سبحانك اللهم وبحمدك ثم قل وجهت وجهي ثم انتقل الى عالم الامر والتكليف
واجعل سورة الفاتحة مراة لكي تتصرف بها عجائب الدنيا والاخرة وتطلع منها على انوار اسماء الله الحسنى وصفاته العليا والاديان السالفة
والكتب الالهية والشرائع النبوية فتصل الى الشريعة ومنها الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتشاهد درجات الكاملين ودركات الناقصين فاذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم ابصرت به الدنيا فباسمه قامت السموات والارضون واذا قلت الحمد لله رب العالمين ابصرت به الاخرة فبالحمد
قامت الاخرة واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ابصرت به عالم الجمال المشتمل على اصول النعم وفروع النوال واذا قلت مالك يوم الدين
ابصرت به عالم الجلال وما يحصل هنالك من الاحوال والاهوال واذا قلت اياك نعبد ابصرت به عالم الشريعة واذا قلت واياك نستعين
ابصرت به عالم الطريقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم ابصرت به درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات واذا قلت غير
المغضوب عليهم ولا الضالين لاحظت دركات اهل التفريط والافراط فاذا انكشفت لك هذه المقامات فان ظننت انك قد بلغت
الغايات بل عد الى الاقرار بالعجز والكبرياء ولنفسك بالهوان وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى العظمة وقل سبحان ربي العظيم ثم انتصب قائما
وادع لمن يقف موقفك حمد حمدك وقل سمع الله لمن حمده فانك اذا سئلتها الغير وجدتها لنفسك فان الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم ولا تكبير في هذا المقام لان التكبير من الكبرياء والهيبة والخوف وهذا مقام الشفاعة ثم عد الى التكبير وانحدر به الى غاية العلو وقل سبحان
ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا روي ان لله ملكا تحت العرش اسمه حزقيل فاوحى اليه ايها الملك طر فطار ثلثين الف سنة ثم ثلثين سنة
فلم يبلغ من احد طرفي العرش الى الثاني فاوحى الله اليه لو طرت الى نفخ الصور لم تبلغ الى طرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان
ربي الاعلى ما فوائد السجدتين فالاولى للازل والثانية للابد والقعدة بينهما هي الدنيا فتعرف بالازلية انه لا اول له فتسجد له وبالابدية انه
اخر له فتسجد له ثانيا وايضا الاولى فناء الدنيا في الاخرة والثانية فناء الاخرة في جلال الله تعم وايضا الاولى فناء الكل في انفسها والثانية
بقاؤها ببقائه وايضا الاولى انقياد عالم الشهادة لقدرته والثانية انقياد عالم الارواح لعزته الا له الخلق والامر وايضا الاولى سجدة الشكر بمقدار
ما اعطانا من معرفة ذاته وصفاته سجدة الخوف مما فاتنا من اداء حقوق كبريائه وايضا صلوة القاعد على النصف من صلوة القائم فنوا
السجدتين بازاء تواضع ركوع واحد وايضا ليكونا شاهدين للعبد على اداء العبادة وايضا ليناسب وجود الاخذ من الوحدة الى الكثرة

والثانية

ومن القرينة الى الزوجية وايضا الانتصاب صفة الانسان والانحناء صفة الانعام والجثوم صفة النبات ففي الركوع هضم للنفس بمرتبة واحدة
وفي السجود بمرتبتين ولعلها فاتنا من الفوائد اكثر مما ادركنا المنهج التاسع في اللطايف عن النبي ان ابرهيم ع سئل ربه فقال ما جزاء من حمد
في حينه فقال تعالى الحمد لله فاتحة الشكر وخاتمته فقال اهل التحقيق من ههنا جعلها الله فاتحة كتابه وخاتمة كلام اهل الجنة واخر دعوىهم ان الحمد لله رب
العالمين وعن علي ع ان اول ما خلق الله العقل من نوره المكنون ثم قيل له تكلم فقال الحمد لله فقال الرب وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اعز علي منك
ونقل عن ادم ع لما عطس قال الحمد لله فاول كلام لفاتحة الحمد ثاني الحمد اول كلام لخاتمة المحد ثاني الحمد فلاجرم جعلها الله تع فاتحة كتابه فاول
كلام الله الحمد لله واخر انبيائه محمد رسول الله ص وبين الاول والاخر مناسبة فجعل الحمد لله اول اية من كتاب محمد رسول الله ولما كان كذلك وضع
الابيض لمحمد رسول الله من كلمة الحمد اسمان محمد واحمد عند هذا قال ع انا في السماء احمد وفي محمد فاهل السماء في حمد الله ورسوله احمدهم والله تع
في حمد اهل الارض كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا ورسول الله محمدهم اخرى الحمد لا يحصل الا عند الفوز بحمد الرحمة والنعمة فلما كان
قال الحمد اول الكلمات وجب ان يكون الرحمة اول الافعال فلهذا سبقت رحمتي غضبي ه اخرى ان رسول الله ص اسمه احمد اي اكثر الحامدين
حمدا فوجب ان يكون رحمة الله في حقه اكثر فلهذا جاء رحمة للعالمين ه اخرى ان من اسماء رسول الله سوى شهرة محمد واحمد الحامد
والمحمود على ما جاء في الروايات وكلها تدل على الرحمة لان الحمد يتضمن النعمة فقال تع نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وقوله نبئ اشارة
الى محمد هو مذكور قبل العباد والياء في قوله عبادي ضمير الله سبحانه وكذا في اني وانا والغفور والرحيم صفة الله فالعبد يمشي يوم القيمة
وندامه الرسول ص مع خمسة اسماء له تدل على الرحمة وخلفه خمسة الفاظ من اسماء الله تع تدل على الرحمة ورحمة الرسول كثيرة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحمة الله تع غير متناهية ورحمتي وسعت كل شيء فكيف يضيع المذنب فيما بين هذه الاصناف من الرحمة ه اخرى لطيفة
في الفاتحة عشرة اشياء خمسة من صفات الربوبية الله الرب الرحمن الرحيم المالك خمسة من صفات العبودية العبادة الاستعانة طلب الهداية
طلب الاستقامة طلب النعمة في قوله انعمت عليهم كانه قيل اياك نعبد لانك انت الله واياك نستعين يا رب اهدنا يا رحمن وارزقنا
الاستقامة يا رحيم افض علينا سبحانك فضلك يا مالك ه اخرى الانسان مركب من خمسة اشياء بدن ونفس شيطانية ونفس سبعية
ونفس بهيمية وجوهر ملكي عقلي فتجلى اسم الله للجوهر الملكي فاطمأن اليه الا بذكر الله تطمئن القلوب وتجلى للنفس الشيطانية باسم الرب فلان
وانقاد لطاعة الديان ربا بعوذ بك من همزات الشياطين وتجلى للنفس السبعية باسم الرحمن وهو مركب من القهر واللطف الملك يومئذ
نصفه الحق للرحمن فترك الخصومة والعدوان وتجلى للنفس البهيمية باسم الرحيم احل لكم الطيبات فترك العصيان وتجلى للابدان بالقهر بالملكية
لان البدن غليظ كثيف فيحتاج الى قهر شديد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فاذا ظهرت هذه التجليات انغلقت ابواب النيران
وفتحت عليه ابواب الجنان ورجع النهفري كما جاء فلطاعة الابدان قال اياك نعبد ولطاعة النفس البهيمية قال اياك نستعين على ترك
اللذات وارتكاب المنكرات ولطاعة النفس السبعية قال اهدنا وارشدنا وعلى دينك ثبتنا ولطاعة النفس الشيطانية طلب الاستقامة
فقال اهدنا الصراط المستقيم وللجوهر العقلي الملكي طلب مرافقة الارواح المقدسة لا مدلسة فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين ه اخرى بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت
فشهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة تجلى نور اسم الله ومن تجلى نور اسم الرب لان الرب من التربية والعبد يربي ما فرض عليه الصلوة
وايتاء الزكوة من تجلي اسم الرحمن لان الزكوة سببها الرحمة على الفقراء وصوم رمضان من تجلي اسم الرحيم لان الصائم اذا جاع يذكر جوع
فقيل له في ذلك الفقراء فيعطيهم كما يحكى ان يوسف حين تمكن من مصر كان لا يشبع فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع وايضا الصائم يرحم نفسه لانه اذا جاع
حصل له نظام عن الالتذاذ بالمحسوسات فعند الموت يسهل عليه مفارقتها ووجوب الحج من تجلي اسم مالك يوم الدين لان الحج يوجب هجرة
الوطن ومفارقة الاهل والولد وذلك يشبه سفر القيمة وايضا الحاج يكون عاريا حافيا حاسرا وهو يشبه احوال القيمة ه اخرى الحواس خمس
ولكل ادب فادب البصر ما زاغ البصر وما طغى فاعتبروا يا اولي الابصار وادب السمع الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وادب الذوق
على يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وادب الشم اني لاجد ريح يوسف وادب اللمس والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فاستعن بانوار الاسماء الخمسة الله الرب الرحمن الرحيم المالك على تاديب هذه الحواس الخمس ه اخرى الشطر الاول من الفاتحة
مشتمل على الاسماء الخمسة لله فيفيض انوارها الى الاسرار والشطر الثاني مشتمل على الصفات الخمسة للعبد فيصعد منها اسرار الى
تلك الانوار ويحصل للعبد معراج في قرائته وتقربه الاسرار ان حاجة العبد اما لدفع ضر او جلب خير وكل منهما اما في الدنيا واما في الاخرة
فهذه اربعة وههنا قسم خامس هو الاشرف وذلك الاقبال على طاعة الله وعبوديته لا لاجل رغبة او رهبة فان شاهدت نور اسم الله
لم تطلب منها شيئا سوى الله وان طالعت نور الرب طلبت منه خيرات الجنة وان طالعت نور الرحمن طلبت منه خيرات الدنيا وان طالعت
نور الرحيم طلبت منه العصمة عن مضار الاخرة وان طالعت نور مالك يوم الدين طلبت منه الصون عن افات الدنيا الموقعة في عذاب الاخرة
اعاذنا الله منها ه اخرى للتجلي ثلث مراتب تجلي الذات قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا لعظماء الانبياء والملائكة المقربين وهذه

نهاية الاحوال ويدل عليها اسم الله وتجلي الصفات وهو في اواسط الاحوال يكون للاولياء واولى الالباب الذين يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا ويدل عليه اسم الرحمن وتجلي الافعال والايات وهو في بداية الاحوال يكون لعامة العباد الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ويدل عليه لفظ الرحيم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ه اخرى في الفاتحة كلمتان مضافتان الى اسم الله بسم الله والحمد لله بسم الله لبداية الامور والحمد لله لخواتم الامور بسم الله ذكر والحمد لله شكر بسم الله استحق الرحمة رحمن الدنيا وبالحمد لله استحق رحمة اخرى رحيم الاخرة وكلمتان اضيف اليهما اسمان لله رب العالمين مالك يوم الدين فالربوبية لبداية حالهم الست بربكم قالوا بلى والملك لنهاية حالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وبينهما اسمان مطلقان لوسط حالهم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء المنهج العاشر للخلق خمس احوال اولها الايجاد والتكوين والابداع ويدل عليه اسم الله وثانيها التربية في مصالح الدنيا ويدل عليه اسم الرب ثالثها التربية في معرفة المبدأ ويدل عليه اسم الرحمن ورابعها في معرفة المعاد ويدل عليه اسم الرحيم كي يقدم على ما ينبغي ويحجم عما لا ينبغي وخامسها نقل الارواح من عالم الاجساد الى المعاد ويدل عليه اسم مالك يوم الدين ثم ان العبد اذا انتفع بهذه الاسماء صار من اهل المشاهدة فقال اياك نعبد لانك انت الله الخالق واياك نستعين لانك الرب الرزاق اياك نعبد لانك الرحمن واياك نستعين لانك الرحيم اياك نعبد لانك الملك اياك نستعين لانك المالك نعبد لانا ننتقل من دار الشرور الى دار السرور ولا بد من زاد وخير الزاد العبادة واياك نستعين لان الذي نكتسب بقوتنا وقدرتنا لا يكفينا فان السفر طويل والزاد قليل ثم اذا حصل الزاد باعانتك فالشقة شاسعة والطرق كثيرة فالطريق لا ان يطلب الطريق ممن هو بارشاد السالكين حقيق اهدنا الصراط المستقيم ثم انه لا بد لسالك الطريق الطويل من رفيق ودليل صراط الذين انعمت عليهم فالانبياء ادلاء والصديقون والشهداء والصالحون رفقاء غير المغضوب عليهم ولا الضالين لان الحجب قسمان نادية وهي الدنيا بما فيها ونورية وهي ما سواها اللهم ارفع عنا كلها الحجب بينك وبيننا انك رب العالمين ومالك يوم الدين

سورة البقرة مدنية مائتان وست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون

القراءة لا ريب بالمد خلف والعجلي عن حمزة وخلف لنفسه كذلك قوله تعالى لا اخير و لا جرم هاء كناية في جميع القران هدى للمتقين مدغما من غير غنة حمزة وعلي وخلف ويزيد وورش من طريق النجاري والهاشمي عن ابن كثير وكذلك يدغمون النون الساكنة والتنوين في الياء حيث وقعت ابو عمرو بالوجهين ادغام الغنة واظهارها الباقون باظهار الغنة واسقاطها وهي صوت من الخيشوم يومنون غير مهموز ابو عمرو ويزيد وورش والاعشى وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الافعال الا في احرف يسيرة تذكر في مواضعها الباقون بالهمزة باب في المد بما انزل اليك وما انزل من قبلك بالمد عاصم وعلي وحمزة وخلف وابن ذكوان فلا يفرقون بين مد الكلمة والكلمتين وكذلك روى ورش عن نافع والباقون يفرقون فيمدون الكلمة ولا يمدون الكلمتين فاطول الناس مدا ورش عن نافع وحمزة وخلف في اختياره والاعشى ومدهم بمنزلة ربع الف واوسطهم مدا علي وابن ذكوان وعاصم غير الاعشى واقصرهم مدا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وابو عمرو وسهل ويعقوب وهشام واصل المد الف ساكنة على قدر فتحة فيلك فتحتان تامتان وبالاخرة بترك الهمزة ونقلها الى الساكن الذي قبلها حيث كان ورش وكذلك حمزة في الوقف فان مذهبه ان يقف على كل كلمة مهموزة بغير همزة باب السكتة عن روى عن حمزة وحماد السموات انهم يسكتون على حرف ساكن بعد همزة سكتة لطيفة نحو الارض والانهار وقالوا امنا واشباه ذلك والسبب فيه التمكين والمبالغة في تحقيقها لان الهمزة بعد السكتة كالمبتداء بها والاختيار في الكلمة الواحدة ان لا تسكت على ساكن غير لام التعريف احترازا عن قطع الكلمة الوقوف الم للاختلاف لا ريب ج على حذف خبر لا تقديره لا ريب فيه ثم تستانف فيه هدى ومن وصل جعل فيه خبر لا او وصف ريب وحذف خبر لا تقديره لا ريب فيه عند المؤمنين والوقف على التقديرين على فيه وهدى خبر مبتداء محذوف اي هو هدى ومن جعل هدى حالا للكتاب بالعامل معنى الاشارة في ذلك على تقدير اشير الى الكتاب هاديا لم يقف قبل هدى للمتقين لا لان الذين صفتهم ينفقون للعطف ليدخل عبد الله بن سلام واصحابه في المتقين فان القران لهم هدى كما دخل الصحابة المؤمنون بالغيب في ثناء الهدى ووعد الفلاح ولو ابتدأ والذين

كان اولئك على هدى خبرهم مختصا بهم واختص هدى القرآن واسم التقوى بالذين يؤمنون بالغيب من تلك لاختلاف النظم بتقديم المفعول
يوقنون ط لان اولئك مبتدأ وليس بخبر عما قبله وكذلك على كل آية وقف بها الا ما اسلم بعلامة لا المفلحون التفسير وفيه ابحاث البحث
الاول في الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها في قولهم الف با تا ثا اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم لان الضاد مثلا لفظ
مفرد دال بالتواطؤ على معنى مستقل بنفسه غير مقترن باحد الازمنة وذلك المعنى هو الحرف الاول من ضرب مثلا فيكون لفظ الضاد
اسما ولهذا قد يتصرف في بعضها بالامالة نحو باتا وبالتفخيم نحو با تا وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد اليه والاضافة
وقولهم با تا ثا متهجاة ومقصورة نحو لا وقولهم كتبت باء بالمد نحو كتبت لاء لا يدل على انها حروف مثل لا فانهم انما فعلوا كذلك في التهجي
لكثرة الاستعمال واستدعائها التخفيف الذي رواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فاتفق ما وقع في عبارات المتقدمين انها حروف التهجي حملوه بان يصرف الى التسامح والتجوز
لانه اسم للحرف وهما متلازمان ولان الحروف قد يطلق على الكلمة تسمية للجنس باسم النوع ويحكى عن الخليل انه سأل اصحابه كيف تنطقون
بالباء التي في ضرب والكاف التي في ذلك فقالوا نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم لا الحرف وقال اقول ب ك ثم انهم راعوا في هذه التسمية
لطيفة وهي انهم جعلوا المسمى صدر كل اسم منها الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ابداع
اللفظ دلالة على المعنى البسملة والحيعلة والتهليل ونحوها وحكم هذه الاسماء سكون الاعجاز ما لم تليها العوامل فيقال الف لام ميم موقوفا
عليها لفقد مقتضي الاعراب نحو واحد اثنان ثلاثة دار ثوب جارية فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب نحو هذه الف وكتبت الفا ونظرت
الى الف والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين وللناس في الم وما يجري مجراه في فواتح السور قولان احدهما ان هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به والتخاطب بالحروف
المفردة سنة الاحباب في سنن المحاب فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب شعر بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
عن ابي بكر في كل كتاب سر وسره في القرآن اوائل السور وعن علي كرم الله وجهه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي
قال بعض العارفين العلم كبحر اجري منه واد ثم اجري من الوادي نهر ثم اجري من النهر جدول ثم اجري من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر
والنهر لا يحتمل الوادي ولهذا قال عز من قائل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فبحر العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية
ثم اعطى الرسل من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطى العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت العامة سواقي الى اهاليهم
بقدر طاقتهم وهذا ماخوذ مما ورد في الخبر للعلماء سر وللانبياء سر وللملائكة سر ولله من بعد ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو
اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة
على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين والسبب في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش
وسئل الشعبي عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هو من المتشابه وزيف
هذا القول بنحو قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن تبيانا لكل شيء هدى للمتقين وانما يمكن التدبر ويكون تبيانا وهدى اذا كان مفهوما
وبقوله اني تركت فيكم الثقلين ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم وايضا لا يخاطب المكلف
بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوما وعورض بقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والوقف هنا لان
الراسخين لو كانوا عالمين به لما كان الايمان به كالايمان بالمحكم فلا يكون في الايمان به مزيد مدح ولا يكون في قوله كل من عند
ربنا فائدة على ما لا يخفى وبقوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد روينا عن كبار الصحابة ما رويناه وايضا الافعال التي كلفنا
بها منها ما يظهر وجه الحكمة فيه كالصلوة فان فيها تواضعا للمعبود والصوم ففيه كسر الشهوة والزكوة ففيها سد خلة المساكين ومنها ما لا
يظهر فيه الحكمة ككثير من افعال الحج ويحسن من الله تعالى الامر بالنوعين لظهور الامتثال بهما بل كمال الانقياد في النوع الثاني اظهر واكثر
فلم لا يجوز ان يكون في الاقوال ايضا مثل ذلك مع ان فيه فائدة اخرى هي اشتغال السر بذكر الله والتفكر في كلامه القول الثاني ان المراد
من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه الاول انها اسماء وهو قول اكثر المتكلمين اختيار الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة
لام الطائي وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون وسيجيء تمام الكلام في هذا القول الثاني انها اسماء الله تعالى
روي عن علي انه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق ويقرب منه ما روي عن سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى فان الر حم ن مجموعها
اسم الرحمن لكنا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع الثالث انها اسماء القرآن وهو قول الكلبي والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف
دال على اسم من اسماء الله تعالى وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه احد اول اخر ازلي ابدي واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه
مجيد ملك منان وفي كهيعص الكاف لكفايته لعباده والهاء هاد والياء من الحكيم والعين عالم والصاد صادق او الكاف محمول على الكبير
الكريم والياء على انه مجير والعين على العزيز والعدل يروى هذا عن ابن عباس وعنه ايضا في الم انا الله اعلم وفي المص انا الله اعلم وافصل

البحث الاول

في تفسير ... العلماء بالبحر

في تفسير كهيعص

في تفسير الم

وفي الر انا الله ارى الخامس انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده قاله محمد بن كعب القرظي السادس الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم اي انزل الله الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم السابع الالف انا واللام لي والميم مني قاله بعض الصوفية الثامن ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد يكون كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران اي ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر قاله المبرد وجم غفير التاسع كانه تعالى يقول اسمعوها مقطعة حتى اذا وردت عليكم مؤلفة كنتم قد عرفتموها قبل ذلك هذا على طريقة تعليم الصبيان قاله عبد العزيز بن يحيى العاشر ان الكفار لما قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه انزل الله تعالى هذه الاحرف رغبة في اصغائهم اليها ليهجم عليهم القران من حيث لا يشعرون قاله ابو روق وقطرب الحادي عشر قول ابي العالية انه حساب على ما روى ابن عباس انه مر ابو ياسر بن اخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو سورة البقرة الم ذلك الكتاب ثم اتى اخوه حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف فسألوا عن الم وقالوا ننشدك الله الذي لا اله الا هو احق انها اتتك من السماء فقال صلى الله عليه وسلم نعم كذلك نزلت فقال حيي ان كنت صادقا اني لاعلم اجل هذه الامة من السنين ثم قال كيف ندخل في دين رجل دلت هذه الحروف بحساب الجمل على ان منتهى اجل امته احدى وسبعون سنة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حيي فهل غير ذلك فقال نعم المص فقال حيي مائة واحدى وستون فهل غير هذا فقال نعم الر فقال حيي نشهد ان كنت صادقا ما ملكت امتك الا مائتين واحدى وثلثين سنة فهل غير هذا فقال نعم المر فقال حيي لا ندري باي اقوالك ناخذ فقال ابو ياسر اما انا فاشهد ان انبياءنا قد اخبروا عن ملك هذه الامة ولم يبينوا انها كم تكون فان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فيما يقوله اني لاراه يستجمع له هذا كله فقام اليهود وقالوا اشتبه علينا امرك فانزل الله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الثاني عشر انه دال على انقطاع كلام واستيناف كلام آخر الثالث عشر قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها يتحاورون ويذكرون الله ويوحدونه واقتصر على البعض والمراد الكل كما تقول قرات الحمد تريد السورة كلها اقسم الله بها ان هذا الكتاب هو المثبت في اللوح المحفوظ الرابع عشر ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا فلما اخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بها من غير تعلم خط وقراءة كان ذلك دليلا على انه استفاد ذلك من قبل الوحي الخامس عشر قال القاضي الماوردي معناه الم ذلك الكتاب يعني انه هذا الاتيان في كل فاتحة السادس عشر الالف اشارة الى ما لا بد منه من الاستقامة على الشريعة في اول الامر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا واللام اشارة الى الحاصل بعد المجاهدات وهو رعاية الطريقة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والميم اشارة الى صيرورة العبد في مقام المحبة كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وهو مقام الفناء في الله بالكلية وهو الحقيقة قل الله ثم ذرهم السابع عشر الالف من اقصى الحلق واللام من طرف اللسان وهو وسط المخارج والميم من الشفة وهو آخر المخارج اي اول ذكر العبد ووسطه وآخره لا ينبغي الا لله الثامن عشر سمعت بعض الشيعة يقول هذه الفواتح اذا حذف منها المكررات بقي ما يمكن ان يتركب منه علي صراط حق نمسكه وهذا غريب مع انه متكلف فلهذا اوردته واعلم ان الباقية من الفواتح بعد حذف المكرر اربعة عشر نصف عدد حروف المعجم بعد الكسر قد اورد الله الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم وهذه الباقية تشتمل على انصاف اجناس الحروف من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الكطق ومن الرخوة نصفها المرصهعسحين ومن المطبقة نصفها ص ط ومن المنفتحة نصفها الركهوسح قين ومن المستعلية نصفها ق ص ط ومن المنخفضة نصفها المركه ي ع س ح ن ومن حروف القلقلة نصفها ق ط واكثر الفاظ القران من هذه الحروف وهذا دليل على ان الله تعالى عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم كما مر في الوجه الثامن ويؤيد ذلك ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين والله اعلم التاسع عشر قيل معناه الست بربكم الالف واللام من اوله والميم من آخره اي اخذت منكم كتاب العهد في يوم الميثاق والمختار من هذه الاقوال عند الاكثرين القول بانها اسماء السور ثم انه عورض بوجوه الاول انا نجد سورا كثيرة اتفقت في التسمية بالم وحم والمقصود من العلم رفع الاشتباه الثاني لو كانت اسماء لاشتهرت وتواترت الثالث العرب لم يتجاوزوا ما سموا به مجموع اسمين نحو معدي كرب وبعلبك ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور خروج عن لغتهم الرابع لو كانت اسماء لاشتهرت السورة بها لكنها اشتهرت بغيرها نحو سورة البقرة وآل عمران الخامس هذه الالفاظ داخلة في السور وجزؤه وجزء الشيء متقدم على الشيء بالرتبة واسم الشيء متاخر عن الشيء فلزم ان يكون متقدما متاخرا معا وهو محال وليس هذا كتسميتهم صاد للحرف الاول منه فان هذا كتسمية المفرد بالمؤلف فلا يلزم الا تاخر المركب عن المفرد بوجهين وهذا التسمية المؤلف بالمفرد ويلزم المحال المذكور واجيب عن الاول بما يجاب عن الاعلام المشتركة من انها ليست بوضع واحد مع انه لا يبعد ان يجعل مشتركا حتى يتميز كل واحد من الآخر بعلامة اخرى لحكمة خفية وعن الثاني بان تسمية السورة بلفظة معينة ليست من الامور التي يتوفر الدواعي على نقلها وعن الثالث بان التسمية بثلاثة اسماء خروج عن كلام العرب

في حروف المهموسة

في حروف المجهورة

في حروف المستعلية

في حروف المنخفضة

ولكن اذا جعلت اسما واحدا نائما مشتوده نثراسماء فلا استنكار لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية نحو برق نحره وكالو سمى ببيت شعر
وحمانقذ من اسماء حروف المعجم وعن الرابع انه لايبعد ان يصير اللقب اشهر من الاسم عن الخامس ان تأخرها هو متقدم باعتبار داخل
غير مستعمل في لسان الصوفية ان هيئات الصلوة ثلث القيام والركوع والسجود فالالف اشارة الى القيام واللام الى الركوع والميم الى السجود
اى من قرء فاتحة الكتاب في الصلوة التي هي معراج المؤمن شرفه الله بالهداية في قوله هدى للمتقين وعلى هذا فيكون ذلك الكتاب اشارة
الى الفاتحة لانها ام الكتاب ثم ان هذه الاسماء ضربان احدهما ما لا يتأتى فيه الاعراب نحو كهيعص المر وثانيهما ما يتأتى فيه الاعراب لكونه اسما
فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكقولك طسم اذا فتحت نونها صارت
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا والثاني فيه امران الاعراب والحكاية فاذا اعرب منع الصرف للعلمية والتأنيث قال الشاعر يذكرني حاميم والرمح
شاجر : فهلا تلا حاميم قبل التقدم والحكاية ان يجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته نحو قولك بدأت بالحمد لله قال ذو الرمة شعر
سمعت الناس ينتجعون غيثا : فقلت لصيدح انتجعي بلالا :: واما من قرأ صاد وقاف ونون مفتوحات فبفعل مضمر نحو اذكر او حركت لالتقاء
الساكنين واستكره جعلها مقسما بها على طريق قولهم نعم الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم لان القرآن والقلم بعدها
محلوف بهما واستكره الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد ولهذا قال الخليل الواو الثانية في قوله عز من قائل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى
واو العطف لا القسم نحو تحبونني ثم تحبونك لا فعلن ولو كان انقضى قسم بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر نحو بالله لافعلن تالله لاخرجن
ولا سبيل فيما نحن بصدده الى جعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب اللهم الا ان يقدر مجروره باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لافعلن مجرورا واعرابها فتحة في موضع الجر لكونها غير منصرفة واما من قرأ صاد وقاف بالكسر فلالتقاء الساكنين وهذه
الفواتح جاءت في المصحف مكتوبة على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها لان المألوف انه اذا قيل للكاتب اكتب صاد مثلا فانه يكتب مسماها
صر يفا واشتهار امرها بان المراد بها الاسامي لا المسميات امن وقوع اللبس فيها وايضا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض
لان المعتبر هناك الملفوظ ومن لم يجعل هذه الفواتح اسماء السور فلا محل لها عنده كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ومن جعلها
اسماء للسور فسنخبرك عن تأليفها مع ما بعدها ان شاء الله حسبي البحث الثاني في قوله ذلك الكتاب وفيه مسائل الاولى انما صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد لانه وقعت الاشارة به الى الم بعد ما سبق التكلم به والمنقضي في حكم المتباعد ولهذا يحيب الحاسب ثم يقول فذلك كذا او
لانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك قد اعطيته شيئا احفظ بذلك او لانه وان كان حاضرا
نظرا الى الفاظه لكنه غائب نظرا الى اسراره وحقائقه او لانه على مقتضى الوضع اللغوي لا العرفي او لانه اشارة الى ما نزل بمكة قبل سورة البقرة
وقد يسمى بعض القرآن قرآنا او لانه اشارة الى ما وعد به الرسول عند مبعثه انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او لانه اشارة الى ما اخبر به الانبياء
ان الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل او المراد ان هذا المنزل هو ذلك المثبت في اللوح المحفوظ كقوله وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
الثانية انما ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة في بعض الوجوه نظرا الى صفته وهو الكتاب كقولك هند ذلك الانسان
قال الذبياني نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري وان جعلت الكتاب خبرا فنظرا الى ان ذلك في معناه ومسماه
مجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما يجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك الثالثة للقرآن اسماء كثيرة منها الكتاب والقرآن وقد تقدم
ومنها الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان لانه نزل متفرقا في نيف وعشرين سنة او لانه يفرق بين الحق والباطل ومنها التذكرة والذكرى
والذكر وانه لتذكرة للمتقين وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وانه لذكر لك ولقومك اي ذكر من الله تعالى ذكر به عباده فعرفهم تكاليفه او
شرف وفخر ومنها التنزيل وانه لتنزيل رب العالمين ومنها الحديث الله نزل احسن الحديث شبهه بما يتحدث به فان الله تعالى خاطب به
المكلفين ومنها الموعظة قد جاءتكم موعظة من ربكم ومنها الحكم والحكمة والحكيم والمحكم وكذلك انزلناه حكما عربيا حكمة بالغة
تلك آيات القرآن الحكيم كتاب فصلت آياته ومنها الشفاء والرحمة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنها الهدى
والهادي هدى للمتقين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ومنها الصراط المستقيم وان هذا صراطي مستقيما ومنها حبل الله واعتصموا
بحبل الله جميعا ومنها الروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لانه سبب لحيوة الارواح ومنها القصص ان هذا لهو القصص
الحق ومنها البيان والتبيان والمبين هذا بيان للناس تبيانا لكل شيء تلك آيات الكتاب المبين ومنها البصائر هذا بصائر من ربكم
ومنها الفصل انه لقول فصل ومنها النجوم فلا اقسم بمواقع النجوم لانه نزل نجوما ومنها المثاني مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم لانه يثنى فيه القصص والاخبار ومنها النعمة واما بنعمة ربك فحدث قال ابن عباس اي القرآن ومنها البرهان قد جاءكم برهان
من ربكم ومنها البشير والنذير قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا ومنها القيم قيما لينذر بأسا شديدا ومنها المهيمن مصدقا لما
بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ومنها النور واتبعوا النور الذي انزل معه ومنها الحق وانه لحق اليقين ومنها العزيز وانه لكتاب عزيز
ومنها الكريم انه لقرآن كريم ومنها العظيم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ومنها المبارك كتاب انزلناه اليك مبارك فهذه

جملة الاسماء وسيجيء تفاسيرها في مواضعها الرابعة في تاليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم
مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول اي هو الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل
اي الكامل في الرجولية وكقوله شعر هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان
يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم وذلك الكتاب جملة
اخرى وفقد العاطف لان الثانية بيان للاولى وان تجعل الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو
الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وفي قراءة
عبد الله بن مسعود الم تنزيل الكتاب البحث الثالث في قوله لا ريب فيه مصدر رابني وحقيقته قلق النفس وفي الحسن بن علي عن النبي
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة اي كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس وكونه صحيحا صادقا مما
تطمئن له ومنه ريب الزمان لنوائبه المقلقة وفي الحديث ان النبي مر بظبي حاقف اي معوج مضطجع وهو محرم فقال لا يريبه احد
بشيء اي لا يزعجه والحاصل ان الريب شك وزيادة ظن سوء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من شقي مرتاب فيه
قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب بمظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه ومثله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لم يقل واذ كنتم مع وقوع الشك منهم في الواقع لدلالة
على ان الشك فيه مما لا ينبغي ان يوجد الا على سبيل الفرض والتقدير لو فرض فوجه ازالته ان يجربوا انفسهم ويبرزوا قواهم في البلاغة
هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فان قلت هلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول قلنا لان المقصود منها
ليس الا نفي الريب عنه واثبات انه حق ولو عكس لافاد ذلك مع ما ليس بمراد ولا هو بصادق في نفس الامر وهو التعريض بان ريبا في غيره من
الكتب كما ان في قوله لا فيها غول تعريضا بان خمور الدنيا تغتال العقول وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع قيل والفرق بينها وبين المشهورة
توجب الاستغراق وهذه تجوزه ويمكن ان يقال كلاهما يوجب الاستغراق الا ان الاول بطريق نفي الماهية والثاني لان قوله لا ريب جواب
قول القائل هل ريب فيه وهذا يفيد ثبوت فرد واحد فنقيضه يكون سلب جميع الافراد البحث الرابع في قوله هدى للمتقين وفيه
مسائل الاولى في حقيقة الهدى هو مصدر على فعل كالسرى وهو على الاصح عبارة عن الدلالة وقيل بشرط كونها موصلة الى البغية بدليل وقوعه
في مقابل الضلالة اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولانه يقال مهدي في معرض المدح فلو احتمل ان يقال هدى فلم يهتد لم يكن
مدحا ولان مطاوعه اهتدى فيلزمه واجيب بانه مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى وبان قولنا مهدي انما افاد المدح لانه من المعلوم ان
الوسيلة اذا لم تفض الى المقصود كانت كالعدم وبالمنع من ان اهتدى لازم هدى لزوما كليا اذ يصح في العرف ان يقال هديته فلم يهتد
قال عز من قائل واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال بعضهم الهدى الاهتداء فان زعم مطلقا فخطأ لوقوعه صفة للقرآن
وان زعم حينا فصحيح لوقوعه في مقابلة الضلالة الثانية المتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهذه الدابة تتقي من وجاها
اذا اصابها ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء وهو في الشرع المؤمن المأمور بالتجنب عن المحظورات
واختلف في الصغائر انه اذا لم يتقها فهل يستحق هذا الاسم وروي عنه انه لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
حقيقة التقوى الخشية يا ايها الناس اتقوا ربكم وقد يراد بها الايمان والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد وقد يراد التوبة ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا اي تابوا وقد يراد الطاعة ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وقد يراد ترك المعصية واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله
وقد يراد الاخلاص فانها من تقوى القلوب اي من اخلاصها والتقوى مقام شريف ان الله مع الذين اتقوا وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وعن ابن عباس ان النبي قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس
فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده وقال علي التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وعن ابراهيم بن ادهم
ان لا يجد الخلق في لسانك عيبا ولا الملائكة المقربون في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا الواقدي ان تزين سرك للحق كما تزين
ظاهرك للخلق ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك ولله در القائل خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى :: كن مثل ماش
في طريق الشوك يحذر ما يرى :: لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى وفي قوله هدى للمتقين في موضع اخر شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن هدى للناس دليل على ان الناس مخصوص بالمتقين والباقون كالانعام بل هم اضل الثالثة لم اختص كون القرآن هدى
للمتقين وايضا المتقي مهتد فكيف يهدى ثانيا والجواب المتقين لما كانوا هم المنتفعين بالهداية خصوا كقوله انما انت منذر من يخشاها
انما تنذر من اتبع الذكر مع انه منذر لكل الناس وبانه قوله هدى للمتقين كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة
واستدامة ما هو ثابت فيه ويوجه اخر سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين نحو من قتل قتيلا فله سلبه وهذا مجاز من باب
تسمية الشيء بما هو ائل اليه وفيه لطف فانه لو قال الهدى للصائرين الى التقوى بعد الضلال لكان اطنابا في غير موضعه فان تصدير السورة

هي اعلى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده هو اللائق بالمقام فاختص الكلام باجرائه على الطريقة
التي ذكرنا فان قلت كيف وصف القرآن بانه كله هدى وفيه مجمل ومتشابه لا يهتدى فيه الى المقصود الا بحكم العقل فيكون الهدى
في ذلك للعقل لا للقرآن ومما يؤكده ما قلنا ما نقل عن علي ؓ انه قال لابن عباس حين بعثه رسولا الى الخوارج لا تحتج عليهم بالقرآن فانه خصم
ذو وجهين ولهذا كان فرق الاسلام المحق منهم والمبطل يحتجون به قلنا المتشابه لما لم ينفك عما يبين المراد معه على التعيين عقلا كان
او سمعا صار كله هدى فان قيل كل ما يتوقف صحة كون القرآن هدى على صحته كمعرفة الله تعالى وصفاته وكمعرفة النبوة فالقرآن ليس
هدى فيه فكيف جعل فيه هدى على الاطلاق قلنا المراد كونه هدى في تعريف الشرايع والمطلق لا يقتضي العموم او كونه هدى تأكيد لما في
العقول ايضا فيتم الرابعة محل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف وخبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدأ اذا جعل الظرف المقدم خبرا
عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يقال الم جملة برأسها او طائفة
من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وفقد العاطف بينها لمجيئها متاخية
اخذ بعضها بحجزة بعض لانه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي
عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان تسجيلا بكماله فلا كمال اكمل مما للحق واليقين ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا
لا يحوم الشك حوله ثم في كل من الجمل نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه كما مر في الوجه الثامن وفي
الثانية ما في التعريف من الفخامة اي الكتاب الذي ليس اهلا ان يقال له الكتاب وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين البحث الخامس في قوله تعالى الذين يؤمنون الآية
وفيه مسائل الاولى الذين يؤمنون اما موصول بالمتقين صفة او نصب على المدح او رفع كذلك بتقدير اعني الذين او هم
الذين او مرفوع بالابتداء مخبر عنه باولئك على هدى الثانية الذين يؤمنون على تقدير كونه صفة يكون اما واردة بيانا او كشفا
وذلك ان فسر المتقي بانه الذي يفعل الحسنات ويجتنب السيئات لان الايمان اساس الحسنات والصلوة ام العبادات البدنية
قال ؑ الصلوة عماد الدين وبين العبد وبين الكفر ترك الصلوة والزكوة افضل العبادات المالية قال ؑ الزكوة قنطرة الاسلام فخصهم في
الكلام اختصارا بذكر ما هو كالعنوان لسائر الطاعات وكالاصول لبواقي الحسنات ويندرج فيها اجتناب الفواحش والمنكرات لقوله
عز من قائل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واما مسرودة مع المتقين مفيدة غير فائدتها وذلك اذا فسر المتقي بالمجتنب عن
المعاصي فقط ثم انه يكون قد وصف بالايمان وهو فعل القلب باداء الصلوة والزكوة وهما من افعال الجوارح وهذا ترتيب مناسب
لان لوح القلب يجب تخليته عن النقوش الفاسدة اولا ثم تحليته بالعقائد الحقة والاخلاق الحميدة واما معدودة عدا على سبيل
المدح والثناء وذلك اذا فرض المتقي موسوما بهذه السمات مشهورا بهذه الصفات غير محتاج لذلك الى البيان والايضاح كصفات
الله الجارية عليه تعالى تمجيدا وتعظيما الثالثة الايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته
آمنه التكذيب والمخالفة والتعدية بالباء لتضمينه معنى اقر واعترف او وثق به قال في التفسير الكبير اختلف اهل القبلة في مسمى الايمان
على اربعة اقوال الاول قول المعتزلة والخوارج والزيدية واهل الحديث انه اسم لافعال القلوب واللسان والجوارح لكن المعتزلة قالوا
الايمان اذا عدي بالباء فمعناه التصديق على تضمين الاقرار او الوثوق كما مر من حيث اللغة واما اذا ذكر مطلقا فمنقول الى معنى آخر وهو
ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو فاسق ثم اختلفوا فبعضهم كواصل بن
عطاء والقاضي عبد الجبار قالوا الايمان عبارة عن فعل كل الطاعات سواء كانت واجبة او مندوبة او من باب الاقوال والافعال او
الاعتقادات وبعضهم كابي علي وابي هاشم انه عبارة عن فعل الواجبات فقط دون النوافل وبعضهم كالنظام انه عبارة عن اجتناب كل
ما جاء فيه الوعيد ثم يحتمل ان يكون من الكبائر ما لم يرد فيه من الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب كل الكبائر والمؤمن عندنا من اجتنب
كل ما ورد فيه الوعيد والخوارج قالوا الايمان بالله يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع الله عليه دليلا عقليا او نقليا من الكتاب و
السنة ويتناول طاعة الله في جميع ما امر به من الافعال والتروك صغيرا كان او كبيرا فالمجموع هذه الاشياء هو الايمان وترك كل خصلة
من هذه الخصال كفر واهل الحديث ذكروا وجهين الاول ان المعرفة ايمان كامل وهو الاصل ثم بعد ذلك كل طاعة ايمان على حدة
وهذه الطاعات لا يكون منها شيء ايمانا الا اذا كانت مترتبة على الاصل الذي هو المعرفة وزعموا ان الجحود وانكار القلب كفر ثم كل معصية
بعده كفر على حدة ولم يجعلوا شيئا من الطاعات ايمانا ما لم يوجد المعرفة والاقرار ولا شيئا من المعاصي كفرا ما لم يوجد الجحود والانكار
الثاني ان الايمان اسم للطاعات كلها فريضة او نافلة الا انه اذا ترك فريضة انتقص ايمانه وان ترك نافلة لم ينتقص ومنهم من قال
الايمان اسم للفرائض دون النوافل القول الثاني قول من قال الايمان بالقلب واللسان معا ثم اختلفوا على مذاهب الاول ان الايمان
اقرار باللسان ومعرفة بالجنان وهو مذهب ابي حنيفة وعامة الفقهاء ثم اختلفوا في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم

من قال هي الاعتقاد الجازم سواء كان اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون بان المقلد مسلم ومنهم
من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما في ان العلم المعتبر في تحقق الايمان علم بماذا قال بعض المتكلمين هو العلم بالله وبصفاته
على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف الخلق في صفات الله تعالى فلا جرم اقدم كل طائفة على تكفير من عداه من الطوائف وقال
ان المعتبر هو العلم بكل ما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا العلم بكونه تعالى عالما بالعلم او بذاته مرئيا او غير مرئي
لا يكون داخلا في مسمى الايمان المذهب الثاني ان الايمان هو التصديق بالقلب واللسان معا وهو مذهب الحسن الاشعري و
بشر المريسي والمراد من التصديق الكلام القائم بالنفس المذهب الثالث كلام بعض الصوفية الايمان اقرار باللسان واخلاص
بالقلب القول الثالث قول من قال الايمان عبارة عن عمل القلب فقط ثم هؤلاء من قال الايمان معرفة الله بالقلب حتى ان
من عرف الله بقلبه ثم جحد بلسانه ومات قبل ان يقر به فهو مؤمن كامل الايمان وهو قول جهم بن صفوان وزعم ان معرفة
الكتب والرسل واليوم الآخر غير داخلة في حقيقة الايمان وحكى الكعبي عنه ان الايمان معرفة الله مع معرفة كل ما علم بالضرورة كونه
من دين محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال الايمان مجرد التصديق بالقلب القول الرابع قول من قال الايمان هو الاقرار باللسان فقط ثم منهم
من قال شرط كونه ايمانا حصول المعرفة في القلب ومنهم من قال لا حاجة بنا الى هذا الشرط ايضا بل المنافق مؤمن الظاهر كافر السريرة له حكم المؤمن
في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهذا قول الكرامية ثم قال الامام رحمه الله تعالى عندي ان الايمان عبارة عن التصديق بكل ما عرف بالضرورة
كونه من دين محمد صلى الله عليه وسلم مع الاعتقاد فههنا قيود الاول ان الايمان عبارة عن التصديق وذلك ان الايمان لما كان من الالفاظ دورانا على السنة
المسلمين فلو صار منقولا الى غير مسماه الاصلي لتوفرت الدواعي على نقل هذا وتواتر وليس كذلك وايضا الايمان المعدى بالباء على صلة
انما هو فعل المعدى ايضا يكون كذلك وايضا كلما ذكر الله تعالى الايمان في القرآن اضافه الى القلب وقلبه مطمئن بالايمان كتب في قلوبهم
الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم وايضا قرن الايمان بالعمل الصالح ولو كان العمل داخلا في الايمان لزم التكرار وايضا قرن الايمان
بالمعاصي الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والذين آمنوا ولم يهاجروا مع عظم الوعيد في
ترك الهجرة قال ابن عباس في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص انما يجب القصاص على القاتل المتعمد ومع ذلك ناداه
في الخطاب ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء وهذه الاخوة ليست الا اخوة الايمان انما المؤمنون اخوة ثم قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
يؤمنون القيد الثالث ليس عبارة عن مطلق التصديق لان من صدق بالجبت والطاغوت لا يسمى مؤمنا القيد الرابع لا يشترط التصديق
بجميع صفات الله تعالى لقوله اعتقها فانها مؤمنة بعد قولها الله في السماء ويعم ما ذكرنا ان من عرف الله بالدليل
وكان تم العرفان مات ووجد من الوقت ما امكنه التلفظ بكلمة الشهادة لكنه لم يتلفظ بها كان مؤمنا وكان الامتناع عن النطق جاريا
مجرى المعاصي التي يؤتى بها مع الايمان وهذا حكم الغزالي رحمه الله قلت وبالله التوفيق التحقيق في المقام ان للايمان وجودا في الاعيان ووجودا
في العبارة ولا ريب ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب
بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل للقوة والضعف
والاشتداد والنقص كسائر الانوار واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوى الايمان ويتكامل الى
ان يتبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيء في موضعه فيظهر له
صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين في جميع ما اخبروا عنه اجمالا او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره و
ينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور به وترك الاجتناب عن كل محظور فينضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة والملكات الحميدة
نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء واما الوجود الذهني فيما لاحظه المؤمن لهذا النور ومطالعته
له وموافقته واما الوجود اللفظي فعبارته ما اصطلح عليه الشارع من شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولا يخفى ان مجرد
التلفظ بقولنا لا اله الا الله محمد رسول الله من غير النور المذكور لا يسمى للعطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير عما في الضمير
لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل مشتبه كان للتلفظ بكلمة الشهادة ولعدم التلفظ بها مدخل عظيم في الحكم باسلام
المرء وكفره فيصح جعل ذلك مما ينخرط في سلك من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليها وتفويض امر الباطن الى عالم
الخفيات المطلع على السرائر والنيات ولهذا قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله الرابعة يجوز ان يكون بالغيب صلة للايمان اي يعترفون او يثقون به على هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية
بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما ان يكون مخفف فيعل والمراد
به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليل عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان
يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك ويجوز ان بالغيب

حالا والغيب بمعنى الغيبة والخفاء اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وفيه تعريض بالمنافقين حيث ان باطنهم يخالف ظاهرهم وغيبتهم بخلاف حضورهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال بعض الشيعة المراد بالغيب المهدي المنتظر الذي وعد الله في القرآن وورد في الخبر وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض ولو لم يبق من الدنيا الا يوما واحدا لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل
من امتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما الخامسة معنى اقامة الصلوة احد ثلثة اشياء اما
تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه واما الدوام عليها والمحافظة والذين هم على صلوتهم
دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها اذا جعلها نافقة شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل
العراقين حولا قميطا ؛ غزالة اسم امرأة شبيب الخارجي قتله الحجاج فحاربته سنة تامة والضراب القتال والعراقان الكوفة والبصرة وقميطا
اي كاملا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي يتوجه اليه الرغبات واما التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها
ولا توان من قولهم قام بالامر خلاف تقاعد عنه فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت
القيام وبالركوع والسجود وبالتسبيح يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي فلولا انه كان من المسبحين ولا يخفى ان اقامة الصلوة بجميع
هذه المعاني تستحق المدح والثناء السادسة الصلوة في عرف الشرع عبارة عن الهيئات والاقوال المخصوصة التي مفتتحها التحريم ومختتمها
التسليم فرضا كانت او نفلا الا انه يحتمل ان يقال المراد بها في الآية الفرض لان الفلاح قد نيط بها في قوله صلعم للاعرابي افلح والله ان صدق
بعد قول الاعرابي والله لا ازيد على هذا ولا انقص اي على الصلوة المفروضة واشتقاقها لغة اما من الصلوة بمعنى الدعاء قال الاعشى
وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم اي وضع عليها الوسم وهو الخاتم واما من قولهم صليت العصا بالنار اذا لينتها وقومتها
قال الشاعر فلا تعجل بامرك واستدمه فما صلى عصاك كمستديم والمصلي يسعى في تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذي يعرض على النار
واما من قولهم صلى الفرس اذا جاء مصليا اي ملازما للسابق لان راسه عند صلوه والصلوان ما عن يمين الذنب وشماله والمصلي ملازم لفعله من
حين شروعه الى اوان فراغه والصلوة اسم وضع موضع المصدر يقال صليت صلوة ولا يقال تصلية قال في الكشاف الصلوة فعلة
من صلى كالزكوة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ولا يخفى ما فيه من
التعسف السابعة الرزق لغة هو ما ينتفع به فيشتمل الحلال والحرام المأكول وغيره والملبوس وغيره والمعتزلة ومن يجري مجراهم زادوا قيدا
آخر وهو ان لا يكون ممنوعا عن الانتفاع به وعلى هذا لا يكون الحرام عندهم رزقا قال في الكشاف اسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون
الحلال المطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله تعالى ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه
وتقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به والحق ان التمكين والانتفاع بالمرزوق مسند
الى الله تعالى على الاطلاق اذ كل بقدرته الا ان مذهب المعتزلة الى الادب اقرب لا سيما في هذا المقام ليستحقوا المدح بالانفاق منه الثامنة
انفق الشيء وانفده اخوان وكل ما فاؤه نون وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب وما تركب منه يدخل في هذا الانفاق الواجب
من الزكوة التي هي اخت الصلوة وشقيقتها ومن الانفاق على النفس وعلى من تجب نفقته ومن الانفاق في الجهاد ويمكن ان يتناول
كل منفق في سبيل الخير للاطلاق قال تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت والمراد به الصدقة لقوله فاصدق و
اكن من الصالحين البحث السادس في قوله تعالى والذين يؤمنون الآية وفيه مسائل الاولى يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واضرابه الذين اشتمل ايمانهم على كل وحي نزل من عند الله سالف ومترقب سبيله سبيل السالف لكونه معقودا
بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وايقنوا بالآخرة ايقانا ازال ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات وان اهل الجنة لا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ ونحو ذلك فيكون
المعطوف غير المعطوف عليه مغايرة المباينة وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن ابتداء بمحمد صلعم من غير ايمان قبل ذلك بموسى
وعيسى ع واما مغايرة الخاص للعام وذلك اذا اريد بالاولين كل من آمن بمحمد صلعم سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى ع او لم يكن
ويكون السبب في ذكر هذا الخاص بعد العام اثبات شرفهم وترغيبا لامثالهم في الدين ويحتمل ان يراد بهؤلاء الاولون ووسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وبينه كقوله شعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب الثانية قال في التفسير الكبير المراد من انزال الوحي ان جبرئيل سمع في السماء كلام
الله تعالى فنزل على الرسول كما يقال نزلت رسالة الامير من القصر والرسالة لا تنزل لكن المستمع يسمع الرسالة في علو فينزل فيؤدي
في سفل وقول الامير لا يفارق ذاته ولكن السامع يسمع فينزل فيؤدي بلفظ نفسه فان قيل كيف سمع جبرئيل كلام الله و
كلامه ليس حروفا ولا صوتا عندكم قلنا يحتمل ان يخلق الله له سمعا للكلام ثم اقدره على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم ويجوز

ان يكون خلق الله في اللوح المحفوظ كتابة بهذا النظم المخصوص وقرأه جبرئيل فحفظه ويجوز ان يخلق اصواتا مقطعة بهذا النظم المخصوص
في جسم مخصوص فيتلقفه جبرئيل ويخلق له علما ضروريا بانه هو العبارة المؤدية لذلك الكلام واقول انك اذا تاملت ما اشرنا اليه في
المقدمة العاشرة من مقدمات الكتاب انكشف لك الغطاء عن هذه المسئلة الثالثة الايمان بجميع الكتب لتمام وتزاعي النصديق بها
واجب لان الفلاح منوط بذلك وجب تحصيل العلم بما انزل على محمد صلعم على سبيل التفصيل ليقوم بواجبه علما وعملا لكنه فرض كفاية لقوله
تعم وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية واما المنزل على الانبياء المتقدمين
فالايمان به واجب على الجملة لان الله تعم ما تعبدنا الان به حتى يلزمنا معرفته مفصلة لكنا ان عرفنا شيئا من تفاصيله فهناك يجب
علينا الايمان بتلك التفاصيل الرابعة الاخرة صفة الدار تلك الدار الاخرة وهي من الصفات الغالبة تانيث الاخر نقيض الاول وكذلك
الدنيا تانيث الادنى لانها اقرب اليقين هو العلم بالشئ ضرورة او استدلالا لا بعد ان كان صاحبه شاكا فيه ولذلك لا يوصف الله
تعم بانه متيقن ولا يقال تيقنت ان السماء فوقي واني موجود وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب بما كانوا
عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته من غير ايقان وان اليقين بما عليه من امن بما انزل على محمد وعلى غيره من الانبياء
وهذا في معرض المدح ومعلوم انه لا يمدح بتيقن وجود الاخرة فقط بل به وبما يتبعه من الحساب والسؤال وادخال المؤمنين الجنة
والكافرين النار عن النبي صلعم يا عجبا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وعجبا ممن يعرف النشاة الاولى ثم ينكر النشاة الاخرة
وعجبا ممن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحيى يعني النوم واليقظة وعجبا ممن يؤمن بالجنة وما فيها من النعيم ثم يسعى لدار
الغرور وعجبا من المتكبر الفخور وهو يعلم ان اوله نطفة مذرة واخره جيفة قذرة البحث السابع في قوله تعم اولئك على هدى من ربهم
الاية وفيه مسائل الاولى في كيفية تعلق هذه الاية بما قبلها وجوه احدها ان ينوى الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب على سبيل الاستيناف
واولئك على هدى الجملة خبره كانه لما قيل هدى للمتقين خص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسئل فيقول ما بال المتقين
مخصوصين بذلك فاجيب بان الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح وهذا النوع من الاستيناف
يجئ تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث نحو قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته مثل احسنت الى زيد
صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة الصفة كما في الاية احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه وثانيها
ان يجعل الذين والذين تابعا للمتقين ويقع الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فقيل اولئك
الموصوفون غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا وثالثها ان يجعل الموصول الاول صفة للمتقين و
يرفع الثاني على الابتداء واولئك خبره ويكون اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلعم
وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون في انهم سيفلحون عند الله تعم والفضل من هذه الوجوه اولها لان الكلام المبنى على السؤال والجواب
اكثر فائدة ولان الاستيناف باعادة الصفة ابلغ ولان السؤال على الوجه الاخير كالضائع لان موجب اختصاصهم بالهدى قد علمت
ايضا انه يجعل الموصولين تابعا والوجه الاول يجعل الموصول الاول كما من الكلام الثانية الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى
كقولهم هو على الحق وفلان على الباطل وقد يصرح بذلك فيقال جعل الغواية مركبا وامتطى الحق واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اما اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي من الافضل واما
الارشاد الى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه والدوام على ما عملوه ونكر هدى ليفيد ضربا من المبالغة اي هدى لا يبلغ كنهه
قال الهذلي شعر فلا وابي الطير المربة بالضحى ❊ على خالد لقد وقعت على لحم ❊ اي لحم واي لحم واوب بالمكان اذا اقام به والاب تفخيم
للاستعظام اذ الكنى انما يكون للاشراف كما ان الاقسام بالطير فيه استعظام لهن لو توقعهن على لحم عظيم وعن بعضهم الهدى من الله كثير
ولا يبصره الا بصير ولا يعمل به الا يسير الا ترى ان نجوم السماء يبصرها البصراء ولا يهتدى بها الا العلماء الثالثة في تكرير اولئك تنبيه على
انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالفلاح فتميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ووسط العاطف بينهما لاختلاف خبريهما بخلاف قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بالغفلة وعدهم من جملة الانعام شئ واحد الرابعة هم فصل وفائدته
الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره ويحتمل ان يكون هم مبتدأ والمفلحون
خبره والجملة خبر اولئك الخامسة المفلح الفائز بالبغية والمفلج بالجيم مثله كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وكذلك اخواته في الفاء والعين
يدل على معنى الشق والفتح نحو فلق وفلذ ومنه سمى الزارع فلاحا ومعنى التعريف في المفلحون اما العهد اي المتقون هم الناس الذين بلغك
انهم المفلحون في الاخرة او الجنس على معنى انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على
طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة فان في ذكره ايذانا بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت

للمستقلين ٢٢

الافضل تم

لهم وتكرير اسم الاشارة وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل اللهم ‌البسنا بلباس المتقين واحشرنا في زمرة من صدقت بذكرهم ولحا اثرهم ومن قد
في الخبر يحشر الناس يوم القيمة ثم يقول الله عز وجل لهم طال ما كنتم تتكلمون وانا ساكت فاسكتوا اليوم حتى اتكلم اني رفعت نسبا وابيتم
الا انسابكم قلت ان اكرمكم عند الله اتقيكم وابيتم انتم فقلتم لا بل فلان بن فلان فرفعتم انسابكم ووضعتم نسبي فاليوم ارفع نسبي واضع
انسابكم فسيعلم اهل الجمع من اصحاب الكرم اين المتقون فليأخذ العاقل بحكمة الله تعالى وهو نوط الثواب بتعليق بالعمل الصالح والسيئ الا بما هو
غير مضبوط من عفوه عن بعض المذنبين ورده طاعة بعض المطيعين كما ان حكمته لما اقتضت ترتب الشبع والري على الاكل والشرب
لم يعهد الاتكال على ما يمكن ان يقع بالنسبة الى قدرته من اشباع شخص وارواء من غير تناول للطعام والشراب وبالعكس هذه نكتة شريفة ينتفع بها

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى
بدرستیکه آنان که کافر شدند یکسانست بر ایشان چه بترسانی ایشانرا که نترسانی ایشانرا که نگروند مهر نهاده است خدا بر دلهای ایشان و بر گوش ایشان و بر
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ القراءة أأنذرتهم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن ذكوان وروى حلواني عن
دیدهاشان پرده است و مر ایشانراست عذابی بزرگ
هشام آانذرتهم بلينها سدة الباقون يحققون الاولى ويلينون الثانية والتليين
جعل الهمزة بين بين اي بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركة الهمزة وعلى ابصارهم ممالة ابو عمرو وعلي غير ليث وابن حمدون وحمدويه
وحمزة في رواية ابن سعدان والى عمرو وكذلك قوله عز وجل بقنطار وبالاسحار وكالفخار والغار ومن انصار واشعارها واشباه
ذلك حيث كان يعني اذا كان قبل الالف حرف مانع وبعدها راء مكسورة في موضع اللام لان الراء المكسورة تغلب الحروف المستعلية
غشاوة المفضل وقرا حمزة في رواية خلف وابن سعدان وخلف لنفسه وابو اسحق ابرهيم بن احمد عن الحرث عن علي وورش من طريق
البخاري مدغمة النون والتنوين في الواو في جميع القرآن عظيم بالاشمام في الوقف كذلك اذا كانت الكلمة مكسورة حمزة وعلي وخلف وهو
الاختيار عندنا الوقوف لا يؤمنون ◌ على سمعهم ط لان الواو للاستيناف غشاوة ز لان الجملتين وان اتفقتا نظما فالاولى بيان وصف
موجود والثانية اثبات عذاب موعود عظيم ◌ التفسير فيه مسائل الاولى فيما يتعلق بان اما عمله من نصب الاسم ورفع الخبر فمعلوم من
علم النحو واما فائدته فما ذكره المبرد في جواب الكندي من ان قولهم عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقولهم ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل
وقولهم ان عبد الله لقائم جواب عن انكار منكر لقيامه وقد يضاف اليه القسم نحو والله ان عبد الله لقائم قال ابو نواس شعر عليك
باليأس من الناس ۞ ان غنى نفسك في اليأس حسن موقع ان لان الغالب على الناس خلاف هذا الظن وقد يجيء اذا ظن المتكلم
في الذي وجد انه لا يوجد كقولك انه كان مني اليه احسان فقابلني بالسوء وكانك ترد على نفسك ظنك الذي ظننته وتبين الخطا فيما توهمته
كقوله تعالى حكاية عن ام مريم قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وكذلك قول نوح رب ان قومي كذبون الثانية لما قدم
ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم الموجبة لامتداحهم واياهم ذكر ذلك بذكر اضدادهم وهم المردة من الكفار الذين لا ينجع فيهم الهدى و
سواء عليهم الانذار وعدمه انما فقد العاطف بين القصتين خلاف ما في نحو قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباين الخبرين
ههنا في الغرض والاسلوب لان الاولى مسوقة بذكر الكتاب انه هدى للمتقين والثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت وكل
اذا جعلت الذين يؤمنون مبتدأ واولئك خبره لان الكلام المبتدأ على سبيل الاستيناف مبني على تقدير سؤال وذلك ادراج له في
حكم المتقين وتصيير تبعا له في المعنى فحكمه حكم الاول كذا اذا جعلت الموصول الثاني مبتدأ واولئك خبره لان الجملة برأسها من مستتبعات
هدى للمتقين لارتباط بينهما من حيث المعنى الثالثة التعريف في الذين اما ان يراد به ناس معهودون باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد
بن المغيرة واضرابهم واما ان يراد به الجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده فقط دون من عداهم من الكفار الذين
اسلموا بدليل الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم الرابعة الكفر نقيض الايمان فيختلف تعريفه باختلاف الايمان وقد تقدم
واصل الكفر الستر والتغطية ومنه الكافر لانه يستر الحق بجحده والزارع كافر لانه يستر الحب والليل المظلم كافر لانه بظلمته يستر كل شيء
والكافر الذي كفر درعه بثوب اي غطى ولبسه فوقه قال في التفسير الكبير ههنا اخبار عن كفرهم بصيغة الماضي فيقتضي كون المخبر عنه
متقدما على ذلك الاخبار فللمعتزلة ان يحتجوا بهذا على ان كلام الله محدث فان القديم يستحيل ان يكون مسبوقا بالغير قلت التحقيق
في هذا وامثاله ان كلامه ازلي الا ان حكمته في باب التفهيم والتعليم اقتضت ان يكون كلامه على حسب وصوله الى السامعين ضرورة كونهم
متزمنين فكل ما هو متقدم على زمان الوصول فمع الاخبار عنه بلفظ الماضي وكل ما هو متاخر عن زمان الوصول فمع الاخبار عنه
بلفظ المستقبل كقوله لتدخلن المسجد الحرام سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب والا اختل نظام التفاهم والتخاطب ومن هنا يعلم ان قوله
سيقول ليس كونه مستقبلا بالنظر الى الازل مقصودا بالنسبة الى المخاطبين انما المقصود استقباله بالنظر الى زمان نزول الاية فافهم
الخامسة سواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين
بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر ان وأأنذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الفاعل اي مستو عليهم انذارك وعدمه نحو ان زيدا مختصم

واخوه وابن عمه ويحتمل ان يكون انذرتهم ام لم تنذرهم فی موضع الابتدا وسواء خبر مقدم والجملة خبر ان وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه
مع انه ابدا خبر نظرا الى المعنى كقولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا
يصح من عطف الاسم فان ان مع الفعل فی تقديره المصدر على الفعل وهو النهی وقد جردت الهمزة وام لمعنى الاستواء وسلخ عنهما معنى
الاستفهام راسا قال سيبويه هذا مثل قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة يعنی ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء فی الداخل عليهما الهمزة وام استواؤهما فی علم المستفهم لانه قد علم ان احد الامرين
كائن لكن لا بعينه وكلاهما معلوم بعلم غير معين والحاصل ان الاستفهام يلزمه معنيان احدهما استواء طرفی الحكم فی ذهن المستفهم
والثانی طلب معرفة احدهما فجرد هذا التركيب لمعنى الاستواء وسلخ عنه الطلب فائدة العدول عن العبارة الاصلية وهی سواء عليهم
الانذار وعدمه ان يعلم ان قطع الرجاء وحصول الياس عليهم مما حصل بعد اصرارهم وكانوا قبل ذلك مرجوا عنهم الايمان لا فی علم الله
تعالى بل فی علمنا فنزلت الاية بحسب ما يليق بحال المنافی بابی التقرير والتصوير ويقول فائدته ان يعلم ان استواء الطرفين بلغ مبلغا يصح
ان يستفهم عنه لكونه خاليا عن شوب التخمين وترجيح احد الطرفين بوجه فان قول القائل الانذار وعدمه مستويان عليهم يمكن
ان يحمل على التقريب لا التحقيق بخلاف الواجب عن الامرين بطريق الهمزة وام فالهمزة فانهم والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن
المعاصی وانما ذكر الانذار دون البشارة لان المقام مقام المبالغة وتاثير الانذار فی الفعل والترك اقوى لان دفع الضرر اهم من جلب النفع
وقوله لا يؤمنون اما جملة مؤكدة للتی قبلها او اعتراض السادسة الختم والكتم اخوان لان فی الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتما
له وتغطية لئلا يتوصل اليه لغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل عليه كالعصابة والعمامة والقلب يراد
تارة اللحم الصنوبری المودع فی التجويف الايسر من الصدر وهو محل الروح الحيوانی الذی هو منشأ الحس والحركة وينبعث منه الى سائر الاعضاء
بتوسط الاوردة والشرايين ويراد به تارة اللطيفة الربانية التی بها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاوامر والنواهی
والقيام بمواجب التكاليف ان فی ذلك لذكرى لمن كان له قلب وهی من عالم الامر الذی لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد ارادة موجده
انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فكما ان البدن بل اللحم الصنوبری من عالم الخلق الذی هو بقيض ذلك الا له الخلق والامر
وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وبالروح قل الروح من امر ربی ونفخت فيه من روحی
السمع قوة مرتبة فی العصب المفروش فی سطح الصماخ تدرك صورة ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له
انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل للصوت فيتادى الى الهواء المحصور الراكد فی تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه ويماس امواج
تلك الحركة تلك العصبة فتسمع قال ابن سينا ولعل هذا فی الشاهد فقط واما البصر فقال ابن سينا هی قوة مرتبة فی العصبة المجوفة
تدرك صورة ما ينطبع فی الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتادية فی الاجسام الشفافة بالفعل الى سطوح الاجسام
الصيقلية وزعم غيره ان البصر يخرج منه شئ فيلاقی المبصر وياخذ صورته من خارج ويكون من ذلك ابصار وفی الاكثر يسمون
ذلك الخارج شعاعا والحق عندی ان نسبة البصر الى العين كنسبة البصيرة الى القلب لكل من العين والقلب نورا اما نور العين فمنطبع
فيها لانه من عالم الخلق فهو نور جزئی مدرك جزئی واما نور القلب فمفارق لانه من عالم الامر وهو نور كلی مدرك كلی وادراك كل منهما عبارة
عن وقوع مدركه فی ذلك النور ولكل منهما بل لكل فرد من كل منهما حد ينتهی اليه بحسب شدته وضعفه فيتدرج فی الضعف بحسب تباعد
المرئی حتى لا يدركه او يدركه اصغر مما هو عليه ولا يلزم من قولنا ان البصر نور ان يشتد النور اذا اجتمع بصراء كثيرة فی موضع واحد قياسا
على انوار الكواكب والسرج فان ذلك لانه من خواص الانوار المحسوسة والملزومات المختلفة لا يستدعی الاشتراك فی اللوازم وهذا
القدر من التحقيق فی تفسير القلب والسمع والبصر كاف بحسب المقام ثم اللفظ يحتمل ان يكون الاسماع داخلة فی حكم الختم وفی حكم التغشية الا ان
الاولى دخولها فی حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولهذا يوقف على سمعهم دون قلوبهم وفی تكرير الجار
ايذان باستقلال الختم على كل من القلب والسمع وانما وحد السمع لوجوه منها امن اللبس كما فی قوله شعر كلوا فی بعض بطنكم تعفوا فان
زمانكم زمن خميص اذ لا يلبس ان لكل واحد بطنا ولهذا اذا لم يؤمن نحو فرسهم ثوبهم والمراد الجمع نضوه ومنها ان السمع فی الاصل مصدر
والمصادر لا تجمع فلمح الاصل ولهذا جمع الاذن فی قوله وفی اذاننا وقر ومنها ان يقدر مضاف محذوف ای على حواس سمعهم ومنها الاستدلال
بما قبله وبما بعده على ان المراد به الجمع مثل عن اليمين والشمائل يخرجهم من الظلمات الى النور السابعة من الناس من قال السمع افضل من البصر
لتقديمه فی اللفظ ولانه شرط النبوة فما بعث رسول اصم بخلاف البصر فمن الانبياء من كان مبتلى بالعمى ولان السمع سبب وصول المعارف من الغير
المعقول الى الفهم والبصر سبب وصول المحسوسات الى المبصر ولان السمع يتصرف فی الجهات الست دون البصر ولان فاقد السمع فی الاصل فاقد النطق
بخلاف فاقد البصر ومنهم من فضل البصر لان متعلق الابصار النور ومتعلق الاسماع الريح والبصر يرى من بعيد دون السمع ولان عجائب الله
فی تخليق العين اكثر منها فی تخليق السمع وقد اسمع الله كلامه موسى من غير سبق سؤال ولما سال الرؤية ... فی الرؤية وفی المثل ليس وراء العيان بيان

العين جمال الوجه ورونق الحيوان السمع والحيوان من فقد حسا فقد فقد علما وهو المتوقف على ذلك الحس ولا ريب ان معظم العلوم يتوقف تحصيلها على البصر والارشاد والتعليم على الاطلاق يتوقف على السمع فكل من الحواس في موضعه ضروري وتفضيل البعض على البعض تطويل بلا طائل فسبحان من دبّر في كل مصنوع حكمته واحسن كل شيء خلقه الثامنة الاولى فيها الاخبار بان الذين كفروا لا يؤمنون والانذار وعدمه عليهم سيان والاية الثانية فيها بيان السبب الذي لاجله لم يؤمنوا وهو الختم والتغشية فاحتج اهل السنة بالايتين ونظائرهما على تكليف ما لا يطاق وعلى ان الله تعالى هو الذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر وختم على قلوبهم ومنعهم عن قبول الحق والصدق وكل بتقديره ولا يسئل عما يفعل واما المعتزلة وامثالهم فيقولون كيف يخلق فيهم الكفر ثم يقول لم تكفرون ويخلق فيهم ما به لبس الحق بالباطل ثم يقول لم تلبسون الحق بالباطل ونحو ذلك من الايات الدالة على ان الكفر باختيار العبد وقدرته قالوا ولو الاية على انها جارية مجرى قولهم فلان مجبول على كذا او مفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وعلى انها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها حتى تخلو في زمرة الانعام لا تعي شيئا ولا تفقه كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي في طول غيبته بحال من طارت به العنقاء والشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله تعالى لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب في قولهم بنى الامير المدينة او انهم لما ترامى امرهم في التصميم على الكفر الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء ثم لم يقسرهم الله ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبّر عن القسر والالجاء بالختم او يكون حكاية لما كانوا يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ويحكى ان الامام ابا القاسم الانصاري سئل عن تكفير المعتزلة في هذه المسئلة فقال لا لانهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبيح لا يليق بالحكمة وسئل عن اهل الجبر فقال لا لانهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتاثير وايجاد وزعم الامام فخر الدين ان اثبات الاله يلجئ الى القول بالجبر لان الفاعلية لو لم يتوقف على الداعية لزم وقوع الممكن من غير مرجح وهو نفي الصانع واثبات الرسول يلجئ الى القول بالقدر لانه لو لم يقدر العبد على الفعل فاي فائدة في بعثة الرسول وانزال الكتب ونقول لما رجعنا الى الفطرة السليمة وجدنا ان ما استوى الوجود والعدم بالنسبة اليه لا يترجح احدهما على الآخر الا لمرجح وهذا يقتضي الجبر ونجد تفرقة ضرورية بين حركات الانسان وسكناته وبين حركات الجمادات والحركات الاضطرارية وذلك يقتضي مذهب الاعتزال فلذلك بقيت هذه المسئلة في حيز الاشكال قلت وبالله تعالى التوفيق عندي ان المسئلة في غاية الاستنارة والسطوع اذا وحظت المبادي ورتبت المقدمات فان مبدأ الكل لو لم يكن قادرا على كل الممكنات وخرج شيء من الاشياء عن علمه وقدرته وتاثيره وايجاده بواسطة او بغير واسطة لم يصلح لمبدئية الكل فالهداية والضلالة والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضر وسائر المتقابلات كلها مستندة ومنتهية الى قدرته وتاثيره وعلمه وارادته والايات الناطقة بصحة هذه القضية كقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها قل كل من عند الله كثيرة وكذا الاحاديث كقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق له كل شيء بقدر حتى العجز والكيس احتج آدم وموسى الحديث فهذه القضية مطابقة للعقل والنقل بقي الجواب عن اعتراضات المخالف اما حكاية التنزيه عن الظلم والقبائح فاقول لا ريب انه تعالى منزه عن جميع القبائح ولكن لا بالوجه الذي يذكره المخالف فانه يلزم منه النقص من جهة اخرى وهو الخلل في مبدئيته للكل وفي كونه مالك الملك بل الوجه ان يقال ان لله تعالى صفتي لطف وقهر ومن الواجب في الحكمة ان يكون الملك ولا سيما ملك الملوك كذلك اذ كل منهما من اوصاف الكمال ولا يقوم احدهما مقام الآخر ومن منع ذلك كابر وعاند ولا بد لكل من الوصفين من مظهر فالملائكة ومن ضاهاهم من الاخيار مظاهر اللطف والشياطين ومن ضاهاهم من الاشرار مظاهر القهر ومظاهر اللطف هم اهل الجنة والاعمال المستتبعة لها ومظاهر القهر هم اهل النار والافعال المعقبة اياها وههنا سر وهو ان اللطف والقهر والجنة والنار انما يصح وجود كل من كل منهما بوجود الآخر فلولا القهر لم يتحقق اللطف ولولا النار لم تثبت الجنة كما انه لولا الالم لم يتبين اللذة ولولا الجوع والعطش لم يظهر الشبع والري ولله در القائل وبضدها تتبين الاشياء فخلق الله تعالى للجنة خلقا يعملون بعمل اهل الجنة وللنار خلقا يعملون بعمل اهل النار ولا اعتراض لاحد عليه في تخصيص كل من الفريقين بما خصصوا به فانه لو عكس الامر لكان الاعتراض بحاله وههنا يظهر حقيقة الشقاوة والسعادة فمنهم شقي وسعيد الاية وقال عم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات فيكتب عمله واجله ورزقه وشقي او سعيد الحديث اذا تؤمل فيما قلت ظهر انه لا وجه بعد ذلك لاسناد الظلم والقبائح اليه تعالى لان هذا الترتيب والتمييز من لوازم الوجود والايجاد كما يشهد به العقل الصريح ولا سيما عند المخالف القائل بالتحسين والتقبيح العقليين ليت شعري لم لا ينسب الظلم الى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزراء مقربا وبعضهم كناسا بعيدا كلا منهما من ضروريات المملكة وينسب الظلم اليه تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصص به مع ان كلا منهم ضروري في مقامه فهذا القائل يهدم بناء حكمته تعالى ويدعي انه يحفظها فافسد حين اصلح واما قوله اي فائدة في بعثة الرسل وانزال الكتب ففي غاية السخافة لانها لما

بینا انہ تعالیٰ یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید فکیف یبقی للمعترض ان یقول لم جعل اللہ تعالیٰ الشیء الفلانی کذا انہ لیس لہ ان یقول مثلا لم جعل الشمس
سببا لانارة الارض غایتہ ما فی الباب ان یقول اذا علم اللہ تعالیٰ ان الکافر لا یؤمن فلم یامرہ بالایمان ویبعث الیہ النبی فاقول فائدة
بعث الانبیاء وانزال الکتب بالحقیقة یرجع الی المؤمنین الذین جعل اللہ بعثہم وانزالہا سببا وواسطة لاہتدائہم انما انت منذر
من یخشاہا کما ان فائدة نور الشمس تعود الی اصحاب العیون الصحاح واما فائدة ذلک بالنسبة الی المختوم علی قلوبہم فکفائدة نور الشمس
بالنسبة الی الاکمہ واما الذین فی قلوبہم مرض فزادتہم رجسا الی رجسہم وماتوا وہم کافرون غایة ذلک الزام الحجة واقامة البینة
علیہم ظاہرا لئلا یکون للناس علی اللہ حجة بعد الرسل ولو انا اہلکناہم بعذاب من قبلہ لقالوا ربنا لولا ارسلت الینا رسولا
النعی ن د وہو بالحقیقة النعی علیہم بانہم فی اصل الخلقة ناقصون اشقیاء وہذا المعنی ربما لا یظہر لہم ایضا لغایة نقصانہم کما ان الاکمہ ربما لا یعد
البصراء ولا یعرف ان النقص والنقصان منہ وان سائر الشرائط من محاذاة المرائی وظہور النیر موجودة وانما یعرف نقصانہم ارباب
بین ن د الابصار واما حدیث التفرقة الضروریة من الحرکات الاختیاریة والحرکات الاضطراریة کالرعشة مثلا فاقول لا ریب ان للانسان قدرة
ارادات وقویٰ بہا یتم لہ حصول الملائم واجتناب المنافی الا ان تلک الارادات والقویٰ مستندة الی اللہ تعالیٰ فکانہ لا اختیار والتفرقة الذی
سببہا ان الرعشة نقصت واسطة ہی الداعیة وفی الحرکة المسماة بالاختیاریة زادت واسطة فافہم ہذہ الحقائق والاشارات فان
بہا فی سائرہا یقرع سمعک من ہذا القبیل فلعلنا لا نکررہا فی کل موضع حذرا من التطویل ومن لم یستضئ بمصباح لم یستضئ بصباح
واللہ یقول الحق وہو یہدی السبیل الثاسعة العذاب مثل النکال بناء ومعنی لانک تقول عذب عن الشیء اذا امسک عنہ کما تقول نکل
قطع ن د عنہ ومنہ العذب لانہ یقمع العطش ویردعہ بخلاف الملح فانہ یزیدہ ثم اتسع فیہ فسمی کل الم فادح عذابا وان لم یکن نکالا ای عقابا یردع
الجانی عن المعاودة والفرق بین العظیم والکبیر ان العظیم نقیض الحقیر والکبیر نقیض الصغیر ویستعملان فی المعانی والاعیان جمیعا تقول رجل
عظیم وکبیر ترید جثتہ او خطرہ ومعنی التنکیر ان علی ابصارہم نوعا من الاغطیة غیر ما یتعارفہ الناس ولہم من بین الالام العظام نوع عظیم
لا یعلم کنہہ الا اللہ نعوذ باللہ منہ العاشرة اتفق المسلمون اکثرہم علی انہ یحسن من اللہ تعالیٰ تعذیب الکفار وقال بعضہم لا یحسن وفسروا قولہ
طلبہ ولہم عذاب عظیم وکذا کل وعید ورد فی القران بانہم یستحقون ذلک لکن کرمہ یوجب العفو وذکروا فیہ دلائل عقلیة مبنیة علی الحسن و
القبح کقولہم التعذیب ضرر خال عن المنفعة لان اللہ تعالیٰ منزہ عن ذلک والعبد یتضرر بہ ولو سلم انہ ینتفع بہ فاللہ قادر علی ایصال النفع الیہ
من غیر توسط ذلک العذاب والضرر الخالی عن المنافع قبیح بالبدیہة کقولہم علم ان الکافر لا یظہر منہ الا العصیان فتکلیفہ امر متی لم یفعل
ترتب علیہ العذاب وما کان مستعقبا للضرر من غیر نفع کان قبیحا فلم یبق الا ان یقال لم یوجد ہذا التکلیف ووجد لکنہ لا یستعقب العقاب
وکقولہم انہ سبحانہ ہو الخالق لداعیة المعصیة فیقبح ان یعاقب علیہا وکقولہم ان العبد لو واظب علی الکفر طول عمرہ فاذا تاب ثم مات عفی اللہ
عنہ تری ہذا الکرم العظیم ما بقی فی الاخرة او سلبت فیقول اولئک المعذبین فلا یتوبون عن معاصیہم واذا تابوا فلم لا یقبل اللہ منہم توبتہم
ولم کان فی الدنیا بحیث قال ادعونی استجب لکم وفی الاخرة بحیث لا یجیب عن دعائہم الا بقولہ اخسئوا فیہا ولا تکلمون والجواب بان تعذیبہم نقل الینا
بالتواتر عن النبی فلا مصیر الی انکارہ والشبہ التی یتمسکون بہا تنہدم بانہدام قاعدة الحسن والقبح واقول قد ثبت بالبرہان الیقینی فی المسئلة
الثامنة ان وقوع فریق فی طریق القہر ضروری فی حکمتہ تعالیٰ وکل ما یقتضیہ حکمتہ وکمالہ کان حسنا والعقلیون من ظن انہ قبیح کان الخلل فی عقلہ
وقصور فہمہ فلا قبیح فی النظر الا وہو حسن من جہات اخری لا یعلمہا الا منشیہا وموجدہا وہل یستقبح احد وقوع بعض الاحجار للملوک تیجانا
بعضہا للحشوش جدرانا او وقوع بعض من الحدید سیفا یتقلدہ الناس وبعضہ نعلا لبطائہا الافراس حیث یری کلا منہما فی مصالح الوجود
ضروریا ثم العذاب ہو بالحقیقة البعد من اللہ تعالیٰ لازم للکفر والعصیان والملزوم لا ینفک من اللازم واما سبب علم انتفاع الکافر والعاصی
بالایمان والتوبة بعد المفارقة فذلک لان محل الکسب ہو الدنیا والتکلیف بامتثال الاوامر والنواہی انما وقع فیہا فلیس لاحد ان یؤخر الامتثال
الی الاخرة الا تری انہ لو قال الطبیب الحاذق لمریض اشرب الدواء الفلانی فی الیوم الفلانی فقصر وتاخر حتی اذا مضی وقتہ واشرف علی الہلاک قال انی اشرب
الان لم ینفعہ ذلک الدواء ولا ینفعہ الا الہلاک وکذا لو قال ملک لواحد افعل الامر الفلانی فی ہذا الوقت ففعلہ فی وقت اخر لم یعد ممتثلا ولا
ینفعہ الایمان الا ان عرض الامتثال قد فات ولا سیما اذا فعل بعد ان یری امارات الغضب وعلامات العذاب فلم یک ینفعہم ایمانہم لما راوا باسنا
ع سنت اللہ التی قد خلت فی عبادہ وخسر ہنالک الکافرون صدق اللہ العظیم ومن الناس من یقول امنا باللہ وبالیوم الاخر وما ہم

واز مردمان کسی است کہ میگوید کہ گرویدیم بخدا و بروز واپسین و نیستند

بمؤمنین یخادعون اللہ والذین امنوا وما یخدعون الا انفسہم وما یشعرون فی قلوبہم مرض فزادہم اللہ

بگروندگان مخادعہ کنند خدا را و آنانکہ گرویدند و فریب ندہند بجز نفسہای خود را و درک نکنند در دلہاشان ناخوشی است

مرضا ولہم عذاب الیم بما کانوا یکذبون واذا قیل لہم لا تفسدوا فی الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انہم ہم

ناخوشی او مر ایشان را عذابی دردناک بجہت تکذیبشان وچون گفتہ شود ایشان را فساد مکنید در زمین گویند کہ جز این نیست کہ ما اصلاح کنندگانیم بدانکہ ایشان

المفسدون ولكن لا يشعرون ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن

فسادكنندگان ولیکن نمیدانند وچون گفته شود ایشانرا که بگروید چنانکه گرویدند مردمان گفتند که آیا بگرویم چنانکه گرویدند بیخردان آگاه باش که ایشان بیخردانند ولیکن

لا يعلمون ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴿ الله يستهزئ

نمیدانند وچون رسیدند بانانکه گرویدند گفتند که گرویدیم وچون تنها شدند بدوستان خود گفتند که با شمائیم جز این نیست که ما ریشخند کنندگانیم خدا ریشخند کند

بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين

بایشان ومهلت دهد ایشانرا در گذشتن از حد کوردلان آن گروه آنانند که خریدند گمراهی را براستی پس سود نبخشید سوداگری ایشان ونبودند راه یافتگان

القراءة من الناس بالامالة قتيبة ونصير كل القرآن ما كان مكسورا من يقول مدغمة النون والتنوين في الياء حيث وقعت حمزة وعلي وخلف وورش من طريق النجاري يؤمنين غير مهموز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى وورش وحمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها من الاسماء وما يخادعون ابو عمرو وابن كثير ونافع فزادهم الله وبابه مما كان ماضيا بالامالة حمزة ونصير وابن ذكوان من طريق ابن مجاهد والنقاش وابن الاخرم ههنا بالامالة فقط يكذبون خفيفا عاصم وحمزة وعلي وخلف قيل وغيض وجيء بالاشمام علي وهشام ورويس السفهاء الا بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر السفهاء ولا بقلب الثانية واوا ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع السفهاء الا بقلب الاولى واوا وروى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة وكذلك ما اشبهها مما اختلفت الهمزتان فيها الا ان يكون الاولى منهما مفتوحة مثل شهداء اذ ما واشباه ذلك مستهزؤن بترك الهمزة في الحالين يزيد ونحو حمزة في الوقف وكذلك ما اشبهها ومن حمزة في الوقف وجهان الحذف والتليين شبه الياء والواو طغيانهم حيث كان قتيبة ونصير ابو عمرو بالهدى وما اشبهها من الاسماء والافعال من ذوات الياء بالامالة حمزة وعلي وخلف وقرأ اهل المدينة بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب وكذلك كل كلمة يجوز الامالة فيها وذلك طبعهم وعادتهم الوقوف بمؤمنين لما مر في المقدمة التامة آمنوا لعطف الجملتين المتفقتين مع ابتداء النفي يشعرون ط للآية وانقطاع النظم والمعنى فان تعلق الجار بما بعده مرض لان الفاء للجزاء وكان تأكيدا لما في قلوبهم مرض ج لعطف الجملتين المختلفتين يكذبون في الارض لا لان قالوا جواب وعامله مصلحون لا يشعرون كما آمن السفهاء ط للابتداء بكلمة التنبيه ومن وصل فليعجل رد السفه عليهم لا يعلمون آمنا لتبدل جهة الكلام معنى مع ان الوصل اولى لبيان حاليهم المتناقضين وهو المقصود شياطينهم لا لان قالوا جواب انا معكم تحرزا عن قول ما لا يقوله مسلم وان جاز الابتداء بانا مستهزؤن يعمهون بالهدى لا لانقطاع النفس ولا يلزم العود لان ما بعده بدون ما قبله مفهوم مهتدين التفسير فيه مباحث البحث الاول في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية وفيه مسائل الاولى عن مجاهد قال اربع آيات من اول هذه السورة نزلت في المؤمنين واثنتان بعدها نزلتا في الكافرين وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين فنقول احوال القلب اربع الاعتقاد المطابق عن الدليل وهو العلم والاعتقاد المطابق لا عن الدليل وهو اعتقاد المقلد المحق والاعتقاد غير المطابق وهو الجهل وخلو القلب عن كل ذلك واحوال اللسان ثلث الاقرار والانكار والسكوت كل منها بالاختيار او بالاضطرار فيحصل من التراكيب اربعة وعشرون قسما فلنتكلم في الاحوال القلبية ونجعل البواقي تبعا لها في الذكر النوع الاول العرفان القلبي ان انضم اليه الاقرار باللسان اختيارا فصاحبه مؤمن حقا بالاتفاق واضطرارا فهو منافق لانه لولا الخوف لما اقر فهو بقلبه منكر مكذب وجوب الاقرار وان انضم اليه الانكار اضطرارا فهو مسلم لقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان واختيارا فهو كافر معاند وان انضم اليه السكوت اضطرارا فمسلم حقا الا ان يخاف كما عرف فمات فجاءة فيكون معذورا واختيارا فمسلم ايضا عند الغزالي وعند كثير من الامة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان النوع الثاني الاعتقاد التقليدي ان وجد معه الاقرار اختيارا فهو المشهور من ان المقلد مؤمن ام لا والاكثرون على ايمانه واضطرارا فمنافق بالطريق الاولى كما مر في النوع الاول وان وجد معه الانكار اختيارا فلا شك في كفره واضطرارا فمسلم عند من يحكم بايمان المقلد وان وجد معه السكوت اضطرارا فمسلم بناء على اسلام المقلد واختيارا فكافر معاند النوع الثالث الانكار القلبي مع الاقرار اللساني اضطرارا نفاق وكذا اختيارا لانه اظهر خلاف ما اضمر ومع الانكار اللساني كفر كيف كان وكذا مع السكوت النوع الرابع القلب الخالي عن جميع الاعتقادات مع الاقرار اللساني ان كان اختيارا فان كان صاحبه في مهلة النظر لم يلزمه الكفر لكنه فعل ما لا يجوز لحيث اخبر عما لا يدري انه هل هو صادق فيه ام لا وان كان لا في مهلة النظر ففيه نظر اما اذا كان اضطراريا فلا يكفر صاحبه لان توقفه اذا كان في مهلة النظر وكان يخاف على نفسه من ترك الاقرار لم يكن عمله قبيحا والقلب الخالي مع الانكار اللساني كيف كان نفاق والقلب الخالي مع اللسان الخالي ان كان في مهلة النظر فذلك هو الواجب وان كان خارجا عن مهلة النظر وجب تكفيره ولا نفاق فظهر من التقسيم ان المنافق هو الذي لا يطابق ظاهره وباطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره او كان باطنه خاليا عما يشعر به ظاهره ومنه النافقاء احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها فاذا اتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اي خرج الثانية زعم قوم ان الكفر الاصلي اقبح من النفاق لان الكافر جاهل بالقلب كاذب باللسان والمنافق جاهل بالقلب صادق باللسان وقال الآخرون المنافق ايضا كاذب باللسان لانه يخبر عن كونه على ذلك الاعتقاد مع انه ليس عليه قال عز من قائل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وانه قصد التلبيس والكافر

الاصلي لا يقصد ذلك وايضا الكافر الاصلي على طبع الرجال والمنافق على طبيعة الخناثى وايضا الكافر ما رضي لنفسه بالكذب بل استنكف منه
والمنافق رضي بالكذب وايضا المنافق ضم الى الاستهزاء والخداع دون الكافر الاصلي ولغلظ كفر المنافقين في الدرك الاسفل من النار وصف
حال الكفار في ايتين وحال المنافقين في ثلث عشرة اية نعى عليهم فيها خبثهم ونكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم
وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة الثالثة قصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف
الجملة على الجملة واصل ناس اناس بدليل انسان وانس واناسي حذفت الهمزة تخفيفا وحذفها مع لام التعريف كاللازم وقوله شعر ان المنايا يطلعن
على الاناس الآمنينا قليل ويؤنس من المصغر الاني على خلاف مكبره كانيسيان سموا بذلك لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما
سمي الجن لاجتنانهم ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول كما يقال وزن قه فعل وهو اسم الجمع كرخال للانثى من اولاد الضان واما الذي
مفرده رخل بكسر الخاء بكسر الراء ومنهم من يقول موصوفة ان جعلت اللام في الناس للجنس كقوله من المؤمنين رجال ليكون معنى الكلام
ان في جنس الانس طائفة كيت وكيت فيعود فائدة الكلام الى الوصف فان لم يكن مفيدا من حيث الحمل لان الطائفة الموصوفة بكونها كذا
من الناس ولا يجوز ان يكون من موصولة ح لان الصلة تكون جملة معلومة الانتساب الى الموصول فيبطل فائدة الوصف فيه فينبغي ان يكون الكلام
غير مفيد راسا وان جعلت اللام للعهد فمن يكون موصولة نحو ومنهم الذين يؤذون النبي ويكون اللام اشارة الى الذين كفروا لما
ذكرهم ولا يجوز ان يكون موصوفة اذ ذاك لان فائدة الكلام تعود الى الوصف ايضا ولكن لا يحاوبه نظم الكلام اذ يصير المعنى ان من المختوم
على قلوبهم طائفة يقولون كيت وكيت وما هم بمؤمنين ومن البين ان مدلول قوله وما هم بمؤمنين معلوم من حال المطبوع على قلوبهم
فيقع ذكره ضائعا والضمير العائد الى من يكون موحدا تارة باعتبار اللفظ نحو ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ومجموعا
اخرى باعتبار المعنى مثل ومنهم من يستمعون اليك وقد اجتمع الاعتباران في الاية في يقول وآمنا وانما اختص بالذكر الايمان بالله و
الايمان باليوم الاخر لانهما قطرا الايمان ومن احاط بهما فقد حاز الايمان بحذافيره وفي تكرير الباء ايذان بانهم ادعوا كل واحد من الايمانين
على صفة الصحة والاستحكام فان قلت ان كان هؤلاء المنافقون من المشركين فظاهر عدم ايمانهم بالله واليوم الاخر وان كانوا من اليهود فكيف يصح
ذلك قلت ايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الاخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فقولهم هذا
لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة واستهزاء وتخييلا للمسلمين انهم مثلهم في الايمان
الحقيقي كان خبثا وكفرا الى كفر والمراد باليوم الاخر ما طرفه الابد الذي لا ينقطع لانه متاخر عن الاوقات المنقضية او الوقت المحدود من النشور الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة التي لا حد للوقت بعده فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم
امنا والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني بالعكس قلت انما اتوا بالجملة الفعلية ليكون معناها احدثنا الدخول في الايمان لترويج
دعواهم الكاذبة جيء بالجملة الاسمية ليفيد نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل البت والقطع وانهم ليس لهم استيهال ان يكونوا من طوائف
من طوائف المؤمنين وكان هذا اوكد وابلغ من ان يقال انهم لم يؤمنوا ونظير الاية قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ثم ان قوله وما هم بمؤمنين يحتمل ان يكون مقيدا وترك لدلالة التقييد في آمنا ويحتمل الاطلاق اي انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا
من الايمان بالله وباليوم الاخر ولا من الايمان بغيرهما البحث الثاني في قوله يخادعون الله الى بما كانوا يكذبون اعلم ان الله ذكر من قبائح افعال
المنافقين اربعة اشياء احدها المخادعة واصلها الاخفاء ومنه سميت الخزانة المخدع والاخدعان عرقان في العنق خفيان وخدع الضب خدعا
اذا توارى في جحره فلم يظهر الا قليلا والخديعة مذمومة لانها اظهار ما يوهم السلامة والسداد وابطان ما يقتضي الاضرار بالغير والتخلص منه فهي
بمنزلة النفاق في الكفر والرياء في الافعال الحسنة فان قيل مخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم
الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا كما قال والرمة شعر تلك الفتاة التي علقتها عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلب
لم يجز ان يخدعوا قلنا كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث
امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا
امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم ويحتمل ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله
نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده
ويخدعهم ويحتمل ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته والناطق باوامره ونواهيه مع عباده ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ويحتمل
ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من
بمكان سلك بهم هذا المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه ان الذين يؤذون الله ورسوله وقولهم علمت زيدا فاضلا الغرض
ذكر الاحاطة بفضل زيد لان زيدا كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد لكن ذكره توطئة وتمهيد ووجه الاختصار يخادعون على
ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله

وحده من غير مغالبة لا مبالغة لزيادة قوة الداعي إليه يخادعون بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كأنه قيل ولم يدعون الإيمان كاذبين
فقيل يخادعون وكان غرضهم من الخداع الدفع عن أنفسهم أحكام الكفار من القتل والنهب وتعظيم المسلمين إياهم وإعطائهم الحظوظ من المغانم
واطلاعهم على أسرار المسلمين لاختلاطهم بهم والسؤال الذي يذكر ههنا أنه تعالى لم أبقى المنافق على حاله من النفاق ولم يظهر أمره حتى لا يصل من
أغراض الخداع إلى ما وصل وارد على استبقاء الكفار وسائر أعداء الدين بل على استبقاء إبليس وذريته وتخلل الغفلة في الجميع بما سلف لنا
من الحقائق ولا سيما في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وقراءة من قرأ وما يخادعون إلا أنفسهم أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة
المخادعين إلا أنفسهم لأن مكرها يحيق بهم ودائرتها تدور عليهم لأن الله تعالى يدفع ضرر الخداع عن المؤمنين ويصرفه إليهم كقوله
إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ويحتمل أن يراد حقيقة المخادعة لأنهم يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الأباطيل وأنفسهم أيضا
تمنيهم وتحدثهم بالأكاذيب وإن أريد وما يخدعون فيجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة والنفس ذات الشيء وحقيقته ولا يختص بالأجسام لقوله تعالى
تعلم ما في نفسي والشعور علم الشيء علم حس ومشاعر الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له
والمرض حالة توجب وقوع الخلل في الأفعال الصادرة عن موضوعها واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة بأن يراد الألم كما تقول في جوفه
مرض ومجازا بأن يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي فإن صدورهم كانت تغلي على الرسول غلا وحنقا
وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وناهيك بما كان من ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يعصبوه بالعصابة وذلك شيء منظوم بالجواهر شبه التاج
أي يجعلوه ملكا فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك ويراد ما يداخل قلوبهم من الضعف والخور لأنهم كانوا يطمعون أن
ريح الإسلام تهب حينا ثم تركد فكانت تقوى قلوبهم بذلك الطمع فلما شاهدوا شوكة المسلمين وإعلاء كلمة الحق وما قذف الله في قلوبهم
من الرعب ضعفت جبنا وخورا ومعنى زيادة الله إياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فكفروا به ازدادوا كفرا إلى كفرهم فأسند الفعل
إلى المسبب كما أسند إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا إلى رجسهم وهذا كما قال الحكيم لابن المعتز كلما عد تزيدته شرا وكلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا ازداد حسدا وبغضا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع ويحتمل أن يقال الغل والحسد قد يفني مزاج القلب ويؤدي إلى تلف
صاحبه كقوله شعر اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله فأفضى صاحبه إلى الهلاك هو المعنى
بالزيادة والأليم الوجيع ووصف العذاب به على طريقة قولهم جد جده والألم بالحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر وفي ترتب الوعيد على الكذب دليل على قبح الكذب وسماجته وما يروى عن إبراهيم عليه السلام أنه كذب ثلث كذبات أحدها قوله إني سقيم
وثانيها قوله لسارة حين أراد أن يغصبها ظالم إنها أختي وثالثها قوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد التعريض إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب
ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به والكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وقد يعتبر فيه علم المخبر بكون الخبر على خلاف المخبر
والصدق نقيضه وقراءة من قرأ يكذبون بالتشديد بمعنى من كذبه الذي هو نقيض صدقه وأما من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ
في صدق فقيل صدق نحو بان الشيء وبين ومنه قوله قد بين الصبح لذي عينين أو بمعنى الكثرة نحو موتت البهائم أو من قولهم كذب الوحشي
إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره مذبذب بين ذلك قال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وما في قوله بما كانوا مصدرية أي بكذبهم وكان مقحمة ليفيد الثبوت والدوام أي بسبب أن
هذا شأنهم وكذبهم هو البحث الثالث في قوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا إلى قوله ولكن لا يشعرون هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال
المنافقين فقوله وإذا قيل إما معطوف على كانوا يكذبون أي ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وبما كانوا إذا قيل لهم كذا قالوا كذا
وإما على يقول أي ومن الناس من إذا قيل لهم ويحتمل أن يقال الواو للاستيناف وإسناد قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا ليس من إسناد الفعل
إلى الفعل فإنه لا يصح لكنه إسناد إلى لفظ الفعل أي وإذا قيل لهم هذا القول نحو زعموا مطية الكذب والقائل لهم إما النبي إذا بلغه عنهم النفاق
ولم يقطع بذلك نصحهم فأجابوا بما يحقق إيمانهم وأنهم في الصلاح وإما بعض من كانوا يلقون إليه الفساد كان لا يقبل منهم وبعضهم
وإما بعض المؤمنين ولا يجوز أن يكون القائل ممن لا يختص بالدين والفساد خروج الشيء عن أن يكون منتفعا به ونقيضه الصلاح وعن
هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي أن المراد بالإفساد المنهي عنه إظهار معصية الله تعالى فإن الشرائع
سنن موضوعة بين العباد فإذا تمسك الخلق بها زال العدوان ولزم كل أحد شأنه فحقنت الدماء وضبطت الأموال وحفظت الفروج
وكان ذلك صلاح الأرض وأهلها أما إذا أهملت الشريعة وأقدم كل واحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كل جانب وحدثت المفاسد
وقيل هو مداراة المنافقين الكافرين ومخالطتهم إياهم لأنهم إذا مالوا إلى الكفار مع أنهم في الظاهر مؤمنون أوهم ذلك ضعفا من النبي
وأصحابه فيصير سببا لطمع الكفار في المؤمنين فيهيج الفتن والحروب وقيل كانوا يدعون في السر إلى تكذيبه ويلقون الشبه ويفشون أسرار المؤمنين
ولما نهوا عن الإفساد في الأرض كان قولهم إنما نحن مصلحون كالمقابل له فههنا احتمالات أحدها أنهم اعتقدوا في دينهم أنه هو الصواب وكان

سعيهم

سعيهم لاجل تقويتر ذلك الدين فزعموا انهم مصلحون وثانيها اذا فسر لا تفسدوا لا تهيجوا الكافرين ان يكون مرادهم ان الغرض من تلك الموالاة هو الاصلاح بين المسلمين كقولهم فيما حكى الله سبحانه ان اردنا الا احسانا وتوفيقا وثالثها ان يكون المراد انكار اذا عمدوا اسرار المسلمين ولستم انفسهم الى الاستقامة وجيء باداة القصر لا لدعاء ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت اى حالنا مقصورة على الاصلاح لا تتعداه الى غيره والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي فيفيد التنبيه على تحقق ما بعدها كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولذا فادتها التحقيق لا يكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها قال اما والذي ابكى واضحك والذي اماتَ واحيا والذي امره الامر ردالله ما ادعوه من الانضمام في زمرة المصلحين ابلغ رد من جهة الاستيناف فان ادعائهم ذلك مع توغلهم في الفساد مما يشوق السامع ان يعرف ما حكمهم فرد الله عليهم وكان وروده بدون الواو وهو المطابق ومن جهة ما في الا وان من التاكيد ومن قبيل تعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون البحث الرابع في قوله واذا قيل لهم امنوا الاية هذا هو النوع الثالث من قبائح افعال المنافقين وذلك ان المؤمنين انوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه مما يجر الى الفساد والفتنة والثاني دعوهم الى الطريقة المثلى من اتباع ذوي الاحلام وبعبارة اخرى امروهم اولا بالتخلية عما لا ينبغي وثانيا بالتحلية بما ينبغي لان كمال حال الانسان في هاتين وكان من جوابهم فيما بينهم او للقائل ان سفهوهم وفي هذا تسلية للعالم اذا لم يعرف حقه الجاهل شعر واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل وما في كما يجوز ان تكون كافة تصحح دخول الجار على الفعل وتفيد تشبيه مضمون الجملة بالجملة كقوله كلبت بدعوا وربك صديق كاعر اخي ويجوز ان تكون مصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اى كما امن الرسول الله ومن معه هم ناس معهودون اى ليكن ايمانكم ثابتا كما ان ايمان هؤلاء ثابت ولتحصيل بما انكم تحصلوا ايمان هؤلاء او امنوا كما امن عبدالله بن سلام واتباعه لانهم من اجلائهم اى كما امن اصحابكم ويحتمل ان يكون للجنس اى كما امن الكاملون في الانسانية من الاقرار باللسان الناشئ عن الاعتقاد القلبي وجعل المؤمنون كانهم الناس ومن عداهم كالنسناس في عدم التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في انؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كقولك لصاحبك ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه والمعرفة يتطوى تحته الجاري مجراهم على زعمهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه وهو ضد الحلم واصله الخفة والحركة يقال تسفهت الريح الشجرة اذا مالت به قال ذوالرمة جرين كما اهتزت رماح تسفهت اعاليها مر الرياح النواسم وانما سفهوا المؤمنين مع رجحان عقول اهل الايمان لانهم لجهلهم واضلالهم بالنظر الصحيح اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق ولانهم كانوا في رياسة وثروة وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب بلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم كما قال قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا او ارادوا عبدالله بن سلام واشباعه لما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم عن انس انه سمع عبدالله بن سلام بمقدم رسول الله صلعم وهو في ارض يخترف فاتى النبي فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما اول اشراط الساعة وما اول طعام اهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه او الى امه فقال صلعم اخبرني بهن جبرئيل انفا اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله صلعم يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي قبل تسالهم بهتوني فجاءت اليهود فقال اى رجل عبدالله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال ارايتم ان اسلم عبدالله بن سلام قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج عبدالله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذي كنت اخاف يا رسول الله ثم ان الله تعالى الحق عليهم هذا اللقب مقرونا بالمؤكدات التي ذكرناها في قوله الا انهم هم المفسدون وذلك ان من اعرض عن الدليل ثم نسب المتمسك به الى السفه فهو السفيه وكذا من باع اخرته بدنياه قال صلعم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وايضا من السفه معاداة الجاحدين يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم كالطود يحقر نطحة الاوعال وانما فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان الوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل امر عقلي نظري واما النفاق وما يؤل اليه من الفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان فيما بينهم من التحالف والتجارب فهو كالمحسوس المشاهد لانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له البحث الخامس في قوله واذا لقوا الذين امنوا الاية هذا هو النوع الرابع من قبائح افعالهم ثم الفرق بين هذه الاية وبين قوله ومن الناس من يقول امنا ان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان معاملتهم مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم عن ابن عباس نزلت هذه الاية في عبدالله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلعم فقال عبدالله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال عبدالله لاصحابه كيف فعلت فقال فاذا رايتموهم فافعلوا كما فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلعم واخبروه بذلك فنزلت ونوى لقيتا اذا استقبلته قريبا منه وخلوت

السداد
شعر
عليهم
جلدتهم
شعر
نزع
شعر
التجارب والتجارة

بفلان وإذا انفردت معه ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به إذا سخرت
منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه إذا أنهوا السخرية بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد إليك
فلانا وأذم إليك أي أنهي إليك حمد فلان وذمه وعن ابن عباس أحمد إليكم غسل الإحليل أي أعلمكم أنه أمر محمود وشياطينهم رؤساؤهم
وأكابرهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم إما أكابر المنافقين فالقائلون إنا معكم أي مصاحبوكم وموافقوكم على أمر دينكم أصاغرهم وإما
أكابر الكافرين فالقائلون يحتمل أن يكون جميع المنافقين وإنما فسرنا بالرؤساء لأنهم هم القادرون على الإفساد في الأرض وإنما خاطبوا
المؤمنين بأضعف الجملتين وهي الفعلية وشياطينهم بأقواهما أعني الاسمية المحققة بإن لأنهم في ادعاء حدوث الإيمان الناشئ عن
صميم القلب منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان كاملون أما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه وهكذا كل قول لم يصدر عن صدق
رغبة وباعث أخلى وأما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على وجه التوكيد وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار القائلين ربنا إننا آمنا وأما مخاطبة
إخوانهم فعن وفور نشاط ورغبة وفي خبر القبول والرواج فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد وإنما فقد العاطف بين قولهم إنا معكم وبين
قولهم إنما نحن مستهزئون لأن الأول معناه الثبات على الكفر والثاني رد للإسلام لأن المستهزئ بالشيء منكر له دافع ودفع نقيض الشيء
إثبات وتأكيد للشيء أو لأن الثاني بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر أو لأنه قيل لهم إن كان ذلك صحيحا أنكم معنا توافقون أهل الإسلام
فقالوا إنما نحن مستهزئون والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع ثم إن الله تعالى أجابهم بأشياء
أحدها قوله الله يستهزئ بهم وهو استئناف في غاية الجزالة والفخامة كأنه سئل ما مصيرهم وعقبى حالهم فقيل الله يستهزئ بهم وفي
الالتفات من الحكاية إلى المظهر أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي استهزاؤهم بالنسبة إلى ذلك كالعدم وفي تخصيص
الله بالذكر مع قرينة أن المؤمنين هم الذين استهزئ بهم دلالة على أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين
أن يعارضوهم باستهزاء مثله فإن قيل الاستهزاء جهالة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزاء
الله بهم قلنا معناه إنزال الهوان والحقارة بهم وهو المقصود الأقصى للمستهزئ أو سمي جزاء الاستهزاء استهزاء مثل فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم أو عاملهم الله معاملة المستهزئ في الدنيا لأنه كان يطلع الرسول على أسرارهم مع كونهم مبالغين في إخفائها وفي
الآخرة على ما روي عن ابن عباس إذا دخل المؤمنون الجنة والكافرون النار فتح الله من الجنة بابا على الجحيم في الموضع الذي هو مسكن المنافقين
فإذا رأى المنافقون الباب مفتوحا أخذوا يخرجون من الجحيم ويتوجهون إلى الجنة وأهل الجنة ينظرون إليهم فإذا وصلوا إلى باب الجنة فهناك
يغلق دونهم الباب فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون فهذا هو الاستهزاء وإنما لم يقل الله
مستهزئ ليكون طبقا لقولهم إنما نحن مستهزئون لأن المراد تجدد الاستهزاء بهم وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم ونزول الآيات
في شأنهم أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا
إن الله مخرج ما تحذرون وثانيها قوله ويمدهم في طغيانهم هو من مد الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها
زادها ما يصلحها وإنما قلنا إنه من المدد لا من المد في العمر والإمهال لقراءة نافع في موضع آخر وإخوانهم يمدونهم في الغي على أن الذي بمعنى
أمهله إنما هو مد له مع اللام كأملى له قاله في الكشاف وهو مخالف لنقل الجوهري مده في غيه أي أمهله والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد
في العتو ومعنى مد الله تعالى إياهم في الطغيان يعرف في تفسير ختم الله على قلوبهم وقد يوجه بأنه لما منعهم ألطافه التي يمنحها المؤمنين بقيت
قلوبهم تتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في صدور المؤمنين فسمى ذلك التزايد مددا أو بأنهم لم ينوروا أو بأنه أسند فعل الشيطان
إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره ولا يخفى ما في هذا الوجه من التكلف لأن انتهاء الكل إلى مسبب الأسباب من هذا القبيل ثم قيل إن النكتة
في إضافة الطغيان إليهم هي أن يعلم أن التمادي في الضلالة مما اقترفته أنفسهم وأن الله بريء منه فإن الانتهاء إلى الله تعالى لما كان ضروريا
نكت به من ذلك يعمهون في موضع الحال والعمه كالعمى إلا أن العمى في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه
وثالثها قوله أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى أي اختاروها واستبدلوها بها وهذه استعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ
آخر قال أبو النجم شعر أخذت بالجمة رأسا أزعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا ... وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم إذ تنصرا
وعن وهب قال الله تعالى فيما يعيب به بني إسرائيل يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة جعلوا لتمكنهم من الهدى
بحسب الفطرة الإنسانية التحصيلية كأنه في أيديهم فتركوه واستبدلوا به الضلالة وهي الجور عن القصد وفقد الاهتداء وفي المثل ضل
دريص نفقه أي جحره والدريص ولد الفأرة ونحوها يضرب لمن يعيى بأمره فاستعيرت الضلالة للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل
على رأس المال والتجارة مصدر وإنما أسند الخسران إليها وهو لصاحبها إسنادا مجازيا بملابسة التجارة بالمشترين وقد يقال ربح عبدك
وخسرت جاريتك مجازا إذا دلت الحال ولما ذكر الله سبحانه شرى الضلالة بالهدى مجازا أتبعه ما يشاكله ويواخيه من الربح والتجارة
ليكون الاستعارة مرشحة كقوله ولما رأيت النسر عز ابن داية ... وعشش في وكريه جاش له صدري ... شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب

اتبعه ذكر التعيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة لان مطلوب التاجر في متصرفاته شيئان سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد
اضاعوا الطلبتين معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وللضلالة لزام عدمه فلا عوض ولا معوض فلا ربح ولا راس المال
وهكذا حال من يدعى الارادة ولا يخرج من العادة ويريد الجمع بين مقاصد الدنيا ومصالح الدين كالمنافق اراد الجمع بين عشرة الكفار
وصحبة المسلمين والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم واذا اقبل الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا نعوذ بالله من الغواية ونسئل ان يعصمنا
من الضلالة بعد الهداية مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ
مثل ایشان چون مثل کسی است که برافروزد آتشی پس چونکه روشن گردانید آتش گرداگرد او را ببرد خدا روشنی ایشان را و واگذاشت ایشان را

فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ
در تاریکیها که نتوانند دید کران و گنگان و کوران اند پس ایشان باز نگردند یا چون ابری از آسمان که در ان تاریکیهاست و

رَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
رعد و برق می گردانند انگشتهای خود را در گوشهای خود از صاعقها از ترس مردن و خدا احاطه کننده است به کافران

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
نزدیک است که برق ببرد چشمهای ایشان را هرچند که روشنی دهد ایشان را بروند در ان و چون تاریک شود بر ایشان بایستند و اگر خدا خواهد هر آینه ببرد

بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ القراءة اذانهم وبابه بالامالة نصير وابو عمرو بالكافرين وما اشبههما مما كان في محل
گوش ایشان را و چشم ایشان را هر آینه خدا بر هر چیز تواناست الخفض بالامالة ابو عمرو وقتيبة ونصير وابو عمرو ويعقوب غير روح شاء الله حيث كان بالامالة
حمزة وخلف وابن ذكوان والوقوف نارا لان جواب لما فيهما من معنى الشرط مع دخول فاء التعقيب فيها لا يبصرون ه لا يرجعون ه للعطف
بأو وهو للتخيير ومعنى التخيير لا يبقى مع الفصل ومن جعل او بمعنى الواو جاز وقفه لعطف الجملتين مع انها راسية وقد اعترضت بينهما
آية على تقدير ومثلهم كصيب وبرق لا لان قوله يجعلون يحتمل ان يكون خبر المحذوف اى هم يجعلون او حالا عاملة معنى التشبيه في الكاف و
ذو الحال محذوف اى كاصحاب صيب الموت ط بالكافرين ه ابصارهم ط لانكلما استئناف فيه ط لان تمام المقصود بان الحال المضاد للحال الاول
قاموا وابصارهم ط قدير ه التفسير لما جاء بحقيقة صفة المنافقين عقبها بضرب المثل تتميما للبيان ولضرب الامثال شان ليس بالخفى في رفع الاستار
عن الحقائق حتى يبرز المتخيل في معرض اليقين والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد ولامر ما اكثر الله تعالى في كتبه امثاله وتلك الامثال نضربها
للناس وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل ظلال ان طلبته تباعد ان تركته تتابع مثل الجليس الصالح كمثل الداري وامثال العرب
اكثر من ان تحصى حتى صنف فيها كتب مشهورة والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده
مثل ولا يخلو من غرابة ومن ثم حوفظ عن التغيير واما ههنا فاستعير المثل للحال والصفة او القصة التي فيها غرابة ولها شان شبهت حالهم العجيبة
الشان من حيث انهم لو تواضروا من الهدى بحسب الفطرة ولما نطقت به السنتهم من كلمة الاسلام فحقنوا دماءهم واموالهم عاجلا ثم لم يتوصلوا
بذلك الى النعيم الابد باستبطانهم الكفر فيؤول حالهم الى انواع الحسرات واصناف العقوبات بحال الذي استوقد نارا في توجه الطمع الى شيء
مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب والمراد بالذي استوقد ما جمع كقوله وخضتم كالذي
خاضوا وحذفت النون لاستطالته بصلته او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا ولولا عود الضمير الى الذي
مجموعا في قوله بنورهم وتركهم لم يحتج الى التكلفات المذكورة على انه يمكن ان يشبه قصة جماعة بقصة شخص واحد نحو مثل الذين حملوا التورية
ثم لم يحملوها كمثل الحمار وخمود النار سطوعها وارتفاع لهبها واوقدتها انا واستوقدتها ايضا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق و
النور ضوءها وضوء كل نير واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاضاءة فرط الانارة جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وهي في الاية متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء او
يستتر في الفعل اللازم ضمير النار ويجعل اشراق النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة والعام حولا لانه يدور وجواب لما ذهب الله بنورهم فالضمير يعود الى الذي استوقد نظرا
الى المعنى كما ان الضمير في حوله راجع اليه من حيث اللفظ وقيل الاولى ان يقال جوابه محذوف مثل فلما انهدوا به لما ابتر من الوجازة مع الامن
عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من الذكر في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله كان ما كان من حصولهم خابطين
في ظلام متحيرين خابثين بعد الكدح في احياء النار تنهاء ثم ان سائلا كانه يسئل ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب
الله بنورهم اى بنور المنافقين وعلى هذا يحتمل ان يكون الذي مفردا ويمكن ان يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان اى مثلهم
كمثل الذي استوقد ذهب الله بنورهم ومعنى اسناد الفعل الى الله انه اذا طفئت النار بسبب سماوي كريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب
بنور المستوقد او يكون المستوقد مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان يكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة

مدة اشتعالها واضاءتها فما منها الدنيوية قليلة البقاء وللباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل النزوة
كل طماح كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم وانما لم يقل اذهب الله بضوءهم على سياق فلما اضاءت لان ذكر النور ابلغ في الغرض وهو
ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا فان الضوء شدة النور وزيادته وذهاب الاصل يوجب زوال الزيادة عليه دون العكس والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه وامسكه وما
يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد واذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال
القلوب كقول عنترة شعر فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات والظلمة عدم النور عما من شانه ان يستنير
وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد الرؤية وتمنع وفي جمع الظلمة وتنكيرها
واتباعها ما يدل على انها ظلمة لا يترائى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون دلالة على ان الظلمة بلغت مبلغا يبهت معها الواصفون وكذا
في اسقاط مفعول لا يبصرون وجعله من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال الا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير
متعد ليسوا من اهل الابصار عن سعيد اصلا ومحل لا يبصرون اما جر صفة لظلمات اي لا يبصرون فيها شيئا واما نصب مفعولا
ثانيا او حالا منهم مثل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اي حال كونهم ليسوا من اهل الابصار عن سعيد بن جبير نزلت في اليهود وانتظارهم
لخروج النبي واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به وكان انتظارهم له كايقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك
النور ثم انه كان من المعلوم من حالهم انهم يسمعون وينطقون ويبصرون لكنهم شبهوا بمن ايفت مشاعرهم فقيل هم صم بكم عمي حيث
سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم وانما قلنا ان ما في الاية تشبيه لا
استعارة مع ان المشبه مطوي ذكره كما هو حق الاستعارة لان ذلك في حكم المنطوق به اذ لا يبقى الخبر بلا مبتدا ومعنى لا يرجعون لا يعودون
الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين لا يدرون ايتقدمون
ام يتاخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون شعر وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ؛ متاخر عنه ولا متقدم ؛ ومثله حال مريد
الطريقة الذي له بداية ولازم خلوته وصحبته حتى شرقت له من صفات القلب شوارق الشوق وبرقت له من انوار الروح بوارق الذوق
فطرقته الهواجس ونزعته الوساوس فرجع قهقرى الى ما كان من حضيض عالم الطبيعة فغابت شمسه واظلمت نفسه فضل يومه وامسه ثم انه تعالى
ضرب للمنافقين مثلا اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا عقيب ايضاح لان المقام مقام تفصيل واشباع فيكون تقدير الكلام مثل المنافقين
كمثل المستوقدين او كمثل ذوي صيب على معنى ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين فانهما سواء في صحة التشبيه بهما فانت مخير في
التشبيه بايهما شئت نحو جالس الحسن او ابن سيرين والتمثيلان جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفردة لا يتكلف لواحد واحد
شيء يقدر شبهه به بل روعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام وهي انهم في مقام المطمع في حصول المطالب ونجح المآرب لا يحظون الا بضد المطموع
فيه من مجرد مقاساة الاهوال وشدائد الاحوال ولا يخفى ان التمثيل الثاني ابلغ لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك
اخر وتدرجا من الاهون الى الاغلظ وانما قدرنا المضاف المحذوف حيث قلنا وكمثل ذوي صيب مع انه لا يلزم في التشبيه المركب ان يلي حرف
التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء الاية اذ ليس الماء المشبه به اذ التشبيه مركب لان الضمير في يجعلون لا بد له من
راجع هذا هو التحقيق وقد يقال شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يحوم حوله من شبه الكفار بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وعلى هذا
يكون تقدير المضاف ضروريا ليصح تشبيه المنافقين بهم ويكون المعنى مثلهم كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا
ويكون ذكر المشبهات مطويا على سنن الاستعارة والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا وتنكير صيب لدلالة
على انه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الاول والسماء هذه المظلة والفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء
انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الافاق لكنه غمام مطبق اخذ باقاق السماء وكما جاء بصيب
وفيه مبالغات من جهة التركيب ومن جهة البناء على فيعل والتنكير كذلك بان جعله مطبقا واعلم انه اذا وقعت القوى الفلكية على
العناصر باذن الله تعالى حركتها وخلطتها حصل من اختلاطها موجودات شتى فاذا هيج الفلك بالسخانة الحارة بخارا من الاجسام المائية و
دخانا من الاجسام الارضية وتارة شيئا بين البخار والدخان من الاجسام المائية والارضية اما الدخان فانه قد يتعدى صعوده
جو الهواء الى ان يوافي تخوم النار فيشتعل وربما سعى فيه الاشتعال فيرى كانه كوكب ينقض وربما لم يشتعل بل احترق وثبت فيه
الاحتراق فرايت العلامات الهائلة الحمر والسود واما البخار الصاعد فمنه ما يلطف ويرتفع جدا فيتراكم ويكثر مدده في اقصى الهواء عند
منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر لثقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا فينزل

كالبوامة

كما لو فيه برد الليل قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم في الاعالي اعني السحاب فينزل ان كان ثلجا وربما جمد البخار الغير
المتراكم في الاعالي اعني مادة الطل فينزل وكان صقيعا وهو ما يسقط بالليل من السماء شبيها بالثلج وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات
ماء فكان بردا وانما يكون جموده في الشتاء وقد فارق السحاب في الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجه فبطنت البرودة الى داخله
فتكاثف داخله واستحال ماء واجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال سحابا فاستحال مطرا واما الجواهر البخارية
والدخانية المركبة من مادتي الرطوبة واليبوسة فمنها ما يتخلص من الارض فيكون منها الرياح اذا تصعدت فتميز البخار من الدخان انعقد البخار
سحابا وبرد فتغلغل فيه الدخان طلبا للنفوذ الى العلو فيحصل من تغلغله فيه ضرب من الرعد وهو صوت ريح عاصفة في سحاب كثيف وربما
امتد ذلك التغلغل لكثرة وصول المواد ويكون اعالي السحاب اكثف لان البرد هناك اشد ويكون هناك ريح مقاومة تعوقها عن النفوذ فيندفع
الى السفل وقد اشتعلت بالمحاكة والحركة نارا فهو البرق فتشق السحاب شعلة لا تجمر بطفئ فيسمع من ذلك ضرب من الرعد ان كان قويا شديدا غليظ
المادة كان صاعقة وربما وجد منفذا فيه سهل الانشقاق فيخرج بلا رعد اشتغال بهذا القدر من الحقائق في هذا المقام لا ضير في
معرفتها بعد ان يعتقد انتهاء اسبابها الى مدبر الكل سبحانه وتعالى ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول ارتفع ظلمات بالظرف على الاتفاق من سيبويه
والاخفش لاعتماده على موصوف والصيب ان كان سحابا فظلماته سحمته وتطبيقه مضمومة اليها ظلمة الليل وان كان مطرا فظلماته تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمام مع ظلمة الليل ثم ان كان الصيب سحابا فكونه مكانا للرعد والبرق ظاهر وان كان مطرا فكونهما
متلبسين به في الجملة سوغ ذلك وانما لم يجمع الرعد والبرق كما قال البحتري: يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده
كما جمع ظلمات لانهما في الاصل مصدران فروعي حكم الاصل ويمكن ان يراد بهما الحدث كانه قيل ارعاد وابراق ونكرت هذه الاشياء
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب لانه في حكم
المذكور قال حسان: يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل اي يصفق لان المعنى ماء بردى وهي واد بدمشق
والبريص نهر من انهارها ويصفق اي يمزج والرحيق الخمر ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا كانه قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد
فقيل يجعلون اصابعهم ثم سئل فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فاجيب يكاد البرق يخطف ابصارهم وانما لم يقل انامله مع انها هي
التي تجعل في الاذن لان في ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل ولان اسم الكل قد يطلق على البعض نحو فاقطعوا ايديهما والمراد
الرسغ وليس بعض الاصابع كالمسبحة مثلا بجعلها في الاذن اولى من بعض حتى يقال لم ذكر العام والمراد الخاص وقوله من الصواعق اي من
اجل الصواعق نحو سقيته من الغيمة وقد يحصل مما ذكرنا ان الصاعقة قصيفة رعد تنقض معها شقة من نار تنقدح من السحاب اذا
اصطكت اجرامه هي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف
ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت واما بالاحراق وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة وحذر الموت مفعول له كقوله شعر واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض يعاقب الحيوة لا يصح معه احساس والله محيط بالكافرين مجاز اي قدرته لا
يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة والجملة معترضة لا محل لها يكاد من افعال المقاربة كاد يفعل كذا يكاد كودا ومكادة ومكادا و
المقاربة الشيء فعل او لم يفعل فمجرده ينبئ عن نفي الفعل ومقرونه بالجحد ينبئ عن وقوع الفعل وخبر كاد فعل مضارع بغير ان وهو ههنا
يخطف والبرق اسمه والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه قيل كيف يصنعون في حالتي خفوق البرق وخفوته و
اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم في مطرح نوره والمشي جنس
الحركة المخصوصة وفوقها السعي وفوقه العدو واظلم اما لازم وهو الظاهر واما متعد منقول من ظلم الليل اي اظلم البرق الطريق عليهم بان فتر
عن لمعانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم من قام الماء جمد وانما قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على وجود ما
همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه وكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وخطوا خطوات يسيرة وليس كذلك التوقف والتحبس ولو شاء
الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لذهب بها وهذا الحذف في شاء واراد كثير لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كقوله شعر فلو شئت ان ابكي دما
لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر اوسع * قال عز من قائل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه وكلمة لو تفيد انتفاء الثاني لانتفاء الاول وقد
يجيء للمبالغة كقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه المراد ان عدم العصيان ثابت على كل حال لانه على تقدير عدم الخوف ثابت فعلى تقدير
الخوف اولى والشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام مخصوص بدليل
العقل لان من الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل والواجب وجوده لذاته واما الممكن فابقاؤه على العدم وكذا ايجاده وابقاؤه على وجوده
لان جميع ذلك بقدرة القادر فلا يستغني الممكن من الازمان ولحظة من اللحظات عن تأثير القادر فيه وقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته

ع ٣ ونقيضها العجز فلا قادر بالحق الا هو سبحانه تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي
ای مردمان بپرستید پروردگار تان را آنکه آفرید شمارا وآنهارا که پیش از شما بودند تا شما پرهیزگار شوید
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
آنکه گردانید از جهت شما زمین را مانند بساط گسترده وآسمان را چون خانه وفرود آورد از آسمان آب پس بیرون آورد بآن از میوها کسب روزی شما پس قرار مدهید از برای خدا همتایان وحال آنکه شما میدانید
القراءة خلقكم مدغما ابو عمرو كذلك كل ما كان قبلها متحرك وزاد عباس كل ما كان قبلها ساكن مثل ما خلقكم وصدقكم وبورتكم وميثاقكم واشباه ذلك قال ابن مجاهد بدغمها باظهار صوت القاف قال غيره وهو ابن مهران لا يظهر ذلك كل صواب الوقوف تتقون لان الذى صفة الرب تعالى بناء لعطف الجملتين المتفقتين لكم لانقطاع النظم مع فاء التعقيب تعلمون التفسير لما قدم الله تعالى احكام فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم ومجاري امورهم عاجلا وآجلا اقبل عليهم بالخطاب وهو من جملة الالتفات الذى يورث الكلام رونقا وبهاء ومزيدا للسامع هزة ونشاطا ومن لطائف المقام انه تعالى كانه يقول جعلت الرسول واسطة بيني وبينك اولا والآن اريد في اكرامك وتقريبك فاخاطبك من غير واسطة ليحصل لك مع التنبيه على الادلة شرف المخاطبة والمكالمة وفيه اشعار بان العبد مهما اشتغل بالعبودية ازداد قربا وحضورا وايضا الآيات المتقدمة حكايات احوالهم وهذه امر وتكليف وفيه كلفة ومشقة فلا بد من راحة وهي ان يرفع الله الملوك الواسطة من البين ويخاطبهم بذاته ليسهل عليهم تحمل التكليف ولهذا قد صح الاسناد عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة بحسب هذا النقل وان كان من الجائز ان يخاطب المؤمنون باسم جنسهم ويؤمروا بالاستمرار على العبادة والازدياد منها ويا حرف وضع لاجل التخفيف مقام انادى لا لانشاء لا الاخبارية وههنا نكتة وهي ان اقوى المراتب الاسم واضعفها الحرف فظن قوم انه لا يأتلف الاسم بالحرف فكذا اقوى الموجودات هو الحق سبحانه وخلق الانسان ضعيفا فقالت الملائكة ما للتراب ورب الارباب أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقيل لهم قد يأتلف الاسم مع الحرف في حال النداء فكذا البشر يصلح لحضرة الرب حال التضرع والدعاء ادعوني استجب لكم وإذا سألك عبادي عني فاني قريب فاذكروني اذكركم ويا وضع في اصل النداء لما ليس بقريب حقيقة او تقديرا لكونه ساهيا او غافلا او نائما او لتبعيد المنادى عن ساحة عزة المنادى هضما واستقصارا كقول الداعي في جواره يا رب يا الله مع انه اقرب اليه من حبل الوريد ليتحقق الاجابة بمقتضى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم وقد ينادي القريب المفاطن في غير هذه الصورة بيا ويكون المراد بيان ان الخطاب الذي يتلوه معتنى به جدا نحو يا ايها الذين آمنوا يا عبادي يا ايها النبي لما يعقبها امور عظام وخطوب جسام من الاوامر والنواهي والعظات عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام وهو اسم مبهم يوصف باسم جنس ليتضح المقصود بالنداء مع ضرب من التأكيد المستفاد من الابهام ثم التوضيح وفي حرف التنبيه المقحم فائدتان معاضدة حرف النداء بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة ثم ان قلنا ان الخطاب عام لجميع المكلفين لان الجمع المعرف باللام يفيد العموم بدليل صحة تأكيده بكل واجمعون في مثل قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وبدليل صحة الاستثناء فالآية تتناول الذين سيوجدون بدليل منفصل وهو ما عرف بالتواتر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان حكمه في الموجودين في عصره حكمه من سيوجد الى قيام الساعة وان قلنا ان الخطاب لمشركي مكة فيدخل سائر الناس بالتبعية على ما مر وقلنا والمراد من قوله اعبدوا اصحوا نسبة العبادة وذلك بان يعرف نفسه بالامكان ليعرف ربه بالوجوب ويعرف نفسه بالمالكية ويعرف نفسه بالمقهورية والمقدورية ليعرف ربه بالقاهرية والقادرية ويعرف نفسه بالمربوبية ليعرف ربه بالربوبية والذلة ليعرف ربه بالاثرة والعزة فلا يتجاوز حده ولا يعكس هذه القضايا فلا يرى لنفسه تصرفا بوجه من الوجوه ولا تملكا بنوع من الانواع وانما يكون عبدا ذليلا مائلا بين يدي مولاه طائعا له بكل ما يأمره وينهاه لانه اذا تصور كونه عبدا فلا بد ان يطلب لنفسه سيدا واذا وجد السيد فلا محالة يوطن نفسه لطاعته وانقياده ولا يرى مخالفته في شيء اصلا اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين والا لم يصح نسبة عبوديته عن الاصمعي انه اتى بغلام ليشتريه فقال له ما اسمك قال ما تسميني قال اي شيء تأكل قال ما تطعمني قال ما تشرب قال ما تسقيني قال ما تريد ان اشتريك قال العبد لا يكون له ارادة والامر بالعبادة بهذا المعنى يشمل الكافر والمؤمن وكل من له اهلية الخطاب ويندرج فيه المبادي والنهايات والاصول والفروع ثم انه تعالى لما علم القصور البشري وضعف قواهم الفطرية والفكرية ارشدهم اليه ونبههم عليه بقوله ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واعلم ان الطريق الى معرفة الواجب سبحانه ونعم بعد ما قلنا من الرجوع الى النفس والتنبه لنسبة العبودية اما الامكان او الحدوث ومجموعهما كل منهما في الجواهر او في الاعراض اما الاستدلال بامكان الذوات فاليه الاشارة بقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء وان الى ربك المنتهى واما الاستدلال بامكان الصفات خلق الله السموات والارض الذي جعل لكم الارض فراشا وبحدوث الاجسام قول ابراهيم عليه السلام لا احب الآفلين وبحدوث الاعراض لآيات الانفس ودلائل الآفاق فان كل احد يعلم بالضرورة انه كان معدوما قبل ذلك الموجد بعد العدم له موجد

ليس هو نفسه ولا الأبوان ولا سائر الناس لعجز الكل ولا الطبائع والفصول والأفلاك لأن الأفلاك في أفق الإمكان فهو شيء غير مسلم بسمة الحدوث
والنقصان وهذا الطريق هو أقرب الطرق إلى الأفهام فلهذا أورده الله تعالى في أكثر كتابه لينتفع به الخاص والعام مع أن فيه تذكير
النعم السابغة ومنة عظيمة سابقة عليهم وعلى آبائهم وتذكير النعم مما يوجب المحبة والميل إلى الإنصاف وترك الجدال وأما قوله
لعلكم تتقون ففيه بحثان الأول كلمة لعل للترجي أو الإشفاق ولا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة وهو على الله محال والجواب أن
الترجي راجع إلى العباد لا إلى الله تعالى كقوله لعله يتذكر أو يخشى أي اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما في إيمانه ثم عالم بما يؤول إليه أمره وأيضا
فمن دين الملوك أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم لإنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحو ذلك لا يبقى لطالب عندهم شك
في الفوز والنجاح بالمطلوب فجاء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد مثل توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر
عنكم سيئاتكم أو وقع لعل موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات و
أزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا لترجح أمرهم وهم مختارون
بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المترجي بين أن يفعل وبين أن لا يفعل ونظيره ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهذا الجواب مبني على
أن قوله لعلكم متعلق بخلقكم مثل وما خلقت الجن إلا ليعبدون لا باعبدوا وقيل لعل بمعنى كي ووجه بأنها للإطماع والكريم الرحيم إذا
أطمع فعل فجرى إطماعه مجرى وعده المحتوم فلهذا قيل إنها بمعنى كي قال القفال في لعل معنى التكرير والتأكيد إذ اللام للابتداء نحو لقد
وكقولهم علك أن تفعل كذا وعل يفيد التكرير ومنه العلل بعد النهل فقول القائل افعل كذا لعلك تظفر بحاجتك معناه افعله فإن
فعلك له يؤكد طلبك له ويقويك عليه البحث الثاني إذا كانت العبادة تقوى فقوله لعلكم تتقون جار مجرى قوله اعبدوا ربكم لعلكم
تعبدون والجواب المنع من اتحاد مفهوميهما وخصوصا على ما فسرنا إذ المعنى يعود إلى قولنا صححوا النسبة العبودية لتتصفوا بصفة التقوى
وهي الاجتناب عن المعاصي فقط وهو مع الإتيان بالأوامر بتمامه وإما أن يكون رفعا على المدح أي هو الذي وكلمة الذي موضوعة للإشارة
إلى المفرد عند محاولة تعريفه بقضية معلومة فقوله جعل لكم الأرض فراشا قضية معلومة فأدخل عليها الذي ليتنبهوا للجاعل و
يعرفوا به ثم الحاصل أنه تعالى عدد في هذا المقام عليهم بقصد خمسة دلائل اثنين من الأنفس وهما خلقهم وخلق أصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الأرض
فراشا والسماء بناء والأمور الحاصلة من مجموعهما وهي إنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات بسببه وسبب هذا الترتيب ظاهر لأن أقرب
الأشياء إلى الإنسان نفسه ثم ما منه منشأه وأصله ثم الأرض التي هي مكانه ومستقره يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب
أحدهم على فراشه ثم السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين المقلة والمظلة من
إنزال الماء عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الحيوان من ألوان الغذاء وأنواع الثمار رزقا لبني آدم وأيضا خلق المكلفين و
إحياء قادرين أصل لجميع النعم وأما خلق الأرض والسماء فذلك إنما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياة والقدرة والشهوة وذكر الأصول
مقدم على ذكر الفروع وأيضا كل ما في السماء والأرض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة والقدرة
والشهوة والعقل ولما كانت وجوه الدلالة فيه أتم كان تقديمه في الذكر أهم وبتقريب هنا مسائل الأولى في منافع الأرض الفراش اسم لما يفرش
كالمهاد اسم لما يمهد والبساط لما يبسط وليس من ضرورات الافتراش أن يكون سطحا مستويا كالفراش على ظاهر فسواء كانت كذا أو على
شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم جرمها وتباعد أطرافها ولكنه لا يتم الافتراش عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي
وهو وسط الأفلاك لأن الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كما أن الخفاف بالطبع تميل إلى فوق والفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء وما يلي المركز
فكما أنه يستبعد صعود الأرض فيما يلينا إلى جهة السماء فليستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لأن ذلك الهبوط صعود أيضا إلى السماء فإذن
لا حاجة في سكون الأرض وقرارها في حيزها إلى علاقة من فوقها ولا إلى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها وركز فيها
من الميل الطبيعي إلى الوسط الحقيقي بقدرته واختياره إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ومما من الله تعالى به على عباده في خلق
الأرض أنه لم يجعلها في غاية الصلابة كالحجر ولا في غاية اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم والمشي عليها وأمكنت الزراعة واتخاذ الأبنية
منها وتيسر حفر الآبار وإجراء الأنهار ومنها أن لم تخلق في نهاية اللطافة والشفيف ليستقر الأنوار عليها ويتسخن منها فيمكن جوارها
ومنها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أن طبعها الغوص فيه لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها وسبب انكشاف ما برز منها وهو ربع
من ربعها أن لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي والماء بحيث إذا انجذب الماء بطبعه إلى المواضع الغائرة والمنخفضة منها بقي شيء منها
مكشوفا وصار مجموع الأرض والماء بمنزلة كرة واحدة يدل على ذلك فيما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب وغروبها للمشرقيين على طلوعها
وغروبها للمغربيين وفيما بين الشمال والجنوب في ازدياد ارتفاع القطب الظاهر وانحطاط الخفي للواغلين في الشمال وبالعكس للواغلين في الجنوب
وتركب الاختلافين لمن يسير على سمت بين السمتين إلى غير ذلك من الأغراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر وراكب البحر
ونتوء الجبال وإن شمخت لا يخرجها عن أصل الاستدارة لأنها بمنزلة الخشونة القادحة في ملاسة الكرة في استدارتها ومنها الأشياء المتولدة

فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية ولا يعلم تفاصيلها الا موجدها ومنها ان يتحجر الرطب منه فيحصل التماسك في
ابدان المركبات ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدماثة والوعورة بحسب اختلاف الاغراض والحاجات وفي الارض
قطع متجاورات ومنها اختلاف الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومنها انصداعها بالنبات والارض
ذات الصدع ومنها جذبها للماء المنزل من السماء وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنها العيون والانهار العظام
التي فيها والارض مددناها ومنها ان لها طبع الكرم والسماحة تأخذ واحدة وترد سبعمائة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة
مائة حبة ومنها حيوتها وموتها وآية لهم الارض الميتة احييناها ومنها الدواب المختلفة وبث فيها من كل دابة ومنها النبات
المتنوعة وانبتنا فيها من كل زوج بهيج فاختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر
ومنها قوت البهائم كلوا وارعوا انعامكم ومنها الطعام والادام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان
وحيوانية كالشعر والصوف والابريسم والجلود ومنها الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية فانظر الى الحجر الذي يستخرج منه النار
مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الخطير ومنها ما اودع الله تعالى فيها من المعادن
الشريفة كالذهب والفضة ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير
من اوج الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند العزة و
القدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا ومن هٰهنا اشتهر في الالسنة من طلب المال بالكيميا
افلس ومنها ما يوجد على الجبال والاراضي من الاشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشد الحاجة اليه في الخبز والطبخ ولعل ما تركنا هنا ذكره
من المنافع اكثر مما عددنا فاذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب عرف بمدبر حكيم ومقدر عليم ان كان ممن يسمع ويعي ويبصر ويعتبر
الثانية في منافع السماء البناء مصدر سمي به المبنى بيتا كان او قبة او خباء وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا
ضربوا عليها خباء جديدا ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وبالقمر وجعل القمر فيهن نورا وبالشمس
وجعل الشمس سراجا وبالعرش رب العرش العظيم وبالكرسي وسع كرسيه السموات والارض وباللوح في لوح محفوظ وبالقلم ن
والقلم وسماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر ان خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ربنا ما خلقت هذا
باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وجعلها مصعد الاعمال ومهبط الانوار وقبلة الدعاء و
محل الضياء والصفاء وجعل لونها انفع الالوان وهو المستنير وشكلها افضل الاشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين و
علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقيض للشمس طلوعا فسهل معه التقلب لقضاء الاوطار في الاطراف وغروبا يصلح معه الهدو
والقرار في الاكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء وايضا لولا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة
والكثافة وافضت الى خمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولولا الغروب لحميت الارض حتى يحترق كل من عليها من حيوان ونبات فهي بمنزلة
سراج يوضع لاهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح
قطان الارض وههنا نكتة كان الله تعالى يقول لو وقفت الشمس في جانب من السماء فالغني قد يرفع بناء على كوة الفقير فلا يصل النور
الى الفقير لكني ادير الفلك واسيرها حتى يجد الفقير نصيبه كما وجد الغني نصيبه ثم ارتفاع الشمس وانحطاطها قد جعله الله سببا لاقامة الفصول
الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويتلطف الهواء فيكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوان
بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء ويطلع النبات ويتنور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي
الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس
فتنتهي الثمار ويستعد الابدان قليلا قليلا للشتاء واما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وتضبط المواقيت
الشرعية ومنه تحصيل النماء والرواء وقد جعل الله تعالى في طلوعه مصلحة وفي غيبته مصلحة يحكى ان اعرابيا نام عن جمله ليلا ففقده
فلما طلع القمر وجده فنظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء نورك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا
اسئله لك فان اهديت الي سرورا فقد اهدى الله اليك نورا ثم انشأ يقول شعرا ماذا اقول وقولي فيك ذو قصر * وقد كفيتني التفصيل
والجملا * ان قلت لا زلت مرفوعا فانت كذا * او قلت زانك ربي فهو قد فعلا * وقد كان في العرب من يذم القمر ويقول القمر يدني
الهارب ويهتك الفاسق ويبلي الكتان ويهرم الشاب وينسي ذكر الاحباب ويقرب الدين ويدني الحين وكيفية ارتباط القمر وسائر
الكواكب بالشمس وكيفية حركاتها وبيان اختلافاتها واوضاعها وعلل كل منها فن برأسه لا يحتمل ايراده ههنا قال الجاحظ اذا تأملت
في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة في
مصالحه كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه

فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم المخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية الثالثة في ان السماء افضل ام الارض
قال بعضهم السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما اتى ادم عم بتلك المعصية اهبط من الجنة وقال الله تعالى
لا يسكن في جواري من عصاني وقال تعالى وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وقال تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وورد في الاكثر
ذكر السماء مقدما على ذكر الارض والسموات مؤثرة والارضيات متاثرة والمؤثر اشرف من المتاثر وقال آخرون بل الارض افضل لانه
تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
حَوْلَهُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا يعني ارض الشام ووصف جملة الارض بالبركة وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فان قيل واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن خلق
لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات قال تعالى وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ تشريفا لهم لانهم المنتفعون بها كما قال هُدًى لِلْمُتَّقِينَ وخلق الانبياء
من الارض مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ واودعهم فيها وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا ولما خلق الله الارض
وكانت كالصدفة والدرة المودعة فيها ادم عم واولاده ثم علم الله اصناف حاجاتهم فقال يا ادم لا احوجك الى شيء غير هذه الارض التي
هي لك كالام فقال أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ يا عبدي
ان اعز الاشياء عندك الذهب والفضة ولو اني خلقت الارض منهما هل كان يحصل منهما هذه المنافع ثم جعلت لك هذه الاشياء في الدنيا
مع انها سجن لك فكيف الحال في الجنة فالحاصل ان الارض لك بل اشفق من الام لان الام تسقيك نوعا واحدا من اللبن والارض تطعمك
الوانا من الاطعمة ثم قال مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ معناه نردكم الى هذه الام وهذا ليس بوعيد لان المرء لا يتوعد بامه ذلك لان مقامك
من الام التي ولدتك ضيق ومقامك من الارض ثم انك كنت في بطن الام تستغرق بها ما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الام
الكبرى ولكن الشرط ان تدخل بطن الام الكبرى كما كنت في بطن الام الصغرى ما كانت لك زلة فضلا من ان يكون لك كبيرة بل كنت مطيعا
لله فحيث دعاك مرة بالخروج الى الدنيا خرجت اليها بالراس طاعة منك لربك واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلوة فلا تجيبه برجلك
الرابعة معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كالنطفة في خلق الولد
وهو قادر على انشاء الاشياء بلا اسباب ومواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في هذا التدريج والتسبيب حكما يتبصر بها من يتبصر
ويتفطن بها من يتفطن ومن في من الثمرات للتبعيض لانه قصد بتنكير ماء ورزقا معنى البعضية لانه مفرد في سياق الاثبات فكانه قيل و
انزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا معنى صحيح لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع
الثمرات ولا جعل الرزق كله من الثمرات فيكون كل الثمر بعض الرزق فضلا عن بعضها ويجوز ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم
الفا ثم ان كانت من للتبعيض كان انتصاب رزقا بانه مفعول له وان كانت للبيان كان مفعولا لاخرج ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به
العين وان جعل مصدرا فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم وانما قيل الثمرات على لفظ القلة وان كان الثمر المخرج بماء السماء جما كثيرا لانه
قصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره كقولهم للقصيدة كلمة وللقرية مدرة ولان القلة
وضعت موضع الكثرة نحو ثلثة قروء او تنبيها على قلة ثمار الدنيا في جنب ثمار الآخرة الخامسة قوله فَلَا تَجْعَلُوا اما ان يتعلق بالامر اي
اعْبُدُوا رَبَّكُمُ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ندا ولا شريكا او بلعل فينصب تجعلوا بعده
مثل لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ في رواية حفص عن عاصم او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي
نصب لكم هذه الادلة القاطعة والآيات الناطقة بالوحدانية فلا تتخذوا له تعالى شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي
من ناددت الرجل خالفته ونافرته وند ندودا اذا نفر ومعنى قول الموحد ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه قوله وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
بترك المفعول معناه وانتم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال وهكذا كانت العرب خصوصا قطان الحرم من قريش
وكنانة لا يشق غبارهم في الدهاء والفطنة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العارفون المميزون ثم ما انتم عليه في امر الديانة انكم من جعل الاصنام لله
اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل او يجوز ان يقدر وانتم تعلمون انها لا تماثل وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون
انها لا تفعلون مثل افعاله كقوله هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ واعلم انه ليس في العالم احد يثبت لله شريكا يساويه في
الوجوب والعلم والقدرة والحكمة ولكن الثنوية يثبتون الهين حكيم يفعل الخير وسفيه يفعل الشر واما اتخاذ معبود سوى الله ففي الذاهبين
اليه كثرة الفريق الاول عبدة الكواكب وهم الصابئة فانهم يقولون ان الله تعالى فوض تدبير هذا العالم الى هذه الكواكب هي المدبرات في هذا العالم فيجب علينا ان
نعبد الكواكب والكواكب تعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح عم والفريق الثالث عبدة الاوثان فيقول لا دين اقدم من دين عبدة
الاوثان لان اقدم الانبياء الذي نقل الينا تاريخهم هو نوح عم وهو انما جاء بالرد عليهم وقالوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ودينهم باق الى الان والدين الذي هذا شانه يستحيل ان يعرف فساده بالضرورة ولكن العلم بانه

المفاوز

مفعول به

الجزء الاول

النجم المنحوس في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض فيمتنع اطباق الجمع العظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك والعلماء ذكروا فيه وجوها احدها ما ذكره ابو معشر جعفر بن محمد المنجم البلخي ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته ويعتقدون انه جسم وصورة كاحسن ما يكون من الصور وكذا الملائكة وانهم كلهم قد احتجبوا عنا بالسماء وان الواجب عليهم ان يصوغوا تماثيل انيقة المنظر على الهيئة التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة فيعكفون على عبادتها قاصدين به طلب الزلفى الى الله تعالى وملائكته فعلى هذا السبب في عبادة الاوثان هو اعتقاد التشبيه ثانيها ما ذكره اكثر العلماء وهو ان الناس لما رأوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب اعتقدوا ان السعادة والنحوسة في الدنيا بكيفية وقوعها في طوالع الناس فبالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها وهي التي خلقت هذه العوالم ومنهم من اعتقد انها مخلوقة لله الاكبر لكنها خالقة لهذا العالم وانها الوسائط بين الله والبشر فلا جرم اشتغلوا بعبادتها والخضوع لها ثم لما رأوا الكواكب مستترة في اكثر الاوقات عن الابصار اتخذوا لها اصناما واقبلوا على عبادتها قاصدين بتلك العبادة تلك الاجرام العالية ومتقربين الى اشباحها الغائبة ولما طالت المدة تركوا ذكر الكواكب وتجردوا لعبادة تلك التماثيل فهؤلاء بالحقيقة عبدة الكواكب وثالثها ان اصحاب الاحكام كانوا يتقنون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالف والالفين ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اذا اتخذوا ذلك الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار ذلك كالعبادة ثم نسوا مبدأ الامر بطول المدة واشتغلوا بعبادتها في ذلك التعظيم ورابعها انه متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه انه مستجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله تعالى اتخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد ان ذلك الانسان يكون شفيعا لهم يوم القيمة عند الله تعالى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وخامسها لعلهم اتخذوها قبلة لصلوتهم وطاعاتهم ويسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن جهال القوم انه يجب عبادتها وسادسها لعلهم كانوا من المجسمة فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها على هذا التأويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة فان قيل لما رجع حاصل مذهب عبدة الاوثان الى الوجوه التي ذكرت فما وجه المنع عنها قلنا لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط ولا يفيد في طريق عبادته الا الحنيفية والاخلاص ورفع الوسائط من البين واعلم ان اليونانيين كانوا قبل خروج الاسكندر عمدوا الى بناء هياكل لهم معروفة باسماء القوى الروحانية والاجرام النيرة واتخذوها معبودة لهم على حدة وقد كان هيكل العلة الاولى وهي عندهم للامر الالهي وهيكل العقل الصريح وهيكل السياسة المطلقة وهيكل النفس والصور مدورات كلها وكان هيكل زحل مسدسا وهيكل المشتري مثلثا وهيكل المريخ مستطيلا وهيكل الشمس مربعا وهيكل الزهرة مثلثا في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلثا في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمنا وزعم اصحاب التاريخ ان عمرو بن لحي لما ساد قومه وترأس على طبقاتهم وولي امر البيت الحرام اتفقت له سفرة الى البلقاء فرأى قوما يعبدون الاصنام فسألهم عنها فقالوا هذه اوثان نستنصر بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى فالتمس منهم ان يكرموه بواحد منها فاعطوه الصنم المعروف بهبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة ودعا الناس الى تعظيمه وذلك في اول ملك شابور ذي الاكتاف ومن بيوت الاصنام المشهورة غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان ومنها نوبهار الذي بناه [illegible] منوچهر الملك على اسم القمر ثم كان لقبائل العرب اوثان معروفة مثل ود بدومة الجندل لكلب وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر بارض حمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومناة بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة واساف ونائلة على الصفا والمروة وكان قصي جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وكذلك زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق قومه وهو الذي يقول شعر

أربا واحدا أم ألف رب ... أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الرجل البصير

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

واگر هستيد در شک از آنچه فرستاديم بر بنده خود پس بياريد يک سوره مانند آن و بخوانيد گواهان خود را اگر هستيد راستگويان پس اگر نکرديد و هرگز نخواهيد کرد پس بترسيد از آتشی که هيزم آن مردمانند و سنگهای کبريت که آماده شده است برای کافران

القراءة ما يتعلق بهما من ضم ميم الجمع ومن امالة الناس نعرف مما مر الوقوف من مثله ط صادقين ه والحجارة ج على تقدير هي اعدت للكافرين والوصل اجوز لان قوله اعدت بدل الجملة الاولى او لها صلة للتي للكافرين ه التفسير لما بين بالآيتين السابقتين على طريق الاعتراف بوجود الصانع ووحدانيته اعقبهما بما يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحقية ما نزل عليه وقد ذكر في كون القرآن معجزا طريقان الاول انه اما ان يكون مساويا لكلام سائر الفصحاء او زائدا عليه بما لا ينقض العادة او بما ينقضها والاولان باطلان لانهم وهم زعماء وملوك الكلام تحدوا بسورة منه مجتمعين او منفردين ثم لم يأتوا بها مع انهم كانوا امنها

في ابطال امره حتى بذلوا النفوس والاموال وارتكبوا المخاوف والمحن وكانوا في الحمية والانفة الى حد لا يقبلون الحق كيف الباطل فتعين القسم الثاني
الطريق الثاني ان يقال ان بلغت السورة المتحدى بها في الفصاحة الى حد الاعجاز فقد حصل المقصود والا فامتناعهم من المعارضة مع
شدة دواعيهم الى توهين امره معجز فعلى التقديرين يحصل الاعجاز فان قيل ومايدريك انه لن يعارض في مستانف الزمان وان لم يعارض
الى الآن قلت لانه لا احتياج الى المعارضة اشد مما في وقت التحدي والا لزم تقرير المبطل المشبه للحق وحيث لم تقع المعارضة وقتئذ علم
ان لا معارضة والى هذا اشار سبحانه بقوله ولن تفعلوا كما يجيء واعلم ان شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة
الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة فمدرك الاعجاز هو الذوق ومن الاعجاز بانه صرف الله تعالى البشر عن معارضته او بانه هو
كون اسلوبه مخالفا لاساليب الكلام او بانه هو كونه مبرأ عن التناقض او بكونه مشتملا على الاخبار بالغيوب بما ينخرط في سلك هذه
الآراء فقد كذب بن اخت خالته فانا نقطع ان الاستغراب من سماع القرآن انما هو من اسلوبه ونظمه المؤثر في القلوب تأثيرا لا يمكن
انكاره لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد لا من صرف الله تعالى البشر عن الاتيان بمثله كما لو قال احد معجزتي ان اضع الساعة يدي على
راسي ويتعذر ذلك عليكم وكان كما قال جاء الاستغراب من التعذر لا من نفس الفعل وايضا لتسمية كل اسلوب غريب معجزا باطل وكذا التسمية
كل كلام مبرأ عن التناقض ومشتمل على الغيب ككلام الكهان ونحوهم فان قيل كيف نعتقد اعجاز القرآن بحيث يعجز عنه الثقلان فقط
والزائد غير معلوم الحال او بحيث يعجز عنه المخلوقات باسرها قلنا لا ريب ان الحق هو القسم الثاني الا ان التحدي لم يقع الا بالقدر الاول وبه
يثبت صحة النبوة لكن النبي صادق وقد اخبر بانه كلام الله تعالى ونحن نعلم ان كلامه صفته يجب ان يكون في نهاية الكمال وفي نهاية الجلال فالقرآن اذن
في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة والبلاغة بلوغ المتكلم حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية
على وجهها وهي فيما كانها هيئة اجتماعية حاصلة من معرفة قوانين علم المعاني والبيان والفصاحة اما معنوية وهي خلوص الكلام عن التعقيد
والتعقيد ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه ويشك طريقك الى المعنى ويوعر مذهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب ظنك فلا تدري
من اين توصل وباي طريق معناه يتصل واما لفظية وهي ان تكون الكلمة عربية اصلية وعلامة ذلك ان تكون على السنة الفصحاء من
العرب الموثوق بعربيتهم ادور واستعمالهم لها اكثر وان تكون اجرى على قوانين اللغة العربية وان تكون سليمة عن التنافر وعدمه على العذبة
سلسة على الاسلات والحاكم في ذلك هو الذوق السليم والطبع المستقيم فقلما ينجع هنالك الا ذلك ثم انه قد اجتمع في القرآن وجوه كثيرة
تقتضي نقصان فصاحته ومع ذلك فانه بلغ في الفصاحة النهاية التي لا غاية وراءها فدل ذلك على كونه معجزا منها ان فصاحة العرب اكثرها
في وصف المشاهدات كبعير او فرس او جارية او ضربة او طعنة او وصف حرب او وصف غارة وليس في القرآن من هذه الاشياء مقدار كثير
منها انه تعالى راعى طريق الصدق وتبرأ عن الكذب وقد قيل احسن الشعر اكذبه لهذا كان لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت لما اسلما وتركا سلوك
سبيل الكذب والتخييل ترك شعرهما ومنها ان الكلام الفصيح والشعر الفصيح انما يتفق في بيت وبيتين من قصيدة والقرآن كله فصيح ككل جزء
منه ومنها ان الشاعر الفصيح اذا كرر كلاما لم يكن الثاني في الفصاحة بمنزلة الاول وكل مكرر في القرآن فهو في نهاية الفصاحة وغاية الملاحة
شعر: اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ❊ هو المسك ما كررته يتضوع ❊ ومنها انه اقتصر على ايجاب العبادات وتحريم المنكرات والحث على مكارم
الاخلاق والزهد في الدنيا والاقبال على الآخرة ولا يخفى ضيق عطن البلاغة في هذه المواد ومنها انهم قالوا ان شعر امرئ القيس يحسن
في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحرب وشعر الاعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء والقرآن جاء فصيحا
في كل فن من فنون الكلام فانظر في الترغيب الى قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الترهيب خاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم
ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وفي الزجر فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من اغرقنا وفي الوعظ افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم
ما كانوا يمتعون وفي الالهيات الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير
المتعال ومنها ان القرآن اصل العلوم كلها كعلم الكلام وعلم اصول الفقه وعلم الفقه واللغة والنحو والصرف والنجوم والمعاني والبيان وعلم
الاحوال وعلم الاخلاق وما شئت ومن يطيق وصف القرآن وبلاغته فانه كما ان الاتيان باقصر سورة منه فوق حد البشر فوصفه كما هو فوق
طاقة البشر شعر: فدع عنك بحرا ضل فيه السوابح ❊ وانما قيل وان كنتم في ريب مما نزلنا دون انزلنا لما عرفت في تفسير لا ريب فيه وانما الخبر نزلنا على لفظ التنزيل
دون الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي في ذلك انهم كانوا يقولون لو انزله الله لانزله جملة واحدة
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة اي على خلاف ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا شيئا
فشيئا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة فقيل لهم ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه اصغر سورة وهي الكوثر ومعنى السورة مذكور في المقدمة الخامسة وانما قيل على عبدنا دون
ان يقال على محمد كقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد تشريفا له واعلاما بانه ممن صح لنسبة العبودية المامور بها

في قوله يا ايها الناس اعبدوا واضافة العبد الى الضمير ايضا تنويه بذلك كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقيل ان السعادة كل السعادة
في نسبة العبدية فهي التي توصل الى العندية في مقعد صدق عند مليك مقتدر وانا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي وكمال العبدية في كمال الحرية
عما سوى الله واما فائدة تفصيل القران وتقطيعه سورا فمن ذلك ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل الانواع على الاصناف كان افراد
كل صنف صاحبه احسن ولهذا وضع المصنفون كتبهم على الابواب والفصول ونحوها ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في اخر كان
انشط له كالمسافر اذا قطع ميلا او طوى فرسخا ومن ثم جزءوا القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحاذق اذا حذق السورة اعتقد
انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها فيجل في نفسه ومنه حديث انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا ولهذا كانت القراءة
في الصلوة بسورة تامة افضل ومن مثله متعلق بمحذوف اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا
والضمير للعبد معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب والنظم الانيق او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم
يقرأ الكتب ولم يقصد الى مثل ونظير معين ولكنه كقول من قال للحجاج وقد توعده بقوله لاحملنك على الادهم مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب
اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسط اليد ولم يقصد احدا يجعله مثل الحجاج ورد الضمير على المنزل اوجه عليه المحققون
ويروى عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن لان ذلك يطابق الايات الاخر فاتوا بسورة من مثله فاتوا بعشر سور مثله ولان البحث انما وقع
في المنزل عليه اذ المعنى وان ارتبتم ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم شيئا مما يماثله ولو كان الضمير مردودا الى الرسول فمقتضى الترتيب
ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فاتوا بسورة ممن يماثله والجمهور لو كان عائدا الى القران اقتضى ان يكونوا عاجزين عن الاتيان بمثله
مجتمعين ومتفرقين اميين او قارئين لو عاد الى النبي اقتضى ان يكون الشخص الواحد الامي الذي هو مثله عاجزا ولا شك ان الاعجاز على
الوجه الاول اقوى ولا سيما فانه يلزم من الوجه الثاني تقرير نقص للنبي وايهام ان الاتيان بالقران ممن يكون قاريا ممكن وايضا الاول
هو الملايم لقوله وادعوا شهداءكم اذ لو كان المراد فليأت واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد لم يحتج ان يستظهر بالشهداء وهي جمع ‏هذا الوجه
بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة والمراد بها اما الهتهم كانه قيل ان كان الامر كما تقولون من انها تستحق العبادة لما انها تنفع وتضر فقد وقعتم
فيما زعمه محمد في فاقة شديدة فتعجلوا الاستعانة بها والا فاعلموا انكم مبطلون فيكون في الكلام محاجة من جهتين من جهة ابطال كونها الهة
وما انكروه من اعجاز القران واما اكابرهم ورؤساؤهم اي ادعوهم ليعينوكم على المعارضة وليحكموا لكم وعليكم ودون ادنى مكان من الشيء
ومنه الشيء الدون وهو الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمعها تقليل المسافة بينها ويقال هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اي
خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال
لعدوه وقد كان يثني عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى
لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين ومن دون الله متعلق بشهداءكم
او بادعوا وعلى الاول يحتمل ثلثة معان ادعوا الذين اتخذتموهم الهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق وادعوا
الذين زعمتم انهم يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى شعر تريك القذى من دونها وهي دونه : اي تريك القذى قدام الزجاجة
والحال ان الخمر قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القران المعجز بفصاحته غاية التهكم
بهم وادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
والاشعار بان شهداءهم وهم فرسان البلاغة تابى عليهم الطباع وتجحدهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد
وعلى الثاني يحتمل معنيين ادعوا من دون الله شهداء يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد بما انه غير حق كما يقوله
العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم ظاهرة تصح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم و
بيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا لصادقون سئل بعض العرب عن نسبه فقال قرشي
والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او المراد بالشهداء الله تعالى وكل من له اهلية الحضور من الجن والانس فكانه قيل ادعوا غير الله
من الجن والانس من استطعتم كقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الاية وانما استثنى الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد واعلم
ان التحقيق في التحدي هو ان النبي يقول اني مخصوص من الله تعالى بمزيد الكرامة والنور وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم فاتبعوا هداكم
سبيل الخير والرشاد وان كنتم في ريب مما اقول فانظروا الى هذا الذي قد علي باظهاره الله تعالى اياه على يدي وانتم لا تقدرون عليه لعدم
اقتداره لتعرفوا اني خصصت بمزيد فضل عنده واني صادق فيما اقول فان انصفوا من انفسهم بمشية الله تعالى وتوفيقه اتبعوا
واهتدوا والا بقوا في الضلالة خائبين كل هذا من عالم الاسباب التي يظهر تعالى بها المواقع والحوادث حسب ما اراد لا يلزم من هذا ان يكون للعبد
قدرة مستقلة يقع الحكم عليها بل الله يهدي من يشاء وكل بقدره وقوله ان كنتم صادقين قيد لقوله فاتوا ولقوله وادعوا لان قوله فاتوا مقيد
بقوله وان كنتم وجواب الشرط الثاني محذوف لدلالة ما قبله وهو مثله عليه التقدير وان كنتم في ريب فاتوا وان كنتم صادقين في ان اصحابكم

تعينكم او في ان القرآن غير معجز فادعوا شهداءكم وانما قلنا الجواب محذوف لان الجزاء لا يتقدم على الشرط فان للشرط صدر الكلام كالاستفهام
ولهذا لم يلزم الفاء في قولك انت مكرم ان جئتني وانما تقدم ما يدل عليه ومثله في القرآن كثير فاعتبره في كل موضع واما قوله فان لم تفعلوا ولن
الاية فاقول اولا انها تدل على اعجاز القرآن وصحة نبوة محمد صلعم من وجوه احدها انا نعلم بالتواتر ان العرب كانوا يعادونه صلعم اشد المعاداة
ويتهالكون في ابطال امره وفراق الاوطان والعشيرة وبذل النفوس والمهج منهم اقوى ما يدل على ذلك فاذا انضاف اليه مثل هذا التقريع و
قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فلو امكنهم الاتيان بمثله لاتوا به وحيث لم ياتوا به ظهر كونه معجزا وثانيها انه صلعم ان كان متهما عندهم
فيما يتعلق بالنبوة فقد كان معلوم الحال في وفور العقل فلو خاف صلعم عاقبة امره لتهمة فيه صلعم حاشاه عن ذلك لم يبالغ في التحدي الى هذه
الغاية وثالثها انه صلعم لو لم يكن قاطعا بنبوته لكان يجوز خلافه وبتقدير وقوع خلافه يظهر كذبه فالمبطل المزور لا يقطع في الكلام قطعا
وحيث جزم دل على صدقه ورابعها ان قوله ولن تفعلوا ولن تاكيد بليغ في نفي المستقبل الى يوم الدين اخبار بالغيب قد وقع كما قال صلعم لان احدا
لو عارضه لم يمتنع ان يتواضعه الناس ويتنافلوه عادة لا سيما والطاعنون فيه صلعم اكثف عددا من الذابين عنه صلعم واذا لم يقع المعارضة
الى الان غلب على الظن بل حصل الجزم انها لا يقع ابدا لاستقرار الاسلام وقلة شوكة الطاعنين وانما جيء بان الذي للشك دون اذا الذي
للوجوب والقطع مع ان انتفاء اتيانهم بالسورة واجب بناء على حسبانهم وطمعهم فانهم كانوا بعد غير جازمين بالعجز عن المعارضة لاتكالهم
على بلاغتهم وايقنه فيه تهكم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وانما الخبر قوله فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا على قوله فان لم تاتوا بسورة من مثله ولم تاتوا بسورة من مثله طلبا للوجازة فان الاتيان فعل من الافعال
وحذف مفعول فعل كثير دون مفعول اتى فهو جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا يغنيك عن طول المكني عنه كما لو قلت اتيت فلانا
واعطيته درهما فيقال لك نعم ما فعلت وقوله ولن تفعلوا جملة معترضة لا محل لها وليس الواو للحال وانما هو للاستيناف فالمعترضة تجيء
بالواو وبدون الواو وقد اجتمعنا في قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وانما لم يقل فان لم تفعلوا فاتركوا العناد كما هو الظاهر لان اتقاء
النار لصيقه وضميمه ترك العناد فوضع موضعه من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره قول الملك لحشمه ان
اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاتبعوني واطيعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط فهو من باب الكناية وفائدته الايجاز الذي هو من
حلية القرآن وتهويل شان العناد بانه الموجب للنار ولهذا اشنع بتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء
فيه الفتح فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلنا لا يمتنع
ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب سمعوه من رسول الله او يكون اشارة الى ما نزلت بمكة قبل نزول هذه بالمدينة وذلك
في سورة التحريم قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ولهذا عرفت ههنا مشارا بها الى ما عرفوه ثمة ونكرت ثم والمعنى اتقوا
نارا ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة او بانها توقد بنفس ما يراد احراقه واحماؤه او بانها لافراط حرها اذا
اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
والحجارة قيل هي حجارة الكبريت وقيل هي ما نحتوها اصناما انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لانهم لما اعتقدوا فيها انها شفعاؤهم
عند الله وانهم ينتفعون بها ويدفعون المضار عن انفسهم جعلها الله عذابهم ابلاغا في ايلامهم وتورية النقيض مطلوبهم ونحوه ما يفعل
بالذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله اي يمنعون حقوقها حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم والتاء
في الحجارة لتاكيد التانيث الجماعة نحو صقورة وقد يدور في الخلد من هذه الاية ومن قوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
ومن قوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ان المراد بالحجارة هي الافئدة اي وقودها الناس وقلوبهم وتخصيص القلب بالذكر لانه اشرف
الاعضاء واولى بالاحراق ان كان مقصرا في درك ما خلق الانسان لاجله ومعنى اعدت هيئت جعلت عدة لعذابهم وانما فقد العاطف
لانها بدل من الصلة او استيناف كانه قيل لمن اعدت هذه النار فقيل اعدت للكافرين وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ومژده ده آنهارا که گرویدند و کردند شائسته‌ها
بآنکه مر ایشانراست بهشتها که روانست از زیر شان جویها هرچند که روزی داده شوند از میوه‌ای آن قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ روزیها گویند که این آنست که روزی داده شدیم پیش ازین و آورده شوند
مانند یکدیگر و مر ایشانراست در بهشت جفتهای پاکیزه و ایشان در آن همیشه الوقوف الانهار ط رزقا لا ن قالوا جواب كلما متشابها ط خالدون ٥
التفسير انه سبحانه لما ذكر صلعم دلائل التوحيد والنبوة وانجر الكلام الى ذكر عقاب الكافرين شفع ذلك بذكر ثواب المؤمنين جريا على سننه
المعهود من ذكر الترغيب مع الترهيب وضم البشارة الى الانذار والجمع بين الوعد والوعيد الجنة والنار وهل هما الان مخلوقتان ام لا ظاهر الاية من نحو
قوله اعدت للمتقين اعدت للكافرين والاحاديث كقوله صلعم في حديث صلوة الخسوف اني رايت الجنة فتناولت منها عنقودا ورايت النار
فلم ار كاليوم منظرا قط يدل على وجودهما وكذا اسكن ادم وحواء الجنة وقد جمع الله في الاية جوامع اللذات من المسكن وهو الجنات ومن المطعم

هو التمرات في من المنكح وهو الازواج المطهرة ثم ازال عنهم نقص الزوال بقوله وهم فيها خالدون تتماما للنعمة والحبور وتكميلا للبهجة والسرور
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ولهذا قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو
الذي اظهر سروره بخبره ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوايل ضوءه فاما
قوله فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فمن باب التهكم والاستهزاء فان قيل علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلنا ليس الذي
اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب مشاكل من امر ونهي انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق وللك ان تقول معطوف على فاتقوا كقولك يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان
بني اسد باحساني اليهم قال بعض المحققين انه معطوف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس فان تقدير القول في القران مع وجود القرينة غير عزيز
كقوله وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا اي يقولان ربنا ثم المامور في قوله وبشر اما الرسول واما كل من له استيهال
ان يبشر والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة شعر كيف الهجاء وما تنفك صالحة : من آل لام بظهر الغيب تاتيني : واللام
واللام للجنس والمراد بالصالحات جملة الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في موجب التكليف واستدل بهذه الاية من قال
ان الاعمال غير داخلة في مسمى الايمان والا لزم التكرار ولمن زعم ان الايمان هو المجموع ان يقول عطف بعض الاجزاء على الكل جائز لغرض من
الاغراض كقوله وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ثم ههنا مذاهب منهم من قال العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا
استحقاقا عقليا واجبا وهو قول اهل السنة ولا يرد عليه اشكال ومنهم من زعم انه يستحق الثواب بالايمان والعمل الصالح بشرط ان لا يحبطها المكلف
بالكفر والاقدام على الكبائر وبالندم على ما وجد من الطاعة وترك المعصية بدليل نحو قوله لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وانما طوى ذكر هذا
الشرط في الاية للعلم به فانه قد ذكر في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وهذا
قول المعتزلة ومن يجري مجراهم ومنهم من احال القول بالاحباط لان من امن وعمل صالحا استحق الثواب الدائم فلو فرض احباطه بكفره لاستحق
العقاب الدائم والجمع بينهما محال ولا يخفى ضعف هذا المذهب فان الامور بخواتيمها قال صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل اهل النار وانه من اهل الجنة و
يعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على
معنى الستر كانها فعلة من جنه اذا ستره وسميت دار الثواب كلها جنة لما فيها من الجنان على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك
الجنان فلهذا نكرت والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب
على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي لان الجاري هو الماء وكذا من تحتها اي من تحت اشجارها وانزه البساتين واكرمها منظرا
ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولاها كانت كتماثيل لا روح فيها وصورا لا حيوة لها وانما عرفت الانهار لان المراد بها الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من
تعريف الاضافة مثل وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن الاية وكلما رزقوا اما
ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف اي هم كلما رزقوا او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه ثمار تلك الجنات
اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله ومن في منها ومن ثمرة لابتداء الغاية كما لو قلت رزقني فلان فيقال من اين فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة فتقول من الرمان
فالرزق قد ابتدء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة والرمانة الفذة على هذا التفسير
وانما المراد النوع من انواع الثمار وجاز ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد
بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة لان التفاحة الواحدة مثلا يصدق عليها انها رزق كما ان نوع التفاح يصدق عليه ذلك بخلاف
ابتداء الرزق من الجنات فان ذلك انما يكون بنوع التفاح ولا وبالذات في تشخصها ثانيا وبالعرض لان التشخص زائد على حقيقة الشيئ
فاعلم وانتصاب رزقا على انه مفعول ثان لرزقوا ومعنى هذا الذي اي هذا مثل الذي رزقنا من قبل نحو ابو يوسف ابو حنيفة لان ذات الذي رزقوه
في الجنة لا يكون هو ذات الذي رزقوه في الدنيا والضمير في قوله وَأُتُوا بِهِ يرجع الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين والغرض في تشابه ثمر الدنيا وثمر الاخرة ان الانسان بالمالوف انس والى المعهود اميل ولانه
اذا ظفر بشيئ من جنس ما سلف له به عهد راى فيه مزية ظاهرة وفرط ابتهاجه وطال استعجابه وتبين كنه النعمة فيه فاذا ابصر الرمانة والتفاحة
في الدنيا وحجمها ثم ابصر رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة كقلال هجر كما يرون الشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابهر
للفضل وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول نطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهي الامر في ظهور المزية وكمال الاستغراب في كل وان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق

كان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن ثوابهم في كل الاوقات في القدر والدرجة
لا يزيد ولا ينقص وايضا لان الانسان اذا التذ بشئ واعجب به لا يتعلق نفسه الا بمثله فاذا جاءه بما يشبه الاول من كل الوجوه كان ذلك نهاية
اللذة وعن الحسن الاشتباه في اللون فقط قال يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي رزقنا من
قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعن النبي صلعم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فاهي
بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئتها الاولى قالوا ذلك ويحتمل ان يقال ان كمال السعادة ليس الا في معرفة
ذات الله تعالى وصفاته وافعاله من الملائكة الكروبية والملائكة الروحانية وطبقات الارواح وعالم السموات بحيث يصير روح الانسان
كالمرآة المحاذية لعالم القدس ثم ان هذه المعارف تحصل في الدنيا ولكن لا يحصل بها كمال الالتذاذ والابتهاج لمكان العلائق فبعد الموت
وشاهد تلك المعارف قال هذه هي التي كانت حاصلة لي في الدنيا ووجد كمال اللذة والسرور وقال اهل التحقيق جنة الوصول واشجارها
هي الملكات الحميدة والاخلاق الفاضلة والثمرات ثمرات المكاشفات والمشاهدات والاسرار والاشراقات والالهامات وغيرها من
المواهب فانهم يشاهدون احوال الشئ في صورة واحدة من ثمرات مجاهداتهم فيقول بعض المتوسطين منهم ان هذا المشاهد هو الذي شاهدناه
قبل هذا فيكون الصورة تلك الصورة ولكن المعنى حقيقة اخرى كما ان موسى عم شاهد نور الهداية في صورة نار فيكون تارة تلك النار
صفة غضبية كما كان لموسى اذا اشتد غضبه اشتعلت قلنسوته نارا وتارة تكون نار المحبة تقع في محبوبات النفس فتحرقها وتارة تكون
نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فتحرق عليهم بيت وجودهم فافهم وايضا كل شئ له صورة في الدنيا فله في الآخرة معنى آخر غيبي كقوله
في دماء الشهداء اللون لون الدم والريح ريح المسك فاعلم قوله وأتوا به متشابها جملة معترضة تفيد زيادة التقرير كقولك فلان احسن
الى فلان ونعم ما فعل والمراد بتطهير الازواج تطهيرهن من الاقذار والانجاس لا سيما التي تختص بالنساء وكذا من الاخلاق الذميمة وعادات
السوء وهما لغتان فصيحتان النساء فعلت وهن فاعلة والمعنى ولهم جماعة ازواج مطهرة وفي مطهرة فخامة لصفتهن ليست في الطاهرة وقيل
طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم وههنا نكتة وهي ان المرأة اذا حاضت
فالله تعالى يمنع من مباشرتها قال فاعتزلوا النساء في المحيض مع انها معذورة في تجسها فاذا كانت اللواتي في الجنة مطهرات فلان يمنعك عنهن
اذا كنت نجسا بالمعاصي مع انك غير معذور فيها كان اولى فانه من قضى شهوته من الحلال فانه يمنع من الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل
بر وفاجر فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها الا المطهرون وكفى دليلا على ذلك باخراج آدم منها بسبب زلة الصادرة
عنه وايضا من كان على ثوبه ذرة من النجاسة لا يجوز صلوته ويستكره فكيف بمن صلى وعلى قلبه جبال من نجاسات الذنوب والمعاصي والخلد
عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع بدليل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر مع تعمير بعضهم ومنهم
من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل دام او لم يدم ولو كان التابيد داخلا في مفهوم الخلد كان قوله خالدين فيها ابدا
تكرارا ويقال في العرف حبسه حبسا مخلدا او وقف وقفا مخلدا والحوا ان خوف الانقطاع ينقص النعم وذلك لا يليق باكرم الاكرمين
إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ
بدرستیکه خدا شرم نمیاید که بزند مثل را به پشه وپس از آن بر تر پس اما آنانکه گرویده اند پس میدانند که آن حق است از پروردگار ایشان واما آنانکه
كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ
که کافر شدند پس میگویند که چه خواسته است خدا باین مثل که گمراه میشود باین بسیاری وراه مییابد باین بسیاری وگمراه نمیشود بآن مگر فاسقان
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
آنانکه میشکنند عهد پیمان خداوندی را پس از محکم کردن ومیبرند آنچه را که فرموده است خدا که پیوند کنند وفساد میکنند در زمین آنگروه ایشانند زیانکاران
الوقوف فما فوقها من ربهم لان الجملتين وان اتفقتا فكلمة اما للتفصيل بين الجمل مثلا لانه لو وصل صار ما بعده صفة له وليس بصفة انما
هو ابتداء اخبار من الله عز وجل جوابا لهم ويهدي به كثيرا ط الفاسقين لا لان الذين صفتهم ميثاقه ص لعطف المتفقين في الارض الخاسرون
التفسير لما بين كون القرآن معجزا اورد شبهة اوردها الكفار قدحا في ذلك واجاب عنها عن ابن عباس لما ضرب الله سبحانه هذين المثلين للمنافقين
يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب قالوا الله اجل واعلى من ان يضرب الامثال فانزل الله هذه الآية وعن الحسن وقتادة
لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزلت والعجب منهم كيف انكروا
ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجرأ من الذباب واضعف من بعوضة وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان حب يخالط البر وكحبة خردل والنحل والحصاة والارضة والدود والذباب فقال مثل ملكوت السماء كمثل زرع في قرية حنطة
جيدة نقية فلما نام الناس جاء عدوه فزرع الزوان بين الحنطة فلما نبت الزرع واشتد غلب عليه الزوان فقال عبيد الزارع يا سيدنا

ليس حنطة جيدة نقية زرعت في قريتك فقال بلى قالوا فمن اين هذا الزوان قال لعلكم ان ذهبتم ان تقلعوا الزوان تقلعوا معه حنطة دعوه
يتربيان جميعا حتى الحصاد فامر الحصادين ان يلتقطوا الزوان من الحنطة ان يربطوه حزما ثم يحرق بالنار ويجمعوا الحنطة الى الجرين وافسر لكم
ذلك الرجل الذي زرع الحنطة الجيدة هو ابو البشر والقرية هي العالم والحنطة الجيدة النقية هو ابناء الملكوت الذين يعملون بطاعة الله و
العدو الذي يزرع الزوان هو ابليس والزوان المعاصي العمل التي يزرعها ابليس واصحابه والحصادون هم الملائكة يتركون الناس حتى يأتي آجالهم
فيحصدون اهل الخير الى ملكوت الله واهل الشر الى الهاوية وكما ان الزوان يلتقط ويحرق بالنار فكذلك رسل الله وملائكته يلتقطون
من ملكوته المتكاسلين وجميع عمال الاثم فيلقونهم في اتون الهاوية فيكون هنالك البكاء وصريف الاسنان ويكون الابرار هنالك
في ملكوت ربهم من كانت له اذن تسمع فليسمع واضرب لكم مثلا آخر يشبه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب فزرعها
في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من البقول وجاءت طير تعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه تعالى ضاعف الله اجره وعظمه
ورفع ذكره ونجا به من اهتدى وقال لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في
صدوركم وقال قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء ولا ينسفها الرياح وقال لا تدخروا ذخائركم عباد الله تحفر فتجدونها
عليها لباسها وهنالك رزقها وهن لا يغزلن ولا يحصدن منهن ما هو في جوف الحجر الاصم وفي جوف العود من يأتيهن بلباسهن و
رزقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تنثروا الزنابير فتلدغكم كذلك لا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم فهذا ونحن نرى ان الانسان يذكر معنى
فلا يلوح كما ينبغي فاذا ذكر المثال اتضح وانكشف وذلك ان من طبع الخيال حب المحاكاة فاذا ذكر المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال
واذا ذكر التشبيه معه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون اكمل واذا كان التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح وجب ذكره
في الكتاب الذي انزل تبيانا لكل شيء ثم ان الله تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل ما خلق وبرأ عامة بالغة وليس الصغير اخف عليه
من الكبير ولا الكبير اصعب عليه من الصغير فالمعتبر اذن ما يليق بالقصة فاذا كان اللائق بها الذباب والعنكبوت لحسن ضرب المثل وهنئ فكيف
يضرب بالفيل وانى يستحكم النسج والصفاقة وهذا مما لا يخفى على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت دفع الواضح وانكار المستقيم شعر
وكم من عائب قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيم والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال
حيي الرجل كما قال نسي وحشي اذا اشتكى النسا والحشا وكان الحيي صار منتقص القوة منتكس الحيوة وقد عرفت في الاسماء الحسنى ان امثال هذه
الصفات مما يجوز ان يطلق على الله تعالى بعد الاذن الشرعي باعتبار النهايات لا باعتبار المبادي وفي حديث سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا انما جاء على سبيل التمثيل لانه مثل تركه تخييب العبد بترك من يترك رد المحتاج
حياء ومعنى قوله ان الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام
الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة والطباق وهو فن بديع قال ابو تمام شعر من
مبلغ افناء يعرب كلها : اني بنيت الجار قبل المنزل : فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد فوصف كثرة مياه الامطار في طريقه وانه بما ذهب رأى الماء وكانه يعرض نفسه على النوق
تستحيي فتكرع فيه مشافرها السبت هو الجلد المدبوغ بالقرظ وشبه الارض وفيها الماء وحواليه الازهار باناء من الورد وفيه لغتان استحييت
منه واستحيته وهما محتملتان هاهنا وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن ضرب الخاتم وفي الحديث ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتما من ذهب وما
هذه ابهامية اذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان وصلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم اي
مثلا حقا والامر البتة وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا وذلك مما يضرب به المثل فهو مثلا كما يقال الخاتم مثل في الجود ومفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليها او انتصبا مفعولين لتجري ضرب مجرى جعل والبعوض في اصله صفة على فعول من البعض القطع نغلبت
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب ومن غرائب خلقته انه مع صغره اعطي كل ما اعطي الفيل مع كبره ففيه اشارة الى ان
خلق احدهما ليس اصعب من خلق الآخر واشارة الى حالة الانسان وكمال استعداده كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اي على صفته فانه اعطاه
على صغره من كل صفة من صفات جماله وجلاله انموذجا الينا هكذا مرآة نفسه جمال صفاته ومن العجائب ان خرطومه في غاية الصغر ومع ذلك
مجوف ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل اصبعه في الخبيص وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من
السم قوله فما فوقها اي فالذي هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب فان القوم انكروا تمثيل الله بكل هذه الاشياء او اراد
فما فوقها في الصغر جناح البعوضة حيث ضرب به صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وهذا اولى لان الآية نزلت في بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء
الحقير فيجب ان يكون المذكور ثانيا احقر من الاول والفاء هاهنا تفيد الترتيب في الذكر فيذكر في هذا المقام الاخس فالاخس كقوله بالارتبة بالعلماء
والسند لانه يذكر في تعريف الامكنة الاخص الاعم فكان العليا موضع يسع يشتمل على مواضع منها السند واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته التوكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت التوكيد وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما

يكن من

يكن من شيء فزيد ذاهب ليس مراده من هذا التفسير ان اما بمعنى مهما كيف وهذه حرف ومهما اسم بل قصده الى المعنى البحت اي ان يكن في الدنيا شيء ما
يوجد فزيد ذاهب بد فهذا جزم بوقوع ذهابه لانك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول اي شيء في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول
شيء فيها فعلى هذا الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون لما في ذلك من اعظام لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
انه الحق ونعي على الكافرين بمبهم بالكلمة الحمقاء الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الامر الثابت ووجب في الضمير في انه الحق للمثل ولان يضرب وما
ذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين ما مبتدأ وخبره مع صلته وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما
واحدا فيكون منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله جوابه على الاول مرفوع وعلى الثاني منصوب وقد يجيء على العكس كما تقول
في جواب من قال ما رايت خيرا اي المرئي خير وفي جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا والارادة نقيض الكراهة قال الامام الرازي الارادة
ماهية يجدها العاقل من نفسه ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته والمه ولذته فالمتكلمون انها صفة تقتضي رجحان احد طرفي
الجائز على الاخر لا في الوقوع بل في الايقاع واحترز بهذا القيد الاخير عن القدرة واختلفوا في كونه تعالى مريدا مع اتفاق المسلمين على اطلاق
هذا اللفظ على الله تعالى فزعم النجار انه معنى سلبي ومعناه انه غير ساه ولا مكره ومنهم من قال انه ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وابو الحسن
البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة او المفسدة ويسمون هذا العلم بالداعي او الصارف والاشاعرة وابو علي وابو هاشم واتباعهما
انه صفة زائدة على العلم ثم القسمة في تلك الصفة انها اما ان تكون ذاتية وهو القول الاخر للنجار واما ان تكون معنوية وذلك المعنى اما
ان يكون قديما وهو قول الاشعري او محدثا وذلك المحدث اما ان يكون قائما بالله تعالى وهو قول الكرامية او قائما بجسم اخر ولم يقل به احد
او موجودا لا في محل وهو قول ابي علي وابي هاشم واتباعهما وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله
عمرو بن العاص حين افتى بنقض ذوائب النساء في الاغتسال يا عجبا لابن عمرو هذا محقرة له ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث
ما اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما واهل الهدى كثير في انفسهم وحيث يوصفون بالقلة وقليل من عبادي
الشكور وقليل ما هم انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال والثاني فان المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة ان الكرام
كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب البعيد لانه لما ضرب المثل ازداد به المؤمنون
نورا الى نورهم فنسب لهديهم وازداد الكفرة رجسا الى رجسهم فنسب لضلالهم عن الحق والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا
عن قصدها جوائرا يهوين في نجد وغورا غائرا والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو عند اهل السنة من اهل الايمان
الا انه عاص وعند الخوارج كافر وعند المعتزلة نازل بين المنزلتين لان حكمه حكم المؤمن في انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن
في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة
لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يعني اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون والنقض الفسخ وفك التركيب وشاع استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا كقولك عالم يغترف منه الناس فتنبه بالاغتراف على العالم
بانه بحر لينتبه عن المستعار لانك رمزت اليه بذكر شيء من روادفه والعهد الموثق عهد اليه كذا اذا وصاه ووثقه عليه والمراد بالناقضين ما كل
من ضل وكفر لانهم نقضوا عهد الله ما اراهم الله مما راه في الآفاق وفي انفسهم وبما ركز في عقولهم من اقامة البينة على الصانع وعلى حقيته شرائع
بعد ان احتج العلائق وازال الشبهات واما قوم من اهل الكتاب فقد اخذ عليهم العهد الميثاق في الكتب المنزلة على انبيائهم بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم و
بين لهم امره وامر امته فنقضوا ذلك بان اعرضوا عنه وجحدوا نبوته وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الذي اخذه على جميع ذرية آدم
واذ اخذ ربك الآية وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
وعهد خص به العلماء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد والميثاق اما
بمعنى الموثقة كالميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة واسم لما وثقوا به عهد الله من قبوله والزام انفسهم ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد
توثقته عليهم ومن بعد ما وثق الله تعالى به عهده من آياته وكتبه ورسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل ما قطعهم ما بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرابة والرحم وقطعهم موالاة المؤمنين الى موالاة الكافرين وقطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع
على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض والامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو
اليه من يتولاه شبه بامر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به وللامر حرف واحد وهو اللام الجازم نحو ليفعل
وصيغ مخصوصة للمخاطب نحو انزل وانزلا وانزلوا وقد يستعمل في الدعاء والالتماس بمعونة القرينة وظاهره للوجوب وفي غيره من الندب والاباحة
يتوقف على القرينة وقوله ان يوصل بدل الاشتمال من الضمير المجرور والجار الذي يتعين ان يعاد مقدر تقديره بان يوصل اي بوصله والا

سا في الارض اما اهلها والمعاصي واما النازع واثار الفتن اولئك هم الخاسرون في قوله لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والافساد بالاصلاح وعقاب هذه الامور سوا بها ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية

كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما في

چگونه كافر میشوید بخدا و بوديد مردگان پس زنده كرد شما را پس ميراند شما را پس زنده ميكرداند شما را پس بسوى او باز گردانيده ميشويد اوست كه آفريد براى شما آنچه در

الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم القراءة فاحياكم وبابه على ترجعون بالامالة

زمين همه را پس قصد كرد بجانب آسمان پس راست آفريد آنها را هفت آسمان واو بهر چيزى داناست بفتح التاء وكسر الجيم كل القران يعقوب وهو وبابه بسكون الهاء ابو جعفر ونافع غير ورش وعلى وابو عمرو والوقوف فاحياكم للعدول الى ثم هو يميتكم مع اتحاد مقصود الكلام ترجعون ط سموات ط عليم التفسير هذه الاية مسوقة لبيان التعجب من حال الكفرة وذلك ان الاستفهام من علام الغيوب يمتنع اجراؤه على اصله فيتولد بمعونة قراين الاحوال ما ذكرنا وجهه هو ان الكفار حين صدور الكفر منهم لابد من ان يكونوا على احد الحالين اما عالمين بالله واما جاهلين به فلا ثالث فاذا قيل لهم كيف تكفرون بالله من المعلوم ان كيف للسؤال عن الحال وللكفر مزيد اختصاص من بين سائر الاحوال الكافر بالعلم بالصانع والجهل به لانه لا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالما بالله وجاهلا به بخلاف سائر احواله المتقابلة كالقعود والقيام والسكون والحركة فانه يمكن تصور كفره مع الذهول عنها وان كان لا ينفك الكافر في الوجود عنها كما لا ينفك من العلم بالصانع او الجهل في الوجود توجه الاستفهام الى ذلك الذي له مزيد اختصاص فافاد الاستفهام اى في حال العلم بالله تكفرون ام في حال الجهل لكن الجهل بعيد عن العاقل لان الحال حال العلم بهذه القصة وهي ان كانوا امواتا فصاروا احياء وسيكون كذا والحال كذا من الاماتة ثم الاحياء ثم الرجع اليه فبقي ان يكون الحال حال العلم بالصانع الموجبة للصرف عن الكفر فصدور الفعل عن صورة احتيا في الترك مع الصارف القوى مظنة تعجب وتعجيب وانكار وتوبيخ فكانه قيل ما اعجب كفركم والحال انكم عالمون بهذه القصة وهي ان كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحيوة وهذه مما لا اشك فيها لانها من المشاهدات ثم يحييكم حين ينفخ في الصور وحين تسئلون في القبور ثم اليه اى الى حكمه ترجعون اى بعد الحشر للثواب والعقاب من قبوركم وهذه القضايا ايضا مما لا شك فيها لنصب الادلة وازاحة العلة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل وقد يطلق الميت على الجماد كقوله بلدة ميتا ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس ويحتمل ان يقال المراد به خمول الذكر كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ابو عيينة السعدي واحييت لي ذكري وما كنت خاملا ؛ ولكن بعض الذكر انبه من بعض ؛ ولا يخفى ان الاية بالنسبة الى العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم ثلث مرات فاماته الله مائة عام ثم بعثه فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك بعثناهم ليتسائلوا بينهم واتيناه اهله ومثلهم معهم واعلم ان هذه الاية دالة على امور منها اشتمالها على وجود ما يدل على الصانع القادر العالم الحي السميع البصير الغني عما سواه ومنها الدلالة على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا الله فيبطل قول الدهري وما يهلكنا الا الدهر ومنها الدلالة على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي الدال عليه لان الاعادة اهون من الابداء ومنها الدلالة على التكليف والترغيب والترهيب ومنها الدلالة على وجوب الزهد في الدنيا لانه قال فاحياكم اى بعقب كونكم نطفا من غير تخلل حالة اخرى بينهما ثم يميتكم بعد انقضاء مهلة الحيوة ثم بين انه لا يترك على هذا الموت بل لابد من حيوة ثانية للسؤال وللحشر ثم من الرجوع اليه للثواب والعقاب فبين سبحانه انه بعد ما كان نطفة فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا واكمل عقله وبصره بانواع المضار والمنافع وملكه الاموال والاولاد والدور والقصور ثم انه تعالى يزيل كل ذلك عنه بان يميته ويصيره بحيث لا يملك شيئا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر ويبقى مدة مديدة في اللحد ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ينادى فلا يجيب ويستنطق فلا يتكلم ثم لا يزوره الاقربون بل ينساه الاهل والبنون ثم اقاربي بجلاء قبري كان اقاربي لم يعرفوني الهي اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رؤسنا شاحبة وجوهنا جائعة بطوننا مثقلة من حمل الاوزار ظهورنا بادية لاهل القيمة سوآتنا فلا تضعف مصائبنا بما عراضك عنا يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ولما ذكر الله نعم في الاية الاولى اصل جميع النعم وهو الاحياء الذي من حقه ان يشكر ولا يكفر اعقبها بذكر ما هو كالاصل لسائر النعم وهو خلق الارض بما فيها وخلق السماء ومعنى لكم لاجلكم ولانتفاعكم في دنياكم وذلك ظاهر وفي دينكم من النظر في عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم ومن التذكر للاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والالم من النيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف فظاهر الاية لا تدل الا على خلق ما في الارض لاجلهم دون الارض فان اريد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما يذكر السماء ويراد به الجهات العلوية جاز ان يراد خلق لكم الارض وما فيها وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني هو ما اى مجموعة والمجموع الذي جمع من ههنا وههنا وان لم يجعل كالشيء الواحد ويندرج فيها جميع البسائط من الماء والهواء والنار وجميع المواليد من المعادن والنبات والحيوان وجميع الصنائع والحرف وبعضهم استدل

بهذا على ان الاصل في الاشياء الاباحة عقلا لكل احد ان ينتفع بها ويمكن ان يقال بل هذه الاية دالة على الاباحة والا كان تصرفا في ملك الغير
من غير اذنه ولا يلزم من انه تعالى خلق ما في الارض لاجل المكلفين ان يكون فعله معللا بالغرض فانه وان كان لا يخلو من فائدة وغاية والا كان
عبثا لانه لا يلزم من استتباع الفعل الغاية ان تكون تلك الغاية علة لعلية فاعله لان هذا فيما اذا كانت فاعليته ناقصة تستكمل بتلك الغاية
اما اذا كانت فاعليته تامة فانه يوجد الشيء ذا الغاية من غير ان تكون تلك الغاية حاملة له على ذلك وهذا فرق دقيق يتنبه له من تيسر عليه قيل انه
تعالى خلق الكل للكل فلا يكون لاحد اختصاص بشيء اصلا قلنا في مقابلة الكل بالكل فيقتضي مقابلة الفرد بالفرد والتعيين يستفاد من دليل منفصل
والاستواء بمعنى الانتصاب ضد الاعوجاج من صفات الاجسام وانه تعالى منزه عن ذلك وايضا ثم يقتضي التراخي فلو كان المراد بهذا الاستواء
العلو بالمكان لكان ذلك العلو حاصلا اولا ولم يكن متأخرا عن خلق ما في الارض فيجب التأويل وتقريره انه يقال استوى العود اذا اعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها
بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق
وهذا كقولك لاخر اعمل هذا الثوب وبما معه غزل على انها كانت دخانا ثم سواها سبع سموات وثم ههنا اما للتراخي في الوقت والمراد انه حين
قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر كما قلنا او للتفاوت بين الخلقين وفضل خلق السموات عن
خلق الارض كقوله فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر وكقوله ثم كان من الذين امنوا ونفسر هذه الاية في قوله قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام سواء للسائلين يعني تقدير الارض في يومين كما يقول القائل من الكوفة الى المدينة عشرون والى مكة ثلثون يريد ان جميع ذلك
هذا القدر ثم استوى الى السماء في يومين ومجموع ذلك ستة ايام فان قيل اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها قلنا اجاب في الكشاف
لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وزيف بان الارض
جسم عظيم يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية وايضا قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء يدل ان خلق الارض وخلق
ما فيها مقدم على خلق السماء لكن خلق الاشياء في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة وقال بعض العلماء في دفع التناقض قوله والارض
بعد ذلك دحيها يقتضي تقدم خلق السماء على الارض ولا يقتضي ان يكون تسوية السماء مقدمة على خلق الارض وزيف ايضا بان قوله ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها يقتضي ان يكون خلق السماء وتسويتها
مقدما على تدحية الارض على خلقها لانها بلا زمان وح يعود التناقض والمعتمد عند بعضهم في دفعه ان يقال ثم ليس للترتيب ههنا وانما
هو على جهة تعديد النعم مثاله ان تقول لغيرك الست قد اعطيتك النعم العظيمة ثم دفعت عنك الخصوم ولعل بعض ما اخرته في الذكر مقدم في الوقوع
قلت وهذا صحيح معقول من حيث ابتداء الوجود من الاشرف فالاشرف والالطف فالالطف ان ساعده النقل والا فلا احالة في انه تعالى خلق الارض
اولا في غاية الصغر وجعل فيها اصول الجبال ووضع فيها البركة وقدر الاقوات ثم استوى الى السماء فسويهن سبعا ثم دحا الارض بان جعلها
اعظم مما كانت عليه كهيئتها الان والله تعالى اعلم والضمير في سويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره نحو ربه رجلا وفائدة الابهام اولا ثم البيان ثانيا
ان الكلام هكذا اوقع في النفس لان المحصول بعد الطلب اعز من المساق بلا تعب وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماء
والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب الحاجات ووفق المصالح ومقتضى الحكمة والظاهر ان هذا عام لم يدخله التخصيص
قط وبه يهدم بناء من زعم انه غير عالم بالجزئيات لانه تعالى لو لم يعرف تفاصيلها لم يكن يخلوقاته على غاية الاتقان والاحكام فسبحان من خبير يعلم الذر
في الاجواف والدرة في الاصداف والقطرة في البحر والخطرة في النحر وهذا ما به نظام العالم وبه يحصل قوام ما هو من نوع م ثم ان العقل قد دل على
وجود سبع سموات وتخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد فاثبت اهل الارصاد تسعة افلاك على ما استقر عليه رأيهم اولها من الجانب الاعلى
للحركة اليومية لان هذه الحركة تشمل جميع الاجرام فيجب ان يكون فلكها محيطا بالكل وثانيها للثوابت جميعها لتحدد الادنى الدرجات لاتحاد
الحركات وان كان كونها على فلك شتى جائزا والسبعة الباقية للسيارات السبعة جميع ذلك بوجود اختلاف المنظر وعدمه وعلى ترتيب صعد
بعضها بعضا اولها مما يلينا للقمر وفوقه للعطارد ثم للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل ونازعهم بعض الناس في زيادة الفلكين
الثامن والتاسع فقال من المحتمل ان يتصل نفس بمجموع السبعة فتحركها حركة الكل ثم يكون لكل فلك نفس على حدة تحركه حركة الخاصة ويكون الثوابت
على محدب ممثل زحل مثلا وبالجملة فلم يتبين لاحد من الاوائل والاواخر كمية اعداد السموات على ما هي عليه لا عقلا ولا سمعا وما يعلم جنود ربك
الا هو وما هي الا ذكرى للبشر **وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْٓا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ**
صدق الله العلي العظيم وچون گفت پروردگار تو مر فرشتگان را که من قرار دهنده ام در زمین جانشینی گفتند که ایا قرار می دهی در زمین کسی

مَن يُفسِدُ فيها ويَسفِكُ الدِّماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بحمدِكَ ونُقدِّسُ لكَ قالَ إنّي أعلَمُ ما لا تعلَمونَ القراءة خليفة وشبا[هه]

کسی را که تباه کند در ان و بریزد خونها را و حال آنکه ما تسبیح میگوییم بستایش تو و تقدیس میکنیم برای تو گفت که من میدانم آنچه را که شما نمیدانید بالامالة عند ابی وقف

ابو عمرو وحمزة وعلي والاعشى والبرجمي الا ان يكون قبلها من الحروف الموانع السبع وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والخاء والقاف نحو خاصة ونصة وحطة وغلظة وصبغة وصاخة وشفقة واما العين والحاء والراء ففيها الاختلاف عن اهل المدينة فاشدهم امالة حمزة وعلي فاما ابو عمرو والاعشى والبرجمي فانهم يميلون بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب اني اعلم بفتح الياء ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والوقوف خليفة ط بناء على ان عامل اذ محذوف اي اذكر ومن جعل قالوا عامل اذ وصل الدماء ج لان انتهاء الاستفهام على قوله ويسفك الدماء يقتضي الفصل واحتمال الواو لمعنى الحال في قوله ونحن نسبح بحمدك يقتضي الوصل ونقدس لك ط ما لا تعلمون التفسير هذا ابتداء الاخبار عن كيفية خلق آدم ع وعن كيفية تعظيمه اياه فينخرط في سلك ما تقدم من النعم فان النعمة على الآباء نعمة على الابناء واذ ههنا مجرد لمعنى الظرف اي اذكر وقت قول ربك كقوله واذكر اخا عاد اذ انذر اي وقت انذاره على انه بدل من اخا عاد لان الذكر في ذلك الوقت ممتنع والخطاب للنبي ص او لكل احد من بني آدم ويجوز ان ينتصب بقالوا فيكون للمجازاة والملائكة جمع ملأك واصله مألك بتقديم الهمزة من الالوكة وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام وقيل ملأك وجمع على فعائل مثل شمائل ثم تركت همزة المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام والحاق التاء لتانيث الجمع نحو حجارة وقد لا تلحق واعلم ان الملك قبل النبي بالشرف والعلية وان كان بعده في عقولنا واذ ههنا وقد جعله الله واسطة بينه وبين رسله في تبليغ الوحي والشريعة وقدم الايمان بالملائكة على ذكر الايمان بالانبياء والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا خلاف بين العقلاء في ان شرف العالم العلوي بالملائكة كما ان شرف العالم السفلي بوجود الانبياء فيه وللناس في حقيقة الملائكة مذاهب منهم من زعم انها اجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات وهو قول اكثر المسلمين ومنهم عبدة الاوثان القائلون ان الملائكة هي هذه الكواكب الموصوفة بالاسعاد والانحاس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب ومنهم معظم المجوس والثنوية القائلون بالنور والظلمة وانهما عندهم جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس سرة لا يضر وينفع ولا يمنع ويحيى ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة الاعلى لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوء من المضئ وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم القائلون بانها جواهر غير متحيزة ثم اختلفوا فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي الانفس الناطقة المفارقة لابدانها فان كانت صافية خيرة فالملائكة وان كانت خبيثة كثيفة فالشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية كنسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين ولكل من الفرق دلائل على ما ذهب اليه يطول ذكرها ههنا وقد يستدل عليها اصحاب المجاهدات من جهة المكاشفة واصحاب الحاجات والضرورات من جهة مشاهدة الآثار العجيبة والهداية الى المعالجات النادرة الغريبة والتركيبات المعجونات واستخراج صنعة الترياقات كما يحكى انه كان لجالينوس وجع الكبد فراى في المنام كان آمرا امره ان يفصد الشريان الذي على ظهر كفه اليمنى بين السبابة والابهام ففعل فعوفي ومما يدل على ذلك حال الرؤيا الصادقة ولا نزاع البتة بين الانبياء ع في اثبات الملائكة وذلك كالامر المجمع عليه بينهم واما شرح كثرتهم فقد قال ع اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وعلى هذا الترتيب الى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيها فانها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرا قليلا وما مقدار موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم الا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل ع والملائكة الذين هم جنود جبرئيل ع هم كلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون واما اصنافهم فمنهم حملة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ومنهم اكابر الملائكة جبرئيل صاحب الوحي والعلم وميكائيل صاحب الرزق والغذاء واسرافيل صاحب الصور وعزرائيل ملك الموت ومنهم ملائكة الجنة وملائكة يدخلون عليهم من كل باب ومنهم ملائكة النار عليها تسعة عشر ومنهم الموكلون ببني آدم عن اليمين وعن الشمال قعيد ومنهم الموكلون باحوال هذا العالم والصافات صفا واما اوصافهم فكما قال امير المؤمنين علي ع منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضا[ئه]

وامره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر ثم انه روى الضحاك عن ابن عباس انه سبحانه انما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع ابليس لان الله تعالى لما اسكن الجن الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا بعث الله ابليس في جند من الملائكة فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال الاكثرون من الصحابة والتابعين انه تعالى قال ذلك لجماعة الملائكة من غير تخصيص لان لفظ الملائكة يفيد العموم والتخصيص خلاف الاصل وجاعل من جعل الذي له مفعولان ومعناه مصير في الارض خليفة وانما لم يقل اني خالق كما قال اني خالق بشرا من طين لانه باعتبار الخلافة من عالم الامر لا من عالم الخلق والظاهر ان الارض يراد بها ما بين الخافقين وقد روي عن النبي صلعم ان الارض ههنا ارض مكة التي دحيت الارض من تحتها والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه والخليفة اسم يصلح للواحد والجمع المذكر والمؤنث ويجمع خلائف مثل كريمة وكرائم وجاء خلفاء لانهم جمعوه على اسقاط الهاء مثل ظريف وظرفاء والمراد به آدم عم اما لانه صار خليفة لاولئك الجن الذين تقدموه ويروى ذلك عن ابن عباس واما لانه يخلف الله في الحكم بين خلقه كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وهو المروي عن ابن مسعود والسدي وعن الحسن المراد بالخليفة ابناء آدم لانه يخلف بعضهم بعضا ويؤيده قوله وهو الذي جعلكم خلائف الارض وانما وحد بتاويل من يخلف او خلقا يخلف او بالحقيقة الانسان يخلف جميع المكونات من الروحانيات والجسمانيات والسماويات والارضيات ولا يخلفه شيء منها اذ لم يجتمع في شيء منها ما اجتمع فيه ليس للعالم مصباح يضيء بنار نور الله فيظهر انوار صفاته خلافة عنه الا مصباح الانسان لانه اعطي مصباح السر في زجاجة القلب والزجاجة في مشكوة الجسد وفي زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها من صفاء العقل يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وفي مصباح السر فتيلة الخفي فاذا استنار مصباحه بنار نور الله كان خليفة الله في ارضه فيظهر انوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة واللطف والقهر ولا يظهر هذه الصفات لا على الحيوان ولا على الملك فاعلم والفائدة في اخبار الملائكة بذلك اما تعليم العباد المشاورة في امورهم وان كان هو بحكمته البالغة غنيا عن ذلك واما ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا واعلم ان الجمهور من علماء الدين على ان الملائكة كلهم معصومون عن جميع الذنوب لقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون فلا شيء من المامورات بل ومن المنهيات لان المنهي مامور بتركه الا وياتون به بدليل صحة الاستثناء وايضا لقوله بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يسبحون الليل والنهار لا يفترون الى غير ذلك من الآيات وطعن فيهم بعض الحشوية بانهم قالوا اتجعل فيها والاعتراض على الله من اعظم الذنوب وايضا نسبوا بني آدم الى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر وايضا مدحوا انفسهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك وهو عجب وايضا قولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اعتذار والعذر دليل الذنب وايضا قوله تعالى ان كنتم صادقين دل على انهم كانوا كاذبين فيما قالوه وايضا قوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض يدل على انهم كانوا مرتابين في انه تعالى عالم بكل المعلومات وايضا علمهم بالافساد وسفك الدماء اما بالوحي وهو بعيد والا لم يكن لاعادة الكلام فائدة واما بالاستنباط والظن وهو منهي ولا تقف ما ليس لك به علم وايضا قصة هاروت وماروت وان ابليس كان من الملائكة المقربين ثم عصى الله وكفر والجواب عن اعتراضهم على الله ان غرضهم من ذلك السؤال لم يكن هو الانكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه فان هذا الاعتقاد كفر وانما المقصود من ذلك امور منها ان الانسان اذا كان قاطعا بحكمة غيره ثم رآه يفعل فعلا لا يهتدي ذلك الانسان الى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجبا فكانهم قالوا اعطاء هذه النعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله الا لوجه دقيق وسر غامض فما ابلغ حكمتك ومنها ان ايراد الاشكال طلبا للجواب غير محذور فكانه قيل الهنا انت الحكيم الذي لا يفعل السفه البتة وتمكين السفيه من السفه قبيح من الحكيم فكيف يمكن الجمع بين الامرين وهذا جواب المعتزلة واستدلوا على ان الملائكة لم يجوزوا صدور القبيح من الله تعالى فكانوا على مذهب اهل العدل قالوا ومما يؤكد ذلك انهم اضافوا الفساد وسفك الدماء الى المخلوقين لا الى الخالق وايضا قالوا ونحن نسبح بحمدك والتسبيح تنزيه ذاته عن صفة الاجسام ونقدس لك والتقديس تنزيه افعاله عن صفة الذم ونعت السفه ومنها ان الخيرات في هذا العالم غالبة على شرورها وترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير فالملائكة نظروا الى الشرور فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون اي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لاجل الشر القليل وهذا جواب الحكماء ومنها ان سؤالهم كان على وجه المبالغة في اعظام الله تعالى فان العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره ان يكون له عبد يعصيه ومنها ان قولهم اتجعل مسألة منهم ان يجعل الارض او بعضها لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى اتهلكنا بما فعل السفهاء اي لا تهلكنا فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من صلاحكم وصلاح هؤلاء فبين ان الاختيار لهم السماء ولهؤلاء الارض ليرضى كل فريق بما اختار الله له ومنها ان هذا الاستفهام خارج مخرج الايجاب كقول جرير شعر الستم خير من ركب المطايا اي انتم كذلك والا لم يكن مدحا فكانهم قالوا انك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبح بحمدك لانا نعلم في الجملة انك لا تفعل الا الصواب والحكمة فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فانتم علمتم ظاهرهم وما في باطنهم من الاسرار الخفية التي تقتضي

ايجادهم وفيه انه سبحانه بنا الخلافة ليس بكثرة الطاعة ولكنه بسابق العناية وانه تعالى غني عن طاعة المطيعين كما انه لا يضره معصية المذنبين وفيه تخويف
عن الغيبة ان من اراد ايراد السؤال وجب ان يتعرض لمحل الاشكال فلذلك ذكروا الفساد والسفك لا للغيبة وعن العجب ان مدح النفس غير ممنوع
منه مطلقا واما بحمد ربك فحديث نعمة فكانهم قالوا ما سألناك للقدح في حكمتك يا ربنا فانا نعترف لك بالالهية والحكمة بل لطلب وجه الحكمة
وعن الاعتذار انه لم يكن للذنب بل لان ترك السؤال كان اولى وروى عن الحسن وقتادة ان الله تعالى لما اخذ في خلق آدم همس الملائكة
فيما بينهم وقالوا ليخلق ربنا ما شاء ان يخلق فلن يخلق خلقا الا كنا اعلم منه واكرم عليه فلما خلق آدم عم وفضله عليهم علمه الاسماء
كلها قال أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في انه لا يخلق خلقا الا وانتم افضل منه ففزعوا الى التوبة وقالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا
مَا عَلَّمْتَنَا ثم ان العلماء ذكروا في اخبار الملائكة عن الفساد والسفك وجوها منها انهم قالوا ذلك ظنا اما لانهم قاسوهم على حال الجن
الذين كانوا قبل آدم عم في الارض وهو مروي عن ابن عباس والكلبي واما لانهم عرفوا خلقته وعلموا انه مركب من الاركان المتخالفة والاخلاط
المتنافية الموجبة للشهوة التي منها الفساد وللغضب الذي منه سفك الدماء ومنها انهم قالوا ذلك عن اليقين ويروى عن ابن مسعود
وناس من الصحابة وذلك انه تعالى لما قال لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا ربنا وما يكون الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في
الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او انه تعالى كان قد اعلم الملائكة انه
اذا كان في الارض خلق عظيم افسدوا فيها وسفكوا الدماء ولانه لما كتب القلم في اللوح ما هو كائن الى يوم القيمة فلعلهم طالعوا اللوح فعرفوا
ذلك ولان معنى الخليفة اذا كان النائب لله في الحكم والقضاء والاحتياج الى الحاكم انما يكون عند التنازع والتظالم كان الاخبار عن وجود
الخليفة اخبارا عن وقوع الفساد والشر بطريق الالتزام وقيل لما خلق الله النار خافت الملائكة خوفا شديدا فقالوا لمن خلقت هذه النار قال
لمن عصاني من خلقي ولم يكن يومئذ لله خلق الا الملائكة ولم يكن في الارض خلق البتة فلما قال إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً عرفوا ان المعصية
منهم تظهر واما قصة ابليس وهاروت وماروت فسيجيء الكلام فيها واختلف الناس في ان الملائكة لهم قدرة على المعاصي والشرور ام لا فالفلاسفة
وكثير من اهل الجبر قالوا انهم خير محض ولا قدرة لهم على الشر والمعتزلة اثبتوا لهم قدرة على الامرين لان قولهم اتجعل فيها معصية وترك الاولى
وعلى التقديرين فالمقصود حاصل وايضا قال تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم مكلفين وقال لا
يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ويمكن الزامهم بان الثواب عندهم واجب على الله تعالى
فيمتنع عليه تركه مع انه يستحق المدح على الثواب والواو في ونحن نسبح للحال كقولك تحسن الى فلان وانا احوج الى الاحسان والتسبيح تبعيد الله
من السوء وكذا التقديس من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد والتبعيد عن السوء اما في الذات ويحصل بنفي الامكان المستلزم
لنفي الجسمية والعرضية والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرءا عن العجز والجهل والتغير محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات
واما في الافعال بان لا يكون افعاله لجلب المنافع ودفع المضار يقول الله تعالى انا المنزه عن قول الظالمين سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ
انا الغني عن الكل سبحانه هو الغني انا الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء انا المنزه عن الصاحبة
والولد سبحانه ان يكون له ولد انا الذي خلق الولد من غير اب سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون انا الذي سخرت الانعام القوية
للبشر الضعيف سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ انا الذي علم لا بتعليم المعلمين لا بارشاد المرشدين سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
انا الذي اغفر معصية سبعين سنة بتوبة ساعة فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس فان اردت رضوان الله فسبح وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ
أَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وان اردت الخلاص عن النار فسبح سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وان اردت الفرج عن البلاء فسبح لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ايها العبد واظب على تسبيحي وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا والا فالضرر يعود اليك فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ يسبح لي الحجر والمدر والرمال والجبال والشجر والدواب والليل والنهار والظلمات والانوار
والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والاركان والارواح والاجسام سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
ايها العبد انا الغني عن تسبيح هذه الاشياء وهذه الاشياء ليست من الاحياء فلا حاجة بها الى ثواب هذا التسبيح ولا اضيع ثواب
هذه التسبيحات فان ذلك لا يليق بي وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا لكي يصل ثواب هذه الاشياء اليك ليعرف ان من اجتهد
في خدمتي جعل كل العالم في خدمته وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء ايها العبد اذكرني بالعبودية
لتنتفع به لا انا سبحان ربك رب العزة فانك اذا ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا اقرضني وان كنت انا الغني حتى بالواحد عليك عشرة إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ لا حاجة لي الى العسكر وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ
لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ولكن اذا نصرتني نصرتك إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ اخدمني يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ لا لاني احتاج الى خدمتك فاني انا الملك
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ولكن صرف خدمتي على قصير النسل ملكا كبيرا وخيرا كثيرا وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ قوله بحمدك في موضع الحال اي

نسبح متلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك وسئل عن رسول الله صلعم اي الكلام افضل فقال ما اصطفاه الله للملائكة
سبحان الله وبحمده ويروى ان اهل السماء الدنيا سجود الى يوم القيمة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية قيام الى يوم
القيمة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة ركوع الى يوم القيمة يقولون سبحان الحي الذي لا ينام ولا يموت وعن ابن عباس
وابن مسعود نسبح اي نصلي والتسبيح الصلوات وعن مجاهد نقدس لك نطهر انفسنا من ذنوبنا وخطايانا ابتغاء لمرضاتك وقيل نطهر قلوبنا
عن الالتفات الى غيرك حتى تصير مستغرقة في انوار معرفتك اني اعلم ما لا تعلمون معناه لا تعجبوا ولا تغتموا بان فيهم من يفسد فاني
اعلم ان فيهم من لو اقسم على الله لابره واعلم ان معكم ابليس وفي قلبه من الحسد والكبر والنفاق شيء كثير وانكم لما وصفتم انفسكم بهذه المدائح فانتم
تسبحون انفسكم لا في تسبيحي اصبروا حتى اخلق البشر فيكون فيهم من يعبدوني ثم يخشونني يؤدون حق العبادات ثم لا يتكلون على تلك الطاعات
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والذين هم من خشية ربهم مشفقون والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين واد
برحمتك في عبادك الصالحين واعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم ولكم في هذه الاجمال ما يغنيكم عن التفصيل فان افعالي كلها حكمة
ومصلحة وان خفي عليكم وجه كل واحد واحد على انه قد بين لهم بعض ذلك في قوله **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ**
عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ
و آموخت بادم نامها را همه پس عرضه کرد آنها را
صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
بر فرشتگان پس گفت که خبر دهید مرا بنامهای ایشان اگر هستید راستگویان گفتند که ای خدای منزه هستی از انچه شایسته تو نیست نیست دانستن ما را مگر آنچه آموختی ما را
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ
بدرستیکه تویی دانای استوار کار گفت ای آدم خبر ده ایشان را
بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي
بنامهای ایشان پس چون خبر داد ایشان را بنامهای انها گفت که آیا نگفتم شما را من
أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ
پنهانها میدانم پنهانی آسمانها و زمین را و میدانم آنچه آشکار میکنید و آنچه پنهان میکردید
القراءة انبوني وكذلك خاطون وخاسئين وفالون ونحن المستهزؤن ولیطفؤا ولیواطؤا ومتكئين وقل استهزؤا ومتكاء وكذلك يستنبؤنك وبابه برونا وبرون وبابه كهيئة واشباه
ذلك ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو هؤلاء بغير المد ولاء بالمد يزيد يعقوب وقتيبة ومصعب عن قالون قال ابو اسحق هما كلمتان لا بد منهما
وبعد هؤلاء اي بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وقرأ ابو عمرو والبزي من طريق الهاشمي بترك الهمزة الاولى واثبات الثانية
وكذلك في المضمومتين واما في المفتوحتين فكابي عمرو انبئهم عن ابن عامر وايبان مهموزة مكسورة الهاء وغير مهموزة مكسورة
الهاء والباقون مهموزة مضمومة الوقوف صادقين علمتنا الحكيم انبئهم باسمائهم ج لمكان فاء التعقيب باسمائهم لا لان قال جواب
فلما تكتمون التفسير فيه ابحاث الاول الاشعري والجبائي والكعبي على ان اللغات كلها توقيفية بمعنى ان الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك
الالفاظ وتلك المعاني وبان تلك الالفاظ موضوعة لتلك المعاني بدليل قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها لا علم لنا الا ما علمتنا وهذا
يدل على ان الملائكة وآدم لا يعلمون الا بتعليم الله تعالى اياهم وخالفهم اصحاب ابي هاشم الذاهبين الى ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر
واحدا وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال فقالوا المراد الهم بعث داعية على الوضع مثل وعلمناه صنعة
لبوس لكم اي الهمناه او المراد علمه ما سبق من اصطلاحات قوم كانوا قبل آدم واجيب بان الاصل عدم العدول عن الظاهر قالوا ثم عرضهم يدل
على ان المراد بالاسماء المسميات فان تعليم المسميات غير معقول فاذن المراد اسماء المسميات وعوض اللام عن المضاف
اليه كما في قوله واشتعل الرأس شيبا اي علمه اسماء كل ما خلق من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم من
العربية والفارسية والرومية وغيرها وكان ولد آدم يتكلمون بهذه اللغات فلما مات وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة
واحدة معينة من تلك اللغات فلما طالت المدة ومضت القرون نسوا سائر اللغات ثم لا يبعد بل ينبغي ان يكون الله تعالى قد علمه مع ذلك
صفات الاشياء ونعوتها وخواصها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية لان اشتقاق الاسم اما من السمة او من السمو فالاسم هو
العلامة وصفات الاشياء وخواصها دالة على ماهياتها وعلامة عليها وان كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم
بالدليل متقدم على العلم بالمدلول وانما قلنا ينبغي ذلك لان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة في معرفة اسمائها ثم من الحقائق ما يتوقف ادراكها
على آلة تدرك بها كالمبصرات والمسموعات وغيرها فاذا كان لآدم تلك الآلات وقد عرفها ولم يكن للملائكة ذلك لزم عجزهم وايضا العربي
لا يحسن منه ان يقول لغيره تكلم بلغتي لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات بل انما يحصل بالتعليم حصل العلم بها والا فلا اما العلم بحقائق الاشياء
فالعقل متمكن من تحصيله فيصح وقوع التحدي به وانما قيل ثم عرضهم بلفظ المذكر لان في جملة المسميات الملائكة والثقلين وهم العقلاء فغلب
الكامل على الناقص والتذكير على التانيث ومن الناس من تمسك بقوله انبئوني باسماء هؤلاء على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف
لانه انما استنباهم مع علمه بعجزهم تبكيتا لهم بدليل قوله ان كنتم صادقين اي في انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم منهم وقيل اي في قولكم انه لا شيء
مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون له وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود وقيل اعلموني باسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين

فی ذلک الاعلام وقبل الخبر ونحو لا تقولون الا حقا وصدقا فیکون الغرض منه التوبیخ لما هم علیه من القصور لانه متی تمکن فی انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم یکونوا صادقین ولا لهم الیه سبیل علموا انهم عجزوا عن الجواب ثم ان الذین اعتقدوا معصیة الملائکة فی قولهم اتجعل قالوا انهم لما عرفوا خطأهم تابوا واعتذروا بقولهم سبحانک لا علم لنا الا ما علمتنا والذین انکروا معصیتهم قالوا قالوا ذلک علی وجه الاعتراف بالعجز والتسلیم کانهم قالوا لا نعلم الا ما علمتنا ذلک فکیف نعلم ولیهم لما قالوا اتجعل فیها من یفسد فیها الا ان الله تعالی اعلمهم ذلک فکانهم قالوا انک علمتنا انهم یفسدون فی الارض فقلنا اتجعل واما هذه الاسماء فانک ما علمتنا فکیف نعلمها ومعنی سبحانک تسبیحا ای تنزیهک تنزیها وهو مصدر غیر متصرف ای لا یستعمل الا منصوبا علی المصدر فاذا استعمل غیر مضاف کان سبحان علما للتسبیح فان العلمیة کما تجری فی الاعیان تجری فی المعانی قالت المعتزلة ههنا المراد انه لا علم لنا الا من جهتک اما بالتعلیم واما بنصب الادلة وقالت الاشاعرة بل الجمیع بالتعلیم لان المؤثر فی وجود العلم لیس هو ذات الدلیل بل النظر فی الدلیل وانه یستند الی توفیق الله تعالی وتسهیله ثم احتج اهل الاسلام بالایة ایضا علی انه لا سبیل الی معرفة المغیبات الا بتعلیم الله تعالی وانه لا یمکن التوصل الیها بعلم النجوم والکهانة وللمنجم ان یقول للمعتزلی اذا فسرت التعلیم بوضع الدلیل فعندی حرکات النجوم دلائل خلقها الله تعالی علی احوال هذا العالم فیکون من جملة ما علمه الله تعالی انک انت العلیم بکل المعلومات فامکنک تعلیم ادم الحکیم فی هذا الفعل المصیب فیه وعن ابن عباس ان مراد الملائکة من الحکیم انه هو الذی حکم بجعل ادم خلیفة فی الارض وقوله

الم اقل لکم انی اعلم غیب السموات والارض مستحضر لقوله تعالی انی اعلم ما لا تعلمون الا انه تعالی جاء به علی وجه ابسط واشرح فبین فیه علمه باحوال ادم قبل ان خلقه وفیه دلیل علی انه تعالی یعلم الاشیاء قبل حدوثها فیبطل مذهب هشام بن الحکم انه لا یعلم الاشیاء الا عند وقوعها وقد روی الشعبی عن ابن عباس وابن مسعود انه یرید بقوله ما تبدون قولهم اتجعل فیها من یفسد فیها وبقوله وما کنتم تکتمون ما اسر ابلیس فی نفسه من الکبر والکفر وان لا یسجد قیل لما خلق ادم رأت الملائکة خلقا عجیبا فقالوا لیکن ما شاء فلن یخلق ربنا خلقا الا کنا اکرم علیه منه فهذا هو الذی کتموه ویجوز ان یکون هذا القول سرا اسروه بینهم فابداه بعضهم لبعض واسروه عن غیرهم فکان فی هذا الفعل الواحد ابداء وکتمان والظاهر انه عام کقوله انه یعلم الجهر من القول ویعلم ما تکتمون انه یعلم الجهر وما یخفی البحث الثانی قالت المعتزلة ان ما ظهر من ادم معجز دل علی نبوته فی ذلک الوقت فکان مبعوثا الی حواء والی من توجه التحدی الیهم لانهم وان کانوا رسلا فقد یجوز الارسال الی الرسل کبعثة ابرهیم الی لوط واحتجوا بان حصول ذلک العلم له ناقض للعادة ومنع بان حصول العلم بالاسماء لمن علمه الله وعدم حصوله لمن لم یعلمه لیس بناقض للعادة وایضا انهم علموا ان تلک الاسماء موضوعة لتلک المسمیات اولا فان علموا فقد قدروا علی المعارضة والا فکیف عرفوا ان ادم اصاب فیما ذکر اللهم الا ان یقال ان لکل صنف منهم لغة من تلک اللغات ثم ان جمیع الاصناف حضروا وان ادم عرض علیهم جمیع تلک اللغات فکان معجزا او یقال انه تعالی عرفهم قبل ان سمعوا من ادم تلک الاسماء فاستدلوا به علی صدق ادم والظاهر انهم قد عرفوا صدقه بتصدیق الله تعالی ایاه ولئن سلم انه ظهر منه فعل خارق للعادة فلم لا یجوز ان یکون ذلک من باب الکرامات او من باب الارهاص وهما عندنا جائزان ثم القاطع بانه ما کان نبیا فی ذلک الوقت انه لو اصدر الکبیرة منه بعد ذلک والاقدام علیها یوجب الزجر والتحقیر فوجب ان یکون النبوة متاخرة عنها کیف وقد قال عز من قائل ثم اجتباه ربه والرسالة هی الاجتباء فیکون بعد الزلة وایضا لو کان رسولا فان لم یکن مبعوثا الی احد فلا فائدة وان کان مبعوثا فاما الی الملائکة وهم افضل من البشر عند المعتزلة ولا یجوز جعل الادون رسولا الی الاشرف فان المرء الی قبول القول عمن هو من جنسه اسکن ولو جعلناه ملکا لجعلناه رجلا واما الی الانس ولا انسان الا حواء وانها عرفت التکلیف لا بواسطة ادم بدلیل ولا تقربا هذه الشجرة واما الی الجن وما کان فی السماء احد من الجن البحث الثالث فی فضل العلم لو کان فی الامکان شیء اشرف من العلم لاظهر الله تعالی فضل ادم بذلک الشیء ومما یدل علی فضیلته الکتاب والسنة والمعقول اما الکتاب فمن ذلک ما یروی عن مقاتل ان الحکمة فی القران علی اربعة اوجه احدها مواعظ القران وما انزل علیکم من الکتاب والحکمة یعظکم به وثانیها الحکمة بمعنی الفهم والعلم واتیناه الحکم صبیا ولقد اتینا لقمن الحکمة وثالثها الحکمة بمعنی النبوة ولقد اتینا ال ابرهیم الکتاب والحکمة ورابعها القران یؤتی الحکمة من یشاء ومن یؤت الحکمة فقد اوتی خیرا کثیرا وجمیع هذه الوجوه عند التحقیق ترجع الی العلم ومن ذلک انه تعالی فرق بین سبعة نفر فی کتابه قل هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون قل لا یستوی الخبیث والطیب لا یستوی اصحاب النار واصحاب الجنة وما یستوی الاعمی والبصیر ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما یستوی الاحیاء ولا الاموات فاذا تاملت وجدت کل ذلک ماخوذا من الفرق بین العالم والجاهل ومن ذلک قوله اطیعوا الله واطیعوا الرسول واولی الامر منکم ای العلماء فی اصح الاقوال لان الملوک یجب علیهم طاعة العلماء ولا ینعکس شهد الله انه لا اله الا هو والملائکة واولوا العلم جعلهم فی الایتین فی المرتبة الثالثة ثم زاد فی الاکرام فجعلهم فی المرتبة الثانیة وما یعلم تاویله الا الله والراسخون فی العلم قل کفی بالله شهیدا بینی وبینکم ومن عنده علم الکتاب ومن ذلک قوله تعالی یرفع الله الذین امنوا منکم والذین اوتوا العلم درجات ومن ذلک وصفهم بالایمان والراسخون فی العلم یقولون امنا به وبشهادة التوحید شهد الله انه لا اله الا هو والملائکة واولوا العلم وبالبکاء والسجود والخشوع ان الذین اوتوا العلم من قبله اذا یتلی

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا وَبِالْخَشْيَةِ
إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ واما الاخبار فمنها ما رواه انس عن النبی م من احب ان ينظر الی عتقاء الله من النار فلينظر الی المتعلمين
فو الذی نفسی بيده ما من متعلم يختلف الی باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنة له ويبنی بكل قدم مدينة فی الجنة له ويمشی علی الارض
الارض تستغفر له ويمسی ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار وعن انس بن مالك ان النبی م قال من طلب العلم لغير
الله لم يخرج من الدنيا حتی ياتی عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه
الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهبا له فانفقه فی سبيل الله وعن الحسن مرفوعا من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيی به الاسلام كان
بينه وبين الانبياء درجة فی الجنة وعنه م رحمة الله علی خلفائی فقيل يا رسول الله م ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتی ويعلمونها
عباد الله وعن ابی موسی الاشعری مرفوعا يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء انی لم اضع نوری فيكم الا
لعلمی بكم ولا اضع علمی فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم وقال م معلم الخير اذا مات بكی عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحور
عن ابی هريرة مرفوعا من صلی خلف عالم من العلماء فكانما صلی خلف نبی من الانبياء وعن ابن عمر مرفوعا فضل العالم علی العابد بسبعين
درجة بين كل درجة حضر الفرس سبعين عاما وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم ويزيلها والعابد يقبل علی عبادته
لا يتوجه اليها ولا يتعرف لها وقال م لعلی م حين بعثه الی اليمن لان يهدی الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت وعن مسعود
مرفوعا من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن عامر الجهنی مرفوعا يؤتی بمداد العلماء ودم الشهداء
يوم القيمة لا يفضل احدهما علی الاخر وفی رواية فيترجح مداد العلماء وعن ابی واقد الليثی ان النبی م بينما هو جالس والناس معه اذ اقبل ثلثة نفر
فاما احدهم فرای فرجة فی الحلقة فجلس اليها واما الاخر فجلس خلفهم واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ م من كلامه قال الا اخبركم عن النفر
الثلثة فاما الاول اوی الی الله فاواه الله واما الثانی فاستحيی من الناس فاستحيی الله منه واما الثالث فاعرض الله عنه وعنه م يشفع يوم
القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء قال الراوی فاعظم مرتبة هی الواسطة بين النبوة والشهادة وعن ابی هريرة مرفوعا اذا مات الانسان
انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير وعن النبی م اذا سالتم الحوائج فاسئلوها الناس قيل يا رسول الله
ومن الناس قال م اهل القران قيل ثم من قال م صباح الوجوه قال الراوی فی المراد باهل القران من يحفظ معانيه وقال م كن عالما مجتهدا او متعلما
او مستمعا او محبا ولا تكن الخامس فتهلك قال الراوی وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخری الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس
همج لا خير فيه ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده كن سبعا خالسا او ذئبا او كلبا حارسا واياك ان تكون
انسانا ناقصا وعن النبی م انه كان يحدث انسانا فاوحی الله تعالی اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذی تحدثه الا ساعة وكان هذا وقت العصر
فاخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال يا رسول الله دلنی علی اوفق عمل فی هذه الساعة قال م اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم وقبض قبل
المغرب قال الراوی فلو كان شیء افضل من العلم لامره النبی م به فی ذلك الوقت واما الاثار فقال مصعب بن الزبير لابنه تعلم العلم فانه ان يك لك مال كان
لك جمالا وان لم يكن لك كان لك مالا وقال علی بن ابی طالب ع لا خير فی الصمت عن العلم كما لا خير فی الكلام عن الجهل وقيل مثل العالم بالله
وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس علی الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له
وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه الی الخلق صار كواحد منهم واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا
سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينتقص اخری وهو المستغرق فی المعارف الالهية غير متفرغ لتعلم
علم الاحكام الا ما لا بد منه ومثل العالم بامر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون اسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضیء
غيره وقال سفيان الناس يقومون من مجلسی علی ثلثة اصناف وذلك انی افسر القران فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقنی فهو كافر
محض ومن ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم علی ما صنع وعزم ان لا كان مؤمنا مخلصا وقال ايضا ثلثة من النوم يبغضها الله
وثلثة من الضحك النوم بعد صلوة العصر وقبل صلوة الفجر والنوم فی الصلوة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك
فی المقابر والضحك فی مجلس الذكر وقيل العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الاباء والامهات يحفظونهم من نار الدنيا وانهم
من نار الاخرة وشدائدها وقيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول وقال بعضهم سل مسئلة الحمقی واحفظ
حفظ الاكياس وقيل الدنيا بستان تزينت بخمسة اشياء علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين فجاء
ابليس بخمسة اعلام واقامها بجنب هذه الخمس فجاء بالحسد فركزه فی جنب العلم وجاء بالجور فركزه بجنب العدل وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة
وجاء بالخيانة فركزه بجنب الامانة وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة وقال علی بن ابی طالب ع العلم افضل من المال بسبعة وجوه العلم ميراث الانبياء
والمال ميراث الفراعنة العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص والمال يحتاج الی الحافظ والعلم يحفظ اذا مات الرجل خلف ماله والعلم يدخل معه قبره
المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن جميع الناس محتاجون الی العالم فی امر دينهم ولا يحتاجون الی صاحب المال العلم يقوی الرجل

عمل

عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه قال الفقيه ابو الليث من جلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات
ينال فضل المتعلمين وكان محبوسا من الذنوب ما دام جالسا عنده واذا خرج من منزله طالبا للعلم نزلت الرحمة عليه واذا جلس في حلقة العلم
فنزلت الرحمة عليهم حصل له نصيب منها ما دام يكون في الاستماع يكتب له طاعة واذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه لانكساره فيكون في زمرة انا عند المنكسرة
قلوبهم لاجلي واذا راى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق ينفر عن الفسوق ومال الى طلب العلم وقيل اربع لا ينبغي للشريف ان يأنف منهن وان
كان اميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته للعالم الذي يتعلم منه والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه واعلم ان الله تعالى علم سبعة نفر سبعة اشياء علم
آدم الاسماء كلها وعلم الخضر علم الفراسة وعلمناه من لدنا علما وعلم يوسف التعبير وعلمتني من تأويل الاحاديث وعلم داود صنعة الدرع
وعلمناه صنعة لبوس لكم وعلم سليمان منطق الطير علمنا منطق الطير وعلم عيسى عليه السلام علم التورية والانجيل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
وعلم محمدا عليه السلام علم الشرع والتوحيد وعلمك ما لم تكن تعلم فعلم آدم كان سببا لحصول السجدة والتحية وعلم الخضر كان سببا لوجود تلميذ مثل موسى
ويوشع له وعلم يوسف لوجود الاهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة عن
امه وعلم محمد لوجدان الشفاعة فمن علم اسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة سلام
قولا من رب رحيم والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى فامة محمد بعلم الحقيقة لا يجدون صحبة محمد عليه السلام فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ويوسف بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا فمن كان عالما بتأويل كتاب الله لا ينجو من حبس الشبهات ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وايضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال وعلمتني من تأويل الاحاديث فانت يا عالم اما تذكر نعمة الله على نفسك حيث جعلك
مفسر الكلام وسميا لنفسه ووارثا للنبيين داعيا للخلق وواعظا للعباد وسراجا لاهل بلاده وقائد الخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره
وعقابه كما جاء في الحديث العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة وان سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه بالماء وروى عن نافع
بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال لان الارض له كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع الفخ يغطى
له باصبع من التراب فلا يراه فيقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القضاء عمي البصر قال لاولاده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروة وانس في الوحشة
وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغنى عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك
وقال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك لا يقدر احد على سلبه
عنك وقيل لبعض الحكماء لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم فوضع يده على فيه وقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه وعن
بعض الحكماء عظم العلم في ذاتك وصغر الدنيا في عينك وكن ضعيفا عند الهزل قويا عند الجد ولا تلم احدا على فعل يمكن ان تعتذر منه ولا ترفع
شكايتك الا الى من ترى نفعه عنده حتى تكون حكيما فاضلا ولبعضهم آفة الزعماء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة واما النكت فان المعصية
عند الجهل لا يرجى زوالها انظر الى آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان عصى وبقي في الغي الابد لان ذلك كان بسبب الجهل وان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج
الى وزير فسأل جبرئيل عن ذلك فقال ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه في اسوء الاحوال فقال لجبرئيل كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله
فقال له جبرئيل ان ربه عينه لذلك لانه ذب عنك بعلمه حين قال وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين والنكتة ان من ذب
عن يوسف استحق الشركة في مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم فكيف لا يستحق من الله الخير والاحسان وقيل اراد واحد خدمة
ملك فقال الملك اذهب فتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه فقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي فقال
كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك وحين رأيتني اهلا لخدمتك رأيت نفسي اهلا لخدمة الله وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك
لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرب قال حكيم القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي
بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له وان نملة واحدة
نالت الرياسة بمسئلة واحدة علمتها وذلك قولها وهم لا يشعرون كانها اشارة الى تنزيه الانبياء عن المعصية وايذاء البريء من غير جرم
فقالت لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستحق الرياسة في الدين
والدنيا وان الكلب المعلم يكون صيده طاهرا ببركة العلم مع انه نجس في الاصل فالنفس الطاهرة في الفطرة اذا تلوثت باوزار المعصية كيف لا تطهر ببركة
العلم بالله بصفاته واذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته خلا وكذا الزاني يقول
تزوجتها فانه لا يحد وفي الحكايات ان هرون الرشيد كان بحضرته فقهاء فيهم ابو يوسف فاتي برجل فادعى عليه انه اخذ من بيته مالا
بالليل ثم اقر الآخذ بذلك في المجلس فاتفق العلماء على انه يقطع يده فقال ابو يوسف لا قطع عليه لانه اقر بالاخذ وانه لا يوجب القطع بل لا بد
من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل في ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على القطع لانه اقر بالسرقة وقال ابو يوسف لا قطع عليه
لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما اوجب الضمان عليه باقراره بالاخذ واذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل وعن الشعبي كنت عند الحجاج فاتي بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا في الحديد فقال الحجاج انت زعمت ان

الحسن والحسين من ذرية الرسول فقال بلى فقال الحجاج لتأتيني ببينة واضحة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك ببينة واضحة
من كتاب الله يا حجاج قال فتعجب من جراته بقوله يا حجاج قال ولا تأتني بهذه الآية نَدْعُ اَبْنَاۤءَنَا وَاَبْنَاۤءَكُمْ فقال آتيك بها واضحة من كتاب
الله قال تعالى وَنُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهٖ دَاوٗدَ وَسُلَيْمٰنَ الى قوله وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيْسٰى فمن ابو عيسى فقد الحق تعالى عيسى بذرية
نوح قال فاطرق مليا ثم رفع راسه فقال كاني لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا ويحكى ان جماعة من اهل
المدينة جاؤا الى ابي حنيفة ليناظروه في القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكنني مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة
الى اعلمكم لاناظره فاشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا
نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال وكيف قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما
اخترنا الامام في الصلوة فقرأته قراءة لنا وهو ينوب عنا فاقروا له بالعلم ويحكى ان المنصور دعا ابا حنيفة يوما فقال الربيع
وهو يعاديه يا امير هذا يخالف جدك حيث يقول الاستثناء المنفصل جائز وابو حنيفة ينكره فقال ابو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك
بيعة في رقبة الناس فقال كيف قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فيبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال اياك
يا ربيع وابا حنيفة فلما خرج الربيع قال سعيت في دمي قال كنت البادي ويحكى انه دخل اللصوص على رجل واخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق
ثلاثا ان لا يعلم احدا فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال
احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فادخلهم جميعا في دار واحدة واخرج واحدا واحدا فقال للرجل ان لم يكن لصك فقل لا وان كان فاسكت
فلما سكت قبض على اللص ورد الله تعالى عليه جميع ما سرق منه ويحكى انه كان في جوار ابي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة فقال يوما اني اريد
التزوج من آل فلان وقد خطبتها اليهم وطلبوا مني من المهر فوق طاقتي قال استقرض وادخل عليها فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك
فاقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ثم قال له بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد وانك تسافر باهلك معك فاظهر الرجل
ذلك فاشتد على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه فقال لهم له ذلك فالطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه فاجابوا
اليه فقال الزوج اني اريد شيئا آخر فوق ذلك فقال له ابو حنيفة ترضى بهذا والا اقررت لرجل بدين فلا يمكن المسافرة بها حتى تقضي ما عليها
فقال الرجل الله الله لا يسمعوا بهذا فرضي بذلك فحصل ببركة علم ابي حنيفة فرج كل واحد من الخصمين سئل ابو حنيفة اترضى بهذا والا
عن رجل حلف ليقربن امرأته في نهار رمضان فلم يعرفوا احد جواب فقال يسافر بامرأته فيطأها نهارا في رمضان وقال بشر المريسي للشافعي
كيف تدعي انعقاد الاجماع مع ان اهل المشرق والمغرب على شيء واحد كان هذه المناظرة عند الرشيد فقال الشافعي هل تعرف اجماع الناس على
خلاف هذا الجالس فاقر به خوفا وانقطع ويحكى ان اعرابيا سأل الحسين بن علي ع حاجة وقال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسئلوها
من احد اربعة اما عربيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب الوجه الصبيح فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم
واما القرآن ففي بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله ص يقول اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين ع سمعت ابي عليا ع يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه وسمعت جدي يقول المعروف بقدر المعرفة
فاسئلك عن ثلث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلثة
فلك ما عندي وقد حمل الى الحسين صرة مختومة من العراق فقال سل ولا قوة الا بالله فقال ع اي الاعمال افضل قال الاعرابي الايمان بالله قال
فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال ع فان اخطاه ذلك قال فمال معه كرم قال ع فان اخطاه
ذلك قال فقر معه صبر قال ع فان اخطاه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ع ورمى ع بالصرة اليه واما الوجوه العقلية
فمنها ان الامور اربعة اقسام قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم عكس ذلك كالمعاصي وقسم يرضاه الشهوة والعقل وهو
العلم والجنة وقسم لا يرضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة
حاضرة وكما يعيش يموت ويبعث ومنها ان اللذة ادراك المحبوب كلما كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العقل هو الله
وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال
العلم ولذته ولا الم ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل اِقْرَاْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقَ خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَاْ
وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِيْ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ كانه قال كنت في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر حالك في
غاية الشرف وفيه ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وهذا يدل على انه انما يستحق الاكرمية لانه اعطى العلم فالعلم اشرف عطية واعظم
موهبة ومنها انه تعالى قال اِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰۤؤُا فالعلماء من اهل الخشية واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جَزَاۤؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنّٰتُ عَدْنٍ الى قوله ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهٗ فالعلماء من اهل الجنة بل ليس اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر ولاجل لام الاختصاص
في قوله لِمَنْ خَشِيَ والسبب في ان العلماء هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد

حكاية

حكاية

حكاية

وجوه فضيلت العلم العقلية كا بيان

معه من العلم بامور ثلثة احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه
ثانيها العلم بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة عند
السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف العبد
من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن الخوف من لوازم
العلم بالله وبهذا يعرف نباهة قدر العلم ومن هنا امر حبيبه بالازدياد منه حيث قال وقل رب زدني علما ولم يكتف نبي الله موسى ع
بما علم بل قال للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا ولم يفتخر سليمان بالمملكة العظيمة بل افتخر بالعلم علمنا منطق الطير ولولا شرف
ولولا شرف العلم لم يكن للهدهد مع ضعفه ان يتكلم بحضرة سليمان بقوله احطت بما لم تحط به وهكذا الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ
القول على السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ومنها انه صلعم قال تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وذلك ان التفكر يوصلك الى الله والعبادة
يوصلك الى ثواب الله وايضا التفكر عمل القلب والعبادة عمل الجوارح ومنها ان سائر كتب الله ناطقة بفضل العلم اما التورية فقال لموسى عظم الحكمة
فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا واردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والاخرة واما الزبور فقال
سبحانه قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا
العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد هلاكه وانما قدم سبحانه التقى على العلم لان
التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا من ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ولهذا السر ايضا
قدم العالم على العاقل لان العالم لا بد ان يكون عاقلا واما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجر والتقوى كالثمر واما
الانجيل فقد قال عز من قائل في السورة السابعة عشر منه ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه
فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم ولا نعمل ولكن
قولوا نرجوا ان نعلم فنعمل والعلم شفيع لصاحبه حق على الله ان لا يخزيه وان الله تعالى يقول يوم القيمة يا معشر العلماء ما ظنكم بربكم فيقولون
ظننا ان ترحمنا وتغفر لنا فيقول فاني قد فعلت اني استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم بل لخير اردته بكم فادخلوا في صالحي عبادي الى
جنتي برحمتي وبالجملة فكون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل لل
العالم يا جاهل تاذى بذلك وان كان يعلم انه كاذب ولو قيل للرجل الجاهل يا عالم فرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك فالعلم اينما وجد
كان صاحبه محترما معظما حتى ان غير الانسان من الحيوان اذا راى الانسان احتشمه بعض الاحتشام وانزجر به بعض الانزجار وان كان
ذلك الحيوان اقوى بكثير من الانسان والعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على غيرهم وانهم في العلم وان كثيرا ممن كانوا يعاندون رسول الله
ويريدون قتله كانوا اذا وقع بصرهم عليه القى الله في قلوبهم الرعب منه فهابوه وانقادوا له ولو لم يكن فيه ايات مبينة كانت بداهته تنبئك
عن خبره وما فضل الانسان على سائر الحيوان الا لاختصاصه بالمزية النورانية واللطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق
الاشياء والاشتغال بعبادة الله تعالى والجاهل كانه في ظلمة شديدة اذا اخرج يده لم يكد يراها والعالم كانه يطير في اقطار الملكوت ويسبح
في بحار المعقولات فيطالع الموجودات والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط و
المركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره
ويعرف اثر كل شيء ومؤثره ومعلوله وعلته ولازمه وملزومه وكليه وجزئيه فيصير كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها
وانه في عالم الارواح كالشمس في عالم الاجسام كاملا ومكملا وواسطة بين الله وعباده ولامر ما لم يجعل الله سبحانه سائر صفات الجلال من
القدرة والارادة والسمع والبصر والوجوب والقدم والاستغناء عن المكان والحيز جوابا للملائكة وموجبا لسكوتهم وانما جعل تعالى صفة
العلم جوابا لهم حيث قال اني اعلم ما لا تعلمون وهكذا اظهر فضيلة ادم بالعلم بعد افتخارهم بالتسبيح والتقديس وان ابرهيم اشتغل في اول امره
بطلب العلم منتقلا بفكره من الكوكب الى القمر ومن القمر الى الشمس الى ان وصل بالدليل الباهر والبرهان الظاهر الى المقصود وهو ملة
الحنفية وان الله تعالى سمى العلم تارة بالحيوة او من كان ميتا فاحييناه وتارة بالروح وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وتارة بالنور
يهدي الله لنوره من يشاء وضرب المثل في العلم بالماء انزل من السماء ماء فعلم التوحيد كماء العين لا يجوز تحريكه لئلا يتكدر كذلك لا ينبغي طلب
كيفية الله كيلا يفضي الى الكفر وعلم الفقه كماء القناة يزداد بالاستنباط والحفر وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهوى وكذلك
علم الزاهد صاف فيتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يهلك الاحياء ويميت الخلق واما الاخبار والاثار الدالة على وعيد من لم يعمل بعلمه
او طلب العلم لغير ذات الله فمنها انه صلعم قال لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن
العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد وقال الناس كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم عن عدي بن حاتم ان النبي صلعم قال يؤتى بناس يوم القيمة فيؤمر بهم الى الجنة حتى اذا دنوا منها ووجدوا رائحتها ونظروا

الى تصورها والى ما اعد الله لاهلها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون عنها بحسرة ما رجع احد بمثلها ويقولون يا ربنا
لو ادخلتنا النار قبل ان تريبنا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا فنودوا ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم
بي بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تضمرون عليه في قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني اجللتم
الناس ولم تجلوني تركتم المعاصي للناس ولم تتركوها لي اكنت اهون الناظرين عليكم فاليوم اذيقكم اليم عذابي مع ما حرمتكم من النعيم قيل طلب اربعة
من الموضع السلامة ومن الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه واذا لم تجد من
الصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة والكراهة فالكلب خير منه واذا لم تجد من المال الفراغة فالمدر خير منه واذا لم تجد من العلم
المنفعة فالموت خير منه وقيل لا يتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء لا يتم الدين الا بالتقوى ولا يتم القول الا بالفعل ولا يتم المروة الا بالتواضع
ولا يتم العلم الا بالعمل فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهدر والمروة بلا تواضع كالشجر بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر قال
علي بن ابي طالب لجابر بن عبد الله الانصاري قوام الدنيا بعالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلمه وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع اخرته
بدنياه فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير اخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة
وقيل اذا وضعت على سواد عينك جزء من الدنيا لا ترى شيئا فاذا وضعت على سويداء قلبك كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئا
البحث الرابع في حد العلم الاشعري العلم ما يعلم به وربما قال ما يصير الذات به عالما القاضي العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه القفال اثبات
المعلوم على ما هو به الكل ائمة المعتزلة هو الاعتقاد المقتضي لسكون النفس الفلاسفة صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم ولا يخفى خروج
علم الله تعالى عنها فانه لا يطلق هناك النفس وفيه مفاسد اخر يطول ذكرها ههنا وعند كثير من المحققين هو بديهي وقيل اصح الحدود صفة توجب
تمييزا لا يحتمل النقيض والحق في هذا المقام هو ان نسبة البصيرة الى مدركاتها كنسبة البصر الى مدركاته فكما ان للبصر نورا كل ما يقع في ذلك
النور فهو مدركه فكذا للبصيرة نور كل ما يقع فيه فهو مدركها ولا يدرك حقيقة هذا النور الا من له نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور وهكذا ادركات جميع الانوار حتى نور الانوار وكلما ازداد النفس نورية وشرفا ازداد انبساطا فيقع فيه المعلومات اكثر
وهكذا يكون الحال في كل مستكمل ما اذا كان العالم بحيث يكون كمالاته الممكنة له موجودة معه بالفعل فلا يزداد نوريته ولا يتجاوز من قلته
في العلو وما منا الا له مقام معلوم ثم ان كان الكامل في النور بحيث لم يمكن اكمل منه ولا انور كان جميع الاشياء واقعة في نوره بل يكون نوره
نافذا في الكل متصرفا فيها محيطا بها ازلا وابدا ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وههنا اسرار اخر لا يجوز التعبير عنها
لعزها يتفطن لبعضها من وفقها من اهلها البحث الخامس في الفاظ تقرب من العلم الاول الادراك وهو الوصول لان القوة العاقلة تصل
الى حقيقة المعقول الثاني الشعور وهو ادراك بغير استثبات وهو اول مراتب وصول المعقول الى القوة العاقلة ولهذا لا يوصف به الله تعالى
الثالث التصور مشتق من الصورة فكان حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة الرابع الحفظ وذلك اذا استحكمت الصورة
في العاقلة بحيث لو زالت لتمكنت من استرجاعها الخامس التذكر وهو محاولة استرجاع الصورة المحفوظة وانه بالحقيقة لنفسانية النفس الى
عالمها السادس الذكر وهو وجدان الصورة بعد محاولة استرجاعها ولا محالة يكون مسبوقا بالزوال قال الشاعر الله يعلم اني لست اذكره وكيف
اذكره اذ لست انساه ويوصف القول بانه ذكر لانه سبب حصول المعنى في النفس قال عز من قائل انا نحن نزلنا الذكر السابع المعرفة وقد اختلفوا
في تفسيرها فمن قائل انها ادراك الجزئيات والعلم ادراك الكليات ومن قائل انها التصور والعلم هو التصديق وجعل العرفان اشرف من
العلم لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقته فامر وراء الطاقة البشرية
وقال بعضهم من ادرك شيئا وانحفظ اثره في نفسه ثم ادرك ذلك الشيء ثانيا وعرف ان هذا المدرك الذي ادركه ثانيا هو الذي ادركه
اولا فهذا هو المعرفة والنفس قبل البدن كانت عارفة بالربوبية الا انها في ظلمة العلاقة البدنية قد نسيت مولاها فاذا تخلصت
من قيد العلاقة عرفت ربها وعرفت انها كانت عارفة الثامن الفهم وهو تصور الشيء من لفظ المخاطب والافهام هو ايصال المعنى باللفظ الى فهم السامع
التاسع الفقه وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه قال تعالى لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يقفون على المقصود الاصلي من التكاليف
العاشر العقل وهو العلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل مرة ومن الترك
اخرى فيجري ذلك مجرى عقال الناقة ومن هنا قيل هو العلم بخير الخيرين وشر الشرين والعاقل من عقل عن الله امره ونهيه الحادي عشر الدراية
وهي المعرفة الحاصلة بضرب من الحيلة وهي ترتيب المقدمات فلا يصح اطلاقها عليه تعالى الثاني عشر الحكمة وهي اسم لكل علم حسن وعمل صالح
وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم وقيل هي الاقتداء بالخالق سبحانه بقدر القوة البشرية وذلك
ان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه الثالث عشر علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين
فعلم اليقين ما كان من طريق النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوال وحق اليقين ما كان متحققا لانفصال
عن لوث الصلصال بورود رائد الوصال الرابع عشر الذهن وهو قوة النفس على اكتساب الحدود والاراء الخامس عشر الفكر وهو انتقال

الفهم
الفقه

النفس من التصديقات الخاصة الى التصديقات المستحضرة وقيل انه يجري مجرى التضرع الى الله تعالى في استنزال العلم من عنده السادس عشر الحدس وهو قوة للنفس بها تهتدي بسرعة الى الحد الاوسط في كل قياس السابع عشر الذكاء وهو شدة هذا الحدس وبلوغه الغاية القصوى من كثرته لنار اشتعلت الثامن عشر الفطنة وهي التنبه لشيء قصد تعريضه كالاحاجي والرموز التاسع عشر الخاطر وهو حركة النفس نحو تحصيل حق وحفظ العشرون الوهم وهو الاعتقاد المرجوح وقد يقال انه الحكم بامور جزئية غير محسوسة لاشخاص جزئية كحكم السخلة بصداقة الام وعداوة الذئب الحادي والعشرون الظن وهو الاعتقاد الراجح فان كان عن امارة قوية قبل ومدح وعليه مدار اكثر احوال العالم وان كان عن امارة ضعيفة ذم ان بعض الظن اثم الثاني والعشرون الخيال وهو عبارة عن الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته وما كان من ذلك في النوم قد يخص باسم الطيف الثالث والعشرون البديهة وهي المعرفة الحاصلة للنفس ابتداء لا بتوسط الفكر مثل الكل اعظم من الجزء وقد يقال لها الاوليات الرابع والعشرون الروية وهي ما كان من المعارف بعد فكر كثير الخامس والعشرون الكياسة وهي تمكن النفس من استنباط ما هو انفع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت السادس والعشرون الخبر وهو معرفة تحصل بطريق التجربة وحدث الناس اخبر تقله السابع والعشرون الراي هو اجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها انتاج المطلوب وقد يقال للقضية المستنتجة من الراي والراي للفكرة كالآلة للصانع ولهذا قيل اياك والراي الفطير الثامن والعشرون الفراسة وهي اختلاس المعارف من قرس السبع الشاة وذلك ضربان ضرب منها يحصل للانسان من باطنه ولا يعرف له سبب الا صفاء جوهر الروح وهو شبه الالهام واياه عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي لمحدثين وان عمر منهم وقد يسمى النفث في الروع وضرب يحصل بالاستدلال من الاشكال الظاهرة على الاخلاق الباطنة وقيل افمن كان على بينة من ربه اشارة الى الاول ويتلوه شاهد منه الى الثاني والله اعلم التاويل عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه فالتجلي علمه التخلق باخلاقه والاتصاف بصفاته وهذا هو سر الخلافة بالحقيقة لان المراة تكون خليفة المتجلي فيها انبئوني باسماء هؤلاء المخلوقات دون اسماء الله وصفاته ان كنتم صادقين في دعوى الفضيلة فان الفضيلة ليست بمجرد الطاعة فان ذرات الموجودات مسبحات بحمده انما الافضلية بالعلم لان الطاعة من صفات الخلق والعلم من صفات الخالق والفضل لمن له صفة الحق والخلق جميعا فيخلف عن الحق بصفاته وعن الخلق بصفاتهم وانما قال انبئهم ولم يقل علمهم كقوله تعالى وعلم آدم لان الملائكة ليس لهم الترقي في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانيات لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى كما قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت والجسمانيات مرتبة دون مرتبتهم فيمكن انباؤهم بها لان الجسمانيات لهم كالحيوانيات بالنسبة الينا واما الالهيات فليس لهم استعداد الترقي اليها فلهذا لم يقل انبئهم باسمائهم كلها كما قال وعلم آدم الاسماء كلها لئلا يكون تكليفا بما لا يطاق وانما كان آدم مخصوصا بعلم الاسماء واحتاجت الملائكة اليه في انباء اسمائهم واسماء غيرهم لانه كان خلاصة العالم ولهذا خلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فكما ان الثمرة تعبر على اجزاء الشجرة كلها حتى تظهر على اعلى الشجرة كذلك آدم عبر على اجزاء شجرة الوجود وكان في كل جزء من اجزائها له منفعة ومضرة ومصلحة ومفسدة فحصل له من كل من ذلك اسم بلائمه حتى ان اسماء الله تعالى جاءت على وفقه فضلا عن غيرها من اسماء غيره وذلك انه لما كان مخلوقا كان الله خالقا ولما كان مرزوقا كان الله رازقا ولما كان عبدا كان الله معبودا ولما كان معيوبا كان ستارا ولما كان مذنبا كان غفارا ولما كان تائبا كان توابا ولما كان منتفعا ومتضررا كان نافعا وضارا ولما كان ظالما كان عادلا ولما كان عليه السلام ظلوما كان منتقما وعلى هذا فقس

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا

وچون گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید آدم را پس سجده کردند مگر ابلیس که سر کشید و برتری جست و گردید از کافران وگفتیم

يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

که ای آدم جای گیر تو وجفت تو بهشت را وبخورید از آن فراوان هر جا که خواسته و نزدیک مشوید این درخت را پس گردید

مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

از ستمگاران پس شیطان از آن پس بیرون کرد ایشان را از آنچه که بودند در آن وگفتیم که فرود آیید که بعضی از شما مر بعضی را

عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ

دشمن است واز برای شماست در زمین آرامگاه وبهره تا وقتی معین پس بیاموخت آدم از پروردگار خود کلمه چند پس توبه کرد بر وی بدرستی که او

التَّوَّابُ الرَّحِيمُ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ

توبه پذیر مهربان است گفتیم که فرود آیید در زمین همه پس اگر بیاید شما را از من رستگی پس هر که پیروی کند راستی مرا پس نیست

ع عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

بر ایشان ونه ایشان اندوهناک شوند وآنان که کافر شدند وتکذیب کردند بآیات ما آن گروه یاران آتش اند که ایشان در آن جاوید مانند

القراءة للملائكة اسجدوا برفع الهاء للاتباع يزيد وقتيبة روى ابن مهران عنهما اشمام الكاف الكسرة ورفع الهاء ودوى

الخزائنى

الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة الملائكة بغير همز وكذلك كل كلمة في وسطها همزة مكسورة الا قوله السائلين السائل والبائس فانهما
بالهمز شئتما وبابه بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وورش ومن طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف فازلهما حمزة آدم بنصب كلمات
رفع ابن كثير فلا خوف عليهم بالفتح حيث كان يعقوب هداي ومحياي ومثواي بالامالة كل القرآن على غير ليث النار بالامالة كل
القرآن وكذلك كل كلمة في آخرها راء مكسورة بعد الالف في موضع اللام من الكلمة قراها على غير ليث وابي حمدون وحمدويه و
النجاري عن ورش وحمزة في رواية ابن سعدان وابو عمرو الا انه لا يميل الجار والغار في بعض الروايات فروى ابرهيم بن حماد عن اليزيدي
الجار بالامالة وروى ابن مجاهد عن اليزيدي الغار بالامالة وسائر الروايات عنه بالتفخيم لقلة دورهما واختلفوا في وقف ابي عمرو
في مثل النار واشباه ذلك فروى ابن مجاهد الحسن بن عبد الله عن النقاش وكثير من اهل العراق انه يقف كما يصل وروى سلمة
عاصم انه يقف بالتفخيم والاول اكثر الوقوف بليس لانه معرفة والجملة بعده لا يكون صفة له الا بواسطة الذي لا عامل فيجعل الجملة حالا
الكافرين شئتما لاتفاق الجملتين الظالمين ه كلا فيه من الجملتين المتفقتين عده لاختلاف الجملتين حين فتاب عليه ط الرحيم جميعا
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب يحزنون النار ج لان ما بعدها مبتداء وخبر وقيل الجملة خبر بعد خبر لا ولذلك لان تمام المقصود لعطف عند
هو الخلود مثل ما ان خلودها مضر خالدون التفسير لما خصص الله تعالى آدم بالخلافة ثم علمه من العلوم ما ظهر به له مزية على
جميع الملائكة اقتضت حكمته البالغة ان جعله مسجودا لهم وهذا مقتضى السوق ههنا ظاهرا لان قوله تعالى في موضع آخر فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فقعوا له ساجدين يقتضي ان يكون الامر بالسجود قبل تسوية خلقه وانه كما صار حيا صار مسجودا لهم وتعليم الاسماء و
مناظرته مع الملائكة في ذلك حصل بعد سجدتهم والله اعلم بذلك ثم ان المسلمين اجمعوا على ان ذلك السجود لم يكن للعبادة لانه تعالى لا يامر بالكفر
والعبادة لغيره كفر فزعم بعضهم ان السجود كان لله تعالى وآدم كالقبلة فقوله اسجدوا لآدم مثل قولك صل للقبلة قال حسان بن ثابت
شعر ما كنت اعرف ان الامر منصرف ✽ عن هاشم ثم منها عن ابي حسن ✽ اليس اول من صلى لقبلتكم ✽ واعرف الناس بالقرآن والسنن
وهو ضعيف لان المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم وجعله مجرد القبلة لا يفيد كونه اعلى من الساجد وزعم آخرون ان المراد
بالسجود الانقياد والخضوع كما هو مقتضى اصل اللغة مثل والنجم والشجر يسجدان ورد بانه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على
الارض فوجب ان يكون في اصل اللغة كذلك لان الاصل عدم التغيير واصح الاقوال ان السجود كان بمعنى وضع الجبهة ولكن لا عبادة بل تكرمة وتحية
كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك بدل التسليم قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كان تحية الناس يومئذ سجود
بعضهم لبعض ويجوز ان تختلف الرسوم والعادات باختلاف الازمنة والاوقات واختلف المليون في ان ابليس من الملائكة ام لا فقال
اكثر المتكلمين ولا سيما المعتزلة انه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء انه كان منهم حجة الاولين انه من الجن لقوله تعالى في الكهف الا ابليس كان
من الجن فلا يكون من الملائكة وايضا قال ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا
من دونهم بل كانوا يعبدون الجن ورد الاول بان الجن قد يطلق على الملك لاستتاره عن العيون وبان كان يحتمل ان يكون بمعنى صار
والثاني بانه لا يلزم من كون الجن في هذه الاية نوعا مغايرا للملائكة ان يكون في الاية الاولى ايضا مغايرا لاحتمال كونه على مقتضى اصل
اللغة وهو الاستتار وقالوا ان ابليس له ذرية لقوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني والملائكة لا ذرية لها لانها تحصل من الذكر
والانثى ولا اناث فيهم لقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منكرا عليهم وايضا الملائكة معصومون لما سلف وابليس لم يكن
كذلك وايضا انه من النار خلقتني من نار وانهم من نور لقوله خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار رواه الزهري عن عروة عن
عائشة ومن المشهور الذي لا يدفع ان الملائكة روحانيون فقيل سموا بذلك لانهم من الريح او من الروح وايضا الملائكة رسل جاعل الملائكة رسلا
ورسل الله معصومون الله اعلم حيث يجعل رسالته حجة الآخرين انه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل اولى لان تخصيص العموم في كتاب الله
اكثر من الاستثناء المنقطع قيل انه جني واحد مغمور بين ظهراني الوف من الملائكة فغلبوا عليه هذا لا ينافي كون الاستثناء متصلا واجيب بان
التغليب مما يصار اليه اذا كان المغلوب ساقطا عن درجة الاعتبار اما اذا كان معظم الحديث فيه فلا يصار الى التغليب وايضا لو لم يكن من الملائكة
لم يتناوله الخطاب باسجدوا ولم يستحق بترك السجود لوما وتعنيفا ولا يمكن ان يقال انه نشأ معهم فصح التوبيخ فتناوله الامر لما بين في اصول الفقه ان
خطاب الذكور لا يتناول الاناث وبالعكس مع شدة المخالطة بين الصنفين ولا ان يقال انه وان لم يدخل في هذا الامر الا انه تعالى امره بلفظ
آخر ما حكاه في القرآن بدليل قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك لان قوله ابى واستكبر عقيب قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا مشعر بان المخالفة
بسبب هذا الامر هذا ما قيل عن الجانبين ومما يناسب تفسير الاية الكلام في ان الانبياء افضل من الملائكة ام بالعكس قال اكثر اهل السنة بالاول
وقالت المعتزلة والشيعة الى الثاني واختاره الباقلاني وابو عبد الله الحليمي من فقهاء اهل السنة المعتزلة احتجوا بامور احدها ومن عنده لا يستكبرون
وليس المراد عندية المكان والجهة بل عندية القرب والشرف وعورض بما حكى عنه سبحانه انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي بل هذا ابلغ لان كون الله تعالى عند
العبد ادخل في التعظيم من كون العبد عنده قالوا الاية تدل على انه تعالى يقول للملائكة مع شدة قوتهم واستيلائهم على اجرام السموات والارض وامنهم من

فيه معنى السجود في ان ابليس من الجن

الحر والمرض والآفات لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع غاية ضعفهم وقصورهم اولى بذلك واجيب بانه لا نزاع في ذلك وانما النزاع في الافضلية
بمعنى كثرة الثواب الثانية عباداتهم اشق من عبادات البشر فيكون ثوابهم اكثر لقوله لعايشة اجرك على قدر نصبك ولقوله افضل العبادات احمزها اي اشقها
واما بيان ان عباداتهم اشق فمن وجهين احدهما انهم سكان السموات وهي جنان ومنتزهات وهم مع ذلك لا يلتفتون الى نعيمها ويقبلون على طاعاتهم
خائفين وجلين كانه لا يقدر احد من بني آدم ان يبقى كذلك يوما واحدا فضلا عن تلك الاعصار المتطاولة لان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ويؤكده
قصة آدم فانه اطلق له في الجنة جميعها الا الشجرة واحدة ومع ذلك فلم يملك نفسه الثاني ان انتقال المكلف من نوع عبادة الى نوع آخر كالانتقال من طعام
الى طعام والاقامة على نوع واحد يورث السآمة وهذا شأن الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ومنهم ركوع ومنهم سجود منذ خلقوا
وعورض الوجه الاول بان اسباب البلاء مجتمعة على البشر ثم انهم راضون بقضاء الله مواظبون على تكاليفهم ولذلك فان العبيد والخدم بطيب
قلوبهم بالخدمة حال الرفاهية ولا يصبر احد منهم على مشقة الخدمة الا من كان في نهاية الاخلاص الثاني بان العادة طبيعة خامسة ولهذا قال عم افضل
الصوم صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما الثالثة عباداتهم ادوم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وخير الاعمال ادومها مع ان عبادتهم اكثر وعلى
الآية سؤال روي عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال قلت لكعب ارأيت قول الله عز وجل لا يفترون ثم قال جاعل الملائكة رسلا واولئك عليهم لعنة الله
والملائكة افلا يكون الرسالة واللعن مانعين عن التسبيح فاجاب بان التنفس لا يمنعنا من الاشتغال بشيء آخر فكذلك التسبيح لهم وزيف بان آلة النفس
فينا غير آلة الكلام واما اللعن والتسبيح فهما من جنس الكلام فاجتماعهما في آلة واحدة محال واجيب باحتمال ان يكون لهم السنة كثيرة يسبحون الله ببعضها
ويلعنون اعداءه ببعض آخر وبان ثناء الله يستلزم تبعيد من اعتقد في الله ما لا ينبغي والمراد لا يفترون عن العزم على ادائه في اوقاته اللائقة
به كما يقال فلان يواظب على الجماعات يعنون انه عازم على ادائها في اوقاتها ونوقضت الحجة بان الطاعة القليلة من الانسان قد تقع على وجه يستحق بها
ثوابا اكثر من ثواب طاعاتهم الرابعة انهم اسبق السابقين في كل العبادات والسابقون السابقون اولئك المقربون من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها الخامسة الملائكة رسل الى الانبياء علمه شديد القوى نزل به الروح الامين والرسول افضل من الامة قياسا على الشاهد
ومنع بان هذا اذا كان الرسول حاكما على المرسل اليهم متوليا لامورهم كالانبياء المبعوثين الى اممهم اما في مطلق الرسل فلم قلتم انه كذلك كما
لو ارسل الملك عبدا من عبيده الى وزيره والى ملك آخر السادسة انهم اتقى من البشر لدوام خوفهم يخافون ربهم من فوقهم مع وجود شهوة النزع
والرياسة فيهم لهذا قالوا اتجعل فيها وان لم يكن لهم شهوة الوقاع فوجب ان يكونوا افضل ان اكرمكم عند الله اتقاكم ورد بان تقوى الانسان
اكمل فان لهم مع شهوة الرياسة شهوة البطن والفرج ايضا السابعة لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون خرج الثاني
مخرج التاكيد للاول ومثل هذا انما يكون بذكر الافضل بعد الفاضل كقولك هذا العالم لا يستنكف عن خدمة الوزير ولا الملك فيفيد افضلية
الملائكة المقربين في المعنى المسيح للعبودية من نهاية الخضوع والخشوع وما يتبعهما مع شدة بطشهم وقوة حالهم وعورض بانه قد يقال هذا العالم لا
يستنكف عن خدمة القاضي ولا السلطان ولا يفيد الا ان السلطان اكمل من القاضي في بعض الامور كالقوة والقدرة ولا يدل على كونه اكمل من
القاضي في سائر الدرجات كالعلم والزهد فلم قلتم انهم افضل من المسيح فقط دون غيره الحجة الثامنة ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
فهذا وان كان حكاية قول ابليس الا ان آدم وحوا لولم يعتقدا افضلية الملك لم يغترا بذلك واعتقادهما حجة ورد بان آدم لعله اخطأ في ذلك الاعتقاد
اما لان الزلة جائزة على الانبياء او لانه ما كان نبيا في ذلك الوقت وايضا هب انه حجة لكنه قبل الزلة لم يكن نبيا فلا يلزم من مفضوليته وتسليم مفضوليته
نبوته وان سلم مفضوليته ونبوته وقتئذ فلم لا يسلم ان ذلك في باب الثواب بل في باب القدرة والقوة والحسن الجمال ونحو ذلك فانهم خلقوا من
الانوار وآدم خلق من التراب فاغتر رغبة فيما لهم من هذه الامور وايضا يحتمل ان يكون المراد الا ان تقلبا ملكين فيصح استدلالكم وان يكون
المراد ان النهي مختص بالملائكة الخالدين دونكما كما تقول لغيرك ما نهيت انت عن كذا الا ان تكون فلانا ويكون المعنى ان المنهي عنه هو فلان
دونك فكان غرض ابليس ايهام انهما لم ينهيا وايضا غايته ما في الباب ان الآية تدل على مفضولية جميع الانبياء الحجة التاسعة ولا اقول
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك اي لا ادعي القدرة على كل المقدورات والعلم بكل المعلومات ولا ادعي قدرة
مثل قدرة الملك ولا علما مثل علمهم وذلك انه لم يرد به نفي الصورة لانه لا يفيد الغرض وانما نفي ان يكون له مثل ما لهم من الصفات الجسمية
والقوى العظيمة ورد بانه لا يلزم من عدم الاستواء في كل الصفات حصول الاختلاف في جميعها العاشرة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
ولا يخفى ان التشبيه في السيرة من غض البصر وقمع النفس عن المحرمات بدلالة وصفه بالكرم لا الصورة ورد بان قولها فذلكن الذي لمتنني
فيه كالتصريح بان مراد النساء تعظيم حال يوسف في الحسن والجمال فبذلك يظهر عذرها في عشقها ولئن سلمنا ان التشبيه في الاخلاق
المرضية فذلك لا يوجب مفضوليته من جميع الجهات على ان قول النساء لا يصلح لان يكون حجة الحادية عشرة وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا وذلك ان المخلوقات اما غير المكلفين او الانسان افضل منهم واما المكلفون وهم الملائكة والانس والجن والشياطين ولا ريب
ان الانس افضل من الجن والشياطين فلو كانوا افضل من الملائكة ايضا لزم كون البشر افضل من كل المخلوقات فينبغي ان يقال وفضلناهم
على جميع من خلقنا ورد بان كونهم افضل من كثير يدل على انه ليس افضل من الباقي الا بدليل الخطاب وهو غير حجة وايضا ان جنس الملائكة

افضل من جملة بني ادم ولكن لا يلزم من كون احد المجموعين افضل من المجموع الاخر ان يكون كل واحد من افراد المجموع الاول افضل من افراد المجموع الثاني وايضا الكلام في التفضيل الحاصل بسبب الكرامة المذكورة في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم ولا يلزم من كون الملك افضل من البشر في تلك الكرامات وهو حسن الصورة والطهارة واستخراج الاعمال العجيبة ان يكونوا افضل منهم في الاشياء الموجبة للثواب الثانية عشر الانبياء ما استغفروا الا بدأوا بانفسهم قال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وقال ابرهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ثم قال واغفر لابي وقال لمحمد استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والملائكة لم يستغفروا لانفسهم لكن طلبوا المغفرة للمؤمنين واغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ورد بان هذا لا يدل الا على صدور الزلة من البشر وعدم صدورها عنهم وهذا لا يوجب فضيلتهم في العز والثواب على الاطلاق ومن الناس من قال استغفارهم للبشر كالعذر عما طعنوا فيهم بقولهم اتجعل فيها الثالثة عشر وان عليكم لحافظين ويدخل فيه الانبياء وغيرهم والحافظ للمكلف عن المعصية افضل من المحفوظ وايضا جعل كتابتهم حجة للبشر وعليهم فيكونون افضل ورد بان الحافظ والشاهد قد يكون ادون حالا من المحفوظ والمشهود الرابعة عشر يوم يقوم الروح والملائكة صفا والمقصود بيان عظمة الله وجلاله ورد بان هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال ان السلطان للملك وقف حول سريره ملوك الاطراف لا يدل على انهم اكرم عند السلطان من ولده الخامسة عشر والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا قال الشاعر شعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب لو قدمت الاسلام لاجزتك ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلعم والمشركين وقع النزاع في تقديم الاسم وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية ومنع من ان الواو لا يفيد الترتيب وعوض بتقديم ثبت على الاخلاص السادسة عشر ان الله وملائكته يصلون على النبي جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي وعورض بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ولا تشريف بل الامر بذلك السابعة عشر ان جبرئيل افضل من محمد لان الله تعالى وصفه بست صفات الكمال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم وصف محمدا صلعم بقوله وما صاحبكم بمجنون وشتان بين الوصفين ورد بانه وان وصفه هنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط فقد وصفه في مواضع اخر بما يليق به يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا الثامنة عشر ان جبرئيل كان معلما للنبي ولغيره من الانبياء لا في العلوم التي لا يتوصل اليها الا بالعقل كالعلم بذات الله تعالى بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب والعلم باحوال العرش والكرسي والجنة والنار واطباق السموات واصناف الموجودات واحوال الامم الخالية والقرون الماضية والمعلم افضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومنع من كون الملائكة اعلم بدليل قصة ادم ولان تعليم جبرئيل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبرئيل الا واسطة ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم التاسعة عشر ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذه تدل على انهم بلغوا في الترفع الى حد لو خالفوه الا في دعاء الالهية ورد بان مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم العشرون قال عم حكاية عن الرب تعالى اذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه وهذا يدل على ان الملأ الاعلى اشرف ورد بعد قبول خبر الواحد انه لا يلزم منه الا ان الملأ الاعلى خير من ملأ عوام البشر ولا يلزم من ذلك كونهم افضل من الانبياء واعلم ان الفلاسفة اتفقوا على ان الارواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم افضل من الارواح الناطقة البشرية لوجوه الاول الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة والبشر مركب من النفس والبدن ولكل منهما قوى واجزاء والبسيط خير من المركب لان اسباب العدم للمركب اكثر منها للبسيط وعورض بان المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي ان يكون افضل مما له الطرف الروحاني فقط ولهذا جعل ابو البشر مسجودا للملائكة وبان الملائكة ليس لها الا الاستغراق في مقاماتها النورية والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ومحيطة بضبط احوال العالمين فيكون افضل الثاني الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر ورد بان الخدمة مع كثرة العلائق ادل على الاخلاص وايضا من البين ان درجتهم حين قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا اعلى منها حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وما ذاك الا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة وهذا في البشر اكثر ولهذا قال صلعم حاكيا عن ربه لانين المذنبين احب الي من زجل المسبحين الثالث انها بريئة من طبيعة القوة فان كل ما كان ممكنا لها بحسب نوعها الحصر في اشخاصها فقد خرج الى الفعل والانبياء ليسوا كذلك ولهذا قال صلعم واني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ولا خفاء ان ما بالفعل التام اشرف مما بالقوة ورد بان بعض الامور فيها لعلها بالقوة ولهذا قيل ان تحريكاتها للافلاك لاجل استخراج المتعلقات من القوة الى الفعل كالتحريكات العارضة لارواحنا الحاملة القوى الفكر والتخيل الا ان هذا المنع لا يجري في الملائكة المقربين المسماة عندهم بالعقول المجردة وانما يجري في النفوس الفلكية الرابع الروحانيات ابدية الوجود مبرأة عن التغير والفناء والنفوس الناطقة البشرية ليست كذلك ورد بانه لا قديم في الوجود الا الله ولئن سلم انها وان كانت ممكنة الوجود لذاتها فهي واجبة الوجود بمبادئها وعورض بما عليه كثير ان النفوس البشرية ازلية بمبادئها وكانت كالاظلال تحت العرش يسبحون بحمد ربهم الا ان المبدأ الاول امرها بالنزول الى عالم الاجساد والشبكات المواد فلما تعلقت بهذه الاجسام عشقتها واستحكم الفها بها فبعث من تلك الاظلال اشرفها واكملها لتخليص تلك الارواح عن تلك الشبكات وهذا هو المراد من باب الحمامة المطوقة المذكورة في كتاب كليلة ودمنة الخامس الروحانيات نورانية علوية لطيفة والجسمانيات ظلمانية سفلية كثيفة فاين احدهما من الاخر ورد بان الشرف

من المحققين

عندنا ليس بالمادة وانما هو بالانقياد لرب العالمين السادس الارواح السماوية تفضل الارضية بقوى العلم والعمل اما الاول فبالاتفاق على
حاطة الارواح السماوية بالمغيبات ولان علومهم فعلية فطرية كلية دائمة تامة وعلوم البشر بالضد من ذلك واما العمل فلقوله يسبحون الليل
والنهار لا يفترون واعترض بان المواظب على تناول الاغذية اللطيفة لا يلتذ بها كما يلتذ المبتلى بالجوع فلا يكون لذة الملائكة من العلم والعمل
كلذة البشر لعروض الفترات لهم في اكثر الاوقات بسبب العلائق الجسمانية والحجب الظلمانية فهذه المزية من اللذة مما يختص به البشر ولعل هذا هو المراد
من قوله انا عرضنا الامانة الاية ولذلك قالت الاطباء ان الحرارة في حمى الدق اشد منها في حمى الغب لكن الحرارة في الدق لما دامت واستقرت
بطل الشعور بها فهذه الحالة ليست للملائكة لاجل الاستمرار ولا لغير الانسان لعدم الاستعداد فكان الانسان لها بالمرصاد السابع الروحانيات لها
قوة على تقلب الاجسام وتصريف الاجرام وقواهم ليست من جنس القوى المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب وانك ترى الخامة اللطيفة تشق الصخرة الصماء
وما ذاك الا لقوة نباتية فاضت عليها من الجواهر العلوية فما ظنك بتلك الجواهر بانفسها والارواح السفلية ليست كذلك وما يحكى من قوة الشياطين
على الامور الصعاب ممنوع وان سلم فالارواح العلوية اقدر على ذلك مع انهم يصرفون قواها الى منازل العالم السفلي لا فيما هو شرلهم واعترض
بانه لا مانع من ان يتفق نفس ناطقة بشرية كاملة مستعلية على الاجرام العنصرية بالتقليب والتصريف الثامن الملائكة لهم اختيارات فائضة
من انوار جلال الله متوجهة الى الخيرات واختيارات البشر مترددة بين جهتي العلو والسفل والخير والشر وانما يتوجه الى الخير باعانة الملك على ما ورد
في الاخبار من ان لكل انسان ملكا يسدده ويهديه ويحتمل ان يقال فيكون اذن اعمالهم اشق فيكون ثوابهم اكثر التاسع الافلاك كالابدان
والكواكب كالقلوب والملائكة كالارواح فنسبة الارواح الى الارواح كنسبة الابدان الى الابدان وكما ان اختلافات احوال الافلاك مبادي
لحصول الاختلافات في هذا العالم العلوي يجب ان يكون مستولية على ارواح العالم السفلي بل تكون عللا ومبادي لها فهذه هي الاباء وهناك
المنابع والمعادن فكيف يليق بالعقل ادعاء المساواة فضلا عن الزيادة واجيب بانه لا موثر عندنا الا الله تعالى العاشر الروحانيات الفلكية مبادي
لروحانيات هذا العالم ومعاد لها منها نزلت فتوسخت باوضار الجسمانيات ثم تطهرت بالاخلاق الزكية وصعدت الى عالمها ومصدر
الشيء ومصعده اشرف منه المبدأ واليه المنتهى واعترض بان هذا مبني على عدم حشر الاجساد دون ذلك خرط القتاد الحادي عشر ليس ان
الانبياء لا ينطقون الا عن الوحي ليس ان الملائكة يعينونهم في المضائق ويهدونهم الى المصالح كما في قصة لوط وكيوم بدر وحنين وكما في قصة
نوح من نجر السفينة فمن اين لكم تفضيل الانبياء مع افتقارهم الى الملائكة في كل الامور واجيب بان اول الفكر اخر العمل ولا يلزم من كون
الشيء واسطة افضليته الثاني عشر القسمة العقلية بان الاحياء اما خيرة محضة وهم الملائكة او شريرة محضة وهي الشياطين او خيرة من وجه
اخر وهم البشر تحكم بافضلية الملك وكذا التقسيم بالناطق المائت هو الانسان والناطق غير المائت هو الملك والمائت غير الناطق وهي
البهائم يرشد الى ان الانسان متوسط الرتبة بين الكمال والنقصان فالقول بانه افضل قلب للقسمة العقلية ونزاع في ترتيب الوجود وانه
لما مر غير مرة من ان النزاع في كثرة الثواب حجة القائلين بفضل الانبياء على الملائكة الاول ان الله تعالى امر الملائكة بالسجود لادم وثبت ان
ادم لم يكن كالقبلة وامر الاشرف بنهاية التواضع للادون مستقبح والجواب ان القبح العقلي غير ثابت الثاني جعله خليفة له خلافة الولاية
كما مر وخلق الدنيا متعة لبقائه والاخرة مملكة ولجزائه ولعن ابليس لتكبره عليه وجعل الملائكة حفظة اولاده ومنزلين لارزاقهم ومستغفرين
لزلاتهم ومع جميع هذه المناصب يقول ولدينا مزيد فاذن لا نهاية لهذا الشرف الكمال الثالث انه كان اعلم لقوله انبئهم باسمائهم
والاعلم افضل الرابع ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين والعالم كل ما سوى الله تعالى فيلزم اصطفاؤهم على الملائكة ولا يشكل
هذا بقوله يا بني اسرائيل الى قوله فضلتكم على العالمين لان تلك الاية دخلها التخصيص لما يعلم انهم غير مفضلين على محمد وههنا
لا دليل فوجب اجراؤه على الظاهر من العموم الخامس وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والتقريب ظاهر السادس عبادة البشر اشق لان الادمي
له شهوة تدعوه الى المعصية بخلاف الملائكة ولان الادمي مامور بالاستنباط والقياس فاعتبروا يا اولي الابصار ولا يخفى ما فيه من خطر
المشقة والملائكة لا يعلمون الا بالنص لا علم لنا الا ما علمتنا ولما يعرض للادمي من الشبهات ككون الافلاك والانجم اسبابا للحوادث اليومية
فيحتاجون الى دفعها والملائكة حيث انهم يشاهدون عالم الملكوت مامونون من ذلك ولان الشيطان مسلط على الادمي دون الملك واذا
كانت طاعتهم اشق فيكون ثوابهم اكثر السابع خلق الملائكة عقولا بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الامرين للادمي ثم اذا غلب
هواه عقله صار ادون من البهيمة اولئك كالانعام بل هم اضل فاذا غلب عقله هواه وجب ان يصير اشرف من الملك اعتبارا لاحد الطرفين
بالاخر الثامن الملائكة حفظة بني ادم والمحفوظ اعز من الحافظ التاسع روي ان جبريل اخذ بركاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى اركبه على البراق ليلة المعراج
ولما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى بعض المقامات تخلف عنه جبريل قال لو دنوت انملة لاحترقت العاشر قوله صلى الله عليه وسلم ان لي وزيرين في السماء ووزيرين
في الارض اما اللذان في السماء فجبريل وميكائيل واما اللذان في الارض فابو بكر وعمر فدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم كالملك وجبريل وميكائيل وزيران
فهذا تمام الكلام في حجج الفريقين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك ثم انه تعالى لما استثنى ابليس من الساجدين وكان من الجائز
ان يظن انه معذور بين انه غير ذي عذر بقوله ابى لان الاباء هو الامتناع مع الاختيار ولهذا فقد العاطف نحو قولك ايشر باسرك عيني

وآل ابراهيم

والملائكة من العالمين

تخلج لاتقول نغيني لا نهايبان ثم انه جاز ان لايكون الاباء مع الكبر فعطف اشير عليه استكبر ليعرف ان الاباء منضم الى الاستكبار وكان من الجائز ان يظن ان كبره لم يوجب الكفر فازيل الظن بقوله وكان من الكافرين وللعقلاء ههنا قولان احدهما ان ابليس حين اشتغاله بالعبودية كان منافقا كافرا اما عندمن منع الاحباط فلانه لما كان على الكفر علم انه ما كان مؤمنا قط واما عند غيرهم فلما حكاه الشهر في اول الملل وعن شارح الاناجيل الاربعة شبه مناظرة بين ابليس والملائكة بعد الامر بالسجود قال ابليس لعنه الله اني سلمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر حكيم الا ان لي على حكمته اسولة الاول انه قد علم قبل خلقي اي شئ يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه اياي الثاني اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع انه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف الثالث اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فاطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة ادم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي والرابع اذ خلقني وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة واوجب عقابي مع انه لا فائدة له في ذلك ولي فيه اعظم الضرر والخامس ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة ادم بعد ان لو منعني من دخول الجنة استراح مني ادم وبقي خالدا في الجنة والسادس اذ خلقني وكلفني عموما وخصوصا ولعنني ثم طرقني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين ادم فلم سلطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة وابقاهم على ذلك فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان احرى بالحكمة والسابع سلمت هذا كله فلم اذا استمهلته امهلني وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر في العالم اليس بقاء العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر فقال شارح الاناجيل فاوحى الله تعالى الى الملائكة قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احتكمت علي بلم فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسئل عما افعل والخلق مسئولون هذا مذكور في التورية ومسطور في الانجيل وهذه الشبهات بالنسبة الى انواع الضلالات كالبذور ولهذا ليس يعدو عقائد فرق الزيغ والكفر وان اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع جملتها الى انكار الامر بعد الاعتراف بالخلق والى الجنوح الى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق الا الذي ذكره الله تعالى فاللعين لما انه حكم العقل على من لا يحتكم عليه العقل لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق او حكم الخلق في الخالق فالاول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الاجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم الا لله كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا اسجد الا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الاول مصدرها وهذه في الاخر مظهرها ولهذا قال تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وشبه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من هذه الامة بامة ضالة من الامم السالفة فقال القدرية مجوس هذه الامة والمشبهة يهود هذه الامة والرافضة يعني الغلاة نصاراها وقال جملة لتسلكن سبيل الامم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه القول الثاني ان ابليس كان مؤمنا ثم كفر بعد ذلك ثم اختلفوا فمن قائل معناه وكان من الكافرين في علم الله اي كان الله عالما في الازل بانه سيكفر فصيغة كان متعلقة بالعلم لا بالمعلوم ومن قائل ان كان بمعنى صار وقيل انه الكفر في وقت معين بعد ان كان مؤمنا فبعد لحظة يصدق عليه انه كان من الكافرين وانما حكم بكفره على هذا القول الثاني لاستكباره واعتقاده كونه محقا في ذلك التمرد بدليل قوله انا خير منه والا فمجرد المعصية لا يوجب الكفر عندنا وان كانت كبيرة وكذا عند المعتزلة لانه وان خرج عن الايمان لم يدخل في الكفر نعم عند الخوارج الكبيرة موجبة للكفر على الاطلاق ثم ان قوله من الكافرين هل يدل على وجود جمع من الكفرة قبله حتى يكون هو واحدا منهم قال قوم انه يدل على ذلك لان كلمة من للتبعيض وانما يذكر البعض الموجود بالاضافة الى كل موجود لا الى كل سيوجد ومما يؤكد ذلك ما روي عن ابن بريدة انه قال انه تعالى خلق خلقا من الملائكة ثم قال لهم اني خالق بشرا من طين قالوا لا نفعل ذلك الكفر فبعث الله نارا فاحرقتهم وكان ابليس من اولئك وقال الاخرون معنى الاية انه صار من الذين وافقوه في الكفر بعد ذلك لان الكفر كان ظاهرا عند نزول الاية ولان الافراد الذهنية يكفي في صحة الجمع فان الحيوان المخلوق اولا يصح ان يقال انه فرد من افراد هذا الحيوان اي من افراد هذه الماهية وعلى هذا يكون ابليس اول من سن الكفر وهو قول الاكثرين واعلم ان الملائكة المامورين بالسجود هم كل الملائكة عند اكثر الائمة لان الجمع المعرف للعموم ويؤكده قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وايضا استثناء الشخص الواحد يدل على ان ما عداه داخل في ذلك الحكم ومن الناس من انكر ذلك وقال هم ملائكة الارض استعظموا ان يكون اكابر الملائكة مامورين بذلك واما الحكماء فانهم يحملون الملائكة على الجواهر الروحانية واستحالوا انقياد الارواح السماوية للنفوس الناطقة وقالوا المامورون بالسجود القوى الجسمانية المطيعة للنفس الناطقة قوله تعالى وقلنا يا ادم اسكن الاية الاصح ان هذا الامر يشتمل على ما هو اباحة لانه كان ماذونا في الانتفاع بجميع الجنة وعلى ما هو تكليف وتعبد فان المنهي عنه كان حاضرا روي عن قتادة انه قال ان الله ابتلى ادم باسكان الجنة كما ابتلى الملائكة بالسجود وذلك لانه كلفه ان يكون في الجنة ياكل منها حيث يشاء ونهاه عن شجرة واحدة ان ياكل منها فما زال به البلاء حتى وقع فيما نهي عنه فاسكانه موضعا يحصل فيه ما يكون مشتهى له مع منعه عن تناوله من اشد التكاليف وانما لم يقل وهب مناك الجنة لانه خلق لخلافة الارض وكان اسكانه

في الخالق

بالقذة

الجنة كالتقدمة لذلك فلو قال جل لغيره اسكنتك داري لا يصير الدار ملكا له واجمعوا على ان المراد بالزوجة حواء وان لم يتقدم ذكرها في
هذه السورة ففي سائر القرآن ما يدل على ذلك انها مخلوقة خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وقال ان المرأة خلقت من ضلع لن
تستقيم لك على طريقة فان استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج وان ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها وذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكن آدم الجنة جعل فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم
ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجد عند رأسه امرأة قاعدة فسألها من انت قالت
امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت له الملائكة امتحانا لعلمه ما اسمها فقال حواء قالوا ولم قال لانها خلقت من شيء حي فقيل له اذا
آدم مد يده اليها منعه الملائكة وقالوا ادمهرها قال فما صداقها قالوا ان تصلي على محمد ثلاثا قال ومن محمد قالوا من ولدك خاتم النبيين
ولولاه لما خلقتك عن ابن عباس قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور على
كل واحد منهما اكليل من ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ وعلى آدم منطقة مكللة بالدر والياقوت حتى ادخل الجنة فهذا الخبر يدل على
ان حواء خلقت قبل دخال الجنة والخبر الاول دل على انها خلقت في الجنة والله اعلم بحقيقة الحال ثم هذه الجنة كانت في الارض او في السماء
وعلى تقدير كونها في السماء هي دار الثواب ام جنة اخرى فقال ابو القاسم البلخي وابو مسلم الاصفهاني هي في الارض وحملا الهبوط على الانتقال
من بقعة الى بقعة كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا قالا لان دار الثواب للخلد ولو كان في جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين ولان ابليس بعد ان غضب الله عليه
كيف يقدر ان يصل الى جنة الخلد ولان دار الجزاء يدخل المكلف فيها بعد العمل ولا عمل لآدم وقتئذ ولانه تعالى خلقه في الارض ولم يذكر
نقله الى السماء ولو كان قد نقله لكان ذكره اولى لان ذلك النقل من اعظم النعم وقال الجبائي هي في السماء السابعة اهبط منها الى السماء الدنيا
ثم منها الى الارض وقال الجمهور هي دار الثواب الدليل عليه ان اللام في الجنة ليست للعموم لان السكنى في جميع الجنان محال فهي للعهد ولا معهود بين
المسلمين الا دار الثواب فوجب صرف اللفظ اليها واسكن امر من السكنى والسكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت
تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه رغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي شئ مكان من الجنة او اي
زمان شئتما فان حيث قد يعبر به عن زمان مجهول وانما قيل ههنا وكلا بالواو وفي الاعراف فكلا لان كل فعل عطف عليه شيء وكان بينهما
رابطة السببية يعطف الثاني على الاول بالفاء والا فبالواو كقوله تعالى في البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا بالفاء لان الدخول
سبب الوصول الى الاكل وكانه قال ان دخلتموها اكلتم وفي الاعراف اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا بالواو لان السكنى وهي
طول اللبث لا يختص وجوده بوجود الاكل لان المجتاز قد ياكل ايضا فلهذا لم يعطف ههنا بالفاء اذ المراد اسكن من السكنى واما في الاعراف
فالمراد اسكن بمعنى ادخل ثم السكون فصح العطف بالفاء والنهي في لا تقربا للتنزيه وللتحريم الاصح الاول لان الصيغة وردت في كليهما
والاصل عدم الاشتراك فيجعل حقيقة في القدر المشترك بينهما وهو ترجيح جانب الترك على الفعل من غير دلالة على المنع من الفعل او الجواز
ثابت بحكم الاصل فان الاصل في الاشياء الاباحة فاذا ضممنا هذا الاصل الى مدلول اللفظ صار المجموع دليلا على التنزيه وهذا اولى لئلا
يحصل معصيته الى ترك الاولى فيكون اقرب الى عصمة الانبياء وقيل نهي تحريم قياسا على قوله ولا تقربوا مال اليتيم ولقوله فتكونا من
الظالمين ولانه استحق الاخراج من الجنة والرجوع الى التوبة والجواب ان التحريم في ولا تقربوهن بدليل منفصل والظلم تدبير ترك الاولى والاخراج
لم يكن بهذا السبب بل لما سياتي ان شاء الله تعالى ثم النهي عن القرب يفيد النهي عن الاكل بطريق الكناية فان القرب اليها من اسباب الاكل منها وبما
يدل على النهي عن الاكل صريحا قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وروي عن ابن عباس ان الشجرة هي السنبلة وفي رواية عنه وعن ابن مسعود
انها الكرم وعن مجاهد وقتادة انها التين وعن الربيع بن انس كانت شجرة من اكل منها احدث ولا ينبغي ان يكون في الجنة حدث قال المبرد واحسب ان
كل ما له اغصان وعيدان فالعرب تسميه شجرا وقد لا يختص بما له ساق قال تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين واصل هذا انه اسم لكل ما شجر اي اخذ بعضه
ببعض ومنه التشاجر الاختلاف واعلم انه ليس في الظاهر ما يدل على التعيين ولا حاجة ايضا الى بيانه فليس المقصود تعريف الشجرة وما لم يكن مقصودا ذكره
لا يجب على الحكيم بل يكون عبثا كما لو اراد احدنا ان يقيم عذره في التخلف فقال اشتغلت بضرب غلماني لاساءتهم الادب كان هذا القدر احسن من ان
يذكر عين الغلام واسمه وصفاته فلا يظنن احد ان ههنا تقصيرا في البيان فتكونا جزم عطفا على تقربا او نصب جوابا للنهي من الظالمين من الذين
ظلموا انفسهم بمعصية الله قوله فازلهما الشيطان الآية تحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها ولفظة عن في هذه الآية كهي في قوله وما فعلته عن
امري فالضمير للشجرة وقيل اذهبهما وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا والضمير للجنة ومن قرأ ازالهما فهو من الزوال عن المكارم بما
كانا فيه من النعيم والكرامة او من المكان الذي هو الجنة ان كان هو الضمير في عنها للشجرة واعلم ان الناس اختلفوا في عصمة الانبياء والنزاع اما
في باب الاعتقاد او في باب التبليغ او في باب الاحكام والفتيا او في افعالهم وسيرتهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فغير جائز عند اكثر الامة وقالت
الفضلية انه قد وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلا جرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية واما

ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله

ما يتعلق

ما يتعلق بالتبليغ فاجمعت الامة على عصمتهم عن الكذب والتحريف في ذلك لا عمدا ولا سهوا والا ارتفع الوثوق ومنهم من جوز ذلك سهوا لان الاحتراز
عنه غير ممكن واما المتعلق بالفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز الخطاء فيه عمدا واما السهو فيجوزه بعضهم واباه اخرون واما المتعلق بافعالهم فالحشوية جوزوا
الكبائر عنهم عمدا واكثر المعتزلة جوزوا الصغائر عنهم عمدا الا ما ينفر كالكذب والتطفيف والجبائي لا يجوز صغيرة ولا كبيرة على جهة العمد بل على التاويل
ونبا لا يقع الذنب منهم الا على جهة السهو والخطاء ولكنهم يؤاخذون به وان كان ذلك موضوعا عن امتهم لان معرفتهم اقوى فهم على التحفظ اقدر والشيعة
لم يجوزوا صغيرة ولا كبيرة منهم لا عمدا ولا سهوا ولا على سبيل التاويل والخطاء وفي وقت عصمتهم ثلثة اقوال فمذهب الشيعة انهم معصومون من وقت
مولدهم والمعتزلة من وقت بلوغهم ولم يجوزوا الكفر والكبيرة منهم قبل النبوة وبعضهم وهو قول اكثر اصحابنا على تجويز ذلك قبل النبوة والمختار انه لم
يصدر عنهم الذنب حال النبوة لا الكبيرة ولا الصغيرة لوجوه الاول لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة مصداقه قوله عز من
قائل يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وشعر صغائر الرجل كبائر ولا يجوز ان يكون
النبي اقل حالا من الامة بالاجماع والثاني بتقدير اقدامه على الفسق لا يكون مقبول الشهادة لقوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا لكنه شاهد عند
الله بانه شرع الدين وكذا يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا الثالث وبتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره وايذاؤه لكنه محرم ان الذين
يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الرابع انه لو اتى بمعصية لوجب علينا الاقتداء به لقوله فاتبعوه والجمع بين الوجوب
والحرمة محال الخامس نعلم بالبديهة انه يقبح لا شئ اقبح من نبي رفع الله درجته وجعله خليفة في عباده وبلاده ثم انه يقدم على ما نهاه عنه ترجيحا
لهواه حتى يستحق اللعن والعذاب السادس اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم يكون حينئذ منزلا في شانه وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
السابع انهم كانوا يسارعون في الخيرات واللفظ للعموم فيشمل فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي الثامن وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار والله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس والوصف بالاصطفاء ينافي الذنب التاسع انه تعالى حكى عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين استثناء ولا
من المخلصين لقوله تعالى في حق يوسف انه من عبادنا المخلصين وفي حق موسى انه كان مخلصا فكذا غيرهما العاشر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ولا يخفى وجوب كون الانبياء منهم والا كان غير النبي افضل من النبي الحادي عشر الخلق قسمان حزب الله الا ان
حزب الله هم المفلحون وحزب الشيطان الا ان حزبهم الخاسرون والعصاة حزب الشيطان فلا يجوز ان يكون النبي عاصيا الثاني عشر النبي
افضل من الملك كما مر والملائكة لا يعصون الله ما امرهم فالنبي اولى الثالث عشر اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به والمذنب لا يجوز
الاقتداء به في ذنبه الرابع عشر لا ينال عهدي الظالمين فان كان عهد النبوة ثبت المطلوب وان كان عهد الامامة فالنبي اولى به روي ان خزيمة
بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على دعوى دعواه فقال له كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني صدقتك على الوحي النازل عليك من فوق سبع
سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك
الشهادة المخالف تمسك في باب الاعتقاد بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء وهذا يقتضي صدور الشرك عنهما والجواب
ما سيجيء في الاعراف ان شاء الله تعالى من ان الخطاب لقريش والمعنى خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية ليسكن اليها فلما اتاهما
ما طلبا من الولد الصالح سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد الدار وعبد قصي قالوا ان ابرهيم لم يكن عالما بالله ولا باليوم
الاخر لقوله هذا ربي ولكن ليطمئن قلبي والجواب هذا ربي استفهام بمعنى الانكار وقوله ليطمئن قلبي اراد به ان يؤكد علم اليقين
بعين اليقين فليس الخبر كالمعاينة قالوا فان كنت في شك فلا تكونن من الممترين يدل على انه كان شاكا في الوحي قلنا الخطاب له والمراد الامة مثل
يا ايها النبي اذا طلقتم قالوا في باب التبليغ سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله هذا الاستثناء يدل على النسيان والجواب عنه ان هذا
النسيان نوع من النسخ كما يجيء في تفسير قوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها قالوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته والجواب سوف يجيء في سورة الحج ان شاء الله تعالى قالوا عالم الغيب فلا يظهر الى قوله ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
ربهم ولولا الخوف من وقوع التخبيط في الوحي لم يستظهر بالرصد قلنا هذا عليكم لا لكم لدلالته على كونهم محفوظين عن التخبيط قالوا وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث ما كان لنبي ان يكون له اسرى عفا الله عنك لم اذنت لهم قلنا الجميع محمول على ترك الاولى وسوف يجيء
قصة كل في موضعها على انا نقول شعر يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي قد غاب عن كل شئ سره
فسها عما سوى الله في التعظيم لله قالوا في الافعال وعصى ادم ربه فغوى والعصيان يوجب الوعيد ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
والغي ضد الرشد قد تبين الرشد من الغي ثم انه تاب والتوبة دليل الذنب وانه ظالم لقوله فتكونا من الظالمين والظالم ملعون الا
لعنة الله على الظالمين وانه اخرج من الجنة وكل هذه دليل ارتكاب الكبيرة والجواب المنع من ان هذه الامور كانت بعد النبوة ثم لئن فرض
انه صدر ذلك الفعل عن ادم بعد النبوة فاقدامه عليه اما ان يكون في حال كونه ناسيا او في حال كونه ذاكرا الذاهبون الى الاول وهم طائفة
من المتكلمين احتجوا بقوله فنسي ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم يغفل عن صومه فياكل في اثناء ذلك السهو عن قصد قيل عليه ان قوله ما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين يدل على انهما ما نسيا وروي عن ابن عباس انهما لما

اكلا منها وبدت لهما سوآتهما خرج آدم فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحبسته فناداه الله تعالى أفرارا مني فقال بل حياء منك فقال له أما كان فيما
منحتك من الجنة مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يا رب لكن وبعزتك ما كنت أرى أحدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي لأهبطنك منها
ثم لا تنال العيش إلا نكدا وأيضا لو كان ناسيا لما عوتب عليه لأنه كان عالما بتمرد إبليس عن سجوده وكونه عدوا له ولزوجه ولأنه لو صدر فاه لكان
المعصية في نفسه يقدا عظم من أكل الشجرة لأنه ألقى إليهما سوء الظن بالله وأنه ناصح والرب غاش وما روي عن ابن عباس فهو من باب الآحاد ولا
يلزم من رفع النسيان عن هذه الأمة رفعه عن غيرهم بل لا يلزم من رفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل
إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم وقيل إن حواء سقته الخمر فسكر ثم أقدم على ذلك الفعل وهذا إنما يصح إذا حملت الشجرة على غير الكرم حتى يكون
مأذونا في تناول غيرها إلا أنه يرد عليه أن خمر الجنة لا تسكر لا فيها غول الذاهبون إلى أنه فعله عامدا أربع فرق منهم من قال النهي نهي تنزيه
لا تحريم وقد سبق ومنهم من قال كان عمدا من آدم وكان كبيرة مع أن آدم في ذلك الوقت كان نبيا وقد عرفت فساده ومنهم من قال فعله
عمدا لكن كان معه من أعمال القلب من الإخلاص والوجل والإشفاق ما صيره صغيرة وزيف بأن المقدم على ترك الواجب وفعل المنهي عمدا
لا يعتد بدعوى الخوف فلا يصح وصف الأنبياء بذلك منهم وهو اختيار أكثر المعتزلة من قال إنه أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه وذلك
لا يقتضي كون الذنب كبيرة بيان الاجتهاد أنه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار بها إلى الشخص وقد يشار إلى النوع كما روي
أنه أخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي وتوضأ ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وأراد نوع الحرير
والذهب ونوع الوضوء فأراد الله تعالى من كلمة هذه ذلك النوع لا الشخص وكان آدم ظن أن النهي قد ورد على الشجرة المعينة فتركها وتناول من
شجرة أخرى من ذلك النوع واعترض بأن هذا في أصل اللغة للإشارة الشخصية وإذا حمل آدم اللفظ على موضوعه فكيف يعد مخطئا وأيضا
هب أن لفظ هذا متردد بين الشخص والنوع فإن كان مع قرينة الإشارة النوعية وقد قصر في معرفتها فيكون مذنبا وإن عرفها ومع
ذلك قدم على التناول فكذلك وإن لم يكن فيه قرينة فلا يعد مخطئا وأيضا الأنبياء لا يجوز لهم الاجتهاد لأنهم قادرون على تحصيل اليقين
بالوحي فالإقدام على الاجتهاد عين المعصية وأيضا هذه المسألة إن كانت قطعية فالخطأ فيها كبيرة وإن كانت من الظنيات فإن قلنا
كل مجتهد مصيب فلا خطأ وإن قلنا المصيب واحد فالمخطئ فيها معذور بالاتفاق وأجيب بأن لفظ هذا يستعمل في الإشارة النوعية كما
مر وبأن آدم لعله قصر في معرفة القرينة أو عرفها ثم نسي لطول المدة فلهذا عوتب وبأن المسألة القطعية لما نسيها صار النسيان عذرا حتى
لا يصير الذنب كبيرا وقد يكون ظنية إلا أن التشديد بناء على الخطاء فيها لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد يؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيره وقيل قد يحمل الخطأ في الاجتهاد
من جهة أن آدم ظن أن النهي في قوله لا تقربا تناولهما معا فيجوز لكل واحد على الانفراد أكله فإن قيل كيف تمكن إبليس من وسوسة آدم
مع أن إبليس كان خارج الجنة وآدم فيها قلت قيل إنه دخل فم الحية خافيا عن الخزنة ولهذا سقطت قوائم الحية عقوبة لها على ما روي
وإن كان بعيدا عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما سالمناهم منذ حاربناهم ومن ترك منهم شيئا خيفة فليس منا يعني الحيات وإما أنه دخل الجنة
في صورة دابة وإما أنهما كانا يخرجان إلى باب الجنة وإبليس كان يقرب من الباب ويوسوس وإما أنه كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل وسوس
لهما على لسان بعض أتباعه لأنهما كانا يعرفان ما عنده من الحسد والبغضاء فيستحيل أن يقبلا قوله عادة وإسناد الإزلال والإخراج إلى
الشيطان لأنه حصل بسبب منه وعن بعض العرفاء أن زلة آدم هب أنها كانت بوسوسة إبليس فمعصية إبليس بوسوسة من ولا بد من الانتهاء
إلى الذي لا يسأل عما يفعل فإن قيل كيف كانت الوسوسة قلنا هي التي حكاها الله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين
فلما لم يقبلا عدل إلى اليمين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ولكم من شياطين الإنس تراهم يوسوسون إليك على هذا الترتيب عاذنا
الله منهم ثم بعد ذلك يحتمل أن لم يصدقاه فعدل إلى أن شغلهما باللذات المباحة حتى استغرقا فيها ونسيا النهي فوقعا فيما وقعا والله أعلم
بحقائق الأمور اهبطوا خطاب لآدم وحواء وإبليس إما في وقت واحد بناء على أن إبليس قد عاد إلى الجنة لأجل الوسوسة وإما لآدم
وحواء في وقت وله في آخر قبل ذلك وقيل خطاب لهما وللحية وقيل الصحيح أن الخطاب لهما وذريتهما مرادة أيضا لأنهما لما كانا أصل الإنس جعلا
كأنهما الناس كلهم الدليل عليه ما جاء في طه اهبطا منها وقوله فإما يأتينكم وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم واهبطوا أمر وإباحة الأشبه
الأول لأن مفارقة ما كانا فيه من النعيم إلى دار الهوان أشق التكاليف وإنما قيل إنه تكليف لا عقوبة لما ترتب عليه من الثواب العظيم ويمكن أن
يقال نفس الإهباط عقوبة ولا ثواب عليه وإنما الثواب على حسب العمل بعد ذلك معنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل
بعضهم لبعض وليست هذه هي العداوة المأمور بها في قوله إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فلا يدخل تحت الأمر بل المراد اهبطوا
وسيكون حالكم كذا لأنه عالم الفساد والثاني ليس كعالم الأنوار الذي لا تعاند فيه ولا تمانع مستقر استقرار أو موضع استقرار وحال التي
الحيوة والموت ومتاع تمتع بالعيش إلى حين هو يوم القيمة وحين انقضاء آجالكم والحين المدة طويلة أو قصيرة ولهذا لو قال أنت طالق
إلى حين يصيب الحنث تلقفت في قصة آدم وما جرى عليه معتبر عجيب وهو عظة بليغة لمن تأمل كأنه اجتناب الخطايا وانتفاء المآثم ولله در
القائل يا ناظرا يرنو بعيني راقد ومشاهدا للأمر غير مشاهد تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درك الجنان ودرك فوز العابد

مطلب التوبة يتحقق من ثلاثة امور

انبئنا ان الله اخرج ادم منها الى الدنيا بذنب واحد وعن فتح الموصلي كنا قوما من الجنة فساقنا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار التي اخرجنا منها شعر تطلب الراحة في دار العناء خاب من يطلب شيئا لا يكون قوله فتلقى الايه اصل التلقي التعرض للقاء ثم موضع الاستقبال للشيء الجائي ثم يوضع موضع القبول والاخذ وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ثم بعض الافعال قد يشترك فاعله ومفعوله في صلاحيته وصف كل منهما بالفعل فيتعارضان عمله فيهما تقول بلغني ذاك وبلغته واصابني خير واصبته ونالني ونلته وتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول وتلقى آدم كلمات اي جاءته واتصلت به ولا يجوز ان يكون معنى التلقي من الرب ان الله تعالى عرفه حقيقة التوبة لان المكلف لا بد ان يعرف ماهية التوبة ويتمكن بعقله من تدارك الذنوب فضلا عن الانبياء فان المراد انه نبهه على المعصية على وجه آل امره الى التوبة او عرفه وجوب التوبة وكونها مقبولة او ذكره نعمه العظيمة عليه حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة او علمه كلمات لو حصلت التوبة معهن كل حالها ومن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وفي رواية ابن عباس ان ادم قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم وقال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم الله ادم وحوا امر الحج فحجا فهي الكلمات التي يقال في الحج فلما فرغا من الحج اوحى الله تعالى اليهما اني قبلت توبتكما وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وقالت عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على ادم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى الركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى الى ادم يا ادم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها وفي كلام الغزالي ان التوبة يتحقق من ثلاثة امور مترتبة اولها علم وثانيها حال وثالثها عمل فالعلم هو معرفة ما في الذنب من الضرر وكونه حجابا بين العبد ورحمة الرب فاذا استحكمت هذه المعرفة تالم القلب بسبب فوات محبوبه وتاسف على الفعل الذي كان سببا لذلك الفوات ويسمى ذلك التاسف ندما وهذه الحالة لها تعلق بالماضي وهو تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر ويتعلق بالحال وهو ترك الذنب الذي كان ملابسا له ويتعلق بالمستقبل وهو العزم على ان لا يعود اليه ابدا وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم السابق كالمقدمة والترك اللاحق كالثمرة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وجميع هذه الامور بتوفيق الله ولطفه انه هو التواب الرحيم والتوبة لغة الرجوع فليشترك فيه الرب والعبد فاذا وصف بها العبد فالمعنى رجع الى ربه لان العاصي هارب عن ربه وقد يفارق الرحل خدمة سيده فينقطع السيد معروفه عنه فاذا عاد الى السيد عاد السيد عليه احسانه ومعروفه وهذا معنى قبول التوبة من الله غفران ذنوب العباد التائب من الذنب كمن لا ذنب له ومعنى المبالغة في التواب ان واحدا من ملوك الدنيا اذا عصاه انسان ثم تاب قبل توبته ثم اذا عاد الى المعصية والى الاعتذار فربما لم يقبل عذره لان طبعه يمنعه من قبول العذر والله تعالى بخلاف ذلك لانه انما يقبل التوبة لا لامر يرجع الى رقة طبع او جلب نفع او دفع ضرر بل لمحض الاحسان واللطف والرحمة والجود فان فيضه لا ينقطع ولا تقصير الا من القابل فكلما ارتفع المانع من قبل القابل وصل الفيض اليه لا محالة وايضا يستحق المبالغة من جهة اخرى وهي كثرة عدد المذنبين المستلزمة لكثرة التائبين المستتبعة لكثرة قبول التوبة ووصفه بالرحمة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود لكان بكاء داود اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر ولو جمع بكاء اهل الدنيا وبكاء داود وبكاء نوح الى بكاء ادم على خطيئته لكان بكاء ادم اكثر واذا آل حال ابينا الى هذه الخطيئة واحدة فمن احاطت به خطاياه احق بالبكاء وافضل انبيائنا انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله اليوم سبعين مرة فنحن احق بالاستغفار فان الغين يكاد يكون بالنسبة الينا رينا وذلك ان الغين شيء يغين يغشي ويغطيه التغطية كالغيم الرقيق لا يحجب الشمس ولكن يمنع كمال ضوءها والرين ما استحكم من ذلك حتى صار القلب ممتنعا بالكلية عن قبول الحق وذلك صفة الكفار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل في تاويل الحديث ان الله تعالى اطلع نبيه على ما سيكون في امته من الخلاف والشقاوة وكان اذا ذكر ذلك وجد غينا في قلبه فاستغفر لامته وقيل كان ينتقل من حالة الى حالة ارفع من الاولى فيستغفر مما كان وقيل الغين عبارة عن السكر الذي كان يلحقه في طريق المحبة حتى يصير فانيا عن نفسه بالكلية فاذا عاد الى الصحو استغفر من ذلك الصحو وهذا تاويل ارباب الحقيقة وقال اهل الظاهر ان القلب لا ينفك عن الخطرات والشهوات وانواع الارادات فكان يستعين بالرب تعالى في دفع تلك الخواطر وعن ثابت البناني بلغنا ان ابليس قال يا رب انك خلقت ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال لا يولد لادم ولد الا ولد لك عشرة قال رب زدني قال تجري منه مجرى الدم قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد قال فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا

لا الميتة لا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني
قال لا احجب عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغر والغرغرة تردد الروح في الحلق وسئل ذو النون عن التوبة فقال انها اسم جامع لمعان ستة
اولها الندم على ما مضى ثانيها العزم على ترك الذنوب في المستقبل وثالثها اداء كل فريضة ضيعتها فيما بينك وبين الله والرابع اداء المظالم
الى المخلوقين في اموالهم واعراضهم والخامس اذابة كل لحم ودم نبت من الحرام والسادس اذاقة البدن مرارة الطاعات كما ذاق حلاوة
المعاصي وكان احمد بن الحرث يقول يا صاحب الذنوب الم يأن لك ان تتوب يا صاحب الذنوب ان الذنب في الديوان مكتوب يا جنان
الذنوب انت بها في القبر مكروب يا صاحب الذنوب انت غدا بالذنوب مطلوب وانما اكتفى بذكر توبة ادم دون توبة حواء لانها كانت
تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك على انها ذكرت في موضع اخر قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية قوله قلنا اهبطوا
الاية قيل فائدة تكرير الامر بالهبوط انهما هبوطان الاول من الجنة الى السماء الدنيا والثاني من السماء الدنيا الى الارض وضعف
بانه لو كان كذلك لكان ذكر قوله ولكم في الارض مستقر عقيب الهبوط الثاني اولى ولانه قوله منها يدل على ان الهبوط الثاني من
الجنة والاوجه ان ادم وحواء لما اتيا بالزلة وامرا بعدها بالهبوط وقع في قلبهما ان الامر بالهبوط يرتفع بزوال الزلة فاعيد الامر مرة
ثانية ليعلما ان حكمه باق تحقيقا للوعد المقدم في قوله اني جاعل في الارض خليفة ووجه ثالث هو ان يكون التكرير للتاكيد لما
نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم روي في الاخبار ان ادم هبط بجزيرة سرنديب من الهند وحواء بجدة من ارض الحجاز وابليس بالابلة
من نواحي البصرة والحية باصفهان فلم يلتقيا مائة سنة ثم ازدلفا اي تقاربا بالمزدلفة واجتمعا بجمع وتعارفا بعرفات يوم عرفة و
وتمنيا على الله تعالى بالمغفرة والتوبة بمنى فحصلت اسماء هذه المواضع من هذه المعاني وما في اما مزيدة لتاكيد الشرط ويؤيده لحوق النون
المؤكدة والشرط الثاني وجزاؤه مجموعين جواب الشرط الاول تبع واتبع بمعنى وانما جاء في طه فمن اتبع موافقة لقوله فيها يتبعون الداعي
وفي الهدى وجهان احدهما المراد منه كل دلالة وبيان فيدخل فيه دليل العقل وكل كلام ينزل على نبي وفيه تنبيه على نعمة اخرى عظيمة
فكانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يؤديكم مرة اخرى الى الجنة مع الدوام الذي لا ينقطع عن الحسن لما
اهبط ادم الى الارض اوحى الله تعالى اليه يا ادم اربع خصال فيها كل الامر لك ولولدك واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك
وواحدة بينك وبين الناس اما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاذا عملت جزيتك واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء
وعلي الاجابة واما التي بينك وبين الناس فان تصحبهم بما تحب ان يصحبوك به قيل هو رسول وكتاب بدليل والذين كفروا وكذبوا باياتنا
في مقابلة فمن تبع هداي فالاقدام على ما يلزم والاحجام عما يحرم فانه سيصير الى حالة لا خوف فيها ولا حزن وهذه الجملة مع اختصارها
تجمع شيئا كثيرا من المعاني لان قوله فاما يأتينكم مني هدى دخل فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وزيادات البيان وجميع ما لا يتم
ذلك الا به من العقل ووجوه التمكين وجمع قوله فمن تبع هداي تامل الادلة بحقها والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله
ولا هم يحزنون جميع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان الخوف لم يحصل للنفس من توقع مكروه او انتظار محذور وزواله يتضمن السلامة من جميع
الآفات والحزن انما يعرض للنفس لفقد محبوب او فوات مطلوب ونفيه يقتضي الوصول الى كل اللذات والمرادات وانما قدم عدم الخوف على عدم الحزن
لان زوال ما لا ينبغي مقدم على حصول ما ينبغي وهذا يدل على ان المكلف الذي اطاع الله تعالى لا يلحقه خوف عند الموت ولا في القبر ولا عند البعث ولا عند حضور الموقف
ولا عند تطاير الكتب ولا عند نصب الميزان ولا عند الصراط ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقال قوم من المتكلمين ان اهوال يوم القيمة تعم الكفار والفساق والمؤمنين بدليل قوله تعالى يوم
ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى فكيف تتقون ان كفرتم يوما
يجعل الولدان شيبا يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنسألن المرسلين وفي الحديث تدنو الشمس يوم القيمة من الخلق حتى يكون منهم
كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق فمنهم من يكون على كعبيه ومنهم من يكون على ركبتيه ومنهم من يكون على حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه وحديث الشفاعة وقول كل نبي نفسي نفسي الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه يقول امتي امتي مشهور قلت لا ريب ان وعد الله حق فمن وعده
من يكون امنا لا محالة الا ان الانسان خلق ضعيفا لا يستيقن الامن الكلي ما لم يصل الى الجنة لانه لا يطمئن قلبه ما لم ينقلب الى علم اليقين عين
اليقين وايضا ان جلال الله وعظمته يدهش الانسان برا كان او فاجرا وايضا ظاهر العمل الصالح لا يفيد اليقين بالجنة فلا عمل الا بالاخلاص
ولا حكم بالاخلاص الا الله الذي يعلم السر لانه من عمل القلب قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ولهذا جاء المخلصون
على خطر عظيم كان دأب الصديقين ان يخلطوا الطمع بالخوف والرغبة بالرهبة يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا وقيل
لا خوف عليهم امامهم فليس شيء اعظم في صدر الذي يموت مما بعد الموت فامنهم الله تعالى ثم سلاهم فقال ولا هم يحزنون على ما خلفوه بعد
وفاتهم في الدنيا ثم ان الائمة خصصوا نفي الخوف والحزن بالآخرة لان مجاري الامور في الدنيا لا تخلو من مواجب الخوف والحزن وقال
اشد البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل قلنا المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره لا يرى شيئا من المكاره مكروها وانما

مراده

مراده مراد حبيبه فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فبترك
الارادة يصح نسبة العبودية وبالرضوان يحصل مفاتيح الجنان وينكشف الهموم والاحزان ويتساوى الفقر والوجدان ويثبت حقيقة
الايمان والذين كفروا وجحدوا مولاهم وكذبوا بآياتنا الا شاءتهم حكالهم بحسب مشتهاهم وهواهم اولئك اصحاب النار ملازموها دائما سواء
كانوا من الانس والجن اعاذنا الله منها بعميم فضله وجسيم طوله لنا وبل انكم تسجدون لله بالطبيعة فما الملائكة الروحانية اسجدوا
لادم بخلاف الطبيعة تعبدا ورقا وانقيادا للامر وامتثالا للحكم اسجدوا له تعظيما لشأن خلافته وتكريما لفضيلته المخصوصة فمن سجد له
فقد سجد لله تعالى كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اسجدوا لادم لاجل ادم فان عبادتكم وطاعتكم لا توجب ثوابا لكم ولا تزيد في
درجاتكم ولكن فائدتها تعود الى الانسان لقوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ولان الانسان يقتدي بهم في الطاعة وبيانه
بادائهم في امتثال الاوامر والانزجار عن الاباء والاستكبار كيلا يلحقه من اللعن والبعد ما لحق ابليس فسجدوا الا ابليس لانهم خلقوا من نور
والنور من شأنه الانقياد والافاضة وانه خلق من نار والنار من شأنها الاستعلاء طبعا وكان من الكافرين لانه ستر الحق على ادم كما سمي ابليس لانه
ابلس الحق ولا تقربا هذه الشجرة اي ابحت لك نعيم الجنة بما فيها وما كان لك فيها حق لانك ما عملت بعد عملا تستحق به الجنة فاعطي هذه الشجرة
الواحدة منها وهي كلها لي وانا خلقتها فان طمعت فيها ايضا فاعلم ان الانسان له همة عالية وحرص شديد لا يزال تقول جهنم بحرصه هل من مزيد
ولا يملي حتى يضع الجبار فيها قدمه اي بما يقدر رحمته وعنايته سبقت رحمتي غضبي ثم انه ابيح له ولزوجه مشتهيات النفس كلها فيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين وقيل لهما اقنعا بها ولا توقدا نار الفتنة على انفسكما ولا تصبا من قربة المحبة ماء المحنة على رأسكما ولا تقربا شجرة المحبة وقد عز
لاجله في الحقيقة يحبهم ويحبونه ولكن سبب النهي هو الدلال الذي يقتضيه غاية الجمال وايضا لولم ينه عنها فلعله ما فرغ لها لكثرة انواع المرادات
النفسانية وكانت المحبة غذاء روحانيا فذكرها كان كالتحريض عليها فان الانسان حريص على ما منع وايضا انه تعالى وسع اسباب الانبساط اولا
ثم ضيق عليه لا يراد شعر واذنيتني حتى اذا ما فتنتني تقول تحل النعم سهل الاباطح ٭ تجافيت عني حين لا لي حيلة ٭ وغادرت ما ادرت بين الجوانح
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه سجدله ملائكته واسكنه الجنة في جواره وزوجه حواء حتى شاهد جمال الحق في مرآة وجهها بدت شجرة المحبة بين
يديه ثم منعه عنها وكان في ذلك المنع تذكير وتحريض له كما مر ثم عاتبه بقوله فتكونا من الظالمين وهذا كما اسكر موسى بلذاذة الكلام واذاقه لذة
شراب السماع وقربه نجيا حتى اشتاق الى جماله وطمع في وصاله وقال ارني فعاتبه بسطوة لن تراني وذلك ان البلاء والولاء توأمان والجنيد ضيعا
لبان والمطلوب كلما كان ارفع كان اعز وامنع والجمال لابد له من الدلال ليتميز العاشق الصادق من المدعي المحتال فلما ذاقا شجرة الغرام
خرجا من دار السلام فما لاهل الغرام ودار السلام وابن الفارغ السالي المحب لعالي شعر فبتنا على رغم الحسود وبيننا حديث كطيب المسك
شيبه الحمى ٭ فلما اضاء الصبح فرق بيننا ٭ واي نعيم لا يكدره الدهر ٭ وبالجملة فلما جاء القضاء ضاق الفضاء فلم يمر بعد ان كان مسجود الملائكة
منتهو السماك الى السماك مشمول الرعاية موفور العناية حتى نزع عنه لباس الامن والفراغ وبدل بالبستين اسر لا تستحابش يدفعونه الملائكة
بعنف ان اخرج من غير مكث ولا بحث فازلهما يد القدر بحسن التدبير كان الشيطان المسكين كذئب يوسف ملطخ خرطومه بدم نفسه فلما
وقعا من القربة في الغربة ومن الالفة في الكلفة لما ذاقا من شجرة المحبة المورثة للمحنة استوحشا من كل شيء واتخذا عدوا بعضكم لبعض عدو
وهكذا شرط المحبة عداوة ما سوى المحبوب فكما ان ذاته لا يقبل الشركة في التعبد كذلك لا يقبل الشركة في المحبة فلما استقر حب المحبة في ارض
قلب ادم جعل الارض مستقرا مختصا ليتمتع بتربيته بذر المحبة بماء الطاعة والتكليف الى حين ادراك ثمرة المعرفة وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقال ان داود قال يا رب لم خلقت الخلق فقال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ثم انه بعد ما ابتلى بالهبوط
بشره بان وحيه لا ينقطع وهدايته لا ترتفع وان من ربى بذر المحبة بماء الطاعة والطاعة فلا خوف عليهم في المستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى
من الهبوط الى الارض لانهم يرجعون بجذبات العناية والهداية الى حظائر القدس وبالله التوفيق يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وامنوا بما انزلت مصدقا لما
نعمت مرا آن كه انعام كردم بر شما ووفا كنيد بعهد من تا وفا كنم بعهد شما وازمن ترسان باشيد وبگرويد بآنچه فرستادم كه تصديق كننده آنست
معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل
كه باشماست ونباشيد نخست كافران بآن ونخريد بآيتهاي من بهاء اندك را وازمن پرهيز كنيد ونپوشانيد حق را بباطل
وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس
ومخفي كنيد حق را وحال آنكه ميدانيد وبرپاي داريد نماز را وبدهيد زكوة را وركوع كنيد با ركوع كنندگان آيا فرمان ميدهيد مردمان را
بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها
بنيكوئي وفراموش ميكنيد خودتان را وشما ميخوانيد كتاب را آيا پس درك نميكنيد ويارى بجوئيد بروزه ونماز وبدرستيكه آن
لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون القراءة اسرائيل بغير همزة
هر آينه دشوار است مگر بر فروتنان آنانكه اعتقاد دارند باينكه ايشان ملاقات كننده پروردگار شانند وبسوى او بازگردند

حيث كان بزيد وحمزة في الوقف يعني وكذلك ما بعدها ساكنة الياء ابو زيد عن المفضل فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين يعقوب وكذلك كل ياء محذوفة في الخط عند راس الاية وروى صبيح بن حاتم وابن دريد عن سهل وعباس بالياء في الوصل وكذا فرمالة قتيبة واحمد بن فرج الوقوف فارهبون ربع الجزء كافر به لاتفاق الجملتين وعلى قليلا اجوز لاختلاف النظم بتقديم المفعول فاتقون تعلمون الراكعين الكتاب تعقلون الصلوة خاشعين لان الذين صفتهم راجعون التفسير لما اقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ثم ذكر الانعامات العامة للبشر ومن جملتها خلق آدم الى تمام قصته اردفها الانعامات الخاصة على اسلاف اليهود لانه اشكيلهم واستمالة لقلوبهم وتنبيها على نبوة محمد من حيث كونه اخبارا بالغيب طرحا في مطاوي ذلك ما يرشد الى اصول الاديان ومكارم الاخلاق واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم غير منصرف للعلمية والعجمية المعتبرة لقب له ومعناه صفوة الله وقيل عبد الله لان اسر بالعبرية هو العبد وايل الله وقوله يا بني اسرائيل خطاب مع جماعة اليهود الذين كانوا بالمدينة من ولد يعقوب في ايام محمد ووحد النعمة وما يتعلق بها قد سبق في تفسير الفاتحة والعائد من الصلة محذوف اي نعمت بها عليكم قال بعض العارفين عبيد النعم قليلون فان الله تعالى ذكر بني اسرائيل نعمه عليهم ولما آل الامر الى امة محمد ذكرهم المنعم فقال اذكروني اذكركم عن ابن عباس انه قال من نعمه تعالى على بني اسرائيل ان نجاهم من آل فرعون وظلل عليهم في التيه الغمام وانزل عليهم المن والسلوى واعطاهم الحجر الذي كان يسقيهم ما شاؤا واعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل وكان رؤسهم لا تتشعث وثيابهم لا تبلى وفي تذكير هذه النعم فوائد منها ان فيها ما يشهد بصدق محمد وهو التورية والانجيل والزبور ومنها ان كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكرهم اياها ليحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد والقران ومنها ان تذكر النعم الكثيرة يوجب الحياء من اظهار المخالفة ومنها ان كثرة النعم يفيد ان المنعم خصهم بها من بين سائر الناس ومن خص احدا بنعم كثيرة فالظاهر انه لا يزيلها عنهم كما قيل اتمام المعروف خير من ابتدائه فتذكير النعم السالفة مطمع في النعم الاتية وذلك الطمع يمنع من اظهار المخالفة المخاصمة والنعمة على الآباء نعمة على الابناء اذ لولاها لم يبق نسلهم ولان الانتساب الى آباء خصهم الله تعالى بنعم الدين والدنيا نعمة عظيمة في حق الاولاد ولانهم اذا علموا ان آباءهم انما خصوا بهذه النعم لمكان طاعتهم والاعراض عن الكفر والجحود رغبوا في هذه الطريقة لان الابن مجبول على اتباع الاب من اشبه اباه فما ظلم والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال وفيت بعهدك اي بما عاهدت عليه واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه والمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي اوف بعهدكم اي ارض عنكم وادخلكم الجنة حكاه الضحاك عن ابن عباس وتحقيقه في قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله وقيل المراد من هذا العهد ما اثبته في الكتب المتقدمة من صفة محمد وانه سيبعثه واليه الاشارة في قوله ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وفي الاعراف فساكتبها للذين يتقون الاية وفي آل عمران واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم وفي الصف واذ قال عيسى بن مريم وعن ابن عباس ان الله كان عهد الى بني اسرائيل في التورية اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق بالتورية الذي ياتي به اي بالقران غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اجرا باتباع ما جاء به موسى وجاءت به سائر انبياء بني اسرائيل واجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الامي الذي من ولد اسمعيل وتصديق هذا القران يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وعن ابي موسى الاشعري مرفوعا ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بعيسى ثم آمن بمحمد فله اجران ورجل ادب امته فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ورجل اطاع الله واطاع سيده فله اجران فان قيل لو كان الامر كما قلتم فكيف يجوز من جماعتهم جحده قلنا اما لان هذا العلم كان حاصلا عند العلماء باكتبهم ولم يكن لهم عدد كثير فجاز منهم كتمانه واما لان ذلك النص كان نصا خفيا لعدم تعيين الزمان والمكان بحيث يعرفه كل احد فجاز وقوع الشكوك والشبهات فيه جاء في الفصل التاسع من السفر الاول من التورية ان هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك الله تعالى فقال لها يا هاجر اين تريدين قالت اهرب من سيدتي سارة فقال ارجعي الى سيدتك واخفضي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابنا تسميه اسمعيل من اجل ان الله سمع خشوعك وهو يكون عين الناس ويكون يده فوق الجميع مبسوطة اليه بالخضوع وقيل هذا الكلام خرج مخرج البشارة لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين في البادية لا يتجاسرون على الدخول في ارض العراق وارض الشام الا على تمام خوف فلما جاء الاسلام استولوا على الخافقين بالاسلام ومازجوا الامم ووطئوا بلادهم ومازجوا الامم وحجوا بيتهم ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته اي زيدا رهبت رهبته بتقديم المفعول للاختصاص فتقديره واياي ارهبوا فارهبون وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لمكان الفاء المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها اي ان كنتم راهبين شيئا فارهبون ومن قبل التكرير ولاجل الاضمار والتفسير والرهبة هي الخوف والخوف اما من العقاب وهو نصيب اهل الظاهر واما من الجلال وهو وظيفة ارباب القلوب والاول يزول والثاني لا يزول ومن كان خوفه في الدنيا اشد كان امنه يوم القيمة اكثر وبالعكس يروى انه ينادي مناد يوم القيمة وعزتي وجلالي اني لا اجمع على عبدي خوفين ولا امنين من امنني في الدنيا

خوفه يوم القيمة ومن خافني في الدنيا امنته يوم القيمة قوله وآمنوا معطوف على اذكروا والمراد بما انزلت القرآن ومصدقا حال مؤكدة من
الراجع المحذوف وفيه تفسيران احدهما ان في القرآن ان موسى وعيسى حق والتورية والانجيل حق والتورية انزل على موسى والانجيل على عيسى
فكان الايمان بالقرآن مؤكدا للايمان بالتورية والانجيل والثاني انه حصلت البشارة بمحمد صلعم وبالقرآن في التورية والانجيل فكان الايمان
بمحمد والقرآن تصديقا للتورية والانجيل والتكذيب بمحمد والقرآن تكذيبا لهما وفي هذا التفسير دلالة على نبوة محمد صلعم من جهة ان شهادة
كتب الانبياء لا يكون الا حقا ومن جهة انه اخبر عن كتبهم ولم يكن له صلعم معرفة بذلك الا من قبل الوحي ولا تكونوا اول كافر به اي اول من كفر به او
اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وههنا سؤالات الاول. كيف جعلوا اول
من كفر به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب في الجواب وجوه الاول انه تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته و
لانهم كانوا المبشرين بزمان محمد صلعم والمستفتحين به على الذين كفروا وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان امرهم على العكس فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به الثاني ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه موصوفا في التورية
مثل من لم يعرفه لانه لا كتاب له الثالث ولا كافر به من اهل الكتاب لان هؤلاء كانوا اول من كفر بالقرآن من بني اسرائيل الرابع ولا تكونوا اول
كافر به يعني بكتابكم يقول ذلك لعلمائهم لان تكذيبكم بمحمد صلعم يوجب تكذيبكم الخامس المراد بيان تغليظ كفرهم وذلك ان السابق الى الكفر كفره غليظ
من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها والكافر عن دليل ومعرفة بما يوجب الايمان كفره اغلظ ممن كفر ولا دليل له على الايمان فاشتركا من هذا
الوجه فصح اطلاق احدهما على الآخر السادس ولا تكونوا اول من جحد مع المعرفة السابع اول فريق كفر من اليهود لان النبي قدم المدينة وبها قريظة
والنضير فكفروا ثم تابعهم سائر اليهود على ذلك الكفر الثامن ولا تكونوا اول الكافرين به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه السؤال
الثاني كانه يجوز لهم الكفر اذا لم يكونوا اولا والجواب ليس في ذكر الشيء دلالة على ان ما عداه بخلافه وايضا في قوله وامنوا دلالة على ان كفرهم اولا واخرا
محظور وايضا قوله ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا لا يدل على اباحة ذلك بالثمن الكثير وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها لا يدل على وجود عمد
لا ترونها فكذلك ههنا قال المبرد هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم فقيل لهم لا تكفروا بمحمد صلعم فانه سيكون بعدكم كفار فلا تكونوا انتم
اول الكفار فانه يكون عليكم وزر من كفر الى يوم القيامة والاشتراء استعارة للاستبدال كما قلنا في اشتروا الضلالة بالهدى اي لا تستبدلوا بآياتي
ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو تبعوا دين الاسلام وقيل الثمن هو
الرشى التي يأخذها علماؤهم على تحريف الكلم عن مواضعه لتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع واياي فاتقون مثل واياي فارهبون وقيل
الاتقاء انما يكون عند الجزم بحصول ما يتقى عنه فكان امرهم بالرهبة على ان جواز العقاب قائم ثم امرهم بالتقوى على ان يقين العقاب قائم قوله
ولا تلبسوا امر بترك الاغواء والاضلال كما ان قوله وآمنوا امر بترك الكفر والضلال لان الاضلال لغيره طريقان لانه ان سمع الدلائل فاضلاله بتشويشها
عليه وان لم يسمعها فاضلاله بكتمانها ومنعه من الوصول اليها فقوله ولا تلبسوا اشارة الى القسم الاول وقوله وتكتموا المجزوم بلا المقدرة للنهي
عطفا على المنهي قبله اشارة الى القسم الثاني والباء التي في بالباطل اما للوصل في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به فكان المعنى ولا تكتبوا
في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بينهما واما للاستعانة كالتي في كتبت بالقلم فالمعنى ولا تجعلوا الحق
ملتبسا بباطلكم وهو الشبهات التي توردونها على السامعين وذلك ان النصوص الواردة في التورية والانجيل في امر محمد صلعم كانت نصوصا
خفية تحتاج في معرفتها الى الاستدلال ثم انهم كانوا يجادلون فيها ويشوشون وجه الدلالة على المتأملين كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق قيل ويجوز ان يكون وتكتموا منصوبا باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق نحو لا تأكل السمك وتشرب
اللبن قلت هذا التقدير يوهم ان يكون المحظور هو الجمع بين الامرين كالجمع بين اكل السمك وشرب اللبن حتى لو اتى بكل منهما منفردا عن الآخر
جاز اللهم الا ان يحال ذلك على القرينة كما في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يطاع احدهما لقرينة الاثم والكفر وانتم تعلمون
ما في اضلال الخلق من الضرر العظيم العائد عليكم يوم القيمة من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها والنهي عن اللبس والكتمان
وان قيد بالعلم لم يدل على جوازهما حال عدم العلم لان السبب في ذكره ان الاقدام على الفعل الضار مع العلم بكونه ضارا افحش من الاقدام عليه
عند الجهل بكونه ضارا والنهي وان كان خاصا لكنه عام فكل عالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه ثم لما امرهم بذكر نعمته والايمان
برسوله وكتابه ونهاهم عن اللبس والكتمان بين لهم ما يلزمهم من اصول الشرائع فقال اقيموا الصلوة اي التي عرفتموها بوصف النبي بناء على
انه لا يجوز تأخير بيان المجمل عن وقت الخطاب واما القائلون بجواز التأخير فقد جوزوا ورود الامر بالصلوة وان لم يعرف حقيقتها ويكون
المقصود ان يوطن السامع نفسه على الامتثال وان كان لا يعلم ان المأمور به ما هو كما لو قال السيد لعبده اني آمرك غدا بشيء فلا بد ان تفعله
ويكون الغرض ان يعزم العبد في الحال على ادائه في الوقت الثاني ومعنى الصلوة لغة وشرعا قد تقدم في اول البقرة واما الزكوة فهي في اللغة الزيادة
والنماء وفي الشرع القدر المخرج من النصاب لانها تزيد في بركة المخرج عنه ويمكن ان يقال مأخوذة من التطهير من زكى نفسه تزكية اذا مدحها و
طهرها من العيوب قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فان المخرج يطهر ما بقي من المال قال صلعم عليك بالصدقة فان فيها

سبع خصال ثلث في الدنيا وثلث في الاخرة فاما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال وتعمر الدار واما التي في الاخرة فتستر العورة وتقصر
ظل الموق الراس وتكون سترا من النار وفي هذا الخطاب مع اليهود دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع وفي قوله واركعوا مع الراكعين
وجوه احدها ان اليهود لا ركوع في صلوتهم فخص الركوع بالذكر تحريضا لهم على الاتيان بصلوة المسلمين وثانيها صلوا مع المصلين فلا تكرار
لان الاول امر باقامتها والثاني امر بالجماعة وثالثها الركوع والخضوع لغة سواء فيكون نهيا عن الاستكبار المذموم وامرا بالتذلل للمؤمنين
ثم انه سبحانه لما امر بالايمان والشرائع بناء على ما خصهم من النعم رغبهم في ذلك بناء على ماخذ اخر وهو ان التغافل عن اعمال البر مع حث الناس
عليها مستقبح في العقول والهمزة في اتامرون للتقرير مع التقريع والتعجيب من حالهم والبر اسم جامع لاعمال الخير ومنه بر الوالدين وهو طاعتهما
وعمل مبرور مرضي واختلف في البر ههنا قال السدي انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله ثم يتركونها وينهونهم عن معصية الله وهم يرتكبونها وقال
ابن جريج تامرون الناس بالصلوة والزكوة وتتركونها ابو مسلم كانوا قبل مبعث النبي يخبرون مشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعو
الى الحق ويرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله محمدا صلعم حسدوه واعرضوا عن دينه الزجاج يامرون الناس بالصدقة ويشحون بها وقيل يامرون
من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل يامرون غيرهم باتباع التورية وانهم خالفوه لانهم وجدوا فيها ما يدل
على صدق محمد صلعم ثم ما امنوا به وقيل لعل المنافقين من اليهود كانوا يامرون باتباعه في الظاهر وينكرونه في الباطن فوبخهم الله على ذلك و
النسيان هو الترك والحادث بعد حصول العلم والناسي غير مكلف فكيف يتوجه الذم على ما صدر عنه فاذن المراد وتغفلون عن حق انفسكم
وتعدلون عما لها فيه من النفع وانتم تتلون الكتاب اي التورية وتدرسونها وتعلمون ما فيها من اعمال البر ومن نعت محمد صلعم ومن الوعيد على
ترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون وهو تعجيب للعقلاء من افعالهم وكثيرا ما يحذف الفعل بعد همزة الاستفهام للعلم به التقدير اتعلمون
ذلك فلا تعقلون وقس على هذا نظائره في القران فانها كثيرة وللتعجيب وجوه منها ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ارشاد الغير
الى المصالح وتحذيره عن المفاسد وارشاد النفس اليها وتحذيرها منها اهم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكانه اتى بما لا يقبله العقل
الصحيح ومنها ان مثل هذا الوعظ يصير سببا للمعصية لان الناس يقولون لولا ان هذا الواعظ مطلع على انه لا اصل لهذه التخويفات والا
لما اقدم على المناهي فيكون داعيا لهم الى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي وهذا مناف للغرض من الوعظ فلا يليق بالعقلاء ومنها ان غرض
الواعظ ترويج كلامه وتنفيذ مرامه فلو خالف الى ما نهى عنه صار كلامه بمعزل عن القبول وهذا خلاف المعقول قال بعضهم ليس للعاصي ان يأمر
بالمعروف وينهى عن المنكر استدلالا بهذه الاية وبقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وبان الزاني بامرأة يقبح منه ان ينكر عليها والجواب ان
المكلف مامور بشيئين ترك المعصية ومنع الغير عنها والاخلال باحد التكليفين لا يقتضي الاخلال بالاخر والذم في الاية مترتب على
الشق الثاني وهو نسيان النفس لا على مجموع الامرين قالوا حديث القبح ممنوع قلت والحق انه مكابرة فعن انس ان النبي صلعم قال مررت
ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت يا اخي جبرئيل من هؤلاء فقال هؤلاء خطباء من اهل الدنيا كانوا يامرون الناس
بالبر وينسون انفسهم وقال صلعم ان في النار رجلا يتأذى اهل النار بريحه فقيل من هو يا رسول الله قال عالم لا ينتفع بعلمه وقال صلعم مثل
الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وعن الشعبي يطلع قوم من اهل الجنة على قوم من اهل النار فيقولون
لم دخلتم النار فانا دخلنا الجنة بفضل تعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقيل من وعظ بالقول ضاع كلامه ومن وعظ بفعله
نفذت سهامه وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل وروي ان يزيد بن هرون مات وكان واعظا زاهدا فرئي
في المنام فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي واول ما سألني منكر ونكير فقالا من ربك فقلت اما تستحيان من شيخ دعا الناس الى الله
كذا وكذا سنة فتقولان له من ربك وقيل للشبلي عند النزع قل لا اله الا الله فقال شعر ان بيتا انت ساكنه غير محتاج الى السرج ولما امرهم
تعالى لما امرهم الله تعالى بالايمان وترك الاضلال وبالتزام الشرائع وموافقة القول للفعل وكان ذلك شاقا عليهم لما فيه من ترك الرياسة
والاعراض عن المال والجاه عالج الله تعالى هذا المرض بقوله واستعينوا بالصبر والصلوة فكانه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا
والدخول فيما يستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلعم بالصبر اي حبس النفس عن اللذات فانكم اذا كلفتم انفسكم ذلك مرنت عليه وخف
عليها ثم اذا ضممتم الصلوة الى ذلك كمل الامر لان المشتغل بالصلوة مشتغل بذكر لطفه وقهره فاذا تذكر لطفه مال الى الطاعة واذا تذكر قهره
انتهى عن المعصية وقيل الصبر الصوم لانه حبس من المفطرات ومنه يقال شهر الصبر لشهر رمضان ومن حبس نفسه عن قضاء شهوتي البطن والفرج
زالت عنه كدورات حب الدنيا فاذا انضاف اليه الصلوة استنار القلب بانوار معرفة الله وانما قدم الصوم على الصلوة لان تاثير الصوم في ازالة
ما لا ينبغي وتاثير الصلوة في حصول ما ينبغي والنفي مقدم على الاثبات ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء اي استعينوا على البلاء بالصبر
والالتجاء الى الدعاء والابتهال في دفعه الى فاطر الارض والسماء وهذا الخطاب وان كان خاصا ببني اسرائيل والا لزم تفكك النظم لكن المعنى على
العموم فعلى كل مكلف ان يستعين على حوائجه الى الله بالصلوة والصبر على تكاليفهما مراعيا في ذلك ما يجب من الاخلاص وحسن الادب واستحضار
العلم بانها انتصاب بين يدي الجبار العالم بالطويات والاسرار ومنه قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها ومن خواص الصلوة اندفاع

البلايا وانكشاف الغموم والرزايا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وانها اى الصلوة او الاستعانة او جميع المامورات والمنهيات
فى هذه الآيات لكبيرة لشاقة ثقيلة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الذين يظنون يعلمون انهم ملاقوا ربهم جزاء وانهم اليه الى
حكمه راجعون فيصدعنهم الاعمال من طيب نفس وانشراح صدر وهذا بخلاف حال المنافقين الذين اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا فالملحد لم يعتقد فى فعلها منفعة لا يوافيه طبعه فى الاشتغال بها وان كان زمانا يسيرا فثقل عليه والموحد حيث
اعتقد فى فعلها اعظم المنافع وهو الفوز بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الاليم يهون عليه ترجيته الاوقات بوظايف العبادات وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلى حتى تورمت قدماه ومع ذلك يقول يا بلال روحنا وجعلت قرة عينى فى الصلوة والخشوع والخضوع اخوان وهما التطامن والتواضع
ومنه الخشعة للاكمة المتواضعة وفى الحديث كانت الارض خشعة على الماء ثم دحيت وللظن ههنا تفسيران احدهما انه بمعنى العلم تجوزا لان الظن
هو الاعتقاد الذى يقارنه تجويز النقيض وتجويز نقيض لقاء الرب اى البعث والشك كفر فكيف يمدح به بسبب هذا التجوز انهما اشتركا
فى رجحان الاعتقاد وان افترقا بتجويز النقيض وعدمه فصح اطلاق احدهما على الآخر ولا سيما اذا كان الظن عن امارة قوية تقربه من العلم
وثانيهما ان الظن بمعناه الحقيقى والمراد بملاقاة الرب اما اللقاء بثوابه وذلك مظنون لا معلوم واما الموت الذى هو سبب اللقاء ووقته
غير معلوم الا انه متوقع كل لحظة وقوعا راجحا عند المؤمن لانه قطع امله ولانه يحب لقاء ربه ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا
الموت ويحتمل ان يقال معناه على هذا التفسير الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم فان الانسان الخاشع قد يسيئ ظنه بنفسه
باعماله فيغلب على ظنه انه يلقى الله بذنوبه فعند ذلك يتسارع الى التوبة وذلك من صفات المدح وبقى ههنا بحثان الاول استدل اهل السنة
بالآية على جواز رؤية الله تعالى وانكرها المعتزلة قالوا اللقاء لا يفيد الرؤية لقوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه والمنافق
لا يرى ربه ولقوله واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه ويشمل الكافر والمؤمن وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقى الله
وهو عليه غضبان واجيب بان اللقاء فى اللغة وصول احد الجسمين الى الآخر باتصال التماس وهذا اللقاء سبب الادراك بحيث يمتنع
حمله على اصله وجب حمله على الادراك لان اطلاق السبب على المسبب من اقوى وجوه المجاز فان منع من ذلك مانع اضمر بحسب ذلك فان الاضمار
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لمانع ففى قوله الى يوم يلقونه دعت الضرورة الى اضمار الجزاء ونحوه وفى الآية لا ضرورة فحمله على الادراك او
البحث الثانى المراد من الرجوع الى الله الرجوع الى حكمه حيث لا مالك لهم سواه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كما كانوا كذلك فى اول الخلق
ايام حيوتهم فى الدنيا فانه قد يملك الحكم عليهم ظاهرا غير الله تعالى قالت المجسمة الرجوع الى غير الجسم محال فدل ذلك على كونه تعالى جسما وقال اهل التناسخ
الرجوع الى الشيء مسبوق بالكون عنده فدلت الآية على كون الارواح قديمة ولا يخفى جوابهما والله اعلم يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى
التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل ولا هم ينصرون القراءة ولا تقبل بالتاء الفوقانية ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الوقوف
العالمين التفسير انما اعاد سبحانه هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
كانه قال ان لم تطيعونى لاجل سوالف نعمتى عليكم فاطيعونى للخوف من عقابى فى المستقبل والمراد بالعالمين ههنا الجم الغفير من الناس كقوله
باركنا فيها للعالمين ويقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة بقرينة العلم بانه لم ير كل الناس ويمكن ان يكون المراد فضلتكم على عالمى زمانكم
لان الشخص الذى سيوجد بعد ذلك لا يكون من جملة العالمين ويحتمل ان يكون لفظ العالمين عاما للموجودين ولمن سيوجد لكنه مطلق
فى الفضل والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة فالآية تدل على انهم فضلوا على كل العالمين فى امر ما وهذا لا يقتضى ان يكونوا افضل من كل
العالمين فى كل الامور فلعل غيرهم يكون افضل منهم فى اكثرها وقيل الخطاب لمؤمنى بنى اسرائيل لان عصاتهم مسخوا قردة وخنازير وفى جميع
ما يخاطب الله تعالى بنى اسرائيل تنبيه للعرب لان الفضيلة بالنبى قد لحقتهم وجميع اقاصيص الانبياء تنبيه وارشاد لقد كان فى قصصهم
عبرة لاولى الالباب يروى عن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب كان يقول قد مضى والله بنو اسرائيل وما يعنى بما تسمعون غيركم
اتقاء اليوم هو اتقاء ما يحصل فى ذلك اليوم من الشدائد والاهوال لان نفس اليوم لا يتقى وقوله لا تجزى الى آخر الآية الجمل منصوبات
المحل صفات متعاقبة لليوم والراجع منها الى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه ومنهم من يقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول فحذف
الجار وهو فى فيقى لا تجزيه ثم حذف الضمير كما حذف فى قوله ام مال اصابوا قال شعر فما ادرى اغيرهم تناء : وطول العهد ام مال اصابوا
اى اصابوه ولا يخفى ان هذا التكلف لا يمشى فى سائر الجمل بل يتعين تقدير الجار والمجرور العائد ومعنى لا تجزى لا تقضى عنها شيئا من
الحقوق ومنه الحديث فى الجذعة التى ضحاها ابن نيار قبل الوقت تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون فى
تقدير مصدر اى قليلا من الجزاء مثل ولا تظلمون شيئا ومعنى تنكير النفس نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو
الاقناط الكلى القاطع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فدية لانها معادلة للمفدى فى الحديث لا يقبل

صرف ولا عدل اي توبة لانها تصرف من الحال الذميمة الى الحال الحميدة ولا نداء والضمير في ولا يقبل منها يرجع الى نفس الثانية العاصية غير
المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة انها ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس
الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا منها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون الضمير عائد الى ما
دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد او الاناسي مثل ثلثة انفس وفي وصف اليوم بهذه الصفات تهويل عظيم وتنبيه
على ان الخطب شديد لانه اذا وقع احد في كريهة وحاولت عزيمته دفاع ذلك عنه بدأت بما في نفوسها الابية من مقتضى الحمية فتحمل عنه ما يلزمه كما يذب
الوالد عن ولده بغاية قوته ونهاية بطشه فان رأى من لا طاقة له بمانعته عاد بوجوه الضراعة وصنوف الشفاعة وبذل المال والمنال الخارج
بالملاينة عما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن هذه الامور تعلل بما يؤمل ممكنه من نصر الاخوان ومدد الاخدان فاخبر الله تعالى ان شيئا من هذه لا يدفع
يومئذ عن عذابه وفي هذا تحذير عن المعاصي وترغيب في تلافي ما فات بالتوبة لانه اذا تصور انه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا
فدية علم انه لا ينفعه الا الطاعة وتلافي البوادر فالاية وان كانت في بني اسرائيل الا انها تعم كل من يحضر ذلك اليوم فان قيل قدم في هذه الاية قبول
الشفاعة على اخذ الفدية وفي موضع اخر من هذه السورة عكس القضية فما الحكمة في ذلك قلنا من الناس من ميله الى حب المال اشد من ميله الى علو
النفس فيتمسك اولا بالتشفيع ثم يترجح الى بذل المال ومنهم من على العكس فيقدم الفدية على الشفاعة فتغيير الترتيب اشارة الى الصنفين والله اعلم
واعلم ان الشفاعة هي ان يستوهب احد لاحد شيئا ويطلب له حاجة من الشفع ضد الوتر كان صاحب الحاجة كان فردا فصار بالشفيع شفعا ثم ان الامة
اجمعت على ان لمحمد ﷺ رتبة الشفاعة في الاخرة وعليه حمل قوله تعالى عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ واجمعوا على انه
لا شفاعة للكفار وبقي الخلاف فيمن عداهم فاهل السنة اثبتوا الشفاعة لغير الكفار والمعتزلة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب يبقى خالدا في النار
ولا شفاعة له وسائر الناس لهم الشفاعة قالوا ان هذه الاية تدل على نفي الشفاعة مطلقا والايات والاحاديث الدالة على وجود الشفاعة
كثيرة فعرفنا ان الاية ليست على عمومها لكن الايات الواردة في وعيد صاحب الكبيرة كثيرة كقوله وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا فخرج غير صاحب الكبيرة وبقيت الاية حجة في الكفار وفي صاحب الكبيرة وزعم اهل السنة ان اليهود كانوا يدعون ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فاويسوا من ذلك واجيب بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسوف يجيء سائر حجج الفريقين في الايات المناسبة
ان شاء الله تعالى وقالت الفلاسفة في تحقيق الشفاعة ان واجب الوجود عام الفيض والنقصان من القابل فجائز ان لا يكون الشيء مستعد القبول الفيض
من واجب الوجود الا انه يكون مستعد القبول لذلك الفيض من شيء قبله عن واجب الوجود فيكون ذلك الشيء متوسطا بين الواجب وبين ذلك الشيء
مثاله في المحسوس الشمس فانها لا تضيء الا القابل المقابل والسقف لما لم يكن مستعد القبول النور منها لكنه لو وضع طست مملو من الماء الصافي
انعكس منه الضوء الى السقف فارواح الانبياء كالوسائط بين واجب الوجود وبين ارواح عوام الخلق كالماء بين الشمس وبين السقف وهذا يدل
على انه لا واسطة بين الله تعالى وبين عباده اشرف من نبينا محمد ﷺ حيث انه لا شفاعة الا له وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ
الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون که میچشانیدند شما را بدترین
عذابها را میکشتند فرزندان شما را و زنده میداشتند زنان شما را و در این آزمایش بود از پروردگار شما بزرگ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ و چون شکافتیم بسبب شما دریا را پس رهانیدیم شما را و غرق کردیم
آل فرعون را و شما مینگریستید و چون وعده کردیم موسی را چهل شب پس گرفتید الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ
مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ گوساله را پس از آن و شما ستمکارانید پس درگذشتیم از شما وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
پس از این شاید که شما سپاس کنید و چون دادیم موسی را تورات و فرقان شاید که راه یابید القراءة سو العذاب بغير همز حيث وقع مفتوحا
الاصفهاني عن ورش وعدنا حيث كان ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد موسى بالامالة المفرطة كل القران حمزة وعلي وخلف وعن ابي عمرو وجهان
ان جعلته فعلى فبالامالة بين الفتح والكسر وان جعلته على مفعل فبالفتح لا غير ثم اتخذتم وبابه بالاظهار ابن كثير وحفص والمفضل والاعشى
والبرجمي الفرقان لعلكم مدغما عباس كذلك يدغم اذا كان قبل النون حرف من حروف المد واللين وهي الواو المضموم ما قبلها وتكون
لكما والياء المكسورة ما قبلها مثل ميثاق النبيين لما والالف المفتوح ما قبلها مثل وما كان المؤمن وما اشبه ذلك الوقوف نساءكم ط عظيم
تنظرون ظالمون تشكرون تهتدون التفسير انه سبحانه لما قدم ذكر النعمة على بني اسرائيل اجمالا اخذ في تفصيلها واحدة فواحدة ليكون
ابلغ في التذكير واعظم في الحجة كانه قال اذكروا نعمتي واذكروا اذ نجيناكم واذ فرقنا واذ كان كذا وكذا وفي جميع هذه القصص معنى مجرد الوقت مفعول
به لاذكروا واصل الانجاء والتنجية التخليص ومنه النجوة للمكان العالي لان من صار اليه نجا اي تخلص من ان يعلوه سيل ولان الموضع تخلص
المحيط عنه واصل آل اهل بدليل اهيل واهال في تحقيره وتكسيره على الاعرف فابدلت الهاء على خلاف القياس ثم الى الالف وجوبا فالالف فيه بدل عن
همزة بدل عن هاء ولا يستعمل الآل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحائك ومما يقال اهله وهكذا لا يقال آل البلد
آل العلم ومما يقال اهلها وعند الكسائي اصله اول بدليل تصغيره على اويل كانهم يؤلون على اصل قلبت الواو الفا على القياس وفرعون علم

يقال خطر فلان اي منزلته

لمن ملك العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن ارم بن سام بن نوح كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس وخاقان للترك وتبع لليمن واختلف في اسمه فابن جريج ان اسمه مصعب بن ريان وابن اسحق انه الوليد بن مصعب ولم يكن من الفراعنة اغلظ واقسى قلبا منه وعن وهب بن منبه ان اهل الكتابين قالوا ان اسمه قابوس وكان من القبط وقيل ان فرعون يوسف هو فرعون موسى وضعف اذ كان بين دخول يوسف مصر وبين دخول موسى اكثر من اربعمائة سنة وقال محمد بن اسحق هو غير فرعون يوسف فان اسم فرعون يوسف الريان بن الوليد والمراد بآل فرعون اتباعه واعوانه الذين عزموا على اهلاك بني اسرائيل بامره وعتوا الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر ويسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم شعر اذا ما الملك سام الناس خسفا ، ابينا ان نقر الخسف فينا : واصله من سام السلعة اذا طلبها كانها بمعنى يبغونكم سوء العذاب يريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره او المراد عذاب من غير استحقاق لان العذاب بالاستحقاق حسن واختلف في سوء العذاب فابن اسحق انه جعلهم خدما وخولا وصنفهم في اعمالهم فمن بان وحارث وزارع ومن لم يكن ذا عمل وضع عليه جزية يؤديها والسدي كان يجعلهم في الاعمال القذرة ككنس الكنيف ونحوه ولا ريب ان كون الانسان تحت تصرف الغير كيف شاء لا سيما اذا استعمله في الاعمال الشاقة القذرة من غير ان يأخذه بهم رأفة واشفاق من اشد العذاب حتى ان من هذه حاله ربما يتمنى الموت سئل عن حكيم اي شيء اصعب من الموت فقال ما يتمنى فيه الموت فبين تعالى عظم نعمته عليهم بان نجاهم من ذلك ثم اتبع ذلك نعمة اخرى فقال يذبحون ابناءكم ومعناه هم يقتلون الذكور من الاولاد دون الاناث والذي دعاهم الى ذلك امور منها ان ذبح الابناء يقتضي فناء الرجال وانقطاع النسل بالآخرة و منها ان هلاك الرجال يقتضي فساد معيشة النساء حتى يتمنين الموت من النكد والضر ومنها ان قتل الولد عقيب الحمل والكد والرجاء القوي في الانتفاع بالمولود من عظم العذاب ومنها ان الابناء احب وعند من البنات ولهذا قيل شعر [illegible] حيوة البنين في موت البنات وقول النبي ص دفن البنات من المكرمات ومنها ان بقاء النسوان بدون الذكران يوجب صيرورتهن مستفرشات للاعداء وذلك نهاية الذل والهوان قال بعضهم المراد بالابناء الرجال البطانون والنساء اذ النساء اسم للبالغات وهو جمع المرأة من غير لفظها قالوا انما كان يامر بقتل الرجال الذين يخاف منهم الخروج عليه والتجمع لافساد امره والاكثرون على ان المراد بالابناء الاطفال لظاهر اللفظ ولانه كان يتعذر قتل جميع الرجال على كثرتهم ولانهم كانوا محتاجين اليهم في الاعمال الشاقة ولانه لو كان كذلك لم يكن لالقاء موسى في اليم معنى وانما لم يقتل البنات في مقابلة الابناء لانهن لما لم يقتلن كن بصدد ان يبلغن فحسن اطلاق اسم النساء عليهن مثل اني اراني اعصر خمرا عن ابن عباس انه وقع الى فرعون وطبقته ما كان الله وعد ابراهيم ان يجعل في ذريته انبياء وملوكا فخافوا ذلك واتفقت كلمتهم على اعداد رجال معهم الشفار يطوفون في بني اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما راوا الكبار منهم يموتون والصغار يذبحون خافوا فناءهم وان لا يجدوا من يباشر الاعمال الشاقة فصاروا يقتلون عاما دون عام وعن السدي ان فرعون راى نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فدعا فرعون الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا يخرج من بيت المقدس من يكون هلاك القبط على يده وقيل ان المنجمين اخبروا فرعون بذلك وعينوا له السنة فلهذا كان يقتل ابناءهم من تلك السنة قيل والاقرب هو الاول لان المستفاد من علم النجوم والتعبير لا يكون الا مجملا والا قدح ذلك في كون الاخبار عن الغيب معجزا بل يكون امرا مجملا والظاهر من حال العاقل ان لا يقدم على هذا الامر العظيم بسببه قلت كون فرعون عاقلا ممنوع فان من شك في اجلى البديهيات وهو انه ممكن الوجود فعده من العقلاء لا يكون من العقل ثم قال ذلك القائل لعل فرعون كان عارفا بالله وبصدق الانبياء الا انه كان كافرا كفر الجحود والعناد ويقال انه كان شاكا متحيرا في دينه وكان يجوز صدق ابراهيم ع واقدم على ذلك الفعل احتياطا قلت الله اخبر عنه بانه قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله غيري فلا ضرورة بنا الى تجويز كونه عارفا بالله وبصدق الانبياء وجعل كفره كفر جحود ومن اصدق من الله قيلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فان قلت لم ذكر يذبحون ههنا بلا واو وفي سورة ابرهيم بواو قلت الوجه فيه انه اذا جعل يسومونكم سوء العذاب مفسرا بقوله يذبحون فلا حاجة الى الواو واذا جعل يسومونكم مفسرا بسائر التكاليف الشاقة سوى الذبح وجعل الذبح شيئا اخر احتيج الى الواو وانما جاء ههنا وفي الاعراف يقتلون بغير واو لانهما من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في ابرهيم من كلام موسى فعد المحن عليهم وكان مامورا بذلك في قوله وذكرهم بايام الله وقال بعضهم معنى يستحيون يفتشون حياء المرأة اي فرجها هل بها حمل ام لا وانه تعسف والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء والحمل على النعمة اولى لانها هي التي يحسن اضافتها الى الرب تعالى ولان موضع الحجة على اليهود انعام الله تعالى على اسلافهم حيث عاينوا اهلاك من حاول اهلاكهم واذلال من بالغ في اذلالهم ههنا نكتة وهي انهم كانوا في نهاية الذل وخصمهم في غاية الاستيلاء والغلبة الا انهم كانوا محقين وخصومهم مبطلين فانقلب المحق غالبا والمبطل مغلوبا فكانه قيل لا تغتروا بفقر محمد وقلة انصاره في الحال فانه سينقلب العز الى جانبه والذل الى جانب اعدائه وفيه تنبيه على ان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء فليس للانسان ان يغتر بعز الدنيا ويلهى عن الآخرة قال اهل الاشارة النفس الامارة وهي صفاتها الذميمة و اخلاقها الرديئة تذبح ابناء الصفات الروحانية الحميدة واستحياء بعض الصفات القلبية لاستخدامهن في الاعمال القذرة

الحيوانية ولا ينجيه من ذلك الا الله تعالى قوله وَإِذْ فَرَقْنَا نعمة اخرى اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم على عدد الاسباط
وكانوا اثنى عشر ومعنى بكم انكم كنتم تسلكونه ويتفرق الماء كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما او يراد فرقناه بسبب انجائكم او يكون حالا
اى ملتبسا بكم روى انه تعالى لما اراد غرق فرعون والقبط وبلغ بهم الحال فى معلوم الله تعالى انه لا يؤمن احد منهم امر موسى بنى اسرائيل ان يستعيروا
حلى القبط ليخرجوا خلفهم لاجل المال اما ليبقى اموالهم فى ايديهم ثم نزل جبريل فقال اخرج ليلا كما قال تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا
وكانوا ستمائة الف فى كل سبط خمسون الفا فلما خرجوا وبلغ الخبر فرعون قال لا تتبعوهم حتى يصيح الديك قال الراوى فوالله ما صاح الديك ليلة
ذلك فلما اصبحوا دعا فرعون بشاة فذبحت ثم قال لا افرغ من تناول كبد هذه الشاة حتى يجتمع الى ستمائة الف من القبط قال قتادة فاجتمع اليه
الف الف ومائتا الف كل واحد منهم على فرس حصان فتبعوهم نهارا وهو قوله فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ اى بعد طلوع الشمس فلما صار بهم موسى
الى البحر قال له يوشع بن نون اين امرك ربك فقال له موسى الى امامك واشار الى البحر فاقتحم يوشع فرسه فى البحر وكان يمشى فى الماء حتى بلغ الغمر فسبح الفرس
هو عليه ثم رجع وقال له يا موسى اين امرك ربك فقال البحر والله ما كذبت وما كذبت ففعل ذلك ثلث مرات فاوحى الله تعالى اليه اَنِ اضْرِبْ
بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فانشق البحر اثنا عشر طريقا فقال له ادخل وكان فيه وحل فهب الصبا فجف البحر حتى صار طريقا يبسا فاخذ كل سبط منهم طريقا و
دخلوا فيه فقالوا لنبيهم اين اصحابنا لا نريهم فقال موسى سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نريهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على حيطان الماء فصارت فيها كوى فتراأوا وتسامعوا كلامهم ثم اتبعهم فرعون
فلما بلغ شاطئ البحر رأى ابليس واقفا فنهاه عن الدخول فهم بان لا يدخل البحر فجاء جبريل على مهرة فتقدم وهو كان على فحل فتبعه فرس فرعون
ودخل البحر فصاح ميكائيل بهم الحقوا آخركم باولكم فلما دخلوا البحر بالكلية امر الله تعالى الماء حتى نزل عليهم فذلك قوله تعالى وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
قبل ذلك اليوم كان يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى ومعنى قوله وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ انكم ترون التطام امواج البحر بفرعون
وقومه وقيل ان قوم موسى سألوا ان يريهم الله تعالى حالهم فسأل موسى ربه فلفظهم البحر الف الف ومائة الف نفس فنظروا اليهم وقيل المراد
وانتم بالقرب منهم قال الفراء وهو مثل قولك لقد ضربك واهلك ينظرون اليك فما اغاثوك تقول ذلك اذا قرب اهله منه وان كانوا
لا يرونه ومعناه راجع الى العلم قال اهل الاشارة البحر هو الدنيا وماؤه شهواتها ولذاتها وموسى القلب وقومه صفات القلب وفرعون
النفس الامارة وقومه صفاتها والعصا عصى الذكر فينفلق بحر الدنيا بتفليق لا اله ويتشكل ماء شهواتها يمينا وشمالا ويرسل الله تعالى
ريح العناية وشمس الهداية على قعر بحر الدنيا فيصير يابسا من ماء الشهوات فيخوض موسى القلب وصفاته فيعبرونه وينجيهم عناية الله الى
ساحل وان الى ربك المنتهى ويغرق فرعون النفس وقومه والله تعالى اعلم ولما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون
اليه وعد الله موسى ونسبه موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم ان ينزل عليه التوراة وضرب له
ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وانما قيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالى قال اهل التحقيق لان الليلة وقت العبادة والخلوة فخصت بالذكر
لشرفها ولعدد الاربعين خاصية لن ينكرها اهل الذوق ولهذا جاء فى الحديث من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه
على لسانه والجنين يتقلب فى الاطوار فى الاربعينات قال ابو العالية وبلغنا انه لم يحدث حدثا فى الاربعين ليلة حتى هبط من الطور ولا بد
من تقدير مضاف اى انقضاء اربعين كقولك اليوم اربعون يوما منذ خرج فلان اى تمام الاربعين ومن قرأ واعدنا من المواعدة فمعناه
ان الله تعالى وعده الوحى ووعد هو المجيء للميقات الى الطور وذكر الاربعين ههنا مجمل وتفصيله فى الاعراف كقوله ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فصل ولا اجمال ومعنى ثم فى قوله ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ استبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم
مناسبته له لانه تعالى لما وعد موسى حضور الميقات لانزال التوراة عليه بحضرة السبعين تنبيها للحاضرين وتعريفها للغائبين واظهارا
لدرجة موسى وسائر بنى اسرائيل واتوا عقيب ذلك بما يشنع من انواع الجهل والكفر كان ذلك فى محل التبعيد والتعجيب كما تقول انى احسنت اليك وفعلت
كذا وكذا ثم انك تقصدنى بالسوء والايذاء والاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ
الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ وقد اجرى تخذ مجرى الافعال القلبية فى الدخول على المبتدأ والخبر
نحو جعل وصير والتقدير اتخذتم العجل الها الا انه حذف الثانى للعلم به لذكره فى مواضع اخر منها فى طه فقالوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ وقوله من بعده
من بعد مضيه الى الطور قال اهل السير لما ذهب موسى الى الطور وكان قد بقى مع بنى اسرائيل الثياب والحلى الذى استعاروها من القبط قال لهم
هرون ان هذه الثياب والحلى لا تحل لكم فاحرقوها فجمعوا نارا واحرقوها وكان السامرى فى مسيره مع موسى فى البحر نظر الى حافر دابة جبريل حين
تقدم فى البحر فقبض قبضة من تراب حافر تلك الدابة ثم ان السامرى اخذ ما كان معه من الذهب فصور منه عجلا والقى فيه ذلك التراب فخرج منه
صوت كانه الخوار فقال هذا الهكم واله موسى فاتخذه القوم الها لانفسهم ولهذا وصفهم الله تعالى بالظلم فى قوله وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ كما قال
إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وذلك ان الظلم وضع الشيء فى غير موضعه والمشرك وضع الاخس الاشياء مكان اشرف الموجودات والواو فى وانتم اما
للحال واما للاعتراض اى وانتم قوم من عادتكم الظلم وقال اهل التحقيق ان لكل قوم عجلا يعبدونه قال عليه السلام تعس عبد الدرهم تعس عبد الدنيا وتعس

عبد الحميد قال ما عبد اله ابغض الى الله من الهوى وفيه تقريع لليهود الذين جادلوا رسول الله صلعم وعادوه كانه قال هؤلاء انما يفتخرون باسلا
فهم ثم ان اسلافهم كانوا في البلادة والجهالة والعناد وتسلية للنبي صلعم مما كان يشاهد من شركي العرب واليهود والنصارى من الخلاف والمشاقة
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وتحذير للعقلاء من الجهل والتقليد ما اقطع شان الجهلة والمقلدة ما اقطع شان الجهل المقلد
رضوا بان يكون العجل الها وما رضوا بان يكون البشر نبيا وقد تحمل بعضهم لتصحيح واقعة عبدة العجل حيث استبعد وقوعها منهم مع انهم شاهدوا
تلك المعجزات الباهرة تكاد تكون قريبة من حد الالجاء في الدلالة على الصانع وصدق النبي صلعم ان السامري القى الى القوم ان موسى عم انما قدر
عليها انه كان يتخذ طلسمات على قوى فلكية فقال للقوم ما اتخذ لكم طلسما مثل طلسمه دروج عليهم ذلك بان جعله بحيث خرج منه صوت
عجيب واطمعهم في صيرورتهم مثل موسى في اتيان الخوارق او لعل القوم كانوا مجسمة وحلولية يجوزوا حلول الاله في الاجسام فوقعوا في تلك الشبهة
الركيكة وههنا يظهر التفاوت بين امة موسى وامة محمد صلعم فانهم بعد مشاهدة الايات العظام القريبة من الافهام عبدوا الاصنام بل الانعام
وامة محمد صلعم مع ان معجزتهم القران الذي لا يعرف اعجازه الا بالنظر الدقيق والبحث العميق لم يختالفوا فيه طرفة عين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله لا يزيغون عن سواء السبيل ولا يميلون الى معتقدات اهل الاباطيل مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل قوله ثم عفونا عنكم اي حين تبتم بان قتلتم انفسكم من بعد ذلك الامر العظيم الذي ارتكبتموه من اتخاذ العجل لعلكم تشكرون نعمة
العفو ومعنى الترجي في كلام الله تع قد مر في قوله لعلكم تتقون الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق و
الباطل يعني التورية نحو رايت الغيث والليث يريد الرجل الجامع بين الجود والجراة او التورية والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا
واليد وغيرهما من الايات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر ولا يلزم التكرار لانه لم يبين هنالك ان ذلك لاجل
موسى وفي هذه الاية بين ذلك التخصيص على سبيل التنصيص وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يعني يوم بدر
وقيل اتينا موسى التورية ومحمد الفرقان لكي تهتدوا به يا اهل الكتاب وفيه تعسف واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم
باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم وچون گفت موسى مر قوم خود را كه اى قوم شما ستم كرديد بر ذات خود
بفرا گرفتن شما گوساله را پس باز گرديد بسوى آفريننده خود پس بكشيد نفسهاى خود را اين بهتر است از براى شما نزد خدا فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون پس قبول كرد توبه شما را بدرستيكه او توبه پذير مهربان است وچون
گفتيد اى موسى نگرويم از براى تو تا كه ببينيم خدا را آشكارا پس دريافت شما را صاعقه و شما نظر ميكرديد ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم پس زنده كرديم شما را از پس مردن شما شايد كه سپاس كنيد
وسايبان كرديم بر شما ابر را وفرستاديم بر شما من وسلوى را كه بخوريد از پاكيزه هاى آنچه روزى كرديم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
القراءة بارئكم بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو وطريق ابي الزعراء وعبد الرحمن بن عبدوس و ستم نكردند ما را وليكن بودند كه خود را ستم ميكردند
قرأ ابو عمرو بالاختلاس وهو مدغما وغير عباس كذلك كل ما كان بينهما ياء او واو ملفوظة مثل من دونه وهو انه هو واشباه ذلك حتى
حيث كان بالامالة نصير والعجلي نرى الله مكسورة الراء روى عن ابن عباس وابو عمرو شعيب عن اليزيدي وكذلك كل ياء بعدها ياء
استقبلها الف ولام مثل ولو يرى الذين الزيدي النصارى المسيح جهرة مفتوحة الهاء قتيبة السلوى بالامالة الشديدة حمزة وعلي وخلف وقرأ
ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مثال فعلى الوقوف فاقتلوا انفسكم ط عند بارئكم ط لان التقدير ففعلتم فتاب عليكم ط
الرحيم تنظرون تشكرون السلوى ط ما رزقناكم ط يظلمون التفسير انه سبحانه نبههم على عظم ذنبهم ثم على ما به يتخلصون منه وذلك
من اعظم النعم في الدين وايضا لما امرهم بالقتل ورفع ذلك الامر عنهم قبل فنائهم بالكلية كان ذلك نعمة في حق اولئك الباقين وفي اعقابهم
الى زمن محمد صلعم وايضا لما بين ان توبة اولئك ما تمت الا بالقتل ظهر ان بعثة محمد صلعم لهم نعمة ورحمة لانه لا يامرهم بشيء من ذلك متى رجعوا
عن كفرهم وفيه ترغيب لامة محمد صلعم في التوبة فان امة موسى لما رغبوا في تلك التوبة مع نهاية مشقتها على النفس فلان يرغب احدنا في مجرد
الندم كان اولى هذا وقد مر ان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الا انه لا بد فيه من تعدى ضرر فبين ههنا ان الضرر انما يعود الى انفسهم
فبذلك استحقوا الابدي العذاب والفرق بين الفاءات الثلث في الاية ان الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب ما لان
المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم على ان التوبة مفسرة بقتل النفس في شرعهم لا بالندم واما لان القتل تمام توبة المرتد في شرعهم
والمعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم كما ان القاتل عمدا الاثم توبته في شرعنا الا بتسليم النفس حتى يرضى اولياء المقتول ويقتلونه
ومعنى الى بارئكم النهي عن الرياء في التوبة كانه قيل لو اظهرتم التوبة لا عن القلب فانتم ما تبتم الى الله وانما تبتم الى الناس وقوله ذلكم اي القتل
خير لكم عند بارئكم جملة معترضة يفيد التنبيه على ان ضرر الدنيا اهون من عذاب الاخرة اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والموت لا بد
واقع فليس في تحمل القتل الا التقديم والتاخير والثالثة هي الفاء الفصيحة اي المفصحة عن محذوف تقديره فامتثلتم فتاب عليكم فعلى هذا يكون
الكلام خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات ويمكن ان يقال المحذوف شرط منتظم في جملة قول موسى كانه قال فان فعلتم فقد تاب

عليكم وانما اختص هذا الموضع بذكر البارئ لان معناه كما مر في الاسماء الذي خلق الخلق على الوجوه الموافقة للمصالح والاغراض ففيه تقريع لما كان
منهم في ترك العبادة العليم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة برأ من التناقض والتحاكم والمفاسد الى عبادة العجل الذي هو مثل في
البلادة والغباوة فلا جرم كان جزاؤهم تفكيك ما ركب من خلقهم وتبديد ما نظم من اشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها باتخاذ من لا
يقدر على شيء منها والمراد بقتل الانفس اما ما يقتضيه ظاهر اللفظ وهو ان يقتل كل واحد نفسه والقتل اسم للفعل المؤدي الى زهوق الروح
في الحال او في المآل واما قتل بعضهم بعضا وعليه المفسرون لقوله ولا تقتلوا انفسكم فسلموا على انفسكم وذلك ان المؤمنين كنفس واحدة ثم اختلفوا
فقيل انه امر من لم يعبد العجل من السبعين المختارين لحضور الميقات ان يقتل من عبد العجل منهم وقيل لما امرهم موسى بالقتل اجابوا فاخذ
عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا الذين ما عبدوا العجل وبايديهم السيوف
فقال ان هؤلاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين السيوف فاخشوا بافنية بيوتكم واتقوا واصبروا فلعن الله رجلا قام من مجلسه او مد طرفه اليهم او اتقاهم
بيد او رجل وهم يقولون آمين وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء
لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء وقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت بنو اسرائيل البقية البقية فانكشفت الضبابة
والسحابة واوحى الله تعالى اليه قد غفرت من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا وقيل كانوا قسمين منهم من عبد العجل ومنهم
من لم يعبد لكن لم ينكر على من عبده فامر من لم يشتغل بالانكار بقتل من اشتغل بالعبادة والقائلون بان العجل عجل الهوى قالوا معنى قتل
الانفس قمع الهوى لان الهوى حيوة النفس قوله واذ قلتم يا موسى ذهب بعض المفسرين الى ان هذه الواقعة كانت قبل ان كلف الله عبدة العجل
القتل قال محمد بن اسحق لما رجع موسى من الطور الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لاخيه والسامري ما قال واحرق العجل
ونسفه في اليم اختار سبعين رجلا من خيارهم فلما خرجوا الى الطور قالوا لموسى سل ربك حتى نسمع كلامه فسأل موسى ربه فاجابه الله
فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود من الغمام وتغشى الجبل كله ودنا موسى من ذلك الغمام حتى دخل فيه فقال للقوم ادخلوا وكان موسى متى
كلمه ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني اسرائيل النظر اليه وسمع القوم كلام الله مع موسى يقول له افعل ولا تفعل ومن جملة الكلام
اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما تم الكلام انكشف عن موسى الغمام الذي دخل
فيه فقال القوم بعد ذلك لن نؤمن لك اي لن نصدقك ولن نقر بنبوتك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة
والدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على نحو انتصاب قعد القرفصاء لان هذه نوع
من الرؤية كما ان تلك نوع من القعود ويحتمل ان يكون نصبها على الحال بمعنى ذوي جهرة ومن قرأ جهرة بفتح الهاء فاما لانه مصدر جمع
جاهر وانما اكدوا بهذا لئلا يتوهم ان المراد بالرؤية العلم والتخيل على ما يراه النائم فاخذتكم الصاعقة وهي ما صعقهم اي اماتهم قيل
نار وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وصعقة موسى في قوله وخر موسى صعقا لم تكن موتا ولكن غشية بدليل فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم
تنظرون فرفع موسى يديه الى السماء يدعو ويقول الهي اخترت من بني اسرائيل سبعين رجلا ليكونوا شهودي بقبول توبتهم فارجع
اليهم وليس معي واحد فما الذي يقولون في فلم يزل يدعو حتى رد الله اليهم ارواحهم وذلك قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت ونعم الله بعد ما كفرتموها فطلب توبة بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم وقيل ان هذه
الواقعة كانت بعد القتل قال السدي لما تاب بنو اسرائيل عن عبادة العجل بان قتلوا انفسهم امر الله ان يأتيه موسى في ناس من بني اسرائيل
يعتذرون اليه من عبادتهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا فلما اتوا الطور قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وماتوا فقام موسى يبكي ويقول يا رب ماذا اقول لبني اسرائيل فاني امرتهم بالقتل ثم اخترت من بينهم هؤلاء فاذا رجعت اليهم ولا
يكون معي احد منهم فماذا اقول لهم فاوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل الها فقال موسى ان هي الا فتنتك فاحياهم الله
تعالى فقاموا ونظر كل واحد الى الآخر كيف يحييه الله تعالى فقالوا يا موسى انك لا تسأل الله شيئا الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا
بذلك فاجاب الله دعوته هذا ما قال المفسرون وليس في الآية ما يدل على ترجيح احد القولين على الآخر ولا على ان الذين سألوا الرؤية
عبدة العجل ام لا والصحيح ان موسى لم يكن من جملة الصعقين في هذه الواقعة لان الخطاب مشافهة ولانه لو تناوله لوجب تخصيصه بقوله
في حق موسى فلما افاق ومع ان لفظة الافاقة لا يستعمل في الموت ثم في الآية فوائد منها التحذير لمن كان في زمان نبينا عن فعل ما يستحق بسببه
ان يفعل به ما فعل باولئك ومنها تشبيه جحودهم معجزات النبي بجحود اسلافهم نبوة موسى مع مشاهدتهم لعظم تلك الآيات ليتنبهوا انه
انما لا يظهر على النبي مثلها لعلمه بانه لو اظهرها لجحدوها ولو جحدوها لاستحقوا العقاب كما استحقه اسلافهم ومنها التسلية للنبي وتثبيت
لفؤاده كي يصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ومنها ازالة الشبهة من يقول ان نبوة محمد لو صحت لكان اولى الناس بالايمان به اهل الكتاب
حيث نبهم على تواتره وذلك انه تعالى بين ان اسلافهم بعد مشاهدة تلك الآيات كانوا يرتدون في كل وقت ويتحكمون عليه فكيف يتعجب

من مخالفيهم محمدا صلى الله عليه وسلم وان وجدوا في كتبهم اخبار نبوته صلى الله عليه وسلم ومنها لما اخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه القصة مع كونه اميا تبين ان ذلك من الوحي
بقي ههنا بحث وهو ان المعتزلة استدلوا بالاية على امتناع رؤية الله تعالى لانها لو كانت جائزة الوقوع لم تنزل بهم العقوبة كما لم تنزل
بهم حين التمسوا النقل من قوت الى قوت في قولهم لن نصبر على طعام واحد واجيب بان امتناع رؤيته في الدنيا لا يستلزم امتناع رؤيته
في الاخرة الذي هو محل النزاع فلعل رؤيته يقتضي زوال التكليف عن العبد والدنيا مقام التكليف وايضا اقتراح دليل زائد على صدق
المدعي بعد ثبوته تعنت وايضا لا يمتنع ان الله تعالى علم فيه مفسدة كما علم في انزال الكتاب من السماء يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا
من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فلهذا جاز الاستنكار لان مطالبة الرؤية جهرة مطالعة الذات
غفلة وفيه من سوء الادب وترك الحرمة ما لا يستحسنه قضية العزة والحشمة قوله تعالى وظللنا اي جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه كما سيجيء
في المائدة سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس واطل ضوءان وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ
ولا تبلى واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله كما كان لادم قبل الزلة وانزلنا عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الشمس
لكل انسان صاع لا ازيد وبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه لا ازيد قال مجاهد المن صمغ حلو وهب
هو الخبز السميذ الزجاج هو ما من الله تعالى به عليهم هذا كما يروى مرفوعا الكمأة من المن وفيها شفاء العين وقيل السلوى العسل وقيل طائر
احمر كلوا على ارادة القول اي قلنا لهم كلوا من طيبات من حلالات ما رزقناكم وهذا للاباحة وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم
فجعلوا موضع الشكر كفرا وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وبال الظلم عائد عليهم لا الى
غيرهم ولا الى الله تعالى وانما قال ههنا وفي الاعراف والتوبة والروم بزيادة لفظة كانوا لانها اخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا بخلاف قوله في ال
عمران ولكن انفسهم يظلمون لانه مثل والله اعلم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم و سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون

ووقتی که گفتیم که داخل شوید این قریه را پس بخورید از آن هر چند که خواهید فراوان و داخل شوید در را سجده کنندگان و بگوئید بیامرزیم گناهان شما را و زود است که بیفزائیم نیکوکاران را پس تبدیل کردند آنان که ستم کردند گفتاری غیر آنکه گفته شد ایشان را پس فرستادیم بر آنان که ستم کردند عذابی از آسمان بجهت بدکاری ایشان

القراءة يغفر لكم بضم الياء التحتانية وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وحيلة تغفر بضم التاء الفوقانية وفتح
الفاء ابن عامر وابو زيد عن المفضل الباقون نغفر بالنون وكسر الفاء يغفر لكم مدغما كل القراء ابو عمرو خطاياكم بالامالة علي تو لا غير
بالاخفاء يزيد وابو نشيط عن قالون وكذلك يخفيان النون والتنوين عند الخاء والغين سواء وسط الكلمة او اولها الوقوف خطاياكم ط
المحسنين ه يفسقون ه التفسير القرية مجتمع الناس من قريت الماء في الحوض اي جمعت وبهذا الاعتبار كثيرا ما يطلق القرية على البلدة والجمع
القرى على غير قياس وانما قياسه من المعتل اللام فعال كخود كوة وركاء وظبية وظباء والنسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس
حيث قال ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه النسبة اليها قروي وهو على القياس عند يونس حيث قال
ظبوي في النسبة الى ظبية وعلى خلاف القياس عند الخليل وسيبويه حيث يقولان ظبي على مثال الصحيح والقرية بيت المقدس وقيل اريحا
من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه وقيل الباب باب القرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة
موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب تواضعا وشكرا لله تعالى وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم باخبات
وخشوع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم ودخلوا متزحفين على ادبارهم من الزحف وهو المشي على الادبار وحطة فعلة من الحط
كالجلسة خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة وامرك واصله النصب معناه اللهم حط عنا ذنوبنا حطة فرفعت لافادة الثبوت
كقوله شعر شكا الي جملي طول السرى : يا جملي ليس الي المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى : الاصل صبرا اي اصبر صبرا كان الامر القوم امروا
ان يدخلوا الباب على وجه الخضوع وان يذكروا بلسانهم التماس حط الذنوب حتى يكونوا جامعين بين ندم القلب وخضوع الجوارح
والاستغفار باللسان وذلك ان التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها فاذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه ان يحكي توبته
لمن شاهد منه الذنب لا لان التوبة لا تتم الا به اذ الاخرس يصح توبته وان لم يوجد منه الكلام بل لاجل تعريف الغير عدوله عن الذنب الى
التوبة ولازالة التهمة عن نفسه وكذا من عرف بمذهب خطاء ثم تبين له الحق فانه يلزمه ان يعرف اخوانه الذين عرفوه بالخطاء عدوله عنه
ليزول التهمة عنه في الثبات على الباطل وليعودوا الى موالاته بعد معاداته ويحسنوا الظن به وعن ابي مسلم الاصفهاني ان معناه امرنا
حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها واصل الغفر الستر والتغطية ومعنى القراءات في نغفر لكم واحد لان الخطيئة اذا غفرها الله
فقد غفرت فانما يغفرها الله والفعل اذا تقدم الاسم المؤنث وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتانيث والخطاء الذنب
قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا تقول منه خطئ يخطأ خطأ وخطاء على فعلة والاسم الخطيئة على فعيلة وجمعها خطايا واصله خطائي
بياء ثم همز ابدلت الهمزة الفا فنحت الياء لاجلها وسنزيد المحسنين المفعول الثاني محذوف للعلم به لمكان الفاصلة اي سنزيدهم احسانا

اثوابا وسعة وذلك ان المراد من المحسنين اما من هو محسن بالطاعة في هذا التكليف واما من هو محسن بطاعات اخرى في سائر التكاليف وعلى الاول فالزيادة الموجودة اما منفعة دنيوية فالمعنى ان المحسن بهذه الطاعة نزيده سعة في الدنيا ونفتح عليه قرى غير هذه القرية واما منفعة دينية اي المحسن بهذا نزيده على غفران الذنوب بغفران ثوابا جزيلا وعلى الثاني فالمعنى انا نجعل دخولكم الباب سجدا وقولكم حطة مؤثرا في غفران الذنوب ثم ان اتيتم بعد ذلك بطاعات اخرى زدناكم ثوابا ويحتمل ان يكون المراد انهم صنفان فمن مخطئ يصير الكلمة سببا للغفران ومن محسن يصير سببا للزيادة ثوابه قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قال ابو البقاء التقدير فبدلوا بالذي قيل لهم قولا غير الذي قيل لهم فبدل يتعدى الى مفعولين واحد بنفسه والاخر بالباء والذي مع الباء يكون هو المتروك والذي بغير باء هو الموجود ويجوز ان يكون بدل بمعنى قال لان تبديل القول يكون بقول فالمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به لم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ معين هو لفظ حطة فجاؤا بلفظ اخر لانهم لو جاؤا بلفظ اخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك واللهم اعف عنا ونحو ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية والنبط قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين حطه سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلعم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي تكرير الذين ظلموا ووضع المظهر موضع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وهو ان وضعوا غير ما امروا به مكان ما امروا به والرجز العذاب عن ابن عباس مات بالفجاءة منهم اربعة وعشرون الفا في ساعة واحدة وقال ابن زيد بعث الله عليهم الطاعون حتى مات من الغداة الى العشي عشرون الفا وقيل سبعون الفا ومعنى من السماء يحتمل ان يكون شيئا نازلا من جهة العلو كبرد ونحوه ويحتمل ان يراد من قبل الله انما نزل من عند الله تقطيعا لشان العذاب والفسق هو الخروج عن طاعة الله الى معصيته بارتكاب الكبيرة فالمراد بما كانوا يفسقون اما الظلم المذكور وفائدة التكرار التاكيد واما ان يراد انهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل ونزول الرجز عليهم من السماء بالفسق الذي كانوا يفعلون قبل ذلك التبديل مستمرا او ان هذا الظلم وهذا اظهر لزوال التكرير ولان لفظة كانوا منبئ عن خصلة مستمرة والخصلة الواحدة المعينة لا يتصور فيها الاستمرار فلو كان المراد ذلك لقيل بما فسقوا وربما احتج اصحاب الشافعي بقوله تعالى فبدل الذين ظلموا انه لا يجوز تحريم الصلوة بلفظ التمجيد والتعظيم والتسبيح ولا يجوز القراءة بالفارسية وكذا لا يجوز تبديل ما ورد به التوقيف من الاذكار بغيرها واجيب بانهم انما استحقوا الذم لتبديلهم القول الى قول اخر يضاد معناه معنى الاول فلا جرم استوجبوا الذم فاما ان غير اللفظ مع بقاء المعنى فليس كذلك ورد بان ظاهر الاية يتناولها ولكل من بدل قولا بقول اخر سواء اتفق القولان في المعنى او لم يتفقا سؤال لم قال في البقرة واذ قلنا وفي الاعراف واذ قيل لانه صرح بالفاعل في اول القران ازالة للابهام ولان الكلام مرتب على قوله اذكروا نعمتي وفي الاعراف لم يبق الابهام ولم قال ههنا ادخلوا وهناك اسكنوا لان الدخول مقدم على السكون والبقرة مقدمة في الذكر على الاعراف ولم قال في البقرة فكلوا وفي الاعراف وكلوا بالواو لما بينا في قوله وكلا منها رغدا وفي الاعراف فكلا ولم قال في البقرة خطاياكم وفي الاعراف قرئ خطيئاتكم لان الخطايا جمع الكثرة والخطيئات جمع السلامة للقلة وقد اضاف القول ههنا الى نفسه فكان اللائق بكرمه غفران الذنوب الكثيرة وهناك لم يذكر الفاعل فلم يكن ذكر اللفظ الدال على الكثرة واجبا ولمثل هذا الجواب ذكر ههنا رغدا الدال على الانعام الاتم ولم يذكره في الاعراف ولم قال ههنا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الاعراف بالعكس لان الواو للجمع المطلق ولان المخاطبين صنفان محسن ومذنب واللائق بالمحسن تقديم العبادة والخضوع ثم ذكر التوبة على سبيل هضم النفس وازالة العجب واللائق بالمسيء عكس ذلك ولانه ذكر في هذه السورة ادخلوا هذه القرية فقدم كيفية الدخول ولم قال في البقرة وسنزيد وفي الاعراف سنزيد لانه في الاعراف ذكر امرين قول الحطة وهو اشارة الى التوبة ودخول الباب وهو اشارة الى العبادة ثم ذكر جزائين احدهما الغفران احدها الغفران والاخر الزيادة فترك الواو ليفيد توزيع الجزائين على الشرطين وفي البقرة وقع مجموع المغفرة والزيادة جزاء لمجموع الفعلين اعني دخول الباب وقول الحطة فاحتيج الى الواو وايضا لاتصال اللفظ حاصل في هذه السورة بين قوله واذ قلنا وقوله وسنزيد بخلاف الاعراف لان اللائق به في الطي سنزيد فحذف الواو ليكون استئنافا للكلام وما الفائدة في زيادة كلمة منهم في الاعراف لان اول القصة مبني على التخصيص من قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فذكر ان منهم من يفعل ذلك ثم عدد صنوف انعامه واوامره عليهم فلما انتهت القصة قال فبدل الذين ظلموا منهم فهناك ذكر امة عادلة وههنا ذكر امة جائرة فصار اخر الكلام مطابقا لاوله واما في البقرة فلم يذكر في اوائل الايات تمييزا وتخصيصا حتى يلزم في اخر القصة مثل ذلك لم قال في البقرة فانزلنا وفي الاعراف فارسلنا لان الانزال يفيد حدوثه في اول الامر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وذلك انما يحدث بالاخرة وقيل لان لفظ الارسال في الاعراف اكثر فروعي التناسب لم قال في البقرة بما كانوا يفسقون وفي الاعراف يظلمون لانه لما بين في البقرة كون الظلم

فقد اكتفى بذلك البيان في الاعراف وايضا انهم ظلموا انفسهم وخرجوا عن طاعة الله تعالى ثم وصفهم بالاسرين في موضعين والله اعلم

وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوْا وَاشْرَبُوْا ع٧

وچون خواهش آب کرد موسی از برای قوم خود پس گفتیم که بزن بعصای خود سنگ را پس روان گردید از ان دوازده چشمه که دانست هر گروهی جای آب خوردن خود را بخورید

مِنْ رِّزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ۝ وَاِذْ قُلْتُمْ يٰمُوْسٰى لَنْ نَّصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَّاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا

از روزی خدا و مپاشید در زمین فساد کنندگان و چون گفتید که ای موسی شکیب نداریم بر یک خوردنی پس بخوان از جهه ما پروردگار خود را که برآرد

تُنْۢبِتُ الْاَرْضُ مِنْۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِيْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا

میرویاند زمین از سبزی آن و خیار آن و سیر آن و عدس آن و پیاز آن گفت که آیا بدل میکنید ازان آن چیزیکه فروتر است با آنکه آن بهتر است فرود آیید در شهری

فَاِنَّ لَكُمْ مَّا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ ع٨

پس هر آینه از برای شماست آنچه خواستید و زده شد بر ایشان خواری و بینوائی و برگشتند با غضب خدا این بجهت آنست که بودند کافران بآیات خدا و میکشتند

النَّبِيّٖنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ ۝ القراءة عامة القراء اثنتا عشرة بسكون الشين للتخفيف عليهم الذلة بضم

پیغمبران را بدون حق این بجهت آنست که بودند که در میگذشتند

الهاء والميم حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب كذلك كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وافق سهل اذا كان قبل الياء فتحة فقط وقرأ ابو عمرو بكسر الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم النبيين وبابه بالهمزة نافع الا في موضعين في الاحزاب ان وهبت نفسها للنبي وبيوت النبي الا قرئ اسماعيل قالون عنه بغير همزة الوقوف الحجر ط على الحذف اي فضرب فانفجرت عينا ط مشربهم ط مفسدين ٥ وبصلها ط هو خير ط سألتم ط لان قوله وضربت ابتداء اخبار عما يؤل اليه حالهم من الله بغير الحق ط يعتدون ٥ التفسير جمهور المفسرين سوى ابي مسلم على ان هذا الاستسقاء كان في التيه عطشوا فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اما العصا فقال الحسن كانت عصا اخذها من بعض الاشجار وقيل كانت من الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة واما الحجر فاللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه كان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل ورماه بنو اسرائيل بالادرة ففر به فقال له جبرئيل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في الحجة وابين في القدرة ثم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه واما الصفة والشكل فقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل له اربعة اوجه كما مر وهذا اذا لم يعتبر الهوفاني ومقابله واما الضرب فقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون والفاء في قوله فانفجرت فاء فصيحة كما سبق في فتاب عليكم وفي هذا الحذف دلالة على ان موسى لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به والانفجار والانبجاس واحد ومعناه خروج الماء بسعة وكثرة واصل الفجر الشق ومنه الفاجر لانه يشق عصا المسلمين بخالفتهم وقيل الانبجاس خروج الماء قليلا ووجه بان الفجر في الاصل هو الشق والبجس الشق الضيق فلا يتناقضان كما لا يتناقض المطلق والمقيد والعام والخاص ولعله انبجس اولا ثم انفجر ثانيا وكذا العيون تظهر الماء قليلا ثم يكثر لدوام خروجه ولعل حاجتهم تشتد تارة فينفجر وتضعف اخرى فينبجس قد علم كل اناس اي كل سبط مشربهم كانه امر كل سبط ان لا يشرب الا من جدول معين حسما لمادة التشاجر فان العادة في الرهط الواحد ان لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين وهذا ايضا من تمام النعمة عليهم انما فقد العاطف لان قوله قد علم بيان وتفصيل لما اجمل في قوله اثنتا عشرة كانه قيل هذا المجموع مشاع بينهم او مقسوم فقيل قد علم كلوا على ارادة القول اي وقلنا او قال لهم موسى كلوا من المن والسلوى الذي رزقنا كم بلا تعب ولا نصب واشربوا من هذا الماء وقيل ان الاغذية لا تنبت الا بالماء فلما اعطاهم الماء فكانما اعطاهم المأكول والمشروب والعثو اشد الفساد ومفسدين قيل نصب على الحال المؤكدة وهو ضعيف فان من شرطها ان تكون مقررة جملة اسمية وقيل حال منتقلة ومعناه النهي عن التمادي في حالة الافساد مطلقا او مقيدا بان وقع التنازع بسبب تلك المياه فلا تبالغوا في التنازع ويرد على هذا القول ان الافساد منهي عنه مطلقا وهذا التفسير يقتضي ان يكون المنهي عنه هو التمادي في الافساد لا نفس الافساد والصحيح ان يقال ان المنصوبات في نحو قوله عز من قائل ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم وليتم مدبرين وفي نحو قولهم تجاهلت غافلا وتمرقا ثما من الصفات القائمة مقام المصدر نحو قاعدا وقد سار الركب يعني في الاية بحث وهو انه كيف يعقل خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير والجواب على القول بالفاعل المختار ظاهر فانه ان يحدث اي فعل خارق شاء من غير ان يطلب له سببا وواسطة واما عند طالب الاسباب والوسائط فان العناصر الاربعة لها هيولى مشتركة عنده وجوزوا انقلاب صور بعضها الى بعض فجاز استمداد الماء الكائن في الحجر من الهواء المجاور له مثل هذا ما رواه انس انه اتى النبي باناء وهو بالزوراء

توضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة او زهاء ثلثمائة بل معجزة نبينا
اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة اما نبوعه من بين الاصابع فغير معتاد قال اهل الاشارة الروح الانساني وصفاته في عالم القالب
بمثابة موسى وقومه انه يستسقي بعد ما لا روائها من ماء الحكمة والمعرفة فيضرب بعصا لا اله الا الله ولها شعبتان من النفي والاثبات
تتقد انوارا عند استيلاء ظلمات النفس على حجر القلب فينفجر اثنتا عشرة عينا من ماء الحكمة بعدد حروف لا اله الا الله قد علم كل سبط من اسباط
الانسان وهي خمس حواس ظاهرة وخمس باطنة مع القلب والنفس مشربهم فيستوي في حظه بحسب مشربه قوله سبحانه واذ قلتم يا موسى الاية زعم
بعض المفسرين ان هذا السؤال منهم كان معصية فان اللائق بحال المكلف الصبر على ما ساقه الله تعالى اليه خصوصا اذا كان نعمة وعفوا وصفوا
ولا سيما اذا كان المسؤل ادون واحقر ولهذا انكره موسى عليهم قال أتستبدلون وقال الآخرون هو غير معصية لان قوله كلوا واشربوا
عند انزال المن والسلوى وانفجار الماء امر اباحة لا ايجاب ثم انهم كانوا اهل فلاحة فرغبوا الى ما الفوه ورغبة الانسان فيما اعتاده في اصل
التربية وان كان خسيسا فوق رغبته فيما لا يعتاده وان كان شريفا ولعلهم سئموا من التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد
وغرضهم البلاد وايضا المواظبة على الطعام الواحد تميت الشهوة وتضعف الهضم فيصح ان يكون التبدل مطلوبا للعقلاء ولهذا اجابهم الله تعالى
الى ما سألوا ولو كان معصية لم يجبهم الى ذلك اللهم الا ان يكون من قبيل من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وانما
وانما صح اطلاق الطعام الواحد على المن والسلوى لانهم ارادوا بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة
يداوم عليها ويأكلها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل فلان الا طعاما واحدا ويجوز ان يريدوا بهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترف ونحن اهل زراعة ما نريد الا ما الفناه ومعنى يخرج لنا يوجد ويظهر والبقل ما انبتته الارض من الخضر كالنعناع والكرفس والكراث
وغير ذلك من اطايب البقول التي يأكلها الناس عادة والقثاء الخيار والفوم الثوم ويدل عليه قراءة عبد الله وثومها وهو العدس والبصل
او ثوم قال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية ويقال هو الحنطة ومنه قولهم فوموا لنا اي اختبزوا قال الفراء هي لغة قديمة الذي هو ادنى اي
اقرب منزلة وادون مقدارا كقوله في ضده هو بعيد المحل وبعيد الهمة يعنون الرفعة والعلو اهبطوا مصرا اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين اثنا عشر فرسخا في ثمانية ومصرا ما مصر فرعون و
التنوين فيه في القراءات المعتبرة مع ان فيه العلمية والتانيث لسكون وسطه كما في نوح ولوط وفيهما العلمية والعجمية واما مصر من الامصار
كانه قيل لهم ادخلوا بلدا اي بلد كان لتجدوا فيه هذه الاشياء ولما ذكر الله سبحانه صنوف نعمه على بني اسرائيل اجمالا ثم تفصيلا اراد ان
يبين مآل حالهم ليكون عبرة للنظار وتبصرة لاولي الابصار وتحذيرا للانسان عن الجحود والكفران المستتبعين للخزي والهوان فقال
وضربت عليهم الذلة اي جعلت محيطة بهم مشتملة عليهم كالقبة المضروبة على الشخص او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين
على الحائط فيلصق به فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية
وهذا من جملة الاخبار عن الغيب الدال على كون القرآن وحيا نازلا من السماء على محمد هذا حالهم في الدنيا واما حالهم في العقبى فذلك
قوله وباؤا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه وهو ارادة
انتقامه ذلك الذي ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب بسبب كفرهم بآيات الله اي القرآن بل وبالتوراة لان الكفر به مستلزم
للكفر بها وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق اي من غير ما شبهة عندهم توجب استحقاق القتل
فان الاتي بالباطل قد يكون اعتقده حقا لشبهة عنت له وقد ياتي به مع علمه بكونه باطلا ولا شك ان الثاني اقبح وادخل في الحجة او كرر
للتاكيد نحو ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به ومحال ان يكون لمدعي الاله الثاني برهان والنبيء بالهمزة فعيل بمعنى فاعل من نبأ
عن الله تعالى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة غير انهم تركوا الهمزة في النبي كما تركوا في الذرية والبرية والخابية الا
اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف ولا يهمزون في غيرها ويخالفون العرب في ذلك وقيل اصله من نبا ينبو من ارض الى ارض اي خرجت منها الى
اخرى وهذا المعنى اراد الاعرابي بقوله يا نبيء الله اي يا خارج من مكة الى المدينة فانكر عليه الهمزة وقيل النبي بالادغام من النبوة وهي ما
ارتفع من الارض اي انه صلعم اشرف على سائر الخلق فعيل بمعنى مفعول والجمع انبياء وعلى الاول نبآء جمع على انبياء لان الهمزة لما ابدل بدل
والزم الابدال جمع جمع ما اصل لامه حرف علة ذلك بما عصوا تاكيد بتكريره الشيء بغير اللفظ الاول كقول السيد لعبده وقد احتمل منه
ذنوبا سلفت منه فعاقبه عند آخرها هذا بما عصيتني وخالفت امري هذا بما تجرأت علي واغتررت بحلمي ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر
والقتل على معنى انهما وافي العصيان والاعتداء حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او يكون الباء بمعنى مع اي ذلك
الكفر والقتل مع ما عصوا اي سائر انواع المعاصي واعتدوا حدود الله في كل شيء وقيل هو اعتداؤهم في السبت واعلم انه سبحانه لما ذكر انزال العقوبة بهم
بين سبب ذلك ولا بما فعلوه في حق الله وهو جهلهم بتوحيده وكفرهم لنعمه ثم ثناه بما يتلوه في العظم وهو قتل الانبياء ثم ثلثه بما يكون منهم من المعاصي
المتعدية الى الغير مثل الاعتداء والظلم وذلك في نهاية الترتيب قيل الاول اشارة الى متقدميهم والثاني اشارة الى من كان في عصر رسول الله

فكانه

فكانه تعالى بين بسبب طاعته اراد الفريقين من البلاء ليظهر للخلائق ان ذلك على قانون العدالة وقضية الحكمة فان قيل لم قيل ههنا ويقتلون النبيين بغير الحق وفي آل عمران ويقتلون النبيين بغير حق منكرا قلت الحق المعلوم فيما بين المسلمين الذي يوجب القتل ما في قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق فالحق المعرف اشارة الى هذا واما الحق المنكر فالمراد به تاكيد العموم اي لم يكن هناك حق لا هذا الذي يعرفه المسلمون ولا غيره البتة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ

بدرستیکه آنان که گرویدند و آنانکه جهودی یافتند و ترسایان و از دین برآمدگان کسی که گروید بخدا و روز واپسین و کرد

صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا

شایسته و مر ایشانراست مزدشان در نزد پروردگار ایشان و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهی ۝ و چون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را بگیرید

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ

آنچه دادیم شمارا بتوانائی و یاد آورید آنچه در تست شاید که بپرهیزید ۝ پس برگشتید از پس این پس اگر نبودی فضل خدا بر شما و مهربانی او هر آینه بودید

مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ۝ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ

از زیانکاران ۝ و بتحقیق دانستید آنها را که درگذشتند از شما در روز شنبه پس گفتیم بایشان که باشید بوزینه و راندگان ۝ پس گردانیدیم آنرا عبرت مر پیشینیان

يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ القراءة النصارى بالامالة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وورش من طريق البخاري والخراز عن هبيرة وكذلك كل راء بعدها ياء وروى قتيبة بكسر الصاد والراء وكذلك قوله سكارى واسارى

و مر از پس آیندگان و پند از برای پرهیزگاران

ويتوارى واوارى كلها بامالة ما قبل الالف الصابئين بغير همزة ابو جعفر ونافع وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الوقوف عند ربهم لنوع عدول عن اثبات الى نفي مع اتفاق الجملتين يحزنون الطور ط لان التقدير قلنا لكم خذوا تتقون من بعد ذلك ج لان لولا للابتداء وقد دخل الفاء فيه الخاسرين خاسئين ج للاية والعطف بالفاء للمتقين التفسير قد جر الكلام في الاي المتقدمة الى وعيد اهل الكتاب من يقفوا آثارهم فقرن به ما يتضمن الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب مع الترهيب فقال ان الذين آمنوا واختلف المفسرون ههنا لان قوله في آخر الاية من آمن يدل على ان المراد من قوله آمنوا شيئا آخر كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا فعن ابن عباس المراد ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بعيسى عليه السلام مع البراءة من اباطيل اليهود والنصارى كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وسلمان الفارسي وابي ذر الغفاري كانه قيل ان الذين آمنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل اليهود والذين كانوا على الدين الباطل النصارى كل من آمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بالله واليوم الآخر وبمحمد فلهم اجرهم وعن سفيان الثوري ان الذين آمنوا باللسان دون القلب هم المنافقون والذين هودوا يقال هاد يهود وهود اذا دخل في اليهودية والنصارى والصابئين كل من اتى منهم بالايمان الحقيقي فلهم كذا وقيل الذين آمنوا هم المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة وهو عائد الى الماضي كانه قيل ان الذين آمنوا في الماضي واليهود والنصارى والصابئين كل من آمن منهم وثبت على ذلك في المستقبل واستمر واشتقاق اليهود قيل من قولهم انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا وعن ابن عباس نسبوا الى يهوذا اكبر ولد يعقوب وقيل لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة واشتقاق النصارى قيل من ناصرة قرية كان ينزلها عيسى عليه السلام قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل لتناصرهم فيما بينهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل لان عيسى عليه السلام قال للحواريين من انصاري الى الله وواحد النصارى نصران ونصرانة مؤنثه والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري والصابئين بالهمزة اشتقاقه من صبأ الرجل صبوا اذا خرج من دينه الى دين آخر وكانت العرب يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا لانه صلى الله عليه وسلم اظهر دينا على خلاف دينهم عن مجاهد والحسن هم طائفة من اليهود والمجوس لا يؤكل ذبائحهم ولا ينكح نساؤهم وعن قتادة قوم يعبدون الملائكة ويصلون للشمس كل يوم خمس مرات وقيل هو الاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب ثم فيهم قولان الاول ان خالق العالم هو الله سبحانه الا انه امر بتعظيم هذه الاجرام واتخاذها قبلة للصلوة والدعاء والثاني انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وفوض التدبير اليها فيجب على البشر تعظيمها لانها هي الالهة المدبرة لهذا العالم ثم انها تعبد الله سبحانه وينسب هذا المذهب الى الكلدانيين الذين جاءهم ابرهيم عليه السلام فبين الله تعالى ان هذه الفرق الاربع اذا آمنوا بالله ويدخل فيه تمم الايمان بكل ما اوجبه كالايمان برسله وآمنوا باليوم الآخر وبما وعد فيه فان اجرهم متيقن جار مجرى الحاصل عند الله تعالى ومحل من آمن رفع على انه مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او على انه بدل من اسم ان والمعطوفات عليه وخبر ان فلهم اجرهم والفاء لتضمن من او الذين معنى الشرط قال في البرهان قدم النصارى على الصابئين لانهم اهل كتاب وعكس الترتيب في الحج لان الصابئين مقدم على النصارى بالزمان وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ واخرهم في التقدير لان تقديره والصابئون كذلك قوله سبحانه واذ اخذنا ميثاقكم مخاطبة فيها معاتبة لاشتمالها على تذكير النعم وتقرير النعم وللمفسرين في هذا الميثاق اقوال احدها انه ما اودع الله العقول من الدلائل الدالة على وجود الصانع وقدرته وحكمته وعلى صدق انبيائه ورسله وهو اقوى المواثيق والعهود لانه لا يحتمل الخلف والكذب والتبديل بوجه من الوجوه وهو قول الاصم ثانيها ما روي عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ان موسى عليه السلام لما رجع من عند ربه بالالواح فرأوا ما فيها من الاخبار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها امر جبرئيل بقلع

وجه تسمية اليهود

وجه تسمية النصارى

الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القى عليكم فحينئذ قبلوا واعطوا الميثاق وعن ابن عباس ان لله ميثاقين الاول حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على انفسهم والثاني انه الزم الناس متابعة الانبياء والمراد ههنا هو هذا العهد وانما قال ميثاقكم ولم يقل مواثيقكم للعلم بذلك كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد منكم او اخركم والواو في ورفعنا اما واو عطف اذ جعل الميثاق مقدما على رفع الجبل كما في قول الاصم وابن عباس واما واو الحال ان جعل مقارنا للرفع كانه قال واذ اخذنا ميثاقكم عند رفعنا الطور فوقكم والطور قيل الجبل مطلقا عن ابن عباس انه جبل من جبال فلسطين وقيل جبل معهود والاقرب انه الجبل الذي وقع المناجاة عليه وقد يجوز ان ينقله الله تعالى الى حيث هم فيجعله فوقهم وان كان بعيدا منهم فان القادر على ان يسكن الجبل في الهواء قادر على ان ينقله اليهم من المكان البعيد خذوا على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة غير متكاسلين ولا متثاقلين وقيل بقوة ربانية واذكروا ما فيه احفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وانما لم يحمل على نفس الذكر الذي هو ضد النسيان من فعل الله فكيف يجوز الامر به لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او وقلنا خذوا ارادة ان تتقوا ثم توليتم معطوف على محذوف اي فقبلتم والتزمتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به ويمكن ان يقال اخذ الميثاق عبارة عن قبولهم فلا حاجة الى تقدير امر بعيد ذلك اي من بعد القبول والالتزام قال القفال قد تعلم في الجملة انهم بعد قبول التورية ورفع الطور تولوا عن التورية بامور كثيرة فحرفوا التورية وتركوا العمل به وقتلوا الانبياء وكفروا بهم وعصوا امرهم ولعل فيها ما اختص به بعضهم دون بعض ومنها ما عمله اوائلهم ومنها ما فعله متاخروهم ولم يزالوا في التيه مع مشاهدتهم الاعاجيب ليلا ونهارا يخالفون موسى ويعترضون عليه ويلقونه بكل اذى ويجاهرون بالمعاصي في عسكره حتى لقد خسف ببعضهم واحرقت النار بعضهم وعوقبوا بالطاعون وكل هذا مذكور في تراجم التورية التي يقرونها ثم فعل متاخروهم ما لا خفاء به حتى عوقبوا بتخريب بيت المقدس وكفروا بالمسيح وهموا بقتله ثم غير خفي انكارهم ما جاء به محمد من الكتاب وجحودهم لحقيقته وحالهم في كتابهم ونبيهم ما ذكر فلولا فضل الله عليكم بامهالكم وتاخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين اي من الهالكين الذين باعوا انفسهم بنار جهنم ولكنكم خرجتم من هذا الخسران لان الله تعالى تفضل عليكم بالامهال حتى تبتم فان كلمة لولا تدل على امتناع الثاني لوجود الاول فامتنع الخسران لوجود فضل الله ويحتمل ان يكون الخبر قد انتهى عند قوله ثم توليتم من بعد ذلك ويكون قوله فلولا فضل الله رجوعا بالكلام الى اوله اي لولا لطف الله بكم برفع الجبل فوقكم لدمتم على ردكم للكتاب لكنه تفضل عليكم ورحمكم ولطف بكم بذلك حتى تبتم قوله عز من قائل ولقد علمتم اللام للابتداء ولا يكاد يدخل الماضي بدون قد لانها للتاكيد مضمون الجملة الاسمية نحو لزيد قائم او لتاكيد المضارع نحو ليضرب زيد لكن قد تقرب الماضي من الحال فيصير الماضي كالمضارع مع تناسب معنى قد ومعنى اللام في التحقيق وعند الكوفيين يقدر القسم قبله عن ابن عباس ان هؤلاء القوم كانوا في زمن داود بايلة على ساحل البحر بين المدينة والشام وهو مكان من البحر يجتمع اليه الحيتان من كل ارض في شهر من السنة حتى لا يرى الماء لكثرتها وفي غير ذلك الشهر في كل سبت خاصة فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان يدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ثم انهم اخذوا السمك واستغنوا بذلك وهم خائفون من العقوبة فلما طال العهد استن الابناء سنة الآباء واتخذوا الاموال فمشى اليهم طوائف من اهل المدينة الذين كرهوا الصيد في السبت فنهوهم فلم ينتهوا وقالوا نحن في هذا العمل منذ زمان فما زادنا الله به الا خيرا فقيل لهم لا تغتروا بذلك فربما ينزل بكم العذاب والهلاك فاصبح القوم وهم قردة خاسئون فمكثوا ثلثة ايام ثم ماتوا قال بعضهم وفي الكلام حذف اي ولقد علمتم اعتداء الذين اعتدوا ليكون المذكور من العقوبة جزاء لذلك والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت والاعتداء فيه انما نشأ الاصطياد لانهم امروا فيه بالتجرد للعبادة فتجاوزوا ما حد لهم واشتغلوا بالصيد واما الاصطياد مع استحلاله وقوله كونوا المراد منه سرعة الايجاد واظهار القدرة وان لم يكن هناك قول انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردة والخسوء وهو الصغار والطرد عن مجاهد انه مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو مثل قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا واحتج بان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس فاذا ابطله وخلق مكانه تركيب القرد رجع حاصل المسخ الى اعدام الاعراض التي باعتبارها كان ذلك الجسم انسانا وايجاد اعراض اخر باعتبارها صار قردا وايضا لو جوزنا ذلك لم نامن في كل ما نراه قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك شك في المشاهدات واجيب بان الانسان ليس هذا الهيكل لتبدله بالسمن والهزال فهو امر وراء ذلك اما جسماني سار في جميع البدن او جزء في جانب من البدن كقلب او دماغ او مجرد كما يقوله الفلاسفة وعلى التقادير فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التاويل يجوز في الملك الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول ولانه لم يتغير منهم الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة وتقبيح الصورة وتشويهها وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون ثم اولئك القردة بقوا او افناهم الله وان بقوا فهذه القردة والخنازير في زماننا من نسلهم ام لا الكل جائز عقلا الا ان الرواية عن ابن عباس انهم ما مكثوا الا ثلثة ايام ثم هلكوا فجعلناها اي المسخة او القردة او قرية اصحاب السبت وهذه الامة نكالا عقوبة شديدة

وادعة

رادعة عن الاقدام على المعصية والنكول عن اليمين الامتناع عنها ولم يقصد بذلك يقصد الناس من التشفي واطفاء نائرة الغيظ وانما جعلناها
عبرة لما قبلها ومعها وبعدها من الامم والقرون لان مسخهم ذكر في كتب الاولين فاعتبروا بها وسيبلغ خبرها الى الاخرين فيعتبرون واريد
بما بين يديها ما بحضرتها من القرون والامم او جعلناها عقوبة لجميع ما ارتكبوه قبل هذا الفعل وبعده هكذا قال بعضهم والاولى عندي ان يقال
جعلناها عقوبة لاجل ذنوب تقدمت المسخ ولاجل ذنوب تاخرت عنها لانهم ان لم يكونوا ممسوخين لم ينتهوا عنها فهم في حكم المرتكبين لها
ولا يلزم من ذلك تجويز العقاب على الذنب المفروض الموهوم لانه امر اعتباري والعقوبة في نفسها واحدة ثابتة على حالها لم تزد لاجل الذنب
المتاخر شيء فليس الامر فيه كمن ضرب عبده لاجل الاباق المتقدم مائة جلدة ولاجل الاباق المتاخر المترقب مائة اخرى ولكنه كمن قيد عبده او حبسه لاجل
الاباق المتقدم والاباق المترقب والله اعلم وموعظة للمتقين لان منفعة الاتعاظ تعود اليهم لا الى غيرهم مثل هدى للمتقين او ليعظ المتقون بعضهم
بعضا وقيل المتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖٓ اِنَّ اللّٰهَ يَاْمُرُكُمْ اَنْ تَذْبَحُوْا بَقَرَةً

و چون گفت موسی از برای قوم خود که خدا میفرماید شما را که بکشید گاوی را

قَالُوْٓا اَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۭ قَالَ اَعُوْذُ بِاللّٰهِ اَنْ اَكُوْنَ مِنَ الْجٰهِلِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ ۭ قَالَ

گفتند که آیا گرفته ما را ریشخند گفت پناه میبرم بخدا که بوده باشم از جاهلان گفتند که بخوان از برای ما خدا را که ظاهر کند که چیست آن گفت که

اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَّلَا بِكْرٌ ۭ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذٰلِكَ ۭ فَافْعَلُوْا مَا تُؤْمَرُوْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا

خدا میفرماید که آن گاویست نه سالخورده و نه جوان متوسط در میان این دو پس بکنید آنچه فرمان داده شده گفتند که بخوان از برای ما پروردگار تو را که ظاهر کند

مَا لَوْنُهَا ۭ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاۗءُ ۙ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النّٰظِرِيْنَ ۝ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَّنَا مَا هِيَ ۙ

چیست رنگ آن گفت که او میگوید که آن گاویست زرد درخشنده که رنگش فرح دهد نگرندگان را گفتند که بخوان خدای خود را که بیان کند که چیست آن

اِنَّ الْبَقَرَ تَشٰبَهَ عَلَيْنَا ۭ وَاِنَّآ اِنْ شَاۗءَ اللّٰهُ لَمُهْتَدُوْنَ ۝ قَالَ اِنَّهٗ يَقُوْلُ اِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُوْلٌ تُثِيْرُ الْاَرْضَ وَلَا

که گاو مشتبه شد بر ما و ما اگر خدا خواهد هر آینه از راه یافتگانیم گفت که او میگوید که آن گاویست نه رام است که شخم کند زمین را و نه

تَسْقِي الْحَرْثَ ۚ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيْهَا ۭ قَالُوا الْـٰٔنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ ۭ فَذَبَحُوْهَا وَمَا كَادُوْا يَفْعَلُوْنَ ۝ وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا

ع٩

آب دهد کشت را رها شده که نباشد رنگی در آن گفتند که حال آوردی حق مطلب پس سر بریدند آن را و نزدیک بود که نکنند و چون کشتید نفسی را

فَادّٰرَءْتُمْ فِيْهَا ۭ وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا ۭ كَذٰلِكَ يُحْيِ اللّٰهُ الْمَوْتٰى ۙ وَيُرِيْكُمْ اٰيٰتِهٖ

پس میگردانیدید او را و خدا ظاهر کننده است آنچه را که پنهان میداشتید پس گفتیم که بزنید آن کشته را بپاره از آن همچنین زنده گرداند خدا مردگان را و نماید نشانهای خود

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ۝ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً ۭ وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ ۭ

شاید که شما دریابید پس سخت شد دلهای شما پس از این پس آن مانند سنگ است بلکه سخت تر و بدرستیکه بعضی از سنگها هر آینه روان میشود از آن نهرها

وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاۗءُ ۭ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ۭ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ القراءة يامركم بالاختلاس

و بعضی از آن هر آینه شکافته پس بیرون آید از آن آب و بعضی از آن فرود آید از ترس خدا و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید ابو عمرو وكذلك كل

فعل مستقبل مهموز من ذوات الراء هزوا ساكنة الزاء مهموزة حمزة وخلف وعباس والمفضل واسمعيل وقرا حمزة مبدلة الواو من الهمزة في الوقف
لمكان الخط وقرا حفص عن الخراز مثقلا غير مهموز الباقون مثقلا مهموزا جئت بالان بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى وحمزة في الوقف فادارتم
بغير همزة ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف عما يعملون بالياء التحتانية ابن كثير الوقوف بقرة ط هزوا ط الجاهلين
نصف الجزء ما هي ط ولا بكر ط لان التقدير هي عوان بين ذلك ط على تقدير فقد تبين لكم فافعلوا ما تؤمرون ما لونها ط صفراء لا لان الجملة
الجملة صفة بعد صفة الناظرين ما هي لان التقدير فان البقر ولان البقر لام لعذر تكرار السؤال علينا ط لمهتدون الحرث ج لان قوله مسلمة صفة
بقرة او خبر محذوف اي هي مسلمة لا شية فيها ط جئت بالحق ط لان التقدير فطلبوها فوجدوها فذبحوها يفعلون فادارتم فيها ط تكتمون ج للاية
والفاء بعدها ببعضها ط لان التقدير فضربوه فحيي فقيل لهم كذلك يحيي الله الموتى تعقلون قسوة ط الانهار ط الماء ط خشية الله ط للتفصيل ولان
القدرة تعملون التفسير عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل قتل قريبا له لكي يرثه ثم رماه في مجمع الطريق ثم شكا ذلك الى موسى ع فاجتهد موسى
في تعرف القاتل فلما لم يظهر قالوا له سل لنا ربك حتى يبينه فسأله فاوحى اليه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فعجبوا من ذلك فشددوا على انفسهم بالاستفهام
حالا بعد حال واستقصوا في طلب الوصف فلما تعين لم يجدوها بذلك النعت الا عند يتيم وذلك انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى
بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فذبحوها
وامر موسى ع ان ياخذوا عضوا منها فيضربوا به القتيل فصار المقتول حيا وسمى لهم قاتله وهو الذي ابتدأ بالشكاية فقتلوه قودا واعلم ان
تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند مجوزي تكليف ما لا يطاق واما تاخيره الى وقت الحاجة فمختلف فيه فالمجوزون استدلوا

ومن حكايته ذبح البقرة عن بني اسرائيل

بالآية قالوا امروا بذبح بقرة معينة بدليل تعيينها بسؤالهم اخرا وبدليل انه لم يؤمر بتجديد بل المأمور به في الثانية هو المأمور به في الاولى بالاتفاق وبدليل
المطابقة لما ذبح والمانعون قالوا معناه اذبحوا اية بقرة شئتم بدليل تنكير بقرة وهو ظاهر في ان المراد بقرة غير معينة وبدليل ابن عباس لو ذبحوا
بقرة ما لاجزأ عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وبدليل التعنيف في قوله وما كادوا يفعلون ولو كانت معينة لما استحقوا التعنيف على
السؤال واجيب بان ترك الظاهر يجوز لموجب راجح وما نقل عن ابن عباس خبر الواحد والتعنيف يجوز ان يكون لتفريطهم في الامتثال بعد حصول
البيان التام ويتفرع على قول المانعين ان التكليف يكون متغايرا فكلفوا في الاول اي بقرة كانت وثانيا ان يكون لا فارضا ولا بكرا بل عوانا
فلما لم يفعلوا ذلك كلفوا ان يكون لا ذلولا تثير الارض ولا تسقي الحرث ثم اختلف القائلون بهذا المذهب فمنهم من قال في التكليف الواقع
اخرا يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع الصفة الاخيرة لا فارضا ولا بكرا وصفراء فاقعا لونها ومنهم من يقول
انما يجب كونها بالصفة الاخيرة فقط وهذا اشبه بظاهر الكلام اذا كان تكليفا بعد تكليف وان كان الاول اشبه بالروايات وبطريقة التشدد
عليهم عند ترك الامتثال واذا ثبت البيان لا يتأخر وانه تكليف بعد تكليف دل على ان الاسهل قد ينسخ بالاشق فان المرء لولده قد يأمره بالسهل
اختيارا فاذا امتنع الولد منه فقد يرى المصلحة في ان يأمره بالصعب ويدل ايضا على جواز النسخ قبل الفعل وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه
الى البداء ويدل على وقوع النسخ في شرع موسى ويدل ايضا على ان الزيادة في الخطاب نسخ له أتتخذنا هزوا استفهام الانكار معناه لا تجعلنا مكان
هزؤ واهل هزؤ ومهزوءا بنا والهزؤ نفس الهزؤ لفرط الاستهزاء كأن القوم ظنوا انه يداعبهم لانه من المحتمل ان موسى امرهم بذبح البقرة وما
اعلمهم انهم اذا ذبحوا البقرة وضربوا القتيل ببعضها صار حيا فلا جرم وقع هذا القول منهم موقع الهزء ويحتمل انه وان كان قد بين لهم كيفية
الحال الا انهم تعجبوا من ان القتيل كيف يحيى بان يضرب ببعض اجزاء البقرة واختلف العلماء ههنا فمن بعضهم تكفيرهم بهذا القول لانهم
ان شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فقد كفروا وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى هل هو بامر الله فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر وعن اخرين انه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جائزة فلعلهم ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة والمراد ما عجب هذا
الجواب كأنك تستهزئ بنا الا انهم حققوا على موسى الاستهزاء من الجاهلين اطلاقا لاسم السبب على المسبب فان الاشتغال بالاستهزاء لا يكون الا بسبب
الجهل ومنصب النبوة يجل من ذلك كما يقول الرجل عند مثل ذلك اعوذ بالله من عدم العقل وغلبة الهوى واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لما في الاستهزاء من نقصان الدين والعقاب الشديد وقيل نفس الهزؤ قد يسمى جهلا فان الجهل ضد الحلم كما انه ضد العلم ثم ان قيل ان
المأمور به ذبح بقرة معينة في نفسها غير مبينة التعيين حسن موقع سؤالهم لان المأمور به لما كان مجملا حسن الاستفسار والاستعلام اما
على قول القائل انها المطلوب فلا بد من بيان انه ما الذي حملهم على هذا الاستفسار فذكروا وجوها احدها انه لما اخبرهم بشأن البقرة تعجبوا وظنوا
ان البقرة التي لها مثل هذه الخاصية لا يكون الا بقرة معينة فلا جرم استقصوا في السؤال عن صفتها كعصا موسى المخصوصة من بين سائر العصا
بتلك الخواص الا ان القوم كانوا مخطئين في ذلك لان هذه الآية العجيبة لا يكون خاصية البقرة بل كانت معجزة يظهرها الله على موسى ولعل القوم
ارادوا قتل اي بقرة كانت الا ان القاتل خاف من الفضيحة فالقى شبهة في البين قال المأمور به بقرة معينة لا مطلق البقرة فلما وقعت المنازعة
رجعوا الى موسى والخطاب في ذلك فادا القوم الا ان القوم ارادوا الاحتياط فسألوا مزيد البيان وازالة الاحتمال الا ان المصلحة تغيرت واقتضت الامر
بذبح البقرة المعينة فان قيل السؤال بما هو لطلب الحقيقة والحقيقة لا تعلم الا باجزائها ومقوماتها لا بصفاتها الخارجة فالجواب بالاوصاف
الخارجة لا يكون مطابقا للسؤال قلنا من البين ان مقصودهم من قولهم ما البقرة ليس طلب ماهيتها النوعية فان ذلك كالمفروغ منه عندهم
وانما وقع السؤال عن المخصصات فالظاهر يقتضي ان يقال اي بقرة هي فان مطلب اي السؤال عن الصفات الذاتية او الخواص فسبب العدول ما افاده
الحقيقة النوعية فان الشخص من حيث هو شخص حقيقة ايضا قد يطلب تصورها واما لانهم تصوروا ان البقرة التي لها هذه الخاصية العجيبة حقيقتها
مغايرة لحقيقة سائر البقرات وان كانت صورتها موافقة لصورها واما لان السؤال عن الجزئيات كزيد وعمرو انما يكون بما اذا كانت طالبا
للعوارض وههنا الجزئي غير ذي عقل فناسب ان يقام ما مقام من الفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهي فارض كطالق كانها فرضت سنها اي
قطعتها وبلغت اخرها والبكر الفتية وكان الاظهر انها التي لم تلد كما في الانسان والعوان النصف قال الشاعر نواعم بين ابكار وعون فان انولك
قالوا انها نصف فان اطيب نصفيها الذي ذهبا وقد عونت وقد يستدل من هذا على جواز الاجتهاد واستعمال غلبة الظن في الاحكام اذ لا يعلم
انها بين الفارض والبكر الا بطريق الاجتهاد وانما جاز دخول بين على لفظة ذلك مع انه لا يدخل الا على متعدد لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر وانما اشير بذلك الى مؤنثين وهو للاشارة الى واحد مذكر على تاويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام ما تؤمرون
مثل امرتك الخير فافعل ما امرت به يعني ما تؤمرون به وامركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير فيما بين لهم كمال حالها في السن شرعوا
في تعرف حال اللون والفقوع اشد ما يكون من الصفرة يقال في التوكيد اصفر فاقع مثل اسود حالك واحمر قان وارتفع اللون على انه فاعل فاقع
لفاقع والفرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ان في الثاني تاكيدا ليس في الاول لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديد
الصفرة صفرتها مثل جد جده وجنونه مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور حالة نفسانية تعرض عند

اعتقاد او علم او ظن بحصول شيء لذيذ نافع وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة
السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر ان البقر تشابه علينا لان البقر الموصوف بالتعوين و
الصفرة كثير وانا ان شاء الله لمهتدون وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو لم يقولوا ان شاء الله لحيل بينهم وبينها ابدا وفيه دليل على ان الاستثناء
مندوب في كل عمل صالح يراد تحصيله ففيه استعانة بالله وتفويض للامر اليه والاعتراف بقدرته ونفاذ مشيته الازلية وارادته السرمدية فما شاء
الله كان وما لم يشأ لم يكن والمعنى انا بمشية الله نهتدي للبقرة المامور بذبحها عند تحصيلنا اوصافها التي بها تمتاز عما عداها او انا على هدى
في استقصاء السؤال اي نرجوا انا لسنا على ضلال فيما نفعله من هذا البحث وانا بمشية الله ان شاء الله تعريفها ايانا بالزيادة لنا في البيان نهتدي
لها او انا ان شاء الله لمهتدي للقاتل انه لا ذلول صفة لبقرة مثل لا فارض اي بقرة غير ذلول لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح
التي يسنى عليها لسقي الحرث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة للتوكيد لان المعنى لا ذلول تثير الارض وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وذل بالكسر اللين ضد الصعوبة ودابة ذلول بينة الذل فعول بمعنى فاعل ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث تقول
رجل صبور وامرأة صبور مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب مطلقا ومعفاة من العمل وحشية مرسلة عن الحبل وخالصة اللون لم يشب صفرتها
شيء من الالوان وعلى هذا يكون لا شية فيها كالبيان والشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره اي لا لون فيها يخالف سائر لونها
فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه اذا خلط بلونه لونا اخر اصلها وشية حذف فاؤها كما في عدة وزنة الان اسم
للوقت الذي انت فيه وهو ظرف غير متمكن وقع معرفة وليس الالف واللام فيه للتعريف لانه ليس له ما يشركه وهو يلي جئت بالحق اي بحقيقة وصف
وما بقي اشكال في امرها فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف فذبحوها والذبح هو قطع العروق وهو المستحب في الغنم والبقر والنحر هو قطع
اللبة اسفل العنق وهو مستحب في الابل والمرعي في الحالتين قطع الحلقوم والمري لكن عنق الابل طويل فاذا قطع علاه تباطأ زهوق ولا يكره الذبح
في الابل والنحر في الغنم والبقر وان كان خلاف المستحب وما كادوا يفعلون استبطاء لهم وانهم لكثرة استكشافهم ما كادوا ينقطع خيط اسهابهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وقد يستدل بهذا على ان الامر للوجوب بل للفور والا لما ترتب هذا
الذم على تثاقلهم واذ قتلتم نفسا خوطب الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدفع
بعضهم بعضا اي يدفع ويزحم او ينفي كل واحد منكم القتل عن نفسه يضيفه الى غيره او يدفع بعضكم بعضا عن البراءة والتهمة واصله
تدارأتم ادغمت التاء في الدال فاحتيج الى همزة الوصل ويحتمل ان يرجع الضمير في فيها الى القتلة المعلومة من قتلتم والله مخرج مظهر لا محالة ما
كنتم تكتمون من امر القتيل وقد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله وكلبهم باسط ذراعيه فلهذا صح عمل اسم الفاعل وهذه
الجملة معترضة وفيها دليل على جواز عموم النص الوارد على السبب الخاص لان هذا يتناول كل المكتومات وفيها دليل على ان الله لا يخيب العصا
وانه سيجعل الى تزاوله سبيلا وانما يسره العبد من خير او شر ودام ذلك منه فالله سيظهره ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم ان عبدا لو اطاع الله من
وراء سبعين حجابا لاظهر الله ذلك على السنة الناس وكذلك المعصية والضمير في اضربوه عائد الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان
ويحتمل ان يعود الى القتيل بدلالة قتلتم وما كنتم تكتمون واختلف في البعض من البقرة فقيل لسانها وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف
وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة من بين الكتفين الظاهر انهم كانوا مخيرين في اي بعض ارادوا وههنا محذوف بدلالة الفاء الفصيحة
والمعنى فضربوه فحيي فقلنا كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان
ابنا عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ويؤيده قول نبينا ليس للقاتل من الميراث شيء والسر فيه انه استعجل الميراث
فناسب ان يعارض بنقيض مقصوده وهو قول الشافعي ولم يفرق بين ان يكون القتل مستحقا كالعادل اذا قتل الباغي او غير مستحق عمدا كان او خطاء
وعند ابي حنيفة لا يرث في العمد والخطاء الا ان العادل اذا قتل الباغي فانه يرثه وقال مالك لا يرثه من ديته ويرثه من سائر امواله ومحل كذلك
نصب على المصدر اي يحيي الله الموتى مثل ذلك الاحياء وهذا الكلام اما مع الذين حضروا حيوة القتيل لانهم وان كانوا مؤمنين بذلك الا انهم
لم يؤمنوا بذلك من طريق العيان والمشاهدة وشتان بين عين اليقين وعلم اليقين واما ان يكون مع منكري البعث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا لا يحتاج الى تقدير فقلنا بعد قتله فضربوه ويريكم اياته دلائله على انه قادر على كل شيء فدلالة هذه القصة على وجود الصانع
القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات المختار في الايجاد والاعدام اية ودلالتها على صدق موسى عليه السلام اية ودلالتها على براءة ساحة من
سوى القاتل اية ودلالتها على حشر الاموات اية فهي وان كانت واحدة الا انها في الحقيقة ايات عدة ويمكن ان يراد بالايات غير هذه اي مثل هذه
الارادة يريكم سائر الايات كما ان مثل هذه الاحياء يحيي سائر الاموات وفي قوله كذلك دون ان يقال كهذا تعظيم للمشار اليه وتبعيد كما
قلنا في ذلك الكتاب لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم فان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها اذ لا اثر للتخصص
في ذلك فان قيل ما الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع انه قادر على احيائه ابتداء قلنا الفائدة فيه كون الحجة اكد وعن الحيلة ابعد فقد
كان الملحد ان يتوهم ان موسى عليه السلام انما احياه بضرب من السحر ليعلم بما امر من ضرب الميت بالميت حصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب

ولما في ذبح البقرة من القربان واداء التكليف واكتساب الثواب الاشعار بحسن تقديم القربة على طلب الحوائج وما في التشديد عليهم لاجل التشدد
من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله على الفور ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين
والاشفاق على الاولاد وتجهيل المستهزئ بما لا يعلم تاويله من كلام الحكيم وبيان ان من حق المتقرب به الى الله ان يكون من احسن ما يتقرب به فتى
السن حسن اللون بريا من العيوب ثمينا نفيسا يسمن امخاطبا يحفظها وكونها على الصراط مطايا فان قيل هلا قدم ذكر القتيل على الامر بذبح البقرة
كما هو حق القصة قلنا لانها كانت تكون حينئذ قصة واحدة ويذهب الغرض في تثنية التقريع بالاستهزاء وترك المبادرة بالامتثال وقتل النفس
المحرمة وما تبعه من الآية ثانيا على انها دلت على اتحاد القصتين برجوع الضمير في بعضها الى البقرة وهي مذكورة في الاولى قوله ثم قست قلوبكم
الآية خطاب لاولئك اليهود الذين كانوا في زمن موسى وللذين هم في زمن محمد من بعد ذلك الاحياء او من بعد ذلك الذي عددنا من جميع
الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرات ومعنى ثم استبعاد القسوة من بعد ما يوجب اللين والرقة وصفة القلوب بالقسوة والغلظة مثل
لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ فهي كالحجارة مثلها في القسوة او هي اشد قسوة من الحجارة فمن عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة
ويجوز ان يقدر مضاف اي هي كالحجارة او مثل اشد قسوة من عرفها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى من الحجارة كالحديد مثلا وانما قيل
اشد قسوة مع امكان بناء افعل التفضيل من القسوة لكونه ادل على فرط القسوة او لانه لم يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة منها وحذف هذا الراجع لعدم الالتباس نحو زيد كريم وعمرو اكرم وكلمة او
ههنا ليست للشك فان علام الغيوب لا يشك في شيء وانما هي للتخيير اي بايها شئت شبهت فكنت صادقا ولو جمعت بينهما جاز ثم اخذ في بيان
فضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي ان منها للذي فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الغزير
وان منها للذي يتشقق اي يتشقق شقا طولا او عرضا فينبع منه الماء وذلك بحسب كثرة المادة وقلتها فان الابخرة تجتمع في باطن الارض ثم ان كان
ظاهر الارض رخوا نفست وانفصلت وان كان صلبا حجرا اجتمعت وصارت مياها ولا تزال تتواتر مددها الى ان ينشق الارض
من مزاحمتها وتسيل انهارا او عيونا واما قلوب هؤلاء فلا ينشرح للحق ولا تتاثر من الوعظ والنصح بعد مشاهدة الآيات ومعاينة الآيات
لتشققوا اصله يتشقق فادغم التاء في الشين كقولهم يذكر في يتذكر لما يهبط للذي يتردى من على الجبل وذلك من خشية الله اما لانه تعالى
خلق فيه الحياة والعقل والادراك كما روي من تسبيح الحصى في كف النبي صلى الله عليه وسلم واما لان الخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد الله
من الانهباط والانفصال عن كلها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تأتمر وقيل اي تتزلزل من اجل ان يحصل خشية في قلوب عباده فيفزعون اليه بالتضرع
والدعاء وما الله بغافل عما تعملون وعيد والمعنى انه بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم فيجازيهم في الدنيا
والآخرة ولا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا ووصفه تعالى بانه ليس بغافل لا يوهم جواز الغفلة عليه لان نفي الصفة عن الشيء لا يستلزم ثبوت
صحتها مثل لا تاخذه سنة ولا نوم التاويل ذبح البقرة اشارة الى ذبح النفس البهيمية فان في ذبحها حياة القلب الروحاني وهو الجهاد الاكبر موتوا
قبل ان تموتوا شعر اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي مت بالارادة تحيى بالطبيعة وقال بعضهم مت بالطبيعة
تحيى بالحقيقة ما هي انها بقرة نفس تصلح للذبح بسيف الصدق لا فارض في سن الشيخوخة فيعجز عن وضائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية
كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد ولا بكر في سن شرخ الشباب تهوي به سكر هواه بين ذلك لقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة
بقرة صفراء اشارة الى صفرة وجوه اصحاب الرياضات فاقع لونها بريد انها صفرة زين لا صفرة شين فانها سيماء الصالحين لا ذلول تثير
الارض لا يحمل ذلة الطمع ولا تثير بآلة الحرص ارض الدنيا لطلب خراجها ومشتهياتها ولا تسقي حرث الدنيا بماء وجهه عند الخلق فيها
تجاهة عند الخالق فيذهب ماؤه عند الحق وعند الخلق مسلمة من آفات صفاتها ليس فيها علامة طابع غير الله وما كادوا يفعلون بمقتضى
الطبيعة لولا فضل الله وحسن توفيقه واذ قتلتم نفسا يعني القلب فادارأتم فاختلفتم انه كان من الشيطان ام من الدنيا او من النفس
الامارة فقلنا اضربوه ببعضها ضرب لسان بقرة النفس المذبوحة بسكين الصدق على قتيل القلب بمداومة الذكر تحيى باذن الله تعالى و
ان النفس لامارة بالسوء وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار مراتب القلوب في القسوة مختلفة فالتي يتفجر منها الانهار قلوب يظهر عليها الغليان
انوار الروح بترك اللذات والشهوات بعض الاشياء المشتهية بخرق العادات كما يكون لبعض الرهبانيين والهنود والتي تشقق فيخرج منها الماء التي
يظهر عليها في بعض الاوقات عند انخراق الحجب البشرية من انوار الروح فيريه بعض الآيات والمعاني المعقولة كما يكون لبعض الحكماء والتي تهبط
من خشية الله ما يكون لبعض اهل الاديان والملل من قبول عكس انوار الروح من وراء الحجب فيقع فيها الخوف والخشية وهذه المراتب مشتركة
بين المسلمين وغيرهم والفرق انها في المسلمين مؤيدة بنور الايمان فيزيد في قربهم وقبولهم ودرجاتهم ولغيرهم ليست مؤيدة بالايمان فيزيد في غرورهم
وعجبهم وبعدهم واستدراجهم والمسلمون مخصوصون بكرامات وفراسات تظهر لهم من تجلي انوار الحق ورؤية برهانه فان رؤية الآيات للخواص
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ويريكم آياته لعلكم تعقلون ولكن اراءة البرهان لاخص الخواص كما قال في حق يوسف لولا ان رأى برهان ربه سئل الخبير

نصف الحزب

البقرة

واللّٰه اعلم أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
آیا پس امید دارید که بگروند بشما و حال آنکه بودند گروهی از ایشان که میشنیدند کلام خدا را پس تغییر میدادند آنرا پس از آنکه یافتند آنرا
يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ
میدانستند و چون ملاقات کنند با آنانکه گرویدند گفتند گرویدیم و چون خلوت کردند پاره از ایشان با بعضی گفتند آیا حکایت میکنید با ایشان آنچه گشود خدا
عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ
بر شما تا محاجه کنند با شما بآن در نزد پروردگار شما آیا در نمی‌یابید آیا نمیدانند که خدا میداند آنچه را که پنهان و آنچه را آشکار میکنند و از ایشان
أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا
بیسوادانند که نمیدانند کتاب را مگر آرزوها و نیستند مگر آنکه گمان میبرند پس وای برآنان که مینویسند کتاب را بدست خود پس میگویند که این
مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ
از نزد خداست تا بخرند بآن بهای اندکی را پس وای برایشان از آنچه نوشت دستهاشان و وای برایشان از آنچه کسب میکنند و گفتند که نرسد ما را آتش
إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
مگر چند روز معدود بگو که آیا گرفته‌اید در نزد خدا عهدی را که خلف نکند خدا عهد خود را یا میگوئید بر خدا آنچه را نمیدانید
ع ١٠ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
آری هر کس کسب کرد گناهی را و احاطه کرد باو گناهانش پس آن گروه یاران آتشند که ایشان در آن جاوید اند و آنانکه گرویدند و کردند
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة الامانى حيث كان خفيفا يزيد لا قوله تلك امانيهم وليس باماتكم
شایسته‌ها آن گروه یاران بهشتند که ایشان در آن جاویدانند ولا امانى وعن تكم الامانى فانا ربعهن بالاسكان عنده بايديهم بضم الهاء

يعقوب وكذلك كل هاء كان قبلها ياء ساكنة خطيئاته بالجمع ابو جعفر ونافع الوقوف يعلمون ط امنا ج والوصل اجوز لبيان حالتيهما المتناقضين وهو المقصود عند ربكم ط افلا تعقلون ٥ يعلنون ٥ يظنون ٥ قليلا ط يكسبون ٥ معدودة ط ما لا تعلمون ٥ النار ج لان الجملة مبتدأ وخبر بعدها خبر خالدون ٥ الجنة ج خالدون ٥ التفسير لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح اسلاف اليهود وسوء معاملتهم مع نبيهم اردفها بقبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله فكانه قيل اذا كان هذا افعالهم فيما بينهم فكيف تطمعون ايها النبي والمؤمنون في ان يؤمنوا اي يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله ﷺ واية الرجم وقيل هم قوم من الذين حضروا الميقات سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى عنه ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه فهموه وضبطوه بقولهم من غير ما شبهة وهم يعلمون انهم مفترون كذابون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك كما تقول للرجل كيف تطمع ان يفلح فلان واستاذه فلان يأخذ عنه لا عن غيره فهؤلاء المقلدة لا يقبلون الا قول معلميهم واحبارهم الذين تعمدوا التحريف عنادا ولضرب من الاغراض الدنيوية واذا لقوا اي اليهود قال منافقوهم امنا بانكم على الحق ونشهد ان صاحبكم صادق وانا نجده بنعته وصفته في كتابنا واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعته وصفته ماخوذ من قولهم قد فتح على فلان في علم كذا اي رزق ذلك وسهل له طلبه وقال المنافقون لغيرهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله كذا وهو عند الله كذا بمعنى واحد وعن الحسن ليحاجوكم في ربكم لان المحاجة فيما الزمتهم من اتباع الرسل محاجة فيما في دينه وقال الاصم يحاجوكم يوم القيمة عند المسائلة فيكون زيادة في توبيخكم فكان القوم يعتقدون ان ذلك مما يزيد في فضيحتهم في الآخرة وقيل ليحاجوكم به على وجه الديانة والنصيحة لان من يذكر الحجة على هذا الوجه قد يقول لصاحبه ازحت علتك عند الله واثبت عليك الحجة بيني وبين ربي فان قبلتها حسنا الى نفسك وان جحدت كنت الخاسر الخائب وقيل المصير او محجوجين بتلك الدلائل في حكم الله كما يقال فلان عندي عالم اي في اعتقادي وحكمي وهذا عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا افلا تعقلون ان ذلك لا يليق بما انتم عليه فانكم اذا حدثتموهم بالذي يحاجوكم به رجع وباله عليكم او لا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان خوفهم الله تعالى بذلك لانهم كانوا يعرفون ان الله يعلم السر والعلانية ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها كانه منسوب الى الام وهو اصل الشيء فالامي على اصل فطرته لم يكتسب علما وكتابة لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني واحدها امنية على افعولة من منى اذا قدر تقول منه تمنيت الشيء ومنيته غيري تمنية لان المتمني يقدر في نفسه ويجوز ما يتمناه واماني اليهود في ان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وما

يمنهم الاحبار من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الاماني الاكاذيب المختلقة التي سمعوها من علمائهم فيقبلوها على التقليد
يقال هذا شيء رويته او تمنيته اي اختلقته. ذلك ان المختلق يقدر ان كلمة كذا بعد كذا وفي الصحاح انه مقلوب المين وهو الكذب وقيل
الاماني يقرؤن من قولهم تمنيت الكتاب قرأته قال الشاعر في عثمان شعر تمنى كتاب الله اول ليلة ⁝ وآخرها لاقى حمام المقادر. والقارئ
مقدر الكلمات كالمختلق وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا كانه قيل لا يعلمون الكتاب الا بقدر ما يتلى عليهم فيسمعونه ويقلد ما يذكر
لهم فيقبلونه ثم انهم لا يتمكنون من التدبر والتامل وعلى الاول يكون استثناء منقطعا ومن قرأ اماني بالتخفيف حذف كما يقال مفاتح و
ان هم الا يظنون كالمحقق لما تقدمه من قوله لا يعلمون الكتاب الا اماني ذكر الفرقة الضالة المضلة المحرفة ثم الفرقة المنافقين منهم ثم الفرقة
المجادلة لاهل النفاق ثم العوام المقلدة ونبه على انهم في الضلال سواء لان على العالم ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن ان
كان متمكنا من العلم ولا سيما في اصول الدين الويل كلمة يقولها كل مكروب وعن ابن عباس انه العذاب الاليم وعن الثوري صديد اهل جهنم
وعن رسول الله واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال عطاء بن يسار الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال
لماعت من حره ولا شبهة في ذلك لانها على غاية الوعيد والتهديد يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد كما تقول للمنكر هذا ما كتبته بيمينك حكى
عنهم امرين كتبة الكتاب واسناده الى الله والوعيد مرتب على كل منهما وعلى مجموعهما الا انه على الثاني ابلغ ولهذا جيء بثم وقوله ليشتروا به ثمنا
قليلا تنبيه على شقاوتهم فانهم استبدلوا النفع الحقير العاجل الزائل بالاجر العظيم الآجل الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم اي مما اسلفت من
كتبه ما لم يكن يحل لهم وويل لهم مما يكسبون بذلك بعد من الرشى على التحريف وفي اعادة الويل في الكسب دليل على ان الوعيد كما يلحقهم بسبب
الكتبة واسنادها الى الله فكذلك يلحقهم بسبب اخذ المال عليه ليعلم ان اخذ المال على الباطل محرم وان كان بالتراضي وقالوا لن تمسنا
النار نوع آخر من قبائح افعالهم وهو جزمهم بان الله تعالى لا يعذبهم الا اياما معدودة قليلة وهذا الجزم مما لا سبيل اليه بالعقل البتة ولا
دليل لهم سمعيا فلا يجزم به عاقل والايام المعدودة قالوا اربعون يوما عدة ايام عبادة العجل وعن مجاهد قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف
سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما لان يوما عند الله الف سنة واياما معدودة ومعدودات كلاهما فصيح مثل الايام مضت
ومضين العهد ههنا يجري مجرى الوعد والخبر لان خبره سبحانه كالعهود المؤكدة منا بالقسم والنذر واتخذتم استفهام بطريق الانكار
وانه يدل على ان الدليل السمعي فلن يخلف الله عهده لتنزهه سبحانه عن كل نقيصة وخلاف الخبر نقص لانه كذب فان قيل هب ان الخلف
في الوعد لوم ونقيصة لكنه في الوعيد كرم ولطف قلنا الخلف من حيث هو كذب قبيح لا يجوزه عاقل ولعل للكريم طريقا آخر سوى هذا
فتامل ام اما معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما وهذا من الكلام المنصف نحو وانا او
اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويجوز ان يكون منقطعة بمعنى بل تقولون كانه اعرض عن الاستفهام الاول الكلام واستانف سؤالا
ثانيا فالاستفهام الاول لتقرير النفي والاستفهام الثاني لتقرير الاثبات وفي الاية تنبيه على ان القول بغير دليل باطل وان كل ما جاز
وجوده وعدمه عقلا لم يجز المصير الى الاثبات والى النفي الا بدليل سمعي ولا حجة لمنكري القياس وخبر الواحد فيه لانه لما دل الدليل على وجوب
العمل عند حصول الظن المستند الى القياس او الى خبر الواحد كان وجوب العمل معلوما فكان القول به قولا بالمعلوم بلى اثبات لما بعد حرف
النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم ابدا بدليل قوله تعالى هم فيها خالدون عن ابن عباس وجد اهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة
اربعين سنة قالوا لن يعذب في النار الا ما وجدنا في التوراة واذا كان يوم القيمة اقتحموا في النار فساروا في العذاب حتى انتهوا الى سقر
وفيها شجرة الزقوم الى آخر يوم من الايام المعدودة فقال لهم خزنة اهل النار يا اعداء الله زعمتم انكم لن تعذبوا في النار الا اياما معدودة
فقد انقضى العدد وبقي الابد قلت وفي مثل حالهم ضلال الفلاسفة القائلون بان الارواح وان صارت مكدرة بقبائح الاعمال الا
انها بعد المفارقة ورجوع العناصر الى اصلها تصير الى حظائر القدس لا يزاحمها شيء من نتائج الاعمال الا اياما معدودة بقدر
الارواح عن ابان التمتعات الحيوانية ثم تتخلص من العذاب وترجع الى حسن المآب ومنهم من زعم ان استيفاء اللذات الحسية يقلل التعلقات
الدنيوية ويسهل خروج الروح الى عالمه العلوي كل هذا خيال فاسد ومتاع كاسد لانه قول من لم يجرب ولم يجد من نفسه انها كيف تشتد
وتتكدر بالاخلاق الذميمة البهيمية السبعية كيف تتصفى وتتطهر بالاخلاق الحميدة الروحانية الملكية فتغدو بصدأ مرآة القلب بحيث
لا يبقى فيه شيء من الصفاء الفطري كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلا يجلوها الامر دائم الدهور وكرور الاعصار وقد تنضم
الكفر الى تلك الاخلاق فيبقى خالدا مخلدا في النار في ويل طويل وزفير وعويل نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا سيئة
اصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة فقلبت الواو ياء وادغمت وهي من الصفات الغالبة وقوله سيئة يتناول جميع المعاصي صغيرها وكبيرها
نضم اليها شرطا آخر وهو كون السيئة محيطة به يختص بالكبيرة ولفظ الاحاطة حقيقة في الجسمانيات كاحاطة السور بالبلد والظرف بالمظروف
فنقل الى الخطيئة وهي عرض لمعنيين من جهة ان المحيط يستر المحاط به الكبيرة تستر الطاعات ومن جهة ان الكبيرة تحبط الطاعات و
تستولي عليها احاطة العدو بالانسان بحيث لا يتمكن الانسان من الخلاص عنهم والاية وان وردت في اليهود فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص

السبب بمثلها يتمسك المعتزلة في اثبات الوعيد لاصحاب الكبائر اذا ماتوا قبل التوبة وفسر بعضهم الخطيئة المحيطة بالكفر فيه يتحقق الاحاطة
التامة واعلم ان في المسئلة خلافا لاهل القبلة منهم من قطع بوعيدهم اما مؤبدا وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج واما منقطعا و
هو قول بشر المريسي والخالدي ومنهم من قطع بانه لا وعيد لهم وينسب الى مقاتل بن سليمان المفسر والذي عليه اكثر الصحابة والتابعين واهل السنة
والامامية القطع بانه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وانه اذا عذب احدا فلا يعذبه ابدا لكنا نتوقف في حق البعض المعفو عنه والبعض
المعذب على التعيين اما المعتزلة فاستدلوا بعمومات وردت في وعيد الفساق كقوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها وقوله ان الفجار لفي جحيم وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ومن الحديث
من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها لم يشربها في الاخرة ومن قتل نفسا معاهدا لم يرح رائحة الجنة الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه
نار جهنم وعن ابي سعيد الخدري قال والذي نفسي بيده لا يبغضنا اهل البيت رجل الا ادخل النار واذا استحقوا النار ببغضهم فلان
يستحقوا النار بقتلهم اولى واجيب بالمنع من ان هذه صيغ للعموم بدليل صحة ادخال الكل والبعض عليها نحو كل من دخل داري فله كذا وبعض
من دخل ولا يلزم منه تكرير ولا تناقض ولان الاكثر قد يطلق عليه لفظ الكل ولاحتمال التخصيص القاطعون بنفي العقاب عن اهل الكبائر احتجوا
بنحو قوله تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وبالعمومات الواردة في الوعد مثل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
الاية حكم بالفلاح على كل من امن وعورض بعمومات الوعيد اما اصحابنا الذين قطعوا بالعفو في حق البعض والتوقف في البعض فقد تمسكوا بنحو
قوله عز من قائل ان الله لا يغفر الذنوب ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبان عمومات الوعد والوعيد لما تعارضتا فلا بد من الترجيح
كان الوعيد بصرف التاويل اليه لان العفو عن الوعيد مستحسن في العرف واهمال الوعد بالضد بيد القران مملوء من قوله عفوا غفورا رحيما كريما
وكذا الاخبار في هذا المعنى تكاد تبلغ حد التواتر وايضا صاحب الكبيرة اتى بما هو افضل الخيرات وهو الايمان ولم يات بما هو اقبح القبائح و
هو الكفر ولا يهدمه ما سوى الكفر من المعاصي ولهذا قال يحيى بن معاذ الرازي الهي اذا كان توحيد ساعة يهدم كفر خمسين سنة فتوحيد خمسين
سنة كيف لا يهدم معصية ساعة الهي لما كان الكفر لا ينفع معه شيء من الطاعات كان مقتضى العدل ان الايمان لا يضر معه شيء من المعاصي
واذا دلت الايات على الوعد والوعيد فلا بد من التوفيق بينهما فاما ان يصل العبد الى دار الثواب ثم الى دار العقاب وهو باطل بالاجماع او يصل اليه
العقاب ثم ينقل الى دار الثواب ويبقى هناك ابد الاباد وهو المطلوب واعلم ان مذهب الاصحاب الى الادب الاقرب من حيث انهم يصفونه بصفات
الجمال كالعفو والمغفرة وبصفات الجلال كالقهر والانتقام ولكن لا يوجبون عليه ثوابا ولا عقابا لانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ومن حيث
انهم لا يعينون البعض المستحق للثواب والبعض المستحق للعقاب من المسلمين لان علمه منزه عن التعلل بلواحق الغايات وسوابق البواعث
ومذهب المعتزلة الى الاحتياط اقرب لان من خوفك حتى تبلغ الامن خير ممن امنك حتى تبلغ الخوف وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَ
و یاد کنید چون گرفتیم پیمان از بنی اسرائیل که نپرستید مگر خدا را و نیکوئی کنید با پدر و مادر و صاحب خویشی و یتیمان و بیچارگان
قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا
بگوئید از برای مردمان خوبی را و برپا کنید نماز را و بدهید زکوة را پس برگشتید مگر اندکی از شما و شما روی گردانندگانید و چون گرفتیم
مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ
پیمان شما را که مریزید خونهای خود را و بیرون مکنید خود را از خانهای خود پس اقرار کردید و حال آنکه شما گواهید پس شما آن گروه
تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ
میکشید خود را و بیرون میکنید گروهی را از خانهاشان پشت میشوید برایشان بگناه و ستم و اگر آیند نزد شما اسیر فدیه میدهید
وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ
و حال آنکه حرام است بر شما بیرون کردن ایشان آیا ایمان می‌آرید به پاره‌ای از کتاب و کافر میشوید به پاره پس نیست پاداش آنکه کند این را از شما مگر رسوائی در زندگانی
الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
دنیا و در روز قیامت برگردانیده شوند بسوی سخت عذاب و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید ایشان آنانند که خریدند زندگانی دنیا را بآخرت
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
پس سبک کرده نشود از ایشان عذاب و نه ایشان یاری کرده شوند
القراءة لا يعبدون بالياء للغيبة ابن كثير وحمزة وعلي والمفضل القربى بالامالة المفرطة حمزة و
علي وخلف وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على وزن فعلى حسنا وصفا يعقوب وحمزة وعلي وخلف والمفضل تظاهرون خفيفا
عاصم وحمزة وعلي وخلف بحذف احدى التائين للتخفيف الباقون بالتشديد بوجه ادغام التاء في الظاء اسارى بالامالة تفدوهم ابو عمرو وخلف
اسارى مفخما تفدوهم ابن كثير وابن عامر اسرى بالامالة تفدوهم حمزة اسارى بالامالة تفادوهم علي النجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة والباقون

اسارى مفتحا تفادوهم تردون بتاء الخطاب ابو زيد عن المفضل يعملون بياء الغيبة ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب وابو بكر وحماد بتاء
الكلام على اوله الباقون بالتاء تغليبا للمخاطبين على الغيب الوقوف الزكوة ط لان ثم لترتيب الاخبار اى مع ذلك توليتم ج معرضون تشهدون
من ديارهم ز لان تظاهرون يشبه مستانفا وكونه حالا اوجه والعدوان ط اخراجهم ط ببعض ج لابتداء الاستفهام او النفي مع فاء التعقيب
الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين العذاب ط يعملون ط بالآخرة ز لان الفعل مستانف ويتضمنه فاء التعقيب للجزاء ينصرون التفسير انه سبحانه
كلفهم باشياء الاول قوله لا تعبدون الا الله بياء الغيبة فلانهم غيب ومن قرا بتاء الخطاب فلحكاية ما خوطبوا به في اعرابه اقوال احدها
انه اخبار في معنى النهي كقولك تذهب الى فلان تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي كانه سورع الى الامتثال فهو يخبر عنه ويؤيد هذا القول
عطف قولوا واقيموا عليه وثانيها التقدير ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويحتمل ان تكون ان مفسرة
وان تكون مع الفعل بدلا من الميثاق كانه قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وثالثها هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء
له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وهذا التكليف بالحقيقة يتضمن جميع ما لا بد منه في الدين لان الامر بعبادته والنهي
عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه وجميع ما يجب له ويستحيل عليه مسبوق ايضا بالعلم بكيفية تلك العبادة التي لا سبيل الى معرفتها
الا بالوحي والرسالة التكليف الثاني قوله وبالوالدين احسانا معناه يحسنون بالوالدين احسانا ليناسب لا يعبدون او احسنوا ليناسب وقولوا
ويمكن ان يقدر ووصيناهم ليلائم اخذنا وهذا انسب لمكان الباء ولا بد من تقدير القول اما قبل لا تعبدوا واما قبل احسنوا واما قبل
قولوا وانما جعل الاحسان الى الوالدين تاليا لعبادة الله لوجوه منها انهما سبب وجود الولد كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية
فقط فلا انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما يشبه انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها انه تعالى لا يمل من انعامه على العبد ولو اتى باعظم الجرائم فكذا الوالدان لا يقطعان عنه مواد
كرمهما وان كان غير بار بهما ومنها ان الوالد المشفق يتصرف في مال ولده بالاسترباح والغبطة والله سبحانه يأخذ الحبة فيربيها مثل جبل احد ومنها
ان المناسبة والميل والمحبة بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب والممكن ذاتية لا عرضية ومنها اسرار فلهذا
ومنها انه لا كمال يمكن للولد الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى لا خير يمكن للعبد الا وهو يريده عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب
ونصب الادلة وازاح العلة ومن غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان على ولدهما اذا كان خيرا منهما بل يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى
ان يكون غيره خيرا منه وتعظيم الوالدين امر معتبر في جميع الشرائع ومركوز في كل العقول وقد ورد اطع الوالدين وان كانا كافرين وعن النبي
انه نهى حنظلة بن ابي عامر الراهب عن قتل ابيه وكان مشركا ولهذا اطلق الاحسان اليهما في الآية اطلاقا وقد تلطف ابراهيم في دعوة ابيه من
الكفر الى الايمان في قوله يا ابت يا ابت والاحسان اليهما ان يحبهما من صميم القلب ويراعي قانون الادب والخدمة والشفقة ويبذل وسعه في رضاهما
ويذكرهما في صالح دعائه كما ارشد الله تعالى الى جميع ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف الى آخر الآية التكليف الثالث الاحسان الى ذوي القربى
ويعبر عنه بصلة الرحم عن رسول الله ص الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته والشجنة الاشتباك الرحم
مشتقة من الرحمن يعني انها قرابة من الله مشتبكة كاشتباك العروق وسبب العطف في تاكيد رعاية هذا الحق ان القرابة مظنة الاتحاد والالفة
والرعاية والنصرة ولهذا صار كالتابع لحق الوالدين لان الانسان انما يتصل به اقرباؤه بواسطة اتصالهم بالوالدين قال الشافعي لو اوصى لاقارب
زيد يدخل فيه الوارث وغير الوارث والمحرم وغير المحرم والمسلم والكافر والذكر والانثى والغني والفقير والاجداد والاحفاد لا الابوان والولد على
الاظهر لان الوالد والولد لا يعرفان في العرف بالقريب وههنا دقيقة وهي ان العرب يحفظون الاجداد العالية لترفع نسبهم ونحن لو ترقينا الى الجد العالي
وحسبنا اولاده كثروا فلهذا قال الشافعي يرتقي الى اقرب جد ينسب هو اليه ويعرف به وذكروا في مثاله انه لو اوصى لاقارب الشافعي فانا نصرفه الى اولاد
شافع فانه منسوب اليه ويدخل فيها اولاد علي والعباس وان كان شافع وعلي والعباس كلهم اولاد السائب بن عبيد الشافعي هو محمد بن ادريس بن
العباس بن عثمان بن شافع بن سائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف قال المحققون هذا في زمان الشافعي
واما في زماننا فلا نصرفه الا الى اولاد الشافعي ولا نرتقي الى بني شافع لانه اقرب من يعرف اقاربه في زماننا ولا يدخل الاقارب من الام في
وصية العرب لان قرابة الام لا تعدها العرب قرابة ولا تفتخر بها اما لو اوصى لذي رحم زيد فيدخل فيه قرابة الام في وصية العرب والعجم لان لفظ
الرحم لا يختص بطرف الاب بحال وذهب طائفة الى ان الاقوى على ما اجاب به العراقيون ومال اليه ابو حنيفة هو ان اقارب الام يدخل في الوصية
سواء كانت في وصية العرب او وصية العجم وتوجيه الفارق ممنوع لقوله ص سعد خالي فليرني امرؤ خاله والاحسان الى الاقارب قريب من الاحسان
الى الوالدين وذلك بان يجتهد في رضاهم بما تيسر له عرفا وشرعا وينفق عليهم بالمعروف ان كانوا معسرين وهو موسر التكليف الرابع الاحسان
الى اليتامى واليتيم من الاطفال الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم فيجب على وليه حفظ ماله واستنماؤه قدر النفقة والزكوة ومؤن الملك بما
امكنه والقيام بمصالحه مع رعاية دقائق الغبطة وقضاء حقوق النصيحة قال ابن عباس يرفق بهم ويدنيهم ويمسح راسهم واليتم في غير الانسان
من قبل الام واليتيم من الدر ما لا اخت له وانما يجمع يتيم على يتامى لان اليتم لما كان من صفات الابتلاء حمل على الوجى والحبط فكما قالوا وجعى

للشبع البطن وجائع وجياع قيل في يتيم يتامى في الكشاف انه جرى يتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فقيل يتامى ثم يتامى على القلب وكذا في الشهرا
التكليف الخامس الاحسان الى المساكين واحدها مسكين اخذ من السكون كان الفقر سكنه او لانه الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكن
الدائم السكر وهو اسوأ حالا من الفقير عند اكثر اهل اللغة وهو قول ابي حنيفة ومالك واحتجوا عليه بقوله تعالى او مسكينا ذا متربة وعند الشافعي واحمد الامر
بالعكس قالوا اشتقاق الفقير من فقار الظهر كان فقاره انكسر لشدة حاجته والمسكين قد يملك ما يتعلل به قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين
ويظهر اثر الخلاف فيما لو اوصى للفقراء دون المساكين او بالعكس والاحسان الى ذوي القربى واليتامى والمساكين ينبغي ان يكون مغايرا للزكوة لان العطف
يقتضي التغاير التكليف السادس وقولوا للناس حسنا بالوصف اي قولا حسنا وحسنا على المصدر اي قولا ذا حسن او قولا هو الحسن في نفسه لافراط
حسنه او للحسين قولا حسنا والظاهر ان المخاطبين بذلك هم الذين اخذ ميثاقهم لاتحاد القصة قيل انه مخصوص اما بتخصيص الناس لانه قولوا للمؤمنين
حسنا بدليل اية القتال اشداء على الكفار رحماء بينهم واما بتخصيص القول اي قولوا للناس حسنا في الدعاء الى الله والامر بالمعروف وقال
اهل الحقيقة انه على العموم وذلك ان كلام الناس مع الناس في الامور الدينية ان كان بالدعوة الى الايمان وجب ان يكون بالرفق واللين كما قال تعالى
فقولا له قولا لينا وقال لمحمد ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وان كان بالدعوة الى الطاعة كالفساق فحسن القول فيه معتبر
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ادفع بالتي هي احسن واما في الامور الدنيوية فمن المعلوم انه اذا امكن التوصل الى الغرض باللطف
من القول لم يعدل الى غيره وما دخل الرفق في شيء الا زانه وما دخل الخرق في شيء الا شانه فثبت ان جميع اداب الدين والدنيا داخل تحت
هذا القول وعن الباقر قولوا للناس ما تحبون ان يقولوا لكم التكليف السابع والثامن قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد تقدم تفسيرها
ولا شك في وجوب هذه التكاليف عليهم بدليل اخذ الميثاق ولان ظاهر الامر للوجوب ولترتب الذم عليه بتوليهم وهذه التكاليف ايضا واجبة
في شرعنا وعن ابن عباس ان الزكوة نسخت كل حق وضعف بان اغاثة المضطر واجبة وان لم تجب علينا الزكوة واعلم ان التكليف اما بدني او مالي و
كل منهما اما عام او خاص فالبدني العام هو العبادة المطلقة وهي ان يكون بكل الجوارح والقوى منقادا مطيعا مؤتمرا لامر الله بحيث لا يرى لنفسه
شيئا من التصرف والاختيار تعبد المائل بين يدي مولاه واليه الاشارة بقوله لا تعبدون الا الله والبدني الخاص هو الصلوة واشار اليه
بقوله فاقيموا الصلوة فللصلوة اوقات مخصوصة واركان وشروط معدودة والمالي الخاص هو الزكوة لتخصصها بالاصناف الزكوية وبالنصاب
وبالحول وغير ذلك والمالي العام لكونه منوطا بالقدرة والامكان سببه اما النسب او النسبة اما سابق او مقارن او لاحق فالسابق الوالدان
والمقارن الاقارب واللاحق اليتامى لانهم اولاد وذلك فان الولي حيا او بمنزلة الاولاد وذلك اذا كان الولي غيره وغير النسب اما الاحتياج
والفقر وهو المساكين والاشتراك في النوع ولا يمكن الا بالقول الحسن وما يخرط في سلكه من مكارم الاخلاق والفعلية انكم لن تسعوا الناس
باموالكم ولكن سعوهم باخلاقكم فالقول الحسن يشمل الاصناف المتقدمة ايضا بهذا الاعتبار وحسن هذا الترتيب مما لا مزيد عليه وقد كرر اكثر هذه المعاني
في سورة النساء بضرب من التاكيد فاكد العبادة بقوله ولا تشركوا به شيئا واكد الاحسان الى غير ذي القربى وما يتلوه بتكرير الجار وهو الباء وبضم اصناف
اخرهم الجار وغيره اليهم فكانه كالتفصيل لقوله وقولوا للناس حسنا قوله تعالى ثم توليتم قيل الخطاب للمتقدمين من بني اسرائيل على طريقة الالتفات وجميع من اولئك
معهم فكذا اخره الا قليل بوجه لا انصراف عن هذا الظاهر وقيل انه خطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود كانه قيل بين ان تلك المواثيق كانها لزمتم المسلمين
بها فكذلك هي لازمة لكم لانكم تعلمون ما في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فيلزمكم من الحجة مثل الذي لزمهم وانتم مع ذلك توليتم الا قليلا منكم
وهم الذين امنوا وانتم معرضون التولي والاعراض اي فانتم قوم من عادتكم الاعراض لعرضتم بعد ظهور المعجزات كاعراض اسلافكم وقيل ثم توليتم
للمتقدمين وانتم معرضون للمتاخرين واما قوله واذ اخذنا ميثاقكم فقيل خطاب لعلماء اليهود في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب المراد اخذنا ميثاق ابائكم وقيل
خطاب للاسلاف وتقريع للاخلاف في قوله لا تسفكون دماءكم اشكال وهو ان الانسان ملجأ الى ان لا يقتل نفسه فاي فائدة في النهي والجواب ان
هذا الالجاء قد يتغير كما ثبت من اهل الهند انهم يقدمون في قتل النفس التخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور وكثير ممن صعب عليه الزمان
او المراد لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا او انه اذا قتل غيره فكانما قتل غيره لانه يقتص منه او لا تفعلوا
ما تلزمون به قتلكم فتكونوا قد قتلتم انفسكم ولا تخرجون انفسكم لا تفعلوا ما تستحقون بسببه ان تخرجوا من دياركم والمراد اخراج بعضهم بعضا
من ديارهم لان ذلك مما يعظم فيه النعمة حتى يقرب من الهلاك ولعل لا تسفكون ولا تخرجون على قياس ما تقرر في لا تعبدون ثم اقررتم وانتم تشهدون
اي ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها او اعترفتم بقبوله وشهد بعضكم
على بعض بذلك لانه كان شائعا فيما بينهم مشهورا وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم تشهدون معنى ثم الاستبعاد
لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره اي انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون
يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وتقتلون بيان لانتم هؤلاء
وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وهذا عند الكوفيين فانهم يجوزون كون جميع اسماء الاشارة بمعنى الموصول والنظام المتعاون ولما كان الاخراج من الديار

وقتل البعض بعضا مما تعظم به الفتنة واجتنب فيه الى قتدار وطلبه بين تعالى انهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن تظاهرهم على الظلم والعدوان وفيه دليل على ان الظلم كما هو محرم فكذا اعانة الظالم على ظلمه محرمة ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانه كما مكنه فقد زجره عنه ونهاه بخلاف معين الظالم فانه يدعوه الى الظلم ويحسنه في عينه مع انه تعالى لا يسئل عما يفعل اسرى جمع اسير كجرحى في جريح واسارى جمع اسرى كسكرى وسكارى وقيل اسارى من الجموع التي ترك مفردها كانه جمع اسران كعجالى وعجلان وقوله تفادوهم جمهور المفسرين على انه وصف لهم بما هو طاعة وهو التخليص من الاسر ببذل مال وغيره ليعودوا الى كفرهم وهو ضمير الشان واخراجهم مبتداء ومحرم خبره والجملة خبر الضمير ويجوز ان يكون هو مبتدأ مبهما ومحرم خبره واخراجهم تفسيره افتؤمنون ببعض الكتاب اي الفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه اذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة اذ اتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ولعلهم صرحوا باعتقاد عدم وجوبه فلهذا سماه كفرا وقد يكون المناقضة ادخل في الذم وفي ذلك تنبيه على انهم في تصديقهم بنبوة موسى مع التكذيب بمحمد والحجة في امرهما على سواء يجرون مجرى طريقة السلف منهم في الايمان ببعض الكفر ببعض وكل في الميثاق سواء الخزي الذل والهوان خزي بالكسر يخزي خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزي خزاية اي استحيى فهو خزيان فاذا قيل اخزاه الله فالمراد هانه او وقعه موقعا يستحيي منه وتنكير خزي يدل على فظاعة شانه وانه بلغ مبلغا لا يكتنه كنهه والاظهر انه غير مختص ببعض الوجوه وقيل هو قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وقيل الجزية وعلى هذين القولين يختص الخزي بمن في عصر رسول الله صلعم منهم وبمن يخلفهم دون اسلافهم فان قيل عذاب منكر الصانع كالدهري يجب ان يكون اشد فكيف يقال في حق اليهود يردون الى اشد العذاب قلنا اما لان كفر العناد اغلظ واما لان المراد اشد من الخزي لا الاشد مطلقا وقوله وما الله بغافل وعيد شديد للعاصين وبشارة عظيمة للمطيعين لان القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يدل على وصول الحقوق الى مستحقها لا محالة اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب لا ينقطع ولا يفتر بل يدوم على حالة واحدة ولا هم ينصرون بدفع هذا العذاب عنهم وفيه تنبيه على ان الجمع بين تحصيل لذات الدنيا اذا كانت على وفق الهوى لا الشرع وبين لذات الاخرة ممتنع مستنبع وجود احدهما عدم الاخرى والله ولي التوفيق واذ اخذنا ميثاقكم في عهد الست بربكم لا تسفكون دمائكم بامتثال اوامر الشيطان واتباع خطواته كما قيل شعر الى حتفي مشى قدمي : ارى قدمي اراق دمي : ولا تخرجون انفسكم من ديار عبوديتكم التي كنتم فيها في اصل الفطرة وتخرجون فريقا منكم من ديارهم لا تقصرون على ضلالكم بل يتعاون بعضكم بعضا على الاعراض عن حقوق الله والاقبال على حظوظ النفس وان ياتوكم اسارى تفادوهم فمن اسر في قيد الهوى فانقاذه بالدلالة على الهدى ومن اسر في قيد حب الدنيا فخلاصه في كثرة ذكر المولى ومن اسر في ايدي الشكوك والشبهات نفداؤه ارشاده الى اليقين بلوائح البراهين ولوامع البينات ومن اسر في حبس وجوده فنجاته فيما يجلى عنه وثاق الكون ويوصل الى معبوده ومن اسر في قبضة الحق فليس لاسرائهم فداء ولا لقتلاهم قود ولا لرهطهم خلاص ولا لقومهم مناص ولا منهم فرار ولا معهم قرار ولا اليهم بغيرهم سبيل ولا لديهم دليل افتؤمنون ببعض الكتاب الاول وهو سمعتم في ازل الخطاب الست بربكم فقلتم بلى وتكفرون ببعض وهو الذي عاهدتم عليه ان لا تعبدوا غير الله من الشيطان والنفس والهوى الله حسبي

لَقَدْ اٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهٖ بِالرُّسُلِ وَاٰتَيْنَا عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنٰتِ وَاَيَّدْنٰهُ بِرُوْحِ الْقُدُسِ اَفَكُلَّمَا

تحقیق که دادیم بموسی توریة را و در پی او فرستادیم رسولان را و دادیم بعیسی پسر مریم انجیل را وقوة دادیم او را بروح القدس آیا پس هر چه

ع ١١

جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَا تَهْوٰۤى اَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيْقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيْقًا تَقْتُلُوْنَ وَقَالُوْا قُلُوْبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ

آمد بشما پیغمبران که میل نداشتید پس گروهی را دروغگو داشتید و گروهی را میکشید و میگفتند که دلهای ما در پرده است بلکه دور کرد ایشانرا خدا

بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيْلًا مَّا يُؤْمِنُوْنَ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتٰبٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوْا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى

بجهت کفر ایشان پس اندکی ایمان آوردند و چون آمد بایشان کتابی از نزد خدا تصدیق کننده آنچه با ایشانست و حال آنکه بودند پیش از آمدن او طلب ظفر میکردند بر

الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهٖ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهٖۤ اَنْفُسَهُمْ اَنْ يَّكْفُرُوْا بِمَاۤ

آنان که کافر شدند پس چون آمد بایشان آنچه شناخته بودند کافر شدند بان پس لعنت خدا بر کافران بد چیزیست که فروختند بان خودشان را که کافر شوند بانچه

اَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا اَنْ يُّنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ عَلٰى مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ فَبَآءُوْ بِغَضَبٍ عَلٰى غَضَبٍ وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ

فرستاد خدا از روی حسد که چرا میفرستد خدا از فضل خود بر کسی که میخواهد از بندگان خود پس بازگشتند بخشم بر بالای خشم و از برای کافران عذاب خوار کننده

وَاِذَا قِيْلَ لَهُمْ اٰمِنُوْا بِمَاۤ اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوْا نُؤْمِنُ بِمَاۤ اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُوْنَ بِمَا وَرَآءَهٗ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ

و چون گفته شد بایشان که بگروید بانچه فرستاد خدا گفتند که میگرویم بانچه فرستاده شد بر ما و کافر شدند بانچه غیر از آنست و او است حق و تصدیق کننده بانچه با ایشانست بگو پس چرا

تَقْتُلُوْنَ اَنْۢبِيَآءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ القراءة القدس بسكون الدال حيث كان ابن كثير وقتيبة وابن جعفر وابو عمرو ويزيد والاعشى

وورش وحمزة فى الوقف بنزل تخفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب بالوقوف القدس ط استكبرتم ج لتناهى الاستفهام مع تعقب فاء التعقيب
بعده كذبتم لعطف المستقبل على الماضى مع تقديم المفعولين فيهما تقتلون غلف ط لان بل اعراض عن الاول وتحقيق الثانى يؤمنون لما معهم ط
لان الواو للحال كفروا ج لان لما متضمنة للشرط وجوابها منتظر والوصل اجوز لان لما مكرر وجوابهما متحد قوله وكانوا من قبل معترض
كفروا به ج لان الفا بعده مبتدا لكن الفاء يقتضى تعجيل ذكر جزائهم الكافرين من عباده ج لطول الكلام مع فاء التعقيب على غضب ط
مهين لما معهم ط مؤمنين التفسير لما ذكر سبحانه فى الاى المتقدمة صنيع اليهود فى مخالفتهم امره تعالى وما تضمنه خطابهم اكذلك فى هذه
بذكر نعم افاضها عليهم ثم انهم قابلوها بالكفران ونقض المقصود زيادة فى تبكيتهم اما الكتاب فهو التورية اتاه الله تعالى اياه جملة واحدة
عن ابن عباس لما نزلت امر الله موسى بحملها فلم يطق ذلك فبعث الله لكل اية منها ملكا فلم يطيقوا حملها فبعث الله لكل حرف منها
ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله على موسى فحملها القفو الاتباع والتقفية الاتباع وهو من القفا كالتذنيب من الذنب اى اتبعنا
على اثره رسلا كثيرين دهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم روى ان هؤلاء الرسل كانوا على شريعة واحدة الى ايام عيسى فانه جاء بشريعة مجددة ناسخة لاكثر شرع موسى وكان المقصود
من بعثة هؤلاء تنفيذ الشريعة السالفة واحياء بعض ما اندرس منها ومن هنا قال علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل ان الله سيبعث
لهذه الامة على راس كل مائة من يجدد لها دينها فقيل عيسى بالسريانية ايشوع اى المبارك ومريم بمعنى الخادم وقيل مريم بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وهو الذى يحب محادثة النساء ومجالستهن سمى بذلك لكثرة زيارته لهن به فسر قول رؤبة شعر قلت لزير لم تصله مريمه
ووزن مريم عند اهل الصرف مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت فى الابنية كما ثبت نحو عثير للغبار وعليب اسم واد البينات المعجزات الواضحات
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك ايدناه قويناه من الايد القوة وبروح القدس والروح المقدس كما يقال حاتم الجود ورجل
صدق اى بجبريل سمى بذلك لانه سبب حيوة الدين كما ان الروح سبب حيوة البدن ولانه الغالب عليه الروحانية ولانه لم تضمه اصلاب الفحول
ولا ارحام الامهات وقيل بالانجيل كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا لان العلم سبب حيوة القلوب وقيل باسم الله الاعظم الذى
كان يحيى الموتى بذكره عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل الروح الذى نفخ فيه القدس والقدوس هو الله واضافة الروح اليه تشريف
وتعظيم كما يقال بيت الله وناقة الله عن الربيع كون الروح ههنا جبريل اظهر لان اختصاصه بعيسى اكثر لانه الذى بشر مريم بولادتها وقد
تولد من نفخة جبريل فيها وهو الذى رباه فى جميع الاحوال وكان يسير معه حيث سار وكان معه حين صعد الى السماء قوله تعالى افكلما
وسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من قوله ولقد اتينا لافادة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون الفاء للعطف على مقدر
معناه اعرضتم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم الباء للتعدية او بمعنى مع وذلك انهم كانوا اذا اتاهم رسول بخلاف ما يهوون
كذبوه وان تهيأ لهم قتله قتلوه ترفعا وترؤسا على عامتهم واخذا موالهم بغير حق يوهمون عوامهم انهم على الحق والنبى على الباطل ويحتجون
على ذلك بالتحريف وسوء التاويل ومنهم من كان يستكبر على الانبياء استكبار ابليس على ادم ففريقا كذبتم على التمام وما بقى منه غير
مكذب وفريقا تقتلون اى ما تدبر لكم قتله بعد على التمام لانكم حول قتل محمد لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة
قال عند موته ما زالت اكلة خيبر تعادنى فهذا اوان قطعت ابهرى والعداد اهتياج وجع اللديغ بعد كل سنة والابهر عرق يخرج من
القلب اذا انقطع مات صاحبه ويجوز ان يراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره فى النفوس وتصويره فى القلوب كقوله فاثرن به
بلادهش تخزف وفائدة تقديم المفعول به على الفعلين بعد غاية الفاصلة فى يقتلون بيان غاية عنادهم وفرط عتوهم حيث جعلوا الرسل
فريقين احدهما مخصوص بالتكذيب والاخر بالقتل كان وصف الرسالة عندهم هو الذى اقتضى عندهم احد هذين حتى خص المنعوت به دون سائر
الناس باحد الامرين وهذه نهاية الجهالة حيث استقبلوا اشرف الاصناف لاكرم الاصناف بغاية الاستخفاف غلف جمع اغلف وهو كل ما
غلاف ومنه الاغلف للذى لم يختن اى قلوبنا مغشاة باغطية فلا تتاثر من دعوتك لمكان الحائل بينهما وقيل غلف تخفيف غلف بضمتين
جمع غلاف اى قلوبنا اوعية للعلم والحكمة فنحن مستغنون بما عن غيره لا حاجة بنا الى شرعك بل لعنهم الله رد لقولهم وان يكون قلوبهم مخلوقة
كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكنهم لعنوا اى طردوا عن رحمة الله وابعدوا عن الخيرات بسبب كفرهم الذى احدثوه
بعد نصب الادلة وازاحة العلة وهذا اللطف للمكلفين ان لا يسلفوا الى المعاصى بالاء نحو هذا العذر وابداء مثل هذه الحجة ولكن لشرورهم
عن ساق الاجتهاد فكل ميسر لما خلق له فقليلا ما يؤمنون اى ايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب او بقليل مما
كلفوا به يؤمنون فانتصب بنزع الخافض وما صفة اى بشئ قليل من الاشياء المكلف بها ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم اى لا يؤمنون
اصلا قليلا ولا كثيرا كما يقال قليلا ما تعقل اى لا تعقل البتة وذلك عن الايمان بمعزل لما جاءهم جوابه محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه ويجوز ان يكون جوابه هو جواب لما الثانية المكررة للتاكيد لطول الكلام نحو قوله فلا تحسبنهم بمفازة بعد قوله لا تحسبن واتفقوا
على ان المراد بالكتاب هو القران ووجه تصديقه لما معهم ليس هو الموافقة فى اصول الشرائع لان جميع كتب الله كذلك بل المراد ما يختص بنبوة

دليل اثبات النبوة

بهدية من العلامات والنعوت والصفات والتحقيق ان ذكر الكتاب ههنا كناية عن الرسول لان الرسول يلزمه الكتاب عرفا وبجاز الان الكتاب
مستلزم للرسول لا بحاله يدل على ذلك قوله يستفتحون على الذين كفروا وذلك ان اليهود قبل مبعث محمد ونزول القران يسئلون به الفتح
والنصرة على المشركين اذا قاتلوهم يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية وكانوا يقولون
لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم يعرفونهم
ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسئلون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسئل بعضهم بعضا
ان يفتح عليه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق وهو نبوة محمد ويجوز ان يكون ما بمعنى من نحو سبحان ما سخركن لنا اي فلما جاءهم النبي
الذي كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كفروا به ما لانهم كانوا يظنون ان المبعوث يكون من بني اسرائيل لكثرة مجيء الرسل منهم فيرغبون
الناس في دينه ويدعونهم اليه فلما بعث الله محمدا من العرب من ذرية اسمعيل عظم ذلك عليهم فاظهروا التكذيب بغيا وحسدا و
عنادا ولددا واما لانهم ظنوا انه مبعوث الى العرب خاصة واما لان اعترافهم بنبوته كان يوجب عليهم زوال رياستهم ومكاسبهم
فابوا واصروا على الانكار فكفرهم اذن كفر عناد فلعنة الله هي الابعاد عن الخيرات الحقيقية الباقية على الكافرين اي عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر ليدل على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم واللام للعهد وللجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا فان قيل اليس انه تعالى ذكر وقولوا
للناس حسنا قلنا العام قد يخص وايضا لعن من يستحق اللعن حسن ايضا ولذلك بالنسناس اشبه منهم بالناس اولئك كالانعام بل هم
اضل بئس لانشاء الذم وفاعله قد يكون مظهرا نحو بئس الرجل زيد وقد يكون مضمرا يعود الى معهود ذهني فيفسر بنكرة منصوبة و
بعدها المخصوص بالذم فما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واختلف في اعراب
المخصوص فقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا لان الكفر حاصل تعلق نفوسهم
بابدانهم كما ان الثمن حاصل ملك المالك قيل ان المكلف اذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى فاتى باعمال يظن انها تخلصه من
العقاب فكانه قد اشترى نفسه بتلك الاعمال فهؤلاء اليهود لما اعتقدوا فيما اتوا به انه يخلصهم من العقاب ويوصلهم الى الثواب فقد
ظنوا انهم قد اشتروا انفسهم بها والمراد بما انزل الله القران لانهم كانوا مؤمنين بغيره ثم بين الوجه الذي لاجله اختاروا هذا الكفر
فقال بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ولولا هذا البيان لجاز ان يكون الباعث لهم على ذلك الكفر هو الجهل لا البغي واذا كان الباعث
على البغي قد يكون وجوها شتى بين ان الحامل لهم على البغي هو ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته
ارساله وهذا هو اللائق بما حكينا من انهم ظنوا ان هذا الفضل العظيم يحصل في قومهم فلما وجدوه في العرب حملهم ذلك على البغي و
الحسد على هذا يكون الجار المحذوف هو لام الغرض اي لاجل ان ينزل ويحتمل ان يقال المحذوف على اي حسدوه على ان ينزل فباؤا
بغضب على غضب لا بد من اثبات سبب غضبين احدهما تكذيبهم عيسى وما انزل عليه والثاني تكذيبهم محمدا وما انزل عليه فصار
ذلك سببا للسخط بعد سخط وهو قول الحسن الشعبي عكرمة ابي العالية قتادة وقيل الاول لعبادتهم العجل والثاني لكتمانهم نعت محمد
وجحدهم نبوته عن السدي وقيل ليس المراد اثبات الغضبين فقط بل المراد اثبات انواع من الغضب مترادفة لاجل امور متوالية صدرت
عنهم كقولهم عزير ابن الله يد الله مغلولة ان الله فقير ونحن اغنياء عن عطاء وعبيد بن عمير وقيل المراد تاكيد الغضب وتكثيره لاجل
ان هذا الكفران كان واحدا الا انه عظيم وهو قول ابي مسلم ومعنى الغضب في حقه تعالى قد عرفت مرارا انه عبارة عن لازمه وهو ارادة الانتقام
واما زيادته وتكثره فيصح فيه ذلك كصحته في العذاب فلا يكون غضبه على من كفر بخصال كثيرة وللكافرين عذاب مهين من وضع الظاهر
مقام المضمر وفي لهم عذاب فائدة ما ذكرنا في قوله فلعنة الله على الكافرين ووصف العذاب بالمهين والمهين هو المعذب لان الاهانة
لما حصلت مع العذاب جاز ان يجعل ذلك من صفته لانها بسبب منه ولا يلزم من قران العذاب بالاهانة تكرار فقد يكون العذاب
ولا اهانة كالوالد يؤدب ولده امنوا بما انزل الله بكل ما انزل الله من كتاب فيستدل به على عموما قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية وكتب
سائر الانبياء الذين اتوا بتقرير شرع موسى ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الانجيل والقران و
هو الحق الضمير يعود الى وراءه او الى القران فقط ومصدقا حال مؤكدة لوجود شرطها وهو كونها مقررة لمضمون جملة اسمية او كون مضمونها لازما
لمضمون الجملة الاسمية فان التصديق لازم حقية القران نصا كانه هو والعامل في مصدقا محذوف وهو ثبت او بثبت على الاصح واما الواو
في وهو الحق فيجوز ان يكون معترضة فلا محل للجملة ويجوز ان يكون للحال وح اما ان يكون العامل فيها هو العامل في قوله ويكفرون على ان كلا منهما
حال بحيالها واما ان يكون العامل فيها هو يكفرون على انهما حالان متداخلتان وفي قوله وهو الحق مصدقا لما معهم دلالة على وجوب الايمان
بمحمد لانه لما ثبت نبوته بالمعجزات ثم انه اخبر ان هذا القران منزل من عند الله وانه تعالى امر المكلفين بالايمان به واجبا كالايمان لا محالة وعند هذا يظهر ان الايمان
ببعض الانبياء وببعض الكتب مع الكفر ببعضهم وبعضها محال وايضا انه لم يتعلم علما ولم يقرا ولم يخط ثم انه اتى بالقصص والاخبار مطابقة لما في التورية
فيعلم بالضرورة انه استفادها من قبل الوحي وايضا القران يدل على نبوة محمد فلما اخبر الله تعالى عنه انه مصدق التورية وجب اشتمال التورية على الاخبار

المكلفين

عن نبوته

عن نبوته فمدعي الايمان بالتورية يجب ان يؤمن بمحمد والا كان كاذبا ثم انه تعالى بين من وجه آخر كذبهم في دعويهم هو ان التورية لا تسوغ قتل الانبياء وانهم
سوغوا ذلك وفيه دليل على انه اراد لما قتصر على الخصم الالدجاج في الكلام وان كان على وجه الخطاب الا ان المراد اسلافهم بدليل من قبل وتقتلون
حكاية حال ماضية واصل لم لما فادخال لام التعليل في ما الاستفهامية الالف للتخفيف اي لاي غرض وباي حجة كان اسلافكم يقتلون الانبياء
وفي قوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعويهم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما تقدمه وفيه تنبيه على ان اليهود
المعاصرين خرجوا بتكذيب محمد من الايمان بالتورية كما ان اسلافهم خرجوا بقتل بعض الانبياء عن الايمان بها والله تعالى اعلم التأويل هذا حال
اكثر البطالين المتشبهين بالطالبين يصغون الى كلمات العلماء الراسخين فما استحلته قبلوه وما استغربته نبذوه وانكروه فيكذبون فريقا
منهم فرارا عن تحمل اعباء الطلب ويثيرون الفتنة على فريق بالحسد والانكار والفتنة اشد من القتل وقالوا قلوبنا غلف فيه اشارة الى ان الطالب
اذا ابتلي في اثناء الطلب بالقعدة والفترة لم يضره ما دام متمسكا بالارادة فيرجى رجوعه باذن الله ومدد همة الاستاد والشيخ فاما اذا زلت قدمه
عن جادة الارادة واظهر الانكار والاعتراض فلن يرجى فلاحه ولما جاءهم كتاب فيه اشارة الى ان اهل كل زمان يتمنون ان يدركوا احدا من العلماء
والاولياء المحظوظين بالعلوم الكسبية واللدنية ويتوسلون بهم الى الله تعالى عند فتح خوائجهم في صالح دعائهم ويظهرون محبتهم عند الخلق فلما
وجدوا واحدا منهم ما عرفوا فوائده وحسدوه واظهروا عداوته وما انصفوه فباؤا بغضب من رد ولاية الاولياء على غضب من الله لاوليائه
كما جاء في الحديث من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وانما اغضب لاوليائي كما يغضب الليث لجروه والله اعلم بالصواب ﴿ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ
وچون گرفتیم پیمان شمارا و بلند کردیم در بالای شما کوه را که بگیرید آنچه را که دادیم بشما بتوانائی و بشنوید گفتند شنیدیم و نافرمانی کردیم و دیا مینختند آب در دلهای ایشان
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
گوساله را بسبب کفر ایشان بگو که بد چیزیست که وا دار دشمارا بآن ایمان شما اگر بوده باشید گرویدگان ۝ بگو که اگر بوده باشد از برای شما خانه آخرت در نزد خدا تنها سوای از غیر
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ
مردمان پس آرزو کنید مرگرا اگر بوده باشید راستگویان ۝ و آرزو نکنند مرگرا هرگز بسبب آنچه پیش فرستاده دستهای ایشان و خدا داناست بستمکاران ۝ و هر آینه بیابی ایشان را حریص ترین مردم
عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾
بر زندگانی و از آنان که انباز آوردند دوست دارند هر یکی از ایشان که زندگانی کنند هزار سال و این امر مانع او نیست از عذاب اگر باشد و خدا بیناست بآنچه میکنند
القراءة ولقد جاءكم مدغمة الدال في الجيم كل القرآن ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام جاءكم وبابه بالامالة حمزة وخلف وابن ذكوان قلوبهم العجل بكسر
الهاء والميم ابو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ حمزة وعلي وخلف بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم وكذلك كل ما لقي الميم حرف ساكن وقبل الهاء
كسرة بما تعملون بتاء الخطاب يعقوب الوقوف ظالمون الطور ط لتقدير القول واسمعوا ط بكفرهم ط مؤمنين ۝ صادقين ۝ ايديهم ط بالظالمين ۝ على
حيوة ج على تقدير ومن الذين اشركوا قوم يود احدهم ومن وقف على اشركوا فتقديره احرص الناس على حيوة واحرص من الذين اشركوا ويود مستأنف
للبيان وانما لم يدخل من في الناس ثم دخل في الذين اشركوا لان اليهود من الناس وليسوا من المشركين كقولك الياقوت افضل الحجارة وافضل من
من الديباج سنة ط لان ما بعده يصلح مستأنفا وحالا ان يعمر ط يعملون ۝ التفسير السبب في تكرير قصة اتخاذ العجل ههنا القدح بوجه آخر في قولهم نؤمن
بما انزل علينا وبيان وصفهم بالعناد والتكذيب لتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فان قوم موسى بعد ظهور المعجزات الواضحات على يديه اتخذوا
العجل الها ومع ذلك صبر وثبت على الدعاء الى دينه والتمسك بدينه وشرعه وكرر ذكر رفع الطور للتأكيد لما نيط به من زيادة قولهم سمعنا وعصينا
الدالة على نهاية لجاجهم وذلك انه قال لهم اسمعوا سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وظاهر الآية يدل على انهم قالوا هذا القول اعني
سمعنا وعصينا وعليه الاكثرون وعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون المعنى سمعوه وتلقوه بالعصيان فعبر عن ذلك بالقول مثل قالتا اتينا طائعين
واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون
في بطونهم نارا وفي هذه الاستعارة لطيفة وهي انه كما ان الشرب مادة لحيوة ما يخرج من الارض فكذا تلك المحبة كانت مادة للقبائح الصادرة عنهم
وفي قوله اشربوا دلالة على ان فاعلا غيرهم فعل ذلك بهم كالسامري وابليس وشياطين الجن والانس وذلك بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه على الله تعالى
ولا ريب ان جميع الاسباب ينتهي الى الله تعالى وقد عرفت التحقيق في امثال ذلك مرارا بئسما يأمركم المخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يأمركم به ايمانكم با
بالتورية عبادة العجل فليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم
واعلم ان الايمان عرض ولا يصح منه الامر والنهي لكن الداعي الى الفعل والسبب فيه قد شبه بالامر كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قل ان
كانت لكم الدار الآخرة الدار اسم كان وفي الخبر ثلثة اوجه الاول خالصة وعند ظرف لخالصة او للاستقرار الذي في لكم ويجوز ان يكون عند حالا من
الدار والعامل فيها كان او الاستقرار واما لكم فيكون على هذا متعلقا بكان لانها تعمل في حروف الجر ويجوز ان يكون للتبيين فيكون موضعها
بعد خالصة اي خالصة لكم فيتعلق بنفس خالصة ويجوز ان يكون صفة لخالصة قدمت عليها فيتعلق بمحذوف الثاني ان يكون خبر كان لكم وعند الله

ظرف وخالصة حال والعامل كان او الاستقرار الثالث ان يكون عند الله هو الخبر وخالصة حال والعامل فيها اما عند او ما يتعلق به او كان ولكم
وسوغ ان يكون عند خبر كان لكم اذ كان فيه تخصيص وتبيين نحو ولم يكن له كفوا احد وقوله من دون الناس نصب بخالصة لانك تقول خلص
كذا من كذا والمراد بالدار الآخرة الجنة لانها هي المطلوبة من الدار الآخرة دون النار والمراد بقوله عند الله الرتبة والمنزلة وحمله على عندية
المكان ممكن ههنا اذ لعلهم كانوا مشبهة ومعنى خالصة لكم اي سالمة خاصة بكم لاحق لاحد فيها سواكم ومن دون ههنا يفيد التجاوز والتخطي في
المكان كما تقول لمن وهبته منه ملكا هذا لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون والجنس اولى
لقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولانه لم يوجد ههنا معهود فان قلت من اين ثبت انهم ادعوا ذلك قلنا لانه لا يجوز
ان يقال في معرض الاستدلال على الخصم ان كان كذا وكذا فافعل كذا الا والاول مذهبه ليصح الزامه بالثاني ولقوله تعالى وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى نحن ابناء الله واحباؤه ولما اعتقدوا في انفسهم انهم هم المحقون لان النسخ غير جائز عندهم ولزعمهم ان آباءهم الانبياء
يشفعون لهم ويوصلونهم الى ثواب الله فلهذه الاسباب عظموا شأن انفسهم وكانوا يفتخرون على العرب وربما جعلوه كالحجة في ان النبي
المنتظر المبشر في التوراة منهم لا من العرب وكانوا يصرفون الناس بسبب هذه الشبهة عن اتباع محمد ﷺ فبين الله تعالى فساد معتقدهم بالآية وبيان
الملازمة ان متاع الدنيا قليل في جنب نعيم الآخرة وذلك القليل كان ايضا منغصا عليهم بعد ظهور محمد ﷺ ومنازعته معهم بالجدال والقتال فالموت
خير لهم لا محالة لانه يوصل الى الخيرات الكثيرة الدائمة الصافية عن النقص ولا يفوت الا القليل النكد ولو سلم وان كانت مكروهة نظرا الى انها الكيفية
الا انها كما العاقل نظرا الى غايتها كالفصد والنهي عن تمني الموت في قوله ﷺ لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به وان كان ولا بد فليقل اللهم احيني ما كانت
الحيوة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي محمول على تمن سببه عدم الصبر على الضر ونكد العيش كما قال قائل شعر الا موت يباع فاشتريه
فهذا العيش ما لا خير فيه ۞ الا رحم المهيمن روح عبد ۞ تصدق بالوفاة على اخيه ۞ فان ذلك نوع من عدم الرضاء بالقضاء ويدل على الجزع وضيق
العطن ومنافي قضية التوكل والتسليم وعلى تمن سببه الجزم بالوصول الى نعيم الآخرة فان ذلك خارج عن قانون الادب نوع من الاخبار بالغيب
لا يليق الا ببعض اولياء الله روي ان عليا عليه السلام كان يطوف بين الصفين في غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب تحت الدرع ايضا فقال له ابنه الحسن
ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب
جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة المبشرة بالجنة يحب الموت
ويحن اليه لجزمهم بلقاء الله ونيل ثوابه بعد ذلك لمكان البشارة فاما احادنا فلا يليق به تمني الموت الا على سبيل الرجاء وحسن الظن بالله انا عند ظن عبدي
بي وعن النبي ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه ولا يبقى على الارض يهودي وقيل لهم ان يقلبوا هذا السؤال على محمد ﷺ فيقولوا انك تدعي
ان الدار الآخرة خالصة لك لا لامتك ومن ينازعك في الامر فارض بان يقتلك فقتال من نازلك وامثلك في الصبر لشدائد البلاء
العظيم وبعد الموت يتخلصون الى دار الكرامة والنعيم لانه ﷺ بعث لتبليغ الشرائع وتنفيذ الاحكام ولا يتم المقصود الا بحيوته وحيوة امته فله ﷺ
ان يقول لاجل هذا لا ارضى بالقتل مع ان المؤمن من هذه الامة قلما يخلو من النزاع والشوق الى لقاء ربه فالعبد المطيع يحب الرجوع الى سيده
والعبد الآبق يكره العود الى مولاه ولهذا جاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وبذلوا ارواحهم دون الدين والذب عن الملة الحنيفية رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وعن عبادة بن الصامت ان النبي ﷺ قال من احب لقاء الله احب الله لقاءه
ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة او بعض ازواجه انا لنكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته
فليس شيء احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره
لقاء الله وكره الله لقاءه ثم انه تعالى بين انتفاء اللازم بقوله ولن يتمنوه ابدا وبرهن عليه بقوله بما قدمت ايديهم اي بما اسلفوا من موجبات النار
كالكفر بمحمد ﷺ وبالقرآن وكتحريف كتاب الله وسائر قبائح افعالهم وذكر الايدي مجاز لان اكثر الاعمال تتم بمباشرتها وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات
لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر كقوله ولن تفعلوا وذلك ان التمني ليس من اعمال القلب حتى يطلع عليه انما هو قول الانسان بلسانه ليت
لي كذا ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب فلو ثبت انهم تمنوا لنقل ذلك كما ينقل سائر الحوادث لفظا ولكان ناقلوه من اهل الكتاب
وغيرهم من اولي المطاعن اكثر من الذر وايضا لو كان التمني بالقلوب لتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك ايضا لولا انهم
اوحي اليهم لم يتمنوا ولم يكن في العقل رخصة لاقدامهم على مثل هذا الالزام لانه في غاية السهولة واذا انتفى اللازم ثبت انتفاء الملزوم
وهو ان تكون الدار الآخرة لهم خالصة واما اهل السنة فلا اشتراك ايضا في نفس دين الآية التالية وفي قوله والله عليم بالظالمين اشارة ايضا
الى ذلك لانه كالمحيط باسرارهم وعلانيتهم وقد قدموا من القبائح ما قدموا فيجازيهم بما يستحقون له وفي وضع الظاهر وهو بالظالمين مقام المضمر
هو ايضا اشارة اخرى الى سوء منقلبهم وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون واللام اما للعهد واما للجنس فيتناولهم اولا وغيرهم من الظلمة
ثانيا فان قيل ما الفائدة في قوله ههنا ولن يتمنوه وفي سورة الجمعة ولا يتمنونه قلنا لان الدعوى ههنا كون الدار الآخرة خالصة لهم وهناك
كونهم اولياء الله من دون الناس والاول مطلوب بالذات والثاني وسيلة اليه فناسب ان ينفي الاول بما هو ابلغ في افادة النفي وهو لن ولان الدعوى

الثانية اخص فانه لا يلزم ان يكون كل من له الدار الآخرة وليا بمعنى انه يلي الشيء ذا الكمال والاكمال ونفي العام ابعد من نفي الخاص كما ان اثبات الخاص
في قولك فلان بن فلان موجودا ابعد من اثبات العام في قولك الانسان موجود بحيث كان الدعوى الاولى ابعد احتيج الى اداء هو في باب النفي
ابلغ ثم انه سبحانه لما اخبر عنهم في الآية المتقدمة انهم لا يتمنون الموت اخبر بعد ذلك انهم في غاية الحرص على الحيوة لانهما قسمان لا ثالث لهما وهو ان لا
يتمنى الحيوة ولا الموت فقال ولتجدنهم احرص الناس مؤكدا باللام والنون واللام لقسم المقدر وهو من وجد بمعنى علم وقوله على حيوة بالتنكير
لانه اراد نوعا من الحيوة مخصوصا وهي الحيوة المتطاولة او حيوة واي حيوة وفي جعلهم احرص من الذين اشركوا توبيخ لان المشركين لا يؤمنون
بمعاد وعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فهي جنتهم فلا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا بالتوبيخ
وسبب زيادة حرصهم هو علمهم بانهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون غافلون عن ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا
يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان عن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال ويحتمل ان يقال ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ
اي ومنهم ناس يود على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا ملك لقوة الدلالة عليه بذكر ما اشتمل عليه قبله فكانه قد ذكر
وعلى هذا يلزم توبيخ اليهود من جهة اخرى وهي انضمامهم في زمرة المشركين وكونهم بعضا منهم وذلك كقولهم عزير ابن الله وقال ابو مسلم في الآية تقديم
وتاخير اي ولتجدنهم طائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة ثم فسر بقوله يود احدهم اي كل واحد يفرض لو يعمر ولو في معنى التمني ولو
يعمر حكاية لودادتهم وكان يجوز لو اعمر على الحكاية الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم مثل حلف بالله ليفعلن وتخصيص الالف بالذكر
بناء على العرف لانه اول عقد يستحيل وقوعه في اعمار بني ادم او يقال والضمير في قوله وما هو يعود الى احدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما
احدهم بمزحزحه من العذاب تعميره ويجوز ان يكون الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه كانه قيل وما التعمير بمزحزحه من العذاب
تعميره ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة المباعدة والتنحية والله بصير بما يعملون فيه تهديد لاهل البغي والعناد وزجر للعصاة
عن الفساد والبصير قد يراد به العلم فلان بصير بهذا الامر اي عارف به وقد يراد انه على نحو لو وجدت المبصرات لابصرها وكلا الوصفين يصح عليه سبحانه
ع ما لم يثبت له جارحة فان قلنا ان من الاعمال ما لا يصح ان يرى تعين حمل البصر فيه على العلم والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا
بگو ای محمد که هر که باشد دشمن جبرئیل پس بدرستیکه فرستاد او را بر دل تو بفرمان خدا تصدیق کننده مر آنچه را که پیش از وی است و راستی و مژدگانی از برای گروندگان هر که باشد دشمن
لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
مر خدا و فرشتگان و پیغمبران و جبرئیل و میکائیل را پس بدرستیکه خدا دشمن است کافران را و بتحقیق که فرستادیم بسوی تو نشانهای واضح و کافر نگردد بآن
إِلَّا الْفَاسِقُونَ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ
بجز فاسقان و دیگر آنکه هر چه بستند عهدی را در عقب انداختند آن عهد را گروهی از ایشان بلکه بیشتر ایشان نگروند و چونکه آمد ایشان را پیغمبری از نزد خدا تصدیق کننده
لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ القراءة جبريل مفتوحة الجيم
مر آنرا که با ایشان است در عقب انداختند گروهی از آنانکه داده شدند کتاب را کتاب خدا را در پشت سر خود چنانکه گویا ایشان نمیدانند مكسورة الراء غير مهموز ابن كثير

وقرأ حمزة وعلي وخلف وعاصم الراء والجيم غير مهموز ميكال ابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص وقرأ ابو جعفر ونافع مختلسا مهموز الباقون ميكائيل
مهموزا مشبعا الوقوف للمؤمنين للكافرين بينات ج لان هذه الواو للابتداء او للحال والوجه لاتحاد القصة الفاسقون فريق منهم لان
بل للاعراض عن الاول لا يؤمنون اوتوا الكتاب قد قيل يوقف لبيان ان كتاب الله مفعول نبذ لا بدل ما قبله لا يعلمون قد يجوز لان الآية والوصل
للعطف على نبذ لاتمام سوء اختيارهم في النبذ والاتباع التفسير هذا نوع اخر من قبائح افعال اليهود والسبب في نزوله انه صلعم لما قدم المدينة اتاه
عبدالله بن صوريا من احبار فدك فقال يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في اخر الزمان فقال تنام عيناي ولا ينام
قلبي قال صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد من الرجل يكون او من المرأة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر و
الشعر فمن المرأة فقال صدقت قال فما بال الولد يشبه اعمامه دون اخواله او يشبه اخواله دون اعمامه فقال ايهما غلب ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال
صدقت قال اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه في التورية ان النبي الامي يخبر عنه فقال صلعم انشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل
تعلمون ان اسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لله نذرا ان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب على نفسه وهو لحمان الابل
والبانها فقالوا اللهم نعم فقال له بقيت خصلة ان قلتها امنت بك اي ملك ياتيك بما تقول عن الله قال جبرئيل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال
والشدة ورسولنا ميكائيل ياتي بالبشر والرخاء فان كان هو الذي ياتيك امنا بك فقال عمر وما مبدأ هذه العداوة فقال ابن صوريا ان الله
انزل على نبينا ان بيت المقدس يخرب في زمان رجل يقال له بختنصر ووصفه لنا فطلبناه فلما وجدناه بعثنا لقتله رجالا فدفع عنه جبرئيل
وقال ان سلطكم الله على قتله فهذا ليس هو ذاك وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه ثم انه كبر وقوي وملك وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا
نتخذه عدوا واما ميكائيل فانه عدو لجبرئيل فقال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبرئيل فهو عدو لميكائيل وهما عدوان لمن عاداهما فانكر ذلك

على عمر فانزل الله تعالى هاتين الآيتين وقيل كان لعمر ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله لا اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لانى شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد وارى آثاره فى كتابكم ثم سألوه فقالوا من صاحب صاحبكم فقال عمر جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبرئيل فقال عمر ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحى فقال النبي لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وعن مقاتل زعمت اليهود ان جبرئيل عدونا امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا والاقرب فى سبب عداوتهم اياه انه كان ينزل بالقرآن على محمد كما يشعر بذلك قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ اى ان عاداه احد فالسبب فى عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا لهم وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد اذيته واسأت اليه وان عادى جبرئيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لعداوته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم ويمكن ان يتوجه الجزاء الى قوله بِإِذْنِ اللّٰهِ الى آخره اى ان عاداه احد فلا وجه لعداوته لانه لم ينزل القرآن من تلقاء نفسه وباختياره وانما جاء باذن الله وامره الذى لا محيص عنه ولا سبيل الى مخالفته وجاء به مصدقا هاديا مبشرا فهو من حيث انه مأمور يجب ان يكون معذورا ومن حيث انه اتى بالهداية والبشارة يلزم ان يكون مشكورا فعداوة من هذا سبيله عداوة الله ولو انه تعالى امر ميكائيل بذلك لنفذ الامر ايضا لا محالة ولتوجه الاشكال عليه فما الوجه فى تخصيص جبرئيل بالعداوة وجبرئيل ممتنع من الصرف للعلمية والعجمة بشرطها وعن ابن عباس وغيره ان معناه عبد الله والضمير فى نزله للقرآن وان لم يجر له ذكر لانه كالمعلوم مثل قوله تعالى مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وهذا النوع من الاضمار فيه فخامة لشأن صاحبه حيث جعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه الا ان القرآن انما نزل على محمد لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب فى تمكنه من الاداء ثباته فى قلبه فيعنى على قلبك حفظه اياك وفهمكه وقيل اى جعل قلبك متصفا باخلاق القرآن ومتأدبا بآدابه كما فى حديث عائشة كان خلقه القرآن وكان حق الكلام ان يقال على قلبى الا انه جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل قل ما تكلمت به من قولى من كان عدوا لجبرئيل فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ ومعنى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ موافقا لما قبله من كتب الانبياء فيما يرجع الى المبادى والغايات دون الاوساط التى يتطرق اليها الاختلاف بتبدل الازمان والاوقات ومعنى قوله وَهُدًى وَبُشْرَىٰ ان القرآن يشتمل على امرين احدهما بيان ما وقع التكليف به من اعمال القلوب وافعال الجوارح فهو من هذا الوجه هدى وثانيهما بيان ان الآتى بتلك الاعمال كيف يكون ثوابه فهو من هذا الوجه بشرى والاول مقدم على الثانى فى الوجود فقدم فى الذكر ايضا ولا ريب ان البشرى يختص بالمؤمنين واما الهدى فلأنهم هم المنتفعون به كما فى هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ولما بين فى الآية المتقدمة ان من كان عدوا لجبرئيل لاجل انه نزل القرآن على قلب محمد وجب ان يكون عدوا لله تعالى بين فى الآية التالية ان من كان عدوا لله وللمخصوصين بكرامته فان الله يعاديهم وينتقم منهم والعداوة بالحقيقة لا تصح الا فينا لان العدو هو الذى يريد انزال المضار به وهذا التصور يستحيل فى حقه تعالى من العاقل المتفطن لا العاقل المتغابى فمعنى قوله من كان عدوا لله اى لاولياء الله كقوله إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ او يراد بذلك كراهتهم القيام بطاعته وبعدهم عن التمسك بدينه لان العدو لا يكاد يوافق عدوه وينقاد لامره قال اهل التحقيق عداوتهم لله وملائكته نتيجة عداوة الله لهم ونظره اليهم فى الازل بالقهر هؤلاء فى النار ولا ابالى كما ان محبة المؤمن لله نتيجة محبة الله اياهم يحبهم ويحبونه وذلك ان صفات الله تعالى قديمة وصفات الخلق محدثة والاولى علة للثانية وافرد الملكان بالذكر لا لانه على فضلهما كانهما من جنس آخر فان التغاير فى الوصف قد ينزل منزلة التغاير فى الذات ولان الآية نزلت فيما يتعلق بهما فحسن ان ينص على اسميهما وتقديم جبرئيل فى الذكر يدل على انه افضل من ميكائيل وايضا ان جبرئيل ينزل بالوحى والعلم وذلك سبب بقاء الارواح وميكائيل ينزل بالخصب والرزق وهو سبب بقاء الابدان والواو فى جبرئيل وميكائيل بمعنى او لان عداوة احد هؤلاء يوجب عداوة الله كما ان عداوة كلهم يوجب ذلك ويحتمل ان يكون الواو على الاصل ويعرف ما ذكرنا من القرينة وقوله للكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على ان عداوة الله لهؤلاء لكفرهم الآيات البينات هى آيات القرآن ولا يبعد ان يشمل سائر معجزاته وان كان لفظ الانزال نابيا عنه بعض النبو ومعنى كون الآية بينة ان العلوم ينقسم الى ما يكون طريق تحصيله والدليل الدال عليه كثير المقدمات فيكون الوصول اليه صعبا والى ما يكون اقل مقدمات فيكون الوصول اليه اقرب وهذا هو الآية البينة والكفر بها اما جحودها مع العلم بصحتها واما جحودها مع الجهل وترك النظر فيها والاعراض عن دلائلها وليس فى الظاهر تخصيص فيدخل الكل فيه والفسق هو خروج الانسان عما حد له الى الفساد ويقرب منه الفجور لانه مأخوذ من فجور السد الذى يمنع الماء من ان يصير الى الموضع الذى يفسد وعن الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره ولهذا لا يوصف صاحب الصغيرة بالفسق وان تجاوز عن امر الله تعالى كمن فتح من النهر نقبا صغيرا لا يقال انه فجر النهر وفى قوله إِلَّا الْفَاسِقُونَ وجهان احدهما ان كل كافر فاسق ولا ينعكس فكأن ذكر الفاسق يأتى على الكافر وغيره الثانى ان المراد وما يكفر بها الا الكافر المتجاوز عن كل حد فى كفره وهذه الآيات لما كانت بينة لم يكفر بها الا الكافر الذى يبلغ فى الكفر نهايته

الفسوق في هذا النوع اخرى من قبائح اليهود عن ابن عباس انهم كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلعم قبل مبعثه فلما بعث من العرب
كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتخبرونا انه
مبعوث وتصفون لنا صفته فقال بعضهم ما جاءنا بشيء من البينات وما هو بالذي كنا نذكر لكم فنزلت واللام في الفاسقون للجنس واشارة
الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله
الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلعم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والمعنى التسلية لرسول الله
الا من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس من مخالفة كصعوبته من لم يجر عادته بذلك انتباه الرسول عليه السلام ورفضه انما قيل فريق منهم لان منهم من لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولما جاءهم رسول كتاب الله يتلازمهما بدليل وهو القرآن نبذه
بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني انه علمهم بذلك رصين من قبل التورية ولكن المكابرة حملتهم على نبذه وراء ظهورهم مثل
لاعراضهم عنه تركهم العمل به وقيل كتاب الله التورية لانهم بكفرهم برسول الله كانوا نبذوها وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه الله ان زدنا العلم بكتاب الله والعمل به واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان
ومتابعت كردند آنچه ميخواندند ديوان بر مملكت سليمان وكافر نبود سليمان
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد
وليكن ديوان كافر شدند مياموختند مردمان سحر را وآنچه فرو فرستاده بود بر آن دو ملك در بابل كه هاروت وماروت اند ونمي آموختند هيچ كس را
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
تا آنكه ميگفتند كه بدرستيكه ما آزمايشيم پس كافر مشو پس مي آموختند از ايشان آنچه جدائي اندازند بدان در ميان مرد وزن او وحال آنكه نيستند زيان رسانندگان بآن هيچ كس را مگر بفرمان خدا
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا
ومي آموختند آنچه زيان رساند ايشان را ونفع نبخشد ايشان را وبتحقيق دانستند كه آنكه خريد آنرا نيست مر او را در آخرت هيچ بهره ودر آينه بد است آنچه فروختند بآن نفسهاي خود را اگر
يعلمون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون القراءة ولكن خفيفا الشياطين بالرفع ابن عامر وحمزة والكسائي
ميدانستند واگر چنانچه ايشان گرويدندي وپرهيزگاري كردندي هر آينه ثواب از نزد خدا بهتر است اگر ميدانستند وخلف وكذلك قوله ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى والملكين
بكسر اللام ههنا وفي سورة الاعراف تنبيه على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل اولوا عن ملك سليمان حج لان الواو قد تصلح حالا البتة
نزاهة سليمان ورد ما افتروا عليه السحر قد قيل على جعل ما نافية لا يتضح لما تقتضيه ما في سياق الآية من ثبات السحر بل ما خبرية معطوفة على قوله
السحر على انها وان كانت نافية يحتمل كون الواو حالا على تقدير يعلمون الناس السحر غير منزل فلا يفصل شيء في الآية عشر ها آن حده كان نفي ثم او لا
نكرة منصوبة في لبسما والنافية خبرية ثم نافية ثم خبرية على التعاقب ماروت ط فلا تكفر ط وزوجه ط باذن الله ط ولا ينفعهم ط من خلاق ج يجوز الوقف
لابتداء اللام انفسهم ط يعلمون خبر ط يعلمون التفسير من قبائح افعالهم انهم نبذوا كتاب الله واقبلوا على السحر ودعوا الناس اليه وهذا شان اليهود
الذين كانوا في زمن محمد صلعم وقيل انهم الذين تقدموا من اليهود وقيل هم الذين كانوا في زمن سليمان من السحرة لان اكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان
ويعدونه من جملة ملوك الدنيا فالذين كانوا منهم في زمانه لا يمتنع ان يعتقدوا فيه انما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر والاولى ان يقال اللفظ
يتناول الكل قال السدي لما جاءهم محمد صلعم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر
هاروت وماروت ومعنى تتلو تقرأ وعلى ملك سليمان اي على عهده وفي زمانه وقيل تتلو عليه اي تكذب على القوم لما ادعوا ان سليمان انما وجد تلك
المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على سليمان صلعم واما الشياطين فالاكثرون على انهم شياطين الجن فانهم كانوا يسترقون السمع
يضمون الى ما سمعوا اكاذيب تلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها الكهنة في كتب يقرأونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن
تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وقيل انهم شياطين الانس لما روي ان سليمان كان قد دفن
كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه خوفا على انه ان هلك الظاهر منها يبقى ذلك الدفين فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين
الى ان كتبوا في خلال ذلك اشياء من السحر تناسب تلك الاشياء من بعض الوجوه ثم من بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب المدفون اوهموا الناس انه
من عمل سليمان وانه ما وصل الى ما وصل الا بهذه الاشياء وزيفوا قول الاكثرين بان شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الانبياء وشرائعهم
بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع وهذا بخلاف ما يفعله الانسان فانه لا يكاد يخفى على بني نوعه خلف
في سبب اضافتهم السحر الى سليمان فقيل لترويج ذلك منهم فيلا انهم ما كانوا مقرين بنبوته وقيل لانه لما خالط الجن ظهر اسرار عجيبة غلب على ظنونهم
انه استفاد ذلك من الجن وقوله وما كفر سليمان تنزيه له عما نسب القوم اليه من السحر المستلزم للكفر فان كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم
بين ان الذي براه منه لا صق بغيره فقال ولكن الشياطين كفروا ثم ذكر ما به كفروا فقد كان من الجائز ان يتوهم انهم كفروا لا بالسحر فقال يعلمون
الناس السحر وما انزل اي ويعلمونهم الذي انزل على الملكين وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ممنوعان من الصرف للعلمية

البقرة

الا منهم

الجزء الاول

فصل في السحر

والعجمة ولو كانا من الحرث الحرث وهو الكسر كما زعم بعضهم لانهما لو كانا منهما لانصرفا وقيل بدلان منهما ولنذكر هاهنا حقيقة السحر بقصة هاروت
وماروت اما السحر ففي اللغة عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه منه الساحر العالم وسحره خدعه والسحر الرية وفي الشرع مختص بكل امر يخفى
سببه ويتخيل من غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع ومتى اطلق ولم يقيد افاد ذم فاعله قال تعالى سحروا اعين الناس يعني موهوا عليهم حتى
ظنوا انحبالهم وعصيهم تسعى وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد هو السحر الحلال قال ان من البيان لسحرا سمي بعض البيان سحرا لان
صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ليخط تارة فيقول اسوء
ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم ثم السحر على اقسام منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها
هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية
وهم الذين بعث الله تعالى ابرهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذهبهم ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية بدليل ان الجذع الذي يتمكن
الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر ما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي وجب وقد
اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان والدوران وما ذاك الا لان
النفوس خلقت مطيعة للاوهام وحكى في الشفاء عن ارسطو ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الحراب مع الديك نبتت على
ساقها مثل الشئ الثابت على ساق الديك وهذا يدل على ان الاحوال الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية واجمعت الامم على ان الدعاء مظنة
الاجابة وان الدعاء باللسان من غير طلب نفساني قليل الاثر ويحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فدخل عليه بعض الحذاق من الاطباء على حين
غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطرارية وزالت تلك العلة المزمنة والاصابة
بالعين مما اتفق عليه العقلاء والتحقيق فيه ان النفس اذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح
من الارواح السموية وكانت قوية التاثير في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فح لا يكون لها التصرف
البتة الا في هذا البدن فاذا ارادت ان يتعدى تاثيرها الى بدن اخر تتخذ تمثال ذلك الغير وضعه عند الحس فاشتغل الحس به وتبعه الخيال عليه فاقبلت
النفس الناطقة بالكلية على ذلك فقويت التاثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ويعضده الانقطاع عن المالوفات والمشتهيات
وتقليل الغذاء والاعتزال عن الناس ثم ان كانت النفس مناسبة لهذا الامر بحسب ماهيتها وخاصيتها اعظم التاثير واما الرقى فان كانت
بالفاظ معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما اشتغل بالامور المناسبة للغرض فحس السمع ايضا يشتغل بها فان الحواس
متى تطابقت متوجهة الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه اقوى وان كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة
والدهشة ويحصل لها اذ ذاك انجذاب وانقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل فيقوى التاثير النفساني فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن
قالوا فثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فان انضم اليه الاستعانة بالقسم الاول وهو تاثيرات الكواكب قوي الاثر جدا
الاسيما ان يحصل لهذه النفس مدد من النفوس المفارقة المشابهة لها او من الانوار الفائضة من النفوس الفلكية ومنها سحر من يستعين
بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخييلات الاخذة بالعيون وهي الشعوذة وذلك ان اغلاط البصر كثيرة فان راكب
السفينة اذا نظر الى الشط راى السفينة واقفة والشط متحركا والقطرة النازلة ترى خطا مستقيما والعنبة ترى في الماء كالاجاصة وترى العظيم
من البعيد صغيرا وقد لا تقف القوة الباصرة على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان صغير جدا فيختلط البعض بالبعض ولا
يتميز فان الرحى اذا خرجت من مركزها الى محيطها خطوط كثيرة بالوان مختلفة ثم ديرت فان البصر يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان
وايضا النفس اذا كانت مشغولة بشئ فربما حضر عند الحس شئ اخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه
انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشئ اخر وكذا الناظر في المراة ربما قصد ان يرى سطح المراة هل هو مستو ام
لا فلا يرى شيئا مما في المراة فالمشعوذ الحاذق يظهر عمل شئ يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ و
التحديق نحوه عمل شيئا اخر عملا بسرعة فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين اشتغالهم بالاول وسرعة اتيانه بالثاني ومنها الاعمال العجيبة
التي يظهر من الالات المركبة على النسب الهندسية والضرورة الخلا كفارسين يقتتلان فيقتل احدهما الاخر ومنه الصور التي يصورها
الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان وقد يصورونها ضاحكة او باكية وقد يفرق بين ضحك السرور وضحك الخجل ومن هذا
الباب تركيب صندوق الساعات وعلم جر الاثقال وهذا لا يعد من السحر عرفا لان لها اسبابا معلومة يقينية ومنها الاستعانة بخواص الادوية
والاحجار ومنها تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الامور فاذا اتفق ان كان السامع
ضعيف القلب قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب والخوف فتضعف القوى الحساسة فيتمكن الساحر من ان
يفعل فيه ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال الناس علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار ومنها السعي بالنميمة والتضريب
من وجوه خفية لطيفة وذلك شايع في الناس فهذه جملة الكلام في اقسام السحر وعند المسلمين كلها مستندة الى قدرة الله فانه لا يمنع وقوع هذه

الجذع بالكسر ساق النخل

قفز اي وثب

بالعين الاصابة

العنبة المطرة ... والقصبة الكثيرة ...

حوادث

الخوارق باجراء العادة عند سحر السحرة واتفقوا على ان العلم به ليس بقبيح ولا محظور لان العلم لذاته شريف لعموم قوله تعم قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ولان الفرق بينه وبين المعجز يمكن به الا ان اجتنابه قربة الى الله كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية واما ان الساحر هل يكفر ام لا فلا نزاع بين الامة في ان من يعتقد ان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فانه يكون كافرا على الاطلاق وهذا هو القسم الاول من السحر اما النوع الثاني وهو ان يعتقد انه قد يبلغ روح الانسان في التصفية والقوة الى حيث يقدر على ايجاد الاجسام واعدامها وتغيير البنية والشكل فالاظهر اجماع الامة ايضا على تكفيره واما ان يعتقد الساحر انه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الادوية الى حيث يخلق الله تعم عقيب فعاله على سبيل العادة الاجسام والحيوة والعقل وتغيير البنية والشكل فالمعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لانه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه ان يعرف صدق الانبياء والرسل وزيف بان الانسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فانه لا يجوز من الله اظهار الخوارق على يده لئلا يحصل التلبيس اما اذا لم يدع النبوة فظهرت الخوارق على يده لم يفض ذلك الى التلبيس فان المحق يتميز عن المبطل بما ان المحق يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة والمبطل لا يحصل له هذه الاشياء مع ادعاء النبوة وان حصلت لم يتم نصوله الباطل كما عرف واما سائر انواع السحر فلا شك انها ليست بكفر وحكم من كفر بالسحر حكم المرتد فاذا سحر ليسا نافمات فان قال اني سحرته وسحري يقتل غالبا وجب عليه القود وان قال سحرته وسحري قد يقتل وقد لا يقتل فهو شبه عمد وان قال سحرت غيره فوافق اسمه اسمه فخطاء وعن ابي حنيفة انه قال يقتل الساحر اذا علم انه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله اني اترك السحر واتوب منه فاذا اقر انه ساحر فقد حل دمه وان شهد شاهدان على انه ساحر ووصفوه بصفة يعلم انه ساحر قتل ولا يستتاب وان اقر بانى كنت اسحر مرة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل واما قصة هاروت وماروت فقد يروى عن ابن عباس ان الملائكة لما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابهم الله بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وكل عليهم جمعا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وكانوا يعرجون باعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله مع ما ظهر منهم من القبائح ثم اضافوا اليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فاراد الله ان يبتلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من اعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لانزلهما الى الارض فاختبرهم فاختاروا هاروت وماروت وركب فيهما شهوة الانس وانزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنى والشرب فنزلا فاما الله تعم الكوكب المسمى بالزهرة والملك الموكل به فهبطا الى الارض فجعلت الزهرة في صورة امرأة والملك في صورة رجل ثم ان الزهرة اتخذت منزلا وزينت نفسها ودعتهما اليها ونصب الملك نفسه في منزلها في مثال صنم فاقبلا عليها وطلبا الفاحشة فابت عليهما وطلبا الفاحشة فابت عليهما الا ان يشربا الخمر فقالا لا نشرب الخمر ثم غلبت الشهوة عليهما فشربا ثم دعواها الى ذلك فقالت بقيت خصلة لست امكنكما من نفسي حتى تفعلاها قالا وما هي قالت تسجدان لهذا الصنم فقالا لا نشرك بالله شيئا ثم غلبت الشهوة عليهما فقالا نفعل ثم نستغفر فسجدا للصنم ثم دخل سائل عليهم فقالت ان اظهر هذا السائل للناس ما رأى منا فسد امرنا فان اردتما الوصل الي فاقتلا هذا الرجل فامتنعا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل ارتفعت الزهرة وملكها الى موضعهما من السماء فعرفا حينئذ انهما انما اصابهما بسبب تعيير بني ادم وفي رواية اخرى ان الزهرة كانت فاجرة من اهل الارض وانهما واقعاها بعد ان شربا الخمر وقتلا النفس وسجدا للصنم وعلماها الاسم الاعظم الذي كانا يعرجان به الى السماء فتكلمت المرأة بذلك الاسم فعرجت الى السماء فمسخها الله تعم وصيرها هذا الكوكب ثم ان الله تعم خيرهما بين عذاب الاخرة اجلا وبين عذاب الدنيا عاجلا فاختارا عذاب الدنيا فجعلهما ببابل منكوسين في بئر الى يوم القيمة وهما يعلمان الناس السحر ويدعوان اليه ولا يراهما احد الا من ذهب الى ذلك الموضع لتعلم السحر خاصة وهذه القصة عند المحققين غير مقبولة فليس في كتاب الله ما يدل عليها ولان الدلائل الدالة على عصمة الملائكة تنافيها ولاستبعاد كونهما معلمين للسحر حال العذاب ولان الفاجرة كيف يعقل انها صعدت الى السماء وجعلها الله تعم كوكبا مضيئا ولا اثر في القصة ان الله تعم قال لهما لو ابتليتكما بما ابتليت به بني ادم لعصيتماني فقالا لو فعلت بنا يا رب لما عصيناك وهذا منهم تكذيب لله وتجهيل فاذن السبب في انزالهما ان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكاذبين ولا شك ان هذا من احسن الاغراض والمقاصد وايضا تعريف حقيقة السحر ليتميز بينه وبين المعجزة حسن كذا السحر لا يقاع الفرقة بين اعداء الله والالفة بين اوليائه ولعل الجن انواعا من السحر لا يقدر البشر على معارضتها الا باعانة الملك وارشاده ويجوز ان يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث انه اذا علمه ما امكنه ان يتوصل به الى اللذات العاجلة ثم يمنعه من استعماله كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب مزيد الثواب كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني ويقال هذه الواقعة كانت في زمان ادريس عم انهما اذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض ولا بد من رسول يبوتهما ليكون ذلك معجزا له ولا يجوز كونهما رسولين لان رسول الانس ثبت انه لا يكون الا منهم قوله تعم وما يعلمان اي ما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر بان تتعلم معتقدا انه حق او متوصلا الى شيء من المعاصي والاغراض العاجلة فيتعلمون الضمير لما دل عليه العموم في من احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه اما لانه اذا اعتقد ان السحر حق كفر فبانت منه امرأته واما لانه يفرق بينهما بالتمويه والاحتيال كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وقدرته لانه ان شاء احدث عنده ذلك شيئا من افعاله وان شاء

لم يحدث كان الذي يتعلمون منهما لم يكن مقصورا على هذه الصورة ولكن بسكون المرء وركونه الى زوجه لما كان اشد خصت بالذكر ليدل بذلك
على ان سائر الصور بتاثير السحر فيها اولى وقرأ عمرو وما هم بضاري بغير نون احد بجعل الجار جزءا من المجرور وهو احد اضاف الى المجموع
وفصل بينهما بالظرف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يستعملونه في وجوه المفاسد وقد علموا هؤلاء اليهود اللام فيه للابتداء وكذا في لمن اشتراه
استبدل ما تتلو الشياطين واختياره على كتاب الله ما له في الاخرة من خلاق من نصيب كأنه قدر له هذا المقدار وقيل الخلاق الخلاص وقيل
معنى الابتلاء الملكين انما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز الى منافع الاخرة فلما استعمل السحر للدنيا فكانه اشترى بمنافع
الاخرة منافع الدنيا ولبئسما شروا به انفسهم اي باعوها والمخصوص محذوف وهو السحر او منافع الدنيا وجواب لو محذوف يدل عليه ما قبله اي لو
كانوا يعلمون لعلموا قبح ما شروا ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا كما تقدم من الترجي في لعلكم تتقون وح لا يحتاج الى الجواب بقي ههنا سوال وهو انه
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد بل القسم اجمالا ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون فان لو لامتناع الاول وكذا لو
كان للتمني فان التمني استدعاء امر هو كالممتنع والجواب ان الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس الى
ونبذ كتاب الله وراء ظهورهم والذين لا يعلمون هم الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر سلمنا ان القوم واحد ولكنهم علموا شيئا وجهلوا شيئا
اخر علموا انه لا خلاق لهم في الاخرة وجهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الاخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها سلمنا ان القوم واحد و
المعلوم واحد لكنهم نسبوا الى الجهل حيث لم يعملوا بعلمهم ولم ينتفعوا به كما قيل انهم صم بكم عمي حيث لم ينتفعوا بالحواس ثم لما اوعدهم بقوله ولقد
علموا اتبع ذلك الوعد جامعا بين الترهيب والترغيب ليكون ادعى الى الطاعة والنهي عن المعصية فقال ولو انهم آمنوا يعني ما نبذوه من كتاب الله
وهو القرآن او التورية التي يصدقها القرآن او كلاهما واتقوا فعل المنهيات وترك المامورات واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله و
اتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله لشيء من ثواب خير ولا بد من تقدير فعل يكون ان مع ما بعده فاعلا له اي لو ثبت انهم آمنوا وجواب لو
محذوف وانه يدل عليه هذه الجملة الاسمية المصدرة باللام اي لأثيبوا وانما تركت الفعلية الى هذه ليدل على ثبات المثوبة واستقرارها ويجوز
ان يكون القسم مقدرا وقوله لمثوبة جوابه ساد مسد جواب الشرط مغنيا عنه ودخول اللام الموطئة في الشرط غير واجب في القسم المقدر وان كان
هو الاكثر على دخول اللام الموطئة في لو مستنقل فالشبه ان يكون الاكثر بل الواجب ههنا عدم الدخول ويجوز ان يكون لو للتمني مجازا عن ارادة الله
ايمانهم كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه لآمنوا واتقوا وقد علموا لكنه جهلهم
لترك العمل بالعلم ويجوز ان يكون لو بمعنى التمني كما تقرر والله تعالى اعلم التاويل واتبعوا ما تتلو الشياطين النفوس على ملك سليمان الروح الذي
هو خليفة الله في ارضه وما كفر سليمان الروح ولكن الشياطين النفس والهوى كفروا يعلمون الناس السحر من تخييلات الهواجس وتمويهات الوساوس
وما انزل فتنة وحذلانا من العلوم الضارة غير النافعة ككتبهات الفلاسفة والمبتدعة على ملكي الروح والقلب بل الجسد هاروت الروح
وماروت القلب نزلا من العالم العلوي الروحاني اهبطا الى الارض لعالم الجسماني بالخلافة لاقامة الحق وازهاق الباطل فافتتنا بزهرة زهرة
الحيوة الدنيا واتبعا خداعها ووقعا في شبكة الشهوة التي تركت فيها ابتلاء وامتحانا وشربا خمر الحرص والغفلة التي خامر العقل وزنيا ببغي الدنيا
الدنية وعبدا صنم الهوى فعذبا بامنكسين برؤسهما بالالتفات الى السفليات واعراضهما عن العلويات فحرما استماع خطاب الحق
كشف حقائق العلوم النافعة الموجبة للجمعية ومع هذا من خصوصية الملائكة الروحانية ما يعلمان احدا من الصفات البهيمية والسبعية و
الشيطانية والقوى البشرية حتى يلهماها انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء القلب وزوجه الروح

ع ١٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
ای آنچنان کسانی که گرویده اید مگوئید در خطاب ... و بگوئید ... و بشنوید و برای کافران است عذاب دردناک دوست نمیدارند کافران از صاحبان
أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
واهل کتاب و نه مشرکان که فرود آید بر شما خوبی از جانب پروردگار شما و خدا مخصوص گرداند برحمت خود از انکه میخواهد و خدا صاحب فضل بزرگست
مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
برطرف نسازیم هیچ آیتی را یا فراموش گردانیم ... بیاریم بهتر از آن یا مانند آن آیا نمیدانی که خدا بر همه چیز تواناست آیا نمیدانی که خدا مر اوراست پادشاهی آسمانها
وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ
و زمین و نیست شما را غیر از خدا از دوستی و نه یاوری بلکه میخواهید که خواهش کنید از پیغمبر تان چنانکه خواهش کردند قوم موسی از او در زمان پیش
وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ القراءة ما ننسخ بضم النون وكسر السين ابن ذكوان ننسأها مهموزا
وهر که بدل کند کفر را از عوض ایمان پس بتحقیق گمراه شد از وسط راه ابن كثير وابو عمرو وغيرهما وقرئ بغير همز الباقون ننسها من الانساء نات
بغير همز ابو عمرو وغيره ابرهيم بن حماد ويزيد الاعشى وورش وحمزة في الوقف الباقون وابرهيم بن حماد بالهمز لانه جواب الشرط ومن شرطه
الجزم كل ما كان ساكنا اي عطفا على المجزوم كل القرآن مثل قوله عز وجل ان تصبروا وتتقوا ياتوكم وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته

منها واشباه ذلك فقد خل بالاظهار بحاذ غير ورش وعاصم غير الاعشى وكذلك يظهرون الدال عند الذال والظاء حيث وقعتا مثل قوله تعالى فقد ظلم ولقد ذرانا واشباه ذلك لو توقف واسمعوا الظاء من ربكم ط من يشاء ط العظيم ومثلها ط قدير والارض ط ولا نصير ربع الجزء ومن قبل السبيل التفسير لما شرح الله تعالى قبائح افعال السلف من اليهود شرع في قبائح اخلافهم المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجدلهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه واعلم ان الله تعالى خاطب المؤمنين في ثمانية وثمانين موضعا من القران قال ابن عباس رضي كان يخاطب في التورية بيا ايها المساكين فكانه سبحانه لما خاطبهم اولا بالمساكين اثبت لهم المسكنة اخرا حيث قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة وهذا يدل على انه تعالى لما خاطب هذه الامة بالايمان اولا فانه تعالى يعطيهم الامان من العذاب اخرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا فان المؤمن اسم من اسمائه العظام ففيه دليل على انه تعالى يعز بهم منه في دار السلام وقيل سموا على الغيبة نظرا الى المظهر وهو الذين ولو قيل منتم نظرا الى النداء جاز من حيث العربية ثم انه لا يبعد في الكلمتين المترادفتين ان يمنع الله من احديهما ويأذن في الاخرى ومن هنا قال الشافعي لا تصح الصلوة بترجمة الفاتحة عربية كانت او فارسية فلا يبعد ان يمنع الله من قول راعنا ويأذن في قول انظرنا وان كانا مترادفين ولكن جمهور المفسرين على انه تعالى انما منع من قول راعنا لاشتماله على مفسدة ثم ذكروا وجوها منها ان المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله واليهود كانت لهم كلمة عبرانية يتسابون بها تشبه هذه الكلمة وهي راعينا ومعناها اسمع لا سمعت كما صرح بذلك في سورة النساء ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا فان الجميع كانها متقاربة فلما سمعوا المسلمين يقولون راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بلفظة اخرى وهي انظرنا روي ان سعيد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت ومنها قال قطرب هذه الكلمة وان كانت صحيحة المعنى الا ان اهل الحجاز كانوا يقولونها عند الهزء والسخرية فلا جرم نهى الله عنها وقيل ان اليهود كانوا يقولون راعينا اي انت راعي غنمنا فنهاهم عنه وقيل ان هذه اللفظة لكونها من باب المفاعلة تدل على المساواة بين المتخاطبين كانهم قالوا ارعنا سمعك لنرعيك سمعنا فنهوا عنه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وقيل راعنا خطاب مع الاستعلاء اي راع كلامي ولا تغفل عنه ولا تشتغل بغيره وليس في انظرنا الا سؤال الانتظار وقيل انها تشبه اسم الفاعل من الرعونة الحمق فيحتمل انهم ارادوا به المصدر كقولهم عائذا بك اي عوذا عياذا فقولهم راعنا اي فعلت رعونة يحتمل انهم ارادوا وصرت راعنا اي ذا رعونة فلما كان هذه الوجوه الفاسدة نهى الله عنها وقيل المراد لا تقولوا قولا راعنا اي رعن كدارع ولابن ومنه قراءة الحسن راعنا بالتنوين وانظرنا من نظره اذا انتظره انظرونا نقتبس من نوركم امرهم الله تعالى ان يسألوه الامهال لينقلوا عنه فلا يحتاجون الى الاستعادة كانهم قالوا له توقف في كلامك وبيانك مقدار ما يصل الى فهمنا وهذا القدر غير خارج عن قانون الادب فقد يلتمس المتعلم حرصا منه على ان لا يفوت منه شيء من الفوائد وان كان المعلم غير مهمل فاتوا التفهيم لا تشاد من التثبت والتاني في الاعادة ان احتيج اليها ونحو ذلك وقيل انظرنا معناه انظر الينا مثل واختار موسى قومه اي من قومه والغرض ان المعلم اذا نظر الى المتعلم كان اقاضته عليه اظهر واقوى وفي قراءة ابي انظرنا من النظرة اي مهلنا حتى نحفظ واسمعوا معناه احسنوا سماع كلام نبيكم باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او اسمعوا سماع قبول وطاعة لا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او اسمعوا ما امرتم به ولا ترجعوا الى ما نهيتم عنه من قول راعنا وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم قوله ما يود الاية من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي وقرئ ولا المشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير فان ينزل في سياق النفي فمعنى ما يودون ان ينزل يودون ان لا ينزل والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة اهم يقسمون رحمة ربك فالمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي ولا اثر لهذا الحسد فان الله يختص بالنبوة من يشاء ولا يكون الا ما يشاء وما يشاء الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم الفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة والافضال الاحسان وفيه اشعار بان ايتاء النبوة من غاية الاحسان والهاء رشحة من بحار كما قال ان فضله كان عليك كبيرا قوله عز من قائل ما ننسخ من اية نوع ثان من تقرير مطاعن اليهود خذلهم الله في الاسلام روي انهم قالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وفي الاية مسائل الاولى النسخ لغة هو الازالة يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته والنقل ايضا وهو ان يغير الشيء في صفته وحاله مع بقائه في نفسه ومنه نسخت الكتاب والمناسخات في المواريث لانتقال التركة من قوم الى قوم فقيل مشترك بينهما وقيل حقيقة في الاول مجاز في الثاني وقيل بالعكس وفي الاصطلاح هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر فيخرج المباح بحكم الاصل اذا ورد الشرع بضده رافعا للاباحة فانه لا يسمى نسخا اذ ليس رفع حكم شرعي ويخرج ايضا الرفع بالنوم والغفلة لان ذلك الرفع ليس بخبر بالدليل الشرعي وهو رفع عن امتي الخطاء والنسيان ونحوه بل بمقتضى العقل ايضا بخلاف الرفع بنحو دعي الصلوة ايام اقرائك فانه لا مجال للعقل فيه ويخرج الرفع بنحو صم الى اخر الشهر فان الى وان اوجبت مخالفة حكم ما بعدها لما قبلها الا انها لا يسمى نسخا لانه ليس متاخرا ويمكن ان يقال ان قيد متاخر انما ينبغي ان يذكر لان دليل النسخ لا يكون الا كذلك ونحو صم الى كذا وامثاله من انواع التخصيص متصلا كان او منفصلا انما خرج بقيد الرفع لان رفع الحكم انما يكون بعد ارادة حصوله

على المكلف والتخصيص ليس كذلك لان صورة التخصيص غير مرادة من اللفظ بل التخصيص مبين لمراد الشارع من العام ونعني بالحكم ههنا ما يحصل على
المكلف بعد ان لم يكن فان الوجوب المشروط بالعقل الذي هو مناط التكليف لم يكن حاصلا عند انتفاء العقل والموقوف على الحادث حادث واذا
كان المراد بالحكم هذا فلا يرد قول المعتزلة الحكم عندكم قديم فكيف يرتفع وذلك لانا عنينا بالحكم تعلق الخطاب بعد ما لم يتعلق وهذا محدث يرتفع
وايضا نقطع بانه اذا ثبت تحريم شئ بعد وجوبه انتفى الوجوب الثابت اولا وهو المعني بالرفع ويحسن ايضا ان يقال النسخ بيان انتهاء حكم شرعي بطريق
شرعي متراخ فيخرج بقولنا شرعي بيان انتهاء حكم عقلي كالبراءة الاصلية وبطريق شرعي يخرج به بيان انتهاء الحكم الشرعي بطريق عقلي كانسلاخ
القيام عمن سكر رجله وقولنا متراخ يخرج التخصيص بالغاية ومن هذا يعلم تعريف الناسخ والمنسوخ ومعنى بيان انتهاء الحكم ان الخطاب السابق
له غاية في علم الله تعالى فاذا انتهى الى تلك الغاية زال بذاته ثم ورد الخطاب اللاحق مبينا لذلك المسئلة الثانية انعقد الاجماع من اكثر ارباب
الشرائع ومن المسلمين خاصة على جواز النسخ عقلا وعلى الوقوع شرعا وخالف اليهود في الجواز وابو مسلم الاصفهاني من المسلمين في الوقوع
لا الجواز لنا القطع بالجواز ضرورة فان له تعالى ان يفعل ما يشاء كما يشاء من غير نظر الى حكمة ومصلحة وان اعتبرت المصالح فالقطع ان المصلحة
قد تختلف باختلاف الاوقات فهذا ما يدل على جواز النسخ وفي التورية انه امر آدم بتزويج بناته من بنيه وقد حرم ذلك في شريعة من بعده باتفاق
وهذا ما يدل على وقوعه كيف لا وقد ثبت بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته تستلزم نسخ شرع من قبله ولم يكن لليهود
والنصارى نص صريح يعلم منه امتداد شرعهم على التعيين حتى يلزم ان يكون شرع نبينا انتهاء غاية لا نسخا واحتج اليهود لو نسخت شريعة موسى لبطل
قول موسى المتواتر هذه شريعة مؤبدة عليكم ما دامت السموات والارض وايضا ان كان الحكم الشرعي لحكمة ظهرت له تعالى لم تكن ظاهرة
فهو البداء والا فعبث وكلاهما محال على الله تعالى اذ البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعبث فعل لا يستتبع غاية والجواب عن الاول المنع
من انه قول موسى ويؤكده انه لو كان هذا القول صحيحا عندهم لقضت العادة بقوله لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولحاجوه بذلك لكن اليهود لم يتمسكوا
في عهده بذلك على ان فاتحتهم المتاخرون منهم عن الثاني بعد تسليم اعتبار المصالح انها تختلف باختلاف الازمان والاحوال كمنفعة شرب
دواء او حالة صرفه في اجزاء الزمان الممتد من الازل الى الابد فهو نوع اجزاؤه فيما لم يزل على الجزئيات الواقعة فيها الصادرة شيئا
بعد شئ وقتا بعد وقت لا لمصلحة تعود اليه تعالى بل لما هو اصلح بالنسبة الى المزمنات فالظهور والخفاء والسابق واللاحق والاعدام والايجاد كلها
بالنسبة الينا واما بالنسبة الى حضرة الواجب جل ذكره فقد جف القلم بما هو كائن الى يوم الدين والحاصل ان كل حكم فله غاية في علم الله
تعالى ولكن قد يظن المكلف استمراره في الاستقبال من قرائن الاحوال فاذا ورد ما يبين امده ونص على زواله فذلك الوارد ناسخ
الاول منسوخ والورود نسخ وكل هذه التجددات بالنسبة الى المكلف واما بالاضافة اليه تعالى فكل من الحكمين موجود في وقته الذي قدر
له فلا ظهور ثم ولا خفاء ولا تقدم ما احدهما ولا تاخر الآخر وليس هذا في الاحكام فقط وانما ذلك في كل حادث فمن تامل نسخة الوجود ونسب الحوادث المتعاقبة
بعضها الى بعض بالتقدم والتاخر والمعية وجد وجودها المرتبة اشبه شئ بكتاب يقرأ القارئ سطرا بعد سطر وكلمة بعد كلمة اذا انقضى مجموع
من ذلك تلاه مجموع آخر حسب ترتيب الحكيم العليم بمبادئه ومقاطعه فالمنقضي في حكم المحو والتالي في حكم الاثبات والهيئة الاجتماعية بدون
اعتبار التلاوة المستلزمة للانقضاء شيئا فشيئا وظهور ما يعقبه هي ام الكتاب هذا سر قوله عز من قائل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
ولك ان تعبر عن المجموع الذي عبر بالقضاء وعن ظهوره التدريجي بالقدر وفي هذا القدر كفاية للفطن المستبصر المسئلة الثالثة اتفقوا على
وقوع النسخ في القرآن بوجوه احدها هذه الآية اعني ما ننسخ من آية واجاب ابو مسلم بان المراد بالآيات المنسوخة الشرائع التي في الكتب
القديمة من التورية والانجيل كالسبت والصلوة الى المشرق والمغرب مما وضعه الله عنا وتعبدنا بغيره فان اليهود والنصارى كانوا يقولون
لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فابطل الله ذلك عليهم بهذه الآية وايضا لعل المراد من النسخ نقله من اللوح المحفوظ وتحويله عنه الى سائر الكتب
وايضا انما ههنا يفيد الشرط والجزاء وكما ان قولك من جاءك فاكرمه لا يدل على حصول المجئ بل على انه متى جاء وجب الاكرام فكذا هذه الآية لا يدل
على حصول النسخ بل على انه متى حصل النسخ وجب ان ياتي بما هو خير منه وثانيها ان الاعتداد بالحول في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
وصية لازواجهم متاعا الى الحول نسخ باربعة اشهر وعشر في قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر
وعشرا واجاب ابو مسلم بان الاعتداد بالحول ما زال بالكلية لانها لو كانت حاملا ومدة حملها حول كامل لكانت عدتها حولا كاملا واذا
بقي هذا الحكم في بعض الصور كان ذلك تخصيصا لا نسخا ورد بان عدة الحمل تنقضي بوضع الحمل سواء حصل وضع الحمل بسنة او اقل او اكثر
فجعل السنة مدة للعدة يكون زائلا بالكلية وثالثها اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة منسوخة بالاتفاق واجاب بانه زال
لزوال سببه لان سبب التعبد بها ان يمتاز المنافقون عن المؤمنين ورد بانه يلزم منه ان من لم يتصدق كان منافقا وهو باطل لما روي
انه لم يتصدق غير علي ويدل عليه قوله فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ورابعها امر بثبات الواحد للعشرة في قوله فان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين ثم نسخ ذلك بقوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وخامسها تحويل
القبلة قال ابو مسلم حكم تلك القبلة ما زال بالكلية لجواز التوجه اليها عند الاشكال ومع العلم اذا كان هناك عذر ورد بان بيت المقدس وشام

في بيان ان جواز النسخ

في بيان ان الآيات المنسوخة

الجهات في ذلك سواء وسادسها واذا بدلنا آية مكان آية والتبديل يشتمل على رفع اثبات والمرفوع اما التلاوة واما الحكم وكيف ما كان فهو نسخ
ونسخ فهذه الدلائل وامثالها يدل على وقوع النسخ في الجملة حجة ابي مسلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والجواب ان الضمير للمجموع
وايضا نسخه بالنسبة الى المكلف لا ينافي حقيته في نفسه وكونه قرانا المسئلة الرابعة المنسوخ اما ان يكون هو الحكم فقط كالآيات المعدودة
او التلاوة فقط كما يروى عن عمر انه قال كنا نقرأ آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وروى
لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب او الحكم والتلاوة معا كما روي عن
عائشة كان فيما انزل عشر رضعات محرمات ثم نسخن بخمس فالعشر مرفوع التلاوة والحكم جميعا والخمس مرفوع التلاوة باقي الحكم ويروى ان
سورة الاحزاب كانت بمنزلة السبع الطوال او ازيد ثم وقع النقصان ولنرجع الى تفسير الآية ما ننسخ محمول على نسخ الحكم وان كان دون التلاوة و
ننسها على نسخ الحكم والتلاوة جميعا وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب وذلك بان يخرج من جملة ما يتلى ويقرأ في الصلوة او يحتج به
فاذا انسي الحكم التعبد به وطال العهد نسي وان ذكر فعلى طريق ما يذكر خبر الواحد فيصير بهذا الوجه منسيا عن الصدور وقد يكون ذلك معجزة
له كما يروى انهم كانوا يقرأون السورة فيصبحون وقد نسوها فالامر من قائل سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله وانساخ الآية الامر بنسخها
وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى بدل وقيل ما ننسخ من آية اي نبدلها اما ان
نبدل حكمها فقط او تلاوتها فقط او نبدلهما وننسها نتركها كما كانت ولا نبدلها لان النسيان قد يجيء بمعنى الترك وقيل ما ننسخ من آية ما
نرفعها بعد انزالها او ننسأها بالهمزة نؤخر انزالها من اللوح المحفوظ او نؤخر نسخها فلا ننسخها في الحال فانا ننزل بدلها ما يقوم مقامها في المصلحة
ولا يخفى ان قوله نأت بخير منها او مثلها لا ينطبق على بعض من الاقوال كما ينبغي ومعنى الآية عند جمهور المفسرين آية القران وعند ابي مسلم
التوراة والانجيل كما مر وقد عرفت انه يمكن حملها على معنى اعم فكل مجموع من الوجود في كل زمان من الازمنة آية من صحيفة المخلوقات وكل
جزء من ذلك المجموع كلمة من كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ومعنى نأت بخير منها او مثلها ان حملنا الآية على ما يتضمن حكما على المكلف
ان الثاني احق واصلح بالنسبة الى وقته كما ان الاول كان اصلح بالاضافة الى وقته والثاني خير بالنسبة الى وقته مثل الاول بالنسبة الى وقتها
او يراد ان العمل بالثاني اكثر ثوابا من العمل بالاول ايضا ولعله كل منهما فيما يقتضيه الحكمة دون ما هو اقل ثوابا وان حملنا الآية على غير ذلك فمعنى
الاصلح قال اهل الاشارة اراد بالنسخ نقل السالك المترقي من حال الى اعلى منه فان عصمن استكمالهم ابدا نافر ونجم وسالهم دائما زاهر فلا
ينسخ من آثار عباداتهم شيء الا ابدل منها اشياء من انوار العبودية ولا ينسخ شيء من انوار العبودية الا اقيم مكانها اشياء من اقمار الربوبية
وايضا انهم يشاهدون بعض الوقائع الشريفة في الصور اللطيفة كسبتها المتخيلة بحسب صفاء الوقت وعلو المقام فاذا ما ارتقوا الى مقام
آخر تشاهدوه بذلك بتلك المشاهدة فيظن السالك المغرور تجسب تلك المقام والحال فيقول ما ننسخ من آية من آيات المقامات او ننسها بان
نمحوها عن لوح الخيال نأت بخير من تلك المشاهدة او مثلها ثم ان الائمة استنبطوا من الآية مسائل الاول زعم قوم انه لا يجوز نسخ الحكم الا الى
بدل لقوله نأت بخير منها او مثلها والجمهور على خلافه لان الآية لا تدل الا على وجوب الاتيان بآية اخرى لا على وجوب الاتيان بحكم آخر فلا
سلمنا لكنه تخصيص بنسخ تقديم الصدقة بين يدي النجوى بلا بدل ووجوب الامساك بعد الفطر من غير بدل سلمنا عدم تخصيصه لكن لم لا
يجوز ان يكون ذلك البدل عدم الحكم الذي رفع بالنسخ ويكون نسخه بغير بدل وجودي خيرا للمكلف لمصلحة عامة الثانية زعم قوم ان النسخ
لا يجوز بالاثقل لان الاثقل لا يكون خيرا منه ولا مثله ورد الجمهور عليهم بان المراد كثرة الثواب وذلك لا ينافي كونه اثقل على قياس تصابي
وايضا فقد وقع كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بالصوم وتحتما وصوم عاشوراء برمضان والحبس في البيوت للزاني بالحد واما النسخ الى الاخف فكنسخ
العدة من الحول الى اربعة اشهر وعشر وكنسخ صلوة الليل الى التخيير فيها واما نسخ الشيء الى المثل فكالتحويل من بيت المقدس الى الكعبة الثالثة
عن الشافعي ان الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة لقوله نأت بخير منها وذلك يدل على ان الآتي من جنسه كما اذا قال الانسان ما آخذ منك من ثوب
آتك بخير منه يفيد انه يأتيه بثوب من جنسه خير منه وجنس القرآن قرآن وايضا نأت يدل على ان الآتي هو الله لا الرسول وايضا الآتي به خير والسنة
لا يكون خيرا من القرآن وايضا قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير دل على ان الآتي بذلك الخير هو القادر على جميع الخيرات وعلى تصريف
المكلف بمشيئته وارادته لا دافع لما اراد ولا مانع لما شاء وذلك هو الله تعالى واجيب بان قوله نأت بخير منها ليس فيه ان ذلك الخير يجب ان
يكون ناسخا بل لا يمتنع ان يكون ذلك الخير شيئا مغايرا للناسخ يحصل بعد حصول النسخ وذلك ان الاتيان بذلك الخير مرتب على نسخ الآية الاولى
فلو كان نسخ تلك الآية مرتبا على الاتيان بذلك الخير لزم الدور قلت ويمكن دفع الدور بان يقال المراد ما اردنا نسخها من آية نأت بخير منها حتى
ننسخها ثم احتج الجمهور على وقوع نسخ الكتاب بالسنة بان آية الوصية للاقربين منسوخة بقوله لا وصية لوارث وبان آية الجلد صارت منسوخة
بخبر الرجم اجاب الشافعي بان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان آية الميراث مانعة من الوصية ولعل الرجم انما ثبت
بقوله تعالى الشيخ والشيخة الخ له ملك السموات والارض فهو يدبر الامور ويجريها على حسب المصالح وهو عالم بما يتعبد المكلفين به من ناسخ
ومنسوخ والخطاب في الم تعلم اما للنبي فيدخل الامة تبعا او لكل من له اهلية الخطاب ومعنى الاستفهام فيه التقرير والاثبات لظهور آثار قدرته

ووضوح آيات ملكه وسلطانه وقيل شارة الى ما شاهد ليلة المعراج بعين اليقين ثم علمها حق اليقين فترقى من رتبة الآيات الى كشف الصفات
ومن كشف الصفات الى عيان الذات ثم تنسخ عن الخيال واثبت في العيان والولي ضد العدو وكل من ولي امر واحد فهو وليه فعيل بمعنى فاعل
وكذا النصير الواو في ومالكم يحتمل ان يكون للاعتراض فلا محل للجملة ويحتمل ان يكون للعطف على له ملك السموات فيدخل تحت الاستفهام
ويكون قوله من دون الله من وضع الظاهر موضع الضمير ولا يوقف على والارض ام تريدون قيل الخطاب للمسلمين لقوله ومن يتبدل الكفر
بالايمان وهذا لا يصح الا في حق المؤمنين ولان ام للعطف ولا معطوف ظاهرا فالتقدير وقولوا انظرنا واسمعوا فهل تفعلون هذا كما
امرتم ام تريدون ان تسئلوا رسولكم ولانه سئل قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا
يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب كما سئلوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة وهذا قول الاصم والجبائي وابي مسلم وقيل انه خطاب
لاهل مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد ان عبد الله بن امية المخزومي اتى رسول الله صلعم في رهط من قريش فقال يا محمد ما أؤمن بك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك بعد ذلك
حتى تنزل علينا كتابا من الله الى عبد الله بن امية ان محمدا رسول الله فاتبعوه وقال له بقية الرهط فان لم تستطع ذلك فائتنا بكتاب من
عند الله جملة واحدة فيه الحلال والحرام والحدود والفرائض كما جاء موسى الى قومه بالالواح من عند الله كما سأله السبعون وعن مجاهد
ان قريشا سألت محمدا صلعم ان يجعل الله لهم الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا وقيل المراد اليهود لان هذه السورة
من اول قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي حكاية عنهم ومحاجة معهم ولان الآية مدنية ولانه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم ولان المؤمن
بالرسول لا يكاد يسئل ما يتبدل كفرا بايمان وليس في ظاهر الآية انهم اتوا بالسؤال فضلا عن كيفية السؤال بل المرجع فيه الى الروايات المذكورة
وههنا بحث وهو ان السؤال الذي ذكروه ان كان طلب المعجزات فمن اين انه كفر ومعلوم ان طلب الدليل على الشيء لا يكون كفرا وان كان ذلك
طلبا لوجه الحكمة التفصيلية في نسخ الاحكام فهذا ايضا لا يكون كفرا فان الملائكة طلبوا الحكمة التفصيلية في خلق البشر ولم يكن ذلك كفرا
فالتكفير اما لانهم طلبوا منه صلعم ان يجعل لهم الها كما لهم آلهة واما لانهم طلبوا المعجزات على وجه التعنت واللجاج قلت والاصوب في الآية ان يكون
ام تريدون معطوفا على الم تعلم على انه خطاب لكل مكلف فيكون في معنى الجمع ثم ام اما ان تكون متصلة على معنى اي الامرين كائن فان العلم
واقع بكون احدهما لانه اما ان لا يعلم نفوذ علمه وقدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره واما ان يعلم فليسئل وجه الحكمة في النسخ وغيره على سبيل العناد
وكلا الامرين يوجب التكفير اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المعترف بحكمة البالغ وعنايته الشاملة ورأفته الكاملة وقدرته الظاهرة حقه
ان يقتصر على علمه الاجمالي ولا يتخطى مقام الادب في البحث والتنقير عن تفاصيل حكمته التي تكاد تنحصر يوهم ان السائل في شك مما امر به او نهي عنه
على هذا لا يوقف على بصيرا واما منقطعة على انه اضرب عن الاستفهام الاول واستأنف استفهاما ثانيا ويحتمل ان لا يكون قوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان حكما بتكفيرهم بسبب السؤال بل يكون تنبيها للمكلفين على ان السؤال عما لا يهم لهم مما قد ينجر الى الغواية لكثرة عروض الشكوك والشبهات
حتى يقفوا على الاعتقاد الحق والتقليد الصرف فيما لا سبيل الى درك تفاصيله ولا يهم معرفتها وسواء السبيل وسطه وهو الصراط المستقيم الذي مر تفسيره
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ
دوست داشتند بسیاری از اهل کتاب که برگردانند شما را پس از گرویدنتان کافران از حسد ایشان پس از آنکه ظاهر شد مر ایشان را حقیقت پس در گذرید و بخشید تا که صادر فرماید خدا فرمان خود
اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
بیشک خدا بر هر چیزی تواناست و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را و هرچه پیش وا رید از برای خودتان از خوبی می یابید او را نزد خدا بیشک خدا بآنچه میکنید بیناست
وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ
و گفتند که داخل نشود بهشت را بجز آنکه بوده باشد از یهود یا ترسایان اینست آرزوهای ایشان بگو که بیارید حجت خودتان را اگر هستید راستگویان آری هر که تسلیم کرد
وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ
روی خود را از برای خدا و حال آنکه نیکوکار است پس مر او راست مزد وی نزد پروردگارش و نیست ترسی بر ایشان و نه اندوهناک شوند و گویند یهود که نیستند ترسایان بر چیزی و گویند
النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ترسایان که نیستند یهود بر چیزی و حال آنکه ایشان میخوانند کتاب را همچنین میگویند آنان که نمی دانستند مانند گفتار ایشان پس خدا داوری کند میان ایشان روز قیامت
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ القراءة قد سلف الوقوف كفارا ج لان حسدا مصدر محذوف اي يحسدون حسدا او حال او مفعول له وهو وجه اول وصل
در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند الوقوف ج لعطف الجملتين المختلفتين بامره ط قدير ه الزكوة ط لان ما للشرط والشرط مصدر عند الله ط بصير ه
او نصارى ط امانيهم ط صادقين ه عند ربه ص لعطف الجملتين المتفقتين يحزنون ه النصارى على شيء ص لعطف الجملتين المتفقتين على شيء ص لان
الواو للحال الكتاب ط مثل قولهم ج لان فالله مبتدأ مع فاء التعقيب يختلفون ه التفسير هذا نوع آخر من مكايد اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا

فيما يوجب التكفير

فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا
وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله ص
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت وكفارا نصب على الحال او مفعول ثان ليردونكم على انه بمعنى صيّر الحسد من قبيح الخصال الذميمة قال ص الحسد
يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال ان لنعم الله اعداء قيل ومن اولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ستة يدخلون
النار قبل الحساب الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد وروي ان موسى
لما ذهب الى ربه راى في ظل العرش رجلا يغبط بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه قال احدثك من عمله ثلاثا
كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ويحكى ان عبد الله بن عون دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ
على واسط فقال اني اريد ان اعظك بشيء اياك والكبر فانه اول ذنب عصي الله به ابليس ثم قرأ فسجدوا الا ابليس استكبر واياك والحرص فانه اخرج آدم من
الجنة امكنه الله من جنة عرضها السموات والارض فاكل منها فاخرجه الله ثم تلا اهبطا منها واياك والحسد فانه قتل ابن آدم اخاه حين حسده
ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق وقال ابن الزبير ما حسدت احدا على شيء من امر الدنيا لانه ان كان من اهل الجنة فكيف احسده على الدنيا و
هي حقيرة في الجنة وان كان من اهل النار فكيف احسده على امر الدنيا وهو يصير الى النار واعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت زوالها فهذا
هو الحسد المحرم الذي ذم الله تعالى صاحبه في هذه الآية وغيرها ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ان تمسسكم حسنة تسؤهم ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال ص لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا وانفقه في سبيل الله ورجل آتاه الله علما فهو
يعمل به ويعلم الناس وهذا يدل على ان الحسد قد يطلق على المنافسة وقد تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة
وقد تكون مندوبة في نحو الانفاق في سبيل الله والتشمر للعلم والتعليم وقد تكون مباحة وللحسد مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عنه
وان لم يحصل له وهذه اخبث الثانية ان يحب زوالها عنه لرغبته في ذاته الحسنة او مراته او ولايته فالمطلوب بالذات حصولها له فاما زوالها
عن غيره فمطلوب بالعرض الثالثة ان لا يشتهي زوالها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما الرابعة
ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان في الدنيا والمندوب اليه ان كان في الدين والثالثة
منها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الاولى والحسد قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه
لعين ذلك مذموم واسباب الحسد سبعة اولها العداوة والبغضاء فان من آذاه انسان ابغضه قلبه وغضب عليه وتولد منه الحقد المقتضي
للتشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان كما قال عز من قائل ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها وربما افضى هذا الحسد الى التنازع والتقاتل ثانيها التعزز فان واحدا من امثاله اذا نال منصبا عاليا ترفع عليه وهو
لا يمكنه تحمل ذلك فاراد زوال ذلك المنصب عنه وليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته وثالثها ان يكون في طبعه ان
يستخدم غيره فيريد زوال النعمة من ذلك الغير ليقدر على ذلك الغرض قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهؤلاء منّ الله عليهم
من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم ورابعها التعجب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم وخامسها الخوف من فوت المقاصد
وذلك يختص بالمتزاحمين على مقصود واحد كتحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة في التزاحم على نيل المنزلة عند
الابوين وتحاسد الوعاظ المتزاحمين على اهل بلدة وسادسها حب الرياسة كمن يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون فانه لو سمع بنظير
له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته فان الكمال محبوب لذاته وضد المحبوب مكروه ومن جملة انواع الكمال التفرد بالكمال لكن هذا يمتنع حصوله
الا لله تعالى ومن طمع في المحال خائب خاسر سابعها شح النفس بالخير على عباد الله فانك تجد من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن
حال عبد من عباد الله شق عليه ذلك واذا وصف اضطراب امور الناس وادبارهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده
كانهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته وهذا ليس له سبب ظاهر سوى خبث النفس كما قيل البخيل من بخل بمال غيره وقد يجتمع بعض هذه الاسباب
فيعظم الحسد ويقوى بحسبه قلما يقع التحاسد الا في الامور الدنيوية لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين اما الآخرة فلا ضيق فيها فلهذا لا يكون تحاسد
بين ارباب الدين واصحاب اليقين وانما يكونون بلقاء اخوانهم مستأنسين وببقاء اقرانهم فرحين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين واما علاج الحسد فامران العلم والعمل اما العلم ففيه مقامان اجمالي وهو ان يعلم ان الكل بقضاء الله وقدره وان ما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن لا يرده كراهية كاره ولا يجره ارادة مريد وتفصيلي وهو العلم بان الحسد قذى في عين الايمان حيث كره حكم الله وقسمته في
عباده وغش للاخوان وعذاب اليم وحزن مقيم ومورث للوسواس ومكدر للحواس ولا ضرر على المحسود في دنياه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
ولا في دينه بل ينتفع به لانه مظلوم من جهتك فيثيبه الله على ذلك ثم ينتفع في دنياه ايضا من جهة انك عدوه ولا تزال تزيد همومك و
احزانك الى ان يفضي بك الى الدنف والتلف شعر اصبر على مضض الحسود فان صبرك قاتله: النار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله: وقد يستدل

مراتب اربعة للحسد

في علاج الحسد

بحسد الحاسد على كونه مخصوصاً من الله تعالى بمزيد الفضائل شعر: لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد، لا زلت محسوداً على نعمة، فإنما الكامل من يحسد. والحاسد مذموم بين الخلق ملعون عند الخالق مشكور في إبليس صدقاته مدحور عند الخلق ولبابه فهل هو إلا كمن رمى حجراً إلى عدوه ليصيبه به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ثانياً فيرميه أشد من الأول فيرجع على عينه الأخرى فيعميه فيزداد غيظه فيعود ثالثاً فيرجع على رأسه فيشدخه وعدوه سالم في كل الأحوال قد عاد عليه الوبال وأعداؤه حواليه يفرحون ويضحكون هذا في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وأما العمل فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح له وإن حمله على التكبر عليه كلف نفسه التواضع له وإن حمله على قطع أسباب الخير سعى في إيصال الخير إليه حتى يصير المحسود محبوباً بحباله فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وذلك التكلف يصير بالآخرة طبعاً والله الموفق واعلم أن النفرة القائمة بقلب الحاسد من المحسود أمر غير داخل في وسعه فكيف يعاقب عليه إنما الداخل تحت التكليف رضاه بتلك النفرة ثم إظهار آثارها من القدح فيه والقصد إلى إزالة النعمة عنه وجر أسباب المحنة إليه ثم إنهم كانوا يريدون رجوع المؤمنين من الإيمان من بعد ما تبين لهم أن الإيمان صواب وحق فألقوا إليهم ضربين من الشبه لعلمهم أن الحق لا يعدل عنه إلا بالشبهة أحدهما ما يتصل بالدنيا وهو قولهم لهم قد علمتم ما نزل بكم من إخراجكم من دياركم وأموالكم واستمرار الخوف عليكم فاتركوا إيمانكم الذي يأتكم إلى هذه الثاني في باب الدين بالقدح في المعجزات وتحريف التوراة وقوله من عند أنفسهم إما أن يتعلق بودّ أي تمنوا ذلك من قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق وإما أن يتعلق بحسداً أي منبعثاً من أصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح بترك المقاتلة والإعراض عن الجواب لأن ذلك أقرب إلى تسكين النائرة لا دائماً بل حتى يأتي الله بأمره عن الحسن أنه المجازات يوم القيامة وقيل قوة الإسلام وكثرة المسلمين والأكثرون على أنه الأمر بالقتال فعنده يتعين إما الإسلام وإما قبول الجزية وتحمل الذل والصغار والآية منسوخة لأن الآية التي علق بها غير معلوم متى شرعاً فليس كقوله ثم أتموا الصيام إلى الليل بل تحل محل قوله فاعفوا واصفحوا إلى أن ينسخه عنكم عن الباقر أنه لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال حتى نزل جبرئيل بقوله أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وقلده سيفاً فكان أول قتال أصحاب عبد الله بن جحش ببطن نخل وبعده غزوة بدر فإن قيل كيف يعفون ويصفحون والكفار أصحاب قوة وشوكة والصفح لا يكون إلا عن قدرة قلنا إن الرجل من المسلمين كان ينال بالأذى فيقدر على بعض التشفي والاستعانة على بنائه بأصحابه فأمروا أن لا يهيجوا قتالاً وفتنة وأيضاً القليل منهم كان يقاوم الكثير من المشركين إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأيضاً جعل الصابر له القوة ليظهره على الدين كله وقيل المراد بالعفو والصفح حسن الاستدعاء واستعمال ما يلزم فيهم من النصح والإشفاق وترك التشدد وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة وكذا لو قيل المراد بأمر الله قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم إن الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلاة تنبيه على أنه كما يلزمهم لحظ حال غيرهم بالعفو والصفح كذلك يلزمهم لحظ أنفسهم بأداء الواجبات من خير من حسنة صلاة أو صدقة فريضة أو تطوع فعمم بعدما خص تنبيهاً على أن الثواب لا يختص بالواجبات بل بها وبغيرها من الطاعات ولا بد من إضمار أي تجدوا ثوابه لأن وجدان عين تلك الأشياء غير مطلوب إن الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء من الأعمال وفيه ترغيب للمحسن وترهيب للمسيء وقالوا لن يدخل الجنة نوع آخر من تخليط أهل الكتاب اليهود والنصارى والضمير في وقالوا لهم والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخلها إلا من كان نصارى فجمع بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق ما قاله لما علم من تكفير كل واحد منهما صاحبه ومثله وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كبازل وبزل وعائذ وعوذ والعائذ الحديثة النتاج من النوق والبازل الذي خرج نابه ووحد اسم كان حملاً على لفظ من وجمع خبره حملاً على المعنى ومثله فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم تلك أمانيهم على حذف المضاف أي أمثال تلك الأمنية أمانيهم جميعاً في البطلان مثل هذه وهي قولهم لن يدخل الجنة وأشير بتلك إليها وإلى ودادتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم أمنية وودادتهم أن يردوهم كفاراً أمنية وقوله أن يدخل الجنة أمنية أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتلك أمانيهم اعتراض على هذا وهات التي اسم فعل معناه أعط ويتصرف فيه بحسب المأمور هات هاتيا هاتوا هاتي هاتين وقيل الصحيح أنه ليس باسم فعل وإنما الهاء فيه مبدلة من الهمزة وأصله أنه من الإيتاء برهانكم حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم وفيه دليل واضح على أن المدعي نفياً أو إثباتاً لا بد له من برهان وإلا فدعواه باطلة من ادعى شيئاً بلا شاهد لا بد أن تبطل دعواه بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة وقوله من أسلم إلى آخره جملة شرطية مستأنفة ويجوز أن يكون من أسلم فاعلاً لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاماً معطوفاً على يدخلها من أسلم وفيه إشارة إلى أن لهؤلاء الداخلين برهاناً وهو استسلام النفس وانقيادها لطاعة الله مع الإحسان وفيه ترغيبهم في الإسلام وبيان لمفارقة حالهم حال من يدخل الجنة كأنه قيل لهم أنتم على ما أنتم عليه لا تفوزون بالجنة بلى إن غيرتم طريقتكم وأسلمتم وجهكم لله وأحسنتم فلكم الجنة وإنما خص الوجه بالذكر لأنه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس ومنبع الفكر والتخيل فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى ولأن الوجه قد يكنى به عن النفس والذات كل شيء هالك إلا وجهه إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولأن أعظم العبادات السجدة وهي إنما تحصل بالوجه فهذا

الاسلام اخص لان الاسلام الذی ورد فی الحدیث الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقیم الصلوة وتوتی الزکوة وتحج البیت ان استطعت الیه سبیلا لان هذا عبارة عن الاذعان الکلی بجمیع القوی والجوارح فی کل الاحوال والاوقات وهو الاسلام الذی امر به ابرهیم اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمین ویؤکد ذلک قوله لله ای خالصا له لا یشوبه شرک فلا یکون عابدا مع الله غیره ولا معتقدا رجاء غیره وزاد التاکید بقوله وهو محسن ای حال کونه محسنا فی عمله ومعنی الاحسان هو الذی فی الحدیث الاحسان ان تعبد الله کانک تراه فان لم تکن تراه فانه یراک ولا ریب ان العبادة علی هذا الوجه لا یصدر الا عن صدق النیة وصفاء الطویة فان مثول العبد بین یدی مولاه یشغله عن الالتفات الی ما سواه فلا یقع قصده فیما هو فیه الا لوجه الله فلا یصدر عنه شیء من السیئات واما الطاعات والمباحات فیکون مقتضیة لتزاید الحسنات ورفع الدرجات فی الخبر من تطیب لله جاء یوم القیمة وریحه اطیب من ریح المسک ومن تطیب لغیر الله جاء یوم القیمة وریحه انتن من الجیفة وذلک ان المتطیب ان کان قصده التنعم واستیفاء اللذات والتودد الی النسوان کان التطیب معصیة وان کان قصده اقامة السنة ودفع الروائح المؤذیة عن عباد الله وتعظیم المسجد فهو عین الطاعة وکذا الکلام فی المناکح والمطاعم والمشارب والضابط ان کل ما فعلته لداعی الحق فهو العمل الحق وکل ما عملته لغیر الله فحلالها حساب وحرامها عذاب وروی ان رجلا فی بنی اسرائیل مر بکثبان من رمل فی مجاعة فقال فی نفسه لو کان لی هذا الرمل طعاما لقسمته بین الناس فاوحی الله تعالی الی نبیهم قل له ان الله قد صدقک وشکر حسن نیتک واعطاک ثواب لو کان طعاما فتصدقت ولیس المعتبر ان یقول فی نفسه او بلسانه عند تدریسه او تجارته نویت ان ادرس لله او اتجر لله هیهات انما هذا حدیث نفس او لسان وما ذاک الا کقول الفارغ نویت ان اعشق واما النیة فهی انبعاث النفس ومیلها الی سلوک طریق الحق فی کل فعل فاجتهد فی تصییر ذلک ملکة لنفسک شعر وللناس فیما یعشقون مذاهب فمنهم من یعمل لباعث الخوف من النار فله ذلک ومنهم من یعمل لباعث الطمع فی الجنة وهم اکثر اهل الجنة لقصورهم عن طموح ما فوقها من الکمالات واللذات الحقیقیات اکثر اهل الجنة البله ومنهم من یعمل لله فله اجره عند ربه ولا خوف علیهم ولا هم یحزنون ولما جمع الله تعالی اهل الکتابین فی الایة المتقدمة فصل بینهما وبین قول کل فریق فی حق الاخر والظاهر حمل لفظی الیهود والنصاری علی العموم وان کان السبب خاصا لان هذا اعتقاد کل واحد من کل من الطائفتین فی حق الاخری وروی ان وفد نجران لما قدموا علی رسول الله صلی الله علیه وسلم اتاهم احبار الیهود فتناظروا حتی ارتفعت اصواتهم فقالت الیهود ما انتم علی شیء من الدین وکفروا بعیسی والانجیل وقالت النصاری لهم نحوه وکفروا بموسی والتورية ومعنی علی شیء یصح ویعتد به وفیه مبالغة عظیمة کقول العرب اقل من لا شیء عن ابن عباس رضی الله عنهما صدقوا ای فی ذلک ان الایمان بالله لا یعتد به اذا کان مؤمنا برسوله وبکل ما انزله وهم یتلون الکتاب الواو للحال والکتاب للجنس ای قالوا ذلک وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للکتب وحق من حمل التورية والانجیل وغیرهما من کتب الله ان یؤمن بالباقی ولا یکفر به لان جمیع الکتب السموية متواردة فی تصدیق بعضها بعضا کذلک الکاف للتشبیه وذلک اشارة الی المذکور ای قولا مثل الذی سمعت به قال الذین لا یعلمون ومثل قولهم مکرر للتاکید لطول الکلام بالموصول والصلة والمراد بالذین لا یعلمون الجهلة الذین لا علم عندهم ولا کتاب کعبدة الاصنام القائلین ان المسلمین لیسوا علی شیء وفیه توبیخ عظیم لهم حیث نظموا انفسهم مع علمهم فی سلک من لا یعلم نفاقا قولا عن التشهی والعصبیة مثلهم فالله یحکم بینهم ای بین الیهود والنصاری یوم القیمة عن الحسن یکذبهم جمیعا ویدخلهم النار ویجوز ان یرجع الضمیر الی الکل الذین یعلمون والذین لا یعلمون والی المسلمین ویحکم بین المحق والمبطل فیما اختلفوا فیه فینتصف من الظالم المکذب للمظلوم المکذب ویریهم من یدخل الجنة عیانا ومن یدخل النار عیانا اعاذنا الله تعالی منها ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان یذکر فیها اسمه وسعی فی خرابها اولئک ما کان

وکیست ستمکارتر از انکه واداشت مسجدهای خدا را از انکه ذکر شود دران نام خدا وجهد کند در خرابی آن آن گروه سزاوار نیستند

لهم ان یدخلوها الا خائفین لهم فی الدنیا خزی ولهم فی الاخرة عذاب عظیم ولله المشرق والمغرب فاینما

که ایشان داخل شوند آنجا مگر ترسناکان مر ایشان راست در دنیا رسوائی ومر ایشان راست در آخرت عذاب بزرگ ومر خدا راست مشرق ومغرب پس هرجا

تولوا فثم وجه الله ان الله واسع علیم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فی السموات والارض کل له قانتون

که رو آرید پس آنجاست قبله بدرستی که خدا محیط است ودانا وگویند که قرار داده خدا برای خود فرزند منزه است او بلکه مر اوراست هرچه در آسمانها وزمین است هر یک مر او را فرمانبردارند

بدیع السموات والارض واذا قضی امرا فانما یقول له کن فیکون وقال الذین لا یعلمون لولا یکلمنا الله او تاتینا

آفریننده آسمانها وزمین است وچون اراده کرد کاری پس جز این نیست که میگوید او را که باش پس میشود وگویند آنانکه نمیدانند که چرا گفتگو نمیکند با ما خدا ونمی آید ما را

ایة کذلک قال الذین من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بینا الایات لقوم یوقنون القراء قالوا اتخذ الله

نشانی وهمچنین گویند آنان که پیش از ایشان بودند بطریق گفتار ایشان بهم مانند دلهای ایشان تحقیق که ظاهر ساختیم نشانها را از برای مرقنان

بلا واو العطف ابن عامر اتباعا لمصاحف اهل الشام کن فیکون بالنصب کل القران ابن عامر الا قوله کن فیکون الحق فی ال عمران وکن فیکون قوله الحق فی الانعام ووافقه الکسائی فی النحل ویس الوقوف خرابها ط للفصل بین الاستفهام والخبر خائفین ط لان ما بعده اخبار وعید مبتدا منتظر عظیم وجه الله ط علیم والدا لا لتعجیل التنزیه سبحانه ط والارض ط لان ما بعده مبتداء قانتون والارض ط لان اذا اجیبت بالفاء وکانت للشرط فیکون ایة ط قلوبهم ط لان قد للتوکید الاستیناف یوقنون التفسیر عن ابن عباس ان ملک النصاری غزا بیت المقدس فخربه والقی فیه الجیف وحاصر اهله وقتلهم وسبی الذریة واحرق

التوراة وأحرقها حتى بناه أهل الإسلام في زمان عمر فنزلت الآية فيهم عن الحسن وقتادة والسدي نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس وأعانه على ذلك بعض النصارى ورد بأن بختنصر كان قبل مولد المسيح بزمان وقيل نزلت في مشركي العرب الذين منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء إلى الله بمكة وألجأوه إلى الهجرة فصاروا مانعين له ولأصحابه أن يذكروا الله في المسجد الحرام وقيل المراد منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ووجه اتصال الآية بما قبلها على القولين الأولين هو أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة وعلى الآخرين هو أنه جرى ذكر مشركي العرب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون فعقب ذلك بسائر قبائحهم ومن استفهامية لتقرير النفي أي ليس أحد أظلم ممن منع وأن يذكر ثاني مفعوليه لأنك تقول منعته كذا أو بدل من مساجد أو حذف حرف الجر مع أن أو التقدير كراهة أن يذكر فيكون مفعولا له وهذا حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم ولا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا ومن أظلم ممن آذى الصالحين ومثله ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق وينبغي أن يراد بمن منع العموم لا الذين منعوا من أولئك النصارى أو المشركين بأعيانهم والسعي في خراب المساجد بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان قيل إن قوله ومن أظلم الذي هو في قوة ليس أحد أظلم ليس على عمومه لأن الشرك أعظم من هذا الفعل إن الشرك لظلم عظيم وكذا الزنا وقتل النفس قلنا أما استعمال لفظ الظلم في هذا المعنى ففي غاية الحسن لأن المسجد موضوع لذكر الله تعالى فيه فالمانع من ذلك واضع للشيء في غير موضعه وأما أنه لا أظلم منه فلأنه إن كان مشركا فقد جمع مع شركه هذه الخصلة الشنعاء فلا أظلم منه وإن كان يدعي الإسلام ففعله مناقض لقوله لأن من اعتقد أن له معبودا عرف وجوب عبادته له عقلا أو شرعا والعبادة تستدعي متعبدا لا محالة فتخريب المعبد ينبئ عن إنكار العبادة وإنكار العبادة يستلزم إنكار المعبود فهذا الشخص لا يكون في الحقيقة مسلما وإنما هو منخرط في سلك أهل النفاق والمنافق كان أسوأ حالا من الكافر الأصلي بالاتفاق أولئك المانعون ما كان لهم أي ما ينبغي لهم أن يدخلوها في حال من الأحوال إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل هذه بشارة للمؤمنين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام إلا خائفين من أن يعاقبوا أو يقتلوا إن لم يسلموا وقد أنجز الله هذا الوعد فمنعهم من دخول المسجد الحرام ونادى فيهم عام حج أبو بكر ألا لا يحجن بعد العام مشرك وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإخراج اليهود من جزيرة العرب وصار بيت المقدس في أيدي المسلمين وقيل يحرم عليهم دخول المسجد إلا في أمر يتضمن خوفا نحو أن يدخلوا للمحاكمة والمخاصمة أو المحاجة وقيل اللفظ خبر لكن معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ومن هنا قال مالك لا يجوز للكافر دخول المساجد وخصص الشافعي المنع بالمسجد الحرام لجلالة قدره ومزيد شرفه وللتصريح بذلك في قوله إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وجوز أبو حنيفة دخول المساجد كلها لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قدم عليه وفد ثقيف فأنزلهم المسجد [illegible] أول الإسلام ثم نسخ بالآية خزي أي منعهم من المساجد بالجزية في أهل الذمة وبالسبي والقتل في حق أهل الحرب فيه ردع لهم عن ثباتهم على الكفر وقيل الخزي فتح مدائنهم قسطنطينية وعمورية ورومية والعذاب العظيم يناسب الظلم العظيم ولنذكر ههنا فوائد الأولى في بيان فضل المساجد من ذلك إضافتها إلى الله في الآية وذلك يدل على شرفها وكذا في قوله وأن المساجد لله بلام الاختصاص إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وقال صلى الله عليه وسلم أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها وليس ذلك إلا لأن المسجد يذكر فيه الحبيب والسوق يشتغل عنه وفي الآية نكتة وهي أن مخرب المساجد لما كان في نهاية الظلم والكفر يلزم أن يكون عامر المساجد في غاية العدل والإيمان الثانية في فضل المشي إلى المساجد عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة وقال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة حين أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد دياركم تكتب آثاركم الثالثة في تزيين المساجد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أمرت بتشييد المساجد قال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى التشييد رفع البناء وتطويله والزخرفة التزيين بالتمويه وأمر عمر ببناء مسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس الرابعة في تحية المسجد عن أبي قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وتتأدى التحية بالفرض والنفل نواها أو لا وهذا مذهب الحسن البصري ومكحول والشافعي وأحمد وإسحق وقيل يجلس ولا يصلي وإليه ذهب ابن سيرين وعطاء بن أبي رباح والنخعي وقتادة ومالك والثوري وأصحاب الرأي الخامسة في الدعاء عند الدخول في المسجد والخروج عنه روت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج صلى على محمد وقال رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك السادسة في فضيلة القعود فيه لانتظار الصلوة عن أبي هريرة أنه قال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون اللهم اغفر له وارحمه ما لم يحدث السابعة في كراهية البيع والشراء فيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تناشد الأشعار في المساجد وعن البيع والشراء فيها وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلوة يعني يكره التحلق العام ونحوه بل يشتغل بالذكر والصلوة والإنصات بالخطبة ثم لا بأس بالاجتماع والتحلق بعد الصلوة وأما طلب الضالة في المسجد ورفع الصوت بغير الذكر فيكره عن أبي هريرة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع رجلا ينشد ضالة في المسجد فليقل لا أداها الله إليك فإن المساجد لم تبن لهذا وقد كره بعض السلف المسألة في المسجد وكان بعضهم لا يرى أن يتصدق على السائل المتعرض

فضل المساجد

في المسجد قال معاذ بن جبل ان المساجد طهرت من خمس من ان يقام فيها الحدود او يقبض فيها الخراج او ينطق فيها بالاشعار او ينشد فيها الضالة او يتخذ سوقا ولم ير بعضهم بالقضاء في المسجد باسا لان النبي لاعن بين العجلاني وامرأته في المسجد ولاعن عمر عند منبر النبي وقضى شريح والشعبي ويحيى بن يعمر في المسجد وكان الحسن وزرارة بن ابي اوفى يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد الثامنة في النوم في المسجد عن عباد بن تميم عن عمه انه رأى رسول الله مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وفيه دليل على جواز الاتكاء والاضطجاع وانواع الاستراحة كالنوم جوازها في البيت الا الانبطاح فانه روي انه نهى عنه وقال انها ضجعة يبغضها الله التاسعة في كراهة البزاق في المسجد عن انس عن النبي قال البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعنه اذا قام احدكم الى الصلوة فلا يبصق امامه فانه يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فان عن يمينه ملكا ولكن ليبصق عن شماله او تحت رجله فيدفنه العاشرة عن جابر انه قال من اكل ثوما او بصلا فليعتزل مسجدنا وعنه من اكل من هذه الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الانس الحادية عشرة في بناء المساجد في الدور عن عائشة قالت امر رسول الله ببناء المساجد في الدور وان تنظف وتطيب وفيه دليل على جواز تسمية الموضع بالمسجد لا يخرجه عن ملك مسلمه قوله عز من قائل وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ الاية الاكثرون على انها نزلت في امر يختص بالصلوة ومنهم من زعم انها اما الفرقة الاولى فاختلفوا على وجوه احدها انه اراد به تحويل المسلمين عن استقبال بيت المقدس الى الكعبة فقال ان المشرق والمغرب جميع الاطراف مملوكة له سبحانه ومخلوقة له فاينما امركم باستقباله فهو القبلة ليست قبلة لذاتها بل بجعل الله تعالى فكانت الاية مقدمة لما اراد من نسخ القبلة وثانيها عن ابن عباس لما حولت القبلة عن بيت المقدس انكر اليهود ذلك فنزلت ردا عليهم وثالثها قول ابي مسلم ان كلا من اليهود والنصارى زعمت ان الجنة لهم وحدهم فرد الله عليهم وذلك ان اليهود انما استقبلوا بيت المقدس لاعتقادهم انه تعالى صعد السماء من الصخرة والنصارى استقبلوا المشرق لان عيسى ولد هناك اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فكل منهما وصف معبوده بالحلول في الاماكن ومن كان هكذا فهو مخلوق لا خالق فكيف يخلص لهم الجنة وهم لا يفرقون بين المخلوق والخالق ورابعها قول قتادة وابن زيد ان الله تعالى وصف بيت المقدس بالتخيير اي جهة شاء بهذه الاية وكان للمسلمين ذلك الا ان النبي كان يختار التوجه الى بيت المقدس ثم انه تعالى نسخ ذلك التخيير بتعيين الكعبة وخامسها ان الاية في حق من يشاهد الكعبة فله الاستقبال من اي جهة شاء وسادسها روى عبد الله بن عامر بن ربيعة كنا مع رسول الله في غزاة في ليلة سوداء مظلمة فلم نعرف القبلة فجعل كل رجل منا مسجده حجارة موضوعة بين يديه ثم صلينا فلما اصبحنا اذا نحن على غير القبلة فذكرنا ذلك لرسول الله فانزل الله هذه الاية عذرا لنا في خطائنا وهذا الحديث يدل على انهم قد نقلوا الى الكعبة لان القتال فرض بعد الهجرة بعد نسخ القبلة وسابعها عن ابن عمر نزلت في المسافر يصلي النوافل حيث توجهت به راحلته وكان اذا رجع من مكة صلى على راحلته تطوعا يومي برأسه نحو المدينة فمعنى الاية أَيْنَمَا تُوَلُّوا وجوهكم لنوافلكم في اسفاركم فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ اي فقد صادفتم رضاه إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ الفضل عَلِيمٌ بمصالحكم فمن ثم رخص لكم كيلا يلزم ترك النوافل والتخلف عن الرفقة فان النوافل غير محصورة بخلاف الفرائض فانها محصورة فتكليف النزول عن الراحلة لاستقبال القبلة لا يفضي فيها الى الحرج ولا يخفى ان الاية على الوجه الاول ناسخة وعلى الوجه الرابع منسوخة وعلى سائر الوجوه لا ناسخة ولا منسوخة واما الفرقة الثانية فاختلفوا ايضا فقيل الخطاب في تولوا للمانعين والساعين يريد انهم اين هربوا فان سلطاني يلحقهم وتدبيري يسبقهم وعلمي محيط بمكانهم عن قتادة ان النبي قال ان اخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ الاية فقالوا انه كان لا يصلي الى القبلة فنزلت هذه الاية اي الجهات التي يصلي اليها اهل كل ملة لي فمن وجه نحو شيء منها يريد طاعة وجدني ثم وكان في هذا عذر للنجاشي واصحابه الذين ماتوا على استقبال المشرق كقوله وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ وعن الحسن ومجاهد والضحاك لما نزلت ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ قالوا اين ندعوه فنزلت وعن علي بن عيسى انه خطاب للمسلمين اي لا يمنعكم تخريب من خرب مساجد الله عن ذكره حيث كنتم من ارض الله بلاد المشرق والمغرب والجهات كلها ففي اي مكان فعلتم التولية التي امرتم بها بدليل فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فولوا وجوهكم شطره فثم الجهة المأمور بها المرضية وهذا كقوله جعلت لي الارض مسجدا وقيل نزلت في المجتهدين في الصلوة وفي غيرها وفيه ان المجتهد اذا راى بشرائط الاجتهاد رايا فهو مصيب ومعنى تولوا في جميع الوجوه تستقبلوا بوجوهكم اليها ويقال وليت الى فلان اي ادبرت والتولية من الاضداد ومن جعل الخطاب للمانعين احتمل ان يريد بالتولية الادبار وثم اشارة الى المكان خاصة وقد تمسك المجسمة من الاية ان لله تعالى وجها وانه سماه واسعا والسعة من نعوت الاجسام والجواب ان الاية عليهم لا لهم فان الوجه لو حمل على مفهومه اللغوي لزم خلاف المعقول فانه ان كان محاذيا للشرقي استحال ان يكون محاذيا للغربي فلا بد من تاويل هو ان الاضافة للتشريف مثل بيت الله وناقة الله لانه خلقهما واوجدهما فاي جهة من جهات العالم وجهها المضاف اليه بالخلق والتكوين نصبه عينه فهو قبلة او المراد بالوجه القصد والنية مثل وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فثم مرضات الله مثل إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ فان المتقرب الى احد شيئا فشيئا كالمتوجه الى شخص ذاهبا اليه شيئا فشيئا وكيف يكون له وجه او المراد وجهة ام كيف يكون جسما او جسمانيا وانه خالق الامكنة والاحياز والجواهر والاعراض والخالق مقدم على المخلوق تقدما بالذات والعلية والشرف فالمراد بالسعة كمال الاستيلاء والقدرة والملك وكثرة العطاء والرحمة والانعام وانه تعالى قادر على الاطلاق في توفية ثواب من يقوم بالمأمورات على شرطها وتوفية عقاب من تكاسل فيها عليم بمواقع نياتهم فيجازيهم على حسب اعمالهم قوله وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا نوع آخر من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين جميعا فقد مر ذكرهم في قوله كَذَلِكَ قَالَ الَّذِ

في النوافل

لا يعلمون مثل قولهم وفي قوله ومن اظلم كامر والضمير يصلح للعقلاء لهم فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون من العرب قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات ملكا وخلقا ابداعا وصنعا ومن جملتهم الملائكة وعزير والمسيح والولد لابد ان يكون من جنس الوالد ومن اين المناسبة بين واجب الوجود لذاته وممكن الوجود لذاته اللهم الا في مطلق الوجود وذلك لا يقتضي شركة في الحقيقة الخاصة بكل منهما وقد يتخذ الولد للحاجة اليه في الكبر ورجاء الانتفاع بمعونته وذلك على الغني المطلق والقيوم الحق محال كل له قانتون التنوين عوض عن محذوف اي كل ما في السموات والارض والقنوت في الاصل الدوام ثم الطاعة او طول القيام او السكوت فالمعنى ان دوام الممكنات واستمرارها جميعا به ولاجله وقيل عن مجاهد وابن عباس مطيعون فسئل ما للكفار فاجاب انهم يطيعون يوم القيمة فسئل هذا للمكلفين وقوله بل له ما في السموات يعم المكلف وغيره فعدل الى تفسير اخر فقال المراد كونها شاهدة على وجود الخالق بما فيها من اثار القدرة وامارات الحدوث وكونها جميعا في ملكه وتحت قهره لا يمتنع عن تصرفه فيها كيف يشاء وعلى هذه الوجوه جمع السلامة في قانتون للتغليب او يراد كل من الملائكة وعزير والمسيح عابد له مقرون بربوبيته منكرون لما اضافوا اليهم من الولدية وعلى هذا الوجه يجمع على الاصل يحكى ان علي بن ابي طالب ع قال لبعض النصارى لولا تمرد عيسى عن عبادة الله تعالى لصرت على دينه فقال النصراني كيف يجوز ان ينسب ذلك الى عيسى مع جده في طاعة الله فقال علي ان كان عيسى الها فالاله كيف يعبد غيره وانما العبد هو الذي يليق به العبادة فانقطع النصراني وقيل بديع خبر مبتدأ محذوف اي هو بديع السموات والارض عمم اولا الملكية والاختصاص لا يستلزم كون المالك موجدا للمملوك ثم خص ثانيا فقال بديع وابدع الشيء اخترعه لا على مثال وهذا من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل بمعنى المبدع كاليم بمعنى مولم وضعف ثم انه تعالى بين كيفية ابداعه فقال واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اصل التركيب من ق ض ى يدل على التقطع ومنه قضى القاضي لهذا اذا فصل الدعوى وانقضى الشيء انقطع وقضى حاجته قطعها عن المحتاج وقضى الامر اذا اتمه واحكمه لان تمام العمل قطع له وقضى دينه واداه لانه انقطع كل منهما عن صاحبه وضاق الشيء لانه كانه مقطوع الاطراف والامر الشان والفعل ههنا ومعنى قضى امرا اتمه او حكم بانه يفعله او احكمه قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع ثم من قرأ فيكون بالرفع على تقدير فهو يكون فلا اشكال واما من قرأ بالنصب على انه جواب الامر فاورد عليه ان جواب الامر لابد ان يخالف الامر في الفعل وفي الفاعل او فيهما نحو اذهب تنتفع او اذهب يذهب زيد واذهب ينفعك زيد فاما ان يتفق الفعلان والفاعلان نحو اذهب تذهب فغير جائز لان الشيء لا يكون شرطا لنفسه قلت لا استبعاد في هذا لان الغرض الذي يترتب على الامر قد يكون شيئا مغايرا لفعل الامر وذلك اكثري وقد يكون الغرض مجرد ذلك الفعل فوقع ذلك الفعل في جواب نفسه ليعلم ان الغرض منه ليس شيئا اخر مغايرا له فقول القائل اذهب تذهب فمعناه اعلام ان الغرض من الامر هو نفس صدور الذهاب عنه لا شيء اخر كما ان المقصود في الاية من الامر بالوجود هو نفس الوجود فوقع كان التامة مثلها لهذا الغرض على انه يمكن ان يشبه الواقع بعد الامر بجواب الامر وان لم يكن جوابا له من حيث المعنى فان قلت ان قوله فيكون لما كان من تتمة المقول فالصواب ان يكون بناء الخطاب نحو اذهب فتذهب قلت هذا الحادث قد ذكر مرتين بلفظ الغيبة في قوله امرا وفي قوله له ومرة على سبيل الخطاب فغلب جانب الغيبة ويحتمل ان يكون من باب الالتفات تحقيرا لشانه في سهولة تكونه ولان اول الكلام مع المكلفين فرجع الى ذلك وههنا بحث اخر وهو انه لا يجوز ان يتوقف ايجاد الله تعالى لشيء على صدور لفظة كن منه لوجوه الاول ان قوله كن اما ان يكون قديما او محدثا لا جائز ان يكون قديما لان النون لكونه مسبوقا بالكاف يكون محدثا لا محالة والكاف لكونه متقدما على المحدث بزمان مقدر يكون محدثا ايضا ولان اذا للاستقبال فالقضاء محدث وقوله كن مرتب عليه بفاء التعقيب والمتاخر عن المحدث محدث ولان تكون المخلوق مرتب على كونه كن بالفاء والمتقدم على المحدث بزمان مخصوص محدث ايضا ولا جائز ان يكون كن محدثا والا احتاج الى مثله ويلزم اما الدور واما التسلسل واذا بطل القسمان بطل توقف الاشياء على كن الثاني اما ان يخاطب المخلوق بكن قبل دخوله في الوجود وخطاب المعدوم سفه واما بعد دخوله في الوجود ولا فائدة فيه الثالث المخلوق قد يكون جمادا وتكليف الجماد لا يليق بالحكمة الرابع اذا فرضنا القادر المريد منفكا عن قوله كن فان تمكن من الايجاد فلا حاجة الى كن وان لم يتمكن فلا يكون القادر قادرا على الفعل الا عند تكلمه بكن فيلزم عجز القادر بالنظر الى ذاته او يرجع الحاصل الى تسمية القدرة بكن ولا نزاع في اللفظ الخامس انا نعلم بالضرورة انه لا تاثير لهذه الكلمة اذا تكلمنا بها وكذا اذا تكلم بها غيرنا السادس المؤثر اما مجموع الكاف والنون ولا وجود لهما مجموعين لعند مجيء الثاني ينقضي الاول واما احدهما وهذا خلاف المفروض فثبت بهذه الوجوه ان حمل الاية على الظاهر غير جائز فلا بد من تاويل واصحه ان يقال المراد ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف فشبه حال هذا المتكون بحال المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يابى وفيه تاكيد لاستبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقيل انه علامة وضعها الله تعالى للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امرا عن ابي الهذيل وقيل انه خاص بالموجودين الذين قال لهم كونوا قردة ومن يجري مجراهم من الامم وقيل امر للاحياء بالموت وللموتى بالحيوة وقال الذين لا يعلمون يعني جهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به فالاية الاولى فيها بيان قدحهم في التوحيد وهذه الاية فيها بيان قدحهم في النبوة ولولا حرف تحضيض اي هلا يكلمنا وتقرير الشبهة ان الحكيم اذا اراد تحصيل شيء اختار اقرب الطرق المؤدية الى المطلوب

انه تعالى كلم الملائكة وكلم موسى وانت تقول يا محمد انه كلمك فاوحى الى عبده ما اوحى فلم لا يكلمنا مشافهة ولا ينص على نبوتك حتى يتأكد الاعتقاد ويزول الشبهة فان لم يفعل ذلك فلم لا يأتي بآية ومعجزة وهذا طعن منهم في كون القرآن آية ومعجزة فاجابهم الله تعالى بقوله كذلك قال الذين من قبلهم في التعنت كقوله اتواصوا به فكما ان قوم موسى كانوا ابدا في التعنت واقتراح الاباطيل لن نصبر على طعام واحد ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة فكذلك هؤلاء المشركون قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وكذلك المعاصرون من اليهود والنصارى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قد بينا الآيات لقوم يوقنون يتحققون فيوقنون انها آيات فلو كان غرضهم طلب الحق لوقع الاكتفاء بها لكونها آيات ظاهرة هي القرآن العظيم الذي اخرس شقاشق الفصحاء عن آخرهم ومعجزات باهرة كمجيء الشجرة وحنين الجذع وتسبيح الحصى واشباع خلق كثير من الطعام القليل وايضا لو كان في معلوم الله تعالى انهم يؤمنون عند انزال ما اقترحوه لفعله لكنه علم لجاجهم وعنادهم فلا جرم لم يفعل ذلك وايضا لعل في تلك الآيات مفاسد لا يعلمها الا علام الغيوب كانضمامها الى حد الالجاء المخل بالتكليف كالالجاء الى الاستيصال بالكلية اذا استمروا على التكذيب بعد مجيئها عن الفداء لصالح لالزام الحجة وايضا كثرة الآيات وتعاقبها ينافي كونها خوارق العادة فلا يبقى آية وكل ما ادى وجوده الى عدمه ففرض وجوده محال فثبت بهذه البيانات ان عدم اسعافهم بما اقترحوه لا يقدح في صحة النبوة والله اعلم.

التأويل مساجد الله التي يذكر فيها اسمه عند اهل النظر النفس والقلب والروح والسر والخفي وهو سر السر ولذكر كل مسجد منها مانع لذلك المسجد فذكر مسجد النفس الطاعات والعبادات ومنع الذكر فيه بترك الحسنات وملازمة السيئات وذكر مسجد القلب التوحيد والمعرفة ومنع الذكر فيه بالتمسك بالشبهات والتعلق بالشهوات كما اوحى الله الى داود يا داود حذر وانذر اصحابك كل الشهوات فان القلوب المعلقة بالشهوات عقولها عني محجوبة وذكر مسجد الروح الشوق والمحبة ومنع الذكر فيه بالحظوظ والمسكنات وذكر مسجد السر المراقبة والشهود ومنع الذكر فيه بالركون الى الكرامات والقربات وذكر مسجد الخفي بذل الوجود وترك الموجود ومنع الذكر فيه بالالتفات الى المشاهدات والمكاشفات اولئك ما كان لهم ان يدخلوها هذه المشاهد بقدم السلوك الا بخطوات الخوف من سوء الحساب والم العقاب لهم في الدنيا خزي من ذل الحجاب ولهم في الآخرة عذاب الحرمان من جوار الله ولله المشرق والمغرب القلوب مشارق شموس المعارف ومغاربها ولله في مشرق كل قلب ومغربه شارق وطارق وطارق القلب من هواجس النفس بطش وظلمات التي عند غلبات الهوى غروب نجم الهدى وشارق القلب من واردات الروح يشرق بانوار الفتوح عند غلبات الشوق في طلوع قمر الشهود فيكون القبلة واضحة والدلالات لائحة فاذا تجلت شموس صفات الجلال اختفت نجوم صفات الجمال واذا استولى سلطان الحقيقة على ممالك الخليقة طويت بايدي سطوات الجود سرادقات الوجود فما بقيت الارض ولا السماء ولا الانباء ليس عند الله صباح ولا مساء تلاشى العبد في كعبة العدمية وبود وابقاء من عالم البقاء رفعت القبلة وما بقي الا الله فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع يوسع قلب من يشاء من عباده ليسعه عليم بتوسيع القلب لسعته بلا كيف حيث قال لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن والله اعلم.

اِنَّا اَرْسَلْنٰكَ بِالْحَقِّ بَشِيْرًا وَّنَذِيْرًا وَّلَا تُسْـَٔلُ عَنْ اَصْحٰبِ الْجَحِيْمِ ۞ وَلَنْ تَرْضٰى عَنْكَ الْيَهُوْدُ وَلَا النَّصٰرٰى حَتّٰى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۭ قُلْ اِنَّ

بتحقیق فرستادیم ترا براستی مژده دهنده و بیم کننده و پرسیده نشوی تو از یاران دوزخ و راضی نشوند هرگز از تو یهودان و نه ترسایان تا پیروی کنی ملت ایشان را بگو بدرستی

هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى ۭ وَلَىِٕنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَاۗءَهُمْ بَعْدَ الَّذِيْ جَاۗءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ۞ اَلَّذِيْنَ اٰتَيْنٰھُمُ الْكِتٰبَ

راه خداست راه راست و هرآینه اگر پیروی کنی خواهش ایشان را پس از آنکه آمد ترا از دانش نیست مر ترا از جانب خدا دوستی و نه یاوری آنانکه دادیم ایشان را کتاب

١٥ع يَتْلُوْنَهٗ حَقَّ تِلَاوَتِهٖ ۭ اُولٰۗىِٕكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ ۭ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ فَاُولٰۗىِٕكَ ھُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۞ يٰبَنِىْٓ اِسْرَاۗءِيْلَ اذْكُرُوْا نِعْمَتِىَ الَّتِىْٓ اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

که میخوانند آنرا سزاوار خواندنش آن گروه میگرویده اند بآن و آنکه کافر شد بآن پس آنگروه ایشانند زیانکاران ای بنی اسرائیل یاد آورید نعمت مرا که عطا کردم بر شما

وَاَنِّىْ فَضَّلْتُكُمْ عَلَي الْعٰلَمِيْنَ ۞ وَاتَّقُوْا يَوْمًا لَّا تَجْزِىْ نَفْسٌ عَنْ نَّفْسٍ شَـيْـــًٔا وَّلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَّلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَّلَا ھُمْ

وانکه من فزونی دادم بر جهانیان و بپرهیزید از روزیکه پاداش نیابد تنی بدل از تنی چیزی را و قبول کرده نشود از آن بدل و سود نبخشد او را شفاعتی و نه ایشان

يُنْصَرُوْنَ ۞ القراءة ولا تسئل على النهي نافع ويعقوب الباقون بضم التاء ورفع اللام على الخبر الوقوف ونذيرا لا للعطف اي نذيرا وغير مسئول

یاری کرده شوند الاثمر قرأ ولا تسئل على النهي لاختلاف الجملتين الجحيم ملتهم ط الهدى ط من العلم لا لان نفي الولاية والنصرة يتعلق بشرط اتباع اهوائهم فكان في الاطلاق خطر تلاوته ط لان ما بعدها مبتدأ مع خبره وعندي ان الاصوب عدم الوقف ليكون الجملة اعني يتلونه حالا من مفعول آتينا او من فاعله مقدرة وقوله اولئك يؤمنون به الجملة خبر الذين لان الاخبار عن اهل الكتاب مطلقا بانهم يتلونه حق تلاوته لا يصح اللهم الا ان يحمل الكتاب على القرآن كما يجيء يؤمنون به ط للابتداء بالشرط الخاسرون ه العالمين ه ينصرون ه التفسير لما بين غاية اصرارهم على العناد وتصميمهم على الكفر بعد نزول ما يكفي في باب الهدى والاهتداء من الآيات البينات اراد ان يسلي رسوله لئلا يضيق صدره فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق والصواب حسبما يقتضيه الحكمة وهو ان لا يكون لك ان تجبرهم على الايمان بل بشيرا وحالك عن ان يكون بشيرا لمن اتبعك بكل خير ونذيرا لمن خالفك بكل سوء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانك غير مسئول عن اصحاب الجحيم وهو من اسماء النار وكل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم من قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم والجاحم المكان الشديد الحر وهذا كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا

خطاب اما قراءة النهي فروي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وفي هذه الرواية بعد لان سياق
الكلام يابى عن ذلك ولانه صلعم مع علمه لاحوال الكفار كيف يتمنى ذلك والاقرب ان معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من المحن كما اذا سئلت عمن
وقع في بلية فيقال لك لا تسئل عنه لكان المسئول يحرج ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته او يرى انك لا تقدر على استماع خبره لانه يورث
الوحشة والضجر وقوله ولن ترضى عنك اليهود كان رسول الله صلعم حريصا على اسلامهم وان القوم قد بلغوا من التصميم على ما هم فيه الى حد لا يقنعون بالكفاف ولا يرضون
راسا براس بل يريدون منك عكس ما تطمع منهم زاعمين ان ملتهم التي تنحوها هي الهدى قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق لا بالدعوى او
هدى لانه ناسخ للاديان كلها ولئن اتبعت اهواءهم مشتهياتهم واراءهم الباطل المنسوخة بعد الذي جاءك من العلم بامر الدين بالوحي او لوضوح البراهين
وسطوع ما لك من الله من عقابه وسخطه من ولي معين يعصمك ولا نصير يذب عنك وفي الاية دليل على بطلان التقليد فيما الى تحقيقه سبيل حتى
لا يكون اتباع الهوى وفيها انه لا يجوز الوعيد الا بعد نصب الادلة على العلم بالمامور به لقوله بعد ما جاءك من العلم ولان لا يجوز التوعد الا بعد القدرة
على المامور به كان اولى فبطل القول بتكليف ما لا يطاق وفيها ان الذي علم الله منه انه لا يفعل الشيء يجوز منه ان يتوعده على فعله ونظيره قوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وانما يحسن هذا الوعيد لاحتمال الصارف له عن ذلك الفعل هو هذا الوعيد وهو احد صوارفه ولان فيه زجرا شديدا للامة
لانهم اذا علموا ان حال النبي لو فرض منه اتباع اهوائهم مع ما ورد في حقه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر لم يبق لهم طمع في الخلاص لو وجد
منهم ذلك الذين اتيناهم الكتاب قيل هم المؤمنون الذين اتاهم القرآن لان الكتاب الذي يمدح على تلاوته هو القرآن والاصح انه لما قدم
ذكر المعاندين من اهل الكتاب اراد ان يذكر مؤمنيهم ومعنى يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلعم او يتبعون
مقتضاه من غير تكاسل ومنع متمسكين باحكامه من حلال وحرام وغيرهما او يخضعون عند تلاوته ويخشعون او يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
اولئك يؤمنون بكتابهم دون من ليس على حالهم ممن لا يتلوا الكتاب حق تلاوته كالمستحقين بتلاوته ومن يكفر به من المحرفين ومن الواضعين
عن حقه فاولئك هم الخاسرون حيث لم ينتفعوا بما يحق ان ينتفع به بعينهم وروده فرجعوا منه خائبين وقوله يا بني اسرائيل
الايتان رجوع الى اول القصة تذكيرا للنعم بعد تعداد موجبات النقم لينتبه منهم من وفق للتنبيه والله المستعان واذ ابتلى ابرهيم
ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين واذ جعلنا
بیاد کن و آزمود ابرهیم را پروردگار او سخنانی چند پس تمام کرد آنها را گفت که من سیکردانم تورا از برای مردم پیشوا گفت از فرزندان من ازین عهده را گفت که نرسد عهد مرا ستمکاران و چون بکردیم
البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين
خانه کعبه را جایگاه از برای مردمان و ایمنی و فرا گیرید از مقام ابراهیم نمازگاهی و فرمودیم با ابراهیم و اسمعیل که پاک دارید خانه مرا از برای طواف کنندگان
والعاكفين والركع السجود واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم
و مقیم شوندگان و رکوع و سجود کنندگان و چون گفت ابراهیم که ای پروردگار من بگردان این شهر را شهری ایمن و روزی کن اهل او را از میوها هر که بگرود از ایشان
بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير القراءة ابراهام بالالف في البقرة
بخدا و روز واپسین فرمود خدا که هر که کافر شود پس بهره دهم او را اندکی پس ناچار کنم او را بسوی عذاب آتش و بد جای بازگشتی والنساء الا قوله اتينا ال
ابرهيم وفي الانعام ملة ابراهام وفي جميع براءة الا وقوم ابرهيم وفي ابرهيم واذ قال ابراهام وفي النحل ومريم والعنكبوت ولما جاءت رسلنا
ابراهام خاصة وفي عسق وجميع المفصل الا قوله في المودة الا قول ابرهيم وفي الاعلى صحف ابرهيم هشام وابن ذكوان وروى ابن مجاهد
في هذه السورة فقط على ان ذكر ابرهيم في القران تسعة وستون موضعا منها ثلثة وثلثون ابراهام بالالف في قراءة ابن عامر عن ابن ذكوان
وستة وثلثون ابراهيم بالياء والعلة في ذلك اتباع مصحفهم فما كتب بالالف قرئ بالالف وما كتب بالياء قرئ بالياء والاختيار
عند الائمة ان يقرا ههنا بالالف لبيان المذهب والبواقي بالياء لانه احسن في اللفظ واشهر ويوافقه سائر الاسماء الاعجمية كاسرائيل
اسرافيل واسمعيل عهدي بسكون الياء حمزة وحفص واذ جعلنا وبابه مدغمة الذال في الجيم ابو عمرو وهشام يلتي بالفتح ابو جعفر ونافع وحفص
هشام واتخذوا بفتح الخاء نافع وابن عامر الباقون بالكسر فامتعه خفيفا ابن عامر الباقون بالتشديد الوقوف فاتمهن ط اماما ط ذريتي ط
الظالمين وامنا ط لمن قرا واتخذوا بالكسر لاعتراض الامر بين ماضيين مصلى ط كذلك من فتح الخاء لتسوق الافعال الثلثة فلا وقف السجود
اليوم الاخر ط عذاب النار ط لان نعم وبئس للمبالغة في المدح والذم فيبتدا بهما تنبيها على المدح والذم المصير التفسير انه تعالى لما استقصى في شرح
نعمه على بني اسرائيل والمشركين مقابلتهم النعمة بالكفران والعناد شرع في نوع اخر من البيان وهو ذكر قصة ابرهيم عم لان كلهم معترفون بفضله
وانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته وفي قصته امور توجب الاعتراف بدين محمد صلعم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم
وفي بها فنال منصب الاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها انه طلب الامامة لذريته
فقيل له لا ينال عهدي الظالمين فيعرفون ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب للمرء ويضع ما رفعه الله لينال ما يناسبه الدين ومنها ان القبلة لما
حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فاريد ازالة ذلك عنهم بان هذا البيت قبلة ابرهيم الذي عرفوا بتعظيمه الاقتداء به ومنها انه دعا بارسال

بني من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجيء فيجب على من يعرف بابراهيم ان يعرف بمحمد عليه السلام اما قوله واذ ابتلى فالعامل في اذ اما مضمر نحو واذكر فتكون بمعنى الوقت
فقط او واذ ابتلا كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك للناس اماما وعلى هذين التقديرين تكون ظرفا لكان او قال او هو موقع قال على الاول
استيناف كانه قيل فماذا قال له ربه حين اتم الكلمات فاجيب قال اني جاعلك وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها من الايات ولا يخفى ان
الاستيناف اصوب ليناسب سياق الجملتين الاتيتين لورودهما ايضا على طريقة السؤال المقدر والجواب ليكون على منهاج واذ جعلنا واذ قال
ابرهيم واذ يرفع والابتلاء الاختبار والامتحان عبر عن تكليفه اياه بالبلوى تشبيها لامره بامر المخلوقين وبناء على العرف بيننا فان كثيرا منا قد
يامر ليعرف ما يكون من المامور ثم والا فكيف يجوز حقيقة الابتلاء عليه تعالى انه مع عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل
الى الابد وقيل مجاز عن تمكينه العبد من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه هو كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك واعلم ان
هشام بن الحكم ومن تابعه زعم انه تعالى كان في الازل عالما بحقائق الاشياء وماهياتها فقط واما حدوث تلك الماهيات ودخولها في الوجود فهو تعالى
لا يعلمها الا عند وقوعها بدليل هذه الاية وامثالها المذكور فيها الابتلاء وكلمة لعل والجواب عنها ما مر وقد يستدل ايضا على مذهبه بوجوه معقولة
منها انه تعالى لو كان عالما بالاشياء قبل وقوعها لزم نفي القدرة عن الخالق لان ما علم الله وقوعه يستحيل ان لا يقع وما علم الله انه لا يقع استحال ان يقع ولا قدرة على الواجب
وعلى الممتنع بالاتفاق والجواب ان الوجوب بالغير وكذا الامتناع بالغير لا ينافيان قدرة القادر عليه لانهما المنافي للقدرة عليه كونه واجبا لذاته او ممتنعا
لذاته ومنها انه لو كان عالما بجميع الجزئيات لكان له علوم غير متناهية او كان لعلمه تعلقات غير متناهية فيلزم حصول موجودات غير متناهية دفعة
واحدة وذلك محال لان مجموع تلك الاشياء اذا زيد عليه واحد صار ازيد من ذلك المجموع بعينه عند نقصان عشرة منها فالناقص متناه وكذا الزائد لو تضمن اجزاء الاعداد
التي لا نهاية لها واذا ثبت المجموعية والزيادة والنقصان كلها من خواص المتناهي فما الذي لا نهاية له ففرض هذه الاعراض فيه محال ومنها ان هذه المعلومات
التي لا نهاية لها هل يعلم الله عددها مفصلا او لا يعلم فان علم عددها فهي متناهية وان لم يعلم فهو المطلوب فالجواب الاختيار انه لا يعلم عددها ولا يلزم الجهل
لان الجهل هو ان يكون لها عدد معين ثم ان الله لا يعلم عددها فاما اذا لم يكن لها عدد في نفسها فلا جهل ومنها ان كل معلوم فهو متميز في الذهن عما عداه
عما عداه خارج عنه وكل ما خرج عنه غيره فهو متناه وكل معلوم متناه فما هو غير متناه يستحيل ان يكون معلوما والجواب انه لبس من شرط
المعلوم تميزه من غيره عند العالم لان العلم بتميزه عن غيره موقوف على العلم بذلك الغير ويلزم منه ان لا يعلم الانسان شيئا الا اذا علم امورا لا نهاية لها
والحق ان نور الازل والابد لا يتناهى وانما غير المتناهي غير متناه بالنسبة الينا قد يتعلق علمنا بكثير من الاشياء قبل حصولها فاذا كان علمنا مع
تناهي قوتنا ونور بيننا هكذا فما ظنك بالعليم الخبير الذي هو نور النور ومدبر الامور وكل عشر عليه يسير ابرهيم بالنصب ربه بالرفع هو المشهور
الصورة مما يجب تاخير الفاعل وازالته عن مركزه الاصلي فانه لو قدم الفاعل وقد اتصل به ضمير المفعول لزم الاضمار قبل الذكر لفظا وعن ابن عباس
وابي حنيفة رفع ابرهيم ونصب ربه فالمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه تعالى اليهن ام لا واختلف المفسرون في ان ظاهر لفظ التنزيل
هل يدل على تلك الكلمات ام لا فقال بعضهم اللفظ يدل عليها وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والدعاء بابتعاث محمد فكل هذه تكاليف
شاقة اما الامامة فلان المراد بها النبوة واعباؤها اكثر من ان تحصى لهذا فان ثواب النبي اعظم من ثواب غيره واما بناء البيت وتطهيره ورفع قواعده
فمن وقف على ما روي في كيفية بنائه عرف شدة البلوى فيه ثم انه يتضمن اقامة المناسك وقد امتحن الله الخليل بالشيطان في الموقف كرمي الجمار وغيره
واما الاشتغال بالدعاء ببعث نبي اخر الزمان فيحتاج فيه الى الاخلاص وازالة الحسد عن القلب وذلك في غاية الصعوبة واعترض على هذا القول بان المراد من
الكلمات لو كان هذه لناسب ان يذكر بقوله فاتمهن بعد تعداد الجميع حسب ما انه اخبر ابتلاءه بكلمات على الاجمال ثم اخبر انه اتمها ثم فصل تلك الامور وهذا
ترتيب في غاية الحسن اذ لو ذكر فاتمهن بعد هذا التفصيل لوقع ضائعا ولانقطع النظم والقائلون بان ظاهر الاية لا دلالة فيه على الكلمات زعم بعضهم
الكلمات التي تكلم بها ابرهيم مع قومه وقت تبليغ الرسالة وزعم بعضهم انها اوامر ونواه فعن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي
عندنا سنة خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس في الجسد الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم
الاظفار والاستنجاء بالماء وقيل ابتلاه الله تعالى بثلثين سهما من شرائع الاسلام عشرة في براءة التائبون العابدون الاية وعشرة في الاحزاب ان
المسلمين والمسلمات وعشرة في المؤمنين سأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي و
الاحرام والوقوف بعرفة وقيل ابتلاه بسبعة اشياء بالكوكب والقمر والشمس والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وابرهيم الذي وفى وقيل
ما ذكره في قوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقيل المناظرات التي جرت بينه وبين ابيه ونمرود وقومه الصلوة والزكوة والصوم
وقسم الغنائم والضيافة والصبر عليها وجملة القول ان الابتلاء يتناول الزام كل ما فيه كلفة واللفظ يتناول مجموع هذه الاشياء وكلا منها الا
ان الكلام في الرواية ثم قيل ان هذا الابتلاء كان قبل النبوة لانه تعالى نبه على ان قيامه بهن كان السبب لان جعله اماما وقيل انه بعد النبوة لانه لم يعلم
كونه مكلفا بتلك التكاليف الا من الوحي والحق ان هذا يختلف باختلاف تفسير التكاليف فمنها ما يعلم بالضرورة كونها قبل النبوة كحديث الكوكب و
الشمس والقمر ومنها ما ثبت انه كان بعد النبوة كذبح الولد والهجرة والنار وكذا الختان فانه يروى انه ختن نفسه وكان سنه مائة وعشرين ومنها
ما هو بصدد الاحتمال فقد يمكن ان يكون الى معرفته سبيل سوى الوحي كالمنام والالهام والضمير في اتمهن على القراءة المشهورة لابرهيم تعالى بمعنى فقام

هو حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان وفي الاخرى لله تعالى اى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سئل ابرهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا والامام اسم لمن
يؤتم به كفعال بمعنى مفعول كالاله والازار لما يؤتزر به اى يأتمون بك في دينهم والاكثرون على ان الامام ههنا النبي لانه جعله اماما لكل الناس فلو لم
يكن مستقلا بالشرع كان تابعا لرسول فيبطل العموم ولان اطلاق الامام يدل على انه امام في كل شيء والذي يكون كذلك لابد ان يكون نبيا ولان
الله تعالى سماه بهذا الاسم في معرض الامتنان فينبغي ان يحمل على اجل مراتب الامامة كقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الا على من هو دون
من يستحق الاقتداء به في الدين كالخليفة والقاضي والفقيه وامام الصلوة ولقد انجز الله تعالى هذا الوعد فعظمه في عيون اهل الاديان كلها وقد
اقتدى به من بعده من الانبياء في اصول مللهم ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وكفى به فضلا ان جميع امة محمد يقولون في صلوتهم
اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وال ابرهيم ثم القائلون بان الامام لا يصير اماما الا بالنص تمسكوا بهذه الاية وامثالها من
نحو اني جاعل في الارض خليفة يا داود انا جعلناك خليفة ومنع بان الامام يراد به ههنا النبي سلمنا ان المراد به مطلق الامام لكن الاية تدل
على ان النص طريق الامامة وذلك لا نزاع فيه انما النزاع في انه لا طريق للامامة سوى النص ولا دلالة في الاية على ذلك وفي الاية دليل
على انه عليه السلام كان معصوما عن جميع الذنوب لانه لو صدر عنه معصية لوجب علينا الاقتداء به في ذلك فيؤدي الى كون الفعل الواحد ممنوعا
منه مندوبا اليه وذلك محال والذرية نسل الثقلين من ذرأ الله الخلق اي خلقهم الا ان العرب تركت همزها كما في البرية ويحتمل ان يكون منسوبا
الى الذر صغار النمل والضم من تغيير النسب كالدهري في النسبة الى الدهر ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال سأكرمك
فتقول وزيدا ولا يخفى ان من التبعيضية تدل على انه طلب الامامة لبعض ذريته لعلمه بان كلهم قد لا يليق بذلك لان ناسا غير محصورين لا يخلو
من ظالم فيهم غالبا ولعلمه بان بعضهم يليق بها كاسمعيل واسحق وقد حقق الله تعالى امله فجعل في اولاده واحفاده كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف
وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى والياس ثم محمد صلعم افضلهم واشرفهم ولانه لم يطلب الامامة الا للبعض فكان
يكفي في الجواب نعم الا انه لم يصرح نصا في ان ذلك البعض من المؤمنين ام من الظالمين ولو قال ينال عهدي المؤمنين كان غاية ذلك خروج الظالمين
بالمفهوم لا بالنص فلما كان التنصيص على اخراج الظالم قال لا ينال عهدي الظالمين والمراد بالعهد هو الامامة المطلوبة سميت عهدا لاشتمالها
على كل عهد عهد به الله تعالى الى بني ادم اذ لا رياسة اعظم من ذلك كقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذا خرج الظالم
تعين الصالح للامامة بطريق برهاني فان ذلك ان دعاء مستجاب النبيه فكل نبي مجاب لانه لو لم يكن الصالح اماما لم يكن لاخراج الظالم وتخصيصه بالذكر
معنى ويحتمل ان يقال انه اراد الامامة لاولاده المؤمنين لا محالة لعلمه بان الكفرة والظلمة لا تصلح لذلك فاجيب بانه اجيب سعيا فالطلبة بابلغ
معنى واتمه كما اذا قيل لمن شرفا وصلا بك بشيء فيقول لا يرث مني اجنبي اى كل ما يبقى مني فهو لابني فكيفما وصله بشيء ولا يرد ان يونس نال
عهده مع انه ظالم سبحانك اني كنت من الظالمين لان الظلم فيه محمول على ترك الاولى كما في حق ادم ربنا ظلمنا انفسنا لا على الكفر والفسوق وقد
يستدل الامامية على ابطال امامة غير علي عليه السلام قالوا انهم كانوا مشركين قبل الاسلام بالاتفاق وكل مشرك ظالم ان الشرك لظلم عظيم وكل ظالم فانه لا ينال عهد
الامامة قالوا ولا يقال انهم كانوا ظالمين حال كفرهم فبعده وان لا يبقى هذا الاسم لانا نقول الظالم من ثبت له الظلم وهذا المعنى صادق عليهم دائما ولهذا
النائم مؤمنا لانه ثبت له الايمان وان لم يكن التصديق حاصلا حال النوم واجيب بان المتكلم والماشي حقيقة في مفهومهما مع ان اجزاء التكلم والمشي لا توجد دفعة
فدل هذا على ان حصول المشتق منه ليس شرطا لكون الاسم المشتق حقيقة وعورض بانه لو حلف لا يسلم على كافر فسلم على انسان مؤمن في الحال الا انه كان
كافرا قبل بسنين متطاولة فانه لا يحنث ثم ان التائب عن المعصية لا يسمى عاصيا فكذا التائب عن الكفر وان قيل لعل هذا المانع شرعي هو تعظيم الصحابة
والمانع عرفي فهذا القدر يكفينا على انا بينا ان المراد من الامامة في الاية النبوة فمن كفر بالله طرفة عين فانه لا يصلح للنبوة وكذا الفاسق حال الفسق
لا يجوز عقد الامامة له باتفاق الجمهور من الفقهاء والمتكلمين فان كل عاص ظالم والعبرة بالعدالة الظاهرة فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر
خلافا للشيعة فانهم يقولون بوجوب العصمة ظاهرا وباطنا ومما يدل على بطلان امامة الفاسق ان العهد في كتاب الله تعالى قد يستعمل بمعنى الامر الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان اى الم آمركم لكن المراد في الاية لا يمكن ان يكون ذلك فان اوامره تعالى لازمة للظالمين كما للمطيعين
فتعين ان المراد كونهم غير مؤتمنين على اوامر الله وغير مقتدى بهم فيها قال صلعم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فالفاسق لا ينبغي ان يكون حاكما ولا ينفذ
احكامه اذا ولي الحكم ولا تقبل شهادته ولا خبره اذا اخبر عن النبي صلعم ولا فتياه اذا افتى ولا يقدم للصلوة وان كان بحيث لو اقتدي به لم يفسد صلوته قال
ابوبكر الرازي من الناس من يظن ان مذهب ابي حنيفة انه يجوز كون الفاسق اماما وخليفة ولا يجوز كون الفاسق قاضيا وهذا خطأ نعم انه قال
القاضي اذا كان عدلا في نفسه تولى القضا من امام جائر فان احكامه نافذة والصلوة خلفه جائزة لان الذي ولاه بمنزلة سائر اعوانه وليس من
شرط اعوان القاضي ان يكونوا عدولا الا ترى ان اهل بلد لا سلطان عليهم لو اجتمعوا على الرضا بتولية رجل عدل منهم القضاء حتى يكونوا
اعوانا له على من امتنع من قبول احكامه كان قضاؤه نافذا وان لم يكن له ولاية من جهة امام ولا سلطان قال وكيف يجوز ان يدعي ذلك على ابي حنيفة وقد
كرهه ابن هبيرة في ايام بني امية على قضائه وضربه فامتنع من ذلك فحبس فلج ابن هبيرة وجعل يضربه كل يوم اسواطا فلما خيف عليه قال الفقهاء

انبل له شيئا من عمله اي شيء كان حتى يزول عنك الضرب فقولي له عدا حمال اللبن الذي يدخل عليه فخلاه ثم دعاه المنصور الى مثل ذلك حتى علمه اللبن الذي
الذي كان يضرب لسور المدينة وذلك انه كان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد ارادوني على عد اجره لما فعلت وقصته في امر يزيد بن علي
مشهورة وحمله المال اليه في قتاله الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه وكذلك مره مع محمد وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن في الاية انذار بليغ وتخويف
شديد عن وخامة عاقبة الظلم وقبح موقعه فانه محط اولا عن رتبة النبوة لا ينال عهدي الظالمين وثانيا عن درجة الولاية الا لعنة الله على الظالمين وثالثا
عن رتبة السلطنة بيت الظالم خراب ولو بعد حين ورابعا عن نظر الخلائق جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها وخامسا
عن حظ نفسه وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولله در القائل شعر لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا : فالظلم اخره يأتيك بالندم : تنام عينك
والمظلوم منتبه : يدعو عليك وعين الله لم تنم وللآخر شعر من تعظم الورى وخيم : يا صاحب الملك في الحجرة : لا تظلم الناس واخش نارا : وقودها
الناس والحجارة : ايحسب الظالم في ظلمه : اهمله القادر ام امهلا : ما اهملوا بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا : اتلعب بالدعاء وتزدريه
وما يدريك ما صنع الدعاء : سهام الليل لا تخطي ولكن : لها امد وللامد انقضاء واعلم ان عهد الله الذي اخذ على عباده هو بالحقيقة عهد العبودية
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعهد الذي التزمه لعباده هو عهد الربوبية ربكم ورب آبائكم الاولين ثم انه تعالى لا يزال يلاحظك بنظر
الربوبية فيربيك بعد نعمة الوجود يعطيك نعم الصحة والمكنة والعافية والسلامة والايمان والامان والاخوان والاخدان وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها وانك لا تنفك عن تقصير ونسيان وجهل وعدوان وايذاء لملائكة الله وعبيده وارضاء لحزب الشيطان وجنوده فيا ايها المغرور ما هذا
التقصير فانك الى الله المصير وما للظالمين من نصير قوله واذ جعلنا البيت تفريع تكليف اخر والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا وهذا من الاسماء
التي كانت في اصل المجنس ثم كثر استعماله في واحد من ذلك الجنس لخصلة مختصة به من بين سائر الافراد حتى صار علما له ولا بد ان يكون وقت استعماله
لذلك الواحد قبل العلمية مع لام العهد ليفيد الاختصاص به ويسمى بالعلم الاتفاقي وانما لزمت اللام في مثله لانه لم يصر علما الا مع اللام فصارت
كبعض حروفه الا انه تعالى لم يرد بالبيت نفس الكعبة فقط بل جميع الحرم لان حكم الامن يشمل الكل وصح هذا الاطلاق لان الحرمة ثابتة بسبب الكعبة
نفسها ومثله قوله تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا يذبح في الكعبة ولا في المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والمراد
والله اعلم منعهم من الحج وحضور مواضع النسك ويحتمل ان يكون المراد جعلنا البيت سببا لامن من دخله وعلى هذا يكون البيت نفس الكعبة وعلى الاول
يكون معنى امنا موضع امن كقوله حرما امنا والمثابة المباءة والمرجع قيل ان مثابا ومثابة لغتان مثل مقام ومقامة وقيل التاء للمبالغة
كعلامة عن الحسن اي يثوبون اليه في كل عام وعن ابن عباس ومجاهد لا ينصرف عنه احد الا وهو يتمنى العود اليه وذلك لدعاء ابراهيم واجعل افئدة
من الناس تهوي اليهم وقيل مثابة اي يحجون فيثابون عليه وكون البيت مثابة انما يكون بجعل الله تعالى بناء على ان فعل العبد مخلوق لله او بان الله
القى تعظيمه في القلوب ليصير ذلك داعيا لهم الى العود اليه مرة بعد اخرى وذلك لمنافع دينية ودنيوية قال صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته
امه وقال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ثم ان قطان الخائفين يجتمعون هنالك والتجارات وضروب المكاسب فيعظم
فيه النفع لمن اراد ولا شك ان قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا خبر فقال قتادة نتركه على ظاهره فنقول انه خبر بان يكون حرما امنا يجبى اليه
ثمرات كل شيء لا ان يكون اخبارا عن عدم وقوع القتل فيه اصلا فان الموجود بخلافه فقد يقع فيه قتل الحرام وكذا المباح قال تعالى ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول انه امر بان يجعلوا ذلك الموضع امنا من الغارة و
القتل قال صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة وانها لم تحل لاحد قبلي وانما احلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها كما كانت فذهب الشافعي الى ان المعنى انه لم يحل
لاحد ان ينصب الحرب عليها ان ذلك حل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاما من دخل البيت من الذين وجبت عليهم الحدود فقال الشافعي الامام يأمر بالتضييق
عليه بما يؤدي الى خروجه فاذا خرج اقيم عليه الحد في الحل فان لم يخرج جاز قتله فيه وكذلك من قاتل في الحرم جاز قتاله فيه وعند ابي حنيفة لا يستوفي قصاص
النفس في الحرم الا ان ينشئ القتل فيه ولكن يضيق الامر عليه لا يكلم ولا يطعم ولا يعامل حتى يخرج فيقتل في الحل وسلم انه يستوفي منه قصاص الطرف وعنده
لا يستوفي من الملتجئ واحد من القصاصين ولو التجأ الى المسجد الحرام قال الامام ومسجد اخر يخرج منه ويقتل لانه تاخير يسير فيه صيانة المسجد قوله
واتخذوا بفتح الخاء معطوف على جعلنا اي اتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها و
على هذا المراد بالمصلى القبلة واما من قرأ بالكسر فعلى الامر فعلى ارادة القول اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه استحبابا لا وجوبا وفي
مقام ابراهيم اقوال فعن الحسن وقتادة والربيع بن انس انه لما جاء ابراهيم من الشام الى مكة قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى نغسل راسك فلم ينزل لان سارة
شرطت عليه ان لا ينزل غيرة على هاجر فجاءته بحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى
غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وعن ابن عباس ان ابراهيم كان يبني البيت واسمعيل يناوله الحجارة فلما ارتفع البنيان وضعف ابراهيم
عن رفع الحجارة قام على حجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه الحجر الذي قام عليه ابراهيم عند الاذان بالحج قال القفال ويحتمل ان يكون ابراهيم قام على
هذا الحجر في هذه الامور كلها وعن مجاهد مقام ابراهيم الحرم كله فعلى هذا يراد بالمصلى المدعى من الصلوة بمعنى الدعاء وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة ومزدلفة
والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا بها والقول بان مقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه اولى لان هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع بعرفه المكي

وغيره ولان الحجر صار تحت قدميه في رطوبة الطين حتى غاصت فيه رجله وذلك من اظهر الدلائل على صنع الله تعالى واعجاز ابراهيم وكان اشد اختصاصا فاطلاق
مقام ابراهيم عليه اولى لما روي عن النبي انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ومن هذه تجريدية على نحو رايت منك اسدا ووهب الله لي منك وليا مشفقا ففيه بيان المتخذ والمرئي و
الموهوب بتميزه في ذلك المعنى عن غيره ولا ريب ان للصلوة به فضلا على غيره من حيث التيمن والتبرك بموطئ قدم ابراهيم وركعتا الطواف خلف المقام
ثم في الحجر ثم في المسجد ثم في اي مسجد كان وحيث شاء ومتى شاء ليلا او نهارا سنة عند الشافعي في اصح قوليه بعد الفراغ من الطواف لقوله للاعرابي حين قال
هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع وفي قوله الاخر فرض لظاهر قوله واتخذوا والامر للوجوب والرواية عن ابي حنيفة انه مختلفة وعهدنا المراد بالعهد هنا
الامر اي الرضا فهذا ذلك فامرناهما امرا ووثقنا عليهما فيه ان طهرا ان كانت مخففة فالتقدير بان طهرا وان كانت مفسرة فمعناه اي طهرا والمراد التطهير
من كل امر لا يليق بالبيت اما من الانجاس والاقذار فلان موضع البيت وحواليه مصلى واما من الشرك ومظانه فلانه مقام العبادة والاخلاص
كل هذه اما ان لا يكون موجودة هناك اصلا والمراد قراه على طهارته كما في ولهم فيها ازواج مطهرة فمعلوم انهن لم يطهرن بل خلقن طاهرات واما
ان يكون موجودة فامر بازالتها وقيل عرفا الناس ان بيتي طهر لهم متى حجوه للطائفين الى اخره العطف يقتضي المغايرة فالطائف من يقصد البيت
حاجا او معتمرا فيطوف به والعاكف من يقيم هناك ويجاور ويعتكف والركع السجود جمعا راكع وساجد اي من يصلي هناك وعن عطا اذا كان طائفا
فهو من الطائفين واذا كان جالسا فهو من العاكفين واذا كان مصليا فهو من الركع السجود ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين كما قال
للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي ولعل الوجه الاول ولئلا يكون الركع السجود
كلاهما فقط بمعنى المصلين ولهذا لم يفصل بينهما بالواو ثم اذا فسرنا الطائفين بالغرباء دلت الاية على ان الطواف للغرباء افضل من الصلوة ولانه تعالى مدح
بذلك [illegible] وعن ابن عباس ومجاهد وعطا ان الطواف لاهل الامصار افضل والصلوة لاهل مكة افضل وفي اطلاق الاية دليل على جواز الصلوة
في البيت [illegible] فرضا ونفلا خلافا لاحمد ومالك في الفريضة قالا لقوله فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام ومن كان داخل المسجد لم يكن متوجها الى المسجد بل
جزء من اجزائه واجيب بان التوجه الى جزئه كاف لان المتوجه الواحد لا يكون الا كذلك وان كان خارج المسجد بان الفرق بين الفرض والنفل لا غ قوله
تعالى واذ قال ابرهيم قيل في الاية تقديم وتاخير لان قوله رب اجعل هذا بلدا امنا لا يمكن الا بعد حصول البلد في الوجود فقوله واذ يرفع وان كان متاخرا
في التلاوة فهو متقدم من حيث المعنى قلت في ترتيب القصة فوائد منها انه اجمل القصة في قوله واذ ابتلى الى فاتمهن ثم فسر في التفسير قدم الاهم فالاهم
ولا ابتداء ذكر جعل ابرهيم اماما لما اوجب التقديم لعموم نفعه للخلائق ولتقدمه في الوجود ثم ذكر جعل البيت مثابة للناس وامنا لانه المقصود من عمارة
البيت ثم حكاية عمارة البيت فقد حصل في ضمن رعاية الاهم فوائد اخر منها انه كما كان مبنى القصة على الاجمال والتفسير وقع كل من اجزائها ايضا كذلك
فقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا مجمل ثم فسر بذلك ما جعله ذا امن كان بسبب دعاء ابراهيم وذكر البناء ولا وقع مجملا ثم فسر بانه كيف بني
ومنها انه وقع ختم الكلام بادعية ابراهيم ووقع ختم الادعية بذكرنا التبيين هذا ترتيب لا يتصور احسن منه ولعل ما فاتنا من اسرار هذا الترتيب
اكثر مما احصينا هذا بلدا امنا ذا امن مثل عيشة راضية او امنا من فيه كقولك ليل نائم وانما قيل ههنا بلدا امنا على التنكير وفي سورة ابراهيم هذا البلد
امنا اما لان هذا الدعاء صدر منه قبل جعل المكان بلدا فكانه قال اجعل هذا الوادي بلدا امنا وذلك الدعاء صدر منه بعد جعله بلدا فكانه قال اجعل
هذا المكان الذي صيرته بلدا بلدا ذا امن واما لان الدعوتين هذا البلد امنا ففيه طلب الامن فيه قيل سال الامن من القحط لانه اسكن اهله بواد غير
ذي زرع ولا ضرع وقيل من الخسف والمسخ وقيل من القتل كيلا يكون سؤال الرزق بعده تكرارا واجيب بان التوسعة في الرزق مغايرة لطلب الامن
من القحط ثم انه تعالى استجاب دعاءه فجعله امنا من الافات فلم يصل اليه جبار الا قصمه الله كما فعل باصحاب الفيل فان قيل اليس ان الحجاج حارب ابن الزبير وخرب الكعبة
وقصد اهلها بكل سوء واجيب بانه لم يكن مقصوده تخريب الكعبة نفسها وانما كان غرضه شيئا اخر من التخريب من للابتداء لا للتبعيض بدليل قوله يجبى اليه
ثمرات كل شيء وانما سال ابراهيم الامن فان يجلب اليه الثمرات لانه كان يتعلق بالدنيا لان البلد اذا كان امنا ذا خصب تفرغ اهله لطاعة الله تعالى ويكون
سببا لاجتماع الناس فيه اليه من كل اوب زائرين وعاكفين وطلب الدنيا لاجل الدين من سنن الصالحين نعم المال الصالح للرجل الصالح
واختلف ان مكة هل كانت امنة محرمة قبل دعوة ابرهيم ام صار ذلك مؤكدا بدعائه فقيل نعم لما روي عن النبي ان الله حرم مكة يوم خلق السموات
والارض ولقوله عند بيتك المحرم وقيل انما صار محرما امنا بدعوته وقبلها كانت كسائر البلاد بدليل قوله اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة و
قيل بالجمع بينهما [illegible] انه كان ممنوعا قبله [illegible] من التعظيم ثم صار امنا على السنة الرسل من امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة كانه قاس الرزق على الامامة حيث منع هناك من الظالمين [illegible] والكافر فقيل لا ينال عهدي الظالمين فعرف الفرق بينهما [illegible] ومن كفر عطف
على من امن كامر في ومن ذريتي او هو مبتدأ متضمن معنى الشرط جوابه فامتعه وذلك ان الاستخلاف استرعاء مختص بمن ينصح للمرعي فهو دعي عن الله
امره ونهيه لا يأخذه في الدين لومة لائم ولا سطوة جبار وظالم واسد الناس عن النصيحة الظالم ولهذا قيل من استرعى الذئب فقد ظلم واما الرزق
فلا ينقطع [illegible] المؤمن والكافر والصالح والفاسق [illegible] رحمة ولا منعه يكون [illegible] على انه متاع قليل [illegible]

والابد قليلا اى متاعا او تمتيعا قليلا او زمانا قليلا لان نعمة المؤمنين فى العاجل موصولة بنعيمهم فى الآجل ونعمة الكافر مقطوعة عنهم بعد الموت والى ابد لا يجدى بطائل افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ومعنى الاضطرار ان يفعل بهم ما يلجئهم الى النار كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وسيق الذين كفروا الى جهنم او ان يصير الفاعل بالتخويف والتهديد الى ان يفعل ذلك الفعل اختيارا كالمضطر الى اكل الميتة مثلا وبئس المصير ذلك الذى اضطر اليه وذلك الاضطرار فحذف المخصوص للعلم به والمصير اما مصدر بمعنى الصيرورة يقال صرت الى فلان مصيرا واما موضع وكلاهما شاذ والقياس مصار مثل معاش وكلاهما مستعمل والله اعلم ۝ وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ (و چون برافراشت ابراهیم بنا را از خانه کعبه و اسمعیل گفتند ای پروردگار قبول کن از ما بدرستیکه توئی شنونده دانا پروردگارا و بگردان ما را منقاد خود و از) ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَاَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ (اولاد ما گروهی منقاد از برای تو و بنمای بما جاهای عبادت ما و رحمت کن بر ما بدرستیکه توئی رجوع کننده مهربان پروردگارا برانگیز در میان ایشان پیغمبری از خود ایشان که بخواند بر) اٰيٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيْهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ

ع

وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ اِبْرٰهٖمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهٗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنٰهُ فِى (ایشان آیات ترا و بیاموزد کتاب و حکمت را بایشان و پاکیزه کند ایشان را بدرستیکه توئی غالب و محکم کار و کیست که روگردان از ملت ابراهیم مگر کسیکه بیخرد باشد نفس خود را و بتحقیق برگزیدیم او را) الدُّنْيَا وَاِنَّهٗ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ اِذْ قَالَ لَهٗ رَبُّهٗٓ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ وَوَصّٰى بِهَآ اِبْرٰهٖمُ بَنِيْهِ وَيَعْقُوْبُ يٰبَنِىَّ اِنَّ اللّٰهَ (در دنیا و او هست در آخرت از شایستگان چون گفت مر او را پروردگار او گردن نه گفت گردن نهادم از برای پروردگار عالمیان و وصیت کرد بآن ابراهیم فرزندان خود را و یعقوب که ای فرزندان من) اصْطَفٰى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلَا تَمُوْتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ اَمْ كُنْتُمْ شُهَدَآءَ اِذْ حَضَرَ يَعْقُوْبَ الْمَوْتُ اِذْ قَالَ لِبَنِيْهِ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ بَعْدِيْ (برگزید از برای شما دین اسلام پس نمیرید مگر در حالتیکه تسلیم کنندگان باشید آیا بودید حاضر چون در رسید یعقوب را مرگ چون گفت مر فرزندان خود را که چه میپرستید پس از من) قَالُوْا نَعْبُدُ اِلٰهَكَ وَاِلٰهَ اٰبَآئِكَ اِبْرٰهٖمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ اِلٰهًا وَّاحِدًا وَّنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا (گفتند که میپرستیم معبود ترا و معبود پدران تو ابراهیم و اسمعیل و اسحق معبود یگانه و ایشیم او را تسلیم کنندگان این گروهیست که از پیش گذشت مر او راست آنچه کرد) كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُوْنَ عَمَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ القراءة ارنا وبابه بساكنة الراء ابن كثير ويعقوب وبالاختلاس ابو عمرو وبالاخفاء ... (و پرسیده نشوید از آنچه کردند) طلبا للخفة وحذرا من الاجحاف وبعلمهم بالاختلاس عباس كذلك كل فعل مستقبل مجموع حيث وقع ورد عن ابن عباس بكلمتا وتعدنا وكل كلمة تضمنت جمعين من الاسماء بالاختلاس مثل اعينكم واسلحتكم وامتعتكم واوصى من الايصاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والباقون ووصى بالتشديد شهداء اذ عاصم وحمزة وعلى وخلف وابن عامر والباقون شهداء بيد كذلك اشبهه كل القران الوقوف فاسمعيل لاضمار القول اى يقولان ومحل نصب على الحال منا طلا للابتداء بان وبجواز الوصل وجه لطيف على تقدير فانك او لانك العليم مسلمة لك ج لعطف المتفقتين علينا ط وقد ذكر الرحيم ويزكيهم ط الحكيم نفسه ط للفصل بين الاستفهام والاخبار فى الدنيا ج لعطف الجملتين المختلفتين الصالحين اسلم ط لان قوله قال عامل اذ والاجنبى يقال فقال لا لانقطاع النظم العالمين ويعقوب لارادة القول على الاصح ومن وصل جعل الوصية فى معنى القول مسلمون ط لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار الموت لا لان اذ بدل من اذ الاولى واذ الاولى ظرف شهداء واذ الثانية ظرف حضر ومن قطعها عن الاولى توقف على الموت وجعل قالوا عاملا ولم يقف على بعدى فله وجه صحيح لان الانكار متوجه على قولهم ان يعقوب وصى بنيه باليهودية لا على ان يعقوب قد مات من بعدى ط واحدا ج لعطف الجملتين المختلفتين والوصل يجوز على جعل الواو حالا مسلمون قد خلت ج لان ما بعدها تصلح صفة للامة وتصلح استئنافا وهو واضح لعطف ولكم ما كسبتم ج لعطف الجملتين المختلفتين يعملون التفسير عن وهب بن منبه قال ان ادم لما اهبط الى الارض استوحش منها لما رأى من سعتها ولانه لم ير فيها احدا غيره فقال يا رب ما لارضك عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيرى فقال الله انى ساجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدى ويقدس لى واجعل فيها بيوتا ترفع لذكرى ساجعل منها بيتا اختاره لنفسى واخصه بكرامتى واثره على بيوت الارض كلها باسمى واسميه بيتى انطقه بعظمتى واحوطه بحرمتى واصفوه البقعة التى اخترت لنفسى فانى اخترت مكانه يوم خلقت السموات والارض جعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وامنا احرم بحرمته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتى فقد عظم حرمتى ومن حله فقد اباح حرمتى ومن امن اهله استوجب بذلك امانى ومن اخافهم فقد خفانى ومن عظم شانه فقد عظم فى عينى ومن تهاون به فقد صغر فى عينى سكانها جيرانى وعمارها وفدى وزوارها اضيافى اجعله اول بيت وضع للناس اعمره باهل السماء والارض ياتونه افواجا شعثا غبرا على كل ضامر ياتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجا ويثجون بالتلبية ثجا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارنى وضافنى ووفد على ونزل بى فحق على ان اتحفه بكرامتى وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وزواره وان يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا ادم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الامم فى القرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ونبيا بعد نبى حتى ينتهى بعد ذلك الى نبى من ولدك يقال له محمد هو خاتم النبيين فاجعله من عماره وسكانه وحماته وولاته يكون امينى عليه ما دام حيا فاذا انقلب الى وجدنى قد ذخرت له من اجره ما يتمكن به من القربة الى والوسيلة عندى واجعل اسم ذلك البيت وشرفه وذكره ومجده وسناه ومكرمته لنبى من ولدك يكون قبل هذا النبى وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضى على يديه عمارته واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة قانتا قائما بامرى داعيا الى سبيلى اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم ابتليه فيصبر واعافيه فيشكر وآمره فيفعل وينذر لى فيفى ويدعونى فاستجيب دعاءه

في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم واجعلهم اهل ذلك البيت وحماته وسقاته وخدمه وخزانه وحجابه حتى يبدلوا او يغيروا واجعل ابرهيم امام ذلك
البيت واهل تلك الشريعة ياتم به من حضر تلك المواطن من جميع الخلق الجن والانس وروى ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه اليه ادم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج ادم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة
فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وعن علي البيت المعمور في السماء يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في
السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الفا من الملائكة لا يعودون فيه ابدا وعن عبد الله بن عمر ان النبي قال الركن والمقام ياقوتتان
من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب طمسهما ولا مسهما ذو عاهة ولا سقيم الا شفي وعن ابن عباس كان اشد بياضا من الثلج
حتى سودته خطايا اهل الشرك واما قصة اسمعيل عم فنقول ان رسول الله صلعم قال لم يكذب ابرهيم عم قط الا ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله
اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شان سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت احسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك
امرأتي يغلبني عليك فان سئلك فاخبريه انك اختي فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الارض مسلما غيري وغيرك فلما دخل ارضه راها بعض اهل الجبار فاتاه
فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فاتي بها وقام ابرهيم الى الصلوة فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت
يده قبضة شديدة فقال لها ادعي الله ان يطلق يدي ولا اضرك ففعلت فعاد فقبضت يده اشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فعاد
فقبضت يده اشد من القبضتين الاولتين فقال ادعي الله ان يطلق يدي لا اضرك ففعلت فاطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال انك انما جئتني
بشيطان ولم تاتني بانسان فاخرجها من ارضي واعطها هاجر فاقبلت تمشي فلما راها ابرهيم انصرف فقال مهيم فقالت خيرا كفى الله يد الفاجر واخدم خادما
قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء قلت وذلك ان هاجر ملكها سارة ابرهيم فولدت له اسمعيل ابا العرب ثم تتمة القصة بعد ان غارت سارة على هاجر
حيث لم يكن لسارة من ابرهيم ولد فانها ولدت اسحق بعد ولادة هاجر اسمعيل باربع عشرة سنة فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس اول ما اتخذت النساء
المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق
زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك
بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء
ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا
فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها
فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي فلذلك سعى الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا
فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال
بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي يرحم الله
ام اسمعيل لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فراوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم
قال ابن عباس قال النبي فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى
اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك الغلام زوجوه امرأة منهم وماتت ام اسمعيل
فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته فلم يجد اسمعيل فسئل امرأته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سئلها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلم وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسمعيل كانه انس شيئا فقال هل جاءكم من احد
قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسئلنا عنك فاخبرته وسئلني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك
السلم ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابرهيم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم
يجده فدخل على امرأته فسئل عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسئلها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل قال
فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلم ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسئلني
عنك فاخبرته فسئلني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلم ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة
امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد ثم

باسمعيل

يا اسمعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك
رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابرهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسمعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن علي انه مر عليه الدهر بعد بناء ابرهيم فانهدم فبنته العمالقة ومر عليه الدهر فانهدم
فبناه قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ شاب فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا اول رجل يخرج من هذه السكة فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج عليهم فقضى بينهم ان يجعلوا الحجر في مرط ثم ترفعه جميع القبائل فرفعوه فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه. اعلم ان للبيت اربعة
اركان ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقا بالارض وله بابان شرقي وغربي فذكر ان السيل هدمه قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر
سنين فاعادت قريش عمارته على الهيئة التي هي عليها اليوم ولم يجدوا من النذور والهدايا والاموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر
بعض البيت وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد ابرهيم وضيقوا عرض الجدار من الاسود الى الشامي الذي يليه فبقي من الاساس شبه الدكان مرتفعا
وهو الذي يسمى الشاذروان وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد ابرهيم فالصقته
بالارض وجعلت له بابين شرقيا وغربيا ثم ان ابن الزبير هدمه ايام ولايته وبناه على قواعد ابرهيم ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه ثانيا واعاده على الصورة
التي هو عليها اليوم وهي بناء قريش ولنعد الى المقصود فنقول يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة معناها الثابتة ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويجوز ان يكون
المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه فرفع كل منها بسبب وضع الاخر عليه رفع القواعد صريح فيما ذهب اليه
الاكثرون من ان القواعد كانت موجودة وان ابرهيم عمرها ورفعها كما مر في الاحاديث وانما لم يقل قواعد البيت ليكون الكلام مبنيا على تدبير
بعد ابهام ففيه تفخيم لشان المبين ثم ان الله تعالى حكى عنهما ثلثة انواع من الدعاء في تلك الحالة الاول قولهما تقبل منا وقبول الله عمل العبد عبارة
من كون العمل بحيث يرضاه الله تعالى ويثيب عليه الاول لان عند العارفين من الثاني تشبيه العمل من العبد بالهدية واثابة الله تعالى عليه رضا
بالقبول وقيل ان بين القبول والتقبل فرقا فالتقبل عبارة عن تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فاختير تقبل
هضما وتواضعا واستقصارا وقد يستدل بهذا على ان الفعل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه والا لم يكن في طلبه فائدة ويحتمل ان
يقال الطلب متوجه الى جعله من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون طلب القبول عبارة عن ذلك يؤكده قولهما انك انت السميع يعني سماع اجابة العليم
بنياتنا النوع الثاني ربنا واجعلنا مسلمين لك فان اريد بالاسلام الدين والاعتقاد توجه الطلب الى الثبات والدوام اي ثبتنا على ذلك و
الا كان تحصيل الحاصل لثبوتهما لهما وقتئذ وان اريد بالاسلام الخضوع والاذعان الكلي والرضا بكل ما قدر وامر فتوجه الطلب هذه
الامور نفسها غير مفيد لانها امور خارجة عن الضبط لا يتيسر الا بمجرد تيسير الله وتوفيقه بخلاف اصل الاسلام الذي وقع به التكليف فانه مضبوط
وقد يظن ان للعبد اختيارا فيه وان كان اختياره على تقدير ثبوته ينتهي الى مسبب الاسباب قوله واجعلنا اما معطوف على تقبل وقوله انك انت
السميع العليم ربنا اعتراض للتاكيد واما معطوف على محذوف اي ربنا افعل هذا واجعلنا ومن ذريتنا من للتبعيض كما في قوله ومن ذريتي ولانه
الجماعة من الناس قبل اراد امة محمد صلى الله عليه وسلم مسلمة يحتمل ههنا اصل الاسلام والزيادة عليه وقيل سلم مطلقا يفيد الايمان والاعتقاد ومعك
باللام معناه الاستسلام والانقياد الكلي الطلب الاسلام لهم بعد ما طلب لهم الامامة اظهارا للشفقة فالشفيق بسوء الظن مولع ويحتمل ان يكون
الدعاء بالاسلام الجماعة هناك فيكونان واحدا وتخصيص الذرية بالدعاء من بين الخلائق لانهم احق بالنصيحة وانهم قوا انفسكم واهليكم نارا
ولانهم اذا صلحوا صلح غيرهم ونفي سدادهم يكون سداد من وراءهم ثم انه استجاب الله دعاءه فلم يزل في ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا
ولم يزل الرسل من ذرية ابرهيم وقد كان في الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ويقال عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على دين الحنيفية قائلين بالابتداء والاعادة والثواب والعقاب يوحدون الله ولا ياكلون الميتة ولا يعبدون الاوثان وارنا ان كان منقولا عن
رؤية العلم فمعناه علمنا شرائع حجنا كيف هي اذ امرتنا ببناء البيت لنحجه وندعوا الناس الى حجه وان كان منقولا من رؤية البصر وهو الاظهر
ولذلك لم يتجاوز مفعولين فظاهر ان المعنى بصرنا متعبداتنا في الحج قال الحسن ان جبرئيل اري ابرهيم المناسك كلها حتى بلغ عرفات فقال
يا ابرهيم اعرفت ما اريتك من المناسك قال نعم فسميت عرفات فلما كان يوم النحر اراد ان يزور البيت عرض له ابليس فسد عليه الطريق
فامره جبرئيل ان يرميه بسبع حصيات ففعل فذهب الشيطان ثم عرض له في اليوم الثاني والثالث والرابع كل ذلك يامره جبرئيل برمي الحصيات
وقيل المراد العلم والرؤية معا لان الحج لا يتم الا بامور بعضها يعلم ولا يرى وبعضها لا يتم الغرض منه الا بالرؤية فوجب حمل اللفظ على الامرين جميعا
وليس ببعيد فان اللفظ المشترك يصح اطلاقه على معنييه معا وكذلك مدلولا الحقيقة والمجاز يصح ارادتهما معا من لفظ واحد كالعقد والوطي
من النكاح غاية ما في الباب ان يكون هذا الاطلاق مجازا ومن الناس من يحمل المناسك على المذابح فقد يسمى الذبح المتقرب به نسكا والذبيحة نسيكة
وليس لهذا التخصيص وجه لان الذبح انما يسمى نسكا لدخوله تحت اصل معنى النسك وهو التعبد فحمل المناسك على جميع اعمال الحج اولى قال صلى الله عليه وسلم خذوا
عني مناسككم لا لفاكم بعد عامي هذا بل لا يبعد ان يحمل على جميع ما شرع الله لابرهيم اي علمنا كيف نعبدك ومتى واين نعبدك وبماذا نتقرب

اليك حتى يخدم ملك بدل الخدمة العبد لمولاه وتب علينا التوبة انما تحمل على ما عسى ان يكون فرط منهما من الصغائر عند من يجوزها على الانبياء
على ترك الاولى وهو دون ذلك تشديدا عليهم ويمكن ان يكون التوبة منهما تصويرا لانفسهما بصورة النادم العازم على التحرز تشددا في الانصراف عما لا يليق
بهما فانه صلعم قال يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب في اليوم مائة مرة او تأبيهما لعلهما استنانا بالذرية لعلمهما بان فيهم ظالمين لقوله تع لا ينال عهدي الظالمين
وذلك لغاية شفقتهما عليهم وباقي مباحث التوبة تذكر في قصة آدم فليتذكر النوع الثالث ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وفيه امران الاول ان
يبعث في تلك الامة رسولا يبين لهم الشرع القويم ويهديهم الصراط المستقيم والثاني ان يكون ذلك الرسول منهم لا من غيرهم لان الرسول والمرسل
اليهم كانوا جميعا من ذريتهما كان رتبته اجل في انه اذا كان منهم عرفوا مولده ومنشاه فيقرب الامر عليهم في معرفة صدقه وامانته ولانه
اذا كان منهم كان احرص عليهم واشفق من اجنبي لو ارسل اليهم واما الرسول فهو محمد صلعم باجماع المفسرين وهو حجة ولقوله تع في موضع اخر لقد
من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ولقوله صلعم انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي اما الدعوة فهذه واما البشارة فقوله تع في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد واما الرؤيا فما رأت امه وهي حامل انه خرج منها نور اضاء بين الخافقين وههنا نكتة وهي ان الخليل لما دعا للحبيب بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا فلا جرم قضى الله تع حق الحبيب للخليل بان اجرى ذكره على السنة امته الى يوم القيمة يقولون في صلوتهم اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت
على ابرهيم وعلى ال ابرهيم ولهذا الذكر مناسبات اخر منها ان الخليل دعا لنفسه بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ابق لي ثناء حسنا في امة
محمد فاجابه الله تع وقرن ذكره بذكر حبيبه ومنها ان ابرهيم ابو الملة ملة ابيكم ابرهيم ومحمد صلعم ابو الرحمة بالمؤمنين رؤف رحيم النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم انما انا لكم مثل الوالد لولده يعني في الرافة والرحمة فلما ثبت لكل منهما الابوة قرن بين ذكرهما في الصلوة ومنها ان ابرهيم منادي الشريعة
واذن في الناس بالحج ومحمد منادي الدين سمعنا مناديا ينادي للايمان ومنها انه كان اول الانبياء بعد الطوفان ومحمد خاتم الانبياء ورسول
اخر الزمان ومنها ان الخليل تبرأ عن سائر الاديان اني بريء مما تشركون والحبيب تنزه عن جميع الاكوان ما زاغ البصر وما طغى ثم ان ابرهيم ع
ذكر لذلك الرسول صفات اولها يتلوا عليهم اياتك فهو القرآن المتلو عليهم وجميع ما بلغه من دلائل التوحيد وغيره او تبليغ القرآن ومثله
معه ثانيها ويعلمهم الكتاب معانيه وحقائقه وذلك ان التلاوة وان كانت مطلوبة لبقاء لفظها على السنة اهل التواتر فيبقى مصونا من
التحريف ولان لفظه ونظمه معجز وفي تلاوته نوع عبادة ولاسيما في الصلوات الا ان الحكمة العظمى والمقصود الاسنى تعليم ما فيه من الدلائل والاحكام
وثالثها قوله والحكمة ويعلمهم الكتاب والحكمة اي ويعلمهم الحكمة قيل هي الاصابة في القول والعمل جميعا فلا يسمى حكيما الا من اجتمع فيه الامران فيضع
كل شيء موضعه ولهذا عبر عنها بعض الحكماء بانها التشبه بالاله بقدر الطاقة البشرية ويناسبه قوله صلعم تخلقوا باخلاق الله وعن ابن وهب قلت
لمالك ما الحكمة قال معرفة الدين والفقه فيه والاتباع له وعن قتادة والمذهب للشافعي هي سنة رسول الله صلعم لانه ذكر تلاوة الكتاب ثم تعليمه ثم
عطف عليه الحكمة فيكون شيئا خارجا عنهما وليس ذلك الا سنة الرسول فان الدلائل العقلية الدالة على التوحيد والنبوة وما يتلوهما مستقلة
بالفهم فحمل اللفظ على الاستفادة من الشرع اولى وقيل هي الفصل بين الحق والباطل من الحكم وقيل المراد بالكتاب الايات المحكمات وبالحكمة المتشابهات
وقيل هي ما في احكام الكتاب من المصالح ورابعها ويزكيهم لان كمال ارشادهم بامرين التحلية والتخلية فكما يجب على المعلم التنبيه على نعوت الكمال ليتحلى المتعلم
بها يجب عليه التحذير عن سمات النقصان ليتحرز عنها وذلك يحصل بما يفعله النبي صلعم سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة من الوعد والايعاد والوعظ
والتذكير والتنبيه عن امور الدنيا والتقوية لدواعيهم الى الايمان والعمل الصالح ولذلك مدح بانه على خلق عظيم وانه اوتي مكارم الاخلاق وقيل
يزكيهم يطهرهم عن الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وقيل يشهد لهم بانهم عدول يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا وعن ابن عباس التزكية هي الطاعة لله والاخلاص انك انت العزيز القادر الذي لا يغلب الحكيم العالم الذي لا يفعل الا على وفق الصلاح
واذا كان كذلك صح منه اجابة الدعاء وبعثة الرسل وانزال الكتب ومن يرغب الاستفهام فيه لتقرير النفي اي لا يرغب احد يقال رغب عن الامر
اذا كرهه ورغب فيه اذا اراده ومحل من سفه الرفع على البدل من الضمير في يرغب وذلك انه غير موجب مثل هل جاءك احد الا زيد سفه اما متعد
بمعنى سفه نفسه امتهنها واستخفها فاصل السفه الخفة وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في
اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة وعن الحسن الا من جهل نفسه فلم يفكر فيها فيستدل بما يجده فيها من اثار الصنع على وحدانية
الله تع وحكمته فيرتقي الى صحة نبوة محمد صلعم وعن ابي عبيدة اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه وقيل لازم فمعناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم
اي في ظني وقيل نصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه هذا عند الكوفيين فان التمييز عندهم يجوز ان يكون معرفة وفيه توبيخ لليهود والنصارى
ومشركي العرب وتعجيب من حالهم فان اعظم مفاخرهم وفضائلهم الانتماء الى ابرهيم ثم انهم لا يؤمنون بالرسول الذي هو دعوته ومطلوبه بالتضرع
الى الله والاخلاص فان قيل ملة ابرهيم عين ملة محمد في الاصول والفروع او هما متحدتان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم الاخلاق ولكنهما
مختلفتان في فروع الاعمال ولا سبيل الى الاول والا لم يكن شرع محمد صلعم ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم ان يكون محمد ايضا راغبا عن
ملة ابرهيم لان الاعتراف بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلعم قلنا المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط لكن نبوة محمد صلعم من جملة الاصول

اى ليسلك التعلم بسببها

مثلها ابرهيم والمراد بملة ابرهيم الاصول التي لا يختلف بها الاعصار وكراهة فلا يلزم ان يكون محمد تبعا فيها لانه امر باتباعها ثم اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد
اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ثم انه تعالى لما سفه من رغب
عن ملة ابرهيم بين السبب في ذلك فقال ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه للرسالة من دون الخليقة وعرفناه الملة الجامعة للتوحيد والعدل
والامامة الباقية الى قيام الساعة حتى نال منزلة الخلة وانه في الاخرة لمن الصالحين فيلبسه ما يليق بهم من الكرامة وحسن الثواب فالمستحق كالذي
ليس الراغب عن سيرة من هو فائز بسعادة الدارين لا راي له والله الموفق ثم بين سبب الاصطفاء وما عمل اصطفيناه اذ قال اي اخترناه في ذلك
الوقت ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله واذ قال له ربه من باب الالتفات ولولا لكان حقه ان يقال اذ قلنا له والاكثرون على انه تعالى قال ذلك قبل النبوة وقبل البلوغ وذلك
عند استدلاله بالكواكب والقمر والشمس واطلاعه على امارة الحدوث فيها لما عرف ربه قال له اسلم فانه لا يجوز ان يقول له قبل ان عرف ربه
ويحتمل ان يكون ذلك قبل الاستدلال ولا يكون المراد منه نفس القول بل دلالة الدليل عليه كقولهم نطق الحال قال تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به يشركون فجعل دلالة البرهان كلاما ويحتمل ان يكون هذا بعد النبوة والمراد استقامة على الاسلام وثباته عليه كقوله
فاستقم كما امرت والمقصود الانقياد لاوامر الله تعالى والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وقيل الايمان صفة القلب
والاسلام صفة الجوارح وان ابرهيم كان عارفا بالله تعالى بقلبه فكلفه الله تعالى بعد ذلك بعمل الجوارح وفي تخصيص لفظ الرب بهذا الموضع بل
بالكثرة تخصيص ابرهيم اشارة الى ان طريق عرفانه النظر في المربوبات لا جرم وصل الى الرب طريق عرفان محمد عكس ذلك الترتيب فلا جرم بدا امر الله
فاعلم انه لا اله الا الله والاول طريق سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق لكن الطريق الثاني احسن اولم يكف بربك انه على
كل شيء شهيد ومن هنا يعرف كلمة محمد شعر واني وان كنت الاخير زمانه لات بما لم يستطعه الاوائل فان ابرهيم دل على استقامة سيره
وهم محمد دليل على انه مكمل الاوضاع وبه ابتدا الامر حيث لا نبي بعده ثمرة النبوة وحصلت الخاتمة كما ان ابرهيم دليل وجود الاستقامة
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالفاء بالحدس لعدم الاستقامة الا بالدليل واستكبر الوجود خير والعدم شر فيحصل من خلاله
الخير مع لام الابتداء واذ ابتلى ابرهيم ربه تركيب الخلة واتخذ الله ابرهيم خليلا من شيم الشرع والدوام على الكفر كان من الكافرين
اسم الشدة وللكافرين عذاب شديد ثم ان الخلة ماخوذة من الخلال بين الشيئين منه خلاله فلا جرم كان ابرهيم واسطة في الطريقة
ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا والمحبة ماخوذة من الحبة وهو خالص كل شيء وداخله ومنه حبة القلب فلا جرم كان محمد خاتم النبيين وحبيب
رب العالمين وزبدة الكائنات وغاية الحركات لولاك لما خلقت الافلاك اول الفكر اخر العمل اول ما خلق الله تعالى نوري اول من ينشق عنه
قبر ادم ومن دونه تحت لوائي انا سيد المرسلين ولا فخر ابو الحقيقة وان كان ابرهيم ابا الطريقة والحقيقة لكونها مقصودة بالذات
اولى من الطريقة لا جرم وقع الصلوة على ابرهيم في الصلوة تبعا للصلوة على محمد اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابرهيم وان الصلوة
لا تصح بدون الصلوة على محمد بخلاف الصلوة على غيره واما التي ووصى التوصية من جملة الامور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن ابرهيم
اوصيته بكذا ووصيته بمعنى واصل وصيت الشيء بكذا اذا وصلته ارض واصية متصلة النبات فالموصي يصل القربة الحاصلة له
بعد الموت الى القربة الحاصلة له في الحيوة ويجعل الموصى به هذا الوصل بسبب الموت والضمير في بها عائد الى الكلمة او الخصلة وهي اسلمت
لرب العالمين ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقيل الاولى ان يرجع الى الملة
لانها مذكورة صريحا في قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم وكان الوصية بالملة الجامعة جميع اسباب الفلاح بخلاف الوصية بالشهادة وحدها
اللهم الا ان يحمل الاسلام على الانقياد الكلي قبول الدين منها انه لم يقل امرها لان الوصية عند امارات الموت وعند
ذلك يكون الاهتمام بالامور اشد منها مع انه كان يدعو كل الناس الى الدين دل على انه لا شيء عنده اهم
ذلك انه التعميم لجميع الابناء وانه لم يقيد الوصية بزمان ومكان ولم يخلطها بشيء اخر ثم لما امر ان يموتوا غير مسلمين وكل هذه دلائل شدة
الاهتمام بالمامور وهو المشهور بالفضل وحسن السيرة فيجب قبول قوله لكل عاقل وكذلك وصى بها يعقوب بنيه وقرى يعقوب بالنصب
معناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب كل منها ابني اصله بانبون فاضيف الى ياء المتكلم فسقطت النون وصارت الواو ياء لاجل
النصب فادغم الياء في الياء ان الله اصطفى لكم الدين استخلصه اختاره لكم بان اتم عليه حثكم من غيره وحقكم
للاخذ به فلا تموتن فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام نحو لا تصل الا وانت خاشع لا نهاه عن نفس الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في صلوته والنكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة ومثله قوله لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه في قوة
قوله لجار المسجد لا تصل الا في المسجد فكانه موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه لانه ليس بموت السعداء ومن حق هذا الموت ان لا يحل
فيهم ام كنتم شهداء يحتمل ان يكون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بحجة الحضور عند ما تردد الخطاب للمؤمنين اي ما كنتم حاضرين حين

الجزء الاول

احضر يعقوب الموت انما حصل لكم العلم به من طريق الوحي ولا اهل الكتاب المعاصرين كانه قيل لهم كيف تزعمون ان ما انتم عليه دين الرسل ولم تشهدوا وقتها
الانبياء ولو شهدتم ذلك وسمعتم قولهم لبنيهم لظهر لكم حرصهم على ملة الاسلام والدين الحنيفي فرغبتم في دين محمد ويحتمل كون ام متصلة
على ان يقدر قبلها محذوف معناه اتدعون على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت قبل اي ان اكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد ودين الاسلام فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وفيه نظر لان ام المعادلة لاحد الامرين كاين
فيهما فقط فان كان الحضور ثابتا لم تكن الدعوى ثابتة لكنها ثابتة ولهذا توجه الانكار عليها فالوجه ان يقال المراد الحضور غير ثابت لتطاول الزمان
فاذن دعوتهم يهودية الانبياء دعوى بلا دليل فلا تسمع على انه نص على بطلانها بقوله اذ قال لبنيه الى اخره ويتجه على هذا التقدير ان تكون ام منقطعة
كانه استفهم اولا على سبيل الانكار اي لم تدعون ثم استانف استفهاما ثانيا التقرير للنفي اي ما كنتم شهداء او للتقرير للاثبات على ان اوائلهم
قد شهدوا فيكون مؤكدا لذلك الانكار ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام لاولي العلم وغيرهم ومن مختص باولي العلم ولهذا قال العلماء
من لما يعقل ومن خصص ما بغير اولي العقل قال المراد السؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب روي ان يعقوب لما دخل مصر
رأى اهلها يعبدون الاوثان والنيران فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم هذا القول تحريضا لهم على التمسك بعبادة الله لانهم كانوا
يعبدون غير الله لان مبادرتهم الى الاعتراف بالتوحيد تنافي ذلك وقيل لان المشهور من امر الاسباط انهم كانوا قوما صالحين ابرهيم واسمعيل
واسحق عطف بيان لاباءك قدم اسمعيل لانه اسن وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العرب الخالة ام لانخراطهما في سلك واحد
هو الاخوة قاله عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وايضا اطلق اسم الاب على ابرهيم وهو جده فعن الشافعي
انه مجاز ولهذا قال الاخوة والاخوات للاب والام لا يسقطون بالجد البتة وهو مذهب مالك وابو يوسف ومحمد وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وزيد
وقال ابو حنيفة انه حقيقة انهم يسقطون بالجد وهو قول ابي بكر وابن عباس وعائشة والحسن وطاوس وعطاء ثم التعليمية قالوا الاية تدل على ان معرفة
الله تعالى لا تحصل الا بالتعليم لرسول او الامام لانهم لم يقولوا نعبد الاله الذي دل العقل عليه بل قالوا نعبد الاله الذي انت تعبده واباؤك يعبدونه فدل
على ان طريق المعرفة هو التعليم والجواب بمنع دلالة الاية على ذلك بل لعل المعرفة حصلت لهم بالاستدلال الا انهم اختصروا الكلام فتركوا شرح صفات
الله وبيان ذلك ثم انه اقرب الى سكون نفس يعقوب فكانهم قالوا لسنا نجري الا على مثل طريقتك من اليقين بالله والاخلاص في عبادته
ايضا لعل مرادهم نعبد الاله الذي دل عليه وجودك ووجود ابائك كقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الها واحدا بدل من اله اباءك
مثل بالناصية ناصية كاذبة او نصب على الاختصاص للمدح ونحن له مسلمون مذعنون او مخلصون التوحيد ومحله النصب حالا من فاعل
نعبد او من مفعوله لرجوع الضمير اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وجملة معترضة مؤكدة تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي
ابرهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون قد خلت مضت وانقرضت والغرض انه لم يبق منهم اثر سوى ما عملوا ولهذا قيل لها ما كسبت اي ثوابه يريد اني
اقتصصت عليكم اخبارهم وما كانوا عليه من الدعوة الى الاسلام فليس لكم نفع في سيرتهم دون ان تفعلوا ما فعلوه فان انتم فعلتم ذلك
فزتم كما فازوا وان ابيتم خسرتم انتم دونهم ولا تسألون عما كانوا يعملون لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا ينفعكم حسناتهم وفيه تكذيب لليهود
حيث قالوا انهم يعذبون اياما معدودة لكفر ابائهم باتخاذ العجل وفي الاية وعيد شديد للابناء اذا لم يعملوا بعمل الاباء قال صلعم يا صفية
عمة محمد صلعم يا فاطمة بنت محمد صلعم ائتوني يوم القيمة باعمالكم لا بانسابكم فاني لا اغني عنكم من الله شيئا من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ثم الاية تدل
ان للعبد كسبا ولكن الائمة اختلفوا في تفسيره فالاشعري على انه لا تاثير لقدرة العبد في مقدوره اصلا لانه لو كان موجدا لافعاله لكان
عالما بتفاصيل فعله وليس كذلك ولما وقع الا ما اراده العبد وليس كذلك بل المقدور والقدرة كلاهما واقع بقدرة الله تعالى لكن الشيء الذي
حصل بخلق الله وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب واعترض عليه بان مقدور العبد اذا كان واقعا بخلق الله تعالى فاذا خلقه فيه استحال من العبد
ان لا يتصف به واذا لم يخلقه فيه استحال ان لا يتصف فاي معنى لكون العبد قادرا عليه وايضا الذي هو مكتسب العبد اما ان يكون واقعا بقدرة
الله فلا اثر للعبد فلا يكون مكتسبا له وان وقع بالقدرتين معا فلا يكون قدرة الله تعالى مستقلة والمفروض بالخلاف فبقي ان يكون بقدرة
وعن القاضي ان ذات الفعل واقعة بقدرة الله تعالى ثم يحصل لذلك الفعل صفة طاعة او صفة معصية فهذه الصفة تقع بقدرة العبد وضعف
بان الحركة من الجلوس في الدار المغصوبة ليس الا شغل تلك الاحياز فهذا الشغل ان حصل بفعل الله تعالى فعين المنهي عنه قد خلقه الله فيه وهذا
تكليف ما لا يطاق وان حصل بقدرة العبد فهو المطلوب وزعم الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان ذات الفعل تقع بالقدرتين وزيف بان
قدرة الله مستقلة بالتاثير ومنهم من زعم ان القدرة الحادثة مع الداعي توجب الفعل فالله تعالى هو الخالق للكل بمعنى انه سبحانه هو الذي
وضع الاسباب المؤدية الى دخول هذه الافعال في الوجود والعبد هو المكتسب بمعنى ان المؤثر في وقوع فعله هو القدرة والداعية القائمتان
به والى هذا ذهب امام الحرمين وهو مناسب لقول الفلاسفة وزعم جمهور المعتزلة ان القدرة مع الداعي لا توجب الفعل بل العبد قادر
على الفعل والترك متمكن منهما ان شاء فعل وان شاء ترك وهذا هو الفعل والكسب فهذا تقرير المذاهب وقول الاشعري اقرب الى الادب وقول
امام الحرمين اقرب الى التحقيق لان نسبة الاثر الى المؤثر القريب لا تنافي كون ذلك المؤثر منسوبا الى اثر اخر بعيد ثم الى ابعد الى ان ينتهي الى مسبب الا

في خلق افعال العباد

وفاعل الكل

وفاعل الكل ومبدأ المبادى والباء للاختيار بعقله دون هواه التأويل من قوله واذ ابتلى ابتلاء للولاء كالتهب للذهب فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء وابتلى الخليل بكلمات هي احكام النبوة الخصال العشر في جسده ولوازم الرسالة الصبر عند صدمات المكروهات وفقدان المأمولات وموجبات الخلة التبرى عما سوى الخليل انى برئ مما تشركون وعداوة غير الخليل فانهم عدو لى الا رب العالمين ورفع الوسائط حيث قال له جبرئيل في الهواء هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا والتسليم اسلمت لرب العالمين والرضاء بما امر به من ذبح الولد فلما اسلما وتله للجبين بخلاف ما قال نوح ان ابنى من اهلى فلا جرم زيد له في الاصطفاء وشرف بكرامة الامامة والاقتداء به انى جاعلك للناس اماما واذ جعلنا البيت بيت القلب كما جاء ان الله تعالى اوحى الى داود فرغ لى بيتا اسكن فيه فقال وكيف يا رب فقال فرغ لى قلبك اى جعلنا القلب الانسانى مثابة للناس ترجعون اليه بالطلب وزوارى كما ترجعون الى الكعبة في الصورة وما منا للسالك من تصرفات الشيطان ومكائده حين يبلغ منزل القلب لان القلب خزانة الحق محروسة من دخول الشيطان وانما جولان الشيطان في ميادين الصدر كقوله يوسوس في صدور الناس واتخذوا عند الوصول الى كعبة القلب من مقام ابرهيم وهو الخلة قبلة توجهكم ليكون قصدكم الى الله عز وجل كما قال ابرهيم انى ذاهب الى ربى سيهدين وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل في الميثاق ان طهرا القلب من دناس تعلقات الكونين واوضار ملاحظة الاغيار للطائفين وهى واردات الالطاف والعاكفين وهى الملكات والمقامات والركع السجود وهى صفات القلب المطهرة من الارادة والصدق والاخلاص والتواضع والخوف والرجاء والتسليم والرضاء والتوكل وجملة هذه الصفات العبودية واذ قال ابرهيم الاية لما اهبط ادم الروح الى ارض الجسد فقد ما كان يجد من روائح الطاف الحق في جنة حظيرة القدس استوحش فانزل الله تعالى ياقوتة القلب من جنة حظيرة القدس ليأنس بها وتطلع منها اشراق الى حظيرة رب العالمين ونزول الالطاف ونائب غربة الى عالم الجسد فيه قناديل العقل وانزل حجر الدرة المخاطبة بخطاب الست بربكم منورا بنور جواب بلى قد التقم كتاب العهد يوم الميثاق فهو يمين الله في ارضه فلما كان طوفان افات الصفات البشرية من الطفولية الى البلوغ وغارتنى رالشهوات فع بيت معمور القلب الى السماء الرابعة يعنى حجبت استار خواص العناصر الاربع واختفى حجر الدرة في ابى قبيس صفات النفس فلما امر ابرهيم الروح بعد البلوغ ببناء بيت القلب وعمارته من حس جبل اركان الاسلام وقد هدى الى موضع بيت القلب بدلالة السكينة هو الذى انزل السكينة في قلوب المؤمنين فجعل اسمعيل النفس المطمئنة يجئ باحجار اعمال الشريعة من جبال اركان الاسلام وبناها ابرهيم الروح وهو يبنى الى ان بلغ موضع الحجر فنودى من ابى قبيس الهوى ان لك عندى وديعة فخذها فخلص حجر الدرة من استار صفات النفس والهوى ووضعه مكانه وكان ابيض فلما مسته حيض اللذات الدنيوية ومشركوا الشهوات النفسانية في جاهلية الطفولية اسود فلما فرغا من رفع قواعد بيت القلب قالا ربنا الاستسلام للاحكام الظاهرة الشرعية والباطنة التى جف القلم بها في الازل وكذا الذرية المتولدات من الصفات الروحانية في النفسانية وابعث فيهم رسولا منهم لا من الخارج فان لم يكن له في القلب رسول وارد من الحق وهو السر لم يسمع كلام الرسول الخارجى ثم ان ابرهيم الروح يوصى لمتولداته من القلب صفاته والنفس وصفاتها والقوى البشرية والحواس الخمس والاعضاء والجوارح كلها ملة وفى الاية اشارة الى انه تعالى اذا تجلى لروح عبد مخلص متضرع اليه محب له ظهر اثار انوار تجلية على قلبه وسره ونفسه وقوله وحواسه وجميع اعضائه ويخضعون بكليتهم فيعبدون الها واحدا منفردا من الهوى والدنيا والاخرة والله الموفق وقالوا كونوا هودا او نصرى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

ولگفتند که شوید یهود یا ترسا تا راه یابید بگو که متابعت کنیم ملت ابراهیم را که مستوی است و نبود وی از مشرکان

قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى

بگوئید که گرویدیم بخدا و آنچه فرستاده شد بما و آنچه فرستاده شد بابراهیم و اسمعیل و اسحق و یعقوب و اسباط و آنچه داده شد موسی

وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا

و عیسی و آنچه داده شد پیغمبران از پروردگار ایشان جدا نمیکنیم در میان هیچ یک از ایشان و ما مر او را تسلیم کنندگانیم پس اگر گروند مانند آنچه گرویدید شما بآن پس راه یافتند

وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون

و اگر روگردانیدند پس جز این نیست که ایشان در خلافند پس زود کفایت کند شما را از ایشان خدا و او است شنوای دانا رنگ خدا و کیست بهتر از خدا در رنگ و ما مر او را پرستندگانیم

قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل

بگو آیا خصومت میکنید با ما در باره خدا و حال آنکه او است پروردگار ما و پروردگار شما و ما راست کردارهای ما و شما راست کردارهای شما و ما مر او را مخلصانیم یا آنکه میگوئید که ابراهیم و اسمعیل

واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصرى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله

و اسحق و یعقوب و اسباط بودند یهودان یا ترسایان بگو آیا شما بهتر میدانید یا خدا و کیست ستمکارتر از آنکه پنهان کرد گواهی را که در نزد خود است از خدا و نیست خدا

بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون القراءة ام تقولون بتاء الخطاب

بیخبر از کردارهای شما آن گروهی که در گذشتند مر ایشان راست کسب ایشان و مر شما راست کسب شما و پرسیده نشوید از کردارهای ایشان

ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر والحماد والمفضل الباقون بياء الغيبة الوقوف تهتدوا ط المشركين من ربهم ج لطول الكلام والاستيناف والاصح انه حال اى مما غير مفرقين منهم

لاحتمال الابتداء والحال وجه مسلمون اهتدوا ح لا ابتدا شرط اخر مع العطف شقاق ح للابتدا ليسبق الوعيد مع دخول الفا فسيكفيكهم الله ح
لاحتمال الواو والابتداء العليم ط لان الجملة الناصبة لقوله صبغة الله محذوفة بدل عليها قولوا امنا بالله وقوله فان امنوا شرط معترض من صبغة الله
لابتداء الاستفهام مع ان الواو للحال صبغة ج على جعل الواو للابتداء او للحال وللعطف على امنا عابدون ويكم ج لان الواو ويصلح ان يكون
عطفا على الحال الاولى يصلح ان يكون مستانفا اعمالكم ج مخلصون لمن قرا ام يقولون بتاء الغيبة ومن قرا بالتاء لم يقف لكونها ام معادلة
للهمزة في اتحاجوننا او نصارى ط ام الله ط من الله ط تعملون قد خلت ج ما كسبتم ج يعملون الجزء الاول من الثلثين التفسير تعم لما بين لاول
المقدمة صحة دين الاسلام ذكر انواعا من شبه الطاعنين منها ان اليهود قالوا كونوا هودا تهتدوا والنصارى قالوا كذلك لما علم من التعادي
بين الفريقين كما بين كل منهما وبين المسلمين وتقدم مثل هذا في قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فاجابهم الله بقوله
قل بل ملة ابرهيم اي تكون اهل ملته مثل واسئل القرية اي اهلها او بل ملة تتبع ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته و
حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة وذلك ان المضاف اليه متضمن للحرف فيقتضي متعلقا هو الفعل وشبهه ح يشتمل على
فاعل ومفعول فالحال عن المضاف اليه يرجع في التحقيق الى الحال عن احدهما وعند الكوفيين نصب على القطع اراد ملة ابرهيم الحنيف فلما سقطت الالف واللام
لم تتبع النكرة المعرفة فانقطع منها فانتصب الحنيف لما مال عن كل دين باطل الى دين الحق وتحنف اذا مال وحاصل الجواب ان المعول في الدين ان كان
النظر والاستدلال فقد قدمنا الدلائل وان كان التقليد فالمتفق اولى من المختلف وقد اتفق الكل على صحة دين ابرهيم فاتباعه اولى هذا
جواب الزامي ثم لما كان من المحتمل ان زعم اليهود والنصارى انا على دين ابرهيم نعى عليهم بقوله وما كان من المشركين لكن النصارى قالوا
بالتثليث واليهود بالتشبيه ايضا قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله فليسوا من ملة ابرهيم التي هي محض التوحيد خالص الاسلام في تنبيه قوله
للمؤمنين ويجوز ان يكون للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون امرا لهم اي اتبعوا
ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته وهذا جواب اخر برهاني وذلك ان طريق معرفة نبوة الانبياء ظهور المعجز على ايديهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلعم وجب
الاعتراف بنبوته والايمان بما انزل عليه كما اعترفوا بنبوة ابرهيم وموسى وعيسى فان تخصيص البعض بالقبول وتخصيص البعض بالرد يوجب
المناقضة في الدليل عن الحسن قوله قل بل ملة ابرهيم خطاب للنبي وقوله قولوا خطاب لامته والظاهر انهم وانما قدم الايمان بالله لان
معرفة النبي والكتاب متوقفة على معرفته وفيه ابطال ما ذهب اليه التعليمية والمقلدة من ان طريق معرفة الله الكتاب والسنة قال الخليل الاسباط
في بني اسرائيل كالقبيلة في العرب وقيل السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي النبي فهم حفدة يعقوب وذرية ابنائه الاثني عشر عدد
بعض الانبياء المتقدمين وشرفهم ثم عمم لتعذر التفصيل لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاهل الكتاب ومعنى الايمان بجميعهم
ان كلا منهم حق في زمانه ولا نقول انهم متفرقون في اصول الديانات شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول
بين عليه نحن له مسلمون اذعانا واخلاصا فلا جرم لا نخص بالقبول بعض عبيده المؤيدين بالمعجزات خلاف من كان اسلامه تقليدا او هو
ولما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته من غير مناقضة رغبهم في مثل هذا الايمان
وههنا سؤال وهو ان دين الاسلام وهو الحق واحد فما معنى المثل في قوله بمثل ما امنتم به والجواب ان قوله فان امنوا بكلمة الشك يدل على
ان الامر مبني على الفرض والتقدير فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم ومساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لا دين صحيحا سوى هذا
الاسلام عن التناقض فلا اهتداء الا بهذه ونظيره قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب
منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه وقيل الباء للاستعانة لا للالصاق
والتمثيل بين التصديقين اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم وقيل المثل صلة ويؤيده قراءة ابن عباس وابن مسعود فان
امنوا بما امنتم به وقيل معناه انكم امنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فان امنوا بمثل ذلك في التورية فقد اهتدوا لانهم يتوسلون
به الى معرفة نبوة محمد وفي الاية دليل على ان هذا يتقبل هذا الاهتداء وهي الدلائل التي نصبها الله تع وكشف عن وجوهها والاهتداء بها قبولها
والعمل بها ليفوزوا بالسعادة العظمى وان تولوا عما قيل لهم ولم ينصفوا فانما هم الا في شقاق خلاف وعداوة وهو ماخوذ من الشق كانه صار
في شق غير شق صاحبه او من الشق لانه فارق الجماعة وشق عصاهم او من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه وفي وصف القوم
بذلك دليل على معاداتهم الرسول واضمارهم له كل سوء وتربصهم به لا يفاع في المحن فلا جرم امنه الله تعالى والمؤمنين من كيدهم وقال فسيكفيكهم الله
وناهيك به من كاف كافل ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تاخر الى حين ذلك ان فيه معنى التوكيد لوقوعها في مقابلة لن فان السين
لن افعل نفي سافعل وقد انجز وعده بما جرى بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية عليهم هذا اخبار بالغيب كم من قتله
في القران وكل ذلك مما يتاكد به اعجاز التنزيل العزيز وحصوله بطريق الوحي الصراح وهو السميع العليم وعد لرسول الله صلعم اي يسمع دعاءك ويعلم
نيتك في اعلاء كلمة الحق وعلانها فهو يستجيب لك لا محالة ووعيد للاعداء اي هو يسمع ما يبدون ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل فيكافيهم
على ذلك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله امنا بالله مثل وعد الله قال سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اي عليكم

صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله مثل وعد الله سيبويه وقيل بدل من ملة ابرهيم ونصب على الاغراء اى عليكم صبغة الله وفيها فك
النظم واخراج الكلام عن الالتيام والصبغة فعلة من صبغ للحالة التى يقع عليها الصبغ كالجلسة والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفس واصله ان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه بالمعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه يصير الواحد منهم نصرانيا حقا فامر المسلمون ان يقولوا لهم آمنا و
وصبغنا الله بالايمان لا صبغتكم وذلك على طريق المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ونظيره
انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقيل اللفظة من قولهم فلان يصبغ فلانا فى الشئ اى يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل الصبغ لازما
للثوب وقيل سمى الدين صبغة لظهور هيئته على صاحبه سيماهم فى وجوههم من اثر السجود ومن كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقيل
وصف هذا الايمان منهم بانه صبغة الله ليتبين ان المباينة بينه وبين غيره ظاهرة جلية يدركها كل ذى حس سليم كما يدرك الالوان وقيل
صبغة الله فطرته او قوله ذلك لان آثار الفطرة لائحة على الانسان لزوم الصبغ للثوب فيمكنه ان يتدرج منها الى وجود الصانع والايمان به
قيل صبغة الله الختان وقيل حجة الله وقيل سنة الله ومن احسن من الله صبغة معنى الاستفهام الانكار وصبغة تمييز اى لا صبغة احسن من
الايمان بالله الدين الذى شرع لكم ليطهركم به من اوضار الكفر واوزار الشرك ونحن له عابدون عبارة عن كمال الايمان كما تقدم من اهل الكتاب قل اتحاجوننا
اما المحاجة فهى ما قولهم نحن احق بان يكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة اوثان واما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا واما الخطاب فاما لاهل الكتاب واما لمشركى العرب حيث قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
واما للكل والمعنى اتجادلوننا فى شان الله او فى دينه وهو ربنا وربكم وللرب ان يفعل بعبيده ما يعلم فيه مصلحته ويعرفه لهلاك عبيده كلهم فى
ذلك لا يختص به عجمى دون عربى ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكان لكم اعمال ترجون نيل الكرامة بها نحن كذلك فالعمل هو الاساس وبه الاعتبار ونحن
له مخلصون موحدون لا نقصد بالعبادة احدا سواه فلا يبعد ان يوهل اهل الاخلاص بمزيد الكرامة من عنده ام يقولون من قرأ بالتاء
فهو داخل فى الخطاب احتمل ان يكون ام منقطعة بمعنى استيناف استفهام اخر اى بل تقولون والهمزة للانكار كما فى اتحاجوننا واحتمل ان يكون متصلة
اى الامرين تاتون المحاجة فى حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء انكارا عليهم واستجهالا لهم بما كان منهم وعن الزجاج باى
الحجتين تتعلقون فى امرنا ابا لتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن متبعون ومن قرأ بياء الغيبة فلا يكون الا منقطعة
لانقطاع الاستفهام الاول لفوات الخطاب ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله بل الله اعلم وخبره اصدق وقد اخبر فى التورية والانجيل والقرآن بان ابرهيم ما كان يهوديا
ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وكيف لا وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده ولكنهم مقرون بان الله اعلم وقد اخبر نقيض ما
ادعوه فان قالوا ذلك عن ظن فقد بان لهم خطاؤه وان قالوا ذلك عن جحود وعناد فما اجهلهم واسفههم فلهذا نابذهم الكلام اما التنبيه و
اما التجهيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اما ان يتعلق باظلم والمعنى لو كان ابرهيم وبنوه هودا او نصارى ثم ان الله كتم هذه الشهادة
لم يكن احد ممن يكتم شهادة اظلم منه لان الظلم من الاعدل شنيع واما ان يتعلق بكتم اى لا احد اظلم ممن عنده شهادة ثم انه لم يقمها عند الله
وكتمها اخفاها اى منه واما ان يتعلق بشهادة كقولك عندى شهادة من فلان ومثله براءة من الله ورسوله والمعنى ليس احد اظلم ممن كتم شهادة
عنده جاءته من الله وفيه اشارة الى ان المؤمنين ليكتموا ما عندكم من الحق شهدوا لابرهيم بالحنيفية وتعريض باهل الكتاب انهم كتموا شهادة
الله فانكروا نبوة محمد وحنيفية ابرهيم وغير ذلك من تحريفهم الخ وما الله بغافل عما تعملون كلام جامع لكل وعيد لهم ولا ضرابهم ولو ان احدا كان عليه
رقيب وقيل ملك جبارى لكان دائم الحذر والوجل فكيف بالرقيب القريب الذى يعلم اسراره ويسيء عليه انفاسه وافكاره ثم من يقدم على ان يدخله
جنة او ناره تلك امة اشارة الى ابرهيم وبنيه كما مر وانما اعيدت الاية ههنا لغرض اخر وهو زجرهم عن الاشتغال بوصف ما عليه الامم الماضية من
فان ادعائهم لا ينفع الا انهم لا ندرس ثارها ونطامس بوارها واما الان فالدين هو الاسلام الثابت بالدليل القاطع والبرهان النير فيجب
اتباع المعلوم واقتفاؤه والقاء المظنون العادة ولا يسئل المتاخر عن المتقدم ولا المحسن عن المسئ وكل بعمله يجزى سيقول
السفهاء من الناس ما ولىهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
زود باشد که گویند بیخردان از مردم که چه برگردانید ایشان را از قبله ایشان که بودند بران بگو که مر خدا راست مشرق و مغرب راه نماید هر کرا خواهد بسوی راه راست
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التى
و همچنین گردانیدیم شما را گروهی برگزیده تا که بوده باشید گواهان بر مردمان و بوده باشد پیغمبر که محمد است بر شما گواه و قرار ندادیم ما آن قبله را که
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله
که بودی تو بران بجز آنکه جدا کنیم از آنکه متابعت کند پیغمبر را از آنکه برگردد بر پاشنه خود و هر چند این تحویل قبله گران است مگر بر آنانکه هدایت کرد ایشان را و نیست سزاوار خدا که
ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضها فول وجهك
باطل کند گرویدن شما را بدرستیکه خدا بمردمان هر آینه مهربان است بدرستی میبینیم گردش روی تو را در آسمان پس قرار دهیم از برای تو قبله که خوشنود باشی آن را پس گردان روی خود را
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله
بطرف مسجد الحرام و در هر جای که بوده باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب او و بدرستیکه آنانکه دادیم ایشان را کتاب هر آینه میدانند که آن حق است از جانب پروردگار ایشان

الجزء الثاني

بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ

بیخبر از آنچه میکنند و اگر بیاوری آنانرا که داده شده‌اند کتاب را بهر علامتی پیروی نکنند قبله ترا و نیستی تو پیروی کننده قبله ایشانرا و نیستند بعضی از ایشان پیروی کننده قبله

بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

بعضی و اگر پیروی کنی خواهش ایشانرا پس آنکه آمد ترا از دانش بدرستیکه تو آنگاه از ستمکاران باشی آنانکه دادیم ایشانرا کتاب را میشناسند او را چنانکه میشناسند

أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا

فرزندان خود را و بدرستیکه گروهی از ایشان هر آینه میپوشند حق را و حال آنکه میدانند که حق از جانب پروردگار تست پس مباش البته از شک کنندگان و از برای هر کسی طرفیست که او روی آورنده است

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

بر آن پس پیشی گیرید بکوییها در هر جا که باشید بیارد شما را خدا همه را بدرستیکه خدا بر هر چیزی تواناست و از هر طرف که بیرون رفتی پس بگردان روی خود را بجانب

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مسجد الحرام و بدرستیکه آن هر آینه حق است از پروردگار تو و نیست خدا بیخبر از آنچه میکنید و از هر طرف که بیرون رفتی پس بگردان روی خود را بجانب مسجد الحرام و هر جا که

مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ

باشید پس بگردانید رویهای خود را بجانب آن تا نباشد از برای مردمان بر شما حجتی مگر آنانکه ستم کردند از ایشان پس مترسید از ایشان و بترسید از من و تا تمام کنم

نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

نعمت خود را بر شما و شاید که شما راه یابید چنانکه فرستادیم در شما پیغمبری از جنس شما که میخواند بر شما آیتهای ما را و پاکیزه کند شما را و بیاموزد شما را کتاب و حکمت

وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ القراءة ... الى بيتي عاصم حمزة علي وخلف

و بیاموزد شما را آنچه نبودید که بدانید پس یاد کنید مرا تا یاد کنم شما را و شکر کنید مرا و کافر نشوید

ورويس الخراز عن وابن شنبوذ عن اهل مكة بتاء الى بقلتك ولئلا والوقف مهموز امشبعا ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف وعاصم ابو عمرو ويعقوب الباقون بالنافع كلها بالالف ابن عامر الباقون بالياء وكسر اللام يعملون ومن حيث بياء الغايبة ابو عمرو والباقون بالتاء لئلا مفخمة غير مهموزة نحو ورش عن ابن كثير حمزة وعلي وخلف ويعقوب مدغما يعقوب الباقون بطهار مهموزا والاختيار عن يعقوب هشام الاظهار فاذكروني بفتح الياء ابن كثير الوقوف عليها ط الشرط مستقيم ه شهيدا ط عقبيه ط هدى الله ط بما نكم ط رحيم ه في السماء ج لان الجملتين وان اتفقتا فقد حلت الثانية حرف التوكيد يختصان بالقسم والقسم يقتضي ترتيبها صدرا لان فاء التعقيب تجعل الموعود الحرام ط شطره ط من ربهم ط يعملون ه قبلتك ج قبلتهم ج وكلاهما للتفصيل الاحوال مع اتحاد المقصود قبلة بعض ط من العلم لا لان جواب معنى القسم في لئن فلو وصل كانت الظالمين م ولا ط لان الذي تحت لفظ الذين لا يزال ولو وصل صار صفة وهو مبتدأ نزل في عبد الله بن سلام واضرابه ابناءهم ط يعلمون ه الممترين ه الخيرات ط جميعا ط قدير ه الحرام ط من ربك ط تعلمون ه الحرام ط لان حيث متضمن للشرط شطره لا لتعلق لام كي حجة ق فقيل تجوز على اثباتها بعد النفي والوصل في العربية اوضح ولا منافات لان المراد من نفي الخصومة ونفي الحق لا بيان الخصومة منهم واخشوني ن لا اذا علق كما ارسلنا بما قبله ووقفه على ولو وان علق بما بعده فقف على تهتدون تعلمون ه ولا تكفرون ه التفسير هذه شبهة ثانية من اهل الكتاب طعنا في الاسلام فقالوا النسخ يقتضي اما الجهل والتجهيل لان الامر ان كان خاليا عن القيد كفى فعله مرة واحدة فلا يكون وروده الامر بعده على خلافه ناسخا مقيدا بالدوام فكذلك وان كان مقيدا بالدوام فان كان الامر يعتقد دوامه ثم رفعه كان جهلا وبداء وان كان عالما بالابد وامر كان تجهيلا وكل هذه من الحكيم قبيح ثم انهم خصصوا هذه الصورة لمزيد شبهة وهو انا اذا جوزنا النسخ عند اختلاف المصالح فهنا لا مصلحة فان الجهات متساوية وهذا دليل على ان هذا التغيير ليس من عند الله قال القفال لفظ سيقول وان كان للاستقبال لكنه قد يستعمل في الماضي كالرجل يعمل عملا فيطعن فيه بعض اعدائه فيقول انا اعلم انهم سيطعنون في كانه يريد انه اذا ذكروه مرة فسيذكرونه مرات اخرى ويؤيد ذلك ما ورد من الاخبار انهم لما قالوا ذلك نزلت الاية والمشهور ان الله تعالى اخبر عنهم قبل ان ذكروا هذا الكلام انهم سيذكرونه وفيه فوائد منها انه اخبار بالغيب فيكون معجزا ومنها ان مفاجأة المكروه اشد مما اذا وطن النفس له ومنها ان الجواب العتيد اقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم والسفهاء الخفاف الاحلام واذا كان من لا يميز بين ماله وعليه في امر دنياه يعد سفيها شرعا فالذي يضيع امر اخرته اولى بهذا الاسم عن ابن عباس ومجاهد هم اليهود وذلك انهم كانوا يانسون بموافقة النبي اياهم في القبلة فلما تحول استوحشوا لاسيما وانهم لا يرون النسخ وعن البراء بن عازب والحسن الاصم انهم مشركو العرب قالوا ليس الا الرجوع الى موافقتنا ولو ثبت عليه لكان اولى به وقيل هم المنافقون ذكروا ذلك استهزاء من حيث ان تميز بعض الجهات عن بعض ليس لدليل معقول فلو الامر على العبث والعمل بالرأي والتشهي لا قرب ان يكون الكل خلافه لان الاعداء جبلت على الغيظ وطلب التشفي فاذا وجدوا مجالا لم يتركوا مقالا ما ولاهم ما صرفهم استفهموا على جهة التعجب والاستهزاء عن قبلتهم التي كانوا عليها القبلة بيت المقدس وضمير الجمع للرسول والمؤمنين هذا هو المجمع عليه عند المفسرين ولولا الاجماع لاحتمل ان يعود الضمير الى الذين كانوا الى السفهاء اي ما الذي صرف الرسول

والمؤمنين

والمؤمنين عن القبلة التي كان السفهاء عليها فانهم كانوا لا يعرفون الا قبلة اليهود وهي الى المغرب قبلة النصارى وهي الى المشرق فكانهم قالوا كيف
يتوجه احد الى غيرها تين الجهتين المعروفتين فاجابهم الله عن شبهتهم بقوله قل لله المشرق والمغرب اى بلادهما والارض كلها والجهات باسرها
ملكا وملكا ثم اكد ذلك بقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو القبلة التي اقتضت الحكمة في هذا الزمان توجه الناس اليها ويحتمل ان
يراد به الطريقة المؤدية الى سعادة الدارين فيشمل القبلة وغيرها وحاصل الجواب بعد ما مر في اية النسخ انه تعالى فاعل لما يشاء كما يشاء لا اعتراض لاحد
عليه كالا اعتراض على من يتصرف في ملكه كما يريد وافعاله تعالى لا يعلل بغرض وان كانت لا تخلو عن فائدة وحكمة كما سبق وكثير منها مما لا يهتدى عقول
البشر الى تفاصيل حكمها الكنهم قد يستنبطون بحسب فهامهم بعضها وجوها مناسبة لما تعين القبلة في الصلوة فالحكمة فيه ان للانسان قوة
عقلية يدرك المجردات والمعقولات بها وقوة خيالية تتصرف بها في عالم الاجسام وقلما ينفك العقلية عن الخيالية واعانتها كالمهندس يضع في
ادراك احكام المقادير صورة معينة وشكلا معينا ليصير الحس والخيال معينين له على ادراك الاحكام الكلية وكالذي يريد ان يثني على ملك مجازي فانه
يستقبله بوجهه ثم يشتغل بالثناء والخدمة فاستقبال القبلة في الصلوة يجري مجرى كونه مستقبلا للملك والقراءة والتسبيحات يجري مجرى الثناء
عليه والركوع والسجود جار يان مجرى الخدمة وايضا الخشوع في الصلوة لا يحصل الا مع السكون وترك الالتفات ولا يتأتى ذلك الا اذا بقي في جميع
صلوته مستقبلا لجهة واحدة على التعيين اذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الاوهام فاستقباله اولى وايضا انه تعالى يحب الموافقة والالفة بين
المؤمنين وقد من عليهم بذلك في واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولو توجه كل مصل الى جهة تفوق
مظنة الاختلاف فلم يكن بد من تعيين جهة ليحصل الاتفاق وايضا كانه تعالى يقول يا مؤمن انت عبدي والكعبة بيتي والصلوة خدمتي وقلبك عرشي
والجنة كرامتي فاستقبل بوجهك الى بيتي وبقلبك الى ليوك دار كرامتي وايضا اليهود استقبلوا المغرب لانه بوار وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر والنصارى استقبلوا مطلع الانوار اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فالمؤمنون استقبلوا مظهر الانوار وهو مكة فمنها محمد
منخلق الانوار ولاجله دار الفلك الدوار وايضا المغرب قبلة موسى والمشرق قبلة عيسى وبينهما قبلة ابرهيم ومحمد وخير الامور اوسطها وايضا الكعبة
سرة الارض ووسطها وامة محمد وسط وكذلك جعلناكم امة وسطا والوسط بالوسط اولى الطيبات للطيبين وايضا العرش قبلة الحملة والكرسي
قبلة البررة والبيت المعمور قبلة السفرة والكعبة قبلة المؤمنين والحق قبلة المتحيرين فاينما تولوا فثم وجه الله والعرش مخلوق من النور والكرسي
من الدر والبيت المعمور من الياقوت والكعبة من جبال خمسة سينا وزيتا وجودي ولبنان وحراء فان كان عليك مثل هذه الجبال ذنوبا فان
تلت الكعبة حاجا او معتمرا او توجهت مصليا الصلوات الخمس غفرتها لك وايضا لما كان بناء هذا البيت سبب الظهور دولة العرب كانت عنهم في توجهها
اشد وايضا اليهود كانوا يعيرون المسلمين بانا قد ارشدناكم الى القبلة وينكسر بذلك قلوب المسلمين فازيل تشويشهم وايضا الكعبة منشأ محمد فتعظيمها
يقتضي تعظيمه وتعظيمه مما يعين على قبول اوامره ونواهيه فبمقدار حشمة المرء يكون قبول قوله فهذه هي الوجوه المناسبة والوجه الاقوى هو الذي
ذكره الله تعالى في قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قوله وكذلك جعلناكم الكاف للتشبيه
وفي اسم الاشارة وجوه فقيل راجع الى معنى يهدي اى كما انعمنا عليكم بالهداية كذلك انعمنا عليكم بان جعلناكم او كما هديناكم الى اوسط القبل جعلناكم
امة وسطا وقيل عائد الى قوله ولقد اصطفيناه كما اصطفينا ابرهيم في الدنيا جعلناكم وقيل ينصرف الى قوله ولله المشرق والمغرب اى كما خصصنا
بعض الجهات المنتسبة بمزيد التشريف والتكريم حتى صارت قبلة فضلا منا واحسانا جعلناكم مختصين بالعدالة برا منا وامتنانا مع تساوي
الخلق في العبودية وقيل قد يذكر ضمير الشيء وان لم يكن المضمر مذكورا اذا كان المضمر مشهورا معروفا مثل انا انزلناه في ليلة القدر ثم من المشهور
المعروف عند كل احد انه سبحانه هو القادر على اعزاز من يشاء واذلال من يشاء فالمعنى ومثل ذلك الجعل العجيب الذي لا يقدر عليه احد غيره
جعلناكم امة وسطا الجوهري يقال جلست وسط القوم بالتسكين لانه ظرف وجلست في وسط الدار بالتحريك لانه اسم كل موضع صلح فيه بين فهو
وسط وان لم يصلح فيه بين فهو وسط بالتحريك قال والوسط من كل شيء اعدله وشيء وسط اى بين الجيد والردي وامة وسطا اى عدلا قال
هم وسط يرضى الانام بحكمهم : اذا نزلت احدى الليالي بمعظم : وذلك ان العدل متوسط في الاخلاق بين طرفي الافراط والتفريط ولهذا ذكره الله
تعالى في معرض المدح والامتنان وقيل الوسط الخيار لانه يستعمل في الجمادات قال في الكشاف اكتريت بمكة جمل اعرابي فقال اعطني من سطاهن اراد من خيار
الدنانير ويؤيده قوله تعالى في موضع اخر كنتم خير امة اخرجت للناس وانما اطلق الوسط على الخيار لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والعيب والاوساط
محمية محوطة وقيل المراد بالوسط ههنا انهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في شان الانبياء لا كالنصارى حيث جعلوا
النبي ابنا والها ولا كاليهود حيث قتلوا الانبياء وبدلوا الكتب ولان الوسط في الاصل اسم وصف به استوى فيه الواحد والجمع المذكر والمؤنث لتكونوا
شهداء على الناس الاكثرون على ان هذه الشهادة في الاخرة اما بان يكونوا شهداء للانبياء على اممهم الذين يكذبونهم روى ان الامم يجحدون تبليغ
الانبياء يوم القيمة فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا
ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا
جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قلت والحكمة في ذلك تميز امة محمد في الفضل عن سائر الامم حيث يبادرون الى تصديق الله

ثم التصديق بجميع الانبياء والايمان بهم جميعا فانهم بالنسبة الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما سمى هذا الاخبار شهادة لقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت مثل الشمس فاشهد والشيء الذي اخبر الله تعالى عنه معلوم مثل الشمس فيصح الشهادة عليه واما بان يشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة الحفظة وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والنبيون ويكون الرسول عليكم شهيدا وامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة لتكونوا شهداء على الناس ويوم يقوم الاشهاد والجوارح يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون موقوفة على الآخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم ان كونهم شهداء على عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الآخرة قلنا المراد في الآية الاداء لان العدالة انما يعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل بمعنى ان هيئتهم الاجتماعية يقتضي كونهم محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان تحصل مع ذلك لهم الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيامة كما ان الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم ويكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم وانما قدمت صلة الشهادة في الثاني لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم فقط فقدمت صلة الشهادة في مركزها والغرض في الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم فازيلت عن مركزها المفيد للاختصاص وانما لم يقل لكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لانه ضمن معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية الطباق للاول وانما قيل شهداء على الناس في الدنيا لان قولهم يقتضي التكليف اما بفعل او بقول وذلك عليهم لا لهم في الحال قيل الآية متروكة الظاهر لان وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب من لم يوجد محال فالآية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة الرسول فلا يثبت صحة الاجماع وحينئذ سلمنا ذلك لكن المراد بالعدالة اجتناب الكبائر فقط فيحتمل ان الذي اجمعوا عليه ان كان خطأ لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم وعدالتهم واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان يكون الشخص غير مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبولا عند الاجماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص للموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة وآخرها باسرها لزالت فائدة الآية اذ لم يبق بعد انقضائها من يكون الآية حجة عليه فعلمنا ان المراد به اهل كل عصر ثم ان الله تعالى من على هذه الامة بان جعلهم خيارا وعدولا فعند الاجماع فلو امكن اجتماعهم على الخطأ لم يبق بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك فلا منة وما جعلنا يريد بالجعل بمعنى الشرع والحكم التي هي صفة موصوف محذوف هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا القبلة اي الجهة التي كنت معتقدا لاستقبالها كقولك الشافعي على كذا وفي الجهة وجهان احدهما ان هذا الكلام بيان للحكمة في جعل الكعبة قبلة وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى بيت المقدس بعد الهجرة تالفا لليهود وامتحانا للذين اتبعوه بمكة ثم حول الى الكعبة اختيارا ثانيا اي وما رددناك الى الجهة التي كنت عليها اولا الا امتحانا للناس وابتلاء وثانيهما انه بيان للحكمة في جعل بيت المقدس قبلة يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا الفائدة هي ان نمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول ومن لا يتبعه واللام في لنعلم ليست لاجل الغرض وانما هي للتفسير الحكمة والفائدة التي يستتبعها الجعل فان قيل كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك فالجواب ان معناه لنعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا البلد وانما فتحه جنده او لنعلمه موجودا حاصلا وهو العلم الذي يتعلق به الجزاء ولا يلزم منه ان يحدث لله علم فان العلم الازلي بالحادث الفلاني غير متغير وانما هو قبل حدوث الحادث كهو حال حدوثه وانما جاء المضي والاستقبال من ضرورة كون الحادث زمانيا وكون كل زمان مكنوفا بزمانين سابق ولاحق فاذا نسبت العلم الازلي الى الزمان السابق قلت سيعلم الله واذا نسبته الى زمانه قلت يعلم واذا نسبته الى الزمان اللاحق قلت قد علم فجميع هذه التغيرات من عباراتك فعلم الله واحد فافهم او ليتميز التابع من الناكص كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فسمى التمييز علما لانه احد فوائد العلم وثمراته او لنرى كما يستعمل الرؤية مكان العلم وعن الفراء ان حدوث العلم في الآية راجع الى المخاطبين مثاله ان جاهلا وعاقلا اجتمعا فيقول الجاهل الحطب يحرق النار فيقول العاقل بل النار يحرق الحطب وسنجمع بينهما لنعلم ايهما يحرق صاحبه معناه لنعلم اينا الجاهل وهذا من كلام المنصف مثل وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله ممن ينقلب على عقبيه استعارة للكفر والارتداد كانه رجع الى حيث لا ثم ان هذه المحنة حصلت بسبب تعيين القبلة او بسبب تحويلها من الناس من قال بالاول لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلي الى الكعبة فلما جاء الى المدينة صلى الى بيت المقدس فشق ذلك على العرب من حيث انه ترك قبلتهم ثم اذا تحول الى الكعبة شق ذلك على اليهود والاكثرون على الثاني لان الشبهة في امر النسخ اعظم منها في تعيين القبلة عن ابن جريج انه قال بلغني انه رجع ناس ممن اسلم وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا لو كان على يقين من امره لما تغير

توجه الى الكعبة اختلفوا فقال المنافقون ما بالهم كانوا على قبلة ثم تركوها وقال المسلمون ليتنا نعلم حال اخواننا الذين ماتوا وقد صلوا نحو بيت المقدس وقال اليهود اشتاق الى بلد ابيه ومولده وقال المشركون تحير في دينه وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي يلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويتهيأ بالتخفيف للدخول على الافعال لكن البصريين اوجبوا كون الفعل الذي دخلت هي عليه من باب كان وعلم ويبطل عمل ان في اللفظ وكذا في التقدير فلا يقدر ضمير الشان كما يقدر في ان المفتوحة اذا خففت فقوله لكبيرة خبر كانت واسمها الضمير العائد الى القبلة لانها هي المذكورة او الى ما دل عليه الكلام السابق من التولية في ما ولّيهم او الجعلة او الردة او التحويلة في وما جعلنا ومعنى لكبيرة لثقيلة شاقة مستنكرة كقوله كبرت كلمة تخرج من افواههم وذلك ان الامتحان ان وقع بنفس القبلة فالفطام عن المالوف شديد والاعراض عن طريقة الآباء والاسلاف عسير وان وقع بالتحويل فهو مبني على جواز النسخ وفيه ما فيه من الشبه والاشكال فيصعب اعتقاده الا على الذين هدى الله الراجع محذوف اي هداهم الله الى الثبات على دين الاسلام بان نصب لهم الدلائل اولا ثم جعلهم متفقين بها ثانيا والا فالدلالة عامة للكل وما كان الله ليضيع ايمانكم الخطاب للمؤمنين المعاصرين واللام لتاكيد النفي الداخلة في كان ينتصب المضارع بعدها بتقدير ان اي لن يضيع الله ثواب ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب الجزيل عن الحسن قال ابن زيد ما كان الله ليترك تحويلكم من بيت المقدس الى الكعبة لعلمه بان تقريركم على ذلك مفسدة لكم واضاعة لصلوتكم اي لثوابها اطلق الايمان على الصلوة لانها اعظم آثار الايمان واشرف نتائجه ولان المراد لا يضيع تصديقكم بوجوب تلك الصلوة وعن ابن عباس لما وجه رسول الله ص الى الكعبة قالوا يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت وانما خوطبوا تغليبا للاحياء مثل واذ قتلتم نفسا واذ فرقنا بكم البحر والمراد اهل ملتهم وليس هذا السؤال من الشك في حقية النسخ في شيء وانما هو لاجل الاطمئنان وزيادة اليقين ولعلهم انما خصوا السؤال بالاموات لانهم ظنوا انفسهم مستغنين عن ذلك حيث يقع صلوتهم الى الكعبة بقية عمرهم مكفرة لما سلف منهم فاجيبوا بما يخرج عنه جواب الاموات والاحياء جميعا فان المنسوخ حق في وقته كما ان الناسخ حق في وقته سواء عمل المكلف بهما في وقتهما او لم يعمل الا بالمنسوخ لانقضاء اجله قبل الناسخ وجوز بعضهم ان يكون السؤال صادرا عن منافق فنبه الله المسلمين على الجواب قيل بل المعنى وفقكم لقبول هذا التكليف لئلا يضيع ايمانكم فانهم لو ردوا هذا التكليف لكفروا يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله ص وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ان الله بالناس لرءوف رحيم الجوهري الرافة اشد الرحمة رؤفت به روف بالضم فيهما رافة ورآفة ورأفت به راف بالفتح فيهما ورافت به بالكسر رافا والصفة رؤف ورءوف على فعول وفعل وقيل الرافة مبالغة في رحمة خاصة هي دفع المكروه وازالة الضرر ولا تاخذكم بهما رافة والرحمة اسم جامع خصص اولا ثم عمم والمراد ان الرؤف الرحيم كيف يتصور منه الاضاعة وكيف لا ينقلكم من شرع الى شرع هو اصلح لكم او انما هداكم من هدى لانه بالناس رؤف رحيم فمن كان اقبل للفيض كان الاثر عليه اظهر قوله عز من قائل قد نرى معناه كثرة الرؤية وههنا وان كان في الاصل للتقليل قال شعر قد اترك القرن مصفرا انامله : كان اثوابه مجت بفرصاد : كما ان رب في الاصل للتقليل ثم قد يستعمل في معنى التكثير كقوله شعر فان تمس مهجور الفناء فربما : اقام به بعد الوفود وفود : ووجه ذلك ان المادح يستقل الشيء الكثير من المدائح لان الكثير منها كانه قليل بالنسبة الى الممدوح ومثله قد يعلم الله فان التمدح بكثرة العلم يقول لا تنكر ان اعرف شيئا من العلم تقلب وجهك تردد نظرك في جهة السماء وذلك انتظارا لتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة عن ابن عباس انه قال يا جبرئيل وددت ان الله تعالى صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقد كرهتها فقال له جبرئيل انا عبد مثلك سل ربك فجعل النبي يديم النظر الى السماء رجاء مجيء جبرئيل بما سئل فنزلت وانما احب ذلك لان اليهود كانوا يقولون انه يخالفنا ثم انه يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر اين يستقبل ولان الكعبة كانت قبلة ابيه ابرهيم ولان ذلك ادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولانه احب ان يحصل هذا الشرف للمسجد الذي في بلدته ومنشائه ولا يبعد ان يميل طبعه الى شيء ثم يتمنى في قلبه اذن الله فيه وقيل انه استاذن جبرئيل في ان يدعو الله تعالى فاخبره بان الله قد اذن له في الدعاء فكان يقلب وجهه في السماء ينتظر مجيء جبرئيل للاجابة وعن الحسن ان جبرئيل اخبره بان الله تعالى سيحول القبلة عن بيت المقدس من غير تعيين للمحول اليها ولم يكن قبلة احب الى رسول الله ص من الكعبة فكان ينتظر الوحي بذلك وعلى هذا فقيل منع من استقبال بيت المقدس ولم يعين له القبلة وكان يخاف ان يدخل وقت الصلوة ولا قبلة فلذلك كان يقلب وجهه وعن الاصم قيل بل وعد بذلك وقبلة بيت المقدس باقية بحيث يجوز الصلوة اليها لكن لاجل الوعد كان يقلب طرفه وهذا اولى والا لم يكن القبلة ناسخة للاولى بل كانت مبتداءة لكن المفسرين اجمعوا على انها ناسخة للاولى ولانه لا يجوز ان يؤمر بالصلوة الا مع بيان موضع التوجه واختلف في صلوته بمكة فقيل كان يصلي الى الكعبة فلما صار الى المدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة اشهر او عشرة اشهر او ثلثة عشر او ستة عشر او سبعة عشر وهو الاكثر او ثمانية عشر او سنتين اقوال وقيل بل كان بمكة يصلي الى بيت المقدس الا انه هل كان فرضا لا يجوز عليه غيره او كان النبي مخيرا في توجهه اليه والى غيره فعن الربيع بن انس انه كان مخيرا لقوله ولله المشرق والمغرب الاية ولما روي ان قوما قصدوا من المدينة الى مكة للبيعة قبل الهجرة فتوجه بعضهم في الطريق لصلوته الى الكعبة وبعضهم الى بيت المقدس فلما قدموا سئلوا النبي عن ذلك فلم ينكر عليهم وعن ابن عباس ان ذلك كان فرضا لقوله فلنولينك قبلة ترضيها فدل على انه ما كان مخيرا بينها وبين الكعبة ومعنى فلنولينك فلنعطينك وليمكننك من

يل استقبالها من قولهم وليته كذا جعلته واليا له اى فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى اضمرتها
ووافقت مشية الله تعالى وحكمته عن الاصم كل جهة وجهك الله تحب يكون رضى لا سخطها كما فعل من انقلب على عقبيه قبل ترضى عاقبتها لانك
تميل اليها الموافق على المنافى تولّ وجهك اى كل بدنك لان الواجب على الشخص ان يستقبل القبلة بكليته لا بوجهه فقط وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء
وبه تميز الاشخاص شطر المسجد الحرام اى نحوه وجهته فالجمهور المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعن بعضهم ان الشطر نصف الشئ والكعبة
واقعة من المسجد فى النصف من جميع الجوانب فاختير هذه العبارة ليعرف ان الواجب هو التوجه الى بقعة الكعبة وتنبيه بالفرق بين النصف وبين المنتصف
والمكلف مامور بالثانى دون الاول وعن ابن عمر بينما الناس بقبا فى صلوة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة وفى الموطا صلى رسول الله صلعم بعد ان قدم المدينة ستة
عشر شهرا نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين واختلفوا فى المراد بالمسجد الحرام ففى شرح السنة عن ابن عباس انه قال البيت
قبلة لاهل المسجد والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل المشرق والمغرب هذا قول مالك قال آخرون القبلة هى الكعبة لما اخرج فى الصحيحين
عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال اخبرنى اسامة بن زيد قال لما دخل النبى البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع
ركعتين فى قبل الكعبة وقال هذه القبلة وقد وردت اخبار كثيرة فى صرف القبلة الى الكعبة كما قلنا فى حديث ابن عمر فاستداروا الى الكعبة وقال
آخرون القبلة هى المسجد الحرام كله واعلم ان الواجب عند الشافعى فى اظهر قوليه ان يستقبل المصلى عين الكعبة قريبا كان او بعيدا لنا قوله تعالى
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ولقوله صلعم هذه القبلة مشيرا الى العين ولان تعظيم الكعبة من النبى بلغ مبلغ التواتر وتوقيف صحة
الصلوة وهى من اعظم شعائر الدين على استقبال عين الكعبة مما يوجب مزيد شرف الكعبة فوجب ان يكون مشروعا ولان كون الكعبة قبلة
امر معلوم وغيرها مشكوك فيه والاخذ بالمعلوم احوط واما عند ابى حنيفة ويوافقه القول الآخر للشافعى فمحاذاة جهة الكعبة كافية لان فى استقبال
عين الكعبة حرجا عظيما للبعيد ولان فى ذكر المسجد الحرام دون الكعبة دلالة على ان الواجب محاذاة الجهة دون العين ولان الشطر الجانب والمعنى
فى الآية ولان اهل قبا استداروا الى الكعبة فى اثناء الصلوة وفى ظلمة الليل ومن المعلوم ان مقابلة العين من المدينة الى مكة يحتاج فيها
الى النظر الدقيق لم يبانه لهم ثم لم ينكر النبى عليهم سمى مسجدهم بذى القبلتين لان استقبال عين الكعبة لو كان واجبا ولا سبيل اليه الا
بالدلائل الهندسية فانها هى المفيدة لليقين وغيرها من الامارات لا يفيد الا الظن والقادر على اليقين لا يجوز له الاكتفاء بالظن وما لا
يتم الواجب الا به فهو واجب لزم ان يكون تعلم تلك الدلائل واجبا ولم يذهب اليه احد للانصاف ان القول الاول اقرب الى الحق لان اصابة العين للبعيد
غير بعيد فانا من نقطتين فى الارض او فى السماء الا ويمكن ان يوصل بينهما بخط والغرض ان يكون المصلى ساجدا على قوس من عظيمة ارضية مارة
بقدميه موضع سجوده ووسط البيت بشرط ان يكون القوس اقل من نصف الدور وغير عسير معرفة هذا القدر بالدائرة الهندية وغيرها
من الطرق المشهورة فيما بين اهل الهيئة وقد بينا على اكثر منها فى كتبنا النجومية وذكرها ههنا خروج عن الصناعة مع ان المتعلم لا ينتفع بها دون
مقدماتها ولمعرفة القبلة امارات اخر قد يستعين بها المتحير وهى اما ارضية وهى الجبال والقرى لانها اراد هوائية وهى الرياح وسماوية
وهى النجوم اما الارضية والهوائية فغير مضبوطة لكن ربما يكون فى الطريق جبل مرتفع يعلم انه على يمين المستقبل او شماله او قدامه او خلفه وكذلك
الرياح قد تهب بعض النواحى من صوب معين واما السماوية فلنهارية لا بد ان يراعى قبل الخروج عن البلد الشمس عند الزوال هى بين الحاجبين
ام على العين اليمنى او على اليسرى ام تميل ميلا اكثر من ذلك فان الشمس فى البلاد الشمالية قلما تعدو هذه المواقع وكذلك يراعى وقت العصر وتعرف
وقت الغروب انها تغرب عن يمين المستقبل او هى مائلة الى جهة وقفاه وكذلك يعرف وقت العشاء الاخرة موضع الشفق ووقت الصبح مشرق
الشمس محتاطا مشرقا الصيف والشتاء ومغربهما وبالليل يستدل بالكوكب الذى يقال له الجدى فيعرف انه على قفاء المستقبل او على منكبه الايمن
او الايسر فى البلاد الشمالية من مكة وفى البلاد الجنوبية منها بخلاف ذلك فاذا عرف هذه الدلالات فى بلده فليعول عليها فى الطريق كله الا اذا طال
السفر حتى اذا انتهى الى بلد سئل اهل البصيرة او يراقب هذا الكوكب هو يستقبل محراب جامع البلد ثم يستدل بها فى سائر طريقه ومعرفة دلائل
القبلة فرض العين ام فرض الكفاية اصح الوجهين فى مذهب الشافعى الاول كاركان الصلوة وشرائطها قوله تعالى وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُ ليس بتكرار لان الخطاب الاول للرسول وهذا خطاب للامة ولان الامة قد دخلت فى الاول تبعا واحتمل ان يكون الخطاب مختصا باهل
المدينة وفى الثانى عم المكلفين جميعا فى جميع بقاع الارض واعلم ان الاستقبال يتوقف على مستقبل و مستقبل فهو القبلة ولا بد من حالة
يقع فيها الاستقبال فلنتكلم فى هذه الاركان الثلثة على الاجمال وتفصيل ذلك فى كتبنا الفقهية الركن الاول الحالة وهى الصلوة للاجماع على
ان الاستقبال خارج الصلوة غير واجب ان كان طاعة لقوله صلعم خير المجالس ما استقبل به القبلة والصلوة اما فريضة ويتعين الاستقبال فيها
الا فى حالة الخوف واما نافلة ويجب فيها الاستقبال الا فى حال الخوف وفى السفر راكبا او ماشيا متوجها الى طريقه لما روى عن ابن عمر ان النبى صلعم
كان يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ويحكى عن احمد خلاف فى الماشى وكذا عن ابى حنيفة وهل يجب على المتنفل ان يستقبل القبلة عند التحرم
الاصح نعم ان سهل بان لم يكن مقطرة او لا حران بها والا فلا لما روى ان النبى كان اذا سافر واراد ان يتطوع استقبل القبلة بناقته وكبر ثم صلى حيث

في معنى استقبال القبلة

البقرة

عسف عن الطريق عسف اي مال وعدل او خبط على غير هداية

وجهه كما انه ما عدا لا شرط عند الصعود فلدفع المشقة واختلال امر السير ما عليه بال الاستقبال عند السلام فالاصح انه لا يشترط كما في سائر الاركان لا
الماشي فعليه الاستقبال في كل ركوع وسجود كما عليه الاتمام بخلاف الراكب فانه لا يكلف الاستقبال فيهما ولا وضع الجبهة في السجود على السرج والاكاف
بل يقتصر فيهما على الايماء ويجعل السجود اخفض والراكب التعاسيف الذي لا مقصد له فرخصته ترك الاستقبال في التنفل الركن الثاني القبلة
المصلي ان وقف في جوف الكعبة وهي على هيئتها مبنية صح صلوته فريضة كانت او نافلة خلافا لاحمد ومالك في الفريضة لنا انه صلى متوجها الى بعض
اجزاء الكعبة فيصح صلوته كالنافلة كما لو توجه اليها من خارج ثم يتخير في استقبال اي جدار شاء ويجوز ان يستقبل الباب ايضا ان كان مردودا وان
كان مفتوحا فان كانت العتبة قدر مؤخرة الرحل صحت صلوته والا فلا ومؤخرة الرحل ثلثا ذراع الى ذراع تقريبا كانهم راعوا ان يكون في سجوده
يسامت بمعظم بدنه الشاخص وان انهدمت الكعبة والعياذ بالله وبقي موضعها عرصة فان وقف خارجها وصلى اليها جاز لان المتوجه الى هواء البيت
والحال هذه متوجه نحو المسجد الحرام كمن صلى على ابي قبيس والكعبة تحته يجوز لتوجهه الى هواء البيت ولو صلى في العرصة فالحكم كما لو وقف الآن على سطح الكعبة
فان لم يكن بين يديه شاخص من نفس الكعبة قدر مؤخرة الرحل فالاصح انه لا يجزيه خلافا لابي حنيفة وان كان المصلي خارج الكعبة فان كان بحاضر المسجد
الحرام وجب عليه لا محالة استقبال عين الكعبة بكل بدنه لانه قادر عليه والامام يقف خلف المقام مستحبا والقوم يقفون مستديرين بالبيت
والصلوة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة الا عند من يرى الجهة كافية ولو تراخى الصف الطويل ووقفوا في اخريات المسجد صح صلوتهم لان البعيد
يرى محاذاته بين ذلك اذ لو جعلت البيت رأس مثلث متساوي الساقين والصفوف خطوطا موازية لقاعدته وان كان خارج المسجد فان كان
يعاين القبلة سوى محرابه بناه على العيان وصلى اليه ابدا ومحراب النبي صلعم بالمدينة نازل منزلة الكعبة لانه لا يقر على الخطأ فهو صواب قطعا فيسوى سائر المحاريب
عليه وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله صلعم اذا انضبط المحراب وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي طرق التي هي جادتهم تتعين التوجه
اليها وكذلك في القرية الصغيرة التي نشأ فيها قرن من المسلمين ولا بد من الاجتهاد في التيامن والتياسر اما في محراب الرسول صلعم فلا ولا يجوز الاجتهاد
في الجهة في شيء من محاريب المسلمين لان الخطأ منهم في الجهة بعيد بخلاف التيامن والتياسر يقال ان عبد الله بن المبارك كان يقول بعد رجوعه من
الحج تياسروا يا اهل مرو الركن الثالث المستقبل اذا قدر على اليقين بالمعاينة وامارات اخر فالمجتهد لا يقلد وان لم يقدر فان وجد من يخبره
عن علم وكان المخبر ممن يعتمد بقوله يرجع الى قوله ولم يجتهد فيه كما في الوقت اذا اخبره عدل عن طلوع الفجر يأخذ بقوله ولا يجتهد كذلك في الحوادث
اذا روى العدل خبرا يؤخذ به وكل ذلك قبول الخبر من اهل الرواية وليس من التقليد في شيء ويشترط في المخبر ان يكون عدلا يستوي فيه الرجل والمرأة
والحر والعبد ولا يقبل خبر الكافر بحال وكذا خبر الصبي غير المميز عند الاكثرين ثم الاخبار عن القبلة قد يكون صريحا وذلك ظاهر وقد يكون دلالة كما
في نصب المحاريب في المواضع التي يعتمد عليها ولا فرق في لزوم الرجوع الى الخبر بين ان يكون الشخص من اهل الاجتهاد وبين ان لا يكون فان لم يجد
من يخبره عن علم فان قدر على الاجتهاد ولا يتيسر له الا بمعرفة ادلة القبلة كما عدنا اجتهد لم يقلد كما في الاحكام الشرعية ولو فعل يلزمه القضاء ولا
فرق في وجوب الاجتهاد ههنا بين الغائب عن مكة والحاضر بها اذا حال بينه وبين الكعبة حائل اصلي كالجبال او حادث كالابنية ولو خفيت الدلائل على
المجتهد لغيم وحبس او تعارضت صلى كيف اتفق لحق الوقت ويقضي وان عجز عن الاجتهاد فان لم يمكنه التعلم لعدم البصر او لعدم البصيرة فالواجب عليه
التقليد كالعامي في الاحكام وتقليد الغير هو قبول قول المستند الى الاجتهاد بعد ان كان المجتهد مسلما عدلا عارفا بادلة القبلة يستوي فيه الرجل
والمرأة والحر والعبد فان وجد مجتهدين مختلفين قلد من شاء منهما والاحب ان يقلد الاوثق الاعلم عنده وان امكنه التعلم فليس له التقليد بناء على
ما مر من ان تعلم الادلة فرض عين فان قلد قضى وان ضاق الوقت عن التعلم صلى لحق الوقت وقضى ثم المجتهد ان بان له الخطأ يقينا وكان دليل الاجتهاد
الثاني ارجح ولم يشرع بعد في الصلوة عمل بمقتضى الثاني وان بان بعد الفراغ من الصلوة فان تيقن الخطأ قضى على الاصح وان ظن لم يقض وان تغير الاجتهاد
في اثناء الصلوة تحرف وبنى هذه هي المسائل المستنبطة من الاية ذكرناها لانها من اهم مهمات الدين وان الذين اوتوا الكتاب يعني احبار اليهود
وعلماء النصارى لعموم اللفظ ولشمول الكتاب التورية والانجيل ولكن يجب ان يكونوا اقل من عدد اهل التواتر ليصح عنهم الكتمان وعن السدي انهم
اليهود خاصة والكتاب التورية والضمير في انه الحق اما للرسول اي انه مع شرعه ونبوته حق فيشمل امر القبلة وغيرها واما لهذا التكليف الخاص وهو انسب بالمقام
وذلك ان علماءهم عرفوا في كتب انبيائهم خبر الرسول وانه يصلي الى القبلتين وان الكعبة هي البيت العتيق الذي جعله الله قبلة لابرهيم واسمعيل م وايضا
انهم كانوا يعلمون نبوة محمد صلعم بالمعجزات والبشارات وكل ما اتى النبي صلعم فهو حق فهذا التحويل حق وما الله بغافل عما تعملون وعد للمتقين ووعيد
للناكصين والمعاندين ثم بين استمرار اهل الكتاب على عنادهم فقال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب قيل جميع اليهود والنصارى لعموم اللفظ وقيل ام
علماؤهم المذكورون في الاية المتقدمة لانهم وصفوا باتباع الهوى في قوله ولئن اتبعت اهواءهم ومجرد اعتقاد الباطل لا يكفي فيه بل الذين يعلمون
بقلوبهم ثم يقولون الحق في الظاهر هم المتبعون للهوى ونوقض بان كل صاحب شبهة صاحب هوى قالوا الايتان المكتنفتان بهذه الاية مخصوصتان بالعلماء منهم لان الجمع العظيم
لا يجوز منهم الكتمان فكذا هذه الاية واجيب بانه لا يلزم من تخصيصهما تخصيصها قالوا اخبر عنهم بالاصرار والاستمرار وهذا شان المعاند اللجوج لا ذا
الغافل المتحير ورد بان المقلد ايضا قد يصر قالوا الحمل على العموم يكذبه الوجود فان كثيرا من اهل الكتاب امن بمحمد صلعم واتبع قبلته ووجه بان المراد من قوله ما تبعوا
قبلتك انهم لا يجتمعون على الاتباع كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وسلب الاجتماع لا ينافي اتباع البعض بكل اية برهان قاطع على ان التوجه الى الكعبة

هو

ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المحذوف ساد مسد جواب الشرط واللام في ولئن لموطئة القسم اي والله لئن اتيتهم بكل برهان ما اجتمعوا على قبلتك
لانهم ما تركوا اتباعك لشبهة تزيلها بايراد الحجة بل عنادا ومكابرة مع علمهم بما في كتبهم من نعتك ومن خص اللفظ بالعلماء فان صح عنده انه لم
يتبع منهم احد قبلتنا لم يحتج الى هذا التاويل بل يكون ما تبعوا في قوة ما تبع احد منهم وما انت بتابع قبلتهم رفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تصير منسوخة بالتوجه الى بيت المقدس حسما لاطماع اهل الكتاب فانهم طمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره وفيه انه يجب عليه استصلاحهم باتباع قبلتهم لان ذلك معصية وانما وحد القبلة للعلم بان لليهود قبلة وللنصارى قبلة
اخرى او لانهما بحكم الاتحاد في البطلان واتحد وما بعضهم بتابع قبلة بعض ان حمل على الحال فالمعنى انهم ليسوا مجتمعين على قبلة واحدة حتى يمكن اتباعهم
باتباعها او انهم مع اتفاقهم على تكذيبك متباينون في القبلة فكيف يدعونك الى شيئين مختلفين وانه اذا جاز ان يختلف قبلتاهما للمصلحة
فلم لا يجوز ان يكون للمصلحة في ثالث وان حمل على الاستقبال فالمعنى ان اليهود لا يترك قبلتهم الى المشرق ولا النصارى الى المغرب بحيث يتعطل حكم القبلة
بان اليهودي لا يصير نصرانيا او بالعكس فلعل ذلك قد وقع اخبر الله تعالى عن تصلب كل حزب فيما هو فيه محقا او مبطلا ولئن اتبعت اهواءهم كلام على سبيل الفرض
والتقدير بمنزلة وما انت بتابع قبلتهم المعنى لئن اتبعت مثلا بعد وضوح الدلائل اكتنافا حليته لارتكب بابا الدانية انك اذا لمن الظالمين اي ان اتبعت
لمن ارتكب الظلم الفاحش لا يعبأ بالرجل الكبير كبائر فكيف بكبائره وفيه ان ترك العمل من العلماء اقبح وفيه لطف للنبي ص فان مزيد المحبة يقتضي
التخصيص لمزيد التحذير ولعله كان في بعض الامور يتبع اغراضهم كترك المخاشنة في القول واستمالة قلوبهم طمعا منه في اسلامهم ومعاضدتهم فنهي
عن ذلك القدر لانه والتيه منهم بالكلية كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وفيه اشارة للامة كالرجل الحازم يقبل على ابن اولاده واصلحهم فيزجره عن شيء بحضرة سائر الاولاد والغرض زجرهم واصلاحهم وانه لا
محالة يزجرون بالطريق الاولى وخالفوه الذين اتيناهم الكتاب هم علماؤهم بدليل يعرفونه اي الرسول معرفة جلية يميزون بينه وبين
غيره بالمنعوتات من البعث والنسب والقبلة حسبما جاء في كتبهم كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وما مصدرية او كافة
والغرض تشبيه عرفان شخصه بعرفان اشخاص الابناء لا تشبيه العلم بنبوة محمد ص بالعلم ببنوة الابناء والا كان تشبيه المعلوم
بالمظنون عن عمر انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ص فقال انا اعلم به مني بابني قال لم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته
قد خانت فقبل عمر راسه جاز اضمار الرسول وان لم يجر له ذكر لان الكلام عليه وفيه تفخيم لشانه وانه معلوم بغير اعلام ولا يصح ان يقال المراد بالمعرفة
معرفتهم الحاصلة من قبل ظهور المعجزات على يديه لانه لا يفيد الا كونه نبيا وهم لا ينكرون ذلك انما ينكرون كونه النبي المنعوت في كتبهم فرد الله عليهم
ذلك وخص الابناء بالذكر لانهم اعرف واشهر وبصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق ولو اناثا فالذكور اولى بالذكر وقيل الضمير للعلم او القرآن
او التحويل القبلة وفي الكل تكلف ينبو عنه قوله ابناءهم ويأباه الحديث عن عبد الله بن سلام وفيما كان من علمائهم العارفين باحوال النبي ص
ما يشير به واظهر الحق وهو ما يجب القول به ويجب العمل بمقتضاه كعبد الله بن سلام واتباعه قال تعالى وان فريقا منهم يريد من سوى المؤمنين منهم
ليكتمون الحق الذي هو امر القبلة ثم اكد ذلك بقوله وهم يعلمون فانه لا يوصف بالكتمان الا من علم المكتوم الحق من ربك يحتمل ان يكون خبر
مبتدأ محذوف اي هو الحق من ربك خبرا بعد خبر او حالا وان يكون مبتدأ خبره من ربك في اللام يكون وجهان العهد الاشارة الى الحق الذي
عليه رسول الله ص والى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق والجنس على معنى الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما سواه كالذي عليه اهل الكتاب
باطل فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في كون الحق من ربك فيجوز ان نهي التحضيض بما يعلم انه منتف عنه لتقرير في قوله
ولئن اتبعت ولكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والوجهة اسم للجهة ولذلك ثبتت الواو كما قالوا ولدة في جمع الوليد الصبي بما لا يجمع مع الهاء
في المصادر وقوله هو اما ان يعود الى الله وثاني مفعولي موليها محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه ثم اختلف في التفسير فقيل
المعنى لكل اهل دين من الاديان المختلفة قبلة وجهة اما بشريعة واما بهوى هو مستقبلها ومتوجه اليها في الصلاة التي تقرب بها اليه وكل يفرح
بما هو عليه لا يفارقه فلا سبيل الى اجتماعكم على قبلة واحدة ولستم تؤاخذون بفعل غيركم فانما لهم اعمالهم ولكم اعمالكم فاستبقوا انتم الخيرات
الدينية وهي الشرف والفخر بقبلة ابراهيم الاخروية وهي الثواب الجزيل العظيم اينما تكونوا من جهات الارض يات بكم الله جميعا في صعيد
القيامة فيفصل بين المحق منكم والمبطل والمصيب والمخطئ انه قادر على ذلك وقيل ان الله تعالى عرفنا ان كل واحدة من بيت المقدس والكعبة قبلة فالجهتان
مرادة تعالى وهو الذي ولى وجوه عباده اليها فاستبقوا الخيرات بالانقياد لامره في الحالين ولا تلتفتوا الى مطاعن السفهاء فان الله يجمعكم واياهم يوم
القيامة فيحكم بينكم وقيل ولكل قوم منكم يا امة محمد جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية وشرقية او غربية فاستبقوا الى الصلاة من الجهات وهي
الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم للجزاء ويجعل صلواتكم واحدة كانها الى جهة واحدة
لمحاذاة جميع الكعبة وللقراءة ابن عامر مولاها فمعناه احدهما ان ما وليته فقد ولاه والاخر ولى تلك الجهة وحبب اليه قبلة ولكل مخلوق قبلة
فقبلة المقربين العرش وقبلة الروحانيين الكرسي وقبلة الكروبيين البيت المعمور وقبلة الانبياء الذين قبلك بيت المقدس وقبلتك الكعبة وهي قبلة
حسية وهي قبلة روحانيا وقبلتي انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلي ثم ان الشافعي استدل بقوله فاستبقوا الخيرات على ان الصلوة في اول الوقت افضل

وعند ابي حنيفة التأخير افضل لجواز الفضيلة الانتظار وليكثر الجماعة ولما روى انه صلى الله عليه وسلم قال اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر وقال ابن مسعود ما رأيت اصحاب رسول الله
حافظوا على شيء ما حافظوا على التنوير بالفجر واجيب بان الانتظار قبل مجيء الوقت افضل لقوله يا علي ثلثة لا تؤخرها الصلوة اذا اتت والجنازة اذا حضرت
والايم اذا وجدت لها كفوا وان المراد بالاسفار والتنوير هو طلوع الفجر الصادق بحيث لا يشك فيه وذلك مما لا نزاع فيه انما النزاع فيما اذا تحقق دخول
الوقت ثم تكاسل المكلف وتثاقل وبغير اسباب الصلوة تشاغل ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت يا محمد فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا
صليت وانه وان هذا المأمور للحق الذي يجب ان يقبل ويعمل به حالكونه من ربك وما الله بغافل عما تعملون وعد للمطيعين ووعيد للمتغافلين
واعلم ان امر التولية ذكر الله تعالى ثلث مرات وللعلماء في سبب التكرير اقوال اولها ان الاية الاولى محمولة على ان يكون المكلف حاضر المسجد الحرام و
الثانية على ان يكون غائبا عنه لكن يكون في البلد والثالثة على ان يكون خارج البلد في اقطار الارض فقد يمكن ان يتوهم للقريب من التكليف ما
ليس للبعيد فازيل ذلك الوهم وثانيها انه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر وذلك انه اكد الاولى بان اهل الكتاب يعلمون حقيته بشهادة التورية والانجيل
واكد الثاني باخبار الله تعالى عن حقيته وكفى به شهيدا واتبع الثالث غرض التحويل وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة كما ان قوله فبأي الاء ربكما
تكذبان وامثال ذلك تكرر حيث نيط بكل منها فائدة وثالثها ان الاية الاولى توهم ان التحويل انما فعل رضى للنبي وطلبا لهواه حيث قال فلنولينك
قبلة ترضاها فازيل الوهم بتكرار الامر وتعقيبه بقوله وانه للحق من ربك اي نحن ما حولناك الى هذه القبلة لمجرد رضاك وهواك كالقبلة الهوى
المنسوخة التي انما يقيمون عليها لمجرد الهوى والتشهي لكنها حق من ربك بعد انها وافقت رضاك وفي الثالثة بيان الغرض ورابعها ان الاولى لتعميم
الامكنة والثالثة لتعميم الازمنة اشعارا بانها لا تصير منسوخة ابدا وخامسها الزم هذه القبلة فانها التي كنت تهواها الزم هذه القبلة لانها الحق لا قبلة
الهوى الزم هذه القبلة فانها ينقطع عنك حجج العدى وهذا قريب من الثالث سادسها هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا
فدعت الحاجة الى التكرير لمزيد التأكيد والتقرير وسابعها تلك الاية الاولى مشتملة على تكليف خاص بالنبي ص فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام ثم على تكليف عام له ولامته وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والاية الثانية ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام لاجل تكليف خاص هو تكليف الالتفات عما سوى الله الى الله وهو تكليف الصديقين وهو سنة خليل الرحمن اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض مما يؤيد هذا التأويل تعقيبه بقوله وانه للحق من ربك لم يستظهر على هذا الاستشهاد بنفسه حيث لم يبق الا هو
وهو مقام الفناء في الله بخلاف الاية الاولى فانها اكدت بشهادة الغير وايضا اقتصر ههنا على امر النبي دون الامة لان هذه المرتبة وهي المسجد الحرام
حرام لا يليق بكل احد جل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد او يطلع عليه الا واحد بعد واحد ايضا قدم على الاية قوله ولكل وجهة هو موليها
فاستبقوا الخيرات فدل على ان المذكور بعدها مرتبة السابقين ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ثم لما كان من المحتمل ان يظن ان التكليف الا
خص ناسخ للتكليف الخاص والعام له ولامته كرر الاية الاولى بعينها ليعلم ان حكمها باق بالنسبة الى عموم المكلفين والله تعالى اعلم بحقائق الامور
قوله لئلا يكون اي ولاجل هذا الغرض قال الزجاج يتعلق بمحذوف اي عرفتكم لئلا يكون للناس عليكم حجة والناس قيل هم اليهود كانوا يطعنون
بانه يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا ويقولون ما درى محمد ودينه اين يتوجه في صلوته حتى هديناه وقيل هم العرب قالوا انه يقول انا على دين ابرهيم ولا اد
لما ترك التوجه الى الكعبة وقد ترك دين ابرهيم وانما اطلق الحجة على قول المعاندين لان المراد المحاجة وسماها حجة تهكما او طباقا او بناء على معتقدهم
لانهم يسوقونها سياق الحجة وقد تكون الحجة باطلة قال تعالى حجتهم داحضة عند ربهم وكل كلام يقصد به غلبة الغير حجة وعلى هذا فالاستثناء متصل
والمراد بالذين ظلموا المعاندون من اليهود القائلون بانه ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء
او بعض العرب القائلون بان محمدا عاد الى ديننا في الكعبة وسيعود الى ديننا بالكلية وقيل الاستثناء منقطع وقيل الا بمعنى الواو وانشد شعر وكل اخ
مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان يعني والفرقدان واذا طعنوا في دينكم من غير سبب فلا تخشوهم فانهم لا يضرونكم واخشوني واحذروا عقابي
ان انتم عدلتم عما الزمتكم وفرضت عليكم على وفق مصلحتكم وفي القرآن ينصب بين عينيه في كل افعاله وتروكه خشية الله ويقطع الرجاء والخوف عما
سواه قوله ولاتم قيل معطوف على لئلا اي حولتكم الى هذه القبلة لحكمتين احديهما انقطاع حجتهم والثانية اتمام النعمة بحصول شرف قبلة ابرهيم
وقيل متعلقه محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك وقيل معطوف على علة مقدرة كانه قال واخشوني لاوفقكم
ولاتم نعمتي عليكم وهذا الاتمام لا ينافي ما انزل في اخر عهد رسول الله ص اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان لله تعالى في كل وقت نعمة
على المكلفين ولها تمام بحسبها فهذا تمام النعمة في امر القبلة وذلك تمام النعمة في امر الدين على الاطلاق وعن علي ع تمام النعمة الموت على الاسلام
وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة كما ارسلنا ما مصدرية او كافة ثم ان الجار والمجرور يتعلق بما قبله او بما بعده وعلى الاول قيل معناه و
لاتم نعمتي عليكم في الدنيا بحصول الشرف وفي الاخرة بالفوز بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او ولاتم نعمتي ببيان الشرايع
واهديكم الى الدين اجابة لدعوة ابرهيم حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا كما ارسلنا فيكم رسولا اجابة لدعوته حيث
قال ربنا وابعث فيهم رسولا وقيل معناه وكذلك جعلناكم امة وسطا كما ارسلنا فيكم رسولا وعلى الثاني معناه كما ذكرتكم بارسال الرسول
فاذكروني اذكركم مرة اخرى وفيه ان نعمه على العبد لا ينقطع فكل نعمة سابقة فسيضم اليها اخرى لاحقة حتى يكون له الفضل اولا واخرا وبداية

الاحوال الثانية لتعميم
انها قبلة
العموم وقبلهم

وبهاية وفي رسالة فيهم ومنهم اي من العرب نعمة عظيمة عليهم لما لهم فيه من الشرف ولان المشهور من حال العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فبعثه الله تعالى من واسطتهم ليكونوا الى القبول اقرب وكون القران متلوا من اعظم النعم لانه معجزة باقية ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيتادى به العبادات ولانه يتلى فيستفاد منه جميع العلوم ولانه يتلى فيوقف على مجامع الاخلاق الحميدة فتحصل خير الدنيا والاخرة ومعنى التزكية وتعليم الكتاب والحكمة قدم في دعاء ابرهيم في قوله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون تنبيه على انه تعالى ارسله على فترة من الرسل وجهالة من الامم وتحير الناس في امر الدين فعلمهم ما احتاجوا اليه في صلاح معاشهم ومعادهم وذلك من اعظم انواع النعم فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون تكليف بامرين الذكر والشكر وقد مر ذكر الشكر في تفسير الحمد وقوله ولا تكفرون عطف بالواو وليعلم ان جحود النعمة منهي عنه كما ان الشكر مامور به ولو قطع على طريقة قوله شعر اقول له ارحل لا تقيمن عندنا :: لاوهم ان المقصود بالذات هو الثاني والاول في حكم المحو ويحتمل من حيث العربية ان يكون لا نافية والنون للوقاية وتحل الجملة النصب على الحال اي اشكروا لي غير جاحدين نعمتي واما الذكر فباللسان وهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرا كتابه وبالقلب وهو ان يتفكر في الدلائل على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبه الطاعنين فيها وفي الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر في اسرار الخلوقات فيصير كل ذرة من ذرات المخلوقات متوسلا من كل الى الموجدها وبالجوارح وهو ان يكون مستغرقا في الاعمال المامور بها فارغا عن الاشغال المنهي عنها ولهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فاسعوا الى ذكر الله فاذكروا الله واذكر ربك فلا بد ان يحمل على حالة تتعلق بالثواب واظهار الرضاء واستحقاق المنزلة والاكرام فالحاصل اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة اذكروني في الخلوات اذكركم في الفلوات اذكروني في الرخاء اذكركم في البلاء اذكروني بالمجاهدة اذكركم بالهداية اذكروني بالصلوة والاخلاص اذكركم بالخلاص والاختصاص اذكروني بالعبودية اذكركم بالربوبية اذكروني بالفناء اذكركم بالبقاء

ع ٣

يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل

ای ایمان آورندگان یاری خواهید بصبر وبنماز هر آینه خدا با صبر کنندگانست ومگوئید درباره آنها که کشته شوند در راه خدا که مرده‌اند بلکه آنها

احياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

زنده‌اند ولیکن شما درک نمیکنید وهر آینه بیازمائیم شما را بچیزی از ترس وگرسنگی وکاستن از مالها ونفسها ومیوه‌ها ومژده ده صابران را

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

آنانکه چون در رسد ایشانرا واهیه گویند که ما ایم در تحت قدرت خدا وما ایم که باز گردیم بسوی او آن گروه بر ایشانست رحمتها از پروردگار ایشان وآن گروه ایشانند هدایت یافتگان

القراءة انا لله بالامالة فيهما قتيبة ونصير انما جاءت مع منعها في الحروف لكثرة استعمال كلمة الاسترجاع الوقوف والصلوة ط الصابرين ه اموات ط لا تشعرون ه والثمرات ط الصابرين ه لا لان الذين صفتهم مصيبة لا لان قالوا جواب اذا راجعون ط لان اولئك مبتدا على الاصح من ابتداء بالذين خبره اولئك مع ما يتلوه ووقف على الصابرين ولم يقف على راجعون المهتدون ه التفسير انه تعالى لما اوجب بقوله فاذكروني واشكروا لي جميع الطاعات ورغب بقوله ولا تكفرون عن جميع المنهيات فان الشكر بالحقيقة صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه الى ما اعطاه لاجله ندب الى الاستعانة على تلك الوظائف بالصبر والصلوة فالصبر قصر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى والصلوة اذا اشتملت على مواجب الخشوع والتذلل للمعبود المتدبر لما فيه من الوعد والوعيد للترغيب والترهيب بحر ذلك الى اداء حقوق سائر الطاعات والاجتناب عن جميع الفواحش والمنكرات ان الله مع الصابرين بالنصر والتاييد مزيد التوفيق والتسديد ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقيل الصبر الصوم وقيل الجهاد بدليل قوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي هم اموات بل هم احياء وعلى الوجه الاول كانه قيل استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني وسلوك سبيلي فان احتجتم في ذلك الى مجاهدة عدوي باموالكم وانفسكم فتلفت فان قتلكم احياء عندي من قتله محبه فديته رؤيته ثم ان اكثر المفسرين على انهم احياء في الحال فمن الجائز ان يجمع الله تعالى من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة فيرى معظم جسد الشهيد ميتا فلا يحس بحيوته واليه الاشارة بقوله ولكن لا تشعرون ومما يؤيد هذا القول الايات الدالة على اثبات عذاب القبر النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اغرقوا فادخلوا نارا والفاء للتعقيب قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ولم يزل ارباب القلوب يزورون قبور الشهداء ويعظمونها وقيل المعنى لا تسموهم بالاموات وقولوا انهم الشهداء الاحياء او المراد قولوا هم احياء في الدين وانهم على هدى ونور من ربهم لا كما يزعم المشركون انهم ليسوا من الله في شيء ولا تقولوا مثل ما يقول منكروا البعث انهم لا ينشرون وقد ضيعوا اعمارهم ولكنهم سيحيون فيثابون وينعمون في الجنة وعلى هذا الوجه لا يبقى لتخصيص الشهداء بكونهم احياء فائدة وكذا القول مع المؤمنين ولكن لا تشعرون وقيل ان الثواب وكذا العقاب للروح لا للقالب لانه مدرك للجزئيات ايضا فلا يمتنع ان يتالم ويتلذذ ثم انه سبحانه يرد الروح الى البدن في القيامة الكبرى حتى ينضم الاحوال الجسمانية الى الادراكات الروحانية عن ابن عباس ان الاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وعن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة اي تاكل ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من اداء حقوق الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام تنقلبون على اعقابكم وتظهرون الجزع على استرداد ما بايديكم فيه بد المستعير واولا بالشكر على كل الذرائع ثم بالصبر على التكاليف الدينية ثم حض على التثبت عند طروق النوائب وبروق المصائب ومعنى بشيء بشيء من هذه الاشياء وانما

لو قال بأشياء لأوهم أن من كل واحد من الخوف وغيره ضروبا وليس بمراد وفيه أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل هو بالنسبة إليه فيه أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم واعلم أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فإذا خطر ببالك فهو قد مضى سمي ذكرا وتذكرا وإن كان في الحال سمي ذوقا ووجدا لأنها حالة تجدها من نفسك وإن تعلق بالاستقبال وغلب خطوره على قلبك سمي انتظارا وتوقعا فإن كان المنتظر مكروها حصل منه ألم في القلب يسمى خوفا وإشفاقا وإن كان محبوبا سمي ذلك الارتياح رجاء وأما الجوع فالمراد منه القحط وتعذر تحصيل القوت عن عطاء والربيع بن أنس أن المراد بهذه المخاطبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقد حصل لهم عند مكاشفة العرب خوف شديد بسبب الدين فكانوا لا يأمنون قصدهم إياهم واجتماعهم عليهم وقد كان من الخوف في وقعة الأحزاب ما كان هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وأما الجوع فقد أصابهم أول مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقلة أموالهم حتى أنه صلى الله عليه وسلم كان يشد الحجر على بطنه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فالتقى مع أبي بكر فقال ما أخرجك قال الجوع قال ما أخرجني إلا ما أخرجك وكانوا ينفقون أموالهم في الاستعداد للجهاد ثم يقتلون فهناك يحصل النقص في المال والنفس وقد يحصل الجوع في سفر الجهاد عند فناء الزاد ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله إلى قوله إلا كتب لهم به عمل صالح وقد يكون النقص في النفس بموت الإخوان والأخدان وأما نقص الثمرات فقد يكون بالجدوب وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الأموال الزكوات والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد قال صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ونقص عطف على شيء ويحتمل أن يعطف على الخوف بمعنى وشيء من نقص الأموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه البشارة قال الإمام الغزالي رحمه الله الصبر من خواص الإنسان ولا يتصور ذلك في البهائم لنقصانها فليس لشهواتها عقل يعارضها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا ولا في الملائكة فليس لعقلهم شهوة تصرفهم عن الاشتغال بحضرة الكبرياء تعالى وتمنعهم عن الاستغراق في مطالعة حضرة ذي الجلال تعالى أما الإنسان فإنه في الصبي بمنزلة البهيمة ليس له إلا شهوة الغذاء ثم شهوة اللعب بعد حين ثم شهوة النكاح لكنه إذا بلغ انتصب له مع الشهوة الباعثة على اللذات العاجلة عقل يدعوه إلى الإعراض عنها والإقبال على تحصيل السعادات الباقية فيقع بين داعيتي العقل والشهوة تضاد وتقابل فصد العقل بإزائها هو المعنى بالصبر ثم إنه ضربان بدني كتعاطي الأعمال الشاقة أو فعلا كالثبات على الآلام ونفساني وهو منع النفس عن مقتضيات الطبع فإن كان حبسا عن شهوة البطن والفرج سمي عفة وإن كان احتمال مكروه فإن كان من مصيبة خص باسم الصبر ويضاده حالة هي الجزع وهي إطلاق داعي الهوى في رفع الصوت وضرب الخد وشق الجيب ونحوها وإن كان في حال الغنى سمي ضبط النفس ويضاده حالة البطر وإن كان في حال مبارزة الأقران سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في كظم الغيظ والغضب يسمى حلما ويضاده التضجر وضيق الصدر وإن كان في إخفاء كلام يسمى كتمان السر وإن كان في نائبة من النوائب سمي سعة الصدر ويضاده وإن كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص وإن كان على قدر يسير من المال سمي قناعة ويضاده الشره وليس الصبر أن لا يجد الإنسان ألم المكروه ولا أن لا يكره ذلك فإنه غير ممكن وإنما الصبر على المصيبة هو حمل النفس على ترك إظهار الجزع ولا بأس بظهور الدمع وتغير اللون فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى على ابنه إبراهيم فقيل له في ذلك فقال إنها رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ثم قال العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ثم الصبر عند الصدمة الأولى وإلا فبعده سلو وهو مما لا بد منه ولهذا قيل لو كلف الناس إدامة الجزع لم يقدروا عليه وقد وصف الله تعالى في القرآن الصابرين في نيف وسبعين موضعا وأضاف أكثر الخيرات إليه فقال وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فما من طاعة إلا وأجرها مقدر إلا الصبر لأن الصوم من الصبر قال الله تعالى في حديثه القدسي الصوم لي فأضافه إلى نفسه ووعد الصابرين بأنه معهم فقال واصبروا إن الله مع الصابرين وعلق النصرة بالصبر فقال إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة وجمع للصابرين أمورا لم يجمعها لغيرهم أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وقال صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الإيمان لأن الإيمان لا يتم إلا بترك ما لا ينبغي والإتيان بما ينبغي والاستمرار على كل منهما إنما يتأتى بالصبر فكل الإيمان صبر إلا أن كل واحد منهما قد يكون مطابقا لمقتضى الشهوة فلا يحتاج فيه إلى الصبر فلهذا عاد إلى النصف وقد جاء الإيمان هو الصبر وذلك كقوله الحج عرفة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر قال يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين ومن فضيلة الصبر أنه قال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فإن المشبه به يجب أن يكون أقوى كما في شارب الخمر كعابد الوثن وروي أن سليمان يدخل الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفا لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفي الخبر أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب ثم إن الله تعالى بين أن الإنسان كيف يكون صابرا وأنه متى يستحق البشارة فقال الذين إذا أصابتهم مصيبة هي من الصفات الغالبة التي لا تكاد تستعمل موصوفاتها وتختص من بين ما يصيب الإنسان بحالة مكروهة كالنار والوقعة والملمة وإنما المتحمل كل مضرة ينالها من قبل الأسباب السماوية والأرضية المنتهية إلى مسبب الأسباب بواسطة ظاهرة أو خفية قالوا إنا لله إقرار بالعبودية وإنا إليه راجعون تفويض للأمر إليه كما يقال إن الملك والدولة رجع إلى فلان لا يراد الانتقال بل القدرة وترك المنازعة إنا لله

اعتراف بالملك وانا اليه راجعون اقرار على نفسنا بالهلك فانا لله اشارة الى المبدأ وانا اليه راجعون تصريح بالمعاد انا لله اعلام بالفناء فيه وانا اليه راجعون ايمان بقدوم واعلان الرضا بالقضاء انما يحصل للعبد من الله تعالى بطريقين الصرف والجذب اما الصرف فمتى مال قلبه الى شيء والتفت خاطره اليه جعله تعالى منشأ للآفات لينصرف وجه قلبه من عالم الحدوث الى جانب القدس كما ان ادم لما تعلق قلبه بالجنة جعلها محنة عليه حتى زالت الجنة فبقي ادم مع ذكر الله ولما استأنس يعقوب بيوسف وقع الفراق بينهما فبقي يعقوب مع ذكر الحق ولما طمع محمد صلعم من اهل مكة في النصرة والاعانة صاروا من اشد الناس بغضا له فاخرجوه وقد يجعل ذلك الشيء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الرحمة ثم يرجع العبد الى الله وقد يتوقع العبد من جانب خيرا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيي العبد فيرجع الى الله واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازي عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل بالكلية عمن سواه ويصير فانيا عن نفسه عن حظوظها فيحصل له مرتبة الرضاء بالقضية الحق سبحانه من غير ان يبقى في طاعته شبهة المنازعة عن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلعم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وعن ام سلمة ان ابا سلمة حدثنا ان رسول الله صلعم قال من مسلم يصاب بمصيبة فيفزع الى ما امر الله به من قوله انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني منها وعوضني خيرا منها الا اجره الله عليها وعوضه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة ذكرت هذا الحديث وقلت هذا القول فعاضني الله محمدا صلعم وعن ابن عباس اخبر الله ان المؤمن اذا سلم لامر الله ورجع واسترجع عند مصيبته كتب الله تعالى له ثلث خصال الصلوة من الله والرحمة وتحقيق سبيل الهدى وعن عمر قال نعم العدلان انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ونعم العلاوة اولئك هم المهتدون قيل الصلوات من الله الثناء والمدح والتعظيم والرحمة النعم العاجلة والاجلة وقيل الصلوة الحنو والتعطف وضعت موضع الرأفة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب الفائزون بالكرامة والصواب هم المستمسكون باداب المستحقون بما الزم وامر وفي الاية حكم انه فرض ونفل فالفرض هو التسليم لامر الله تعالى والرضاء بقضاءه والصبر على اداء فرائضه لا يصرفه عنها مصائب الدنيا والنفل قوله انا لله وانا اليه راجعون فان في اظهاره فوائد منها ان غيره يقتدي به اذا سمعه ومنها غيظ الكفار وعلمهم بجده واجتهاده في دين الله تعالى والثبات على طاعته واما الحكمة في تقديم تعريف الابتلاء فهي ان يوطنوا نفوسهم لهذه المصائب اذا وردت فيكون ابعد من الجزع وايضا اذا علموا انه سيصل اليهم تلك المحن اشتد خوفهم فيكون ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء فيستحقون بذلك مزيد الثواب وايضا اذا اخبروا بوقوع هذا الابتلاء ثم وقع كان ذلك اخبارا بالغيب فيكون معجزا وايضا فيه يتميز المنافق ويتميز عن الموافق كما ان الحكمة في نفس الابتلاء ايضا ذلك ❊ دعوى الاخاء كثيرة ❊ بل في الشدائد تعرف الاخوان ❊ اذا تلك هذا الهجر لي خلل البلى ❊ يقولون لولا الهجر لم يطب الحب ❊ وان قلت كربي دائم قال انما يعد نعيما من يديم له الكرب ❊ وان قلت ما اذنبت قال مجيبة ❊ حيوتك ذنب لا يقاس به ذنب ❊ ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم

ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون القراءة من تطوع بتشديد الطاء والجزم حمزة وعلي وخلف ويزيد وروبس الباقون بالتخفيف وفتح الاخر على المضي الوقوف شعائر الله ج للشرط مع فاء التعقيب بهما ط لان التطوع خارج عن موجب كونهما من شعائر الله فكان استئناف حكم عليم في الكتاب لا لان اولئك خبر ان اللاعنون لا للاستثناء اتوب عليهم ج لاحتمال الواو للاستئناف والحال الرحيم اجمعين لا لان خالدين حال عامله معنى الفعل في اللعنة اي يلعنهم الله حتى قرأ الحسن والملائكة وما بعده فيها ج لان ما بعده حال بعد حال او استئناف اخبار ينظرون التفسير في تعليق الاية بما قبلها وجوه منها ان السعي بين الصفا والمروة من شرائع ابرهيم عليه السلم كما مر في قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة التي هي شرع ابرهيم ومنها انه من اثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتها فناسب ان يرد في اية الابتلاء ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا في الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدي العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره واشير الى ذلك بقوله فاذكروني اذكركم واشكروا لي وثانيها ما ركز في العقول قبحه والتنفر عنه كالالام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتألم منه الا ان الشرع لما ورد به بين الحكمة فيه وهي الابتلاء والامتحان حتى يعتقد المسلم حسنه لكونه حكمة وثوابا وذلك قوله ولنبلونكم الاية وثالثها ما العبد

يهتدي العقل إلى حسنه ولا إلى متجه بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة فيأتي بها تعبداً محضاً وهو أكثر أفعال الحج من السعي ورمي الجمار ونحوها فذكر طرفاً من هذا القسم عقيب القسمين الأولين تتميماً للأحكام واستيفاء لجميع الأقسام. والصفا والمروة هكذا باللام علمان للجبلين المعروفين بمكة زادها الله شرفاً. والصفاة في اللغة صخرة ملساء وفي المثل ما تندى صفاته والجمع صفا مقصوراً وأصفاء وصُفِيّ على فُعُول وإذا نعتوا الصخرة قالوا صفاة صفواء وإذا ذكروا قالوا صفا صفوان قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب وعن الأصمعي المرو حجارة بيض براقة يقدح منها النار الواحدة مروة. والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة وذلك أن السعي بين الجبلين من أعلام دين الله وهما من متعبدات قد شرعها الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولإبراهيم عليه السلام قبل ذلك كما مر في قوله وأرنا مناسكنا وليس السعي عبادة تامة في نفسه إنما يصير عبادة إذا كان بعضاً من أبعاض الحج فلهذا قرنه بقوله فمن حج البيت أو اعتمر. والحج لغة القصد ورجل محجوج أي مقصود وهو أيضاً كثرة الاختلاف والتردد حج فلان فلاناً إذا أطال الاختلاف إليه ثم غلب استعماله في القصد إلى مكة للنسك فالحاج يأتي البيت أولاً ليعرفه ثم يعود إليه للطواف ثم ينصرف إلى منى ثم يعود إليه لطواف الزيارة ثم يعود إليه لطواف الصدر ومنه محجة الطريق لكثرة تردد الناس فيها. والاعتمار لغة الزيارة فالمعتمر يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ثم ينصرف كالزائر يزور ثم ينصرف. والعمرة اسم من الاعتمار لغة الزيارة غلب على النسك المعروف. والجناح الجرح في الإثم من قولهم جنح إليه أي مال إليه كأن صاحبه مال إلى الباطل ولأن الناس يميلون إلى صاحبه بالمطالبة ثم قوله لا جناح عليه يحتمل الواجب والندب والمباح وظاهر الآية لا يدل على أحد الثلثة بالتعيين فلهذا اختلف العلماء في أن السعي واجب أم لا متمسكين بدلائل أخر فعن الشافعي أنه ركن ولا يقوم الدم مقامه لقوله صلى الله عليه وسلم إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا وليس المراد منه العدو بل الجد والاجتهاد في ذلك المشي بحيث لا يفوت لقوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله ولما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم سعى فيجب علينا اتباعه لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني مناسككم والأمر للوجوب. وعن أبي حنيفة أنه ليس بركن ولكنه واجب على تاركه دم. وعن ابن الزبير وابن عباس وأنس أنه تطوع وليس على تاركه شيء لأن رفع الحرج دليل الإباحة ولقوله بعد ذلك ومن تطوع خيراً. أجاب الشافعي بما روي أنه كان على الصفا إساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح فالإباحة ينصرف إلى وجود الصنمين حال السعي لا إلى نفس السعي كما لو كان على الثوب نجاسة يسيرة عند أبي حنيفة ودم البراغيث عندنا فقيل لا جناح عليك أن تصلي فيه فإن رفع الجناح ينصرف إلى مكان النجاسة لا إلى نفس الصلوة ولهذا قال عروة لعائشة أرى أنه ما على أحد من جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة فقالت بئسما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت على ما أولتها كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما. وأصل يطوف يتطوف فأدغم. ومن قرأ يطوع بالتشديد فأصله يتطوع والتطوع ما ترغب من ذات نفسك مما لم يجب عليك. ومن قال إن السعي واجب فسر هذا التطوع بالسعي الزائد على قدر الواجب. وعن الحسن المراد منه جميع الطاعات وهذا أولى لعموم اللفظ فإن الله شاكر أي مجازيهم على الطاعة سمى جزاء الطاعة شكراً تشبيهاً بجزاء النعمة وفيه تلطف للعباد مثل من ذا الذي يقرض الله كأنه يقول إني وإن كنت غنياً عن طاعتك إلا أني أجعل لها من الموقع ما لو صح علي أن أنتفع بها لما ازداد. ووقعه على ما حصل عليم بالسرائر فيوفي كل ذي حق حقه وهو وعد ترتيب الشكر وإن كان أيضاً يحتمل التحذير من الإخلال بوظائف الإخلاص في العبادة. إن الذين يكتمون كلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئاً من الدين وقيل هم أهل الكتاب وقيل اليهود خاصة لما روي عن ابن عباس أن جماعة من الأنصار سألوا نفراً من اليهود عما في التوراة من صفته صلى الله عليه وسلم ومن الأحكام فكتموا فنزلت. والأولى العموم للفظ ولأن خصوص السبب لا يوجب خصوص الحكم ولأن ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية فلا ريب أن كتمان الدين يناسب استحقاق اللعن من الله تعالى فيعم الحكم حسب عموم الوصف. لا يخفى أن القرآن قبل صيرورته متواتراً يمكن كتمانه والمجمل من القرآن إذا كان بيانه بخبر الواحد يجري فيه الكتمان وكذا القول فيما يحتاج إليه المكلف من الدلائل العقلية فلأن جماعة من الصحابة حملوه على العموم عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فقد أعظم الفرية على الله والله تعالى يقول إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات فحملت الآية على العموم وعن أبي هريرة قال الناس أكثر أبو هريرة وتلا إن الذين يكتمون. قال بعض المحققين الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة إليه وحصول الداعي إلى إظهاره لأنه متى لم يكن كذلك لا يعد كتماناً فلما كان ما أنزله الله من البينات والهدى من أشد ما يحتاج إليه في الدين وصف من علمه ولم يظهره بالكتمان كما يوصف أحدنا إذا كانت مما يقوى الداعي إلى إظهارها وعلى هذا الوجه يمدح من يقدر على كتمان السر لأن الكتمان مما يشق على النفس. وفي الآية دليل على أن ما يتصل بالدين ويحتاج إليه المكلف لا يجوز أن يكتم ومن كتمه فقد عظمت خطيئته. والمراد بالبينات كل ما أنزله على الأنبياء كتاباً ووحياً دون أدلة العقل والهدى يدخل فيه الدلائل العقلية والنقلية لأن الهدى الدلالة فيعم الكل. وبعبارة أخرى الأول هو التنزيل والثاني ما يقتضيه التنزيل من الفوائد. قوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يشمل كون خبر الواحد والإجماع والقياس حجة لأن الكتاب دل على هذه الأمور. وهذا الإظهار فرض على الكفاية لا على التعيين لأنه إذا أظهره البعض صار بحيث يتمكن كل أحد من الوصول إليه لم يبق مكتوماً وإذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على الباقين إظهاره مرة أخرى. وقيل لم لا يجوز أن يكون كل واحد منهياً عن الكتمان مأموراً بالبيان ليكثر المخبرون فيتواتر الخبر. أجيب بأن التواطؤ على الوضع والافتراء فلا يكون خبرهم موجباً للعلم. ومن الناس من يحتج بالآية على وجوب قبول خبر الواحد لأن وجوب الإظهار يدل على وجوب العمل بالذي أظهر لا سيما وقد قال إلا الذين تابوا

وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا الحكم بوقوع البيان بخبرهم واستدل بالآية أيضاً على عدم جواز أخذ الأجرة على التعليم لأنها دلت على وجوب التعليم ولا أجرة على أداء
الواجب قيل في الكتاب أي في التوراة والإنجيل من نعت الرسول ومن الأحكام والمعنى لخصناه بحيث لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين
الملخص فكتموه ولبسوا على الناس وقيل أراد بالمنزل الأول وبالكتاب القرآن أولئك تبعيدهم عن رحمة الاعتبار يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يبعدهم عن كل خير ويلعنهم يدعو عليهم
باللعن اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن ويعتد بلعنهم من الملائكة وصالحي الثقلين وقيل يدخل فيهم دواب الأرض وهوامها فإنها تقول منعنا القطر
بشؤم معاصي بني آدم واللاعنون دون اللاعنات تغليب للعقلاء وقيل هم الهوام فقط فالتذكير لأنه تعالى وصفهم بصفات العقلاء مثل وَالشَّمْسَ وَ
الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ وقيل كل شيء سوى الثقلين بتقدير أنها لو كانت عاقلة كانت تلعنهم
أو لأنها في الآخرة إذا أعيدت وجعلت من العقلاء فإنها تلعن من فعل ذلك في الدنيا ومات عليه وقيل أن أهل النار يلعنونهم أيضاً لأنهم كتموهم الدين كما
نحكي كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا وعن ابن مسعود إذا تلاعن المتلاعنان وقعت اللعنة على المستحق وإن لم يكن مستحق رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله
سبحانه وعن ابن عباس أن اللاعنين لعنة الله ولعنة الخلائق وقال ذلك إذا وضع الرجل في قبره فيسئل ما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيضرب ضربة
يسمعها كل شيء إلا الثقلين فلا يسمع على شيء صوته إلا لعنه ويقول له الملك لا دريت ولا تليت إِلَّا الَّذِينَ استثناء منهم وفيه من الرحمة ما فيه وقدم
أن التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح لقبحه لا لغرض سواه فإن من ترك رد الوديعة ثم ندم لأن الناس لاموه أو لأن الحاكم رد شهادته لم يكن تائبا
وَأَصْلَحُوا ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم وَبَيَّنُوا ما كتموه بينوا للناس ما أحدثوه من توبتهم ليعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي
بهم غيرهم من المفسدين فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ أقبل توبتهم بأن أسقط العقاب عنهم تحللا وأضع مكانه الثواب تفضلا بدلالة قوله وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا عام في كل من كان كذلك وقيل مخصوص بهؤلاء الكاتمين ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتا إذا لم يتوبوا وعلى هذا القول يكون
إطلاق الكفر عليهم وهم من أصحاب الكبائر مجازا للتغليظ أو يراد بالكفر جحود الحق وستره والمراد بالناس اللاعنين من يعتد بلعنه هم المؤمنون أجمعون
وقيل يوم القيامة يلعن بعض الكفار بعضا فيعم المؤمن والكافر وقيل لعن الجاهل والظالم مقرر في العقول حتى أن الظالم قد يلعن نفسه إذا تأمل في حاله وقيل
وقوع اللعن محمول على استحقاق اللعن على من مات كافرا وإن زال التكليف عنه بالموت على أن الكافر إذا جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا
للعنة والبراءة منه وكذلك سبيل ما يوجب المدح والموالاة من الإيمان والصلاح إذا مات صاحبه أو جن لا يتغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال وفي
الآية دليل على أن الأمور بخواتيمها أنه إذا كفر ومات لا على الكفر لم يكن ملعونا ضرورة انتفاء المشروط بانتفاء الشرط خَالِدِينَ فِيهَا في اللعنة وقيل
في النار وأضمرت وإن لم يجر لها ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لمكانها والأول أولى لتقدم ذكره لفظا ولأن اللعنة تشمل النار وزيادة ولأنها تعم
في الحال والمآل جميعا بخلاف النار فإنها في الاستقبال فمن فسر الذين كفروا بالكاتمين وجوز الخلاص على صاحب الكبيرة فسر الخلود بالمكث الطويل
وقد سلف مثل ذلك لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بل يتساوى في الأوقات باقيا على المبلغ الذي يتيح لحسب استحقاقه وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إذا استنظروا
من الإنظار الإمهال ولا ينظرون ليعتذروا ولا ينظر إليهم نظر رحمة أعاذنا الله تعالى من تلك الحالة بعميم فضله وجسيم طوله التأويل السر والمروة
للروح والسالك بينهما يسعى ففي صفاء السر بقطع التعلقات عن الكونين هو التعظيم لأمر الله وفي مروة الروح بوصل الخير إلى أهله وعياله ونفسه
لمراقبة أحوال الباطن ومراعاة أعمال الظاهر هو الشفقة على خلق الله ومعنى سعي السر أن يتصل بركات سعيه إلى سبعة أعضاء في الظاهر وإلى سبعة
أطوار في الباطن إلى سبعة أقاليم العالم لقوله تعالى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ومن كمال رأفته بأهل محبته أن جعل آثار
أقدامهم أشراف أمكنة وساعات أيامهم أعز الأزمنة فلتلك المعاهد والأطلال تشد الرحال وتلك المشاهد لا تعظم وتزار إلا هوى من هواها لمن قد
كان ساكنها وليس في الدار لي دار ولا وطر حسبي الله ونعم الوكيل وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
و خدای شما خدائی است یگانه نیست هیچ خدا مگر او بخشاینده مهربان بدرستیکه در آفرینش آسمانها و زمین
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
و گردیدن شب و روز و کشتی که روان است در دریاها بآنچه سود میرساند مردمان را و آنچه فرو فرستاد خدا از آسمان از آبها پس زنده گردانید بآن زمین را پس از مرگش
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ القراءة لا إله إلا هو بالمد
و پراکنده کرد در آن از هر نوع جنبنده و گردانیدن بادها در جهان و ابرها که رام کرده شده در میان آسمان و زمین هر آینه نشانهاست مر گروهی را که دریابند وكذلك جميع التهليل
روى الهاشمي عن ابن كثير بورود الأثر في هذه الكلمة وهو قوله من قال لا إله إلا الله ومدها غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وروى أبو الفرج عن
قنبل لا هو بالإمالة حيث كان الريح مفرداً حمزة وعلي وخلف الباقون الرياح مجموعاً الوقوف الرحيم ج نظرا إلى ما بعده وصفاً آخر وإلى الاختلاف
بالنفي والإثبات الرحيم من كل دابة ص ضرورة طول الآية والأولى أن لا وقف لأن الآيات والجار وما يتصل به معترض والأولى الوصل والرجوع يعقلون ه
التفسير الواحد قد يكون اسماً وذلك في العدد واحد اثنان ثلاثة وقد يكون صفة كقولك شخص واحد ومعناه أنه لا ينقسم من جهة ما قيل إنه
واحد فالإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم من حيث هو إنسان لأن الإنسان الواحد يستحيل أن ينقسم إلى إنسانين بل يصح أن ينقسم إلى الأبعاض
الأجزاء وذلك من جهة أخرى ثم زعم قوم أن الواحدية صفة زائدة على الذات لأن الجوهر قد يشارك العرض في كونه واحدا ولا يشاركه في كونه جوهرا

في تفسير الواحد

سورة البقرة

في معنى الواحد

فظ ولانه يصح تعقل الجوهر مع الذهول عن كونه واحدا والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ولان قولنا الجوهر واحد ليس يجري مجرى قولنا الجوهر جوهر
مقابل الجوهر العرض ومقابل الواحد هو الكثير ثم المفهوم من كونه واحدا امر ثبوتي لانه لو كان سلبا لكان سلبا للكثرة فان كانت الكثرة سلبية
وسلب السلب ثبوت فالوحدة ثبوتية وهو المطلوب وان كانت الكثرة ثبوتية ولا معنى للكثرة الا مجموع الوحدات فان كانت الوحدة سلبية حصل
الامر المعدم من امور موجودة وهو محال فثبت ان الوحدة صفة زائدة ثبوتية ثم انه لا يمكن ان يقال انه لا تحقق لها الا في الذهن لانا نعلم بالضرورة ان الشيء
المحكوم عليه بانه واحد قد كان واحدا في نفسه قبل ان وجد ذهننا واعتبارنا فثبت ان كون الشيء واحدا صفة ثبوتية زائدة على ذاته قائمة بتلك
الذات والجواب ان كون الشيء واحدا في ذاته معناه كونه بحيث يصح ان يدرك الذهن منه معنى الوحدة وهذه الحيثية لا يتوقف على حصول الذهن في الخارج
ثم ان الوحدة لو كانت صفة زائدة على الذات كانت الوحدات مثلا وبتري ماهية الوحدة ومباينة بتعينها فيكون للوحدة وحدة اخرى وهلم جرا
وذلك محال ثم ان شيئا من الموجودات لا ينفك عن الوحدة ثم ان العدد فان العشرة الواحدة يعرضها الوحدة من حيث هي عشرة واحدة فان قلت عشرتان
فالعشرتان مرة واحدة قد عرضت لها الوحدة من هذه الجهة فلا شيء من الموجودات ينفك عن الوحدة ولكن الوحدة تغاير الوجود لان الموجود ينقسم الى
الواحد والكثير والمنقسم الى شيئين مغاير لما به الانقسام والواحد الحق سبحانه وتعالى واحد باعتبارين احدهما الا ان ذاته ليست مركبة من امور كثيرة مما من
امرين ايهم واليه الاشارة بقوله والهكم اله واحد والخطاب للممكنات باسرهم والتذكير لتغليب ذوي العقول الذكور وثانيهما انه ليس في الوجود ما يشاركه
في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدأ لجميع الممكنات وهو المراد بقوله لا اله الا هو ويمكن ان يقال القرينتان تدلان على نفي الشريك الا ان الاولى منهما
تدل على اثبات وحدته في الالهية بالمطابقة ويلزم منه نفي الشريك كقولك هو سيد احد تريد الوحدة في السيادة فيلزم نفي ان يكون غيره سيدا والقرينة
الثانية تدل على نفي الشريك بالمطابقة ثم على اثبات المعبودية بالحق فمعناه لا اله في الوجود الا هو وفيه نكتة شريفة وهي ان اثبات الحق وقع في كلتا القرينتين بالمطابقة
ليعلم انه المقصد الاسنى والغاية القصوى وتحقيقه ان العارف له رجوع وعروج وذلك انه قد يفنى في عالم اللاهوت فيبقى ببقاء الحي الذي لا يموت ويطالع
عالم الشهود فيلزم منه نفي ما سوى الحق واذا رجع الى عالم الناسوت وضرورته وجب عليه نفي كل من سوى حتى يعرج الى المقصود فهذا سر عكس الترتيب في القرينتين
ولان الاولى مرتبة الصديقين السابقين فلا جرم وقع التكليف بالترتيب الاخير امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم البرهان العقلي على
انه تعالى واحد من جميع الوجوه لا بجعله اجزاء مقدارية كما للاجسام ولا بحصره اجزاء معنوية كما في البسايط النوعية ولا اجزاء اعتبارية كما في البسايط
الجنسية هو ان كل مركب فانه يفتقر في تحققه الى تحقق اجزائه والمفتقر الى غيره لا يكون واجب الوجود لذاته ايضا فكل ممكن فان وجوده زائد على ماهيته
في العقل والاعتبار فانه يمكن تصور الممكن من حيث انه ممكن مع الشك في وجوده الخارجي ولكن لا يمكن تعقل الواجب من حيث انه واجب مع الشك في وجوده
ولا نعني بكون الوجود زائدا الا هذا واما انه تعالى وحده لا شريك له فلان وجوب الوجود يقتضي ان لا يكون الواجب لذاته مفتقرا في شيء الى شيء اصلا
ولا يكون كذلك الا اذا كان في غاية الكمال ونهاية الجلال والجمال ولا ريب ان من كمال الجميل كونه عديم النظير ومن تحقق معنى وجوب الوجود ونور الباطن
وصفاء الضمير لم يشك في وجوده تعالى ولا في ان واجب الوجود لذاته واجب الوجود من جميع جهاته وواجب الوجود في جميع صفاته وواحد بجميع اعتباراته
حتى عن حمل الوحدة عليه عن تصور ذاته وههنا حالة عجيبة فان العقل ما دام يلتفت الى الوحدة فهو بعد لم يصل الى عالم الوحدة فاذا ترك الوحدة فقد
وصل الى الوحدة فاعرف هذه الاسرار لتتخلص عن ظلمات شبهات الاشرار وتفوز بمقامات الابرار وتستغرق في بحار عالم الانوار بعون الملك الجبار و
شروق انوار الواحد القهار ولك ان تقول انه سبحانه واحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا شبيه له وواحد في افعاله لا شريك له اما انه واحد في ذاته
فلانه لو شاركه غيره في حقيقته لزم تركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز وكل مركب مفتقر ممكن واما انه واحد في صفاته فلان صفات غيره من غيره وصفاته
من نفسه ولان صفات غيره زمانية دون صفاته ولان صفات غيره متناهية وصفاته غير متناهية كعلمه مثلا فان له معلومات غير متناهية بل له
في كل معلوم علوم غير متناهية بحسب احيان ذلك المعلوم واوقاته وسائر احواله ولان موصوفية ذاته بالصفات ليست بمعنى كونها حالة في ذاته او
كون ذاته محلا لها ولا بمعنى ان ذاته يستكمل بها لان ذاته كالمبدأ لتلك الصفات ولن يستكمل المبدأ بما عن المبدأ بل لانه مستكمل بذاته
ومن لوازم ذلك الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال وقد يفضي التقرير ههنا الى حيث تقصر العبارة عن الوفاء به وذلك انه لا خبر عند العقول من صفاته
كما انه لا خبر عندها من ذاته فانا لا نعرف من علمه الا انه الذي لاجله ظهر الاحكام والاتقان في المخلوقات كما انا لا نعلم من ذاته الا انه مبدأ جميع الممكنات ومن
طبع على قلبه ميسم الخذلان ومن كشف له الغطاء صار حيران فلا احاطة للقطرة بكرة الماء ولا ظهور لضوء السهى عند حلول الشمس كبد السماء اشتاقه فاذا بدا
اطرقت من اجلاله لا خيفة بل هيبة وصيانة لجماله فالموت في ادباره والعيش في اقباله واصد عنه اذا بدا واروم طيف خياله واما انه واحد في

الفرق بين الممكن والواجب

افعاله فلان ما سواه ممكن الوجود لذاته وبقدر البون بين الواجب للذات والممكن للذات يوجد التفاوت بين فعليهما ان فرض للممكن فعل من نفسه
الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ثم انه تعالى خص الموضع بذكر
الرحمن الرحيم لان ذكر الالهية والفردانية يفيد القهر والعلو فعقبهما بذكر الصفتين ترويحا للقلوب عن هيبة الالهية وعزة الفردانية واشعارا بانه انما
خلق الخلق لاجل الرحمة والاحسان ان في خلق السموات والارض الاية ذكر علماء المعاني في ان مجاز هذه الاية ان في ترجيح وقوع اي ممكن كان على
لا وقوعه لآيات للعقلاء الا ان الكلام لما كان لا مع الانس والجن فحسب بل مع الثقلين ولا مع قرن دون قرن بل مع القرون كلهم الى انقراض الدنيا

فيهم من يكتفي بالتقصير في باب النظر والعلم بالصانع ومن لا يحصى من طوائف الغواة لم يكن مقام ادعى لترك الايجاز الى الاطناب من هذا عن عطاء قال
انزل بالمدينة على النبي ﷺ والهكم اله واحد فقالت كفار قريش بمكة ولهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما كيف يسع الناس اله واحد فنزلت ان في
خلق السموات والارض الى آخرها وعن سعيد بن مسروق لما نزلت والهكم اله واحد تعجب المشركون وقالوا اله واحد ان كان صادقا فليأتنا باية
فنزلت زعم بعض الناس ان الخلق هو المخلوق وهو الذي يدل على الصانع والتحقيق انه غيره لان الخلق التقدير وتقدير المخلوقات غير نفس المخلوقات ولو كان
عينها والخالقية صفة لله تعالى لزم اتصافه تعالى بالقاذورات والشياطين ولانه يصح تعليل حدوث الحادث بخلق الله تعالى ولا يصح تعليل حدوثه بنفس
ذلك الحادث ولانه يصح ان يقال خلق السواد وخلق البياض ومفهوم الخلق فيهما واحد ومفهوم السواد غير مفهوم البياض ولاتفاق المعتبرين من النحاة
على ان العالم في قول القائل خلق الله العالم مفعول به لا مفعول مطلق ثم لا نزاع في الاستدلال على الخالق بالمخلوق لكن لا من جهة عينه بل من جهة خلق الله
اياه وهذه الجهة هي التي صيرته اية وقد عد الله تعالى في هذه الاية ثماني ايات الاولى خلق السموات وقد تكلمنا في عددها وترتيبها في تفسير قوله تعالى فسويهن
سبع سموات وقد زعم اهل الهيئة لما شاهدوا من كل واحد من السيارات السبع حركات مختلفة كالبطؤ والسرعة بعد التوسط في الحركة والوقوف
والرجوع بعد الاستقامة وهي الحركة على توالي البروج وعندهم مقدمتان كليتان احديهما ان السموات لا يتطرق اليها الا الاختلاف الوضعي الثانية
ان حركة الكوكب في الفلك ليست كحركة السمك في الماء ولكنه يدور بادارة الفلك اياه ان كل واحد من افلاك السيارات ينقسم الى افلاك اخر يتضمنها الكلي
الكلي الذي مركزه مركز العالم ومراكزها يخالف مركزه في الاغلب ثم ان كان مع المخالفة في المركز محيطا بالارض يخص باسم الخارج المركز ويبقى بعد توهم
انفصاله من الفلك الكلي جسمان تعليميان متبادلا الوضع الغلظ والرقة تسميان المتممين وان لم يكن محيطا بالارض يسمى بالتدوير ويكون الكوكب
مركوزا فيه كالفص في الخاتم ويلزم له من مجموع الحركات المركبة من تلك الافلاك حركة مختلفة في النظر وان كان كل منها متشابهة في نفس الامر ونعني بالتشابه
ههنا ان يقطع المتحرك من المحيط في ازمنة متساوية قسيا متساوية او يحدث عند المركز زوايا متساوية وبالاختلاف نقيض ذلك فللقمر من تلك الافلاك
اربعة اثنان متوافقان في المركز وخارج وتدوير وللعطارد اربعة احدها يوافق مركزه مركز العالم وخارجان وتدوير وللزهرة ثلثة موافق وخارج وتدوير ولكل
من الثلثة العلوية كالزهرة ومقادير حركات هذه الافلاك البسيطة موضوعة في الزيجات واما المختلفة فالشمس تقطع جميع الفلك في سنة شمسية وهي
ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا والقمر في ثمانية وعشرين يوما وكل من عطارد والزهرة كالشمس وزحل في ثلثين سنة والمريخ في سنتين و
المشتري باثنتي عشرة سنة جميع ذلك بالتقريب تقرر ذلك على الاجمال فنقول في كيفية الاستدلال بهذه الاحوال ان اختصاص مقادير كل واحد من الافلاك
بمقدار معين مع اشتراكها في الطبيعة الفلكية تدل على مخصص مدبر مختار خبير قدير قهار وكذا تخصص كل منها بحيز معين وكذا تعيين نقطتين من
سطح الفلك للقطبية مع تساوي جميع النقط المفروضة عليه في صلوح ذلك وكذا حصول الكواكب والتداوير في جانب معين من الفلك وكذا تفصيل الافلاك
الكلية الى الخوارج المراكز وابقاء المتممات على اقدار معينة في الرقة والغلظ وكذا تعيين كل من الاجرام بحركة معينة السيارات كما قلنا آنفا والثوابت بحيث
يتم دورا في ستة وثلثين الف سنة على ما في المجسطي او في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة عند المتاخرين والفلك الاعظم في يوم بليلة وكذا
تعيين جهات الحركات شرقا وغربا وشمالا وجنوبا وكذا تعيين مبادي الحركات وتخصيصها بزمان دون زمان فان الافلاك سواء قلنا انها
حادثة او يقال انها ازلية لا بد ان يكون لحركاتها اول لان الحركة انتقال من حالة الى حالة وكون الحركة ازلية ينافي المسبوقية بالغير فالابتداء بالحركة
بعد ان لم يكن يقتضي الافتقار الى فاعل مختار يكون الكل تحت قهره وتسخيره وكذا تخصص كل من الكواكب بعظم آخر وبلون آخر كصفرة عطارد وبياض
الزهرة وكمودة زحل ودرية المشتري وحمرة المريخ وظلمة القمر في ذاته بحيث اذا حال بين الناظر وبين الشمس وذلك في الاجتماع المرئي كسفها وكذا اختلاف
تاثيراتها في هذا العالم باذن خالقها وبالجملة فان هذا الترتيب العجيب لا يليق الا في تركيب الافلاك وابتداء حركاتها وارتباط اجرامها واختلاف
اوضاعها المستبعد لاتصالها وانفصالها اترى انها مبنية على حكمة وبقدرة قدير خبير ام هي واقعة عبثا وجزافا هيهات فان من جوز في بناء رفيع
وقصر مشيد ان التراب والماء انضم احدهما الى الآخر ثم تولد منهما اللبنات ثم تولد منهما اللبنات ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها القصر ثم
تزين بنفسه بالنقوش الغريبة والرسوم اللطيفة قضى العقل له بالجنون وسجل عليه بسخافة الراي بل يعده في زمرة الانعام لا من جملة الانام الاية الثانية
خلق الارض ومن تامل في شكلها من الاستدارة وفي حيزها من كونها واقعة في مركز العالم حتى انبعث منها بوقوع الشمس عليها مخروط ظلي في مقابلة
الشمس حتى وقع القمر فيه انخسف ومن انكشاف بعضها عن كرة الماء لمكان الاستقرار عليها وفي اختلاف اوضاع بقاعها بالنسبة الى السماء حتى اختلف
مرور الشمس وسائر الكواكب بسمت رؤس قطان البلدان وتباينت الفصول والامزجة والاخلاق وتغايرت الطوالع والمطالع بحسب تغاير الآفاق
ومن سائر اعراضها ومنافعها التي نقرر طرفا منها في تفسير قوله الذي جعل لكم الارض فراشا علم افتقارها الى مدبر قدير عليم خبير واحد في ملكه
يفعل ما يشاء كما يشاء من غير منازع ومعاند الثالثة اختلاف الليل والنهار واما النهار فانه عبارة عن مدة كون الشمس فوق الافق وفي عرف الشرع
زيادة ما بين طلوع الفجر الصادق الى طلوع جرم الشمس واما الليل فعبارة عن مدة خفاء الشمس تحت الافق وبنقصان الزيادة المذكورة وذلك
الشمس اذا غابت ارتفع راس مخروط ظل الارض الى فوق فوقع الابصار داخلة الى ان يظهر الضلع المستنير منه من جانب الافق الشرقي فيكون اول الفجر الكاذب
ان كان النصف مرتفعا عن الافق بعد اول الفجر الصادق واذا قرب من الافق جدا انبسط النور حتى اذا غاب راس المخروط تحت الافق طلع مركز جرم الشمس

تحقيق معنى الخلق

تحقيق طلوع الفجر

مقابلة فظهر ان الليل والنهار كيف يختلفان اي يتعاقبان يجيء هذا ويذهب ذاك كقوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او يختلفان ظلاما وضياء او طولا و
قصرا لان زيادة احدهما يستلزم نقصان الاخر ضرورة كون مجموعهما اربعا وعشرين ساعة او كيف يختلفان في الامكنة فان نهار كل بقعة ليل
بقعة تقابلها ضرورة كروية الارض او كيف يختلفان باختلاف البلدان فان البلدان كلما ازداد عرضها عن خط الاستواء وهو الموضع المحاذي لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره في الصيف طولا وفي الشتاء قصرا وبالعكس في الليل وقد يرتقي طول النهار بحسب تزايد ارتفاع
القطب الى حيث يصير اليوم بليلته نهارا كله وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا وذلك اذا صار قطب
الفلك الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا حيث يزيد النهار الاطول على يوم بليلته لشدة البرد اللازم من قبل انخفاض الشمس وكون الليل و
النهار في نفسهما ايتين على وجود الصانع ووحدانيته ظ وكذا من جهة ارتباطهما بحركة النير الاعظم وكذا من جهة انتظام احوال العباد بهما بسبب طلب المعاش
في الايام والنوم والراحة في الليالي ومن الغرائب تعاون المتنافيين على امر واحد هو اصلاح معاش الحيوان وان اقبال الخلق في اول الليل على النوم يشبه موت
الخلائق ولا عند النفخة الاولى ويقظتهم عند طلوع الفجر يضاهي عود الحيوة اليهم في النفخة الثانية وانشقاق ظلمة الليل بظهور الفجر المستطيل فيه من عجائب الاشباه
كانه جدول ماء صاف يسيل فيما بين بحر كدر بحيث لا يمتزجان وكل هذه الامور دلائل على وجود مبدع عظيم الشان غني عن الزمان والمكان منزه عن سمات
الحدوث والامكان الرابعة الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس الفلك بالضم والسكون السفينة واحد
وجمع فضمة الواحد ضمة برد وضمة الجمع ضمة اسد وتانيث صفته ههنا يحتمل ان يكون لتضمين معنى السفينة ويحتمل ان يكون لمعنى الجمعية اي المراكب التي تجري و
التركيب يدل على الاستدارة والدوران ومنه الفلك لجسم كروي يحيط به سطحان متوازيان مركزهما واحد وفلكة المغزل وفلك ثدي الجارية استدار والبحر
خلاف البر قيل سمي بذلك لاتساعه وتعمقه ومنه يتبحر في العلم والمال ويسمى الفرس الواسع الجري بحرا ومنه قوله ص في فرس ابي طلحة ان وجدناه لبحرا وقيل من الشق بحرت
اذن الناقة شققتها ومنه البحيرة هذا وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل الذي جعل لكم الارض فراشا ان الماء يحيط باكثر جوانب القدر المعمور من
الارض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل من ذلك الماء من جانب الجنوب متصلا بالمحيط الشرقي ومنقطعا عن الغربي الى وسط العمارة خلجانات اولها اذا
ابتدئ من الغرب الخليج البربري لكونه حد بربرة من ارض الحبشة طوله من الجنوب الى الشمال مائة وستون فرسخا وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض
الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة وثانيها الخليج الاحمر طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة وستون فرسخا وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخا وبين طرفه
وفسطاط مصر الذي على شرقي النيل مسيرة ثلثة ايام على البر وعلى ضلعه الغربي بلاد الزنج من البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضة
مدينة الرسول ص لقوافل مصر والحبشة الى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الزاوية الشرقية منه وثالثها خليج فارس طوله من الجنوب الى الشمال اربعمائة
وستون فرسخا وعرضه قريب مائة وثمانين وعلى سواحل ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هنالك اليها وجملة ولاية العرب واحيائهم من الحجاز
واليمن والطائف وغيرها وبواديهم بين الضلع الغربي من هذا البحر والشرقي من الخليج الاحمر فلهذا سمي العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب وفيها مكة
زادها الله شرفا وعلى سواحل ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند ورابعها الخليج الاخضر مثلث الشكل اخذ من الجنوب الى الشمال ضلعه
الشرقي من بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران يتصل بالمحيط الشرقي وضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا وعلى سواحل هذا الضلع ولايات القنا والصين و هذا
يسمى بحر الصين ومن الزاوية الشرقية الغربية الى قريب من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولاياتهم على سواحله وايضا قد دخل الى العمارة من جانب
الغرب خليج عظيم من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب يحاذي ارض السودان وينتهي الى بلاد مصر والشام ومن جانب الشمال على بلاد اندلس والجلالقة
والسقالبة الى بلاد الروم والشام ويتشعب منه شعبة من شمال ارض الصقالبة الى ارض مسلمي البلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ وعرضه ثلثة
وثلثون آزاجا وزلك النواحي منه نحو المشرق عمارة وراء جبال غير مسلوكة واراض غير مسكونة ويتشعب منه ايضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار
المتصلة بالمحيط واما غير المتصلة فاعظمها بحر طبرستان وجيلان وباب الابواب والخزر والبسكون لكون هذه الولايات على سواحله مستطيل الشكل اخذ من
المشرق الى المغرب باكثر من مائتين وخمسين فرسخا ومن الجنوب الى الشمال تقرب من مائتين ومن عجائب البحار الحيوانات المختلفة الاعظام والانواع والاصناف
ومنها الجزائر الواقعة فيها فقد يقال ان في بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة الفا وثلثمائة وسبعين ومنها جزيرة عظيمة في اقصى البحر يقابل ارض الهند في
ناحية المشرق عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرنديب دورها ثلثة الاف ميل فيها جبال عظيمة ومنها يخرج الياقوت الاحمر وحول هذه الجزيرة تسعة
عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن وقرى كثيرة ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور وغرائب
البحر كثيرة ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض العقلاء ما رايت من عجائب البحر فقال سلامتي منه والسفينة مما الهم الله تعالى تركيبها ثم اجراها بتلك
على وجه الماء فلولا رقة الماء وخفة مادة السفينة ثم عجيب صنعتها لما تم جريها ولولا الرياح المعينة على تحركها لما تكامل النفع بها ولولا اعتدال الريح
لما سلمت من تلاطم الامواج ولولا تقوية قلوب راكبها لما صبروا على شدائد كونها ولولا انه تعالى خص كل طرف بشيء لم ينبعث الدواعي الى اقتحام الاخطار
في هذه الاسفار وحمل الامتعة الى الامصار في البراري والبحار فلا جرم ينتفع الحامل من حيث انه يربح وينتفع المحمول اليه من حيث انه يجد ما اعوزه وفي الاية
دليل على اباحة ركوب السفينة واباحة الانتفاع بالتجارة الخامسة وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها اما نزول المطر من السماء
فقد مر تحقيق ذلك في تفسير قوله تعالى او كصيب من السماء وان المراد من السماء السحاب او الفلك او من جانب السماء واما تنكير من ماء فلان الغرض الوحدة

وعرضه خمسة وثلثون فرسخا

او الصفة يعني ما هو سبب حيوة الارض لان المطر لا رض لكن قد لا ينبت شيئا كما جاء في الحديث ليس السنة بان لا تمطروا انما السنة التي تمطروا ولا تنبت ولا ريب ان
في انزال ذلك الماء دلالات على الصانع ووحدانيته حيث جعله في غاية الصفاء واللطافة والعذوبة وصيره سببا للارزاق وانزله بعد قنوط الناس منه و
شدة احتياجهم اليه واودع فيه ولهذا احيوة الارض اي حسنها ونضارتها ورواءها وبهجتها وخضرتها بخروج اصناف النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار
وانواع الاشجار والاثمار وجريان الجداول بينها والانهار بحيث تروق الناظرين وتشوق السامعين فوقتنا الربيع الازمان كحسن الصبي في الانسان وموت
الارض من ترشيح الاستعارة فانه لما عبر عن بهجتها ونضرتها وخضرتها بالحيوة عبر عن جمودها وكمودها وبقائها على الهيئة الاصلية بالموت كانها جسد
لا روح فيه فلا دواء عليه السادسة وبث فيها من كل دابة وانه معطوف على انزل فيدخل تحت حكم الصلة ويعود الضمير في فيها الى الارض لان قوله فاحيي
عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشئ الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا اي فاحيا بالمطر الارض
وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وقيل لان معاش الحيوان بل حيوته يدور على الماء وجعلنا من الماء كل شئ حي اعلم ان الحيوان اما تولدي وتوالدي وكلا الصنفين
يحتاج الى صانع فرد حكيم يحكى ان شخصا قال بحضرة عمر اني اتعجب من امر الشطرنج رقعة صغيرة ولو لعب الانسان به الف مرة لم يتفق مرتان فقال عمر ههنا
ما هو اعجب منه وهو ان مقدار الوجه شبر في شبر ثم ان مواضع الاعضاء التي فيها من الحاجبين والعينين والانف والفم لا يتغير البتة ومع ذلك لا ترى
شخصين في الشرق والغرب يشتبهان في الصورة فما اعظم تلك القدرة والحكمة التي اظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها ولولا هذه الاختلافات
لاشتبه الناس بعضهم ببعض فانقطع نظم معايشهم وحوائجهم ومن تامل كتب التشريح وقرا كتاب الحيوان وتتبع عجائب المخلوقات ووقف من تراكيبها وخواصها
على ما يقضي منه العجب يفضي الى الاعتراف بوحدانية الرب السابعة تصريفها الله تعالى الرياح مع دقتها ولطافتها وفي ذلك نفع عظيم لانتفاع الحيوان
بتنشق الهواء البارد وبجريان السفن بهبوب الرياح ومن قبل تلقيح الاشجار وسوق السحاب الى حيث يرسله الله تعالى ومن جهة تصحيح الاهوية الوبائية
الى غير ذلك من المنافع والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا اي صبا ودبورا وعلى كيفيات مختلفة
حارة وباردة وعاصفة ورخاء ومن قرا الريح بالموحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام والذي جاء في الحديث انه صلعم كان اذا هبت الريح
قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلا يدل الا على ان مواضع الرحمة بالجمع اولى كما قال تعالى ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات وقال في عاد اذ
ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يختص اللفظة في القران بشئ فيكون امارة له فمن ذلك ان عامة ما جاء في التنزيل من قوله وما يدريك مبهم غير
معين قال وما يدريك لعل الساعة قريب وما كان من لفظ ادريك فانه مفسر وما ادريك ما القارعة وما ادريك ما هية الثامنة السحاب المسخر
بين السماء والارض سمي سحابا لانسحابه في الهواء ومعنى التسخير التذليل وذلك ان طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف
طبعه بقاسر مسخر وانه لو دام لعظم ضرره من حيث انه يستر ضوء الشمس ويكثر الانداء والامطار ويتعذر التردد في الحوائج ولو انقطع لعظم ضرره
لاستلزامه الجدب والاقحاط فكان تقديره بالمقدار المعلوم والاتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند الاستغناء عنه بتدبير مسخر لا محالة وفي نفس السحاب
من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وسده الافق في لحظة وانقشاعه في اخرى واشتماله على الرعد والبرق والسحم والتطبيق
الى غير ذلك من العجائب لايات واضحة على كمال الحكمة موجده ومقدره واما قوله تعالى لايات فيحتمل ان يكون راجعا الى الكل اي مجموع هذه الاشياء
الثمانية ايات ويحتمل ان يكون راجعا الى كل واحد فان كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا فيه فكل واحدة منها من حيث انها موجودة
تدل على وجود موجدها وكونه قادرا ومن حيث انها وقعت على وجه الاحكام والاتقان تدل على علم الصانع ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت
دون وقت تدل على ارادته واختياره ومن حيث انها وقعت على الاتساق والانتظام تدل على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
واما قوله تعالى لقوم يعقلون فانما خص الايات بهم لانهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال وفي الاية من الفوائد ان التقليد مذموم وانما
الى تحقيقه سبيل وفيها ان جميع المعارف ليست ضرورية والا لم يحتج الى النظر في شئ منها وانما خص الايات الثمانية بالذكر مع ان سائر الاجسام
والاعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات لانها جامعة بين كونها دلائل وبين كونها نعما على المكلفين و
كانت الدلائل كلما كانت انجع في القلوب واشد تاثيرا في الخواطر عن رسول الله صلعم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم
الوكيل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّٰهِ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا اَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
وبعضى از مردمان هستند كه فرا گرفته اند بغير از خدا انبازها را دوست ميدارند ايشانرا چون دوستى خدا و آنان كه گرويدند بيشترست دوستى ايشان از براى خدا واگر به بينند
ظَلَمُوا اِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اَنَّ الْقُوَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعًا وَاَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ اِذْ تَبَرَّاَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
ستمكاران كه چون مشاهده كنند عذاب را كه توانگرى مختص بخداست همه و بدرستيكه خدا سخت عقوبتست وقتيكه بيزارى جويند آنها كه پيروى كردند از آنها كه پيروى كرده
وَرَاَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْاَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ اَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّاَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذٰلِكَ
و ببينند عذاب را و بريده شود بديشان سببها و گويند آنانكه تابع گشتند كاشكي بود از براى ما بازگشتنى كه بيزارى جستيم از ايشان چنانكه بيزارى جستند از ما چنين
يُرِيهِمُ اللّٰهُ اَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ القراءة ولو ترى بتاء الخطاب نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون
نمايد ايشانرا خدا كردارهاى ايشانرا پشيمانيها برايشان و نيستند ايشان بيرون آينده از آتش جهنم بالياء اذ يرون بضم الياء من الاراءة ابن عامر ان القوة وان الله بكسر الالف

بينهما يزيد وسهل ويعقوب ان تبرا بادغام الذال في التاء وكذا ما اشبهه هشام وسهل وابو عمرو وحمزه وعلى وخلف يريهم الله بكسر الهاء والميم
ابو عمرو وسهل وقرأ حمزة وعلى وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم الباقون بكسر الهاء وضم الميم مجاز حين بالامالة عباس وقتيبة لحيوا دمن النار
الوقوف كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك جميعا الا من قرأ ان فان بالكسر فيهما شديد العذاب الاسباب تبرأوا منا ط عليهم ط من النار التفسير
سبحانه تع لما قرر التوحيد بالدلائل الباهرة عقبها بتقبيح ما يضاده فبضدها يتبين الاشياء والند المثل المنادى كما سلف المراد بالانداد ههنا
هي الاصنام التي اعتقد المشركون انها تقربهم الى الله زلفى ونذروا لها النذور وقربوا لاجلها القرابين وقيل يعنى السادة الذين كانوا يطيعونهم وينزلون
على اوامرهم ونواهيهم محلين ما حرم الله ومحرمين ما احل عن السدى واستدل على تفسيره بان قوله يحبونهم فيه ضمير العقلاء ولانه من المستبعد ان يكون
محبتهم لله تع مع علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ولقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وذلك لا يليق الا بمن اتخذ العقلاء اندادا وامثالا لله
يلتزمون من تعظيمهم والانقياد لهم ما يلتزمه المؤمنون لله تع ويمكن تزييف الحجج بان ضمير العقلاء جاز عوده الى الاصنام بناء على اعتقاد الجهلة حيث
نظموها في سلك المعبود الحق قال تع وان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم وايضا علمهم بانها لا تضر ولا تنفع ممنوع ولو علموا
بذلك ما اشركوا وايضا التبرى لا يمتنع من الاصنام بدليل قوله تع ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال اهل العرفان كل شئ شغلت قلبك به سوى الله
فقد جعلته في قلبك ندا لله تع افرأيت من اتخذ الهه هواه يحبونهم اى يحبون عبادتهم والتقرب اليهم والانقياد لهم ويعظمونهم ويخضعون لهم كحب الله
من اضافة المصدر الى المفعول اى كما يحب الله على انه مصدر من المبنى للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه وهم المؤمنون لانه غير ملتبس وقيل كما يحب الله الذين
عليهم لله وقيل كحبهم الله اى يسوون بينه وبينهم في محبتهم بناء على انهم كانوا مقرين بالله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره في السراء ولا في الضراء ولا يجعلون وسايط بينهم وبينه بخلاف المشركين يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ويعبد احدهم الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهتها من حيس هو الاقط والسمن والتمر عام المجاعة
وفيهم قال الشاعر اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة واعلم ان الحب ومحبة العبد لله تع قد ورد في القرآن
والحديث كما في هذه الاية وكقوله يحبهم ويحبونه ويروى ان ابرهيم قال لملك الموت وقد جاء لقبض روحه هل رأيت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه
هل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فقال يا ملك الموت الان فاقبض وجاء اعرابي الى النبى فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ماذا اعددت لها
فقال ما اعددت كثير صلوة ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال صلعم المرء مع من احب ثم ان الائمة اختلفوا في معناها فقال جمهور المتكلمين ان المحبة نوع
من انواع الارادة لا تعلق لها الا بالجايزات فيستحيل تعلقها بذات الله وصفاته فمعنى قولنا يحب الله يحب طاعة الله وخدمته او يحب ثوابه واحسانه واما
العارفون فيقولون انا نحب الله لذاته لا لغرض ولو كان كل شئ محبوبا لاجل شئ اخر دار او تسلسل اذ كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل الشجاع لقوته
وغلبته والرجل الزاهد لبراءته وساحته عن المثالب فالله تع احق بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص ولكمال المطلوب لذاته محبوب لنفسه كلما كان الاطلاع
على دقائق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه له اتم وبحسب الترقي في درجات العرفان يزداد المحبة الى ان يستولى سلطان الحب على قلب المؤمن فيشغله
عن الالتفات بغيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر وبه يمشى وبه يتكلم بلسان الحال ليس في جبتى سوى الله فلا يعصى الله طرفة عين ولا يشتغل
بحظ نفسه لمحة بصر كما قيل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويحب الله اولياءه
ومفر به ويعادى عداته ومخالفيه ذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لعنه يتعدى لفعين ويبقى ويكرم الف الحبيب المكرم ولو يرى قرئ بالتاء
وان وان بالفتح والكسر فههنا اربعة تقديرات الاول لو يعلم الذين ظلموا انفسهم باتخاذ الانداد اذا عاينوا العذاب يوم القيمة ان القدرة كلها
لله على كل شئ من العقاب والثواب دون اندادهم وان عذاب الله للظالمين شديد لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع
العلم بظلمهم وضلالهم حذف جواب لو دليل على فخامة شان المحذوف ليذهب الوهم كل مذهب يقدر من الفظاعة مما لا يكتنه كنهه كقولهم لو رأيت
فلانا والسياط تاخذه بخلاف لو وقع التعبير عنه بلفظ معين الثاني ولو ترى يا محمد او من يتاتى منه الرؤية هؤلاء من الذين ارتكبوا الظلم العظيم
بشركهم وقت معاينتهم العذاب القدرة كلها لله وانه شديد العذاب لرأيت امرا عظيما فعلى هذا ان مع معمولها بدل من العذاب قال الفراء الوجه فيه تكرير
الرؤية اى يرون ان القوة لله جميعا الثالث بياء الغيبة وكسر ان وان معناه كالاول والجملتان معترضتان او المعنى لقيل ان القوة لله والرابع على هذا
القياس ودخول لو وكذا اذ في المستقبل مع انحقهما الدخول على الماضي نظم للمستقبل في سلك الماضي المقطوع به لصدوره عمن لا خلاف في اخباره
وقيل لان الساعة قريبة فكانها قد وقعت وكذا الكلام في اذ تبرأ وانه بدل من اذ يرون العذاب قيل هو معمول شديد المراد بالذين اتبعوا القادة والرؤساء
من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطا او الشياطين الجن الذين صاروا متبوعين بالوسوسة عن السدى وقيل الاوثان والتبرى ما بالقول وهو قرب
اما باطنه هو العجز والندم بحيث لا يغنون عن انفسهم من الله عقابه شيئا فكيف عن غيرهم ورأوا العذاب وتقطعت عطف على تبرأ بهم اى عنهم فان
التقطع في معنى الزوال ووقع تقطع الاسباب ملتبسة بهم مثل لقد تقطع بينكم بضم النون والباء للتعدية كان اسباب الوصل صارت اسباب القطع
ومصالحهم انقلبت عليهم مفاسد السبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به قالوا ولا يدعى الحبل سببا حتى ينزل ويصعد به المراد ههنا
الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب الاتباع والاتباع والعهود والعقود لو ان لنا كرة تمن ولذلك اجيب بالفاء

[illegible]

والتاء [illegible]

الواو للحال اى تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب

والجن والانس في بناء عالم خلق ويعبد غيره ويرزق ويشكر غيره فلما اجمل في الاية ما يباح اكله بل بعضها فصل ما هو محرم ليبقي ما عدا ذلك على اصل الاباحة فقيل إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما لا يحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية احلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد وقال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا فرق فيه بين ما يؤكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد يخرج بنفسه لان الميتة لا يتناوله عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وشبهوه بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان عد الكافر من الدواب لقوله تعالى إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد وهو المروي عن علي وابن مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكوة الجنين ذكوة امه قال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكوة الجنين كذكوة امه ورد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للتخريج فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانها عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير لدسومته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقول عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر ان لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب واختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين ولا يجوز تجليل الكلب ان لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كودك الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقلة الاثبات عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل صلى الله عليه وسلم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تاكلوه والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة اصحابه عدوا دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف وان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب والبعوض ونحوهما وان حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والمائعات والجبان والاطعمة تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يباح سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ماذا ترون فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل ويهراق المرق فقال ابو حنيفة بهذا نقول على شرطه ان كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسنه ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكالوذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابي حنيفة دون الشافعي ومالك لان الاية لا يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل ينجسها بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم اذا مات وحصل ذلك في جوفه فان كان متصلبا فطاهر بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا او غير مسفوح لاطلاق الاية الا الكبد والطحال للخبر عند من يقول بتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم واما لحم الخنزير فاجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظاهر وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوزه والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى فاهل المعتمر اذا رفع صوته

بالتسمية

بالتلبية فقال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته مرتد تقدم به في هذه السورة واخر في المائدة والانعام والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري مجرى الهمزة والتضعيف في افادة التعدية فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكر في سائر الآي ثم اكتفا بما ذكر في الموضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ولان النصراني اذا سمى الله تعالى فانما يريد به المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب قال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما اراد المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ما يقولون ظاهر الآية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد ماكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف نحو بغى الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهي بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد للائمة في الآية قولان احدهما واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره ان يتناوله فيعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد وغير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر وغير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الآية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفي لماهية البغي والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهب اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في آية اخرى وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى فَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كالو ترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل او حية وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه التوصل الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر واذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا ياكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير فهل له في الشبع قال عبيد الله بن الحسن العنبري ياكل منها ما يسد جوعته وعن مالك ياكل منها حتى يشبع ويتزود فان غني عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش وان ساغ اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل حينئذ لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول وحدوث مرض مخوف في جلسته كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه طوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الاغلبة الظن دون اليقين ومعنى قوله فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ رفع الحرج والضيق كما في قوله فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة وانه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم حيث وفقهم للطاعة إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة العقل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم كل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يلتبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال

شعر
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر

لانهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم ياكلون في الآخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام وكذلك

قال الشاعر هو الدرة المعلقة ... المهواه ... والجود بعد مهواه يستلزم طول العنق [illegible]

والجن والانس في بناء عظيم خلقه ويعبد غيره ورزق ويشكر غيره ولما اجمل في الاية ما يباح اكله ذيل بحصر ما هو محرم ليبقى ما عدا ذلك على الاصل الاباحة فقيل انما حرم عليكم الميتة والدم ويتناول ما مات حتف انفه وما لم يدرك ذكاته على الوجه الشرعي واذا كانت محرمة وجب الحكم بنجاستها اجماعا ولان تحريم ما ليس بمحرم ولا فيه ضرر ظاهر يدل على النجاسة وليس في الاية اجمال عند الاكثرين لان المفهوم من تحريم الميتة ليس تحريم اعيانها وان المفهوم في العرف حرمة التصرف في هذه الاجسام كما لو قيل فلان يملك جارية احلت فهم منه عرفا انه يملك التصرف فيها وعلى هذا فالاية تدل على حرمة جميع التصرفات الا ما اخرجه الدليل المخصص كالسمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد والنون واما الدمان فالطحال والكبد قال صلى الله عليه وسلم في صفة البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهذا عام لجميع الحيوانات التي لا تعيش الا في الماء وان لم تكن على صورة السمكة المشهورة ولا نفرق بين ما يؤكل نظيره في البر كالبقر والشاة وبين ما لا يؤكل كخنزير الماء وكلبه على اصح القولين للشافعي وقد زعم بعض الناس كصاحب الكشاف ان السمك والجراد مخرج بنفسه لان الميتة لا يتناولهما عرفا وعادة ولهذا من حلف لا يأكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما في الحقيقة لقوله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان كان الكافر من الدواب لقوله تعالى ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وفيه نظر لان عدم التناول عرفا انما هو بعد تخصيص الشارع فلا يمكن ان يجعل دليلا على عمومه كالجنين الذي يوجد ميتا عند ذبح الام عند الشافعي وابي يوسف ومحمد هو المروي عن علي وابن مسعود وابن عمر لقوله صلى الله عليه وسلم ذكاة الجنين ذكاة امه قال ابو حنيفة لا يؤكل الا ان يخرج حيا فيذبح وحمل الحديث على الاضمار اي ذكاة الجنين كذكاة امه ورد بان الاضمار خلاف الاصل وبانه اذا خرج لا يسمى جنينا وبانه لا يبقى للخبر فائدة لان ذلك معلوم ولما روي عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الجنين يخرج ميتا قال ان شئتم فكلوه فان ذكوته ذكوة امه كشعر الميتة وصوفها فانهما عند ابي حنيفة طاهران لقوله تعالى في معرض الامتنان ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين ولقوله صلى الله عليه وسلم في شاة ميمونة انما حرم من الميتة اكلها ولانهم كانوا يلبسون جلود الثعالب ولان الشعر والصوف لا حيوة فيه لان حكم الحيوة الادراك والشعور ومن ههنا ذهب مالك الى تحريم العظام دون الشعور وعند الشافعي الشعر والعظم ونحوهما كالقرن والظفر والسن كلها نجسة لقوله صلى الله عليه وسلم ما ابين من حي فهو ميت ولان الحيوة عندنا عبارة عن كونه غير متعرض للفساد والتعفن وهذا المعنى يعم الشعر واللحم واما الاهاب فللفقهاء فيه مذاهب سبعة فاوسع الناس قولا الزهري جوز استعمال الجلود باسرها قبل الدباغ ثم داود قال يطهر كلها بالدباغ لقوله صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر ولان الدباغ يعيد الجلد الى ما كان عليه حال الحيوة من عدم التعفن ثم مالك يطهر ظاهر كلها دون باطنها ثم ابو حنيفة يطهر كلها الا جلد الخنزير لنجاسته والادمي لكرامته ثم الشافعي يطهر الكل الا جلد الكلب والخنزير ثم الاوزاعي وابو ثور يطهر جلد ما يؤكل لحمه فقط ثم احمد بن حنبل والشيعة لا يطهر شيء منها بالدباغ لاطلاق الاية ولقوله عبد الله بن حكيم اتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بشهر الا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب اختلف في انه هل يجوز الانتفاع بالميتة باطعام البازي والبهيمة فمنهم من منع منه حتى قال بعضهم اذا اقدم البازي من عند نفسه على اكل الميتة وجب علينا منعه وجوز الشافعي استعمال النجس العين كجلد الكلب والخنزير للضرورة كمفاجاة قتال مع فقدان غيره وكدفع الحر والبرد المهلكين ولا يجوز تجليل الكلب ان لم يكن ضرورة وكذا استعمال النجس العين كدهن الميتة والخنزير والزبل للاستصباح وتسميد الارض لعموم الحاجة القريبة من الضرورة وقد نقله الاثبات عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسئل صلى الله عليه وسلم عن الفارة تقع في السمن فقال استصبحوا به ولا تأكلوه والدخان وان كان نجسا لكنه قليل معفو عنه وعند ابي حنيفة اذا مات في الماء القليل ما ليس له نفس سائلة اي دم كالذباب والبعوض والخنفساء والعقرب وبنات وردان لم يفسد الماء قل او كثر لان رطوبة هذه الحيوانات تشبه رطوبة النبات فهي حية وميتة على هيئة واحدة وعند الشافعي فيه قولان وعامة الاصحاب على ان دود الطعام من جملة ما ليس له نفس سائلة قالوا لا ينجس الطعام الذي تولد منه بموته فيه بلا خلاف فان وقع في ماء او في مائع اخر فقولان ثم الذباب والبعوض ونحوها فان حكم بطهارة ميتها فهي محرمة لانها مستقذرة مندرجة تحت عموم اسم الميتة وفي جواز اكل دود الطعام والفواكه والماء وجهان والاظهر تحريمها عند الانفراد ومع هذه الاشياء يمكن ان يسامح به سئل عبد الله بن المبارك ابا حنيفة عن طائر وقع في قدر مطبوخ فمات فقال ابو حنيفة لاصحابه ما ترون سئلة فيها فذكروا له عن ابن عباس ان اللحم يؤكل بعد ما يغسل فيهراق المرق فقال ابو حنيفة لهذا نقوله على شريطة ان كان وقع فيها في حال سكونها كما في هذه الرواية وان وقع فيها حال غليانها لم يؤكل اللحم ولا المرق قال ابن المبارك ولم ذلك قال لانه اذا سقط فيها في حال غليانها فمات فقد داخلت الميتة اللحم واذا وقع فيها في حال سكونها فمات فقد وسخت الميتة اللحم فاستحسن ابن المبارك وعند ابي حنيفة ذبح ما لا يؤكل لحمه يستعقب الطهارة وعند الشافعي لا يستعقبها كما لا يستعقب حل الاكل وكالوذبح المجوسي ماكول اللحم ولبن الشاة الميتة وانفحتها طاهران عند ابي حنيفة وزاد الشافعي ومالك لان الاية لا يتناولهما فان اللبن لا يوصف بانه ميتة بل ينجسهما بمجاورة الميتة وبيض ماكول اللحم اذا مات وعلقه في جوفه فان كان متصلبا فظاهره بعد ان يغسل والا فلا اما الدم فعند الشافعي جميعه محرم سواء كان مسفوحا لاطلاق الاية الا الكبد والطحال للخبر وعند من يقول بتناول الاية اياهما وعند من لا يقول بذلك لا تخصيص قال ابو حنيفة دم السمك ليس بمحرم وغير مسفوح واما لحم الخنزير فاجتمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وتخصيص اللحم بالذكر لان معظم الانتفاع متعلق به اما شعر الخنزير فغير داخل في الظ وان اجمعوا على تحريمه وتنجيسه واختلفوا في انه هل يجوز الانتفاع به للخرز فابو حنيفة ومحمد يجوز والشافعي لا يجوز واحتج ابو حنيفة بانا نرى المسلمين يقرون الاساكفة على استعماله من غير نكير ولان الحاجة ماسة اليه واما ما اهل به لغير الله فمعناه رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى واهل العجم اذا نحروا

بالتسليم

بالتلبية فقال العلماء لو ان مسلما ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب الى غير الله صار مرتدا وذبيحته ذبيحة مرتد تقدم به في هذه السورة واخرى في المائدة والانعام والنحل لان تقدم الباء هو الاصل لانه يجري في افادة التعدية مجرى الهمزة والتضعيف فكان الموضع الاول هو اللائق بهذا الاصل وفي سائر المواضع قدم ما هو المستنكر وهو الذبح لغير الله لهذا لم يذكره في سائر الآي ثم اكتفا بما ذكر في المواضع الاول ويستثنى مما اهل به لغير الله ذبائح اهل الكتاب اذا سمي عليها باسم المسيح مثلا لاطلاق قوله تعالى وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ولان النصارى اذا سموا الله تعالى فانما يريدون به المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول والحسن الشعبي وسعيد بن المسيب وقال مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابه اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم واذا ذبحوا على اسم الله فظاهر اللفظ يقتضي الحل ولا عبرة بما انما ارادوا المسيح عن علي كرم الله وجهه اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله فلا تأكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله تعالى قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون واعلم ان ما يقولون ظاهر الآية يقتضي ان لا يكون سوى هذه الاشياء محرما لكنا نعلم ان في الشرع اشياء اخر سواها من المحرمات فكلمة انما متروكة العمل بظاهرها والله اعلم فمن اضطر افتعل من الضر وهو الضيق اي الجئ واستثني من التحريم حالة الضرورة ولها سببان احدهما الجوع الشديد بان لا يجد مأكولا حلالا يسد به الرمق فعند ذلك يكون مضطرا الى اكل المحرم الثاني اذا اكرهه على تناوله مكره فيحل له تناوله اكره عليه والاضطرار ليس من افعال المكلف حتى يقال انه لا اثم عليه فيه فلا بد من اضمار وهو الاكل اي فمن اضطر فاكل فلا اثم عليه وانما حذف للعلم به وغير ههنا بمعنى لا النافية كانه قيل فمن اضطر لا باغيا ولا عاديا والبغي في اللغة الظلم والخروج عن الانصاف نحو بغى الجرح ورم وترامى الى فساد وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي والعدوان الظلم الصراح وتجاوز الحد وللائمة في الآية قولان احدهما واليه ذهب ابو حنيفة تخصيص البغي والعدوان بالاكل وعلى هذا فالمعنى غير باغ بان يجد حلالا يكره له النفس فعدل الى اكل الحرام للذته ولا عاد اي متجاوز قدر الرخصة للذة ولا عاد متجاوز سد الجوعة عن الحسن وقتادة والربيع وابن زيد غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد في سد الجوعة والثاني واليه ذهب الشافعي والامامية غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحققين ويتفرع على الاختلاف ان العاصي بسفره هل يترخص ام لا فعند ابي حنيفة يترخص لانه مضطر غير باغ ولا عاد في الاكل وعند الشافعي لا يترخص لانه موصوف بالعدوان ويؤيده الآية الاخرى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم وايضا غير باغ ولا عاد حالان من الاضطرار فلا بد ان يكون وصف الاضطرار بهما باقيا في الحالين وليس كذلك لانه حال الاكل لا يبقى وصف الاضطرار وايضا الانسان نفور بطبعه عن تناول الميتة والدم فلا حاجة الى النهي عن التعدي في الاكل وايضا انه نفى ماهية البغي والعدوان وانما ينتفي عند انتفاء جميع افرادها ويتحقق نفي العدوان في السفر كما هو مقصودنا واما تخصيص البغي بالاكل كما ذهب اليه فترجيح من غير دليل حجة ابي حنيفة قوله تعالى في آية اخرى وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وهذا الشخص مضطر فوجب ان يترخص وايضا قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ والامتناع عن الاكل سعي في قتل النفس فيحرم كالوترك دفع اسباب الهلاك عن نفسه اذا صال عليه جمل او فيل وحية وايضا الضرورة تبيح تناول طعام الغير من دون الرضا بل على سبيل القهر وهذا التناول محرم لولا الاضطرار فكذا ههنا اجاب الشافعي بانه يمكنه الوصول الى استباحة هذه الرخص بالتوبة فاذا لم يتب فهو الجاني على نفسه ثم ان الرخصة اعانة على السفر فاذا كان السفر معصية فالرخصة اعانة على المعصية والسعي في تحصيل المعصية محظور فالجمع غير ممكن ثم اتفق الامامان على ان المضطر لا يأكل من الميتة الا قدر ما يمسك به رمقه الا اذا عجز عن السير ويهلك فيتناول الشبع وقال عبيد الله بن الحسن العنبري يأكل منها ما يسد جوعته وعن مالك يأكل منها حتى يشبع ويتزود فان غني عنها طرحها والاول اقرب لان سبب الرخصة اذا كان الالجاء فمتى ارتفع الالجاء ارتفعت الرخصة كما لو وجد الحلال لم يحل له تناول الميتة كما ان الجوعة في الابتداء لا تبيح اكل الميتة اذا لم يخف ضررا بتركه وهذه الرخصة شاملة لجميع المحرمات عند الاكثرين وبعضهم خصصها بما سوى لحم الخنزير والشافعي منع عن شرب الخمر لشدة العطش ولاساغة اللقمة وفي التداوي بها وجهان وبسائر المحرمات يجوز ولا يجب الامتناع الى ان يشرف على الموت فان الاكل ح لا ينفع بل لو انتهى الى تلك الحالة لم يحل له التناول وحدوث مرض مخوف في جنسه كخوف الموت وهكذا ان كان يخاف منه لطوله وتماديه ولا يشترط في جميع ذلك الا غلبة الظن دون التيقن ومعنى قوله فلا اثم عليه رفع الحرج والضيق كما في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما ورفع الحرج قدر مشترك بين الواجب والمندوب والمباح فلا ينافي وجوب الاكل في حالة الاضطرار ومعنى قوله إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ان المقتضي للحرمة قائم الا انه زالت الحرمة لوجود العارض فلما كان تناوله تناول ما حصل فيه المقتضي للحرمة ذكر بعده المغفرة ثم ذكر انه رحيم يعني لاجل الرحمة ابحت لكم ذلك ولعل المضطر يزيد على تناول قدر الحاجة فهو سبحانه غفور بان يغفر ذنبه في تناول الزيادة رحيم حيث اباح تناول قدر الحاجة وانه لما بين هذه الاحكام فالمكلفون بالنسبة اليها اما ان يعصوا فذكر انه غفور لهم اذا تابوا او يطيعوا فهو رحيم حيث وفقهم للطاعة إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ عن ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب ونحوهما كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضول وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث من غيرهم خافوا ذهاب ماكلتهم وزوال رياستهم فعمدوا الى صفة رسول الله صلعم فغيروها ثم اخرجوها اليهم وقالوا هذا نعت نبي آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي الذي بمكة فاذا نظرت السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة النبي صلعم فلا يتبعونه ويشترون به اي بالكتمان لدلالة العقل عليه او بالمنزل وقد سبق معنى الاشتراء والثمن القليل في بطونهم اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقولهم اكل الدم اي الدية التي هي بدل منه قال أكلتُ دماً إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر انهم كانوا يستنكفون عن اخذ الدية وبعيدة مهوى القرط كناية عن طول العنق ويمكن ان يقال انهم يأكلون في الآخرة النار لاكلهم في الدنيا الحرام

ذلك

فان تعرطه هو الدرة المعلقة من الاذن والمهواة والهواء الجو وبعد مهواه يستلزم طول العنق

ولا يكلمهم بما يحبون لانهم كتموا كلامه في الدنيا بل يقول اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا يكلمهم اصلا لغضبه عليهم كما هو دأب الملوك من الاعراض عند السخط
ولا اقبال عند الرضاء ولا يزكيهم بالثناء عليهم وبقبول اعمالهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بيان لتماديهم في الخسارة فان احسن الاشياء في
الدنيا الاهتداء والعلم واقبحها الضلال والجهل وفي الاخرة انفع الاشياء المغفرة واضرها العذاب فهم في خسران الدارين لاستبدالهم في الدنيا اقبح
الامور باحسنها وفي الاخرة اضر الاشياء بانفعها فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في تلبسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فان الراضي بموجب
الشيء لابد ان يكون راضيا بمعلوله ولازمه اذا علم ذلك اللزوم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن هذا التعجب
منهم في حال التكليف واشترائهم الضلالة بالهدى وعن الاصم ان المراد انهم اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فهم يسكتون ويصبرون على النار لليأس من الخلاص
وضعف بانه خلاف الظاهر وبان اهل النار قد يقع منهم الجزع والاستغاثة وقيل ان ما في ما اصبرهم للاستفهام بمعنى التوبيخ معناه اي شيء صبرهم عليها
حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا اصل معنى فعل التعجب والتعجب استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء هذا هو الاصل ثم قد يستعمل
لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب كما في حق الله تعالى ذلك الوعيد الشديد وذلك الكتمان وسوء معاملتهم بما هو بسبب ان الله نزل الكتاب
يعني جنس الكتب التورية والقران بالحق بالصدق وببيان الحق وقد نزل في جملة ما نزل ان هؤلاء الرؤساء من اهل الكتاب لا يؤمنون ولا يكون منهم الا الاصرار
على الكفر فانه تعالى ختم على قلوبهم وان الذين اختلفوا في الكتاب بجنسه فقالوا في البعض حق وفي البعض باطل هم اهل الكتاب لفي شقاق وخلاف بعيد عن
الحق او الذين اختلفوا في القران فقال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين او الذين اختلفوا في التورية والانجيل فقدح كل منهما في
الاخر وذكر كل منهما للايات الدالة على نبوة محمد صلعم تاويلا اخر فاسدا او حرفوا كلا منهما على وجه اخر لاجل عداوتهم فانهم فيما بينهم في شقاق بعيد زعم منا
شديد فلا ينبغي ان تلتفت الى اتفاقهم على العداوة فانه ليس فيما بينهم مؤالفة وموافقة وعن ابي مسلم اختلفوا في الكتاب اي توارثوه مثل اختلاف
الليل والنهار اي في تعاقبهما واعلم ان الاية وان نزلت في اهل الكتاب لكنه يشبه ان يكون عامة في كل من كتم شيئا من باب الدين فيكون حكما ثابتا للمسلمين ويصلح
ان يتمسك بها القاطعون بوعيد اصحاب الكبائر وكان السبب في تعقيب هذا الحكم الحكم الاول ان اهل الكتاب قد حرموا بعض ما احل الله كلحوم الابل و
البانها واحلوا بعض ما حرم الله كبعض الشحوم فسيقت الاية تعريضا بصنيعهم بضرب مجازاتهم وجزاء اضرابهم والله اعلم التاويل الميتة جيفة الدنيا
والدم هي الشهوات النفسانية فان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وقال صلعم سدوا مجاري الشيطان بالجوع ولحم الخنزير مادة الشره والحرص وما
اهل به لغير الله كل ما يتقرب به الى الله رياء وسمعة قوله تعالى لَيْسَ الْبِرَّ اَنْ تُوَلُّوْا وُجُوْهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ
نيست خوبي آنكه بگردانيد روهاي خود را بجانب مشرق و مغرب وليكن خوبي آنست كسي بگرود
بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ وَاٰتَى الْمَالَ عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِي الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ
بخدا وروز واپسين و فرشتگان وكتابها وپيغمبران وبدهد مال خود را بر دوستي خدا صاحبان خويشي ويتيمان وفقيران وراه گذاران
وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِي الرِّقَابِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَالْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِي الْبَاْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ
وگدايان ودر رهانيدن بندگان وانكه بر پا داشت نماز را وداد مال زكوة را ووفا كنندگان بپيمان خود را چون پيمان بستند وتحمل كنندگان در تنگدستي وناخوشي
وَحِيْنَ الْبَاْسِ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ القراءة ليس البر بنصب الراء حمزة وحفص الخراز عن هبيرة الباقون
ودر هنگام بدحالي گروه انانند كه راستي كردند وانگروه ايشانند پرهيزگاران
بالرفع ولكن خفيفا البر رفعا وكذلك فيما بعد نافع وابن عامر الباقون
بالتشديد والنصب الوقوف والنبيين ج لطول الكلام واختلاف المعنى لان ما قبله اصول الايمان وما بعده فروع وفي الرقاب ج للطول مع انتهاء شرع
المكارم وابتداء اللوازم الزكوة ج عاهدوا ج للعدول عن النسق الى المدح والتقدير هم الموفون ط على الصابرين الباس ط صدقوا ط المتقون التفسير
هذا حكم اخر من احكام الاسلام عن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا سأل النبي صلعم عن البر فانزل الله تعالى هذه الاية قال وقد كان الرجل قبل الفرائض اذا شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ثم مات على ذلك وجبت له الجنة وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي
يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب صرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وعلى هذا فالخطاب عام وقيل الخطاب
لاهل الكتاب لان المشرق قبلة النصارى والمغرب قبلة اليهود وانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وزعم كل من الفريقين ان البر هو
التوجه الى قبلته فرد عليهم بان ما انتم عليه خارج من البر اما اولا فلانه منسوخ واما ثانيا فلانه على تقدير صحته شرط من شرائط اعمال البر لان من
جملتها الصلوة واستقبال القبلة شرط فيها ولن يكون شرط جزء الشيء تمام حقيقة ذلك الشيء وذلك ان البر اسم جامع للطاعات واعمال الخير
المقربة الى الله ومنه بر الوالدين وهو ضد العقوق بكل ما امكن والتركيب يدل على الاتساع ومنه البر خلاف البحر قيل ان قراءة رفع البر اولى ليكون
الاسم مقدما على الخبر على الاصل وقيل بالنصب اولى لان ان مع صلتها يشبه المضمر في انها لا توصف والمضمر ادخل في الاختصاص من المظهر فهو اولى
بان يكون اسما ولكن البر من امن على تقدير حذف المضاف اي بر من امن وقيل البر بمعنى البار مثل رجل صوم اي صائم وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القران
لقرأت ولكن البر بفتح الباء قال في التفسير الكبير انه تعالى اعتبر في تحقق ماهية البر امورا الاول الايمان بامور خمسة اولها الايمان بالله ولن يحصل العلم بالله الا عند
العلم بذاته المخصوصة والعلم بما يجب ويجوز ويستحيل عليه ولن يحصل العلم بهذه الامور الا عند العلم بالدلائل الدالة عليها فيدخل فيها العلم بحدوث العالم

التقدير هكذا ولكن ذا البر من امن وقيل غيره تم

والعلم بالصو

والعلم بالاصول التي عليها يتفرع حدوث العالم ويدخل في العلم بما يجب لله من الصفات العلم بوجوبه وقدمه وبقائه وكونه عالما بكل المعلومات قادرا على
كل الممكنات حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما ويدخل في العلم بما يستحيل عليه العلم بكونه منزها عن الحالية والمحلية والتحيز والعرضية ويدخل في العلم بما يجوز
عليه اقتداره على الخلق والايجاد وبعثة الرسل ثانيها الايمان باليوم الآخر ويتفرع على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات قادرا على كل الممكنات ثالثها
الايمان بالملائكة ورابعها الايمان بالكتب السماوية وخامسها الايمان بالنبيين سبب هذا الترتيب ان للمكلف مبدأ ووسطا ونهاية ومعرفة المبدأ
والمنتهى هو المقصود بالذات اعني الايمان بالله واليوم الآخر واما معرفة مصالح الوسط فلا تتم الا بالرسالة وهي منوطة بالوحي الذي يأتي به الملك
فثبت ان كلا يلزم المكلف المقصد وثانيها قوله وآتى المال على حبه اي على حب المال عن ابي هريرة انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل فقال
ان تصدق وانت صحيح حريص تأمل البقاء وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وعن ابي الدرداء انه قال مثل
الذي يتصدق عند الموت مثل الذي يهدي بعدما يشبع والسبب فيه ان عند الصحة يحصل الحاجة الى المال وعند الموت يحصل الاستغناء وبذل الشيء عند الاحتياج
ادل على الطاعة من بذله عند الاستغناء وايضا عند الصحة ادل على كونه متيقنا بالوعد والوعيد وقيل الضمير في حبه للايتاء او لله والايتاء في الحبة
الحبة من الموت وقيل الضمير يرجع الى الايتاء اي يعطي وهو طيب النفس باعطائه وقيل يرجع الى الله اي يعطيه المال على حبه وطلب مرضاته ثم ذكر
سبحانه ستة اصناف من المؤتين المال على الترتيب ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وقد مر ما يتعلق بكل منهم في تفسير قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وانما قدم ذوي القربى لانهم احق فانه صلى الله عليه وسلم قال صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة
لما كان استحقاقه بالقرابة والوراثة في الحكمية قال الملك الوصية حتى لا يتمكن من الوصية الا في الثلث فلم يكن ذوي القربى والمساكين الا اذا كانوا فقراء
الا انا نقول الله تعالى قدم اليتامى على المساكين لان الصغير الفقير الذي لا والد له ولا كاسب منقطع الحيلة من كل الوجوه والرابع من الاصناف ابن السبيل المسافر
المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للطير ابن الماء والشجاع اخو الحرب وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف
به خامسهم السائلون وهم المستطعمون ويدخل فيه المسلم والكافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس سادسهم المكاتبون
واشار اليه بقوله وفي الرقاب اي في معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل ابتياع الرقاب لتعتقها وقيل فك الاسارى والرقاب جمع الرقبة
وهو مؤخر اصل العنق واشتقاقها من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا يقال اعتق الله رقبته ولا
يقال اعتق الله عنقه الثالث والرابع وقوله واقام الصلاة وآتى الزكاة وقد سلف مباحثهما الا ان الزكاة المذكورة يحتمل الزكاة المفروضة والمال المذكور قبلها
الزكاة وحمل الزكاة على التطوع فيكون معطوفا على الصدقة مع ذكر الصلاة وما يلزم من الايمان بالله واليوم الآخر من بيان
شعبان ونحوه والحجة لا خلاف انه اذا انتهت الحاجة الى الضرورة وجب على الناس ان يعطوه مقدار دفع الضرورة وان لم يكن الزكاة واجبة عليهم
ولو امتنعوا من الاعطاء جاز الاخذ منهم قهرا ومما روي عن علي ان الزكاة نسخت كل حق كان من الحقوق المقدرة ثم ان الذي يلزم التصدق عند
والنفقة على الاقارب على المملوك الخامس قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وهو مرفوع على المدح اي هم الموفون او عطف على من آمن والمراد
ما اخذه الله من العهود على عباده بقولهم وعلى السنة رسله اليهم بالقيام بحدوده والعمل بطاعته فقبل العباد ذلك حيث آمنوا بالانبياء والكتب
ويندرج فيه ما يلتزمه المكلف ابتداء من تلقاء نفسه مما يكون بينه وبين الله كالنذر والايمان وبينه وبين رسول الله كبيعة الرضوان بايعوه
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ينازعوا الامر اهله وان يقوموا بالحق حيثما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم وبينه وبين الناس واجبا كالعقود او مندوبا كالمواعيد فلهذا قال المفسرون ههنا هم الذين اذا وعدوا انجزوا واذا حلفوا ونذروا اوفوا واذا ائتمنوا ادوا واذا قالوا صدقوا السادس
والصابرين في البأساء والضراء وهو نصب على المدح والاختصاص اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال قال ابو علي الفارسي
اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح والذم فالاحسن ان تخالف باعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع
الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان المقصود اكمل لان الكلام عند اختلاف الاعراب يصير كانه انواع من الكلام و
ضروب من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة وذكر المحققون في فائدة اختلاف الحركة للمدح والذم ان اصل المدح
والذم من كلام السامع وذلك ان الرجل اذا اخبر غيره فقال له قام زيد فربما اثنى السامع على زيد فقال ذكرت والله الظريف وذكرت العاقل اي فهو
والله الظريف هو العاقل فاراد المتكلم ان يمدحه بمثل ما مدحه به السامع فجرى الاعراب على ذلك والمراد بالطريف والعاقل والبأساء الفقر والشدة
والضراء المرض والزمانة وهما فعلاء من البؤس والضر لا افعل لهما لانهما اسمان وحين البأس القتال في سبيل الله والجهاد واصل البأس الشدة
الذين صدقوا في ايمانهم وجدوا في الدين واولئك هم المتقون نظيرها في الجملتين في القطع للاستيناف قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون كانه قيل للمستقلين بهذه الصفات وصفوا بالبر الذي هو اسم لكل خير او حاجة او الوفاء الموصوفين بهم تقدم صدقوا في الاسلام وهم المتقون
بسمة التقوى كل منهما منطو على جميع الخيرات متضمن لكل المأمورات والمنهيات فلهذا اتصفوا بتلك الصفات ذكر ابو علي ههنا ان الواو
في هذه الاوصاف للجمع فمن شرائط البر وتمام شرط البار ان يجتمع فيه هذه الاوصاف ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر فلا ينبغي ان يظن
الانسان ان الموفي بعهده من جملة من قام بالبر وكذا الصابر في البأساء بل لا يكون قائما به الا عند استجماع هذه الخصال حتى قال بعضهم ان البر من خواص

التأويل

الانبياء والحواريين بعد ان يوجد الامر موصوفا بالبر الا ان كمال البر لا يكون الا في المتقي ولا سيما بنبينا محمد ثم ان اهل الكتاب كانوا اخلوا بجميع وصايا البر اخلوا بالايمان بالله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة وذهب اليهود الى التجسيم والنصارى الى الحلول والاتحاد وانكروا المعاد الجسماني وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقالوا ان جبرئيل عدونا وكفروا بالكتب السماوية أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقتلوا النبيين وطعنوا في نبوة سيد المرسلين واتبعوا السبع الشح حتى اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ولا يوفون بعهدهم ونقضوا العهد كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ولم يصبروا في اللأواء لن نصبر على طعام واحد ولا حين البأس فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فالعجب كل العجب منهم حيث ادعوا البر ولا شيء ولا واحد من اجزائه فيهم وهذه غاية الوقاحة ونهاية العناد والله بصير بالعباد التأويل ليس البر بركم بتولية وجوهكم قبل المشرق والمغرب لكن البر الحقيقي هو بر معكم بتوليته وجوه ارواحكم بجذبات المحبة قبل الحضرة الربوبية المحبوبية لتؤمنوا بالله لان نوره يحبكم ويحبونه والملائكة يحبونكم يحبهم لكم ويحبكم لهم ليس بحدث كبركم بل هو بر قديم في الكتاب لقديم وبنور هذه المحبة تحبون اهل محبته وهم النبيون فالجنسية علة الضم وآتى المال على ما حصل للعبد من بر الجنة وما مال اليه سره من عواطف الحق بنفقه على حب حبيبه باداء حقوق الشريعة والطريقة بالمعاملات القالبية والقلبية ذوي القربى وهم الروح والقلب والسر وذرائر الحق واليتامى المتولدات من النفس الحيوانية الامارة بالسوء اذا ماتت النفس من صفاتها بسطوات تجلي صفات الحق والمساكين وهم الاعضاء والجوارح وابن السبيل القوى البشرية والحواس الخمس فانهم في التردد والسفر الى عوالم المعقولات والخيالات والمحسوسات والموهومات والسائلين الدواعي الحيوانية والروحانية وفي الرقاب في فك رقبة السر عن اسر تعلقات الكونين ثم اقام صلوة الحاضرة مع الله بالله وآتى الزكوة هو موتى الحق الى اهل استحقاقها من الخلق وهم الموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الله بالتوحيد العبودية الخالصة يوم الميثاق والصابرين في البأساء مراعاة الحقوق والضراء مخالفات الحظوظ وفناء الوجود عند لقاء الشهود وحين البأس سطوات تجلي صفات الجلال اولئك الذين صدقوا ببذل الوجود واولئك هم المتقون من شرك الانانية والله اعلم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد

ای گروه مردمان ایمانی که نوشته شد بر شما قصاص در کشتگان و آن چنانست که آزاد بآزاد و بنده به بنده

والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن

و زن بدل از زن پس هر که بخشیده شد قصاص برادر خود پس در دیه متابعه معروف است و واگذاردنی است و احسان این سبکباریست از جانب خدا و مهربانیست پس هر که

اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون الوقوف في القتلى ط بالانثى ط

در گذشت بعد از این پس مراو راست عذابی دردناک و مر شما راست در قصاص زندگی ای صاحبان خرد که شاید شما پرهیز کنید

لان العفو وعطاء الدية صلحا كان خارجا عن اصل موجب القتل مستأنفا باحسان طو رحمة ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وفرعه فكان مستأنفا اليم تتقون التفسير هذا حكم آخر وسببه ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط والنصارى يوجبون العفو فقط فاما العرب فتارة كانوا يوجبون القتل واخرى يوجبون الدية لكنهم كانوا يظهرون التعدي في كل واحد من الحكمين فاذا وقع القتل بين قبيلتين كان يقول الشريف للخسيس لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منا الرجلين منهم وكانوا يجعلون جراحاتهم ضعف جراحات خصومهم وربما زادوا على ذلك على ما يروى ان رجلا قتل رجلا من الاشراف ثم اجتمع اقارب القاتل عند والد المقتول فقالوا ماذا تريد فقال احدى ثلث قالوا وما هي قال تحيون ولدي او تملأون داري من نجوم السماء او تدفعون الى جملة قومكم حتى اقتلهم لا ارى اني آخذ عوضا وكانوا يجعلون دية الشريف ضعف دية الخسيس فبعث الله محمدا بالعدل وسوى بين عباده في القصاص وقيل نزلت في واقعة قتل حمزة ومعنى كتب فرض واوجب كقوله كتب عليكم الصيام ولفظة على ايضا تفيد الوجوب كقوله ولله على الناس حج البيت والقصاص ان تفعل بالانسان مثل ما فعل من قولك تقص فلان اثر فلان اذا فعل مثل فعله ومنه القصة لان الحكاية تساوي المحكي والمقص لتعادل جانبيه وقوله في القتلى اي بسبب قتل القتلى كقوله في النفس المؤمنة مائة ابل اي بسببها فظاهر الآية يدل على وجوب القصاص على جميع المؤمنين بسبب جميع القتلى الا انهم اجمعوا على ان غير القاتل خارج عن هذا العموم واما القاتل فقد دخله التخصيص ايضا في صور كما اذا قتل الوالد ولده والسيد عبده او المسلم حربيا او معاهدا او مسلم مسلما خطاء الا ان العام الذي دخله التخصيص يبقى حجة فيما عداه فان قيل لو وجب القصاص لوجب اما على القاتل ليس عليه ان يقتل نفسه بل يحرم عليه ذلك واما على ولي الدم وهو مخير بين الفعل والترك بل هو مندوب الى الترك والعفو عن القاتل واما على اجنبي لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا القصاص عبارة عن التسوية ووجوب غاية المساواة على تقدير القتل لا يوجب نفس القتل قلنا عن الاول المراد ايجاب اقامة القصاص على الامام ومن يجري مجرى الامام لانه متى حصلت شرائط وجوب القود فانه لا يحل للامام ان يترك القود وهو من جملة المؤمنين فالتقدير يا ايها الائمة كتب عليكم استيفاؤه بل للزاني والسارق والمحارب من الحدود ولهما ايضا ان يستر الله فلا يعتر فان كان امر القتل شنع وفيه حق الآدمي كثر وعن الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ايجاب التسوية في القتل والتسوية في القتل صفة للقتل وايجاب الصفة يقتضي ايجاب الذات فالآية تفيد ايجاب القتل ثم اختلفوا في الكيفية المماثلة التي تجب عاينها فقال الشافعي ان كان قتله بقطع اليد قطعت يد القاتل فان مات عنه في تلك المدة والاجزت رقبته وكذلك ان احرقه بالنار احرق الثاني

في تعريف القصاص

مات في تلك المرة والاخرى دفعة روى انه صلى الله عليه وسلم قال من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه ورضخ يهودي راس جارية بالحجارة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يفعل به مثله
ولانه يجوز ان يقال كتب التسوية في القتلى الا في كيفية القتل حيث لم يستثن دخل وايضا الحكم بالعموم يوجب التخصيص في بعض الصور كما لو قتل بالسحر
لانه محرم بل بالسيف وكما لو قتل صغيرا باللواط فانه يقتل بالسيف على الاصح ولو لم يحكم بالعموم لزم الاجمال والتخصيص اهون منه وايضا لو لم يفد الاية
الا ايجاب التسوية في امر من الامور فلا شيئين الا وهما متساويان في بعض الامور فلا يستفاد من الاية شئ البتة وقال ابو حنيفة المراد بالمماثلة
مماثلة النفس وتعين السيف ولقوله صلى الله عليه وسلم لا قود الا بالسيف واتفقوا على ان القاتل ذا المرتب واصر على ترك التوبة فان القصاص مشروع في حقه عقوبة
اما اذا تاب فقد اتفقوا على انه لا يجوز ان يكون عقوبة للدلائل الدالة على قبول التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فما الحكمة في وجوب قتله
اصحابنا بانه يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل وقالت المعتزلة انما شرع ليكون لطفا وكيف يتصور هذا اللطف ولا تكليف بعد القتل قالوا انه
منفعة القاتل من حيث انه اذا علم انه لا بد ان يقتل صار ذلك داعيا له الى الخير وترك الاصرار والتمرد ومنفعة لولي المقتول من حيث التشفي ومنفعة لسائر
المكلفين من حيث الانزجار عن القتل قوله عز من قائل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى الباء للبدل تقديره هذا بذاك اي الحر مقتول
بدل الحر ثم فيه قولان الاول يروى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة ان لا يكون القصاص مشروعا الا بين الحرين وبين الانثيين وبين العبدين
لان الالف واللام يفيد العموم اي كل حر يقتل بحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعا لكان ذلك الحر مقتولا بغير حر وهو يناقض الاية ولان هذا القول
خرج مخرج البيان لقوله كتب عليكم القصاص وايجاب القصاص على الحر بقتل العبد اهمال للتسوية فلا يكون مشروعا والى هذا ذهب الشافعي ومالك
وقالا انما قتل العبد بالعبد فلا يقتل بالحر وهو قول الحكم والقول في قتل الانثى بالذكر واما قتل الذكر بالانثى فليس فيه الا الاجماع وكان سنده ان
الذكورة والانوثة تفضيلنا نحو العلم والجهل والشرف والخسة فكما انه لم يفرق بين العالم والجاهل فكذلك بين الذكر والانثى ويروى عن عمرو بن حزم ان
النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن ان الذكر يقتل بالانثى القول الثاني ويروى عن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهذا مذهب ابي حنيفة ان الحر
بالحر لا يفيد الحصر البتة بل يفيد شرع القصاص بين المذكورين من غير ان يكون فيه دلالة على حال سائر الاقسام لان قوله والانثى بالانثى يقتضي قصاص
الحرة بالمرأة الرقيقة فلو كان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد مانعا من ذلك تناقض وايضا قوله كتب عليكم القصاص جملة مستقلة وقوله الحر بالحر تخصيص
لبعض جزئيات تلك الجملة بالذكر فلا يمنع من ثبوت الحكم في سائر الجزئيات ويؤيد ما ذكرنا قوله تعالى النفس بالنفس وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم
وقد يقتل الجماعة بواحد فدل على ان التفاضل غير معتبر في الانفس ثم انهم قالوا الفائدة في تخصيص هذه الجزئيات بالذكر ما ذكرنا في سبب النزول
انهم كانوا يقتلون بالعبد منهم الحر من قبيلة القاتل فمنعوا عن ذلك وايضا نقل عن علي رضي الله عنه والحسن البصري ان هذه الصورة هي التي يكتفى فيها بالقصاص اما
في سائر الصور وهي ما اذا كان القصاص واقعا بين الحر والعبد وبين الذكر والانثى هناك لا يكتفى بالقصاص بل لا بد من التراجع فايما حر قتل عبدا
فهو قود به فان شاء موالي العبد ان يقتلوا قتلوه بشرط ان يسقطوا قيمة العبد من دية الحر ويؤدوا الى اولياء الحر بقيته وان قتل عبد حرا فهو به قود
فان شاء اولياء الحر قتلوا العبد واسقطوا قيمة العبد من دية الحر وادوا بعد ذلك الى اولياء الحر بقية ديته وان شاؤا اخذوا كل الدية وتركوا قتل العبد
وان قتل رجل امرأة فهو بها قود فان شاء اولياء المرأة قتلوه وادوا بعد ذلك نصف الدية الى اوليائه وان شاؤا تركوا قتله واخذوا ديتها واذا
قتل امرأة رجلا فهي به قود فان شاء اولياء الرجل قتلوها واخذوا نصف الدية وان شاؤا تركوها واخذوا كل الدية فعلى هذا الغرض من الاية
ان الاكتفاء بالقصاص مشروع بين الحرين والعبدين والذكرين والانثيين فاما عند اختلاف الجنس فالاكتفاء بالقصاص غير مشروع قوله
تعالى فمن عفي له من اخيه شئ المعنى فمن عفي له من جهة اخيه شئ من العفو كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شئ في معنى
المفعول به لان عفى لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة فان قيل ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له والجواب انه يتعدى بعن الى
الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال تعالى عفا الله عنك فاذا تعدى الى الذنب والى الجاني معا قيل عفوت لفلان عما جنى
كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه فمعنى الاية فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية وانما قيل شئ من العفو ليعلم انه اذا عفي له طرف
من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم وعفى عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم يجب الا الدية واخوه هو ولي المقتول وانما قيل له
اخوه لانه لابسه من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما يقول الرجل قل لصاحبك كذا اذا كان بينهما ادنى تعلق وذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما
على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام وقد يستدل بهذا على ان الفاسق مؤمن لانه تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وبين ولي الدم
ولا شك ان هذه الاخوة بسبب الدين انما المؤمنون اخوة مع ان قتل العمد العدوان بالاجماع من الكبائر وايضا انه تعالى ندب الى العفو عن القاتل و
العفو انما يليق عن المؤمن ويحتمل ان يجاب ان القاتل قبل اقدامه على القتل كان مؤمنا فلعله تعالى سماه مؤمنا بهذا التاويل وبان القاتل قد يتوب
وعند ذلك يكون مؤمنا ثم انه تعالى ادخل غير التائب فيه على سبيل التغليب وايضا لعل الاية نازلة قبل ان يقتل احد احدا ولا شك ان المؤمنين اخوة
قبل الاقدام على القتل وايضا الظاهر ان الفاسق يتوب وعلى هذا التقدير يكون ولي المقتول اخا له وايضا يجوز ان يكون قد جعله اخا له في النسب كقوله
والى عاد اخاهم هودا فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وحكمه اتباع او فعليه اتباع فيقبل على العافي اتباع بالمعروف بان لا يشدد في الطلب
بل يجري فيها على العادة المألوفة فان كان معسرا فالنظرة وان كان واجدا لعين المال فانه لا يطالبه بالزيادة على قدر الحق وان واجد

المال الواجب وفي الامهال الى ان يتيسر له ان لا يمنعه بسبب الاتباع عن تقديم الاهم من الواجبات على المعفو عنه اداء اليه باحسان بان لا يدعي الاعدام في حال الامكان ولا يؤخره مع الوجود ولا يقدم ما ليس بواجب عليه ان يؤدي ذلك الى اعلى الشهود الى الاقتدار وقول جميل من غير مطل ولا بخس هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل هي على المعفو عنه فانه يتبع عفو العافي بمعروف ويؤدي ذلك المعروف اليه باحسان ذلك قيل اشارة الى الاتباع والاداء وعن ابن عباس وهو الاقرب انه اشارة الى الحكم بشرع القصاص والدية والعفو فان هذه الامة خيرت بينهن توسعة وتيسيرا ولم يكن للامم القصاص فقط في التوراة الا العفو وفي الانجيل تخفيف من ربكم ورحمة رخصة لان ولي الدم قد يكون الدية اثر عنده من القود اذا كان محتاجا الى المال وقد يكون القود اثر عنده اذا كان راغبا في التشفي ودفع شر القاتل عن نفسه وقد يؤثر ثواب الآخرة فيعفو عن القصاص وعن بدله جميعا وهو الدية فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف وتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او دونه او قتل بعد اخذ الدية او العفو فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه الدية كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية وهو مذهب الحسن وسعيد بن جبير وضعفه غيرهم ولما كانت الآية مشتملة على ايلام العبد الضعيف وانه لا يليق بكمال الرحمة عقبها بقوله ولكم في القصاص حيوة قال المفسرون ان القصاص من ازالة الشيء لا يكون نفس ذلك الشيء فالمراد لكم في شرع القصاص حيوة واي حيوة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويحتمل ان يقال نفس القصاص سبب لنوع من الحيوة وهي الحاصلة بالارتداع عن القتل لان القاتل اذا قيد منه ارتدع من كان يهم بالقتل فلم يقتل ثم يقتل فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب هذا وقد اتفق علماء البيان على ان قوله سبحانه في القصاص حيوة بلغ في الايجاز نهاية الاعجاز وذلك ان العرب عبروا عن هذا المعنى بالفاظ كثيرة كقولهم قتل البعض احياء للجميع واكثروا القتل ليقل القتل واوجز الكل القتل انفى للقتل والترجيح مع ذلك للآية من وجوه الاول ان قولهم لا يصح على العموم لان القتل ظلما ليس بنفي للقتل قصاصا بل داع له ولو خصص بقتل القتل قصاصا انفى للقتل ظلما لطال الا ان الآية تفيد هذا المعنى من غير تقدير تكلف الثاني ان القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الحيثية معتبرة في الآية لا في كلامهم الثالث ان الحيوة هي الغرض الاصلي ونفي القتل انما يراد لحصول الحيوة فالتنصيص على الغرض الاصلي اولى الرابع ان التكرار من غير ضرورة مستهجن وانه في كلامهم لا في الآية الخامس ان الحروف الملفوظة التي يعتمد عليها في اعتبار الوجازة لا المكتوبة هي في الآية عشرة وفي كلامهم اربعة عشر السادس ان الاغلب في كلامهم اسباب خفاف وذلك مما يخل بسلاسة التركيب وفي الآية مع غاية وجازة فيها السلاسة والفاصلة السابع ظاهر قولهم يقتضي كون الشيء سببا لانتفاء نفسه وهو محال وفي الآية جعل نوع من القتل وهو القصاص سببا لنوع من الحيوة ولا استبعاد فيه الثامن لطف التقابل من المطابقة مرعية في الآية لمكان تضاد بين لفظي القصاص والحيوة بخلاف كلامهم التاسع اشتمال الآية على لفظ يصلح للتفاؤل وهو الحيوة بخلاف كلامهم فانه يشتمل على نفي اكتنفه قتلان انه لا يليق بهم العاشر اشتمال الآية على اسمين واداة واشتمال كلامهم على ثلثة اسماء واداة وان اعتبرت اداة التعريف ففي الآية واحدة وفي كلامهم ثنتان وان اعتبر التنوين في الآية تقاصت الادوات وبقيت زيادة الاسماء بحالها على ان افعل التفضيل اذا لم يكن فيه اللام والاضافة يستعمل بمن فتقدير كلامهم القتل انفى للقتل من كل شيء فاين الوجازة يا اولي الالباب اي ذوي العقول واولو جمع لا واحد له من لفظه وواحده ذو بمعنى صاحب واولات للاناث واحدتها ذات بمعنى صاحبة فالبقرة واو اولات الاحاد في اعراب الو كاعراب جمع المذكر السالم وزادوا في الو واوا فرقا بينها وبين الى الجارة واجري ولو عليه اللب العقل ولب النخل قلبها وخالص كل شيء لبه خاطب العقلاء والذين يتفكرون في العواقب ويعرفون جهات الخوف فلا يرضون باتلاف انفسهم لاتلاف غيرهم الا في سبيل الله لعلكم تتقون يتعلق بمحذوف اي ابينكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لتكونوا على بصيرة في اقامته راجين ان تعملوا عمل اهل التقوى في الحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة او لعلكم تتقون نفس القتل لخوف القصاص عن الحسن والاصم وقد بقي على الآية بحث وهو انه سئل اذا صح ان المقتول ان لم يقتل فهو يموت لانقضاء الاجل المعلوم عند ذلك القدر وكذا اذا هم انسان بقتل آخر فارتدع خوفا عن القصاص فان ذلك الآخر يموت وان لم يقتله ذلك الانسان لان لكل وقت حي وقوع قتله حي وقوع موته فكيف يفيد شرع القصاص حيوة والجواب انه تعالى قد جعل لكل شيء سببا يدوم بسببه وجوده وعدمه او شرعية القصاص مما جعلها الله تعالى سببا للحيوة من اراد حيوته بعد ان تصور الهام قتله وذلك بان يتذكر القصاص فارتدع عما هم به ففائدة شرعية القصاص هي فائدة سائر الاسباب والوسائط ومنكرها منكر فائدتها وكلا الانكارين مذموم وصاحبهما عند العقلاء ملوم والله تعالى اعلم ومن باب الاشارة كتب القصاص في قتلاكم اشارة على تفسير الرحمة في قتلاه وقال من جنى قتلته ومن قتلته فانا ديته الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى اي من كان متوجها اليه تعالى بالكلية كان فيضه تعالى متصلا به بالكلية ومن كان في دون غيره من المكونات لم يتصل به فيضه غاية الاتصال ومن كان ناقصا في توجهه عبدا لم يكن مستحقا لكمال محبته فمن عفي له من الاحباء والاصفياء شيء من انواع البلاء والابتلاء الذي هو موكل بالانبياء والاولياء فانه معرفة بهما رفعة فالواجب على العبد اداء شكره الى الله باحسان فمن اعتدى بعد ذلك بالوفاء بملابسة الجفا والقى جلباب الحياء فله عذاب اليم فان الكفر

موقعه وحيم ولكم في القصاص حيوة الذين والبقاء برب الثقلين يا اولي الالباب الذين بدلوا قشر الروح الانساني عند شهود جلال الصمد لعلكم

شرّ وجودكم كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ

نوشته شد بر شما در وقتیکه دریافت یکی از شما مرگ اگر گذارد مالی را وصیت کردن از برای پدر و مادر و خویشان بقدر معین واین ثابت بر پرهیزگاران

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

پس هر که تغییر دهد او را پس از آنکه شنید او را پس عقوبتش بر آنهاست که تغییر دهند او را بدرستیکه خدا شنوای داناست پس هر که بترسد از وصیت کننده میلی یا گناهی پس صلاح

بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة بالامالة حيث كان حمزة موص بالتشديد يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة

در میان ایشان پس نیست عقوبتی بر او بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست

الباقون بالتخفيف من الايصاء الوقوف خيرا ج لان قوله الوصية مفعول كتب ومن تمام نعت الفعل المتقدم ولا عراض ظرفه شرط بينهما او الوصية مبتدأ وللوالدين خبره ومفعول كتب محذوف اي كتب عليكم ان توصوا ثم بين ان الوصية والوصل اولى لئلا يحتاج الى الحذف بالمعروف ج لان التقدير حق ذلك حقا او كتب الوصية حقا المتقين ط وان كان بعدها فاء التعقيب لانه حكم اخر يبدلونه ط كذلك عليم ط رحيم ه التفسير هذا حكم اخر وقوله كتب عليكم يقتضي الوجوب كما مر والمراد من حضور الموت ليس معاينة الموت لانه في ذلك الوقت يكون عاجزا عن الايصاء والاكثرون قالوا المراد ظهور امارة الموت وهو المرض المخوف كما يقال لمن قارب البلد انه وصل وعن الاصم المراد فرض عليكم في حال الصحة الوصية بان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا وزيف بانه ترك الظ ولا شك ان الخير ورد في القرآن بمعنى المال وما تنفقوا من خير وانه لحب الخير لشديد بما من خير فقير لكن الائمة اختلفوا في المراد بالخير ههنا بعد اتفاقهم على انه المال فعن الزهري انه المال قليلا كان او كثيرا بدليل قوله من خير فقير فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وانه تع اعتبر احكام المواريث فيما يبقى من المال قل ام كثر فقال تع وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل او كثر نصيبا مفروضا فكذا الوصية ولان كل ما ينتفع به فهو خير والاكثرون على ان لفظ الخير في الاية مختص بالمال الكثير كما لو قيل فلان ذو مال فهم منه ان ماله قد جاوز حد اهل الحاجة وان كان اسم المال يقع في الحقيقة على كل ما يتموله الانسان من قليل وكثير وكما اذا قيل فلان في نعمة من الله تعالى فانه يراد تكثير النعمة وان كان احد لا ينفك عن نعمة الله وهو باب من المجاز مشهور ينفون الاسم عن الشيء لنقصه منه قوله صلعم لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد ولو كانت الوصية واجبة في كل ما ترك لم يكن لقوله ان ترك خيرا فائدة لان كل احد ممن يموت فانه اقل ما يتمول ثم القائلون بهذا اختلفوا في ان المسمى بالخير في الاية مقدر بمقدار معين ام لا فمنهم من قال انه غير مقدر ويختلف ذلك باختلاف حال الرجل فقد يوصف من المقدار المال بانه غني ولا يوصف غيره بالغنى لذلك المقدار لاجل كثرة العيال وتوسع النفقة فيكون التعيين في كل صورة موكولا الى الاجتهاد وهذا بناء على اصل الايجاب منهم من قال انه مقدر ثم اختلفوا فعن علي كرم الله وجهه انه دخل على مولى له في مرض الموت وله سبعمائة درهم فقال الا اوصي قال لا قال الله تع ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وعن عائشة ان رجلا قال لها اني اريد ان اوصي قالت كم مالك قال ثلثة الاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت قال الله تع ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك فهو افضل وعن ابن عباس اذا ترك سبعمائة درهم فلا يوصي فاذا بلغ ثمانمائة درهم اوصى وعن قتادة الف درهم وعن النخعي من الف الى خمسمائة درهم قال ابو البقاء جواب الشرط عند الاخفش الوصية بحذف الفاء اي فالوصية للوالدين على الابتداء والخبر واحتج بقول الشاعر من يفعل الحسنات الله يشكرها وقال غيره جواب الشرط معنى الايصاء لا معنى الكتب بناء على رفع الوصية بكتب وهو الوجه قيل المرفوع بكتب الجار والمجرور وهو عليكم وليس بشيء واما اذا فهو ظرف لمعنى الوصية ولا يحتاج الى جواب والاقربين قيل هم الاولاد عن ابن زيد وقيل من عدا الولد عن ابن عباس ومجاهد وقيل جميع القرابات وقيل غير الوارث قوله بالمعروف امر بان يسلك في الوصية الطريقة الجميلة فلو حرم الفقير ووصى للغني لم يكن معروفا ولو سوى بين الوالدين مع عظم حقهما وبين بني العم لم يكن معروفا ولو اوصى لاولاد الجد البعيد مع حضور الاخوة لم يكن ما ياتيه معروفا وحقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المتقين على الذين اثروا التقوى وجعلوها مذهبا لهم وسيرة واعلم ان الائمة القائلين بوجوب هذه الوصية اختلفوا في انها منسوخة ام لا اما ابو مسلم فانه اختار عدم النسخ وقال معناها كتب عليكم ما اوصى الله به من توريث الوالدين والاقربين في قوله تع يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ او كتب على المحتضر ان يوصي للوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى الله به لهم عليهم ان لا ينقص من انصبائهم اذ لا منافاة بين ثبوت الميراث للاقرباء مع ثبوت الوصية فالميراث عطية من الله تع والوصية عطية ممن حضره الموت فالوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين ولو قدرنا حصول المنافاة فهذه الاية توجب الوصية للوالدين والاقربين ثم اية الميراث تخرج القريب الذي لا يكون وارثا داخلا في الاية وذلك ان من الوالدين من لا يرث بسبب اختلاف الدين والرق والقتل ومن الاقارب من يسقط في حال ويثبت في حال ومنهم من يسقط في كل حال اذا كانوا ذوي رحم فاية الميراث مخصصة لهذه الاية لا ناسخة لها واكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء على ان الاية منسوخة قالوا النسخ باية المواريث وبالاجماع او بقوله صلعم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وهذا وان كان خبر واحد الا ان الامة تلقته بالقبول حتى لحق بالمتواتر فيجوز نسخ القرآن به عند الجمهور ومن ائمة الامة من قال انه منسوخة في حق من يرث ثابتة فيمن لا يرث وهو مذهب ابن عباس والحسن البصري ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد حتى قال الضحاك من مات من غير ان يوصي لاقربائه فقد ختم عمله بمعصية وقال طاوس ان اوصى للاجانب وترك الاقارب نزع منهم ورد الى الاقارب قالوا الاية دلت على وجوب الوصية للقريب ترك العمل به في حق القريب الوارث

اما باية المواريث وبقوله لا وصية لوارث وباجماع الامة فبقيت الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يكون وارثا وايضا قال صلى الله عليه وسلم ما من حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده لكن الوصية لغير الاقارب غير واجبة بالاجماع فوجب ان يختص بالاقارب هؤلاء القائلون بان الاية ما صارت منسوخة في حق القريب الذي لا يكون وارثا اختلفوا في موضعين الاول نقل عن ابن مسعود انه جعل هذه الوصية للافقر فالافقر من الاقرباء وقال الحسن البصري هم والاغنياء سواء الثاني عن الحسن وجابر بن زيد وعبد الملك بن يعلى انهم قالوا فيمن يوصي لغير قرابته وله قرابة لا ترثه يجعل ثلثي الثلث لذوي القرابة وثلث الثلث لمن اوصى له وعن طاوس ان الاقارب كانوا محتاجين انتزعت الوصية من الاجانب وردت الى الاقارب فمن بدله من غير الاوصياء او ما قاله للميت او وصى به عن جهة ان كان موافقا للشرع بعدما سمعه وتحققه فلا معنى للسماع لو لم يقع العلم به المبدل اما الوصي بان يغير الوصية في الكتابة او في قسمة الحقوق واما الشاهد بان يغير شهادته او يكتمها واما غيرهما بان يمنع من وصول ذلك المال الى مستحقه وقيل المنهي عن التغيير هو الموصي نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله تعالى الوصية فيها فانهم كانوا يوصون في الجاهلية للابعدين طلبا للفخر والشرف ويتركون الاقارب في الضر والفقر فامرهم بالوصية للاقربين واوعدهم على تركها فانما اثمه اثم الايصاء المغير او اثم التبديل الا على الذين يبدلونه فان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره ومنه يعلم ان الطفل لا يعذب بكفر ابيه وان الانسان اذا امر الوارث بقضاء دينه فان الميت لا يعذب بتقصير ذلك الوارث وان الميت لا يعذب بنياحة غيره عليه ان الله سميع عليم يسمع الوصية على حدها ويعلمها على صفتها فلا يخفى عليه خافية من التغيير الواقع فيها وفي ذلك وعيد للمبدل ووعد ثم انه سبحانه لما اطلق الايعاد على التبديل اتبعه قوله فمن خاف ليعلم ان التغيير من الباطل الى الحق على طريق الاصلاح مستحسن شرعا كما هو حسن عقلا وللخوف ههنا تفسيران احدهما الخشية فيسئل انه انما يخاف في امر منتظر مظنون والوصية وقعت على ما وقعت واجيب بان المراد ان المصلح اذا شاهد الموصي يوصي فظهرت منه امارات الجنف الذي هو الميل عن طريق الحق مع ضرب من الجهالة او مع التاويل وشاهد منه اثما اي تعمدا بان يزيد غير المستحق او ينقص المستحق او يعدل عن المستحق فعند ظهور امارات ذلك وقبل تحقق الوصية ياخذ في الاصلاح بينهم اي بين اهل الوصية لان قوله من موص يدل على انه لم يتم فكان الموصي يقول قد حضر الوصي والشاهد على وجه المشورة اريد ان اوصي للاباعد دون الاقارب او ان ازيد فلانا مع انه غير مستحق للزيادة او انقص فلانا مع انه مستحق للزيادة فعند ذلك يصير السامع خائفا من جنف واثم لا قاطعا به لانه من الجائز ان لا يستمر الموصي على وصيته فان له الفسخ ما دام في حياته ولكن لم يحصل الثقة بما فعل وقد يعدل عن الخوف في اخر الامر وبتقدير ان يستقر الوصية ومات الموصي على الظلم فبعد ان يقع بين الورثة والموصى لهم تنازع فيما نسب الى الموصي وقد يفرح الى الجنف والاثم فيحتاج الى الاصلاح بالجراءتهم منهم على قانون الشرع والتفسير الثاني ان خاف بمعنى علم وقد يستعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف منشأه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق احدهما على الاخر واستعمالا شائعا ومن ذلك قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم فمعنى الاية ان الميت اذا اخطأ في وصيته وجار فيها متعمدا فلا حرج على من علم ذلك ان يرده الى الصلاح بعد موته وهذا قول ابن عباس وقتادة والربيع وفي الاية دليل على جواز الاصلاح بين المتنازعين اذا خاف المصلح افضاء التنازع الى امر محذور شرعا والغرض من قوله فلا اثم عليه رفع الحرج حيث لا ينافي الوجوب فيه مع ذلك نكتة هي ان الاصلاح بين القوم يحتاج الى الاكثار من القول وقد يتفق له وذلك الاسهاب في التكلم بعض ما لا ينبغي فبين انه تعالى لا ياخذ على المصلح من هذا الجنس اذا كان غرضه الاصلاح صحيحا ولهذا اتبعه قوله ان الله غفور رحيم وايضا كانه قيل انا الذي اغفر الذنوب ثم ارحم المذنب فلان اوصل رحمتي اليك ايها المصلح مع تحمل عناء الاصلاح اولى او المراد ان الذي اقدم على الجنف والاثم متى اصلح خلل وصيته فان الله يغفر له ويرحمه بفضله وبهذا التاويل يجوز ان يرجع الضمير في قوله فلا اثم عليه الى الموصي واعلم ان اكثر الائمة وان ذهبوا الى ان وجوب الوصية منسوخ باية المواريث الا انهم اتفقوا على انها جائزة في الثلث لما روي انه عاد سعد بن ابي وقاص فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني ذو مال ولا يرثني الا ابنة لي فاوصي بثلثي مالي قال لا قال فبالشطر قال لا قال فبالثلث قال الثلث والثلث كثير لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس فافاد الحديث المنع من الزيادة واستحباب النقصان عن الثلث ان كانت الورثة فقراء والوصية اوسع مجالا من الارث فاذا اراد الوصية فالاصل ان يقدم من لا يرث من اقاربه لان الله اعطى الاقربين الميراث ويقدم منهم المحارم ثم يقدم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم بالولاء ثم بالجوار كما في الصدقات المنجزة فان اوصى للورثة بعضهم جاز لكن بالاجازة من سائر الورثة كالزائد على الثلث للاجنبي فان الزائد محتاج الى اجازة الورثة رحمه الله التاويل كتب على الاغنياء الوصية بالمال وعلى الاولياء الوصية بالحال والاغنياء يوصون في اخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون في مبادي احوالهم عن الكل والمعنى اذا حضر قلب احدكم مع الله ومات نفسه عن الصفات الحيوانية فعليها ان يوصي للوالدين وهما الروح العلوي والبدن السفلي فان النفس تولدت من ازدواجهما وللاقربين وهم القلب والسر بترك كل شيء يظهر لهم من المشارب الروحانية والجسمانية بالمعروف من غير اسراف يفضي الى الاتلاف معرضا عن الشهوات مجتنبا من الرسوم والعادات كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لرفع العادات وترك الشهوات بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ومن مكارم الاخلاق ان يجعل المشارب مشربا واحدا والمذهب مذهبا واحدا شعر

وَكُلٌّ لَهُ سَعْيٌ وَدِينٌ وَمَذْهَبٌ ‌ وَصْلُكُمْ سُؤْلِي وَدِينِي هَوَاكُمُ

وَاَنْتُمْ مِنَ الدُّنْيَا مُرَادِي وَهِمَّتِي ‌ مُنَايَ مُنَاكُمْ وَاخْتِيَارِي رِضَاكُمُ

حقا على المتقين من الشرك الخفي وهذا الحق على المسلمين والمؤمنين لانهم اهل الظاهر والمتقون هم اهل البواطن كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا واشار الى صدره واحكام الظواهر يحتمل النسخ واحكام

البواطن وهي الحكم والحقايق لا يحتمل النسخ فحكم الوصية في حق المتقين غير منسوخ ابدا فمن بدله فمن غيره من الروح والقلب والسر الوصية الصادرة
من نفسه الميتة فانما اثمه عليهم وهو سبب هذا التوكيد ان السر والقلب والروح كلهم من العالم الروحاني وصفاتهم حميدة باقية فترك مشاربها والخروج
عنها صعب جدا فمن خاف تفريط من موص جنفا في ترك المشارب بان يبالغ في المجاهدات لنيل المشاهدات او اثما تجاوزا عن حد الشرع في دفع
ع ٧ الطبع فاصلح بينهم بين الروح والبدن والقلب والسر ولكن بنظر كامل ومرشد عارف فلا جرح على المصلح والله الموفق يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا ای گروهی که گرویده اید نوشته شد بر شما
روزه چنانکه نوشته شده بود بر آنانکه پیش از شما بودند شاید که شما پرهیزید در روزهای چند پس هرکه باشد از شما ناخوش او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم یا در سفر پس چندی از روزهای دیگر و بر
آنان که توانند قضا پس فدیه دهند طعام فقیری پس هرکه از روی شرع خوبی کند بهتر است او را و روزه شما بهتر است شما را اگر تعلمون شهر رمضان الذي انزل
فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم دانید ماه رمضان است آنماهی که
فرود آمده در آن قران که رهنما است مردمان را و نشانها از هدایت و امتیاز پس هرکه حاضر باشد از شما در آنماه پس روزه بگیرد آنرا و هرکه مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم ناخوش یا در سفر باشد پس چندی از روزهای دیگر
خواسته خدا از برای شما آسانی را و نخواسته است دشواری را تا که انجام رسانید شمار را و تا که بزرگی یاد کنید خدا را که راه نمود شما را تشكرون واذا سالك عبادي عني فاني
قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون احل سپاس گزارید و چون بخواهند از تو بندگان من پس من
نزدیکم روا کنم حاجت خواننده را چون بخواند مرا پس طلب اجابت کنند از من و بگروند بمن شاید که راه یابند حلال لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن
لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم از برای شما در شب روزه خلوت کردن با زنان خود
پوشش اند شما را و شما پوشش ایشان را داند خدا که شما خیانت کنید نفسهای خود را پس رجوع برحمت کرد بر شما و در گذشت فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله
لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا پس در ین وقت خلوت کنید و بخواهید آنچه را که نوشت خدا
از برای شما و بخورید و بیاشامید تا که ظاهر شود بر شما رشته سفید صبح از رشته سیاه مغرب از صبح پس تمام کنید الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس روزه را تا شب و مباشرت مکنید ایشان را در حالیکه
معتکف باشید در مسجدها اینست احکامهای خدا پس نزدیک نشوید مر آنرا ظاهر کند خدا نشانهای خود را لعلهم يتقون القراءة فدية طعام مضافا مساكين
بالجمع ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وروى الحلواني للاول عن هشام والمجاه فدية بالتنوين طعام بالرفع شاید پرهیزند مضافا الى مساكين بالجمع الباقون
مثل هذا الا ان مسكين مفرد مجرور فمن تطوع بالتشديد الطاء والواو وبياء الغيبة وجزم العين حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الماضي من باب التفعل
القران غير مهموز حيث كان ابن كثير وعباس وحمزة في الوقف فاذا كان يعني القراءة فان عباسا فيه مخير ان شاء لم يهمز كقوله تعالى وقران الفجر قران الفجر
ولا تعجل بالقران ان علينا جمعه وقرانه فاتبع قرانه الباقون بالهمزة اليسر العسر حيث كانا مثقلين يزيد الا قوله فالجاريات يسرا ولتكملوا العدة من
التكميل ابو بكر وحماد وعباس وسهل ويعقوب الباقون من الاكمال الداع اذا دعان باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو جعفر
ونافع غير قالون وابو عمرو والياء في الوصل الباقون بغير ياء فيهما في الحالين لي لعلهم بفتح الياء ورش الباقون بالسكون الوقوف تتقون لا لان
اياما ظرف الصيام او الاتقاء معدودات ط لان المرض والسفر غير دان فكانا خارجين عن الوضع اخر ط لان خبر الجار منتظر وهو فدية فلا تعلق له بما
قبله مسكين ط لان التطوع خارج عن موجب الاصل خير له ط لان النقلة والصوم خير لكم تعلمون والفرقان ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فليصمه
للابتداء بالشرط اخر ط العسر ز قد يجوز تشكرون قريب ط لان قوله اجيب مستانف عان ص للفاء يرشدون نسائكم ط لهن ط عنكم ج لعطف
الجملتين المختلفتين لكم ص لعطف المتفقتين من الفجر ص لذلك الى الليل ج وان اتفقت الجملتان لان حكم الصوم والاعتكاف مختلفان ولكل واحد شان
في المساجد لان تلك مبتداء فلا تقربوها ط لان كذلك صفة مصدر محذوف اي يبين بيانا ككيان ما تقدم يتقون التفسير هذا حكم اخر والصيام
مصدر صام كالقيام والعياذ وهو في اللغة الامساك عن الشيء قال الخليل الصوم قيام بلا عمل وصام الفرس صوما اي قام على غير اعتلاف وقال ابو عبيدة
كل ممسك عن طعام وكلام وسير فهو صايم وانه في الشرع عبارة عن الامساك عن اشياء مخصوصة يسمى المفطرات كالاكل والشرب والوقاع في
زمان مخصوص هو من طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس ولا بد لصحته من النية في غير يومي العيد بالاتفاق وفي غير ايام التشريق عند الاكثر
ويوافقه الحديث من قول الشافعي في غير يوم الشك بلا ورد ونذر وقضاء وكفارة ولا بد للصائم من الاسلام والنقاء عن الحيض والنفاس
ومن العقل كل اليوم ومن انتفاء الاغماء في جزء من اليوم وقوله سبحانه كما كتب على الذين من قبلكم اي على الانبياء والامم من لدن ادم الى عهدكم
قال علي كرم الله وجهه اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها الفدية او المعاصي لان في الصوم ظلفا للنفس عن المناهي ومواقعة السوء ولعلكم تنتظمون في سلك اهل التقوى فان الصوم شعارهم وقيل
معناه صومكم كصومهم في هذه الايام وهو رمضان كتب على النصارى فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل كان يقع في البرد الشديد

فشق عليهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين كفارة ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال
القليل يعد عدا والكثير يحثى حثيا كأنه قال اني رحمتكم فلم افرض عليكم صيام الدهر كله ولا اكثره ولكن اياما قليلة وعلى هذا يحتمل ان يكون وجه التشبيه
بين الفرضين مجرد تعليق الصوم بمدة غير متطاولة وان اختلف المدتان ثم ان الائمة اختلفوا في هذه الايام على قولين الاول انها غير رمضان
فعن عطاء ثلاثة ايام من كل شهر وعن قتادة هي مع صوم عاشوراء ثم اختلفوا ايضا فقيل كان تطوعا ثم فرض وقيل بل كان واجبا واتفقوا انه فسخ بصوم
رمضان واستدلوا على قولهم انها غير صوم رمضان بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان صوم رمضان نسخ كل صوم فدل على ان صوما آخر كان واجبا وايضا
ذكر حكم المريض والمسافر في هذه الاية وفي التي تتلوها فلو اتحد الصومان كان تكريرا محضا وايضا ذكر في هذه الاية التخيير بين الصوم والفدية وصوم رمضان
واجب على التعيين فيختلفان والثاني هو مختار ابي مسلم والحسن واكثر المحققين انها شهر رمضان اجمل اولا ذكر الصيام ثم بينه بعض البيان بقوله اياما
معدودات ثم كمل البيان بقوله شهر رمضان وهذا ترتيب في غاية الحسن من غير زيادة ولا نقصان واجيب عن استدلالهم الاول بانه ليس في الخبر انه نسخ
عنه كل صوم فلم لا يجوز ان يراد به نسخ كل صوم وجب بالشرائع المتقدمة سلمنا ان المراد به صوم ثبت في شرعه لكن لم لا يجوز ان يكون ناسخا لصوم
وجب بغير هذه الاية وعن الثاني ان صوم رمضان كان واجبا مخيرا وفي الاية الثانية جعل واجبا على التعيين فاعيد حكم المريض والمسافر ليعلم ان حالهما
ثابتا في رخصة الافطار ووجوب القضاء كحالهما اولا وعن الثالث انه لا اختلاف مسلم لكن في التخيير والتعيين اما في نفس الصوم فلا وههنا سؤال
وهو ان قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه كيف كان ناسخا للتخيير مع اتصاله بالمنسوخ والجواب ان الاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول
بل المقدم في التلاوة يمكن ان يكون ناسخا والمتأخر منسوخا كآية الاعتداد بالحول وهكذا نجد في القرآن آيات مكية متأخرة في التلاوة عن الايات
المدنية وذلك كثير قال القفال انظروا الى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته في هذا التكليف فبين اولا ان لهذه الامة في هذا التكليف
اسوة بالامم السالفة فان الامور الشاقة اذا عمت خفت ثم بين ثانيا وجه الحكمة في ايجاب الصوم وحصول التقوى ثم بين ثالثا انه مختص بايام قلائل
لا بكلها ولا باكثرها ثم بين رابعا انه خصه من الاوقات بالشهر الذي نزل فيه القرآن ليعلم شرفه فتوطن النفس له ثم ذكر خامسا ما ازال له المشقة
في التزامه فاباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى الى زمن الرفاهية والصحة وهي هيئة يكون لها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
يصدر عنها الافعال كلها سليمة والمرض زوالها واختلف الائمة في المرض والسفر المبيحين للافطار على اقوال احدها ان اي مريض كان واي مسافر كان فله ان
يترخص تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله وهذا قول الحسن وابن سيرين يروى انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وعن داود
الرخصة حاصلة في كل سفر ولو كان فرسخا وثانيها ان المرض الذي لو صام لوقع في مشقة وجهد كذا السفر وهو قول الاصم وحاصله تنزيل اللفظ
على اكمل احواله وثالثها وهو قول الشافعي واكثر الفقهاء انه الذي يؤدي الى ضرر في النفس او زيادة في العلة اذ لا فرق في العقل بين ما يخاف منه
وبين ما يؤدي الى ما يخاف منه كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه والارمد يخاف ان يشتد وجع عينه قالوا وكيف يمكن ان يقال كل مرض
مرخص مع علمنا بان في الامراض ما ينفعه الصوم فالمراد منه ما يؤثر الصوم في تقويته تأثيرا يعتد به والتأثير اليسير لا عبرة به والمرض المرخص
لا يفرق فيه بين ان يعرف كونه كذلك بنفسه او يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلما بالغا عدلا واصل السفر من الكشف لانه يكشف عن احوال
الرجال واخلاقهم وعن الزهري يسمى مسافرا لكشف قناع الكن عن وجهه وبروزه للارض الفضاء قال الاوزاعي السفر المبيح مسافة يوم وعند الشافعي
مقدر بستة عشر فرسخا ولا يحسب منه مسافة الاياب كل فرسخ ثلاثة اميال باميال هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قدر اميال البادية كل ميل اثنا
عشر الف قدم وهي اربعة الاف خطوة والى هذا ذهب مالك واحمد واسحق وذلك ان تعب اليوم الواحد يسهل تحمله بخلاف ما اذا تكرر في يومين فيناسب الرخصة
ولما روى الشافعي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا اهل مكة لا تقصروا في ادنى من اربعة برد من مكة الى عسفان قال اهل اللغة كل بريد اربعة فراسخ وروى الشافعي
ايضا عن عطاء قال لابن عباس اتقصر الى عرفة فقال لا ولكن اقصر الى جدة وعسفان والطائف قال مالك بين مكة وجدة وعسفان اربعة برد وقال
ابو حنيفة والثوري رخصة السفر لا يحصل الا في ثلاث مراحل اربعة وعشرين فرسخا قياسا على المسح والاجماع على الرخصة في هذه المدة والخلاف
فيما دون ذلك فيبقى المختلف فيه على اصل وجوب الصوم واجيب بان قوله صلى الله عليه وسلم يمسح المقيم يوما وليلة لا يدل على انه لا يحصل الاقامة في اقل من يوم وليلة
لانه لو نوى الاقامة في موضع الاقامة ساعة يصير مقيما وكذا قوله صلى الله عليه وسلم والمسافر ثلاثة ايام لا يوجب ان لا يحصل السفر في اقل من ثلاثة ايام وايضا الترجيح
للافطار لقوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته وانما قيل او على سفر دون ان يقول او مسافرا كما قال مريضا لان
السفر يتعلق بقصده واختياره حتى لو عزم على الاقامة في منزل من المنازل لم يبق على قصد السفر فلا يباح الافطار وان كان مسافرا وهذا بخلاف
المرض فانه صفة قائمة به ان حصلت حصل والا فلا وعدة فعلة من العد بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون وعدة المرأة من هذا وانما قيل فعدة على التنكير
ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات للعلم بانه لا يؤثر عدد على عددها وانه لا يأتي الا بمثل ذلك العدد ظاهرا فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة
والمعنى فعليه صوم عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة واخر جمع اخرى تأنيث آخر وانه غير منصرف للصفة والعدل من آخر من كذا واعلم ان قوما من علماء
الصحابة ذهبوا الى انه يجب على المريض والمسافر ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر وهو قول ابن عباس وابن عمر حتى قالا لو صام في السفر قضى في الحضر
واختاره داود بن علي الاصفهاني وهو مذهب الامامية لان قوله تعالى فعدة اي فعليه عدة يشعر بالوجوب عليه ولان قوله يريد الله بكم اليسر

عن ارادة الافطار ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وفي رواية بدل لام التعريف ميم التعريف وقوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وذهب اكثر الفقهاء الى
ان هذا الافطار رخصة فان شاء افطر وان شاء صام لما يجيء من قوله تعالى وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ولما روى ابو داود في سننه عن هشام بن عروة عن ابيه
عن عائشة ان حمزة الاسلمي سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال يا رسول الله هل اصوم في السفر فقال صم ان شئت وافطر ان شئت قالوا وفي الآية
اضمار التقدير فَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فافطر فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ كقوله أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ اي فحلق فعليه فدية ثم اختلف هؤلاء فعند
الشافعي وابي حنيفة ومالك والثوري وابي يوسف ومحمد ان الصوم افضل وقالت طائفة الافضل الفطر واليه ذهب ابن المسيب والشعبي والاوزاعي
واحمد واسحق وقيل افضل الامرين ايسرهما على المرء واختلفوا ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره
وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي كرم الله وجهه وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا ويؤيده
قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات قوله سبحانه وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فيه ثلثة اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين ان المعنى وعلى المطيقين للصيام
الذين لا عذر بهم لكونهم مقيمين صحيحين ان افطروا فدية هي طعام مسكين والفدية في معنى الجزاء وهو عبارة عن البدل القائم على الشيء وانه ههنا
عند اهل العراق ومنهم ابو حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره وعند اهل الحجاز ومنهم الشافعي مد من غالب قوت البلد لكل يوم ويصرف الى
الفقير المسكين قالوا كان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية عن سلمة بن الاكوع لما نزلت
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ كان من اراد ان يفطر يفطر ويفتدي حتى نزلت فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ فنسختها من قرأ
باضافة الفدية الى طعام فالاضافة تبيين كهي في قولك خاتم حديد ومن قرأ مساكين على الجمع فلأن الذين يطيقونه جمع وكل واحد منهم يلزمه طعام
مسكين لكل يوم والاعتبار بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مائة وثلثة وسبعون درهما وثلث درهم الثاني ان هذا راجع الى المسافر والمريض وذلك ان
المريض والمسافر منهما من لا يطيق الصلاة اصلا واليه الاشارة بقوله فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ومنهما من يطيق الصوم مع الكلفة و
هو المراد بقوله وعلى الذين يطيقونه قالوا هذا اولى لعدم لزوم النسخ قلنا فان نسخ التخيير بين الصوم والفدية عن المريض المطيق قال من نسخ التخيير عنه وعن
الصحيح المقيم الثالث انه في الشيخ الهرم عن السدي وعلى هذا لا يكون الآية منسوخة ويؤيده القراءة الشاذة يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه والتركيب يستعمل فيمن يقدر على شيء مع ضرب من المشقة والكلفة وبعضهم اضاف الى الشيخ الهرم الحامل والمرضع
اذا خافتا على نفسيهما او ولديهما واتفقوا على ان الشيخ اذا افطر فعليه الفدية واما الحامل والمرضع اذا افطرتا فقال الشافعي عليهما القضاء والفدية نحو
الرفقة وقال ابو حنيفة لا يجب الا القضاء كيلا يلزم بين البدلين فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا بان يطعم مسكينين او اكثر او يطعم المسكين الواحد اكثر من القدر الواجب او صام مع
الفدية عن الزهري فَهُوَ اي التطوع خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا ايها المطيقون او المطوقون وتحملتم مشاق الصيام خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان
ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا عند من يرى ان الصوم لهما افضل إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ان الصوم اشق عليكم وانه ادخل على قدر نصبكم او تعلمون
بالله فتخشونه فتمتثلون امره انما يخشى الله من عباده العلماء او تعلمون ما في الصوم من الفوائد البدنية والاخروية عن علي كرم الله وجهه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به وللصائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربه والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم اطيب عند الله من
ريح المسك وعنه ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيمة لا يدخل منه احد غيرهم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام
رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فطر صائما كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الشبان من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وفضيلة الصوم ومنافعه اكثر من ان تحصى ولو لم يكن فيه الا التشبه بالملائكة والا
من خضيض حظوظ النفس البهيمية الى ذروة التشبه بالروحانيات المجردة لكفى به فضلا ومنقبة هذا صوم الشريعة فاما صوم الطريقة فالامساك
عما حرم الله عز وجل والافطار بما اباح واحل وصوم الحقيقة الامساك عن الاكوان والافطار بمشاهدة الرحمن صمت عن غيره فلما تجلى كان لي
تشاغل عن الافطار فلشوقي تمدده ثم ما زاد في حل عن مكة الافطار وقوله عز من قائل شَهْرُ رَمَضَانَ الشهر ماخوذ من الشهرة عن مجاهد ان رمضان
اسم الله تعالى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا جاء رمضان وذهب رمضان ولكن قولوا جاء شهر رمضان فان رمضان اسم من اسماء الله وعلى
هذا شهر رمضان اي شهر الله والاكثرون على انه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والالف والنون ثم اختلف في اشتقاقه
فعن الخليل انه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر ياتي وقت الخريف يطهر وجه الارض عن الغبار سمي الشهر بذلك لانه يطهر الابدان عن اوضار الاوزار
وقيل من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس وفي الكشاف الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء سمي بذلك اما لارتماضهم فيه
من حر الجوع كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم لشدته عليهم او لان الذنوب ترمض فيه اي تحترق وعن الازهري انهم كانوا يرمضون
اسلحتهم فيه ليقضوا منها اوطارهم في شوال قبل دخول الاشهر الحرم وقيل انهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت
فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فسمي بذلك وشهر رمضان يجمع على رمضانات وارمضاء واضافة الشهر اليه اضافة العام الى الخاص ولو لم يلفظ

وافطر ان شئت،

انما سمي رمضان لانه يرمض الذنوب

قوله اضافة العام الى الخاص

الحزب الثاني

التشديد بسبب دعائهم ونصرهم عليهم وبهذا الوجه تصير الآية مناسبة لما قبلها ولما بعدها ثم ان سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الله اما ان يكون عن ذاته بان يكون السائل ممن يجوز التشبيه فيسئل عن القرب والبعد بحسب الذات واما ان يكون عن صفاته بانه هل يسمع دعاءنا او عن افعاله بانه اذا اسمع دعاءنا فهل يجيبنا الى مطلوبنا او كيف اذن في الدعاء وهل اذن في ان ندعوه بجميع الاسماء او ما اذن الا بان ندعوه باسماء معينة وهل اذن ان ندعوه كيف شئنا او ما اذن الا ان ندعوه على وجه معين كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وكل هذه الوجوه محتملة لان قوله فاني قريب يدل على ان السؤال كان عن الذات وقوله اجيب دعوة الداع دليل على ان السؤال عن الصفة لان الاجابة بعد السماع والاطلاق وقوله اذا دعان يرشد الى الاذن في الدعاء على اي نحو اراد ما لم يتجاوز قانون الادب عرفا كقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها قال العلماء ليس القرب ههنا بالمكان لانه لو كان في المكان كان مشارا اليه بالحس منقسما اذ يمتنع ان يكون في الصغر والحقارة كالجوهر الفرد وكل منقسم مفتقر في تحققه الى اجزائه وكل مفتقر ممكن وايضا لو كان في المكان فاما ان يكون غير متناه من جميع الجوانب وهو محال فان كل بعد متناه ببرهان تناهي الابعاد ومن جانب دون جانب فكذلك مع ان كونه بحيث يقتضي جانب منه عدم التناهي وجانب منه التناهي يوجب كونه مركبا من اجزاء مختلفة الطبائع او يكون متناهيا من جميع الجوانب وهو باطل بالاتفاق وايضا هذه الآية من اقوى الدلائل على ان القرب ليس بالجهة لانه لو كان في المكان لما كان قريبا من الكل بل لو كان قريبا من حملة العرش يكون بعيدا عن غيرهم ولو كان قريبا من المشرق كان بعيدا عن المغرب فلما ثبت ان المراد بالقرب قربه بالعلم والحفظ والكلاءة قال في الكشاف هو تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وسلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وقد اشار بعض المحققين الى ان اتصاف ماهيات الممكنات بوجودها لما كان بايجاد الصانع فهو كالمتوسط بين ماهياتها ووجوداتها فيكون اقرب الى ماهية كل ممكن من وجوده لتلك الماهية اليها بل ماهية كل شيء انما صارت هي بجعل الصانع حتى ماهية الوجود فبه صار الجوهر جوهرا والسواد سوادا والعقل عقلا والنفس نفسا فالصانع اقرب الى كل ماهية من تلك الماهية الى نفسها قلت استصحاب المكان لا يوجب الافتقار الى المكان وان سلم ان كل مفتقر الى المكان منقسم فانقسام كل مستصحب للمكان ممنوع وبراهين تناهي الابعاد مختلة ذكرناها في مواضعها فلا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها اقرب منها ومن وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الصنع والايجاد فقط بل بنحو آخر لا يكشف المقال عنه غير الخيال مع ان التعبير عن بعض ذلك يوجب شنعة الجهال شعر سرت اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب حبيب : اذا ما تلاشيت في نوره : يقول لي ادع فاني قريب : وان سألوا اين ربنا صح الجواب باني قريب وان سألوه هل يسمع ربنا دعاءنا يصح الجواب باني قريب وان سألوه كيف ندعوه ابرفع الصوت ام باخفائه صح ان يجاب باني قريب وان سألوه هل يعطينا مطلوبنا بالدعاء صلح في الجواب فاني قريب وان سألوا اذا اذنبنا ثم تبنا فهل يقبل الله توبتنا صلح ان يجاب باني قريب اي بالنظر اليهم والتجاوز عنهم واعلم ان الدعاء مصدر دعوت ادعو وقد يكون اسما تقول سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية والاستمداد والمعونة قال بعض الطاعنين لا فائدة في الدعاء لان المطلوب به ان كان معلوم الوقوع عند الله كان واجب الوقوع والا فلا ولان الاقدار سابقة والاقضية جارية وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد فيها شيئا ولا ينقص ولان المقصود ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحه لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء بالقضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال بالدعاء ينافي ذلك ولان الدعاء شبيه بالامر والنهي وذلك خارج عن الادب ولهذا ورد في الكلام القدسي من شغله قراءة القرآن عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية وانه من شعار الصالحين ودأب الانبياء والمرسلين والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله وقضائه وقدره غائبة عن العقول والحكمة الالهية تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف اللذين بهما تتم العبودية وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان قضائه وقدره في الكل وما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله منه على ما قلنا فانه علقهم بين الامرين رهبهم بسابق القدر ثم رغبهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق له القدر قبل وجوده الا انك يجب ان تعرف الفرق بين الميسر والمسخر كيلا تغرق في لجة القضاء والقدر وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائل في قضاء الاوطار الدعاء والالتماس كما في الشاهد فلعل الله تعالى قد جعل دعاء العبد سببا لبعض مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ثم لم يكن شيء من ذلك خارجا عن قانون القضاء السابق ولا ناسخا للكتاب المسطور ومن فوائد الدعاء اظهار شعار الذلة والانكسار والاقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية والانغماس في غمرات النقصان الامكاني والافلاس عن ذروة الترفع والاستغناء الى حضيض الاستكانة والحاجة والفاقة ولهذا ورد من لم يسأل الله يغضب عليه فاذا كان الداعي عارفا بالله وعالما بانه لا يفعل الا ما اقتضته مشيئته وسبق به قضاؤه وقدره ودعا على النمط المذكور من غير ان يكون في دعائه حظ من حظوظ النفس الامارة راجيا فيما عند الله من الخير خائفا من الاقدام على موقف

مسائله

سورة البقرة

فلما تعذر المناجاة وان يكون استجابة صورة الاستدراج كان دعاؤه خليقا بالاجابة وجديرا بالقبول وان يعود بركته عليه قال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو بدعاء الا استجيب له فاما ان يعجل في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل قال يقول دعوت ربي فما استجاب لي واما هيئة الداعي فعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله ببطون اكفكم ولا تسئلوه بظهورها فاذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم واما شرائط الدعاء فمنها بعد ما مر من الاخلاص عمرة تركية البدن واصلاحه باللقمة الحلال فذكر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء اشعث اغبر يقول يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك وذكر المحققون ان الدعاء مفتاح باب السماء واسنانه لقمة الحلال واما وقت الدعاء ففي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسئلني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وعن ابي امامة قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وعن انس ان رسول الله قال الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد زاد في رواية قال فماذا نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا الدعاء وعنه انه قال من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب وعزتي لانصرنك ولو بعد حين واما كيفية الدعاء فعن فضالة بن عبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلوته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء موقوف بين السماء والارض لا يصعد حتى يصلى على النبي ولا تجعلوني كقدح الراكب صلوا علي اول الدعاء واوسطه واخره ومن لطائف الاية انه تعالى قال فاني قريب ولم يقل فقل لهم اني قريب كما قال في ساير الاسولة والاجوبة وذلك في مواضع من كتابه ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا يسئلونك عن الساعة قل انما علمها عند الله وهذه الاسولة اصولية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ويستنبئونك احق هو قل اي وربي يسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا فكانه سبحانه يقول عبدي انت انما تحتاج الى الواسطة في غير وقت الدعاء اما في الدعاء فلا واسطة بيني وبينك ايضا في مقام السؤال قال عبادي وهذا يدل على ان العبد له في مقام الاجابة فاني قريب هذا يدل على انه للعبد ثم لم يقل العبد مني قريب بل قال اني قريب منه اشارة الى انه ما للتراب ورب الارباب وانما يصل من حضيض الامكان الذاتي الى ذروة الوجود والبقاء بفضل الواجب وفيضه فليستجيبوا لي اجاب واستجاب لى اي فليمتثلوا امري اذا دعوتهم الى الايمان والطاعة وليؤمنوا بي وليستقيموا وليعزموا على الاستجابة وليؤمنوا كاني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم ارادة ان يكونوا من الراشدين المهتدين الى مصالح دينهم ودنياهم فان طاعة الله تعالى المستتبعة للخيرات عاجلا واجلا من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وفي ضده ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى وحاصل الكلام انا اجيب دعاءكم مع اني غني عنكم على الاطلاق فكونوا انتم مجيبين دعوتي مع افتقاركم الي من جميع الوجوه ونكتة وهي انه تعالى لم يقل اجيب دعاء حتى جيب عاملك لئلا يصير المذنب محروما عن هذا الاكرام بل قال انا اجيب دعائك على جميع احوالك فكن ايضا مجيبا لداعي وهذا يدل على ان نعمه شاملة ورحمته كاملة تعم المطيعين والمذنبين الكاملين والناقصين وقيل الدعاء في الاية هو العبادة لما روي عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وعلى هذا فالاجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للمطيعين من الثواب كقوله ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقيل المراد من الدعاء التوبة وذلك ان التائب يدعو الله عند التوبة فاجابة الدعوة على هذا التفسير عبارة عن قبول التوبة قوله عز وجل احل لكم جمهور المفسرين على انها ناسخة لما عليه الناس في اول الاسلام روي عن ابن عباس انه لما نزلت كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كانوا اذا صلوا العتمة حرم عليهم الطعام والشراب ما صاموا الى القابلة فاختان رجل فجامع امرأته وقد صلى العشاء ولم يفطر فاراد الله ان يجعل ذلك يسرا لمن بقي ورخصة ومنفعة وعن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صائما فحضر الافطار فنام قبل ان يفطر لم يأكل ليلته ويومه حتى يمسي قال وان قيس بن صرمة الانصاري او صرمة بن قيس او قيس بن عمرو على اختلاف الروايات كان صائما فلما حضر الافطار اتى امرأته فقال اعندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت احل لكم ففرحوا فرحا شديدا وابو مسلم خالف الجمهور بناء على مذهبه من انه لم يقع في القرآن نسخ البتة احتج الجمهور بوجوه منها انه تعالى شبه ايجاب الصوم على هذه الامة بايجابه على من قبلهم فيلزم منه حرمة الاكل والشرب والوقاع بعد النوم في شرعنا كما كانت في شرعهم واذا كانت الحرمة ثابتة فهذه الاية رافعة لها ناسخة لحكمها ومنع ابو مسلم من ان مقتضى التشبيه حصول المشابهة في كل الامور فلعلهم انما كانوا يمنعون من الاكل والشرب و

في كيفية الدعاء

نكتة

والوفاء باعتقادهم ببقاء تلك الحرمة في شرعنا كما هي في شرع من قبلنا مع جواز كونها مباحة في نفس الامر ومع قيام هذا الاحتمال فلا جزم بالنسخ
ومنها قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولو كان ذلك حلالا لم ينسبوا الى الخيانة قيل ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما
اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلعم ما كنت جديرا
بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت قال ابو مسلم اصل الخيانة النقص وخان واختان وتخون بمعنى واحد مثل كسب واكتسب
وتكسب والمعنى علم الله انكم كنتم تنقصون انفسكم حظها من اللذات لا من الثواب والخير ومنها قوله فتاب عليكم وعفا عنكم والتوبة والعفو يكونان بعد
المعصية وارتكاب ما هو محرم قال ابو مسلم التوبة من العباد الرجوع الى الله بالعبادة ومن الله الرجوع الى العبد بالرحمة والاحسان والعفو التسهيل
والتوسعة والتخفيف قال صلعم عفوت عن الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة من كل اربعين درهما درهم وقال اول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله
والمراد التخفيف بتأخير الصلوة الى آخر الوقت ويقال اتاني هذا المال عفوا اي سهلا فالمعنى فعاد عليكم بالرحمة ووسع عليكم باباحة هذه الاشياء
المحرمة على الذين من قبلكم واما الروايات فاخبار آحاد لا يوجب شيء منها حمل القرآن على النسخ ولنشتغل بتفسير الالفاظ فنقول ليلة الصيام قال الواحدي
اراد ليالي الصوم فوضع الواحد موضع الجمع ويمكن ان يقال اضاف الليلة الى هذه الحقيقة فيتناول الكل من غير تكلف الرفث الجماع والرفث ايضا
الفحش من القول وكلام النساء في الجماع وقيل لابن عباس حين انشد شعر: وهن يمشين بنا هميسا ، ان تصدق الطير ننك لميسا ، ارفثت وانت
محرم فقال انما الرفث ما ووجه به النساء هميسا اي مشيا لينا ولميس اسم امرأة اي ان يصدق الفال ننكها وقال ابو علي معناه الفرج ويقال جامع الرجل
او نال فاذا اردنا الكناية عن هذه العبارة قلت رفث الرجل وانما كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يعبر عنه بالافضاء او الغشيان
او المس ونحوها كما في مواضع اخر وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن من قبل ان تمسوهن اولامستم النساء في قوله دخلتم بهن فأتوا حرثكم
فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة والبيان كما سماه اختيانا لانفسكم قال الاخفش انما عدى الرفث بالى لتضمنه معنى
الافضاء في قوله وقد افضى بعضكم الى بعض هن لباس لكم وجه التشبيه انهما يعتنقان فينضم جسد احدهما الى جسد صاحبه ويشتمل عليه كالثوب قال
الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقال ابن زيد كل منهما يستر صاحبه عن الابصار عند الجماع قال الجعدي: اذا ما الضجيع ثنى عطفها ، تثنت فكانت عليه لباسا
او سميا لباسا لستر كل منهما صاحبه عما لا يحل كما في الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه او المراد تستره بها عن جميع المفاسد التي تقع في البيت لو لم تكن
المرأة حاضرة كما يستتر الانسان بلباسه عن الحر والبرد وكثير من المضار وعن الاصم ان كل واحد منهما كاللباس الساتر للآخر في ذلك المحظور الذي كانوا
يفعلونه وزيف بان هذه القرينة في معرض الانعام لا في مقام الذم ووحد اللباس لانه مصدر او لانه قصد الجنس وضع موضع الصفة وموقع قوله هن لباس
لكم استيناف لانه كالبيان لسبب الاحلال فانه مثل هذه المخالطة والملابسة توجب قلة الصبر عنهن ومعنى علم الله ظهر معلومه وهو عالم ولم يذكر
في الآية ان الخيانة فيماذا الا ان الذي تقدم هو ذكر الجماع والذي تأخر هو مثله بدليل فالآن باشروهن فتعين ان يكون المراد به الخيانة في الجماع ومن
المعلوم ان كل واحد منهم لم يختانوا فالخطاب لبعضهم وكل من عصى الله ورسوله فقد خان نفسه لانه جلب اليها العقاب ونقص حظها من الثواب
وقيل ان الآية لا تدل على وقوع الخيانة منهم وانما المراد علم الله انكم بحيث لو دام هذا التكليف تختانون لضعفكم وقلة صبركم فوسع الامر عليكم حتى
لا تقعوا في الخيانة فتاب عليكم من القاء الفضيحة اي فتبتم فقبل توبتكم وعلى قول ابي مسلم لا اضمار فالآن باشروهن تأكيد لقوله احل لكم وفيه ضرب
من البيان لان احل الرفث في ليلة الصيام لا يوجب حله في جميع اجزائها حتى الصباح والجمهور على ان المراد بالمباشرة ههنا الجماع سمي بهذا الاسم لتلاصق
البشرتين فيه ومنه ما روي انه صلعم قال لا يباشر الرجل الرجل والمرأة المرأة وانما قلنا ان المراد بها الجماع لان السبب في هذه الرخصة كان وقوع الجماع من القوم
ولان الرفث اريد به ذلك الا ان اباحة الجماع يتضمن اباحة ما دونه فيضعف ما نقل عن الاصم ان المراد بها الجماع وغيره ويرجع النزاع لفظيا واما المباشرة
في قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فلا يعود النزاع فيها الى اللفظ لان المنع من الجماع لا يدل على المنع مما دونه من الاستمتاعات
وابتغوا ما كتب الله لكم جعل وقضى او كتب في اللوح من الولد اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن للغرض الاصلي من النكاح وهو التناسل قال صلعم
تناكحوا تكثروا وقيل هو نهي عن العزل فقد وردت الاخبار في كراهية ذلك وعن الشافعي لا يعزل الرجل عن الحرة الا باذنها ولا بأس ان يعزل عن الامة وعن علي
كرم الله وجهه انه كان يكره العزل وقيل اطلبوا المحل الذي حلله لكم كقوله فأتوهن من حيث امركم الله وقيل وابتغوا هذه المباشرة التي كتب الله لكم بعد
ان كانت محرمة عليكم وعن ابي مسلم ابتغوا المباشرة التي كان الله كتبها لكم وان كنتم تظنون انها محرمة عليكم وقيل يعني لا تباشروهن الا في الاوقات
والاحوال التي اذن الله لكم في مباشرتهن دون اوقات الحيض والنفاس والعدة والردة وقيل اي لا تبتغوا المباشرة الا من الزوجة والمملوكة الذي هو
كتب في القرآن من قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وعن معاذ بن جبل وابن عباس في رواية ابي الجوزاء اطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب
ان اصبتموها واستبعده بعضهم وليس ببعيد لان توزع الفكر بسبب الشهوة المشوشة قد يمنع عن الاخلاص في العبودية ولا يتفرغ لطلب ليلة
القدر التي هي حاصل صوم رمضان فقال سبحانه فالآن باشروهن لتفرغوا للطلب الغاية من صيامكم والله اعلم بمراده عن عدي بن حاتم قال لما نزلت
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر اليهما من الليل ولا
يتبين لي فاذا تبين لي الابيض من الاسود امسكت فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلعم فاخبرته فضحك وقال انك لعريض القفا انما ذلك بياض

النهار وسواد

النهار وسواد الليل وكنى رسول الله ﷺ بذلك عن بلاهته وقلة فطنته وفي الصحيحين عن سهل بن سعد نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا
الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله عز وجل بعد من الفجر فعلموا انه انما يعني الليل والنهار وعلم
ان تاخير البيان عن وقت الحاجة ممتنع بالاتفاق الا عند من يجوز تكليف ما لا يطاق واما تاخيره عن وقت الخطاب فجائز عند الاكثرين ولما كان من
مستعملات العرب اطلاق الخيط الابيض على اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود على ما يمتد معه من غبش الليل قال ابو دؤاد شعر
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا والسدفة الضياء المخلوط بالظلام اقتصر على الاستعارة ولا تم لما اشتبه الامر على بعض من لا دراية
له باللغة العربية نزل من الفجر بيانا للخيط الابيض واستغنى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما يستتبع بيان الاخر وخرج الكلام من الاستعارة
الى التشبيه البليغ كان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فالاستعارة وان كانت ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة من
حيث انها استعارة كما بين في موضعها الا ان رفع الاشتباه عن المكلفين اهم واولى فالفصاحة في هذا المقام ترك الاستعارة وليس هذا من باب تاخير
البيان عن وقت الحاجة على الاطلاق لان المحتاجين ههنا الى البيان ساقطون عن درجة الاعتبار لان فهم المعنى من اللفظ انما يعتبر بالنسبة الى
العارف بقوانين العرب واستعمالاتهم لانهم لا بالاضافة الى الاغبياء منهم نعم التفهيم بعد التبليد لزكي والله المستعان ولا يسبقن الى الوهم ان المشبه بالخيط
الابيض هو الصبح الكاذب المستطيل لانه ما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير وانما المشبه هو الفجر الصادق وهو في
بدء دقيقا ولكن يرتفع مستطيرا اي منتشرا في الافق لا مستطيلا ويمكن ان يقال الفصل المشترك بين ما تفجر الضياء اي انشق وبين ما هو مظلم بعد
يشبه خيطين اتصلا عرضا فالذي انتهى اليه الضياء خيط ابيض والذي ابتدأ منه الظلام خيط اسود وقد سبق تقرير الصبح في تفسير قوله تعالى واختلاف
الليل والنهار فليتذكر قيل ويجوز ان يكون من في قوله من الفجر للتبعيض لانه بعض الفجر واوله ولا شك ان حتى لانتهاء الغاية فدلت الاية على ان حل
المباشرة والاكل والشرب ينتهي عند طلوع الصبح فاستدل بهذا على جواز صوم من يصبح جنبا وبقوله ثم اتموا الصيام الى الليل على ان الصوم
ينتهي عند غروب الشمس لان ما بعد الى لا يدخل فيما قبلها وخاصة اذا لم يكن من جنسه ودل على حرمة الوصال ويؤيده ما روي انه ﷺ قال اذا اقبل الليل من
ههنا فقد غربت الشمس وافطر الصائم فيجب على المكلف ان يتناول في هذا الوقت شيئا وكيف لا وقد صح عن النبي ﷺ انه نهى عن الوصال فقيل يا رسول الله
انك تواصل فقال اني لست مثلكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اي من طعام الجنة او اني على ثقة بان لو احتجت اطعمني من الجنة او اني اعطيت
قوة من طعم وشرب والتحقيق ان استغراقه في مطالعة جلال الله يشغله عن الالتفات الى ما سواه فاذا تناول شيئا قليلا ولو قطرة من الماء فبعد ذلك
كان بالخيار في الاستيفاء الا ان يخاف التقصير في الصوم المسنون وفي سائر العبادات فيلزم ح ان يتناول بقدر الحاجة وقد يتثبت الحنفي بالاية
على جواز النية نهارا في صوم رمضان لان مدة الامساك هو النهار فقط فيجب قصد الامساك فيه فقط ومقتضى هذا الدليل صحة الفرض بنية بعد الزوال الا انا نقول
الاقل ملحق بالاغلب فبطلنا الصوم بنية بعد الزوال وصححناه بنية قبله حجة الشافعي قوله ﷺ من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له ويروى من لم يبيت وانما
جوز في النفل ان ينوي قبل الزوال لانه ﷺ كان يدخل على بعض ازواجه فيقول هل من غداء فان قالوا لا قال اني صائم اولى ان الصائم وايضا الحنفي يجب اتمام
الصوم النفل لقوله واتموا والامر للوجوب قال الشافعي قد ورد هذا عقيب الفرض فيختص به واعلم انه سبحانه خصص بالذكر من المفطرات الرفث و
الاكل والشرب لان النفس تميل اليها وههنا مفطرات اخر استنبطت من الاية او استفيدت من السنة فمنها الاستمناء لان الايلاج من غير انزال مبطل
فالانزال بنوع شهوة اولى وكذا الانزال باللمس والقبلة دون الفكر والنظر بشهوة لان هذا يشبه الاحتلام وعند مالك الانزال بالنظر مفطر وعند احمد
ان كرر النظر حتى انزل فطر ومنها الاستقاء لقوله ﷺ من ذرعه القيء وهو صائم فلا قضاء عليه ومن استقاء فليقض ومنها دخول الشيء جوفه في منفذ مفتوح
سواء كان فيه قوة محيلة تحيل الواصل اليه من غذاء او دواء او لا كالحلق وجوف كذا باطن الدماغ والبطن والامعاء والمثانة لما روي عن ابن عباس ان
الفطر مما دخل والوضوء مما خرج فالحقنة مبطلة للصوم وكذا السعوط اذا وصل الى الدماغ ولا باس بالاكتحال وليست العين من الاجواف فانه ﷺ اكتحل في رمضان
وهو صائم وعن مالك واحمد انه اذا وجد في الحلق طعما افطر والقطر في الاذن اذا وصل الى الباطن كالسعوط وكذا في الاحليل وان لم يصل الى المثانة ولا باس
بالفصد والحجامة لكن يكره عند ابي حنيفة للضعف احتجم ﷺ وهو صائم محرم في حجة الوداع وقال احمد يفسد الصوم بالحجامة ولو دهن راسه بطنه فوصل الى جوفه بتشرب
المسام لم يضر كالاغتسال والانغماس عند الشافعي ولا بد ان يكون الواصل من قصد منه فلو طارت ذبابة الى حلقه او وصل غبار الطريق او غربلة الدقيق الى
جوفه لم يفطر ولو فتح فاه عمدا الماء في الحفظ من العثر ولو ضبطت المرأة ووطئت او وجئ بالسكين او وجر بغير اختياره فلا افطار وكذا لو كان مغمى عليه فاوجر
معالجة ولو اكره حتى اكل بنفسه افطر لانه اتى بضد الصوم ولا اثر لدفع الضرر كالاكل وشرب لدفع الجوع او العطش وعند احمد لا يفطر وابتلاع الريق الصرف
الطاهر من الفم لا يفطر والنخامة ان لم يحصل في حد الظاهر من الفم لم يضر وان حصلت فيه بانصبابها من الدماغ في الثقبة النافذة منه الى اقصى الفم فوق
الحلقوم فان قدر على مجه لم يمج حتى جرى بنفسه بطل صومه لتقصيره والا فلا واذا تمضمض وسبق الماء الى جوفه او استنشق فوصل الماء الى دماغه لم يفطر
على الاصح ان لم يبالغ وبه قال احمد وعند ابي حنيفة ومالك يفطر وان بالغ افطر وفاقا قال ﷺ للقيط بن صبرة بالغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما ولو بقي
طعام في خلل اسنانه فابتلعه عمدا فطر خلافا لابي حنيفة اذا كان يسيرا ودونه مقدار الحمصة وان جرى به الريق من غير قصد منه لم يفطر على الاصح ولا بد انه
في وصول العين من ذكر الصوم فاذا اكل ناسيا فانه لم يفطر لقوله ﷺ من نسي وهو صائم فاكل او شرب فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وخالف مالك

وان كثر افطر ولو جامع ناسيا فكذلك وفي الاصح انه لا يبطل كما في الاكل ولو اكل على ظن ان الصبح لم يطلع بعد او ان الشمس قد غربت وكان غالطا لم يجز عن صومه
لانه لا يتحقق خلاف ما ظنه واليقين مقدم على الظن ثم ان كان الصوم واجبا قضى وان كان تطوعا فلا قضاء والاحوط في اخر النهار ان لا ياكل الا بعد
تيقن غروب الشمس لان الاصل بقاء النهار ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد او غيره فالاصح جواز الاكل وقد افطر الناس في زمان عمر ثم انكشف
السحاب وظهرت الشمس واما في اول النهار فيجوز الاكل بالظن والاجتهاد الى طلوع الفجر لان الاصل بقاء الليل فان قيل ان اول الفجر كيف يدرك ويحس متى عرف
المترصد الطلوع كان الطلوع الحقيقي مقدما عليه فيجاب بان المسئلة موضوعة على التقدير كدأب الفقهاء في امثالها واما بان التعبد بما يطلع عليه ولا
سبيل الى الضوء للناظر وما قبله لا حكم له كالزوال عند زيادة الظل اذا كان الشخص عارفا بالاوقات ومنازل القمر وكان بحيث لا حائل بينه وبين الفجر
وترصد حتى ادرك فهو اول الصبح المعتبر ويحرم المفطرات وعن الاعمش انه يحل الاكل والشرب والوقاع الى طلوع الشمس قياسا لاول النهار على اخره وجعل
الخيط الابيض في الطلوع والخيط الاسود ما اتصل به من اخر الليل ومن الناس من قال لا يجوز الافطار الا عند غروب الحمرة كما انه لا يجوز الاكل الا الى طلوع
الفجر وهذه المذاهب قد انقرضت والفقهاء اجمعوا على بطلانها يحكى عن الاعمش انه دخل عليه ابو حنيفة يعوده فقال الاعمش انك لتثقل على قلبي وانت في بيتك
فكيف اذا زرتني فسكت عنه ابو حنيفة فلما خرج قيل له لم سكت عنه قال ماذا اقول في رجل ما صام وما صلى في دهره عنى انه كان ياكل بعد الفجر الثاني
قبل طلوع الشمس فلا صوم له وكان لا يغتسل من الانزال فلا صلوة له واعلم ان في الاية ترتيبا عجيبا ونسقا انيقا وذلك ان الرفث لما كان من اشنع
الامور التي يجب السؤال عنها في رمضان حتى قال بعض الناس انه كان حراما في رمضان ليلا ونهارا وفيه قد وقعت الخيانة كما مر في الاخبار قدم اباحته
اولا ثم بين السبب في اباحته ثم وبخ المختانون في شانه وعقب التوبيخ بالعفو وقبول التوبة ثم اعيد ذكر اباحته ليترتب عليه غرضه الاصلي من الرفث وهو طلب
النسل وليعطف عليه اباحة الاكل والشرب في جميع تلك الى اخر جزء من اجزاء الليل ثم لما بين مدة الافطار وما يبيح فيها بين مدة الصوم لانه هو المقصود الاصلي
تلك المدة هي ما بقي من مدة الافطار الى تمام اربع وعشرين ساعة هي مجموع اليوم بليلته اعني من اول الفجر الصادق الى غروب الشمس ثم لما كان زمان
الاعتكاف مستثنى من ذلك لانه فهم من الاية ان الامساك عن الرفث كان مختصا بنهار رمضان لا بليلته ولا بسائر ايام السنة ولياليها عقب اباحة
الرفث فيما سوى نهار رمضان بحظره في حال الاعتكاف فقيل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد قال الشافعي الاعتكاف حبس المرء نفسه على
شيء برا كان او اثما قال تعالى يعكفون على اصنام لهم والاعتكاف الشرعي المكث في بيت الله تعالى تقربا اليه وهو من الشرائع القديمة قال تعالى وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين ولا ائمة خلاف في المراد من المباشرة ههنا فعن الشافعي في اصح قوليه ووافقه ابو حنيفة واحمد انها الجماع والمقدمات المفضية الى الانزال لان
الاصل في لفظ المباشرة ملاقاة البشرتين فالمنع من هذه الحقيقة ما دام في المعتكف حين يخرج لحاجة ولم يتم مدة الاعتكاف فمنع عن القبلة والمعانقة
وكل ما فيه التصاق البشرتين خالفنا الدليل بما اذا لم ينزل من هذه الامور لتبين عدم الشهوة فيها وقد علم ان اللمس بغير شهوة جائز لانه عم كان يدني راسه
ربما يغسله حليلته وهو معتكف فيبقى ما فيه الشهوة على اصل المنع احتج من قال انها لا تبطل الاعتكاف بان هذه الامور لا تبطل الصوم والحج فلا
يفسد الاعتكاف لانه ليس على درجة منهما واجيب بان النص مقدم على القياس وقد اتفقوا على ان شرط الاعتكاف الجلوس في المسجد لانه ممتاز عن سائر
البقاع من حيث انه بني لاقامة الطاعات ثم اختلفوا فعن علي رضي الله عنه انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله تعالى طهر بيتي للطائفين والعاكفين و
عن عطاء انه في مسجد المدينة لقوله عم صلوة في مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وعن حذيفة فيهما وفي مسجد بيت
المقدس لقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا الزهري لا يصح الا في الجامع ابو حنيفة لا يصح الا في مسجد له امام
راتب ومؤذن راتب الشافعي يجوز في جميع المساجد لاطلاق قوله في المساجد الا ان الجامع اولى حتى لا يحتاج الى الخروج لصلوة الجمعة ولا خلاف ان
الاعتكاف مع الصوم افضل وهل يجوز بغير صوم الشافعي نعم لانه بغير صوم عاكف ولانه تعالى منع العاكف من المباشرة ولو كان اعتكافه باطلا لما كان
ممنوعا وايضا لو كان الاعتكاف موجبا للصوم لم يصح الاعتكاف في رمضان لان ذمته مشغولة بالصوم الواجب لشهود الشهر فلا يمكنه الاشتغال
بالصوم الذي يوجبه الاعتكاف لكنهم اجمعوا على صحة الاعتكاف في رمضان وايضا لو تلازما لخرج المعتكف عن اعتكافه بالليل كما يخرج عن الصوم
لكنه لا يخرج وايضا روي ان عمر قال يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة فقال عم اوف بنذرك ومعلوم انه لا يجوز الصوم في الليل ابو حنيفة
لا يجوز لانه يجب الصيام في الاعتكاف بالنذر فيجب بغير نذر ايضا كعكسه في الصلوة حال الاعتكاف وهو ان الصلوة لما لم يجب في النذر بالاجماع لم يجب
بالنذر ايضا وفرق بان الصوم والاعتكاف متقاربان فكل منهما كف وامساك والصلوة افعال مباشرة لا مناسبة بينها وبين الاعتكاف فلا يجعل
احدهما وصفا للاخر فلهذا قلنا انه لو نذر ان يعتكف صائما او يصوم معتكفا لزمه كلاهما والجمع بينهما ولو نذر ان يعتكف مصليا او يصلي معتكفا
لزمه كلاهما دون الجمع بينهما ويتفرع على المذهبين انه يجوز ان ينذر اعتكاف ساعة عند الشافعي واما عند ابي حنيفة فلا يجوز اقل من يوم بشرط ان يدخل
قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس وقال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف تلك حدود الله اشارة الى جميع ما تقدم
من اباحة الصيام الى ههنا لا الى عدم المباشرة في الاعتكاف وحده لانه حد لا حدود اللهم الا ان يراد امثال تلك الجملة وحد الشيء مقطعه ومنتهاه وحد الدار ما
يمنع غيرها ان يدخل فيها والحد الكلام الجامع المانع فحدود الله ما منع من مخالفتها سميت تلك ههنا بمقادير مخصوصة وصفات مضبوطة وانما قال ههنا
فلا تقربوها وفي موضع اخر فلا تعتدوها لان العامل بشرائع الله واوامره ونواهيه متصرف في حيز الحق فاذا تعداه وقع في حيز الباطل فالنهي عن التعدي

هو

هو المقصود الا ان الاحوط ان لا يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيز الحق والباطل كيلا يداهن فيقع في الباطل عن النعمان بن بشير سمعت رسول
يقول ان الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه وقيل لا تقربوها اي لا تتعرضوا لها بالتغيير كقوله ولا تقربوا مال اليتيم وقيل
الاحكام المذكورة بعضها امر واكثرها نهي فغلب جانب التحريم اي لا تقربوها تلك الاشياء التي منعتم عنها واما في الاوامر فقال فلا تعتدوها اي
اثبتوا عليها ولا تتخطوها كذلك اي كما بين ما امركم به وما نهاكم عنه في هذا المقام يبين سائر ادلته على دينه وشرعه لعادة الناس بالتقوى جعلنا الله تعالى
من المتقين بفضله ورحمته التاويلات صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الضمير عائد الى الحق على كل عضو في الظاهر صوم وعلى كل صفة في الباطن صوم
فصوم اللسان عن الكذب والفحش والغيبة وصوم العين عن النظر الريبة وصوم السمع عن استماع الملاهي وعلى هذا فقس البواقي وصوم النفس عن التمني والشهوات
وصوم القلب عن حب الدنيا وزخارفها وصوم الروح عن نعيم الآخرة ولذاتها وصوم السر عن شهود غير الله كما كتب على الذين من قبلكم اي على انبيائكم
واجزائكم فانها كانت صائمة عن المشارب كلها فلما تعلق الروح بالقالب صارت اجزاء القالب مستدعية للحظوظ الحيوانية والروحانية لعلكم تتقون مشارب
المركبات وتطهرون عن دنس الحظوظ الحيوانيات والروحانيات تخبئون بافل كوكب سندعها الحظوظ الفانية تطلع شمس حقوق الملاقات الروحانية
الباقية كما قال ع للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه فمن كان منكم مريضا اي وقع له فترة في السلوك لمرض غلبات صفات النفس
وكلال الطبيعة او على سفر حصل له وقفة للعجز عن القيام باعباء احكام الحقيقة فليمهل حتى يدركه العناية ويعالج سقمه بمعاجين الالطاف واشربة الاعطاف
فيتدارك في ايام سلامة القلب وعلى الذين يطيقونه على من كان له قوة في صدق الطلب طعام مسكين بالطعام كل مشرب غير مشرب الطاف الحق
والمسكين من يكون مشربه غير ما عند الله ويقنع به فيدفع تلك المشارب الى اهاليها ويخرج عما سوى الله ويواصل الصوم ولا يفطر الا على طعام مواهب
الحق وشراب مشاهدة هو معنى ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن تطوع خيرا فمن زاد في الفداء اي كلما نظم من مشرب سقي من مشرب اخوذ
ذلك المشرب بفنائه تركها الى ان يصير مشربه ترك المشارب كلها ودوام الصوم كقوله تعم وان تصوموا خير لكم فيتراءى له حقائق القران وهذا معنى
قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران فيكون على مائدة الله لا بمعنى انه ياكل من المائدة فانه دائم الصوم ولكن المائدة تاكله حتى تفنيه عن وجوده
وتبقيه بشهوده فيكون خلقه القران وح يفرق بين الوجود الحقيقي والوجود المجازي كما قال تع بينات من الهدى والفرقان فيقال له الصيام فالزم وهو
قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابو يزيد ناداني ربي قال يا ابا يزيد الازم فالزم بدل رمضان برمضان رمضان نوب قوم ورمضان الحقيقي يحرق وجود قوم
رمضان اسم من اسماء الله اي من حضر مع الله فليمسك عن غير الله يريد الله بكم اليسر وهو مقام الوصول ولا يريد بكم العسر وهو ما في الطريق من
الرياضة والمجاهدة كالطبيب يسقي دواء مرا فمراده حصول الصحة لا ذائقة مرارة الدواء وايضا كل ميسر لما خلق له لولم يرد بنا اليسر يجعلنا طالبين لليسر
لولم ترد نيل ما ارجو واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا ولتكملوا العدة انواع الغايات بجذبات يريد الله بكم اليسر ولتكبروا الله ولتعظموه على ما
هديكم الى عالم الوصال بتجلي صفات الجمال لعلكم تشكرون نعمة الوصال بتنزيه ذي الجلال عن ادراك عقول اهل الكمال واحاطة الوهم والخيال قوله سبحانه
احل لكم ليلة الصيام اعلم ان للانسان تلونا في الاحوال فتارة يكون في غلبات الصفات الروحانية في ضياء نهار الواردات الربانية وح يصوم عن
الحظوظ الانسانية وهو حالة السكر وتارة يكون بحكم الدواعي والحاجات البشرية مردودا الى ظلمات الصفات الحيوانية وهذه حالة الصحو فخص الله تع بها
كشف الاستار وطلوع شموس الاسرار ليصوموا فيه عما سواه وبليلة اسبال استار الرحمة ليسكنوا فيها ويستريحوا بها كما من الله تع بقوله قل ارايتم ان
جعل الله عليكم الليل سرمدا الآيتان ومعنى الرفث الى النساء التمتع بالحظوظ الدنيوية التي يتصرف النفس فيها تصرف الرجال في النساء هن لباس لكم
اي الصفات والحظوظ الانسانية ستر لكم يحميكم عن حرارة شموس الجلال كيلا يحرقكم سطوات التجلي وانتم لباس لهن تسترون معايب الدنيا بالاموال
الصالحة واستعمال الاموال على قوانين الشرع والعقل نعم المال الصالح للرجل الصالح فالآن باشروهن بقدر الحاجة الضرورية وابتغوا بقوة هذه المباشرة
ما كتب الله لكم من المقامات العلية كلوا واشربوا في ليالي الصحو حتى يتبين لكم انوار المحو فالاحوال تنقسم الى بسط وقبض وزيادة ونقص وجذب وحجب
وجمع وفرق واخذ ورد وكشف وستر وسكر وصحو واثبات ومحو وتمكين وتلوين كما قيل كان شيئا لم يزل ذاتي كان شيئا لم يكن اذ امضى في المساجد اي في مقامات
القربة والانس وفيه اشارة الى انه يجب ان يكون الاشتغال بالضروريات من حيث الصورة ويكون الاسرار والارواح مع الحق وهذا مقام اهل التمكين
فلا تقربوها بالخروج عنها يا اهل الكشوف والعكوف بالدخول فيها يا اهل الكسوف والخسوف حسبي الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

ع وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ
ومخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل و کشید نزاع را سوی حکام تا بخورید گروهی پاره از مالهای مردم را بظلم و حال آنکه شما میدانید می پرسند ترا
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ
از ماهها بگو آن زمانهاست از برای مردمان و حج و نیست خوبی آنکه داخل شوید خانها را از پشت آنها ولکن نیکی آنست که پرهیزد و داخل شوید خانها را
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ القراءة البيوت بضم الباء ابو جعفر ونافع غير قالون وابو عمرو وسهل ويعقوب وحفص والمفضل
از درهای آن و بپرستید خدا را شاید که شما رستگار گردید والبرجمي وهشام غير الحلواني الباقون بكسر الباء الوقوف تعلمون ه عن الاهلة ط للفصل بين السؤال

والجواب في الجملة الاولى ابتداء حكم خرج مخرج النفي من تقرير لعطف الجملتين المختلفتين ايجابا وسلبا لعطف المتفقين فيلحق النفي لما كان الصوم منتهيا الى الافطار و
الافطار يتضمن الاكل ناسب ان يردف حكم الصيام بحكم ما يصلح للاكل وما لا يصلح له ولما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال
الاهلة قال الامام الغزالي في الاحياء المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في جهة اكتسابه الاول اما ان يكون من المعادن او من النبات او من الحيوان اما
المعادن والنبات فلا يحرم شيء منها الا ما يزيل الحيوة وهي السموم او الصحة وهي الادوية في غير وقتها او العقل كالخمر والبنج وسائر المسكرات واما الحيوان
فينقسم الى ما يؤكل والى ما لا يؤكل وما يحل فانما يحل اذا ذبح ذبحا شرعيا واذا ذبح فلا يحل جميع اجزائه بل يحرم منه الدم والفرث وكل ذلك مذكور في كتب الفقه
والثاني هو ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه فنقول اخذ المال اما ان يكون باختيار المتملك او بغير اختياره كالارث والذي باختياره اما ان لا
يكون ماخوذا من مالك كالمعادن واما ان يكون ماخوذا من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي والماخوذ قهرا اما ان يكون ماخوذا
من مالك وذلك اما ان يؤخذ قهرا او بالتراضي فالماخوذ قهرا اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنايم او لاستحقاق الاخذ كزكوات الممتنعين و
النفقات الواجبة عليهم والماخوذ تراضيا اما ان يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما ان يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فهذه اقسام ستة
الاول ما لا يؤخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاستقاء من الانهار والاحتشاش فهذا حلال بشرط ان لا يكون
الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين الثاني الماخوذ قهرا ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين وذلك حلال للمسلمين
اذا اخرجوا الخمس منه وقسموه بين المستحقين بالعدل ولم ياخذوه من كافر له حرمة وامان وعهد الثالث الماخوذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيؤخذ دون
رضاه وذلك حلال اذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق واقتصر على المستحق الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة وذلك حلال اذا روعي شرط العوضين
وشرط العاقدين وشرط لفظي الايجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة الخامس ما يؤخذ بالرضا من غير عوض كما في الهبة
والوصية والصدقة اذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد الى ضرر بوارث او غيره السادس ما يحصل بغير اختياره كالميراث وهو
حلال اذا كان المورث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة
واخراج الزكوة والحج والكفارة ان كانت واجبة فهذه مجامع مداخل الحلال وما سوى ذلك فحرام لا يجوز اكله وكذا ان كان من هذه الجهات وصرفه الى غير المصارف
الشرعية كالخمر والزمر والزنى واللواط والميسر والسرف المحرم كل هذه الوجوه داخلة تحت قوله سبحانه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بالوجه الذي
لم يبحه الله تعالى ولم يشرعه بينكم اي في المعاملات الجارية بينكم والتصرفات الواقعة بينكم وليس المراد منه الاكل خاصة بل غير الاكل من التصرفات كالاكل في هذا
الباب الا انه خص الاكل بالذكر لانه المقصود الاعظم من المال وقد يقال لمن انفق ماله انه اكله والادلاء اصله من ادليت الدلو اي ارسلتها في البئر للاستقاء فاذا
استخرجتها قلت دلوتها ثم جعل كل القاء قول او فعل ادلاء ومنه يقال للمحتج ادلى بحجته كانه يرسلها ليصير الى مراده وفلان يدلي الى الميت بقرابة ورحم اذا كان — في النهي عن الرشاء
منتسبا اليه فيطلب الميراث بتلك النسبة طلب المستقي الماء بالدلو وقوله وتدلوا داخل في حكم النهي ولا تدلوا بها الى الحكام اي لا ترشوها اليهم ولا تلقوا
امرها والحكومة فيها اليهم لتاكلوا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم والفرق
بين الوجهين ان الحكام على الاول حكام السوء الذين يقبلون الرشى التي هي رشاء الحاجة فيها يصير المقصود البعيد قريبا واذا اخذها حاكم السوء مضى في الحكم
من غير تثبت كمضي الدلو في الارسال وعلى الثاني قد يكون الحاكم عادلا ولكن يلتبس عليه الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للمختصمين انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة
من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه قوله فتوخيا اي اقصدا الحق فيما تصنعانه
من القسمة وتقارعا وليأخذ كل منكما ما يخرجه القسمة بالقرعة ثم تحالا وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعاصي مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه
بالتوبيخ احرى روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت يسألونك عن الاهلة وقيل ان السائلين هم اليهود ثم ان الله تعالى لم يجبهم بانه لماذا يرى كذلك لانه
يستفيد النور من الشمس لانه مظلم في ذاته ويفصل بين المضيء والمظلم منه دائرة لاستدارة المنير والمستنير وتفصل بين المرئي وغير المرئي من القمر
دائرة والدائرتان تتطابقان في الاجتماع بحيث لا يظهر شيء من المستنير فيكون القطعة المظلمة مما يلي البصر وهذه الحالة هي المحاق وكذا في الاستقبال لكن
القطعة المضيئة هي التي تلي البصر والقمر في هذه الحالة يسمى بدرا وفي سائر الاوضاع يتقاطعان اما في التربيعين فعلى زوايا قوائم تقريبا وفي غير التربيعين
على زوايا حادة ومنفرجة وعلى التقديرين ينقسم كرة القمر بهما الى اربع قطع اثنتان مضيئتان وهما اللتان تليان الشمس والباقيتان مظلمتان ويقع
في مخروط البصر من الاوليين واحدى الاخريين لكنه يحس بالمضيئة دون المظلمة والقطع الاربع في التربيعين متساويات تقريبا وفي غيرهما تختلف فالمتجاورتان
ويتساوى المتقابلتان والقطعة المرئية من المتجاورتين الواقعتين في مخروط البصر في التربيعين الاول والاخير من الشهر اصغرهما لان زاوية تلك القطعة
اصغر اللتين يليان الابصار اعني الحادة ولتسم القطعة المرئية الصغرى هلالا ما بين الليلتين هلالا ويجمع على اهلة لانه يتعدد اعتبارا وفي الربعين
الباقيين من الشهر القطعة المضيئة المرئية اعظم المتجاورتين الموصوفتين لان زاويتها اعظم المذكورتين اعني المنفرجة وانما لم يجابوا بذلك لان
المكلف لا يهمه معرفة هذه التصورات في باب العمل وانما الذي يعود عليه من فوائده وحكمه في باب التكليف معرفة المواقيت فهي المعالم التي يوقت بها الناس

مزارعهم

مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن ومعالم الحج يعرف بها وقته والمبهمات من الوقت كالمزارع
الوزن ولعمري انه لو منع مانع من ضبط هذه الامور لا يسهل ولا يتيسر الا بوقوع الاختلاف في تشكلات القمر حيث يسمى عوده من كل شكل
الى مثله ولا سيما من الهلال الى مثلها شهرا شهرا وبذلك تقدر السنون وضبط الاوقات والفصول فلن يمكنه جحود فانه تعالى على تقدير وجوده
لو لم يكن فيه الا اظهار سمة الحدوث والامكان ولزوال النقصان في الفلكيات حتى لا يظن بها وجوب الوجود والاشتراك في القدم مع مفيض
الخير والجود وامتناع الخرق والالتيام كما ذهب الى كل من ذلك طائفة من اللئام لكفى به تنبيها وعناية وارشادا وهداية الى افتقار الفلكيات الى
فاعل مختار ومدبر قهار جاعل الظلم والانوار ومصير الاهلة والاقمار وفي قران الحج بالذكر مع ان الاهلة مواقيت عبادات اخر كالصوم والزكوة
اشارة الى ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها الله تعالى له وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر الى شهر اخر كما كانت العرب تفعل ذلك في النسيء و
يمكن ان يقال توقيت الصوم على الهلال قد علم من قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن والزكوة يتعلق بالحول والاصل في تقدير السنين لعود
الشمس من نقطة كأول الحمل مثلا الى مثلها بحركتها الخاصة والايمان والجهاد لا يتعلقان بوقت معين والصلوة تتعلق باليوم بليلته فلم يبق
من الاركان المتعلقة بالشهر سوى الحج فتعين ذكره في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى عز من قائل وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ عن البراء قال نزلت
هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاؤا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت
وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله الاية والحاصل ان ناسا من الانصار كانوا اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا
ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج
من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب لتشديد الامر في الاحرام وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ولكن ذا البر من اتقى مخالفة الله وقيل الحمس وهم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة كانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيوتهم البتة
ولم يجلسوا تحت سقف البيت ولم يتنظفوا الوبر ولم يأكلوا السمن ولا الاقط وعن الحسن والاصم كان الرجل في الجاهلية اذا هم بشيء فتعسر عليه مطلوبه لم
يدخل بيته من بابه بل من خلفه ويبقى على هذه الحالة حولا كاملا فنهاهم الله تعالى عن ذلك لانهم كانوا يفعلونه تطيرا واما وجه اتصال هذا الكلام بما
قبله فبناء على الاسباب المروية في نزوله وعليه اكثر المفسرين فهو انهم لما سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة قيل لهم اتركوا السؤال عن هذا الامر الذي
لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم ولا تعتقدوا ان جميع ما تنحو لكم هو على مشاكلة الصواب وانظروا في واحدة تفعلونها انتم وتحسبونها برا وليس من البر
في شيء او انه تعالى لما ذكر الحكمة في الاهلة وهي جعلها مواقيت للناس والحج وكان هذا الامر من الاشياء التي اعتبروها في الحج فلا جرم تكلم الله فيه استطرادا واتفق
وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الاية فيهما معا في وقت واحد وقيل انه تمثيل لتعكيسهم في سؤالهم فان الطريق المستقيم هو الاستدلال بالمعلوم على
المظنون فاما ان يستدل بالمظنون على المعلوم فذاك عكس الواجب ولما ثبت بالدلائل ان للعالم صانعا مختارا حكيما وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب
البريء عن العبث والسفه فاذا رأينا اختلاف حال القمر وجب ان نعلم ان فيه حكمة ومصلحة وهذا استدلال بالمعلوم على المجهول فاما ان يستدل بعدم علمنا بما فيه
من الحكمة على ان فاعله غير حكيم فهو استدلال بالمجهول على المعلوم فكانه تعالى يقول لما لم تعلموا الحكمة في اختلاف نور القمر صرتم شاكين في حكمة الخالق وفاتكم
الشك فقد اتيتم الامر من ورائه وهذا ليس من البر ولا من كمال العقل انما البر ان تأتوا الامور من وجوهها التي يجب ان يؤتى منها وهذا باب مشهور في الكناية
قال الاعشى شعر وكأس شربت على لذة : واخرى تداويت منها بها : لكي يعلم الناس اني امرؤ : اتيت المعيشة من بابها : وعن ابي مسلم ان هذا اشارة الى ما
كانوا يفعلونه من النسيء وكان يقع الحج في غير وقته فذكر اتيان البيوت من ظهورها مثلا لمخالفتهم الواجب في الحج وشهوره ثم انه تعالى امرهم بالتقوى التي تتضمن
الاتيان بجميع الواجبات والاجتناب عن الفواحش والمنكرات ارادة ان يظفروا بالمطالب الدينية والدنيوية والله ولي التوفيق التأويل ولا تأكلوا بالباطل اي الهوى
النفس والحرص والاسراف وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ يعني النفوس الامارة بالسوء مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ من الاموال التي خلقت للاستعانة بها على العبودية الاهلة
للزاهدين مواقيت اورادهم وللصديقين مواقيت مراقباتهم والحج اشارة الى ما يرد بحكم الوقت عليهم من غير اختيارهم فمن كان وقته الصحو كان قيامه بالشريعة
ومن كان وقته المحو فالغالب عليه احكام الحقيقة فان تجلى لهم بوصف الجلال لاشوا وان تجلى لهم بوصف الجمال عاشوا فليس للمحبين وقت الا اوقات
محبوبهم كما ليس لهم وصف الا اوصاف محبوبهم والله تعالى اعلم وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
وجهاد کنید در راه خدا انهارا که قتال کنند باشما و زیادتی مکنید که خدا دوست ندارد تجاوز کنان
وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى
وجنگ کنید با انها در هرجا که یافتید انها و بیرون کنید انها را از انجا که بیرون کردند شما را وفتنه سخت تراست از کشتن وقتال مکنید با انها در نزد مسجد الحرام تا اگر
يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
قتال کنند باشما پس اگر قتال کنند باشما پس بکشید انها را همچنین است پاداش کافران پس اگر باز ایستادند پس بدرستی که خدا امرزنده مهربانست وجنگ کنید با ایشان تا اگر نباشد
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ
فتنه در میان وباشد دین از برای خدا پس اگر باز ایستادند نیست عقوبتی مگر بر ستمکاران ماه حرام بماه حرام وحرمتها بدل کردنند

فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله

پس هر که تعدی کرد بر شما پس تعدی کنید بر او بانطریق که تعدی کرده‌اند ایشان بر شما و بپرهیزید از خدا و بدانید که بدرستیکه خدا با پرهیزگارانست و انفاق کنید در راه خدا

ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين القراءة ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم حمزة وعلي وخلف الباقون

و میندازید خود را بدست خود در میان مهلکه و خوبی کنید که خدا دوست میدارد نیکوکاران را من باب المفاعلة وقيل انه من جملة ما يكتب في المصحف بغير الالف كالرحمن الوقوف

ولا تعتدوا ط المعتدين ه من القتل ج للعارض بين الجملتين المتفقتين فيخرج للابتداء بالشرط مع الفاء فاقتلوهم ط الكافرين ه رحيم ه الدين لله ط لتبدل الحكم الظالمين ه قصاص ط لان الاعتداء خارج عن اصل الموجب وقوعه ما اعتدى عليكم ص لعطف الجملتين المتفقتين المتقين ه التهلكة ج لاختلاف المعنى اي لا تقحموا في الحرب فوق ما تطيقون واحسنوا ج لاحتمال تقدير الفاء واللام المحسنين ه التفسير لما امر في الاية المتقدمة بالتقوى امر في هذه الاية بما هو اشق على النفس وهو المقاتلة في سبيل الله عن ابي موسى ان النبي صلعم سئل عمن يقاتل في سبيل الله فقال من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا ولا يقاتل رياء ولا سمعة الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين اي الذين هم بصدد القتال بالفعل دون التاركين قيل وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة ومنع بان الامر بقتال من يقاتل لا يدل على المنع من قتال من لا يقاتل وكذا ما روي عن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلعم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف والذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء اي المستعدين للقتال سوى من جنح للسلم والكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم مستحلين لها فهم في حكم المقاتلة قاتلوا ولم يقاتلوا وقيل في سبب نزول الاية انه صلعم خرج مع اصحابه لارادة الحج فلما نزل بالحديبية وهو موضع كثير الشجر والماء صدهم المشركون عن دخول البيت فاقام شهرا لا يقدر على ذلك فصالحوه على ان يرجع ذلك العام ويعود اليهم في العام القابل ويتركوا له مكة ثلثة ايام حتى يطوف وينحر الهدي ويفعل ما يشاء فرضي بذلك وصالحهم عليه وعاد الى المدينة وتجهز في السنة القابلة ثم خاف اصحابه من قريش ان لا يفوا بالوعد ويصدوهم عن المسجد الحرام وان يقاتلوهم وكانوا كارهين لقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله هذه الايات وبين لهم كيفية المقاتلة ان احتاجوا اليها فقال وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا بابتداء القتال وانما كان ذلك في اول الامر لقلة المسلمين ولكون الصلاح في استعمال الرفق واللين فلما قوي الاسلام وكثر الجمع واقام من اقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حصل اليأس من اسلامهم فامروا بالقتال على الاطلاق او ولا تعتدوا بقتال من نهيتم عن قتاله من غير المستعدين كالنساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او المفاجأة من غير دعوة الى الاسلام وهذه المعاني الثلثة بازاء التفاسير الثلثة في الذين يقاتلونكم ان الله لا يحب المعتدين المتجاوزين عما شرع الله لهم في الصحاح ثقفته اي صادفته وفي الكشاف الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال شعر فاما تثقفوني فاقتلوني : فمن اثقف فليس الى خلود : امر في الاية الاولى بالجهاد بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية زاد في التكليف فامر بالجهاد معهم سواء قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى عنه المقاتلة عند المسجد الحرام وسمي حرما لانه ممنوع ان يفعل فيه ما منع من فعله واصل الحرمة المنع من حيث اخرجوكم اي من الموضع الذي اخرجوكم وهو مكة وقد فعل رسول الله صلعم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح واخرجوهم من منازلهم كما اخرجوكم من منازلكم وقد اجلى رسول الله صلعم المشركين من المدينة بل قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب والمراد بالاخراج تكليفهم الخروج قهرا وتخويفهم وتشديد الامر عليهم حتى اضطروا الى الخروج والفتنة عن ابن عباس انها الكفر بالله لانه فساد في الارض يؤدي الى الظلم والهرج وفيه الفتنة وايضا الكفر ذنب يستحق العقاب الدائم بالاتفاق والقتل ليس كذلك والكفر يخرج به صاحبه عن الامة دون القتل وروي ان صحابيا قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابه المؤمنون على ذلك فنزلت اي لا تستعظموا الاقدام على القتل في الشهر الحرام فان اقدام الكفار على الكفر في الشهر الحرام اعظم من ذلك وقيل الفتنة اصلها عرض الذهب على النار للخلاص من الغش ثم صار اسما لكل محنة والمعنى ان اقدام الكفار على تخويف المؤمنين وعلى تشديد الامر عليهم حتى صاروا ملجئين الى ترك الاهل والاوطان هربا من اضلالهم في الدين وابقاء على مهجهم وحرمهم اشد من القتل الذي وجب عليكم جزاء عن تلك الفتنة لانه يقتضي التخلص من غموم الدنيا وافاتها شعر لقتل بحد السيف اهون موقعا : على النفس من قتل بحد فراق : وقيل الفتنة العذاب الدائم الذي يلزمهم بسبب كفرهم كانه قيل اقتلوهم من حيث ثقفتموهم واعلموا ان وراء ذلك من عذاب الله ما هو اشد منه قال عز من قائل يوم هم على النار يفتنون وقيل فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام لانه سعي في المنع عن الطاعة التي ما خلق الجن والانس الا لها اشد من قتلكم اياهم في الحرم وقيل ارتداد المؤمن اشد من ان يقتل محقا فالمعنى واخرجوهم من حيث اخرجوكم ولو اتى ذلك على انفسكم فانكم ان قتلتم وانتم على الحق كان ذلك اولى بكم من ان ترتدوا على ادباركم او تتكاسلوا عن طاعة معبودكم يروى ان الاعشى قال لحمزة ارايت قرابتك اذا صار الرجل مقتولا تبعد لك كيف بصيرة قاتل الغيرة فقال حمزة ان العرب اذا قتل منهم رجل قالوا قتلنا واذا ضرب منهم واحد قالوا ضربنا وذلك لتوقع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم فان انتهوا قيل اي عن القتال لان المقصود من الاذن في القتال منع المقاتلة عن ابن عباس وقيل اي عن الشرك بدليل قوله فان الله غفور رحيم الدال على انه يغفر لهم ويرحمهم والكافر لا ينال غفران الله ورحمته بترك القتال بل بترك الكفر عن الحسن قلت ان اريد بالقتال استحلاله او قتل المسلمين تلازم القولان والانتهاء عن الكفر ظاهره التلفظ بكلمة الاسلام وانه مؤثر في حقن الدم وعصمة المال و بالمنة للتشبث باركان الاسلام جميعا ويؤثر في استحقاق الرحمة والغفران وقد يستدل بقوله والفتنة اشد من القتل على ان التوبة عن قتل العمد بل من كل ذنب مقبولة لان الشرك اعظم الذنوب فاذا قبل الله تعالى توبة الكافر فقبول توبة القاتل اولى وايضا الكافر القاتل مقبول التوبة بالاتفاق اذا اسلم فالقاتل غير

الكافر اولى ويمكن ان يجاب بان حق الله تعالى مبني على المساهلة فظهر الفرق وايضا الايمان يجب ما قبله فلا يلزم من عدم مؤاخذة الكافر بقتله اذا اسلم ان يؤاخذ المسلم بقتله ولهذا يجب قضاء الصلوات الفائتة على المسلم اذا تاب عن ترك الصلوة ولا يجب على الكافر اذا اسلم قوله تعالى وقاتلوهم قيل انه ناسخ لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وهو وهم لان البداية بالمقاتلة عند المسجد الحرام بقيت حرمته غاية ما في الباب ان هذه الآية عامة وما قبلها مخصصة اياها وهذا جائز فان القرآن ليس على ترتيب النزول ولو كان على الترتيب ايضا فلا يضر بالجواز نزول الخاص قبل العام عندنا وذلك ان الخاص قاطع في دلالته تقدم او تأخر والعام دلالته على ما يدل عليه الخاص غير مقطوع بها فلا بد من التخصيص جمعا بينهما حتى لا تكون فتنة قتل اي شرك وكفر وعلى هذا فالآية محمولة على الاغلب فان قتالهم لا يزيل الكفر راسا وانما الغالب الازالة لان من قتل منهم فقد زال كفره ومن لم يقتل كان خائفا من الثبات على كفره والحاصل قاتلوهم حتى يكون كلمة الله هي العليا وهو المراد ايضا من قوله ويكون الدين لله اي ليس للشيطان فيه نصيب لوضوح شأنه وسطوع برهانه كما قال ليظهره على الدين كله ولا يعبأ بالمخالف لقلة شوكته وسقوطه عن درجة الاعتداد او محمولة على قصد ازالة الكفر اي ليكن هذا العزم على القتال كليا لا يتخلف عنه وقيل فتنتهم انهم كانوا يضربون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤذونهم حتى ذهب بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة اي قاتلوهم حتى تظهروا عليهم ولا يفتنوكم عن دينكم وعن ابي مسلم معناه قاتلوهم حتى لا يكون منهم القتال الذي اذا بدؤا به كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من انواع المضار ولا يخفى ان قوله ويكون الدين لله يرجح القول الاول ليكون المعنى وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويظهر الاسلام فان انتهوا عن الامر الذي وجب قتالهم لاجله وهو اما الكفر او القتال فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعدوا على المنتهين بمجموع قوله الا على الظالمين فانما تكون مقام على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فنهوا عنه بدليل انحصاره في غير المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين على الوجهين سمى جزاء الظالم ظلما للمشاكلة كما يجيء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيتسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة سنة ست من الهجرة وصدوهم عن البيت فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة سنة سبع الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه فلما لم يمنعكم حرمته عن الكفر والافعال القبيحة فكيف يمنعنا عن القتال معكم دفعا لشركم واصلاحا لفسادكم والحرمات ما لا يحل انتهاكه والقصاص المساواة اي كل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة والحرمات الشهر الحرام والبيت الحرام والاحرام فلما اضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وفقتكم حتى قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وان اقدموا على مقاتلتكم فقد اذنا لكم في قتالهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا ولا تبالوا ثم اكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله حين تنتصرون ممن اعتدى عليكم حتى لا تعتدوا الى ما لا يحل لكم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة والتأييد والتقوية والتسديد فان الاستصحاب بالعلم او بالمكان ان جاز شامل للمتقين وغيرهم قوله عز من قائل وانفقوا وجه اتصاله بما قبله انه تعالى لما امر بالقتال وهو يفتقر الى العدد والعدد وقد يكون ذو المال عاجزا عن القتال وقد يكون القوي على القتال عديم المال فلهذا امر الله الاغنياء بالانفاق في سبيله اعدادا للرجال وتجهيزا للابطال يروى انه لما نزل الشهر الحرام بالشهر الحرام قال رجل من الحاضرين والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس احد يطعمنا فامرهم ان ينفقوا في سبيل الله وان يتصدقوا وان لا يكفوا ايديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة ولو بمشقص يحمله في سبيل الله فيهلكوا فنزلت هذه الآية على وفق قول الرسول صلى الله عليه وسلم والانفاق صرف المال في وجوه المصالح فلا يقال للمضيع انه منفق وانما يقال مبذر وسبيل الله دينه فيشتمل الانفاق فيه الانفاق في الحج والعمرة والجهاد والتجهيز والانفاق في صلة الرحم وفي الصدقات او على القتال او في الزكوات والكفارات وفي عمارة بقاع الخير وغير ذلك لكن الاقرب في هذه الآية وقد تقدم ذكر القتال ان يراد به الانفاق في الجهاد ولكنه تعالى عبر عنه بقوله في سبيل الله ليكون كالتنبيه على السبب في وجوب هذا الانفاق فالمال مال الله فيجب انفاقه في سبيل الله ولان المؤمن اذا سمع ذكر الله اهتز نفسه ونشط وهان عليه ما دعي اليه والباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل الايدي الانفس كقوله بما كسبت ايديكم بما قدمت يداك اي لا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل بل ههنا حذف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها عن ابي عبيدة والزجاج ان التهلكة والهلاك والهلك واحد لم يوجد مصدر على تفعلة بضم العين سوى هذا الا ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة لشجر والتتفلة لولد الثعلب ويجوز ان يقال اصل التهلكة بالكسر كالتجربة والتبصرة على انها مصدر من هلك مشدد العين فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وليس الغرض من هذا التكليف على ما ظن تصحيح لفظ القرآن كيلا تحرم فصاحته فانه اجل من ان يحتاج في تصحيحه الى الاستشهاد بكلام الفصحاء من البشر كيف لا وهو حجة على غيره وليس لغيره ان يكون حجة عليه وانما الغرض الضبط والتسهيل ما امكن فتنبه وللمفسرين في هذا الالقاء خلاف فمنهم من قال انه راجع الى الانفاق روى البخاري في صحيحه عن حذيفة قال نزلت هذه الآية في النفقة وذلك ان لا تنفقوا في مهمات الجهاد اموالكم فيستولي العدو عليكم ويهلككم او ينفقوا كل ما لهم فيحتاجوا ويحتاجوا فيكون نهيا عن التقتير والاسراف وعنهما جميعا والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما او المعنى انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا ان انفقنا هلكنا لا وفر لهم ان يحكموا على انفسهم بالهلاك للنفاق او انفقوا ولا تلقوا ذلك الانفاق في التهلكة والاحباط بمن او اذى او رياء او سمعة ولا تبطلوا اعمالكم ومنهم من قال انه راجع الى غير الانفاق اي لا تخلوا بالجهاد فتتعرضوا للهلاك الذي هو سخط الله وعذاب النار ولا تقحموا في الحرب بحيث لا ترجون النفع

ولا يكون لكم فيه الا قتل انفسكم فان ذلك لا يحل كما ذكر عن البراء بن عازب انه قال في هذه الاية هو الرجل يستقبل بين الصفين وانما يجب ان يتقيه اذا طمع في النكاية
وان خاف القتل وروى الشافعي ان رسول الله صلعم ذكر الجنة فقال له رجل من الانصار ارأيت يا رسول الله ان قتلت صابرا محتسبا قال لك الجنة فانغمس في جماعة
العدو فقتلوه وان رجلا من الانصار القى درعا كان عليه حين ذكر النبي صلعم الجنة ثم انغمس في العدو فقتلوه بين يدي الرسول عم وروى ان رجلا من الانصار
تخلف من اصحاب بئر معونة فرأى الطير عكوفا على من قتل من اصحابه فقال لبعض من معه سأتقدم الى العدو فيقتلوني ولا اتخلف عن مشهد قتل فيه
اصحابي ففعل ذلك فذكروا للنبي صلعم فقال فيه قولا حسنا وروى اسلم ابو عمران قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس قالوا سبحان الله
يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم تأولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار ولما
اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون النبي صلعم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا
ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه يرد علينا ما قلنا فكانت التهلكة الاقامة في الاموال واصلاحها وترك الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله
حتى دفن بارض الروم وقيل ان الاية من تمام ما قبلها اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم فان الحرمات قصاص ولا يحملنكم حرمة الشهر على ان تستسلموا
لمن قاتلكم فتهلكوا بترككم القتال عن النعمان بن بشير كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فانزل الله تعالى هذه الاية وذلك انه يرى انه لا ينفعه
معه عمل فيترك العبودية ويصر على الذنب فنهى عن القنوط من رحمة الله واحسنوا في الانفاق بان يكون مقرونا بطلاقة الوجه او على قضية العدالة بين
التقتير والاسراف وفي فرايض الله عن الحسن ان الله يحب المحسنين اي الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا مقام القرب
والقرب بمقتضى الارادة الذاتية وهذا من الله ولكل خبر التاويلات قاتلوا من يمنعكم عن السير في سبيل الله واراد ان يقطع عليكم طريقه من
شياطين الانس والجن حتى نفوسكم التي هي اعدى عدوكم ولا تعتدوا لا تتجاوزوا عن حد الشرع فتجاهدوا بالطبع لكن كونوا ثابتين على قدم الاستقامة
بقدر الاستطاعة من غير افراط وتفريط واقتلوا كفار النفس بسيف الرياضة حيث ظفرتم بهم ومجاهدتها بمخالفة هواها واخرجوهم من صفات النفس
كما اخرجوكم من جمعية القلب وحضوره والفتنة اي المحنة التي ترد على القلب من طوارق صفات النفس الحاجبة عن الله اشد من قتل النفس بمخالفة هواها
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام لا تلتفتوا الى النفس في صفاتها اذ كنتم امنين مطمئنين في مقامات القلب والروح حتى يزاحموكم في الحضور وداعية
الهوى فان قاتلوكم في الجمعية والحضور فاقتلوهم بسيف الصدق واقطعوا مادة تلك الدواعي عن نفوسكم بكل ما امكن لئلا يبقى لكم علاقة تصد
عن الله فان انتهوا بان قنعت بما لا بد لها فلا تغلوا في مجاهدتها الشهر الحرام اي ما يفوتكم من الاوقات والاوراد بعوائق النفس ونزاعها وغلبات
صفاتها فتداركوه الشهر بالشهر واليوم باليوم فمن اعتدى فكل صفة غلبت وتسولت فعالجوها بضدها البخل بالسخاء والغضب بالحلم والحرص
بالزهد والشهوة بالعفة واتقوا الله في الافراط والتفريط ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالتفريط في الحقوق والافراط في الحظوظ وبموافقة
النفوس ومخالفة النصوص وبالركون الى الغرور بالحسبان والغرور والله المستعان على ما يصفون وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ وتمام كنيد حج وعمره را از براى خدا پس اگر باز داشته شويد
پس هرچه ميسر شود از هدى ومتراشيد سرهاى خود را تا برسد هدى بجاى خود پس هركه باشد مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ از شما بيمار يا باو ناخوشى باشد از سرش پس فديه دهد
از روزه يا صدقه يا ملل كرد پس چون فارغ شديد پس هركه بهره يابد بعمره تا بحج پس هرچه ميسر شود مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي از هدى پس هركه نيافت پس روزه بگيرد سه روز
در حج وهفت روز وقتى كه برگشتيد اين ده روز تمام ميشود اين از براى كسيست كه نباشد يارانش حاضران الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ القراءة من راسه كذلك لباس الكاس كلها بغير همز ابو عمرو وغير شجاع ويزيد و مسجد الحرام وبپرهيزيد خدا را وبدانيد كه خدا سخت است
عقوبتش الاعشى وحمزة في الوقف الوقوف لله ط لان عارض الاحصار خارج عن موجب الاصل من الهدي لعطف المختلفين محله ط لابتداء حكم
كفارة الضرورة او نسك لان اذا للشرط مع الفاء وجوابه محذوف اي فاذا امنتم من خوف العدو وضعف المرض فامضوا امنتم وقف لحق الحذف و
بدأ الشرط في حكم اخر وهو التمتع من الهدي ج رجعتم ط كاملة ط الحرام ط العقاب التفسير الحج في اللغة القصد كما مر في قوله فمن حج البيت او اعتمر وفي الشرع
عبارة عن افعال مخصوصة وهي على ثلاثة اقسام اركان وابعاض وهيئات لان كل عمل يفرض فيه فاما ان يتوقف التحلل عليه وهو الركن او لا يتوقف فاما
ان يجبر بالدم وهو البعض او لا يجبر وهو الهيئة والاركان عند الشافعي خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وحلق
الراس او تقصيره وخالف ابو حنيفة في السعي لا مدخل للجبران في الاركان واما الابعاض اعني الواجبات المجبورة بالدم فالاحرام من الميقات والرمي فاما
وفي الوقوف بعرفة الى ان تغرب الشمس وفي المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وفي طواف الوداع خلاف واما الهيئات فالاغتسال وطواف القدوم
والرمل والاضطباع في الطواف وفي السعي واستلام الركن وتقبيله والسعي في موضع السعي والمشي في موضع المشي والخطب والاذكار والادعية الى غير
ذلك وبالجملة ما سوى الاركان والابعاض ولا دم في تركها واما في العمرة فما سوى الوقوف من اركان الحج اركان فيها ثم ان قوله عز من قائل واتموا امر بالاتمام

في مقامات القلب والروح

وهل هذا الامر مطلق او مشروط فالشافعي على انه مطلق والمعنى افعلوا الحج والعمرة على نعت التمام والكمال وابو حنيفة على انه مشروط والمعنى من شرع فيه
فليتمه كما اذا كبر بالصلوة لزمه الاتمام تطوعا وفائدة الخلاف تظهر في العمرة فانها تصير واجبة على المعنى الاول دون الثاني حجة الشافعي ان الاتمام قد يراد
به فعل الشيء تاما كاملا كقوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن اي اداهن على التمام والكمال وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل اي افعلوا الصيام تاما الى الليل
وهذا اولى من تفسيره بانكم اذا شرعتم فيه فاتموه لان الاصل عدم اضمار هذا الشرط ولان المفسرين اجمعوا على ان هذه اول اية نزلت في الحج فحملها على
الايجاب ليكون تاسيسا اولى من حملها على الاتمام بشرط الشروع فانها تكون حينئذ تبعا ولانه قرئ واقيموا الحج والعمرة والشاذ يصلح للترجيح وان لم يصلح
للقطع كخبر الواحد ولان الوجوب المطلق يستلزم الاتمام والاتمام بشرط الشروع لا يستلزم اصل الوجوب فتاويلنا اكثر فائدة فيكون اولى ولانه
احوط واعتمر النبي صلعم قبل الحج ولو لم تكن العمرة واجبة لكان الاشبه ان يبادر الى الحج الذي هو واجب قال تعالى يوم الحج الاكبر وفيه دليل على وجود حج اصغر
وما ذلك الا العمرة بالاتفاق ولكن الحج واجب على الاطلاق لقوله ولله على الناس حج البيت فيدخل فيه الاكبر والاصغر حجة ابي حنيفة قصة الاعرابي الذي
سئل النبي صلعم عن اركان الاسلام فعلمه الصلوة والزكوة والحج والصوم فقال الاعرابي لا ازيد على هذا ولا انقص فقال النبي صلعم افلح الاعرابي ان صدق
وقال صلعم بني الاسلام على خمس الحديث ولم يذكر العمرة واجيب بان العمرة حج اصغر فيدخل في مطلق الحج قالوا روي عن جابر ان النبي صلعم سئل عن العمرة اواجبة
هي ام لا فقال لا وان تعتمر خير لك وعن ابي هريرة عن النبي صلعم الحج جهاد والعمرة تطوع واجيب بانها اخبار احاد فلا تعارض القرآن وايضا لعل العمرة ما كانت
واجبة حين ما ذكر النبي صلعم الاحاديث ثم نزل بعدها واتموا الحج وذلك في السنة السابعة من الهجرة وايضا انها معارضة باخبار تدل على وجوبها روى
النعمان بن سالم عن عمرو بن اوس عن ابي رزين انه سئل النبي صلعم قال ان ابي شيخ كبير ادرك الاسلام ولا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن فقال صلعم حج عن ابيك
واعتمر امرهما والامر للوجوب وروي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وحمله على انهما يقترنان في الذكر تكلف وعن ابن عمر ان رجلا قال له اني
وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك حمله على ان الوجوب مستفاد من الاهلال بهما لا يخلو من تعسف
قالوا قرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع فكانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج في الوجوب واجيب بان الشاذة لا تعارض المتواترة وبانها
ضعيفة من حيث العربية لعطف الاسمية على الفعلية والخبرية على الطلبية وبان كون العمرة عبادة لله لا ينافي وجوبها واعلم ان لاداء النسكين
ثلثة اوجه الافراد والتمتع والقران فالافراد ان يحج ثم بعد الفراغ منه يعتمر من ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة والقران ان يحرم بالحج و
العمرة معا في اشهر الحج بان ينويهما بقلبه معا وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم قبل الطواف ادخل الحج عليها يصير قارنا والتمتع هو ان يحرم بالعمرة من
ميقات بلده في اشهر الحج ويأتي باعمالها ثم يحج في هذه السنة من مكة سمي تمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما بعد التحلل من العمرة قبل الاحرام
بالحج ولانه ايضا يربح ميقاتا لانه لو احرم بالحج من ميقات بلده لكان يحتاج بعد فراغه من الحج الى ان يخرج الى ادنى الحل فيحرم بالعمرة منه واذا تمتع استغنى عن الخروج
لانه يحرم بالحج من جوف مكة ولا خلاف بين ائمة الامة في جواز هذه الوجوه انما الخلاف في الافضلية فقال الشافعي افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران و
قال في اختلاف الحديث التمتع افضل من الافراد وبه قال مالك والامامية قالوا لا يجوز لغير حاضري المسجد الحرام العدول عن التمتع الا لضرورة وقال ابو حنيفة
القران افضل ثم الافراد ثم التمتع وهو قول المزني وابي اسحق المروزي وقال ابو يوسف ومحمد القران افضل ثم التمتع ثم الافراد حجة الشافعي في افضلية الافراد
قوله واتموا الحج والعمرة وذلك ان العطف يقتضي المغايرة وانها تحصل عند الافراد فاما عند القران فالموجود شيء واحد هو حج وعمرة معا وايضا الاعمال
عند الافراد اكثر فيكون الثواب اكثر وذلك هو الفضل وما روي عن انس انه قال كنت واقفا عند جران ناقة رسول الله صلعم وكان لعابها يسيل على كتفي
فسمعته يقول لبيك بعمرة وحجة معا معارض بما روى مسلم في صحيحه عن عائشة ان النبي صلعم افرد الحج وهكذا روى جابر وابن عمر وقد رجح الشافعي رواية عائشة
وجابر وابن عمر على رواية انس بانهم اعلم واقرب الى رسول الله صلعم والصق برسول الله صلعم واقدم صحبة وان انسا كان صغيرا في ذلك الوقت قليل العلم حجة القائلين
بافضلية القران ان في القران مسارعة الى النسكين وفي الافراد ترك المسارعة الى احدهما فيكون افضل لقوله وسارعوا واجيب بانا لا نقول الحجة المفردة
بلا عمرة افضل من الحجة المقرونة لكنا نقول من اتى بالحج في وقته ثم بالعمرة في وقتها فمجموع هذين الامرين افضل من الاتيان بالحجة المقرونة ثم اختلف في تفسير
الاتمام في قوله تعالى واتموا فعن علي عليه السلام وابن عباس وابن مسعود ان تمامهما ان تحرم من دويرة اهلك وقال ابو مسلم المعنى ان من نوى الحج والعمرة لله وجب
الاتمام قال ويدل على صحة هذا التاويل ان الاية نزلت بعد ان منع الكفار النبي صلعم في السنة الماضية عن الحج والعمرة فالله تعالى امر رسوله في هذه الاية
بان لا يرجع حتى يتم الفرض ويعلم منه ان تطوع الحج والعمرة كفرضهما في وجوب الاتمام وقال الاصم المراد اتمام الاداب المعتبرة فيهما وهي عشرة على ما ذكر
في الاحياء الاول في المال فينبغي ان يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من يلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده
من الودائع ويستصحب من المال الطيب الحلال ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء ويتصدق
بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل ويكريها الثاني الاخوان والرفقاء المقيمون يودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جعل في دعائهم
خيرا والسنة في الوداع ان يقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك الثالث اذا هم بالخروج صلى ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل
يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص وبعد الفراغ يتضرع الى الله بالاخلاص الرابع اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لا حول
ولا قوة الا بالله وكلما كانت الدعوات اكثر كان اولى الخامس اذا ركب قال بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون السادس ان ينزل والسنة ان يكون اكثر سيره بالليل ولا ينزل حتى يحمى النهار واذا نزل صلى ركعتين ودعا الى الله كثيرا السابع ان تصدق عدوا وسبع بالليل وبالنهار وليقرأ اية الكرسي شهد الله والاخلاص والمعوذتين ثم يقول تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت الثامن منها على تستر من الارض الطريق يجب ان يكبر ثلثا التاسع ان لا يكون هذا السفر مشوبا بشيء من الاغراض العاجلة كالتجارة وغيرها العاشر ان يصون لسانه عن الرفث والفسوق والجدال ثم بعد الاتيان بهذه المقدمات ياتي بجميع اركان الحج على الوجه الاصح الاقرب الى موافقة الكتاب والسنة ويكون غرضه في كل هذه الامور ابتغاء مرضات الله تعالى ليكون مؤتمرا لقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اقتداء بابرهيم عليه السلام حين ابتلى بكلمات فاتمهن وقيل المراد من قوله واتموا افردوا وكل واحد منهما بسفره ويؤيده هذا تأويل من قال الافراد افضل واقرب هذه الاقوال ما يرجع حاصله الى معنى ائتوا بالحج والعمرة تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما واديهما لوجه الله بدليل قوله فان احصرتم قال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس ومنه الحصير للملك لانه كالمحبوس في الحجاب والحصير معروف سمي به لانضمام بعض اجزائه الى بعض فكان كل منها محبوس مع غيره والحصير الجنب ايضا والاكثرون على ان لفظ الحصر مخصوص بمنع العدو يقال حصره العدو اذا منعه عن مراده وضيق عليه عن ابي عبيدة وابن السكيت والزجاج وغيرهم ان لفظ الاحصار مختص بالمرض ونحوه من خوف وعجز قال تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقيل الاحصار مختص بمنع العدو ومنه ما يروى عن ابن عمر وابن عباس لا حصر الا حصر العدو وفائدة الخلاف في الاية تظهر في مسئلة فقهية وهي انهم اتفقوا على ان حكم الاحصار عند حبس العدو ثابت وهل يثبت بسبب المرض وسائر الموانع قال ابو حنيفة يثبت وقال الشافعي ومالك واحمد لا يثبت بل يصبر حتى يبرأ نعم لو شرط انه اذا مرض تحلل صح الشرط لما روي انه صلى الله عليه وسلم مر بضباعة بنت الزبير فقال اما تريدين الحج فقالت اني شاكية فقال حجي واشترطي ان محلي حيث حبستني في حكم المرض كل عرض صحيح كضلال الطريق ونفاد الزاد حجة ابي حنيفة ظاهر كلام اكثر اهل اللغة وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل حجة الشافعي قول ابن عمر وابن عباس وطائفة من اهل اللغة وايضا الهمزة في احصر للتعدية ليس للسلب وانه حصر اي اقتضى المفعول فيكون للوجود ولصيرورته ذا كذا فيؤول المعنى الى انكم ان وجدتم وحصرتم محصورين فلا يبقى للنزاع وايضا المانع مما يتحقق عند وجود المقتضي والمريض لا قدرة له على الفعل فلا مانع بالنسبة اليه فثبت ان لفظ الاحصار حقيقة في العدو دون المرض وايضا لفظ المانع على المرض غير معقول لانه عرض لا يبقى زمانين وايضا لو كان المريض داخلا في المحصر لكان في قوله فمن كان منكم مريضا نوع تكرار ولزم عطف الشيء على نفسه واعتذر عن هذا بان المريض انما خص بالذكر لان له حكما خاصا وهو حلق الراس فصار تقدير الاية ان منعتم لمرض تحللتم بدم وان تأذى راسكم بمرض حلقتم وكفرتم وايضا فاذا امنتم يناسب الخوف من العدو ولا يقال في المرض شفي وعوفي لا امن ولو قيل انه خصوص اخر الاية لا يقدح في عموم اولها قلنا لا يلزم من عدم القدح وجود المناسبة وقيل انه منع المرض خاصة وهو باطل بالدلائل المذكورة وزيادة وهي ان المفسرين اجمعوا على ان سبب نزول الاية ان الكفار حصروا النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية والائمة وان اختلفوا ان الاية هل تتناول غير سبب النزول ام لا الا انهم اتفقوا على ان خروج ذلك السبب عنها بعيد وفي الاية اضماران والتقدير فتحللتم او اردتم التحلل فعليكم ما استيسر او فاهدوا ما استيسر اي ما تيسر مثل استعظم واستكبر وتكبر اما الاضمار الاول فلان نفس الاحصار لا يوجب هديا وانما الموجب هو التحلل ونية التحلل واما الاضمار الثاني فلان قوله ما استيسر اما مرفوع على الابتداء وخبره محذوف واما منصوب على المفعولية وناصبه محذوف والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج وهي شيء محشو تحت دفتي السرج جدي وقرئ من الهدي جمع هدية كمطية ومطي وهذه لغة تميم ومعنى الهدي ما يهدى الى بيت الله تقربا اليه بمنزلة الهدية عن علي رضي الله عنه وابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادونها شاة فعليه ما تيسر له من هذه الاجناس وللمحصر المحرم اذا اراد التحلل ذبح وجب ان ينوي التحلل ولا يتحلل البتة قبل الذبح واكثر الفقهاء على ان حكم العمرة في الاحصار حكم الحج وعن ابن سيرين انه لا احصار فيها لانها غير موقتة ورد بان قوله تعالى فان احصرتم مذكور عقيب الحج والعمرة فكان عائدا اليهما وبانه صلى الله عليه وسلم تحلل بالاحصار عام الحديبية وكان معتمرا وما حد الاحصار قال العلماء لو منعوا ولو تمكنوا من المسير الا ببذل مال فلهم ان يتحللوا ولا يبذلوا المال وان قل اذ لا يجب احتمال الظلم في اداء الحج بل يكره البذل ان كان الطالبون كفارا والاكثرون على انه لا يجب القتال على الحجيج وان كان العدو كفارا او كان في مقابلة كل مسلم اقل من مشركين واذا قاتلوا فلهم لبس الدروع والمغافر لكنهم يفدون كما لو لبسوا المخيط لدفع حر او برد ولا فرق على الاصح في جواز التحلل بين ان يمنعوا من المضي دون الرجوع او يمنعوا من جميع الجوانب لانهم يستفيدون بالتحلل الامن من العدو المواجه لو صد عن طريق وهناك طريق اخر وجد شرائط الاستطاعة فيه لزمهم سلوكه ولم يكن لهم التحلل في الحال واذا سلكوه ففاتهم الحج لخزونته او لطوله تحللوا بعمل عمرة ولا يلزمهم القضاء على الاظهر من قولي الشافعي لانهم بذلوا مجهودهم فصاروا كالمصدود بن مطلقا نعم لو استوى الطريقان من كل وجه وجب القضاء لان الموجود فوات محض في قوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله حذف لانه لو حل لا يتحلل ببلوغ الهدي محله بل لا يحصل التحلل الا بالنحر فالتقدير حتى يبلغ الهدي محله وينحر وانما جاز تذكير الهدي لان كل ما يفرق بين واحده وبينه بالتاء وعدمه جاز تذكيره وتانيثه قال تعالى اعجاز نخل منقعر وفي موضع اخر اعجاز نخل خاوية والمحل اسم للزمان الذي يحصل فيه الحل ومنه محل الدين لوقت وجوب قضائه واسم للمكان قال الشافعي يجوز اراقة دم الاحصار لا في الحرم بل حيث حبس وقال ابو حنيفة لا يجوز ذلك الا في الحرم يبعثه ويجعل للمبعوث على يده يوم امار يحتج الشافعي انه صلى الله عليه وسلم احصر بالحديبية فنحر هناك واجيب بان محصره طرف الحديبية الذي هو اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي

الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة وورد بقوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله فان هذه الآية صريحة في انهم نحروا الهدى في غير الحرم ايضا قوله فان احصرتم يتناول كل من كان محصرا سواء كان في الحل او في الحرم وقوله فما استيسر يدل على وجوب النحر فيجب ان يكون المحصر قادرا على اراقة الدم حيث احصر وايضا التحلل موقوف على النحر فلو توقف النحر على وصوله الى الحرم لم يحصل التحلل في الحال وهذا يناقض ما هو المقصود من شرع الحكم وهو تخليص النفس من العدو في الحال وايضا لو كان الوصول الى الحرم هو المحصر فكيف يؤمر بهذا الفعل مع قيام الخوف وان كان غيره فقد لا يجد ذلك الغير فماذا يفعل حجة ابي حنيفة ان المحل عبارة عن مكان الحل قوله حتى يبلغ الهدى محله يدل على انه غير بالغ في الحال الى ذلك المكان وايضا ثبت ان لفظ المحل يشمل الزمان والمكان الا ان قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق وقوله هديا بالغ الكعبة يزيل احتمال الزمان وفي البدن نفسه لا يراق فيه الدماء فتعين ان يكون هو الحرم واجيب بان كل ما وجب على المحرم في ماله من فدية وجزاء وهدي فلا يجزي الا في الحرم لمساكين اهله الا اذا عطب الهدى فينحر في طريقه ويخلي بينه وبين المساكين والا اذا احصر فانه ينحر هديه حيث حبس بالدلائل المذكورة قالوا الهدية لا يكون هدية الا اذا بعثها الى دار المهدى اليه فالهدى كذلك ورد بان هذا تمسك بالاسم وهو محمول على الافضل عند القدرة والمحصر اذا كان عادما للهدى فهل له بدل ينتقل اليه للشافعي فيه قولان احدهما لا بدل له ويكون الهدى في ذمته ابدا وبه قال ابو حنيفة لانه تعالى اوجب الهدى وما اثبت له بدلا وعلى هذا فماذا يفعل فيه قولان اصحهما انه يتحلل في الحال كالواجد وصام بدله كيلا يعظم المشقة والاخر واليه ميل ابي حنيفة انه يقيم على احرامه حتى يجده والقول الثاني ان له بدلا وهذا اصح وبه قال احمد قياسا على سائر الدماء الواجبة على المحرم وعلى هذا فما ذلك البدل الاصح الطعام لان قيمة الهدى اقرب اليه من الصيام واذا لم يرد النص الا بالهدى فالرجوع الى الاقرب اولى ثم الصيام عن كل مد يوما وفي قول صوم التمتع عشرة ايام وقيل صوم الاذى ثلثة ايام وبالجملة فالآية دلت على ان المحصرين لا ينبغي لهم ان يحلوا فيحلقوا رؤسهم الا بعد تقديم ما استيسر من الهدى كما انه امرهم ان لا يناجوا الرسول الا بعد تقديم الصدقة ومعنى حتى يبلغ الهدى محله حتى تنحروا هديكم حيث حبستم وحتى تعلموا ان هديكم الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه اي الحرم ولكن الافضل في الحج منى وفي العمرة المروة ولا بد من نية التحلل عند الذبح لان الذبح قد يكون للتحلل وقد يكون لغيره فلا بد من قصد صارف فان كان مصدودا عن البيت دون الاطراف الحرم فهل له ان يذبح في الحل اصح الوجهين عند الشافعي ان له ذلك واذا احصر فتحلل نظر ان كان نسكه تطوعا فلا قضاء عليه وبه قال مالك واحمد لان المصدودين مع النبي صلعم كانوا الفا واربعمائة والذين اعتمروا معه عمرة القضاء كانوا نفرا يسيرا ولم يامر الباقين بالقضاء وقال ابو حنيفة عليه القضاء وان لم يكن نسكه تطوعا نظر ان لم يكن مستقرا عليه كحجة الاسلام فيما بعد السنة الاولى من سني الامكان وكالنذر والقضاء فهو باق في ذمته كما كان كما لو شرع في صلوة ولم يتمها يبقى في ذمته ومهما احصر بمرض ونحوه وقد صححناه بالآية فحكم الهدى ما مر في الاحصار بالعدو وان صححنا بان كان قد شرط التحلل به اذا مرض فهل يلزمه الهدى للتحلل فان كان قد شرط التحلل بالهدى فنعم وان كان قد شرط التحلل بلا هدي فلا وكذا ان اطلق على الاظهر لمكان الشرط قوله عز من قائل فمن كان منكم مريضا قيل انه مختص بالمحصر وذلك انه قبل بلوغ الهدى محله ربما لحقه مرض او اذى في راسه ان صبر فالله تعالى اذن له في ازالة ذلك المؤذي بشرط بذل الفدية والاكثرون على انه كلام مستانف في كل محرم لحقه مرض في بدنه فاحتاج الى علاج او اذى في راسه فاضطر الى الحلق والنسك العبادة وقرئ بالتخفيف قيل جمع نسيكة وهي الذبيحة قال ابن الاعرابي النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث ثم قيل للذبيحة نسك لانها من اشرف العبادات التي يتقرب بها الى الله واتفقوا في النسك على ان اقله شاة كما في الاضاحي واما الصيام والاطعام فليس في الآية ما يدل على كميتهما وكيفيتهما وبماذا يحصل بيانه فيه قولان احدهما وعليه اكثر الفقهاء ومنهم الشافعي وابو حنيفة ان بيانه في حديث كعب بن عجرة قال حملت الى رسول الله صلعم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة فقلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق راسك فنزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة وثانيهما عن ابن عباس والحسن الصيام كصيام المتمتع عشرة ايام والاطعام مثل ذلك في العدد قال العلماء المريض قد يحوج الى اللباس والى الطيب والى الدهن وفي كل منها نوع استمتاع فالحقوا فدية نحو هذه المحظورات بفدية الحلق لاشتراك الجميع في الترفه والحاصل انه يدخل فيه كل محظورات الاحرام سوى الجماع ففيه بدنة ثم بقرة ثم سبع شياه ثم طعام بقيمة البدنة ثم صيام بعدد الامداد كما يجيء في قوله فلا رفث وسوى الصيد ففيه الجزاء على ما يجيء تفصيله في المائدة وفي هذه الآية ايضا اضمار اي فحلق فعليه فدية فاذا امنتم ان كان معناه الامن بعد الخوف فهو قبل الحلل فجواب الشرط وهو ما بعده او محذوف وان كان معناه اذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فقوله فمن تمتع الشرط مع الجزاء جواب الشرط الاول ولا وقف على امنتم ومعنى التمتع التلذذ واصله الطول جبل ماتع اي طويل وكل من طالت صحبته الشيء فهو متمتع به قد عرفت معنى التمتع بالعمرة الى الحج وهو ان يقدم مكة فيعتمر في اشهر الحج ثم يقيم حلالا بمكة حتى ينشئ منها الحج فيحج من عامه ذلك والتمتع بهذا الوجه صحيح لا كراهة فيه وما يروى ان عمر خطب وقال متعتان على عهد رسول الله صلعم انا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج ذكر الائمة ان تلك المتعة هي ان يجمع بين الاحرامين ثم يفسخ الحج الى العمرة ويتمتع بها الى الحج وروي ان النبي صلعم اذن لاصحابه في ذلك ثم نسخ وعن ابي ذر انه قال ما كانت متعة الحج الا لنا خاصة يعني الركب الذين كانوا مع النبي صلعم وكان السبب فيه انهم كانوا لا يرون العمرة في اشهر الحج ويعدونها من افجر الفجور فلما اراد النبي صلعم ابطال ذلك الاعتقاد عليهم بالغ فيه بان نقلهم في اشهر الحج من الحج الى العمرة وهذا سبب لا يشاركهم فيه غيرهم فلهذا المعنى كان فسخ الحج في اشهر الحج خاصا بهم ومعنى التمتع بالعمرة الى الحج انه يتمتع بمحظورات

الاحرام بسببها بنه بالعمرة الى اوان الحج وقيل استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج والوجوب الدم على المتمتع شروط منها ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام لقوله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام ويجئ تمام الكلام فيه عما قريب ومنها ان يحرم بالعمرة الى الميقات فان جاوزه مريد النسك ثم احرم بها فان كان الباقي اقل من مسافة القصر قبل اشهر الحج ثم حج فليس عليه دم التمتع ولكن يلزمه دم الاساءة وان كان الباقي مسافة القصر فعليه دمان ومنها ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج فلو احرم وفرغ من اعمالها قبل اشهر الحج ثم حج لم يلزمه الهدى لانه اشبه الافراد ولو احرم بها قبل اشهر الحج واتى بجميع افعالها في اشهره فاصح قولي الشافعي انه لا يلزم الدم وبه قال احمد لانه لم يجمع بين النسكين في اشهر الحج لتقدم احد اركان العمرة ولو سبق الاحرام مع بعض الاعمال قبل اشهر الحج فعدم وجوب الدم اولى وعن مالك انه مهما حصل التحلل في اشهر الحج وجب الدم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر اعمال العمرة في الاشهر كان متمتعا ومنها ان يقع الحج والعمرة في سنة واحدة فلو اعتمر ثم حج في السنة القابلة فلا دم عليه سواء اقام بمكة الى ان حج او رجع وعاد لان الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات مع حصوله في وقت الامكان ولم يوجد وعن سعيد بن المسيب قال كان اصحاب رسول الله صلعم يعتمرون في اشهر الحج واذا لم يحجوا في عامهم ذلك لم يهدوا ومنها ان يحرم بالحج من جوف مكة بعد الفراغ من العمرة فان عاد الى ميقاتها الذي انشاء العمرة منه واحرم بالحج فلا دم عليه لانه لم يربح ميقاتا وفي اشتراط نية التمتع وجهان اصحهما لا يشترط كما لا يشترط نية القران وهذا لان الدم منوط بربح احد السفرين وذلك لا يختلف بالنية وعدمها ويخالف اشتراط نية الجمع بين الصلوتين من حيث ان اشهر الحج كما هي وقت الحج فهي وقت العمرة بخلاف وقت الصلوة ثم ان دم التمتع دم جبران الاساءة حتى لا يجوز له ان ياكل منه ام دم نسك حتى يجوز ان ياكل ذهب ابو حنيفة الى الثاني ومال الشافعي الى الاول لما روى ان عثمان كان ينهى عن المتعة فقال له علي رضي الله عنه تعالى اتنهي عنها وقد فعلها رسول الله صلعم للغريب للحاجة فابطلها في حق المتعة ورخصه هذا دليل النقص ايضا التمتع تلذذ وانه ينافي العبادة لانها مشقة وتكليف وايضا انه تعالى اوجب الهدى على المتمتع بلا توقيت فلو كان نسكا كان موقتا وايضا للصوم فيه مدخل ودم النسك لا يبدل بالصوم والكلام في مراتب هذه الهدى كما مر وينبغي ان يكون الابل ثنيا وهو الطاعن في السنة السادسة وكذا البقر وهو الطاعن في السنة الثالثة يجزي كل من الابل والبقر عن سبعة شركاء ولو اقتصر على الغنم فليكن ثني المعز وهو الذي دخل في السنة الثانية وهي جذع الضان وهو ايضا في السنة الثانية يستوي في هذا الباب الذكر والانثى ويستحب ان يذبح يوم النحر ولو ذبح بعد ما احرم بالحج جاز لان التمتع قد تحقق فترتب عليه الهدى جبرا له وكذا قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة على الاصح لانه حق مالي تعلق بسببين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج فاذا وجد احدهما جاز اخراجه كالزكوة والكفارة وعند ابي حنيفة لا يجوز بناء على انه نسك كدم الاضحية فيختص بيوم النحر وبه قال مالك واحمد فمن لم يجد الهدى وقيس عليه ما اذا لم يجد ما يشتريه او يبيع بثمن غال فعليه صيام ثلثة ايام في الحج قال الشافعي اي بعد الاحرام بالحج لانه تعالى جعل الحج ظرفا للصوم ولا يصلح سائر افعال الحج ظرفا له فلا اقل من الاحرام وايضا ما قبل الاحرام بالحج ليس وقتا للهدى الذي هو اصل فكذا البدله وقال ابو حنيفة في وقت الحج وهو اشهره يجوز ان يصوم بعد الاحرام بالعمرة وبمثله قال احمد في رواية وفي اخرى قال يجوز بعد التحلل من العمرة ولا يجوز ان يصوم شيئا منها في يوم النحر ولا في ايام التشريق كما مر في الصوم والمستحب ان يصوم الايام الثلثة قبل يوم عرفة فان الاحب للحاج يوم عرفة يعرفة ويحكى عن ابي حنيفة ان التخصص كان بحيث لا يضعف فالاولى ان يصوم جائزة للفضيلتين ويعلم مما ذكرنا انه يستحب ان يحرم بالحج قبل عرفة بثلثة ايام ليصوم فيها واما الواجد للهدى فالمستحب له ان يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجها الى منى لما روى عن جابر ان النبي صلعم قال اذا توجهتم الى منى فاهلوا بالحج واذا فاته صوم الايام الثلثة في الحج لزمه القضاء عند الشافعي لانه صوم واجب فلا يسقط بفوت وقته كصوم رمضان واذا قضاها لم يلزمه دم خلافا لاحمد وعند ابي حنيفة يسقط الصوم بالفوت ويستقر الهدى في ذمته وسبعة اذا رجعتم للشافعي في المراد من الرجوع قولان اصحهما الرجوع الى الاهل والوطن لما روى انه صلعم قال للمتمتعين من كان معه هدى فليهد ومن لم يجد فليصم ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والثاني ان المراد منه الفراغ من اعمال الحج وبهذا قال ابو حنيفة واحمد كانه بالفراغ رجع عما كان مقبلا عليه من الاعمال وعلى الاصح لو توطن مكة بعد فراغه من الحج صام وان لم يتوطنها لم يجز صومه بها ولا في الطريق على الاصح لانه تقديم العبادة البدنية على وقتها ثم اذا لم يصم الثلثة في الحج حتى فرغ ورجع لزمه صوم العشرة عند الشافعي وهل يجب التفريق في القضاء بين الثلثة والسبعة لا عند امام الحرمين وطائفة وبه قال احمد لانه لا يجب التفريق في الاداء يتعلق بالوقت فلا يبقى حكمه في القضاء كالتفريق في الصلوات المؤدات والاصح عند اكثر اصحاب الشافعي وجوب التفريق كما في الاداء ويفارق التفريق الصلوات فان ذلك التفريق يتعلق بالوقت وهذا يتعلق بالفعل وهو الحج والرجوع وما قدر ما يقع به التفريق اصح الاقوال باربعة ايام ومدة امكان مسيره الى اهله على العادة الغالبة بناء على اصلين سبقا احدهما ان المتمتع ليس له صوم ايام التشريق والثاني ان المراد بالرجوع الرجوع الى اهله تلك عشرة كاملة طعن فيه بعض الملحدين ان هذا من ايضاح الواضحات فمن المعلوم بالضرورة ان الثلثة والسبعة عشرة وايضا قوله كاملة يوهم ان ههنا عشرة غير كاملة وهو محال فذكر العلماء من فوائده ان الواو في قوله وسبعة ليس نصا قاطعا في الجمع بل يكون للاباحة بمعنى او كما في قوله مثنى وثلث ورباع وكما في قولك جالس الحسن وابن سيرين لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا فذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا وعلى هذا مدار علم الحساب ويكفي به فائدة وايضا المعتاد ان البدل اضعف حالا من المبدل كالتيمم من الوضوء فلعل المراد ان هذا البدل كامل في كونه قائما مقام المبدل منه في الفضيلة سواء

ان يكون مفطرا لان الصوم يضعفه عن الدعاء

ودكر

وذكر العشرة لصحة التوصل به الى هذا الوصف اذ لو اقتصر على تلك لجاز ان يعود الى الثلثة اما الى السبعة وايضا قوله تلك عشرة كاملة يدفع التخصيص الذي
يتطرق الى كثير من العمومات في الشرع ويصرف الكلام الى التنصيص وايضا ان مراتب الاعداد ثلث الآحاد والعشرات والمآت فالعشرة هي من وسطاها فكانه
قال انما اوجبت هذا العدد لكونه موصوفا بصفة التوسط والكمال وايضا التوكيد طريقة مسلوكة في كلام العرب يعرف منه كون المذكور مما يعتقد به ويهتم وفيه
زيادة توصية بصيانتها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وايضا هذا الخطاب مع العرب ولم يكونوا اهل حساب فبين الله تعالى بذلك بيانا قاطعا
كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال في الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم اشار بيده ثلث مرة اخرى وامسك ابهامه في الثالثة تنبيها بالاشارة الاولى على الثلثين وبالثانية
على التسعة والعشرين وايضا فيه ازالة الاشتباه والتصحيف الذي يمكن ان يتولد من تشابه سبعة وتسعة في الخط وايضا يحتمل ان يراد كاملة في
الاجزاء حتى لا يتوهم انها بسبب التفرق غير مجزية كما لا يجزي في كفارات الظهار والقتل وقضاء رمضان الا الصوم المتتابع وايضا يحتمل ان يكون خبرا في معنى
الامر اي فليكن تلك الصيامات كاملة لانها الجابرة للخلل ليكون الحج المامور به تاما كاملا كما قال واتموا الحج والعمرة لله واعلم ان الصوم مضاف الى الله تعالى
في قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به والحج ايضا مضاف اليه تعالى في الاية واتموا الحج والعمرة لله وكما دل النقل على هذا الاختصاص فالعقل
ايضا يدل على ذلك اما الصوم فلانه عبادة لا يطلع عليها الا الله سبحانه وهو مع ذلك شاق على النفس جدا واما الحج فلانه عبادة لا يطلع العقل
اليه على وجوه الحكم فيها وهو مع ذلك شاق جدا لانه يوجب مفارقة الاهل والولد ويقتضي التباعد من اكثر اللذات والاستمتاعات فكل منهما لا يؤتى
به الا لمحض ابتغاء مرضاة الله تعالى ثم ان هذا الصوم بعضه واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين شقتين وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال
من شقة الى شقة والاجر على قدر النصب فلا جرم وصفه الله تعالى بالكمال في باب العبادة والتنكير في اللفظ ايضا يؤيد ذلك زادنا الله اطلاعا على
لطائف قرآنه العظيم ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واختلف العلماء في ان المشار اليه ماذا فقال ابو حنيفة واصحابه انه اشارة الى التمتع
وما ترتب عليه لانه ليس لبعض اولى من البعض فيعود الى كل ما تقدم فلا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام وقال الشافعي بل عوده الى الاقرب اولى وهو
الحكم بوجوب الهدي على المتمتع وايضا قوله فمن تمتع عام يشمل الحرمي والميقاتي والآفاقي وايضا انه تعالى شرع القران والمتعة ابانة لنسخ ما كان عليه اهل
الجاهلية في تحريمهم العمرة في اشهر الحج والنسخ يثبت في حق الناس كافة وتفرع على مذهب ابي حنيفة ان من تمتع او قرن من حاضري المسجد الحرام كان عليه
دم وهو دم جناية لا ياكل منه وعلى مذهب الشافعي ان يصح تمتعهم وقرانهم ولا يجب عليهم شيء فان لزوم الهدي على الآفاقي بسبب انه احرم في الميقات
عن العمرة ثم احرم عن الحج لا عن الميقات فيلزمه جبر الخلل بدم والمكي لا يجب عليه ان يحرم عن الميقات فلو حصل في حجة تمتع او قران او افراد فلا يلزمه الهدي
ولا بدله ثم اختلفوا في حاضري المسجد الحرام فعن مالك انهم اهل مكة واهل ذي طوى وعن طاوس هم اهل الحرم وعن الشافعي هم الذين يكونون على اقل
من مسافة القصر من مكة فان كانوا على مسافة القصر فليسوا من الحاضرين وبه قال احمد وعن ابي حنيفة انهم اهل المواقيت فمن دونها الى مكة والمواقيت
ذو الحليفة وهي على عشر مراحل من مكة وعلى ميل من المدينة والجحفة لاهل الشام ومصر والمغرب على خمسين فرسخا من مكة ويلملم من توابع اليمن
وقرن لنجد الحجاز وذات عرق من [illegible] العراق وخراسان وكل هذه الثلثة من مكة على مرحلتين فهذه هي المذاهب فحجة مالك انه قد
ان اهل مكة هم الذين يحضرون المسجد الحرام الا ان الشافعي قال قد يطلق المسجد الحرام ويراد الحرم قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
ورسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به من الحرم لا من المسجد وقد يقال حضر فلان فلانا اذا دنا منه ومن كان مسكنه دون مسافة القصر فهو قريب نازل منزلة
المقيم في نفس مكة وفي مذهب ابي حنيفة بعد فانه يؤدي الى اخراج القريب من الحاضرين وادخال البعيد فيهم لتفاوت مسافات المواقيت ثم ان مسافة
القصر مرعية من نفس مكة او من الحرم الاعرف هو الثاني لما قلنا ان المسجد الحرام يراد به جميع الحرم قال الفراء ذلك لمن لم يكن معناه ذلك الفرض
الذي هو الدم او الصوم لازم على من لم يكن من اهل مكة كقوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء اي عليهم وذكر حضور الاهل والمراد حضور المحرم لان الغالب على الرجل انه يسكن حيث
اهله ساكنون فاتقوا الله في محافظة حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن تهاون بحدوده قال ابو مسلم
العقاب والمعاقبة سيان واشتقاقهما من العاقبة كانه يراد عاقبة فعل السيء كقول القائل لتذوقن غب فعلك التأويل حج الخواص حج رب البيت و
شوقه وهذه سيرة ابراهيم عليه السلام كما قال اني ذاهب الى ربي ولكنه احصر في السماء السابعة فلا جرم اهدى باسمعيل ولما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم كان ذهابه بالله ما احصر
شيء فقال له واتموا الحج والعمرة لله وجرى ما جرى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ثم قال لامته اسعوا في اتمام صورة الحج
بقدر استطاعتكم وفي الحقيقة بان تخرجوا من وجودكم فان احصرتم باعداء النفس والهوى او بملال القلب او بكلال الروح باستيلاء الاحوال وتتمة
الاعمال فما استيسر من الهدي اعلاها الروح واوسطها القلب وادناها النفس لكيلا كان الاحصار به ولا تحلقوا لا تشتغلوا بغير الله حتى يبلغوا المقصد
فان عرض من جنح الارادة او يعلوه اذى من المزاحمات من غير فترة من نفسه فلم يجد بدا من الاناخة بفناء الرخص فليجتهد ان يتداركه بالفدية فقد
قيل من اقبل على الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله والصيام هو الامساك عن المشارب والصدقة الخروج عن المعلوم والنسك
ذبح النفس في مقاساة الشدائد فاذا امنتم الاحصار واقبل الجد الصاعد لزمان المساعد فمن تمتع بالعمرة الى الحج واستراح في الطلب فما استيسر
من الهدي من ترك مشارب الروح والقلب والنفس فمن لم يجد لم يستطع ترك تلك المشارب لعلو شانها وعظم مكانها فعليه الامساك عن مشاربها
القوى الثلث المدركة للمعاني المتصرفة فيها وهي الوهم والحافظة والمتخيلة هذا اذا كان في عالم المعنى فاذا رجع الى عالم الصورة فالامساك عن القوى السبع منها

وهي الحس المشترك والخيال لان الاولى مدركه الصور والثانية معينها على الحفظ وبعدها الحواس الخمس الظاهرة تلك عشرة كاملة هي الحواس الظاهرة والباطنة
ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام لان الحاضر في مقام القرب الانس لا يخاطب ولا يعاتب وانما يلزم العتب والطلب للسالك والسائر فاذا وصل فقد
استراح واتقوا ان تسكنوا الى فترة او وقفة وتركنوا الى مشرب من هذا المشارب واعلموا ان الله شديد العقاب للغافلين عن هذا الخطاب الغافلين بلذة الحجاب
اَلْحَجُّ اَشْهُرٌ مَّعْلُومٰتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيْهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمْهُ اللّٰهُ وَتَزَوَّدُوْا
حج کردن در ماهها چند است شناخته پس هر که واجب کرد بر خود حج را پس جماع نکند و گناه نکند و دشمنی نکند در حج و هر چه را که میکنید از خوبی میداند او را خدا و توشه بردارید
ع ٩
فَاِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوٰى وَاتَّقُوْنِ يٰۤاُولِي الْاَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَبْتَغُوْا فَضْلًا مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاِذَآ اَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفٰتٍ
پس بدرستی که بهترین توشها پرهیزکاریست و پرهیزید مرا ای صاحبان خرد نیست بر شما حرجی اگر طلب کنید زیادتی را از پروردگار تان پس چون بر گشتید از عرفات
فَاذْكُرُوا اللّٰهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوْهُ كَمَا هَدٰىكُمْ وَاِنْ كُنْتُمْ مِّنْ قَبْلِهٖ لَمِنَ الضَّآلِّيْنَ ثُمَّ اَفِيْضُوْا مِنْ حَيْثُ اَفَاضَ النَّاسُ
پس یاد کنید خدا را نزد مشعر الحرام و یاد آورید او را بجهة آنکه هدایت کرد شما را اگر چه بودید پیش از آن هر آینه از گمراهان پس مراجعت کنید از آن طرف که مراجعت کردند مردم
وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ فَاِذَا قَضَيْتُمْ مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَذِكْرِكُمْ اٰبَآءَكُمْ اَوْ اَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ
و طلب آمرزش کنید از خدا که خدا آمرزنده و مهربانست پس چون ادا کردید مناسک خود را پس یاد آورید خدا را چون یاد کردن تان پدرانتان را یا سخت تر پس از مردمان کسی است که
يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهٗ فِي الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّقُوْلُ رَبَّنَآ اٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَّفِي الْاٰخِرَةِ
میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا و نیست او را در آخرت هیچ بهره و از ایشان کسی است که میگوید پروردگارا بده ما را در دنیا خوبی و در آخرت
نصف
حَسَنَةً وَّقِنَا عَذَابَ النَّارِ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيْبٌ مِّمَّا كَسَبُوْا وَاللّٰهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ وَاذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْٓ اَيَّامٍ مَّعْدُوْدٰتٍ
خوبی و نگاه دار ما را از عذاب آتش آن گروه مر ایشانراست بهره از آنچه کسب کردند و خدا زود محاسبه است و یاد آورید خدا را در روزهای شمرده شده
فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيْ يَوْمَيْنِ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَاَخَّرَ فَلَآ اِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوْٓا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ القراءة فلا رفث
پس هر که شتاب کند در دو روز پس نیست گناهی بر او و هر که پس اندازد پس نیست گناهی بر او مر آنرا که بپرهیزد و بپرهیزید خدا را و بدانید که شما بسوی او گرد آئید ولا فسوق بالرفع فيهما
ابو عمرو ويعقوب وابن كثير ويزيد زاد يزيد ولا جدال بالرفع والباقون بفتح الثلثة وكذلك يروى الضطعي من طريق الحسن الهاشمي والتقون بالياء في الحالين
سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل ووافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل بالياء ومن تاخر وهبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش والشموني
وحمزة في الوقف بالتليين الوقوف معلومات ج الحج ط يعلمه الله ط التقوى ز للعارض بين الجملتين المتفقتين الالباب ه من ربكم ط لان اذا اجيبت
بالفاء فكانت شرطا في ابتداء حكم اخر الحرام ص لعطف المتفقتين هديكم ج لان الواو تصلح حالا واستينافا الضالين ه واستغفروا الله ج رحيم ه
ذكرا ط من خلاق ه النار ه مما كسبوا ط الحساب ه نصف الجزء معدودات ط لان الشرط في بيان حكم اخر عليه لا ولمح لابتداء شرط اخر مع العطف عليه
الثانية لا لتعلق اللام اتقى ط لاختلاف النظم تحشرون ه التفسير من المعلوم ان الحج ليس نفس الاشهر فالتقدير اشهر الحج او وقته اشهر معلومات كقولك
البلد شهران والحج حج اشهر معلومات اي لا حج الا فيها خلاف ما كان عليه اهل الجاهلية من النسيئ وقيل يمكن ان يقال جعل الحج نفس الاشهر كما في
قولهم ليل قائم ونهار صائم واتفق المفسرون على ان شوالا وذا القعدة من اشهر الحج واختلفوا في ذي الحجة فعن عروة بن الزبير ومالك كله لان اقل
الجمع ثلثة وقد يفعل الانسان بعد النحر ما يتصل بالحج من رمي الجمار ونحوه والمراة اذا حاضت فقد تؤخر الطواف الذي لا بد منه الى ايام بعد الشهر وعن
هذا ذهب عروة الى جواز تاخير طواف الزيارة الى اخر الشهر وعن ابي حنيفة عشر ذي الحجة وهو قول ابن عباس وابن عمر والنخعي والشعبي ومجاهد والحسن قالوا لفظ
الجمع يشترك فيما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما او نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا وانما راه في ساعة منها ورمي الجمار
يفعله الانسان وقد حل بالحلق والطواف والنحر من احرامه فكانه ليس من اعمال الحج والحائض اذا طاف بعده فهو في حكم القضا وانما قلنا ان يوم النحر من
اشهر الحج لانه وقت لركن من اركان الحج وهو طواف الزيارة ومن المفسرين من زعم ان يوم الحج الاكبر يوم النحر وعن الشافعي التسعة الاولى من ذي الحجة
مع ليلة النحر لان الحج يفوت بطلوع يوم النحر ولا يفوت العبادة مع بقاء وقتها قيل انه تعالى جعل كل الاهلة مواقيت للحج في قوله قل هي مواقيت للناس
والحج وفي هذه الاية جعل وقت الحج اشهر معلومات واجيب بان تلك الاية عامة وهذه خاصة والخاص مقدم على العام واقول الميقات علامة الوقت
فلولا الاهلة لم يعلم مدخل كل شهر على التعيين فجميع الاهلة في الاعلام سواء بالنسبة الى وقت مفروض فلا منافاة بين كون جميع الاهلة علامات
الحج من حيث انها تؤذن بما بقي من السنة الى اوان الحج وبين كون الاشهر المعلومات وقتا للحج ومعنى قوله معلومات ان الحج انما يكون في السنة مرة واحدة
في اشهر معينة من شهورها ليس كالعمرة التي يؤتى بها في السنة مرارا واحالهم في معرفة تلك الاشهر على ما كانوا علموه قبل نزول هذا الشرع وعلى
هذا فهذا الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه وانما جاء موافقا مقررا او المراد انها معلومات ببيان الرسول والمراد انها موقتة باوقات
معينة لا يجوز تقديمها وتاخيرها كما يفعله اصحاب النسيئ ثم ان الشافعي استدل بالاية على انه لا يجوز لاحد ان يهل بالحج قبل اشهر الحج وبه قال
احمد واسحق ولان الاحرام بالعبادة قبل وقت الاداء لا يصح قياسا على الصلوة ولان الخطبة في صلوة الجمعة لا يجوز قبل الوقت لانها اقيمت
مقام ركعتين من الظهر حكما فلان لا يصح الاحرام وهو شروع في العبادة اولى ولان الاحرام لا يبقى صحيحا لاداء الحج اذا ذهب وقت الحج قبل الاداء فلان

لا ينعقد صحيحا الا ان الحج قبل الوقت اولى لان البقاء اسهل من الابتداء وعن ابي حنيفة ومالك والثوري جواز الاحرام في جميع السنة لقوله تعالى قل هي مواقيت للناس والحج والجواب ما مر قالوا الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه قبل الوقت كالنذر والجواب الفرق بين النذر والاحرام فان الوقت معتبر للاداء ولا اتصال للنذر بالاداء بدليل ان الاداء لا يتصور الا بعقد مبتدأ واما الاحرام مع كونه التزاما فهو ايضا شروع في الاداء وعقد عليه فلا جرم افتقر الى الوقت قالوا اشتهر من اكابر الصحابة انهم قالوا من تمام الحج ان يحرم المرء من دويرة اهله وقد يبعد داره بعدا شديدا يحتاج الى ان يحرم قبل شوال والجواب ان النص لا يعارضه الاثر على انه يمكن تخصيص الاثر بحق من لا يكون داره بعيدا فمن فرض فيهن الحج فمن الزم نفسه في هذه الشهور ان يحج وبماذا يحصل هذا الالتزام المسمى بالاحرام انه يحرم عليه اشياء كانت حلالا له قال الشافعي انه ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية نعم انها سنة عند النية وبه قال احمد ومالك لقوله تعالى فمن فرض وفرض الحج على النية دل منه على التلبية وسوق الهدي وفرض الحج موجب لانعقاد الحج بدليل قوله فلا رفث فوجب ان يكون النية كافية في انعقاد الحج وايضا قال صلى الله عليه وسلم لكل امرئ ما نوى وايضا انه عبادة ليس في اخرها ولا في اثنائها نطق واجب فكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم وعند ابي حنيفة التلبية شرط في انعقاد الاحرام لاطباق الناس على الاعتناء به عند الاحرام الا ان سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية عن ابن عمر انه قال اذا قلد واشعر فقد احرم وعن ابن عباس اذا قلد الهدي وصاحبه يريد العمرة او الحج فقد احرم وروى ابو منصور الماتريدي في تفسيره عن عائشة انها قالت لا يحرم الا من اهل ولبى وايضا ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا يشرع فيها بنفس النية كالصلوة وصورة التلبية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ولا تكره الزيادة على هذا روي عن ابن عمر انه كان يزيد فيها لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك لبيك والرغبى اليك والعمل فان رأى شيئا يعجبه قال لبيك ان العيش عيش الاخرة ثبت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات انه قال في تلبيته لبيك حقا تعبدا ورقا قال الشافعي في اصح قوليه الافضل ان ينوي ويلبي حين تنبعث به دابته ان كان راكبا وحين يتوجه الى الطريق ان كان ماشيا لما روي انه صلى الله عليه وسلم لم يهل حتى انبعثت به دابته قال امام الحرمين ليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها بل المراد استواؤها في صوب مكة فاذا استوت به راحلته متوجها الى الطريق نوى اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني ولبى ان كان يريد القران نوى الحج والعمرة وان كان يريد العمرة نوى العمرة ولبى والقول الثاني وبه قال احمد ومالك وابو حنيفة ان الافضل ان ينوي ويلبي كما تحلل من الصلوة اي من ركعتي الاحرام وهو قاعد ثم يأخذ في السير لرواية ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بذي الحليفة ركعتين ثم احرم وتكثير التلبية في دوام الاحرام مستحب في كل حال قائما كان او قاعدا او راكبا او ماشيا حتى في حالة الجنابة والحيض لانه ذكر لا اعجاز فيه فاشبه التسبيح قال صلى الله عليه وسلم لعائشة حين حاضت افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت قوله عز من قائل فلا رفث ولا فسوق ولا جدال من قرأ بفتح الثلاثة او برفعها فلا اشكال ومن قرأ برفع الاولين وفتح الاخير فقيل لان الاولين محمولان على معنى النهي كأنه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق ثم اخبر بانتفاء الجدال اي لا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرون سنة يؤخرون سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج ومما يستدل به على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال قوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وقيل الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث والفسوق ولذلك قرئ كذلك اما الاول فلان الرفث عبارة عن قضاء الشهوة والجدال مشتمل على ذلك لان المجادل يشتهي تمشية قوله والفسوق عبارة عن مخالفة امر الله والمجادل لا ينقاد للحق وكثيرا ما يقدم على الايذاء والايحاش ويؤدي الى العداوة والبغضاء فدل على ان الجدال مشتمل على جميع انواع القبح واما ان القراءة تفيد ذلك فلان الفتح يقتضي نفي الماهية وانتفاؤها يوجب انتفاء جميع افرادها واما الرفع فلا يوجب انتفاء جميع افراد الماهية بل يجوزه فيكون الفتح ادل على عموم النفي ثم تفسير الرفث فعن ابن عباس هو الجماع ولذلك في العمرة وفي الحج نتائج منها افساد النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من الصحابة واتفق الفقهاء عليه بعدهم وانما يفسد الحج بالجماع اذا وقع قبل التحللين لقوة الاحرام ولا فرق بين ان يقع قبل الوقوف بعرفة او بعده خلافا لابي حنيفة حيث قال لا يفسد بالجماع بعد الوقوف ولكن يلزمه الفدية واما الجماع بين التحللين فلا اثر له في الفساد على الصحيح وعن مالك واحمد انه يفسد ما بقي من احرامه ويفسد العمرة ايضا بالجماع قبل حصول التحلل وهو وقت التحلل عنها بعد الفراغ عن الحلق بناء على انه نسك وهو الاصح فيفسد العمرة بالجماع قبل الحلق واعلم ان للعمرة تحللا واحدا و ذلك اذا طاف وسعى وحلق وللحج تحللان وذلك انه اذا اتى باثنين من الرمي والنحر والحلق والطواف اعني الرمي والحلق او الرمي والطواف يحصل التحلل الاول او الحلق او الطواف وهو اباحة جميع المحظورات من التطيب والقلم ولبس المخيط وقتل الصيد وعقد النكاح الا الجماع فانه لا يحل الا بالاتيان بالامر الثالث فاذا اتى به حل الجماع ايضا وهو المراد بالتحلل الثاني قال الائمة الحج يطول زمانه ويكثر اعماله بخلاف العمرة فابيح بعض محظوراته دفعة وبعضها اخرى قال صلى الله عليه وسلم اذا رميتم وحلقتم فقد حل لكم الطيب واللباس وكل شيء الا النساء واللواط واتيان البهيمة في الافساد كالوطء في الفرج وبه قال احمد خلافا لابي حنيفة فيهما ولمالك في اتيان البهيمة ثم سائر العبادات لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص بالفساد خارجا منها الا الحج والعمرة وان فسد يجب المضي فيهما وذلك باتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد روي عن عمر وعلي وابن عباس وغيرهم من افسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل ومن نتائج الفساد الكفارة يستوي فيها الحج والعمرة وخصالها خمس على الترتيب بدنة ان وجدها لان الصحابة نصوا على البدنة والا فبقرة والا قومت البدنة

دراهم الدراهم طعاما فان لم يجد الطعام صام عن كل مد يوما ومن التابع القضاء باتفاق لما روينا من كبار الصحابة وقضى من قابل سواء كان المقضي عنه فرضا او تطوعا فان القضاء واجب صح الوجهين في القضاء انه على الفور لا على التراخي لانه لزم وتضيق بالشروع ويدل عليه ظاهر قول الصحابة وقضى من قابل وكذا الكلام فيمن ترك الصوم والصلوة بعد ان على الاشبه ان جواز التاخير نوع ترفيه وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك ولو كانت المرأة محرمة نظر ان جامعها وهي نائمة او مكرهة لم يفسد حجها والا فسد لكن لا يجب على اصح القولين الا بدنة واحدة عنهما جميعا واذا افسد حجه بالجماع ثم جامع ثانيا فان لم يفد عن الاول لزم بدنة اخرى وان فدى لم يلزم الا شاة وعن الحسن الرفث كل ما يتعلق بالجماع فليس للمحرم التقبيل بالشهوة ولا المباشرة فيما دون الفرج فلو باشر شيئا منها عمدا فالفدية روي عن علي وابن عباس انهما اوجبا بالقبلة شاة وان كان ناسيا لم يلزمه شيء ولا يفسد شيء من مقدمات الجماع الحج ولا يوجب البدنة بحال سواء انزل ولم ينزل وبه قال ابو حنيفة وعند مالك يفسد الحج اذا انزل وهو اظهر الروايتين عن احمد وقيل الرفث باللسان ذكر المجامعة وما يتعلق بها والرفث باليد اللمس والغمز والرفث بالفرج الجماع وقيل الرفث هو قول الخنى والفحش لقوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه فليقل اني صائم وعن ابي عبيدة الرفث اللغا وعنه الرفث اللغو في الكلام واما الفسوق فهو الخروج عن الطاعة وحدود الشريعة فيشمل كل المعاصي قال تعالى ففسق عن امر ربه وقيل هو التنابز بالالقاب والسباب قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقيل الايذاء والاخافة ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم وعن ابن زيد هو الذبح للاصنام ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقيل الرفث هو الجماع ومقدماته مع الحليلة والفسوق الجماع مع الاجنبية واما الجدال فانه فعال من المجادلة واصله من الجدل الفتل كان كل واحد من الخصمين يروم ان يفتل صاحبه عن رأيه واختلف المفسرون فيه فعن الحسن هو الجدال الذي يفضي الى السباب والتكذيب والتجهيل وانه واجب الاجتناب في كل حال الا انه مع الرفقاء وفي الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة وقال محمد بن كعب القرظي ان قريشا كانوا اذا اجتمعوا بمنى قال بعضهم حجنا اتم وقال اخرون بل حجنا اتم فنهاهم الله عن ذلك وقال مالك في الموطأ الجدال في الحج ان قريشا كانوا يقفون عند المشعر الحرام في المزدلفة بقزح وانه جبل هناك وغيرهم يقفون بعرفات وكل من الفريقين يقول نحن اصوب وقال القاسم بن محمد كانوا يجعلون الشهور على العدد فيختلفون في يوم النحر بسبب ذلك فبعضهم يقولون هذا يوم عيد ويقول اخرون بل غدا وكانه قيل لهم قد بينا لكم ان الاهلة هي مواقيت الحج فاستقيموا على ذلك ولا تجادلوا فيه وقال القفال يدخل في هذا النهي ما جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة فشق ذلك عليهم وقالوا انروح الى منى ومذاكيرنا تقطر منيا فقال صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة فتركوا الجدال في الحج وقال عبد الرحمن بن زيد جدالهم في الحج اختلافهم اي الفريقين اصاب مقام ابراهيم قبل انه النفي فيه والعرد ذلك ان الوثيان قد عاد الى ما كان عليه الحج في زمن ابراهيم ثم قال القاضي ابو بكر الباقلاني لو حمل النفي في الالفاظ الثلثة على النهي وحمل الرفث على الجماع والفسوق على الزنا والجدال على الشك في الحج لصح خبر الله تعالى بان هذه الاشياء لا توجد مع الحج المعتبر وان حملنا الكلام على النهي حمل الرفث على الجماع ومقدماته وقول الفحش وبالفسوق جميع انواعه وبالجدال جميع اصنافه فعلى هذا يكون في الاية بعث على الاخلاق الحميدة ودلالة الحسنة وبالحقيقة الرفث نهي عن طاعة القوة الشهوية التي توجب الانهماك في الفجور ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية الداعية الى التمرد والاستعلاء ولا جدال نهي عن تسخير القوة الوهمية التي تحمل الانسان على الخلاف في ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه فمنه يلتبس الاراء المختلفة والاهواء المتشتتة والعقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة واعلم ان الجدل ليس منهيا عنه بجميع اقسامه وانما المذموم منه هو الذي منشاؤه صرف العصبية ومحض المراء لتنفيذ الاراء الزائغة وتحصيل الاعراض الزائلة والاغراض الفارغة واما الذب عن الدين القويم والدعاء الى الصراط المستقيم والزام الخصم الالد وافحام المعاند اللجوج بمقدمات مشهورة وادلة محمودة حتى يستقر الحق في مركزه ويضمحل صولة الباطل وبركه بجمه فمامور به في قوله عز من قائل وجادلهم بالتي هي احسن وانه احد شعب البيان وقد يكون انجع من قاطع البرهان وما تفعلوا من خير يعلمه الله لم يتعرض للقبائح بل للخير وان كان عالما بالكل لنكتة هي اني اذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته واذا علمت منك ضده اخفيته وسترته لتعلم انه اذا كانت رحمتي بك هكذا في الدنيا فكيف يكون في العقبى وفيه ترغيب للمطيعين وايذان بانهم من المحسنين الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والعبد الصالح اذا علم اطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد في اداء ما امره واحترز عن ارتكاب ما نهاه ومن غاية عنايته حثهم على الخير بعد ما نهاهم عن الشر ليستعملوا مكان الرفث التقى ومكان الفسوق رعاية الحقوق ومقام الجدال الشقاق الوفاق مع الرفاق تتميما لمكارم الاخلاق وتنبيها على شرف النفس وطيب الاعراق بدليل قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان ذلك خير الزاد وليس السفر من الدنيا اهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الاخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور وزاد الاخرة يبلغك دار السرور وزاد الدنيا سبب حصول حظوظ النفس وزاد الاخرة سبب الوصول الى عتبة الجلال والقدس: اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ✽ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ✽ ندمت على ان لا تكون كمثله ✽ وانك لم ترصد كما كان ارصدا ✽ وقيل نزلت في ناس من اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ثم كانوا يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم فامرهم الله سبحانه ان يتزودوا ما يتبلغون به فان خير الزاد ما تكفون به وجوهكم عن السؤال

وانفسكم عن الظلم وفيه دليل على ان القادر على استصحاب الزاد في السفر اذا لم يستصحب عصى الله في ذلك ففيه ابطال حكمة الله تعالى ورفع الوسائط والروابط التي عليها مدار المناهج وبها ينتظم المصالح روي ان بعض العارفين تزهد فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا اسئل احدا شيئا حتى يأتيني رزقي فاخذ يسيح فاقام في سفح جبل سبعا لم يأته شيء حتى كاد يتلف فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فالهمه الله تعالى في قلبه عزتي وجلالي لا ارزقك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المدينة واقام بين ظهراني الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فسمع اردت ان تبطل حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت اني ارزق العباد بايدي العباد احب الي من ان ارزقهم بيد القدرة وقيل في الاية هذا اي تزودوا لعاجل سفركم وللآجل فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب وفيه تنبيه على كمال عظمته كقوله انا ابو النجم وشعري شعري يا اولي الالباب يعني ان قضية العقل تقوى الله ومن لم يتقه فلا لب له في الحقيقة ولما منع عن الجدال اختلج في قلب المكلف شبهة ان التجارة لكونها مفضية في الاغلب الى النزاع في قلة القيمة وكثرتها يجب ان تكون منهية وايضا انها كانت محرمة في الجاهلية وقت الحج وانه امر مستحسن ظاهر لان المشتغل بخدمة الله تعالى يجب ان لا يتلوث بالاطماع الدنيوية وايضا كان من الممكن ان يقاس التجارة على سائر المباحات من الطيب والمباشرة والاصطياد في كونها محظورة بالاحرام فلدفع هذه الشبهة نزلت ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم عطاء منه تفضلا او زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها كقوله واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وعن ابي مسلم انه حمل الاية على ما بعد الحج قال والتقدير فاتقون في كل افعال الحج ثم بعد ذلك ليس عليكم جناح ان تبتغوا كقوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وزيف بان حمل الاية على موضع الشبهة اولى من حملها الا على موضع الشبهة ومحل الاشتباه هو التجارة في زمان الحج واما بعد الفراغ فالحل معلوم وقياس الحج على الصلوة فاسد فان الصلوة اعمالها متصلة فلا يحل في اثنائها الاشتغال بغيرها واعمال الحج متفرقة يحتمل التجارة في خلالها وايضا الفاء في قوله فاذا افضتم ظاهر في ان هذه الافاضة حصلت عقيب ابتغاء الفضل وذلك يدل على ان المراد وقوع التجارة في زمان الحج ويؤيده قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج وقال ابن عباس في سبب نزول الاية كانوا ناسا يحجون ولا يتجرون فاذا دخل العشر بالغوا في الكف عن البيع والشرى فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج للتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج ومعنى الداج الاعوان والمكارون من الحجيج هو الدبيب في السير قال ابن السكيت لا يطلق الحجيج الا اذا كان جماعة ولا يقال ذلك للواحد قيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الحرج من التعلق انه انما يباح ما لم يشتغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكرى في هذا الوجه يعني في طريق الحج وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سئل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سئلت عنه فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعن جعفر الصادق ان ابتغاء الفضل ههنا طلب اعمال اخر زائدة على اعمال الحج موجبة لفضل الله تعالى ورحمته كاعانة الضعيف واغاثة الملهوف واطعام الجائع وارواء العطشان واعلم ان الفضل ورد في القرآن بمعان منها ما يتعلق بالمصالح الدنيوية من المال والغذاء واللباس وهو المسمى بالرزق فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ومنها ما يتعلق بالمصالح الاخروية وهو الفضل والثواب والجنة والرحمة تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان ومنها ما يتعلق بمواهب القربة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وكان فضل الله عليك عظيما ورفع الجناح قد يستعمل في الواجب والمندوب مثل ما يستعمل في المباح كما مر في قوله فلا جناح عليه ان يطوف بهما فاذا افضتم اي دفعتم بكثرة ومنه فاض الماء وهو صبه بكثرة والتقدير افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في قولهم دفعوا من موضع كذا وصبوا وعرفات جمع عرفة وكلاهما علم للموقف كان كل قطعة من تلك الارض عرفة فسمي مجموع تلك القطعة بعرفات كما قيل في باب الصفة ثوب اخلاق وبرمة اعشار ثم سئل هلا منعت الصرف وفيها سببان التعريف والتانيث فقيل انه لم يبق علما بعد جمع ما جعل علما للمجموع القطع فتركوها بعد ذلك على اصلها في الصرف وقيل ان هذا التنوين تنوين المقابلة في نحو مسلمات ومن ذهب الى ان تنوين المقابلة لا وجه لها كجار الله وكثير من المتاخرين فان هذا التنوين تنوين الصرف قالوا انما لم يسقط لان التانيث في نحو مسلمات وعرفات ضعيف فان التاء التي هي لمحض التانيث سقطت والباقية علامة لجمع المؤنث وزيف بان عرفات مؤنثة وان قلنا انه لا علامة تانيث فيها لا متمحضة للتانيث ولا مشتركة لانه لا يعود الضمير اليها الا مؤنثا تقول هذه عرفات مباركا فيها ولا يجوز مباركا فيه الا بتاويل بعيد كما في قوله ولا ارض ابقل ابقالها فانها لا تقصر عن تانيث مصر الذي هو بتاويل البقعة وقال بعض المتاخرين الاولى ان يقال ان التنوين للصرف وانما لم يسقط في نحو من عرفات لانه لو سقط لتبعه الكسر في السقوط وتبع النصب وهو خلاف ما عليه الجمع السالم اذ الكسر فيه متبوع لا تابع فهو فيه كالتنوين في غير المنصرف لا ضرورة لم يحذف المانع هذا مع انه جوز المبرد والزجاج ههنا مع العلمية حذف التنوين وابقاء الكسر كبيت امرء القيس في رواية شعر تنورتها من اذرعات واهلها: بيثرب ادنى دارها نظر عال: وبعضهم يفتح التاء في مثله مع حذف التنوين كسائر ما لا ينصرف فعلى هذين الوجهين التنوين للصرف بلا خلاف والاشهر بقاء التنوين مثله مع العلمية وقيل التنوين عوض من منع الفتحة واعلم ان اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى يوم التروية واليوم التاسع يسمى يوم عرفة وعرفة هي الموضع المخصوص قيل التروية التفكر وسميت به لان ادم عليه السلام لما امر ببناء البيت فبناه تفكر فقال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجري على هذا العمل

ومعاني الفضل

عرفة

لك ذنوبك باول شرط من طوافك قال يا رب زدني قال اغفر لاولادك اذا طافوا به قال زدني فقال اغفر لكل من استغفر له الطائفون من موحدي اولادك قال حسبي حسبي وقيل ان ابرهيم عم رأى في منامه ليلة التروية كانه يذبح ابنه فاصبح متفكرا هل هذا من الله او من الشيطان فلما رآه ليلة عرفة يؤمر به اصبح فقال عرفت يا رب انه من عندك وقيل ان اهل مكة يخرجون يوم التروية الى منى فيروون في الادعية التي يذكرونها في الغد بعرفات وقيل التروية الارواء فان اهل مكة كانوا يجمعون الماء للحج الذين يقصدونهم من الآفاق فيسقون الماء بعدما تعبوا في الطريق من قلة الماء او لانهم يتزودون الماء الى عرفة او لان المذنبين كالعطاش وردوا بحار الرحمة فشربوا منها حتى رووا واما يوم عرفة فقيل انه من المعرفة لان آدم وحواء عم التقيا بعرفة فعرف احدهما صاحبه عن ابن عباس او لان جبرئيل عم علم آدم مناسك الحج فلما وقف بعرفات قال له اعرفت قال نعم او لان ابرهيم عم عرفها حين رآها بما تقدم من النعت والصفة عن علي عم وابن عباس وعطاء والسدي او لان جبرئيل عرفها ابرهيم المناسك وقد مر في قوله وارنا مناسكنا او لان ابرهيم وضع ابنه اسمعيل وامه هاجر بمكة ورجع الى الشام ولم يلتقيا سنين ثم التقيا يوم بعرفات وقد سبقت القصة في بناء البيت في قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد ولما ذكرنا انها من منام ابرهيم او لان الحاج يتعارفون فيه اذا وقفوا او لانه تعالى يتعرف فيه الى الحاج بالمغفرة والرحمة وقيل اشتقاقها من الاعتراف لان الناس يعترفون هنالك للحق بالربوبية والجلال ولانفسهم بالفقر والاختلال الحال يقال ان آدم عم وحواء لما وقفا بعرفات قالا ربنا ظلمنا انفسنا فقال الله سبحانه الآن عرفتما انفسكما وقيل من العرف وهو الرائحة الطيبة لان المذنبين يكتسبون بالمغفرة روائح طيبة عند الله مقام ضدها قال عم خلوف فم الصائم عند الله اطيب من ريح المسك وقد يسمى يوم عرفة يوم اياس الكفار من الاسلام ويوم اكمال الدين ويوم اتمام النعمة ويوم الرضوان اخذا من قوله تعالى في المائدة اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا عن عمر وابن عباس نزلت هذه الآية عشية يوم عرفة وكان يوم جمعة والنبي عم واقف بعرفة في موقف ابرهيم عم في حجة الوداع وقد اضمحل الكفر وهدم منار الجاهلية فقال النبي لو يعلم الناس ما لهم في هذه الآية لقرت اعينهم فقال اليهودي لعمر لو ان هذه الآية انزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال عمر اما نحن جعلناه عيدين وكان ذلك يوم عرفة ويوم جمعة يوم صلة الواصلين اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يوم قطيعة القاطعين ان الله برئ من المشركين ورسوله يوم اقالة عثرة النادمين وقبول توبة التائبين ربنا ظلمنا انفسنا يوم وفد الوافدين في الخبر الحاج وفد الله والحاج زوار الله وحق على المزور الكريم ان يكرم زائره يوم الحج الاكبر واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر يوم خص صومه بكثرة الثواب قال عم صوم يوم التروية كفارة سنة وصوم يوم عرفة كفارة سنتين قال من صام يوم التروية اعطاه الله مثل ثواب ايوب على بلائه ومن صام يوم عرفة اعطاه الله مثل ثواب عيسى بن مريم اقسم الله به في قوله عز من قائل والشفع والوتر عن ابن عباس الشفع يوم التروية وعرفة والوتر يوم النحر يوم خص بكثرة الرحمة وسعة المغفرة وعن عائشة ان رسول الله قال ما من يوم اكثر ان يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو يتجلى ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما اراد هؤلاء اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت لهم ولا ضير ان نشير ههنا الى اعمال الحج اشارة خفيفة اعلم انه من دخل مكة محرما في ذي الحجة وقبله فان كان مفردا او قارنا طاف طواف القدوم واقام على احرامه حتى يخرج الى عرفات وان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته واقام الى وقت خروجه الى عرفات فحينئذ يحرم من جوف مكة بالحج ويخرج وكذلك من اراد الحج من اهل مكة والسنة للامام ان يخطب بمكة اليوم السابع من ذي الحجة بعدما صلى الظهر خطبة واحدة يامر الناس فيها بالذهاب غدا بعدما صلوا الصبح الى منى ويعلمهم تلك الاعمال ثم ان القوم يذهبون يوم التروية الى منى بحيث يوافون الظهر بمنى فيصلون بها مع الامام الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح من يوم عرفة ثم اذا طلعت الشمس على ثبير توجهوا الى عرفات فاذا دنوا منها فالسنة ان لا يدخلوها بل يضرب قبة الامام بنمرة روي ان النبي عم مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وامر بقبة من شعر ان يضرب له بنمرة فنزل بها فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبتين يبين لهم مناسك الحج ويحرضهم على اكثار الدعاء والتهليل بالموقف وبعد الفراغ من الخطبة الاولى جلس ثم قام وافتتح الخطبة الثانية والمؤذنون يأخذون في الاذان معه ويخفف بحيث يكون فراغه منها مع فراغ المؤذنين من الاذان ثم ينزل فيقيم المؤذنون فيصلي بهم الظهر ثم يقيمون في الحال فيصلي بهم العصر وهذا الجمع متفق عليه ثم بعد الفراغ من الصلوة يتوجهون الى عرفات فيقفون عند الصخرات لان النبي وقف هناك واذا وقفوا استقبلوا القبلة ويذكرون الله تعالى ويدعونه الى غروب الشمس والوقوف ركن لا يدرك الحج الا به ومن فاته ذلك فقد فاته الحج لقوله عم الحج عرفة من فاته عرفة فقد فاته الحج وقد يستدل بالآية ايضا على ذلك لانها دلت على ذكر الله عند المشعر الحرام عقيب الافاضة من عرفات والافاضة من عرفات لا يتصور الا بعد الحصول بعرفات وجمهور الفقهاء على ان الوقوف بالمشعر الحرام ليس بركن لانه تعالى امر بالذكر عنده فالوقوف به تبع لا اصل بخلاف الوقوف بعرفة لانه جعله اصلا حيث لم يقل فاذا افضتم عن الذكر بعرفات ووقت الوقوف يدخل بزوال الشمس يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة واذا حضر الحاج هنالك في هذا الوقت لحظة واحدة من ليل او نهار كفى وقال احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر واذا غربت الشمس دفع الامام من عرفات واخر صلوة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء بالمزدلفة قيل سميت بها لانهم يقربون فيها من منى والازدلاف القرب وقيل لان الناس يجتمعون بها والازدلاف الاجتماع وقيل لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها ويقال للمزدلفة جمع فيها بين صلوتي المغرب والعشاء عن قتادة وقيل لان آدم عم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها ثم اذا اتى الامام المزدلفة جمع بين المغرب والعشاء باقامتين ثم يبيتون بها فان لم يبيتوا بها فعليهم شاة فاذا طلع الفجر صلوا الصبح بغلس والتغليس بالفجر ههنا اشد استحبابا منه في غيرها وهو متفق عليه فاذا صلوا الصبح اخذوا

منها الحصى للرمي يأخذ كل انسان سبعين حصاة ثم يذهبون الى المشعر الحرام وهو جبل يقال له قزح فيرقى فوقه ان امكنه ويقف بالقرب منه ان لم يمكنه ويحمد الله
ويهلله ويكبره ولا يزال كذلك حتى يسفر جدا ثم يدفع قبل طلوع الشمس ويكفي المرور كما في عرفة ثم يذهبون منها الى وادي محسر فاذا بلغوا بطن محسر فمن كان
راكبا حرك دابته ومن كان ماشيا يسعى سعيا شديدا قدر رمية حجر فاذا اتى منى رمى جمرة العقبة من بطن الوادي بسبع حصيات ويقطع التلبية اذا رمى ثم
بعد ما رمى جمرة العقبة ذبح الهدي ان كان معه هدي وذلك سنة لو تركه لا شيء عليه لانه ربما لا يكون معه هدي ثم بعد ما ذبح الهدي يحلق رأسه او يقصر
ثم بعد الحلق الى مكة ويطوف بالبيت طواف الافاضة وهو الركن ويصلي ركعتي الطواف ويسعى بين الصفا والمروة ثم بعد ذلك يعودون الى منى في بقية يوم النحر
وعليهم المبيت بمنى ليالي التشريق لاجل الرمي واعلم ان من مكة الى منى فرسخين ومن منى الى عرفات فرسخين والمزدلفة متوسطة بين منى وعرفات منها
الى كل واحد منهما فرسخ ولا يقفون بها في مسيرهم من منى الى عرفات والحاصل ان اعمال الحج يوم النحر اربعة ان يعودوا الى منى بعد رمي جمرة العقبة والذبح و
الحلق والقصر والطواف طواف الافاضة ويسمى طواف الزيارة ايضا لانهم يأتون من منى زائرين للبيت ويعودون في الحال والترتيب في الاعمال الاربعة
على الشكل المذكور مسنون وليس بواجب اما انه مسنون فلان النبي كذلك فعلها واما انه ليس بواجب فلما روي عن عبد الله بن عمرو قال وقف رسول الله
بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي قال ارم ولا حرج واتاه آخر فقال اني ذبحت قبل ان ارمي قال ارم ولا
حرج واتاه آخر فقال اني افضت الى البيت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج فما سئل عن شيء قدم او اخر الا قال افعل ولا حرج وعن مالك واحمد وابي حنيفة
ان الترتيب بينها واجب لو تركه فعليه دم على تفصيل ليس ههنا موضع بيانه ثم ان اهل الجاهلية كانوا قد غيروا مناسك الحج عن سنة ابراهيم وذلك
ان الحمس كانوا لا يقفون بعرفات يقولون لا نخرج من الحرم ولا نتركه في وقت الطاعة وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون
قبل ان تغرب الشمس والذين يقفون بمزدلفة يفيضون اذا طلعت الشمس ويقولون اشرق ثبير كيما نغير اي نسرع للنحر وقيل اي ندفع من مزدلفة فندخل
في غور الارض وثبير جبل هناك فامر الله تعالى نبيه بمخالفة القوم في الدفعتين فامره بان يفيض من عرفات بعد غروب الشمس وبان يفيض من
المزدلفة قبل طلوع الشمس فان السنة انما تعرف من قبل الوحي قال الواحدي المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لان الصلوة والمقام والمبيت به والدعاء
عنده وقال في الكشاف المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة اي يوقد هناك النار في الجاهلية قال وقيل المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام قال والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر قال عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من
جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر وسمي المشعر اي العلم لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته واما الذكر المأمور به هناك فقيل هو الجمع بين صلوتي المغرب والعشاء والصلوة تسمى ذكرا قال تعالى واقم الصلوة لذكري والدليل عليه
ان فاذكروا امر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك الا هذا والجمهور على ان المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل عن ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال
لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هداكم ما مصدرية او كافة اطلق الامر بالذكر اولا ثم قيده ثانيا والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة لكي تكونوا شاكرين والهداية اما كل انواع الهدايات واما الهداية الى سنة ابراهيم في مناسك الحج او اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا
عنه بحسب الرأي والقياس فان اسماء الله تعالى توقيفية والذكر الاول محمول على الذكر باللسان والثاني على الذكر بالقلب والمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم
بهدايته والمراد بتثنية الامر تكثيره وتكريره يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وعلى هذا فيكون قوله كما هداكم متعلقا بالامرين جميعا او
الذكر الاول مقيد بانه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال فالاول اقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء
الى معارج الحقيقة وهو ان ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام او المراد بالاول الجمع بين الصلوتين هناك وبالثاني
التسبيح والتحميد وان كنتم من قبله من قبل الهدى ومن قبل الرسول ومن قبل نزول الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون
كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ثم افيضوا في هذه الافاضة قولان احدهما انها الافاضة
من عرفات وعلى هذا فالاكثرون قالوا انه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بان الحرم اشرف من غيره فالوقوف
به اولى ولانهم اهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم ان يساووا الناس في الموقف ترفعا وكبرا وروي ان النبي لما جعل ابا بكر اميرا في الحج امره باخراج الناس
الى عرفات فلما ذهب مر على الحمس تركهم فقالوا له الى اين وهذا مقام آبائك وقومك فلم يلتفت اليهم ومضى بامر الله الى عرفات ووقف بها وامر سائر
الناس بالوقوف بعرفات لا من المزدلفة ومعنى ثم التفاوت بين الافاضتين وان الافاضة المأمور بها صواب والاخرى خطاء كما تقول احسن الى
الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه صورة المعطوف
فاذا افضتم من عرفات لا يفيد تقديم هذه الاية على ما قبلها في الوضع من القائلين بان المراد الافاضة من عرفات من قال انه امر للناس جميعا
وقوله من حيث افاض الناس المراد به ابراهيم واسمعيل فان من سنتهما ذلك روي ان النبي كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس
وايقاع اسم الجمع على الواحد جائز اذا كان رئيسا مقتدى به ان ابراهيم كان امة الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ان الناس يعني ابا سفيان
ووجه ثالث وهو ان يكون قوله من حيث افاض الناس عبارة عن تقادم الافاضة من عرفات وان ما عداه مبتدع كما يقال هذا مما فعله الناس قديما

لانه معلم

وذكر اللسان وذكر القلب

بالوقوف

فافيضوا من عرفات

القول الثاني عن الضحاك ان المراد الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي والنحر وقوله من حيث افاض الناس يعني ابرهيم واسمعيل و
ومتبعيهما فان طريقتهم الافاضة من المزدلفة قبل طلوع الشمس على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والعرب الذين كانوا واقفين بالمزدلفة كانوا يفيضون بعد طلوع
الشمس فامرهم الله تعالى بان يكون افاضتهم من المزدلفة في الوقت الذي كان يحصل فيه افاضة ابرهيم واسمعيل واورد على هذا القول ان استعمال حيث للزمان
قليل ثم يمكن ان يجاب بان القرآن اولى بان يحتج به عن الزهري ان الناس في هذه الاية آدم عليه السلام واحتج بقراءة سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي بكسر السين
اكتفاء من الياء بالكسرة من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تتركوه واستغفروا الله عن مخالفتكم في
الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم وليكن الاستغفار باللسان مع التوبة بالقلب وهي ان يندم على كل تقصير منه في طاعة الله ويعزم ان لا يقصر فيما
بعد وابتغاء لمرضاة الله لا للمنافع العاجلة والاستغفار بالحقيقة يجب على كل مكلف وان لم يعلم من ظاهر حاله خطيئة فان النقص لازم الامكان و
القصور من خصايص الانسان وكيف لا وقد قالت الملائكة وانهم ارفع حالا ما عبدناك حق عبادتك وصورة الاستغفار على ما رواه البخاري في صحيحه
عن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ولو اقتصر على قوله استغفر الله كفى ولو زاد فقال
اللهم اني استغفرك واتوب اليك انك انت التواب الرحيم او قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ذو الجلال والاكرام من كل ذنب اذنبته ومعصية
ارتكبتها واتوب اليه من الذنب الذي اعلم ومن الذنب الذي لا اعلم كان حسنا ان الله غفور رحيم بناء المبالغة كما مر مرارا واختلف اهل العلم في المغفرة
الموعودة في هذه الاية فمن قائل انها عند الدفع من عرفات الى جمع بناء على القول الاول في الافاضة ومن قائل انها عند الدفع من جمع الى منى بناء على
القول الآخر قوله عز من قائل فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من عباداتكم التي امرتم بها في الحج او من اعمال مناسككم اذ المناسك جمع المنسك وانه يحتمل
ان يكون مصدرا وان يكون اسم مكان وعن مجاهد ان قضاء المناسك هو اراقة الدماء عن ابن عباس ان العرب كانوا اذا فرغوا من حجهم بعد ايام التشريق
يقفون بين مسجد منى وبين الجبل فيذكر كل واحد منهم فضايل اباءه في السماحة والحماسة وصلة الرحم ويتناشدون فيها الاشعار وعرض ايام الشهرة
والترفع بمآثر سلفهم فلما انعم الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لربهم لا لآبائهم ثم الفاء في قوله فاذكروا الله يدل على ان الفراغ من المناسك
يوجب هذا الذكر فلهذا قيل هو الذكر على الذبيحة وقيل هو التكبيرات بعد الصلوة في ايام النحر والتشريق وقيل هو الاقبال على الدعاء والاستغفار
بعد الفراغ من الحج كالادعية المأثورة عقيب الصلوات المكتوبة وقيل معناه فاذا قضيتم مناسككم وازلتم آثار البشرية وقهرتم القوى الطبيعية
واماطتم الاذى من طريق السلوك فاشتغلوا بعد ذلك بتنوير القلب بذكر الله فان التخلية ليست مقصودة بالذات وانما الغرض منها التحلية
بموجبات السعادات الباقيات فالاول نفي والثاني اثبات ومعنى كذكركم آباءكم توفروا على ذكر الله كما كنتم تتوفرون على ذكر الاباء واقيموا الثناء
على الله مقام تعداد مفاخر الاباء فانه ان كان كذبا اوجب الدناءة في الدنيا والعقوبة في العقبى وان كان صدقا استتبع العجب والتباهي و
ان كانوا يذكرون الاباء ليتوسلوا بذلك الى اجابة الدعاء فالاقبال بالكلية على مولى النعماء اولى مع ان حسنات الاباء محبطة بسبب شركهم وعن
الضحاك والربيع اذكروا الله كذكركم اباءكم وامهاتكم وذلك قول الصبي اول ما ينطق ابه امه اي كونوا مواظبين على ذكر الله كما يكون الصبي في
صغره مواظبا على ذكر ابيه وامه فاكتفى بالاباء عن الامهات كقوله سرابيل تقيكم الحر وقال ابو مسلم جرى ذكر الاباء مثلا لدوام الذكر والمعنى كما ان الرجل
لا ينسى ذكر ابيه فكذلك يجب ان لا يغفل عن ذكر الله قال ابن الانباري العرب اكثر اقسامها في الجاهلية بالاباء فقال تعالى عظموا الله كتعظيمكم اباءكم
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقيل اذكروا الله بالوحدانية كذكركم اباءكم بالوحدانية
فان الواحد منكم لو نسب الى والدين تأذى منه واستنكف وقيل كما ان الطفل يرجع الى ابيه في طلب المهمات وكفاية الملمات فكونوا انتم في ذكر الله
كذلك وعن ابن عباس معنى الاية ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالدك اذا ذكر بسوء وقوله او اشد ذكرا اما في موضع جر عطفا على ما
اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش اباءهم او قوم اشد منهم ذكرا واما في موضع نصب عطف على اباءكم بمعنى واشد ذكرا من اباءكم
على ان ذكرا من فعل المذكور وهو الاباء لا من فعل الذاكر وهو الابناء فان الذكر بل كل فعل متعد له اعتباران اعتبار وقوعه على المفعول واعتبار صدوره
عن الفاعل وذلك الفعل باحد الاعتبارين مغاير له بالاعتبار الاخر وانما لزم اعتبار الفعل ههنا من جهة وقوعه على المفعول لان الاباء المفضل
عليهم هم المذكورون لا الذاكرون ويحتمل ان يقال المعنى فاذكروا الله ذكرا مثل ذكركم اباءكم او ذكرا اشد ذكرا ولكن يرد عليه ان افعل انما يضاف
الى ما بعده اذا كان من جنس ما قبله كقولك وجهك احسن وجه اي احسن الوجوه فاذا نصبت ما بعده كان غير الذي قبله كقولك زيد افره عبدا فالفراهة
للعبد لا لزيد المذكور وقيل اشد ههنا هو الذكر والذكر لا يذكر حتى يقال اشد ذكرا انما قياسه ان يقال الذكر اشد ذكر بالاضافة ووجه نصبه على ما قال
ابو علي ان يجعل الذكر ذاكرا مجازا ويجوز نسبة الذكر الى الذكر بان يسمع انسان الذكر فيذكر فكان الذكر قد ذكر لحدوثه بسببه على جميع الوجوه ومعنى
او ههنا ليس هو التشكيك وانما المراد به النقل عن الشيء الى ما هو اقرب واولى كقول رجل لغيره افعل هذا الى شهر او اسرع منه وانما امر الله تعالى ان يكون
ذكره اشد لان مفاخر اباءهم متناهية وصفاته الكمالية غير متناهية وتلك مشكوكة وهذه متيقنة وغاية الاول تضييع وحرمان ولازم الثاني
نور وبرهان ثم انه تعالى بعد ما امر بالعبادة مصفية للنفس وتخلية لها عن ظلمات الكبر والضلال امر عقيب ذلك بتنوير الباطن بنور الجلال والجمال بكثرة

الاشتغال بذكر الكبير المتعال نبه على حسن طلب مزيد الانعام والافضال فذكر ان الناس فريقان منهم من قصر دعاءه على طلب اللذات العاجلة ومنهم من اضاف الى ذلك الطلب نعيم الآخرة واهمل القسم الثالث وهو ان يكون دعاؤه مقصورا على طلب الآخرة تنبيها على ان ذلك غير مشروع ومن حقه ان لا يؤخذ فان الانسان خلق ضعيفا لا طاقة له بآلام الدنيا ولا بعذاب النار فالاولى به ان يستعيذ بربه من آفات الدنيا والآخرة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل يعوده وقد انهكه المرض فقال له ما كنت تدعو الله به قال كنت اقول اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فشفي والانصاف انه سبحانه لو سلط الالم على عرق واحد في البدن او على منبت شعرة واحدة عجز الانسان عن الصبر عليه وقد يفضي ذلك به الى الجزع ويعوقه عن الاكتساب بالكمالات ويحمله على اهمال وظائف الطاعات فمن ذا الذي يستغني عن امداد الله اياه في دنياه وعقباه ثم المقتصرون في الدعاء على طلب الدنيا من هم عن ابن عباس هم المشركون كانوا يقولون اذا وقفوا اللهم ارزقنا ابلا وبقرا وغنما واماء وعبيدا وذلك لانكارهم البعث والمعاد وعن انس كانوا يقولون اسقنا المطر واعطنا على عدونا الظفر ويحكى عن ابي علي الدقاق انه قال اهل النار يستغيثون ثم يقولون افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله في الدنيا طلب المأكول والمشروب وفي النار طلب المأكول والمشروب فلما غلبتهم شهواتهم افتضحوا في الدنيا والآخرة وقال الآخرون يحتمل ان يكونوا مسلمين وعوتبوا لانهم سألوا الله في اعظم المواقف واشرف المشاهد الاخس البضائع دون المطالب المشبهة تارة بكنيف واخرى باحقر من جناح بعوضة معرضين عن العيش الباقي والنعيم المقيم وقوله ربنا آتنا في الدنيا متروك المفعول الثاني لانه كالمعلوم ويحتمل ان يكون من قولهم فلان معطي اي موجد الاعطاء معناه اجعل العطاء لنا في الدنيا خاصة واعلم ان مطامح النفوس في الدنيا احدى ثلاث خصال روحانية هي تكميل القوة النظرية بالعلم وتتميم القوة العملية بتحصيل الاخلاق الفاضلة وبدنية هي الصحة والجمال وخارجية هي الجاه والمال فكل من لا يؤمن بالبعث فانه لا يطلب فضيلة روحانية ولا جسمانية الا لاجل الدنيا فيطلب العلم لاجل الترفع على الاقران ويكتسب الاخلاق لتلذ به الامور المنزلية والمدنية فلما قال عز من قائل وما له في الآخرة من خلاق اي طلب نصيب حذف مفعول آتنا لان كل من ليس له في الآخرة طلب فلا همة الى اقتناء السعادات الباقيات نزاع وطموح فمطلوبه عبث وسفه ومآله ضلال اي شيء فرضت علما وعملا روحانيا وجسمانيا اللهم اجعلنا ممن لا ينظر في اي شيء ينظر الا اليك ولا الى غيرك ولا يرغب في كل ما يرغب الا لاجلك قائلين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ثم انه سبحانه لم يذكر في هذه الآية ان هذا الفريق يجاب دعوتهم اولا فقال طائفة من العلماء انهم ليسوا اهلا للاجابة لان يكون الانسان مجاب الدعوة صفة مدح ولا يليق الا باولياء الله والمقربين من عبيده وقال آخرون قد يكون الانسان مجابا لا اكراما واجتباء بل مكرا واستدراجا ويؤيده قوله سبحانه من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وعلى هذا يصح ان يقال في الآية اضمار اي يقول ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق لان همته مقصورة على الدنيا والحسنتان في دعاء الصالحين اما في الدنيا فالصحة والامن والكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصرة على الاعداء وقد سمى الله تعالى الخصب والسعة في الرزق وما اشبه ذلك حسنة ان تصبك حسنة تسؤهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين قيل اما النصرة واما الشهادة واما في الآخرة فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب لان دفع الضرر اهم من جلب النفع صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار وهذه بالجملة كلمة جامعة لجميع خيرات الدنيا والآخرة وروى حماد بن سلمة عن ثابت انهم قالوا لانس ادع لنا فقال اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا زدنا فاعادها قالوا زدنا قال ما تريدون سألت لكم خير الدنيا والآخرة وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقيل الحسنة في الدنيا العمل النافع وهو الايمان والطاعة وفي الآخرة النعيم بذكر الله والانس به وبرؤيته تلك لا تلذذ في الدنيا والآخرة الا بهذا الجسم مني للجليس مجالس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي عن قتادة الحسنة طلب العافية في الدارين وعن الحسن هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة ومنشأ البحث ان الحسنة منكرة في حيز الاثبات فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما رآه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا ويمكن ان يقال التنوين للتعظيم اي حسنة واي حسنة او يراد حسنة ما توافق حال الداعي وحكمة المدعو وفيه من حسن الطلب وغاية التطلب والادب ما ليس في التصريح به فانه لا يكون الا ما يشاء او يراد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقال له قليل اولئك الداعون بالحسنيين لهم نصيب اي نصيب مما كسبوا من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة من للابتداء ويحتمل التعليل اي من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا والكسب ما يناله المرء بعمله ومنه يقال للارباح انها كسب فلان اولهم نصيب مما دعوا به يعطيهم بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب السرعة نقيض البطء والحساب مصدر كالمحاسبة وهو العد قال الزجاج هو مأخوذ من قولك حسبك كذا اي كفاك وذلك ان فيه كفاية وليس فيه زيادة على المقدار ولا نقصان ومعنى كون الله محاسبا للخلق قيل انه يعلمهم ما لهم وعليهم بان يخلق العلم الضروري في قلوبهم بمقادير اعمالهم وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب والعقاب ووجه هذا المجاز ان الحساب سبب لحصول علم الانسان بما له وعليه فاطلاق الحساب على هذا الاعلام اطلاق اسم السبب على المسبب عن ابن عباس انه قال لا حساب على الخلق بل يقفون بين يدي الله يعطون كتبهم بايمانهم فيها سيئاتهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها ثم يعطون حسناتهم ويقال هذه حسناتكم قد ضعفتها لكم وقيل انه

في الدنيا حسنة وفي الآخرة

المجازاة وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا ووجه المجاز أن الحساب سبب الأخذ والإعطاء وقيل إنه تعالى يكلم العباد في أحوال أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب فمن قال إن كلامه ليس بحرف ولا صوت قال إنه تعالى يخلق في أذن المكلف سمعا يسمع به كلامه القديم كما يخلق في عينه رؤية يرى بها ذاته القديمة ومن قال إنه صوت قال إنه تعالى يخلق كلاما يسمعه كل مكلف إما بأن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم أو في جسم يقرب من أذنه بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت مبلغا يمنع الغير من فهم ما كلف به فهذا هو المراد من كونه محاسبا لخلقه ومعنى كونه سريع الحساب أن قدرته تعالى متعلقة بجميع الممكنات من غير أن يفتقر في إحداث شيء إلى فكر وروية ومدة وعدة ولذلك ورد في الخبر أنه يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة وروي في لمحة وأنه سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم لأنه قادر على أن يعطي مطالب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما ورد في المأثور يا من لا يشغله سمع عن سمع أو أن وشك مجازاته وحسابه سريع يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد كقوله اقترب للناس حسابهم

قوله تعالى واذكروا الله أي بالتكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار يكبر مع كل حصاة وفيه دليل على وجوب الرمي لأن الأمر بالتكبير أمر بالذي يتوقف التكبير على حضوره وإنما خص هذه النسوك لأنهم ما كانوا منكرين للرمي وإنما كانوا يتركون ذكر الله تعالى عنده في أيام معدودات هي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر أولها يوم القر لأن الناس يستقرون فيه بمنى والثاني يوم النفر الأول لأن بعض الناس ينفرون في هذا اليوم من منى والثالث يوم النفر الثاني عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وأيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه واعلم أن التكبير المشروع في غير الصلوات وخطبة العيدين نوعان مرسل ومقيد فالمرسل هو الذي لا يتقيد ببعض الأحوال بل يؤتى به في المنازل والمساجد والطرق ليلا ونهارا وكم مر في تفسير قوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وذكرنا صورة التكبير هناك أيضا ولا خلاف في التكبير المرسل في عيد الفطر والأضحى وأما التكبير المقيد فالأظهر أو الأصح أنه لا يستحب في عيد الفطر لم ينقلوا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه وإنما يستحب في الأضحى وتقييده هو أن يؤتى به في أدبار الصلوات خاصة واختلفوا في ابتدائه وانتهائه فقيل من ظهر يوم النحر إلى ما بعد طلوع الصبح من آخر أيام التشريق فيكون التكبيرات على هذا في خمس عشرة صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال مالك والشافعي في أشهر قوليه وحجته أن الناس فيه تبع للحاج وهم يبتدئون التكبير عقيب الظهر يوم النحر إلى مضي خمس عشرة صلاة فيكون آخرها صلاة الصبح من آخر أيام منى وذكرهم قبل ذلك التلبية والقول الثاني للشافعي أنه يبتدئ به من صلاة المغرب ليلة النحر إلى الصبح من آخر أيام التشريق ويكون التكبير في أعقاب ثماني عشرة صلاة المغرب والقول الثالث أنه يبتدئ من صلاة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلاة العصر من يوم النحر فيكون التكبيرات بعد ثماني صلوات وهو قول علقمة والأسود النخعي وأبي حنيفة واعترض عليه بأن هذه التكبيرات تنسب إلى أيام التشريق فوجب أن يؤتى بها فيها وإن انضم إليها زمان آخر فلا أقل من أن يكون هي أغلب والقول الرابع يبتدئ بها من صلاة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلاة العصر من آخر أيام التشريق فيكبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة وهو قول أكابر الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحق والمزني لما روى جابر أن النبي صلى الصبح يوم عرفة ثم أقبل علينا وقال الله أكبر ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق ولأن هذا هو الأحوط فتكثير التكبير خير من تقليله وعلى هذا القول إنما يكون التكبيرات مضافة إلى أيام التشريق لأنها أكثر تلك المدة قال الجوهري تشريق اللحم تقديده ومنه أيام التشريق لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها في الشمس وقيل هو من قولهم أشرق ثبير كيما نغير وقيل سميت بذلك لأن الهدي لا ينحر حتى تشرق الشمس وأما رمي أيام التشريق فإنه يجب رمي كل يوم بعد الزوال إلى الغروب بكل جمرة من الجمرات الثلاث سبع مبتدأ من الجمرة الأولى من جانب المزدلفة ومختتما برمي جمرة العقبة وهي التي تلي مكة رميات سبعا في سبع دفعات لأن النبي كذلك فعلها وقال خذوا عني مناسككم فجملة ما يرمي في الحج سبعون حصاة يرمي إلى جمرة العقبة يوم النحر سبع حصاة وإحدى وعشرين في كل يوم من أيام التشريق إلى الجمرات الثلاث إلى كل واحدة سبع لأن النقل به قولا وفعلا ويكبر مع كل حصاة وعلى الحجيج أن يبيتوا بمنى الليلتين الأوليين من ليالي التشريق فإذا رموا اليوم الثاني فمن أراد منهم أن ينفر قبل غروب الشمس فله ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة والرمي من الغد وذلك قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه فمن لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه أن يبيت الليلة الثالثة ويرمي يومها وبه قال أحمد ومالك والشافعي وعند أبي حنيفة يسوغ النفر ما لم يطلع الفجر فإذا طلع لزم التأخر إلى تمام الأيام الثلاثة وذلك قوله تعالى ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى قال في الكشاف عجل واستعجل يجيئان مطاوعين متعديين مثل تعجل الذهاب واستعجله ويجيئان مطاوعين بمعنى عجل وهذا أوفق لقوله ومن تأخر والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند أبي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز كسائر الأيام ويتوجه هٰهنا أن المتأخر قد استوفى ما عليه من العمل فكيف ورد في حقه فلا إثم عليه هذا إنما يقال في حق المقصر الذي يظن أنه قد رهقه إثم فيما أقدم عليه وأجيب بأن الرخصة قد يكون عزيمة كالقصر عند أبي حنيفة والشيعة لا يجوز في السفر غيره فلما كان هذا الإيهام لدفع الحرج في الاستعجال والتأخر كأنه قال على أن الحاج مخير بين الأمرين وبأن أهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتعجل المتأخر آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فخالفا لسنة الحج فبين الله تعالى أن لا إثم على واحد منهما وقيل إن المعنى في إزالة الإثم عن المتأخر إنما هو لمن زاد على مقام الثلاثة فكأنه قيل إن أيام منى التي ينبغي المقام بها فيها ثلاثة فمن نقص فلا إثم عليه ومن زاد على الثلاثة ولم ينفر مع عامة الناس فلا شيء عليه وقيل إن الآية سيقت لبيان أن الحج مكفر للذنوب والآثام لا لبيان أن التعجل وتركه سيان كما أن الإنسان إذا تناول الترياق فالطبيب يقول له الآن إذا تناولت السم فلا بأس وإن لم تتناول فلا بأس مريدا أن الترياق دواء كامل في دفع المضار لا أن تناول السم وعدم تناوله يجريان مجرى واحدا وقيل إن جوار البيت مكروه عند كثير من العلماء لأن ذلك ربما يفضي إلى نقص حشمته

البيت وقعت في قلبه عنبره فامكن ان يختلج في قلب الجاهل ان التعجيل افضل بناء على هذا المعنى ولما في التعجيل من المسارعة الى طواف الزيارة فبين تعالى انه لا حرج في
واحد منهما وقال الواحدي هذا من باب رعاية المقابلة والمشاكلة مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها بل ههنا اولى لان المذنب يصدق عليه انه لا اثم على
صاحبه فيه وجزاء السيئة ليس بسيئة اصلا واما قوله تعالى لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي كيلا يتخالج في قلبه اثم منهما
فان ذا التقوى متحرز من كل ما يريبه وقيل معناه ان هذه المغفرة انما يحصل لمن كان متقيا قبل حجه كقوله انما يتقبل الله من المتقين اولمن كان متقيا
عن جميع المحظورات حال اشتغاله بالحج وقوله واتقوا الله اي فيما يستقبل فيه حث على ملازمة التقوى فيما بقي من عمره وتنبيه على مجانبة الاغترار بالحج السابق
كما ان قوله واعلموا انكم اليه تحشرون توكيد للامر بالتقوى وبعث على التشديد فيه لان الحشر وهو اسم يقع على ابتداء خروج الناس من الاجداث الى انتهاء
الموقف يوجب تصوره لزوم سيرة الاتقاء عن ترك الواجبات وفعل المحظورات والمراد من قوله اليه انه حيث لا مالك سواه ولا ملجأ الا اليه ولا استعانة
الا هو يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله التاويل الحج اشهر معلومات هي مدة الحيوة الفانية وقيل الى اربعين سنة ولهذا قيل الصوفي بعد الاربعين
بارد نعم لو صدق طلبه قبل الاربعين ما امكنه الوصول فقريب ان يحصل مقصوده بعد الاربعين ومن فاته الطلب في عنفوان شبابه الى ان بلغ الاربعين فجرى
منه عليه الحيف اذ ضيع اللبن في الصيف لكنه يصلح للعبادة التي اجرها الجنة فلا رفث لا يميل الى الدنيا وزينتها ويهجرها كالمحرم بعد الاغتسال بماء الانابة
متزر بازار التواضع والانكسار ومرتدي برداء التذلل والافتقار ولا فسوق ولا خروج من الاوامر والنواهي بل لا يخرج من حكم الرفث ولا يدخل فيما
يورث المقت ولا جدال في الحج لا نزاع للسالك الصادق في طلب الوصول لا بالفروع ولا بالاصول فلا في قالها مع احد يخاصم ولا في حالها لاحد يزاحم فمن
نازعه في شيء من ذلك يسلمها اليه ويسلم عليه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وتزودوا والكل سالك زاد فزادوا اولي التقوى كلف سوى قوم
الذين مقصدهم البيت مقصودهم الجنة وزاد اولي الالباب بالتقوى وهم من مقصدهم ومقصودهم رب البيت وتقوى اهل التقوى بمجانبة الزلات وموافقة
الطاعات وتقوى اولي الالباب بمجانبة الصفات بالصفات والذات بالذات فلما كان مقصودهم خير المقاصد كان زادهم خير الزاد ان تبتغوا فضلا
مقام ابتغاء الفضل يعني الرحمة بنزول الموجود وبذل المجهود وهو في سيرك الى عرفات ثم مقام ابتغاء يعني الرزق هو قبل سيره الى عرفات وقال جمع من المحققين
انه بعد استكمال الحج الحقيقي لانه لقوة عرفانه بالله لا يضره الدنيا بل يكون تصرفه فيها بالله في الله لله عند المشعر الحرام يعني القلب الذي حرام عليه
الاطمينان بغير ذكر الله واذكروه كما هديكم اي كما هديكم بهلك نفوسكم كيلا تقع في خطر حب الدنيا وان كنتم من قبل الوقوف بعرفات المعرفة من الطالبين
وحظوظ النفس من حيث افاض الناس يعني محمدا وسائر الانبياء والاولياء اي ليكن الافاضة من عرفات المعرفة لاجل اداء الحقوق بالتعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واستغفروا الله لاجل التلوين المخالطة مع الخلق كقوله اذا جاء نصر الله الى قوله واستغفره اي اذا وجدت هذا لا يخلو عن حظ ما
فاستغفره فاذا قضيتم مناسككم الوصال وبلغتم مبلغ الرجال فلا تامنوا مكر الله وواظبوا على الذكر كذكركم اباءكم في صغركم للافتقار وفي كبركم للافتخار
او اشد ذكرا لانه يمكن الاستغناء من الاب ولا يمكن الاستغناء من الله والله سريع الحساب لان اثر الطاعة واثر المعصية تظهر في الحال على القلب في ايام معدودات
هي ايام البداية والوسط والنهاية فمن تعجل في يومين وتقف على الوسط ليكون من اهل الجنة فلا اثم عليه ومن تأخر الى ان يصل يوم النهاية حتى يكون
من اهل الله فذلك لمن اتقى الرجوع والوقوف الا بالله ولي التوفيق وهو حسبي **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّٰهَ**
عَلٰى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ اَلَدُّ الْخِصَامِ وبعضی از مردمان کسی است که خوش آید ترا گفتار او در زندگانی دنیا و گواه میگیرد خدای را **وَاِذَا تَوَلّٰى سَعٰى فِي الْاَرْضِ**
بر آنچه در دل اوست و اوست سخت ترین دشمنان و چون روگردانید بشتابد در زمین **لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**
وَاِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّٰهَ اَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْاِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ تا تباه کند در آن و نابود کرداند کشت و نسل را و خدا دوست ندارد تباهی را
وچون گفته شود با او که بترس از خدا او را در رساند حمیت بگناه پس کافیست او را دوزخ و بد **الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ**
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً آرامگاهی است و از جمله مردمان کسی است که میفروشد نفس خود را بجهت خواهش خوشنودی خدا و خدا
مهربانست مر بندگان را ای کسانی که گرویده اید در آیید در اسلام همه **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ اِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ فَاِنْ**
زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ و پیروی مکنید گامهای شیطان را هر آینه او مر شما را دشمنی است هویدا پس اگر
روگردانید پس از آنکه آمد شما را گواهان پس بدانید که خدا غالب است **حَكِيمٌ هَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا اَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّٰهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلٰئِكَةُ**
وَقُضِيَ الْاَمْرُ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ القراءة مرضاة بالامالة والوقف ایا انتظار میکشند مگر آنکه در رسد فرمان خدا در سایبانهای ابر و فرشتگان
و تمام شود فرمان و بسوی خدا برگردد کارها بالهاء علي وكذلك يقف على هيهات هيهاه وعلى حداه ذوات وعلى فرابتهم اللاة واللاه وعلى مريم ابنة ابنه
وافق ابو عمرو في لات حين بالهاء السلم بفتح السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وعلي الباقون بالكسر والملائكة بالجر يزيد عطفا على ظلل او على الغمام والجوار
وان كان فاعل ياتيهم الباقون بالرفع ترجع الامور حيث كان بفتح التاء وكسر الجيم حمزة وعلي وخلف وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بضم التاء وفتح
الجيم الوقوف قلبه لا لان الواو للحال الخصام والنسل ط الفساد ط جهنم ط المهاد مرضات الله ط بالعباد كافة ص لعطف الجملتين المتفقتين الشيطان ط مع
احتمال الجواز مبين حكيم وقضي الامر ط الامور لتقسيمها الى بيان الحج الى التعديد فرق الناس بحسب اغراضهم في الدعاء فناسب ان يعطف على ذلك تقسيم اخر
يعرف منه طبائع الناس على الاطلاق ليعرف دأب النفاق من صحاب الوفاق عن السدي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وهو حليف بني زهرة اقبل

بيان اهل التقوى وتقوى اهل الالباب

طلب الدنيا

الى النبى بالمدينة فاظهر له الاسلام وزعم انه يحبه فقال الله يعلم انى لصادق فلما خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم مر بزرع لقوم من المسلمين وحمر فاحرق الزرع و
عقر الحمر وقيل انه اشار على بنى زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه سائر الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس
به فقالوا نعم الرأى ما رأيت ثم خنس بثلثمائة رجل من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمى بهذا السبب اخنس وكان اسمه ابى بن شريق فبلغ ذلك رسول الله
فاعجبه وعن ابن عباس والضحاك ان كفار قريش بعثوا الى النبى انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك فبعث اليهم جماعة فلما كانوا ببعض
الطريق ركب من الكفار سبعون راكبا فاحاطوا بهم فقتلوهم وصلبوهم وفيهم نزلت هذه وقوله بعد ذلك ومن الناس من يشرى اشارة الى هؤلاء الشهداء
واختيار المحققين من المفسرين انه لا يمتنع ان يكون الاية نازلة فى الرجل ثم تكون عامة فى امثاله فهذه الاية عامة فى المنافقين فان السنتهم
حلولة وقلوبهم امر من الصبر ولفظ من فى من يعجبك قوله يقع على الواحد ويحتمل ان يكون جمعا ولكنه افرد نظرا الى اللفظ ومعنى يعجبك يروقك ويعظم فى قلبك
الحيوة الدنيا اما ان يتعلق بقوله اى يعجبك ما يقوله فى باب الدنيا طلبا للصلاح العاجلة فقط كالامان من القتل والاخذ من المغانم واما ان يتعلق
بيعجبك لان قوله حلو كلام مما يعجب السامع فى الدنيا ولا يعجبه فى الاخرة لما يرهقه فى الموقف من الهيبة والحيرة او لانه لا يؤذن له فى الكلام والخطاب
اما للنبى او لكل سامع ويشهد الله على ما فى قلبه يحتمل ان يكون ذلك الاستشهاد بالحلف او ان يكون بقوله شهد الله على ما فى قلبى من محبتك ومن
الاسلام وهو الد الخصام الالد الشديد الخصومة واللديدان جانبا الوادى كان كلا من المتخاصمين فى جانب منه واللدود هو ما يصب من الادوية
فى احد شقى الفم واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر وقيل الخصام الد على المبالغة نحو جد جده والخصام جمع خصم كصعاب
فى صعب والمعنى هو اشد الخصوم خصومة والحاصل انه جدل بالباطل شديد الفسق فى معصية الله عالم اللسان جاهل العمل واذا تولى عنك وذهب
الانه القول وحلاوة المنطق سعى فى الارض ليفسد فيها كما فعل بأولئك المسلمين من احراق الزرع وعقر الحمر او شىء اصل السعى المشى بسرعة وقد يستعار
لايقاع الفتنة والتخريب بين الناس قيل انما اصرت من بلاد بنى زهرة وكان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زرعهم
وعلى هذا فيقع قوله ويهلك الحرث والنسل تفصيلا للاجمال فى قوله ليفسد وقيل فساده هو القاء الشبه فى عقائد المسلمين وعلى هذا فيكون اهلاك
الحرث والنسل بمعنى آخر وهذا التفسير مناسب لان كمال الانسان بالعلم والعمل ونقصه بضدهما فيكون الافساد اشارة الى نقص قوته النظرية والاهلاك
عبارة عن فعل المنكرات فيه نقصان قوته العملية وقيل واذا تولى اى اذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث و
النسل فالحرث الزرع والنسل الولد وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل الولد ونسلت الناقة
تولد كثيرا والتركيب يدل على الخروج وقيل هلاك الحرث قتل النسوان نساؤكم حرث لكم واهلاك النسل افناء الصبيان والله لا يحب الفساد قالت
المعتزلة معناه لا يريد الفساد وفيه دليل على انه لا يريد القبائح واذا لم يرد ها لم يخلقها لان الخلق لا يمكن الا بالارادة ومنع من ان المحبة نفس الارادة
بل المحبة عبارة عن مدح الشىء وذكره بالتعظيم ثم الدليل الدال على ان لا مرجح لاحد جانبى كل ممكن على الاخر الا الله والا انسد باب اثبات الصانع يدل على
ان الكل بارادته ومشيئته وقد مر تحقيق ذلك فيما سلف واعلم انه سبحانه حكى عن المنافق جملة من الافعال الذميمة اولها حسن كلامه فى طلب الدنيا وثانيها
استشهاده بالله كذبا وبهتانا وثالثها الحاحه فى ابطال الحق واثبات الباطل ورابعها سعيه فى الارض للافساد وخامسها سعيه فى اهلاك الحرث والنسل ووقع
قوله والله لا يحب الفساد جملة معترضة ثم ذكر خصلة سادسة اشنع من الكل دالة على جهله المركب وخروجه عن ان يرجى منه خير وذلك قوله واذا قيل له اتق الله
فى ارتكاب شىء من هذه المنهيات والقائل اما الرسول قولا خاصا او عاما لجميع المكلفين فيدخل المنافق فيه واما كل واعظ وناصح اخذته العزة بالاثم
من قولهم اخذته فلانا بان يفعل كذا اى الزمته ذلك وحملته عليه اى اخذته العلية والاستيلاء والانفة وحمية الجاهلية ان يعمل الاثم وذلك الاثم هو ترك الالتفات
الى هذا الوعظ وعدم الاصغاء اليه ومن قولهم اخذته الحمى لزمته واخذه الكبر اعتراه ذلك والمعنى لزمته عزة العزة الحاصلة بسبب الاثم الذى فى قلبه وذلك
الاثم هو الكفر والجهل وعدم النظر فى الدلائل فحسبه جهنم كافيه هى جزاء له يستوى فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لانه مصدر ورفعه على الخبرية او على
الابتداء اذا كان ما بعده معرفة وعلى الابتداء فقط ان كان نكرة مثل حسبك درهم وعلى هذا يكون الاضافة معنوية البتة وعلى تقدير كونه خبرا او وقوع
المعرفة بعده يكون الاضافة لفظية اى محسب كاف له قال يونس واكثر النحويين جهنم اسم للنار التى يعذب الله بها فى الاخرة وهى عجمية وفيها العلمية والتانيث
وقال الاخرون انه اسم عربى سميت نار الاخرة بها لبعد قعرها حكى عن رؤبة انه قال ركية جهنام بكسر الجيم والهاء اى بعيدة القعر وقيل اشتقاقها من الجهومة
وهى الغلظ ومنه رجل جهم الوجه اى غليظه سميت بذلك لغلظ امرها فى العذاب والعقاب ولبئس المهاد اى فراش مهد لاجله فان المعذب فى النار يلقى على النار
كما يوضع الشخص على الفراش ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى التمهيد لطولهم قوله تعالى ومن الناس من يشرى الاية قال سعيد بن المسيب اقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم
فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته واخذ قوسه ثم قال والله لا تصلون الى او ارمى بكل سهم معى ثم اضرب بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم
دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلى ففعلوا فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله ربح البيع ابا يحيى ونزلت الاية وقيل اخذ المشركون
صهيبا فعذبوه فقال لهم صهيب انى شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالى وتذرونى ودينى ففعلوا ذلك وكان قد شرط
عليهم راحلة ونفقة فخرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر فى رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال صهيب وبيعك فلا تخسر ما ذاك فقال نزلت
فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر سمع عمر بن الخطاب انسانا يقرأ هذه الاية فقال عمر انا لله قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل وقيل نزلت

في علي بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خروجه الى الغار ويروى انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك الملائكة ونزلت الآية ثم ان الآية تدل على ان ههنا مبايعة فاكثر المفسرين على ان العامل هو البائع ومعنى يشرى يبيع وشروه بثمن بخس والله هو المشتري ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم وعمل المكلف هو بذل النفس في طاعة الله من الصلوة والصيام والحج والجهاد وهو الثمن والجنة هي المثمن وقيل يحتمل ان يراد بالشرى ههنا الاشتراء وذلك ان من قدم على الكفر والمعاصي فكان نفسه خرجت عن ملكه وصارت حقا للنار واذا اقدم على الطاعة صار كانه اشترى نفسه من النار فصار حال المؤمن كالمكاتب يبذل دراهم معدودة ويشتري بها نفسه والمؤمن يبذل انفاسا معدودة ويشتري بها نفسه لكن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فكذا المكلف لا ينجو عن رقبة العبودية ما دام يبقى له نفس واحد في الدنيا وهذا قول عيسى وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وقوله عز من قائل لنبيه فاعبد ربك حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ اي طلب رضوانه على العلة الغائية وفيه دليل على ان كل مشقة يتحملها الانسان يجب ان يكون على وفق الشرع ومطلوبا بها جانب الحق والا كان عمله ضلالا محضا ووبالا والله رؤف بالعباد فمن رأفته جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل وجوز لهم كلمة الكفر ابقاء على النفس الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ومن رأفته انه لا يكلف نفسا الا وسعها ومن رأفته ان المصر على الكفر مائة سنة اذا تاب ولو في لحظة اسقط عقاب تلك عصاه واعطاه ثوابه ومن رأفته ان النفس له والمال له ثم انه يشتري ملكه بملكه فضلا منه وامتنانا ورحمة واحسانا قوله سبحانه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً اصل السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ويطلق ايضا على الصلح وترك الحرب والمنازعة وهو ايضا راجع الى هذا وانه يذكر ويؤنث واختلف في المخاطبين فقيل امر للمسلمين بما يضاد حال المنافقين اي الذين آمنوا بالالسنة والقلوب ودوموا على الاسلام فيما تستأنفونه من ايامكم ولا تخرجوا منه ولا من شيء من شرائعه وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ لا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اهل الغواية والكائن في الدار اذا علم ان له في المستقبل خروجا منها لا يمتنع ان يؤمر بدخولها في المستقبل حالا بعد حال ومعلوم ان المؤمنين قد يخرجون من خصال الايمان بالنوم والسهو وغيرهما من الاحوال فلا يبعد ان يأمرهم الله بالدخول في الاسلام فيما يستأنف من الزمان وامرهم بان يكونوا مجتمعين في نصرة الدين واحتمال البلوى فيه ولا تتبعوا آثار الشيطان بالاقبال على الدنيا والجبن والخور في امر الدين ومنه لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا او يكون المراد الرضاء بالقضاء والتلقي لجميع المكاره بالبشر والطلاقة كما ورد في الخبر الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم او يكون المراد ترك الانتقام وسلوك طريق العفو والاغماض وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وقوله كافة يصلح ان يكون حالا من المأمورين اي ادخلوا باجمعكم في السلم ولا تتفرقوا ولا تختلفوا وان يكون حالا من السلم على انها مؤنث كالحرب اي ادخلوا في شرائع الاسلام كلها واصل الكف المنع فسمى الجميع كافة لان الاجتماع يمنع التفرقة التبدد ورجل مكفوف اي كف بصره من ان ينظر وكفة القميص لانها تمنع الثوب من الانتشار والكف طرف اليد لانه يكف بها عن سائر البدن وقيل الخطاب للمنافقين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم ادخلوا بكليتكم في الاسلام ولا تتبعوا آثار تزيين الشيطان وتسويله بالاقامة على النفاق وقيل نزلت في مسلمي اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه حين ارادوا ان يقيموا على بعض شرائع موسى كتعظيم السبت وقراءة التورية واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فامروا ان يدخلوا في شرائع الاسلام كافة ولا يتمسكوا بشيء من احكام التورية لثبوت نسخها بالكلية فان التمسك بها بعد تبين نسخها من اتباع آثار الشيطان وقيل السلم الاسلام والخطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتاب المتقدم كملوا طاعتكم بالايمان بجميع انبيائه وكتبه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالشبهات التي يتمسكون بها في بقاء تلك الشريعة انه لكم عدو مبين عن ابي مسلم ان المبين من صفات البليغ الذي يعرب عن ضميره ولا يخفى انه اعرب عن عداوته لآدم ونسله وقيل مبين من الابانة القطع وذلك انه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه قوله فان زللتم المخاطبون ههنا هم المخاطبون في قوله ادخلوا فيجيء الخلاف ههنا بحسب الخلاف هناك والمعنى العام فان دحضت اقدامكم وانحرفتم عن الطريق الذي امرتم به من بعد ما جاءتكم البينات الدلائل العقلية والسمعية على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم وهذه نهاية في الوعيد كما قال الوالد لولده ان عصيتني فانت عارف بي وبشدة سطوتي كان ابلغ في الزجر من التصريح بضرب من ضروب العذاب وكما ان قوله عزيز يشتمل على الوعيد البليغ فقوله حكيم يشتمل على الوعد الحسن فان اللائق بالحكمة تميز المحسن من المسيء وان لا يسوي بينهما في الثواب والعقاب يروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه يكون اغراء عليه قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الآية معنى النظر ههنا الانتظار واما اتيان الله فقد اجمع المفسرون على انه سبحانه منزه عن المجيء والذهاب لان هذا من شأن المحدثات المركبات وانه تعالى ازلي فرد في ذاته وصفاته ثم ذكروا في الآية وجهين الاول وهو مذهب السلف الصالح السكوت في مثل هذه الالفاظ من التأويل وتفويضها الى مراد الله تعالى كما يروى عن ابن عباس انه قال نزل القرآن على اربعة اوجه وجه لا تعرف احد لجهالته ووجه يعرفه العلماء ويفسرونه ووجه يعرفه من قبل العربية فقط ووجه لا يعلمه الا الله الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل فقيل جعل مجيء الآيات مجيئا له تفخيما لها كما يقال جاء الملك اذا جاء جيش عظيم من جهته وقيل المراد يأتيهم امره وبأسه فحذف المضاف بدليل قوله في موضع آخر او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا وايضا اللام في قوله وقضي الامر للعهد على معهود سابق وما ذاك الا الذي اضمرناه لا يقال امر الله عندكم صفة قديمة فالاتيان عليها محال وعند المعتزلة اصوات فيكون اعراضا فالاتيان عليها ايضا محال لانا نقول الامر قد يطلق على الفعل وما امر فرعون برشيد فالمراد ما يليق

بتلك المواقف من الاهوال واظهار الآيات المهيبة وان حملنا الامر على ضد النهي فالمعنى بعد ان منادياً ينادي يوم القيمة الا ان الله يأمركم بكذا ومعنى كون
في ظلل من الغمام ان سماع ذلك النداء ووصول تلك الظلل يكون في آن واحد ويكون المراد حصول اصوات مقطعة مخصوصة في تلك الغمامات تدل
على حكم الله تعالى على كل احد بما يليق به من السعادة والشقاوة او انه تعالى يخلق نقوشاً منظومة في ظلل من الغمام لشدة بياضها وسواد تلك الكتابة يعرف بها
حال اهل الموقف في الوعد والوعيد ويكون فائدة الظلل انه تعالى جعلها امارة لما يريد انزاله بالقوم ليعلموا ان الامر قد حضر وقيل الباء في به محذوف والمعنى الا
ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله عزيز وفائدة الحذف كونه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه وقيل ان في بمعنى الباء
اي يأتيهم الله بظلل من الغمام والمراد العذاب الذي يأتيهم في الغمام مع الملائكة وقيل الغرض من ذكر اتيان الله تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع كقوله والارض
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا قبض ثمة ولا طي ولا يمين وانما الغرض تصوير عظمة شانه وقيل بناء على ان الخطاب في ادخلوا وذللهم
لليهود المراد انهم لا يقبلون دين الحق الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وذلك ان اليهود كانوا على اعتقاد التشبيه يجوزون المجيء والذهاب على الله
تعالى ويقولون انه تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام فطلبوا مثل ذلك في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون الكلام حكاية عن معتقد اليهود ولا يبقى اشكال فان
الآية لا تدل الا على ان قوماً ينتظرون اتيان الله وليس فيها دلالة على انهم محقون في ذلك الانتظار ام مبطلون والظلل جمع ظلة وهي ما اظلك والغمام لا يكون
كذلك الا اذا كان مجتمعاً ومتراكماً فالظلل من الغمام عبارة عن قطع متفرقة كل قطعة منها تكون في غاية الكثافة والعظم فكل قطعة ظلة والجمع ظلل والاستفهام
ههنا في معنى النفي اي ما ينتظرون الا ان يأتيهم عذاب الله في ظلل من الغمام وفيه تفظيع شان العذاب وتهويله لان الغمام مظنة الرحمة واذا نزل منه العذاب كان
اشنع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يتوقع الخير او نزول الغمام علامة
لظهور الاهوال في القيمة قال تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً واستعير لتتالي
العذاب تتابع القطر واتيان الملائكة ليقيموا ما امروا به من تعذيب وتخريب فلا حاجة الى التأويل لان اتيانهم ممكن وقضي الامر فرغ من امر اهلاكهم وتدميرهم
او عما كانوا يوعدون به فلا يقال لهم عثرة ولا يصرف عنهم عقوبة ولا ينفع في دفع ما نزل بهم حيلة والتقدير الا ان يأتيهم الله ويقضى الامر فوضع الماضي
موضع المستقبل اما للتنبيه على قرب العذاب والساعة كل ما هو آت قريب واما لان اخبار الله تعالى كالواقع المقطوع به وقيل الامر المذكور ههنا هو فصل القضاء
بين الخلائق واخذ الحقوق لاربابها وانزال كل احد من المكلفين منزلته من الجنة او النار وعن معاذ بن جبل وقضاء الامر مصدر مرفوع عطفاً على لفظ الله
والملائكة والى الله ترجع الامور وذلك انه ملك في الدنيا عباده كثيراً من امورهم وخلقها ما اذا صار والى الآخرة فلا مالك للحكم بين العباد سواه وهذا كقوله
رجع الى الامير اذا كان هو يختص بالنظر فيه فعلى المكلفين ان يدخلوا في السلم كافة ويحترزوا عن اتباع آثار الشيطان كما هي ثم ان الامور ترجع اليه جل جلاله وهو تعالى
يرجعها الى نفسه بافناء الدنيا واقامة القيمة فهذا معنى القراءتين في ترجع وايضاً قراءة ضم التاء وفتح الجيم على مذهب العرب في قولهم فلان معجب بنفسه
يقول الرجل لغيره الى اين تذهب بي او المراد ان العباد يردون امورهم الى خالقهم ويعترفون برجوعها اليه اما المؤمنون فبالمقال واما الكافرون فبشهادة
الحال ولله يسجد من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال التأويل النفس الامارة تتظاهر بالاشياء المموهة والاقوال المزخرفة
وتريها اولياء الله ولكنها الحمى الاعداء ويسعى في تخريب القلب وابطال حرث الصدق في طلب السعادة واهلاك نسل ما يتولد من الاخلاق الحميدة
وتمنع ما يفهما عن قبول الحق فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري هذا شان الاولياء باعوا انفسهم خالصاً لوجه الله لا لاجل الجنة ادخلوا في السلم
كافة اي بجميع الاجزاء والاعضاء الظاهرة والباطنة ودخول القلب في الاسلام يكون بدخول الايمان في القلب ودخول الروح في الاسلام يكون بتخلقه باخلاق
الله وتسليم الاحكام والانقياد له ودخول السر في الاسلام بفنائه في الله وبقائه بالله هذا مقام يضيق عن علانه نطاق النطق ولا يسع اظهاره في ظروف
الحروف شعر وان قميصاً خيط من نسج تسعة وعشرين حرفاً من معانيه قاصر والله ولي التوفيق وحسبه سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة

ع ۱۰ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين — بپرس از بنی اسرائیل که چه قدر آوردیم ایشانرا از نشانهای روشن
و هر که تغییر دهد نعمت خدا را پس از آنکه بیاید او را پس خدا سخت عقوبت است آراسته شده از برای آنها — كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين
آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب — که کافر شدند زندگانی دنیا و مسخره میکنند بر آنها که
گرویدند و آنها که پرهیزگار شدند در مرتبه بالای آنهایند در روز قیامت و خدا روزی میدهد هر که خواهد بدون محاسبه — كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — بودند مردمان طایفه یگانه پس برانگیخت خدا پیغمبران را مژده دهندگان
و ترسانندگان و فرستاد با هر یک کتابها براستی تا حکم کنند میان مردم در چیزی که اختلاف کردند — وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم
البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق — و اختلاف نکردند در آن مگر آنها که داده شده بودند کتاب را پس از آنکه آمد ایشان
گواهان روشن کفری که در میان ایشان بود پس هدایت کرد خدا آنها را که گرویدند بحقیقتی که اختلاف کردند در آن — باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم — بفرمان او و خدا هدایت کند هر که را خواهد بسوی راه راست
آیا گمان کردید که درآیید در بهشت و هنوز نرسیده باشد بشما مثل آنها که گذشتند آنها که پیش بودند شما را — مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب — رسید بآنها سختی فقر و ناخوشی و هراسان بودند تا که گفت پیغمبر که

القراءة ليحكم بضم الياء وفتح الكاف يزيد كذلك في آل عمران والنور وفي موضعين الباقون بفتح الياء وضم الكاف يقول برفع اللام نافع الباقون بالنصب الوقوف
بينة ط لانتهاء الاستفهام الى الشرط مع تقدير حذف اي فبدلوا ومن يبدله العقاب من الذين امنوا لان الذين مبتدأ وفوقهم خبره ولو وصل صار
ظرفا ليسخرون وحالا لفاعل يسخرون وقبحه ظاهر يوم القيمة ط حساب ومنذرين ص لعطف المتفقين فيما اختلفوا فيه ط بينهم ج لعطف المختلفين
باذنه ط مستقيم من قبلكم ط للفصل بين الاستفهام والاخبار لان قوله ولما ياتكم عطف على ام حسبتم تقديره احسبتم ولم ياتكم متى نصر الله ط قريب التفسير
انه سبحانه لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها ثم قال فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي فان اعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد ثم
بين ذلك التهديد بقوله فاعلموا ان الله عزيز حكيم ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الاية ثم ثلث التهديد بقوله سل بني اسرائيل الخطاب
للرسول صلعم اولكل احد هذا السؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة والانكثرة الايات التي اوتوها معلومة باعلام الله تعالى والمراد سل هؤلاء الحاضرين
انا لما اتيناا سلافهم ايات بينات فانكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه هؤلاء الحاضرين على انهم لو زلوا عن ايات الله لوقعوا
في العذاب كما وقع اولئك المتقدمون كي يعتبروا ويتعظوا وكم يحتمل الاستفهامية والخبرية ومن اية مميزها وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل فان كانت
استفهامية فالتقدير سلهم عن عدد ما اتيناهم من الايات اناهم حتى يخبرك عن كميتها وان كانت خبرية فالمعنى سلهم عن كثير من الايات اتيناهم والايات
الواضحات اما معجزات موسى ع كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله اياه والعصا واليد ونحوها وهي تسع ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات واما
الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام فمنهم من امن واقر ومنهم من جحد بدل ومن يبدل نعمة الله قيل انها الايات والدلائل وهي اجل اقسام النعم لانها
اسباب الهدى والنجاة من الضلالة ثم ان قلنا الايات معجزات موسى فتبديلها ان الله تعالى اظهرها ليكون اسباب هدايتهم فجعلوها اسباب ضلالتهم
كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وان قلنا الاية البينة هي ما في التورية والانجيل من الدلائل على صحة نبوة محمد صلعم فتبديلها تحريفها وادخال الشبه
فيها وقيل المراد بنعمة الله ما اتاهم من اسباب الصحة والامن والكفاية فتبديلها ان لم يجعلوها واسطة الطاعة والقيام بما وجب عليهم من التكاليف
بل استعملوها في غيرها او تبديل هي لاجله وعلى هذا فقوله من بعد ما جاءته معناه ظاهر واما على القول الاول فهو ان المراد من النعمة الايات فمعنى مجيئها
التمكن من معرفتها او عرفانها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها ولم يعرفها فكانها غائبة فان الله شديد العقاب
قال الواحدي الرابطة محذوفة اي له والتحقيق ان ترك هذا الاضمار اولى فانه اذا علم كونه تعالى موصوفا بهذا الوصف لزم من ذلك انه يعاقب المبدل ان
شاء ولكن لا يلزم من كونه شديد العقاب للمبدل كونه متصفا بذلك صفة ذاتيا ثم قال الواحدي والعقاب عذاب يعقب الجرم ثم انه تعالى ذكر السبب
الذي لاجله كان التبديل بل سيرتهم فقال زين للذين كفروا الاية والغرض تعريف المؤمنين ضعف عقول الكفار في ترجيح الفاني من زينة الدنيا على
الباقي من نعيم الاخرة والتذكير في زين اما لان الحيوة والاحياء واحد وللفصل مع ان التانيث ليس بحقيقي عن ابن عباس ان الاية نزلت في ابي جهل
واضرابه من كبار قريش قيل في رؤساء اليهود وعلمائهم وعن مقاتل نزلت في المنافقين ولا مانع من نزولها في جميعهم لان كلهم وهم في التنعم والرفاهة
كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين المهاجرين ثم المزين من هو نقل عن المعتزلة انهم غواة الجن والانس قبحوا امر الاخرة في اعين الكفار واوهموا ان لا صحة لها
فلا تنقصوا عيشكم في الدنيا كقول من قال اتترك لذة الصهباء نقدا بما وعدوك من لبن وخمر قالوا واما الذي يقوله المجبرة من انه تعالى زين ذلك فباطل
لان المزين للشيء هو المخبر عن حسنه فاذا كان المزين هو الله تعالى فلا بد ان يكون صادقا في ذلك الاخبار فيكون فاعل المستحسن لمصيبا وان كان كافرا
واصابة الكافر كفر فهذا القول كفر وزيف بان مزين الكفر لجميع الكفار لا بد ان يكون خارجا منهم وقولهم المزين للشيء هو المخبر عن حسنه مردود لانما
المزين من يجعل الشيء موصوفا بالاوصاف الحسنة سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز ان الله تعالى يكون مخبرا عن حسنه من حيث انه اخبر عما فيها من اللذات والراحات
وهذا اخبار عما ليس بكذب والتصديق به ليس بكفر قال ابو مسلم الكفار زينوا لانفسهم والعرب يقولون ان فلانا معجب بنفسه ويقول اين يذهب بك يريدون ان ذاهبا ذهب به
ومنه قوله تعالى انى يؤفكون انى يصرفون ولما كان الشيطان لا يملك ان يحمل الانسان على الفعل قهرا فالانسان بالحقيقة هو الذي زين لنفسه والتحقيق
ان المزين هو الله تعالى كما صرح بذلك في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وكيف لا وانتهاء جميع الحوادث اليه ظهر في الدنيا
من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وركب في الطبايع حب الشهوات والميل الى الطيبات لا على سبيل الالجاء الذي لا يمكن تركه بل مع امكان رد
النفس عنها ليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه عن المباح ويكفها عن الحرام ويتم غرض الابتلاء او نقول المراد من التزيين انه تعالى مهلهم في الدنيا ولم
يمنعهم عن الاقبال عليها والحرص الشديد في طلبها وقيل ان الله تعالى زين من الحيوة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات وهو ضعيف لان الله
تعالى خص هذا التزيين بالكفار والمباحات لا تختص بالكفار وان قيل المراد من تزيين المباح للكافر انه دائم السرور به وان قلت ذات يده لكونه معقودا
الهمة به لا عيش عنده الا عيش الدنيا بخلاف المؤمن فانه يتنعم من طيبات الدنيا ويبتهج بها وان كثر ماله وجاهه مكدرا بالخوف والوجل من الحساب في الاخرة
قلنا تزيين المباح في نظر الكافر بحيث يفضي به الى الاشتغال عن الاخرة مستقبح ايضا فالكلام فيه كالكلام في تزيين المحظور فيبقى الاشكال بحاله
ولا مخلص الا باسناد الكل اليه تعالى بعد تذكر ما سلف لنا مرارا في حقيقة الجبر والقدر ولما اخبر الله تعالى عنهم بانه زين لهم الحيوة العاجلة اخبر عنهم
بعد ذلك بفعل يديمونه فقال ويسخرون من الذين امنوا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم يقولون هؤلاء المساكين تركوا طيبات الدنيا و
تحملوا المتاعب لطلب الاخرة ولا يخفى انه لو بطل حديث المعاد لكان لهذه السخرية وجه لكنه لو ثبت القول بالمعاد وصح كانت السخرية منقلبة

عليهم لانهم اعرضوا عن الملك الابدي والنعيم المقيم بسبب لذات حقيرة في انفاس معدودة فلهذا قال سبحانه والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اما
بالمكان فلانهم في عليين وهم في سجين واما بالرتبة والشرف فلانهم في معارج الانس وهم في مهاوي الهوان ويحتمل ان يراد انهم فوقهم بالحجة لان حجج
الكفار وشبههم كانت تؤثر بوسوسة الشيطان وبمجرد استبعاد امر المعاد وحجج المتقين يوم القيمة تستند الى العيان وبمدد الرحمن ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم او يراد ان سخرية المؤمنين بالكافرين يوم القيمة
لكونها حقة وباقية فوق سخرية الكافرين بالمؤمنين في الدنيا لكونها باطلة ومنقضية وفي قوله والذين اتقوا دون ان يقول امنوا كما قال من
الذين امنوا بعث على التقوى وان كرامة المؤمن منوطة بها والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير وذلك ان الكفار كانوا يستدلون بحصول
الزخارف الدنيوية لهم على انهم على الحق وبحرمان المؤمنين منها على انهم على الباطل فرد الله تع عليهم قولهم بان ذلك متعلق بمحض المشية وقد يستتبع غاية هي الاستدراج في حق
الكافر والابتلاء في حق المؤمن او يرزق من يشاء من مؤمن وكافر بغير حساب يكون لاحد عليه ولا مطالبة ولا سؤال سائل فالامر امره والحكم حكمه
ولا يسئل عما يفعل او من حيث لا يحتسب كما يقول الرجل اذا جاءه ما لم يكن قد قدره ما كان هذا في حسابي فالمعنى ان الكفار وان كانوا يسخرون من فقراء
المؤمنين فلعل الله تع يرزق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا ولقد فعل ذلك بهم فاغناهم بما افاء عليهم من اموال صناديد قريش ورؤساء اليهود و
يسر لهم الفتوح حتى ملكوا كنوز كسرى وقيصر او المراد ان ما يرزق العبد في الدنيا من الدنيا فلحرامها عذاب ولحلالها حساب وما يرزق العبد في الاخرة من
النعيم المقيم بغير عذاب وبغير حساب ويحتمل ان يخص الرزق في الاية بالمؤمنين وفي الاخرة وعلى هذا يكون معنى بغير حساب اي رزقا واسعا رغدا لا فناء له
ولا انقطاع ولا حصر كقوله يرزقون فيها بغير حساب او يقال ان المنافع الواصلة اليهم في الجنة بعضها ثواب وبعضها تفضل كما قال ليوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله فالفضل بلا حساب والحساب في الثواب انما يحتاج اليه اذا كان يخشى ان اعطى شيئا ينقص قدر الواجب عما كان والثواب ليس كذلك فانه بعد انقضاء الادوار والاعصار
يكون الثواب المستحق بحكم الوعد والفضل باقيا فعلى هذا لا يتطرق الحساب البتة الى الثواب او اراد ان الذي يعطي لا نسبة له الى ما في خزائن ملكه وقدرته فلا نسبة
للمتناهي الى غير المتناهي او معنى بغير حساب بغير استحقاق وانما يعطى بمجرد الفضل والاحسان او معناه انه يزيد على قدر الكفاية الى عشرة بل سبعمائة من قولهم
فلان ينفق بالحساب اذا كان لا يزيد على قدر الكفاية او انه لا يخاف نفاد ما عنده فيحتاج الى حساب ما يخرج منه قوله سبحانه كان الناس امة واحدة
الاية فيه اشارة الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطيباتها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك امر قديم في الانسان ثم الامة الواحدة
كانوا على الحق او على الباطل فيه للمفسرين اقوال الاول انهم كانوا على الحق واختاره المحققون لوجوه منها قوله تع ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وهذا يدل على ان النبيين عم بعثوا حين الاختلاف وصيرورة بعضهم مبطلا ولو كانوا قبل ذلك مجتمعين على الكفر لكان بعث الانبياء عم اولى ومنها
النقل المتواتر ان ادم واولاده كانوا مسلمين مطيعين لله تعالى الى ان قتل قابيل هابيل حسدا وبغيا وعن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق ومنها ان وقت الطوفان لم يبق الا اهل السفينة وكلهم كانوا على الحق والدين الصحيح فالناس اشارة اليهم ومنها ان الدين الحق
يتوقف على النظر والنظريات مستندة بالاخرة الى مقدمات يعلم صحتها بضرورة العقل والى ترتيب كذلك فالعقل السليم لا يغلط لو لم يعرض له سبب
من خارج فالصواب له بالذات والخطاء بالعرض وما بالذات اقدم مما بالعرض بحسب الاستحقاق وبحسب الزمان ايضا فالاولى ان يقال كان الناس على
الحق ثم اختلفوا لاسباب خارجة كالبغي والحسد يؤيده قوله عم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه القول الثاني وهو مروي
عن ابن عباس والحسن وعطا انهم كانوا على الباطل لان بعثة الانبياء مترتبة على ذلك ولو كانوا على الحق لم يحتج الى بعثتهم ولو قيل ان تقدير الاية فاختلفوا
فبعث الله كما قرا ابن مسعود فالاصل عدم الاضمار والقراءة الشاذة لا يعتد بها ومتى كان الناس متفقين على الكفر قالوا من لدن ادم الى زمان
نوح عم كانوا كفارا والحكم للاغلب وان كان فيهم بعض المسلمين كهابيل وشيث وادريس عم كما يقال دار الكفر وان كان فيها مسلمون القول الثالث عن
ابي مسلم والقاضي ابي بكر انهم كانوا امة واحدة في التمسك بالشرائع العقلية وهي الاعتراف بوجود الصانع وصفاته والاشتغال بخدمته وشكر
نعمته والاجتناب عن القبائح العقلية كالظلم والكذب والعبث واحتجا بان لفظ النبيين جمع معرف فيفيد العموم والفاء يوجب التعقيب فيعلم من
ذلك ان تلك الوحدة متقدمة على جميع الشرائع فلا يكون الا الاستفادة من العقل ثم سئل القاضي نفسه فقال اوليس اول الناس ادم وانه كان
نبيا مبعوثا واجاب بانه يحتمل ان يكون عم بعث اولاده متمسكين بالشرائع العقلية ولا ثم ان الله تع بعثه الى اولاده ويحتمل ان شريعته قد صارت مندرسة
ثم رجع الناس الى الشرائع العقلية القول الرابع التوقف فلا دلالة في الاية على انهم كانوا محقين او مبطلين القول الخامس ان المراد من الناس اهل
الكتاب الذين امنوا بموسى عم ثم اختلفوا بسبب البغي والحسد فبعث الله النبيين معهم الكتاب كما بعث داود ومعه الزبور وعيسى ومعه الانجيل و
محمد صلعم ومعه الفرقان ليكون تلك الكتب حاكمة في تلك الاشياء التي اختلفوا فيها وهذا القول يوافق قول من قال ان الخطاب في يا ايها الذين امنوا
ادخلوا في السلم لاهل الكتب فيراد بالناس اذن ناس معهودون ثم انه تع وصف النبيين بصفات ثلث الاولى كونهم مبشرين والثانية كونهم
منذرين وقدمت البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة والانذار يجري مجرى ازالة المرض والاول لتناول الدواء والاول
لكونه مقصودا الغذاء والثاني كتناول الدواء والاول لكونه مقصودا بالذات مقدم على الثاني لانه مقصود بالعرض الثالثة قوله وانزل معهم
الكتاب بالحق وفي قوله معهم والضمير يعود الى عامة النبيين دليل على انه لا نبي الا ومعه كتاب منزل فيه بيان الحق والباطل فان ذلك الكتاب ام قصص

على الحق وبحرمان المؤمنين منها

دون ذلك الكتاب ام لم يدون معجزا كان او غير معجز قبل انزال الكتاب قبل وصول الامر والنهي الى المكلفين وصول الامر والنهي اليهم قبل التبشير والانذار
فلم قدم التبشير والانذار على انزال الكتاب قلت اجيب بان الوعد والوعيد منهم قبل بيان الشرع ممكن فيما يتصل بالعقليات من معرفة بالله وترك الظلم
وغيرهما وبان المكلف انما يحمل النظر في دلالة المعجز على الصدق وفي الفرق بين المعجز والسحر اذا خاف انه لم ينظر فربما ترك الحق فيصير مستحقا للعقاب
والخوف انما يقوى عند التبشير والانذار فلهذا قدم ذكرهما على انزال الكتاب قلت فيه فائدة اخرى لفظية هي ان لا يقع فاصلة كثيرة بين الثاني والمبين
الاولين وبين الثالث وبين ما رتب عليها من قوله ليحكم اي الكتاب لانه اقرب لا محذور في نسبة الحكم اليه يجوز كما لا محذور في كونه هدى وشفاء
واللام للجنس او اريد مع كل واحد كتابه وقيل ليحكم الله لانه الحاكم في الحقيقة لا الكتاب وقيل ليحكم النبي المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في
الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وفي كل ما اختلفوا فيه ولم يعرفوا وجه الصواب في ذلك بحسب حكم الله وما اختلف فيه في الحق
الا الذين اوتوه اي اعطوا الحق وادوه لمباشرة اسبابه القريبة التي هي مجيء البينات وقيل الضمير للكتاب اي الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة
الاختلاف كانهم عارضوا الكتاب بنقيض ما انزل لاجله لئلا يختلفوا فازدادوا في الاختلاف وفيه دليل على ان الاختلاف في الحق لم يوجد الا بعد بعثة
الانبياء وانزال الكتب كما في القول الاول قال كثير من المفسرين المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واختلافهم اما تكفير بعضهم بعضا
واما تحريفهم او تبديلهم من بعد ما جاءتهم البينات يحتمل ان يكون كالبيان لايتاء الكتاب اي وما اختلف فيه مع اختلاف الا من بعد مجيء البينات
التي هي الكتب كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ويحتمل ان يكون هذه البينات مغايرة لايتاء الكتاب ويعني
بها الدلائل العقلية التي نصبها الله تعالى على اثبات الاصول التي لا يمكن اثباتها بالدلائل السمعية واذا حصلت الدلائل العقلية والسمعية لم يكن
في العدول عذر ولا علة ولو حصل الاعراض كان بسبب بغيا بينهم وحسدا وظلما لحرصهم على الدنيا ولقلة الانصاف وكثرة الاعتساف ومن
الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف واللام بمعنى الى اي هداهم الى ما اختلفوا فيه كقوله ثم
يعودون لما قالوا باذنه قال الزجاج بعلمه وقيل بامره وفيه الا بحصل التمييز بين الحق والباطل فيحصل الهداية وقيل في الابتداء اي فهداهم فاهتدوا
باذنه اذ لا جائز ان ياذن لنفسه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم هو الحق الموصل الى كمال الدين وهو طلب الجنة ولما كان ذلك الحق
او الطلب لا يتأتى الا باحتمال شدائد التكليف واعباء الاشاء والتعليم قال سبحانه ام حسبتم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ تشجيعا للرسول الله
والمؤمنين على الثبات والصبر مع المخالفين من اهل الكتاب والمشركين فان من كان نظره على مراتب قرب المولى فبلاؤه اقوى وهو بالابتلاء اولى قال في الكشاف
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده قال القفال انه تقدير الاية فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه حين صبروا على استهزاء
قومهم افتسلكون سبيلهم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم ولما ياتكم فيه معنى التوقع وفيه دليل على ان الاتيان متوقع منتظر عن
ابن عباس لما دخل النبي صلعم المدينة اشتد الضر عليهم لانهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم في ايدي المشركين واظهرت اليهود العداوة له فانزل الله
تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم وقال قتادة والسدي نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد والخوف وكان كما قال سبحانه
وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد لما قال عبد الله بن ابي لاصحاب النبي صلعم الى متى تقتلون انفسكم وتنصرون الباطل لو كان محمد نبيا ما
سلط الله عليكم الاسر والقتل والمعنى ام حسبتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة بمجرد الايمان بي والتصديق لرسولي دون ان تعبدوا الله بكل ما تعبدكم
به وابتلاكم بالصبر عليه وان ينالكم من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في جهاد العدو كما نال
ذلك من قبلكم من المؤمنين ومثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقيل مستهم البأساء وهي عبارة عن تضييق جهات الخير والمنفعة عليه والضراء وهي اشارة الى انفتاح ابواب الشر والافة اليه وزلزلوا حركوا وازعجوا
بانواع البلايا والرزايا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة وهي زل الشيء عن مكانه والتضعيف في اللفظ للتضعيف في المعنى وقيل معناه خوفوا وليس ببعيد لان
الخائف لا يستقر بل يضطرب بقلقه ولهذا لا يقال ذلك الا في الخوف المقيم المقعد ثم ذكر بعد ذلك شيئا هو الغاية في الدلالة على كمال الضر والبؤس
والمحنة فقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك غاية
في الشدة لا مطمح وراءها من قرا يقول بالنصب فعلى اضمار ان ومعنى الاستقبال بالنظر الى ما قبل حتى وان لم يكن مستقبلا عند الاخبار ومن رفع فعلى
الحال الماضية المحكية كقولهم شرب الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا ان نصر الله قريب اي فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم فكونوا انتم معاشر المؤمنين كذلك
في تحمل الاذى والمتاعب في طلب الحق فان نصر الله قريب لانه ات وكل ما هو ات قريب والحاصل ان اصحاب رسول الله صلعم كان ينالهم من المشركين والمنافقين
اذى كثير ولما اذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الاموال [illegible] ذكره والانفس ما لا يخفى فعزاهم تعالى في ذلك وبين ان حال من قبلهم في طلب
الدين كان ذلك والمصيبة اذا عمت طابت وذكر الله تعالى من قصة ابراهيم عم والقائه في النار ومن ايوب عم وما ابتلاه به ومن سائر الانبياء في مصابرتهم على
انواع المكاره ما صار ذلك سلوة للمؤمنين روى خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلعم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون

وههنا سؤال وهو انه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده ان يقول على سبيل الاستبعاد متى نصر الله والجواب ان كونه رسولا لا يمنع من ان
يتأذى من كيد الاعداء فاذا ضاق قلبه وقلت حيلته وكان قد سمع من الله تعالى انه ينصره الا انه ما عين له ذلك الوقت قال عند ضيق قلبه متى نصر الله حتى
انه ان علم قرب الوقت زال همه وطاب قلبه ولهذا اجيب بان نصر الله قريب فعلم ان نصر الله كائن وهذا الجواب يحتمل ان يكون من الله ويحتمل ان يكون قولا
لقوم منهم اذا رجعوا الى انفسهم علموا ان الله لا يخلف الميعاد وقيل انه تعالى اخبر عن الرسول والذين آمنوا انهم قالوا قولا ثم ذكر كلاما من احدهما متى
نصر الله والثاني الا ان نصر الله قريب فهذا الثاني قول الرسول والاول قول المؤمنين كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله والمعنى لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله بالنهار ثم في الآية دليل على ان كل من لحقه شدة يجب ان يعلم انه سيظفر بزوالها لانه اما ان يتخلص عنه واما
ان يموت فاذا مات فقد وصل الى من لا يهمل امره ولا يضيع حقه وذلك من اعظم النصرة اللهم انصرنا من عندك فانك نعم المولى ونعم النصير التأويل انه تعالى اذا
فتح ابواب الملكوت على قلب عبد من خواصه يريه آياته وكراماته فان تغير بأحواله وتعجب بكماله فيقبل على حظوظ النفس ويميل بنعمة الله عن منعمها ورضاها فان
شدد العقاب بان يغير احواله ويسلب عنه كماله كان الناس امة واحدة على الحق وعلى الفطرة يوم الميثاق فانزل معهم الكتاب الذي جف به القلم بالسعادة
او الشقاوة كقوله ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار وما اختلف كل فريق الا وقد وقعوا السعادة والشقاوة في حكم الله وقضائه
ولكن ما حصلت السعادة والشقاوة للفريقين الا من بعد البينات وهي معاملاتهم بها يتبين السعيد من الشقي وبالعكس والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
سؤال کنند ترا که چیست آنچه انفاق میکنند بگو که آنچه انفاق میکنید از مال پس از برای والدین است و خویشان و بی پدران و فقیران و راه گذریان و هرچه
تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا
میکنید از خوبی پس بدرستی که خدا بآن داناست نوشته شد بر شما جهاد و حال آنکه مکروه است شما را و نزدیک است که مکروه دارید چیزی و حال آنکه آن بهتر است شما را و نزدیک است که دوست دارید
شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ ع ١١
چیزی را و حال آنکه آن بدتر است مر شما را و خدا میداند و شما نمیدانید می‌پرسند ترا از ماه حرام از جهاد در آن بگو که قتال در آن بزرگ است گناهش و باز داشتن
سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ
از راه خدا و کفر است باو و بمسجد الحرام و بیرون کردن اهل آن او را از آن بزرگتر است نزد خدا و فتنه انگیختن بزرگتر است گناهش از قتل و همیشه در مقاتله باشند با شما
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
تا که برگردانند شما را از دین شما اگر قدرت داشته باشند و هرکه برگردد از شما از دین خود پس بمیرد و حال آنکه او کافر است پس آنگروه باطل است کردار ایشان در دنیا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ
و آخرت و آنگروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدانند بدرستی که آنانکه گرویدند و آنانکه مهاجرت کردند و جهاد کردند در راه خدا آنگروه
يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ الوقوف ينفقون ط السبيل ط للابتداء بالشرط عليم ك كره لكم ج لتفصيل الاحوال خير لكم ج شر لكم ط لا تعلمون
امید دارند رحمت خدا را و خدا آمرزنده مهربان است قتال فيه ط كبير ط على ان قوله وصد مبتدأ وما بعده معطوف عليه وقوله اكبر عند الله خبره وقد يقال

وصد عطف على كبير اي القتال فيه كبير وسبب صد عن سبيل الله وكفر بالله تعالى وبنعمة المسجد الحرام او صد عن سبيل الله عن المسجد الحرام فيوقف ههنا
ويجعل اخراج اهله مبتدأ وقيل وصد عطف والوقف على سبيل الله كفر به مبتدأ والوجه هو الاول لانتظام المعنى اي القتال منا وان كان كبيرا
كبيرا لكن الصد والكفر والاخراج التي كانت منكم اكبر منه القتل ط استطاعوا ط والآخرة ج لان الجملتين ان اتفقتا فتكرار اولئك تنبيه على الابتداء
مبالغة في تعظيم الامر النار ج خالدون في سبيل الله لا لان ما بعده خبر ان رحمة الله ط رحيم التفسير انه سبحانه لما بالغ في وجوب الاعراض عن العاجل والاقبال
على الآجل بكل ما يمكن من الدخول في السلم وبذل المهج والاموال والصبر على مواجب التكاليف والدعاء الى الدين القويم وانتظار النصرة الله شرع بعد
ذلك في بيان الاحكام وهو من هذه الآية الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم جريا على سنة المرضي من خلط بيان التوحيد وذكر النصيحة والوعظ
ببيان الاحكام ليكون كل منهما مؤكدا للآخر الحكم الاول بيان مصرف الانفاق يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس نزلت الآية في رجل اتى
النبي فقال ان لي دينارين فقال انفقهما على اهلك فقال ان لي ثلثة فقال انفقها على خادمك فقال ان لي اربعة قال انفقها على والديك قال ان
خمسة قال انفقها على قرابتك قال ان لي ستة قال انفقها في سبيل الله وهو اخسها اي اقلها ثوابا وعنه في رواية ابي صالح انها نزلت في عمرو بن الجموح الذي
قتل يوم احد وكان شيخا كبيرا هرما وعنده مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها اما بحث ماذا فقد تقدم في قوله ماذا اراد الله بهذا
مثلا واما ان القوم سألوا عما ينفقون لا عن مصرف النفقة اليهم فكيف طابق قوله في الجواب قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الآية فالوجه
فيه انه حصل في الآية ما يكون جوابا عن السؤال وضم اليه زيادة بها يكمل المقصود وذلك ان قوله ما انفقتم من خير تضمن بيان ما ينفقونه وهو كل
خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا صرفت الى جهة الاستحقاق وقال القفال السؤال وان كان واردا
بلفظ ما الا ان المقصود هو الكيفية فمن المعلوم لهم ان الذي امروا بانفاقه مال يخرج قربة الى الله تعالى فصح ان يكون الجواب مطابقا للسؤال كما طابق قوله قالوا

بقرة لا ذلول سؤالهم عن البقرة ما هي حيث كان المعلوم ان البقر بهيمة شأنها كذا وكذا فتوجه الطلب الى تعيين الصفة لا الماهية وقيل انهم لما سألوا عنه الشو
اجيبوا بان السؤال فاسد انفق اي شيء كان ولكن بشرط كونه ما للاصل والاقرب والى المصرف كالوسئل شخص صحيح المزاج طبيبا حاذقا اي طعام
اكل فالطبيب يعلم انه لا يضره اكل الطعام اي طعام كان فيقول له كل في اليوم مرتين اي كل ما شئت لكن بهذا الشرط فكذا ههنا المعنى لينفق اي شيء اراد
لكن بشرط وهو ان يراعي الترتيب في الانفاق فيقدم الوالدين لانهما كالسبب لوجوده وقد ربياه صغيرا ثم الاقربين لان الانسان لا يمكنه ان يقوم بمصالح
جميع الفقراء والترجيح لا بد له من مرجح والقرابة تصلح للترجيح لانه عرف بحاله والاطلاع على غنى الغني مما يحمل المرء على الانفاق وايضا لو لم يعطه قريبه
احتاج الى الرجوع الى غيره وذلك عار وشنار وايضا قريب المرء كجزء منه والانفاق على النفس اولى من الانفاق على الغير ثم اليتامى لعدم قدرتهم على
الاكتساب لصغرهم ثم المساكين الذين هم غير اليتامى وابناء السبيل لانهم بسبب الاشتراك في دار الاقامة من نفسهم ثم ابناء السبيل المنقطعون عن بلادهم
وما لهم ما يبلغون به الى اوطانهم وما تفعلوا من خير من انفاق شيء من مال بناء على ان الخير هو المال او من كل ما يتعلق بالبر والطاعة طلب الجزاء الموفر
الثواب هربا من اليم العقاب فان الله به عليم فيجازيكم احسن الجزاء عن السدي ان الاية منسوخة بفرض الزكوة وقال المحققون ويروى عن الحسن
انها ثابتة فقد يكون الانفاق على الفروع والاصول واجبا ويحتمل ان يكون المراد من اجب التقرب الى الله تعالى في باب النفقة تطوعا فليراع هذا الترتيب
قوله تعالى كتب عليكم القتال كان النبي صلعم غير مأذون في القتال مدة اقامته بمكة فلما هاجر اذن في قتال من يقاتله من المشركين ثم اذن في قتال
المشركين عامة ثم فرض الله تعالى الجهاد قال بعض العلماء ان هذه الاية يقتضي وجوب القتال على الكل فرض عين لا كفاية اما الوجوب فيستفاد من لفظ
الايجاب فيكفي العمل به مرة واحدة وقوله كتب واما العموم فلان قوله عليكم لا يمنع من الوجوب على الموجودين وعلى من سيوجد كما في قوله كتب عليكم
القصاص كما كتب عليكم الصيام وعن مكحول انه كان يحلف عند البيت بالله ان الغزو واجب وعن ابن عمر وعطاء ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي
العمل به مرة واحدة وقوله عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت والعموم في عليكم الصيام مستفاد من دليل منفصل هو الاجماع
وذلك الدليل مفقود ههنا بل الاجماع منعقد على انه من فروض الكفاية الا ان يدخل المشركون ديار المسلمين فانه يتعين الجهاد على الكل وهو كره
لكم ليس المراد ان المؤمنين ساخطون لاوامر الله تعالى فان ذلك ينافي الاسلام وانما المراد كون القتال شاقا على النفس كذا شان ساير التكاليف وكيف
لا والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة وانها في القتال اكثر لان الحيوة اعظم ما يميل اليه الطباع فبذلها اليسر هين والجود بالنفس اقصى غاية الجود
وايضا كراهتهم للقتال قبل ان فرض لما فيه من الخوف ومن كثرة الاعداء واثارة نوائر الفتن فبين تعالى ان الذي تكرهونه من القتال خير لكم من تركه للمصالح التي
نذكرها والكره الكراهة وضع المصدر موضع الوصف مبالغة ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي هو مكروه لكم وقرئ بالفتح بمعنى المضموم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته
كرها وقال بعضهم الكره بالضم ما كرهته مما لم تكره عليه واذا كان بالاكراه فبالفتح وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فربما كان الشيء شاقا عليكم في الحال
وهو سبب للمنافع الجليلة في الاستقبال وبالضد ولهذا حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في الاستقبال وحسن تحمل الاخطار في الاسفار
لتحصيل الربح في المآل وكذا تحمل المتاعب في طلب العلم للفوز بالسعادة العظمى في الدنيا والعقبى شعر العلم اوله مر مذاقته لكن آخره احلى من العسل وههنا كذلك
لان ترك الجهاد وان كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل وصون المال عن الانفاق ولكن فيه انواع من المفاسد والمضار ادناها تسلط الكفار
واستيلاؤهم على ديار المسلمين وربما يؤدي الى ان استباحوا بيضة الاسلام واستباحوا حريمهم واستاصلوهم عن اخرهم واما منافع الجهاد فمنها
الظفر بالغنائم ومنها الفرح العظيم بالاستيلاء على العدو واما ما يتعلق بالدين فالثبات عليه والثواب في الاخرة وترغيب الناس في الاسلام واعلاء
كلمة الله وتوطين النفس للفراق عن دار البلاء والانقطاع عن عالم الحس قال الخليل عسى من الله واجب في القرآن قال فعسى الله ان ياتي بالفتح وقد وجد
عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وقد حصل والتحقيق ان معنى الرجاء فيه يعود الى المكلف وان كان المرجو له معلوما لله تعالى كما بينا في لعل والله يعلم وانتم
لا تعلمون وذلك ان علمه تعالى فعلي يعلم الاسباب وما يترتب عليها والحوادث وما تنشأ منها يحيط علمه بالمبادي والغايات ولا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السموات وعلمكم انفعالي فلعلكم تعكسون التصورات فتظنون المبادي غايات وبالعكس والمصالح مفاسد وبالضد فيه ترغيب عظيم
في اداء وظائف التكاليف وتخويف شديد عن تبعة العصيان والمرود فان الانسان اذا تصور قصور نفسه وكمال علم الله تعالى علم انه لا يامر العبد الا بما فيه خيره
وصلاحه فيلزم نفسه امتثاله وان كرهه طبعه فكانه تعالى يقول يا ايها العبد علمي اكمل من علمك فكن مشتغلا بطاعتي ولا تلتفت الى مقتضى طبعك ومو
١ ان هذه الاية في هذا المقام يجري مجرى قوله تعالى في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون الحكم الثاني في قوله سبحانه يسئلونك عن الشهر الحرام اكثر
المفسرين على ان هؤلاء السائلين هم المسلمون حيث اختلج في صدورهم ان يكون الامر بالقتال مقيدا بغير الشهر الحرام والمسجد الحرام فسألوا النبي صلعم هل يحل
لهم القتال في هذا الزمان وهذا المكان ام لا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلعم في جمادى الاخرة
قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن
محصن الاسدي وعتبة بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وكتب لاميرهم
عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت منزلين فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا

تنكرهن احدا من اصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن تبعك من
اصحابك حتى تنزل على بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك ان تأتينا منه بخبر فلما نظر عبد الله في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه قد نهاني
ان استكره احدا منكم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع قد اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يعتقبانه فاستاذنا ان يتخلفا في طلب بعيرهما
فاذن لهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك مرت بهم عير قريش تحمل زبيبا وادما وتجارة
من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلعم
هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم فليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا وقالوا قوم عمار فحلقوا راس
عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهي رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن
الحضرمي بسهم فقتل فكان اول قتيل من المشركين واستاسر الحكم وعثمان فكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون
العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله صلعم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويتذعر فيه الناس لمعايشهم
يسفك فيه الدماء واخذ فيه الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين فقال رسول الله صلعم لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر
الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله
انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فنزلت يسئلونك عن الشهر الحرام
فاخذ رسول الله صلعم العير فعزل منها الخمس فكان اول خمس وقسم الباقي بين اصحاب السرية فكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء
اسيرهم فقال بل نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله صلعم بالمدينة
فقتل يوم بئر معونة شهيدا واما عثمن بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق على المسلمين
فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلعم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية وقيل ان
هذا السؤال كان من الكفار سئلوا رسول الله صلعم عن القتال في الشهر الحرام حتى لو اخبرهم بانه حرام استحلوا قتاله فيه فنزلت يسئلونك عن الشهر
الحرام قتال فيه بخفض على انه بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة ابن مسعود عن قتال فيه بتكرير العامل وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال فيه كبير اي
عظيم مستنكر كما يسمى الذنب العظيم كبيرة وانما جاز وقوع قتال مبتدأ لكونه موصوفا بالظرف فان قيل كيف نكر القتال في قوله تعالى قل قتال
ومن حق النكرة اذا تكررت ان يكون المذكور ثانيا معرفا مشارا به الى الاول والا لكان الثاني مغايرا للاول قلنا لان المراد بالقتال الاول الذي
سئلوا عنه القتال الذي اقدم عليه عبد الله بن جحش فلو جيء بالثاني معرفا لزم ان يكون ذلك من الكبائر مع ان الغرض منه كان نصرة الاسلام
والاعلاء كلمة الله فاختير التنكير ليكون تنبيها على ان القتال المنهي عنه هو الذي فيه تقوية الكفر وهدم قواعد الدين لا الذي سئلوا عنه ثم الجمهور اتفقوا
على ان حكم هذه الاية حرمة القتال في الشهر الحرام وهل بقي ذلك الحكم او نسخ عن ابن جريج انه قال حلف لي بالله عطاء انه لا يحل للناس الغزو في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا على سبيل الدفع وروى جابر قال لم يكن رسول الله صلعم يغزو في الشهر الحرام الا ان يغزى وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين
ان يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام قال نعم قال ابو عبيد والناس بالثغور اليوم جميعا على هذا القول يرون الغزو مباحا في الاشهر الحرم كلها ولم ار
احدا من علماء الشام والعراق ينكره عليهم وكذلك احسب قول اهل الحجاز والحجة في اباحته قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويمكن ان يقال
ان قوله قتال فيه كبير نكرة في حيز الاثبات فيتناول فردا واحدا لا كل الافراد فلا يلزم منه تحريم القتال في الشهر الحرام مطلقا فلا حاجة فيه الى تقدير
النسخ والله اعلم وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله من القتال في الاشهر الحرم فاذا لم تمتنعوا عنها في الشهر
الحرام فكيف تعيبون عبد الله بن جحش على ذلك القتال مع انه ظن انه في جمادى واعلم ان قوله وصد قد مر وجوه اعرابه في الوقوف اما قوله والمسجد الحرام فقيل
انه معطوف على الهاء في به عند من يجوز العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار كقراءة حمزة تساءلون به والارحام بالخفض والكفر بالمسجد
الحرام منع الناس عن الصلوة فيه والطواف به وقيل انه معطوف على سبيل الله اي صد عن سبيل الله وصد عن المسجد الحرام واعترض بانه يلزم
الفصل بين صلة المصدر الذي هو الصد وبين المصدر بالاجنبي الذي هو قوله وكفر به واجيب بان الصد عن سبيل الله والكفر به كالشيء الواحد
في المعنى فكانه لا فصل وبان التقديم لفرط العناية مثل ولم يكن له كفوا احد وكان حق الكلام ولم يكن احد كفوا له وقيل والمسجد الحرام عطف على الشهر
الحرام اي يسئلونك عن قتال في الشهر الحرام والمسجد الحرام وهذا قول الفراء وابي مسلم وقيل الواو في والمسجد الحرام للقسم اصد عن سبيل الله هو
المنع عن الايمان بالله ومحمد او عن الهجرة وقيل منعهم المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت وزيف بان الاية نزلت قبل غزوة بدر كما مر في قصة ابن
جحش وعام الحديبية كانت بعد غزوة بدر واجيب بان معلوم الله كالواقع والمراد باخراج اهله اخراج المسلمين من مكة وانما جعلهم اهلا له اذ كانوا هم
القائمين بحقوق المسجد ولهذا قال عز من قائل وكانوا احق بها واهلها وانما كانت هذه الامور اكبر لان كل واحد منها كفر والكفر اعظم من القتال وقد
انها اكبر من قتال في الشهر الحرام وهو قتال عبد الله بن جحش ولم يكن قاطعا بانه وقع في الشهر الحرام واما الكفار فيعلمون بان هذه الامور يصد عنهم

فی الشهر الحرام والفتنة ای الشرک والقاء الشبهات فی قلوب المؤمنین والتعذیب کفعلهم ببلال وصهیب وعمار اکبر من القتل لان الفتنة تفضی الی القتل
فی الدنیا والی استحقاق العذاب الدائم فی الآخرة فیصح ان الفتنة اکبر من القتل فضلا عن ذلک القتل الذی وقع السؤال عنه وهو قتل ابن الحضرمی یروی انما
نزلت الآیة کتب عبد اللّٰه بن جحش الی مؤمنی مکة اذا عیرکم المشرکون بالقتال فی الشهر الحرام فعیروهم انتم بالکفر واخراج الرسول من مکة ومنع المؤمنین عن البیت
الحرام ولا یزالون یقاتلونکم اخبار عن استمرار الکفار علی عداوة المسلمین حتی یردوکم عن دینکم کی یردوکم عنه کقولک اسلمت حتی ادخل الجنة بمعنی کی
ادخل ویجوز ان یکون بمعنی الی کقوله ولن ترضی عنک الیهود ولا النصاری حتی تتبع ملتهم وقوله ان استطاعوا استبعاد لاقتدارهم کقول الرجل لعدوه
وهو واثق بانه لا یظفر ان ظفرت بی فلا تبق علی ومن یرتدد ومن یرجع منکم عن دینه فیمت وهو کافر باق علی الردة فاولئک حبطت اعمالهم فی الدنیا
والآخرة اما فی الدنیا فلما یفوته من فوائد الاسلام العاجلة فیقتل عند الظفر به ویقاتل الی ان یظفر به ولا یستحق من المؤمنین موالاة ولا نصرا ولا ثناء
حسنا وتبین زوجته عنه ویحرم المیراث واما فی الآخرة فیکفی فی تقریره قوله واولئک اصحاب النار هم فیها خالدون واعلم ان الردة اغلظ انواع الکفر
حکما ولها تارة یحصل بالقول الذی هو کفر کجحد مجمع علیه ککتب من الانبیاء واخری بالفعل الذی یوجب استهزاء صریحا بالدین کالسجود للشمس والصنم والقاء
المصحف فی القاذورات وکذا لو اعتقد وجوب ما لیس بواجب ویشترط فی صحة الردة التکلیف فلا یصح ردة الصبی والمجنون وههنا بحث وهو ان جماعة
من المتکلمین ذهبوا الی ان شرط صحة الایمان والکفر حصول الموافاة فالایمان لا یکون ایمانا الا اذا مات المؤمن علیه والکفر لا یکون کفرا الا اذا مات
الکافر علیه لان من کان مؤمنا ثم ارتد والعیاذ باللّٰه فلو کان ذلک الایمان الظاهر ایمانا فی الحقیقة لکان قد استحق علیه الثواب الابدی فاما ان یبقی الاستحقاق
ان الطاری یزیل السابق وهو ایضا محال لان بینهما منافیا ولیس احدهما اولی بالتاثیر من الآخر بل السابق بالدفع اولی من اللاحق بالرفع لان الدفع اسهل من الرفع
وایضا شرط طریان الطاری زوال السابق فلو علل به زوال السابق بطریان الطاری لزم الدور وبحث فروعی وهو ان المسلم اذا صلی ثم ارتد ثم اسلم فی الوقت
فعند الشافعی لا اعادة علیه لان شرط حبوط العمل ان یموت علی الردة لقوله تعالی عطفا علی الشرط فیمت وهو کافر وعند ابی حنیفة لزمه قضاء ما ادی وکذا
الحج لما جاء فی موضع آخر مطلقا ولو اشرکوا لحبط عنهم ما کانوا یعملون والحبط فی اللغة ان یاکل الابل شیئا یضرها فیعظم بطونها فیهلک وفی الحدیث ان مما
ینبت الربیع ما یقتل حبطا او یلم سمی بطلان الاعمال بهذا لانه کفساد الشیء بسبب ورود المفسد علیه ولا شک ان المراد من احباط العمل لیس هو ابطال نفس
العمل لان العمل شیء کما وجد فنی وزال واعدام المعدوم محال فقال المثبتون للاحباط والتکفیر المعنی ان عقاب الردة الحادثة یزیل ثواب الایمان السابق
اما بشرط الموازنة کما هو مذهب ابی هاشم وجمهور المتأخرین من المعتزلة او لا بشرطها کما هو مذهب ابی علی وقال المنکرون للاحباط المراد بالاحباط الوارد فی کتاب اللّٰه
تعالی هو ان المرتد اذا اتی بالردة فتلک الردة عمل محبط لانه یمکنه ان یاتی بدلها بعمل یستحق ثوابا فمعنی حبط عمله انه اتی بعمل لیس فیه فائدة بل فیه مضرة عظیمة او
المراد انه تبین ان اعماله السابقة لم تکن معتدة بها اشرعا ویروی ان عبد اللّٰه بن جحش واصحابه حین قتلوا الحضرمی ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم لم یکن لهم
اجر فنزلت ان الذین آمنوا الآیة لان عبد اللّٰه کان مؤمنا وکان مهاجرا وصار بسبب هذا القتال مجاهدا وقیل انه تعالی لما اوجب الجهاد بقوله کتب علیکم
القتال بین ان ترکه سبب للوعید اتبع ذلک بذکر من یقوم به فقال ان الذین آمنوا الآیة ولا یکاد یوجد وعید الا ویعقبه وعد ومعنی هاجروا فارقوا اوطانهم
وعشائرهم من الهجر الذی هو ضد الوصل والهجر الکلام القبیح لانه مما ینبغی ان یهجر وجاز ان یکون المراد ان الاحباب والاقارب هجروه بسبب هذا الدین وهو ایضا هجرهم
بهذا السبب فکان ذلک مهاجرة والمجاهدة من الجهد بالفتح الذی هو المشقة ومن الجهد بالضم الطاقة لانه یبذل الجهد فی قتال العدو عند فعل
العدو مثل ذلک ویجوز ان یکون معناها ضم جهدا الی جهد اخیه فی نصرة دین اللّٰه کالمساعدة ضم ساعده الی ساعد اخیه لتحصیل القوة اولئک یرجون
رحمة اللّٰه یحتمل ان یکون الرجاء بمعنی القطع والیقین ولکن فی اصل الثواب والظن انما دخل فی کمیته وکیفیته وفی وقته ویحتمل ان یراد المنافع التی یتوقعونها
فان عبد اللّٰه بن جحش ما کان قاطعا بالثواب فی عمله بل کان یظن ظنا وانما جعل الوعد معلقا بالرجاء لیعلم ان الثواب علی الایمان والعمل غیر واجب وانما
ذلک بفضله ورحمته کما هو مذهبنا ولو وجب لصح لانهم لا یعلمون بان لا یکفر بعد ذلک فهذا الشرط مشکوک وایضا المذکور ههنا هو الایمان والهجرة والجهاد
ولا بد للانسان مع ذلک من سائر الاعمال والوثوق فیها مرجو من اللّٰه وایضا المراد وصفهم بانهم یفارقون الدنیا مع هذه الخصال مستقصرین انفسهم
فی نصرة دین اللّٰه فیقدمون علیهم راجین رحمته خائفین عقابه الذین یؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الی ربهم راجعون واللّٰه غفور رحیم
یحقق لهم رجاءهم ان شاء بعمیم فضله وجسیم طوله عن قتادة هؤلاء خیار هذه الامة جعلهم اللّٰه اهل رجاء کما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب قال شاه الکرمانی علامة الرجاء حسن الطاعة وقیل الرجاء رؤیة الجلال بعین الجمال وقیل قرب القلب من ملاطفة الرب وروی عن لقمان انه
قال لابنه خف اللّٰه تعالی خوفا لا تامن فیه مکره وارجه اشد من خوفک قال فکیف استطیع ذلک وانما لی قلب واحد قال اما علمت ان المؤمن لذو قلبین یخاف
باحدهما ویرجو بالآخر وهذا لانهما من حکم الایمان وهما للمؤمن کالجناحین للطائر اذا استویا استوی الطیر تم فی طیرانه ومن ههنا قیل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا

یَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ

قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ

لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا

المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن

خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم

يتذكرون قرأ الكسائي كبير بالباء المثلثة حمزة وعلي والباقون بالباء قل العفو بالرفع ابو عمرو والباقون بالنصب لاعنتكم بغير همز روى ابو ربيعة عن

منه وعن اصحابه عن حمزة وجهان في الوقف ترك الهمزة لبيان المذهب بالهمزة ليدل على اصل الكلمة والوقوف والميسر للناس قد يجوز مع اتفاق

الجملتين لبيانها على ان بيان الثانية اهم من الاولى من نفعهما ط ينفقون ط العفو ط يتفكرون لا لتعلق الجار والاخرة ط اليتامى ط خير ط فاخوانكم ط

المصلح ط لاعنتكم ط حكيم يؤمن ط لاجل لام الابتداء بعده اعجبتكم ج لوقوع العارض وان اتفقت الجملتان يؤمنوا ط اعجبكم ط الى النار ج والوصل

اجوز لان مقصود الكلام بيان تفاوت الدعوتين مع اتفاق الجملتين ومن وقف اراد الفصل بين ذكر الحق والباطل باذنه ج لان جملة والله يدعو يبقى بلا

الجملة الاولى فلم يكن قوله ويبين الله من تمامها اذ ليس في الجملة الاولى ذكر بيان ومن وصل فلعطف المستقبل على المستقبل يتذكرون التفسير الحكم الثالث بيان

حرمة الخمر والميسر فالوا نزلت في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي

لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من اصحابه قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون

ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فقام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى

حتى تعلموا ما تقولون فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا

فيه هجاء الانصار فضربه رجل بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله

فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب الحكمة في وقوع التحريم على هذا الوجه ان القوم قد الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فلو منعوا

دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فان الفطام من المالوف شديد فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج والرفق واختلف العلماء في مفهوم الخمر

فقال الشافعي كل شراب مسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب احتج الشافعي بما روى ابو داود في سننه

عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير هذا دليل ان الخمر عندهم كل ما خامر

العقل اي خالطه والتركيب يدل على الستر والتغطية ومنه خمار المرأة وكذا ما روي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من العنب خمرا وان من

التمر خمرا وان من العسل خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا قال الخطابي انما عد هذه الاشياء خصوصا لكونها معهودة في ذلك الزمان

وكل ما في معناها من ذرة او سلت او عصارة شجر فحكمها حكم هذه الخمسة كما ان تخصيص الاشياء الستة بحكم الربو لا يمنع من ثبوت حكم الربو في

غيرها وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل خمر حرام ثم اراد الشارع ان كل مسكر فهو خمر لغة او شرعا فيكون حقيقة لغوية او شرعية

كالصلوة وان منع ذلك فلا اقل من ان يكون معناه كالخمر في الحرمة والاثم وهو المراد وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع وهو شراب يتخذ من العسل

فقال صلى الله عليه وسلم كل شراب اسكر فهو حرام وعن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر قال الخطابي المفتر كل شراب يورث الفتور والخدر في الاعضاء

وايضا الايات الواردة في الخمر منها اثنتان بلفظ الخمر وغيرهما بلفظ السكر مثل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وفيه دليل على ان المراد بالخمر هو المسكر

كذا في قول عمر ومعاذ الخمر مذهبة للعقل فانه يوجب ان كل ما كان مساويا للخمر في هذا المعنى اما ان يكون خمرا واما ان يكون مساويا للخمر في علة التحريم وايضا

قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة ولا شك ان هذه الافعال

معللة بالسكر فيعلم منه ان حرمة الخمر معللة بالاسكار فاما ان يجب القطع بان كل مسكر خمر واما ان يلزم الحكم بالحرمة في كل مسكر حجة ابي حنيفة قوله

تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا من الله علينا باتخاذ السكر والرزق الحسن النبيذ سكرا ورزقا حسنا فوجب ان يكون مباحا لان المنة لا تكون

الا بالمباح وايضا ما روي في الصحيحين عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى فقال رجل يا رسول الله الا اسقيك نبيذا قال بلى فخرج يسعى فجاء بقدح

فيه نبيذ فشرب والجواب علم ان المسكر حرام جنسه قل ام كثر نيا او مطبوخا لقوله صلى الله عليه وسلم ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام قال الخطابي الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلا وفيه ابين البيان ان الحرمة شاملة لجميع

اجزاء الشراب وعن ابن عباس انه جاءه رجل فسأله عن العصير فقال اشربه ما كان طريا قال اني طبخته وفي نفسي منه شيء قال اكنت شاربه قبل ان تطبخه

قال لا قال فان النار لا تحل شيئا قد حرم وقال ابو حنيفة المطبوخ من عصير العنب ان ذهب اقل من ثلثيه فهو حرام لكن لا يحد شاربه الا اذا اسكر وان

ان ذهب ثلثاه فهو حلال الا القدر المسكر فحرام ويتعلق بشربه الحد يروى ان عمر بن الخطاب كتب الى بعض عماله اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه

نصيب الشيطان فان له اثنين ولكم واحد ونقيع التمر والزبيب اذا اشتد فهو حرام لكن لا حد فيه ما لم يسكر فان طبخ فهو حلال الا المقدار الذي

يسكر فان المحرم ويحده لا يعتبر في النقيع ذهاب الثلثين ونبيذ الحنطة والشعير والعسل عند أبي حنيفة حلال نياً كان او مطبوخاً ولا يحرم منه الا القدر المسكر وذكروا في حد السكران عبارات فعن الشافعي انه الذي اختلط كلامه المنظوم وانكشف سره المكتوم وقيل الذي لا يفرق بين السماء والارض وقيل الذي يتمايل في مشيه ويهذي في كلامه والاقرب الرجوع فيه الى العادة ثم ان قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر ليس فيه بيان انهم عن اي شيء سئلوا فيحتمل انهم سئلوا عن حقيقته وماهيته ويحتمل انهم سئلوا عن حل الانتفاع وحرمته ويحتمل انهم سئلوا عن حل شربه وحرمته الا انه تعالى لما اجاب بذكر الحرمة دل تخصيص الجواب على ان ذلك السؤال كان واقعاً عن الحل والحرمة اي يسئلونك عما في تعاطيهما واما كيفية دلالة الاية على الحرمة فهي انها مشتملة على ان في الخمر اثماً والاثم حرام لقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم ومما يؤكد هذا ان السؤال كان واقعاً عن مطلق الخمر وقد جعل الله تعالى الاثم لازماً لهذه الماهية فيلزم منها الاثم على جميع التقادير من الشرب وغيره من وجوه الانتفاع والاستعمال وصرح ايضاً بان الاثم الحاصل منها اكبر من النفع المتوهم فيها عاجلاً وانما لم يقنع كبار الصحابة بهذه الاية طلباً لما هو اكد في التحريم ليتقووا وليطمئنوا كما التمس ابراهيم مشاهدة احياء الموتى طلباً لمزيد الايقان وذلك ونالو الى سكون النفس بالعيان فان قيل لما كان الاثم لازماً لماهية الخمر من حيث هي فلم لم تكن محرمة في سائر الشرائع قلت كم من نقض في الاديان السالفة نسخه شرع خاتم النبيين وايضاً هذا اللزوم شرعي ويمكن ان يختلف الشرائع بحسب اختلاف الازمان ولا سيما اذا اعتبرت مصالح الانسان

والميسر القمار مصدر ميسر كالموعد والمرجع من فعله يقال يسرته اي قمرته مشتق من اليسار لانه سلب يساره عن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله او من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب قال ابن قتيبة الميسر من التجزية والاقتسام يقال يسروا الشيء اذا اقتسموه فالجزور نفسه يسمى ميسراً لانه يجزأ اجزاء والياسر الجازر ثم يقال للضارب بالقداح ياسر لانه بسبب ذلك الفعل يجزئ لحم الجزور وقال الواحدي اليسر الشيء اي وجب والياسر الواجب بسبب القدح واما صفة الميسر على ما في الكشاف فهي انه كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام اساميها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحاً منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم قال العلماء وفي حكم الميسر سائر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فانهما من ميسر العجم وعن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروي ان علياً مر بقوم وهم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون الا ان الشافعي رخص في الشطرنج اذا خلا عن الرهان وكف اللسان عن الطغيان وحفظ الصلوة عن النسيان فان الميسر ما يوجب دفع مال او اخذ مال وهذا ليس كذلك فيحكى اللعب به عن ابن الزبير وابي هريرة وكثير من السلف واما السبق في النصل والخف والحافر فجائز بالاتفاق لقوله صلى الله عليه وسلم لا سبق الا في نصل او خف او حافر وذلك لما فيهما من التاهب للجهاد والكلام في تفاصيلها وشروطها مذكور في كتب الفقه قل فيهما اثم كبير اي انهما من الكبائر ومن قرا بالثاء فيعني الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة اما في الخمر فلانها عدو العقل الذي هو عقال الطبع واشرف خصائص الانسان ومقابل الاشرف يكون اخس الاشياء حكي عن بعض الادباء انه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح وجهه كهيئة المتوضي ويقول الحمد لله الذي جعل الاسلام نوراً والماء طهوراً وعن العباس بن مرداس انه قيل له في الجاهلية لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جرأتك فقال ما انا باخذ جهلي بيدي فادخله في جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قوم وامسي سفيههم ومن خواصها ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر كان الميل اليها اتم وقوة النفس عليها اقوى بخلاف سائر المعاصي كالزنا وغيره وكفى بقوله انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر ام الخبائث ذماً لها وتقريراً لاثم شاربها وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الخمر عشرة وقال صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهداً لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله وما طينة الخبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار وكذا الكلام في الميسر مع ان فيه اكل الاموال بالباطل واما المنافع المذكورة فهي انهم كانوا يغالون بها اذا جلبوها من النواحي وكان المشتري اذا ترك المماكسة في الثمن يعد ذلك فضيلة ومكرمة فكانت تكثر ارباحهم بذلك ولهذا السبب قال ابو محجن الثقفي اقومها زقاً بحق فذا لكم يسار اليها تجرها وتسوقها قال ابقراط في الخمر عشرة منافع خمس جسمانية وخمس نفسانية فالجسمانية انها تجود الهضم وتدر البول وتحسن البشرة وتطيب النكهة وتزيد في الباه والنفسانية انها تسر النفس وتفرح الامل وتشجع النفس وتحسن الخلق وتزيل البخل ومن منافع الميسر التوسعة على ذوي الحاجة لانهم كانوا يفرقونه على المساكين فيكتسبون به الثناء والمدح ولا ريب ان منافع الخمر والميسر لكونها مظنونة عاجلة اقل من اثمهما لكونه متيقن الحصول الدائم العذاب والعاقل لا يختار النفع القليل الزائل لعقاب ابدي لا نهاية له

الحكم الرابع ويسئلونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السؤال واجيب عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما راوا الله ورسوله يحضان على الانفاق ويدلان على عظم ثوابه سئلوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه ومعنى العفو ما تيسر وسهل مما يكون فاضلاً عن الكفاية ويشبه ان يكون العفو عن الذنب راجعاً الى التيسير والتسهيل ويقال للارض السهلة العفو ومن قال ان العفو هو الزيادة فهو راجع الى ذلك مما يكون فيما يفضل عن حاجة الانسان في نفسه وعياله وحاصل الامر يرجع الى التوسط في الانفاق والنهي عن التبذير

والتقتير وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يحبس لاهله قوت سنته وقال صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما ابقت غنى ولا يلام على كفاف وللعلماء في هذا الانفاق خلاف فعن ابي مسلم انه يجوز ان يكون العفو هو الزكوات ذكرها فيها مجملة وتفصيلها في السنة وقيل انه تطوع ولو كان مفروضا لبين مقداره ولم يفوض الى راي المكلف وقيل ان هذا كان قبل نزول اية الصدقات وكانوا مامورين بان ياخذوا من مكاسبهم ما يكفيهم في عامهم وينفقون ما فضل ثم نسخ بالزكوة كذلك يبين الله لكم الايات اي كما بين لكم وجوه الانفاق ومصارفه فهكذا يبين لكم في مستانف ايامكم جميع ما تحتاجون اليه لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة فتاخذون بما هو اصلح لكم من سلوك سبيل العدالة في الانفاق وغيره او تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما اي لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا لا تختاروا الادنى على الاعلى ويجوز ان يتعلق بيبين اي يبين لكم الايات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون الحكم الخامس ويسئلونك عن اليتامى عن سعيد بن جبير قال لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما عزلوا اموالهم عن اموالهم فنزلت وعن ابن عباس قال لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون انطلق من كان عنده مال اليتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه وجعل يحبس له ما يفضل من طعامه حتى ياكله او يفسد فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير وهو كلام جامع لمصالح اليتيم والولي اما لليتيم فلانه يتضمن صلاح نفسه بالتقويم والتاديب وصلاح ماله بالتنمية والتثمير لئلا ياكله النفقة وعليه الزكوة منه واما الولي فلان احراز الثواب خير له من التحرز عن مال اليتيم حتى يختل مصالحه وتفسد معيشته وقيل الخير عائد الى الولي يعني اصلاح اموالهم من غير عوض ولا اجرة خير للولي واعظم اجرا وقيل عائد الى اليتيم اي مخالطتهم بالاصلاح خير لهم من التفرد عنهم والاعراض عن امورهم والاصوب هو القول الاول فان جهات المصالح مختلفة غير مضبوطة فينبغي ان يكون نظر المتكفل لامور اليتيم على تحصيل الخير في الدنيا والاخرة لنفسه ولليتيم في ماله ونفسه وان تخالطوهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الاسلام والمخالطة جمع يتعذر فيه التمييز قيل المراد وان تخالطوهم في الطعام والشراب والمسكن والخدم بما لا يتضمن افساد اموالهم فذلك جائز كما يفعله المرء بمال ولده ومع اخوانه في الدين فان هذا ادخل في حسن العشرة والمؤالفة وقيل المراد بهذه المخالطة اخذ مقدار اجرة المثل في ذلك العمل وسنشرح المذاهب في ذلك اذا انتهينا الى تفسير قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف وقيل المراد ان يخالطوا اموال اليتامى باموالهم وانفسهم على سبيل الشركة بشرط رعاية جهات المصلحة والغبطة للصبي وحمل بعضهم المخالطة على المصاهرة واختاره ابو مسلم لان هذا خلط لليتيم نفسه والشركة خلط لماله وايضا الشركة داخلة في قوله قل اصلاح لهم خير والخلط من جهة النكاح وتزويج البنات منهم لم يدخل في ذلك فحمل الكلام على هذا الخلط اقرب وايضا انه تعالى قال بعد هذه الاية ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن فكان المعنى ان المخالطة المندوب اليها انما هي في اليتامى الذين هم لكم اخوان في الاسلام ليتاكد الالفة بالمناكحة فان كان اليتيم من المشركين فلا تفعلوا ذلك والله يعلم المفسد لامورهم من المصلح لها او يعلم ضمائر من اراد الافساد والطمع في مالهم بالنكاح من المصلح فيجازيه على حسب غرضه ومقصده فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح وفيه تهديد عظيم فكانه قال انا المتكفل بالحقيقة لامر اليتيم وانا المطالب لوليه ان قصر ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة بان يضيق عليكم طريق المخالطة معهم وعن ابن عباس لو شاء الله لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا وذلك انهم كانوا في الجاهلية قد اعتادوا الانتفاع باموال اليتامى وربما تزوجوا باليتيمة طمعا في مالها او يزوجها من ابن له كيلا يخرج مالها من يده وقد يستدل بالاية على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يقدر عليه وعلى انه تعالى قادر على خلاف العدل لانه لو امتنع وصفه بالقدرة على الاعنات ما جاز ان يقول لو شاء لاعنتكم ولهذا قال ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم الحكم السادس ولا تنكحوا المشركات اكثر المفسرين على ان هذه الاية ابتداء شرع وحكم اخر في بيان ما يحل ويحرم وعن ابي مسلم انه متعلق بقصة اليتامى ترغيبا في مخالطتهن دون مخالطة المشركات عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان حليفا لبني هاشم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت هذه الاية ثم العلماء اختلفوا في الاية في موضعين الاول في لفظ النكاح فقال اكثر اصحاب الشافعي انه حقيقة في العقد لقوله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل ولا شك ان المتوقف على الولي والشاهد هو العقد لا الوطي ولقوله ايضا ولدت من نكاح لا من سفاح ولقوله تعالى وانكحوا الايامى وقال الجمهور من اصحاب ابي حنيفة انه حقيقة في الوطي لقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره والنكاح الذي ينتهي اليه الحرمة ليس هو العقد بل هو الوطي بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وقال صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون وناكح البهيمة ملعون ومن الناس من قال النكاح عبارة عن الضم يقال نكح المطر الارض اذا وصل اليها ونكح النعاس عينيه والضم حاصل في العقد وفي الوطي فيحسن استعمال اللفظ فيهما جميعا قال ابن جني سئلت ابا علي عن قولهم نكح المراة فقال فرقت العرب بالاستعمال فرقا لطيفا فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا انه تزوجها وعقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته لم يريدوا غير المجامعة الا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بالنكاح في هذه الاية هو العقد اي لا تعقدوا على المشركات الثاني لفظ المشرك هل يتناول الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل ان يغفر الله لهم وذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وليس هذا في الصفات فان اكثر المسلمين ايضا يثبتون لله تعالى صفات قديمة فاذن هو في الذات وهذا

الربع

شرك

شرك محض وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر اميرا وقال اذا لقيت عدوا من المشركين فادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد
الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وان ابوا فادعهم الى الجزية وعقد الذمة فان اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم سمى من يقبل الجزية وعقد الذمة
بالمشرك وقال ابو بكر الاصم كل من جحد رسالته فهو مشرك من حيث ان تلك المعجزات التي ظهرت على يده كانت خارجة عن حد البشر وهم انكروها
واضافوها الى الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة البشر واعترض عليه بان اليهودي حيث لا
يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله والجواب انه لا اعتبار باقراره
وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز خارج عن قدرة البشر فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان و
النبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالف بانه تعالى فصل بين اهل الكتاب والمشركين في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والعطف يقتضي التغاير واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر يكفي في العطف ولعله خص اولا ثم عمم هذا
وقد سلف في تفسير قوله عز من قائل فلا تجعلوا لله اندادا ان اكثر عبدة الاوثان مقرون بان اله العالم واحد وانه ليس له في الالهية على خلق
العالم وتدبيره شريك ونظير فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ليس بحسب اللغة بل بالشرع كالصلوة والزكوة واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج
كل كافر تحت هذا الاسم لا سيما وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم بانه يسمي كل من كان كافرا بانه مشرك التفريع ان قيل المشركات تشمل الحربيات والكتابيات
جميعا فالاية منسوخة او مخصصة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم لان سورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ شيء منها قط وهو
قول ابن عباس والاوزاعي لا يقال لعل المراد من بعد ان كان من اهل الكتاب لان قوله والمحصنات من المؤمنات يشمل من امن منهن فيبقى قوله
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ضايعا ولاجماع الصحابة على جواز نكاح الكتابيات نقل ان حذيفة تزوج يهودية او نصرانية فكتب اليه عمر ان
خل سبيلها فكتب اليه اتزعم انها حرام فقال لا ولكني اخاف وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نتزوج نساء اهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا
وعن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم ولو لم يكن نكاح نسائهم جائزا لكان هذا
الاستثناء خاليا عن الفائدة وان قيل ان المشركات تختص بالحربيات فالاية ثابتة وباقية على عمومها ومن الناس من زعم ان هذه الاية ناسخة لما
كانوا عليه من التزوج بالمشركات ويروى هذا عن الحسن وزيف بان رفع مباح الاصل ليس بنسخ لان الناسخ والمنسوخ يجب ان يكونا حكمين شرعيين لا ان يقال
ان تجويز نكاح المشركة قبل نزول الاية كان مباحا من قبل الشرع قوله حتى يؤمن اتفق الكل على ان المراد منه الاقرار بالشهادة والتزام احكام الاسلام
ولكن لا يدل هذا على ان الايمان في عرف الشرع عبارة عن الاقرار فقط لما مر في تفسير قوله الذين يؤمنون بالغيب انه لا بد في الايمان الحقيقي من
التصديق القلبي الا انه اكتفي ههنا بالاقرار اللساني لانه هو امارة الايمان بالنسبة الينا فلا اطلاع لنا على صميم القلب والسريرة موكولة الى علام الخفايا
فان وافق سره العلن كان مؤمنا حقا والا كان منافقا جاحدا ولامة مؤمنة هذه اللام في افادة التوكيد تشبه لام القسم المراد بالامة وكذا بالعبد في
قوله ولعبد مؤمن من اماء الله وعبيده لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه اي لامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة ولو اعجبتكم للمبالغة
والجواب محذوف اي ولو كانت المشركة تعجبكم بمالها وجمالها ونسبها فالمؤمنة خير منها لان الايمان يتعلق بالدين والمال والجمال والنسب يتعلق بالدنيا
ورعاية الدين اولى من رعاية الدنيا ان لم يتيسر الجمع بينهما وقد يحصل المحبة والتالف عند التوافق في الدين فيكمل منافع الدنيا ايضا من حسن الصحبة
والعشرة وحفظ الغيب وضبط الاموال والاولاد واما عند اختلاف الدين فينعكس هذه القضايا وقد يحصل اضداد ما يتوقع منها ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك وقد ظن بعضهم ان المراد بالامة ضد الحرة فقال التقدير ولامة
مؤمنة خير من حرة مشركة ولهذا ذهب بعض اخر الى ان في الاية دلالة على ان القادر على طول الحرة يجوز له التزوج بالامة على ما هو مذهب ابي حنيفة لان الاية
دلت على ان الواجد لطول الحرة المشركة يكون لا محالة واجدا لطول الحرة المسلمة لانه بسبب التفاوت في الايمان والكفر لا يتفاوت قدر المال المحتاج
اليه في اهبة النكاح فيلزم قطعا ان يكون الواجد لطول الحرة المسلمة يجوز له نكاح الامة ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لا خلاف ههنا في ان المراد به الكل
وان المؤمنة لا يحل تزويجها من الكافر على اختلاف اقسام الكفرة اولئك المشركات والمشركون يدعون الى النار اي الى ما يؤدي اليها فان الزوجية مظنة
الالفة والمحبة في الله وقد يحمل المودة على الاتفاق في الدين فلعل المؤمن يوافق الكافر والاحتراز عن مظنة الارتداد اهم من الطموح الى اسلام المشرك فحكمهم
ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال وقيل المراد انهم يدعون الى ترك المحاربة والجهاد وفي ترك الجهاد استحقاق
النار والعذاب وغرض هذا القائل ان يجعل هذا فرقا بين الذمية وغيرها فان الذمية لا تحمل زوجها على ترك الجهاد وقيل ان الولد الذي يحدث ربما
دعاه الكافر الى الكفر فيصير الولد من اهل النار فهذا هو الدعوة الى النار والله يدعو الى الجنة حيث امر بالتزويج بالمسلمة حتى يكون الولد مسلما من اهل
الجنة او المراد ان اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يؤدي اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه
بتوفيق الله وتيسيره للعمل الذي يستحق به الجنة والغفران وقرأ الحسن والمغفرة بالرفع على الابتداء اي والمغفرة كائنة بتيسيره ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون معناه واضح وقد عرفت فيما مر ان التذكر محاولة استرجاع الصورة المحفوظة فكان الايات تنبيه على ما هو مركوز في العقول من حقية دين
الاسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون التاويل نحو الطا كما يتخذ من اجناس مختلفة

الجزء الثاني

كالعنب والتمر والعسل والحنطة والشعير وغيرها فكذلك خمر الباطن من اجناس مختلفة كالغفلة والشهوة والهوى وحب الدنيا وامثالها وهذا سكر
النفوس والعقول الانسانية التي هي مناط التكليف فلهذا حرمت في عالم التكليف واما ما يسكر القلوب والارواح والاسرار فهو شراب الواردات في اثناء
المشاهدات من سبحات تجلي الصفات اذا دارت الكؤس بجذبات شهوات النفوس فيسكر القلوب بالمواجد عن المواجيد والارواح بالشهود على الوجود
والاسرار بمطالعة الجمال من ملاحظة الكمال فهذا شراب حلال لانه فوق عالم التكليف فانه يمزج اللطيف باللطيف فيه منافع للناس وملاذ لاهل القرب
والاستيناس شعر فصحوك من لفظي هو الوصل كله وسكرك من لحظي يبيح لك الشربا فما مل ساقيها وما مل شارب عقار لحاظ كاسه يسكر اللباقوم
اسكرهم وجود الشراب وقوم اسكرهم شهود الساقي فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير الكاس والشراب والساقي والمستقي ههنا واحد كما قيل رق
الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح ولا خمر واثم الاعراض عن كؤس الوصال في النهاية اكبر من نفع الطلب الغير في البداية
اما الميسر فاثمه كبير عند الاخيار وانه بعيد عن خصال الابرار ولكن نفعه عدم الالتفات الى الكونين وبذل نفوس العالمين في قربانية نفس الكعبتين
واثمهما اكبر من نفعهما للعوام ونفعهما للخواص وللعوام اكثر من الخواص بعبارة اخرى الاثم في الخمر الظاهر والميسر الظاهر والنفع في الخمر الباطن والميسر الباطن لاهل الظاهر لاهل الباطن والله اعلم وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا

ع ١٢

و سؤال ميكنند ترا از حيض زنان بگو آن رنجي است پس دوري كنيد از زنان در حال حيض و نزديكي مكنيد ايشان را تا كه پاك شوند پس چون

تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ

پاك شوند پس مباشرت كنيد ايشان را از جهتي كه فرموده است شما را خدا بدرستيكه خدا دوست ميدارد توبه كنندگان را و دوست ميدارد پاكيزگان را زنان شما كشتزار شما اند پس بيائيد بكشت خود

أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ

هرگونه كه خواهيد و از پيش بفرستيد براي خود و بترسيد از خدا و بدانيد كه شما رسيدگانيد باو و مژده ده گروندگان را و مگردانيد خدا را بهانه براي سوگندهاي خود

أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

از آنكه نيكوئي كنيد و پرهيز كنيد و صلح كنيد در ميان مردمان و خدا شنواي داناست مؤاخذه نميكند شما را خدا به بيهوده در سوگندهاي شما و ليكن مؤاخذه ميكند شما را

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

بآنچه كسب كرده است دلهاي شما و خدا آمرزنده بردبار است مر آنانرا كه سوگند ميخورند از زنان خود انتظار بردن چهار ماه است پس اگر باز گشتند پس بدرستيكه خدا آمرزنده مهربان است

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ القراءة حتى يطهرن بالتشديد الاصل يتطهرن فلا غم النساء في الطاء حمزة وعلي وخلف

و اگر قصد كنند طلاق را پس بدرستيكه خدا شنونده داناست

وعاصم سوى حفص الباقون يطهرن بالتخفيف من الطهارة اني بالامالة المفرطة حمزة وعلي
وخلف قرأ العباس بالامالة اللطيفة كل القراء الباقون بالتفخيم لا يؤاخذكم بلينة كل همزة تحركت وتحرك ما قبلها مثل يؤخر ويؤده وما اشبه ذلك
بغير همز يزيد وورش والشموني وحمزة في الوقف الوقوف عن المحيض ط اذى ط لان لكونه اذى تاثيرا بليغا في وجوب الاعتزال في المحيض لا للعطف حتى
يطهرن ج لان اذا متضمنة الشرط للفاء في جوابه مع فاء التعقيب فيها امركم الله ط المتطهرين حرث لكم ص لان الفاء كالجزاء اي اذا كن حرثا فاتوهن
والاتفاق احتلاف الجملتين شئتم ز قد يجوز لوقوع العارض لانفسكم ط ملاقوه ط المؤمنين بين الناس ط عليم قلوبكم ط حليم اشهر ج رحيم عليم التفسير الكلم الثالث
ويسألونك عن المحيض قيل انه تعالى جمع في هذا الموضع بين ستة اسؤلة فذكر الثلثة الاول بغير الواو والباقية بالواو والسبب ان سؤالهم عن تلك
الحوادث وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل احد من تلك السؤالات مبتدأ وسألوا عن الوقايع الاخر في وقت واحد فجيء
بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن كذا وعن كذا روي ان اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة
حال حيضها والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وكان اهل الجاهلية اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على
فرش ولم يساكنوها في بيت فقال ناس من الاعراب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها
هلكت الحيض فنزلت الآية فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت يعني ان المراد من قوله تعالى فاعتزلوا النساء
فاعتزلوا مجامعتهن ثم اتفق المسلمون على حرمة الجماع في زمان الحيض واتفقوا على حل الاستمتاع بالمرأة بما فوق السرة وتحت الركبة واختلفوا فيما دون السرة
وفوق الركبة والشافعي وابو حنيفة وابو يوسف قالوا يجب اعتزال ما اشتمل عليه الازار بناء على ان المحيض مصدر كالمجيء والمبيت والتقدير فاعتزلوا تمتع النساء
في زمان الحيض ترك العمل بالآية فيما فوق السرة وتحت الركبة للاجماع فبقي الباقي على الحرمة وعن زيد بن اسلم ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي
حائض فقال لتشد عليها ازارها ثم شأنك باعلاها وقيل ما سوى الفرج حلال لان المراد بالحيض موضع الحيض والمعنى فاعتزلوا موضع الحيض من النساء
نعم المحيض الاول مصدر ليصح عود الضمير اليه في قوله قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة وكراهة على انه يحتمل ان يكون بمعنى المكان و
التقدير هو ذو اذى لما قدم قوله هو اذى ترتب الحكم وهو وجوب الاعتزال عليه ذلك ان دم الحيض دم فاسد يتولد من فضلة يدفعها طبيعة المرأة
من طريق الرحم حتى لو احتبست تلك الفضلة لمرضت المرأة فذلك الدم جار مجرى البول والغائط فكان اذى وقذرا ولا يرد عليه دم الاستحاضة حيث لا
يوجب الاعتزال لان دم الاستحاضة دم صالح يسيل من عرق ينفجر في عنق الرحم ويؤيده ما روي في الصحيحين عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت ابي حبيش فقالت يا رسول

الى امراة استحاضت فاذا طهرت فادعي الصلوة فقال لا انما ذلك عرق وليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم و صلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل للحوض لان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء من حيز واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد ومنها انه تعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق ولا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكليف وزواله انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رات الصبية دما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء يحضن نساء تهامة يحضن لتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان بدخول الطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما القول علي كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر فهو استحاضة وعن عطاء رايت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المراة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروايته ما تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعر بذلك بان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ست وسبع في الطهر باقي الشهر قال صلعم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي بما علمك الله من عادات النساء او من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القران والسجود والغشيان بنص القران والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المراة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رات الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان راته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرا يطهرن بالتخفيف فانتهاء الحرمة عنده انقطاع الدم ومن قرا يطهرن بالتثقيل فالنهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء الجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية حصول الشيئين معنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فاتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المراة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضا وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند اعواز الماء من حيث امركم الله اي من الماتى الذي امركم به حلالا لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابرهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فاتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فاتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك بمجامعة الحائض الطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس او يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثاني نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فاتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان يؤتى الماتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كان اليهود يقولون اذا جاء معها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله صلعم هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله صلعم هذه الاية وتحويل الرحل قبل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان ياتي الرجل المراة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي هن مواضع حرث فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون الماتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال لا معنى للاذى الا ما يتاذى الانسان منه بنتن وتلوث

وتنفر الطبع لا ذى في الدبر حاصل بذا فالاعزال عند ولى الوجوب فمعنى أنى شئتم كيف شئتم من قبلها او من دبرها قائمة او باركة او مضجعة وقيل انى بمعنى
اى فأتوا حرثكم اى وقت شئتم من اوقات الحل يعنى اذا لم تكن اجنبية ومحرمة وصائمة وحائضا وعن ابن عباس المعنى ان شاء عزل وان شاء لم يعزل وقيل
متى شئتم من ليل ونهار والاصح الاول وعن مالك والشيعة تجويز اتيان النساء في ادبارهن ويحكى ان نافعا نقل عن ابن عمر مثل ذلك واحتجوا بان الحرث
اسم المرأة لا الموضع المعين وبان قوله انى شئتم معناه من اين شئتم كقوله انى لك هذا اى من اين فكلمة اين تدل على تعدد الامكنة فيلزم ان يكون المأتى متعدد
وبقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ترك العمل بعمومه في حق الذكور لدلالة الاجماع فوجب ان يبقى معمولا به في حق الاناث ولا يخفى ضعف هذه
الحجج ولو سلم فما ذكرنا من دلائل الحرمة في القوة فالاجتناب احوط وكيف لا وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امرأة في دبرها ولو لم يكن فيه الا فوات
غرض التوالد والتناسل الذى به بقاء النوع الانسانى الذى هو اشرف انواع الكائنات لكفى منقصة وذما واذا كان الزنى لكونه مزيلا للنسب محرما وكذا
لم يكونها دافعة للعقل والقتل لكونه مفنيا للشخص فلان يحرم هذا الفعل لكونه متضمنا افناء النوع اولى كاللواط واتيان البهيمة والاستمناء
لهذا عقبه بقوله وقدموا لانفسكم اى افعلوا ما تستوجبون به الجنة والكرامة كقول الرجل لغيره قدم لنفسك عملا صالحا وذلك ان الاية اشتملت
على الاذن في احد الموضعين والمنع عن الموضع الاخر فكانه قيل لا تكونوا في قيد قضاء الشهوة وانما يجب ان تكونوا في بقية الاخلاص وتقديم الطاعة ثم انه
اكد ذلك بقوله واتقوا الله ثم زاد التاكيد بقوله واعلموا انكم ملاقوه وهذه التهديدات الثلاثة المتوالية لا تحسن الا اذا كان مسبوقة بالنهى عن
شئ فقوله وقدموا لانفسكم تحريض على فعل الطاعات ويندرج فيه ابتغاء الولد والتسمية عند الوقاع وغير ذلك من اداب الخلوة وقوله
واتقوا الله زجر عن المحظورات والمنكرات وقوله واعلموا انكم ملاقوه تذكير ليوم البعث والحساب الذى لولاه لضاع فعل الطاعات وترك المنهيات
وما احسن هذا الترتيب ثم قال وبشر المؤمنين كيلا يخلو الوعيد من الوعد ولم يذكر المبشر به وهو الثواب والكرامة ونحوهما اما لانه كالمعلوم من نحو
قوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات واما لان الغرض نفس البشارة مثل فلان
يعطى ويمنع ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وهو نهى عن الجرأة على الله بكثرة الحلف فان من اكثر ذكر شئ في معنى من المعانى فقد جعله عرضة
اى معرضا له قال فلا تجعلونى عرضة للوائم وقد ذم الله تعالى من اكثر الحلف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين والحكمة فيه ان من حلف في كل قليل
وكثير بالله انطلق لسانه بذلك فلا يؤمن اقدامه على الايمان الكاذبة وايضا كلما كان الانسان اكثر تعظيما لله كان اكمل في العبودية ومن كمال التعظيم
ان يكون ذكر الله تعالى اجل واعلى عنده من ان يبذله ويستشهد به في غرض من الاغراض الدنيوية وقوله ان تبروا علة للنهى اى ارادة ان تبروا وتتقوا
وتصلحوا بين الناس لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا فاذا ترك الحلف لاعتقاده ان الله اعظم واجل من ان يستشهد باسمه
العظيم في مطالب الدنيا اعتقد الناس في صدق لهجته وبعده من الاغراض الفاسدة فعدوه برا متحرزا من الاخلال بواجب حق الله فيدخلونه في
وساطاتهم واصلاح ذات بينهم ومعنى اخر وهو ان يكون العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة فيكون اسما للشئ الذى يوضع في عرض
الطريق فيصير مانع الناس من السلوك ومنه عرض العود على الاناء وتقول فلان عرضة دون الخير وذلك ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات
من صلة الرحم واصلاح او احسان او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يمينى فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما
حلفتم عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر
عن يمينك اى على شئ مما تحلف عليه فيكون قوله ان تبروا عطف بيان لايمانكم اى للامور المحلوف عليها التى هى البر والتقوى والاصلاح بين الناس وعلى هذا
فاللام في لايمانكم اما ان يتعلق بالفعل اى ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا واما ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوا شيئا
يعترض البر ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالعرضة اى لا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا والله سميع ان حلفتم به عليم
بنياتكم ان تركتم الحلف اجلالا لذكره واليمين في الاصل عبارة عن القوة فسمى الحلف بذلك لان المقصود بها تقوية جانب البر على جانب الحنث واللغو الساقط
الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولهذا قيل لما لا يعتد به من اولاد الابل في الدية لغو وهو في الاصل مصدر لغا يلغو وقال صلى الله عليه وسلم من قال يوم الجمعة لصاحبه صه والامام
يخطب فقد لغا واختلف الفقهاء في اللغو من اليمين فذهب الشافعى وهو قول عائشة والشعبى وعكرمة انه قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون
به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف فلو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة ومذهب ابى حنيفة وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد والنخعى والزهرى وسليمان بن يسار وقتادة والسدى ومكحول ان اللغو هو ان يحلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وفائدة
الخلاف ان الشافعى لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا حلف على شئ يعتقد انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بالضد
من ذلك حجة الشافعى ان الاية تدل على ان لغو اليمين كالمقابل المضاد لما يحصل بسبب كسب القلب لكن المراد من قوله بما كسبت قلوبكم هو الذى يقصده
الانسان على سبيل الجد ويربط به قلبه فيكون اللغو ما يعوده الناس في الكلام لا والله بلى والله فاما اذا حلف على شئ انه كان حاصلا جدا ثم ظهر انه لم
يكن فقد قصد الانسان بذلك اليمين تصديق قوله وربط قلبه بذلك فلم يكن لغوا البتة وايضا انه سبحانه ذكر قبل هذه الاية النهى عن كثرة الحلف فذكر عقيب
ذلك حال هؤلاء الذين يكثرون الحلف على سبيل الاعتياد في الكلام لا على سبيل القصد الى الحلف وبين انه لا مؤاخذة عليهم ولا كفارة لان ايجاب الكفارة
والمؤاخذة عليهم يفضى اما الى ان يمتنعوا عن الكلام ويلزمهم في كل لحظة كفارة وكلاهما حرج في الدين فظهر ان تفسير اللغو بما ذكرنا هو المناسب ويؤيده ما روى

مطلب لغو اليمين

عائشة

عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللغو اليمين قول الرجل في كلامه لا والله وبلى والله وروى انه مر بقوم ينتضلون ومعه رجل من اصحابه فرمى رجل من القوم فقال اصبت
والله ثم اخطأ فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل يا رسول الله فقال كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة وعن عائشة انها قالت ايمان اللغو
ما كان في المراء والهزل والمزاحة والحديث الذي لا يعقد عليها القلب واثر الصحابي في تفسير كلام الله حجة وقال ابو حنيفة اليمين معنى لا يلحقه الفسخ فلا يعتبر فيه القصد كالطلاق والعتاق وايضا انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اوجب الكفارة على الحانث مطلقا من غير فصل
بين المجد والهازل وقيل ان يمين اللغو هو الحلف على ترك طاعة وفعل معصية فبين الله تعالى انه لا يؤاخذ بترك هذه الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
اي باقامتكم على ذلك الذي حلفتم عليه من ترك الطاعة وفعل المعصية عن الضحاك ان اللغو هي اليمين المكفرة كانه قيل لا يؤاخذكم الله باسم الحلف اذا كفرتم
وقيل هي ما يقع سهوا والمراد بما كسبت قلوبكم هو العمد اختاره القاضي ابو بكر ثم ان الشافعي قال معنى لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد
معه ولكن يلزمكم الكفارة بما نوت قلوبكم وقصدتم من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده وقال ابو حنيفة معناه لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه
احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد اي الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس وقال
مالك في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان اللغو حلف الانسان على الشيء يستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه فلا كفارة قال والذي يحلف على الشيء
وهو يعلم انه فيه آثم كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف ان لا يفعل الشيء
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك ويحلف ليضربن غلامه ثم لا يضربه والله
غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم واخر عقوبتكم بما كسبت قلوبكم لعلكم تتفكرون او تتوبون عنها الحكم العاشر للذين يؤلون من نسائهم
يقال في اللغة آلى يؤلي ايلاء وائتلى ائتلاء وتألى تأليا والالية والالوة القسم واليمين والحلف كلها واحد وفي الحديث القدسي ليتألى ان افعل خلاف المقدرين
الايلاء في الشرع هو الحلف على الامتناع من وطي الزوجة مطلقا او مدة تزيد على اربعة اشهر وكان الايلاء طلاقا في الجاهلية فغير الشرع حكمه قال سعيد بن
المسيب كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها وكان يتركها بذلك لا ايما ولا ذات بعل والغرض منه مضارة المرأة ثم ان اهل الاسلام
كانوا يفعلون ذلك ايضا فازال الله تعالى ذلك وامهل الزوج مدة حتى يتروى ويتأمل فان رأى المصلحة في ترك هذه المضارة فعلها وان رأى المصلحة في المفارقة
عن المرأة فارقها ثم المتعارف ان يقال آلى على كذا وانما عدي ههنا بمن لانه يدلهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كما يقال لي منك كذا او ضمن في هذا
القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم او يعتزلون مولين او مقسمين التربص التلبث في الانتظار واضافته الى اربعة اشهر اضافة
المصدر الى الظرف كقولهم بينهما مسيرة يوم اي مسيرة في يوم فان فاءوا فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور رحيم يغفر للمولين
ما عسى يقدمون عليه من طلب الضرار بالايلاء وهو الغالب وان كان من الجائز كونه على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لغير ذلك
من الاسباب وان عزموا الطلاق بان عقدوا القلب على حل رابطة النكاح فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة التي هي مثل التوبة واعلم
ان الايلاء له اركان اربعة الحالف والمحلوف به والمحلوف عليه ومدة هي ظرف المحلوف عليه الركن الاول الحالف فهو كل زوج يتصور منه الوقاع وكان تصرفه
معتبرا في الشرع فيصح ايلاء الذمي لعموم قوله للذين يؤلون وبه قال ابو حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد لا يصح ايلاؤه بالله تعالى ويصح بالطلاق والعتاق ونحوه
لا فرق عندنا بين الحر والرقيق في المدة وعند ابي حنيفة ينتصف برق المرأة وعند مالك برق الرجل كما في الطلاق ولنا ان التخصيص خلاف الظاهر ولان تقدير
هذه المدة ان كان لاجل معنى يرجع الى الجبلة والطبع وهو قلة الصبر على مفارقة الزوج فيستوي فيه الحر والرقيق كالحيض ومدة الرضاع ومدة العنة
يصح الايلاء في حالتي الرضاء والغضب لعموم الاية وقال مالك لا يصح الا في حال الغضب وايضا يصح الايلاء عن المرأة سواء كانت في صلب النكاح او
مطلقة طلقة رجعية لان الرجعية تصدق عليها انها من نسائه بدليل انه لو قال نسائي طوالق وقع الطلاق عليها فتدخل تحت ظاهر قوله يؤلون
من نسائهم ولهذا لو قال لاجنبية والله لا اجامعك لم يكن موليا وايلاء الخصي صحيح لانه يجامع كما يجامع الفحل غير انه لا ينزل ومن جب جميع ذكره لم يصح
ايلاؤه على الاظهر لانه لا يتحقق منه قصد الايلاء لامتناع الامر في نفسه وكذا الاشل ومن بقي من ذكره بعد الجب ما دون قدر الحشفة فان آلى
ثم جب فالاصح ثبوت الخيار لها فان لم تفسخ بقي الايلاء على الاظهر لان العجز عارض وقد قصد الاضرار في الابتداء واذا كانت المرأة رتقاء او قرناء
فالحكم كما في الجب ولا يصح ايلاء الصبي والمجنون بحال الركن الثاني المحلوف به وهو اسماء الله تعالى وصفاته ادعية فان حلف بالله كان موليا ثم ان جامعها
في مدة الايلاء خرج عن الايلاء وهل يجب عليه كفارة اليمين الجديد في قول ابي حنيفة انه يجب عليه كفارة اليمين لان الدلائل الدالة على وجوب
الكفارة عند الحنث باليمين عامة ولا فرق بين ان يقول والله لا اقربك ثم يقربها وبين ان يقول والله لا اكلمك ثم يكلمها وانما ترك ذكر الكفارة
في الاية لانها مبينة في سائر المواضع من القرآن وعلى لسان الرسول وقوله تعالى فان الله غفور رحيم يدل على عدم العقاب بانه لا ينافي الكفارة كما
التائب عن الزنى والقتل لا عقاب عليه ومع ذلك يجب عليه الحد والقصاص واما ان كان الحلف في الايلاء بغير الله كما اذا قال ان وطئتك فلله علي عتق رقبة
او صدقة او حج او صوم او صلوة فهل يكون موليا الجديد وهو قول ابي حنيفة ومالك وجماعة من العلماء انه يكون موليا لان العتق والطلاق المعلقين
بالوطي يحصلان لو وطي فيكون ما يلزمه بالوطي مانعا له من الوطي ويكون هو بتعليقه بالوطي مضرا بها فيثبت لها المطالبة كما في اليمين بالله تعالى حتى
يضيق الامر عليه بعد مضي اربعة اشهر ليفيء او يطلق ولا يخفى انه لو كان المعلق به التزام قربة في الذمة فعليه ما في نذر اللجاج فيه اقوال اصحها ان عليه

علی کفارة الیمین الثانی علیه الوفاء بما سمی والثالث التخییر بین کفارة الیمین وبین الوفاء الرکن الثالث المحلوف علیه وهو الجماع وهذا من صرائح الفاظه وکذا النیک والوطی والاصابة من کنایاتها المباضعة والملامسة والمباشرة فلا تعمل الا بالنیة الرکن الرابع المدة فعن ابن عباس انه لا یکون مولیا حتی یحلف ان لا یطأها ابدا وعن الحسن واسحق انه مول ان حلف یوما وهذان المذهبان فی غایة البعد وعن ابی حنیفة والثوری انه لا یکون مولیا حتی یحلف علی ان لا یطأها اربعة اشهر اجل لاربعة اشهر وهذه المدة یکون حقا للزوج فاذا مضت طالبت المرأة الزوج بالفیئة او الطلاق فان امتنع الزوج منهما طلقها الحاکم علیه وعند ابی حنیفة اذا مضت اربعة اشهر یقع الطلاق بنفسه حجة الشافعی ان الفاء فی قوله فان فاؤا یقتضی کون ما بعده من حکمی الفیئة والطلاق مشروعا متراخیا عن انقضاء الاشهر الاربعة وایضا قوله وان عزموا الطلاق فان الله سمیع علیم صریح فی ان وقوع الطلاق انما یکون بایقاع الزوج فی ان الزوج لا بد ان یصدر عنه شیء یکون مسموعا وما ذاک الا ایقاع الطلاق اجاب ابو حنیفة بان قوله فان فاؤا تفصیل للحکم المتقدم کما تقول انا نزیلکم هذا الشهر فان احمدتکم اقمت عندکم الی آخره والا لم اقم الا ریثما اتحول وایضا الایلاء طلاق فی نفسه فالطلاق اشارة الیه وایضا الغالب ان العازم للطلاق وترک الفیئة لا یخلو من مقاولة ومدمدة وحدیث نفس فذلک الذی یسمعه الله کما یسمع وسوسة الشیطان واستدل علی صحة مذهبه فی ان الفیئة لا بد ان تقع فی الاشهر بقراءة عبدالله بن مسعود فان فاؤا فیهن ورد بانها شاذة فلا معول علیها والرجوع الی الحق اولی الله حسبی التأویل کما ان للنساء محیضا فی الظاهر وهو سبب نقصان ایمانهن یمنعهن عن الصلوة والصیام فکذا للرجال محیض فی الباطن وهو سبب نقصان ایمانهم یمنعهم عن حقیقة الصلوة وهی المناجات وعن حقیقة الصوم وهی الامساک عن مشتهیات النفوس وکما ان المحیض هو غلبة الدم فکذلک الهوی هو غلبات دواعی الصفات البشریة والحاجات الانسانیة فکلما غلب الهوی تکدر الصفا وحصل الاذی وقد قیل قطرة من الهوی تکدر بحرا من الصفا ولذلک نودی من سرادقات الجلال فاعتزلوا الرجال عن لوث النساء النفوس فی محیض غلبات الهوی حتی یطهرن ای یفرغن عن مقتضیات الحوائج الضروریة للانسان من المأکول والمشروب والمنکوح فاذا تطهرن بماء التوبة والانابة ورجعن الی الحضرة فی طلب القربة فأتوهن من حیث امرکم الله یعنی طهر شواهد الحق لزهوق باطل النفس واضمحلال هواها ان الله یحب التوابین عن اوصاف الوجود ویحب المتطهرین باخلاق المعبود بل یحب التوابین عن بقاء الوجود ویحب المتطهرین ببقاء الشهود نساؤکم حرث لکم ایها الرجال البالغون الواصلون الی عالم الحقیقة المتصرفون فیما سوی الله بخلاف الحق فهم رجال الله وما دون الله نساؤهم وهم الانبیاء والاولیاء القائمون بالله الداعون الی الله باذنه فکما ان الدنیا مزرعة الآخرة للقوم فالدنیا والآخرة مزرعتهم ومحرثهم یحرثون فیهما انی شاؤا وکیف شاؤا وما یشاؤن الا ان یشاء الله فقد ینبت منهم فی مشیته تعالی وبقیت قلوبهم تصرفهم بنفوسه لا یؤاخذکم الله الفلک کالارض للزراعة والجوارح کالآلات الحراثة والاعمال والاقوال کالبذر فالبذر ما لم یقع فی الارض لم ینبت للزراعة لا ینبت وان کان فی آلة من الآلات الحراثة اما ان کان لما یجری علی الظواهر من الجوارح اثر فی القلب ولو کان مثقال ذرة فان الله تعالی من کمال فضله وکرمه لا یضیعه بل یضاعفه وان کان ما یجری علیه فی الظاهر فان لم یکن له اثر فی القلب کان لغوا لا یؤاخذه وان کان له اثر فی القلب فهو بصدد المؤاخذة والله یشاء الله غفره للذین یؤلون من نسائهم من وقع له من اهل القصد وقفة وفترة فی اثناء السلوک من ملالة النفس ونفرة الطبع فعلی الشیخ والاصحاب ان لا یبادروه فی الحقیقة ویبادروه بالهجر العلیة ویتربصوا اربعة اشهر للرجوع لان هذه مدة تعلق الروح بالجنین کما جاء فی الحدیث ان خلق احدکم یجمع فی بطن امه اربعین یوما ثم یکون علقة مثل ذلک ثم یکون مضغة مثل ذلک الی آخره فان فاؤا الفیئة الی صدق الطلب ورعایة حق الصحبة ونفخ فیه روح الارادة مرة اخری لا حظوه بعین القبول فان هذا ربیع لا یرعاه الا ایر عاه الا الطیر ولون ربع لا یسکنه الا المعزولون ملکوتیه بل شراب لا یذوقه الا العارفون وغناء لا یطرب علیه الا العاشقون وان عزموا الطلاق لعزمه علی طلاق المواصلة فان الله سمیع لمقالتهم علیم بحالهم وهو حسبی

وَالْمُطَلَّقٰتُ یَتَرَبَّصْنَ بِاَنْفُسِهِنَّ ثَلٰثَةَ قُرُوْٓءٍ ۭ وَلَا یَحِلُّ لَهُنَّ اَنْ یَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللّٰهُ فِیْٓ اَرْحَامِهِنَّ اِنْ كُنَّ

و زنان طلاق داده شده انتظار کشند بنفسهای خود سه پاکی و روا نباشد مر ایشان را که پوشیده کنند آنچه آفریده است خدا در رحمهای ایشان اگر هستند

یُؤْمِنَّ بِاللّٰهِ وَالْیَوْمِ الْاٰخِرِ ۭ وَبُعُوْلَتُهُنَّ اَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِیْ ذٰلِكَ اِنْ اَرَادُوْٓا اِصْلَاحًا ۭ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِیْ عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوْفِ

که ایمان آرند بخدا و روز پسین و شوهران ایشان سزاوارترند بباز گردانیدن ایشان در این اگر خواسته باشند اصلاح کردن و مر ایشان راست مانند حقهای مردان بر زنان به نیکوئی

ع ١٣

وَلِلرِّجَالِ عَلَیْهِنَّ دَرَجَةٌ ۭ وَاللّٰهُ عَزِیْزٌ حَكِیْمٌ ۝ اَلطَّلَاقُ مَرَّتٰنِ ۠ فَاِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوْفٍ اَوْ تَسْرِیْحٌۢ بِاِحْسَانٍ ۭ وَلَا یَحِلُّ لَكُمْ اَنْ

و مر مردان راست بر زنان فزونی مرتبه و خدا غالب و درستکار است طلاق شرعی دو بار است پس نگاه داشتنی است به نیکوئی یا رها کردن به نیکوئی و روا نیست مر شما را که

تَاْخُذُوْا مِمَّآ اٰتَیْتُمُوْهُنَّ شَیْـــًٔا اِلَّآ اَنْ یَّخَافَآ اَلَّا یُقِیْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ۭ فَاِنْ خِفْتُمْ اَلَّا یُقِیْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ۙ فَلَا جُنَاحَ عَلَیْهِمَا

که فرا گیرید از آنچه که داده اید ایشان را چیزی مگر که بترسند که بر پای ندارند احکام خدای پس اگر بترسید که بر پای ندارند احکام خدای را پس نیست باکی بر ایشان

فِیْمَا افْتَدَتْ بِهٖ ۭ تِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوْھَا ۚ وَمَنْ یَّتَعَدَّ حُدُوْدَ اللّٰهِ فَاُولٰۗىِٕكَ ھُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ فَاِنْ طَلَّقَھَا فَلَا تَحِلُّ لَهٗ

در چیزی که زن بدهد برهاند خود را این است احکامهای خدا پس مگذرید از آن و هر که از حدود درگذرد از احکام خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران پس اگر طلاق داد او را پس روا نیست مر او را

مِنْۢ بَعْدُ حَتّٰی تَنْكِحَ زَوْجًا غَیْرَهٗ ۭ فَاِنْ طَلَّقَھَا فَلَا جُنَاحَ عَلَیْهِمَآ اَنْ یَّتَرَاجَعَآ اِنْ ظَنَّآ اَنْ یُّقِیْمَا حُدُوْدَ اللّٰهِ ۭ وَتِلْكَ حُدُوْدُ اللّٰهِ

پس طلاق سیوم تا آنکه نکاح کند مر دیگر غیر آن پس اگر آن شوهر طلاق داد او را پس باکی نیست بر ایشان که باز گردند اگر گمان دارند که بر پای دارند احکام خدا را و این است احکام خدا

یُبَیِّنُھَا لِقَوْمٍ یَّعْلَمُوْنَ ۝ وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاۗءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَھُنَّ فَاَمْسِكُوْھُنَّ بِمَعْرُوْفٍ اَوْ سَرِّحُوْھُنَّ بِمَعْرُوْفٍ ۠ وَلَا تُمْسِكُوْھُنَّ

ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ

ضرر رسانیدن تا تعدی کنید و هر که بکند این را پس ستم کرده است بر نفس خود و فرا مگیرید آیات خدا را ریشخند و یاد کنید نعمت خدا را که بر شماست و آنچه فرستاد

عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا

از کتاب و حکمت پند میدهد شما را به آن و بپرهیزید از خدا و بدانید که خدا به همه چیزی داناست و چون طلاق دادید زنان را پس رسیدند بآخر مدت خود پس

تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ

منع مکنید ایشان را که نکاح کنند شوهران خود را اگر راضی شوند در میان خود بشایستگی این پند داده میشود بآن هر که باشد از شما که بگرود بخدا و روز واپسین این پاکیزه‌تر است

لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ القراءة ان يخافا بضم الياء يزيد وحمزة ويعقوب الباقون بفتح الياء يبينها بالنون المفضل الباقون بالياء

مر شما را و پاکتر و خدا میداند و شما نمیدانید

العينية يفعل ذلك مدغما حيث كان ابو الحرث عن علي فقد ظلم مظهرا ابن كثير وابو جعفر ونافع غير ورش وعاصم

غير الاعشى الوقوف قروء ط الاخر ط اصلاحا ط بالمعروف ص لعطف المتفقين ولا تمام المقصود في تفضيل الرجال درجة ط حكيم مرتان ص لطف المتفقين باحسان ط حدود الله الاول ط افتدت به ط تعتدوها ج الظالمون ربع الجزء غيره ط لان الطلاق للزوج الثاني على خطر الوجود لا منتظر معهود فكان خارجا من مقتضى الجملة الاولى ان يقيما حدود الله ط يعلمون نا وسرحوهن بمعروف ص لطول الكلام لتعتدوا ج نفسه ط هزوا لطول ما بعد يعظكم به ط بالمعروف ط الاخر ط واطهر ط لا تعلمون التفسير الحكم الحادي عشر الطلاق ويشتمل على احكام اولها وجوب العدة واعلم ان المطلقة وهي التي وقع الطلاق عليها اما ان يكون اجنبية ولا يقع الطلاق عليها في عرف الشرع بالاجماع واما ان يكون منكوحة وح اما ان لا يكون مدخولا بها ولا عدة عليها لقوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واما ان يكون مدخولا بها وح ان كانت حاملا فعدتها بوضع الحمل لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وان كانت حائلا فان امتنع الحيض في حقها اما للصغر المفرط والكبر المفرط فعدتها بالاشهر لا بالاقراء لقوله سبحانه واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن وان كان الحيض في حقها ممكنا فان كانت رقيقة فعدتها قرآن وان كانت حرة فعدتها ثلاثة اقراء لهذه الآية فظهر ان قوله والمطلقات لا يتناول الا المنكوحة الحرة المدخولة بها من ذوات الحيض كالحائل فيقال العام انما يحسن تخصيصه اذا كان الباقي اكثر من حيث انه جرت العادة باطلاق لفظ الكل على الغالب لا المغلوب فيقال للثوب اسود اذا كان الغالب عليه السواد لا البياض وههنا الباقي قسم الواحد من الاقسام الخمسة فكيف يحسن اطلاق لفظ العام عليه انا نقول اما الاجنبية فتخرج بعرف الشرع كما مر واما غير المدخول بها فالقرينة تخرجها لان المقصود من العدة براءة الرحم وكذا الحامل والآيسة لان ايجاب الاعتداد بالاقراء انما يكون حيث يحصل الاقراء ولا اقراء في حقها واما الرقيقة فتزويجها كالنادر فثبت ان اللفظ باق على تناوله الاغلب ثم انه لم يقل وليتربص المطلقات بل اخرج الامر في صورة الخبر اشعارا بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن فهو يخبر عنه موجودا وبناء الكلام على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تاكيد تقول ولو قيل وليتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة وفي ذكر الانفس دون ان يقال يتربصن ثلاثة قروء تهييج لهن على التربص لان فيه ما يستنكفن منه فان انفس النساء طوامح الى الرجال نوازع اليهم فامرن ان يقمعن انفسهن القروء جمع قرء وقرء بفتح القاف وضمها والراء ساكنة في الحالين وفي الصحاح بفتح القاف فقط ولا خلاف ان اسم القرء يقع على الطهر والحيض والمشهور انه حقيقة فيهما وقيل حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس وقيل انه موضوع لمعنى واحد مشترك بينهما اما لان القرء هو الاجتماع ثم في وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي واما لانه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة وهو قول ابي عبيد واما لان القرء هو الوقت يقال هذا قارئ الرياح لوقت هبوبها ولا يخفى ان لكل من الطهر والحيض وقتا معينا وهذا قول ابي عمرو بن العلاء ثم ان الله تعالى امر المطلقة بثلاثة اشياء تسمى اقراء لكن العلماء اجمعوا على ان الثلاثة يجب ان يكون من احد الجنسين ثم اختلفوا فذهب الشافعي الى انها الاطهار ويروى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة ومالك وربيعة واحمد في رواية وقال عمر وعلي وابن مسعود هي الحيض وهو قول ابي حنيفة والثوري والاوزاعي وابن ابي ليلى وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر حتى لو طلقها في حال الطهر يحسب بقية الطهر قرءا وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وعند ابي حنيفة ما لم تطهر من الحيضة الثالثة ان كان الطلاق في حال الطهر او من الحيضة الرابعة ان كان في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم قال اذا طهرت لاكثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل او تتيمم عند عدم الماء او يمضي عليها وقت صلوة حجة الشافعي قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي في زمان عدتهن فيجب ان معنى الآية مستقبلات لعدتهن كما تقول لثلث بقين من الشهر اي مستقبلا الثلث قيل هذا يقوي مسلك الشافعي لان قول القائل لثلث بقين من الشهر معناه لزمان يقع الشروع في الثلث عقيبه فمعنى الآية طلقوهن بحيث يحصل الشروع في العدة عقيبه ولما كان الاذن حاصلا بالتطليق في جميع زمان الطهر وجب ان يكون الطهر الحاصل عقيب زمان التطليق من العدة وروي عن عائشة انها قالت هل تدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ثم قال الشافعي النساء بهذا اعلم وايضا التركيب يدل على الجمع اكثر احوال الرحم اجتماعا واشتمالا على الدم آخر الطهر اذ لو لم تمتلئ بذلك الفضال لما سال الى الخارج فمن اول الطهر اخذ في الاجتماع والازدياد الى آخره والآخر هو حال الكمال للاجتماع فآخر الطهر هو القرء بالحقيقة وايضا الاعتداد بالاطهار اقل زمانا من الاعتداد بالحيض فيلزم المصير اليه لان الاصل ان لا يكون لاحد على غيره حق الحبس والمنع وكلما كانت المدة اقل كان اقرب الى

هذا الاصل وقوله ايضا الاية تدل على انها اذا اعتدت بثلثة اشياء تسمى قروء خرجت عن العهدة فيكون متمكنا من الاعتداد بالاطهار التي
مدتها اقل من الاعتداد بالحيض التي مدتها اكثر فيكون الاعتداد بالقدر الزائد على مدة الاطهار غير واجب حجة ابي حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة
ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولان الغرض الاصلي من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام ولان
الاصل في الابضاع الحرمة ففي تقليل مدة العدة تحليل بضعها للزوج الثاني فالتكثير احوط ولان الطلاق في طهر كامل على بعض الطهر خلاف الظاهر
واذا تعارضت الوجوه ضعفت الترجيحات فيكون حكم الله تعالى في كل احد ما ادى اجتهاده اليه وانتصاب ثلثة قروء على انه مفعول به كقولهم
المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على الظرف فيه اي مدة ثلثة قروء وانما جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء للاتساع فانهم يستعملون
كل واحد من الجمعين مكان الاخر ولهذا قال بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة واقول فلعل القروء اكثر استعمالا فنزل القليل منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع ثم ان امر العدة لما كان مبنيا على انقضاء القرء في حق ذوات الاقراء وعلى وضع الحمل في حق الحامل وكان الوصول الى معرفة
ذلك متعذرا على الرجال جعلت المرأة امينة في العدة وجعل القول قولها اذا ادعت انقضاء قرئها في مدة يمكن ذلك فيها وهو عند الشافعي
اثنان وثلثون يوما وساعة لانها اذا طلقت طاهرا فحاضت بعد ساعة ثم حاضت يوما وليلة وهو اقل الحيض ثم طهرت خمسة عشر يوما
وهو اقل الطهر ثم حاضت مرة اخرى يوما وليلة ثم طهرت خمسة عشر ثم رأت الدم فقد انقضت عدتها لحصول ثلثة اطهار فمتى ادعت هذا او اكثر
منه قبل قولها وكذلك اذا كانت حاملا فادعت سقوط الولد كان القول قولها لانها على اصل امانتها ولهذا قال سبحانه ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن فاكثر المفسرين قالوا ان الكتمان راجع الى الحبل والحيض معا وذلك ان المرأة لها اغراض كثيرة في كتمانهما اما كتمان الحمل فاذا
كتمت الحمل قصرت مدة عدتها فتتزوج بسرعة وربما كرهت مراجعة الزوج الاول وربما احبت التزوج بزوج اخر واحبت ان تلصق ولدها بالزوج الثاني
واما كتمان الحيض فغرضها فيه ان المرأة اذا طلقها الزوج وهي من ذوات الاقراء فقد تحب تطويل عدتها لكي يراجعها الزوج الاول وقد تحب تقصيرها
لتبطل رجعته فاذا حاضت ولا تكتمه ثم اظهرت عند الحيضة الثانية ان ذلك اول حيضها فقد طولت العدة وهكذا ان كتمت الحيضة الثالثة
واذا كتمت ان حيضها باق فقد قطعت الرجعة على زوجها وقيل المراد النهي عن كتمان الحبل فقط لان المخلوق في الارحام هو الحبل لا الحيض ولان حمل
المعنى على ما هو شريف اولى لقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء وقيل المراد النهي عن كتمان الحيض لان الاية وردت عقيب ذكر الاقراء
ولم يتقدم ذكر الحمل وقيل يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه وفي قوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن ان من امن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم وفيه ان من جعل مباني شرعه
خان فيه فاثمه عند الله شديد الحكم الثاني للطلاق الرجعة وذلك قوله وبعولتهن احق بردهن والبعل الزوج والجمع البعولة والتاء لتأكيد التأنيث
في الجماعة كصقورة وليس هذا في كل جمع انما هو مقصور على السماع يقال للمرأة ايضا بعل وبعلة كما يقال زوج وزوجة والبعل السيد المالك يقال من
بعل هذه الناقة اي من ربها وصاحبها ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة وعلى هذا فالمضاف محذوف اي اهل بعولتهن
احق بردهن برجعتهن قال تعالى في موضع ان رددت الى ربي وفي موضع اخر ولئن رجعت فكانه يردها من التربص الى خلافه ومن الحرمة الى الحل في ذلك
اي في مدة التربص لانه اذا انقضى ذلك الوقت بطل حق الرد والرجعة وانما يكون البعولة احق عند الله تعالى برجعتهن ان ارادوا اصلاحا لما بينهم و
بينهن واحسانا اليهن لا الضرار وتطويل العدة كما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فلو راجعها لقصد المضارة استوجب من الله العقاب وان صحت
رجعته شرعا لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فان قيل كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها فالجواب ان الرجل ان اراد الرجعة و
ابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها فهذا هو المعني بالاحقية او نقول نهين ان يكتمن ما في ارحامهن لاجل ان يتزوج بهن اخر فاذا فعلن ذلك كان
الزوج الاول بردهن وان ثبت للزوج الثاني حق في الظاهر ولهن من الحق على الرجال مثل الذي للرجال عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع
وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونها من الحسنة لا في جنس الفعل فاذا غسلت
ثيابه وخبزت لا يجب عليه ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال قال ابو هريرة قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر و
تطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره وفي حديث حجة الوداع الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن وعن ابن عباس اني لاتزين لامرأتي
كما تتزين لي لقوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن وقيل معنى الاية ولهن على الزوج من ارادة الاصلاح عند المراجعة مثل ما عليهن من ترك الكتمان
وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة وهي واحدة الدرجات الطبقات من المراتب واصلها من درج الرجل والضب يدرج درجا اي مشى
ودرج اي مضى لسبيله ودرج القوم اذا انقرضوا وفي المثل اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات وقد فضل الله الرجال على النساء
في امور في العقل وفي الدية وفي الميراث وفي نصيبه من المغنم وفي صلاحية الامامة والقضاء والشهادة وفي ان له ان يتزوج عليها ويتسرى و
ليس لها ذلك وفي ان له ان يطلقها واذا طلقها راجعها شاءت المرأة ام ابت ولا قدرة للمرأة على التطليق ولا على الرجعة فاذن المرأة كالاسير العاجز في يد
الرجل ولهذا قال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان وفي خبر اخر اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة وذلك ان من كانت نعمة الله

عليه اكثر كان صدور الذنب عنه اقبح واستحقاقه للزجر اشد وقيل بل الغرض من الاية ان فوائد الزوجية هي السكن والازدواج والالفة والمودة واشتباك
الانساب واستكثار الاعوان والاحباب وحصول اللذة وكل ذلك مشترك بين الجانبين بل يمكن ان يقال نصيب المراة منها اوفر ثم ان الزوج اختص
بانواع من الكلفة وهي التزام المهر والنفقة والذب عنها والقيام بمصالحها فيكون وجوب الخدمة على المراة اشد رعاية لهذه الحقوق الزائدة فيكون
هذا كقوله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم وعن النبي ص لو امرت احدا بالسجود لغير الله لامرت
المراة بالسجود لزوجها والله عزيز حكيم غالب لا يمنع مصيب في افعاله واحكامه لا يتطرق اليها احتمال العبث والسفه والغلط والباطل الحكم الثالث للطلاق
هو الطلاق الذي يثبت فيه الرجوع وذلك ان الرجل في الجاهلية كان يطلق امراته ثم يراجعها قبل ان تنقضي عدتها ولو طلقها الف مرة كانت القدرة على
المراجعة ثابتة له فجاءت امراة الى عائشة فشكت ان زوجها يطلقها ويراجعها يضارها بذلك فذكرت عائشة ذلك لرسول الله ص فنزل الطلاق مرتان
فعلى هذا يكون الاية متعلقة بما قبلها والمعنى ان الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثلث وهذا تفسير من جوز الجمع بين الطلقات الثلث وهو
مذهب الشافعي وهو اليق بنظم الكلام لانه تعالى بين في الاية الاولى ان حق الرجعة ثابت للزوج ولم يذكر ان ذلك الحق ثابت دائما او الى غاية معينة فكان
ذلك كالمجمل والعام فيفتقر الى مبين او مخصص فذكر عقيبه ان الطلاق المعهود السابق الذي يثبت فيه للزوج حق الرجعة هو ان يوجد طلقتان فقط
فاذا وصلت التطليقة الى هذه الغاية بطل حق الرجعة والطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم وقيل ان هذا كلام مبتداء والمعنى ان التطليق
الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي
كرة بعد كرة وقولهم لبيك وسعديك في هذا التفسير قول من قال الجمع بين الثلث حرام وزعم ابو زيد الدبوسي في الاسرار ان هذا هو قول عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعمران بن الحصين وابي موسى الاشعري وابي الدرداء وحذيفة رض ويؤكده العدول عن لفظ الامر
طلقوا مرتين اي دفعتين الى لفظ الخبر كما مر في قوله والمطلقات يتربصن ثم من هؤلاء من قال لو طلقها اثنتين او ثلثا لا يقع الا واحدة وهذا هو الاقيس
واختاره كثير من علماء اهل البيت لان النهي يدل على اشتمال المنهي عنه على مفسدة راجحة والقول بالوقوع سعي في ادخال تلك المفسدة في الوجود
ومنهم من قال وهو اختيار ابي حنيفة انه وان كان محرما الا انه يقع ويكون بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه وهذا منه
بناء على ان النهي لا يدل على الفساد ومما يؤيد مذهب الشافعي حديث العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها بين يدي رسول الله ص فلم ينكر عليه ومما
يؤكد مذهب ابي حنيفة حديث ابن عمر ان رسول الله ص قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة اما قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان اي امركم بعد معرفة كيفية التطليق احد هذين فالتسريح الارسال والاطلاق والامساك نقيضه ومعنى الامساك بالمعروف
هو ان يراجعها لا على قصد المضارة بل على قصد الاصلاح ومعنى التسريح باحسان قيل هو ان يوقع عليها الطلقة الثالثة روي انه لما نزل قوله تعالى الطلاق
مرتان قيل له ص فاين الثالثة فقال هو قوله او تسريح باحسان وقيل هو ان يترك المراجعة حتى تبين بانقضاء العدة ويروى عن الضحاك والسدي وهو
اقرب لولا الخبر الذي رويناه لان الفاء في قوله فان طلقها يقتضي وقوع هذه الطلقة متاخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة
الثالثة لكان قوله فان طلقها رابعة انه غير جائز وايضا لو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الاية متناولة لجميع الاقسام لانه بعد الطلقة الثانية
اما ان يراجعها وهو قوله فامساك بمعروف او لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي عدتها وتحصل البينونة وهو قوله او تسريح باحسان او يطلقها
وذلك قوله فان طلقها فلو جعلنا التسريح طلاقا لزم اهمال احد الاقسام وتكرير بعضها واما الحكمة في اثبات حق الرجعة فهي ان النعم مجهولة
اذا فقدت عرفت فلو كان الطلقة الواحدة مانعة عن الرجعة فربما تظهر المحبة بعد المفارقة وعظمت المشقة ثم ان كمال التجربة لا يحصل بالمرة الواحدة
فلهذا اثبت حق المراجعة بعد المفارقة مرتين ليجرب الانسان احوال قلبه فان كان الاصلح الامساك راجعها وامسكها بالمعروف وان كان الاصلح
تسريحها سرحها على احسن الوجوه وهو ان يؤدي حقوقها المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها وهذا التدريج والترتيب يدل
على كمال رأفته بعبيده الحكم الرابع من احكام الطلاق بيان الخلع في ذلك قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا مما اعطاها من المهر والثياب
وسائر ما تفضل به عليها لانه ملك بضعها واستمتع بها في مقابلة ما اعطاها الا اذا فارقها على عوض وبدل فيه النهي من ان يضيق عليها
ليلجئها الى الافتداء كما قال في سورة النساء ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والخطاب في قوله ولا يحل لكم للازواج وفي قوله فان خفتم
للائمة والحكام ويجوز ان يكون الخطاب الاول ايضا للائمة لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون روي
ان الاية نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وفي سنن ابي داود ان المراة كانت حبيبة بنت سهل الانصارية كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه اشد البغض وكان يحبها اشد الحب فاتت رسول الله ص وقالت فرق بيني وبينه والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت مرها فلترد علي
الحديقة التي اعطيتها فقال لها ما تقولين قالت نعم وازيده فقال ص لا حديقته فقط ثم قال لثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل و
كان ذلك اول خلع في الاسلام ومعنى قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية
واختلفوا في مقدار ما يجوز به الخلع فعن الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس انه لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي كرم الله وجهه لقوله

ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم قال فلا جناح عليهما اي فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت
نفسها واختلعت به فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها ولقوله صلى الله عليه وسلم لا حديقته فقط حين قالت جميلة نعم وازيده لان ذلك اجحاف بجانب المرأة و
اضرار بالمرأة بعد ما استبيح من بضعها ولهذا قال سعيد بن المسيب لا يأخذ الا دون ما اعطاها حتى يكون الفضل له واما سائر الفقهاء فانهم قالوا
الخلع عقد معاوضة فينبغي ان لا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة عند النكاح ان لا ترضى الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج ان لا يرضى عند المخالعة
الا بالبدل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستخفاف بالزوج حيث اظهرت بغضه وكراهته ويتأكد هذا بما روي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى
عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها وقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال عمر لزوجها اخلعها
ولو بقرطها حتى قرطها ولهذا قال قتادة يعني بمالها كله وقيل هو من قولهم خذه ولو بقرطي مارية وذلك انه كانت فيهما دُرّتان قيمتهما اربعون
الف دينار ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق عند اكثر المجتهدين لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا جاز
لها ان تهب مهرها من غير ان يحصل لنفسها شيئا بازاء ما بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير بسببه مالكة لنفسها اولى وذهب الزهري والنخعي
وداود الى انه لا يباح الخلع الا عند الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله كما في الاية وان وقع الخلع في غير هذه الحالة فالخلع فاسد والجمهور على
انه لا كراهة في الخلع ان جرى في حال الشقاق وكانت تكره صحبته لسوء خلقه او دينه كما في الاية او تحرجت عن الاخلال ببعض حقوقه لما بها
من الكراهة فافتدت لتتخلص منه وان كان الزوج يكره صحبتها فاساء العشرة ومنعها بعض حقها حتى ضجرت وافتدت فالخلع مكروه وان كان
نافذا والزوج مأثوم بما فعل والخلع المباح هو ان تكون المرأة بحيث تخاف الفتنة على نفسها والزوج يخاف انها اذا لم تطعه اعتدى عليها
ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن كما سبق في قوله فمن خاف من موص جنفا ومن قرأ الا ان يخافا على البناء للمفعول جعل الا يقيما بدلا من الف
الضمير بدل الاشتمال مثل خيف زيد تركه اقامة حدود الله ثم الفرقة الحاصلة على العوض ان كان بلفظ الطلاق فهو طلاق وان لم يجر الا لفظ الخلع
فللشافعي فيه قولان الجديد انه طلاق ينتقص به العدد واذا خالعها ثلث مرات لم ينكحها الا بمحلل ويروى هذا عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه
قال ابو حنيفة ومالك واختاره المزني ووجهه انها فرقة لا يملكها غير الزوج فيكون طلاقا كما لو قال انت طالق على كذا ولانه لو كان فسخا لما صح بالزيادة
على المهر المسمى كالاقالة في البيع واذا خالعها ولم يذكر المهر وجب ان يرد عليها المهر كالاقالة فان الثمن يجب رده وان لم يذكراه والقديم انه فسخ لا ينتقص
به العدد ويجوز تجديد النكاح بعد الخلع من غير حصر يروى هذا عن ابن عمر وابن عباس قالوا لانه لو كان طلاقا وقد قال عقيبه فان طلقها فلا تحل
له من بعد لكان الطلاق اربعا ولان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت في مخالعة امرأته ولم يستكشف عن الحال مع ان الطلاق في زمان الحيض وفي الطهر الذي حصل
الجماع فيه حرام ولما روى عكرمة عن ابن عباس ان امرأة ثابت بن قيس لما اختلعت منه جعل النبي صلى الله عليه وسلم عدتها حيضة ولو كانت مطلقة لم يقتصر لها
على قرء واحد تلك اي المذكورات من احكام الطلاق حدود الله فلا تعتدوها فلا تتجاوزوا عنها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
والظالم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم عليه يكون جاريا مجرى الوعيد كيف لا والظالم ملعون الا لعنة الله على الظالمين ثم انه ظلم من الانسان
على نفسه حيث اقدم على المعصية وظلم على الغير ايضا بتقدير ان لا تتم المرأة عدتها او كتمت شيئا مما خلق في رحمها او ترك الرجل الامساك بالمعروف
او التسريح باحسان او اخذ من جملة ما آتاها شيئا الا بسبب نشوز من جهة المرأة الحكم الخامس من احكام الطلاق بيان ان الطلقة الثالثة قاطعة لحق
الرجعة وذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره والسبب في ايقاع آية الخلع بين آية الرجعة وبين هذه بعد ما مر من مناسبتها
للتسريح باحسان هو ان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة ومعنى الآية فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد ذلك التطليق
حتى تنكح اي تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان اي لها زوج منهم هذا عند من يفسر
قوله الطلاق مرتان بالطلاق الرجعي واما عند من يفسره بان التطليق الشرعي الذي يوقع على التفريق فالمعنى عنده انه ان طلقها الطلاق الموصوف
بالتكرير في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه فلا تحل له من بعد ذلك حتى تنكح زوجا غيره ومذهب جمهور المجتهدين ان النكاح ههنا بمعنى
الوطي لان قوله زوجا يدل على العقد وقد نقلنا هذا عن ابي علي فيما سلف في تفسير قوله ولا تنكحوا المشركات ويؤيده هذا ما روي عن عائشة ان
امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك كنى بالعسيلة عن لذة الجماع وانما انث لان من العرب من يؤنث العسل
ويروى انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال
ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها وايضا المقصود من توقيف حصول الحل على هذا الشرط زجر الزوج عن الطلاق لان الغالب ان الزوج يستنكر
ان تفترش زوجته رجلا آخر ولهذا قال بعض اهل العلم انما حرم الله على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكحن زوجا غيره لما فيه من الغضاضة ومعلوم ان هذا الزجر انما
يحصل بتوقيف الحل على الدخول فاما مجرد العقد فليس فيه منه زيادة نفرة فلا يصلح جعله مانعا وزاجرا ثم قال الشافعي اذا طلق زوجته واحدة او ثنتين
ثم نكحت زوجا آخر واصابها ثم عادت الى الاول بنكاح جديد لم يكن له عليها الا طلقة واحدة وهي التي بقيت من الطلقات لان هذه طلقة ثالثة حيث

انما وجدت بعد طلقتين والطلقة الثالثة توجب الحرمة الغليظة وقال ابو حنيفة بل يملك عليها ثلثا كما لو نكحت زوجا بعد الثلث واذا تزوج
لغيره بالمطلقة ثلثا على انه اذا احلها للاول بان اصابها فلا نكاح بينهما فهذا نكاح متعة باجل مجهول وهو باطل ولو تزوجها بشرط ان يطلقها
اذا احلها للاول ففيه قولان احدهما لا يصح والثاني يصح ويبطل الشرط وبه قال ابو حنيفة ولو تزوجها مطلقا مضمرا انه اذا احلها طلقها فالنكاح
صحيح ويكره ذلك ويأثم به وقال مالك واحمد والثوري هذا النكاح باطل وحيث حكمنا بفساد النكاح فالوطي لا يقع به التحليل على الاصح وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما فان طلقها اي الزوج الثاني الذي تزوجها بعد الطلقة الثالثة فلا جناح
عليهما على المرأة المطلقة والزوج الاول ان يتراجعا بنكاح جديد الى ما كانا عليه من النكاح فهذا تراجع لغوي وظاهر الاية يقتضي ان يحل للزوج
الاول هذا التراجع عقيب ما يطلقها الزوج الثاني من غير عدة بدلالة فاء التعقيب في قوله فلا جناح عليهما ولهذا ذهب سعيد بن المسيب الى
ان النكاح ههنا بمعنى العقد وانما التحليل يحصل بمجرد العقد لان الوطي لو كان معتبرا لكانت العدة واجبة والجواب ان الاية مخصوصة بقوله تعالى
والمطلقات يتربصن ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما وفي غالب ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لانه لا يجوز ان يفسر
الظن ههنا بالعلم لان اليقين في الاستقبال مغيب عن الانسان فان لم يحصل هذا الظن وخافا عند المراجعة من نشوز منها واضرار منه
فالرجوع مذموم الا انه يصح شرعا من قرأ نبينها بالنون فمن طريقة الالتفات والنون للتعظيم ومن قرأ بالياء فظاهر وصيغة المضارع اريد بها
ههنا الحال فلا اشكال وجوز بعضهم ان يكون المراد بها الاستقبال وذلك ان النصوص التي تقدمت اكثرها عامة يدخل فيها التخصيص وذلك يعرف
بالسنة فكان المراد والله اعلم ان هذه الاحكام التي تقدمت هي حدود الله وسيبينها الله على لسان نبيه كمال البيان فهو كقوله تعالى وانزلنا اليك
الذكر لتبين للناس وانما خص البيان بالعلماء لانهم هم المنتفعون بذلك ثم انه تعالى لما بين الاحكام المهمة للطلاق [illegible] لحكمي الامساك والتسريح
بيانا اخر في ايتين متعاقبتين لان حالة الامرين في الطلاق يؤل الى احد هذين الاولى قوله سبحانه واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل ويتسع في البلوغ
ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقول الرجل لصاحبه اذا بلغت مكة فاغتسل بذي طوى يريد به مشارفة البلوغ فهذا من باب المجاز الذي
يطلق فيه اسم الكل على الاكثر ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له
عليها فامسكوهن بمعروف فراجعوهن من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف فخلوها حتى تنقضي عدتها وتبين منه لما امر بعد الطلاق
باحد الامرين استانف حكم كل منهما وقدم حكم الامساك على طريقة النهي لان الامر لا يتناول الا مرة واحدة فلعله يمسكها بمعروف في الحال لكن في قلبه
ان يضارها في الاستقبال والنهي لا يتمثل الا اذا انتهى في كل الاوقات فيكون ادل على الدوام والثبات فقال ولا تمسكوهن ضرارا مضارة تشتمل على
النفرة والعداوة كلها وروى ان الرجل كان يطلق المرأة ثم يدعها فاذا قارب انقضاء القرء الثالث راجعها وهكذا يفعل بها في العدة تسعة اشهر او اكثر
وقيل الضرار سوء العشرة وقيل تضييق النفقة وكانوا يفعلون في الجاهلية اكثر هذه الافعال رجاء ان تختلع المرأة منه بمالها ومعنى قوله لتعتدوا اي
لتضاروهن ليكون عاقبة امركم الاعتداء كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا او لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن فتكونون عصاة
لتلك المعصية وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله وبتفويته عليها منافع الدنيا والدين اما الدنيا
فلانه اذا اشتهر بتلك المعاملة لم يرغب في التزويج منه ولا في معاملته احد واما منافع الدين فالثواب الحاصل على حسن العشرة مع الاهل وعلى الانقياد
لاحكام الله تعالى وتكاليفه ولا تتخذوا آيات الله هزوا فمن قربانه يجب طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصلت اليه هذه التكاليف المذكورة في ابواب العدة
والرجعة والخلع وترك المضارة ولم يتشمر لادائها كان كالمستهزئ بها او المراد لا تتهاونوا بتكاليف الله كما يتهاون بما يكون من باب الهزء والعبث عن
ابي الدرداء كان الرجل يطلق في الجاهلية ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنزلت فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلث جدهن جد وهزلهن جد
الطلاق والنكاح والرجعة وروي الطلاق والعتاق والنكاح وعن عطاء المعنى ان المستغفر من الذنب كان مصرا عليه او على مثله كان كالمستهزئ بايات
الله ثم انه تعالى لما رغبهم في اداء التكاليف بما ذكر من التهديد رغبهم ايضا في ادائها بان ذكرهم اقسام نعمه عليهم فبدأ اولا بذكرها على الاجمال فقال
واذكروا نعمة الله عليكم وهذا يتناول كل نعمة لله على العبد في الدنيا والدين وقيل المراد بها الاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم خصص نعم الدين بالذكر لانها
فقال وما انزل عليكم عطفا على النعمة من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به في محل النصب حال مما انزل
او من فاعل انزل ويحتمل ان يكون ما انزل الصلة والموصول مبتدا وقوله يعظكم به خبره واتقوا الله في اوامره ونواهيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم
فيه وعد ووعيد وترغيب وترهيب الثاني وهو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة قوله عز من قائل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بلوغ الاجل ههنا
على الحقيقة عن الشافعي دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن لا تحبسوهن ولا تضيقوا عليهن واصل العضل الضيق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وعضلت الارض بالجيش اذا ضاقت بهم لكثرتهم واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم والعضلة اللحمة المجتمعة المكتنزة في
عصبة والخطاب للازواج الذين يمنعون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية من ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون
لهن اذا تراضوا اي الرجال والنساء تراضيا واقعا بينهم بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط كالعقد الحلال والمهر الجائز والشهود العدول

قبل مهر المثل وفرعوا عليه مسئلة فقهية وهو ان مذهب ابي حنيفة وهي انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فالنكاح صحيح لكن للولي ان يعترض عليها
بسبب النقصان عن المهر وقالوا ليس عن الاولياء بل لان نساء العشيرة يتضررن بذلك فقد يعيرهن ويقل مهورهن بمهرها وزعم كثير من المفسرين ان الخطاب
في قوله فلا تعضلوهن للاولياء لما روى البخاري في صحيحه ان معقل بن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا
ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها
وزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت فلما خطبت الي تأتيني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحتها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية فكفرت
عن يميني وانكحتها اياه وعن مجاهد والسدي ان جابر بن عبد الله كانت له بنت عم فطلقها زوجها واراد رجعتها بعد العدة فابى جابر فنزلت والجواب ان
رعاية نظم كلام الله اولى من محافظة خبر الواحد لا يخفى تفكك النظم لو قيل واذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن ايها الاولياء لانه لا
يبقى بين الشرط والجزاء مناسبة قالوا ليس بعد انقضاء العدة قدرة للزوج على عضل المرأة والجواب انه قد يعتمد على الظلم وقد يجحد الطلاق او يدعي انه
كان راجعها في العدة او يدس الى من يخطبها بالوعيد والتهديد او يسيء القول فيها الى ان ينفر الناس عنها قالوا ان ينكحن ازواجهن يدل على ان الاولياء كانوا
يمنعونهن من العود الى المطلقين الذين كانوا ازواجهن والجواب ان العرب قد تسمي الشيء بما يؤول اليه فالمراد من يريدون ان يتزوجنهم فيكونوا ازواجا
لهن وقيل الوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين ثم ان الشافعي تمسك بالاية
في ان النكاح لا يجوز الا بولي لانه لو جاز للمرأة ان تتزوج نفسها او توكل من يزوجها لما كان الولي قادرا على عضلها من النكاح وهذا مبني على ان
الخطاب في لا تعضلوهن للاولياء وفيه ما فيه ولو سلم فلم لا يجوز ان يكون الاستبداد الشرعي حاصلا لهن لكن يمنعها الولي من بعض الجهات التي قلنا
في الزوج سابقا فثبوت العضل في حق الولي ممتنع لانه مهما عضل تعزلها اذا تعزل لا يبقى لعضله اثر وتمسك ابو حنيفة بقوله تعالى ان ينكحن ازواجهن
على ان النكاح بغير ولي جائز وذلك انه تعالى اضاف النكاح اليها اضافة الفعل الى فاعله والتصرف الى مباشره ونهى الولي عن منعها من ذلك ولو كان ذلك
التصرف فاسدا لما نهى الولي عن منعها منه ويتأكد هذا النص بقوله حتى تنكح زوجا غيره والجواب ان الفعل كما يضاف الى المباشر فقد يضاف ايضا الى
المتسبب كقوله بنى الامير دارا وانما ذهبنا الى هذا لان مجاز الدلالة الحديث على بطلان هذا النكاح هذا واما قوله ذلك يوعظ به فالخطاب فيه اما للرسول
ولكل احد على الانفراد كما ان الخطاب في قوله في سورة الطلاق ذلكم يوعظ به للمكلفين مجموعين وقوله من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر تخصيص
لهم بالوعظ لانهم هم المنتفعون بذلك ومن استدل بهذا على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع يكذبه التكاليف العامة كقوله ولله على الناس
حج البيت والتيم لا يلزم من تخصيص العظة بالمؤمنين تخصيص التكليف بهم ذلكم ازكى لكم اي انمى وهو اشارة الى استحقاق الثواب الدائم واطهر من
ادناس الاثام والله يعلم وانتم لا تعلمون لان علمه تعالى فعلي كامل وعلمنا انفعالي ناقص فقد يخفى المصلحة والعاقبة علينا او يشتبه المصلحة بالمفسدة
فلا صلاح للمكلف الا في طاعة علام الغيوب ليحوز سعادة الدارين والله ولي التوفيق التأويل انه سبحانه من كمال الكرم والاستغناء اذا صدر من العبد ما
النشوز والانقطاع امهله الى انقضاء عدة الجفاء فلعله يعود الى اقامة شرائط الوفاء ويتحرك داعية في صميم قلبه من نتائج محبة ربه اذ لم يكن له
ان يكتم ما خلق الله في رحم قلبه من المحبة وان ابتلاه الله بمحنة الفرقة فيقرع باصبع الندامة باب التوبة ويقوم على قدم الغرامة في طلب الرجعة الا
فيقال له من غاية الفضل والنوال يا قارع الباب دع نفسك وتعال من طلب منا فلاحا فليلزم عتبتنا مساء وصباحا وبعولتهن احق بردهن في ذلك
ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن اي للعباد حقوق في ذمة كرم الربوبية كما ان لله تعالى حقا في ذمة عباده فاذا تقرب العبد اليه شبرا فالله احق
برعاية الحق فيتقرب اليه ذراعا والفضل له على الاطلاق لا بدرجة بل بدرجات غير متناهية والله عزيز اعز من ان يراعي العباد مع عجزهم كمال الحقوق
حكيم لا يقتضي حكمته ان يطالبهم بما ليس في وسعهم بل يقبل منهم القليل ويوفيهم الثواب الجزيل الطلاق مرتان يعني اهل الصحبة لا يفارقون بجريمة
وجريمتين كما في قصة موسى والخضر ثم في الثالثة ان سلكوا سبيل الهجران فلا يحل للاخوان ان يواصلوا الخوان حتى يصاحب اخر صديقا مثله
فان ندم بعد ذلك عن فعاله وسام ذلك الصديق وما مثاله رجع الى صحبة اشكاله فلا جناح في التراجع ان ظنا فيه خيرا ولا يجوز لاحد من الاخوان
ان يعضله من صحبة الاقران فيه ان الله تعالى يتجاوز عن زلات العبد مرة بعد اخرى فاذا اصر العبد ابتلاه بالخذلان وجعله قرين الشيطان كما قال
ومن يعش عن ذكر الرحمن فان طلق قرين الشيطان ورجع الى باب الرحمن تداركه بالغفران والرضوان واما قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما
آتيتموهن شيئا فاشارة الى انه ليس لاهل الصحبة وان اتفقت المفارقة ان يستردوا خواطرهم عن الوفاء بالكلية فان العائد في هبته كالكلب
يعود في قيئه الا ان يؤدي الى مداهنة واهمال حق من حقوق الدين فلا جناح عليهما فيما افتدت به كان لم يكن بينهما صحبة والله ولي التوفيق

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ
ومادران شیر میدهند فرزندان خود را در مدت دو سال تمام آن برای کسی که میخواهد که تمام سازد شیر دادن را و بر پدر که فرزند مر او راست روزی ایشان و پوشش ایشان
بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ
بطور معروف تکلیف نمیشود هیچ نفسی مگر بقدر وسعت آن ضرر نرسد بوالده در ان ولد و نه از پدر بفرزند خویش و بر وارث است مانند همین
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
پس اگر خواستند جدایی یعنی انقطاع از شیر بخواهش و مشورت یکدیگر پس در انقضای مدت باکی بر ایشان نیست و اگر خواستید که دایه دهید تا شیر دهند فرزندان شما را پس باکی نیست

عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ

بر شما چون تسلیم کردید بر اوضع آنچه را اراده دادید بنوع متعارف و بپرهیزید خدا را و بدانید که بدرستی که خدا بآنچه میکنید بینا است و آنان که میمیرند از شما

وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ

و وا گذارند زنها را فرمان خیالات که انتظار کشند خودشان را در مدت چهار ماه و ده روز پس چون که رسیدند بمنتهای مدت پس باکی نیست بر شما در آنچه کرده اند

فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ

در نفسهای خود بنوع شناخته شده و خدا بآنچه میکنید باخبر است و باکی نیست بر شما در آنچه که متعرض بآن از خواستگاری زنان یا آنکه پنهان کردید

فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا

در نفسهای خود میداند خدا که شما زود است که عنقریب یاد ایشان را و لیکن وعده مدهید ایشان را در خفیه بجز آنکه بگوئید گفتاری شناخته شده و آماده نشوید

عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

بستن نکاح را تا آنکه برسد مدت عده بآخر و بدانید که بدرستی که خدا میداند هر آنچه در ضمیر شما است پس بترسید از او و بدانید که خدا آمرزنده

حَلِيمٌ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَ

بامهلت است باکی نیست بر شما اگر طلاق دهید زنها را مادامیکه مباشرت نکرده اید ایشان که قرار دهید برای ایشان حصه و بهره دهید ایشان را بر مالدار است اندازه خودش و

عَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً

بر تنگدست اندازه او بهره متداول و این ثابت است بر نیکوکاران و اگر طلاق دهید زنها را پیش از آنکه مباشرت کنید با ایشان و حال آنکه قرار داده اید برای ایشان حصه

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ

پس نصف آنچه قرار داده اید ثابت است مگر آنکه درگذرند زنها یا درگذرد آنکه در دست اوست بستن نکاح و درگذشتن از آن نزدیکتر است بپرهیزکاری و فراموش مکنید فضل

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ القراءة لا تضار بضم الراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون بفتح الراء ولا خلاف في قوله

را میان خودتان بدرستی که خدا بآنچه میکنید بینا است

في قوله ولا يضار كاتب بالفتح ما اتيتم مقصورا ابن كثير الباقون بالمد يتوفون بفتح الياء وما بعده المفضل الباقون بضم الياء الدنساء اوبهرتين عاصم علي وحمزه وخلف وابن عامر الباقون النساء بوو روى الخزاعي وابن شنبوذ عن اهل مكة النساى او تماسوهن حيث وقع علي وحمزه وخلف الباقون تمسوهن قدره بالتحريك يزيد وابن ذكوان وروح وحمزه وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بالاسكان الوقوف الرضاعة ط بالمعروف ط وسعها ج لاستيناف اللفظ مع قرب المعنى مثل ذلك ج عليهما ط لابتداء الحكم في استرضاع الاجنبية بالمعروف ط بصير وعشرا ج بالمعروف ط خبير في انفسكم ط معروفا ط اجله ط لابتداء الامر فاحذروه ج للفصل بين موجبي الخوف والرجاء ولهذا كررت كلمة واعلموا لتقدم غفور حليم فارجوه والوقف اليوحليم فريضة ج لعطف المختلفين ومتعوهن ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى لان الجملة الثانية لتقدير المامور في الاولى قدره الثاني ج لان متاعا مصدر متعوهن الوقف لبيان انه غير متصل بما يليه من الجملتين العارضتين بالمعروف ج لان حقا يصلح نعتا للمتاع اي متاعا ويصلح مصدر المحذوف اي حق ذلك حقا المحسنين النكاح ط للتقوى ط بينكم ط بصير التفسير الحكم الثاني عشر الارضاع والوالدات قيل هن المطلقات والمزوجات لان ظاهر اللفظ مشعر بالعموم وقيل المطلقات ولهذا ذكرت عقيب آية الطلاق وتحقيقه انه اذا حصلت الفرقة استتبعت التباغض والتعاند المفضي الى ايذاء الولد لان ايذاء الولد ربما رغبت في الزوج بزوج آخر فيهمل امر الطفل فندب الله تعالى الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال والاهتمام بشانهم وايضا انه تعالى قال في الآية وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ولو كانت الزوجية باقية لوجب ذلك بالزوجية لا للرضاع ذكره السدي وقال الواحدي في البسيط الاولى ان يحمل على المزوجات في حال بقاء النكاح لان المطلقة لا تستحق النفقة وانما تستحق الاجرة ثم ان النفقة والكسوة يجبان في مقابلة التمكين فاذا اشتغلت بالارضاع والحضانة لم تتفرغ لخدمة الزوج فلعل متوهما يتوهم ان مؤنتها قد سقطت بالخلل الواقع في الخدمة فازيل ذلك الوهم بايجاب الرزق والكسوة وان اشتغلت بالارضاع ويرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد وهذا الامر على سبيل الندب بدليل قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الارضاع لم تستحق الاجرة وانما كان ندبا من حيث ان تربية الطفل بلبن الام اصلح ولان شفقتها اكثر ولا يجوز استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة ومعتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق وقد يجب الارضاع على الام اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه ولم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار حولين اي عامين التركيب يدل على الانقلاب فالحول ينقلب من الوقت الاول الى الثاني وكاملين توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه يقال اقمت عند فلان حولين وانما اقام حولا وبعض الآخر وليس التحديد بايجاب لقوله تعالى بعد ذلك لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الارضاع او اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه ثم المقصود من ذكر التحديد قطع التنازع بين الزوجين اذا تنازعا في مدة الرضاعة فان اراد احدهما ان يفطمه قبل الحولين لم يرض الآخر لم يكن له ذلك اما اذا اجتمعا على ان يفطما قبل تمام الحولين فلهما ذلك وايضا فللرضاع حكم خاص في الشريعة وهو قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فيعلم من التحديد بدان

الارضاع ما لم يقع في هذا الزمان لا يفيد هذا الحكم هذا هو مذهب الشافعي وبه قال علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعلقمة والشعبي والزهري وعن ابي حنيفة
ان مدة الرضاع ثلثون شهرا وقرئ ان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل اي في المصدر لان كلمة ما تارة تقع مصدرية فلا تنصب
وقرئ الرضاعة بكسر الراء وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم انما قيل المولود له دون
الوالد ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وفيه تنبيه على ان الولد انما يلحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه كما قال ص
الولد للفراش وفيه ان نفع الاولاد عائد الى الاباء فيجب عليهم رعاية مصالحه كما قيل كله لك فكله عليك فعليهم رزقهن وكسوتهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر
الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذه المعاني مقصودة وذلك قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
بالمعروف تفسيره ما يليه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه لا يتضاروا ثم المعروف في هذا الباب قد يكون محدودا بالشرط وعقد وقد يكون
غير محدود الا من جهة العرف لانه اذا قام بما يكفيها في طعامها وكسوتها فقد استغنى عن تقدير الاجرة اذ لو كان ذلك ناقصا عن قدر الكفاية لحقها ضرر
من الجوع والعري ويتعدى ذلك الضرر الى الولد وفي الاية دليل على ان حق الام اكثر من حق الاب لانه ليس بين الام والطفل واسطة وبين الاب وبينه واسطة
فانه يستأجر المرأة على الارضاع والحضانة بالنفقة والكسوة والتكليف الالزام قيل اصله من الكلف وهو اثر على الوجه فمعنى تكلف الامر اجتهد
ان يبين فيه اثره وكلفه الزمه ما يظهر فيه اثره والوسع ما يسع الانسان ولا يعجز عنه لهذا قيل الوسع فوق الطاقة من قرأ لا تضار بالرفع فعلى
الاخبار في معنى النهي ويحتمل البناء للفاعل والمفعول على الاصل لا تضارر ولا تضارر بكسر الراء وفتحها ومن قرأ بالفتح فعلى النهي صريحا ويحتمل البنائين ايضا
ويتبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وكسر الراء الاولى وفتحها والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه
ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بسبب التفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا ونحو ذلك ولا يضار مولود له
امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من الرزق والكسوة او يأخذه منها وهي تريد ارضاعه او يكرهها على الارضاع وهكذا اذا كان
مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويحتمل ان يكون تضار بمعنى تضر والباء من صلته
اي لا تضر والدة بولدها بان تسيء غذاءه وتعهده او تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر
في شأنها فتقصر هي في حق الولد انما قيل بولدها وبولده لان المرأة لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها
فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد قوله سبحانه وعلى الوارث مثل ذلك للعلماء فيه اقوال من حيث انه تقدم ذكر الوالد والولد والوالدة واحتمل في
الوارث ان يكون مضافا الى كل واحد من هؤلاء فعن ابن عباس ان المراد وارث الاب وقوله وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وما بينهما تفسير للمعروف فالمعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه
في ان يرزقها ويكسوها بالشرط المذكور من العدل وتجنب الضرار وقيل المراد وارث الولد الذي لو مات الصبي ورثه فيجب عليه عند موت الاب كل ما
كان واجبا على الاب هذا قول الحسن وقتادة وابي مسلم والقاضي ثم اختلفوا في انه اي وارث هو فقيل العصبات دون الام والاخوة من الام وهو قول
عمر والحسن ومجاهد وعطاء وسفيان وابراهيم وقيل هو وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث عن قتادة وابن ابي ليلى وقيل على
الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون غيرهم من ابن العم والمولى عن ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد اي الاب والابن وقيل المراد
من الوارث هو الصبي نفسه انه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه
قيل المراد من الوارث الباقي من الابوين كما في الدعاء المروي واجعله الوارث منا اي الباقي وهو قول سفيان وجماعة فان ارادا فصالا اي فطاما
وليس من باب المفاعلة وانما هو مثال على فعال كالغشاء والاباء وذلك ان الولد ينفصل عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وعن ابي مسلم
يحتمل ان يكون المراد من الفصال ايقاع المفاصلة بين الولد والام اذا حصل التراضي والتشاور في ذلك ولم يرجع ضرر الى الولد وليكن الفصال صادرا
عن تراض منهما وتشاور مع ارباب التجارب واصحاب الرأي فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين لضعف في تركيب الصبي او نقصا لقوة فيه وانما وسعه
بعد التحديد لان الام قد تمل من الارضاع فتحاول الفطام والاب ايضا قد يمل اعطاء الاجرة على الارضاع فيطلب الفطام دفعا لذلك لكنهما
قد يتوافقان على الاضرار بالولد لغرض النفس فلهذا اعتبرت المشاورة وحينئذ يبعد موافقة الكل على ما يكون فيه ضرار الولد وان اتفقوا على الفطام
قبل الحولين وهذه غاية العناية من الرب بحال الطفل الضعيف ثم مع اجتماع الشروط لم يصرح بالاذن بل نفى الحرج فقط ثم لما بين حكم الام وانها
احق بالرضاع بين انه يجوز العدول في هذا الباب عنها الى غيرها فقال وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم المراضع فلا جناح عليكم يقال
ارضعت المرأة الصبي استرضعها الصبي بزيادة السين مفعولا ثانيا كما يقول انجح الحاجة واستنجحته اياها فحذف احد المفعولين للعلم به والتقدير ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف اللام للعلم به مثل واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم ومن موانع الارضاع للام ما اذا تزوجت
بزوج آخر فقيامها بحق ذلك الزوج يمنعها عن الارضاع ومنها انه اذا طلقها الزوج الاول فقد تكره الارضاع ليتزوج بها زوج آخر ومنها ان تأبى
المرأة قبول الولد ايذاء للزوج المطلق ومنها ان تمرض او ينقطع لبنها فعند احد هذه الامور اذا وجد نا مرضعة اخرى وقبل الطفل لبنها جاز العدول
عن الام الى غيرها فان لم نجد مرضعة اخرى او وجدنا ولكن لا يقبل الطفل لبنها فالارضاع واجب على الام اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما آتيتموه

في عدة الوفاة

المرأة اي ما اردتم ايتاءه مثل اذا قمتم الى الصلوة ومن قرأ ما اتيتم بالقصر فهو من اتى اليه احسانا اذا فعله كقوله انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة وليس التسليم شرطا للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى فيه حث على ان الذي
يعطي المرضعة يجب ان يكون يدا بيد حتى يكون اهنأ واطيب لنفسها الجامع في شان الصبي لهذا قيد التسليم بان يكون بالمعروف وهو ان يكونوا مستبشري
الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن قطعا لمعاذيرهن ثم اكد الجميع بان ختم الاية بنوع من التحذير فقال واتقوا الله واعلموا
ان الله بما تعملون بصير الحكم الثالث عشر عدة الوفاة والذين يتوفون ومعناه يموتون ويقبضون قال الله يتوفى الانفس حين موتها واصل
التوفي اخذ الشيء كاملا وافيا وبني للمفعول ومعناه ما قلنا وللفاعل ومعناه استوفى اجله ورزقه عليه قراءة علي يتوفون بفتح الياء والذي
يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله فكان احد الاسباب الباعثة لعلي على ان امره بان يضع
كتابا في النحو فلعل السبب ان ذلك الشخص لم يكن بليغا وهذا المعنى من مستعملات البلغاء فلهذا لم يعتد بقوله وحمله على متعارف الاوساط ويذرون
يتركون ولا يستعمل منه الماضي والمصدر استغناء عنهما بتصاريف ترك والازواج ههنا النساء يتربصن بانفسهن اربعة اشهر مثل قوله يتربصن
بانفسهن ثلاثة قروء وقد مر وعشرا اي يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وانما قيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها قال
في الكشاف ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام وقيل فيه سبب التغليب مبدأ الشهور من الليل والاوائل تقوى من الثواني وايضا
هذه الايام ايام الحزن وايام المكروه خليقة ان تسمى ليالي استعارة او المراد عشر مدد كل منها يوم بليلته وذهب الاوزاعي والاصم الى ظاهر الاية واذا
انقضت لها اربعة اشهر وعشر ليال حلت للازواج ونقل عن الحسن وابي العالية انه تعالى انما حد العدة بهذا القدر لان الولد ينفخ فيه الروح في العشر بعد الاربعة
قلت ولعل هذا من الامور التي لا يعقل معناها كاعداد الركعات ونصب الزكوات وانما الله ورسوله اعلم بذلك وهذه العدة واجبة على كل امرأة مات
زوجها الا اذا كانت امة فان عدتها نصف عدة الحرة عند اكثر الفقهاء وعن الاصم ان عدتها عدة الحرة تمسكا بظاهر عموم الاية وقياسا على وضع الحمل
والا اذا كانت المرأة حاملا فانها اذا وضعت الحمل حلت وان كان بعد وفاة الزوج بساعة لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ولو زعم
قائل ان ذلك في الطلاق فليعول على قصة سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بنصف شهر فقال لها النبي صلعم حللت فانكحي من شئت وعن علي ع
انها تتربص ابعد الاجلين ولا فرق في عدة الوفاة بين الصغيرة والكبيرة وذات الاقراء وغيرها والمدخول بها وغيرها وقال ابن عباس لا عدة عليها قبل الدخول
ورد بعموم الاية ولهذا ايضا لم يفرق بين ان ترى المعتدة في المدة المذكورة دم الحيض على عادتها او لا تراه خلافا لمالك فانه قال لا تنقضي عدتها حتى ترى
عادتها من الحيض في تلك الايام مثل التي كانت عادتها فان كانت عادتها ان تحيض في كل شهر مرة فعليها في عدة الوفاة اربع حيض وان كانت عادتها ان
تحيض في كل شهرين مرة فعليها حيضتان وان كانت عادتها ان تحيض في كل اربعة اشهر مرة يكفيها حيض واحد وان كانت عادتها ان تحيض في كل خمسة
اشهر مرة فههنا يكفيها الشهور ثم مذهب الشافعي انها ان ارتابت استبرأت نفسها من الريبة كما في ذات الاقراء لو ارتابت وجب عليها ان تحتاط وتعتبر
المدة بالهلال ما امكن فان مات الزوج في خلال شهر هلالي والباقي اكثر من عشرة ايام فتعتد ما بقي وتحسب ثلاثة اشهر بعده بالاهلة وتكمل ذلك الباقي
ثلاثين وتضم بها عشرة ايام فاذا انتهت من اليوم الاخير الى الوقت الذي مات فيه الزوج فقد انقضت العدة وان كان الباقي دون عشرة ايام فتعتد به وتحسب
اربعة اشهر بالاهلة وتكمل الباقي عشرة من الشهر السادس وان كان الباقي عشرة ايام فتعتد بها وباربعة اشهر بالاهلة بعدها وان انطبق الموت على اول الهلال
فتعتد باربعة اشهر بالاهلة وبعشرة ايام من الشهر الخامس ثم اختلفوا في ان هذه المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فعن بعضهم ويوافقه جديد قول الشافعي
انها ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بانقضاء الايام في العدة لما روي ان النبي قال امرأة المفقود امرأته حتى يأتيها يقين موته وطلاقه وايضا فالنكاح
معلوم بيقين فلا يزال الا بيقين وقال الاكثرون السبب هو الموت فلو انقضت المدة او اكثرها ثم بلغها خبر وفاة الزوج وجب ان تعتد بما انقضى والدليل
عليه ان الصغيرة التي لا علم لها تكفي في انقضاء عدتها هذه المدة ثم المراد من تربصها بانفسها الامتناع عن النكاح بالاجماع والامتناع بها عن الخروج
عن منزلها الا عند الضرورة والحاجة والاحداد ويعني به ترك التزين بثياب الزينة وترك التحلي والتطيب والتدهن والاكتحال بالاثمد فيحرم عليها ان تختضب
بالحناء ونحو ذلك فيما يظهر من البدن كاليدين والرجلين والوجه ولا منع فيما تحت الثياب ولا منع من التزين في الفرش والبسط والستور واثاث البيت ومن التنظيف
بغسل الرأس والامتشاط وقلم الاظفار والاستحداد ودخول الحمام وازالة الاوساخ والعدة تنقضي وان تركت الاحداد ولكنها تعصي لما روي ان رسول الله
قال لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث ليال الا على زوج اربعة اشهر وعشرا وعن الحسن الشعبي انه غير واجب لان الحديث
يقتضي حل الاحداد لا وجوبه لكنه صلعم قال المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل والممشقة المصبوغة
بالمشق وهو الطين الاحمر وقد يحتج بقوله والذين يتوفون منكم من قال الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الشرائع والا لم يخص الخطاب في منكم بالمؤمنين والجواب
انما خصوا بالخطاب لانهم هم العاملون بذلك كقوله انما انت منذر من يخشاها مع انه منذر للكل ليكون للعالمين نذيرا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن فلا جناح عليكم ايها الاولياء لانهم الذين يتولون العقد او ايها الحكام وصلحاء المسلمين لانهن ان تزوجن في مدة العدة وجب على كل
احد منعهن عن ذلك فان عجز استعان بالسلطان وذلك لان المقصود من هذه العدة الامن من اشتمال فرجها على ماء زوجها الاول وقيل معناه
لا جناح عليكم وعلى النساء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالتزين والتطيب ونحوها مما تنفرد المرأة بفعله وفيه دليل على وجوب الاحداد

في بيان احداد عدة المتوفى زوجها

بالمعروف الوجه الذي يحسن عقلا وشرعا وقد يحمل اصحاب ابي حنيفة ههنا على التزويج فيستدلون به على جواز النكاح بلا ولي والجواب بعد تسليم ان المراد من الفعل
هو التزويج ان الفعل قد يسند الى المسبب مثل بنى الامير دارا وقد تقدم في قوله ان ينكحن ازواجهن ثم ختم الاية بالتهديد المشتمل على الوعد فقال والله
بما تعملون خبير الحكم الرابع عشر خطبة النساء وذلك قوله سبحانه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء والتعريض ضد التصريح ومعناه ان
تضمن كلامك ما يصلح للدلالة على المقصود وغير المقصود الا ان اشعاره بجانب المقصود اتم وارجح ولهذا قد يقال انه توسيق الكلام الى موضوع غير مذكور كما يقول المحتاج جئتك
لانظر الى وجهك الكريم ومنه قول الشاعر وحسبك بالتسليم مني تقاضيا واصله من عرض الشيء وهو جانبه كانه يحوم حوله ولا يظهره ولهذا قيل ان في المعاريض
لمندوحة من الكذب فهو قسم من اقسام الكناية والخطبة اصلها من الخطب هو الامر والشان خطب فلان فلانة اي سألها امرا وشانا في نفسها وكذا
في الخطبة والخطاب فان في كل منهما شانا ثم النساء على ثلثة اقسام احدها انه يجوز خطبتها تعريضا وتصريحا وهي الخالية عن الزوج والعدة الا اذا كان قد
خطبها اخو الجنس وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يخطب احدكم على خطبة اخيه فان وجد صريح الاباء او لم يوجد صريح الاجابة ولا صريح الرد فالاصح انه يجوز
خطبتها لان السكوت لا يدل على الرضا خلافا لمالك وثانيها ما لا يجوز خطبتها تعريضا ولا تصريحا وهي منكوحة الغير لان خطبتها ربما صارت سببا
للتشويش الامر على زوجها ولامتناع المرأة عن اداء حقوق الزوج اذا وجدت راغبا فيها وكذا الرجعية فانها في حكم المنكوحة بدليل انه يصح طلاقها
وظهارها ولعانها وتعتد منه عدة الوفاة ويتوارثان وثالثها ما يفصل في حقها بين التعريض والتصريح وهي المعتدة غير الرجعية سواء كانت معتدة
عن وفاة او عن طلقات ثلث او عن بائنة كالمختلعة او عن فسخ وسبب التحريم انها مستوحشة بالطلاق فربما الكذب في انقضاء العدة بالاقراء مسارعة
الى مكافاة الزوج واما المعتدة عن وفاة فظاهر الاية تدل على انها في حقها لانها ذكرت عقيب اية عدة الوفاة عنها زوجها ثم انه خص التعريض بعدم الجناح فوجب
ان يكون التصريح بخلافه ثم المعنى يؤكد ذلك وهو ان التصريح لا يحتمل غير النكاح فالغالب انه يحملها الحرص على النكاح على الاخبار عن انقضاء العدة قبل اوانها
بخلاف التعريض فانه يحتمل غير ذلك فلا يدعوها الى الكذب قال الشافعي والتعريض كثير كقوله رب راغب فيك او من يجد مثلك ولست بايم واذا حللت
فادعيني وعد اخرون من الفاظ التعريض ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو
ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه والتصريح ان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك عن ابي جعفر
محمد بن علي انه دخلت على امراة وهي في العدة فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال انما اخبرتك بقرابتي من نبي الله فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم
يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده فما كانت تلك خطبة او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم
لا معرضين ولا مصرحين اباح التعريض في الحال ولا ثم اباح ان يعقد قلبه على انه سيصرح بذلك بعد انقضاء العدة ثم ذكر الوجه الذي لاجله
اباح التعريض فقال علم الله انكم ستذكرونهن لان شهوة النفس اذا حصلت في باب النكاح لم يكد المرء يصبر عن النطق بما ينبئ عن ذلك فاسقط الله
تعالى عنه الحرج ثم قال ولكن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطي لانه مما يسر ثم عبر عن النكاح الذي
هو العقد لانه سببه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمعنى لا تواعدوهن مواعدة سرية الا مواعدة
الاحسان اليها والاهتمام بمصالحها حتى يصير ذكر هذه الاشياء مؤكدا لذلك التعريض فالمواعدة المنهي عنها اما ان يكون المواعدة في السر بالنكاح
فيكون نهيا من التصريح واما المواعدة بذكر الجماع كقوله ان نكحتك نلتك لاربعة والخمسة عن ابن عباس او كقوله عسى اجامعك فاذا اتممت
عدتك اظهرت نكاحك عن الحسن ويكون ذلك نهيا عن مسارة الرجل المرأة الاجنبية لان ذلك نوع ريبة وايضا ان يواعدها الا يتزوج باحد
سواه ويحتمل ان يكون السر صفة للموعود اي لا تواعدوهن بشيء يوصف بكونه سرا الا بان تقولوا قولا معروفا وهو التعريض وعن ابن عباس
هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر وعزم عليه والعزم عقد القلب على فعل من الافعال معناه ولا
تعزموا عقدة النكاح ان تعقدوها واذا نهى عن العزم فعن نفس الفعل اولى وقيل معنى العزم القطع اي لا تحققوا ذلك ولا توجبوه ومنه قوله
لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ويروى لم يبيت الصيام وقيل لا تعزموا عليهن ان يعقدن النكاح مثل عزمت عليك ان تفعل كذا واصل
العقد الشد والعهود والانكحة تسمى عقودا تشبيها بالحبل الموثوق بالعقد حتى يبلغ الكتاب اجله المراد منه المكتوب اي حتى يبلغ العدة المفروضة
اخرها وانقضت ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الفرض اي حتى يبلغ هذا التكليف نهايته ثم اتى الاية ببيان موجبي الخوف والرجاء كما تقدم الحكم الخامس
عشر حكم المطلقة قبل الدخول قبل فرض المهر وذلك قوله عز من قائل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة
واعلم ان عقد النكاح يوجب بدلا على كل حال وذلك البدل اما ان يكون مذكورا او غير مذكور فان كان مذكورا فان حصل الدخول استقر كله وعدتها
ثلثة قروء كما سبق وان لم يحصل الدخول سقط نصف المذكور بالطلاق كما يجيء في الاية التالية وان لم يكن البدل مذكورا فان لم يحصل الدخول
فحكمها في هذه الاية هو ان لا مهر لها ويجب لها المتعة وان حصل الدخول فحكمها غير مذكور في هذه الايات الا انهم اتفقوا على ان الواجب فيها مهر المثل
قياسا على الموطوءة بالشبهة بل اولى لوجود النكاح الصحيح فقد يستنبط حكمها من قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن ويحتمل ان يقال هذه
الاية تدل على انه لا مهر للتي لا تكون ممسوسة ولا مفروضا لها فيعرف من ذلك وجوب المهر للممسوسة غير المفروض لها وللمفروض لها غير الممسوسة وقد سلف

المسمّى المفروض لها فتبين اشتمال القرآن على احكام جميع الاقسام فان قيل ظاهر الاية مشعر بان نفي الجناح عن المطلق مشروط بعدم المسيس لم كذلك فانه
لا جناح عليه ايضا بعد المسيس قلنا لعل الاية وردت لبيان اباحة الطلاق على الاطلاق وهذا لان الطلاق لا يصح الا قبل المسيس اذ بعده الى ان يكون الطلاق
في طهر لم يجامعها فيه ولعل ما بمعنى التي لا للمدة والتقدير لا جناح عليكم ان طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهن ولا يلزم منه وجود الجناح في تطليق غيرهن او المراد
من الجناح في الاية لزوم المهر اي لا مهر عليكم ولا تبعة في تطليقهن فان الجناح في اللغة الثقل يقال اجنحت السفينة اذا مالت بثقلها ومما يؤكد ذلك انه
نفي الجناح ممدودا الى غاية هي ما المسيس او الفرض والجناح الذي يثبت عند احد هذين الامرين هو لزوم المهر فحصل القطع بان الجناح المنفي في اول الاية
هو لزوم المهر وايضا ان تطليق النساء قبل المسيس اما ان يكون قبل تقدير المهر او بعده ففي القسم الثاني وجب نصف المفروض كما يجيء فيجب ان يكون المنفي
في القسم الاول مقابل المثبت في الثاني وا تفقوا على ان المراد بالمسيس والمماسة في الاية الجماع ولا يخفى حسن موقع هذه الكناية وفيه تاديب للعباد في اختيار
احسن الالفاظ للتخاطب والتفاهم والفرض في اللغة التقدير اي تقدروا مقدارا من المهر معلوما وههنا ان رفع الجناح منوط بعدم المسيس او بعدم الفرض
على سبيل منع الخلو فقط ولهذا صح اجتماعهما في هذا الحكم وقيل انها بمعنى الواو وقيل بمعنى الا وقيل بمعنى حتى والكل تعسف ثم انه تعالى لما بين انها
لا مهر لها قبل المسيس والتسمية ذكر ان لها المتعة فقال ومتعوهن فذهب الشافعي وابو حنيفة الى انها واجبة نظرا الى الامر وانه للوجوب ظاهرا وهو قول
شريح والشعبي والزهري وعن مالك ويروى عن الفقهاء السبعة من اهل المدينة انهم كانوا لا يرونها واجبة لانه تعالى قال في اخر الاية حقا على المحسنين فجعلها
من باب الاحسان ورد بان لفظ على منبئ عن الوجوب كذا قوله حقا واصل المتعة والمتاع ما ينتفع به انتفاعا منقضيا ولهذا قيل الدنيا متاع
وسمي التلذذ تمتعا لانقطاعه بسرعة على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اوسع الرجل اذا كان في سعة من ماله واقتر ضده من القترة وهي الغبار فكانه لصق
بالارض لضيق ذات يده وقدره اي قدر امكانه وطاقته فحذف المضاف وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به والقدر والقدر
لغتان في جميع معانيهما وفي الاية دليل على ان تقدير المتعة مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله تعالى للزوجات وبين ان الموسع بخلاف
المقتر قال الشافعي المستحب على الموسع خادم وعلى المتوسط ثلثون درهما واقلها مقنعة واي قدر ادى جاز في جانبي الكثرة والقلة والنظر في اليسار والاعسار
الى العادة وقال ابو حنيفة المتعة لا يزاد على نصف مهر المثل لان حال المرأة التي سمى لها المهر احسن من حال التي لم يسم لها ثم لما لم يجب زيادة على نصف المسمى
اذا طلقها قبل الدخول فهذه اولى متاعا تاكيد لمتعوهن اي تمتيعا بالمعروف الذي يحسن في الدين والمروة وعلى قدر حال الزوج في الغنى والفقر
على ما يليق بالزوجة بحسب الشرف والوضاعة حقا ذلك حقا على المحسنين لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان او من اراد ان يكون محسنا فهذا شانه
وطريقته وعلى المحسنين الى انفسهم في المسارعة الى طاعة الله تعالى الحكم السادس حكم المطلقة قبل الدخول وبعد فرض المهر وذلك قوله سبحانه وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الاية واعلم ان مذهب الشافعي ان الخلوة لا تقرر المهر وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر وهي ان لا يكون
هناك مانع حسي او شرعي فالحسي نحو الرتق والقرن والمرض ويكون معهما ثالث فان كان نائما والشرعي كالحيض والنفاس وصوم الفرض وصلوة الفرض
والاحرام المطلق فرضا كان او نفلا وقوله وقد فرضتم في موضع الحال ومعنى قوله فنصف ما فرضتم فعليكم نصف ذلك او فنصف ما فرضتم ساقط
او ثابت الا ان يعفون اي المطلقات عن ازواجهن فتقول المرأة ما رانى ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف اخذ منه شيئا والفرق بين قولك النساء
يعفون وبين الرجال يعفون هو ان الواو في الاول لام الفعل والنون ضمير جماعة النساء ولم يحذف منه شيء وانما وزنه يفعلن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل والواو في الثاني ضمير جماعة الذكور واللام محذوف ووزنه يفعون والنون علامة الرفع فقولك او يعفو عطف على محل
ان يعفون والذي بيده عقدة النكاح الولي وهو قول الشافعي يروى عن الحسن ومجاهد وعلقمة وقيل الزوج وهو مذهب ابو حنيفة يروى
عن علي وسعيد بن المسيب وكثير من الصحابة والتابعين قالوا ليس للولي ان يهب مهر مولاته صغيرة كانت او كبيرة وايضا الذي بيد الولي هو عقد
النكاح فاذا عقد حصلت العقدة اي المعقودة كالاكلة واللقمة ثم هذه العقدة بيد الزوج لا الولي وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل
الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وحجة الاولين ان الصادر عن الزوج هو ان يعطيها كل المهر وذلك يكون هبة والهبة لا تسمى عفوا اللهم
الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها
او يقال سماه عفوا على طريقة المشاكلة او لان العفو التسهيل يعفو الرجل هو ان يبعث اليها كل الصداق على وجه السهولة وحجة اخرى لو كان المراد
به الزوج وقد قال ولا وان طلقتموهن ناسب ان يقال الا ان يعفون او تعفو على سبيل الخطاب ايضا واجيب بان سبب العدول عن الخطاب الى الغيبة هو
التنبيه على المعنى الذي لاجله يرغب في العفو والمعنى الا ان يعفون او يعفو الزوج الذي حبسها بان ملك عقد نكاحها عن الازواج ثم لم يكن منها
سبب في الفراق وانما فارقها الزوج فلا جرم كان حقيقا بان لا ينقصها من مهرها ويكمل لها صداقها ثم قال الشافعي ثبت ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي فهم من ان النكاح لا ينعقد بدون الولي وذلك للحصر المستفاد من تقديم بيده على عقدة النكاح فتبين انه ليس بيد المرأة من ذلك شيء
وان تعفوا اقرب للتقوى قيل اللام بمعنى الى والتقدير العفو اقرب الى التقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا الا انه غلب الذكور لاصالتهم في كل الاحكام
وانما كان عفو البعض عن البعض اقرب الى حصول معنى التقوى لان من سمح بترك حقه فهو اقرب الى ان يتقي من ان يأخذ حق غيره بعد لانه اذا استحق بذلك
الصنع الثواب فقط اتقى العقاب واحترز عنه ولا تنسوا الفضل لا تتركوا التفضل والتسامح فيما بينكم وليس هذا امر الانسان فان ذلك غير مقدور بل

المراد منه الترك وذلك ان الرجل اذا تزوج المرأة فقد تعلق قلبها به فاذا طلقها قبل المسيس صار ذلك سببا لتأذيها منه وايضا اذا كلف الرجل ان يبذل لها مهرها من غير ان يكون قد انتفع بها صار ذلك سببا لتأذيه منها فلا جرم ندب الله تعالى كلا منهما الى تطييب قلب الآخر ببذل كل المهر او تركه والا فالتنصيف عن جبير بن مطعم انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ثم انه تعالى ختم الآية بما يجري مجرى الوعد والوعيد على العادة المعلومة فقال ان الله بما تعملون بصير

حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان

محافظت کنید بر نمازها و خصوصا نماز صبح و بایستید برای خدا فرمان برداران پس اگر

خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم و

ترسید از دشمن پس پیاده یا سواره نماز گذارید پس چون ایمن شدید پس یاد کنید خدا را که آموخت شما چیزی را که نمیدانستید و آنانکه وفات کنند از شما و

يذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن

واگذارند زنان خود را وصیت کنند وصیتی برای زنان خود بهره تا سال بیرون نکردن پس اگر بیرون روند پس باکی نیست بر شما در آنچه کردند در نفسهای خود

من معروف والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

از شناخته و خدا غالب حکیمست و از برای رها شدگانست بهره بمقداری معین و این ثابتست بر پرهیزگاران همچنین ظاهر سازد خدا آیات خود را که شاید

تعقلون القراءة وصية بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص ويعقوب غير رويس الباقون بالرفع الوقوف قانتين ه او ركبانا ج لان اذا في معنى الشرط مع فاء التعقيب تعلمون ه ذ لاحتمال الاستئناف مع انقطاع النظم ومكان الحذف لان التقدير فعليهم وصية او فليوصوا وصية والوصل اجوز لاتصال المعنى فان وصية او وصية قائم مقام خبر المبتدأ اخراج ج من معروف ط حكيم ه بالمعروف ط المتقين ه تعقلون ه التفسير الحكم السابع عشر الصلوة وذلك انه سبحانه لما بين للمكلفين ما بين من معالم الدين وشرائع اليقين اعقبها بذكر الصلوة التي تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرد وحصول الانقياد لاوامره والانتهاء عن مناهيه تحصيلا للسعادات الطرفين وتكميلا لمصالح الدارين وقد اجمع المسلمون على ان الصلوات المكتوبة خمس وفي الآية اشارة الى ذلك لان الصلوات جمع فاقلها ثلث والصلوة الوسطى تدل على شيء زائد والا لزم التكرار وذلك الزائد لو كان الرابع لم يكن للمجموع وسطى فلا اقل من خمسة والمراد بمحافظتها رعاية جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان ومن ستر العورة واستقبال القبلة والاتيان باركانها وابعاضها وهيئاتها والاحتراز عن مفسداتها من اعمال القلب واعمال اللسان والجوارح ومعنى المفاعلة في المحافظة اما لانها بين العبد والرب كانه قيل احفظ الصلوة يحفظك الاله الذي امر بالصلوة كقوله فاذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك واما لانها بين المصلي والصلوة فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة ...ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحفظته عن الفتن والمحن واستعينوا بالصبر والصلوة وكيف لا وفي الصلوة القراءة والقرآن شافع مشفع في الخبر تجيء البقرة وآل عمران كانهما غمامتان فتشهدان وتشفعان وان سورة الملك تصرف عن المتهجد بها عذاب القبر وتجادل عنه في الحشر وتقف في الصراط عند قدميه تقول للنار لا سبيل لك عليه في الصلوة الوسطى بحثان الاول انه تعالى امرنا بالمحافظة على الصلوة الوسطى لم يبين لنا انها اي الصلوة وما يروى من اخبار الآحاد لا معول عليها فيجب ان نؤدي كلها على نعت الكمال والتمام ولعل هذا هو الحكمة في ابهامها ومثل ذلك اخفى الله تعالى ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في يوم الجمعة واسمه الاعظم في اسمائه ووقت الموت في الاوقات ليكون المكلف خائفا عازما على التوبة في كل الاوقات وهذا القول اختاره جمع من العلماء عن محمد بن سيرين ان رجلا سأل زيد بن ثابت عن الصلوة الوسطى فقال حافظ على الصلوة تصبها وعن الربيع ارايت لو علمتها بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن قال السائل لا قال الربيع فان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى القول الثاني ان الوسطى مجموع الصلوات الخمس فان الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والصلوة المكتوبة واسطة بين الطرفين القول الثالث انها صلوة الصبح وهو قول علي وعمر وابن عباس وابن عمر وجابر وابي امامة ومن التابعين قول طاوس وعطاء وعكرمة ومجاهد وهو مذهب الشافعي وقالوا ان هذه الصلوة تصلي في الغلس فبعضها في ظلمة الليل وآخرها في ضوء النهار وايضا ان في النهار صلوتين الظهر والعصر وفي الليل صلوتين المغرب والعشاء والصبح متوسط بينهما وايضا الظهر والعصر يجمعان في السفر وكذا المغرب والعشاء والفجر منفرد بينهما قال القفال تحقيق هذا يرجع الى ما يقوله الناس فلان متوسط اذا لم يمل الى احد الخصمين وكان منفردا بنفسه عنهما وقد اقسم الله تعالى بها في قوله والفجر وليال عشر وايضا فانه تعالى قال وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفقوا على ان المراد منه صلوة الفجر فخصها في تلك الآية بالذكر للتأكيد فخص الصلوة الوسطى في هذه الآية بالذكر للتأكيد فيغلب على الظن انها واحدة وايضا قرن هذه الصلوة بذكر القنوت في قوله وقوموا لله قانتين وليس في المفروض صلوة صح فيها القنوت الا الصبح وايضا لا شك انه تعالى افردها بالذكر لاجل التأكيد والصبح احوج الصلوات الى ذلك ففيه ترك النوم اللذيذ واستعمال الماء البارد والخروج الى المسجد في الوقت الموحش وايضا الافراد بالذكر ينبئ عن الفضل ولا ريب في فضيلة الصبح لهذا جاء والمستغفرين بالاسحار وروي ان التكبيرة الاولى منها في الجماعة خير من الدنيا وما فيها وخصت بالاذان مرتين ولاها قبل الوقت ليقاظ الناس حتى لا تفوتهم السنة وخصوها بالتثويب وهو

يقول بين الحيعلتين الصلوة خير من النوم وان الانسان اذا قام من منامه فكأنه صار موجودا بعد العدم وعند ذلك يزول عن الخلائق ظلمة الليل وظلمة
النوم والغفلة وظلمة النوم والغفلة وظلمة العجز والحيرة ويملأ العالم نورا والابدان حيوة وعقلا وقوة وفهما فهذا الوقت اليق الاوقات بان يشتغل العبد
باداء العبودية واظهار الخضوع والاستكانة لفاطر السموات والارض جاعل الظلمات والنور وعن علي رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة الوسطى فقال
كنا نرى انها الفجر وعن ابن عباس انه صلى الصبح ثم قال هذه هي الصلوة الوسطى القول الرابع انها صلوة الظهر ويروى عن عمر وزيد بن ابي بكر وابي سعيد الخدري
واسامة بن زيد وهو قول ابي حنيفة واصحابه لان الظهر كان شاقا عليهم لوقوعه في وقت القيلولة وشدة الحر فصرف المبالغة اليه اولى وعن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يصلي بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فربما لم يكن وراءه الا الصف او الصفان فقال صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم
فنزلت هذه الاية وايضا ليس في المكتوبات صلوة وقعت في وسط الليل والنهار الا هذه وانها صلوة بين صلوتين نهاريتين الفجر والعصر وانها صلوة بين البردين
برد الغداة وبرد العشي وان اول ما امه جبرئيل كان في صلوة الظهر كما ورد في الاحاديث الصحاح وان صلوة الجمعة مع ما ورد في فضلها تنوب عن الظهر لا عن غيرها
وعن عائشة انها كانت تقرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر وكانت تقول سمعت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغلب على الظن ان المعطوف عليه العصر هو الظهر الذي قبله
وروي ان قوما كانوا عند زيد بن ثابت فارسلوا الى اسامة بن زيد سئلوه عن الصلوة الوسطى فقال هي صلوة الظهر كانت تقام في الهاجرة القول الخامس
انها صلوة العصر يروى عن علي وعن ابن مسعود وابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ومن الفقهاء النخعي وقتادة والضحاك وهو مروي عن ابي حنيفة نصا لما ورد من التأكيد فيه
كقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكأنما وتر اهله وماله وقد اقسم الله بها في قوله والعصر ان الانسان لفي خسر ولما يحتاج في معرفة وقتها الى تأمل اكثر من حال
الظهر فالمغرب يعرف بغروب جرم الشمس والعشاء بغروب الشفق والفجر بطلوع الصبح الصادق والظهر بدلوك الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال
الناس بحوائجهم وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى حتى غابت الشمس عن دائرة نصف النهار ولما في وقتها من اشتغال ملأ الله بيوتهم
وقبورهم نارا رواه البخاري ومسلم وسائر الائمة وهو عظيم الموقع في المسئلة وفي صحيح مسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املي عليك كما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر القول السادس انها صلوة المغرب عن قبيصة بن ذؤيب لانها بين بياض النهار وسواد
الليل ولانها وسط في الطول والقصر القول السابع انها صلوة العشاء لانها متوسطة بين صلوتين لا تقصران المغرب والصبح ولما ورد من فضلها عن عثمان
بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة وقال اهل التحقيق القلب هو الذي في وسط الانسان بل هو واسطة بين الروح
والجسد فكأنه قيل حافظوا على سورة الصلوات بشرائطها حافظوا على معاني الصلوات وحقائقها بدوام شهود القلب للرب في الصلوة تعبدها ثم ان الشافعي
احتج بالاية على ان الوتر ليس بواجب لانه لو كانت الصلوة ستا لم يكن لها وسطى وهذا انما يتم لو كان المراد الوسطى في العدد لكنه يحتمل ان يكون الوسطى في الفضل
من قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا او الوسطى في الزمان وهو الظهر او الوسطى في المقدار كالمغرب فانه ثلث ركعات فهو وسط بين الاثنين والاربع
او الوسطى في الصفة كصلوة الصبح يتوسط بين صفتي الظلام والضياء وقوموا لله قانتين عن ابن عباس القنوت هو الدعاء والذكر لقوله تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ولان قوله حافظوا على الصلوات امر بما في الصلوة من الفعل فيكون القنوت عبارة عن كل ما في الصلوة
من الذكر وعن الحسن والشعبي وسعيد بن جبير وطاوس وقتادة والضحاك ومقاتل قانتين اي مطيعين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو الطاعة ومن
يقنت منكن لله ورسوله فالصالحات قانتات فالقنوت عبارة عن كمال الطاعة والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها وادابها وفيه زجر
لمن لم يبال كيف صلى فخفف واقتصر على ما لا يجزي وذهب الى انه لا حاجة بالله الى صلوة العباد ولو كان كما قالوا لوجب ان لا يصلي اصلا لانه تعالى كما لا يحتاج
الى الكثير من عبادتنا فكذلك لا يحتاج الى القليل وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الرسل والسلف الصالح فاطالوا وخشعوا واستكانوا وكانوا
اعلم بالله من هؤلاء الجهال وقيل قانتين ساكتين عن زيد بن ارقم وعبد الله بن مسعود كنا نتكلم في الصلوة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه حتى نزلت
وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام وعن مجاهد القنوت عبارة عن الخشوع وخفض الجناح وسكون الاطراف وكان احدهم
اذا صلى خاف ربه فلا يلتفت ولا يقلب الحصى ولا يعبث بشيء من جسده ولا يحدث نفسه بشيء من الدنيا حتى ينصرف ويحتمل ان يكون المراد وقوموا
لله مديمين لذلك القيام في اداء ثابت وجوبه او استحبابه فان خفتم عدوا فحذف المفعول به للعلم به او فان حصل لكم خوف وكنتم على حال الخوف على انه
متروك المفعول فرجالا او ركبانا اي فصلوا راجلين او راكبين قبل المعنى فان خفتم فوات الوقت ان اخرتم الصلوة الى ان تفرغوا من حربكم فصلوا رجالا
او ركبانا وعلى هذا فالاية تدل على تأكيد فرض الوقت حتى يترخص لاجل فرض المحافظة عليه بترك القيام والركوع والسجود ورجال جمع راجل كقيام
جمع قائم وتجار جمع تاجر وجمع رجل يقال رجل رجل اي راجل والركبان جمع راكب كفارس وفرسان ولا يقال راكب الا لمن كان على ابل فان كان على فرس
فانما يقال له فارس لكن المراد في الاية اعم وتخصيص اللفظ بالركبان لانه الغالب فيهم واعلم ان صلوة الخوف اما ان يكون في غير حال القتال و
سوف يجيء بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى واما ان يكون عند التحام القتال فهو المراد بهذه الاية ومذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على
دوابهم ومشاة على اقدامهم الى القبلة والى غير القبلة ويقتصرون من الركوع والسجود على الايماء الا انهم يجعلون السجود اخفض من الركوع ويحترزون
عن الصيحات لانه لا ضرورة اليه بل الشجاع الساكت اهيب وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر لانه صلى الله عليه وسلم اخر الصلوة يوم الخندق واجيب بان الاية ناسخة

لذلك الفعل ويدخل في الخوف المفيد لهذه الرخصة الخوف في القتال الواجب كالقتال مع الكفار ومع اهل البغي وفي القتال المباح كالدفع عن النفس
وحيوان محترم وعن المال واما القتال المحظور فانه لا يجوز فيه صلوة الخوف لان الرخص لا تناط بالمعاصي الخوف الحاصل لا في القتال كالهارب من الحرق و
الغرق والسبع كذا الطالب كان معرضا خائفا من الحبس عاجزا عن بقية لا عسار يرخص في هذه الصلوة لان قوله فَإِنْ خِفْتُمْ مطلق بيننا وبين الكل
فَإِذَا أَمِنْتُمْ فاذا زال خوفكم فَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ من صلوة الامن بقوله حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطٰى وكما بينه
بشرطها واركانه والصلوة قد يسمى ذكرا فَاسْعَوْا إِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ وقيل فاذكروا الله اي فاشكروا الله لاجل انعامه عليكم بالامن وقيل فاشكروه
على الامن اذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه كيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن وما في كما علمكم اما
مصدرية او كافة الحكم الثامن عشر عدة الوفاة بوجه آخر وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ الاية من قرأ وصية بالرفع فوصية مبتداء وخبره لازواجهم و
جاز وقوع النكرة مبتداء لتخصيصه بما يخصص سلام عليكم او التقدير فعليهم وصية لازواجهم فالخبر مضمر او فالامر المفترض الحكم وصية
فالمبتدأ مضمر او كتب عليهم وصية وليكن بينهم وصية ووصية الذين يتوفون وصية والذين يتوفون اهل وصية الى الحول كل هذه الوجوه
جائز ومن قرأها بالنصب فعلى تقدير فليوصوا وصية او يوصون وصية مثل انت سير البريد والزم الذين يتوفون منكم وصية متاعا نصب على
المصدر على معنى فليوصوا لهن وصية وليمتعوهن متاعا والتقدير جعل الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله من الكلام يدل عليه ونصب على الحال
او نصب بالوصية غير اخراج نصب على المصدر المؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول وبدل متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق
الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعده حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
واكثر المفسرين على ان ذلك كان في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا ونسخ ما زاد على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي
هو الربع والثمن لقوله عم الا لا وصية لوارث وعن علي وابن عمر ان لها النفقة وان كانت حاملا واما السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى
لهن وهو قول علي وابن عباس وعائشة واختاره المزني قياسا على النفقة وفرق بان النفقة في مقابلة التمكين ولا تمكين واما السكنى فللتحصين لما
هو موجود وعند الشافعي لهن ذلك على الاظهر وهو قول عمر وعثمان وابن مسعود وابن عمر وام سلمة وافقه مالك والثوري واحمد وبنا الخلاف
على خبر فريعة بنت مالك اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها قالت فسألت رسول الله عم ان ارجع الى اهلي فان زوجي ما ترك لي منزلا يملكه كذا
في التفسير الكبير وهو في مكة فقال نعم فانصرفت حتى اذا كنت في المسجد او في الحجرة دعاني فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله فحمل بعضهم الامر الثاني
على النسخ واخرون على الاستحباب وعن مجاهد انها ان اختارت السكنى في دار زوجها ولم تأخذ النفقة من مال زوجها كانت عدتها اربعة اشهر وعشرا وان
اختارت السكنى في داره والاخذ من ماله وتركته فعدتها الحول فالاية عندهما ان الاية على هذين التقديرين ليكون كل واحدة منهما معمولا بها وعن ابي
مسلم انكم تضيفون الوصية الى حكم الله تعالى فيلزمكم القول بالنسخ ونحن نضيف الحكم الى الزوج حتى يصير معنى الاية الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُوْنَ اَزْوَاجًا
وقد وصوا وصية لازواجهم بالنفقة والسكنى حولا فهذا المجموع شرط وجوابه فان خرجن اي قبل ذلك وخالفن وصية الزوج بعد ان يقمن المدة
التي ضربها الله تعالى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي اَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوْفٍ اي نكاح صحيح لان اقامتهن بهذه الوصية غير لازمة والسبب انهم كانوا في زمان
الجاهلية يوصون بالنفقة والسكنى حولا وكانوا يوجبون على المرأة الاعتداد بالحول فبين الله تعالى في هذه الاية ان ذلك غير واجب يؤكده ما روي
زينب بنت ام سلمة قالت سمعت امي ام سلمة تقول جاءت امرأة الى رسول الله عم فقالت يا رسول الله عم فقالت يا رسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها
وقد اشتكت عينها افنكحلها فقال رسول الله عم لا مرتين او ثلثا كل ذلك يقول لا ثم قال رسول الله عم انما هي اربعة اشهر وعشر وقد كان احداكن
في الجاهلية ترمي بالبعرة على راس الحول قال حميد فقلت لزينب وما ترمي بالبعرة على راس الحول فقالت كانت المرأة اذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا اي بيتا
صغيرا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيبا حتى يمر لها سنة ثم تؤتى بدابة حمار او شاة او طائر فتفتض به قال مالك اي تمسح به جلدها فقلما تفتض
بشيء الا مات ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ثم تراجع بعد بما شاءت من طيب او غيره فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن في انفسهن من التزين والاقدام
على النكاح ومن قطع نفقتهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول ومن ترك منعهن من الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها ليس بواجب عليها وانما قال
ههنا من معروف منكرا لان المراد بوجه من الوجوه التي لهن ان يأتينه واما في الاية السابقة اراد بالوجه المعروف من الشرع ويمكن ان يقال ان تلك
الاية متأخرة في النزول عن هذه باجماع المفسرين فلهذا نكر اولا ثم عرف لان النكرة اذا تكررت صارت معرفة قال سبحانه كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول الحكم التاسع عشر وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن هي المذكورة
في الحكم الخامس عشر وروي انها لما نزلت وَمَتِّعُوْهُنَّ الى قوله مَتَاعًا بِالْمَعْرُوْفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِيْنَ قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت فان لم ارد
ذلك لم افعل فنزلت هذه الاية اي حقا على من كان متقيا عن الكفر والمعاصي اعلم ان المطلقات قسمان مطلقة قبل الدخول فلها المتعة ان لم يفرض
لها مهر كما مر في الحكم الخامس عشر وان فرض لها مهر فلا متعة لها وحسبها نصف المهر لانه تعالى اقتصر على ذلك ولم يذكر المتعة فهي مستثناة من عموم هذه
الاية ومطلقة بعد الدخول سواء فرض لها ام لم يفرض واختلفوا في استحقاقها المتعة فالقديم من قول الشافعي وبه قال ابو حنيفة لا متعة لها لانها تستحق
المهر كالمطلقة بعد الفرض وقبل الدخول وفي الجديد لها المتعة وهو قول علي وابنه الحسن وابن عمر لعموم الاية ولقوله تعالى فَتَعَالَيْنَ اُمَتِّعْكُنَّ وكان ذلك في حق نساء

تحل لهن النبي وليست كالمطلقة المذكورة لانها استحقت الصداق لا مقابلة عوض وهذا استحقت الصداق في مقابلة استباحة البضع فيجب لها المتعة
للايحاش عن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة تمسكا بظاهر عموم الاية وقيل المراد بهذه المتعة النفقة في العدة بدليل متاعا الى الحول اعلم

الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل
آیا ندانی حکایت آنها را که بیرون رفتند از خانهای خود و حال آنکه چند هزار بودند از ترس مرگ پس گفت مر ایشان را خدا که بمیرید پس زنده کرد ایشان را بدرستی که خدا هر آینه صاحب فضل است
على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي
بر مردمان ولیکن بیشتری از مردمان سپاس نمی کنند و جهاد کنید در راه خدا و بدانید که بدرستی که خدا شنونده داناست کیست آنکسی که او
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون القراءة فيضاعفه
وام دهد خدا را وامی نیکو پس بیفزاید خدا از برای او مانندهای بسیار و خدا تنگ کند و وسعت دهد و بسوی او بازگردید

بالالف والنصب عاصم غير المفضل وسهل فيضعفه بالتشديد والنصب ابن عامر ويعقوب غير روح فيضعفه بالتشديد والرفع ابن كثير ويزيد وروح الباقون فيضاعفه بالالف و الرفع وكذلك في سورة الحديد ويبسط بالصاد ابن كثير وابو جعفر ونافع غير الخزاعي عن ابن فليح وابن مجاهد وابو عون عن قنبل وسهل وعاصم وابن ذكوان و غير ابن مجاهد والنقاش وشجاع وعلي والحلواني عن قالون مخير الباقون بالسين الوقوف الموت ص احياهم ط لا يشكرون عليم كثيرة ط ويبسط ص ترجعون

التفسير من عادته سبحانه ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص عبرة للسامعين ليحملهم ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال الم تر وفيه تقرير لمن سمع بقصتهم ووقف على اخبار الاولين وتعجيب من حالهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب ويكون الرؤية بمعنى العلم والمعنى الم ينته علمك الى هؤلاء اعلمك بالى على هذا ويجوز ان يكون النبي ص لم يعرف هذه القصة الا بهذه الاية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول هذه الاية ثم انه تعالى انزل الاية على وفق ذلك روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وروي ان حزقيل النبي الذي يقال له ذو الكفل مر عليهم بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب مما راى فاوحى اليه تريد ان اريك كيف احييهم فقال نعم فقيل له ناد ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام يطير بعضها الى بعض حتى تمت العظام ثم اوحى الله اليه نادها ان الله يامرك ان تكتسي لحما فصارت لحما ودما ثم نادها ان الله يامرك ان تقومي فقامت فلما احياهم كانوا يقولون سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم بعد حيوتهم وكان يظهر بها اثار الموت في وجوههم الى ان ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم وعن ابن عباس ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امر عسكره بالقتال فخافوا القتال فهربوا وقالوا لملكهم ان الارض التي تذهب اليها فيها الوباء فنحن لا نذهب اليها حتى يزول ذلك الوباء فاماتهم الله باسرهم وبقوا ثمانية ايام حتى انتفخوا وبلغ بني اسرائيل موتهم فخرجوا لدفنهم فعجزوا من كثرتهم فحظروا عليهم الحظائر فاحياهم الله تعالى بعد الثمانية فبقي فيهم شيء من ذلك النتن و بقي ذلك في اولادهم الى هذا اليوم وقيل ان حزقيل النبي ندب قومه الى الجهاد فكرهوا وجبنوا فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما كثر فيهم الموت خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى حزقيل ذلك قال اللهم اله يعقوب واله موسى ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وانهم لا يخرجون عن قبضتك فارسل الله عليهم الموت فلما راه تمرضا وتقلبه فدعا مرة اخرى فاحياهم الله تعالى اما قوله سبحانه وهم الوف ففيه دليل على الالوف الكثيرة ولكنهم اختلفوا فقيل عشرة الاف وقيل ثلاثون وقيل ثمانون وقيل سبعون وعن بعضهم ان الالوف جمع الف كقعود جمع قاعد اي خرجوا وهم مؤتلفوا القلوب وزيف بان ورود الموت عليهم وهم كثرة يفيد مزيد اعتبار بحالهم بخلاف ما لو كانوا نفرا يسيرا فاما ورود الموت على قوم بينهم ائتلاف ومحبة فكوروده على قوم بينهم اختلاف في ان وجه الاعتبار لا يتغير وقد يوجه بان المراد الفهم بالدنيا ومحبتهم لها فاهلكوا ليعلم ان حرص الانسان على الحيوة لا يعصمه عن الموت حان الموت فقوله جل فقال لهم الله موتوا معناه فاماتهم وجيء بهذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد كانها خارجة عن العادة ولا امر ولا قول كما في قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ويدل عليه قوله ثم احياهم واذا صح الاحياء بلا قول فكذا الاماتة ويحتمل انه تعالى امر الرسول بان يقول لهم موتوا والظاهر انهم لم يكونوا راوا عند الموت من الاهوال والاحوال ما يصير بها معارفهم ضرورية ويمنع من صحة التكليف بعد الاحياء كما في الاخرة وقال قتادة انما احياهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بان خرجوا من الدنيا على المعصية فاعادهم الى الدنيا ومكنهم من التوبة والتلافي او تفضل على منكري المعاد باقتصاص خبرهم ليستبصروا ويعتبروا بذلك ان تركيب الاجزاء على الشكل المخصوص ممكن والا لما وجد اولا واذا كان ممكنا في نفسه فالخبر الصادق بوقوعه وجب القطع به وفي القصة تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم ينفع منه الفرار فاولى ان يكون في سبيل الله ولهذا اتبعه بقوله وقاتلوا في سبيل الله ثم ان كان هذا الامر خطابا للذين احياهم على ما قال الضحاك احياهم ثم امرهم بان يذهبوا الى الجهاد فلا بد من اضمار تقديره وقلنا لهم قاتلوا وان كان استينافا فخطاب للحاضرين على ما هو اختيار الجمهور من المفسرين فلا اضمار وفيه ترغيب لهم بكيلا ينكص على عقبيه محب الحيوة بسبب خوف الموت فان الحذر لا يغني عن القدر واعلموا ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله القاعدون والمجاهدون ويعلم ما يضمرونه وهو من وراء الجزاء ولما امر المكلفين بالقتال في سبيل الله اردف ذلك بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي في باب الجهاد كانه ندب العاجز

عن الجهاد ان ينفق على الفقير القادر على الجهاد او القادر على الجهاد ان ينفق على نفسه في طريق الجهاد وذا في من ذا اسما زايدة ومن استفهام في موضع الرفع والذي مع صلتها خبره او موصوله والذي بدلهما او اسم اشارة خبر من والذي نعت له او بدل منه قال ابو البقا ولا يجوز ان يكون من وذا بمنزلة اسم واحد كما كانت ماذا لان ما اشد ابهاما من من اذ كانت من لمن يعقل وقد بنى الكلام على طريقة الاستفهام لان ذلك ادخل في الترغيب والحث على الفعل من ظاهر الامر وقيل ان هذا الكلام مبتدأ لا تعلق له بما قبله وانما ورد مستانفا في الانفاق ما على الاطلاق وهو الاليق بعموم لفظ القرض واما الواجب منه لان قوله واليه ترجعون كالزجر وهو انما يليق بالواجب لا بغير الواجب لكن القرض بالتبرع اشبه هذا قول الاصم وقد روي عن بعض اصحاب ابن مسعود ان المراد من هذا القرض هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن النبي صلعم من لم يكن عنده ما يتصدق به فليلعن اليهود فانه له صدقة ويشبه ان يكون الفقير الذي لا يملك شيئا اذا كان في قلبه نية انه اذا قدر انفق واعطى قامت تلك النية مقام الانفاق عن الزجاج ان لفظ القرض حقيقة في كل ما يفعل ليجازى عليه واصل القرض القطع ومنه المقراض لانقطاع الاثر ومن اقرض فكانما قطع له من ماله او عمله قطعة يجازى عليها وقيل ان لفظ القرض في الاية مجاز فان القرض انما يأخذه من يحتاج اليه لفقره وذلك في حق الله محال ولان البدل في القرض المعتاد لا يكون الا بالمثل وهنا يضاعف ولان المال الذي يأخذه المستقرض لا يكون ملكا له وههنا المال المأخوذ ملك لله ثم مع حصول هذه الفروق سماه الله تعالى قرضا تنبيها على ان ذلك لا يضيع عند الله فكما ان القرض يجب اداؤه ولا يجوز الاخلال فكذا الثواب المستحق على هذا الانفاق واصل الى المكلف لا محالة وقوله قرضا حسنا يحتمل كونه اسم مصدر وكونه مصدرا بمعنى الاقراض ومعنى كونه حسنا حلالا خالصا لا يختلط به الحرام ولا يشوبه به من ولا اذى ولا يفعله رياء وسمعة وانما يفعله خالصا لوجه الله تعالى واضعافا نصب على الحال او على المفعول الثاني لان ضمن ضاعف معنى صير ويجوز ان يكون مصدرا لان الضعف اسم مصدر لانه قد يقع موقع المصدر كالعطا فانه اسم المعطى وقد يستعمل بمعنى الاعطاء قال القطامي اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا وانما جاز جمع المصدر بحسب اختلاف انواع الجزاء لاختلاف الاغراض في المقدار والاخلاص وغير ذلك في الضعف المثل والتضعيف والاضعاف والمضاعفة كلها الزيادة على اصل الشيء حتى يصير مثلين او اكثر قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي ان هذا التضعيف لا يعلم احدكم هو وما هو وانما ابهمه تعالى لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط يقتر على عباده ويوسع فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وايضا من كتب له الفقر فكيف له الا ذلك سوا انفق ولم ينفق ومن كتب له الغنى فليس له الا ذلك فعلى التقديرين يكون انفاق المال في سبيل الله اولى واذا علم المكلف ان القبض والبسط بالله انقطع نظره عن مال الدنيا وبقي اعتماده على الله فحينئذ يسهل عليه الانفاق في مرضات الله ويحتمل ان يكون المعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا يقدم على هذه الطاعة ويبسط بعضها حتى يسهل عليه البذل وصرف المال واليه ترجعون فيجازيكم بحسب ما قدمتم من اعمال الخير والشر اللهم وفقنا والى انتهاء الطريق

الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال
آیا ننگریستی بسوی گروهی از بنی اسرائیل از پس موسی چون گفتند از برای پیغمبری از ایشان که برانگیز از برای ما پادشاهی تا جنگ کنیم در راه خدا گفت
هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
آیا امید دارید که اگر نوشته شود بر شما جهاد را که جهاد نکنید گفتند که چیست ما را که قتال نکنیم در راه خدا و حال آنکه بیرون شدیم از خانه ها و از فرزندان
فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
پس چونکه نوشته شد بر ایشان قتال روگردانیدند مگر کمی از ایشان و خدا داناست بستمکاران و گفت ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که خدا برانگیخت از برای شما طالوت را
قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده
گفتند که کجا میباشد از برای او پادشاهی بر ما و ما سزاوارتریم بپادشاهی از او و حال آنکه داده نشده فراخی مال گفت بدرستی که خدا برگزید او را بر شما و افزود او را
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت
زیادتی در علم و جسم و خدا میدهد پادشاهی خود را بهر که خواهد و خدا محیط داناست و گفت مر ایشان را پیغمبر ایشان بدرستی که نشانه پادشاهی او آنست که بیاید بشما تابوت
فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين فلما
که در آن سکینه است از پروردگار شما و باقی مانده از آنچه واگذاشت آل موسی و آل هرون که برمیدارند او را فرشتگان بدرستی که در این هر آینه نشانیست از برای شما اگر هستید گروندگان پس چون
ع ١٧ فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
جدا شد طالوت با لشکر گفت که بدرستی که خدا آزماینده شماست بنهری پس هر که بیاشامد از آن پس نیست از من و هر که نچشد آن را پس بدرستی که از منست مگر آنکه بیاشامد کفی
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال
بدست خود پس آشامیدند از آن مگر کمی از ایشان پس چون گذشتند از آن نهر او و آنانکه گرویدند با او گفتند که نیست طاقت ما را امروز با جالوت و لشکر او گفتند
الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت
آنان که یقین داشتند که ایشان ملاقات کننده خدااند که بسیار گروه کمی که غالب شدند بر گروه بسیار بفرمان خدا و خدا با صابرانست و چون ظاهر شدند مر جالوت
وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل
و لشکر او را گفتند پروردگارا فرو ریز بر ما صبر را و ثابت گردان قدمهای ما را و یاری کن ما را بر گروه کافران پس گریزانیدند ایشان را بفرمان خدا و کشت

داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله

داود جالوت را و داد او را خدا پادشاهی و حکمت و آموخت او را از آنچه خواست و اگر نباشد دفع خدا مردم را بعض ایشان را ببعضی هر آینه فاسد شدی زمین و لیکن خدا

ذو فضل على العالمين القراءة عسيتم بكسر السين حيث كان نافع الباقون بالفتح وزاده بالامالة حمزة ونصير بن مجاهد النقاش عن ابن ذكوان بصطة بالصاد

صحيح نصير برهان ابو نشيط والشموني غير النقاد وكذلك بباصط ويبصط الرزق لا تبصطها كل البصط بما اصطاعوا وما اشبه ذلك مني

الا بفتح الياء ابو جعفر ونافع ابو عمرو والباقون بالسكون غرفة بفتح الغين ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالضم هو والذين بالادغام

روى ابن مهران ومحمد العطار عن ابي شعيب وشجاع كذلك ما اشبهها فئة ومئة وبابهما غير مهموزتين يزيد وشموني وحمزة في الوقف دفاع الله

كذلك في سورة الحج ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون دفع الله الوقوف من بعد موسى لانه لو وصل صار ذ ظرفا لقوله الم تر وقاتل

في سبيل الله ج الا تقاتلوا ط وابنائنا ط تعظيما للابتداء امر معظم منهم ط بالظالمين ملكا ط من المال ط والجسم ط من يشاء ط عليم الملائكة ط في

بالجنود لا لان قال جواب لما منهج للابتداء بالشرط مع الفاء فليس مني ج للابتداء بالشرط اخر تحاد المقصود بيده ج لعطف المختلفين منهم ج

تعظيما للابتداء امر معظم معتبر لا لان قالوا جواب لما وجنوده ط ملاقوا الله لا لان ما بعده مفعول قال باذن الله ط الصابرين الكافرين ط لان ما قبله دعا

وما بعده خبر ماض يتصل بكلام بعده ولا وقف على باذن الله لاتصال اللفظ واتصال المعنى فان الهزيمة كانت منهم قبل داود جالوت مما يشاء ط العالمين

التفسير القصة الثانية قصة طالوت والملأ اسم جماعة من الناس كالقوم والرهط لانهم يملأون العيون هيبة ولانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة

وجمعه املاء قال شعر وقال لها الاملاء من كل معشر وخير اقاويل الرجال سديدها قال الزجاج الملأ الرؤساء سموا بذلك لانهم ملؤا بما يحتاج

اليه من كفايات الامور وتدبيرها من قولهم ملؤ الرجل ملاءة فهو ملؤ اذا كان مطيقا له ولانهم بما لا يتظاهرون ويلتئمون وبدون

والغرض من ايراد هذه القصة عقيب ترغيب القتال ترغيب المكلفين على الجهاد وان لا يكونوا كمن امروا بالقتال فخالفوا وظلموا اذ قالوا لنبي لهم لم

يحصل العلم بذلك النبي وباولئك الملأ من الخبر المتواتر وخبر الواحد لا يفيد الا الظن لكن المقصود الحث على الجهاد حاصل منهم من قال ان النبي

هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف لقوله تعالى من بعد موسى لكنه لا يلزم منه حصوله من بعده على الاتصال والاكثرون على انه شمويل واسمه

بالعربية اسمعيل وعن السدي هو شمعون سمته امه بذلك لانها دعت الله ان يرزقها ابنا فسمع دعاءها فسمته شمعون والسين يصير شينا بالعبرانية

وهو من ولد لاوي بن يعقوب ابعث لنا ملكا انهض للقتال معناه امير انصدر في تدبير الحرب عن رأيه وينتظم به كلمتنا وكان قوام بني اسرائيل بملك تجتمع

عليه يجاهد الاعداء ويجري الاحكام ونبي يطيعه الملك يقيم امر دينهم ويأتيهم بالخبر من ربهم نقاتل في سبيل الله بالنون والجزم على الجواب وهي

القراءة المشهورة وقرئ بالنون والرفع على انه حال اي ابعث لنا ملكا مقدرين القتال واستينافا كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل

وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا هل عسيتم خبره ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما وجواب الشرط محذوف يدل

عليه المذكور اي ان كتب عليكم القتال هل يتوقع منكم الجبن والخور واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن انه صائب في توقعه ما لنا

الا نقاتل قال المبرد ما نافية اي ليس لنا ترك القتال والاكثرون على انه للاستفهام واورد عليه انه خلاف المشهور فانه لا يقال ما لك ان لا تفعل كذا

وانما يقال ما لك لا تفعل وعن الاخفش ان ان زائدة اي ما لنا لا نقاتل ورد بان الزيادة خلاف الاصل ولا سيما في كلام رب العزة وعن الفراء ان الكلام

محمول على المعنى لان قولك ما لك لا تقاتل معناه ما منعك ان تقاتل فلما ذهب الى معنى المنع حسن ادخال ان فيه وعن الكسائي واستحسنه الفارسي ان التقدير اي

شيء لنا في ان لا نقاتل اي اي داع وغرض في ترك القتال فسقطت كلمة في على القياس فقد اخرجنا اي وحالنا انا اخرجنا من ديارنا وابنائنا بالسبي والقهر على نواحيها ومن

بلغ منه العدو هذا المبلغ فالظاهر منه الاجتهاد في قمع عدوه روي ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء

ملوكهم اربعمائة واربعين وههنا محذوف التقدير فسأل الله تعالى ذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب القتال تولوا الا قليلا منهم وهم

الذين عبروا النهر وسيأتي ذكرهم وانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم ولكل مكلف في الاسلام على القعود عن القتال

واي وعيد ابلغ من ان وضع الظالمين موضع الضمير العائد اليهم قوله سبحانه وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت

وداود امتنع من الصرف للعلمية والعجمة المعتبرة وقد يمكن تكلف اشتقاقه من الطول لما يجيء من وصفه بالبسطة في الجسم فلم يوافق العبراني العربي

وملكا نصب على الحال او التمييز او مفعول ثان على ان بعث بمعنى صير وفي الآية تقرير لقولهم وتأكيد لذلك فان اول ما تولوا هو نكارهم امر النبي المبعوث اليهم بالناسخ

وذلك انهم قالوا انى يكون كيف ومن اين يصح ويصلح له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى للحال والثانية للعطف

فانتظمت الجملتان في سلك الحالية استبعدوا تملكه من وجهين الاول ان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب منه موسى وهرون والملك كان في

سبط يهودا ومنه داود وسليمان وان طالوت ما كان من احد هذين السبطين بل كان من ولد بنيامين الثاني انه كان فقيرا ولا بد للملك من مال يعتضد به قيل

انه كان دباغا وعن السدي كان مكاريا وقال الآخرون كان سقاء فازال شبهتهم بوجوه الاول قال ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره دونكم و

من بينكم وامره عليكم ولا اعتراض لاحد على حكم الله وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت

الثاني زاده بسطة في العلم والجسم طعنوا فيه بنقصان الجاه والمال فقابله الله تعالى بوصفين العلم والقدرة وانهما اشد مناسبة لاستحقاق الملك من

والمال لان العلم والقدرة من باب الكمالات الحقيقية دونهما وبالعلم والقدرة يتوسل الى الجاه والمال ولا ينعكس وان العلم والقدرة من الكمالات الحاصلة لجوهر
الانسان والمال والجاه امران منفصلان عن ذات الانسان وانهما لا يمكن سلبهما عن ذات الانسان بخلافهما وان العالم بامر الحروب ذا القوة والبسطة يكون
الانتفاع به في مصالح البلاد والعباد اتم من النسيب الغني اذا لم يكن له علم بضبط المصالح وقدرة على دفع الاعداء والظاهر ان المراد بالبسطة في العلم هو حذقه
فيما طلبوه لاجله من امر الحروب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك ينبغي ان يكون عالما والا كان مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما
يملأ العين مهابة وحشمة والبسطة السعة والامتداد وطول القامة روي انه كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقيل المراد منه الجمال وكان اجمل بني
اسرائيل والاظهر ان يراد بها القوة لانها المنتفع بها في دفع الاعداء لا الطول والجمال الوجه الثالث والله يؤتي ملكه من يشاء فالملك له والعبيد له والمالك
اذا تصرف في ملك نفسه فلا اعتراض لاحد عليه الوجه الرابع والله واسع عليم فاذا فوض الملك اليه فان علم ان الملك لا يتمشى الا بالمال فتح عليه باب
الرزق ويوسع عليه قوله عز من قائل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الاية اعلم ان ظاهر قوله تعالى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا
يدل على انهم كانوا معترفين بنبوة ذلك النبي ثم انه لما قال ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا كان هذا دليلا قاطعا على انه ملك لكنه تعالى لكمال رأفته
بالمكلفين ضم الى ذلك الدليل دليلا اخر دل على صدق النبي وتكاثر الدلائل من الله تعالى جائز ولهذا كثرت معجزات محمد صلعم ومعجزات موسى وعيسى ثم ان
مجيء التابوت لا بد ان يقع على وجه يكون خارقا للعادة حتى يصح ان يكون معجزة واية من عند الله دالة على صدق تلك الدعوى فقيل ان الله تعالى انزل
على ادم تابوتا فيه صور الانبياء من اولاده فتوارثوه الى ان وصل الى يعقوب ثم بقي في ايدي بني اسرائيل فكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم
واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر وهم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة
استيقنوا النصر فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم
النبي ان اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره وكان الكفار الذين سلبوا التابوت جعلوه في موضع البول والغائط فدعا النبي صلعم عليهم في ذلك
الوقت فسلط الله على اولئك الكفار البلاء حتى ان كل من بال عنده او تغوط ابتلاه الله بالبواسير فعلم الكفار ان ذلك لاجل استخفافهم بالتابوت
فاخرجوه ووضعوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فعلى هذا اتيان التابوت
مجاز لانه اتي به ولم يات هو بنفسه وقيل صندوق من خشب كان موسى يضع التوراة فيه وكانوا يعرفونه ثم ان الله تعالى رفعه بعد ما قبض موسى عم
لسخطه على بني اسرائيل ثم قال نبي ذلك القوم ان اية ملك طالوت ان ياتيكم التابوت من السماء فنزل من السماء والملائكة كانوا
يحفظونه والقوم ينظرون حتى نزل عند طالوت وعلى هذا الاتيان حقيقة واضيف الحمل الى الملائكة في القولين جميعا لان من حفظ شيئا
في الطريق جاز ان يوصف بانه حمل ذلك الشيء اما شكل التابوت فقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ
ابي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار واما وزن التابوت فلا يخلو اما ان يكون فعلوتا او فاعولا لا سبيل الى الثاني لقلة باب سلس
وقلق ولانه تركيب غير معروف فهو فعلوت من التوب الرجوع لانه ظرف فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه
فيما يحتاج اليه من مودعاته والظاهر ان مجيء التابوت كان معجزة لنبي ذلك الزمان ومع كونه معجزة له كان اية قاطعة في ثبوت ملك طالوت
وقيل ان طالوت كان نبيا واتيان التابوت معجزة له لانه كان مقرونا بالتحدي والجواب ان التحدي كان من النبي عم قوله فيه سكينة فعيلة من
السكون ضد الحركة ومعناه الوقار مصدر وقع موقع الاسم كالعزيمة واما البقية فبمعنى الباقية يقال بقي من الشيء بقية والمراد بالسكينة والبقية اما
ان يكون شيئا حاصلا في التابوت او لا الثاني قول الاصم وعلى هذا فمعناه انه متى جاءهم التابوت من السماء وشاهدوا تلك الحالة اطمأنت نفوسهم
واقروا له بالملك وانتظم امرهم بما بقي من دين موسى وهرون ومن شريعتهما فهذا كقوله صلعم في النفس المؤمنة مائة من الابل اي بسببها وعلى الاول فقول
ابي مسلم كان في التابوت بشارات من كتب الله المنزلة على موسى وهرون ومن بعدهما من الانبياء عم بان الله تعالى ينصر طالوت وجنوده
ويزول خوف العدو عنهم وعن ابن عباس هي صورة من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو
وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عم كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة اي طيبة واما البقية فهي رضاض
الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وقفيز من المن الذي انزل عليهم قال بعض العلماء انما اضيف ذلك الى ال موسى وال هرون لان ذلك
التابوت قد تداولته القرون بعدهما الى وقت طالوت وفي التابوت اشياء توارثها العلماء من اتباع موسى وهرون فيكون الال هم الاتباع
قال تعالى ادخلوا ال فرعون واذ نجيناكم من ال فرعون ويجوز ان يراد بما تركه موسى وهرون وال مقحم لتفخيم شانهما كقوله صلعم لابي موسى الاشعري
لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود واراد به داود نفسه اذ لم يكن لاحد من ال داود من الصوت الحسن ما كان لداود ان في ذلك لاية لكم ان
كنتم مؤمنين بدلالة المعجزة على صدق المدعي وههنا محذوف والتقدير فاتاهم التابوت فاذعنوا لطالوت واجابوا الى المسير تحت رايته فلما
فصل طالوت بالجنود فصل اصله فصل نفسه ثم كثر حذف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي والمعنى انفصل عن بلده مع الجنود والجند الاعوان و
الانصار وكل صنف من الخلق جند قال صلعم الارواح جنود مجندة روي انه قال لقومه لا ينبغي ان يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا
تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت

قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال نبيهم على قول وطالوت على الاظهر وذلك اما باخبار النبي او بالوحي لانه كان نبيا ان الله مبتليكم
بما اقترحتموه من النهر وقيل في حكمة هذا الابتلاء انه لما كان من عادة بني اسرائيل مخالفة الانبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة اظهر الله علامة
قبل لقاء العدو يتميز بها الصابر على الحرب من غير الصابر لان الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو عن ابن عباس والسدي انه نهر
فلسطين وعن قتادة والربيع انه نهر بين الاردن وفلسطين والنهر بفتح الهاء وسكونها لغتان ومبتليكم اي ممتحنكم ولما كان الابتلاء
من الناس انما يكون لظهور الشيء وثبت ان الله لا يليق به ولا يعاقب على علمه بما يفعل ذلك لظهور الافعال من الناس وذلك لا يحصل الا
بالتكليف لا جرم سمي التكليف ابتلاء فمن شرب منه فليس مني هو كالجزء لي يتصل بي ولا يتحد معي من قولهم فلان مني كانه
بعض لاختلاطهما واتحادهما او ليس من اهل ديني وطاعتي ومن حزبي واشياعي ومن لم يطعمه ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء
لمذاقه واعلم ان الفقهاء اختلفوا في ان من حلف ان لا يشرب من هذا النهر كيف يحنث فقال ابو حنيفة لا يحنث الا اذا كرع في النهر حتى لو اغترف
بالكوز ماء من ذلك النهر وشربه لا يحنث لان الشرب من الشيء هو ان يكون ابتداء شربه متصلا بذلك الشيء وقال الباقون بل اذا اغترف
الماء بالكوز من ذلك النهر وشربه يحنث لان هذا وان كان مجازا الا انه مجاز مشهور فلما كان من المحتمل في اللفظ الاول ان يكون النهي مقصورا
عن الشرب من النهر حتى لو اخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الابهام فقال ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني ليصح النظم وانما فصل قوله ومن لم يطعمه بين المستثنى والمستثنى
منه للعناية ومعنى الاستثناء الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف بملء الكف
عن ابن عباس كانت الغرفة يشرب منها هو ودوابه وخدمه ويحمل منها ولعل ذلك من معجزات نبي ذلك الزمان كما روي عن نبينا من رواء الخلق
العظيم من الماء القليل وقد يحتمل انه كان مأذونا ان يأخذ من الماء كم شاء مرة واحدة بقربة وجرة بحيث كان المأخوذ في المرة الواحدة
يكفيه ولدوابه ولخدمه لان يحمل مع نفسه الا ان قوله بيده لا يجاوب هذا الاحتمال فشربوا منه الا قليلا منهم وقرأ ابي والاعمش الا قليل
منهم وهذا من باب الميل الى المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم فبهذا تميز الموافق عن المنافق والصديق عن
الزنديق يروى ان اصحاب طالوت لما هجموا على النهر بعد عطش شديد وقع اكثرهم في النهر واكثروا الشرب فاسودت شفاههم وغلبهم
العطش وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو واطاع قوم قليل منهم امر الله ثم لم يزيدوا على الاغتراف فقوي قلبهم وصح ايمانهم وعبروا
النهر سالمين والمشهور انهم كانوا على عدد اهل بدر لما روي ان النبي قال لاصحابه يوم بدر انتم اليوم على عدد اصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز
معه الا مؤمن قال البراء بن عازب وكنا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل انهم كانوا اربعة آلاف ولا خلاف بين المفسرين ان الذين عصوا
الله وشربوا من النهر رجعوا الى بلدهم ولم يتوجه معه الى لقاء العدو الا من اطاعه وانما الخلاف في انهم رجعوا قبل عبور النهر او بعده والحق
انه ما عبر معه الا المطيعون لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ولقوله فليس مني اي ليس من اصحابي في سفري لان المقصود من الابتلاء
ان يتميز المطيع عن العاصي واذا تميزا فالظاهر انه لم يأذن للعاصين وصرفهم عن نفسه قبل ان يرتدوا عند لقاء العدو وقيل انه استصحب كل جنوده
لانهم قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالمؤمن المنقاد لامر ربه بل لا يصدر الا عن المنافق والفاسق والجواب
لعل طالوت والمؤمنين لما جاوزوا النهر ورأوا القوم تخلفوا وما جاوزوه سألوهم عن سبب التخلف فذكروا ذلك وما كان النهر في العظم بحيث
يمنع المكالمة والمراد بالمجاوزة قرب حصول المجاوزة او المؤمنون الذين عبروا النهر كانوا فريقين منهم من يكره الموت ويغلب الخوف والجزع على طبعه و
هم الذين قالوا لا طاقة لنا ومنهم من كان شجاعا قوي القلب هم الذين اجابوا بقولهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة او انهم لما شاهدوا قلة عسكرهم
قال بعضهم لا طاقة لنا فلا بد ان نوطن انفسنا للقتل وقال الآخرون بل نرجو من الله الفتح والظفر فكان غرض الاولين الترغيب في الشهادة والفوز
بالجنة وغرض الآخرين التحريض على رجاء الفتح والظفر وكلا الغرضين محمود والطاقة اسم بمنزلة الاطاقة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة ومثلها
اطاع طاعة والاسم الطاعة واغار اغارة والاسم الغارة واجاب اجابة والاسم الجابة وفي المثل اساء سمعا فاساء جابة اي جوابا ومعنى قوله
يظنون انهم ملاقوا الله يغلب على ظنونهم انهم لا يتخلصون من الموت عن قتال عدوهم او يظنون انهم ملاقوا ثواب الله بسبب هذه الطاعة وذلك لان احدا
لا يعلم عاقبة امره على [illegible] او يظنون انهم ملاقوا طاعة الله من غير رياء وسمعة وبنية خالصة او انهم عرفوا بما في التابوت من الكتب الالهية
يقين النصر والظفر الا ان حصول ذلك في المرة الاولى ما كان الا على سبيل الظن والمراد بقوله يظنون يعلمون ويوقنون لما بين اليقين والظن من المشابهة
في تأكد الاعتقاد والفئة الجماعة لان بعضهم قد فاء الى بعض فصاروا جماعة وقال الزجاج هي من قولهم فأوت راسه بالسيف وفأيت اي قطعت
كان الفئة قطعة من الناس والمراد تقوية قلوب الذين قالوا لا طاقة لنا اذ العبرة بالتأييد الالهي والنصرة الالهية فاذا جاءت الدولة فلا مضرة في القلة
والذلة واذا جاءت المحنة فلا منفعة في كثرة العدد والعدة ومحل كم رفع بالابتداء وغلبت الجملة خبره باذن الله بتيسيره وتسهيله والله مع الصابرين
بالمعونة والتأييد يحتمل ان يكون من قوله تعالى وان يكون من قول الذين يظنون قوله سبحانه ولما برزوا لجالوت وجنوده الآية البراز الارض
الفضاء ومنه البروز والمبارزة في الحرب كان كل واحد منهما حصل بحيث يرى صاحبه واعلم ان العلماء والاقوياء من عسكر طالوت لما قرروا مع ضعفاء

الغرفة بالكسر الوطب من اللبن وقد يكون للماء والوطب سقاء من جلد الجذع والجرة قربة

وعوامهم ان الغلبة لا تتعلق بكثرة العدد وان النصر والظفر باعانة الله اشتغلوا بالدعاء وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا وهكذا كان يفعل نبينا صلعم كما روي في
قصة بدر انه كان يصلي ويستنجز من الله وعده وكان متى لقي عدوا قال اللهم اني اعوذ بك من شرورهم واجعلك في نحورهم اللهم بك اصول وبك اجول و
الافراغ الاخلاء الاناء مما فيه وانما يخلو بصب كل ما فيه فمعنى افرغ المبالغة اي صب علينا اتم صب وابلغه وهذا هو الركن الاعظم في المحاربة فانه لو كان
جبانا لم يجد بطائل ثم ان الشجاع مع ذلك يحتاج الى آلات العدد والاتفاقات الحسنة حتى يمكنه ان يقف ويثبت ولا يصير ملجأ الى الفرار فاقروها بقولهم
وثبت اقدامنا ثم انه مع كل هذه الاشياء يفتقر الى ان يزيد قوته على قوة عدوه حتى يغلبهم هو المراد بقولهم وانصرنا على القوم الكافرين فلا جرم استجاب
الله دعاءهم فهزموهم كسروهم باذن الله بتوفيقه واعانته وقتل داود جالوت عن ابن عباس ان داود كان راعيا ومعه سبعة اخوة مع طالوت فلما ابطأ
خبر اخوته على ابيهم ايشا ارسل ابنه داود وكان صغيرا اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وبرز جالوت الجبار وكان من قوم عاد وكانت بيضته
فيها ثلثمائة رطل من الحديد فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل لو كنتم على الحق لبارزني بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف
فسكتوه فذهب الى ناحية من الصف ليس فيها اخوته فمر به طالوت وهو يحرض الناس فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا فقال طالوت انكحه ابنتي
واعطيه نصف مملكتي فقال داود فانا خارج اليه وكانت عادته انه يقاتل بالمقلاع الذئب والاسد في المرعى وكان طالوت عارفا بجلادته فلما هم داود
بان يخرج الى جالوت مر بثلثة احجار فقلن يا داود خذنا معك ففينا ميتة جالوت ثم لما خرج الى جالوت رماه فاصابه في صدره ونفذ الحجر فيه وقتل بعده
ناسا كثيرا فحسده طالوت ولم يف له وعده ثم ندم على صنيعه فذهب يطلبه الى ان قتل وآتاه الله الملك في مشارق الارض ومغاربها والحكمة اي النبوة لان
الحكمة وضع الامور مواضعها على الوجه الاصوب والنحو الاصلح وكمال هذا المعنى انما يحصل بالنبوة والمشهور من احوال بني اسرائيل ان الله تعالى كان يبعث
اليهم نبيا وعليهم ملكا كان ذلك الملك ينفذ امور ذلك النبي وكان نبي ذلك الزمان اشمويل وملكه طالوت فلما توفي اشمويل اعطى داود
النبوة ولما توفي طالوت اعطى الله الملك اياه ولم يجتمع الملك والنبوة على احد من بني اسرائيل قبله يروى انه بين قتله جالوت وبين ما اعطاه الله
الملك والحكمة سبع سنين قال بعضهم هذا الايتاء جبر له على ما فعل من الطاعة وبذل النفس في سبيل الله ولا يمتنع جعل النبوة جزاء على بعض
الطاعات كما قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته ولهذا ذكر عقيب حديث الهزيمة والقتل وترتب الحكم على الوصف
المناسب مشعر بالعلية لا سيما وقد نطقت الاخبار معه بتقرير هذا العظيم المهيب بالآلة الحقيرة وقال آخرون ان النبوة لا يجوز جعلها جزاء على
الاعمال ولكنها محض عناية الله تعالى لبعض عبيده كما قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس فان قيل لم قدم الملك على الحكمة مع انه ادون
منها فالجواب انه تعالى اراد ان يذكر كيفية ترقي داود عم في معارج السعادات والتدرج في مثل هذا المقام من الادون الى الاشرف هو الترتيب الطبيعي
وعلمه مما يشاء قيل هو صنعة الدروع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل منطق الطير علمنا منطق الطير وقيل ما يتعلق بمصالح الملك فانه
ما ورث الملك من آبائه فانهم كانوا رعاة وقيل علم الدين والقضاء وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب لا يبعد حمل اللفظ على الكل والغرض منه التنبيه
على ان العبد لا ينتهي قط الى حالة يستغني عن التعلم سواء كان نبيا او لم يكن ولهذا قيل لمحمد وقل رب زدني علما ولولا دفع الله معناه ظ واما
من قرأ بالالف فاما ان يكون مصدر الدفع نحو جمع جماعا وكتب كتابا وقام قياما واما ان يكون بمعنى انه سبحانه يكف الظلمة والعصاة عن المؤمنين
على ايدي انبيائه وائمة دينه فكان يقع بين اولئك المحقين واولئك المبطلين مدافعات كقوله ان الذين يحادون الله ورسوله واعلم انه
تعالى ذكر في الآية المدفوع وهو بعض الناس والمدفوع به وهو البعض الآخر واما المدفوع عنه فغير مذكور للعلم به وهو الشرور في الدين كالكفر والفسق
والمعاصي فعلى هذا الدافعون هم الانبياء وائمة الهدى ومن يجري مجراهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والشرور في الدنيا كالهرج
والمرج واثارة الفتن فالدافعون اما الانبياء او الملوك الذابون عن شرائعهم ولهذا قال عم الملك والدين توأمان الاسلام اس والسلطان حارس
فما لا اس له فهو منهدم وما لا حارس له فهو ضائع وعلى هذا فمعنى قوله لفسدت الارض اي بطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل
وغير ذلك من سائر اسباب العمران وقيل المراد بالدفع نصر المسلمين على الكفار ومعنى فساد الارض هيئة الكفار فيها وقتلهم المسلمين وقيل المعنى
لولم يدفع الكفار بالمسلمين لعم الكفر ونزل سخط الله فاستؤصل اهل الارض ويعضده ما روي ان النبي صلعم قال يدفع بمن يصلي من امتي عمن لا
يصلي وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يجاهد عمن لا يجاهد ولو اجتمعوا على ترك هذه الاشياء لما انظرهم الله طرفة عين ثم
تلا هذه الآية ولكن الله ذو فضل على العالمين بسبب ذلك الدفاع وفيه ان الكل بقضاء الله وقدره وبقهره ولطفه وبعدله وفضله وبقي التأويل
فقوله الم تر الى الملأ ان القوم لما اظهروا خلاف ما اضمروا وزعموا غير ما كانوا عرضوا نقد دعواهم على محك معناهم فافتضحوا عند الامتحان اذ عجزوا
عن البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل او يهان وهذا حال اكثر مدعي الاسلام والايمان بالغيب يزعمون نصلي ونصوم ونحج ونزكي لله وفي الله
باللسان دون صدق الجنان ويظهر ما لله وما كان للهوى في كفة الميزان فلما كتب عليهم القتال تبين الابطال من البطال فتولوا الا
قليلا منهم وان اهل الحق اعز من العنقاء واعوز من الكبريت تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز
وجار الاكثرين ذليل انما لم ينل المدعون مقصودهم لانهم لم يخلصوا لله قصودهم ولو انهم قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا ربنا واوجب
القتال علينا وانه سيدنا ومولانا فلعل الله صدق دعواهم واعطى مناهم واكرم مثواهم كما قال قوم في اثناء البكاء والسعداء وما لنا الا نتو

بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فلا جرم اثابهم الله فالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و
ذلك جزاء المحسنين ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فيه اشارة الى ان الحكم الالهية حلت وتجلت في جلبات تعاليها عن ادراك العقول
البشرية كنه معنى من معانيها ولهذا قالوا انى يكون له الملك وليس هذا باعجب من قول المقربين المؤيدين بالانوار القدسية اتجعل فيها من
يفسد فيها استحقارا لشان آدم وتعجبا بحجابه لانانية والعجب فلما تكبر بنو اسرائيل قالوا ونحن احق بالملك وضعهم الله وحرموا الملك لما تو
طالوت لله وقالوا كيف يستحق الملك سطى في اسباط بني اسرائيل ولم يكن في بيت بني اسرائيل فعله الله واعطاه الملك لما فوق الملائكة
ترفعوا بقولهم ونحن نسبح بحمدك امرهم بسجود آدم ولما عرضت الخلافة على آدم فتواضع الله وقال انما الترابي لى رباب اكرمه الله تعالى بسجود الملائكة
وحمل اعباء الامانة ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه اشارة الى ان آية خلافة العبد ان يظفر بتابوت قلب فيه سكينة من ربه وهي الطمانينة
بالايمان والانس مع الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وبقية مما ترك آل موسى هو عصا الذكر كلمة لا اله الا الله وهي الثعبان الذي اذا نفرقاه تلقف
عظيم سحر سحرة صفات فرعون النفس فان تابوتهم الذي فيه سكينتهم كان يتداوله ايدي الحدثان وتابوت قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن وان كان في تابوتهم بعض التورية ففي تابوت المؤمن جميع القرآن وان كان في تابوتهم صور الانبياء ففي تابوت المؤمن رب الارض والسما
كما قال لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن فاذا حصل لطالوت الروح الانساني تابوت القلب الرباني يسلم له ملك الخلافة
وانقاد له جميع اسباط صفات الانسان فلا يركن الى الدنيا ويتجهز لقتال جالوت النفس الامارة ان الله مبتليكم بنهر هو نهر الدنيا وما
زين للخلق فيها زين للناس حب الشهوات ليظهر المحسن من المسيء ويميز الخبيث من الطيب الا من اغترف غرفة بيده قنع من متاع الدنيا بما لا بد منه
من الماكول والمشروب والملبوس والمسكن وصحة الخلق على حد الاضطرار وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا اي ما يمسك
رمقهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لان من شرب من نهر الدنيا ماء شهواتها ولذاتها وتجاوز عن حد الضرورة فيها لا يطيق قتال
جالوت النفس وجنود صفاتها وعسكر هواها لانه صار معلولا مريض القلب فبقي على شط نهر الدنيا رضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها ولما
برزوا لجالوت وجنوده فيه اشارة الى ان المجاهد في الجهاد الاكبر لا يقوم بحوله وقوته لقتال النفس الا اذا رجع الى ربه مستعينا مستغيثا عن غيره قائلا
ربنا افرغ علينا صبرا على الاتيان بطاعتك والانزجار عن معاصيك ومخالفة الهوى والاعراض عن زينة الدنيا وثبت اقدامنا على التسليم
في الشدة والرخاء ونزول البلاء وهجوم احكام القضاء في السراء والضراء وانصرنا على القوم الكافرين وهم اعداؤنا في الدين عموما والنفس الامارة
وصفاتها التي هي اعدى عدو نا بين جنبينا خصوصا فهزموهم باذن الله بنصرته وقوته وقتل داود القلب جالوت النفس اخذ حجر الحرص على الدنيا
وحجر الركون الى العقبى وحجر التعلق الى نفسه باالهمة حتى صار الثلثة حجرا واحدا وهو الالتفات الى غير المولى ثم وضعه في مقلاع التسليم والرضا فرمى
جالوت النفس فسخره الله له بريح العناية حتى اصاب انف بيضة هواها وخالط دماغها فاخرج منه الفضول وخرج من قفاها وقتل من وراءها
ثلثين من صفاتها واخلاقها وداعيها وهزم الله باقي جيشها وهي الشياطين اخوانها واتاه ملك الخلافة وحكمة الالهامات الربانية وعلمه
مما يشاء من حقائق القرآن واشاراته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض يعني باب الطلب بالمشايخ البالغين الواصلين الهادين المهديين
كما قال ولكل قوم هاد لفسدت ارض استعدادهم المخلوقة في احسن التقويم عن استيلاء جالوت النفس بتبديل اخلاقها وتكدير صفاتها
ولكن الله ذو فضل على العالمين فمن كمال فضله ورحمته حرك سلسلة طلب الطالبين والهم اسرارهم ارادة المشايخ الكاملين ووفقهم للتمسك بذيول
تربيتهم ووفقهم على التشبث باهداب سيرهم وتنبههم على الرياضات في حال تزكيتهم كما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي
من يشاء تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم
این ایات خدا است میخوانیم انرا بر تو براستی و بدرستی که تو از فرستاده گانی این رسولان افزونی دادیم ما برخی از ایشان را بر برخی از ایشان
من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله
کسی بود که سخن گفت با او خدا و برداشت برخی ایشان را مرتبها و دادیم عیسی پسر مریم را نشانهای ظاهر و نیرو دادیم او را بروح پاکیزه و اگر خواستی خدا
ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا
اختلاف نکردندی با هم کسانی که پس ایشان بودند پس از آنکه آمد بایشان نشانهای ظاهر ولیکن اختلاف کردند پس از ایشان کسی هست که گروید و از ایشان کسی هست که کافر شد و اگر میخواستی خدا قتال نکردندی
ولكن الله يفعل ما يريد يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا
ولیکن خدا میکند آنچه میخواهد ای زمره گروندگان خرج کنید از آنچه روزی کردیم شما را از پیش آنکه بیاید روزی که نیست خرید و فروخت و نه دوستی و نه
شفاعة والكافرون هم الظالمون القراءة لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع
درخواست کردن وکافران ایشانند ستمکاران والتنوين وكذلك في سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك في سورة الطور لا لغو فيها ولا تاثيم فيها
الوقوف بالحق وط للابتداء بان المرسلين الجزء الثالث على بعض م لانه لو وصل الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى
بعض فيكون موسى من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد لا شفاعة ط

ع ١

ع

لا يوجبه لا على الواجب الاكثرون على انه عام فيهما وفي الواجب المناسب للبشر في الاية وعيد انما الغرض ان يعلم ان منافع الاخرة لا يكتسب الا في الدنيا وان
الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من اعماله ومعنى قوله لا بيع انه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدى به من العذاب او يكتسب ما لا حتى ينفق منه ولا
خلة لا مودة لان كل احد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه او لان الخوف الشديد غالب على كل احد تذهل كل مرضعة
عما ارضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على ان ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير
الاية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون
هم الكافرون وقيل اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين اي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا انفسهم باختيار الكفر والفسوق
فهو كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقيل هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا واما المسلم فانه
ينفق في سبيل الله قل ام كثر وفائدة الفصل انهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم التأويل تلك آيات الله اسراره وانواره ورموزه
واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها بالحقيقة كما هي عليك وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات
وصح لهم صفاء الاوقات في لذة المناجات في الخلوات ثم فطموا عن لبان تلك اللذات في حجر القربات وارسلوا الى اهل الغفلات وعبدة طواغيت
الهوى واصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجوهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات
وانت عبرت المكونات فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله
وقت وبليت بسفارة جبرائيل ثم لقيت من القوم ما لقيت فخوطبت ان تقول ما اوذي نبي مثل ما اوذيت لان غيرك ما سقي من شرب سقيت فما
اوذي بفطام مثل ما اوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى ان التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم
وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من اهل الفضل انوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء اضواء انوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا
التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال عليه السلام ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى
ومن اخطأه ضل وغوى ثم التفضل والفضلان عام بينا نبه عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وخاص بيان
به عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت في الانوار على قدر التفاوت في الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور في بدء الخلقة
لا في حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان في قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة في
الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين اوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازداد الدرجة
وعلى قدر غلبات انوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد بقي بعضهم في مكان من اماكن السموات
كما روي عنه عليه السلام انه رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وادريس في السماء الرابعة وهرون في السماء
الخامسة وموسى في السماء السادسة وابراهيم عليه السلام في السماء السابعة وان محمدا عليه السلام ما بقي في مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين
او ادنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم اخبر عن
فضيلة الخواص بانها كانت تفضيلا بامر اخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيته لا بمشيتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم ثم اخبر عن جزاء المتفضل انه في الانفاق والبذل فخاطب اهل الايمان الذي كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار
حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها في مصارفها العامة والخاصة انفقوا املاكنا
لنا في صلاح انفسكم واغتنموا مساعدة الامكان في تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل ان يأتي يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس
في سوق ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ولا ينفع خلة خليل دنيوي لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا ارسلنا الرسل وانزلنا الكتب امرناهم بالانفاق واعلامهم
الثواب وحذرناهم العقاب فما اعذر من انذر والله المستعان **اللّٰه لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له**
ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع خداى بحق نيست معبودى بجز او زنده پاينده فرا نگيرد او را سنه خواب و نه خواب مر او راست
آنچه در آسمانها و آنچه در زمينهاست كيست آنكه در خواست كند **عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء**
من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات و در نزد او مگر با ذن او ميداند آنچه پيش از ايشانست و آنچه بعد از ايشانست و احاطه نكنند بچيزى
از دانش او مگر بآنچه خواسته است فرا گرفته كرسى او آسمانها **الارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين**
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت و زمين و دشخوار نكند او را نگاهداشتن ايشان و اوست داناى بزرگ نيست اكراه در دين
بدرستى كه ظاهر شد راستى از گمراهى پس هر كه كافر شود به بت و **يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله**

سميع

سَمِيعٌ عَلِيمٌ اللّٰهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ
شنوای داناست خدا دوست آنانست که گرویدند بیرون آورد ایشانرا از تاریکیها بسوی روشنی و آنانکه کافر شدند دوستان ایشان طاغوت بیرون آرندشان
مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ القراءة تعرفهما الوقوف لا اهوج لان قوله الحي يصلح بدلا
از روشنی بسوی تاریکیها آن گروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدانند عن الضمير وخبر ضمير او خبر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين لا
نوم ط وما في الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم
الخلق المقيد لشبه مبتداء بالنفي بما شاء ج لاختلاف الجملتين والارض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم الغي ج لان من الشرط مع
فاء التعقيب او نهى قد قيل للاستيناف بالنفي والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة اي مستمسكا بها غير منفصمة لها ط عليم آمنوا
لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل في ولي تقديره الله يليهم مخرجا لهم او مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم
حال الى الظلمات ط النار ج خالدون التفسير قد جرت عادته سبحانه في هذا الكتاب الكريم انه يخلط الانواع الثلثة اعني علم التوحيد وعلم الاحكام
وعلم القصص اما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا الاسلوب رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان
جبل على الملال فكلما انتقل من اسلوب الى اسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته وصار اقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه اذ
قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده فذكر الان ما يتعلق بعلم التوحيد فقال اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما قرئت هذه الاية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة وعن علي سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم وهو
على اعواد المنبر يقول من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها
اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد صلى الله عليه وسلم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وعن علي انه قال لما
كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ماذا يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم
جئت وهو يقول ذلك فلا ازال اذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له واعلم ان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم واشرف
المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو اشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة ومجانسة وهو مقدس عن مجانسة
ما سواه ولما كانت الاية مشتملة من نعوت الجلال واوصاف الكبرياء على الاصول والمهمات فلا جرم وصلت في الشرف الى اقصى الغايات ونهاية
النهايات ولنشتغل بتفسيرها لفظ الله فقد مر تفسيره في اول الكتاب اما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لَا
إِلٰهَ إِلَّا هُوَ واما الحي القيوم فقد سلف بيان معناهما في شرح الاسماء الا انا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان اعظم اسماء الله الحي القيوم ويؤكده
ما روينا من تشبثه به ولو كان ذكر اشرف منه لذكره وتشبث في السجود واما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح ان يعلم ويقدر وهو
الدراك الفعال فاورد عليه ان هذه لا يقتضي المدح لمشاركة اخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن يوجد فيه هذه
الصفة من هذه الحيثية فقط بل كل شيء يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومنه ههنا يصح ان يقال للموات احياه الله والارض فان كمال حال الارض
ان يكون معمورة وكمال حال الاشجار ان تكون مورقة نضرة ولما كان كمال حال الجسم ان يكون بحيث يصح ان يعلم ويقدر فلا جرم سميت تلك الصفة
حيوة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته واما القيوم فيطلق
المجموع اعتبارين احدهما انه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني ان غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين
يتشعب جميع مسائل التوحيد المعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد ذاته وبجميع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في
تحققه الى جزئيه فيقدح في كونه قيوما ومنها انه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزئين
فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها ان لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم وقد ثبت انه واحد ومنها انه ليس في
جهة لتساويهما والا كان متحيزا ومنها انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك
ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا كان قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته
ذاته مقوم لغيره والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها انه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما
لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او غير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي اصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في
الياء عند اجتماعهما وكلا اليائين اصل قال ابن الانباري اصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء
مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة القائم اصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة
والواو ياء واحدة ولا تاء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قووم وعن عمر انه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم اكد ذلك بقوله
لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما بعدها والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس اي لا تاخذه

انه سيد العالمين

الناس يصلا ان يا خذه نوم ويقولون في الاحق ولا ثم ينفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم اولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى انه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل امر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع واهمل انك لوسنان نائم ومما يدل على ان السهو والغفلة والنوم على الله تعالى محال ان هذه الاشياء اما ان يكون عبارات عن عدم العلم او عن اضداد العلم وعلى التقديرين فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف وروى عن النبي ان موسى سئل الملائكة هل ينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ولا يتركوه ينام ثم اعطاه قارورتين مملوتين فكان في كل واحدة وامره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى ان نام في اخر الامر فضرب احديهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان انه لو كان ينام لم يقدر حفظ السموات والارضين هذه الرواية ان صحت وجب ان ينسب هذا السوال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والنحويون سكتوا عن الثاني مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما واكده بما الكد ترتب عليه حكما وقوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وحصل وجوده فيكون ملكا له فيلزم منه ان يكون محكوما عليه بالانكار ولا يكون لغيره في شيء من الاشياء حكم الا باذنه وامره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار اي لا يشفع فيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كونه غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الا بامره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فاشار الى الاول بقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا او لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين الشفعاء عن مجاهد وعطاء والسدي يعلم ما كان قبلهم من امور الدنيا وما كان بعدهم من امور الاخرة الضحاك والكلبي ما بين ايديهم الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين ايديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض انه سبحانه عالم باحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من انفسهم ان لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون ان الله تعالى اذن لهم في تلك الشفاعة ام لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل ان يراد ولا يعلمون الغيب الا بعلمه باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيئا الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم اولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر ان ملكه فيما عدا السموات والارضين اعظم واجل وان ذلك مما ينقطع دون الانباء الى ادنى درجة من درجاتها اوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك واما الكرسي فاصله التركيب الذي منه الكرسي بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض اوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته وللمفسرين في معناه ههنا اقوال فعن الحسن انه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي انه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال الكرسي موضع القدمين وينبغي ان يحمل هذه الرواية ان صحت على ما لا يفضي الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم او ملك اخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا اسرار لا احب اظهارها ولو شاء الله ان يطلع عليها عبدا من عبيده فهو اعلم بمجاري اسراره وقيل المراد من الكرسي السلطان والقدرة والملك لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي اصل كل شيء الكرسي لانه تسمية للشيء باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وايضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال للعلماء كراسي الارض كما قال اوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره انه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم فمن ذلك انه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وامر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود انه يمين الله في ارضه ثم جعله مقبل الناس كما يقبل ايدي الملوك وكذلك ما ذكر في القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس اثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم اثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا ان المراد من الفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي ولا يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وذلك ان نفاذ حكمه وامره مع كونه مقوما للممكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن التحيز ومقدس عن المزمنات فقال وهو العلي العظيم والمراد منهما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم للمكان ومديم للزمان قوله سبحانه لا اكراه في الدين الاية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك انه لم يبق للكافر عذر في الاقامة على الكفر الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار وفي الاكراه والاجبار بناء وبما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان

الشيء واستبان وتبين وبين أيضاً إذا وضح وظهر ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين والرشد إصابة الخير والغي نقيضه أي تميز الحق من الباطل والإيمان
من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله طغيوت
إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين ثم صيرت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يفرد
في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والأصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا
أن يكفروا به فأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لإرادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان
وعن سعيد بن جبير الكاهن قال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الأصنام وقيل مردة الجن والإنس وكل ما يطغى وإنما جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان
لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله ويؤمن بالله أن الكافر
لا بد أن يتوب أولاً ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق
به والوثقى تأنيث الأوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لأن الإسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد
المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيزول الشبهة بالكلية والفصم كسر الشيء من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود
من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لأنه إذا لم يكن لها انفصام فإن لا يكون لها انقطاع أولى وقيل إن الموصوف ههنا محذوف أي التي لا انفصام لها
كقوله وما منا إلا له مقام معلوم أي من له وقيل معنى قوله لا إكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه إخبار في معنى النهي والإكراه إلزام الغير فعلاً
لا يرى فيه خيراً يحمله عليه ثم قال بعضهم إنه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط
القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم أما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل إنهم لا يقرون على ذلك بل يكرهون على الإسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا إليه
ولا يكرهون روي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما
حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا إكراه
لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرهاً لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوا إلى الإكراه فيكون كقوله ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً والله سميع عليم يسمع قول من تكلم بالشهادة وقول من تكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب
وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة و
كان يسأل الله ذلك سراً وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد صلى الله عليه وسلم عليم بحرصك واجتهادك قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم
وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب يدل على القرب فالمحب ولي لأنه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لأنه يلي القوم بالتدبير فيدل على أن
ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات إلى النور من الكفر إلى الإيمان ومن
الضلالة إلى الهدى ومن الشك إلى اليقين والإخراج يشمل الكافر إذا آمن والمؤمن الأصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم إلى النور من الظلمات وإن لم يكونوا
في الظلمة البتة فإن العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سبباً لدفع تلك الظلمات عنه وبين
الدفع والرفع تشابه مثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار ويروى أنه صلى الله عليه وسلم سمع إنساناً قال أشهد
أن لا إله إلا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج من النار ومن المعلوم أنه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن
من الظلمات والنور فإنه أراد بهما الكفر والإيمان إلا قوله في أول الأنعام وجعل الظلمات والنور فإنه عنى به الليل والنهار قال وإنما جعل الكفر ظلمة
لأنه كالظلمة في المنع من الإدراك وجعل الإيمان نوراً لأنه كالسبب في حصول الإدراك قلت قد مر أن الإيمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية
والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورية وإشراقاً فلا حاجة إلى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في
موضع الجمع يخرجونهم من النور إلى الظلمات وإنما وحد النور وجمع الظلمة لأن الحق ما يرجع إليه طريقة واحدة وهو أيضاً في نفسه واحد وأما الباطل
فلا حصر له ولطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة وإسناد الإضلال إلى الطاغوت وهو كل ما يتسبب إلى
الطغيان كالمجاز فإن الحوادث بأسرها تستند إلى المبدأ الأول بالحقيقة وينتهي إلى قضائه وقدره كما سبق تحقيقه مراراً أولئك الكفار وهم مع
متابعيهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكون زجراً للكل ووعيداً لهم أعاذنا الله من ذلك التأويل الحي القيوم أشير بهما إلى الاسم الأعظم لأن
اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فإن من لوازم الحي أن يكون قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً مريداً باقياً إلى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم
دال على افتقار كل المخلوقات إليه فإذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفة
القيوم فناء جميع المخلوقات إذ كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم إذ سلب الحي جميع
أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات نفي التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الإنسانية
فقد ذكره بالاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لأنه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فأما الذاكر عند غيبته عن عظمة
الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الأعظم بالنسبة إلى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الأعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم

الاعظم فقال الاسم الاعظم الله لا اله الا هو الحي القيوم ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره باي اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم اخو
الموت والموت ضد الحيوة وهو الحي الحقيقي فلا يلحقه ضد الحيوة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كانه قيل من ذا
الذي يشفع عنده يوم القيمة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه ماذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين ايديهم
من اوليات الامور قبل خلق الخلايق كقوله عليه السلام اول ما خلق الله نوري اول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام
وما خلفهم من احوال القيمة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشيء
من علمه الا بما هو شاهد على احوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم كلا نقص عليك من انباء الرسل ويعلم امور اخرتهم واحوال اهل الجنة و
النار وهم لا يعلمون شيئا من ذلك الا بما شاء ان يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره
وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى
سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ اسرار السموات والارض وعلم ادم الاسماء كلها ولما اظهر المخلوقات من العرش
والكرسي لقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظما في الخلقة اظهار الكمال القدرة والحكمة نودي برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء و
هو دليل المدح والثنا فقال وهو العلي العظيم من علي في الاخرة واولى في اعلاء امره ومن عظم فيعظمه ثم اخبر عن عزة الدين لارباب اليقين بقوله لا
اكراه في الدين كما قال عليه السلام ليس الدين بالتمني مع ان التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لاوامره
ظاهرا والتسليم لاحكام الحق باطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع في مراتب شرح تمام الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فطاغوت العوام
الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ما سوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان
الخواص عزوف النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى شهود القلب مع المولى وايمان خواص الخواص ملازمة الفناء بالبقاء في طاعة الله وانابة القلب الى لقاء
في الله واخلاء السر للبقاء بالله هذا هو الشكر الموجب الشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلي تبت اليك اي عن هذه
الافاقة وكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالايمان العياني وشريكا مع القوم بالايمان البياني كما قيل اشعر لي سكران ولذ ما واحدة شيء خصصت
به من بينهم وحدي ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن ان يكون من الحدثانات المخلوقات لقوله كل شيء هالك الا وجهه ولا يكون
انفصام بطشه والا كانت منفصمة بل يكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعة
وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تقينه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال جذبة
من جذبات الحق توازي عمل الثقلين لان الثقلين في عالمها فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب
لا يخلص منها ابد الابدين ثم اخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر و
الضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات
الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم ان النور
والمحبة من قبل الكفار اي هم اولياء الطاغوت كقوله اندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهي بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان
او النفس فهم الاعداء لا الاولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها
فوق بعض وان كانت بعضها تحت بعض اولئك اي ارواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام اصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من
جلتهم لكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي

ع

آيا ننگريستی بسوی آنکه [illegible] حجت کرد با ابراهيم در پروردگارش که داده بود خدا او را پادشاهی چون گفت ابراهيم پروردگار من آنست كه

يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر

که زنده ميکند و ميميراند گفت من هم زنده ميکنم و ميميرانم گفت ابراهيم پس بدرستيکه خدا مياورد آفتاب را از سمت مشرق پس بيار تو آنرا از سمت مغرب پس درمانده گشت آنکه کافر بود

والله لا يهدي القوم الظالمين او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها

و خدا راه ننمايد گروه ستمکاران را يا چون آنکه گذشت بر دهی که آن فرود آمده بود ديوارهايش بر سقفها گفت چگونه زنده کند اين را خدا پس از مرگش

فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك

پس ميراند او را خدا صد سال پس زنده کرد او را گفت چه قدر درنگ کردی گفت درنگ کردم روزی يا پاره روز گفت نه بلکه درنگ کردی صد سال پس بنگر بسوی طعام خود و شراب خود

لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم

که تغير نيافته و بنگر بسوی خر خود و تا گردانيم ترا نشانه برای مردمان و بنگر بسوی استخوانها که چگونه برداريم پس بپوشانيم آنها را گوشت پس چون ظاهر شد مراد را گفت ميدانم

ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال

[illegible]

عروة وثقى

فَخُذْ اَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ اِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلٰى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَاْتِيْنَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَزِيْزٌ

پس فراگیر چهار عدد از مرغان پس جمع کن انها را بسوی خود پس بگذار بر هر کوهی از ان مرغان جزئی را پس بخوان انها را بیایند بسوی تو شتابان و بدان که خدا غالب

حَكِيْمٌ القراءة ربی الذی مرسلة الیاء حمزة الباقون بالفتح انا احیی بالمد ابو جعفر ونافع وكذلك ما اشبهها من المفتوحة والمضمومة وزاد ابو نشيط بالمد فی المكسورة فی قوله تعالى ان انا الا نذیر واشباه ذلك متنه بابه مثل قنه فلم يتسنه بابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف ويعقوب لم يتسنه فی الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلی وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة فی الحالين والهاء اما اصلية مجزومة بلم وهاء سكت واجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة علی غير ليث وابی حمدون وحمدويه النجاری عن ورش وابن ذكوان وابو عمرو وحمزة فی رواية ابن سعدان وابی عمرو ابن شنبوذ عن اهل مكة ننشرها بالراء ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالزای اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة علی الامر حمزة وعلی الباقون مقطوعا والميم مضمومة علی الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس المفضل جزا بتشديد الزای يزيد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فی الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ ابو بكر وحماد جزؤا مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزای مهموزة الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت لا لان قال عامل اذ وامیت ط كفر ط الظالمين ج لا للعطف وللتعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف مع احتياج تمام المقول مع العطف بفاء الجواب او الجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما من وصل حسن له الوقف على حمارك لانه ربما يعطف عليه قوله ولنجعلك اي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحاط لتمام البيان له لا لان قال جواب لما قدير ط الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم التفسير انه سبحانه ذكر ههنا قصصا ثلثا اولها فی اثبات العلم بالصانع والباقيان فی اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابرهيم ملك زمانه عن مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير فی ربه لابرهيم ويحتمل ان يكون لنمرود والهاء فی ان اتاه قيل لابرهيم لانه اقرب فی الذكر ولانه لا يجوز ان يؤتي الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذی حاج ابرهيم ولا يبعد ان يعطي الله الكافر بسطة وسعة فی الدنيا ومعنى ان اتاه الله ای لان الله اتاه الملك فابطره واورثه الكبر والعتو وجعل محاجته فی ربه شكرا له كقولك عادانی فلان لانی احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ويجوز ان يكون المعنى حاج وقت ان اتاه عن مقاتل ان هذه المحاجة كانت حين كسر ابرهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذی تدعوا اليه فقال ربی الذی يحيي ويميت وهذا دليل فی غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والامانة فلا بد ان يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان واشكاله بصير باعضائه واحواله ولامر ما ذكره الله تعالى فی مواضع كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذی خلقكم من تراب الم نخلقكم من ماء مهين ويروى ان الكافر دعا شخصين فقتل احدهما وترك الاخر وقال انا ايضا احيي واميت ثم للناس فی هذا المقام طريقان الاول وعليه اكثر المفسرين ان ابرهيم عم لما رای من نمرود انه القى تلك الشبهة عدل منه الى دليل اخر واوضح من الاول فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قالوا وفی هذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة واورد عليه ان الشبهة اذا وقعت فی الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب ان يذكر الجواب فی الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر فی الدليل الاول وفی المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم ان يترك ذلك الواجب مع ان فيه ايهام ان كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا ان الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب ان يكون المنتقل اليه اوضح لكن الاستدلال بالاحياء والامانة على وجود الصانع اظهر واقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وايضا دلالة الاحياء والامانة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات اقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وايضا ان نمرود لما لم يستحي من معارضة الاحياء والامانة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن عنه عند استدلال ابرهيم بطلوع الشمس ان يقول بل طلوع الشمس من المشرق مني فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب عند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك قالوا انه لو اورد هذا السؤال لكان من الواجب ان يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم ان الاشتغال باظهار فساد سؤاله فی الاحياء والامانة اسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذی حمل ابرهيم على ان ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب لما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق اخر فقالوا ان ابرهيم لما احتج بالاحياء والامانة قال المنكر تدعی الاحياء والامانة من الله ابتداء من غير واسطة الاسباب الارضية والسماوية او لا فالاول لا سبيل اليه واما الثانی فنظيره او ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فاجاب ابرهيم بناء على معتقدهم وكانوا اصحاب تنجيم بان الاحياء والامانة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لا بد لها من فاعل مدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة له على الفلكيات فهی اذن مخلوقة لخالق الارض والسموات قلت وفيه بحث طويل واخر نذكره فی التأويلات ان شاء الله تعالى فبهت الذی كفر يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما و

واصح منها القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لانه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي والله لا يهدي القوم الظالمين
فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه ان الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته القصة الثانية
قوله سبحانه او كالذي مر ذهب الكسائي والفراء والفارسي واكثر النحويين الى انه معطوف على المعنى والتقدير ارأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي
مر ونظيره من القرآن قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كانه قيل لمن السموات فقيل لله مثله قول الشاعر فلسنا بالجبال ولا الحديدا: وعن الاخفش ان الكاف زائدة
والتقدير الم تر الى الذي حاج ابرهيم او الى الذي مر وعن المبرد انما يضمر الفعل في الثاني والتقدير الم تر الى الذي حاج الى ابرهيم او لم تر الى مثل الذي
مر واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه اكثر المفسرين من المعتزلة ان المار كان رجلا كافرا شاكا في البعث لان قوله انى يحيي استبعاد وانه لا يليق
بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على ان ذلك التبيين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله واعلم ان الله على كل شيء قدير وذهب
سائر المفسرين الى انه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو ارميا ثم من هؤلاء من قال ان
ارميا هو الخضر وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان ارميا هو النبي الذي بعثه الله عندما خرب
بختنصر بيت المقدس واحرق التورية وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء ان قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها يدل على انه كان عالما بالله و
بانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وايضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك
وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له ايضا روي عن ابن عباس ان بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء
بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم ير فيها احدا فعجب من ذلك وقال انى يحيي هذه الله
بعد موتها اي من اين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في ان مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصير
معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فاماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم اعمى
عنه في موته ابصار الانس والطير والسباع ثم احياه بعد المائة ونودي من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم فقال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهدهما ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا
عظام بيض تلوح وقد تفرقت اوصاله فسمع صوتا ايتها العظام البالية اني جاعل فيك روحا فانضم اجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل
عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت
الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم انه دخل بيت المقدس فقال القوم حدثنا
آباؤنا ان عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس اربعين الفا من قراء التورية وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا انه
يقرأ التورية فلما اتاهم بعد مائة عام جدد لهم التورية واملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التورية قد دفنت في موضع
فاخرجت وعورضت بما املاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع ان القرية ايليا وهو بيت
المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الالوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا
سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت
على سقوفها المتهدمة وهذا من احسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل ان يكون من خوى المنزل اذا خلا عن اهله وخوى بطن الحامل وعلى
بمعنى عن اي خالية عن عروشها ويجوز ان يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز ان يكون على عروشها خبرا
بعد خبر كانه قيل هي خالية وهي على عروشها اي هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان
وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة ويجوز ان يراد ان القرية خاوية على مع كون اشجارها مثمرة وكان التعجب من ذلك اكثر لان
الغالب من القرية الخالية ان يبطل ما فيها من عروش الفواكه فاماته الله مائة عام لان الاحياء بعد مدة طويلة اقرب فيكون ادخل في كونه آية
ثم بعثه اي احياه كما كان عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الالهية ولو قال احياه لم يحصل هذه الفوائد قال كم لبثت اي
كم مدة فحذف المميز والحكمة في السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم ان الميت لا يمكنه بعد ان صار حيا ان يعلم
ان مدة موته طويلة او قصيرة قال بناء على الظن لا بطريق الكذب لبثت يوما او بعض يوم روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم والظاهر انه علم ان ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات
شاهدها في نفسه وفي حماره لم يتسنه لم يتغير واصله من السنة اي لم يأت عليه السنون لان مر السنين اذا لم يغيره فكانها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء
اما للسكت بناء على ان اصل سنة سنوة بدليل سنوات في الجمع وسنية في التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عاملته سنة واما اصلية على
ان نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة في التصغير وقولهم اجرت الدار مسانهة وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون هو التغير قال تعالى من حمأ مسنون
اي متغير منتن واما من السنة بناء على ما نقل الواحدي من ان اصل سنة سنهة يجوز ان يكون سنهة بدليل سنيهة في تصغيرها وان كان قليلا وعلى

التقديرين

التقدير من ابدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازى في تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت في الوقف وعن على الفارسي ان
السن هو الصب فقوله لم يتسنه اى الشراب بقي بحاله لم ينصب فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود
فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن واما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا لان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل
انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه ان يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من انه لبث يوما او بعض يوم فالجواب
انا نسبة كلما كانت اقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها اشد فلهذا قيل وانظر الى حمارك فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى
ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن ان يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول المدة لبثه بان شاهد عظام حماره
رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة في الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى
حالة الحيوة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام ولنجعلك آية قال الضحاك معناه انجعله دليلا على صحة البعث وقال
غيره كان آية للناس لان الله تعالى بعثه شابا اسود الراس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التورية عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل
ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه
وشرابه من التغير واما فائدة الواو في قوله ولنجعلك فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية
كان النظر الى الحمار شرطا وجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء و
مثله في القرآن كثير وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وانظر
الى العظام كيف ننشرها بالراء المهملة اى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم ويحتمل ان يكون من النشر ضد الطي فان
الحيوة يكون كالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء في قوله من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه
نحركها ونرفع بعضها الى بعض والتركيب للنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المراة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف في موضع الحال من العظام
والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم اكثر المفسرين على ان المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من
الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد ان العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى احيا راسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان
ينظر الى اجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما او بعض يوم انما
يليق بمن لا يرى في نفسه اثر التغير لا بمن شاهد اجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وقوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التي اماتها وقيل
هي عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما
في قوله ضربني وضربت زيدا او التقدير فلما تبين له ما اشكل عليه من امر الاماتة والاحياء قال اعلم وتاويله اني قد علمت مشاهدة ما كنت
اعلمه قبل ذلك استدلالا وقرئ اعلم على لفظ الامر ومعناه انه عند التبين امر نفسه بذلك والله تعالى امره بذلك كما في آخر قصة ابرهيم واعلم ان الله
عزيز حكيم قال القاضي القراءة الاولى اولى لان الامر بالشئ انما يحسن عند عدم المامور به وههنا العلم حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا
يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك اما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شئ آخر
غير حاصل هو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد امر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب والعجائب لا محالة ولهذا
اوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم ان الله قادر على احياء الموتى لاشتبه ان يكون امرا بتحصيل الحاصل على ان ذلك ايضا ممنوع فان الامر يعود الى شئ
آخر غير حاصل هو عدم الشك فيما يستانف من الزمان اى ليكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعرض لك شك فيها بعد ذلك كقولك للمتحرك تحرك اى
واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراءة السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى القصة
الثالثة قوله عز من قائل واذ قال ابرهيم التقدير واذكر وقت قول ابرهيم قيل معطوف على قوله الى الذي اى الم تر الى وقت قول ابرهيم وههنا دقيقة وهو انه
لم يسم عزيرا في قصته بل قال او كالذي مر على قرية وههنا سمى ابرهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء انى يحيى هذه الله بعد موتها وابرهيم
اثنى على الله اولا بقوله ربي فادى ذلك في غيره ومعنى ارني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابرهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء
وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر اكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت فاذا اكل السباع جاءت الطيور
فاكلت وطارت فقال ابرهيم رب ارني كيف تجمع اجزاء هذا الحيوان من بطون السباع والطيور ودواب البحر فقيل او لم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب
بالسؤال ان يصير العلم الاستدلالي ضروريا الثاني قال محمد بن اسحق والقاضي انه في مناظرته مع نمرود لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال الكافر انا
احيي واميت فاطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابرهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال رب ارني كيف تحيي الموتى لينكشف هذه المسئلة عند
نمرود واتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروي ان نمرود قال له قل لربك يحيى والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبي اى بنجاتي من القتل او ليطمئن
قلبي بقوة حجتي وبرهاني وان عدولي الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ان الله تعالى اوحى اليه اني اتخذ بشرا
خليلا فاستعظم ذلك ابرهيم وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيي الميت بدعائه فلما عظم مقام ابرهيم في درجات العبودية واداء الكل

خطر بباله لعلي أكون لك الخليل فسأل الله إحياء الموتى فقال الله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على أني خليلك الرابع لا يبعد أن يقال
إنه لما جاء الملك إلى إبراهيم وأخبره بأن الله بعثك رسولا إلى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على أن الآتي ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع في
الصحف المنزلة عليه أن الله تعالى يحيي الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه أنه ليس أقل منزلة عند الله من عيسى وأنه من أولاده السادس أمر بذبح الولد
فسارع إلى ذلك فقال إلهي أمرتني أن أجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفني بأن تجعل بدعائي فاقد الروح ذا روح السابع أراد أن يخصه الله بهذا
التشريف في الدنيا بأن جميع الخلائق يشاهدون الحشر في الآخرة الثامن لعل إبراهيم لم يقصد إحياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة وأما
أن إبراهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي أن يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر أولى وكيف يظن ذلك بإبراهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالإيمان
وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله عليه السلام نحن أحق
بالشك من إبراهيم فذلك أنه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها شك إبراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لإبراهيم
على نفسه نحن أحق بالشك منه والمعنى أنا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أولم تؤمن للتقرير كقوله ألستم خير من ركب المطايا
وأيضا المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون أنه عليه السلام كان مؤمنا بذلك عارفا به وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر واللام
في قوله ليطمئن يتعلق بمحذوف أي ولكن سألت ليزيد قلبي سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فقد يعرض الخواطر للمستدل بخلاف
المعاين هذا إذا قلنا المطلوب حصول الطمأنينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الإحياء أما إذا قلنا إن الغرض شيء آخر فلا إشكال فخذ أربعة من الطير
عن ابن عباس هن طاووس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر فصرهن إليك بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره
ويصيره أي أملهن واضممهن إليك قال الأخفش يعني وجههن إليك وفائدة أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها أن يتأملها ويعرف أشكالها وهيآتها
وحلاها كيلا يلتبس بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وفي الآية حذف كأنه قيل أملهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ومعنى صرهن
قطعهن فلا إضمار وروي أنه أمر بذبحها ونتف ريشها وأن يقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ثم أمر أن يجعل
أجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي بعضها على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين بإذن الله فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم
أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها وأنكر أبو مسلم هذه القصة وقال إن إبراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الموتى من الله أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر
عليه والمراد بصرهن إليك الإمالة والتمرين على الإجابة أي فعود الطيور الأربعة بحيث إذا دعوتها أجابتك حال الحياة والغرض منه ذكر مثال محسوس
لعود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن أي الطيور لا الأجزاء يأتينك سعيا وزيف قول أبي مسلم بأنه خلاف
إجماع المفسرين وبأن ما ذكره غير مختص بإبراهيم فلا يلزم له مزية وأيضا إن ظاهر الآية يدل على أنه أجيب إلى ما سأل وعلى قوله لا يكون الإجابة حاصلة
ولأن قوله على كل جبل منهن جزءا دليل ظاهر على تجزئة الطيور وحمل الجزء على أحد الطيور الأربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا
فذهب مجاهد والضحاك إلى العموم بحسب الإمكان كأنه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع أربعة جبال
على حسب الطيور الأربعة والجهات الأربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده إبراهيم وكان سبعة أما قوله ثم ادعهن يأتينك سعيا
فقيل عدوا ومشيا على أرجلهن لأن ذلك أبلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بأنه لا يقال للطائر إذا طار سعى وأجيب بأن السعي هو الاشتداد في الحركة
مشيا كانت وطيرانا واحتج الأصحاب بالآية على أن البنية ليست شرطا في صحة الحياة لأنه تعالى جعل كل واحد من تلك الأجزاء والأبعاض حيا قادرا
على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على أنه لا بد من البنية من حيث إنه وجب التقطيع ليبطل حياتها والجواب أن حصول المفارقة لا يدل على وجوب
المفارقة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول النداء لتلك الأجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على أن البنية ليست
شرطا للحياة واعلم أن الله عزيز غالب على جميع الممكنات حكيم عالم بعواقب الأمور وغايات الأشياء التأويل أن الله تعالى لما أعطى نمرود ملكا ما أعطى أحدا
قبله ادعى الربوبية وما ادعاها أحد قبله وسبب ذلك أن الإنسان لحسن استعداده للطلب غاية لطافته في الجوهر دائم الحركة في طلب الكمال لا يتوقف
لحظة إلا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فمتى وكل إلى نفسه مال إلى عالم الحس وإلى الغاشية الطبيعية لأنه خلق من تراب في طبعه الميل إلى السفل فيرى الكمال
في جمع المال ثم في طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم في الحكم والتسلط فإذا ملك السفليات بأسرها وقهر ملوك الأرض أراد أن ينازع ملك الملوك وجبار
الجبابرة فيقول أنا أحيي وأميت أليس للعالم رب إلا أنا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما أنه إذا صلح جوهره بحسن تربية
النبي أو من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس في الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك يعني كن فانيا عن وجودك
بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فإنه جل وإن لم تكن ملحدا فإن الملحد من يدق بمطرقة لا إله إلا الله دماغ نمرود النفس لئلا
أن يؤمن بالله يكفر بطاغوتية وجوده ووجود كل ما سوى الله قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعتراض على
قول الكافر أنا أحيي وأميت والمراد إرسال النفس اللطيفة لتدبير البدن إطلاع شمس الحياة من أفق البدن فإن كنت صادقا في دعواك أن هذا
يأتي منك فأمسكها عندك وهو الإتيان بالشمس من مغربها وإنه إذا أفنيا عمن مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لأنه إن أمكنه
أن يدعي الإحياء بمعنى الإبقاء وهو إطلاع الشمس من المشرق فلا يمكنه أن يدعي الإماتة بمعنى قبض الروح من عالم القتل وهو الإتيان بالشمس

المغرب بهذه طريقة عدة لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم اخبر عن الطريق قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعى وحجته
عقيب الدعوى بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وذلك ان قوما انكروا حشر الاجساد بعد عثرانهم بحشر الارواح وزعموا ان الارواح اذا خرجت
من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم بالكلية التي استفادتها من عالم الحس فلا حاجة بها ان ترجع الى السجن في النفس كما ان الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب
وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى ان يرجع الى المكتب في حال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورأفته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات
الفلسفية بان اماتت عزير مائة سنة وحماره معه ثم احياها جميعا ليعلم ان الله تعالى مهما احيى عزير الروح حيي معه حمار الجسد كما ان عزير الروح يكون
عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح شرب من كؤوس تجلي صفات الجلال والجمال وسقيهم ربهم شرابا
طهورا ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد علم كل اناس
مشربهم شربنا واهرقنا على الارض فضلها وللارض من كاس الكرام نصيب ثم اكد حديث الحشر بقصة عن خليله وذلك قوله رب ارني كيف تحيي
الموتى فمفهوم منه ان هذا قول موسى رب ارني انظر اليك الا ان موسى لم يحفظ الادب في الطلب فاراه غير المطلوب النعت وادب سادب الخاطر الجاني
وعرف بشعر بلن تراني وذلك انه كان صاحب شرب كان الخليل صاحب ري صاحب الشرب سكران وصاحب الري صاح شعر شربنا الحب كاسا
بعد كاس فما نفذ الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب ارني انظر اليك ويعربد اخرى بقوله ان هي الا فتنتك ومن
كمال صحو الخليل عاد له في رقة في اداب العبودية في الحضور والغيبة فلا جرم اكرم اليوم بكرامة الشيبة انه اول من شاب شيبته بشيبة ابرهيم محترم غدا بالكسوة
ان اول من يكسى ابرهيم لما ابتلي في ماله فبذله للضيفان وابتلي بولده فاسلم وتله للجبين وابتلي في نفسه فسلم للمنجنيق بن كنعان وابتلي بجبريل
فقال اما اليك فلا فلا جرم اكرمه الله بالامامة اني جاعلك للناس اماما ومن امامته انه كان اول من قرب باب طلب الحق فقال هذا ربي واول من سلك طريق
الحق فقال اني ذاهب الى ربي واول من نطق بالمحبة وقال اني لا احب الافلين واول من اظهر الشوق فقال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين و
اول من اظهر العداوة لغير المحبوب فقال فانهم عدو لي الا رب العالمين واول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب ارني ولا تضعن ان اشياقه الى الرب بما يكون
وقت سؤاله شعر ولست حديثا لهذه الشوق وللوعة حديث هواكم في حشاي قديم ؛ ولكنه من حفظ اداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال
ويقول حسبي من سؤالي علمه بحالي الى ان ساقته القدرة الى حسن التدبير في سؤال نمرود من بك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربي الذي يحيي ويميت
فقال نمرود هل رايت منه ما تقول فوجد الخليل فرصته للمأمول فادرج في السؤال السؤال فاخفي سره وهو ادنى في علته وهو كيف تحيي الموتى وهو
يعلم انه يعلم السر واخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده ان اسمعه من كلامه بفضله وجوده قال اولم تؤمن فكان في هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلثة
معان مضمرة اولم تؤمن وقت ما امنت عند نمرود باني احيي واميت فما كان ايمانك حقيقيا اولم تؤمن لميعاد رؤيتي في الجنة فاريك ثمة اولم تؤمن بما
طلبت من الاحياء مضمر في كل منها الاثبات في لفظة النفي فاجاب الخليل عن الاستفهامات الثلثة بلى سر السري بلى امنت وكان ايماني حقيقيا ولكن
ما كان مقصودي الايمان الايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فاني فارغ من الموتى واحيائهم ولكني مملك ليطمئن قلبي بما تريدا وبلى امنت
بميعاد رؤيتك في الجنة ولكن ليطمئن قلبي برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطرب قلبي من غاية يقيني وبلى امنت بقدرتك على
الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففي ضمن ذلك يحصل مقصودي كما ان من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة
معشوقه ويحتشم ان يقول ارني وجهك لانظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توامان وفي مذهب الملاح الطلب والسبيل
سد فيقول ارني كيف تخيط الثياب فكل صانع ماهر في صنعته يريد ان يري جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا انجابه وهو يخيط الثوب فيقول انظر
الى كيف احيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع ويطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الجليل من اضطراب قلبه
واضطرار حاله وتضرع بين يدي مولاي وهو الذي يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاه وقال خذ اربعة من الطير الاية والمراد انك محجوب بل عني
فحجاب صفاتك عن صفاتي محجوب بحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فيما تموت عن صفاتك تحيي بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ
اربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان
من التراب وقرينها وهو الماء تولدت الحرص والبخل وهما ترابيان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة ولكل واحدة
من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص وجه الحسد والبخل وجه الحقد والغضب زوجه الكبر وللشهوة اختصاص بزوج معين بل
هي كالمعشوقة بين الصفات تتعلق بها كل صفة هذه الابواب لسبع الدركات السبع من جهنم لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني
من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فامر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الاربعة طاووس البخل فلولم
يزين المال في نظر البخيل لما بخل به وغراب الحرص بكور ممن حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة الغضب فلما ذبح
الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما القي فيها بردا وسلاما وانما
في تقطيعهن ونتف ريشها وخلط اجزائها اشارة الى محو اثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابرهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل منهن
الجبال الاربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والارواح الثلثة الحيواني والطبيعي والانساني الملكي فهذه الجبال كالاشجار و

الزروع واجزاء الطبوكالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من اولئك ويربي تربيتها ويتصرف فيها
الروح الانسانى فيجعلها بنور هو من خصايص ارواح الانسان فيكون تلك الصفات متنزعن صفاتها الحيوانية باخلاق الروحانيات هذه الخواص لخلق الذي
العالب الى جوار الروح واما خواص الخواص فلمن ادركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد محو هذه الصفات يتجلى له بصفة المحيى فيحيي هذه الصفات الفانية
عن صفاتها بنور صفته المحيية فيكون العبد فى تلك الحالة حيا بحيوته متصفا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت
له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق وبى يبطش كما ان اميا يقول للكاتب ربى كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه فى يد الامى ويأخذ يده
بيده ويكتب فيظهر الكتابة من يد الامى على الصحيفة ففى تلك الحالة يظن الامى انه صار كاتبا فيقول انا الكاتب كقوله شعر عجبت منك ومنى فنيت بك
عنى ؛ ادنيتنى منك حتى ظننت انك انى ؛ فاذا رفع الكاتب يده عن يد الامى فيعلم الامى انه امى والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه انه هو
الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك اى ذنب حسبان انك كاتب وانت امى عربى بما وصلت اليه ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله
عليك عظيما ثم ان الله تعالى تجلى لخليله بصفة واحدة وهى صفة المحيى ليريه من آياته وهى كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج
كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب ارنى والحبيب طلبها له ولامته ارنا الاشياء كما هى وذلك لعلو مرتبته وهمته
رفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال ارنا ولرفعة مرتبته قال الاشياء فان فيه مع رعاية الادب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا
تصريحا وان كان بالنسبة الى قول الكليم تعريضا وفيه ايضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فان جميعها داخلة فى الاشياء ولكمال معرفته طلب رؤية
الاشياء كما هى وهذا هو الملك الحقيقى الذى لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم ان الله عزيز اعز من ان يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على اسراره
الا من يليق بذلك من مخلوقاته مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ ع

حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا

مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى

وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا

وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ

وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ

نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ٧ القراءة انبتت سبع بالادغام ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف
هشام وسهل يضعف بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف
رئاء الناس غير مهموز حيث كان يزيد الشموني والحراعى عن ابن فليح وحمزة فى الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة ابو عمرو وعلى غير ليث وابى
حمدون وحمدويه وروح ورويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله النصب من الاعراب كل القرآن بربوة بفتح الراء حيث كان ابن عامر وعاصم الباقون
بضمها اكلها وبابه ساكنة الكاف ابن كثير ونافع ابو عمرو وفيما اتصلت بالهاء والالف بما يعملون بصير بالياء التحتانية ابو عمرو عن قنبل
الباقون بالتاء للخطاب الوقوف مائة حبة ط لمن يشاء ط عليم ه عند ربهم ج لعطف المختلفين يحزنون ه اذى ط حليم ه والاخر ه لتعلق كاف
التشبيه اى بطالا مثل ابطال الذى الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ه ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ه
الانهار لا لان ما بعده صفة لجنة الثمرات لا لان الواو للحال ضعفاء مر والوصل اولى والوقف على فاحترقت ط لنا هى مقصود الاستفهام
والمعنى ايحب احدكم احتراق جنة صفتها كذا فى حال كذا تتفكرون ه تفسير لما ذكر سبحانه فى اصول المبدأ والمعاد بما اقتضاه المقام
اتبعه ببيان التكاليف والاحكام قال القاضى فى كيفية النظم انه تعالى اجمل فى قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة

فصل بعد ذلك بهذه الاية الاضعاف وانما ذكر من الايتين الادلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب لما
لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك واكملت نعمى عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتى على
المجازاة فليكن علمك بهذه الاصول داعيا الى انفاق الاموال فانه يجازى القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن
الاصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعد ما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه تعالى
لما بين انه ولي المؤمنين وان الكفار اولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت قلت
لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الاموال التي يتملكها العباد الا بالانفاق تبعه احكامه فقال مثل الذين ولا بد من اضمار
ليصح التشبيه اي مثل صدقاتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل الجهاد وقيل جميع ابواب الخير والمنبت هو الله ولكن
الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف سواء وجدت في الدنيا سنبلة بهذه الصفة او لم توجد على انه قد يوجد في الجاورس والذرة و
غيرهما مثل ذلك في سبع سنابل مثل ثلثة قروء في اقامة جمع الكثرة مقام القلة والله يضاعف اي تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق
لتفاوت احوال المنفقين في الاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستحق ذلك في مشيئته والله واسع كامل القدرة على
المجازاة لانه فيضه غير متناه عليم بمقادير الانفاقات وبمواقعها ومصارفها وباخلاص صاحبها واذا كان الامر كذلك فلن يضيع عمل عامل
عنده ثم لما عظم امر الانفاق اردف ببيان الامور التي يجب عليها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والاذى والمن في الاصل القطع ومنه الانعام
نعم ولا تمنن تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صفوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وذلك لما فيه من
انكسار قلب الفقير من تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بان النعمة نعمة الله لعباده وان المعطي هو الله اذ كان العبد
في هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان في درجة البهائم التي لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الاثار
الى المؤثرات واما الاذى فمنهم من حمله على اذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو ان يتطاول على الفقير بما
انعم اليه او يقول له لست الا مبرما وما انت الا ثقيل وما اعلم الله ما بيني وبينك ومعنى ثم تراخي الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى
وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما على انهما منكران في سياق النفي لهم اجرهم وفي البقرة الذين ينفقون فلهم اجرهم لان الموصول هنا لم يتضمن معنى
الشرط وهناك ضمنه وفرق معنوي هو ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنالك
الانفاق ومنهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التاكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك انسب لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي لا يخافون
فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما او المراد انهم يوم القيامة لا يخافون العذاب
ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله في سبيل الله ان قوله لهم اجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون ان المن والاذى من قبيل
الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة بالاية من وجهين الاول ان العمل يوجب الاجر لقوله لهم اجرهم واجيب بان
ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثاني ان الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق واجيب بان الانفاق على نقيضه المن
لا ثواب له اصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف يقبله القلوب لا تنكره وذلك ان يرد السائل بطريق احسن وعدة حسنة ومغفرة عفو من
السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسئول لانه اذا رده بغير مقصوده ربما حمله ذلك على بذاءة اللسان ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو عن حبه السائل
بان يعذر المسئول اذ رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها اذى لانه اذا اتبع الاعطاء الايذاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب
النفع بعقاب الضرر واما القول المعروف ففيه نفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى من الناس من خصص الاية بالتطوع
لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق بما وجبه المن حليم
عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال يا ايها الذين امنوا لا
تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى للفقير كالذي اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو ان يرائي بعمله غيره ولا يريد به رضا الله وثواب
الاخرة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذي ينفق فمثله الضمير اما ان يكون عائدا الى المنافق على انه تعالى شبه
المنافق بالحجر واما ان يعود الى المان المؤذي على انه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الاملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق هذا المثل ضربه الله لعمل المان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر ان لهؤلاء اعمالا كما يرى التراب على هذا
الصفوان فاذا كان يوم القيمة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما اذهب الوابل ما كان
على الصفوان من التراب واما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة اوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى ازالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط
والتكفير فعلى مذهبنا العمل نظير التراب والمان المؤذي والمنافق كالصفوان يوم القيمة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان
مشبه بما اذا طرح بذرا في صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا اصابه مطر جود بقي مستودع بذره خاليا لا شيء فيه الا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة

بان بالمرائي المنافق ثم شبه

فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شيء الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور اى لا يقدر احد من الخلق على ذلك البذر الملقى في ذلك التراب الذي على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذي والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيمة وناهيك بكون المان والمؤذي ملحقين بالمنافق في شناعة شان المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذي ماله لان من والذي متعاقبان فكانه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذي واما لانه اشير بالذي الى الجنس والجنس في حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شيء مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم والله لا يهدي القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة انه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من انفسهم قيل اى يوطنون انفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة في الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لا ثبات لها في موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها امران الحيوة العاجلة والمال فاذا بذل ماله وروحه معا فقد ثبتت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم ومن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد انهم يتثبتون انفسهم تثبيتا في طلب المستحق وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله امضى وان خالطه شك امسك وقيل انه اذا انفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهناك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل ان يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد تظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كما ان الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فان هذه البساتين لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة ارض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها لقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما ان الصفوان لا يربو ولا يؤثر فيه نزول المطر عليه فينبغي ان يكون هذه الارض بحيث تربو وتنمو فآتت اكلها اي ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلي ما كان يعهد وقيل مثلي ما يكون في غيرها فان لم يصبها وابل فطل صغير القطر يصيبها ولا ينقص شيء من ثمرتها لكرم منبتها او المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من ان تثمر قل ام كثر وكذلك من اخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه قل ام كثر ويحتمل ان يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد في زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازي بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب في الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثلا آخر فقال ايود احدكم والهمزة للانكار البالغ اي لن يود وقرئ جنات فقد وصف الله تعالى الجنة بثلثة اوصاف الاول كونها من نخيل واعناب لان الجنة انما تكون منها اكثرها فيها الثاني تجري من تحتها الانهار ولا شك ان ذلك مزيد رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب بالذكر لانهما اكرم الشجر واكثرها منافع قال في الكشاف يجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل ثم شرع في بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف اي صبيان واطفال فاصابها اعصار الاعصار ريح تستدير في الارض ثم تستطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت اي الجنة ولا يخفى ان هذا المثل في المقصود ابلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة في غاية الكمال وكان هو في نهاية الاحتياج الى المال وذلك اوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا اصبح شاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة كم يكون في قلبه من الحسرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيمة فاذا اتبع الانفاق النفاق والمن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورث الخيبة والندامة التأويل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون انفسهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن اعطى تمرة الى فقير فاخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى يكون اعظم من الجبل فمن اعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعي جلاله حتى يصير اعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وارباب الصدق للقيام بامورهم في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما انفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك وجب لي عليك الاجر ولا اذى بان يطلب من الله غير الله راى جنيد بعض هذه الطائفة في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابا يزيد فانه يطلبني لهم اجرهم عند ربهم نزلهم في جنة النعيم عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب المعروف ومغفرة له

وادنم

وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل اذى لطلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة من يختار

في الطلب غيره ولولا حلمه فما للثرات رب الارباب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاعراض

ففيها نوع من الاعراض ومن اعرض عن الحق فقد اقبل على الباطل ومن بطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصد لذي الصدقة فانا على الباطل فقد

طلب الحق لما منت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال لولا الفقراء لهلك الاغنياء اي لم يجدوا سبيلا

الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير ياخذ منه الدنيا ويعطيه الاخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن

بالله واليوم الاخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالاخرة لانفق للاخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب

هو عمله فاصابه وابل هو وابل الرد انا اغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله

لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلبته تقربا لجمال تجرد مواهب ولنوصاله وتثبيتا من انفسهم وتخليصا لقيامهم في طلب الحق ووصاته من حظوظ

انفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق اصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فاتت

اكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي

اهل الاخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي اهل الدنيا نصيبا من الاخرة فكذلك يعطي اهل الله نصيبا من الاخرة بالتبعية ولا يعطي اهل

الاخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضات او لاستيفاء اللذات واستيفاء الحيوة ثم

ضرب مثل الروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في احسن تقويم مستعد الجميع الكرامات مشرفا بعلم الاسماء منورا بانوار العقل والحواس

السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة فجنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها الانهار الهداية واصاب لصاحبها ضعف الانسانية

وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية باغذية ثمراتها فاصابها اعصار من عمال البرفيه نار من الرياء و

النفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم الايات

لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بايتاء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا اعماركم في طلب امالكم ولتستعدوا للموت قبل حلول

اجالكم والله المستعان وهو حسبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا

ای گروندگان خرج کنید از پاکیزهای آنچه کسب کردید و از آنچه برون آوردیم از برای شما از زمین و قصد مکنید

الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ

ناپاکیرا که از آن خرج کنید و حال آنکه نیستید گیرندهٔ آن مگر که چشم پوشانید در آن و بدانید که خدا بی نیاز ستوده است شیطان میترساند شما را از فقر و

يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ

وا میدارد شما را بناشایسته و خدا وعده میکند شما را آمرزش از او و زیادتی و خدا محیط داناست میدهد حکمت را بآنکه خواهد و هرکه داده شود حکمت پس

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

داده شده است خوبی بسیار و متذکر نشوند مگر صاحبان خرد و آنچه خرج کردید از خرجی یا نذر کردید از نذری پس بدرستیکه خدا میداند آنرا و نیست ستمکاران را

مِنْ أَنْصَارٍ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ

از یاوری اگر ظاهر سازید صدقها را پس خوبست آن و اگر پنهان دارید آنرا و بدهید آنرا بفقرا پس آن بهترست مر شما را و بپوشاند از شما بعضی از بدیهای شما را و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ

بآنچه میکنید با خبرست نیست بر تو هدایت ایشان و لکن خدا راه مینماید آنرا که خواهد و آنچه انفاق کنید از مال پس مر نفسهای شماست و آنچه خرج میکنید مگر بجهت طلب

وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

رضای خدا و آنچه خرج کنید از مال تمام باز داده شود بسوی شما و شما ستم کرده نشوید مر درویشان آنانکه باز داشته شدند در راه خدا که نتوانند

ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ

رفتن در زمین را میپندارد ایشانرا بیخبر مالداران از خودداری می شناسی ایشانرا بعلامتها سئوال نمیکنند مردمرا بالحاح و آنچه خرج کنید از خوبی پس بدرستیکه خدا

بِهِ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ع

بآن داناست آنانکه خرج میکنند مالهای خود را در شب و روز در پنهانی و آشکارا پس برای ایشانست مزدشان در نزد پروردگارشان و نیست ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهگین شوند

القراءة ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب اي من يؤتيه الله الباقون بالفتح

فنعما هي ساكنة العين ابو عمرو والمفضل ويحيى وابو جعفر ونافع غير ورش فنعما هي بفتح النون وكسر العين ابن عامر وعلي وحمزة وخلف والخزاز الباقون فنعما

بكسر النون والعين والميم مشددة في القراءات ونكفر بالنون والراء ساكنة ابو جعفر ونافع وحمزة وخلف وعلي ويكفر بالياء والراء مرفوعة ابن عامر

وحفص والمفضل الباقون ونكفر بالنون ورفع الراء يحسبهم بابه بفتح السين ابن عامر ويزيد وعاصم غير الاعشى وهبيرة بسيماهم بالامالة حمزة وعلي

ابن شاذان عن خلاد مخير او قرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على مر ان فعلى الوقوف من الارض لعطف المتعففين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج
وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب وعد الله الحق الصادق وفضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج
لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت بالكسر فالوصل اجوز كثيرا ط الالباب ه بعلمه ط انصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون
والياء على الاستيناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي
وجه الله ط لا يظلمون ه في الارض لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من احصر التعفف ج لان تعرفهم يصلح استينافا
وحالا وحال اي يحسبهم الجاهل اغنياء وانت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسئلون الناس على الحافين وقد يجعل لا يسئلون استينافا
فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه التفسير لما رغب في الانفاق وذكر ان منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك و
شرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف ينبغي ان يكون فقال
انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا اي من طيبات ما اخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن ان المراد من هذا الانفاق الفرض
بناء على ان ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكوة وساير النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روي عن علي والحسن ومجاهد ان بعض
الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه
في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلعم فقال النبي بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل
لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكوة في كل ما يكسبه الانسان فيشمل زكوة التجارة
وزكوة الذهب والفضة وزكوة النعم وزكوة كل ما ينبت من الارض الا ان العلماء خصصوها بالاقوات لما روي انه صلعم قال الصدقة في اربعة
في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكوة في غير الاربعة لكن ثبت اخذ الزكوة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلعم
فعلم وجوب الزكوة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكوة كون الشيء مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة
ومثله الشافعي بالقت وحب الحنظل وساير البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكوة فيها لان الناس لا يتعهدونها وايضا لا تجب الزكوة
في القوت ما لم يبلغ خمسة اوسق وبه قال مالك واحمد لرواية ابي سعيد الخدري ان النبي قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وقال ابو حنيفة
يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الاية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور مذكور في الفروع
فلذلك لطولها لم نشرع فيها واما المراد بالطيب في الاية فقيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردي لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذالة
اموالهم فنهوا عن ذلك لان المحرم لا يجوز اخذه بالاغماض وبغيره والاية دلت على جواز اخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود
ومجاهد ان الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى ولستم باخذيه وانتم تعلمون
انه محرم الا ان ترخصوا لانفسكم اخذ الحرام ولا تبالوا من اي جهة اخذتم المال من حلاله او من حرامه ويحتمل ان يراد بما يكون طيبا من جميع
الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة ايضا لان الاستطابة قد يكون شرعا وقد يكون عقلا واعلم ان المال الزكوي ان كان كله شريفا
وجب ان يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للاية لان المأخوذ في هذه الحالة لا
يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فح يقال للانسان لا تجعل الزكوة من رديء مالك ولا يكلف ان يأخذ الجيد
لقوله لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن اعلمهم ان عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم اموالهم بل الواجب هو
الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الاية التطوع او هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى ان يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء
لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممه وتأممه كلاهما بمعنى قصده ومحل تنفقون نصب على الحال قدم منه عليه
ليعلم ان المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل ان يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم
ابتداء مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا بالاغماض هو غض البصر واطباق جفن على جفن
واصله من الغموض وهو الخفاء يقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر واصله ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه كيلا يرى
ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا اي لو اهدي لكم مثل هذه الاشياء لما اخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لها لا ترضونه
لانفسكم ويحتمل ان يراد الا اذا اغمضتم بصر البايع اي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن او وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
واعلموا ان الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما انعم من البيان والتكليف بما يحوزون به النعيم الابدي وحامد شاكر على انفاقكم كقوله فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب في اجود ما يملكه الانسان ان ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر اما
الشيطان فيشمل ابليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن
ان يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم واصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم
بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق ان لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل

للانفاق فهو ان يبذل كل ما له في سبيل الله والطرف الاخر ان لا ينفق شيئا الا الجيد ولا الردي والوسط ان يبخل بالجيد وينفق الردي فالشيطان اذا اراد
نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته ان يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو امره بالفحشاء وذلك ان البخل صفة مذمومة عند
كل احد فلا يمكنه ان يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا انفق الجيد من ماله فاذا اطاعه في ذلك زاد فيمنعه من الانفاق بالكلية وربما
تدرج الى ان يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدي الزكوة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه بل يتسع الخرق فيقدم
على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان اردفها بذكر الهامات الرحمن فقال وَاللّٰهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا فالمغفرة اشارة
الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي ان الملك ينادي كل ليلة اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان
يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعد المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول اولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع
به على تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة اخرى وعند وجدان العقبى لا بد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف الميعاد ولو فرض بقاء
المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف او مرض او هم بخلاف الانتفاع بما في الاخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال
فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف ما وعد في الاخرة فانه باق لا يزول وايضا لذات الدنيا مشوبة بالالام والمضار البينة فلا لذة الا وفيها الم من وجوه
كثيرة بخلاف لذات الاخرة فانه لا نقص فيها ولا نغص وايضا المغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال او للتعظيم لا سيما وقد قرن به لفظة منه فانه
غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكها عقول الخلائق ويحتمل ان يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في اية اخرى فَاُولٰئِكَ يُبَدِّلُ اللّٰهُ سَيِّئَاتِهِمْ
حَسَنَاتٍ وان يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين واما الفضل فيحتمل ان يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك
ان المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال
الخارجي والنقصان الداخلي واذا حصل الانفاق حصل الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق اولى وافضل وايضا متى حصلت ملكة
الانفاق زال عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وايضا مهما عرف من
الانسان انه منفق كانت القلوب معقودة على ان يفتح الله عليه ابواب الرزق ولمثل ذلك من التاثير ما لا يخفى وَاللّٰهُ وَاسِعٌ كامل العطاء كافل للخلف قادر
على انجاز ما وعد عَلِيمٌ بحال من انفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد
الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما رجحه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القران على اربعة اوجه احدها مواعظ
القران وَمَا اَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وَاٰتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَلَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ وثالثها الحكمة بمعنى
النبوة وَاٰتَاهُ اللّٰهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ورابعها القران بما فيه من الاسرار يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وجميع هذه الوجوه عند التحقيق يرجع الى العلم فتامل
يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ اُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا
قَلِيلٌ وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلم لا نهاية لمراتبها ولعددها ولمدة بقائها والسعادات الحاصلة
منها واعلم ان كمال الانسان في شيئين ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني الى فعل العدل
والصواب لذلك سأل ابراهيم عليه السلام رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وهو الحكمة النظرية وَاَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام اِنَّنِي اَنَا اللّٰهُ لَا اِلٰهَ
اِلَّا اَنَا وهو الحكمة النظرية ثم قال فَاعْبُدْنِي وهو العملية وحكي عن عيسى عليه السلام انه قال اِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ اٰتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا
اَيْنَمَا كُنْتُ وكلها النظرية وَاَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وجميعها العملية وقال في حق محمد فَاعْلَمْ
اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللّٰهُ وهو النظرية ثم قال وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وهو العملية وقال في حق جميع الانبياء يُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ اَمْرِهِ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
اَنْ اَنْذِرُوا اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا وانه الحكمة العلمية ثم قال فَاتَّقُونِ وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الايات وامثالها ان كمال حال الانسان في هاتين القوتين
والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا حجي ولب واصابة راي وفعيل بمعنى فاعل ويجيء بمعنى مفعول فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ اَمْرٍ حَكِيمٍ اي
محكوم وفي الاية دليل على ان جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية مما هي باعطاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة ما زادوا
الا ان وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه ان سلكوا وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ الذين اذا حصلت لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم
ينسبوا هذه الاحوال الى انفسهم بل يرقون الى اسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول واما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا
هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ما له وما عليه وعند ذلك تقدم او تحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما في قلب العبد من نية
الاخلاص او الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعي والنيات فلا يهمل شيئا منها فقال وَمَا اَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ لله او للشيطان
اَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ في طاعة الله او معصيته فَاِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُهُ وتذكير الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً اَوْ اِثْمًا ثُمَّ
يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلزمه الانسان بايجابه على نفسه واصله من الخوف كأنه يعقد على نفسه خوف التقصير في الامر المهم عنده وفي
الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم ان النذر قسمان نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر اما الاول فهو ان يمنع نفسه من الفعل او يحثه عليه بتعليق التزام قربة
بالفعل او الترك كقوله ان كلمت فلانا او فعلت كذا او دخلت الدار او لم اخرج من البلد فلله على صوم شهر او صلوة او حج او اعتاق رقبة ثم اذا كلمه

ودخل ولم يخرج فللعلماء ثلثة اقوال احدها يلزمه الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح ان عليه كفارة يمين لما روي انه عم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث
التخيير بين الوفاء وبين الكفارة واما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو ان يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة واندفاع نقمة مثل ان شفى الله مرضي او
رزقني ولدا فلله علي ان اعتق رقبة او اصوم او اصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله عم من نذر ان يطيع الله فليطعه ونذر التنجيز وهو
ان يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله علي ان اصوم او اصلي او اعتق فالاصح انه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر اما المعاصي
واما الطاعات واما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم ايام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لانه لا نذر
في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد وذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه ان يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روي انه
قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج واما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوة الخمس وصوم رمضان لا معنى
لالتزامها بالنذر معلقا او غير معلق وكذا لو نذر ان لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح واما غير الواجبات فالعبادات
المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فيلزم بالنذر وذلك كالصوم والصلوة والصدقة
والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات التي يحتاج فيها الى معاناة تعب او بذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلوة
على الجنازة والامر بالمعروف مما ليس فيه بذل مال ولا كثير مشقة فالاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم اصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروعة فيها
اذا كانت من المحبوبات كالصلوة بشرط طول القراءة او الركوع او السجود او المشي في الحج اذا جعلناه افضل من الركوب هو الاصح ولو افرد الصفة بالالتزام
والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود والقراءة في الفرايض فلا شبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها واما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة
المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها ايضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب
الشارع فيها واما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها او تركها لم ينعقد نذره روي ان النبي عم راى رجلا
قائما في الشمس فسئل عنه فقال نذر ان لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال عم مروه فليتكلم وليستظل وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير
تسمية لزمه كفارة يمين لقوله عم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
او ينفقون اموالهم في المعاصي والرياء او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه لا ارجع انصار
كاصحاب في صاحب وجمع نصير كاشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر فان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف
لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وايضا ان هذا الدليل لنا في عام في حق كل الظالمين وفي كل
الاوقات والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وايضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا
على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك به ساقطا سئلوا رسول الله عم اصدقة السر افضل ام صدقة العلانية
فنزلت ان تبدوا الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره
اذا اخبره على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد النكاح به يتم ويكمل والزكوة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد
كماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فحمول على انه وقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله
ما روي في الحديث انه عم قال لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن
قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة نعم الساعون في الامر المبر قال سيبويه ما في تاويل الشيء اي نعم الشيء هي وقال ابو علي الجبائي وجيد تام
ان يقال ما في تاويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوص بالمدح فالتقدير نعم شيئا ابداء الصدقات
فحذف المضاف للدلالة او نعم شيئا تلك الصدقات او تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع افضل كما ان الاظهار في الزكوة افضل اما الاول فلان ذلك اشق على النفس
فيكون اكثر ثوابا ولانه ابعد عن الرياء والسمعة قال عم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك انه يطلب السمعة
والمعطي في ملاء من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا ان لا يعرفهم الاخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها
في طريق الفقير او في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال عم
افضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال ايضا ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان اظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل
من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال عم صدقة السر تطفي غضب الرب وايضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما انكر
الناس على الفقير اخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلال الاخذ واهانة له واذلال
المؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال عم من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيئا فيقع في خير
اللوم والتعنيف نعم لو علم انه اذا اظهر بها اقتدى غيره كم بعد الحال فهذه ان يكون الاظهار افضل روي ابن عمر انه عم قال السر افضل من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء واعلم ان الانسان اذا اتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة ان يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك

بيان نعما

الشهوة فههنا الشيطان يرد عليه كرؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا
كما روى عن ابن عباس صدقات السر في التطوع يفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان الله تعالى عبادا راضوا انفسهم حتى من الله عليهم بانوار هدايته
وذهب عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى المجاهدة فاذا اعلنوا بالعمل ارادوا ان
يقتدى بهم غيرهم فهم كاملون في انفسهم ويسعون في تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا امة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء ائمة الهدى
واعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى في الذهاب الى الله واما ان الاظهار في اعطاء الزكوة افضل فلان الله امر الائمة بتوجيه السعاة لطلب
الزكوات وفي دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفي التهمة ولهذا ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان اكثر صلوته في البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة
علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكي ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له افضل ولا سيما اذا خاف
الظلمة ان يطمعوا في ماله وعن بعضهم ان معنى قوله خير لكم انه في نفسه خير من الخيرات كما يقال الشر بخير من الله وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود
من بعث المتصدق ان يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم اخفاها حصلت الفضيلة
فلهذا اشرط في الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء واما في الابداء فلما لا يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا
فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل في الشرط والجزاء ان يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتداء محذوف فقوله
فهو خير في تاويل فيكون خيرا لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستانفة
ومن قرأ بالجزم فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كانه قيل وان تخفوها تكن اعظم اجرا واما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا
فالاعراب كما مر في النون والضمير لله او للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان و
معناه وان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم خيرا لكم والتكفير في اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه اي ستر ذنب الحنث وقوله من سيئاتكم يحتمل
ان يكون من للتبعيض لان السيئات كلها لا تكفر وانما تكفر بعضها ثم ابهم الكلام في ذلك البعض لانه بيانه كالاغراء على ارتكابها واحسن حال العبد
ان يكون بين الخوف والرجاء ويحتمل ان يكون للتعليل اي من اجل سيئاتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك اي من اجل ذلك وقيل انها زائدة
والله بما تعملون خبير كانه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذي هو ابعد من الرياء عن الكلبي انه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه
اسماء بنت ابي بكر فجاءها امها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على
ديني فاستامرته في ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هديهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها ان تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبي
ولها وجه اخر وذلك ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم
وارادوهم ان يسلموا واستامروا رسول الله فنزلت فاعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على اهل دينكم
فانزل الله ليس عليك هديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على اهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك
والعلماء اجمعوا على انه لا يجوز صرف الزكوة الى غير المسلم فيكون الاية مختصة بالتطوع وجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه
غيره ومعنى الاية لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين فتمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فاعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله وسراجا منيرا فاما كونهم مهتدين فليس ذلك
منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا او لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم وفيه وجه اخر ليس عليك ان تلجئهم
الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا
ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها اولا لكن المنفي اولا هو الهداية اي الاهتداء على سبيل الالجاء فهذا الثاني ومنه يعلم
ان الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف ان المعنى لا يجب عليك
ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك ما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي
من يشاء يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هديهم انه خطاب مع النبي ولكن المراد به هو وامته لان ما
قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم او فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم
بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله اي لستم في صدقتكم على اقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم وسد خلة
مضطر فقد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي اي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد للمدح حتى تبتغوا
وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه انك اذا
قلت فعلته لوجه زيد كان اشرف من قولك فعلته له لان وجه الشيء اشرف ما فيه ثم كثر حتى عبر به عن الشرف مطلقا وايضا قول القائل فعلت هذا
الفعل له يحتمل الشركة وان يكون قد فعله لاجله ولغيره اما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه في الآخرة
اضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا ثم انه بين

يجوز صرف الصدقة اليه فقير كان اراد ان يبين ان اشد الناس استحقاقا هؤلاء وفقال للفقراء اى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل
فيقول عاقل لبيب اى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب قيل اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء او المراد صدقاتكم للفقراء قيل
نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحوا من اربعمائة رجل وهم اصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن
ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى عن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم و
جهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقى من امتى على النعت الذى انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء
الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين أحصروا في سبيل الله اى حصروا انفسهم ووقفوا على الجهاد فى سبيل الله لان سبيل الله مختص
بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد فوضع الصدقات
فيهم يكون ادفع لسد خلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى ان هؤلاء قوم اصابتهم جراحات فى الغزوات
فاحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين حبسهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا فى الارض اى سيرا فيها
وذلك اما لاشتغالهم بالعبادة او بالجهاد فلا يتفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم
يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم من لم يختبر امرهم اغنياء من التعفف من اجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل كلما منهم التعفف اظهار
العفة وهى ترك الشىء والكف عنه الرابعة تعرفهم اى انت يا محمد وكل راءٍ بسيماهم والسيماء العلامة التى يعرف بها الشىء من السمة العلامة فوزنه عفلى
قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع السدى اثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة الوانهم من الجوع ابن زيد رثاثة ثيابهم وقيل الهابة فى العيون
وقيل اثار الفكر يروى انه كان كثير الفكر الخامسة لا يسئلون الناس إلحافا اى الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشىء يعطى وفى التركيب يدل على
الشمول كانه لزم المسئول لزوم الشامل المستوعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيى الحليم المتعفف ويبغض البذىّ السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا
بتلطف ولم يلحفوا اورد عليه انه ينافى التعفف الذى وصفوا به قبل فالوجه ان يراد نفى السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى
ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف فائدة الكلام التنبيه على سوء طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان احدهما عاقل وقور
والآخر طياش خفيف واردت ان تمدح احدهما وتذم الآخر فقلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواص ولا مهذار لم يكن غرضك من
قولك ليس بخواص ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغنى عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثانى وقيل معناه
انه يكون السؤال الا بالالحاح شديد منهم على نفسهم لشدة حاجتهم كقوله لن يقبل قول لمائذا اما ثار عنى لعلى وعنها وقيل ان عدم السؤال
بطريق الالحاف يتضمن نفى السؤال عنهم راسا لان كل سائل فلا بد ان يلح فى بعض الاوقات كانه يقول اذا رقت ماء وجهى فلا ارجع بغير مقصودى
وقيل لعل السائل عن السؤال يظهر من نفسه امارات الحاجة فيكون حال سكوته انطق ما يكون فيرق القلوب فالمراد انهم وان سكتوا عن
السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السكوت من رثاثة الحال والانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يجملون الحال بحيث لا يطلع
على سرهم غير الله عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يفتح احد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لان يأخذ احدكم حبلا
يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من ان يسئل الناس وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم فيه ان ثواب هذا الانفاق الذى هو اعظم المصارف لا يكتنه
كنهه فلذلك وكل الى علمه تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب فى التصدق على اهل الاديان قال فى آخره وما تنفقوا من خير يوف إليكم كما لو قال السلطان
لعبده الذى حسن عنده موقع خدمته فى حب خدمتك عالم وكقوله عارف كان ابلغ مما لو قال ان اجرك واصل اليك ثم ارشد فى خاتمة الآيات
الى اكمل وجوه النفقات بقوله الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار الآية وذلك ان الذين يعموا الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم
دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى فى اى فى الليل او
النهار وعلانية منصوبان على الظرفية ايضا اى فى وقت السر والعلن او على وصف المصدر اى انفاقا سرا او على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل
لما نزل للفقراء الذين احصروا بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى اصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفى تقديم ذكر الليل تقدم
السر على العلانية دليل على ان صدقة على كان اكمل وعن ابن عباس ما كان على الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم
علانية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال ان استوجب ما وعد ربى فقال لك ذلك فنزلت الآية وقيل نزلت فى ابى بكر حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وكان ابو هريرة اذا مر بفرس
سمين قرأ هذه الآية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال التأويل أنفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه احدها اوفر النصيب بالحلال فيتقبل الله
منه ولو نهم بالجودة فليحرز به فقد ورد بجودة تمرة ثانيها الثواب على التعظيم لامر الله ثالثها الثواب على الشفقة على خلق الله رابعها الثواب على الايثار ويؤثرون
على انفسهم وخامسها استحقاق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون سادسها الثواب على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع
فى زراعته فكما ان الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة ازداد اجتهاده فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته
لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الارض لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفى الآية

معنى خر لطيف انفقوا من طيبات نيات كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما اخرجنا لكم من ارض طينتكم فى تحلية سرائركم بمكارم الاخلاق

وليكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الاغراض الدنيوية والاخروية طيبا منفقها من خباثة الانفاق والنظر فى الانفاق

الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة فى نفسها فلله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده ويربيها قبل ان يقع فى يد الفقير واذا كانت اليد طيبة فى

انفاقها فلله قبول طيب فانما ابلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من

اصابع الرحمن وهذا التحقيق قوله ان الله طيب لا يقبل الا الطيب ولستم باخذيه هذا الخبيث لا فى اصل الفطرة ولا فى عهد الخلقة لانكم خلقتم من

اصل طيب طينة طيبة فالروح من الطيب لا طائب لانه اقرب الاقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم

احياكم بالايمان فلنحيينه حيوة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث فى الظاهر والباطن الا ان تغمضوا

فيه فتقبلوه تكلفا وقد كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم يكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارية عليه

عارية لديه انزل الله تعالى كلمة طيبة هى لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها اخلاقهم ويستحقوا يوم القيمة ان يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها

خالدين واعلموا ان الله غنى من كمال غناه اراد ان يغنيكم بنوال الانفاق حميد على انعمه بهذا التكليف ليتوسل به الى الكمال الابدى الشيطان يعدكم

الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لانها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك فى مواعيد الحق بالخلف والضعيف

وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة

وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسته فسوف يبتلى بهذه الافات واضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق فاض عليه سجال غفرانه ونحار فضله

واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والاثام والفضل الابدى لا اوهام للذين احسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك ان يفتح على قلبه باب حكمة عاجلا كما

قال يؤتى الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه اهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات

تكتسب بالبرهان وهى مشتركة بين اهل الاديان والاسرار الاسرار الالهية مواهب الحق لا تردالا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدى الله

لنوره من يشاء وما يذكر الا اولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وانتقلوا الى عالم النور ثم اخبر عن توفية الاجر للمنفق فى المفروض والمنذور وما

للظالمين الذين وضعوا الشئ فى غير موضعه فبدلوا ما الانفاق للنفاق ما الاخلاص او بامر من انصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن دونه لا انصار له ان تبدوا الصدقات

صدا خفائها او ابدائها تخليها عن شوب الحظوظ والى الاشارة فى قوله سبعة يظلهم الله فى ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فاخفاها عن شماله اى

عن حظوظ نفسه ليكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون فى ظل صدقته يوم القيمة اى ان كانت صدقته لله كان فى ظل الله وان كانت للجنة كان فى ظل

وان كانت لطلب الهوى كان فى ظل الهاوية فنعم قوله ان تبدوا الصدقات اى تظهروها الطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعما هى فانها مرتبة

الابرار ان الابرار لفى نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين يعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاؤها

لقاء الله ثم اخبر عن الهداية وان ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولى الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء

الفضيلة وانت سيد الاولين والاخرين وانت اكرم الخلق على رب العالمين لكن ليس عليك هديهم ولكن الهداية مخصوص بمشيتنا واوضح برهانه

انت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على ان افضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى حصره المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى حصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف

اخذ عليه سلطان الحقيقة كل طريق فلا له فى المشرق مذهب ولا فى المغرب مضرب ولا منال الى غيره مهرب كان فجاج الارض ضاقت برحبها عليه فما يريد له

طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة اهل الغيرة اولياى تحت قبابى لا يعرفهم

غيرى يا محمد تعرفهم بسيماهم لانك لست بك فانك غيرى ما رايت اذ رايت ذلك المليك ولكن الله راى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهم

لا يرى بالبصر الانسانى بل يرى بنور الربانى فمن سيماهم فى الظاهر من ظهر اثار احوال الباطن انهم لا يسئلون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان

انوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهم فتنورت بالتعفف نفوسهم واضمحلت ظلمة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال والجاه و

خدمة بالنفس واكرام وارادة حتى السلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهم فى الظاهر انهم اذا وجد

ما لا يبعوا عزة الفقر بل ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هم يحزنون فى الدنيا

على ما فوتهم لانهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الاخرة لا يحزنهم الفزع الاكبر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟

وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ

ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ

وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ يٰاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ

و بر پای داشتند نماز را و دادند زکوة را مر ایشان راست مزد ایشان نزد پروردگار ایشان و نه ترسی بر ایشان و نه ایشان اندوهناک باشند ای گروه آنان که گرویده اید بپرهیزید خدا را

وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ

و واگذارید آنچه را که باقی مانده از سود اگر هستید باور دارندگان پس اگر نکردید پس اعلام کنید بجنگ از خدا و رسول او و اگر توبه کنید پس شما راست سرمایهای شما

لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ وَاتَّقُوْا

ستم نکنید و ستم کرده نشوید و اگر بوده باشد تنگدست پس مهلت دهید او را تا زمان فراخی و صدقه دادن شما بهتر است مر شما را اگر باشید دانشمندان و بپرهیزید

يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ القراءة الربوا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا

از روزی که باز گردید در آن بسوی خدا پس تمام داده شود هر نفسی آنچه کسب نموده و ایشان ستم کرده نشوند اذا كان معرفا ولا يميلون المنكر في الوصل لاجل التنوين كقوله

وما اتيتم من ربوا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فاذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وابو بكر غير ابن غالب البرجمي حمزة ويقف بتليين

الهمزة اي بالتليين الباقون فاذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لا تظلمون ولا تظلمون الاول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسرة

بضم السين نافع ميسره بضم السين واثبات الياء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم الياء وان تصدقوا خفيفا عاصم الباقون بتشديد

الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم ابو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول الوقوف من المس ط مثل الربوا

كيلا يظن ان ما بعده من قولهم انما مكن جعل واحلا حالا لاتصاله قد وحرم الربوا ط لابتداء الشرط واستيناف المعنى ما سلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج

الى اخره خالدون الصدقات ط اثيم عند ربهم ج يحزنون مؤمنين ورسوله ج اموالكم ج لان ما بعده مستانفا وحال عامله معنى الفعل في لام

التمليك لا تظلمون ميسرة ط تعلمون لا يظلمون التفسير الحكم الثاني من الاحكام المذكورة في هذا الموضع حكم الربوا وذلك ان بين الصدقة وبين الربوا

مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص ما امر بها والربوا زيادة منهي عنها وايضا لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب ان يردف بالكسب الحرام وهو

الربوا والحلال هو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرهما فقال الذين ياكلون الربوا اما الاكل فيعم جميع التصرفات الا انه عبر عن الشيء بمعظم

مقاصده وكيف لا وقد لعن رسول الله صلعم اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له وايضا نفس الربوا لا يمكن ان يؤكل ولكن يصرف الى الماكول فيؤكل

فالمراد التصرف فيه والربوا في اللغة الزيادة من ربا يربو ومن امالها فلمكان كسرة الراء وهو في المصاحف مكتوب بالواو وانت مخير في كتابتها بالالف

والواو وفي الكشاف كتبت بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربوا قسمان ربا النسيئة

وربوا الفضل اما الاول فهو الذي كانوا يتعارفونه في الجاهلية كانوا يدفعون المال مدة على ان ياخذوا كل شهر قدرا معينا ثم اذا حل الدين طالبوا

المديون براس المال فان تعذر عليه الاداء زادوا في الحق والاجل واما ربوا الفضل فان يباع من من الحنطة بمنوين منها والمروي عن ابن عباس انه

كان لا يحرم الا القسم الاول كان يقول لا ربوا الا في النسيئة ويجوز ربا النقد فقال له ابو سعيد الخدري شهدت ما لم تشهد سمعت ما لم تسمع فروى

الحديث المشهور في هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا

بيد فمن زاد واستزاد فقد اربى الاخذ والمعطي فيه سواء ثم قال ابو سعيد لا اراني واياك في ظل بيت ما دمت على هذا فيروى انه رجع عنه وقال محمد بن

سيرين كنا في بيت معنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة ما تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برايي ثم بلغني ان رسول الله

حرمه فاشهدكم اني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس قوله تعالى واحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين وقوله وحرم الربوا لا يتناوله

لان كان زيادة ليست موجودة في البيع الحلال ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كانوا يسمونه فيما بينهم ربوا وهو ربوا النسيئة فدل ذلك هذا الرأي

في السنة وفي رواية لا ربوا الا فيما كان يدا بيد ذكر ابو المنهال انه سال البراء بن عازب وزيد بن ارقم فقالا كنا تاجرين في عهد رسول الله فسألنا

رسول الله عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا باس وان كان نسيئة فلا يصح واما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربوا في القسمين اما النسيئة

فبالقران واما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربوا النقد في الاشياء الستة النقدان والمطعومات الاربعة ولا شك ان الربوا انما ثبت

فيها لمعنى فاذا عرفنا ذلك المعنى الحقنا بها ما يشاركها فيه اما الاشياء الاربعة فللشافعي في علة الربوا فيها قولان الجديد ان العلة الطعم لما روى معمر بن

عبد الله قال كنا نسمع رسول الله يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق

كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن لما روي انه صلعم قال الذهب بالذهب وزنا

بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربوا في كل مطعوم مكيل او موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز

وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت او يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربوا وعند ابي حنيفة العلة الكيل حتى يثبت الربوا في الجص والنورة

وعن احمد روايتان كابي حنيفة والاخرى كالجديد اما النقدان فعن بعض الاصحاب ان العلة فيهما عينهما لا لعلة والمشهور ان العلة فيهما صلاحية الثمنية

الغالبة فليعم التبر والمضروب والحلي والاواني المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال

احمد وابو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه واما السبب في تحريم الربوا

الربع من ... اول

بما روي للشافعي ... ان النبي قال ... الوفاء صح

فهو ان من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا او نسيئا يحصل له زيادة درهم من غير عوض فاخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه
ابقاء راس المال في يده مدة مديدة وتمكينه من ان يتجر فيه وينتفع به امر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل واخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن
لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه انه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربوا من تحصيل الدرهم
الزائد نقدا او نسيئا اعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقال انما يفضي الى انقطاع المعروف بين الناس من القراض ولانه تمكين للغني من ان ياخذ
مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربوا قد ثبتت بالنص ولا يجب ان يكون حكمة كل تكليف معلومة لنا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبطه الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد
على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس اي مجنون فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا ايضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا
ارادوا تقبيح شيء ان يضيفوه الى الشيطان كما في قوله تعالى طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ فورد القرآن على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة
المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يفزع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وارباب الحزم واللب واكثر المسلمين على ان
الشيطان لا يبعد ان يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الاية اقوال احدها ان اكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا ذلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقوله مِنَ الْمَسِّ متعلق بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع او يتعلق بيقوم اي كما يقوم
المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم فاثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا وذلك ان الشيطان يدعوه الى الهوى
والملك يجره الى التقوى فيقع هناك حركات مضطربة وافعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات اكل الربوا على ذلك ورثه الخبط في الاخرة واوقعه في ذل الحجاب بينه
وبين الله تعالى ذلك العقاب بسبب قولهم إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وذلك انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به
البيع والا كان حق النظم في الظاهر ان ينعكس فيقال انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع ومن حق القائلين ان يشبهوا محل الخلاف بمحل الوفاق
ثم انهم كانوا يقولون في تحليل الربوا على هذه الشبهة وهي ان من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا او نسيئة فهذا حلال وكذا اذا اعطى العشرة
باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والمبايعات انما شرعت لدفع الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال ويحصل
له اموال كثيرة في المآل فاعطاء الزيادة عند وجدان المال اسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فاجاب الله تعالى عنها بحرف واحد هو قوله
أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض القياس فان ذلك من عمل ابليس امره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال
أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ثم ظاهر الاية يدل على ان الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربوا دون الاقدام على اكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الاية كون اكل
الربوا من الكبائر ويجاب بما مر في مقدمة الاية بان المراد من اكلهم الربوا استطابته واستحلاله كما يقال فلان ياكل مال الله قضما وخضما اي يستحل التصرف فيه
الا ان جمهور المفسرين حملوا الاية على وعيد من يتصرف في مال الربوا لا على وعيد من يستحل هذا العقد وقيل ويحتمل ان يكون قوله وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد واكثر المفسرين على خلافه لانه لو جعل من كلام الكفار لا يتم الا باضمار وهو ان يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار
او على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وايضا لو كان من تمام كلامهم لم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ لائقا بالمقام وايضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الاية ولولا انهم علموا ان ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها
وههنا بحث للشافعي وهو ان الاية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على ان الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي
في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك ان افادته اضعف مما لو قيل واحل الله المبايعات بلفظ الجموع ومع ذلك فقد تطرق اليه
تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لانه قريب من الكذب نعم لو ان اللفظ المستغرق على الاغلب عرف مشهور وايضا
روي ان عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربوا ولو كان لان الربوا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا و
وجب الرجوع الى بيان النبي فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ بلغه وعظ من ربه فانتهى فامتنع من استحلال الربوا وتبع النهي فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه
لانه اخذ قبل نزول التحريم كقوله إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ عن الزجاج التنوين في موعظة للتعظيم او للتقليل اي موعظة بليغة او شيء من المواعظ
وقيل النهي المتاخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف له فالمراد له ما اكل من الربوا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلف النقد
ومنه الامم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لانه اول ما يخرج من عصيرها وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ لانه ان انتهى عن اكل الربوا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله
العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له كقوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ومن عاد الى استحلال الربوا وانه مثل البيع فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لانه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا اما
القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى اكل الربوا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربوا وكان بالغ في الاي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما
يجري مجرى الداعي الى ترك الربوا وفعل الصدقة فقال يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ والمحق نقص الشيء حالا بعد حال ومنه محاق القمر وكل من محق
الربوا وارباء الصدقات اما في الدنيا واما في الاخرة وذلك ان الغالب في المرابي وان كثر ماله ان يؤول عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الربوا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه ببغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسوق والعدوان ودعما يطمع الظلمة في ماله لما
منهم ان المال في الحقيقة للمسلم وعن ابن عباس في تفسير هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربوا لا يبقى عند
الموت بل يبقى التبعة عليه قد ثبت في الحديث ان الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغني من الحلال فكيف حال الغني من الحرام
المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربوا المثل الذي ضرب فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربي الصدقات المثل
المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة انبتت سبع سنابل عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب
وياخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم مهره او فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل احد ايضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وميل القلوب اليه
وينقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربوا وان كان زيادة في المال في الحال الا انه نقصان
في المآل والصدقة ان كان نقصانا في الحال الا انها زيادة في الاستقبال فعلى العاقل ان لا يلتفت الى ما يقضي به الحس والطبع ويعول على ما ندبه اليه العقل
والشرع والله لا يحب كل كفار اثيم الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على الكفر وذلك في الصيغة للمبالغة كما في قوله الاثيم فعيل بمعنى فاعل وهو ايضا
للمبالغة في الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربوا فيكون جاحدا ووجه آخر وهو ان يكون الكفار راجعا الى المستحل والاثيم
الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل ان يعود كلاهما الى آكل الربوا ويكون تغليظا في امر الربوا وابانة انه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفي الآية دلالة
على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه انه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر وبين المواظبة على سائر الآثام كالربوا فان استحلاله كفر وهو في
نفسه اثم مذموم في جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فبقي الآية ساكتة عمن جمع بين الامرين لا على سبيل الاصرار و
المواظبة وعن الذي لم يجمع بينهما ثم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذي لم يواظب على سائر الآثام لم يستاهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافي السكوت عن
حكمه ههنا والله اعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية فاحتج به من قال العمل الصالح
خارج عن مسمى الايمان كما مر واجيب بانه قال في الآية واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة مع ان الصلوة والزكوة من الاعمال الصالحة ورد بان الاصل حمل كل لفظ
على فائدة جديدة ترك العمل به عند النص فيبقى في غيره على الاصل لهم اجرهم عند ربهم لم يقل عليه لان الاول يجري مجرى ما اذا باع النقد فلك النقد حاضر
متى شاء البائع اخذه والثاني جار مجرى البيع في الذمة نسيئة والشاني الاول افضل ولا خوف عليهم عن ابن عباس اي فيما يستقبلهم من احوال القيامة ولا هم يحزنون
بسبب ما تركوه في الدنيا فان المنتقل من حال الى حال اخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة
فبين تعالى ان هذا القدر من الندامة لا يلحق اهل الثواب والكرامة وقال الاصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذي حصل
لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة في الآخرة وايضا انهم لا يحزنون بسبب انهم لم يصدر منا طاعة ازيد مما صدر حتى صرنا اهلا مستحقين لثواب ازيد مما وجدناه
لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله لما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت والرجل بلغ عارفا بالله
وقبل ان يجب عليه الصلوة والزكوة مات فهما من اهل الثواب مع خلوهما عن الاعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الاجر على حصول الاعمال والجواب
ان الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر ولا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين ان من انتهى عن الربوا فله ما سلف
كان يجوز ان يظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا فبين انه يحرم اخذ
ما بقي من الربوا في ذممهم فان قيل كيف قال يا ايها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب هذا كما يقال ان كنت اخي فاكرمني معناه ان
كان اخاك ام لا ومعناه اذ كنتم مؤمنين او ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان او يا ايها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين
بقلوبكم قال القاضي فيه دلالة على ان الايمان لا يتكامل اذا اصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر واجيب بان المراد ان كنتم
عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الاجل اذا حضر الوقت وطمع
على ان تلك الزيادة حصلت له فقطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الآية اصل كبير في احكام
الكفار اذا اسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى لا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز
في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب
الشافعي اما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله اعلم انها نزلت في بني عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف في بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو
المغيرة يربون لثقيف فلما اظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربوا كله فاتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن اسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة
ما جعلنا اشقى الناس بالربوا وضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو ان الايذان لهم بحرب من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب
وعثمن بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان انتما اخذتما حقكما كله فهل لكما ان تأخذا النصف و
تؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما وقال السدي
نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربوا فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي

الا ان كل ربوا من ربا الجاهلية موضوع واول ربوا اضعه ربوا العباس بن عبد المطلب فان لم تفعلوا فأذنوا قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربوا ومعنى
قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربوا فان لم تفعلوا اي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فأذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على ان
من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون ما لهم فيئا للمسلمين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على
معاملة الربوا لان الخطاب مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا ايها الذين آمنوا ومعنى قوله فأذنوا عند من جعله من الايذان اعلموا
من لم ينته عن الربوا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا امروا باعلام غيرهم فهم ايضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القر
في الابلاغ اكد ممن قرأ فأذنوا من اذن بالشيء اذا علم به اي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف امر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على
من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله
وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت ان ذكر هذا النوع
من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه ان المصر على عمل الربوا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه واجرى عليه
حكم الله من التعزير والحبس الى ان يظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب ابو بكر مانعي الزكوة وكذا
القول لو اجمعوا على ترك الاذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربوا وعن معاملة الربوا فلكم رءوس اموالكم لا
تظلمون الغريم بطلب الزيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على ان كان
هي التامة بمعنى وجد الشيء وحدث في نفسه لا بمعنى وجدت موصوفية الشيء فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان
كان الغريم والمشتري ذا عسرة وقراءة المشهورة اولى كيلا يكون النظرة مقصورة على الغريم المشتري بل يعم غيره من ارباب العسرة وهي اسم من الاعسار
وهو تعذر الموجود من المال والنظرة التأخير والامهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم او فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره
على الامر اي سامحه بالانظار وناظره اي صاحب الحق منتظره او ونظره مثل مكان عاشب اي ذو عشب الى ميسرة الى اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة وقرئ بالاضافة الى الضمير فحذف التاء كقوله واقام الصلوة واختلفوا في ان حكم الانظار مختص بالربوا او عام في الكل فعن ابن عباس
وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الآية في الربوا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رءوس اموالنا ولكم الربوا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم اهل
عسرة فأخرونا الى ان ندرك الثمرة فأبوا ان يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين انها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو
نزل في سبب خاص فلا يمنع لحاق سائر الصور به لان العاجز عن اداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول اكثر الفقهاء كمالك وابي حنيفة والشافعي والاعسار
في الشرع هو ان لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له ما لو باعه لامكن اداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا وثوبا لا يعدونه في ذوي الحاجة امكنه
بيعها واداء ثمنها ولا يجوز له ان يحبس الا قوت يوم لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلوتهم ودفع الحر والبرد عنهم هل يلزمه ان يؤجر نفسه من صاحب
الدين وغيره الاصح انه لا يلزمه كما لو بذل غيره له ما يؤديه لا يلزمه القبول فاما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه بيعها بالنقصان ان لم يمكن الا
ذلك فاذا علم الانسان ان غريمه معسر حرم عليه حبسه وان يطالبه بما له عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فاما ان كان له ريبة في اعساره جاز ان يحبسه الى
ظهور الاعسار ولكن الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن عوض كالبيع والقرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على ان ذلك العوض قد هلك
وان لم يكن عن عوض كاتلاف او ضمان او صداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لان الاصل هو الفقر وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين بدل
على ذلك او المعسر بكل راس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون ان هذا التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل
بما علمه كانه لا يعلمه او تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده او تعلمون ان ما يأمركم به ربكم اصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار كقوله صلعم
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بان الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولان قوله خير لكم انما
يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربوا كانوا اصحاب ثروة وجلالة واعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم احكام
الربوا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال ولا اتقاء لذلك الا باجتناب المعاصي وفعل الاوامر في الدنيا فهذا القول
يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على انه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله اي الى ما اعد
لكم من ثواب او عقاب او الى علمه وحفظه وذلك ان الانسان له احوال ثلث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا فلا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى
فضاء وهناك يرى للابوين ولغيرهما تصرف فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا الله تعالى فكأنه عاد الى
الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي جزاء ذلك والمكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل المال يحصل بتجارته والمراد ان كل
مكلف فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل ان يقول
كيف يليق باكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي اوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه
وازاح علته وسهل طريق الاستدلال عليه وامهله هذا على اصول المعتزلة واما على اصول الاصحاب فهو اشارة الى انه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق و
المالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء واراد لم يكن ظلما عن ابن عباس انها اخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبرئيل ضعها على رأس المائتين والثمانين

من البقرة وعاش النبي ﷺ بعدها احدا وثمانين يوما وقيل احدا وعشرين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات والله تعالى اعلم بحقيقة الحال لنا وقيل
اخبر عن حرص اهل الدنيا وهم اكلة الربوا بعدم قناعتهم اما العقبى فمثل اكل الربوا كمثل من له جوع الكلب ياكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم
الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله ﷺ ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم الا آكلة الخضر فانها اكلت حتى
اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي ياكل
ولا يشبع في الحديث مثلان احدهما للمفرط بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى في جميع الدنيا واشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا او يلم و
ذلك ان الربيع ينبت احرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فينشق امعاؤها فتهلك ويقاربها
الهلاك والآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي امطاره ولكنها من كلاء الصيف التي
ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر يكتسب المال بطريق البيع والشرى ويؤدي حقه وان كان
له حرص في الطلب والجمع لكن لما كان بامر الشرع وطريق الحل ما اضر به واحل الله البيع وحرم الربوا يعني كيف يكون ما ازال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته تركه
المنهي بكسب الربوا في ظلمات ثلث ظلمة الحرص ظلمة المعصية الدنيا وظلمة وامره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وانواره اثيم
عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم اخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة
اتباع الهوى باقامة الصلوة وعن ظلمة الركون الى الدنيا بانفاذ وايتاء الزكوة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوت انوار الشريعة ثم اخبر عن اهل الايمان المجازي فقال يا ايها الذين آمنوا باللسان
اتقوا الله اي بالله كما جاء كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله ﷺ اي جعلناه قدامنا ومن شرط المؤمن الحقيقي اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربوا اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم
فأذنوا بحرب من الله ورسوله بعدما منها وبعض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس اموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة
يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون بوضع محبتكم في غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما
ما عاملا عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله الى الآجلا وان تصدقوا اي تبذلوا لوافيا ما يتمنون من موقوف برزنا في الدنيا والعقبى على قدر
همتكم فهو خير لكم لا نا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السائلين ثم انه سبحانه كما جمع في القرآن خلاصة الكتب كلها وترجع في خاتمة الوحي خلاصة القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك
فان جميع الكتب جعلت الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهي سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصي والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف
وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهي ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته
فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعي الانساني من هذه المعاني لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة
بشرائط جاهلية وفينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصي بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من هههنا
تقوى الخاص يخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب صفاتهم الى رحمة تجلي صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فيدفعون
بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجهم العناية بجذبات ما زاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين
نهاية حجاب النفس بتلالؤ انوار القدس وهناك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام او ادنى ترجعون فيه الى الله لا مبدأ وجود النفخة واخرجات الخلقة
وبها اصطفى آدم وكرم بنيه بهذا البقاء ولقد كرمنا او لا دادم لان اهل الكرامة منهم من هو بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال في المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء في الحقيقة وفي هذا
الرجوع وعد البشارة للاولياء ووعيد انذار للاعداء ثم توفى كل نفس ما كسبت فيتقلد مراتبه في العبودية والتقوى لينتهي الى مقامات القرب من المو
ويحسب فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء ذاته وهويته وهم لا يظلمون فان دخول النور في البيت وخروج الظلمة منه انما يكون على مقدار سعة فتح الروزنة
وضيقه فلا يظلم النور عليه مثقال ذرة فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ع
[illegible]
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذي عليه الحق
[illegible]
سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان
[illegible]
ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا
[illegible]

أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً

که بنویسید آنرا چه کم باشد یا بسیار تا مدتش این راستتر است نزد خدا و درست تر برای گواهی و نزدیکتر بآنکه بشک نیفتید مگر آنکه بوده باشد سوداگری نقدی

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا

که دست گردان کنید در میان پس نیست بر شما باکی در آنکه ننویسید آنرا و گواه گیرید چون خرید و فروخت کنید و زیان رسانیده نشود نویسنده و نه گواهی و اگر چنین کنید

فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ

پس بدرستی که آن گناهیست بشما و بپرهیزید خدا را و میاموزد شما را خدا و خدا بهر چیزی داناست و اگر بوده باشید در سفر و نیابید نویسنده پس گرو بدهید گرفته شده

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ

پس اگر امین داند بعضی از شما بعضی را پس باید که واپس دهد آنکه امین شده امانت او را و بپرهیزد از خدائی که پروردگار اوست و مپوشانید گواهی را و هر که بپوشد آنرا پس آن گناهکار است دل او و خدا

بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ القراءة الا ان يمل هو بسكون الهاء قتيبة الحلواني عن قالون الباقون بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد بالرفع حمزة وحده فتذكر بالرفع ومن الاذكار ابو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد بالنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وابو عمرو الباقون فرهان الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيئا ط بالعدل ط من رجالكم للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول الى اجله ط الا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ويعلمكم الله ط عليم مقبوضة ط لابتداء شرط واستيناف معنى ربه ط للعدول الى الشهادة قلبه ط عليم التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربوا كانا سببين لنقصان المال فارشد الله تعالى في هذه الاية بكمالها الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية والحث عن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربوا اباح السلف وانزل فيه اطول اية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وقد جعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على اربعة اوجه احدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيئا بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى بالسلم وكلاهما داخلان تحت الاية واما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل والفائدة في قوله بدين مع ان التداين يغني عنه اما التاكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه وليشمل اي دين كان صغيرا او كبيرا سلما او غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن لانه بين تنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلية تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم اقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل ونقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فيكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا والاجل مدة الشيء ومنه اجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى ان يعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد او الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى امر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كل من المتداينين اوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه هذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي وجمهور المجتهدين على انه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل احد لوجود كثيرين في الدنيا ممن لا يحسن الكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب ولابد لذلك ان يتم على الاملاء ولكنه يجب ان يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد في الدين ولا ينقص عنه ولا يخص احدهما بالاحتياط دون الاخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التي يقع النزاع في المراد منها وهذا بالحقيقة امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها اديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل ان يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى التنكير في كاتب ان يكتب وقوله كما علمه الله اما ان يكون متعلقا بما قبله فالتقدير لا يأب كاتب ان يكتب مثل ما علمه الله ثم قيل فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تاكيدا للاول وليكتب تلك الكتابة التي علمه الله تعالى اياها واما بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثاني امرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثاني تاكيدا للاول وانما يكون بيانا له ثم النهي عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبي انه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتبة عليه وان وجد اشخاصا فالواجب كتبة احدهم وقيل متعلق الايجاب هو

ان يكتب كما علمه الله يعني انه يتقيد بان يكتب فالواجب ان يكتب كما علمه الله وان لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم ان الكتابة
بعد حصولها لكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا يتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل في جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته واجله
الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذي عليه الحق والاملال والاملاء لغتان قال الفراء امللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبني اسد وامليت
لغة بني تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهي تملى عليه بكرة واصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا امر ان لهذا المملي الذي عليه الحق بان يقر
بتمام المال الذي عليه ولا ينقص منه شيئا والبخس النقص فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف
او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولي الذي
عليه الحق الذي يلي امره ويقوم بمصالحه من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة
توكيد المتصل بالمنفصل في قوله ان يمل هو انه غير مستطيع بنفسه لكن بغيره وهو الذي يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع ان الضمير في وليه
عائد الى الذي اي الذي له الدين يملل قيل وفيه بعد لان قول المدعي كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فاي حاجة الى الكتبة والاشهاد ثم المقصود من
الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا اي اشهدوا والاشهاد والاستشهاد
بمعنى لان معنى استشهده سأله ان يشهد شهيدين اي شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف
منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم اي من رجال اهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعني الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من اهل
العدالة فان لم يكونا اي الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان اي فليكن اي فليشهد او فالشاهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون
جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره علي بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على انه ليس كل احد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا
شرائط قبول الشهادة ان يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون
معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي لا يجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وابو حنيفة
وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا والاجماع منعقد على ان العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم
منه ان العبد لا يجوز ان يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين واحمد يجوز شهادة العبد قالوا لان العقل والعدالة والدين لا تختلف بالحرية
والرق وعند ابي حنيفة يجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ان تضل ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها لغلبة البرد
والرطوبة على امزجتهن واختلال النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الاخرى وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل قال
في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب
منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت و
نظيره قوله اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وفي التفسير الكبير ان ههنا غرضين احدهما حصول الاشهاد
وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يتبين ان اقامة المرأتين مقام الرجل الواحد هو العدل في القضية
وذلك لا يتأتى الا بضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر ان على الشرط والجزاء فلا اشكال وروي عن
سفيان بن عيينة انه قال تذكر معناه تجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم ان الشهادة خبر
قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد او فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد يكفي في الحكم برؤية
هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى ازيد من شاهدين الا في الزنى لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم ولا
يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري انه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا يقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال
رمضان والزنى اما عقوبة وغيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوي فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق
وحق العباد كالقصاص وحد القذف واما غير العقوبات فالذي لا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق
والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين وان
كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فيقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روي عن الزهري انه قال مضت السنة ان يجوز شهادة النساء في كل شيء
لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شيء من ذلك باقل من
اربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى واما ما هو مال او يقصد به المال كالاعيان
والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل
وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين بنص القرآن منزل على هذا القسم الذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد واليمين لما روي انه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد
واليمين وانكره ابو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة اي اذا دعوا وقيل اي الى اداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها
وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما امر الكاتب ان لا يأبى الكتابة امر الشاهد ان لا يأبى تحمل الشهادة وقيل امر بالتحمل

سورة البقرة

اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل اولا والاداء ثانيا والقول الاول اصح لانه اطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل في الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وايضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وايضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الامر بالاداء اولى ليفيد فائدة جديدة وهي ان الشاهد ان كان متعينا وجب عليه اداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا ان تكتبوه اي الدين او الحق لتقدم ذكرهما على اي حال كان الحق صغيرا او كبيرا انما جرت العادة بكتبته كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما افضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وايضا من كثرت مداينا ته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب فقضى المقام ترغيبه لهاية ويجوز ان يكون الضمير للكتاب فان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا يكتب على الكتابة الى اجله الى وقته الذي تفقا على تسميته ذلكم الكتب وذلكم الذي امرتكم به من الكتب والاشهاد اقسط اعدل عند الله واقوم للشهادة اعون على اقامة الشهادة وهما اما من اقسط واقام فيكون محمولا على قولهم افلس من ابن المذلق واما من قويم وقاسط بمعنى ذي قسط على طريقة النسب لا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار واقسط اي عدل وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب تاب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلث فوائد الاولى يتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين اقرب وعن الجهل ابعد فيكون اعدل عند الله والثانية يتعلق بالدنيا وهو كونه ابلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج واعون للحفظ والذكر والثالثة انه يرفع الضرر عن نفسه بانه لا يصل في امره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما احسن هذه الفوائد وما ادخلها في الضبط والترتيب الا ان تكون تجارة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه فان البيع بالدين قد يكون الى اجل قريب وقد يكون الى اجل بعيد فاستثنى من المداينة ما يكون اجله قريبا ويحتمل ان يكون استثناء من قوله ولا تسأموا ان تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كان التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح سواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة فان المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة او الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول الشاعر بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي تفع شره وعلا وذو كواكب اي شديد يقال المهدد به لارينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا ان تكون المداينة تجارة حاضرة اي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح الا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم ان يكون الكتابة المذكورة اولا واجبة وقد بينا خلاف ذلك وانما خص تعالى هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة في كل خطر حرج عليهم ومن خوف التجاحد مثله قليل واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم ان حكمه باق فيها لان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته ويحتمل ان يكون امرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع او كاليا لانه احوط عن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد عن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل فيكون اصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه اكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب ان يزيد وينقص والشاهد ان يحرفها ويترك الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسوق واثم وعن ابن مسعود وعطا ومجاهد ان التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قراءة ابن عباس وانه نهي للمداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عن الضرار او كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية وترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار وارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن امر الله وطاعته ومعنى بكم اي ملتصق بكم او اتقوا الله في اوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدين والله بكل شيء من مصالح عباده عليم واعلم انه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلثة اقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على ان الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت ان رسول الله رهن درعه في غير سفر ولكنه وردت الاية على الغالب فان الغالب لا يوجد الكاتب في السفر او لا يوجد الكاتب في السفر ولا يوجد دوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب لم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز في غير السفر اخذا بظاهر الاية ولا يعمل بقولهما اليوم واصل الرهن من الدوام رهن الشيء اذا دام وثبت ونعمة راهنة اي دائمة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه بانتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف وسقف ورهان مثل كباش وكبش وقيل ان احدهما جمع الاخر وفي الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين او فعليه رهن او فالوثيقة والذي يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة ان الرهن لا بد له من القبض والمراد باللزوم ان لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم واما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن

اقسام البيع

في الرهن

الجزء الثالث

بينه وبين المرتهن أو وكيله ويمكنه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه إلى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وإن كان المنقول مقدرًا فلا بد من النقل أيضًا بوزن أو كيل أو ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن إلى بيت آخر بإذنه أو وضعه الراهن بين يدي المرتهن إذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم إنه تعالى ذكر بيع الأمانة فقال فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بأنه لا يجحد الحق ولا ينكره فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ فليكن المديون عند ظن الدائن به وسمي الدين أمانة وإن كان مضمونًا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل أنه تجانس مستعار وذلك أنه لما اشترك هذا الدين مع الأمانة الشرعية في وصف وجوب الأداء أطلق أحدهما على الآخر والائتمان افتعال من الأمن وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ حتى لا يدخل في خلده جحود وخيانة وفي الآية قول آخر وهو أنها خطاب للمرتهن بأن يؤدي الرهن عند استيفاء المال فإنها أمانة في يده والصحيح هو الأول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والإشهاد وأخذ الرهن والحق أن تلك الأوامر محمولة على الإرشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس أنه قال في آية المداينة نسخ ثم قال وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وفيه وجوه الأول عن القفال أنه تعالى لما أباح ترك الكتبة والإشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون أمينًا ثم كان من الجائز أن يكون الظن خطأ وأن يخرج المديون جاحدًا للحق وكان من الممكن أن يكون بعض الناس مطلعًا على أحوالهم ندب الله ذلك الإنسان أن يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة أم لا وشدد فيه بأن جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله خير الشهود من شهد قبل أن يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة أن ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من أدائها عند الحاجة إلى إقامتها فإن في ذلك إبطال حق المسلم وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد فقال وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ والآثم الفاجر والإثم مرتفع بأنه وقلبه فاعله ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدمًا عليه والجملة خبر إن وفائدة ذكر القلب والفعل يختص بجملته أنه لا القلب وحده هو أن أفعال الجوارح تابعة لأفعال القلوب ومتولدة مما يحدث في القلب من الدواعي والصوارف وإسناد الفعل إلى القلب الذي هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب أبلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما أبصرته عيني وسمعته أذني وعرفه قلبي وعن النبي ﷺ إن في جسد ابن آدم لمضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب وفي زعم كثير من المتكلمين أن الفاعل والعارف المأمور والمنهي هو القلب وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فيه تحذير للكاتم ولهذا يروى عن ابن عباس أكبر الكبائر الإشراك بالله لقوله تعالى فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وشهادة الزور وكتمان الشهادة التأويل أنه تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده في الميثاق إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ إلى قوله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وأشهد الملائكة الكرام وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ وإنه تعالى كما أمركم أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا أمر الملائكة أن يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك في أعناقكم وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ثم نودي من سرادقات الجلال يا قوي الظلم ضعيف الحال اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ثم إن الكتاب يكتبون عليه في صباحه ومسائه وما يكتبون إلا من إملائه وإنه بالقليل والكثير يملي ما حاطت بالنقير والقطمير على ما يملى عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب فعليه أن يملي الحق للحق فإن كان الذي عليه الحق سفيهًا جاهلًا بإملاء الحق لاشتغاله بالباطل أو ضعيفًا عاجزًا مغلوبًا بغلبات نفسه أو لا يستطيع أن يمل هو لكونه ممنوعًا بنعوت العلائق لا قدرة له على إملاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له في إملاء ما لا يجزيه يسره فليملل وليه بالعدل فإن لكل قوم وليًا يخرجهم من الأحزان إلى السرور ومن الأشجان إلى الحبور ومن العجز والفتور إلى القوة والحضور اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ استصحبوا من أرباب القلوب شهيدين مِن رِّجَالِكُمْ الذين هم بالنسبة إليكم رجال أو نساء فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ من أرباب القلوب فرجل منهم وامرأتان أي رجلان من أهل الصلاح ليكونا بمثابة رجل من أهل الولاية في فائدة الصحبة مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ممن يصلح أن يكون من شهداء الله كما قال أنتم شهداء الله في أرضه أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا عن جادة الاستقامة في بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ فالرفيق ثم الطريق واعلم أن أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من توقف في عالم الصورة ولم يفتح له باب إلى عالم المعنى كان كالفرخ المحبوس في قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له إلى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس في سجن الجسد عليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ وأما السائر فلا يقف في محل ولا ينزل في منزل يسافر من عالم الصورة إلى عالم المعنى ومن مضيق الأجساد إلى متسع الأرواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمي الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحي العشق والهمة في فضاء الحقيقة وفي حل جلجلة الشريعة فالإشارة في قوله وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا أي السيار الذي يخلص من سجن الجسد وقيد الحواس ورحمة التوكيل فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب علي صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشفت صاحب اليمين وقال لي أمل علي شيئًا من معاملات قلبك لأكتبه فإني أريد أن أتقرب به إلى الله قال فقلت له حسبك الفرائض لعلمي بقيد التوكيل المرء لو يدع صاحب الحق ويكون هاربًا منه فأما الذي

التأويل

تحقيق

اناء الليل واطراف النهار بعد شدو بروح في ظلم عزيمة ما يبرح في حريمه فلا يحتاج الى الوكيل لحفظه فالذى هو موكل على الغائب يكون وكيلا في حفظها
للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وللسائر بين رهان مقبوضة عند الله رهان واية رهان قلوب المؤمنين فانها
عند الله قبض واى قبض مقبوضة بين اصبعين من اصابع الرحمن اما الطيار الذى هو عاشق فمفقود والقلب مغلوب العقل يجد وقت الرهن ولا يعطي
بالرهن فانه مبطوش بطشه الشديد بدا منهما مضاف مذهبه فهو في هوى من تطلبه كل امر في الهوى عجب ولا عجب منه واما يحتاج الى
الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد في السموات والارض ولا في الدنيا والاخرة امين يؤتمن ليحمل اعباء امانة الا العاشق الذى
لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها الى ان حملها فلما حملها فاحترق بنورها تفرد به من اصحابه جاءته من الحضرة القاب
فذكر في البداية الى الافساد وسفك الدماء اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب في النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما
جهولا هذا امر عجيب بعيد غريب منه لم يطع في حمل الامانة والى اليه المكانة والطاعة والامانة مكين ثم مطاع ثم امين ومن اطاع في حمل
الامانة واتى اليه الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك لوجهين احدهما ان الذلة والمسكنة وقعت في قسم العاشق كما ان العزة والعظمة
وقعت في طوق المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا في مرآة ذلة العاشق وثانيهما ان من كان عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤمن في الظاهر بصلاح
كتمان امر الامانة وقد يختص عن المؤمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته في الظاهر وذلة في الحقيقة بل على حقيقة حفظ السر خطاب اسجدوا
لآدم وعتاب اني اعلم ما لا تعلمون فان امن بعضكم بعضا كما اخترناك من بين الخليقة واصطفيناك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى اؤتمن
امانته ولا تكتموا الشهادة اشهدكم على انفسكم يوم الميثاق اقروا بقبول الامانة فقلتم بلى شهدنا فاليوم اطالبكم باداء حقها فادوها
الى ملقوفة بلفافة التقوى لايمان عن ربك وليتق الله ربه التقوى وكتمان الشهادة ان يكون شهود لمع غير شواهد ربك هذا من نتائج خيانة
قلبك في امانة ربك فلا شاهد قلبك الا شواهد ربك لا يؤدى بحق حقيقة ما انزل ربك الا الى ربك لربك لله ما في

السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

خدا راست آنچه در آسمانها است و آنچه در زمین است و اگر ظاهر سازید آنچه در نفسهای شماست یا پنهان دارید آنرا حساب کند شمارا بدان خدا پس بیامرزد آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد

والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا

و خدا بر هر چیزی توانا است ایمان آورد پیغمبر بآنچه فرستاده شد بوی از پروردگارش و مؤمنان همه ایمان آوردند بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها

جدائی نمی‌افکنیم میان هیچ یکی از پیغمبران او و گفتند شنیدیم و فرمان بردیم آمرزش ترا میخواهیم ای پروردگار ما و بسوی تو است بازگشت تکلیف نمی‌کند خدا هیچ نفسی را مگر بقدر طاقت او نفس راست

ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا

مزد آنچه کسب کرده و بروی است عقوبت آنچه کسب کرده ای پروردگار ما مگیر ما را اگر فراموش کنیم یا خطا کنیم ... و بیامرز ما را و رحم کن بر ما تو مولای مائی پس نصرت ده ما را

على القوم الكافرين القراءة فيغفر لمن يشاء بادغام الراء في اللام ابو عمرو وجماعة اهل العلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعذب

بر گروه کافران بوقع الراء والياء يزيد ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير ابي عمرو والحلواني عن قالون وابن مجاهد والنقاش عن
ابو ربيعة عن البزي وخلف لنفسه يعذب من بالاظهار ابو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القران وكتابه على خلف الباقون وكتبه
جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون اخطانا مثل فادارأتم الوقوف ما في الارض ط بالله ط لمن قرأ فيغفر بالرفع على
الاستيناف اى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من بربط المصير ه وسعها ط ما اكتسبت
او اخطانا ج من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال لنا به ج واعف عنا وقفه واغفر لنا كلها ط وارحمنا كذلك لتفصيل
بين انواع المقاصد لاعتراف بان الطاعة غير واحد الكافرين التفسير ثم انا جمع في هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهي دلائل
التوحيد والنبوة والمعاد واشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلوة والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق
والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربوا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وقوله لله ما في السموات
وما في الارض وعلى كمال علمه هو قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وفي ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين عن ابي مسلم انه لما قال والله بما تعملون
عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لا بد ان يكون عليما بها
وجزئياتها وقيل لما امر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ان ما علم منه ان المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع بها قال الشعبي
وعكرمة ومجاهد انه لما اوعد على كتمان الشهادة ذكر ان له ما في السموات والارض فيجازي على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وابي هريرة واللفظ
له لما نزل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلعم فاتوا رسول الله صلعم ثم بركوا على الركب
فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والصدقة وقد انزلت عليك هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله

اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عز وجل لا
يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال نعم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم قال نعم
الكافرين قال نعم واعلم ان العلماء اتفقوا على ان الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها لانها تجري
مجرى تكليف ما لا يطاق واما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من افعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن
عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا او حزن او اذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب
وروت انها سألت النبي عم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روي انه
قال بعد نزول قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به انفسهم ما لم يعملوا او يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه ان يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا لو قيل ان معنى كونه
حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من اصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة
بالتوبة وهو تخصيص بغير دليل ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل
ان يكون لعبدا منقادا خاضعا لاوامره ونواهيه محترزا عن سخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه ذلك قوله لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى آخر السورة او نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب وبين في آخرها ان الذين مدحهم في اول السورة
هم امة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا واطعنا كما قال هنالك ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا
غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هنالك ربنا
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون او نقول انه تعالى سبحانه لما ذكر في هذه السورة انواع الشرائع والاحكام بين ان الرسول عرف
بالمعجزة دلت على صدق الملك في ان ذلك وحي من الله وصل اليه وان الذي خبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان
مضل ثم ذكر عقيبه ان المؤمنين بذلك المعجزات اظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الامة بها على انه صادق في دعواه وهو المرتبة
المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم ان القرآن كما انه معجز بسبب فصاحة الفاظه وبلاغة معانيه فهو ايضا معجز بحسب ترتيبه
ونظم آياته ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب اسلوبه ارادوا ذلك ثم ههنا احتمالان احدهما ان يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى
آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم ابتداء بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل عائدا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم
آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين آمن ولهذا وحد مثل هذا الضمير يجوز ان يفرد بمعنى كل واحد ويجوز ان يجمع كقوله
وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه عم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن ويحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من
المعجزات على يد جبرئيل عم ان هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا
من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثاني ان يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتداء من قوله والمؤمنون كل آمن وفي هذا الاحتمال
اشعار بان الذي حدث هو ايمانه بالشرائع التي نزلت عليه كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الايمان بالله وملائكته و
كتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من اول الامر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما ان عيسى خلق كامل العقل حتى قال
في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذي نزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير
ويعرفه فيمكنه ان يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به واعلم ان الآية دلت
على ان معرفة هذه المراتب الاربع من ضروريات الايمان المرتبة الاولى هي الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المرسل
والمرسل والثانية الايمان بالملائكة فانهم وسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى
والثالثة الكتب فانه الوحي الذي يتلقفه الملك ويوصله الى النبي فمثال الملك في عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحي نور القمر فكما ان القمر يستفيد
من الشمس ويوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحي من الله تعالى ويلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل في المرتبة الرابعة هذا الترتيب مما
تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط واما الانفصال لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل معلوم للانبياء وهذا سر يطلع منه
على اسرار اخرى ان كنت من اهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده وبصفاته وبافعاله وباحكامه وباسمائه اما الايمان بوجوده فهو

ان نعلم

ان تعلم ان وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالمجسم يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم في ذات الله تعالى واما الفلاسفة
والمعتزلة فالخلاف معهم في الصفات لا في الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال في المتحيز واما الايمان بصفاته فالصفات اما
ثبوتية او سلبية واضافية وقد عرفت في تفسير البسملة ما يصح صفة له تعالى بها وما لا يصح كذا في تفسير آية الكرسي واما الايمان بافعاله فان تعلم ان
كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التي تسمى اختيارية للحيوانات وذلك ان مشيئة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر
في صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم واما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان
يترتب عليها الفوائد وان تعلم ان المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم ان له
الالزام والحكم في الدنيا كيف شاء واراد وان تعلم انه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شيء وانه في الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء
بعدله ولا يقبح منه شيء لان الكل ملكه وملكه واما الايمان باسمائه وهي الاسماء الواردة في كتب الله المنزلة وفي كلمات انبيائه المرسلة وقد
مر في تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله اما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن انها روحانية محضة
او جسمانية محضة او مركبة من القسمين ثم بتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية فذلك مقام العلماء الراسخين
في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد انهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وانهم
وسائط بين الله وبين البشر وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من اقسام هذا العالم واما الايمان
بالكتب فان تعلم ان كلها وحي من عند الله ليس لاحد من المخلوقات ان يلقي فيها شيئا من ضلالاتهم ولا سيما في القرآن العظيم وان من قال
ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فقد اخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وان القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه
ومحكمه يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي امر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق وفي الافعال
كما مر في قصة آدم وان تعلم ان النبي افضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وان بعض الانبياء افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض واما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء افضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السموية افضل منهم
وانهم افضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم ايضا وان تعلم ان شرعهم وان صار منسوخا الا ان نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم
الآن انبياء ورسل كما كانوا وقد توقف بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى اصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واما من قرأ وكتابه
على الوحدة فاما ان يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بمجموع الكتب والرسل واما ان يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف
قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال احل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال شائع في جميع ليالي الصيام قال العلماء قراءة
الجمع اولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد اولى لان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب — الكتاب
قرأ لا نفرق بالنون فلا بد من اضمار اي يقولون لا نفرق ومن قرأ بالياء على ان الفعل لكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر او حال واحد
في معنى الجمع اي بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل
لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على ايديهم حسب دعاويهم
والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد وعن ابي مسلم لا نفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم ان قوله آمن الرسول الى قوله بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا
سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة ونقول ان للانسان اياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى علم
المبدأ واليوم البحث عنه يسمى علم الوسط والغد والبحث عنه يسمى علم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدأ وقالوا سمعنا وا
اطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله
وهو معرفة المبدأ لان الكمال الحقيقي ليس الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر
فيه كمال القدرة واما علم الوسط وهو علم ما يجب ان يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب
وتفويض الامور كلها الى مسبب الاسباب هو قوله وتوكل عليه واما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون اي ليومك غد سيصل اليك فيه
نتائج اعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدأ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة
الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والوقوف على هذه الاسرار مما يكون يجذبه من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار
فقوله والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الاحكام العقليات وقالوا سمعنا واطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدي اي سمعنا قوله
واطعنا امره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا اولى ليفيد انه ليس في الوجود قول يجب سمعه الا قوله ولا امر يجب طاعته الا امره والسماع ههنا بمعنى
القبول اي سمعناه باذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال
واطعنا فدل هذا على انه كما صح اعتقادهم في هذه التكاليف فهم ما اخلوا بشيء منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بابواب التكاليف علما و

عطاء غفرانك مصدر منصوب بإضمار فعله أي اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أي لن تعدموا جزاءه وفي
الكشاف أي نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسئلك غفرانك فيكون مفعولا به إلا أنه أشهر أنه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال والاستغناء عنه بعمله
نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو أن القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا بها فأي حاجة بهم إلى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا أن يكون فرط منهم تقصير فيما
يأتون ويذرون أو لعلهم كانوا يترقون في درجات العبودية فيستغفرون مما خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وتدل
قوله وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة على مثل هذا ولأن جميع الطاعات في جنب مواجب حقوق الإلهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى
عن أهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم أي ننزهك عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أي كل الحمد له وإن كنا لا نقدر
على قيم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بألسنتنا ثم إن طلب هذا الغفران مقرون بأمرين أحدهما بالإضافة إليه والثاني بقوله ربنا أما القيد الأول
فمعناه أطلب المغفرة منك وأنت الكامل في هذه الصفة والمطبوع من الكامل في صفة أن يعطي عطية كاملة وذلك لا بأن يغفر جميع الذنوب ويبدلها
حسنات ويكون الإضافة إشارة إلى ما ورد في الحديث إن لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزءا منها على الملائكة والجن والإنس وجميع الحيوانات
فبها يتراحمون ويتعاطفون وأخر تسعة وتسعين جزءا ليوم القيمة ولعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فإنه يظهر أثرها في محل معين فلولا الوجود
بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الأنيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجناياته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك
ورأفتك فأنا الطالب الغفران الذي لا يمكن ظهوره إلا في حقي وفي حق أمثالي من المذنبين وأما القيد الثاني فمعناه ربيتني أولا وجعلتني مع أنك لو لم
تربني في ذلك الوقت لم تتضرر به لأني كنت باقيا في العدم الأزلي فالآن لو لم تربني تضررت به فأسألك أن لا تهملني وربيتني حين لم أذكرك بالتوحيد فكيف يليق
بكرمك أن لا تربيني وقد أفنيت عمري في توحيدك وربيتني في الماضي فاجعل تربيتك لي في الماضي شفيعا إليك في أن تربيني في المستقبل أو ربيتني
فيما مضى فأتمم هذه التربية فيما يستقبل فإن إتمام المعروف خير من ابتدائه وإليك المصير حيث لا حكم إلا حكمك ولا يشفع أحد إلا بإذنك وفيه اعتراف
بأنه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إن قلنا إنه من تمام كلام المؤمنين فوجه
النظم أنهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وأنه تعالى لا يكلفنا إلا ما في وسعنا وطاقتنا وإن قلنا إنه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه أنهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم طلبوا
المغفرة دل ذلك على أنه لا يصدر عنهم ذنب إلا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك إجابة لدعائهم والوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق
عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فإنه كان من إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه تعالى
ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم أن المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها أصلين الأول أن
العبد موجد لأفعال نفسه إذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها إذ الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد
بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني أن الاستطاعة قبل الفعل وإلا لكان المأمور بالإيمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق وأما الأشاعرة
فقالوا تكليف من مات على الكفر كأبي لهب مع العلم بعدم إيمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب أن العلم بعدم الإيمان ليس تكليفا بعدم الإيمان
حتى يلزم التكليف بالنقيضين بل التكليف بأمر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بأمر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الأشعري لما كانت حجته قوية
عنده خصص الآية بأنها إنما وردت في التكاليف الممكنة إذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وإنما هو إعلام وإشعار بأنه خالق من أهل النار على
أنه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل أن يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب أن يكونوا صادقين فيه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
قال الواحدي إن الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس إلا عليها وقيل الاكتساب أخص لأن الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب ما يكتسب لنفسه
خاصة وقيل في الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف فلهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لا يؤاخذ من السيئات بما عقد الهمة عليه وربط القلب به
بخلاف الخير فإنه يثاب عليه كيف ما صدر عنه قالت المعتزلة في الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف إلى العبد فلو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه
الإضافة وجرى صدور أفعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لا قدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة
مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه في تفسير قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الأصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة
لأنه تعالى بين أن لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح في أن الاستحقاقين يجتمعان وأنه لا يلزم من طرو أحدهما زوال الآخر قال
الجبائي تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح إذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت إذا لم يكفره بالتوبة وإنما أضمرنا هذا الشرط لأن الثواب منفعة
دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية في أن الله تعالى لا يعذب الأطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها في
إثبات أن الأصل في الأملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها أن المضمونات لا تملك بأداء الضمان لأن المقتضي لبقاء الملك قائم
وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود إما الغصب وإما الضمان وهما لا يوجبان زوال الملك بدليل أم الولد والمدبر ومنها أنه لا شفعة للجار لأن
المقتضي لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل في الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى في الجار على الأصل ومنها أن القطع
لا يسقط الضمان لوجود المقتضي والقطع لا يوجب زوال الملك بدليل أن المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك ومنها أن منكري وجوب الزكوة
احتجوا به والجواب أن دلائل وجوب الزكوة لمخصص الخاص مقدم على العام ثم إنه تعالى حكى عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء الأول ربنا لا تؤاخذنا

إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص قيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد مكن من نفسه
وطرق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقب بذنبه كالمعين لمعنيه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ به بالعفو
الكرم اي يتمسك عند الخوف عن عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو ان يترك الفعل لتأويل فاسد كما ان الخطاء
هو ان يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ اي تركوا العمل لله فترك ان يثيبهم واما ضد الذكر فيها ورد عليه ان النسيان والخطاء متجاوز
عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول ان النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا
يعذر فمن رأى دما في ثوبه واخر ازالته الى ان نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان لزمه المبادرة الى الازالة وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى
نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يذكر حاجته شد خيطا في اصبعه فثبت
ان الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ واعرض عن اسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل انه ذكر النسيان والخطاء
والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثاني ان هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك انهم كانوا متقين بالله حق تقاته فما كان يصدر عنهم
ما لا ينبغي الا على وجه الخطاء والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكأنه قيل ان كان النسيان مما
يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث العلم بان النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم انه حاصل له
قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة ولغير ذلك كقوله قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ
وقالت الملائكة فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ الرابع ان مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان
ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا انه
جائز من الله تعالى عقلا لما ارشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لاهل الكبائر فلولا ان النسيان والخطاء لا بد ان يفسر
بما ينافي العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرنا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا
فسرا بما ذكرنا وقد امر الله المسلمين ان يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على انه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة
مرجوا النوع الثاني من الدعاء رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر
العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تأصرني على فلان اصرة اي ما تعطفني عليه قرابة ولا منة والمعنى لا تشدد
علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب
ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فاجاب الله تعالى دعاءهم كما قال وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن
امتي المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب للعقوبة وقيل معناه لا تحمل علينا عهدا وميثاقا
يشبه ميثاق من قبلنا في الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء ان اليهود لما كانت القساوة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مضارهم
في التكاليف الشديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غلب عليهم وكانت مصلحتهم في التخفيف وترك التغليظ واما ان اليهود لم خصت بغلظ
الطبع وهذه الامة باللطافة والكرم فليس لنا ان نعلم تفاصيل جميع الكائنات وما لا يدرك كله لا يترك كله النوع الثالث من الدعاء رَبَّنَا وَلَا
تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من الاصحاب من تمسك به في جواز تكليف ما لا يطاق اذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء واجاب المعتزلة عنه بان
معنى قوله لا طاقة لنا اي يشق فعله لا انه لا قدرة لنا عليه وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي لا
يشق عليه وزيف بان معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحدا فعلم واعترض عليه فقال لو المراد منه العذاب اي لا تحملنا عذابك الذي لا نطيق حمله
سلمنا انهم سألوا الله تعالى ان لا يكلفهم ما لا قدرة لهم عليه لكن ذلك لا يدل على جواز ان يفعل خلافه لما ان قوله رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ لا يدل
على جواز ان يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم عليه السلام وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ لا يدل على ان خزي الانبياء جائز قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذي
لا قدرة عليه بالتحميل واجيب بان الحامل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل لما طلب انه لا يكلف ما الفعل الشاق فكان من لوازمه ان لا يكلف ما لا يطاق فكان
المناسب طرح هذا الدعاء الا انه من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر اي لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي
كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها واما على تفسير الاشاعرة فهو انهم سألوا ان لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا
وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا ان لا يكلفهم التكليف الشاق الذي لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم ام لا وقيل الاول طلب
ترك التشديد في مقام القيام بظاهر الشريعة والثاني طلب ذلك في مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وشكر نعمائه كأنه طلب
حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بالائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك واما الفائدة في حكاية هذه الادعية بصيغة الجمع في لا تؤاخذنا
ولا تحمل علينا فذلك لانه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شيء كان حصوله ارجى النوع الرابع من الدعاء وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وانما حذف النداء
وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بان العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله و
الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص

عذاب النار انما يطيب حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسماني والثاني هو العذاب الروحاني وبعد التخلص منهما اقبل على طلب
الثواب وهو ايضا قسمان جسماني هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحاني وهو اقبال العبد بالكلية على مولاه وهو قوله انت مولينا
ففيه الاعتراف بانه سبحانه هو المتولي لكل نعمة ينالونها وهو المعطي لكل مكرمة يفوزون بها وانهم بمنزلة الطفل الذي لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد
الذي لا ينتظم شمل مهماته الا باصلاح مولاه وهذا الاعتراف يحقق الوصول الى الحق فمن عرف نفسه بالامكان والنقصان عرف ربه بالوجوب والتمام
ثم اذا وصل الى الحق اعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين اعنا على قهر كل من خالفنا وناوانا وعلى غلبة القوى الجسمانية
الداعية الى ما سواك عن رسول الله صلعم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلعم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلعم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم تؤتها
نبي قبلي وعنه صلعم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
وروى الواحدي عن مقاتل بن سليمان انه لما اسري بالنبي صلعم الى السماء اعطي خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عز وجل كرمك بحسن الثناء
بقوله آمن الرسول فسله وارغب اليه فعلمه جبرئيل كيف يدعو فقال النبي صلعم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال
الله لا اؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا اشدد عليكم فقال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقال لا احملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا
وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم ونصرتكم على القوم الكافرين وفي بعض الروايات ان محمدا صلعم كان يدعو بهذه الدعوات والملائكة كانوا
يقولون آمين التاويل الانسان مركب من عالمي الامر والخلق له روح نوراني من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل
منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة اوصافها وتحليتها بانوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية
واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في انفسكم مودع من انوار الاخلاق الروحانية في الظاهر باعمال الشريعة وفي الباطن باحوال الحقيقة او تخفوه بابراز
ظلمات الاوصاف النفسانية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول انوار الروح او بتلوث الروح
لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بانوار الروح وروحه بانوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه
بنور قرب العلي الكبير والله على كل شيء من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الامر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلعم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الاعلى
ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى اكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فاجابه بقوله السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول عيانا بما انزل اليه من ربه فقال من كمال الفتوة والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا واطعنا
فقال الله نعم ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي صلعم غفرانك ربنا واليك المصير هم ما يطلبون الا ان تسترهم بستر افضالك فيكون مصيرهم
اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك فقال الله في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انا في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا
قال جبرئيل لو دنوت انملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حبستهم رحمتي كيلا
يحرقهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف كلف منك المدنية المرحومة بهذا المصير وانا بضعف حالهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الى
الكرام اني اتخذتك حبيبا قبل ان اخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك وان امتك اكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ما داموا
في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما اكتسبت منك من انوار متابعتك يستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد
جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني عن ظل متابعتك تنشأ اهل المصير في دركات السعير فبشارة اسكره لذة هذا الخطاب واخرى تحيره سطوة هذا
العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تعاقب منا ان نسينا عهدك الذي عاهدتهم ان تحبوك ولا تحبوا غيرك واخطأنا طريق
طلبك ولكن ما اخطأنا طريق عبوديتك فلم نعبد غيرك وانت قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا
اصرا بان تجعلنا اسير النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف
عنا حجب انانيتنا واغفر لنا شواهد هويتنا وارحمنا برفع البينونة من بيننا انت مولينا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا
على القوم الكافرين بجذبات عنايتك اعنا في المصير اليك على قمع كفار الانانية التي تمنعنا من حديث بيني وبينك انّي ينازعني فارفع بجودك انيّي من البين وحسبي الله

سورة آل عمران وهي مدنية وفيها ع ٢٠ كلماتها ٣٤٨٠ آياتها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم
بنام خدای بخشنده مهربان

ع الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل
منم خدای که نیست معبودی بجز او آن زنده پاینده فرو فرستاد بر تو قرآن را براستی تصدیق کننده مر آنها را که پیش از او هست و فرستاد توریه و انجیل را
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام
از پیش راهنمای مردمان و فرستاد قرآن را بدرستی که آنها که کافر شدند بآیات خدا مر ایشان راست عذابی سخت و خدا غالب خداوند انتقام است

آل عمران

إِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

بدرستی خدا پوشیده نیست بر او چیزی در زمین و نه در آسمان اوست آنکه تصویر ارد شما را در رحمها چنانکه میخواهد نیست معبودی بجز او اوست غالب استوار

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

اوست آنکه فرستاد بر تو قرآن را که برخی از آن آیتهای استوارست که آنها ام الکتاب اند و دیگرها مانند هم اند پس اما آنها که در دلهای ایشان میل است پس متابعت کنند

مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

متشابه از آن بجهة خواهش فتنه و جستن تاویل آن و نداند تاویلش مگر خدا و ثابت قدمان در دانش گویند که گرویدیم بآن همه

مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

از نزد پروردگار ماست و آگاه نگردند بجز خداوند خرد پروردگارا میل مده دلهای ما را پس از راه نمودنت ما را و ببخش ما را از نزد خود رحمتی بدرستی که تو

الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّٰهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ

بخشنده پروردگارا تو گرد آرنده مردمانی در روزی که شک نیست در آن بدرستی که خدا خلف نکند وعده را بدرستی آنها که کافر شدند نفع نرساند ایشان را اموال ایشان

ع ١٠ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا وَأُولٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ

و نه فرزندان ایشان از خدا چیزی و آن گروه ایشانند هیزم آتش چون خوی آل فرعون و آنان که پیش از ایشان بودند که تکذیب کردند آیات ما را پس گرفت

بِذُنُوبِهِمْ وَاللّٰهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ القراءة الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والاعشى والبرجمي الباقون موصولة بفتح الميم التورية

بعقوبت گناه و خدا سخت عقوبتست بالامالة حيث كان ابوعمرو وحمزة وعلي وخلف والنجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد

حيث كان بغير همز ابوعمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف الوقوف الم ج مختلف فان غير الاعشى والبرجمي

ويزيد والمفضل يصلون لا هو ج القيوم ط والانجيل لا الفرقان ط شديد ط انتقام ه في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ه متشابهات ط لاستيناف تفصيل

وابتغاء تاويله ج لان الواو يصلح استينافا وحالا الا الله م عند اهل السنة لانه لو وصل فهم ان الراسخين يعلمون تاويل المتشابه كما يعلم الله

ومن لم يجز فعن هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس لتاويل وجعل المحكمات الاصول المنصوص المجمع عليها

فعطف فقوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له ان لا يقف على الا الله امنا به لا لان قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم

من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الالباب ه رحمة ج لابتداء بان ولاحتمال لام التعليل وفاء التعقيب للتسبيب الوهاب ه

فيه ط الميعاد ه شيئا ط النار لا لتعلق كاف التشبيه فرعون لا للعطف من قبلهم ط باياتنا ج للعدل مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ه التفسير اما

قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثاني ان يكون ذلك على لغة من يقطع الف الوصل واما من فتح الميم ففيه

قولان احدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان اسماء الحروف موقوفة الاواخر تقول الف لام ميم كما تقول واحد اثنان

ثلثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدانا به تثبت الهمزة متحركة الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف فالقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على

انها في حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكان الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو انه لما وصل الله بالم التقى ساكنان

ضرورة سقوط الهمزة في الدرج فوجب تحريك الاول وكان الاصل هو الكسر الا انهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست

المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من ان الهمزة حيث لا وجود لها في الوصل اصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدي نقل

المفسرون انه قدم على رسول الله صلعم وفد نجران ستون راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وثلثة منهم كانوا اكابر القوم احدهم اميرهم واسمه عبد

المسيح والثاني مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الايهم والثالث حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم يقال له ابو حارثة بن

علقمة احد بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما قدموا من نجران ركب ابو حارثة

بغلته وكان الى جنبه اخوه كرز بن علقمة فبينما بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز اخوه تعس الابعد يريد رسول الله صلعم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال له يا اخي

فقال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له اخوه كرز فما يمنعك منه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا

به لاخذوا منا كل هذه الاشياء فوقع ذلك في قلب اخيه كرز وكان يضمره الى ان اسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم اولئك الثلثة الامير والسيد والحبر مع

رسول الله صلعم على اختلاف من اديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلثة ويحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى

ويبرئ الاكمه والابرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانه لم يكن له اب يعلم ويحتجون على انه ثالث

ثلثة بقول الله تعالى فعلنا وقضينا ولو كان واحدا لقال فعلت وقضيت وقد حانت وقت صلوتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلعم فقال رسول

الله صلعم دعوهم فصلوا الى المشرق فقال رسول الله صلعم اسلموا فقالوا قد اسلمنا قبلك فقال كذبتم كيف يصح اسلامكم وانتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب

وتاكلون الخنزير قالوا فمن ابوه فسكت رسول الله صلعم فانزل الله تعالى في ذلك اول سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية منها اية المباهلة ثم اخذ رسول الله

يناظرهم فقال الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم

ان ربنا يعلم كل شيء يكلاه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا لا ياكل الطعام
ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما تضع المراة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام
ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم ابوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال
بلى قالوا فحسبنا فنزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وتمام القصة سيجيء في اية المباهلة ان شاء الله تع واعلم ان مطلع هذه السورة له نظم
عجيب وتقرير ذلك ان اولئك النصارى كانه قيل لهم اما ان تنازعوا في شان الالهية او في امر النبوة اما الاول فالحق فيه معه لانه تع حي قيوم كامل
وفي تقرير اية الكرسي ان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة
اعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق
كالدعوى وقوله وانزل التورية والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على ان التورية والانجيل كتابان الهيان لانه تع قرن
بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين اقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم في كون القران نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق
مشتركا فالواجب تصديق الكل كما المسلمين اما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد اذ لم يبق بعد ذلك عذر لمن نازع في دينه فلا جرم ختم بالتهديد
والوعيد فقال ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد وانما خص القران بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا
فيه وهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فالمراد هناك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال ابو مسلم معنى قوله بالحق صدق ما
تضمنه من الاخبار عن الامم او ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق
الباطل فانه قول فصل وليس بالهزل قال الاصم اي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف
في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه
انه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه اميا لم يخالط اهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا
استحال ان يسلم من التحريف والخلاف وفيه انه تع لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع
التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه فالجواب ان هذا اللفظ صار مثلا في معنى التقدم لغاية ظهور تلك الاخبار جعلها كا
لحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع انه ناسخ لاحكامها اكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقران وبالرسول دالة
على ان احكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القران كانت موافقة للقران وكان القران مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة
في ان القران مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا يختلف والتورية والانجيل اسمان اعجميان احدهما بالعبرية والاخر بالسريانية
فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا ان بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التورية معناها الضياء والنور من وري الزند يري اذا قدح و
ظهرت النار قال واصلها تورية بفتح التاء والراء وبهذا قلبت الياء الفا وتورية بكسر الراء تفعلة مثل توصية الا ان الراء فتحت على لغة طي
فانهم يقولون في بادية باداة وزعم الخليل والبصريون ان اصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث واما الانجيل
فالزجاج انه افعيل من النجل الاصل اي هو الاصل المرجوع اليه في ذلك الدين وقيل من نجلت الشيء استخرجته اي انه تع اظهر الحق بسببه ابو عمرو الشيباني التناجل
التنازع سمي به لان القوم تنازعوا فيه معنى قوله من قبل اي من قبل ان ينزل القران وقوله هدى للناس اما ان يكون غاية للكتابين على الكتابين
فقط فيكون قد وصف القران بانه حق ووصف التورية والانجيل بانه هدى وانما لم يوصف القران بانه هدى مع انه قال في اول البقرة هدى
للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقران فذكر انه حق في نفسه سواء قبلوه او لم يقبلوه واما الكتابان فهم قائلون بصحتهما
فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلثة وهو قول الاكثرين وانزل الفرقان قيل اي جنس الكتب السماوية لانها كلها يفرق
بين الحق والباطل وقيل اي الكتب التي ذكرها كانه وصفها بوصف اخر فيكون كما قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقيل هو
الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شيء من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل ان يجاب بان غاية المواعظ هي
التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القران بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشانه واظهارا لفضله وفي التفسير
الكبير انه تع لما ذكر الكتب الثلثة بين انه انزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذي يدل على صحتها ويفيد الفرق بينها وبين كلام المخلوق
ثم انه تع بعد ذكر الالهيات والنبوات خوف المعرضين عن هذه الدلائل وهم اولئك النصارى او كل من اعرض عنها فان خصوص السبب لا يمنع عموم
اللفظ فقال ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله لهم عذاب شديد والله عزيز لا يغالب لا احد يقدر عليه ذو انتقا
م انتقام عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت اذا كافاته بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب
وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه ان الله لا يخفى عليه شيء لما ذكر انه
حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع امرين ان يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها

وكلياتها وجزئياتها ثم ان يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات فاشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء والثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فاشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة اخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز ان يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام هذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من اعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن والتأليف الاكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية واشرفها تعديل المزاج واشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية واشرفها العلم فلا جرم اشار الى ذلك بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب ويحتمل ان يجري هذه الآيات على سبب نزولها وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على نوعين من الشبهة احدهما يتعلق بالعلم وهو ان عيسى عم كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم والثانية تتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غيرهاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء فمن المعلوم بالضرورة من حال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الاشياء فيه دلالة قاطعة على انه ليس باله ولكن احاطته ببعض الغيبيات لا يدل على كونه الها لاحتمال انه علم ذلك بالوحي او الالهام وازال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب ومعلوم ان عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لاماتت الذين اخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاما انه بعض الاشخاص واحياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يديه والعجز عن اماتة البعض واحيائه يدل على عدم الالهية قطعا واما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات الشافية الى المقدمات الالزامية وهو انكم ايها المسلمون توافقوننا على انه ما كان له اب من البشر فيكون ابا لله الجواب عنه بقوله ايضا هو الذي يصوركم لان هذا التصوير لما كان منه فان شاء صوره من نطفة الاب وان شاء صوره ابتداء من غير اب قالوا للرسول الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فاجاب الله تعالى عنه بان هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل او تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي انزل عليك الكتاب الآية فظهر انه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة الا وقد اشتملت هذه الآيات عليها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة في قوله في الارض ولا في السماء مع انه لو اطلق كان ابلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض اقوى لعظمهما في الحس والحس متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل وفي هذا فائدة ضرب الامثلة في العلوم قال الواحدي التصوير جعل الشيء على صورة والصورة هيئة حاصلة للشيء عند ايقاع التأليف بين اجزائه واصله من صاره اذا اماله وذلك ان الصورة مائلة الى شكل ابويه والارحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمي رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وتعبده وكيف في موضع الحال اي على اي حال اراد طويلا او قصيرا اسود او ابيض حسنا او قبيحا الى غير ذلك من الاحوال المختلفة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفي في كونه الها ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على انه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب احكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كونه كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعاني وانه بحيث لا يتمكن احد من الاتيان بمثله لو بمائة ومبانيه بلاغة ومعنى ودل على انه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثاني والمراد انه يشبه بعضه بعضا في الحسن والاعجاز والبراءة من التناقض والتناقض ثم ان هذه الآية هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات دلت على ان بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فنعني ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه القدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام في اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من ظلمه وحكمة اللجام يمنع الفرس من الاضطراب وفي حديث النخعي احكم اليتيم كما تحكم ولدك اي امنعه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغي واما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدي الانسان اليه متشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه اشكل اي دخل في شكل غيره ثم ان كل احد من اصحاب المذاهب يدعي ان الآيات الموافقة لمذهبه محكمة ولقول خصمه متشابهة فالمعتزلي يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا ان يشاء الله متشابه والسني يقلب الامر في ذلك وكذا المعتزلي يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسني بالعكس فلا بد من قانون يرجع اليه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي او عقلي والدليل اللفظي لا يكون قاطعا البتة لتوقفه على نقل اللغات وعلى وجوه التصريف والاعراب وعلى عدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعدم المعارض النقلي والعقلي وكل ذلك مظنون والموقوف على المظنون اولى ان يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليه في المسائل الاصولية فاذن لا سبيل الى صرف اللفظ عن معناه

الراجح إلى المعنى المرجوح إلا بالدلائل القطعية العقلية على أن معناه الراجح محال عقلاً فإذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف أنه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما أشعر به ظاهره فعند هذا لا يحتاج إلى أن يعرف أن ذلك المرجوح الذي هو المراد ماذا لأن السبيل إلى ذلك إنما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بينا ولا سيما المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فإذن الخوض في تعيين التأويل غير جائز والله أعلم المسئلة الثانية في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس أن المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الأنعام قل تعالوا إلى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لأن هذه الآي كلها والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كأوائل السور أولوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الآية فاختلط الأمر عليهم واشتبه وعنه أن المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الأصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كالإنشاء الخلق في قوله ثم خلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته إلى التدبر والتأمل كالآيات البعث فإن التأمل يجعلها محكمة فإن من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة فإن عنى الأصم بوضوح الدلائل جلاءها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من أن المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمأول وإن عنى بالواضح ما يعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بضرورة العقل وبالخفي ما يعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فإن إنشاء الخلق أيضاً يفتقر إلى دليل عقلي فإن الدهري ينسب ذلك إلى الطبيعة والمنجم إلى تأثير الكواكب لعل الأصم يسمي ما هو أبعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكماً والذي هو غير ذلك متشابهاً وقيل كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل إلى معرفته كالعلم بوقت القيمة وبمقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذاك متشابه المسئلة الثالثة في أنه لم جعل بعض القرآن محكماً وبعضه متشابهاً من الملحدة من طعن فيه فقال كيف يليق بالحكيم أن يجعل كتابه الذي هو المرجوع إليه في دينه الموضوع إلى يوم القيمة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة والنافي فيها يثبت بقوله لا تدركه الأبصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الأمر في ترجيح بعضها على بعض إلى وجوه ضعيفة وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع أنه لو جعله كله ظاهراً جلياً خالصاً عن المتشابه لكان أقرب إلى الغرض والجواب أن فيه منافع منها أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وفيه لو كان كله محكماً كان مطابقاً لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فإذا كان مشتملاً على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في تأمل معانيه بعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وتخلص المبطل عن باطله ويصل إلى الحق وأيضاً إذا كان فيه محكم ومتشابه فيفتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد إلى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة وافتقر أيضاً إلى تحصيل علوم أخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام إلى غير ذلك ولما في المشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب قوي وهو أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الأغلب عن إدراك الحقائق فمن سمع منهم في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح فالأول وهو الذي يخاطبون به في أول الأمر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم آخر الحال من قبيل المحكمات قوله هن أم الكتاب الأم في اللغة الأصل الذي يكون منه الشيء فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات إنما تصير مفهومة بإعانة المحكمات لا جرم صارت المحكمات أصولاً للمتشابهات وإنما لم يقل أمهات الكتاب ليطابق المبتدأ لأن مجموع المحكمات في تقدير شيء واحد هو الأصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية على معنى أن مجموعهما آية واحدة وأخر ومنه آيات أخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق فيتبعون ما تشابه منه لا يتمسكون إلا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الأمة من الحروف المقطعة في أوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لأنه قال في آخره وما يعلم تأويله إلا الله وما ذاك إلا وقت القيامة فإنه تعالى أخفاها عن الخلق حتى الملائكة والأنبياء والتحقيق أنه عام لكل مبطل متشبث بأهداب المتشابهات لأن اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الأمر على الضعفة قال أهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فإنه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الإله في مكان وإلا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكاً بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية إلى العبد فإنه لما ثبت بالبرهان العقلي أن صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وأنه من الله تعالى وإلا لتسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك الداعية وعدمه عند عدمها واجباً فيبطل التفويض ويثبت أن الكل بقضاء الله وقدره وإذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل أن يسمي الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من أن كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالفهم فهي المتشابهة والإنصاف أن الآيات ثلاثة أقسام أحدها ما تأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذلك هو المحكم حقاً وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة

امتناع ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بان مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى ان الامر اشتبه فيه ولم يتميز احد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة اخرى وهي ان الدليل العقلي مختلف فيه انه بحسب ما اشتبه كل فريق وتخيله صار دليلا في نفسه مادة وصورة فكل فرقة يدعي بمقتضى فكره ان الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه فاكد به اللفظ الذي يتعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين ان للزائغين غرضين احدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه يقال فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بامرأة يشغفه فكان المتمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عن تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين وهو الضلال عنه اي طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الاصم انهم متى اوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله اي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير ان يكون فيه حجة له في كتاب الله بيانا قال القاضي ابو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين احدهما ان يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة والثاني ان يحكموا بحكم في الموضع الذي لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم عرف ذلك فقال وما يعلم تأويله الا الله والعلماء اختلفوا في هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن انس والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول ابي علي الجبائي ومنهم من لم يجعل الواو في والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ في العلم وهو الثبوت في التعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن انس واكثر المتكلمين وقد روي عن ابن عباس ايضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء ان اما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قيل واما الراسخون في العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل اقوى منه على ان ذلك الظاهر غير مراد علم ان مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفي المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالترجيحات اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصلح الاستدلال به في المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع ان يكون في المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما اشعر به ظاهرها الا ان في مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوي ظني والقول بالظن في ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن انس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ان ما قبل هذه الآية ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال واما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها انه تعالى مدح الراسخين في العلم بانهم يقولون آمنا به وقال تعالى في اول البقرة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا لان كل من عرف شيئا على التفصيل فانه لا بد ان يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية ان الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها وعلموا ان القرآن كلام الله تعالى وانه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لا يجوز ان يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا ان مراد الله تعالى شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى اي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله حيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا به كل من عند ربنا اي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل ان يعود الضمير في آمنا به الى الكتاب اي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل ان يكون قوله يقولون حالا الا ان فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين والحال لا يمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر وما يذكر الا اولوا الالباب اي ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون اذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس متشابها ثم يعتقدون ان لكل كلام من لا يجوز في كلامه التناقض فيحكمون بان ذلك المتشابه لا بد ان يكون له معنى صحيح عند الله وان لم نعرفه نحن وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اي بعد وقت هدايتنا والثاني قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سألوا ربهم اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة ويزين جوارحهم واعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها ان يحصل في الدنيا سهولة اسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها ان يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة في القبر وسادسها في القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وثامنها في الحضرة رفع الاستار ورؤية الملك الجبار وفي قولهم من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك انت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك والنعالى لما يتعلق بالدعاء الاول قال اهل السنة القلب صالح لان يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر

م

منها يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد في القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والارشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يعني الداعيتين ومما يؤكد ذلك ان الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بانهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال ويتركون الخوض فيها فيبعد منهم في مثل هذا الوقت ان يتكلموا بالمتشابه فيكون هذه الاية من اقوى المحكمات وهو ظاهر في ان الازاغة والهداية كليهما من الله تعالى اما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على ان الازاغة لا يجوز ان يصدر من الله تعالى لان ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الاية الى التاويل فقال الجبائي واختاره القاضي المراد ان يمنع قلوبنا الالطاف التي معها يستمر قلبنا على صفة الايمان وزيف بان اللطف ان صح في حقهم وجب عندكم على الله ان يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار محتاجا وقال الاصم لا تبتلنا ببلوى تزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نامن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملني على ايذائك اي لا تفعل ما اصير عنده موذيا لك وزيف بان التشديد في التكليف قبيح ان علم الله تعالى ان له اثرا في حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة في صرف الدعاء اليه وقال الكعبي لا تسمنا باسم الزيغ كما يقال فلان يكفر فلانا اي يقول انه كافر وزيف بان التسمية دائرة مع الفعل وحصول الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية ايضا بسببه وقال الجبائي ايضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا ان يحمل على شيء اخر وهو انه تعالى اذا علم انه مؤمن في الحال وعلم انه لو بقي الى السنة الثانية لكفر اماته في هذه السنة ويرد عليه انه لو كان علم بانه يكفر في السنة الثانية لوجب عليه ان يميته لما كان علم بانه لا يؤمن قط ويبقى على الكفر طول عمره فوجب ان لا يخلقه وعن الاصم ايضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ وقال ابو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور انفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا ان يصونهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي في وقوعه فاللام للوقت وجامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف ان الله لا يخلف الميعاد قيل هو كلام الله تعالى كانه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الا ان يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف للمظلومين من الظالمين والميعاد الموعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح واعلم انه لا يلزم من انه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم اذا وعد السراء انجز وعده وان وعد الضراء فالعفو مانعه وناظر ابو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال ما تقول في اصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال ابو عمرو انك اعجم لا اقول اعجم اللسان ولكن اعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الايعاد كرما وانشد واني وان اوعدته او وعدته لمكذب ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على انا لا نسلم ان الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم فقال ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وقيل المراد وفد نجران وذلك انا روينا في قصتهم ان ابا حارثة بن علقمة قال لاخيه اني اعلم انه رسول الله حقا ولكني ان اظهرت ذلك اخذ ملوك الروم مني ما اعطوني من المال فالله تعالى بين ان اموالهم واولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والاخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ واعلم ان كمال العذاب هو ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة اما الاول فالاشارة بقوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم لانهما اقرب الامور التي يفزع اليها المرء عند الخطوب فاذا لم يفدا فغيرهما بالطريق الاولى ودفع المضار في ذلك اليوم فما عداه بالنفي اولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير واما الثاني فالاشارة بقوله واولئك هم وقود النار فانه لا عذاب ازيد من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها في الحطب اليابس ومن في قوله من الله للبدل مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغني عنهم بدل رحمة الله او طاعته شيئا وفي الحديث لا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه في الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وانشد ابو علي شعر فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان والطهيان من بلاد الازد قلت يجوز ان يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيئا ومن زائدة لتاكيد النفي لن تغني عنهم عذاب الله شيئا من الغناء اي لن تدفع وقال ابو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيئا قوله تعالى كداب ال فرعون يقال داب فلان في عمله اي جد وتعب دابا ودؤبا فهو دائب ومنه الدائبان الليل والنهار والداب العادة والشان وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك واصله من دابت اطلاقا لاسم الخاص على العام اي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم ودابهم وصنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كداب ال فرعون مع موسى ثم انا اهلكنا اولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله كذبوا باياتنا تفسير لدابهم على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا باياتنا

كان بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة صح

التقدير

بالمعجزات

آل عمران

بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا فأخذهم الله بذنوبهم اي صاروا عند نزول العذاب كالمأخوذ المأسور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى
كدأب الله في آل فرعون اي كجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال
يحتمل ان يكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كأنه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم
في ايذاء الرسل وعادتنا ايضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك اولئك الكفرة وقيل الدؤب والدأب اللبث في الدوام والتقدير دؤبهم في النار
كدؤب آل فرعون وقيل شقتهم وتعبهم في النار كشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا
آل فرعون اشد العذاب وقيل المشبه هو ان اموالهم واولادهم لا تنفعهم في ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم
المكذبين بالرسل من العذاب الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد فكذلك حالكم ايها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا يغني عنكم الاموال
والاولاد ويحتمل ان يكون وجه التشبيه انه كما نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستيصال وهو قوله فأخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام
العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل بمن كذب بمحمد امران احدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة
بقوله فيما بعد قل للذين كفروا ستغلبون والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الثاني وقيل الم الالف اظهار
الوحدة مظهر ذاته وصفته فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب منفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف وتشبيه باستقامة
وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الواحد ازلا وابدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف
معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اشارات الى ان كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول
وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي لا زال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف واما اللام فاشارة
الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد ووقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى انه مسبوق بالوجود
والالف سابق عليه وانكساره فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح
وذلك ان الميم واحد حرف من اسم المبدئ واخر حرف من اسم القيوم فيشير الى انه كان ابتداء المبدئ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال ويوجه اخر
الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات في لام التمليك له ما في السموات وما في الارض والنفي في لا النافية اي لا
وجود لشيء بالحقيقة سواه والميم يشير ايضا الى اثبات ونفي فالاثبات بميم اسمه القيوم والنفي بما النافية اي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليل الوجهين
في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القديم ولا اله الا هو نفي الشريك عن وجوده واثبات وحدته في وجوده والحي القيوم اثبات
جميع صفات كماله ونفي جميع صفات النقص عن ذاته وقد اودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى قوله الله اودع في اول حرف من حروفه
وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو اودع في اوسط حرف من حروفه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم اودع في اخر حرف من حروفه وهو الميم وانما
اودع في اخر حرفه ههنا ليكون السر مودعا في الآية من اول حرفها مكتوبا فيما بينهما والحروف الثلاثة من قوله الم يكون الالف من اولها دالا على
المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من وسطها دالا على المعنى الذي في الكلمة الثانية وهي لا اله الا هو والميم من اخرها دالا على المعنى
الذي مودع في الثالثة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو القرآن ومضمونه كما روي عن
ابي بكر وعلي ثم انه تعالى بعد ان اظهر اسرار الوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم اظهر الطاف ربوبيته المكنونة في استار العزة
مع حبيبه محمد عليه السلام فقال نزل عليك الكتاب بالحق نزل حقائق القرآن وانواره على قلبك بالحقيقة متجليا لسرك مخفيا عن غيرك فصرت مشاهدا
لسر الله المودع في الم وهو الذي بين يديه الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا لما بين يديه تصديق تحقيق لا تصديق تقليد فانهم اذا لم تعلم
تعلم انك لا تفهم لانه منطوق الطيارات بعد سبعة لا من الطيارين لا من السابقين وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظن
يا محمد ان انزال الكتب على الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك حتى صرت مكاشفا عند تجلي انواره باسرار وحقائق بينك وبينه
لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف والواح يقرأها كل قارئ يستوي في هداها
الانبياء والامم فانها هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي انوار القرآن بالتنزيل على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء و
يفرق بين تعليمك القرآن وبين تعلمهم الكتب فانهم كانوا يدارسون الكتب فانت تخلق بالقرآن فشتان بين نبي يجيء هو بذاته نور ومعه كتاب
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء معه نور من الكتاب قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان
بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الالواح وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وبين نبي تشرف امته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم اولئك كتب
في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله ليستترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم
عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز اهل العزيمة بنيل المرام وينتقم
من اهل السلوة بحجاب العزة ثم اخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم
في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الابد بما جفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى

للعادة م

الى آخر حرفها م

اذا استسقط من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد صادق يستسلم لتصرفات ولاية الشيخ وهي بمثابة ملك الارحام في تصرف
المريد حول الظاهرة والباطنة على وفق امر الشيخ ويختار الخلوة والعزلة لئلا يصيبه منه حركة عنيفة او يجد له محنة غريبة يلزم منه سقوط النطفة
وفسادها ويتعهد بامر الشيخ وتدبيره فالله تعالى يتصرف في ولاية الشيخ المؤيد بتائيد الحق ويوكل اربعين عليه بشرائطها يحولها من حال الى حال
ومن مقام الى مقام الى ان يرجع الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيكون الجنين في رحم القلب هو طفل خليفة الله في
ارضه فيستحق الان ان ينفخ فيه الروح المخصوص بالانبياء والاولياء يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وايدهم
بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون ادم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم اجمعون الايات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط
الشرع و الاهتداء والمتشابهات تاويلها شرب الخواص خواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فاما الذين في قلوبهم زيغ
الميل عن الحق سقط من قلوبهم غطاء الريب ونور العلم والفيض يضلون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا باهوائهم وابتغاء تاويله
ليضلوا الناس بارائهم والراسخون في العلم يقولون امنا به بما شاهدوا من نور الحق في حقيقة كل من عند ربنا بتوفيقه وايمانه بتعريفه
وما يذكر الا اولوا الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور الباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور
العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الاية اشارة الى ان علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق
اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات واشهدهم على انفسهم بشواهد الربوبية الست بربكم فشهدوا بتلك الشواهد وكوشفوا بحقيقة الذات ان علم التوحيد
فقالوا بلى فيندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم ادم الاسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت
الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام في مقامات البعد عن الحضرة الى ان وضع الحمل وردت النفس العالمة
بعلم التوحيد الناطقة بلى اسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية نسيت تلك العلوم النطق بها ثم ابواه يذكران تلك العلوم باللغة والقرائن
حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية واستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي اجاب به الرب فقال بلى فان ذلك
اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك جميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور الباب تلك الوجود السمع الحقيقي في الميثاق
فسمع قشر ذلك السمع الذي يستمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي يبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي يفهم خطاب الحق
وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان ابواه يذكران قشرها كما قال فذكر انما
انت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا اولوا الالباب ثم يتذكروا اولوا الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن حقائق
بغلبات ظلمات طبايعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى الحضرة جلالك وبنور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا الست بربكم شاهدنا بلب
ابصارنا الباب التاويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك تعينا عنا بك انك انت الوهاب
وفيه اشارة الى ان وظيفة الطالب لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون الى الابد طالبا كما كان الله الى الازل الى الابد وهابا وكما انه
لا نهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب الطالبين بعد هذه الدار دار القرار توفي فيها جزاء الابرار والفجار فحصول الارب بقدر رعاية الادب
في الطلب ومقاساة التعب لنصب النفوس المقبولين الخيرات للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا ستروا انوار روحانيتهم بظلمات صفات
نفسانيتهم لن تغني عنهم طاغوت اموالهم ولا اولادهم من انوار الله التي حجبوا عنها واولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة
التي تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التي لا تحرق الا قشور الجلود ولا يخلص الى القلوب فان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب
وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحيوة الى سموم الممات شعر في فؤاد المحب نار هوى احر نار الجحيم ابردها وكذلك جميع الكفار الذين ستروا انوار روحانيتهم
بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة انوارنا ومحافظة اسرارنا فاخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله
شديد العقاب اليم نار فراقه عظيم عذاب بعده شعر واشراقه بالنار خوفني قومي فقلت لهم النار ترحم من في قلبه نار
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ
بگو مر جهانرا که کافر شدند زود است که مغلوب شوند و محشور شوند بسوی دوزخ و بد جایگاه است تحقیق بود شما را نشانی در دو طائفه که ملاقات کردند گروهی کارزار میکرد
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ
در راه خدا و طائفه دیگر که کافر بود که میدیدند آنها را دو چندان در دیدن نظر و خدا قوت میدهد بیاری خود هر که را خواهد بدرستی که درین هر آینه عبرتیست صاحبان بصیرت را
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
آراسته شد از برای مردمان دوستی شهوات را از زنان و فرزندان و پوستهای پر از طلا و نقره و اسپان با نشان و حیوانات
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
و زراعت این متاع زندگانی دنیا و خدا در نزد او است بهتر بازگشت بگو آیا خبر دهم شما را به بهتر ازین مر آنهاراست که پرهیزگاری کردند در نزد پروردگار
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ الَّذِينَ
بهشتها میرود از زیر آنها جویها جاوید باشند در آن و زنان پاکیزه و خوشنودی از خدا و خدا بیناست به بندگان آنان

اتى امرأة استحاضت فلا اطهر أفأدع الصلوة فقال لا انما ذلك عرق ليست بالحيضة فاذا اقبلت الحيضة فدعي الصلوة فاذا ادبرت فاغسلي عنك الدم وصلي ومعنى العرق انه علة حدثت بها من تصدع العروق واصل الحيض في اللغة السيل يقال حاض السيل وفاض قال الازهري ومنه قيل للحوض حوض لان الماء يحيض اليه اي يسيل والواو والياء من جنس واحد وقد ورد في الحديث لدم الحيض صفات منها السواد وبراقة يعلوه حمرة متراكبة فيضرب من ذلك الى السواد ومنها الثخانة ومنها المحتدم وهو المحترق من شدة حرارته ومنها انه ذو دفعات اي يخرج برفق لا يسيل سيلا ومنها ان له رائحة كريهة ومنها انه بحراني وهو الشديد الحمرة وقيل ما يحصل فيه كدورة تشبيها له بماء البحر فمن الناس من قال ان كان الدم موصوفا بهذه الصفات فهو الحيض والا فلا وما اشتبه الامر فيه فالاصل بقاء التكليف وزوالها انما كان بعارض الحيض فاذا كان غير معلوم الوجود بقيت التكاليف الواجبة على ما كان ومنهم من قال هذه الصفات قد تشتبه على المكلف فايجاب التامل في تلك الدماء وفي تلك الصفات يقتضي عسرا ومشقة فالشارع قدر وقتا مضبوطا متى حصلت الدماء فيه كان حكمها حكم الحيض ومتى حصلت خارج ذلك الوقت لم يكن حكمها حكم الحيض كيف كانت صفة تلك الدماء اما السن المحتمل للحيض فاصح الوجوه انها تسع سنين فان رأت الصبية ما قبل استكمال التسع فهو دم فساد قال الشافعي واعجل من سمعت من النساء تحيض نساء تهامة يحضن بتسع سنين وقيل ان اول وقت الامكان بدخول الطعن في السنة التاسعة وقيل بمضي ستة اشهر من السنة التاسعة والاعتبار على الوجوه بالسنين القمرية تقريبا على الاظهر لا تحديدا حتى لو كان بين رؤية الدم وبين استكمال التسع على الوجه الاصح ما لا يسع حيضا وطهرا كان ذلك الدم حيضا والا فلا واقل مدة الحيض عند الشافعي يوم وليلة وعند ابي حنيفة ثلثة ايام وعند مالك لا حد لاقله واما اكثر الحيض فهو خمسة عشر يوما بلياليها والقول على كرم الله وجهه ما زاد على خمسة عشر فهو استحاضة وعن عطاء رأيت من تحيض خمسة عشر يوما واما الطهر فاكثره لا حد له فقد لا ترى المرأة الدم في عمرها الا مرة واحدة واقله خمسة عشر يوما وقال احمد اقله ثلثة عشر وقال مالك ما اعلم بين الحيضتين وقتا يعتمد عليه لنا الرجوع الى الوجود وقد ثبت ذلك من عادات النساء وروي انه صلى الله عليه وسلم قال تمكث احداهن شطر دهرها لا تصلي اشعر بذلك ان اقل الطهر واكثر الحيض وغالب عادات النساء في الحيض ستا وسبع وفي الطهر باقي الشهر قال صلى الله عليه وسلم لحمنة بنت جحش تحيضي في علم الله ستا او سبعا كما تحيض النساء ويطهرن ومعنى في علم الله اي مما علمك الله من عادات النساء من غالب عادات النساء ويحرم في الحيض عشرة اشياء الصلوة والصوم والاعتكاف والمكث في المسجد والطواف ومس المصحف وقراءة القرآن والسجود والغشيان بنص القرآن والطلاق في حق بعضهن ثم ان اكثر فقهاء الامصار على ان المرأة اذا انقطع حيضها لا يحل مجامعتها الا بعد ان تغتسل عن الحيض وهذا قول مالك والاوزاعي والشافعي والثوري والمشهور عن ابي حنيفة انها ان رأت الطهر دون عشرة ايام لم يقربها زوجها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وان رأته عشرة ايام جاز له ان يقربها قبل الاغتسال حجة الشافعي ان القراءة المتواترة حجة بالاجماع فاذا حصلت قراءتان متواترتان وجب الجمع بينهما ما امكن فمن قرأ يطهرن بالتخفيف فانها الحرمة عند انقطاع الدم ومن قرأ يطهرن بالتثقيل جعل النهاية تطهرها بالماء والجمع بين الامرين ممكن بالماء والجمع بين الامرين ممكن بان يكون النهاية حصول الشيئين معنى قوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن وهذا كالتاكيد لقوله فاعتزلوا ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن المباشرة في موضع الدم وهذا نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع وايضا قوله فاذا تطهرن فأتوهن تعليق للاتيان على التطهر بكلمة اذا فوجب ان لا يجوز الاتيان عند عدم التطهر والمراد بالتطهر الاغتسال لان هذا الحكم عائد الى ذات المرأة فوجب ان يحصل في كل بدنها لا في بعض من ابعاض بدنها وعن عطاء وطاوس هو ان تغسل الموضع وتتوضأ وقال بعضهم غسل الموضع ثم القائلون بوجوب الاغتسال اجمعوا على ان التيمم يقوم مقامه عند عوز الماء من حيث امركم الله اي من المأتى الذي امركم به حلالا لكم وهو القبل عن ابن عباس ومجاهد وابراهيم وقتادة وعكرمة وقال الاصم والزجاج فأتوهن بحيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات وعن محمد بن الحنفية فأتوهن من قبل الحلال دون الفجور ان الله يحب التوابين مما عسى ان يبدو منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان الدبر ويحب المتطهرين المتنزهين عن تلك الفواحش فالتائب هو الذي فعله ثم تركه والمتطهر هو الذي ما فعله تنزها عنه لان الذنب كالنجاسة روحانية حكمية انما المشركون نجس ويحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار والاوزار الحكم الثامن نساؤكم حرث لكم وانه جار مجرى البيان فأتوهن من حيث امركم الله دلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فينبغي ان تؤتى المأتى الذي هو مكان الحرث عن جابر قال كان اليهود يقولون اذا جامعها من ورائها جاء الولد احول فنزلت هذه الاية وعن ابن عباس جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وتحويل الرحل قيل ظاهره الكناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد وقيل انه الاتيان في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعنه كانت الانصار تنكر ان يأتي الرجل المرأة مجبية اي في قبلها من دبرها وكانوا اخذوا ذلك من اليهود وكانت قريش تفعل ذلك فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات بعد ان يتقي الدبر والحيضة وذلك ان قوله حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه ففرج المرأة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات وانما وحد الحرث لانه مصدر اقيم مقام المضاف اي فهن مواضع حرث فأتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث اعني القبل دون الدبر هذا ما عليه اكثر العلماء ويؤيده قوله عز من قائل قل هو اذى فاعتزلوا جعل ثبوت الاذى علة للاعتزال ولا معنى للاذى الا ما يتأذى الانسان منه بنتن وتلوث

لقيت قوماً اغماراً لا علم لهم بالحرب فاصبت فيهم فرصة اما والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله تعالى قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون
وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر من قرأ
بتاء الخطاب فمعناه الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بأي لفظ اراده ومن قرأ بالياء فالامر متوجه الى حكاية هذا اللفظ اي
قل لهم قولي لك ستغلبون وفي الآية احتجاج القائل بتكليف ما لا يطاق فانه تعالى اخبر عنهم بانهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا واطاعوا لانقلب خبره
كذباً وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وقوله ستغلبون وقد وقع كما اخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزاً دالاً على صدق النبي صلى الله عليه وسلم
نظيره في حق عيسى وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجري مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية في فئتين
التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة اخرى كافرة هم كفار قريش
وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه احدها ان المسلمين كان قد اجتمع فيهم من اسباب الضعف امور منها قلة العدد فانهم كانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلاً مع كل اربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها انهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها ان ذلك
ابتداء غارة في الحرب لانها اول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل للمشركين اضداد هذه المعاني كانوا تسعمائة وخمسين رجلاً وفيهم ابو سفيان
وابو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير واهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحروب والغارات واذا كان كذلك كان غلبة
المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها انه عليه السلام كان قد اخبر عن ذلك باخبار الله تعالى في قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني جمع قريش وعير ابي سفيان
وكان اخبر قبل الحرب بان هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما سيجيء في هذه السورة ورابعها
قوله يرونهم مثليهم وفيه اربع احتمالات لان الضمير في يرون اما ان يعود الى الفئة الكافرة او الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير
في مثليهم الى كل منهما فهذه اربعة الاول ان الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلي عدد المشركين قريباً من الفين الثاني انها رأت المسلمين مثلي عدد المسلمين
ستمائة ونيفاً وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب اي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي انفسهم ودليل الاحتمالين
جميعاً ان عود الضمير في يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة اولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب
ان يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها حجة على الكفرة والحكمة في ذلك ان يهابهم المشركون
ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم لاختلاف الوقتين فكانهم قللوا اولاً في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا على ان تقليلهم تارة في اعينهم وتكثيرهم اخرى ابلغ في القدرة واظهر للآية الاحتمال الثالث ان الرائين
هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريباً من ثلاثة امثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع
ان يكون الراؤن هم المسلمون ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن ان يقول به احد لان هذا يوجب نصرة الكفار
وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون ايها
اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو ان الاحتمالين الاولين الثاني يقتضي ان المعدوم صار مرئياً والاحتمال الثالث يوجب ان يكون
الموجود الحاضر غير مرئي اما الاول فهو محال عقلاً والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى انزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيراً وهذا
يكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصباً على الحال ويحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل انه في غاية الكثرة
لكن قوله رأي العين لا يجاوب ذلك ومعناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات واما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة فانه
عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول بل يكون عندهم جائزاً لا واجباً والزمان زمان خوارق العادات واما المعتزلة
فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشرائط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بان الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ
فلعله يرى البعض دون البعض ولعل الغبار صار مانعاً عن ادراك البعض او خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعاً عن رؤية ثلث العسكر او جعلت في
عيونهم ما يستقل به الكثير كما احدث في عين الاحول ما يرى به الواحد اثنين كذلك يحتمل والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما
بالحجة والعاقبة كيوم احد ان في ذلك الذي ذكر من الآية لعبرة نوع من العبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لاولي الابصار لذوي العقول
التي تبصر القضايا امثالها كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لما يعتبر الانسان به وهو انه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم
الروحانيات خير وابقى لها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة واما ما يتعلق بالقصة فانا روينا ان ابا حارثة بن علقمة
النصراني اعترف لاخيه بانه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا انه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه وروينا ايضاً انه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر اظهروا
من انفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية ان تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير للمتقين
هو الله تعالى اما عند الاشاعرة فلانه خالق افعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان واما عند جمهور
المعتزلة فالحكمة الابتلاء انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً ولانها وسائل الى منافع الآخرة وهو ان يتصدق بها او يتقوى بها

على طاعة الله والاشتغال بشكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولأن القادر على وجوه اللذات إذا تركها وأقبل على أداء وظائف الخدمة كان أشق وأكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي أن كل ما كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكي عن الحسن أنه قال الشيطان زينها له وكان يحلف بالله على ذلك احتج الجبائي بالآية أن الملوك بالشهوات فيدخل فيها المحرمات وأن تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير إلى هذه الغاية لا يليق إلا بمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك متاع الحياة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم إنه تعالى جعل الأعيان المشتهيات شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدرة مقدور وللمرجو رجاء وفيه فائدة أخرى هي أن الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها قال المتكلمون في الآية دليل على أن الحب غير الشهوة لأن المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف إليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد وهي أن يجعل الإنسان كل همته مصروفة إلى اللذات والطيبات واعلم أن الإنسان قد يحب شيئا ولكنه يحب أن لا يحبه وقد يحبه ويحب أن يحبه ويعتقد مع ذلك أن تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام إني أحببت حب الخير ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لأن الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضي أن هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك أنه موجود في الأغلب في أكثر الأوقات فلا بعد في التعميم فظاهر ما أعطي للأغلب حكم الكل على أن من همته بجملتها مقصورة على طلب اللذات الروحانية في غاية الندرة وبقاء ذلك الشاذ في جميع الأحيان على ذلك الخاطر عزيز ممتنع ثم شرع في بيان تلك الأعيان المشتهيات فذكر منها ما هي الأمهات في رتبها في جميع مراتب الأولى النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال عليه السلام ما تركت بعدي فتنة أضر على أمتي من النساء الثانية الأولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر ومحبة النساء والأولاد كأنها أمر غريزي ولولاها لم يحصل بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشيء وإحكامه منه القنطرة والمال الكثير قنطار لأن الإنسان يتوثق بها في عقد النوائب أبو عبيدة أنه وزن لا يحد أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبي أن القنطار بلسان الروم ملء مسك ثور من ذهب أو فضة وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة وإبل مؤبلة قال الكلبي القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة وكان المجموع ستة فإنما كان الذهب والفضة محبوبين لأنهما جعلا ثمن جميع الأشياء فمالكهما كالمالك لجميع الأشياء كل المتيد يوجد في الفرد ولا التي لغلت جلت فدرته وصفته المالكية هي القدرة وأنها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدي الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الأفراس خيلا لاختيالها وهو جولانها في مشيتها ويسمى الخيال الاختيال لأن هذه القوة في استحضار الصور والمسومة قيل المرعية أسمت الدابة وسومتها إذا أرسلتها في مرج للرعي ولا شك أنها إذا رعت ازدادت حسنا وقيل هي المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا في تلك العلامة فعن أبي مسلم الغرة والتحجيل وقال الأصم هي البلق وقال قتادة الشية وقيل الكي وعن مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة أي الحسان قال الأصمعي رجل مطهم أي تام كل شيء على حدة فهو بارع الجمال السادسة الأنعام وهو جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم إلا للإبل خاصة فإنها غلب عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذي ذكر متاع الحياة الدنيا لأن وجوه الانتفاعات الدنيوية للإنسان إما أن يكون من بني نوعه أو من غيره والأول أصل وهو المرأة أو فرع وهو الولد وإنما فرض الكلام في الذكور لشرفهم والثاني إما أن يكون من المعدنيات وأكثرها فائدة وأعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر وإما أن يكون من الحيوانات المركوب للكر والفر الخيل وللحمل واللحم وهو الأنعام وإما أن يكون من النباتات والحاصل من الزراعة وإنما لم يتعرض للأدوية والفضول لأنها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب العرب لإعلامهم والله عنده حسن المآب أي المرجع وإنما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لأنها غير مقصودة بالذات لأنه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي ثم بين أن ذلك المرجع كما أنه حسن في نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا والمقصود أن يعلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأفسح من بطن الأم فكذلك الآخرة أفسح وأوسع من الدنيا ولأنه لما عدد نعم الدنيا بين أن منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير أؤنبئكم بخير من ذلكم الذي عددناه ثم استأنف بيانه وتقريره فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات كما تقول هل أدلكم على خير من فلان عندي رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والأزواج مع تأبيد الخلود فإن النعمة وإن عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها وينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم ربما لا يطيبها إلا بالشركاء فيهن تحصل الأنس ثم وصف الأزواج بصفة واحدة جامعة فقال مطهرة أي من الأقذار والمثالب وبعضه كمال النعمة ذكرنا وهو وفاء التمام فقال ورضوان من الله ويندرج فيه جميع المطالب الفاضلة لأن العبد إذا رضي عنه المولى لم يتصور منه منع مطلوب وكان أعلى من كل ما ملكه للعبد كما أن العبد وما ملكه للمولى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ويجعل ما بعد الذين اتقوا متعلقا بخير والمتقون لأنهم

م المنقمون به يرتفع جنات على الخبر اى هو جنات وبعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك ان اللام فى هذه القراءة يتعين ان يكون متعلقا بخير وقوله عند ربهم يحتمل ان يتعلق بما تعلق به قوله للذين اى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل ان يكون صفة لخير ويحتمل ان يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى ان هذا الثواب لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله والله بصير بالعباد عالم بمصالحهم فيجب ان يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الاخرة وان يزهدوا فيما زهدهم فيه من امور الدنيا او بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب استحقاقهم او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على ان الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب الوقوع عبث فلا يصلح للمدح ويمكن ان يجاب عنه بان العبد قد يدعو بما يعلم انه حاصل لاظهار الذل والعبودية وابداء للاستكانة والخشوع وايضا صورة العمل الصالح لا يفيد ما لم يقع فى حيز القبول فعلى المتقى ان لا يتكل عليها ويلتجئ الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من صفات عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها او اشارة الى ان كل واحد منها يكفى فى استحقاق المدح والثواب فقال الصابرين اى فى اداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال اى صبر اشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كادت تتلف وحقه والصادقين اى فى الاقوال وفى الافعال بان لا ينصرفوا عنها قبل تمامها وفى النيات بان يمضوا العزم على الخيرات والقانتين المقيمين على الطاعات والمواظبين عليها والمنفقين ما تيسر على ما تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا والمستغفرين بالاسحار اى فيها والسحر قبيل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون قيام الليل حتى اذا كان السحر اخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالاسحار مزيد اثار وانوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا اعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد ان يفيض عليه سجال المغفرة وان يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بانوار المعارف واثار اللطائف ما يبان ترتيب الاوصاف فالصبر يتمل اداء جميع التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك وجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات امر محمود فاشار الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا امرين يعينان على الطاعة خدمة بالمال والابتهال والتضرع الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقى الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبى لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من احبار اهل الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا على النبى صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له انت محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا انا نسئلك عن شهادة فان انت اخبرتنا بها امنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلانى قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله انه لا اله الا هو فاسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه النظم انه مدح المؤمنين واثنى عليهم بقوله ربنا اننا امنا ثم بين ان دلائل الايمان ظاهرة جلية واعلم ان الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن اولى العلم يحتمل ان يكون بمعنى واحد ويحتمل ان يكون كذلك اما الاول فتقريره من وجهين احدهما ان الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل فى حق الله تعالى وفى حق الملائكة وفى حق اولى العلم اما من الله فذلك انه اخبر فى القرآن انه اله واحد لا اله الا هو وذلك فى مواضع كثيرة كالاخلاص واية الكرسى وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية فى هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها واما من الملائكة واولى العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم اخبروا ايضا ان الله واحد لا شريك له وثانى الوجهين ان تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والتبيان فالله تعالى اظهر ذلك وبين بان خلق ما يدل على ذلك والملائكة واولو العلم اظهروا ذلك وبينوه وانما الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع فى الشئ الذى به حصل الاظهار والبيان فاما مفهوم الاظهار والبيان فشئ واحد فى حق الكل فكانه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى امر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين المنهج القويم لا يضره مخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الاوثان فاثبت انت وقومك يا محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فانه هو الاسلام واما الثانى فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن انه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولى العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم فالصلوة من الله غير الصلوة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب انه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى ارشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول انه حال مؤكدة والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وهذا وجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا ابوك عطوفا ولا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل ان يكون حالا من اولى العلم اى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى اداء هذه الشهادة الثانى ان يكون صفة للمنفى كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد بينا انهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث ان يكون نصبا على المدح وان كان نكرة

كقوله

انفقوا بعيم

الصبر لله فقال لا فقال في نعم

والدين عند الله هو الاسلام ع

فائما بالقسط ع

كقوله شعر: وَبِأَوَّلِيَّ بِنَبُوَةِ غُطَّلٍ وَشُعْثًا : مراضيع مثل السعالي : ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم واعلم ان وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات و عدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص في شيء من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز في العقل السليم ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة وقضية التسوية ورعاية الاصلح عموما او خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة او يشبه الجور والقبيح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه عن احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية خلق اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر في كيفية خلقة العناصر واجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى مخلوق غير مستعد لادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالي بانه تعالى واحد في ملكه وملكه لا منازع له ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره وفي كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا هو وحده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسب الجور في فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه انه لا يعرف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات المطلع على الكليات والجزئيات من ازل الآزال الى ابد الآباد ومن زعم ان شيئا من الاشياء خيرا او شرا في اعتقاده حسنا او قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيته وارادته فقد كذب ابن اخت خالته لانه يدعي التوحيد ثم يثبت قادرا آخر وخالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو اذ اشهد بذلك فقد صح انه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لانه ينبغي ان يقول على ذو شهادة الله والملائكة واولي العلم لا اله الا هو واعلام بان هذه الكلمة يجب ان يكررها المسلم ما امكن : هو المسك ما كررته يتضوع : ثم اكد كونه متفردا بالالوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا يتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال اِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللّٰهِ الْاِسْلَامُ جملة مستانفة مؤكدة للاولى والدين في اللغة الجزاء ثم الطاعة سمي به الدين لانه سبب الجزاء والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او في السلامة او في اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي خلص له والاسلام في عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد الكلي وهو المراد ههنا وفيه ايذان بان الدين هو العدل والتوحيد اما التوحيد فان يعلم ان الله تعالى لا شريك له ولا نظير في الذات ولا في الصفة من الصفات كما شهد هو به واما العدل فهو ان يعلم ان كل ما خلق وامر المكلف به ونهاه عنه تنزه عن الخطأ صواب فيه حكم ومصالح فيأتمر بما امر به وينتهي عما نهى عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بانه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح ان فتقديره عند البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله لا ارى الموت يسبق الموت شيء وقيل تقديره شهد الله انه لا اله الا هو وان الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله انه لا اله الا هو ان الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب ان يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على الثاني وما بينهما اعتراض ثم ذكر انه وضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما قصروا الا لحسدهم وتقصيرهم فقال وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتَابَ قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم امناء عليهم واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وانكروا نبوة محمد وقالوا نحن احق بالنبوة من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ اي الدلائل التي لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لانا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعيد قاله في تفسير الكبير ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب لا يصعب عليه عد افعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة والمراد انه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه ويجازيه على كفره ثم بين للرسول ما يقوله في محاجتهم فقال فَاِنْ حَاجُّوْكَ فَقُلْ اَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ قال الفراء اي اخلصت عملي لله فعلى هذا الوجه بمعنى العمل وقيل اي اسلمت وجهي لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر مني من الاعمال فالوجه في الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير اسلمت نفسي لله وليس في العبادة مقام اعلى من اسلام النفس كانه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه قوله وَمَنِ اتَّبَعَنِ معطوف على الضمير المرفوع في اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه والواو بمعنى مع ثم في كيفية ايراد هذا الكلام طريقان احدهما ان هذا اعراض عن المحاجة لانه قد كان اظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقدم في هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد ثم

والتقدير شهد الله انه لا اله الا هو صح

بين نفي الضد لنده لصاحبته والولد بقوله شهد الله وذكر ان اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لاجل البغي والحسد فلم يبق الا ان يقول
اما انا ومن اتبعني فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر في اخر كلامه وثانيها ان
قوله اسلمت محاجة وبيانه ان القوم كانوا مقرين بوجود الصانع وكونه مستحقا للعبادة فكانه قال هذا القول متفق عليه بين الكل فانا متمسك
بهذا القدر المتفق عليه وداع الخلق اليه وانما الخلاف في امور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون
يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون فعليهم اثباتها ونظير هذه الاية قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وعن ابي مسلم ان الاية في هذا الموضع كقول ابراهيم اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كانه
قال فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل انا متمسك بطريقة ابراهيم وانتم معترفون بانه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب
التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي احسن وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين هم مشركو العرب الذين
لا كتاب لهم ءاسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعيير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف
والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في اية تحريم الخمر فهل انتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء
فان اسلموا فقد اهتدوا الى ما هدى الله اليه وله الفوز والنجاة في الاخرة وان تولوا اعرضوا عن الاسلام لم يضروك شيئا فانما عليك البلاغ
ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد والله بصير بالعباد يوفق للصلاح من يشاء ويترك على الضلالة من اراد ثم وصف المتولي
بصفات ثلث واردفه بوعيده فقال ان الذين يكفرون بايات الله اي ببعضها كاليهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الايات الدالة على وجود الصانع
وقد تقدم على شيء من المعاد او بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض ايات الله كالكافر بجميعها ويقتلون النبيين اي
المعهودين كانهم قتلوا كلهم لا اكثرهم بغير حق من غير ما شبهة عندهم ويقتلون او يقاتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن الحسن في الاية
دلالة على ان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي ان رجلا قام الى رسول الله فقال
اي الجهاد افضل فقال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا اقل من الحال لانه
وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله
والمؤمنين جميعا الا انه تعالى عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل اي ذلك من شانه ان وجد القابل ويقول وصفوا
بتيرة اسلافهم لانهم راضون بذلك عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الاية ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة
واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فبشرهم بعذاب اليم انما دخلت الفاء
لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلثة اقسام الاول اجتماع اسباب الالام
والمكاره عليهم هو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثاني زوال اسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن واسباب الاحترام والاحتشام باصناف الذل والهوان من السبي والقتل
والجزية واما في الاخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك في حقهم وهو قوله وما لهم من
ناصرين ثم ذكر غاية عناد اهل الكتاب فقال الم تر الى الذين عن ابن عباس قال دخل رسول الله بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت يا محمد فقال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا
الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا فنزلت قال الكلبي نزلت في الذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله فيهما بالرجم وانكر اليهود عليه وسوف
تجيء القصة في سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبي اواباهم والنصارى الى الايات الدالة على صحة نبوته من التورية ومنها ومن الانجيل
فابوا فنزلت معنى قوله اوتوا نصيبا اي حظا وافرا من علم الكتاب يريد احبار اليهود ومن ما للتبعيض او للبيان والكتاب يراد به غير القرآن العلم
من الكتب التي كانوا مقرين بحقيتها وقيل اي حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون
الى كتاب الله وهو التورية كما مر في اسباب النزول لانه تعالى عجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذي
يعتقدون صحته وعن ابن عباس انه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على انه كتاب من عند الله ليحكم اي الكتاب بينهم اي
بينهم وبين رسول الله فحذف الثاني للعلم به ويراد الحكم في الاختلاف الواقع بينهم كما في قصة الزانيين ولهذا راجعوا في ذلك رسول الله
رجاء ان يكون عنده رخصة في ترك الرجم قال في الكشاف والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم
يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار
والذين لم يسلموا من احبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتي الدعاء والتولي وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير
في هم اما ان يرجع الى الفريق لانهم جامعون بين التولي والاعراض لا عن استماع الحجة في ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات واما

ان يرجع الى الباقين منهم فيكون قدح صف العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لا بدعوا سماتهم ومنقلبهم واما ان يرجع الى كل اهل الكتاب
اى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض وذلك العقاب والوعيد بسبب انهم كانوا ايسا هلون فى امر العقاب لا يفرقون بين
ما يتعلق باصول الدين وبين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات هى ايام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه احدها
استقصار مدة العذاب ومن ابن لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها ان استثناء الايام المعدودة
فقط فيه دليل على انهم استحقروا تكذيب محمد والقرآن وذلك كفر صريح وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون بالنبوة من قريش ومن زعمهم ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم فكيف يصنعون او فكيف حالهم فى هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استقصاء كل نوع من العذاب اذا
جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا لفعل يوجد فى يوم الخميس واذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا ولا بد
من المعلوم ان ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب وعقاب جزاء ما عملت وهم لا
يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه فى معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس تريد ثلثة اناسى وروى ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار
راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار والتأويل ستغلبون اشارة الى ان المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت
علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى اسفل سافلى الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما
عاش فيه ويحشر على ما مات عليه فى جهنم وبئس المهاد مهاد مهده فى معاشه قد كان لكم آية فى فئتين التقتا ان الله تعالى فى الظاهر من المؤمن والكافر
وفئتين فى الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من
القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس واعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم اخبر عن
جنود الفئتين واعوان الفرقين بقوله زين للناس واعلم ان الله خلق الخلق على طبقات ثلث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى
وهم اصحاب النفوس والخواص ويذكرهم بلفظ الولى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان جهنم سبع دركات
محفوفة بالشهوات فاشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال ولكم فيها جمال حين تريحون
وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا واهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا
والرضاء بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات
عاجلة تجرى من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة والاخلاق الفاضلة التى تتولد منها فاذا عاش فى الجنات مات وحشر كذلك
ثم اشار الى احوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولى لهم الدنيا فى على اوليائه
ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى انما طلبوا قرب المولى للذين احسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلى عن علمه السرمدى على ذاته
الاحد وكونه الصمد انه لا اله الا هو وهى شهادة الحق للحق بالحق انه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها احد فكما ان ذاته
لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا اين ولا عقل ولا جهل
ولا غير ولا شر ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا اولوا العلم ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر
الذى كان عما كان كما كان وهو انه لا اله الا هو ثم ابدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من اجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح
ولربوبيته موضح وعلى فردانيته شاهد ولكن ماء التوحيد القدم يجرى فى مجارى انهار المحدثات الى ان ظهر من عيون الملائكة واولى العلم ثم الملائكة وان
كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان اولوا العلم ولكن اختص اولوا العلم منهم بشربه فالزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها لى سكرتان وللندمان واحد
شئ خصصت به من بينهم وحدى تحقيق معنى الاية شهد الله انه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على امور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة واولوا
العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائد الى اولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد بالشهادة ولهم اختصاص بالشرب من ماء
التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا اعزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق ائتلف وما تناكر منها اختلف فتقاربهم فى الصف
او تقابلهم فى المنزل يتلف فما تناكر منها تباعدهم فى الصف وتدابرهم فى المنزل يختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه ان العلم مظنة الحسد لكن المحمود
منه ما خص باسم الغبطة ويقتلون النبيين ان الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما ان كمال الانسان فى قبول فيض اللطف
ان يقتدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر ان يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا يحبط اعماله ولا يرجى
توبته ابليس الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى ان من اوتى حظا من العلم فعلامته ان دعى الى حكم من احكام الله والى ترك الدنيا ومخالفة الهوى
ان يمتثل ويتقاد الا ان كان مغرورا بالدنيا الدعوى وهذه حال اكثر من اوتى نصيبا من العلم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم اهل الغرة بالله
فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي

خواهی و خوار کنی هر کرا که خواهی در دست تست نیکی هر آینه تو بر همه چیزی توانائی در آری شب را در روز و در آری روز را در شب و بیرون آری زنده را

من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

از مرده و بیرون آری مرده را از زنده و روزی دهی هر کرا خواهی بی اندازه فرا نگیرند مؤمنان کافران را دوستان بجز مؤمنان و هر که بکند

ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه

این پس نیست از خدا در چیزی مگر آنکه بترسید از ایشان ترسیدنی و میترساند شما را خدا از خود و بسوی خداست بازگشت بگو اگر پنهان دارید آنچه در سینهای شماست یا ظاهر کنید

يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الأرض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من

میداند آنرا خدا و میداند آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و خدا بر همه چیزی تواناست روزی که بیابد هر نفسی آنچه کرده است از نیکی حاضر کرده شده و آنچه کرده است از

سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

بدی دوست دارد که کاشکی میان او و میان آن مسافتی دور بود و میترساند شما را خدا از خود و خدا مهربانست به بندگان بگو اگر هستید که دوست میدارید خدا را پس پیروی کنید مرا تا دوست دارد شما را خدا

ع ١٢ ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم

و بیامرزد برای شما گناهان شما را و خدا آمرزنده مهربانست بگو اطاعت کنید خدا را و رسول را پس اگر رو گردانند پس هر آینه خدا دوست ندارد کافران را هر آینه خدا برگزید آدم

ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم القراءة الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد

و نوح را و آل ابراهیم را و آل عمران را بر جهانیان فرزندانی که بعضی از بعضی اند و خدا شنونده داناست على فعيل حيث كان أبو جعفر ونافع وحمزة و

علي وخلف وسهل ويعقوب غير أبي بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها أبو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلي وخلف بالإمالة الوقوف بمن تشاء ط لتناهي الجملتين المتضادتين معنى إلى جملتين مثلهما وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ه في الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحي لعطف المتفقتين حساب المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير نصف الجزء يعلمه الله ط وما في الأرض ط قدير ه محضرا ج لا جوزان يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ه ذنوبكم ط رحيم ه والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ه العالمين ه لا لأن ذرية بدل من بعض ج عليم ه لاحتمال أن إذ متعلق بالوصفين أي سميع دعاءها وعليم بحالها حين قالت واصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب إذ بإضمار اذكر التفسير إنه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم معناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن يا وإنما أجريت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وعند الكوفيين أصله يا الله أمنا بخير أي قصدنا فلما كثر في الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من أم وزيف بأن التقدير لو كان كذلك لزم أن يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز أن يتكلم به على أصله من تحقيق الهمزة وبإثبات حرف النداء وأجيب بأنه إنما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثاني تفسيرا للأول فيكون آكد وبأن الأصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما أكرمه فإنه لا يقال شيء ما أكرمه في التعجب مالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فإن النداء باللهم لا يوصف كما لا يوصف أخواته من الأسماء المختصة بالنداء نحو يا هناه ويا نومان ويا ملكعان ولعل وأجاز المبرد نصبه على النعت كما جاء في أسماء عن ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد صلى الله عليه وسلم ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال عليه السلام أضاءت لي قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال عليه السلام أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وقال الحسن إن الله تعالى أمر نبيه أن يسأله أن يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وأمره بذلك دليل على أنه يستجيب له هذا الدعاء وهكذا منازل الأنبياء إذا أمروا بدعاء استجيب دعاؤهم مالك الملك أي يملك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه أن قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست إلا بإقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك فإنه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك مملوكه فصل ذلك بقوله تؤتي الملك من تشاء أي النصيب الذي قسمته له واقتضته حكمتك فالأول عام والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لأنها أعظم مراتب الملك لأن العلماء لهم أمر على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والأنبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل أحد أن يقبل شريعتهم ولهم أن يقتلوا من أراد وأم

المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة ان يكون النبي بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود يقول النبوة في اسلافنا فنحن احق بها وقد دينا في تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون ان اليهود تكبروا على النبي بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بانه سبحانه مالك الملك تؤتي الملك وهو النبوة من تشاء وتنزع الملك النبوة ممن تشاء لا بمعنى انه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى انه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب بمعنى انه لا يعطيهم النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله او لتعودن في ملتنا مع ان الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بانواعه وعلى الجاه وهو ان يكون مهيبا عند الناس محبوبا لهم مطاعا ومن المعلوم ان كل ذلك بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد راينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وهو ولا نعلمنا ان الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل احد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا ان يكون من مسبب الاسباب فاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور: لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلقي ، لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان اي تفرق ، ومن الدليل على القضاء وكونه ، بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ، وكذا الكلام في نزع الكل الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم ينزعه من العادل المصلح تعليمه العزيز نقيض ذلك والنزع يكون بالموت وبازالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونون يولى عليكم والصحيح ان الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدنيا والآخرة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده ولاذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك تبدله الله تعالى وتقدير بيدك الخير بقدرتك يحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر تنبيها وتعليما على الاعتراف من على ثالث او لان جميع افعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيله والشر والنفع والضر او لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة اي بيدك الخير فكلها خير او لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني ولم احترز عن لفظ الشر مع ان ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وذلك بان يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه او يأتي بالليل عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعدان كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوءه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول اقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا ازداد من هذا في ذلك فقد ادخله فيه وتخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر او من كان ميتا فاحييناه اي كافرا فهديناه او الطيب من الخبيث والحيوان من النطفة والطير من البيضة وبالعكس او النطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم او يخرج السنبلة من الحبة تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله اردفه بشريطة الشفقة على خلق الله ونفوذ لما ذكر انه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين انه ينبغي ان يكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار يفتنونهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فابى اولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رايت ان يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات اخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة اوجه احدها ان يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل ان يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا ايها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث

كالمتوسط بين القسمين وهو ان يكون ليهم المعونة والمظاهرة لقرابة او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن ابي
بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودة لكفار مكة مع اعتقاد ان دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا انه منهي عنه حذرا من ان يجره الى استحسان طريقته
والرضاء بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال ومن يفعل ذلك فليس من الله اي من ولايته او من دينه في شيء يقع عليه
اسم الولاية يعني انه منسلخ عن ولاية الله راسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم ان الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة
غير متصور وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب * قال
بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدو مشفقا على العدو الاخر كالملك العادل فانه يحب لهما اذا اراد ان يعم الحكم لا بد له ان يزيد عليه
اذا كانوا في مرتبة واحدة الا ان تتقوا منهم تقىة قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة وتاؤها واو كتراث فالتقاة اسم وضع موضع
المصدر قال الواحدي ويجوز ان يجعل تقاة ههنا مثل رماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا او تخافوا
ولهذا عدي بمن ويحتمل ان يكون التقاة والتقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى ان تخافوا من جهتهم امرا يجب تقاؤه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق العصا واظهار
الطوية كقول عيسى ع كن وسطا وامش جانبا اي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء احكام منها اذا كان الرجل في
قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له ان يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط ان يظهر خلافه ويعرض في كل ما يقول ما امكن فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلب ومنها انها رخصة فلو تركها كان افضل لما روى الحسن انه اخذ مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله ص فقال لاحدهما
اتشهد ان محمدا رسول الله ص قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر
وقال اتشهد ان محمدا رسول الله ص فقال نعم نعم نعم فقال اتشهد اني رسول الله فقال اني اصم ثلثا فقدمه فقتله فبلغ ذلك رسول الله ص فقال
اما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظيره هذه الآية الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
ومنها انها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز ان يكون ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما الذي يرجع ضرره الى الغير كالقتل
والزنى وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها ان الشافعي جوز
التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها انها جائزة لصون المال على الاصح كما انها جائزة لصون النفس لقوله ص حرمة مال
المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد لان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع
الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا في اول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن قال التقية جائزة الى يوم القيمة وهذا ارجح
عند الائمة ويحذركم الله نفسه قيل اي عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة اعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة
المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذي حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء اي ينهاكم الله
عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر في وقت التقية فقال قل ان تخفوا ما في صدوركم اي قلوبكم وضمائركم لان
القلب في الصدر مجازا اقامة الظرف مقام المظروف او تبدوه يعلمه الله يتعلق به علمه الازلي ثم استانف بيانا اشمل فقال ويعلم ما في السموات
وما في الارض ثم قال اتماما للتحذير والله على كل شيء قدير ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال يوم تجد وفي عامله وجوه قال
ابن الانباري والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شيء قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة
الله تعالى تعظيما لشانه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر اي اذكروا والاظهر ان العامل فيه تود والضمير في بينه لليوم اي تود كل نفس
يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا ايضا لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا
كانت او زمانا والمقصود تمني بعده كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو ان يكون ما اكتب فيه العمل من الصحائف
حاضرا او يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل
ان يكون حالا واحتمل ان يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل ان يكون ما شرطية وتود جزاء له وهو قليل
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت تحملها على السوء الا ان الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى
لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم ويحذركم الله نفسه تاكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن من رافته ان حذرهم نفسه وعرفهم كمال
علمه وقدرته وانه يمهل ولا يهمل ودعاهم الى استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز ان يراد انه رؤف بهم حيث يمهلهم للتوبة والتلافي
او هو وعد كما ان التحذير وعيد والمراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو
رؤف بالعباد المطيعين المحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال قل ان كنتم تحبون الله
قال الحسن وابن جريج زعم اقوام على عهد رسول الله ص انهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فانزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن
ابن عباس ان وقف النبي ص على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون

لها فقال

لها فقال يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى
فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم
وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رض انها نزلت حين زعمت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا انهم يعظمون
المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل ان كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد ان يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا
قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلعم وجبت متابعته فليس في متابعته الا انه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه
وترك الصبوة في الاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في قوله والذين آمنوا اشد حبا لله تحقيق المحبة وانها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب وقوله
ويغفر لكم ذنوبكم ليدل مع ابقاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل والله غفور في الدنيا يستر على عبده انواع المعاصي
رحيم في الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى انه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن ابي ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى فنزلت قل اطيعوا الله والرسول وذلك لان الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته
ثم ان المنافق القى شبهة في البين امر الله تعالى ان يقول انما اوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقول النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ
تكاليفه فان تولوا اعرضوا او تعرضوا على ان يكون الثناء الاولى تحذف وتدخل في جملة ما يقول الرسول لهم فانه لا يحصل للكافر من محبة الله
لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم وانما يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو
درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية اي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشيء
الذي يصفو وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقيل
المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج ان الانبياء عم مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية
والقوى الروحانية اما القوى الجسمانية فهي اما مدركة واما محركة اما المدركة فهي الحواس الظاهرة والباطنة اما الظاهرة فقوله عم زويت لي
الارض فاريت مشارقها ومغاربها وقوله اقيموا صفوفكم وتراصوا فاني اراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما
حصل لابرهيم عم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره ان الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس يستبعد
فانه يروى ان زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلثة ايام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال
اطت السماء وحق لها ان تئط فسمع اطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة ان فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الملك وقد سمع سليمان
كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى ان النبي تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ايام وقال عم ان هذا الذراع يخبرني
انه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم قيل فهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك
ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب ان يحمل هذا على معنى آخر وهو انه تعالى لا يبعد ان يجعل المنافي ملائما للاعجاز وكخاصية اودعها
في المنافي حتى يصير ملائما واما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي علمني رسول الله صلعم الف باب
من العلم فاستنبطت من كل باب الف باب فاذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي واما القوة المحركة فكعروج النبي صلعم وعروج عيسى الى السماء و
كرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار واما القوة الروحانية العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس او
كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم يجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية ثم من سائر النفوس باكمل ولهذا
بعثوا مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين مرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك افضل من
اصطفى ادم ثم
البشر ومن سكان السموات ايضا عند من يرى البشر افضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على ان اول الاشياء صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال
القوة الروحانية في شعبة معينة من اولاد آدم وهم شيث واولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابرهيم ثم انشعب من ابرهيم عم شعبتان اسمعيل
واسحق فجعل اسمعيل مبدا لظهور الروح القدسية لمحمد صلعم وجعل اسحق مبدا لشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب و
وضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلعم فلما ظهر محمد صلعم نقل نور النبوة ونور الملك اليه صلعم وبقي الدين والملك في امته الى يوم
القيمة فالمراد بآل ابرهيم اولاده عم وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما واما آل عمران فقيل اولاد عمران بن يصهر
والد موسى وهرون وقيل المراد بآل عمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك ان عمران بن ماثان
جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى بالخوارق التي ظهرت على يده عم فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء
الله اياه لا لكونه شريكا للاله ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين بدلا ممن سوى آدم ذرية بعضها من بعض
قيل اي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير آدم
كانوا متولدين من آدم وقيل يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر
ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان

سليمان بن داود بن ايشا ابن يهودا بن يعقوب بن اسحق فيه نظر لان بين داود وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا ويهودا والله سميع لاقوال
العباد عليم بضمائرهم وافعالهم فيصطفى من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون
نحن ابناء الله واحباؤه تقريرا للعوام ببطلان هذا الكلام فيكون اول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كانه قيل والله سميع
لاقوالهم الباطلة عليم باغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل ان يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف لنا ﴿مالك الملك﴾ هو مالك الوجود
فلا وجود بالحقيقة الا له ﴿تؤتي﴾ الوجود ﴿من تشاء وتنزع﴾ الوجود ﴿ممن تشاء﴾ فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد
بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان ﴿وتعز من تشاء﴾ بعزة الوجود النوري ﴿وتذل من تشاء﴾ بذل القبض القهري ﴿بيدك الخير انك على كل
شيء قدير﴾ تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فاتنا واعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير ﴿تولج﴾ ليل ظلمات
الصفات البشرية النفسانية في نهار انوار الصفات الروحانية وبالعكس ﴿وتخرج﴾ القلب ﴿الحي﴾ بالحيوة الحقيقية ﴿من﴾ النفس ﴿الميت وتخرج﴾ القلب ﴿الميت﴾ عن
الحيوة الحقيقية من النفس الحية بالحيوة المجازية الحيوانية ﴿لا يتخذ﴾ القلب ﴿المؤمن﴾ والروح والسر وصفاتها ﴿الكافرين﴾ من النفس الامارة والشيطان
والهوى والدنيا ﴿اولياء من دون المؤمنين﴾ من القلب والروح والسر ﴿ومن يفعل ذلك﴾ من القلوب ﴿فليس من﴾ انوار ﴿الله﴾ والطافه ﴿في شيء الا ان تتقوا
منهم﴾ من هلاك النفوس فالنفس مركب الروح فتواسوها كيلا تنحسر عن السير الى الرجوع وتضل في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ﴿ويحذركم الله
نفسه﴾ اي من صفات قهره ﴿قل ان تخفوا ما في صدوركم﴾ من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ﴿ويعلم ما في السموات﴾ قلوبكم ﴿وما في الارض﴾ نفوسكم
﴿يوم تجد كل نفس ما عملت﴾ من الخير والشر ظاهرا في ذات المرء وصفاته بحسب ذلك فيبيض وجه قلبه او يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب
النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية لحية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه واحس ثم اخبر عن الوصول في
متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلث درجات وللمحبة المحب ثلث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلث درجات اما درجات الاتباع
فالاولى درجة عوام المؤمنين وهي متابعة اعماله والثانية درجات الخواص وهي متابعة اخلاقه والثالثة درجة اخص الخواص وهي متابعة احواله
واما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا حب يتغير بتغير
الاحسان وهو للمتابعين الاعمال الذين يطمعوا جزاء على ما يعملون وفيه قال ابو الطيب. وما انا بالباغي على الحب رشوة ۞ ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه اهل لذلك كما قال رابعة. احبك حبين حب الهوى وحبا لانك اهل
لذاكا ۞ ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الابد لبقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال شعر ما عبد الله
لاتجوا مثوبته. لكن تعبد اعظام واجلال ۞ والثالثة محبة اخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشية من الجذبة الالهية من مكان من كنت كنزا
مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف واهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة لسبق العناية ۞ غذينا بالمحبة يوم قالت له الدنيا ائتيا
ائتنا طائعينا ۞ وحقيقة هذه المحبة ان يفنى المحب بسطوتها ويبقى المحبة فيه بلا هو كما ان النار يفنى الحطب بسطوتها ويبقى النار منه بلا هو نار
ولا دخان واما درجات محبة الله للعبد فاعلم ان كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها انها لا تشبه في الحقيقة صفات
المخلوقين حتى او تحوها وان عم الخالق والمخلوق الا ان وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله فما ادرى القار
بين يدي الشيخ ابي سعيد ابي الخير قوله ﴿يحبهم ويحبونه﴾ فقال الحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعة الصانع
اذا مدح صنعة فقد مدح نفسه والغرض ان محبة الله للخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرادها تخلق تخلق بحسب ذلك خلقت مراتبها مع انها صدرت
عن محل واحد كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فما تعلقت الا باهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لاعرف لكنها تعلقت بالعوام من اهل المعرفة
بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة ﴿يحببكم الله﴾ يخصكم بالرحمة ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ التي صدرت منكم على خلاف السنة
وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل بتجلي صفات الجمال ﴿ويغفر لكم
ذنوبكم﴾ يستر ظلمة صفاتكم بانوار صفاته وتعلقت بالاخص من اهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود ﴿يحببكم الله﴾
يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحو كم عنكم ويثبتكم به كما قال فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فبي يبصر الحديث
وعند الاثبات احياء غير اموات يكونون في هذا المقام المحب والمحبوب والمحبة واحدا كما ان الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون
الرائي والمرئي والرؤية واحدا ﴿قل اطيعوا الله والرسول﴾ فان متابعته صورة جذبة الحق وصدرة محبته لكم ﴿ان الله اصطفى آدم﴾ وذلك ان الله
تعالى خلق العالمين سبعة انواع الجماد والمعدن والنبات والحيوانات والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريفين من هو
تشريف نفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله ان الله خلق آدم ثم ذكر خواص اولاد آدم
نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء ان العالم كشجرة وثمرها اهل المعرفة والله
سميع لدعائهم عليم باحوالهم وخصالهم ﴿اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت﴾
بهم بمطيع ودبهم يردقون چون گفت زن عمران اي پروردگار نذر كردم از براي تو آنكه در شكم من است آزاد كرده از من بدرستي كه تو

حقيقة هذا الحب

هو محله

ونه

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ
شنونده دانا است پس چون که نهاد حمل را گفت ای پروردگار من بدرستی که من نهادم حمل را دختر و خدا داناتر است بآنچه نهاد و نیست جنس مرد مانند جنس زن و من نام نهادم او را مریم

وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
و من پناه میدهم او را بتو با فرزندانش از شیطان رانده شده پس قبول کرد او را پروردگارش بقبولی نیکو و تربیت داد او را پرورشی نیکو و پذیرفت او را زکریا هر وقت که

دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
در آمدی بر آن بر زکریا در محراب یافتی در نزد او روزی گفت که ای مریم چگونه شد مر ترا این گفت که آن از نزد خدا است بدرستی که خدا روزی دهد آنرا که خواهد بی اندازه

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي
از زمان خواند زکریا پروردگارش را گفت که پروردگارا ببخش مرا از نزد خود فرزندان پاک نهاد بدرستی که تو شنونده دعا پس ندا کردند او را فرشتگان در حالتی که ایستاده بود نماز

فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ
در محراب که خدا مژده دهد ترا بیحیی باور دارنده مر بنده از خدا را و پیشوا و پارسا و پیغمبری از نیکوان گفت ای پروردگار از کجا

لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ
مرا فرزند شود حال آنکه دریافت مرا پیری و زنم نیز نازا است گفت که اینچنین است خدا که میکند هرچه خواهد گفت پروردگارا قرار ده از برای من نشانی گفت که نشان تو آنکه گفتگو نکنید با مردم در سه روز

إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ
مگر بطریق رمز و یاد آر پروردگار خود را بسیار و تسبیح کن در شام و بامداد

القراءة مني انك بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وابو بكر وحماد الباقون وضعت على الغيبة واني اعيذها بفتح الياء ابو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد وقرا ابو بكر وحماد بالمد النصب ههنا الباقون بالمد الرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التانيث في المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير الوقوف مني ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم انثى ط لمن قرا بما وضعت بالسكون ومن قرا على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال ان المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرا وضعت بالضم الرجيم حسنا ص لمن قرا كفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب تعالى لتعديه الى مفعولين كقوله اكفلنيها المحراب لا لان وجد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ه ج لما قلنا في رزقا طيبة ج للابتداء وبجوازه لانك الدعاء في المحراب لا وان كسر ان لان من كسر جعل النداء في معنى القول الصالحين عاقر ط ما يشاء آية ط رمزا ط والابكار التفسير انه سبحانه ذكر في هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة ام مريم البتول وهي عمران بن ماثان بنت فاقود اخت ايشاع التي كانت تحت زكريا بن اذن روي ان حنة كانت عاقرا لم تلد الى ان كبرت وعجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما الهم ام موسى فقذفته في اليم عن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا اصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لاحد عليه يد تصرف قال الاصم لم يكن لبني اسرائيل غنيمة ولا سبي كان في دينهم ان الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد طاعة لله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان ابى المقام واراد ان يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبي الا ومن نسله محرر في بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا في الغلمان لان الجارية يصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما بناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر ومحررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك ان اجعل ما في بطني محررا فلما وضعتها يعني ما في بطنها لانها كانت انثى في علم الله او على تاويل النفس او النسمة الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كاسمه بالحمل ثم ادخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة ومنه الحديث نهي عن حبل الحبلة ومعناه ان يبيع ما سوف يحمله الجنين الذي في بطن الناقة على تقدير ان يكون انثى قالت رب اني وضعتها حال لكونها انثى ثم من قرا والله اعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها اني وضعتها انثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذي تقدم منها والخوف من انها لا يقع الموقع الذي يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت ان يظن بها انها قالت ذلك لا عن علم الله تعالى فقالت والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى ليس جنس الذكور كجنس الاناث لاسيما في باب السدانة فان تحرير الذكور لم يكن جائزا في شرع والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة ولانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل ان تكون غرضها بالله والثقة بان كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب اني وضعتها انثى ولكنك عرفت وعلمت بحالها وضعت فلعل

بان فيه سرا وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لي لانه لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام في الذكر وفي الانثى للعهد وهو حاضر ذهني لكنها في الذكر حاضر ذهني لتقدمه لدلالة ما في بطني عليه ضمنا وفي الانثى حاضر ذهني حقيقة لتقدم لفظة انثى ومن قرأ بما وضعت بسكون التاء للتانيث فالجملتان اعني قوله وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْاُنْثٰى معترضتان ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها اية للعالمين وهي جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واني سميتها مريم وذلك ان اباها قد مات عنها في وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم في لغتهم العابدة فارادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا اردف ذلك طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل انها التي خاطبت ونادت بقولها رب اني وضعتها ويحتمل ان يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى انه كان ما في بطنها فسرها بعد ذلك بقبول حسن تقبلت الشيء وقبلته اذا رضيته لنفسك قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكي انه لم يسمع غيره واجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء في قوله بقبول بمنزلة الباء في قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفي التقبل نوع تكلف فكانه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال في الكشاف معناه فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في النذر او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا اخذه باوله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وَاَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا قيل كانت تنبت في اليوم مثل ما ينبت المولود في عام وقيل المراد نماؤه في الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم يومئذ في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية والوحي على ان كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فالقوا ثلاث مرات في كل مرة كان يرتفع قلم زكريا ويرسب اقلامهم فاخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها من اول امرها وهو قول الاكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد ان فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب المذكور والارجح انها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم في الصغر وكان رزقها من الجنة وان زكريا بنى لها محرابا وهي غرفة يصعد عليها بسلم وقيل هو اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه كان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء وذلك قوله عز من قائل كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ اَنّٰى لَكِ هٰذَا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ فلا تستبعد اِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى واعلم ان الامور الخارقة للعادة في حق مريم كثيرة منها انه روى ابو هريرة عن النبي صلعم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وَاِنِّيْ اُعِيْذُهَا ومنها تكلمها في الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روي عن النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال النبي صلعم لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلعم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلعم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها وفي امثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات عن الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة ان صاحب الفعل الخارق في الاول يدعي النبوة وفي الثاني يدعي الولاية والنبي يدعي المعجز ويقطع به والولي لا يمكنه ان يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مامورون باظهار المعجزة والاولياء مامورون باخفاء الكرامات اما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد في غير العالم واجابوا عن حديث ابي هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من كان في صفتهما من عباد الله المخلصين قال في الكشاف واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه قلت عجيب منه مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ في وقت الولادة وانه من عالم الارواح وزمان المكاشفة بعد انها من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات ان يحس به في وقت

احس

اخرى ويصرح على ان اثر من الشيطان ويختص بظهر في هيئات النفس واحوالها وانها امور لا يخرجها الا بعد المفارقة وقطع العلائق البدنية والكلام
فيه ليس يتوقف على استعداد اخر غير العلوم الظاهرة قال الجبائي لم لا يجوز ان يكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال
ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا من تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيئا بعينه في وقت معين قال لها انى
لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك يعلم ان الله تعالى اظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يأتيها عنده رزق معتاد الا انه كان
يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من ان يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على انا
لا نسلم انه ظهر لها شيء من الخوارق بل كانوا يرغبون في الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيئا من ذلك خاف ان ذلك الرزق
اتاها من حيث لا ينبغي فكان يسألها عن كيفية الحال قلنا امثال هذه الشبهات يوجبها الشك في القران وفي الحديث والعصبية المحضة على
انا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله في طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال ايضا كيف قنع بمجرد
اخبارها في زوال التهمة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر مع اخبار الله تعالى بانه اصطفاها على
نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها اية للعالمين القصة الثانية واقعة زكريا وذلك قوله سبحانه هنالك اي في ذلك المكان الذي كانا
فيه في المحراب في ذلك الوقت الذي شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه وهذا يقتضي ان يكون قد
عرف في ذلك الزمان والمكان امرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على ان زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس
وان ذلك خارق للعادة فطمع هو ايضا في امر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضي ان يكون زكريا قبل ذلك شاكا
في قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فانه من حسن الادب رعاية الوقت لا انه في الطلب واما المعتزلة الذين انكروا كرامات الاولياء وارهاص
الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة في حق مريم تمنى ان يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء النبي
لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا يكون الاجابة مصلحة فيصير دعوته مردودة وذلك نقص في منصبه واقول ان دعاء النبي لا يكون بمجرد
التشهي فلا حاجة له في كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفي له الاذن في الدعاء على الاطلاق والغالب في دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالبد
على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الاصلح ويضمر في دعائه انه لو لم يكن اصلح لم يسأله الله عليه فيصير عنه ومعنى قوله من لدنك
ان حصول الولد في العرف والعادة له اسباب مخصوصة وكانت مفقودة في حقه فكانه قال اريد منك يا رب ان تعزل الاسباب في هذه الواقعة و
تخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال
فهب لي من لدنك وليا قال الفراء وانث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية في الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجيء على اللفظ واخرى على المعنى وهذا
في اسماء الاجناس بخلاف الاعلام فانه لا يجوز ان يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير
انك سميع الدعاء يعني سامع اجابة وذلك لما عهد من الاجابة في غير هذه الواقعة كما قال في سورة مريم ولم اكن بدعائك رب شقيا فنادته الملائكة
ظاهر اللفظ للجمع وهذا في باب التشريف اعظم ثم ذكروا ان المنادي كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة اي يركب
من هذا الجنس ويأكل منه او لان جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه اخرون ان الله يبشرك بيحيى ان زكريا قد عرف انه سيكون في الانبياء محتملة
رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل ان يكون المعنى يبشرك بولد يسمى يحيى كما
يجيء في سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم اعجمي كموسى وعيسى ومن جوز ان يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر
ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال ابو عبيدة اي مؤمنا بكتاب الله
وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على ان المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى وهما حاملان بهما فقالت
يا مريم اشعرت اني حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت امرأة زكريا فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن
عباس ان يحيى اكبر سنا من عيسى بستة اشهر وكان يحيى اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمي عيسى كلمة الله لانه لم يوجد الا
بكلمة الله وهي كن من غير واسطة اب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء او لكونه متكلما في اوان الطفولية او لانه منشأ الحقائق والاسرار كما
ولهذا سمي روحا ايضا لانه سبب حيوة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان
او لانه وردت البشارة به في كلمات الانبياء وكتبهم كما لو اخبرت عن حدوث امر ثم حدث قلت قد جاء قولي وكلامي اي ما كنت اقول وتكلم
به ومنها قوله وسيدا والسيد الذي يفوق قومه في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم في الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم
وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذي لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل اي محصورا عن النساء للضعف في الالة وزيف بانه
من صفات النقص فلا يليق في معرض المدح والمحققون على انه فعول بمعنى فاعل وهو الذي لا يأتي النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس
النفس عنهن وفيه دليل على ان ترك النكاح كان افضل في تلك الشريعة فلو ان الامر بالنكاح والحث عليه ورد في شرعنا كان الاصل بقاء الامر على
ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم ان السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام
وهو منع النفس عما لا يعنيه يروى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا اشارة الى ما عدا الامرين

فانه ليس بعدها الا النبوة ثم قال من الصالحين اي من اولاده لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين او لان صلاحه كان اتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم فيه ان الختم على الصلاح هو الغرض الاعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمن بعد حصول النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر ادركتني السن العالية واثر في طول العمر واضعفني قال اهل اللغة كل شيء صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا امكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغني الكبر لان الكبر كالشيء الطالب للانسان فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب وامرأتي عاقر هي من الصفات الخاصة بالنساء ثم رجل عاقر اي لا تنبت شيئا فان قيل لما كان زكريا هو الذي سأل الولد ثم اجابه الله تعالى الى ذلك فما وجه تعجبه واستبعاده بقوله انى يكون ومن اين يحصل لي غلام فالجواب على ما في الكشاف ان الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسي ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة في زمان الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة او تسع وتسعون وللمرأة ثمان وتسعون وعن السدي ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولا سيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى الله لذلك الخاطر فسأل ما سأل والجواب المعتمد ان زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا او تشككا في قدرة الله تعالى وانما اراد تعيين الجهة التي بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فاجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة اي الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر واما جملتان فيكون كذلك الله مبتدا وخبرا اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا للذي يفعله اي هو من الافاعيل الخارقة للعادات ثم انه لفرط سروره وثقة بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر في اول الامر فقال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام اي بلياليها وهذا ذكر في سورة مريم ثلث ليال ومعنى قوله الا تكلم الناس قال المفسرون اي لا يقدر على التكلم حبس لسانه عن امور الدنيا واقدره على الذكر والتسبيح ليكون في تلك المدة مشتغلا بذكر الله بالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشيء الواحد علامة على المقصود واداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفي هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بانه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه عوقب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فاخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قالت ولحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة اخرى وهي انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل ان يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل ان يكون قد طلب آية دالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جميعا مع مناسبة للواقعة حيث سأل ما كان من حقه ان لا يسأل وزعم ابو مسلم ان المعنى آيتك ان تصير مامورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح الا رمزا اشارة بيد او راس او بالشفتين ونحوها واصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله الا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لانه مؤد مؤدى الكلام ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفي وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة اي الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكلم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا وسبح حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد يسمى الصلوة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه بالعشي مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر ابكر يبكر اذا خرج للامر من اول النهار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار التاويل ان لله تعالى في كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها اسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا اخرج الله من الاسرار عن اطعام طائر فرخه وماذا اظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيمة بواسطة مريم وعيسى فتقبلها يرجع الى المحرر لا الى المحررة اي تقبلها امتي ان تكفلها وتربيها بتربية المحررين فتقبلها ربها اي تقبلها ربها ان يربيها بقبول حسن كقبول الذكر او قبولا اخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كان ذا قرابة كفالتها الى زكريا حيث اراد ان يخرج عيسى منها بلا اب لئلا يدخل عليها غيره فيكون ابعد من التهمة وجد عندها رزقا اي فتوحات الغيب التي يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند انفسهم لا عند الخلق كقوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بما لم يكن في حسابها من الولد بلا اب من الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سببا لتحريك قلب حنة بطلب الولد فكذلك جعل حال مريم وما كان ياتيها من الرزق خارقا للعادة سببا لتحريك قلب زكريا قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب بالواسطة

الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانى الذى هو لارواح الاولياء بدنيه بين الله تعم حجاب الصف الاول بخلاف الصف الثالث الذى هو لارواح المؤمنين بخلاف الصف الرابع الذى هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلى بنا برسيره فى الملكوت يحارب نفسه هواه فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلى بالموت كلا يموت القلب بالمعاصى ولا يموت الصوت لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل احياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا اى حرا من رق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من اهل الصف الاول قال رب انى يكون لى غلام لم يكن من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة الا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس لما طفئة تكون مغلوبة فى تلك الحالة شواهد الحق فى الغيب فلا تفرغ لاجراء عادتها فى الشهادة بالكلام الا رمزا لهذا يقوى الروح الحيوانى ويستمد منه القوة البشرية فيحيى لله تعم الشهوة الميتة فيه ما تولد من الشهوة الميتة التى احياها الله يحيى ولا استمرار هذا الحال فى الايام الثلثة امر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبى الله وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

وچون گفتند فرشتگان ای مریم بدرستی که خدا برگزید ترا

وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ

و پاک ساخت ترا و برگزید ترا بر زنان جهانیان ای مریم فرمان برداری کن مر پروردگار خود را و سجده کن و رکوع کن با رکوع کنندگان این از اخبار پوشیده است

نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ۝ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ

که وحی میکنیم آنرا بسوی تو و نبودی تو نزد ایشان چون انداختند قلمهای خود را که کدام از ایشان کفیل شود مریم را و نبودی نزد ایشان وقتی که نزاع میکردند چون گفتند فرشتگان

يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

ای مریم بدرستی که خدا مژده میدهد ترا بکلمه از او که نام او مسیح عیسی پسر مریم است با جاه در دنیا و آخرت و از نزدیکان است و سخن گوید با مردمان در

الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

گهواره و در میانسالی و از نیکوکاران است گفت مریم ای پروردگار من چگونه باشد مرا فرزندی و حال آنکه مس نکرده است مرا بشری گفت همچنین خدا میآفریند آنچه میخواهد چون حکم کند کاری را پس

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ

میگوید مر او را که باش پس میباشد و میآموزد او را کتاب و حکمت و توریة و انجیل و فرستاده بسوی بنی اسرائیل که بدرستیکه آوردم شما را نشانه از

رَبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ

از خدا که میسازم از برای شما از گل چون صورت مرغ پس میدمم در او پس میگردد مرغی بفرمان خدا و شفا میدهم کور مادر زاد و ابرص را و زنده میکنم مردگان را

بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِمَا

بفرمان خدا و خبر میدهم شما را بآنچه میخورید و آنچه ذخیره میکنید در خانهای خود بدرستیکه در این هر آینه نشانه ایست مر شما را اگر باشید گروندگان و باور دارنده مر آنرا

بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي

که پیش من است از توریه و تا حلال گردانم برای شما بعضی چیزی را که حرام شده بود بر شما و آوردم شما را نشانه از پروردگار شما پس بترسید از خدا و اطاعت کنید مرا بدرستیکه خدا پروردگار من

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

و پروردگار شما است پس بپرستید او را این است راه راست پس چون یافت عیسی از ایشان کفر را گفت کیستند یاوران من بسوی خدا گفتند حواریون که ماییم یاوران

اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَكَرُوا وَ

دین خدا گرویدیم بخدا و گواه باش که ما مسلمانانیم پروردگارا گرویدیم بآنچه فرستادی و پیروی کردیم پیغمبر را پس بنویس ما را با گواهی دهندگان و مکر کردند

مَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ

و مکر کرد خدا و خدا بهترین مکر کنندگان است چون گفت خدا ای عیسی بدرستیکه من میگیرم ترا و بردارنده توام بسوی خود و پاک کننده توام از آنانکه کافر شدند و گرداننده

الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ

آنهاکه متابعت کردند ترا بالای آنانکه کافر شدند تا روز قیامت پس بسوی من است بازگشت شما پس حکم کنم میان شما در آنچه بودید که در آن اختلاف میکردید پس اما آنان

كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

که کافر شدند پس عذاب کنم ایشان را عذابی سخت در دنیا و آخرت و نیست ایشان را هیچ یاوران و اما آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته پس تمام میدهد

أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ

مزدهای ایشان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را این را میخوانیم بر تو از آیات و ذکر محکم بدرستیکه مثل عیسی نزد خدا چون مثل آدم است آفرید او را

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ القراءة وتعلمها العيبة ابو جعفر و نافع و عاصم سهل

از خاک پس گفت مر او را که باش پس شد حق از پروردگار تو است پس مباش از شک کنندگان

وصفة واحدة ولا شك انه غاية في الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا في الاحوال من الصبى الى الكهولة فان التغير
على الاله محال وقيل المراد انه يكلم الناس مرة واحدة في المهد لاظهار طهارة امه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحي والنبوة قال الاصم المراد انه
يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب اخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه في المهد من اعجب الامور واغربها ولا شك
ان مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم ويتوفر الدواعي على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان اول الناس معرفة بها النصارى
لانهم فرطوا في محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم اطبقوا على انكاره فعلمنا انها لم توجد اصلا والجواب ان اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان
كلام عيسى في المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليه من السوء وكان الحاضرون جمعا قليلا ولا يبعد في مثلهم التواطؤ على الاخفاء و
بتقدير ان يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم في ذلك وينسبونهم الى البهت فهم ايضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقي الامر مكتوما الى
ان نطق القران بذلك ثم ختم اوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك اوصاف يحيى فبين ان الدخول في زمرة الصالحين والانتظام في سلكهم
هو المقصد الاسنى والامد الاقصى قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وانما ارادت تعيين الجهة كما
مر في قصة زكريا فاجيبت بقوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقد سبق نظيره الا انه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا اتم وهو تخليق
المولود بغير اب ولهذا اكده باذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقد تقدم تفسيره في السورة التي يذكر فيها البقرة ويعلمه بالياء عطفا على
يبشرك او على وجيها او على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل ان يكون كلاما مبتدا وكذا من قرا بالنون لان المعنى
في قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذي علمه امور اربعة اولها الكتاب فكان المراد به الخط وثانيها الحكمة وهو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل
به وثالثها التورية لان البحث عن اسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على العلوم الحكمية ورابعها الانجيل وفيه العلوم التي خصه الله تعالى بذلك
وشرفه بانزالها عليه وهذه هي الغاية القصوى والرتبة العليا في العلم والفهم والاحاطة بالحقايق والاطلاع على الدقايق ثم قال ورسولا عطفا
على وجيها وما بعده الى بني اسرائيل اي الى كلهم لانه جمع مضاف فيفيد رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم اني قد جئتكم
تعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول اي ناطقا باني قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم واما قوله ومصدقا لما بين
يدي فمعطوف على قوله باية اي جئتكم باية والتقدير جئتكم مصاحبا لاية من ربكم ومصدقا لما بين يدي جئتكم لاجله وفي الكشاف تقديره ويعلمه
الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي او الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد
جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وعن الزجاج ان التقدير ويكلم الناس رسولا باني قد جئتكم باية من ربكم والمراد بالاية الجنس
لا الفرد لانه عدد انواعا من الايات ثم ابدل عن الاية قوله اني اخلق فيمن قرا بفتح اني ويحتمل ان يكون مع ما بعده مرفوعا اي هي اني اخلق ومن قرا
اني اخلق فللاستيناف وللبيان كقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب هذا احسن ليوافق قراءة الفتح و
المعنى اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير من هيئات الشيء واصلحته فانفخ فيه اي في ذلك الطير المصور او الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا وهو
اسم جنس يقع على الواحد وعلى الجمع يروى انه خلق انواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرا طائرا وذلك انه لما ادعى النبوة
واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا باذن الله بتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الاية على ان الروح جسم رقيق كالريح
ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز ان يقال انه تعالى اودع في نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبا لصيرورة
ذلك الشيء حيا وذلك انه تولد من نفخ جبرئيل في مريم وجبرئيل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح في الاجساد او يقال ليس
الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذي خلق
الموت والحيوة ولقوله حكاية عن ابرهيم في المناظرة ربي الذي يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال وابرئ الاكمه
والابرص ذهب اكثر اهل اللغة الى ان الاكمه هو الذي يولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمي بعد ان كان بصيرا وروى الخليل عن مجاهد انه الذي لا يبصر بالليل واما البرص فانه بياض يظهر في
ظاهر البدن وقد يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذي يغذوه فيضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه
وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم السائل اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا في جوهره نقيا من البلغم
خار وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والاخذ في الازدياد والذي يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك
ويكون معه خشونة ما والشعر الذي ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا اخذ جلده بالابهام والسبابة وانشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة
خرج منه دم او رطوبة موردة ولا شك ان برء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز ويروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من طاق
منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده واحيى الموتى احيا عاذر وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من
قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له قال الكلبي كان عيسى

يحيي الاموات بيا حي يا قيوم وكرر قوله باذن الله رفعا لوهم من توهم فيه الالوهية وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم قيل انه كان من اول
امره يخبر بالغيوب وروى السدي انه كان يلعب مع الصبيان ثم كان يخبرهم بافعال آبائهم وامهاتهم وكان يخبرهم بان امك خبأت لك كذا
فرجع الصبي الى اهله ويبكي الى ان ياخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا في
البيت فقال فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت
نزول المائدة وذلك ان القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك الادخار فقال من ادخر قلبت كل
من الباء والدال الاثم ادغم واعلم ان الاخبار عما غاب معجز دال على ان ذلك الخبر صار معلوما بالوحي ما لم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسئلة
بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من احوال الكواكب والجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا ثم لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها
كونه رسولا من عند الله ذكر انه لماذا ارسل فقال ومصدقا لما بين يدي من التوراة وذلك انه يجب على كل نبي ان يكون مصدقا لمن تقدمه
من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى
تقرير احكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا اخر في بعثته فقال ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد ان كل ما فيه حكمة وصواب اذا لم يكن التابيد مذكورا
فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة وعن وهب بن منبه ان عيسى ما غير شيئا من احكام التوراة
وانه ما وضع الاحد بل كان يعتزل السبت ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بامرين احدهما ان الاحبار كانوا قد وضعوا من عند انفسهم
شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها واعاد الامر الى ما كان والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما
قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم
الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى من السمك والطير ما لا صيصية له وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض وانما جعل
القول اية من ربه لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل ويجوز ان يكون تكريرا لقوله اني قد جئتكم باية من ربكم
اي جئتكم باية بعد اخرى كما ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتي بغير اب فاتقوا الله لما خصكم به من الآيات واطيعون فان طاعة الرسول
من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله ان الله ربي وربكم اظهارا للخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى
الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم القصة الخامسة ذكر ما قبل ابتداء عيسى ثم شرع في بيان ان عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم بماذا
عاملوه فقال فلما احس اي علم عيسى منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس او انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك باذنه قال السدي
لما بعثه الله تعالى رسولا الى بني اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم ثم كان امر عيسى في قومه كامر محمد بمكة وكان مستضعفا
فخرج هو وامه يسيحان في الارض فاتفق انه نزل على رجل في قرية فاحسن ذلك الرجل ضيافته وكان في تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما
حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك ان يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه ويسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتي
والامر متعذر علي فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدي ادع الله ليكفيه ذلك فقال يا اماه اني ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد احسن
واكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى اذا قرب مجيء الملك فاملأ قدورك وجوابيك ماء ثم اعلمني فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما في القدور
طبيخا وما في الجوابي خمرا فلما جاء الملك اكل وشرب وسأله من اين هذه الخمر فتوقف الرجل في الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى اخبره بالواقعة
فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيي ولدي جاز وكان ابنه قد مات في تلك الايام فدعا عيسى وطلب منه ذلك
فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما ابالي ما كان فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تنادوا
بالسلاح واقتتلوا وصار امر عيسى مشهورا وقصد اليهود قتله واظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين انه هو المسيح المبشر به في
التوراة وانه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من اول الامر طالبين قتله قال من انصاري الى الله وقيل انه لما دعا بني اسرائيل الى الدين
وتمردوا عليه فر منهم واخذ يسيح في الارض فمر بطائفة من صيادي السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثني عشر فقال عيسى
انكم تصيدون السمك فهل لكم ان تصيروا بحيث تصيدون الناس لحياة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة في
الماء فما اصطاد شيئا فامره عيسى بالقاء شبكته في الماء مرة اخرى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة
اخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه اخذ امره للقتل وكان هو في الهرب منهم فقال لاولئك الاثني عشر من
الحواريين ايكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة على ان يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فاجابه الى ذلك بعضهم وفيما يذكره النصارى في انجيلهم ان اليهود
لما اخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم اخذ اذن العبد
فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل ان المراد طلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال

موضع آخر فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ومعنى إلى الله قيل من يضيف
نصرته إياه إلى نصرة الله عز وجل إياي وقيل من أنصاري إلى الله أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة
وقيل من أنصاري حال ذهابي إلى الله أو حال التجائي إليه وقيل من أنصاري فيما يكون قربة إلى الله ووسيلة إلى رحمته وفي الحديث أنه كان
يقول إذا ضحى اللهم منك وإليك أي تقربا إليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل إلى بمعنى اللام وقيل بمعنى في أي في سبيل الله
وهذا قول الحسن قال الحواريون نحن أنصار الله أعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص
ألوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري أحد نظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا
بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان
نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب وقيل إن الحواريين هم قوم
الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل إنه دفعه إلى صباغ فكان إذا أراد أن يعلمه شيئا كان هو أعلم به منه
فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد أعلمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الألوان فطبخ عيسى حبا واحدا
وجعل الجميع فيه وقال كوني بإذن الله كما أريد فرجع الصباغ وسأله فأخبره بما فعل فقال قد أفسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر
وثوبا أخضر وثوبا أصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثني عشر اتبعوا عيسى كانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله
جعنا فيضرب بيده على الأرض فيخرج لكل واحد رغيفان وإذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الأرض فيخرج الماء فيشربون فقالوا
من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب
فسموا حواريين وقيل إن واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى ع على قصعة فكانت القصعة لا ينقص فذكروا هذه
الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا به إلى عيسى فقال من أنت قال عيسى ابن مريم قال فإني أترك ملكي وأتبعك فتبعه ذلك الملك
مع أقاربه فأولئك هم الحواريون قال القفال يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين جميعا
بالحواريين لأنهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين في محبته وطاعته آمنا بالله يجري مجرى السبب لقولهم نحن أنصار الله فإن الإيمان بالله يوجب
نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه واشهد بأنا مسلمون منقادون لما تريده منا في نصرتك والذب عنك مستسلمون
لأمر الله تعالى وهو إقرار منهم بأن دينهم الإسلام وأنه دين كل الأنبياء ع وإنما طلبوا شهادته لأن الرسل يشهدون للأمم يوم القيامة ثم
تضرعوا إلى الله تعالى بقولهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين وهذا يقتضي أن يكون للشاهدين فضل يزيد
على فضل الحواريين فقال ابن عباس أي مع محمد ع وأمته لأنهم مخصوصون بأداء الشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وعنه أيضا اكتبنا في زمرة الأنبياء لأن كل نبي شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا في جملة من شهد لك
بالتوحيد ولأنبيائك بالتصديق وقرنت ذكرهم بذكرك في قولك شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم وقيل اجعلنا ممن
هو مستغرق في شهود جلالك بحيث لا نبالي بما يصل إلينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك واكتب
ذكرنا في زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ومكروا يعني كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى
منهم الكفر ومكر الله المكر في اللغة السعي بالفساد في خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وأمكر إذا أظلم وقيل أصله من اجتماع الأمر
وإحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقص والفتور لا جرم سمي مكرا أما مكرهم بعيسى ع
فهو أنهم هموا بقتله وأما مكر الله بهم فهو أن رفعه إلى السماء وما مكنهم من إيصال السوء إليه وروي أن ملك اليهود أراد قتل عيسى ع وكان جبرئيل
لا يفارقه ساعة فأمره جبرئيل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبرئيل من تلك الروزنة وكان قد ألقي شبهه على غيره ممن وكل به
ليقتله فأخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب وأخرى قالت كان ابن الله وأخرى قالت كان عبد الله
ورسوله وقيل إن الحواريين كانوا اثني عشر وكانوا مجتمعين في بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فألقى الله شبهه عليه ورفع عيسى ع وذكر
محمد بن إسحاق أن اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له
قتل رجلا من بني إسرائيل ممن يجب مرك وكان يخبرهم أنه رسول الله ع وأراهم إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وفعل ما فعل فقال لو علمت
ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث إلى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى ع فأخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب
فغيبه وأخذ الخشبة فأكرمها وصانها ثم غزا بني إسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم وكان اسم هذا الملك
طيباريس وهو صار نصرانيا إلا أنه ما أظهر ذلك ثم إنه جاء بعده ملك آخر يقال له طيطوس غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من
أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله
تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل إنهم مكروا في إخفاء أمره وإبطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل أعداءهم

اليهود والله خير الماكرين اقوام مكروا فقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب واعلم ان المكر ان كان عبارة عن الاحتيال في ايصال
الضرر فهو في حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب ان يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها او بانه تعالى
عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه
غير ممتنع في حق الله تعالى الا انه قد اختص في العرف بالتدبير في ايصال الشر الى الغير اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او مفعول اذكر يا عيسى
اني متوفيك اي متمم عمرك وعاصمك من ان يقتلك الكفار الآن بل رافعك الى سمائي ومصونك من ان يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك اي
مميتك كيلا يصل اعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الي وهذا القول مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفي ثلث ساعات
ثم رفع واحيي وقال محمد بن اسحق توفي سبع ساعات ثم احياه الله ورفعه وقال الربيع بن انس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه
خوف ورعب اخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي اخذ الشيء وافيا اي اخذك بروحك
وجسدك جميعا فرافعك الي تفسير لئلا يتوهم من يتوهم انه اخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت
مالي على فلان اي استوفيته وقيل جاعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره واثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما
يشابهه في اكثر خواصه وصفاته وقيل ايضا فيه محذوف اي متوفي عملك ورافع طاعتك فكانه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه
من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع اجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام
تقديم وتأخير فان الواو لا تقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الي ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال
ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك اما قوله ورافعك الي فالمشبهة تمسكوا بمثله في اثبات المكان لله تعالى وانه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت
على انه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابرهيم اني ذاهب الى ربي
انما ذهب من العراق الى الشام وقد يسمى الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم والمراد الى مكان لا يملك الحكم عليه
هنالك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم انه تعالى يمكن ان يكون في مكان فليس رفع عيسى الى ذلك المكان سببا للبشارة
ما لم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلا بد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو ان يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد
من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه لما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر لذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال ومطهرك
من الذين كفروا اي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وليس هذا فوقية المكان
بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيمة ولعمري
انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على انا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون
بانه عبد الله ورسوله ثم امنوا بمحمد بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد والمتبعون هم المسلمون الذين بانه
اتبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى واعلم ان نص القرآن دل على
انه تعالى حين رفعه القى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول انه يوجب
ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانيا جاز ان اجوز ان هذا الذي رأيته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان اخر القي
شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم وينهاهم احتمل ان يكون محمدا انسانا اخر القي شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع
وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على ان يكون المخبر الاول انما اخبر عن المحسوس فاذا جوزتم وقوع الغلط في المبصرات
انفتح هذا الباب الى السفسطة واخره ابطال النبوات الثاني ان جبرئيل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل
الارض فكيف لم يكف في منع اولئك اليهود وانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة اولئك الذين قصدوه اليهود
بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث انه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان رفعه الى السماء فما الفائدة
في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع ان ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا ان المصلوب
هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع ان النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى
اخبروا انهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر ان
المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لاظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول ان كل من اثبت
الفاعل المختار سلم انه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث ان ذلك
يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور يقدر ازالته لان تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن
الرابع انه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس
ما روي ان الذي القي عليه الشبه كان من خواص اصحابه فلهذا صبر على انا نقول وقد ثبت بالمعجزات القاطعة صدق محمد صلعم في كل ما اخبر عنه فهذه

وغير الهمزة حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو وروى ابن مجاهد ابو عون عن قنبل بها انتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز الوقوف الكاذبين ه القصص
الحق ج الا الله ط الحكيم المفسدين من دون الله ط شاهدون الى آخره مسلمون من بعده ط تعقلون ليس لكم به علم ط لا
تعلمون لا مسلماط المشركين والذين آمنوا ط المؤمنين لو يضلونكم ط يشعرون تشهدون تعلمون التفسير روى انه صلعم لما اورد الدلائل
على نصارى نجران ثم انهم اصروا على جهلهم قال صلعم ان الله امرني ان لم تقبلوا الحجة ان اباهلكم فقالوا يا ابا القاسم بل نرجع فننظر في امرنا ثم نأتيك
فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام
الفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستيصال فان ابيتم الا الاصرار
على دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلعم وقد خرج وعليه مرط من شعر اسود وكان صلعم
احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه صلعم وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني
لارى وجوها لو سألت الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة ثم قالوا يا ابا القاسم
رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك فقال صلعم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال صلعم
فاني اناجزكم اي احاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل
عام الفي حلة الف في صفر والفا في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك فقال صلعم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد
تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما
حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلعم لما خرج في المرط الاسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم
علي ثم قال صلعم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث
فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى وقيل في الحق من بعد ما جاءك من العلم من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق
الوحي والتنزيل فقل تعالوا اي هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل لمن علوا من العلو وذلك ان
بيوتهم كانت على عالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان اي ارتفع الا انه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم ندع ابناءنا وابناءكم
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ويأت بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار
من هم اعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة ان الانسان لا يدعو نفسه ثم نبتهل ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى
تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والمباهل ان يقول كل واحد بهلة الله على الكاذب منا اي لعنته ويقال بهله الله اي لعنه وابعده من
رحمته ومنه قولهم بهلة الله اناهله وناقة باهلة لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها واخذ لبنها لا قوة بها على الدفع من نفسها
فكان المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا اصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء
يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الاية لئلا يلزم التكرار اي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسئل الله ان يلعنه
وفي الاية دلالة على ان الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح ان يقال انهما ابنا رسول الله صلعم لانه صلعم وعد ان يدعو ابناءه ثم جاء بهما وقد
يتمسك الشيعة قديما وحديثا بها في ان عليا افضل من سائر الصحابة لانها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في
الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنا عشرية يزعم ان عليا افضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك انه ليس
المراد بقوله وانفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب فدل انه نفس علي هي
نفس محمد لكن الاجماع دل على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا علي قال ويؤكده ما يرويه المخالف والموافق انه صلعم قال من اراد ان يرى آدم
في علمه ونوحا في طاعته وابرهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن ابي طالب فدل الحديث على انه اجتمع فيه
ما كان متفرقا فيهم واجيب بانه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على ان محمدا افضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا
الانسان على ان النبي صلعم افضل ممن ليس بنبي واجمعوا على ان عليا رضه ما كان نبيا فعلم ان ظاهر الاية كما انه مخصوص في حق محمد صلعم فكذا في حق
سائر الانبياء واما فضل اصحاب الكساء فلا شك في دلالة الاية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم في الذكر وفيها ايضا دلالة على
صحة نبوة محمد صلعم فانه لو لم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض اعزته وخويصته والا ذكبده في معرض الابتهال ومظنة الاستيصال ولولا
ان القوم عرفوا من التورية والانجيل ما يدل على نبوته صلعم لما احجموا عن مباهلته واما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة واما قولهم بان النبي لم يعرض نفسه لذلك فلم يكن ذلك القول في معرض الاحتجاج
والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله ان هذا الذي تلي عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وما من اله الا الله وهو في افادة
معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فيه جواب
عن شبهة النصارى ان عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفي في الالهية بل يجب ان يكون الاله

غالبا بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك فان تولوا عما وصفت من التوحيد ان الاله يجب ان يكون غالبا لا يدفع ولا يمنع
وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل
العناد فاقطع كلامك منهم وفوض امرهم الى الله فان الله عليم بالمفسدين في الدين ودنياتهم واغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم
الخبيثة ثم انه صلعم لما اورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فاخروا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية
امره الله تعالى بنمط اخر من الكلام مبني على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا اهل الكتاب يعني نصارى نجران لان الاية
من تمام قصتهم ولانه كلام منصف فخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القران يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود
والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روي ان اليهود قالوا للنبي صلعم ما نريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى و
قالت النصارى يا محمد صلعم ما نريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى هذه الاية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا
اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على
صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف فيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه والمراد الى كلمة سواء مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله فمحل ان لا نعبد خفض على البدل من كلمة او رفع على الخبر اي هي ان لا نعبد وانما ذكر امورا ثلثة لان النصارى
جمعوا بين الثلثة فعبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به غيره لانهم اثبتوا انهم ثلثة ابا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان اقنوم الكلمة تدرعت
بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى مريم وحيث
اثبتوا ثلثة ذوات مستقلة فقد اشركوا ثم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا لانهم اطاعوهم في التحليل والتحريم من تلقاء انفسهم
من غير شريعة وبيان ولانهم يسجدون لهم ويطيعونهم في المعاصي وهو النفس في ربوبية الامور من الوسائط افرايت من اتخذ الهه هواه
ولان من مذهبهم ان الكامل في الرياضة يظهر فيه اثر اللاهوت فيحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فهم وان لم يطلقوا
عليهم اسم الرب الا انهم اثبتوا في حقهم معنى الربوبية فثبت ان النصارى جمعوا بين الامور الثلثة وبطلانها كالامر المتفق عليه بين العقلاء
فان قبل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب ان يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه السلام فالقول بالاشتراك ايضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب ان يرجع
في التحليل والتحريم والانقياد والايتمار الا اليه عن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله صلعم قال عم اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتاخذون بقولهم قال نعم قال صلعم هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة فان تولوا عن
التوحيد فقولوا ايها المسلمون لاهل الكتاب اشهدوا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او نضال الحجة فاعترفوا
باني انا الغالب او يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث اعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون
ان ابرهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك بان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعده فكيف يعقل ان يكون يهوديا
او نصرانيا لا يقال هذا ايضا لازم عليكم لانكم تدعون ان ابرهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بعده بزمان اطول مما بينه
وبين انزال التورية والانجيل لانا نقول القران اخبر بان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس في الكتابين
انه كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق وايضا لعيسى ما كان موجودا في زمان ابرهيم حتى يعبد عبادة المسيح النصرانية عندكم وايضا لا نسخ في
دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابرهيم ها انتم هؤلاء ها حرف التنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستانفة مبينة للاولى
يعني انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل من نعت محمد صلعم وليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة
انما اراد هب انكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم
وعن الاخفش ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم ثم حقق ذلك بقوله والله يعلم
كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة وانتم لا تعلمون ثم بين ذلك مفصلا فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن
كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن يهوديا ولا نصرانيا او عرض بالمشركين من اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح
فان قيل لكم ابرهيم على دين الاسلام ان اردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان اردتم به الموافقة في الفروع
لزم ان لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون
للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح افعالهم او الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز انه تعالى نسخ
تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابرهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع
موافقة شرعه شرع ابرهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن اصحاب رسول الله صلعم قالوا لما هاجر جعفر بن ابي طالب واصحابه الى الحبشة
واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلعم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند

ابرهيم

النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد منا ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما يمنعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التورية والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك اهل الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذا الرجل اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشي سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها فقال النجاشي يا عمرو ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه ونحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي تبعوه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وامره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم بالله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى قال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت اعين النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم ليشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي بعثنة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم شيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابرهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابرهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا انهم في دين ابرهيم ثم رد النجاشي على عمرو واصحابه المال الذي حملوا وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابرهيم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بالمدينة قوله ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه على ملته وسنته في زمانه وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وآله والذين آمنوا في آخر الزمان والله ولي المؤمنين بالنصرة والناصر للمؤمنين والتشديد بمعنى اولى الناس اخصهم بابرهيم من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم ابي وخليل ربي ابرهيم ثم قرأ ان اولى الناس الآية ثم بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما ارادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرنا في سورة البقرة وما يضلون الا انفسهم لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال او وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم وما يشعرون ان هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح افعالهم بطريق الاستفهام فقال لم تكفرون بآيات الله قيل اي التورية والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتورية والانجيل ما الكفر بهما بل لان عليهما فيكون قد اطلق اسم الدليل على المدلول والكفر بنفس التورية لانهم كانوا يجحدونها وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله ومعنى وانتم تشهدون انهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرونها واشتمال التورية والانجيل على نعت محمد صلى الله عليه وآله واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب

فيكون معجزا وقيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم انهم يعرفون في قلوبهم انه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات على النبي صلعم فمعنى تشهدون انكم تعترفون
بدلالة المعجزات على صدق المدعى ثم لما وبخهم على الغواية اردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل
واما باخفاء الدليل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التورية فخلطوا المنزل بالمحرف وعن ابن عباس اظهروا الاسلام اول النهار ثم رجعوا
عنه في آخره تشكيكا للناس وقيل ان في الكتابين ما يدل على نبوة محمد صلعم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن
في القرآن فتلبسوا على الضعفاء احد الامرين بالاخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا صلعم معترف بان
شرع موسى حق ثم ان التورية دلت على انه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات واما كتمان الحق فهو ان الآيات الدالة في التورية على نبوة محمد صلعم
كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتامل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة
في زماننا وانتم تعلمون انكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا او تعلمون انكم اهل المعرفة او تعلمون حقيتها او ان عقاب من يفعل هذه الافعال
عظيم الله حسيب

ع

وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ
و گفتند گروهی از اهل کتاب که بگروید بآنکه فرو فرستاده شده بر آنها که گرویده اند در اول روز و کافر شوید در آخر آن شاید
يَرْجِعُونَ ۝ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ
که برگردند و مگروید مگر مرانرا که پیروی کرد دین شما را بگو که هدایت راه خدا است که داده شود یکی مانند آنچه را که داده شده یا حجت کنند شما را نزد پروردگار
قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝ وَمِنْ
بگو که بیستی افزونی در دست خدا است میدهد آنرا بهر که میخواهد و خدا محیط و داناست مخصوص میگرداند برحمت خود آنرا که میخواهد و خدا صاحب افزونی بزرگست و از
أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
اهل کتاب کسی هست که اگر امانت دهی او را مبلغ زیادی باز گرداند بتو و از ایشان کسی است که اگر امانت دهی دیناری باز نگرداند بتو مگر مادامی که بر او ایستاده این بسبب آنست که ایشان گفتند
لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝
نباشد بر ما در باره ناخوانندگان راهی و میگویند بر خدا دروغ را و حال آنکه میدانند آری هر که وفا کرد بعهد خود و پرهیز کرد پس بدرستیکه خدا دوست دارد
إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
بدرستیکه آنها که میخرند بعهد خدا و سوگندهای خودشان بهای کمی آن گروه بهره نیست ایشانرا در آخرت و سخن نگوید با ایشان خدا و نه نگرد بایشان
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ
در روز قیامت و پاک نگرداند ایشانرا و مر ایشانراست عذابی دردناک و بدرستیکه از ایشان گروهیست که میپیچانند زبانهای خود را بکتاب تا پندارید آنرا از کتاب و نیست آن از کتاب
وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ
و میگویند که آن از نزد خداست و حال آنکه از نزد خدا نیست و میگویند بر خدا دروغ را و ایشان میدانند سزاوار نیست هیچ آدمی را که بدهد او را خدا
الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
کتاب و داوری و پیغمبری پس آنگاه بگوید مردم را که باشید بندگان من غیر از خدا و لیکن بگوید که باشید خداپرستان بسبب یاد گرفتن شما کتاب را
وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ القراءة آن
و بسبب خواندن آن کتاب را و نفرماید شما را که فرا گیرید فرشتگان و پیغمبران را خدایان آیا بفرماید شما را بکفر بعد از آنکه شما مسلمانانید
يؤتى بهمزتين
وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ولا يؤده باسكان الهاء ابو عمرو وحمزة وابو بكر بالاختلاس المفضل وعباس وابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلى وخلف وحفص والمفضل وعباس
سهل وزيد عن يعقوب وقرأ ابو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو في رواية اليزيدي طريق ابى ايوب الهاشمى بالاختلاس الباقون
ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلى وحمزة وخلف وابن عامر فيحذف المفعول الاول العلم بتر هو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من
العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى والاعشى والبرجمي وابو زيد عن المفضل وقرأ ابو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب
الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله لا لان التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله
معترض ومن قرأ ان يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضميره عائد الى الله من يشاء ط
عليم ج لاحتمال الاستيناف والصفة من يشاء ط العظيم اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستئناف
مع اتساق معنى الكلام يعلمون المتقين يزكيهم ص اليم وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون
تدرسون لا لمن قرأ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ان يؤتيه اربابا ط مسلمون التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذى انزل يحتمل ان يراد كل ما
انزل الله عليهم ويحتمل ان يراد بعض ما انزل ما الاحتمال الاول فقول الحسن السدى تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم
ادخلوا في دين محمد باللسان دون الاعتقاد وجه النهار اى اوله والوجه في اللغة مستقبل كل شيء لانه اول ما يواجه منه

تغلب عن ابن الاعرابي اتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وانشد الربيع بن زياد * من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا
بوجه نهار * يجد النساء حواسرا يندبنه * قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك انه كان من عادتهم ان لا يظهروا الجزع على المقتول الى ان يدركوا الثار فيقول
البيت من كان مسرورا فليأت ترتشفي الغيظ ودرك الثار قبل ان يمضي على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا صلعم ليس بذلك فان اصحابه متى شاهدوا هذا غلب على ظنونهم ان هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد
والا لما امنوا به في اول الامر وانما ذلك لاجل انهم اهل كتاب قد تفكروا في امره صلعم وفي دلائل نبوته فلاح لهم بعد التامل التام والبحث الشافي انه
كذاب فيكون في هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال ابومسلم معنى وجه النهار واخره ان رؤساء اليهود والنصارى
قال بعضهم لبعض نافقوا واظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط ان تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من اهل الكتاب فان امر هؤلاء في اضطراب
فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف امرهم واضمحل دينهم ويرجعوا الى دينكم فيكون هذه الاية كقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا
واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الاصم معناه تفريق احكام الاسلام الى قسمين وذلك انه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه
في جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه في بعض وكذبوه في بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا ذلكم
ويرجعوا من دين الاسلام والرغبة فيه والاحتمال الثاني نقول من قال انها نزلت في شان القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار اوله
وهو صلوة الصبح واخره صلوة الظهر وتقريره انه صلعم كان يصلي الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلوة الظهر
قال كعب بن الاشرف وغيره امنوا بالقبلة التي صلى اليها صلوة الصبح فهي الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبي لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
لمخالفتهم فقالوا امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها من اول النهار ثم اكفروا بالكعبة اخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة
لعلهم يقولون هؤلاء اهل كتاب وهم اعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء واطلعه على سرهم كيلا يؤثر الحيلة في قلوب
ضعفاء المؤمنين ولان القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة لم يقدموا على امثالها من الحيل ويصير ذلك عظة لهم وفيه ايضا انه اخبار عن الغيب
فيكون معجزا ثم قال تعالى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم واتفق المفسرون على انه من بقية حكاية كلام اهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى
هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى اخرها كلام الله الا انهم اختلفوا في ان قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
من جملة كلام الله او من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل
منهما يحتاج في تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الاية من المواضع المشكلة اما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا في
قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى الان اى
امن اجل ان يؤتى احد شرائع مثل ما اوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب
وعدد ذنوبه عليه قد احسن اليه من قبل احساني اليك امن اهانتي لك المعنى امن هذا فعلت ما فعلت ام من ذلك ونظيره قوله امن هو
قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا
تصدقوا الانبياء بغير شرائع التورية فاما من جاء بتغيير شيء من احكام التورية فلا تصدقوه وهذا مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة
مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فامر الله نبيه ان يقول لهم في الجواب الدين دين الله فكل ما رضيه دينا
فهو الدين الذي يجب اتباعه كقوله في جواب قولهم ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور
ويحتمل ان يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان
ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقيل للنبي قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد
الضعيف ثم استفهم فقال الان يؤتى احد مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء اخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم ثم قال او يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به
من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما اوتوا ما اوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم واما ان لم يقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما
سبق ويقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ويكون او بمعنى حتى ويتم الكلام
بمحذوف اى حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضي لهم عليكم ويدحض حجتكم او يقال ان يؤتى مفعول فعل محذوف هو لا تنكروا لانه لما كان الهدى
هدى الله كان له ان يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح ان يقال لا تنكروا ان يؤتى احد سواكم من الهدى
ما اوتيتم او يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم ويقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد ان
مثل ان تضلوا اي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لامتك ان بيان الله هو ان لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو
افضل الاديان وان لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الاخرة لانه يظهر لهم في الاخرة انكم محقون وانهم ضالون
واما الاحتمال الثاني وهو ان يكون قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة

آل عمران ١٠

فمعناه لا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ولا تقروا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من أن على القياس قال في الكشاف وأسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام وقوله أو يحاجوكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الإسلام كان ذلك فلم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم أي ستركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل إن الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الأول وهو اعتراض أخرجي بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها فإن قيل إن جد القوم في حفظ أتباعهم عن قبول دين محمد كان أعظم من جدهم في حفظ غير أتباعهم عنه فكيف يليق أن يوصي بعضهم بعضاً بالإقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم عند أتباعهم وأن يمتنعوا من ذلك عند الأجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الإسرار بإفشاء هذا التصديق فيما بين أتباعهم بل المراد أنه إن اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن إلا عند خواصكم وأصحاب أسراركم على أنه يحتمل أن يكون شائعاً ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فإن قيل كيف وقع قوله قل إن الهدى هدى الله فيما بين جزئي كلام واحد هذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل أن يكون هذا كلاماً أمر الله نبيه أن يقوله عندما وصل الكلام إلى هذا الحد كأنه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولاً باطلاً لا جرم أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقابله بقول حق ثم يعود إلى حكاية تمام كلامهم كما إذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولاً كفر فيه فيقول عند بلوغه إلى تلك الكلمة آمنت بالله لا إله إلا الله أو تعالى الله ثم يعود إلى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الهدى هدى الله قل إن الفضل بيد الله واعلم أنه تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أن يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الإسلام فأجاب بقوله قل إن الهدى هدى الله وذلك أن مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا أثر وثانيهما أنهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فأجاب عنه بقوله قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الإحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير ومعنى قوله بيد الله أنه مالك له غالب عليه يوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على أن النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لأنه جعلها من باب الفضل الذي لفاعله أن يفعله وأن لا يفعله ولا يصح ذلك في المستحق إلا على وجه المجاز والله واسع كامل القدرة عليم بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا يختص برحمته من يشاء والحاصل أنه بين بقوله إن الفضل بيد الله أنه قادر على أن يؤتي بعض عباده مثل ما آتيكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فإن الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة إليه تعالى أمر أجل من ذلك الفضل لأنه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون أشرف وأعظم والله ذو الفضل العظيم فمن قصر إنعامه وإكرامه على مراتب معينة على أشخاص معينين كان جاهلاً بكمال الله تعالى في قدرته وحكمته ثم إنه تعالى كذبهم في دعويهم الاختصاص بالمناصب العالية فإن فيهم الخيانة المستقبحة في جميع الأديان ونقض العهد والكذب على الله إلى غير ذلك من القبائح فقال ومن أهل الكتاب الآية فيها دلالة على انقسامهم إلى قسمين أهل الأمانة وأهل الخيانة فقيل أهل الأمانة هم الذين أسلموا أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لأن مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين وأخذ أموالهم وقيل إن أصحاب الأمانة هم النصارى لغلبة الأمانة عليهم وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من إن تأمنه بقنطار يؤده هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه ومن إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه وقال أهل الحقيقة هم من يؤتى كثيراً من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات إليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلاً عليه واكتفاء به ومنهم من يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصوراً عليها معرضاً عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال أمنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء إلصاق الأمانة وحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة إلى تعيينه وأما الأقوال فيه فقد مرت في أوائل السورة وقد يستدل بما روينا عن ابن عباس أن القنطار ألف ومائتا أوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لأن الإنسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية ما يدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس أنه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده إليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده إليك ونقلنا عنه أيضاً أنها نزلت في الوديعة وأما قوله إلا ما دمت عليه قائماً فمنهم من حمله على حقيقة القيام يعني إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه مجتمعاً معه ملازماً إياه فإن أنظرته وأخرته أنكره ومنهم من يحمله على الإلحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة أصله أن الطالب للشيء يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى أمة قائمة أي عاملة بأمر الله غير تاركة وقال أبو علي الفارسي القيام في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله ديناً قيماً أي ثابتاً لا ينسخ فمعنى الآية إلا دائماً ثابتاً في مطالبتك إياه بذلك المال ذلك الاستحلال وترك الأداء الذي دل عليه لا يؤده بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال

العربي سبيل ثم الخطاب ثم العتاب اما لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف واخذ ماله باي طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا اكلنا اموال عبيدنا ويحتمل ان يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين
بالردة فيستحلون دماءهم واموالهم وروي ان اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا
حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم
يعلمون انهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة او يعلمون حرمة الخيانة او يعلمون ما على الخائن من الاثم عن النبي انه قال عند
نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي هاتين الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سئله
رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال
اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيب انفسهم بلى قال الزجاج عندي وقف التمام ههنا
لانه مجرد نفي ما قبله اي بلى عليهم سبيل في ذلك ثم ما بعده استيناف قال غيره انه يذكر في الابتداء كلام يقع جوابا عن المنفي قبله وقولهم ليس
علينا جناح قائم مقام قوله نحن احباء الله تعالى فقيل لهم ان اهل الوفاء بالعهد واهل التقى هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف
على بلى وقيل ان اليهود ليسوا من الوفاء والتقى في شيء فلو انهم وفوا بالعهود وفوا اول كل شيء بالعهد الذي اخذه الله تعالى في كتابهم من
الايمان بنبي آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو انهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه عموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدا
والضمير في بعهده يجوز ان يرجع الى من ويجوز ان يرجع الى اسم الله كقوله في الاية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى اصلان لجميع مكارم
الاخلاق فالوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى يؤتى بها
على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله يحب المتقين دون ان يقول يحب الموفين
او الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس والخيانة فيها لا يتمشى الا بالايمان الكاذبة لا جرم اردفها
بالوعيد عليها واتى الخيانة في العهود وفي تعظيم اسماء الله تناسب الخيانة في الاموال فلا جرم قال ان الذين يشترون الاية واختلفت
الروايات في سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الايات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة
نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد
وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله كيلا يفوتهم الرشى والماكل التي كانت لهم على اتباعهم وقال الكلبي ان ناسا
من علماء اليهود اولي فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون ان هذا الرجل رسول
الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم قالوا نعم وما تعلمه انت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم
علي وانا اريد ان اميركم واكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة
سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى انه رسول الله فلما اتيناه اذا هو ليس بالنعت
الذي نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذي عندنا واخرجوا الذي كتبوا فنظر اليه كعب ففرح ومارهم وانفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن
قيس خاصمت رجلا في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق
بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت الاية على وفقه وقيل نزلت في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه
ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله ما ايثقه والايمان هو الذي يؤكد الانسان بها خبره من وعد او وعيد او انكار او اقرار بذكر الله تعالى او
صفة من صفاته وما يجري مجراه الثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشرى بعهد الله وبايمانهم ثمنا
قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله اولئك لا خلاق لهم في الاخرة اشارة الى انه لا نصيب لهم في منافعها ونعيمها وقوله ولا يكلمهم الله ولا
ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله ولهم عذاب اليم اشارة الى ما يحصل
لهم هنالك من صنوف الالام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم
لان من منع كلامه في الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه فاذا امره بحجبه عنه يقول لا اكلمك ولا اري وجهك اذا جرى ذكره بالجميل قال في
الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه فيمن يجوز عليه النظر الكناية
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاده نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر وفي التفسير الكبير لا يجوز ان يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز ان يكون المراد من النظر تقليب
الحدقة الى جانب المرئي التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج الحلولية بهذه الاية على ان النظر المقرون
بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الاية ان لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز ان يراد بهذا النظر النظر المقرون وهو الذي يختص
بتقرب الاولياء من انه ينظر اليهم وهم ينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا لا يجوز ان يكون النظر بمعنى الرؤية لانه لا يلزم

من نفي رؤيته بواه العبارات ايضا وقيل نفي رؤيته لا ترونه حينئذ قوله وان منهم لفريقا عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب الاشرف
غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلعم فاخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم يلوون السنتهم بالكتاب
قال القفال معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان الليّ عبارة عن عطف الشيء ورده عن
الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية واما كانوا يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة
محمد صلعم وفي غيرها بحسب اغراضهم الفاسدة وفي الكشاف اي يقلبونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف اقول في ذلك ان لي اللسان شبه بالتشدق
والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق
بين الفاظ المدح والذم في الشيء الواحد لتحسبوه اي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز ان يقدر مضاف محذوف اي يعطفون السنتهم بشبه
الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله نفي اولا كونه من الكتاب ثم
علي نفي العلم ليعلم انه كما ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذه يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من
احكامه المستنبطة من الاصول ويجوز ان يراد بالكتاب التورية فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان
القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتورية قالوا انه من التورية وان
وجدوا قوما عقلاء زعموا انه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير الفاظ التورية او اعراب الفاظها
فالذين اقدموا على ذلك يجب ان يكون طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلعم
بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحققون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق
الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على ان فعل العبد ليس بخلق الله والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم و
الغلط فيه ان القوم ما ادعوا ان التحريف من عند الله بخلقه وانما ادعوا ان المحرف منزل من عند الله وهو حكم من احكامه فتوجه التكذيب
تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يتوجها في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه اهل الكتاب انهم زعموا ان عيسى كان يدعي
الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل ما كان لبشر الآية وقيل ان ابا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران
قالا لرسول الله صلعم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم
واعرفوا الحق لاهله وقيل زعمت اليهود ان احدا لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب ان لا تشتغلوا
باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمل فصل لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله كقوله اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ومعنى قوله ما كان لبشر قال الاصم لو ارادوا ان يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو
تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة و
ضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبدا بالنبوة الا اذا علم انه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعي تبليغ الاحكام
عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو امرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقا والتحقيق ان الانبياء موصوفون بصفات
لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس ما لم تكن كاملة في جنب قوتيها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب الشامل على
الحكم وهو فهم ذلك الكتاب بيانه وتدبيره عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مأمورا بتبليغ ما فهمه الى الخلق واحسن هذا الترتيب وانه اذا كان
كاملة في جنب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله هذا القول او الاعتقاد لان غاية جهد النبي في تصادي امره صرف القلوب والارواح
من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين انه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عبادا لي من دون الله انه يحرم عليه هذا
الكلام لان ذلك يحرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى في ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل
فعلا فقيل له ان فلانا لا يحل له ان يفعل ذلك لم يكن مكذبا له فيما ادعاه عليه مثله ما كان لله ان يتخذ من ولد على
سبيل النفي لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبي ان يغل ومعناه النفي لا النهي معنى ثم في قوله ثم يقول تبعيد
هذا القول عن مثل ذلك البشر ولكن يقول كونوا ربانيين قال سيبويه الرباني منسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به مواظبا على طاعته كونوا ولكن م
كما يقال رجل الهي اذا كان مقبلا الى معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون في النسبة دفعا للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا
شعراني ولحياني ورقباني للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدها رباني وهو
الذي يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم القيام والالف والنون كما في ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون هذا
التفسير يشمل الولاة ايضا قال القفال يحتمل ان يكون الوالي يسمى ربانيا لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء باستعمالكم امر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست بعربية انما هي عبرانية او سريانية

عهدي اي لا يقبل وأخذ الاصر فانه اي يقبلها سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار كذلك بالاشهاد وقال
فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله وانا معكم من الشاهدين وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من
الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل احد نفسه شاهدا على نفسه
كقوله واشهدهم على انفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لاحد عذر في الجهل به واصله ان الشاهد هو الذي يبين
تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له ويكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد
الوعيد بقوله فمن تولى بعد ذلك الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد
الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال افغير دين الله يبغون ويحتمل ان
يراد ايتولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون من قرا بتاء الخطاب فيهما فلان ما قبله خطاب
في اقررتم واخذتم ولا التفات بعد قوله اولئك هم الفاسقون ومن قرا بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع
المكلفين والاصل افيبغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون على الحوادث الا انه قدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة
ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس ان اهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلعم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم فكل واحد من الفريقين ادعى
انه اولى به فقال صلعم كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وعلى هذا يكون الاية كالمنقطعة عما قبلها
ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه ان هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي و
العناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر ان يفعلوا ذلك وقرر انهم يعلمون ان الاعراض عن دين الله خارج عن قضية العقل
وكيف لا وقد اخلص له تعالى الانقياد وخصص له الخضوع كل من سواه لان كل ما عداه ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه
فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلاله في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان او نفسا او روحا او جسما او جوهرا او عرضا او فاعلا او فعلا و
نظير الاية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد على الامتناع عن مراده طوعا او كرها وهما مصدران وقعا موقع الحال الا انهما
من جنس الفعل اي طائعين وكارهين كقولك اتاني ركضا اي راكضا ولو قلت اتاني كلاما اي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان
فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الالام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره
واما الكافرون فينقادون في الدين كرها اي خوفا من السيف وعند الموت ونزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل
الارض قوله ذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه على ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال اسلم طوعا ومن
شاهد الجلال اسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي واليه ترجعون اي اليه حيث لا مالك سواه
ظاهرا وباطنا وفيه وعيد شديد لمن خالف الدين الحق الى غيره ثم انه سبحانه لما بين اخذ الميثاق على الانبياء في تصديق كل رسول كان قبله
امر النبي بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه اما وجه التوحيد في قل فظ بناء على ما قلنا واما وجه الجمع في امنا فللتشريف او لانه
بانضمام امته معه في سلك الاخبار عن الايمان وليعلم ان هذا التكليف ليس من خواصه بل هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته ولا جلال قدر نبيه حيث امر ان يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه اصل جميع العقائد ثم ذكر الايمان
بما انزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة احوالها الا بالقران المنزل على محمد صلعم ثم ذكر الايمان بما انزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل — سبيل الى معرفته
وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة اهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى انهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا
مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى اخذ الميثاق على كل نبي ان يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين
فههنا قد اخذ الميثاق على محمد صلعم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم ياخذ عليه الميثاق لمن ياتي بعده فيكون في الاية دليل على انه لا نبي بعده
واعلم ان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز ان يعدى انزل بعلى تارة كما في هذه الاية وبحرف الانتهاء اخرى كما في البقرة فنطق القران بالاعتبارين
جميعا وقيل عدي هناك بالى لمكان قولوا فان الوحي ياتي الامة بطريق الانتهاء وعدي ههنا بعلى لمكان قل فان الرسول ياتيه الوحي بطريق الاستعلاء
وزيف في الكشاف بقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وبقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا والانصاف ان هذا القائل لم يدع ان هذه
المناسبة يجب اعتبارها في كل موضع وانما ادعى اعتبارها في الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله اعلم ونحن له مسلمون فائدة تقديم الجار
ان يعلم ان هذا الاذعان والايمان والاستسلام لا غرض فيه الا وجه الله دون شيء اخر من طلب المال والجاه بخلاف احبار اليهود الذين يشترون
بايات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام في شيء ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال وهو في الاخرة
من الخاسرين حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند اهل السنة ومع اصحاب الكبائر عند المعتزلة
وقد يستدل بالاية على ان الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لان كل ما هو غير الاسلام ليس بمقبول
عند الله للاية وقد ذكرنا مرارا ان النزاع لفظي لان الاسلام ان اريد به الانقياد الكلي فلا فرق بينه وبين الايمان كما في هذه الاية وان اريد

الاقرار باللسان فالفرق بناء على ان الاعتقاد القلبي داخل في مفهوم الايمان وعلى الفرق ورد قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال كيف يهدي الله واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية اخرى عنه نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم اخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث بن سويد قد اسلم وكان مع رسول الله صلعم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الاية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقرأهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلعم لاصدق منك وان الله لاصدق الثلثة ثم رجع فاسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الاية اصولنا يشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا لكان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الاية بشيء اخر سوى نصب الدلائل قالوا المراد بهذه الهداية منع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم على ايمانهم كما قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال والذين اهتدوا زادهم هدى او المعنى لا يهديهم الى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار وقال اهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف في دار العمل ان كل فعل يقصد العبد الى تحصيله فان الله يخلقه عقيب قصد العبد فكانه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وارادوه وقال اهل التحقيق كيف يهدي الله اليه قوما احتجبوا بالصفات الانسانية والطبائع الحيوانية عن الاخلاق الربانية وقوله وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لانه في تقدير ان امنوا كقوله تعالى فاصدق واكن ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد اي كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق وكيف ما كان فمعنى الاية يؤول الى انه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الايمان وبعد الشهادة بان الرسول حق في نفسه غير باطل لا مما يسوغ انكاره بعد ان جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القران وغيره لكن الشهادة هو الاقرار باللسان فيكون المراد من الايمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين بالشيء في غير موضعه ذلك ان الخصال الثلث اعني الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في اخر الزمان لا الكفر والعناد وفيه دليل على ان ذلة العالم اقبح من ذلة الجاهل ولهذا صرح في اخر الاية بانه تعالى لا يهديهم بعد ان عرض بذلك في اول الاية ثم اردفه بغاية الوعيد قائلا اولئك جزاؤهم الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهو تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال واصلحوا اي باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وظهر انا كانوا على الباطل حتى لو اغتر بطريقتهم المنحرفة مغتر رجع عنها فان الله غفور في الدنيا بالستر رحيم في الاخرة بالعفو او غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفر وهو المراد في الاية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم اهل الكتاب امنوا بمحمد صلعم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم والقران وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر انهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الاية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الاية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وايضا ثبت بالدليل ان التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان وقيل هو محمول على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص قال القاضي والقفال وابن الانباري هو من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد انه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا يكون مقبولة وقيل لعل المراد ان التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المرتد عليه وقيل ويحتمل ان يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين المصرين على الكفر ميتون على الكفر لما في نعلمهم من قساوة القلوب والافضاء الى الرين وانجراره الى الموت على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين اما على تقدير التعميم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية لا تكون كلية فكم من مرتد ويهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى يرد الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم انها ذكر اللازم وارادة الملزوم وانه لا بد للعدول من فائدة فصح ان يبين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف لاجل الياس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل انه كانه قيل ان اليهود

المزيد من الذين فعلوا اما فعلوا من حقهم ان لا تقبل توبتهم وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الضَّآلُّوْنَ الكاملون فى الضلال ضلوا فى تيه الاوصاف البهيمية والا
السبعية فلم يكادوا يخرجون منها بقدم الانابة واعلم ان الكافرين على ثلثة اقسام احدها الذى يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذى سيق
لاجله الاية التى بعدها الاستثناء وثانيها الذى يتوب توبة فاسدة وهو المذكور فى قوله لن تُقبل توبتهم على وجه ثالثها الذى يموت على
الكفر من غير توبة فذكره فى الاية الاخيرة وملاء الشئ قدر ما يملاءه وذهبا نصب على التميز وربما يقال على التفسير معناه ان يكون الكلام تاما
الا انه يكون مبهما كقولك عندى عشرون عددا فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد وبمعنى الفاء فى فلن يقبل ان يعلم ان
الكلام مبنى على الشرط والجزاء واذا ترك كما فى الاية الاولى فلعدم قصد التسبب والاكتفاء بمجرد الحمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب
الكشاف وليت شعرى انهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فماذا يجيبون لعل عقيدتهم فى امثال هذه المواضع انها من الاشياء
المتفقة وهو وهم والسر فى التخصيص هو انه لما قيد فى الجملة الثانية انهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تأكيدا للزوم وتغليظا فى الوعيد
والله اعلم اما الواو فى قوله فلو افتدى به فانها يشبه عطف الشئ على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر اقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانبارى
انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملاء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه قيل انها لبيان التفصيل بعد
الاجمال فان اعطاء ملاء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفى القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية و
يقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفى قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملاء الارض ذهبا وقيل يجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا وان المثل يحذف كثيرا فى كلامهم مثل ضربت ضرب زيد اى مثل ضربه ابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله كما انه يراد به فى
نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا اى انت وذلك ان المثلين يقوم احدهما مقام الاخر فى اغلب الامور فكانا فى حكم شئ واحد فان قيل من المعلوم ان
الكافر لا يملك يوم القيمة شيئا وبتقدير ان يملك فلا نفع فى الذهب هناك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب
كناية من اعز الاشياء والمراد انه لو قدر على اعز الاشياء وفرض ان فى بذله نفعا للاخذ وان المبذول فى غاية الكثرة لعجز ان يتوسل بذلك الى
تخليص نفسه من عذاب به ثم صرح بعقابهم ونفى من يشفع لهم فقال اولٰئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قال اهل التحقيق ماتوا
اى ماتت قلوبهم اولٰئك لهم عذاب اليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبى الله ونعم الوكيل

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوْا مِمَّا تُحِبُّوْنَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ فَاِنَّ اللّٰهَ بِهٖ عَلِيْمٌ ۝ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اِلَّا مَا
هرگز نرسید بنیکوی را تا که خرج کنید از آنچه دوست میدارید و آنچه که خرج کنید از مال پس بدرستی که خدا بآن داناست همه خوردنیها بود حلال از برای بنی اسرائیل مگر آنچه
ع ١

حَرَّمَ اِسْرَآءِيْلُ عَلٰى نَفْسِهٖ مِنْ قَبْلِ اَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرٰىةُ ۗ قُلْ فَاْتُوْا بِالتَّوْرٰىةِ فَاتْلُوْهَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۝ فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ
که حرام کرد اسرائیل بر خودش از پیش آنکه نازل شود توریة بگوای محمد بیاورید توریة را پس بخوانید اگر بوده باشید راستگویان پس هر که دروغ بندد بر خدا

مِنْۢ بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ ۗ فَاتَّبِعُوْا مِلَّةَ اِبْرٰهِيْمَ حَنِيْفًا ۗ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ۝ اِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُّضِعَ
پس از این پس آنگروه ایشانند ستمکاران بگو که راست گفت خدا پس پیروی کنید دین ابراهیم را که پاکیزه است و نبود از مشرکان بدرستی که نخست خانه که بنا شد

لِلنَّاسِ لَلَّذِيْ بِبَكَّةَ مُبٰرَكًا وَّهُدًى لِّلْعٰلَمِيْنَ ۝ فِيْهِ اٰيٰتٌۢ بَيِّنٰتٌ مَّقَامُ اِبْرٰهِيْمَ ۚ وَمَنْ دَخَلَهٗ كَانَ اٰمِنًا ۗ وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ
از برای مردم هر آینه آنست که در مکه است با برکت و راه نماینده مر جهانیان را در آن آیات روشن است جای ابراهیم و هر که در آید در آن میباشد آسوده و مر خدا راست بر مردم

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعٰلَمِيْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
قصد خانه کعبه هر که تواند بسوی او راهی و هر که کافر شود پس بدرستی که خدا بی نیاز است از جهانیان بگوای اهل کتاب چرا باز دارید از راه خدا
قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَكْفُرُوْنَ بِاٰيٰتِ اللّٰهِ ۖ وَاللّٰهُ شَهِيْدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُوْنَ ۝

مَنْ اٰمَنَ تَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَّاَنْتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اِنْ تُطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ
آنرا که گروید میطلبید در آن کجی را و شما گواهانید و نیست خدا بی خبر از آنچه میکنید ای زمره آنها که گرویده اید اگر پیروی کنید گروهی را از آنان که
ع ٢

اُوْتُوا الْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ كٰفِرِيْنَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُوْنَ وَاَنْتُمْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ اٰيٰتُ اللّٰهِ وَفِيْكُمْ رَسُوْلُهٗ ۗ وَمَنْ يَّعْتَصِمْ
داده شد اند کتاب را که برگردانند شما را پس از ایمانتان کافران و چگونه کافر شوید که او حال آنکه خوانده شود بر شما آیات خدا و در شما پیغمبر اوست و هر که در آویزد

بِاللّٰهِ فَقَدْ هُدِيَ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ۝ القراءة ان تنزل خفيفا ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب والباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء
بخدا پس بدرستی که راه نموده شد براه راست يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد والباقون بفتحها الوقوف تحبون ط عليم
تنزل التورية ط صادقين الظالمون حنيفا ط المشركين للعالمين ج لان ما بعده يصلح حالا واستينافا مقام ابرهيم ج للابتداء بالشرط
مع الواو ولان الامن من الايات امنا ط سبيلا ط العالمين بايات الله ط فقد قيل والوجه الوصل لان الواو للحال تعملون شهداء ط تعملون
كافرين رسوله ط لتناهى الاستفهام الى الشرط مستقيم التفسير انه سبحانه لما ذكر ان الانفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الانفاق
الذى ينتفعون به فى الاخرة وهو الانفاق من احب الاشياء اليهم وههنا لطيفة وهى انه سبحانه وتعالى سمى جوامع خصال الخير برا فى قوله تعالى و

ولكن البر من آمن بالله الآية وذكر في هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى انكم وان اتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا باجر
خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها حتى تكون نفقتكم من الاموال التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه
لله يروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان لي حائطا بالمدينة يعني به رحى وهو احب اموالي الي صدقة فقال ص بخ بخ ذاك مال
رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله ص فقسمها في اقاربه وروي انه ص جعلها بين حسان بن ثابت وابي
كعب وروي ان زيد بن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس له كان يحبه فجعله في سبيل الله فحمل عليه رسول الله ص لاسامة فوجد زيد في نفسه وقال
انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله ص اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم
فتح مدائن كسرى فلما راها اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم
حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وفي تفسير البر قولان احدهما ما به يصيرون من ابرار الله خلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم ليكون المراد بالبر ما
يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجعلها التقوى لقوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
والثاني الجنة اي تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله اولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني
قال تعالى ان تبروا وتتقوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو اخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه
ان انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو اطيب المال وارفعه هو كل
كام وعن ابن عباس اراد به الزكوة اي حتى تخرجوا زكوة اموالكم ويرد عليه انه لا يجب على المزكي ان يخرج اشرف امواله واكرمها وقال الحسن
ما انفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله وينقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة باية الزكوة وضعف بان ايجاب الزكوة لا ينافي
الترغيب في بذل المحبوب لوجه الله ومن شيء للتبيين يعني من اي شيء كان طيب او خبيث فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه يعلم الوجه الذي
لاجله تنفقون من الاخلاص او الرياء ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد ص وبعد توجيه الالزامات الواردة على اهل
الكتاب في هذا الباب اجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه احدها انهم كانوا يقولون في انكار شرع محمد ص على انكار النسخ فاورد عليهم
ان الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا لآدم صار حراما عليه وعلى اولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا ان
ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فامر النبي ص ان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد ص لانه كان اميا
فامتنع ان يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها ان اليهود قالوا له انك تدعي انك على ملة ابراهيم فكيف
تاكل لحم الابل والبانها وتفتي بحلها مع ان ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا
ان يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكروا ذلك فامروا بالرجوع الى التوراة وثالثها لما نزل
قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات
الدالة على انه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل ان ذلك يقتضي وقوع النسخ
ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا باول من حرمت هي عليه وانما هو قديم فنزلت كل الطعام اي الاخير
المطعومات كلها لان الدلالة تدل على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم اولا والطعام اسم
لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض اصحاب ابي حنيفة انه اسم للبر خاصة ويرد عليه ان المستثنى في الآية عن الطعام كان شيئا سوى الحنطة وما يتخذ
منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع انها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل ان يكون المراد الاطعمة التي كان يدعي اليهود
في وقت نبينا ص انها كانت محرمة على ابراهيم ص وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا
استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة اما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس
عن النبي ص ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام والشراب اليه لحمان
الابل والبانها وهذا قول ابي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان لا ياكل شيئا من العروق وجاء
في بعض الروايات ان الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر وههنا سؤال وهو ان التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار
تحريم يعقوب سببا للحرمة فاجاب المفسرون بان الاطباء اشاروا اليه باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء
وايضا لا يبعد ان يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية وايضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم
فاعتبروا ولقوله في معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم ان يكون للانبياء منها نصيب وفر
سيما ومعارفهم اكثر وعقولهم انور واذهانهم اصفى وتوفيق الله وتسديده معهم ثم انهم حكموا بالحكم بسبب اجتهاد يحرم على الامة مخالفة

في ذلك الحكم كما ان الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يجرم مخالفته والاظهر ان ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرم الله على
اسرائيل فلما اذن الله لاسرائيل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وابو حنيفة يحرمه قال الاصم لعل نفسه تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من اكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين انه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده
احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله من قبل أن تنزل التورية ان هذا الاستثناء انما كان
قبل نزول التورية اما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم انواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الاية ثم ان القوم
نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فامروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا فلزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قال فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك الذي ظهر من الحجة الباهرة فاولئك هم الظالمون
الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وايضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن
يقتدي بهم من اشياعهم قل صدق الله في جواب الشبه الثلث وفيه تعريض بتكذيبهم فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن
تبعه حتى تتخلصوا من اليهودية التي فيها فساد دينكم ودنياكم حيث الجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة والزمتكم تحريم الطيبات
التي احلت لابرهيم ولمن يقتدي به وما كان من المشركين وفيه تنبيه على ان محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم
ابرهيم بحله وفي الاصول لان محمدا صلى الله عليه وسلم وابرهيم كليهما عليهما السلام لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى
وخلاف عبدة الاوثان والكواكب قوله سبحانه ان اول بيت وضع للناس قال مجاهد هو جواب عن شبهة اخرى لليهود وذلك انهم قالوا بيت
المقدس افضل من الكعبة لانها مهاجر الانبياء وارض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منها الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
ان الاية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان اعظم الامور التي اظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخه هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى
الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الاية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابرهيم وكان الحج من اعظم شعائر ملته اردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها
ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى انه على ملة ابرهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابرهيم
واهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال اول عبد اشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد
منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق ايضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدا لهم
وموضع طاعتهم يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل اول يقتضي ان يكون له ثان فضلا ان يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم
من كونه اول ان يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه اول بيت وضع للناس
يحتمل ان يكون المراد انه اول في البناء والوضع ويحتمل ان يكون المراد انه اول في الوضع وان كان متاخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول
انه اول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد انه قال خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض
وفي رواية اخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى ايضا عن محمد بن ‎بالفي سنة هم
علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب عن ابائه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وامر الله تعالى من في
الارض ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر وابن مجاهد
والسدي انه اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض
تحته وعن الزهري قال بلغني انهم وجدوا في مقام ابرهيم ثلثة صفوح منها كان في الصفح الاول انا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس
والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفا وباركت لاهلها في اللحم واللبن وفي الثاني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته و
من قطعها قطعته وفي الثالث انا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على
يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة الا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا
بعد وجودها ولانه تعالى سماها ام القرى وهذا يقتضي سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلوة كان ثابتا في دين جميع الانبياء وايضا قال
تعالى في سورة مريم أولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم
غير الكعبة لم يكن هي اول بيت وضع للناس هذا بخلاف القول الثاني يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له هو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس
مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم ان الغرض الاصلي من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تاثير لاولية البناء
في هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية ايضا كما روينا انفا وفي سورة البقرة ايضا من الاخبار والاثار فمن فضائل البيت ان
الامر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرئيل والباني ابرهيم الخليل وتلميذه ابنه اسماعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات
ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابرهيم كما يجيء ومنها قلة ما يجتمع من الحصى في الجمار فانه منذ الاف سنة يرمى في كل سنة خمسمائة

الثالث ان كل واحد منهم سبع حصيات ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع في سنة واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء ومهب
رياح شديدة وقد جاء في الآثار ان من كانت حجته مقبولة رفعت حجارته الى السماء ومنها ان الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا
وصلت الى محاذاتها ومنها ان الحيوانات المتضادة في الطبايع لا يؤذي بعضها بعضا كالكلاب والظباء ومنها امن سكانها فلم ينقل البتة ان ظالما هدم
الكعبة او خرب مكة بالكلية واما بيت المقدس فقد هدمه بخت نصر بالكلية وقصة اصحاب الفيل سوف يجيء في موضعها ان شاء الله العزيز ومنها انه تعالى
وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء اهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها انه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات
كل شيء بدعوة خليله ابرهيم وانه من اعظم الآيات ومنها انه لا يسكنها احد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فينبغي ذلك الموضع المنيف
والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود اربابهم الدنية ومنها انه لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها انه تعالى
اظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع اشرف البيوت في اقل المواضع نصيبا من الدنيا فكأنه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا اهل البلد الامين
لاجعلهم في الآخرة اهل المقام الامين ومنها كانه قيل كما لم اجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا اجعل كعبة المعرفة الا
في قلب خال عن محبة الدنيا لَلَّذِي بِبَكَّةَ للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان نحو راتب وراتم وضربة لازم
ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجيهما وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة واما اشتقاق بكة فمن
قولهم بكه اذا زحمه وفرقه عن سعيد بن جبير سميت لانهم يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر يصلي فمر امرأة
بين يديه فذهبت تدفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس
بذلك في هذا المكان ويؤكده هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هناك وفيه الازدحام ولا شك ان بكة غير البيت لان الآية تدل على ان
البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه
واما مكة فاشتقاقها من قولك مك الفصيل ضرع امه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب في قطر او لقلة
مائها كان ارضها امتصت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكان الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف
البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين اما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير لَلَّذِي بِبَكَّةَ هو والعامل فيه معنى الاستقرار
واما معناه فالبركة اما النمو والتزايد كثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة
شبه الحوض لثبوت الماء فيها تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب و
تكفير الذنوب قال صلعم صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلعم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل
في نفسه ان الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في اقطار الارض واكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك انه
يحصل فيما بين هؤلاء المصلين اشخاص ارواحهم علوية وقلوبهم قدسية واسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم انه اذا توجهت تلك الارواح الصافية
الى كعبة المعرفة واستقبلت اجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت انوار اولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال
يجوز ان يكون بركته ما ذكر في قوله يُجْبَى اِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ فيكون كقوله اِلَى الْاَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك
انه لا ينفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم ومغرب
او عشاء فلا يخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وايضا بقاء الكعبة على هذه الحالة الوفا من السنين دوام واما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم
ومتعبدهم ولانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلعم بما فيه من الآيات والاعاجيب ولانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا او ذا هدى قال الزجاج
ويجوز ان يكون محله رفعا اي وهو هدى فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ يحتمل ان يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ غير متعلق
بما قبله فكانه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات هي بيانه
وتفسيره قوله مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ اما بان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل ايضا على علم الصانع وقدرته وارادته و
حيوته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله اِنَّ اِبْرٰهِيمَ كَانَ اُمَّةً واما بان يجعل المقام مشتملا على
آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعضها آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر
الانبياء آية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا من تتمة التفسير للآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدأ وخبر او من شرط وجزاء الا انه في تقدير مفرد من حيث المعنى فكانه قيل فيه
آيات بينات وامن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة امن من دخله وهذا التفسير بعيد تصحيحه مبني
على ان الاثنين جمع كما قال صلعم الاثنان فما فوقهما جماعة وفي القرآن هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا وقيل ذكر آيتان وطوي ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ وَاَمْنُ مَنْ دَخَلَهُ وكثير سواهما ومنه قوله صلعم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وجعلت قرة عيني في الصلوة ومنهم من تمم الثلثة فقال مقام ابرهيم وامن من دخله ولله على الناس حج وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع

والمراد مقامات ابرهيم هي ما اقام من المناسك فالمراد بالايات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وابى ومجاهد وابو جعفر المدنى فى رواية قتيبة اية على التوحيد قال فى الكشاف وفيه توكيد لكون مقام ابرهيم حده بيانا واما حد بثله من دخله فقد اختلاف العلماء وفيه فى سورة البقرة فى قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وقيل كان امنا من النار لما روى عن النبى من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام ولله على الناس حج البيت لما ذكر فضائل البيت ردفه بايجاب الحج وهما لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت قال الفراء يجوز ان ينوى الاستيناف بمن والخبر والجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت قال ابن الانبارى يحتمل ان يكون محله رفعا على البيان كانه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير فى اليه للبيت او الحج واستطاعة السبيل الى الشئ هى امكان الوصول اليه واحتج اصحاب الشافعى بالاية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح ان يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهرى مكلف بالايمان بمحمد مع غير حاصل والمحدث مكلف بالصلوة مع ان الوضوء الذى هو شرط صحة الصلوة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالاية على ان الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق واجاب الاشاعرة بان هذا ايضا لازم عليكم لان القادر اما ان يكون مامورا بالفعل قبل حصول الداعى الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق وبعد حصوله يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون فى التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية فى الحالين وجب ان لا يتوجه التكليف والحق ان وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافى توجيه التكليف اليه واعلم ان الحج لا يجب باصل الشرع فى العمر الا مرة واحدة لما روى عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال افى كل عام يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب اكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد هو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلوته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولى ان يحرم عن المجنون وعن الصبى الذى لا يميز ويصح حجهما لما روى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم مر بامراة وهى فى محفتها فاخذت بعضد صبى كان معها فقالت الهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك اجر وعن جابر قال حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة الحج من المجنون والصبى الذى لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبى المميز ان يحرم ويحج باذن الولى ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام والمعنى فيه ان الحج عبادة عمر لا يتكرر فاعتبر وقوعها فى حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم يعود الى ثلثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغنى خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلثة المذكورة انفا وهو الاستطاعة بالاية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرة بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق بامور اربعة احدها الراحلة والناس قسمان احدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشى او لم يكن لما روى انه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشى يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوى على المشى يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل ايضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين فى المحمل فان وجد مؤنة محمل او شق محمل ووجد شريكا يجلس فى الجانب الاخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثانى من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشى لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة او معها ومع المحمل كما فى حق البعيد المراد بوجود الراحلة ان يقدر على تحصيلها اما ملكا او استيجارا بثمن المثل وباجرة المثل وكذا فى المحمل المتعلق الثانى الزاد واوعيته وما يحتاج اليه فى السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له اهل وعشيرة يرجع اليهم او لا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب واجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حتى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته او لمنصبه ولو كان له راس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته او كان له مستغلات يرتفع منها نفقته فالاصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة فى الحال ولا عبرة بخوف الفقر فى الاستقبال المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الامن على النفس من نحو سبع او عدو والامن على المال من عدو او رصدى وان رضى بشئ يسير والامن على البضع للمراة بخروج زوج او محرم او نسوة ثقات وفى البحر يعتبر غلبة السلامة وفى البر وجود علف الدابة المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه ان يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض وغيره فهو غير مستطيع المباشرة لا بد

شرط صحة الاداء بمجرد

ارض سبع

للاعمى من قائد وعند ابي حنيفة لا حج عليه ويروى انه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو ان يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكن المسير فيه الى الحج السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلة او اكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة اهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلوة في وقتها فيجوز التراخي لكن ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال احمد ومالك وابو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي ان فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة واخره النبي ص من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث ابا بكر اميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما واما النوع الثاني فهو الاستطاعة الاستنابية فانها جائزة في الحج وان كانت العبادة بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت والكبر او زمانة او مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس ان رجلا جاء الى النبي ص فقال يا رسول الله ص ان اختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج افاحج عنها فقال لو كان على اختك دين اكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو احق بالقضاء وعنه ان امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة افاحج عنه قال نعم وقد يكون الاستنابة بطريق الاستيجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستيجار كتفريق الزكوة وعند ابي حنيفة واحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استاجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق ان يقول حج عني واعطيك نفقتك فهذا ايضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز ان يقول استاجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد ان تكون معلومة فهذه جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الاية انواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس اي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها ام لم يعرفوا فان كثيرا من اعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله ص من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونظيره قوله ص من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه وفاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلان يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد اولى ومن العلماء من زعم ان هذا الوعيد عام في كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود فانهم قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت اية الحج جمع رسول الله ص اهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تاكيد امر الحج قوله ص حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه ان يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الامن وغيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا اي عجل عقوبتهم وبينا صلوا ثم انه سبحانه لاين اهل الكتاب في الخطاب فقال قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد ص بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات وبعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج والله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب ان لا يجترءوا على الكفر بايات دلائلها على نبوة محمد ص ثم انه تعالى لما نكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال لم تصدون عن سبيل الله من آمن قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد ص في كتابهم ومنع من اراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم وبتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى مثله ومحل تبغونها عوجا نصب على الحال او بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول واما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان اريد تعديتها الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا اي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا ص ليس بذلك المنعوت في كتابنا او المراد انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم ويحتمل ان يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك انهم كانوا يدعون انهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين وانتم شهداء انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قال ابن عباس او انتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد ص او انتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار وفيه ان من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم اوعدهم بقوله وما الله بغافل عما تعملون كقول السيد لعبده وقد انكر طريقته لا يخفى علي سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الاية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما

اظهروه من الكفر بنبوة محمد (ص) وهذا فيما اضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفى تكرير الخطاب فى الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بالطف الوجوه والينها لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة روى عن زيد بن اسلم وجابر ان شاس بن قيس اليهودى وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا قرار فأمر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين اوس بن قيظى احد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة فهى حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبى (ص) حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته (ص) انصتوا له (ص) وجعلوا يستمعون فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفى رواية زيد بن اسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع اكره الينا من رسول الله (ص) فاومى الينا بيده فكففنا واصلح الله ما بيننا فما كان شخص احب الينا من رسول الله (ص) فما رأيت يوما قط اقبح ولا اوحش اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول (ص) فى كل واقعة وبين اظهركم رسوله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا اثر فعليكم ان لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا الى ما يبين لكم الى الكتاب والنبى (ص) قلت اما الكتاب فانه باق على وجه الدهر واما النبى (ص) فان كان قد مضى الى رحمة الله فى الظاهر ولكن نوره باق بين المؤمنين فكانه باق على ان عترته (ع) وورثته يقومون مقامه بحسب الخلافة ولهذا قال (ص) انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا ممن تم بعصمتك هدايتك وفى هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون ابدا الى يوم القيمة ثم بين ان الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال ومن يعتصم بالله يتمسك بدينه ويلتجئ اليه فى دفع شرور الكفار فقد هدى الى صراط مستقيم والاعتصام الاستمساك بالشئ فى منع نفسه من الوقوع فى آفة اما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله هداية بل قالوا انه بفعل العبد اولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة فى الطاف المرتبة على اداء الطاعات او المراد الهداية الى الجنة قال فى الكشاف فقد هدى اى فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فى قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده التأويل لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا احب الاشياء اليكم وهو انفسكم ان الفراش لا ينال من نور الشمع وهو شعلته حتى نفق مما احبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلثة اصناف الملك النورانى العلوى وغذاؤه الذكر خلق للعبادة والحيوان الظلمانى السفلى وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلثة اقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذى بالغ فى غذاء جسمانيته وقصر فى غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه اولئك كالانعام بل هم اضل ومنهم مقتصد وهو الذى تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذى بالغ فى غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط فى غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوى روحه اولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحيوة القلب باستيلاء الروح من قبل ان ينزل الوحى والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على الله الكذب بان يريد ان يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابراهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان وبذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يجعلون مع الله خليلا آخر ان اول بيت وضع للناس سر لان الله غنى عن العالمين ان انموذج بيت الله فى الانسان وهو العالم الصغير القلب الذى وضع ببكة صدر الانسان مباركا وهدى يهتدى به جميع اجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهى اذا وقع فى القلب انفسح له وانشرح فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشى وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التى توصل الخليل الى الخليل ومن دخله يعنى مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد رضا خليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم اخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه سبيلا وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه

وادابها السرية واركانها منها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الثياب والمالوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوبة الى الله فاطر السموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف الستة حول الكعبة الربوبية ومنها السعي بين صفاء الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو اثار العبودية بموسى انوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا يتعرض لنفحات الالطاف الالهية وجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين هي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون منه قل يا اهل الكتاب الخطاب معهم بالمنة مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن الهوى الا منه تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا

ای زمره آنان که گرویده اید بپرهیزید خدا را سزاوار ترسیدن و نمیرید مگر آنکه شما مسلمانان باشید و در آویزید برشته خداوندی همه و پراکنده

تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ

مشوید و یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون بودید دشمنان پس دوستی انداخت در میان دلهای شما پس صبح نمودید بنعمت او برادران و بودید بر کنار گودی

مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

دوزخ پس نجات داد شما را از آن اینچنین ظاهر میکند خدا از برای شما آیات خود را شاید که راه یابید و باید که باشد از شما گروهی که بخوانند بسوی نیکی و امر کنند

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

بنیکی و نهی کنند از ناخوش و آن گروه ایشانند رستگاران و مباشید چون آنان که پراکنده شدند و اختلاف کردند بعد از آنکه آمد ایشان را

الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ

نشانها و آن گروه مر ایشان راست عذاب بزرگ در روزی که سفید شود رویها و سیاه شود رویها پس اما آنانکه سیاه است رویهاشان گویند کافر شدید

بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

پس از ایمان تان پس بچشید عذاب را بآنچه بودید کافر شدید و اما آنانکه سفید است رویهای ایشان پس در رحمت خدایند یعنی بهشت ایشان در آن جاویدانند

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ

اینست آیات خدا که میخوانیم آن را بر تو براستی و نیست خدا که خواهد ستم را از برای جهانیان و مر خدا راست هر چه در آسمانها و هر چه در زمین است و

إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ع

بسوی خدا بازگشت کارها بودید شما بهترین گروهی بیرون آورده شده از برای مردمان که امر میکنید بنیکوئی و نهی میکنید از بدی و ایمان آورید بخدا

وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ

و اگر ایمان آوردندی اهل کتاب هر آینه بهتر بود مر ایشان را برخی از ایشان مومنانند و بیشترشان فاسقانند ضرر نرسانند شما را مگر آزاری کم و اگر کارزار کنند با شما

يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ

برگردانند بشما پشت پس یاری کرده نشوند

القراءة حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الوقوف مسلمون ولا تفرقوا لعطف المتفقين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستيناف منها ط تهتدون المنكر ط للعدول المفلحون البينات ط عظيم لا لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود وجوه ج اسودت وجوههم ص لان التقدير فيقال لهم اكفرتم تكفرون ففي رحمة الله ط خالدون بالحق ط للعالمين ما في الارض ط الامور وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون قيل لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الا اذى ط والادبار وقفة لان ثم لترتيب الاخبار اي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار امرهم في هذه الايات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فاولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وهو ان يطاع فلا يعصى طرفة عين وان يشكر فلا يكفر وان يذكر فلا ينسى او هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وان لا ياخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او الوالدين والاقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على انها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه كما يحق ان يتقى وهو ان يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز ان ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز ان يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطاء والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الايتين لناصر القول الاول ان يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز ان يؤمر بالاتقاء الاغلظ والاخف ثم ينسخ الاغلظ ويبقى الاخف نزول هذه بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع ولا تموتن الا وانتم مسلمون ليس نهيا عن الموت وانما نهى عن ان يدركهم الموت على حال غير حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى امرهم بما هو كالاصل لجميع الخيرات وصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله والاتفاق والاداء على اعلاء كلمته فقال واعتصموا

بحبل الله جميعا حال كونهم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بعنايته بامتساك المتدلي على مكان مرتفع
بحبل وثيق يأمن انقطاعه لان وجه الشبه صفة غير حقيقي ومنتزع من عدة امور ويجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه
بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز ان يفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل ان طريق الحق
دقيق والسائر عليه غير مأمون ان يزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوسل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين فيه مختلفة
فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن علي بن ابي طالب عن النبي صلعم انه قال اما انها ستكون
فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلعم هذا
القرآن حبل الله وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي
وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لان الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق
الا الضلال ويد الله مع الجماعة قال صلعم ستفترق امتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحدة فقيل ومن هم يا رسول الله صلعم قال الجماعة
وروى السواد الاعظم وروى ما انا عليه واصحابي وقال صلعم لا تجتمع امتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية
ان احتيج فيها الى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل احد يوجب
التفرق والاختلاف وهو منهي عنه واجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته
عليهم وذلك انهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فالف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين
متناصحين وذلك ان من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومنافسة بسبب الاغراض الدنيوية اما العارف الناظر من الحق الى الخلق
فانه يرى الكل اسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي احدا البتة لانه مستبصر بسر الله في القدر فاذا امرهم بنوع ناصح لا بعنف معير كان نصحه مجزيا
ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين اشد من حب الوالد لولده فكانوا كالاقربين الاخوان بل كجسد واحد كنفس واحدة وقيل يريد
الاخوان في النسب وفي ذلك ان الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام وكان بينهما العداوة والحروب بقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ
الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله فذكرهم الله تعالى تلك النعمة وفيه دليل على ان المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما
حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف
لا بخلق الفعل واجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص احد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بد ان يكون لامر زائد على ما ذكر ثم
هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وشفا الحفرة وشفتها حرفها
بالتذكير والتأنيث ومنه لين يقال اشفى على الشيء اذا اشرف عليه كانه بلغ شفاه اي حده وطرفه وانقذه واستنقذه خلصه ونجاه والضمير في
منها للحفرة او للنار او للشفا اما لانه في معنى الشفة واما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم قال بعضهم
الشفة اصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال لذلك قال نوح ليس بي ضلالة حين قالوا انا لنراك في ضلال مبين اي ليس بي شيء صغير
من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم لتشبيهها بالحفرة التي فيها النار وتمثيل الحيوة التي يتوقع بعدها
الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحيوة وان طالت كانه ليس بين الحيوة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا
ما بين طرف الشيء وبين ذلك الشيء قالت المعتزلة معنى الانقاذ انه تعالى لطف بهم بالرسول صلعم وبسائر الالطاف حتى امنوا وقال اهل السنة
جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي انقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على
ان الله تعالى هو المنقذ فعلم ان خالق افعال العباد هو الله تعالى كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة
ان تزدادوا هدى او لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر نظائرها في سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين
في تكميل غيرهم فقال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته
ثم اتبع النوعين زيادة في البيان فقال ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين او للتبعيض
فذهب طائفة الى انها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه كيف لا وقد وصفهم الله
تعالى بذلك في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من اولاده جند وللامير من
غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا انه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر
فروض الكفايات وقال الآخرون انها للتبعيض اما لان في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى
والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتها
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع
اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وايضا قد اجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا ايجابا

ايجابا على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب واعلم ان الامر بالمعروف على ثلاثة اضرب احدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان احدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث يجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم و يأمرهم بصلوة العيد الثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا اخر بعض الناس الصلوة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من اخرها والوقت باق ثانيها ما يتعلق بحقوق الادميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه او انهدم سوره او طرقه ابناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن امر ذو المكنة بمراعاتها والى خاص كمطل المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس ثالثها الحقوق المشتركة كامر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء احكام العدد واخذ السادة بحقوق الارقاء وارباب البهائم بتعهدها وان لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلوة السرية وبالعكس او تزيد في الاذان يمنعه وينكر عليه ومن يتصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من اهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل او تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر امره لئلا يغتر به واذا راى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت اجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الادميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلوة من ائمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر امانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فليسلط الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يعودوا وليبدأ في كل ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الاغراض النفسانية والجسمانية وذلك ان هذه الدعوة منصب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى ان المراد من المذكورين في هذه الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين غضب الله له وكفى بقوله تعالى واولئك هم المفلحون اي الاختصاص بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في ان الفاسق ليس له ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لانه ليس من اهل الفلاح واجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظان الامر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح احوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق من يزني بامرأة ان يأمر عليها بالمعروف في انها كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال وايّنا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل: وغير تقي يأمر الناس بالتقى ٭ طبيب يداوي الناس وهو مريض ٭ والقران ينعى عليهم لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم يأن للرسل لم اصل لم افعل كذا لكذا اجبت داعي الله لكن انك اذ خلوت بارزته بالمعاصي لم تراقبه قوله سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في النظم وجهان احدهما انه تعالى ذكر في الايات المتقدمة انه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان اهل الكتاب حسدوا فاحتالوا لالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم جر الكلام الى انه امر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل اهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص والتاويلات الفاسدة فعلى هذا يكون الاية من تتمة الايات المتقدمة وثانيهما انه لما امر الامة بالمعروف ونهى عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة و متغلبون فلا جرم حذر اهل الحق ان يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا يكون الاية من تتمة الاية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتاكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين او تفرقوا بسبب التاويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بان حاول كل منهم نصرة قوله او تفرقوا بابدانهم بان صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بان صار كل منهم يدعي انه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان اكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد واولئك اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة او اولئك الذين اقتفوا اثارهم من مبتدعة هذه الامة لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه في تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احدهما ان ذلك العذاب في هذا اليوم والاخرى ان من حكم هذا اليوم ان يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظيره في القران وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه عليها غبرة ترهقها قترة وفي امثال هذه الالوان قولان احدهما ... سلمان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل في اللغة واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وللناس

الايمان به من رسول وكتاب وبعث وحساب وثواب وعقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على
الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عداه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن اهل الكتاب في قوله ولو آمن اهل الكتاب وانما
قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الاية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف و
تاكد القيام به ولهذا ذكر بعد قوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف فكانت العناية به اشد فكان تقديمه اهم وليعلم
ان التكميل افضل من الكمال بنفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تاخير الايمان بالله تكرير
له مرة بالتضمن واخرى بالمطابقة على ان الواو لا يفيد الترتيب وايضا اراد ان يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ان اصل الايمان مشترك فيه بين الاديان
فلا تبين فيه الخيرية لكن الاية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لان هذه الامة اقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم اتبع ذكر الايمان
بالله ليعلم ان شرط تاثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص على ان ايمان اهل
الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى ولو آمن اهل الكتاب يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر ما لا بد منه من الامور المعدودة
لكان خيرا لهم لحصلت لهم صفة الخيرية ايضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة او لحصلت لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا
هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعد من ايتاء الاجر مرتين على ما هم فيه من الاستتباع
بعض الجهلة مع العوام وشيء يأخذ من الرشى بعد ذلك خلود في النار ثم فصل اهل الكتاب على سبيل الاستيناف فقال منهم المؤمنون
كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي واصحابه فاللام للعهد والباقي واكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيقال
الكفار ويراد فيه والمراد انهم ليسوا بعدول في دينهم ايضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي ان يقتدى بهم البتة ثم اخبر بما لهم
وكان كما قال وهو آية الاعجاز بجملة مستانفة هي لن يضروكم الا اذى الا ضررا الا ايذاء واذى يقول كطعن في الدين وتهديد بالضرب
نضوا الغاء شبهة واظهار كلمة الكفر بالشرك عزير والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال اذاه يؤذيه اذى واذاة واذية والاذى نوع من الضرر
نصب انتصاب به والتقدير لن يضروكم شيئا من انواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا تبين ان الاستثناء اليس بمنقطع على ما ظن وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل يرفع ليكون نفي النصر
وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم وابشركم ان النصر والقوة منتفية
عنهم راسا فلن يستقيم لهم امر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم ابدا كانوا اعظم من الاخبار
عند القتال فان قيل هب ان اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الاية مخصوصة باليهود واسباب
النزول تدل على ذلك فكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع واهل خيبر ولعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال لم يوجد
نصراني بهذه الحالة وفي الاية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من اهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريشاتهم التاويل
اتقوا الله حق تقاته لاهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله بوجوده ولا تموتن الا و
انتم مسلمون لا بنفي وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء
بالله واعتصموا اهل الاعتصام طائفتان اهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لانه شرع الاعمال البر واهل المعنى وهم المنقطعون
عن الاسباب ومشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم وناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي
الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولانفسكم فانقذكم منها بالهداية
والايمان وتاليف القلوب كذلك مثل ما بين بانه للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم ايها الطلاب آياته وهي الجذبة الالهية
وتجلي صفات الربوبية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال واولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا
ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجوه تحشر بلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر اي يجعل ما في الضمائر على الظواهر اكفرتم بعد
ايمانكم هم ارباب الطلب السائرين الى الله انقطعوا في بادية النفس واتبعوا غول الهوى وارتدوا على اعقابهم القهقرى فذوقوا العذاب
لان الناس نيام لا يذوقون الم جراحات الانقطاع والاعراض عن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففي رحمة الله في الدنيا بالجمعية والوفاء
مع اهل الله هم فيها خالدون في الاخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه تلك الاحوال آيات الله مخصوصة نتلوها عليك
بالحق نظهرها متلبسات بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض في غير موضعهما كنتم خير امة اخرجت من العدم
الى الوجود مستعدة للقبول كالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمان التضعيف ومنها عافية مطيعهم بشوم عصاتهم وعفو
عصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زكاته ربع العشر وكلانا رحمة ومنها شكا منهم الينا وشكرمنا اليهم قبل وجودنا ولو آمن اهل
الكتاب يعني علماء السوء لن يضروكم ايها المحققون الا اذى من طريق الانكار والحسد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم
الادبار من صدق نياتكم لا ينصرون لانكم اهل الحق وحزب الله وان حزب الله هم الغالبون ضرب

عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ الْاَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوْا
بر ایشان بیسنوائی این بآنجهت است که بودند که کافر شدند بآیات خدا و میکشتند پیغمبرانرا بدون حقی این بآنجهت است که نافرمانی کردند و بودند

يَعْتَدُوْنَ لَيْسُوْا سَوَآءً مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ اُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَّتْلُوْنَ اٰيَاتِ اللّٰهِ اٰنَآءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ
درگذرندگان نیستند یکسان از اهل کتاب طائفه که گرسته ایستاده اند میخوانند آیات خدا را در دل شبها و ایشان سجود کنندگانند میگروند

بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَيَاْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَاُولٰٓئِكَ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ
بخدا و روز واپسین و میفرمایند به نیکوئی و نهی میکنند از بدی و پیشی میگیرند در خوبی و آن گروه از نیکانند

وَمَا يَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُّكْفَرُوْهُ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالْمُتَّقِيْنَ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ اَمْوَالُهُمْ وَلَآ اَوْلَادُهُمْ مِّنَ اللّٰهِ
و آنچه میکنید از خوبی پس کافر نشوید آنرا و خدا داناست باحوال پرهیزکاران بدرستی که آنها که کافر شدند بی‌نیاز نشوند از مال و نه اولاد از خدا

شَيْئًا وَاُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُوْنَ فِيْ هٰذِهِ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيْحٍ فِيْهَا
چیزی را و آن گروه یاران آتش اند ایشان در آن جاویدند مانند آنچه خرج کنند در این زندگانی دنیا چون مانند بادیست که در آن

صِرٌّ اَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ فَاَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ يَآ اَيُّهَا الَّذِيْنَ
سرما باشد که برسد بکشت گروهی که ستم کردند بنفسهای خود پس تباه کند آنرا و ستم نکرد ایشانرا خدا ولیکن خود خود را ستم کردند ای گروه آنان که

اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا بِطَانَةً مِّنْ دُوْنِكُمْ لَا يَاْلُوْنَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِيْ
گرویدید فرا مگیرید دوستی بیرون از شما که از غیر شماست که تقصیر نکنند در تباهی شما دوست دارند مشقت شما را بدرستی که آشکار شد عداوت از کلام ایشان و آنچه پنهان

صُدُوْرُهُمْ اَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيَاتِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ هَآ اَنْتُمْ اُولَآءِ تُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتَابِ
در سینه‌های ایشان بزرگتر است ظاهر کردیم برای شما آیات را اگر باشید دانشمندان آگاه باشید ای گروه دوست دارید ایشانرا و دوست ندارند شما را و ایمان آورید بکتاب

كُلِّهٖ وَاِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوْا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ
همه آن و چون بشما رسند گویند که گرویدیم و چون با هم شدند گزیدند بر شما انگشتان را از خشم بگو که بمیرید بخشم خود بدرستی که خدا داناست بآنچه

الصُّدُوْرِ اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوْا بِهَا وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ
در سینه‌هاست اگر برسد شما را خوبی بد آید ایشانرا و اگر برسد شما را بدی شاد شوند بآن و اگر صبر کنید و پرهیز کنید ضرر نرساند شما را مکر ایشان

شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ القراءة ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع مما لا تقبله وابو عمرو وطريق ابن عبدوس ما
چیزی بدرستی که خدا بآنچه میکنند محیط است

يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وحفص ابو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسوهم وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى واوقيه والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم من الضير ابو عمرو وسهل ويعقوب ابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوما ثم حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون قيل لا ووقف عليه لان ضمير ليسوا يعود اليه ضمير منهم والمؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين الذين عصوا واعتدوا احد الفريقين سواء ط يسجدون قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما عنتم ج لاحتمال كون قد بدت حالا اكبر ط تعقلون كله ج للعطف مع الحذف اي وهم لا يؤمنون بكتابكم امنا ق قد قيل والوصل اولى لان المقصود بيان تناقض حاليهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور تسوهم للابتداء بشرط اخر والوصل اجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الزمهم وابتداء شرط على المؤمنين شيئا ط محيط التفسير هذا اخبار عن مستقبلات احوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب اينما وجدوا الا معتصمين او متلبسين اي الا في حال اعتصامهم بحبل من الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية حتى يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى او وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها او ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم وباؤا بغضب من الله قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب وضربت عليهم المسكنة عن الحسن المراد بها الجزية وانما افردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم انها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال الاخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والاكناف يظهرون من انفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الاية قد مر تفسيره في البقرة الا انه سبحانه قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لا نجمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين اعني في البقرة وفي اول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة

تلك متناهية وكوا من الصدر تكون متناهية ثم بين ان اظهار هذه الاسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل في مدلولات هذه
النصائح فقال قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون من اهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولي ثم ان سياق
هذه الجمل يحتمل ان يكون على سبيل تنسق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غير مخلصين خبالا وادين عنتكم بادية بغضاؤهم واما قد بينا
فكلام مبتدأ واحسن من ذلك وابلغ ان يكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكانه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم
لا يقصرون فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودون عنتكم ثم قيل وما آية ودادة العنت فقيل قد بدت والله اعلم اما كون هذا الشق
احسن فلان الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا واما كونه ابلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب و
لتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوي بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استأنف للتحذير نمطا آخر من البيان مشتملا
على التوبيخ فقال ها انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطاء وهو قوله تحبونهم ولا يحبونكم لانكم تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو اقبح الاشياء او تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف
الدين او تحبونهم لانهم اظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر في باطنهم او تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا
يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض او تحبونهم فتفشون اليهم اسراركم في امور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون
مثل ذلك بكم او تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحوادث هذه الاعتبارات وامثالها مما
لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى ان يكون بينهما جامع فقال وتؤمنون بالكتاب كله واضمر قرينته وهو وهم لا يؤمنون
به لان ذكر احد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون
للحال واللام في الكتاب للعهد اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ثم ذكر
مضادة اخرى فقال واذا لقوكم قالوا آمنا احدثنا الدخول في الايمان واذا خلوا عضوا اي يوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل و
البنان الابهام لان هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شأنهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم
بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز اهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل انه امر النبي صلعم ان يخبرهم بان الله تعالى اتاح
ان يظهر دين الاسلام على الاديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سببا للغيظ فلا محالة تكونون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله ان الله
عليم بذات الصدور اي بمضمراتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقولة فمعنا
اخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يهلككم او تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو اخفى مما تسرونه وهو مضمرات
القلوب بسحقيا تها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني علم ما اضمره الخلائق ولم يظهروه
على السنتهم اصلا ويجوز ان لا يكون امرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون امرا بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله نصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال ان تمسسكم حسنة اي حسنة كانت من منافع الدنيا
كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء تسؤهم ساءه يسوءه نقيض سره يسره وان تصبكم سيئة ضد من
اضدادها مما عدها يفرحوا بها ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا واقول يشبه ان يكون المس اقل من الاصابة
وانه ادخل في بيان شدة العداوة وذلك لان الحسد لا ينهض بقليل من الخير الا ان يكون هناك كمال البغض والشماتة فلما نوجد اذا اصاب
العدو بلية عظمى كما قيل عند الشدائد تذهب الاحقاد لا يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين في القصتين بالخلاف دل
ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على اوامر الله تعالى وتتقوا محارمه لا يضركم كيدهم وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه
وقال ابن عباس هو العداوة شيئا من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه اشارة من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكائد الاعداء
بالصبر والتقوى ومن كان لله كان الله له وفي كلام الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك قال بعضهم اذا ما شئت
ارغام الاعادي بلا سيف تسل ولا سنان فزد في مكرماتك فهي اعدا على الاعداء من نوب الزمان ان الله بما تعملون في عداوتكم او بما
تعملون انتم من الصبر والتقوى محيط فيجازي كل احد بما هو اهله التاويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا ان تعتصموا بحبل الله
وبحبل من الناس يعني متابعة النبي صلعم وسيرته ويقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليسوا اي العلماء الربانيون والمدعون
فلن تكفروه لان من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ثم اخبر عن نفقات اهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون
في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح هي هواء الهوى فيها صر الشهوة اصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا انفسهم بابطال الاستعداد
الانساني ثم نهى اهل المحبة عن مباطنة اهل السلو من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في نكال
والاعتراض عليكم والطعن فيكم ودوا من نعيم الدنيا وشهواتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم اذ تزهدوا بما قاسيتم

آل عمران

من المجاهدات والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من افواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما يخفى صدورهم الحاسدة من الغل والحقد اكبر تحبونهم بجنبة الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القران من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور وان موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن

ع وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

وچون صبح کردی از اهل خود که جای دادی مومنانرا در جای خود از برای جهاد و خدا شنونده داناست

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ

چون قصد کردند دو طایفه از شما که متفرق شوند و خدا دوست ایشانست و بر خدای پس توکل کنند گروندگان و هر آینه یاری کرد شما را خدا در بدر و

أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ

و شما خواران بودید پس بترسید خدا را شاید که سپاس گزاری کنید چون گفتید مر مومنانرا که آیا بس نیست شما را که یاری دهد شما را پروردگار شما بسه هزار از فرشتگان

مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ

فرود آمدگان آری اگر صبر کنید و پرهیز کنید و بیایند شما از عقب ایشان که غضب کرده‌اند امداد کند شما را پروردگار شما به پنج هزار از فرشتگان نشان کرده

خ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ

و نگردانید آنرا خدا مگر مژده از برای شما و تا محکم شود دلهای شما بان و نیست یاری مگر از نزد خدای غالب استوار تا ببرد جانبی از آنها را

ع كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ وَلِلَّهِ

که کافر شدند یا آنکه سرنگون سازد ایشان پس برگردند زیانکاران نیست برتو از کار ایشان چیزی توبه پذیری بر ایشان یا که عذاب کنی ایشان را پس ایشانند ستمکاران و مر خدا راست

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة تبوئ المؤمنين بغير همز

آنچه در آسمانهاست و آنچه در زمین است میآمرزد از برای آنکه خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و خدا آمرزنده مهربانست ابو عمرو وغير شجاع وورش والاعشى

وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاى ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح اية مسومين بكسر الواو ابو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بفتح الواو الوقوف للقتال ط عليم لا لان اذ بدل من اذ غدوت ويتعلق بالوصفين او بقوله تبوئ ان تفشلا لا لان الواو للحال وليهما المؤمنون اذلة ج للفاء تشكرون منزلين ط لتمام القول بلى لا لاتحاده مع ما بعده مسومين قلوبكم به ط الحكيم لا لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ربع الجزء ظالمون وما في الارض ط من يشاء ط رحيم التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا اتبعه قوله واذ غدوت من اهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني انهم يوم احد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا امر الرسول صلعم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم اطاعوا امر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه اخر في النظم وهو ان الانكسار يوم احد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال ابو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا اي قد كان لكم مثل تلك الاية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر عن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد انه يوم الاحزاب واكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الاية نزلت في واقعة احد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وابي مسلم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلعم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلعم اني رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به صلعم حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلعم والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول الله صلعم ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة من المدينة فالوا من منزل غاية وهو المراد بقوله من اهلك عن مجاهد والواحدي انه مشى على رجليه الى احد واصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر صلعم وكان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر صلعم عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال صلعم لاصحابه اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلعم لما خالف راي عبد الله بن ابي شق عليه ذلك فقال اطاع الصبيان وعصاني ثم قال لاصحابه

وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين انفسهم او خيلهم بعلامات مخصوصة
ومن قرأ بالفتح فالمعنى ان الله سومهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول
واذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة
كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من اسمت الابل وسومتها اذا ارسلتها
للرعي فالمعنى ان الملائكة ارسلت خيولهم على الكفار لقتلهم واسرهم او ان الله تعالى ارسلهم على المشركين لتهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المرعى
وما جعله الله الضمير عائد الى المدد والامداد الدال عليه الفعل قال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى هي اسم من البشارة اي الا لتبشروا
بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل طمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا
من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على ان ايمان العبد لا يكمل الا عند
الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا
يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا اي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط
الا بعد الاخذ من الطرف كما قال اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم والكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه وفسره الائمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع نقيضه الظفر واما الياس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع
يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد نصركم او بقوله وما النصر ويحتمل ان يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا
من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه
قولان احدهما وهو الاشهر انه نزل في قصة احد عن انس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه
ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج راسه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اقواما فقال اللهم العن ابا سفيان اللهم العن الحرث بن
هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وفيه او يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء وحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب
وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما راه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لامثلن منهم بثلثين فنزلت وقيل اراد ان يلعن المسلمين الذين خالفوا امره والذين ان
هزموا فمنعه الله عنه ويروى عن ابن عباس وقيل اراد ان يستغفر للمسلمين الذين عصوا امره فنزلت قال القفال كل هذه الامور وقعت
يوم احد فلا يمتنع حمل نزول الاية على الكل القول الثاني واليه ذهب مقاتل انها نزلت في واقعة اخرى وهي ان النبي بعث جمعا من خيار الصحابة
قراء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره واخذهم وقتلهم فجزع
من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار في القنوت اربعين يوما يقول بعد ما يرفع راسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني
لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها
عليهم سنين كسني يوسف حتى انزل الله عز وجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى ان ظاهر الاية يدل على انه كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه
الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب ان المنع
من الفعل لا يدل على ان الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع انه ما اطاعهم وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك مع انه ما اشرك قط
لعله صلى الله عليه وسلم شاهد من قتل حمزة وغيره ما اورثه حزنا شديدا وكان من الممكن ان يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع
تقوية لعصمته وتاكيدا لطهارته وان سلمنا انه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل
وايضا ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به انه خلاف مسؤله وقد وقع فهو بالحقيقة سؤله ولهذا
سئل الله تعالى ان يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكوة ورحمة والله اعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصته هذه الواقعة
ومن شان هذه الحادثة شيء فاني اعلم بمصالح عبادي او المراد الامر الذي هو خلاف النهي اي ليس لك امر خلقي شيء الا ما يكون امري
وحكمي وقوله او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف اي على الامر اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم
ويجوز ان يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل وقول ما كان الا باذنه وامره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وان لا يخوض
العبد في اسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج ان قوله او يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام
الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او
يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي والمعنى ليس لك من امرهم شيء
الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتشتفي منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند اهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق
العزم فيهم على ان لا يفعلوا مثل ذلك في المستقبل واكدوا هذا الظاهر ببرهان عقلي وهو ان الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم

لبشارة بالنصر

ارادة يتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة اخرى ويتسلسل فهو اذن بخلق الله ثم
واما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف او بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم او
عصيانهم ثم اكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شئ بقوله ولله ما في السموات وما في الارض اي هما والحقايق والماهيات التي فيهما لله
فليس الحكم عنده فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان مرتكبا للكبائر الفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية
والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين كل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا ان جانب الرحمة
والمغفرة غالب لهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس في تفسير الاية يهب الذنب
الكبير خلق الله ارادة الطاعة اطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد ومعصيته ينتهي الى الله فعل الله لا يوجب على الله شيئا اما المعتزلة
فانا تشتوا في ذلك وردوا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين
للعذاب والحق ان العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان اريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان اريد غير ذلك ممنوع
والله اعلم التأويل اخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر العاشق وذلك ان يغدو في
طلب الحق والرجوع الى المبدء من اهله اي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين اي صفاته الروحانية مقاعد للقتال النفس والشيطان
والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم في الطلب اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا
يعني القلب وصفاته والروح واخلاقه والله وليهما يخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وانتم
اذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى ان نور النبي يلهم ارواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشيطان
ومجاهدة النفس ومكايد الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلثة الاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية لا بد لها كما قال
كقوله وانزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يمددكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا اي يقهر بعضا من
الصفات النفسانية التي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته او يكبتهم او يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله العزيز بحكمه من يشاء
على ما يشاء والله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار

المتعاعل ما تصفون ای زمرهٔ آنانی که گرویدید مخورید سود را افزوده تو بر تو و بپرهیزید خدا را شاید که رستگار شوید و بترسید از آتشی

التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها

که آماده شده برای کافران و پیروی کنید خدا و پیغمبر را شاید که رحم کرده شوید و بشتابید بسوی آمرزشی از جانب پروردگار و بهشتی که فراخی

كعرض السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

وسعت آسمانها و زمین است آماده شده از برای پرهیزکاران آنان که خرج کنند در خوشی و تنگدستی و فرو برندگان خشم و درگذرندگان از

الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر

مردمان و خدا دوست دارد نیکوکاران را و آنان که چون کنند کرده ناشایسته یا ستم کنند بنفسهای خود یاد کنند خدا را پس طلب آمرزش کنند مر گناهان خود را و کیست که

الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها

گناهان را بجز خدا و اصرار نکردند بر آنچه کردند و ایشان میدانند آن گروه مزدشان آمرزش است از پروردگارشان و بهشتها که رود از زیر آن

الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان

جویها جاویدان در آن و خوب است مزد کارکنان بدرستی که گذشت از پیش شما طریقها پس بگردید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده

عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون

عاقبت تکذیب کنندگان این بیانی است از برای مردم و راستی و پندیست مر پرهیزکاران را و سست مشوید و محزون مگردید و شما بلند مرتبها

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين

اگر باشید گروندگان اگر برسد شما را زخمی پس بدرستی که رسید کفار را زخمی مثل آن و این روزها است که بگردانیم در میان مردمان و تا بیازماید خدا آنان را که

امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين القراءة سارعوا

گرویدند و فرا گیرد از شما گواهان را و خدا دوست ندارد ستمکاران را و تا پاک کند خدا آنان را که گرویدند و برطرف کند کافران را بغير واو العطف ابو

جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وقبله الباقون بالفتح الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين
تفلحون ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ج لان ما بعده صفة الجنة اي جنة واسعة
معدة للمتقين لا لان الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج لان والذين يصلح مبتدأ وخبره اولئك جزاؤهم فلا وقف الى يعلمون ويصلح
معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم اولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله والذين

بهم بوجه الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم لا الابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب ان يقول الروح
لا احد يغفر الذنوب الا انت خالدين فيها ط العاملين ٥ سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالنبا المكذبين ٥ للمتقين ٥ مؤمنين ٥ مناط
بين الناس ج لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين ٥ لا للعطف على ليعلم الكافرين ٥ التفسير قال القفال
يحتمل ان يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة ان اكثر اموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربوا وكانوا ينفقون تلك الاموال
على العساكر وكان من الممكن ان يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربوا لكي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام
منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء امر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف من الارشاد الى
الاصلح في امر الدين وفي باب الجهاد وليس المراد النهي عن الربوا في حال كونه اضعافا فانما علم انه منهي عنه مطلقا وانما نهى عنه مع توبيخ بما كانوا عليه
في الغالب لعنادهم من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل وهكذا مرة بعد اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه ان اتقاء الله في هذا النهي واجب وان الفلاح يتوقف عليه فلو اكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه ان الربوا من الكبائر
لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه كون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لكن اكثر اهل النار الكفار
فغلب جانبهم كما لو قلت اعدت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من ركبها لبعض حوائجك ومثله قوله في صفة الجنة اعدت للمتقين فانه
لا يدل على انه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه ان رجاء الرحمة
موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فبهذا يتمسك به اصحاب الوعيد ان من عصى الله ورسوله في شيء من الاشياء فهو ليس اهلا للرحمة وعندهم
يحمل الآية على الزجر والتخويف سارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله اطيعوا الله كالشيء الواحد
لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به ان ظاهر الامر يوجب الفور قالوا في الكلام محذوف والتقدير سارعوا الى ما يوجب
مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليصيب المغفرة العظيمة المتناهية في العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع
الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن علي بن ابي طالب هو اداء الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود
من جميع العبادات وعن ابي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق الجهاد لانه من تمام التقوى وقال الاصم بادروا الى التوبة من
الربوا لانه ورد عقيب النهي عن الربوا ثم عطف عليها المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناه حصول الثواب ولا بد
للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين ان نفس السموات لا يكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات
لقوله في موضع آخر كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه ونظيره خالدين فيها
ما دامت السموات والارض لانها اطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد انه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون
كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من اجزاء لا تتجزى ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من
السعة لا يعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما يكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير له ملكا
فلا بد ان يكون الجنة المملوكة لكل احد مقدارها هكذا وقال ابو مسلم معناه العرض القيمة ومنه عرضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات
والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على ان المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة ادنى من الطول
واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة يكون ادون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة
كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة اي واسعة والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق
ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء واجيب بعد
تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلعم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن وروي ان رسول هرقل سأل
النبي صلعم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال النبي صلعم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله و
رسوله اعلم انه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل
وسئل انس بن مالك عن الجنة في الارض ام في السماء فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش
ثم ذكر صفات المتقين حتى يمكن للانسان عن الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء
في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة انها تصدقت بحبة عنب فكان
الغير انكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عسرهم ويسرهم بل المراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا
يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان الانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم او ساءهم بان
كان مخالفا فانه لا يتركونه وفي افتتاح بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة او لانه كان اهم في ذلك الوقت لاجل

الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه وردّ غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من اقسام الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وقال ايضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل ان يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربوا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة وقال لامثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر انه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم عليه السلام ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك ذلك مكافاة انما الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك والله يحب المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وان يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك ان من انواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس فان الجود بالنفس اقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة اخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الاخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد اعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية الكلبي ان رجلين انصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في احوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في اهله وحاجته فاقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فادبر راجعا فقال سبحان الله خنت امانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فاخبرته اهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي قد خنت اخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسئله عن ذنبك لعل الله ان يجعل لك فرجا وتوبة فاقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلوة العصر نزل جبرئيل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم اجر العاملين فقال عمر يا رسول الله اخاص هذا لهذا ام للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنو اسرائيل كانوا اكرم على الله منا كانوا اذا اذنب احدهم اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع اذنك اجدع انفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم بين انهم اكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف اي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به قيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول انسب بسبب النزول الذي رويناه وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه كان مامورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر بل ترك الاولى ذكروا الله اي وعيده او عقابه وانه سائلهم او نهيه وجلاله الموجب للخشية والحياء منه او ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلابد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواحدي ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكر الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من اداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله في المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا اثر له في ازالة الذنب انما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما انه يقتضي ايقاع العبد العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضي ان لا يزال رب ما عنه اكرمية والرحمة عنه بالذات سبقت رحمتي غضبي فجانب العفو والمغفرة ارجح ولا سيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفي كتاب مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي قال حدثني ابو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس اذنيه ضمهما الى رأسه اصر

ايضا عن النبی ما اصر من استغفر وان عاد فی الیوم سبعین مرة وروی لا کبیرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
اصروا وحرف النهی منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءنی زيد وهو راكب وارد نفی المجیء والركوب معا وذلك ان المقام مقام مدح لهم
بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهی عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر
العالم ويحتمل ان يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجری مجری قوله رفع القلم عن ثلث وعلى هذا يجوز ان يراد
الاصرار فی حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو اردت فی المثال المذكور نفی المجیء فی حال الركوب لا نفی المجیء على الاطلاق اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم
وهی اشارة الى ايصال الثواب ونعم اجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضی وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على
علمهم وذلك انه سمى الجزاء اجرا والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل ان يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا ايضا بالاية على ان
اهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب ما مر ان كون الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب ان لا
يدخلها غيرهم بفضل الله ورحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية فقال
قد خلت من قبلكم سنن واصل الخلو الانفراد والمكان الخالی هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة
الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهی فعلة بمعنى مفعول من سن الماء يسنه اذا والى صبه كانه اجراه على النهج واحد من سننت النصل احددته
او من سن الابل اذا احسن الرعی والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى فی الامم السالفة يعنی سنن الهلاك والاستيصال بدليل قوله فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم اثر وبقی عليهم اللعن فی الدنيا والعقاب
فی الاخرة هذا قول اكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله فی الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر
ولكن المؤمن بقی له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التامل فی حال احد
القسمين يكفی فی معرفة حال القسم الاخر ولان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتامل احوال امثالهم وليس المراد من قوله فسيروا
فی الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف احوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير السير فی الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد ان يقال ندب الى
السير لمشاهدة اثار الاقدمين اثرا اقوى من اثر السماع كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار هذا بيان المشار اليه
اما ان يكون جميع ما تقدم من الامر والنهی والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث
على الايمان وما يستحق به من الاجر واما ان يكون ما حثهم عليه من النظر فی سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من اثار هلاكهم
اما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضی المغايرة فقيل البيان كالجنس هو ازالة الشبهات وتحته نوعان
احدهما الكلام الذی يهدی المكلف الى ما ينبغی فی الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغی فی طريق الدين وهو الموعظة وخص
الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط
كونها موصلة الى البغية واقول ليشبه ان يكون البيان عاما لجميع المكلفين بای طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهانی
والجدلی والموعظة يراد بها الكلام الاقناعی الخطابی كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتی هی احسن وخص
المتقون بالذكر لان البيان فی حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كانه قال اذا بحثتم عن احوال القرون
الخالية علمتم ان صولة الباطل تضمحل وان العاقبة والغلبة لارباب الحق فلا تهنوا من الضعف ای لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما اصابكم يوم احد
وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وخرج وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم
يوم احد وانتم الاعلون شانا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم فی الجنة وقتلاهم فی النار او وانتم الاعلون بالحجة والعاقبة
الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفيه تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما ان يكون قيدا لقوله وانتم الاعلون ای ان
كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما ان يكون قيدا لقوله ولا تهنوا ای ان صح ايمانكم بالله بحقية هذا الدين فلا
تضعفوا لثقتكم بان الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله يوم احد فبينا هم كذلك اذ اقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبی اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فانزل
الله تعالى هذه الاية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وانتم الاعلون وقال
راشد بن سعد لما انصرف رسول الله يوم احد كئيبا حزينا جعلت المراة تجیء بزوجها وابيها وابنها مقتولين فقال رسول الله اهكذا
تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز
وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء بالفتح الجراحة بعينها وبالضم الم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا ان المفتوحة توهم انها جمع
قرحة ومعنى الاية ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبل ذلك يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فانتم اولى بان لا تفتروا ولا
تجبنوا ونظيره فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان فی يوم احد وذلك انه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف

وعشرين رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم اول النهار كما يحكي من قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المثلية في نفس
القتل والجراحة وتلك الايام موصوفا وصفة مبتدأ وخبره نداولها او تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد وان الضمير
الموصوف يكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها اهل التجارب من ابناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات
من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدم والمداولة نقل الشيء من واحد الى اخر يقال تداولته الايدي اي تناقلته
والدنيا دول اي تنتقل لما تقدم تفسيره من قوم الى اخرين لا يدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور للعدو والغم للعدو ويوم اخر بالعكس
فلا يبقى شيء من احوالها ولا يستقر اثر من اثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة واخرى فارغة وليس المراد
من هذه المداولة انه تعالى تارة ينصر المؤمنين واخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد انه تارة يشدد
المحنة على المؤمنين وذلك انه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان
حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة ان يكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة
النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه والى هذا اشير في قوله سبحانه وليعلم الله الذين امنوا وحذفنا المعطوف عليه ليذهب الوهم كل
مذهب في تقدير الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة
ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها ان يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الاية ونحوها
كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا على انه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها في تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم
ربه وتاويل الاية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان او قدرته والمراد معلومه
ومقدوره فكل اية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير في علم الله تعالى محال فمعنى الاية ليظهر معلومنا وهو المخلص
من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه يحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما علما يتعلق به الجزاء وهو ان
يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة يقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل ليعلم اولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم
على الاول العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذي يتعدى الى مفعولين والتقدير ليعلمهم مميزين
عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا
ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك
منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد والمراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة
والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر بن شميل لانهم احياء حضروا
دار الاسلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانباري لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين اي المشركين ان الشرك
لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض التعليلات
وبعض وفيه ان دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين
والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو ان يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء قال الزجاج معنى الاية انه ان حصلت
الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين اي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو اثار الكفار وهذه
مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك باهلاك انفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بالتدريج ومهل
يقطع طرفا بعضها من اطرافها التاويل لا تاكلوا الربوا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا اضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا
يملا جوف ابن ادم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص اي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون
بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم ارباب الوسائط بقوله واتقوا النار اي نار الحرص التي تورى منها نار القطيعة وجوزوا
بقدمي طاعة الله وطاعة رسوله ثم اخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات اي المسافة بين العبد بينها هذا الا ان
الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي عن عيسى انه قال لم يلج ملكوت السموات والارض
من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها والولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية
ينفقون اموالهم في السراء والضراء واحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله او ظلموا انفسهم بالتعلق
بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه ورؤيته ومن يغفر ومن يستر بكنف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية
الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون ان كل شيء ما خلا الله باطل اولئك جزاؤهم مغفرة اي هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم و
من اصناف الطاعة تجري من تحتها الانهار العناية ونعم اجر العاملين لان نيل المقصود في بذل المجهود قد خلت من قبلكم سنن امم لهم

على الكافرين واخرى

بالقناعة

ثنا

فسيروا في الارض بقوة الحيوانية بالعبور على اوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه
المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية لا تهنوا ايها السائرون في السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية و
انتم الاعلون من اهل الله ان يمسسكم في اثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح
مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما محنة ويوما منحة وليتخذ منكم شهداء ارباب المشاهد
والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى ان كل الم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه تكفير لذنوبه وما يصيب الكافر من نعمة و دولة
وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وموجب لخزيه البلاء لاهل الولاء تمحيص القلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بانوار الغيوب
ومحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات اخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه
بهشت را و هنوز خدا معلوم نکرده است آنها را که جهاد کردند از شما و معلوم نکرده است صابران را و هر آینه بودید شما که آرزو میکردید مرگ را از پیش آنکه ببینیدش
ع فقد رأيتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات او قتل انقلبتم
پس هر آینه دیدید آنرا و حال آنکه شما مینگریستید و نیست محمد مگر پیغمبری که گذشت از پیش او پیغمبران آیا پس اگر بمیرد یا کشته شود برگردید
على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت
بر پاشنهای خود و هر که برگردد بر پاشنهای خود پس ضرر نرساند خدا را چیزی و زود باشد که مزد دهد خدا شاکران را و نباشد مر نفسی را که بمیرد
الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين
مگر بفرمان خدا نوشته شده با مدت و هر که بخواهد ثواب دنیا را بدهیم او را از آن و هر که بخواهد ثواب آخرت را بدهیم او را از آن و زود باشد که جزا دهیم شاکران را
وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
و چه بسیار از پیغمبری که مبارزت کردند با او طائفهٔ بسیاری پس سست نشدند با آنچه رسید ایشان را در راه خدا و ناتوان نشدند و مستاصل نشدند و خدا
يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
دوست دارد صابران را و نبود گفتار ایشان مگر آنکه گفتند ای پروردگار ما بیامرز مارا گناهان ما را و زیاده روی ما را در کار ما و استوار کن قدمهای ما
ع وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين
و یاری ده ما را بر گروه کافران پس داد ایشان را خدا ثواب دنیا و خوبی ثواب آخرت و خدا دوست دارد نیکوکاران را ای زمره آنانکه
آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين
گرویدید اگر پیروی کنید آنانرا که کافر شدند برگردانند شما را بر پاشنهای شما پس برگردید زیانکاران بلکه خدا صاحب اختیار شما و او بهترین یاری دهندگان
القراءات رايتموه بغير همزة يعني بالياء ونحوه راوك وراه روى هبة الله بن جعفر عن الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرد ثواب
ونابه مدغما ابو عمرو وشامي وابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير
ويزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب على بغير نون في الوقف وكاي الباقون وكاين قتل ابو عمرو
وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل الوقوف الصابرين تلقوه ص لطول الكلام الرسول ج لان ما بعده
يصلح صفة واستئنافا الرسل ط اعقابكم ط لانتهاء الاستفهام شيئا ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف
منها الشاكرين قتال ط ليكون قتل النبي صلى الله عليه وسلم الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس الا ان محمدا قد قتل و
التقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله ان لا يقف كثير لابتداء النفي مع فاء التعقيب استكانوا
الصابرين الكافرين الآخرة المحسنين خاسرين مولاكم ج الناصرين التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها اتبعها
ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى
لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم
كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة احدهما مقام الآخر تقول ما علم الله في فلان خيرا اي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل
الكلام لا تحسبوا ان تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وبعد انما انكر هذا الحسبان لانه تعالى اوجب الجهاد قبل هذه الواقعة واوجب الصبر على تحمل متاعبها
وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد ان يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال
مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تاكل السمك وتشرب اللبن كانه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة
على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من اقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو
الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير احسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان يعلم الصابرين وجاهدوا وهو ان يكون مجروما

بفتح

ايضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا ان يراد ولما يعلمن الله بفتح
الميم الا ان يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كانه
قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الخطاب فيه للذين الحوا على رسول الله صلعم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة
بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين اياهم كفر ولا
يجوز للمؤمن ان يتمنى الكفر او يريده او يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك بمن شرب دواء
الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا
من اراد شيئا اراد ما هو من لوازمه ثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا ريب انه تعالى اراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين
ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فاراد صيرورتهم شهداء الا اذا قتلهم الكفار فلا بد ان يريد ان يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر
ومعصية فثبت انه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة
مقاساته فقد رأيتموه وانتم تنظرون قال الزجاج اي فانتم بصراء كقولهم رأيته بعيني اي رأيتموه معاينين حين قتل بين ايديكم من قتل
من اخوانكم وشارفتم ان تقتلوا ويحتمل ان يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم انتم تنظرون اليهم
من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن
عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلعم بالشعب امر الرماة ان يلزموا اصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الامر لهم او عليهم فلما وقفوا وحملوا
على الكفار هزموهم وقتل علي رضي الله عنه طلحة بن ابي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلعم مع اصحابه فهزموا
ابا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق
الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلعم بحجر وكسر رباعيته وشج
وجهه واقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله ابن قمية واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول
الله ودافع عنه ابو بكر وعلي رضي الله عنهما وظن ابن قمية انه قتل رسول الله صلعم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ
الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلعم فانكفأوا وجعل رسول الله صلعم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على
هربهم فقالوا يا رسول الله صلعم فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فانزلت وما محمد الا رسول اي مرسل قال
ابو علي وقد يكون في غير هذا الموضع بمعنى الرسالة اي حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام قد خلت من قبله الرسل
فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا انتم كذلك لان الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة
لا وجودهم بين اممهم ابدا افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التي قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه
في الحقيقة كانه دخل عليه والمعنى افتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين احدهما ان الحاجة الى
الرسول هي التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله او موته الارتداد عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس
على موت سائر الانبياء وقتلهم فان موسى عم مات فلم يرجع امته عن ذلك الدين والنصارى زعموا ان عيسى عم قتل وهم لم يرجعوا عن
دينه وانما ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم انه متقدم في النزول
فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على انه ليس نصا في العصمة على القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت
يراد به المفارقة الى الآخرة باي طريق كان بدليل قوله وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن ان يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف
على صدق جزئيها فان قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين مع كذب جزئيها ومعناه وهو الترديد في التشكيك اي سواء فرض
وقوع الموت والقتل فلا تأثير له في ضعف الدين ووجوب الادبار والارتداد ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بل لا يضر الا
نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذي تأتي به من الافعال لا يضر السماء والارض يريد انه يعود ضرره عليه وما ارتد
احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف
عن رسول الله صلعم روي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين
لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون
بالحيوة بعد رسول الله صلعم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك
مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل
فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم وفي امثالهم قال تعالى وسيجزي الله الشاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر
والثبات ثم قال وما كان لنفس ان تموت ووجه النظم ان المنافقين ارجفوا ان محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الاديان فابطل توهم

بان القتل مثل الموت فى انه لا يحصل الا فى الوقت المقدر وكما انه لو مات فى بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا لو قتل وفيه تحريض المؤمنين
على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يغنى عن القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك والغرض بيان حفظه
وكلائه لنبيه فانه ما بقى فى تلك الواقعة سبب من اسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا انه تعالى لما كان حافظ النبيه ولم يقدر فى ذلك
الوقت اجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لاصحابه انهم قد قصروا فى الذب عنه وجواب عما قال المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الاخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء
الله وقدره فانه لا يحدث شئ الا بمشية الله وارادته فاورد الكلام على سبيل التمثيل كانه فعل لا ينبغى لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله
فيه وذلك ان اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل وقال ابو مسلم الاذن هو الامر والمعنى انه تعالى يامر ملك الموت
بقبض الارواح فلا يموت احد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحيوة احد الا الله وقيل التخلية
والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس ان تموت بالقتل الا باذن يخلى الله بين القاتل والمقتول وفيه انه تعالى لا يخلى
بين نبيه وبين احد ليقتله ولكن جعل من بين يديه ومن خلفه رصدا ليبلغ ما ارسل به فلا تهنوا فى غزواتكم بعد ذلك
بارجاف من رجف قيل الاذن العلم اى لن يموت نفس الا فى الوقت الذى علم الله موتها فيه وفى الاية دليل على ان المقتول ميت باجله
وان تغير الآجال ممتنع ولذا اكد هذا المعنى بقوله كتابا مؤجلا وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه لان كاسفاى كتب الموت كتابا
مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذى كتب فيه جميع الحوادث
من الخلق والخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضى الاجل والرزق مضافان الى الله تعالى واما الكفر والفسق والايمان و
الطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج العبد من ان يكون مذموما او ممدوحا
والجواب انه هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال ان ياتى هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر
على الايمان فما معنى اختياره ثم انه كان فى الذين حضروا يوم احد من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة كما اخبر الله تعالى فى هذه السورة فقوله
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اى من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوى وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقى الاية مدح للفريق الاخروى
وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثانى هو المعتد به فى الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله وسنجزى الشاكرين
فابهم الجزاء واضافه الى نفسه تنبيها على ان جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه ويقصر عنه العبارة وانما كان بالتوقيف
يعلم فضله وجسيم طوله وهذه الاية وان وردت فى الجهاد لكنها عامة فى جميع الاعمال بالنيات وذلك لان المؤثر فى جانب الثواب والعقاب
القصود والدواعى فمن وضع الجبهة على الارض فى الوقت ظهر الشمس امامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد
تعظيم الشمس كان من الكفر وكأين الاكثرون على انها فى الاصل مركبة من كاف التشبيه واى التى هى فى غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما
ان كذا مركب من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا فى كون المجرورين مبهمين عند السامع الا ان فى ذا اشارة فى الاصل الى
ما فى ذهن المتكلم بخلاف اى فانه للعدد المبهم وتمييزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من فى تمييز كأين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا و
كأين فى الاصل عن الكاف لا عن ذا واى كما فى مثل زيد رجلا لانك تبين فى كذا رجلا وكأين رجلا ان مثل العدد المبهم من اى جنس هو ولم تبين العدد
المبهم فى الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادى وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كانه اسم مبنى على السكون
آخره نون ساكنة كما فى من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع ان التنوين لا صورة لها خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل
كائن مثل كاعن وهو الظاهر بعضهم انه اسم فاعل من كان ولكنه بنى لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان وبهما قرئ فيها
وفيه لغات اخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها لعلك تجدها فى كتبنا الادبية ومحل كأين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل
او قاتل خبره والضمير يعود الى لفظ كأين فانه مفرد للفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف والجماعات الكثيرة الواحد ربى عن
الفراء والزجاج قال ابن قتيبة اصله من الربوة الجماعة فحذف الهاء فى النسبة ويقال تربوا اى تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة و
الولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم فى دهرى والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الاية ان كثيرا من الانبياء قتلوا
والذين بقوا بعدهم ما وهنوا فى دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغى ان يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود
من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء ليقتدى هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبى قاتل معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم
قروح فما وهنوا لان هذا يكون الغرض من الاية ترغيب الذين كانوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى القتال وربما تؤيد هذه القراءة بما روى عن سعيد بن
جبير انه قال ما سمعنا بنبى قتل فى القتال ويحتمل ان ينزل القراءة الاولى على هذا لا ان يقال المعنى وكأين من نبى قتل ممن
كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى
مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا ولا بد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبى وما ضعفوا عن الجهاد بعده

فاقيم القابل مقام الفاعل ۱۲

كما فى اكثر الاعمال ۱۲

وما استكانوا للعدى اي لم يخضعوا لهم وفيه تعريض بما اصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك
عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان وقيل الوهن استيلاء
الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف
يلحق القلب والضعف مطلق الاختلال في القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن
لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح اي ببعيد بمعنى منتزح والاصح انه استفعل من كان والمد قياسي كأن صاحبه
تغير كونه الى كون اي من حال الى حال والله يحب الصابرين بان يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم اخبر انهم كانوا مستعينين عند ذلك
بالصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض ان يقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه
على عدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله بالالتجاء اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار
لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهر امارات استيلاء الاعداء دل ذلك على
صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة اقرب
الى الاستجابة ثم انهم عموا الذنوب الا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في امرنا
لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد
بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث احوال سماوية او ارضية توجب انهزامهم كهبوب
ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الاية تأديب وارشاد من الله تعالى في كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان
او غيره فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر وثواب الآخرة هو الجنة وما فيها من المنافع و
اللذات وذلك غير حاصل في الحال والمراد انه حكم لهم بحصولها في الآخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول او المراد انه سيؤتيهم مثل اتى امر الله اي
سيأتي فقال الماضي ولا يمتنع ان يكون الاية مختصة بالشهداء وانهم في الجنة عند ربهم كما قال احياء وثواب الآخرة كله حسن فلذلك
خص ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل ان
يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية في الجود ونهاية في العدل
وههنا نكتة وهي انه ادخل من التبعيضية في الاية المتقدمة في قوله نؤته منها في الموضعين ولم يذكر في هذه الاية لان اولئك اشتغلوا بالثواب عن
العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا انفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا
بالكل وفيه تنبيه على ان من اقبل على خدمة الله اقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال والله يحب المحسنين والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه
وههنا سر هو انه تعالى وفقهم للطاعة ثم اثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد ان الكل بعنايته وفضله يا ايها الذين آمنوا
ان تطيعوا الذين كفروا عن السدي المراد بالذين كفروا هو ابو سفيان واصحابه فانه كان كبير القوم في ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم
وتستأمنوهم وعن علي هم المنافقون عبد الله بن ابي واشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن
الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة في الدين ولاسيما عند هذه الواقعة كانوا يقولون لو كان نبيا حقا
لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب انه عام في جميع الكفار فان خصوص
السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين ان لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم
وهو المراد بقوله يردوكم على اعقابكم اي الى الكفر بعد الايمان فتنقلبوا خاسرين في الدنيا وهو استبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام
والانقياد للاعداء الذي هو اشق الاشياء لدى العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله
مولاكم ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى انكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا
خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون ويعلم ان الله لا ينفعون ولا يضرون وهو خير الناصرين لانه لو فرض ان لاحد سواه قدرة
على النصرة لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات بنصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلل لان نصرة غيره لو فرض
فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات لغرض من الاغراض الفاسدة كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه التأويل
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ان تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب
على وفق الشريعة وقانون الطريقة ليتجلى الارواح بانوار الحقيقة ولقد كنتم يا ارباب الصدق واصحاب الطلب تمنون الموت لنفوس
عن صفاتها ان زكيتها من قبل ان تلقوه بالمجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا
وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وانتم تنظرون لا تقدمون ارواحكم ولا تجاهدون حق جهاد
في الله بارواحكم واشباحكم افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فيه ان الايمان التقليدي لا اعتبار له فينقلب المقلد عن ايمانه

نعدام المقلد من الوالدین او الاسناد وکذا عند موت المقلد فیتحیر عند سوال الملکین فی قولهما له من ربک فیقول هٰا هٰا لا ادری فیقولان
زماطی تقول فی هذا الرجل فیقول هٰا لا ادری کنت اقول فیه ما قال الناس فیقولان لا دریت ولا تلیت وسیجزی الله بالایمان بالایمان الحقیقی
الشاکرین الذین شکروا نعمة الایمان التقلیدی باداء حقوقه وهو الایتمار باوامر الشرع والانتهاء عن نواهیه وما کان لنفس ان تموت عن
اوصافها الدنیة واخلاقها الردیة وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفیق الله وجذبة واشراق نوره کما ان ظلمة اللیل لا ینتهی الا باشراق طلوع الشمس
ثم اثبت للعبد کسبا فی طلب الهدایة واستجلاب العنایة بقوله ومن یرد ثواب الدنیا نؤته منها وهذه رتبة الخواص ای من عمل شوقا الی الحق
وفقدا ای نعمة وجود المنعم فثوابه نقد فی الدنیا لانه حاضر لا غیبة له وهو معنی قولهم الصوفی ابن الوقت وفیه انشد خلیلی هل ابصرتما او
سمعتما باکرم من مولی تمشی الی عبده الی زائر من غیر وعد فقال لی لانا اصونک عن تعذیب قلبک بالوعد ومن عمل شوقا الی الجنة فنظره
علی النعم فثوابه فی الاخرة وسیجزی الله الشاکرین ای کلا الفریقین علی قدر شکرهما وکاین من نبی قاتل ای کم العدد الذی بین جنبیه
ومعه ربیون متخلقون باخلاق الرب فما وهنوا لما اصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا فی طلب الحق وما استکانوا باحمال الذلة
والالتفات الی ان تطیعوا الذین کفروا ای النفوس الکافرة **سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ**

وصفاتها یردوکم الی اسفل سافلین بشریتکم وهیمنتکم

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى

أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ثُمَّ أَنْزَلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ

لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ فَبِمَا رَحْمَةٍ

مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ

مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ القراءة الرعب بضمتین حیث کان ابن عامر وعلی ویزید وسهل ویعقوب انبأ نون بسکون

پس از ان و بر خدای پس توکل کنند مومنان — العین وما وٰیهم وبابه بغیر همز ابو عمرو غیر شجاع ویزید والاعشی والاصفهانی عن ورش وحمزة

فی الوقف

في الوقف ﴿ولقد صدقكم﴾ وبابه بادغام الدال في الصاد حمزة وعلي وخلف وابو عمرو وهشام وسهل ﴿يغشى﴾ بتاء التأنيث وبالامالة حمزة وعلي
وخلف الباقون بياء الغيبة ﴿كله﴾ بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب ﴿بصير﴾ بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلي وخلف حمزة الباقون
بالخطاب ﴿متم﴾ و﴿متنا﴾ بكسر الميم من مات يمات حيث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفص الا ههنا للجوار ﴿قتلتم﴾ الباقون بضم
الميم من مات يموت ﴿يجمعون﴾ بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب الوقوف ﴿سلطانا﴾ ج لعطف المختلفين ﴿النار﴾ ط
﴿الظالمين﴾ ﴿باذنه﴾ ج لان حتى يحتمل انتهاء الحسن ووجه الابتداء اظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب اي اذا فشلتم وفشلتم انقلب الامر
﴿ومنعكم﴾ نصره والوقف على ﴿تحبون﴾ ثم في الوجهين ﴿الآخرة﴾ ج لان ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ﴿ليبتليكم﴾ ج
﴿عفا عنكم﴾ ط ﴿المؤمنين﴾ ﴿اصابكم﴾ ط ﴿تعملون﴾ ﴿طائفة منكم﴾ لا لان الواو للحال ﴿الجاهلية﴾ ط ﴿من شيء﴾ ط ﴿لله﴾ ط ﴿يبدون لك﴾ ط ﴿ههنا﴾ ط ﴿مضاجعهم﴾ ج
لان الواو مقحمة او عاطفة على محذوف اي ليبتلى الله حكمه فيكم وليبتلي ما في قلوبكم ﴿الصدور﴾ ﴿الجمعان﴾ لا لان ما بعده خبر ﴿كسبوا﴾ لاحتمال الواو حالا
واستينافا ﴿عنهم﴾ ط ﴿حليم﴾ ﴿وما قتلوا﴾ ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم او بمحذوف اي ذلك ليجعل ﴿قلوبهم﴾ ط ﴿ويميت﴾ ط ﴿بصير﴾
﴿يجمعون﴾ ﴿تحشرون﴾ ﴿لنت لهم﴾ ج لان الواو للعطف ولو للشرط ﴿من حولك﴾ ص للوصل اولى لعطف لا مع لم الرحمة على النهي عن الغلظة ﴿في
الامر﴾ ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية ﴿على الله﴾ ط ﴿المتوكلين﴾ ﴿لكم﴾ ج لابتداء شرط آخر مع الواو ﴿من بعده﴾ ط ﴿المؤمنون﴾ ه التفسير ثم انه ذكر في
هذه الآيات وجوها كثيرة في باب الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا اشد ... من
اسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم احد او هو عام في جميع الاوقات الاظهر الثاني كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة
في يوم احد الا انا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله ﷺ نصرت بالرعب مسيرة شهر
وذهب كثير من المفسرين الى انه مختص بيوم احد لما روي في سبب نزول القصة قال السدي لما ارتحل ابو سفيان والمشركون يوم احد متوجهين
الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا
فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا ومنهم من غير سبب روي ان ابا سفيان صعد الجبل يوم احد
وقال اين ابن ابي كبشة يعني رسول الله ﷺ اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فاجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذي يملأ
القلب من رعبت الحوض ملأته ومنه سيل راعب اي ملأ الاودية والانهار والقاء الرعب في قلوبهم لا يقتضي القاء جميع انواعه فيها وانما يقتضي وقوع
هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله في قلوب الذين كفروا يقتضي وقوع الرعب في قلوب جميع الكفرة وهذا هو
الواقع لانه لا احد يخالف دين الاسلام الا وفي قلبه خوف من المسلمين وهيبة اما في الحرب واما في المحاجة وقيل انه مخصوص باولئك الكفار بما اشركوا
اي بسبب اشراكهم بالله وفيه حجة معقولة هو ان الدعاء انما يصير في محل الاجابة عند الاضطرار كما قال امن يجيب المضطر اذا دعاه و
اعتقاد ان لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرني فذاك الآخر ينصرني فلا تحصل له الاجابة فيلزمهم
الرعب والخوف هذا على تقدير ان معبودهم يصح منهم الاجابة فكيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل
الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالي سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كانه يقوى
به الضوء قال الجوهري السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد ان هناك حجة الا انها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه
حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته
ومنهم من بالغ فيقول ما لا دليل عليه يجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على نفي الشريك فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج
المحدثات اليه ويكفي في دفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته اقول هذا اذا استند الثاني بعد
الدليل على وجود الشريك على نفيه اما اذا استند الثاني بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل
على نفي الشريك ثم لما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم اتبعه حالهم في الآخرة فقال ومأواهم اي المكان الذي يأوون اليه النار
وبئس مثوى الظالمين مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا اقام به ثم اكد وعد القاء الرعب بقوله ولقد صدقكم الله وعده
اذ تحسونهم تستأصلونهم قتلا قال اصحاب الاشتقاق حسه اي قتله لانه ابطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا اصاب بطنه ورأسه
اذا اصاب رأسه باذنه بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد انه ﷺ رأى في المنام انه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين
يوم احد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكر من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الا ان
هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو ان الرسول ﷺ قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم
فيه فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم
وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت حتى اذا فشلتم وتنازعتم وعصيتم قال بعض العلماء
هذا الوعد بشرط فلهذا لم يحصل الجواب المعنى فلقد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل الا ان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر قال ان

انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه احدها قال البصريون انه محذوف كما في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال
الكوفيون جوابه عصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع اخرجهم من المكان الذي عينهم
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال ابو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع ان الرماة لما انهزم
المشركون ورأتهم يصعد الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخيلهن قالوا الغنيمة وقال عبد الله بن جبير امير الرماة عهد الينا
ان لا نبرح هذا المكان فابوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى ان قتلهم المشركون وقوله في الامر ان يكون
بمعنى الشان والقصة اي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشان وبمعنى الامر الذي يضاده النهي اي تنازعتم فيما امركم الرسول به وعصيتم بترك
ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية لانهم فشلوا في انفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في
انا نذهب في طلب الغنيمة ام لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض
اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله من بعد ما اراكم ما تحبون التنبيه على عظم شان المعصية لانهم
لما شاهدوا ان الله اكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم ان يمتنعوا عن المعصية فلما اقدموا عليها سلبهم ذلك الاكرام واذاقهم وبال
امرهم قوله ثم صرفكم عنهم قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف انه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحال الريح دبورا وكانت صباحتى وقعت الهزيمة
على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال لان من مذهبهم ان الخير والشر بارادة الله وتخليقه واما المعتزلة فلم
يرضوا بهذا التفسير قالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد اضافها الى الشيطان في قوله انما
انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وايضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة
على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تاويل الاية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان اولا
لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هنالك الى ان احاط بهم العدو وعلموا انهم لو استمروا على المكث هنالك لقتلهم العدو من غير فائدة اصلا فلهذا السبب
جاز لهم ان يتنحوا عن ذلك الموضع يتحرزون فيه عن العدو الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من اصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف
جائزا اضافه الله الى نفسه بمعنى انه كان بامره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد انه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه امرهم هنالك بالجهاد
والذب عن بقية المسلمين ولا شك ان الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد ان شاهدوا في تلك المعركة قتل اقاربهم واحبابهم من اعظم
انواع الابتلاء فاذن الاية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وبسبب
العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان امر رسول الله وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بان لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم
بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال ابو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف انه تعالى ازال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين
عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ثم معنى الابتلاء انه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه امره ثم اعلمهم انه قد عفا عنهم قال
القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح ان يصف نفسه بالعفو عنهم من
غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن اهلا للعفو وقالت الاشاعرة
لا شك ان ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام ولقتل
جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الاية يدل على انه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الاية دليلا على انه قد يعفو عن
اصحاب الكبائر والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كان الدولة لهم او عليهم
لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة وقد يستدل بالاية على ان صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة
من انه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه اذ تصعدون اما منصوب باضمار واذكروا واما ان يتعلق بما قبله اي عفا عنكم اذ تصعدون لان
ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب تنزهوا او المعنى ليبتليكم اذ تصعدون او ثم صرفكم حين اصعاد كم
والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال ابو معاذ النحوي كل شيء له اسفل واعلى كالوادي والنهر والازقة فقال فيه اصعد اذا اخذ
من اسفله الى اعلاه واما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد ولا تلوون على احد لا تلتفتون اليه واصله ان المعرج على الشيء يلوي
اليه عنقه وعنان دابته والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى
يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل انه كان يدعوهم الى محاربة العدو في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى لان القوم بسبب الهزيمة قد
تقدموه وبقي هو صلى الله عليه وسلم في الجماعة المتاخرة يقال جئت في اخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى
فاثابكم قال في الكشاف انه عطف على صرفكم واقول لا يبعد ان يعطف على تصعدون لانه بمعنى اصعدتم بدليل ان يقال ثاب اليه اي
رجع والمراة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان او شرا الا ان العرف خصه
بالخير فان حملنا لفظ الاية على اصل اللغة استقام بلا تاويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك

السيف تحيتك الضرب اي جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكان الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء
في بغم يحتمل ان يكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل ان يكون بمعنى المصاحبة اما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم
لما اذقتم الرسول غما بسبب عصيانكم امره اذاقكم الله غم الانهزام وقيل الاحتساب والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد
غم يوم احد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من
كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغير ذلك غمه ما نزل بكم من قتل الاعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها واما
الاحتمال الثاني ففيه وجهان احدهما ان يكون هناك غمان الاول ما اصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة او
الاول غم فوت الغنائم والثاني ان ابا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما او الاول هذا والثاني
خوفهم من رجوع المشركين واستيصال المسلمين او الاول ما اصابهم في انفسهم واموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول او الاول
خوف عقاب والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعزم على المحاربة واذا امروا بالمعاودة بعد القتل والذلة فان نفعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل
خاف الكفر وعقوبة الاخرة وثانيهما ان يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في سلكها
ثم اللام في قوله لكيلا تحزنوا يحتمل ان يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما ان يتعلق بقوله فاثابكم فيكون
المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب
من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف امر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم احد في مقابلة
ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعلى عوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم
من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شيء واما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه اسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمضار
وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم انه يخلق الله فلغاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية
ولكن الغرض ان لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول
فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما اصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى
كما في قول الزجاج او المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان وامتثلنا وقعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم امر الرسول طلبتم الغنيمة
وقعتم في غموم اخر كل واحد منها اعظم مرات فيصير هذا مانعا لهم من ان يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة اخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية
بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر اخروي فقال والله خبير بما تعملون عالم بجميع اعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم ان
الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بحقيقة هذا الدين وان هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستيصال والاخبار
الصادق ان هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا واراد هؤلاء بقوله
يغشى طائفة منكم والامنة مصدر كالامن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في اوائل النوم وانتصاب منه على انها
حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا رجلا او مفعول له بمعنى نعستم امنة او على انه حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع امن
كبار وبررة او على انه مفعول انزل ونعاسا بدل منه قال ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت جحفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا
النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال
امنة والنعاس في الصلوة من الشيطان وذلك انه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلوة
الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها ان شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة
لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها ان الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس
يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم عن مشاهدة قتل الاعزة والاحبة ومنها ان الاعداء كانوا حراصا منهمكين في قتلهم فبقاؤهم
سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من ادل الدلائل على حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم ان ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية
الامن وهذا صرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة مع ان فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم ان من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى
النعاس وينصره كونه اقرب وكون المبدل في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب يقول غشيه النعاس
وقلما يقولون غشيه الامن ولان النعاس والامنة لما كانا شيئا واحدا كان التذكير اولى واما الفريق الثاني فهم المنافقون
الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن ابي ومعتب بن قشير ونظرائهم فاخبر عنهم بقوله
وطائفة قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين المهم الامر الشديد يقال اهمني ذلك الامر اي اقلقني
احزنني فالمعنى اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم والاشجان فهم في التشاكي والتشاكي والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء و

واستغرقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان احب الاشياء عندهم هو النفس كانت شدة الخوف على النفس هناك موجودة وللدفع لذلك هو
الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن همهم هنالك الا هم انفسهم يظنون بالله غير الحق وهو في حكم المصدر اي غير الظن الحق الذي يجب ان
يظن به وظن الجاهلية بدل منه والفائدة في هذا الترتيب ان غير الحق اديان كثيرة واردأها مقالات اهل الجاهلية فذكر اولا انهم يظنون بالله
ظنا باطلا ثم بين انهم اختاروا من الاديان اردأها كما يقال فلان دين ليس بحق دين الملاحدة او ظن الجاهلية مصدر غير الحق تاكيدا لغير الحق
كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما اضيف للاختصاص اي الظن المختص بالملة الجاهلية
وهي زمان الفترة قبل الاسلام او اريد ظن اهل الجاهلية وهم اهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك
الظن انه هو انهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول
النبي ان الله يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو انهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد اما عند اهل
السنة فلانه تعالى فاعل ما يشاء ولا اعتراض لاحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب ان يشرفه من يعتبر المصالح في افعاله واحكامه فلا باخرى واما عند اهـ
يبعد ان يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر
الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز
الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله اعلم يقولون هل لنا من الامر من شيء حكاية شبهة تمسك
بها اهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها احدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون راي عبد الله بن ابي
وان النبي لم يقبل قوله حين امره ان يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى عنه لو اطاعونا ما قتلوا وثانيها ان من عادة العرب
انه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر هل لنا من الشيء الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شيء وثالثها الطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تثبيت المسلمين على التشكك في الجهاد فامر الله تعالى ان يجيب عنها بقوله قل ان الامر
والحوادث باسرها مستندة الى قضاء الله وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك
واذا اراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين على الاديان وقع لا محالة يخفون في انفسهم في ضمائرهم او فيما بينهم ما لا يبدون لك وذلك
المخفي قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل
في هذه المعركة فامر الله تعالى نبيه ان يجيبهم بقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وهي مصارعهم التي قتلوا
فيها لان ما في الكتاب واللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم
تتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على ان البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله وليبتلي الله ما في صدوركم
وليمحص ما في قلوبكم فخص الابتلاء بما في الصدر والتمحيص بما في القلوب لاختلاف العبارة واما لان الابتلاء محله القلب الذي
في الصدر والتمحيص مورده الشبهات والعقائد التي في القلب واعلم ان نسق هذه الآية انيق ونظمه عجيب اما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وقد اهمتهم
صفته ويظنون خبره ويحتمل ان يكون خبره محذوفا اي وثمة او ومنهم طائفة قد اهمتهم ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى اهمتهم انفسهم
ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون او بيان وانما صح وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار
بالظن لان سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع
فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان ومن قرأ بالنصب فلكونه تاكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر اجمع لله وقوله يقولون استئناف
وقوله وليبتلي تقدم ذكره في لو توقف واما نظمه فانه لما اخبر عن هذه الطائفة بانهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بانهم يقولون
هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا في حقية هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء و
القدر فازال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك
مظنة ان يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين اراد ان يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال
يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك اي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة وكان للسائل ان يسأل ما الذي يخفونه في انفسهم فقيل
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقد مر تفسيره ويحتمل ان يراد لو كان لنا راي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل
ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الامر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي وذاك يقول
والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء امن وان شاء كفر فامر النبي ان يجيب عن هذه الاعتقادات
بان ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو ان يتميز الموافق من عن المنافق
المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال والله عليم
بذات الصدور صاحبتها وهي الاسرار والضمائر ليعلم ان ابتلاءه ليس لانه لا يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية او للاستصلاح

نؤثر

قوله عز من قائل إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ يوم احد ذكر محمد بن اسحق ان ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان اولهم سعد بن عثمان اخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال دخلوا على نسائهم فجعل النساء يقلن اعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هناك المغزل غزلي قال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل وقال القفال الذي يدل عليه الاخبار في الجملة ان نفرا قليلا تولوا وابعدوا فانهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب واما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا انه لم يكن في اوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى ان صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم ايضا عثمان انهزم هو مع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلثة ايام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة واما الذين ثبتوا مع الرسول فكانوا اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ابو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله وابو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب بن المنذر وابو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف واسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر ان ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار ابو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم احد وروي ان ابن عتيبة انه اصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلثين كلهم يجيء ويجثوا بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَانُ تقول للشيء يا فلان ان زل دليلا ازاول في دين او منطق الاسم الزلة واستزله غيره كانه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى انه كان قد حصل عنهم خيانات فبواسطة تلك الخيانات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين فيه وقيل انهم لما اذنبوا بسبب مفارقة المركز اوقعهم الشيطان بشوم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشومها قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة ويكون لطفا فيها وانما قال بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا لان الكسب قد يكون كقوله لها ما كسبت او لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل ان يكون الباء بمعنى في اي السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان في بعض الاعمال اما قبل هذه الغزوة واما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التائيد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولي وانما يكون عملا آخر اما في هذه الغزوة او قبلها وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ فيه بيان انهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقي البحث في ان اي ذنب هو والظاهر انه التولي لان التوبيخ وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر او من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكن ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة في الآية قال القاضي الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا ان الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص حيث عفي عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار فعلم ان العفو عن الكبائر واقع من غير شرط ثم ندب المؤمنين الى ما يزيد عنهم في الجهاد فقال يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافقي يوم احد كعبد الله بن ابي واصحابه فيه دليل على ان الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ مثل قال ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وذلك انهم قالوا لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب ان لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا اقارب المنافقين وكانوا مسلمين او اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان او بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا الى المشاكل في المتن قوله وقالوا للانذار وحكاية الحال الماضية والمعنى ان اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن حكى عنهم بعد ذلك لا بد ان يقول قالوا ويجوز ان يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل اتى امر الله فيه دلالة على ان جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن اولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال ابن الحاجب في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وانما السلام

اى فى حق اخوانهم

في قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا اي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله ذلك الكلام حسرة فيكون
لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف تستعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان اقارب
ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا انهم لو بالغوا في منعه عن ذلك السفر والغزو لم يمت ولم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم
بسبب انهم قصروا في منعه بخلاف المسلم المعتقد ان الحيوة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شيء من هذا النوع من الاسف
وقيل لانهم اذا القوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون في الجهاد غنيمة بقي اولئك المتخلفون في الخيبة والندامة
وقيل المراد حسرتهم يوم القيمة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعدما اعلم الله المؤمنين بطلانها
وقيل الغرض ان جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات يعمي قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك في الحيرة والحسرة الوجه الثاني ان يتعلق
اللام بقوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم
فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لمقالتهم وجواب عن مقالتهم اي الامر بيده والخلق له فقد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف ان يتلقى اوامره بالامتثال فالله اعلم بحقيقة الاحوال لا يجري الامور الا على وفق قضائه
واحكامه ونقضه وابرامه كل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت
كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء وفي امثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان علي يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف
ضربة بالسيف اهون من موت على فراش ويجوز ان يكون المراد والله يحيي قلوب اوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب اعدائه
بظلمة الشك والخذلان والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالظاهر للذين كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما اكد
الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه سبب للتقاعد عن الجهاد وتنفر الطبع
عنه رغبهم فيه بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فاللام الاولى هي الموطئة
والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا في الآية الاخرى والمعنى ان القتل والموت في السفر وغيره لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا
بالسفر ولئن سلم انه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وانها لتلك خير مما يجمعون من الدنيا وما فيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا او ورد على حسب معتقدهم ان اموالهم خير لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذي يجمع لاجل الغد
قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في الغد فكم من مصبح اسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعله
مانعا من مرض او خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير
صفائها عن الشوائب فلا بد لها من الزوال او الانقطاع ومنافع الآخرة اصفى واضفى وابقى وانقى ولا سيما منافعها العقلية واي نسبة
لانتفاع الحمار بلذة قبقبه وذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين باشراق انوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال ولئن متم او قتلتم
لالى الله تحشرون كانه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت والقتل بقيتم اياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية و
الخيالية ثم تتركونها لا محالة فيكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو اعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم
الى اعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الآية الاولى وعكس في الثانية ليقع الابتداء والختم على ما هو افضل
اولان الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل في سبيله فقدم ما هو الاغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا
وهو القتل والثانية سيقت لبيان ان حشر الخلائق كلهم اليه باي وجه يفارقون الدنيا ولا شك ان الغالب على احوال الخلق كلهم
الموت فلهذا السر اطلق القتل اطلاقا ليعم انواع القتل كلها وفي قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر
وانهم لا يحشرون الى غيره وانه لا حكم لاحد في ذلك اليوم الا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على
اللطف اعظم انواع الوعد ولدلالته على كمال القهر اشد انواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمي في الحرف المتصل باسم الله تنبيها على
ان الالهية تقتضي هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ما هو مركوز في العقول من انه هو الذي يبدئ
ويعيد لا قدرة على الاعادة لاحد غيره ومنها انه اضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم انهم احياء كانوا او امواتا لا يخرجون عن قبضته ومنها انه
خاطب الكل ليعلم ان القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم في بساط العدل وقضاء القضاء موقوفون واعلم انه
تعالى ذكر في الآيتين المغفرة والرحمة والحشر فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثاني اشارة الى من يعبده طمعا في ثوابه و
الثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم اهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما احسن هذا التنويع روي ان
عيسى مر باقوام نحفت ابدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيماء الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال
هو اكرم من ان لا يخلصكم من عذابه ثم مر باخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو اكرم من ان

ان يمنعكم رحمته ثم ترقوا من ثالث فرأى عليهم سمة العبودية اكثر فقالوا نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال انتم
المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الاية دليل على ان المقتول ليس بميت الا كان قوله ولئن متم او قتلتم عطفا للشيء على
نفسه قلت كلا ولكنه عطف الاخص على الاعم ثم انه سبحانه لما ارشدهم في الايات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من
جملة ذلك ان عفى عنهم زاد في الفضل والاحسان بان مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفى عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روي ان امراة عثمان
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي عليه السلام يغسلان السلاح فقالت ما فعل ابن عثمان اما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي الا ان عثمان
فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وروي انه قال اعياني ازواج الاخوان ان يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على ان قال
لقد ذهبتم فيها عريضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما انا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب احدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال عليه السلام
لا حلم احب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل ابغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب ان يكون اكثرهم حلما و
احسنهم خلقا لان الغرض من البعثة هو الزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت القلوب اليه وسكنت نفوسهم لديه وراوا فيه اثار الشفقة
وامارات النصيحة عن بعض الصحابة انه قال لقد احسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن
دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما
وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى ان تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم ان من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه
يعلم ان الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم ان الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب لم يغضب واذا حصل له
مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي اشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع احدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها
ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العيش مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم اكمل البشر في القوتين النظرية و
العملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب ان يكون اكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال فبما رحمة من الله لنت
لهم وما مزيدة للتوكيد اما الحكم بزيادتها فللنظر الى اصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكانه قال فبرحمة واما افادتها التوكيد فلا كحال
زيادة حرف لا فائدة فيه اصلا وجوز بعضهم ان يكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة واذا كان لينه ورفقه رحمة من الله لان
الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو ولان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا
كالخوف من العقاب والطمع في الثواب او الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع او حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وايضا رحمة المخلوق على غيره
لا تتم ولا ينتفع بها المرحوم الا بعد مؤاتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باغاثة الله وتوفيقه وربطه
على جأش الراحم وضبط حال المرحوم ثم بين ان الحكمة في لين جانبه ما هي فقال ولو كنت فظا سيء الخلق واصل فظ الحذر فظظت يا رجل بالكسر
فظاظة غليظ القلب قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك
احد وهذا التركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام ويقال لا يفضض الله فاك اي اسنانك ثم منهم من حمل الاية على واقعة احد فقال
فبما رحمة لنت لهم يوم احد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا
هيبة منك وحياء بسبب ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي ان اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال
حق من حقوق الله ولهذا امر بالغلظة في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في الزاني ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ومثله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اشداء على الكفار رحماء بينهم
فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر ان الفضيلة في الوسط وهو استعمال الكل في شيء في موضعه وان طرفي
الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالاية في مسئلة القضاء والقدر وذلك ان
حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان
والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وابي جهل وابي لهب فالطاف الله ورحمته مشترك بين جميع الاصفياء وبين الاشقياء
فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله هذا خلاف نص الاية فاذن جميع افعال العباد بقضاء
الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الالطاف فقد فعله في حق كل
المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف بالحقيقة هو كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله
ثم قال فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على انه وجب عليه ان يعفو
عنهم في الحال كما انه تعالى قد عفى عنهم كانه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني غفرت لهم قبل ان
تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال وشاورهم في الامر والمشاورة ماخوذة من قولهم شرت العسل اي اخذته و
استخرجته من موضعها وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع اقبلت بها وادبرت والمكان الذي تعرض فيه الدواب مشوارا

يقال ابان والخطب كالتفاسر شوار كثير العثار وتركيب يدل على الاظهار والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر
العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع انه اعلم الناس واعقلهم فوائد منها انها توجب علو شأنهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم
وفي ترك ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم ومنها ان علوم الانسان متناهية فلا
يبعد ان يخطر ببال احد ما لم يخطر بباله ولا سيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله انه ما به اليهم
حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده ومنها انه شاورهم في واقعة احد فخطؤوا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يظنه انه قد بقي في
قلبه اثر من تلك الواقعة ومنها ان يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها ان تصير النفوس متظاهرة متطابقة على تحصيل
اصلح الوجوه فيكون اعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وهذا هو السر في الجماعات والجمعات ومنها
انه تعالى امر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وامره بها بعدها ليدل على انه قد صدر العفو عنهم ليعلموا انهم الآن قد عظم خطؤهم الاعظم كانوا وان عفوه اعظم
من كل ذنب وان الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على ان كل ما نزل به وحي لم يجز للرسول ان يشاور الامة
فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأي والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل يجوز المشاورة في كلها ام لا قال
الكلبي وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحروب لان اللام في لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي بالاتفاق فهو اذن للمعهود
السابق وليس ذلك الا ما جرى من امر الحرب في قصة احد فلما استشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبي صلى الله عليه وسلم بالنزول على الماء فقبل منه واشار
عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق في ترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة فترك وانصرفوا منهما او حرق
الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي
لعموم فاعتبروا يا اولي الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من امور الدين
وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب فلهذا وعن الشافعي انه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم
البكر تستأمر في نفسها ولو اكرهها الاب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا فاذا عزمت اي قطعت الرأي على شيء
بعد الشورى فتوكل على الله لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن عن جابر بن زيد انه قرأ فاذا عزمت
بالضم اي اذا ارشدتك الى شيء والزمتك اياه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر
فلا يغلبكم احد وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي من بعد خذلانه لان القدرة الفعل عليه وهو من قولك
ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من صفات البشرية وان يخذلكم بترك
الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء لانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما انه القادر على الادخال فيه وعلى الله فليتوكل
المؤمنون تأمرهم بالتوكل لما علم ان الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه ليس المراد بالتوكل ان يهمل
الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والاسباب كما يتصوره الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل
هو ان يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده التأويل ولقد صدقكم الله
ايها الطلاب وعده الامن طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بامره لا على وفق الطبع حتى اذا فشلتم فتنال النفس حظها من الفشل
في امر الطلب وعصيتم الدليل المرشد من بعد ما اريكم الدليل بالتربية ما تحبون من الآلاء الطريق وانما عصيتم الدليل اذ لكم على الله
لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة فرأى هذه الامة عند الشبلي فصاح صيحة وقال اما كان من احد
يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عنهما النفوس وقلل صفاتها باستيلائها عليكم ليبتليكم بالستر بعد ما تجلى لكم انوار المشاهدات
وبالصحو بعد ما اسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما ارضعكم بالبان الملاطفات ولقد عفى عنكم بعفو بعد ابتلائكم عفى
التفاتاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد
ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى احد من الامرين الدنيا والآخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الى عبادي فجازاكم بدل غم الدنيا والآخرة
غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما اصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة
في طلب جده فلا يضيع جهادكم ويوفي جزاءكم ثم اخبر عن نزال الحقايق سنات الطائفة على عباد في صور مختلفة فانزل الامن في صور النعاس على الخاصة
واخرج جواهر الوقايع السنية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان اكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من ارباب
النفوس ومدعي الاسلام لا اهم لهم الا هم انفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو ان الامور الى الخلق
لا الى الله ولا يقضائه وقدره هل لنا من امر النصرة والظفر من شيء ما قتلنا ههنا بالباطل على ايدي حزب الشيطان وليبتلي الله
على ما في صدوركم ايها المنافقون لان الصدر معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني في شأن
الناس وليمحص ما في قلوبكم ايها المؤمنون لان القلوب محل الايمان والاطمينان كتب في قلوبهم الايمان الا بذكر الله تطمئن القلوب وسننه

الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخر
من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولى ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم
ليعلم ان الله تعالى في كل شئ من الخير والشر اسرار لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم
اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد وسلكوا في ارض نفوسهم سبيل الرشاد او كانوا غزى مجاهدين مع كفار
النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول
حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب اهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرهن على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة
الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون انهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني انه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي
كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانقضت من الجوانب تلاشت واختلت
حكمة التمدن وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في ان هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يتجاوز عن الوسط ولا
يخرج عن قانون الشرع وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
العقل كما نقدالله حسبي — وسزاوار نيست مر پيغمبرى را كه خيانت كند وهر كه خيانت كند بيايد بآنچه خيانت كرده روز قيامت پس تمام داده شود هر نفسى آنچه را كسب كرده وايشان
يُظْلَمُونَ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ
ستم نشوند — آيا پس آنكه پيروى كرد خوشنودى خدا را چون آنست كه بازآمد بازيانى از خدا وجايگاهش دوزخ است وبد جايگاهى است — اينها صاحبان مرتبه‌هايند نزد خدا
بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
بيناست بآنچه ميكنند — هر آينه منت نهاد خدا بر مؤمنان وقتى كه برانگيخت در ايشان پيغمبرى از ايشان كه ميخواند بر ايشان آيات او را وپاك ميكرد ايشان را ومياموخت
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا
كتاب وحكمت را واگرچه بودند پيش از آن هر آينه در گمراهى ظاهر — آيا هرگاه برسد شما را مصيبتى كه رسيده بوديد شما دو مانند آن گفتيد كه از كجاست اين
قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
بگو آن از نزد خود شماست بدرستى كه خدا بر هر چيزى تواناست — وآنچه رسيد شما را روز بهم رسيدن دو طائفه پس بفرمان خدا بود وتا بداند گروندگان
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ
وتا بداند آنان كه نفاق ورزيدند وگفته شد بايشان كه بيائيد جهاد كنيد در راه خدا يا دفع كنيد گفتند اگر ميدانستيم كارزارى هر آينه پيروى كرديم شما را ايشان براى كفر در آن روز
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
نزديكترند از ايشان از براى ايمان ميگويند بدهانهاى خود آنچه نيست در دلهاى ايشان وخدا داناتر است بآنچه پنهان دارند — آنان كه گفتند مر برادران خود را ونشستند
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا
كه اگر پيروى كردندى ما را كشته نشدندى بگو پس دفع كنيد از خودتان مرگ را اگر باشيد راستگويان — ومپنداريد آنها را كه كشته شدند در راه خدا مردگان
بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
بلكه زندگانند در نزد پروردگار ايشان روزى داده ميشوند شادمانند بآنچه كه داده ايشان را خدا از فضل خود ومژدگانى دهند بآنها كه نرسيده‌اند بايشان از عقب ايشان كه نيست ترسى
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ
بر ايشان ونه ايشان اندوه يابند — مژده دهند بنعمت از خدا وزيادتى وبدرستى كه خدا ضايع نكند مزد گروندگان را — آنانكه اطاعت كردند مر خدا را و
الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
پيغمبر را پس از آنكه رسيد بايشان خسته‌گى مر آنها را كه نيكوئى كردند از ايشان وپرهيز نمودند مزدى بزرگست — آنان كه گفتند مر ايشان را مردم كه مردم جمعيت كردند
لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا
از براى شما پس بترسيد از ايشان پس افزود ايشان را ايمان وگفتند بس است ما را خدا وخوب كارگذاريست — پس برگشتند بنعمت از خدا وزيادتى كه نرسيد ايشان را بدى وپيروى كردند
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
خوشنودى خدا را وخدا خداوند زيادتى بزرگست — جز اين نيست كه اين شيطان است كه ميترساند دوستان خود را پس مترسيد از ايشان وبترسيد از من اگر باشيد گروندگان
القراءة يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وابو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير روح والباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول
ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر

نصف

ع

على الياتون بالفتح وخافونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل فى الوصل الباقون بالحذف
الوقوف ان يغاط لابتداء الشرط يوم القيمة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون نصف الجزء جهنم ط المصير عند الله بما تعملون
والحكم ج لمكان العطف مبين مثليها ج لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط انفسكم ط قدير ليعلم المومنين لا ان فقوا ج لاحتمال
العطف والاستيناف والوصل على تقدير وقد قيل لهم او ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستيناف فى قلوبهم ط بما يكتمون ج
لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون او خبر مبتدا محذوف ما قتلوا ط صادقين امواتا ط عند ربهم ص يرزقون لا لان فرحين
حالهم من فضله لا للعطف من خلفهم لا لتعلق ان يحزنون م للاية واستيناف الفعل اذ يستحيل ان يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون
وفضل لا لان التقدير وبان ومن كسر فقف والجملة ح اعتراضية المؤمنين ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدا خبره للذين احسنوا
او نصبا على المدح الاول اوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق و
الوصل اولى للعطف والاتصال توكل اللسان بين اللقاب الوكيل سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم اولياء ص لوصل النهى عن الخوف بعد
ذكر التخويف مؤمنين التفسير هذا حكم من احكام الجهاد واصل الغلول اخذ الشئ فى خفية يقال اغل الجازر والسالخ اذا ابقى فى الجلد شيئا من
اللحم ليسرق والغل الحقد الكامن فى الصدر والغلالة الثوب الذى يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذى يجرى فى اصول الشجر لانه مستتر
بالاشجار وقال ص من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقال ايضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهرى غل يغل غلولا اى خان
واغل مثله الا ان العرف جعله فى الغالب مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة حتى قال ابو عبيدة الغلول فى المغنم خاصة وقد جعله النبى ص من الكبائر عن
ثوبان عن رسول الله ص من فارق روحه جسده وهو برئ من ثلثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفى الصحيحين عن ابى هريرة قال
قام فينا رسول الله ص ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله
اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك
لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم
يجئ يوم القيمة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجئ يوم القيمة على
رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثنى فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك معنى الاية فيمن قرا بفتح الياء وضم العين ما كان
لنبى ان يخون اى ما صح وما ينبغى له ذلك لان النبوة تنافى الغلول لانها اعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار فى الدنيا ونار
فى الاخرة كيف وانه امين على الوحى النازل عليه من فوق سبع سموات فلا يكون مبتذلا فى الارض هيهات فاللام منقولة والتقدير
وما كان نبى ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد اى ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرا بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان احدهما
يخان اى يوخذ من غنيمته وفى تخصيصه بهذه الحرمة الخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان النبى عليه كلما كان اجل منصبا كانت
الخيانة فى حقه افحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحى فكان فيه مع عذاب الاخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين فى ذلك الوقت
كانوا فى غاية الفقر فكانت تلك الخيانة هناك اقبح وثانيهما يخون اى ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد يقول العرب اكفرت
الرجل جعلته كافرا ونسبته الى الكفر قال القتيبى لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى ان يقال هو من اغللته اى
وجدته غالا او لا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل
وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبى ان يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى ان الانكار لا يتوجه اذا كان اغل بمعنى وجده غالا وانما
يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله ص اخذها
وقد طعن بعضهم فى هذه القراءة وقال ان اكثر ما جاء من هذا القبيل فى التنزيل اسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا ان لا نشرك ما
ما كان ليأخذ اخاه ما كان لنفس ان تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى ابو عبيدة عن يونس انه قال ليس
فى الكلام ما كان لك ان تضرب بضم التاء والجواب ان القران حجة على غيره لا بالعكس يوافق هذه القراءة ما روى انه ص لما وقعت غنائم
هوازن فى يده غل رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما
اسباب النزول اكثر ما روى انه اخر قسمة الغنيمة فى بعض الغزوات لمانع فجاء قوم وقالوا الا تقسم غنائمنا فقال ص لو كان لكم مثل احد
ذهبا ما حبست منكم درهما اترون انى اغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان اشراف الناس طمعوا ان يخصهم النبى ص من الغنائم
بشئ زائد فنزلت وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من
اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم ص الم اعهد اليكم الا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال ص بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم وروى انه ص بعث طلايع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت

مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا
وتقبيحا بصورة الامر وقيل نزلت في اداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه ان يترك ذلك فقيل ما كان لنبي
ان يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس او رهبة عنهم ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة اكثر المفسرين اجروه على ظاهره
نظيره في مانع الزكوة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس انه قال يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم
ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه
الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت فذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم ان ذلك المسك قد يكون
انتن من الجيفة واثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال امره ويحق نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه انه اذا جاء يوم القيمة وعلى
رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله ص لكل غادر لواء يوم القيمة وقال ابو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله
وتبعته والمراد انه تع يحفظ عليه هذا الغلول ويقرر عليه يوم القيمة ويجازيه لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد انه يشتهر بذلك مثل
اشتهار من يحمل ذلك الشيء وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة ثم توفى كل نفس ما كسبت اثبات للجزاء لكل كاسب على
سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب هذا ابلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل
ما اجمل فقال افمن اتبع والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبي والضحاك افمن اتبع رضوان الله
في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله رجع منه بشدة ارادة انتقام لاجل الغلول وقال الزجاج افمن اتبع رضوان الله بامتثال امر
النبي ص حين دعاهم الى دفع المشركين يوم احد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والاخرون المنافقون
وقيل افمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول اقرب لتكون
الاية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله وماويه جهنم من تمام صلة من باء وقوله وبئس المصير اعتراض قال القفال لا
يجوز في الحكمة ان يسوي بين المسيء والمحسن لانه لو كان اغراء بالمعاصي واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها هم درجات قيل اي لهم درجات
وحسن هذا الحذف لان اختلاف اعمالهم كانه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة في ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية
يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال ص الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم في انفسهم درجات لا ان لهم
درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى اي شيء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب في العرف استعمال الدرجات في اهل الثواب
والدركات في اهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو ان ماويه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان و
يؤيده قوله عند الله وهذا وان كان معناه في علمه وحكمه كما يقال هذه المسألة عند الشافعي كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تع عن
ذلك الا انه يفيد في الجملة تشريفا وانه يليق باهل الثواب قال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه اقرب ولانهم متفاوتون في العذاب عن رسول الله
ان منهم ضحضاحا وغمرا وقال ان اهون اهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يا رب هل يعذب احد
عذابي قالوا والاوجه ان يكون عائدا الى الكل لان درجات اهل الثواب متفاوتة وكذا دركات اهل العقاب حسب تفاوت اعمال الخلق وقد
يستعمل الدرجات في مراتب اهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا والله بصير بما يعملون فيجازيهم بمقدارها قوله عز من قائل لقد من الله
على المؤمنين في النظم وجوه منها ان هذا الرسول نشأ فيما بينهم لم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق من هذا حاله الخيانة
ومنها كانه تع قال لا اكتفي في وصفه بان انزهه عن الخيانة ولكني اقول ان وجوده فيكم من اعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين
وانما حصل لكم الشرف في العلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه الطعن فيكم ومنها ان مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل ان يعينه باقصى ما
يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على
من لا يطلب الجزاء منه ثم الوجه في المنة اما ان يعود الى اصل البعثة واما ان يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول ان الخلق مجبولون على
النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وايضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم
لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي لهم وايضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات
فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة انوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند
سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه رشاد النبي ومن الثاني ان هذا الرسول بعث من انفسهم اي
من جنسهم عربيا مثلهم او من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين
منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم اخذ ما يجب اخذه عنه واذا كانوا واقفين على احواله في الصدق
والامانة كان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه ايضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك ان الافتخار بابرهيم
كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى والتوراة والانجيل وما كان للعرب ما

يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وانزل القرآن صار شرف العرب بذلك زايدا على شرف جميع الامم وقيل من انفسهم اي من جنسهم الانس لا من الملك
لان الجنس الى الجنس ميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة رضي الله عنها انهما قرأ من انفسهم بفتح الفاء اي اشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون
عاما ويحتمل ان يراد بهم العرب بعضهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم واما سائر اوصافه من قوله يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين كما سلف في قوله وان كانت
لكبيرة ومعنى المنة فيه ان النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها اعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين يكون اعم نفعا
واتم وقعا ثم لما اجاب عن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله
انى هذا واجاب عنها بقوله قل هو من عند انفسكم والواو في قوله اولما اصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة
احد الا ان حرف الاستفهام قدم على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومفعول القول انى هذا واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه والتقدير اقلتم حين اصابتكم ويجوز ان يكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ من اين اصابنا هذا وكيف نصر اعلينا
ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة احد بمثليها واقعة بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل اراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون
هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم ايضا في الاولى يوم احد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل
مرة واحدة فخرج عن قوله قد اصبتم مثليها جواب ضمني يعني ان احوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا اصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما
وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب اخر فقال قل هو من عند انفسكم وفي تقريره وجهان الاول ان هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك انهم
عصوا الرسول في امور في الخروج عن المدينة وكان رايه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة
الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه انه قال جاء جبرئيل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في اخذهم الفداء من الاسارى
وامرك ان تخيرهم بين ان يقدموا الاسارى فيضربوا اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
للقوم فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا فاخذ الفداء منهم فيقوى به على قتال العدو ونرضى ان نستشهد بنا بعدتهم فقتل يوم
احد سبعون رجلا بعدد اسارى بدر فمعنى هو من عند انفسكم هو باخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على ان العبد
مختار في الفعل والترك لانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله ان الله على كل شيء قدير فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون
الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله ان يقدر عليه لامتناع قدرتين على ايجاد الموجود والحق ان وجود الواسطة لا ينافي انتهاء
الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده قوله وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله قال ابن عباس اي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية
للمؤمنين لان الرضاء بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن يخلي بين المأذون ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرت المصالح
فذلك قد وقع ليعلم المؤمنين اي ليتميزوا عن اهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصور
انهم شرعوا في الاعمال اللايقة بالنفاق في ذلك الوقت واحدثوها ولانه عطف على الصلة وقيل لهم قال الاصم هذا القايل رسول الله
كان يدعوهم الى القتال وقيل هو ابو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس تبعهم فقال انشدكم الله
في نبيكم وانفسكم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ان كان في قلبكم حب هذا الدين او ادفعوا عن انفسكم واهليكم واموالكم ان لم يكن بكم غم الآخرة
وطلب مرضات الله اي كونوا من رجال الدين او من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة والرعب ثم انه كان سائل ان يسأل فماذا اجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم كانهم جحدوا ان يكون بين الفريقين قتال البتة والمراد لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لوافقناكم عليه
لكنكم تلقون بايديكم الى التهلكة وذلك ان راي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في
الجواب فاسد اما الاول فلان ظهور امارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في امور الدنيا قائم مقام العلم
ولا امارة اقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل احد واما الثاني فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج
الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولكن كذبوا بهم فالهم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانهم تباعدوا بهذا الجواب المبني عن الدغل
والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم او المراد انهم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال اكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على انهم كفار لان الاقرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال
الله اقرب فهو اليقين بانهم مشركون كقوله مائة الف او يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدي فيه دليل على ان الاتي بكلمة
التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم

خلاف

خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد والله أعلم بما يكتمون من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجاري احوالهم
فيما بينهم وذلك ان المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء الذين قالوا منصوب على الذم او على البدل من الذين نافقوا او مرفوع على الذم اي هم الذين او على البدل من ضمير يكتمون
وقيل يجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في افواههم او قلوبهم لاخوانهم لاجل اخوانهم المقتولين يوم احد اخوة في النسب او في سكنى الدار
او في الجنسية في النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن ابي واصحابه واعترض الاصم بانه قد خرج يوم احد فكيف وصف
بالقعود في قوله وقعدوا اي والحال انهم قد قعدوا عن القتال والجواب ان القعود عن القتال هو الجبن عنه وتركه لا ينافي الخروج لو اطاعونا
في امرنا اياهم بالقعود ما قتلوا كانهم قعدوا ولم يكتفوا بذلك بل ارادوا تثبيط غيرهم وذلك لما في الطباع من محبة الحيوة وكراهة الموت ومن
يسمع يخل فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب في القعود ونفر طبعه عن الجهاد فاجابهم الله تعالى بقوله قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين في ان الحذر يغني عن القدر وان سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من اسباب النجاة وفيه استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا
دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على ان
القتل امر مكروه يجب على العاقل ان يحترز عنه لو امكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا والخطاب
للرسول ولكل احد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول والمراد لا يحسبن حاسب او لا يحسبنهم امواتا وضمير المفعول للذين قتلوا اي لا تحسبن
الذين قتلوا انفسهم امواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه مذكورا كلاهما كما حذف المبتدأ في قوله بل احياء اي هم احياء للدلالة
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى
قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغكم عنهم فانزل هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا
فقال يا عبدي سلني اعطك فقال اسألك ان تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني انهم اليها لا يرجعون فقال يا
رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من اهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم
نعمة او سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وابناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم انهم احياء
متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحيوة فعن طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي اريد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وروي ان عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة
من قال مجاز هذه الحيوة ان اجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روي انه لما اراد معاوية ان يجري العين الى قبور الشهداء
امر بان ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم وطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم
فانفطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد انهم لا يغسلون كما يغسل الاحياء وذهبت طائفة من متكلمي المعتزلة الى ان المراد انهم سيصيرون احياء
والغرض تكذيب منكري المعاد وزيف بانه عدول عن الظاهر وبان عذاب القبر ثابت فالثواب اولى وبانه نهى عن حسبانهم امواتا والذي يزيل
هذا الحسبان هو اعتقاد انهم احياء في الحال لا اعتقاد انهم احياء في القيمة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما رويناه عن
ابن عباس ان ارواحهم في اجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا والاستبشار بمن يكون في الدنيا لا بد ان يكون قبل
يوم القيمة وذهب كثير من المحققين الى انهم احياء في الحال لكن بحيوة روحانية وان ارواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى
يوم القيمة وذلك ان الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان اجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال
والقوة والكلال وكلنا يجد من نفسه انه شيء واحد من اول عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه
حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه واجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان
جسما مخصوصا ساريا او جوهرا مجردا لا يبعد ان ينفصل بعد موت البدن حيا او اماته الله ثم اعيد حيا وبهذا يثبت عذاب القبر و
ثوابه ويزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد احوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة احدهما مقتضية لضعف الآخر
كما ان البدن يضعف وقت النوم ويقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا اعرضت النفس عن النفس عن الطعام
والشراب واقبلت على مطالعة العالم العلوي ازدادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت له
المعارف الالهية واكثر ارباب الشرع على انهم احياء في الحال بحيوة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد اجسادهم الى السموات والى قناديل
تحت العرش ويوصل انواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها و
من الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة

في هذه المسئلة عندك خلاف ما يقوله اهل التناسخ من ان النفس بعد موت بدنها تتعلق ببدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من ان النفس ينقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ او تتألم بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة او بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي نقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها لا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع ان يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه ان النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء واعمال الجوارح والآلات وبعد الموت يجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي ان يقاس احدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت ان يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى ان يقوم القيمة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم ولعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان اكثر من ذلك كما سيكون في القيمة الكبرى نافى تكليف سائر الاحياء وافضى الامر الى الالجاء وهو السر في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين واما الشهداء فلا يبعد ان يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا فتعجل الثواب كما عجلوا في الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي ان يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق مضنة يثبت بها جميع ما ورد في الشريعة الحقة والله اعلم ومعنى عند ربهم انهم مقربون ذووا كرامة كقوله فالذين عند ربك والمراد بحيث لا يملك احد سوى ربهم والمراد في علمه وفي حكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية فرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين لم يقتلوا في الدنيا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم انهم بقوا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم اي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك ان الله يبشرهم بان من ترك خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيمة فهم مستبشرون بانه لا خوف عليهم انما بشرهم الله بذلك لانهم لما فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة ان يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فاكرمهم الله تعالى وازال لذلك التعلق بان اعلمهم امن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم انفسهم وذلك قوله فرحين بما آتيهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم واعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل والتفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة انفسهم وان الله اي وبان الله لا يضيع اجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة احد يعرفهما ولاهما بغزوة حمراء الاسد الثانية بغزوة بدر الصغرى اما الاولى فما روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد ان يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن اصحابه قوة فندب اصحابه الى الخروج في طلب ابي سفيان وقال لا اريد الا ان يخرج معي الا من حضر يومنا بالامس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا باتيان جميع المامورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات او احسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة اخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ومن في قوله للذين احسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال ابو بكر الاصم نزلت في يوم احد لما رجع النبي بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد ان مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي ودفنهم بدمائهم وذكروا ان صفية جاءت لتنظر الى اخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة اخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة اخرى قد قتل زوجها وابوها واخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك جلل واما الثانية فروي عن ابن عباس ان ابا سفيان لما عزم ان ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى لقابل نقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج ابو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا

على صاحبه ويتوكأ

فقال يا نعيم انى واعدت محمدا ان نلتقى بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان
خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة وثبطهم ولكن عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالراى اتوكم فى دياركم وقراركم فقتلوا اكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم احد فوقع هذا الكلام فى قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لاخرجن اليهم وحدى فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان وصلوا الى بدر الصغرى وهى ماء
لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية ايام ولم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات
فوافقوا السوق فباعوا ما معهم واشتروا بها ادما وزبيبا وربحوا واصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين و
رجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وانزل الله فى المؤمنين الذين قال لهم الناس يعنى
نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولان
الواحد اذا قال قولا وله اتباع يقولون مثل قوله يرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال
نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس
بابى سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب قال السدى هم منافقوا المدينة كانوا لا يثبطون المسلمين
عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعنى ابا سفيان واصحابه والمفعول محذوف اى جمعوا لكم الجموع والعرب تسمى الجيش جمعا فاخشوهم
فزادهم نعيم او قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام فكان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم واستدل بالاية من قال ان الطاعات داخلة فى مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب تزايدها ونقصانها
واما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فقال ان الزيادة وقعت فى ثمرات الايمان ولكنها جعلت فى الايمان مجازا وقد مر تحقيق
الكلام لنا فى هذا المعنى فى اوائل الكتاب وكما انهم اضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين القى فى النار فاظهروه باللسان و
قالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله فى قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل والكافى والكافل والموكول اليه هو ثم علموا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا
فانقلبوا بنعمة من الله وهى العافية وفضل هو الربح بالتجارة او النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل
ولا جراح وصفهم بانه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله
سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله وليعلموا ان لهم ثواب المجاهدين حيث فعلوا
ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على ان السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضله بهم ورحمته عليهم لم يجعله عمله الا
ان يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن ان لا يثق الا بالله ولا يخاف احدا الا اياه وذلك قوله انما ذلكم الشيطان المثبط هو الشيطان لعنه وتمرده
واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف اولياءه او الشيطان صفة لاسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف اى يخوفكم اولياءه فلا
تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم اولياء المثبطين والاولياء هم ابو سفيان
واصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم باوليائه كقوله ويخوفونك
بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وابو على وزيفه ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة
الى اضمار حرف الجر انه حسبى التاويل قد ذكرنا ان النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالان نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق
ببدنه جزاء له على تعجيل ذائقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا يبلى اجساد اكثرهم تبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء فى الحقيقة وهكذا
الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا انفسهم بسيوف الرياضات ومطارق الاذكار واسنة السنة الطاعنين وتجرعوا غصص
مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة ولهم كالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتالم بل بعضه
سبب اللذة والابتهاج يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وكما ورد فى حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا
انا فى الجنة والذى جاء فيه ان ارواحهم فى جوف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن ان يخلق الله
بدل ذلك جسما لطيفا شبه طائر يكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه نظر حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى واما
كون الطير خضراء فاما لان بدن الميت يميل الى الخضرة واما ان يكون عبارة عن النضرة تعرف فى وجوههم نضرة النعيم واما لان حالهم بالنسبة الى ما
سيؤل اليه اهل الجنة والنار يوم القيمة كالمتوسط بين الحالين الذين يعبر عنهما بالبياض والسواد فى قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
وهذه المعانى ما وجدتها فى كتب التفسير لنا ولعلها رجوت ان اكون مصيبا فيها والغرض والله تعالى ورسوله اعلم بمرادهما ولا يحزنك
الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم ان

ولهم

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ

آنان که خریدند کفر را بایمان ضرر نرسانند خدا چیزی و مر ایشانراست عذابی دردناک وپندارند آنانکه کافر شدند که آنچه مهلت میدهیم بایشان بهتر است مر خود شانرا

إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ

جز این نیست که مهلت میدهیم ایشانرا تا زیاده کنند گناه را و مر ایشانراست عذابی خوار کننده نباشد خدا که واگذارد گروندگانرا بر آنچه که شما بر آنید تا که جدا کند ناپاک را از پاک

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

و نباشد خدا که آگاه کند شما را بر غیب و لیکن خدا اختیار کند از پیغمبران هر کرا خواهد پس بگروید بخدا و پیغمبران او و اگر بگروید و پرهیزکنید

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

پس مر شماراست مزدی بزرگ و پندارند آنانی که بخل کنند بآنچه که داد بایشان خدا از افزونی خود آن بهتر است مر ایشانرا بلکه آن بد است مر ایشانرا زود باشد که طوق کرده شوند مانند آنچه

بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ع ١٠

آنچه را که بخل کردند بآن در روز قیامت و مر خدا راست میراث آسمانها و زمین و خدا بآنچه میکنید مطلع است بدرستی که شنید خدا گفتار آنهارا که گفتند که بدرستی که خدا محتاج است

وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

و ایشانیم مالداران هر آینه ثبت کنیم آنچه را که گفتند و کشتن ایشان پیغمبرانرا بدون حق و میگوئیم که بچشید عذاب سوزانرا این بآنچه است که از پیش فرستاد دستهای شما

وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ۝ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ

و آنکه خدا نیست ستمکننده مر بندگانرا آنانکه گفتند بدرستی که خدا عهد کرد با ما که نگرویم مر پیغمبری را تا که بیاید ما را قربانی که بخورد او را آتش

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ

بگو که هر آینه آمد شما را پیغمبران پیش از من با گواهان و بآنچه که گفتید پس چرا کشتید ایشانرا اگر بوده باشید راستگویان پس اگر تکذیب کردند ترا پس بتحقیق تکذیب کرده شد

رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

پیغمبرانرا از پیش تو که آورده بودند گواهان و نوشتها و کتاب واضح هر نفسی چشنده است مرگ را و جز این نیست که تمام داده شوید مزدهای خود را در روز قیامت

فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

پس هر که منع کرده شود از آتش و در آید در بهشت پس بتحقیق که بهره مند گردید و نیست زندگانی دنیا مگر بهره فریب هر آینه آزموده شوید در مالهاتان و در نفسهاتان

وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ

و هر آینه بشنوید از آنان که داده شدند کتاب را از پیش شما و از آنهاکه انباز آوردند آزارهای بسیار و اگر تحمل کنید و پرهیز نمائید پس بدرستیکه این

مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ

از تتمه در کارهاست و چون فرا گرفت خدا پیمان آنهارا که داده شدند کتاب را هر آینه ظاهر نمائید از برای مردمان و پنهان نسازید پس در عقب انداختند آنرا

وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

و خریدند بآن بهای کم را پس بد است آنچه را که میخرند و مپندار تو آنهارا که شاد کردند بآنچه یافتند و دوست دارند که ستایش کرده شوند بآنچه نکردند

فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ القراءة ولا

پس مپندار ایشانرا رستگاران از عذاب و مر ایشانراست عذابی دردناک و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و خدا بر هر چیزی توانا است یحزنك من

الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين امنوا وتزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء في تحسبنهم ابو عمرو وابن كثير وقرا حمزة كلها بتاء الخطاب وقرا ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب عباس مخير الباقون خفيف بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وابو عمرو لقد سمع وبابه مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام في وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فيهما زحزح مدغما شجاع وابو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وابو عمرو ويعقوب غير روح وابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم الوقوف الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام او الفاء شيئا ط في الاخرة ج لعطف المختلفين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم شيئا ج لما ذكر في الاخرة اليم لانفسهم ط اثما ج لما ذكر ايضا مهين من الطيب ورسله ط عظيم خيرا لهم ط شر لهم ط القيمة ط والارض خبير اغنياء م لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرا ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله او يقول الزبانية فلا يتعطف

علی قوله سیکتب مع اتساق انعی الحریق للعبید لاحتمال الصفة وان یکون المراد هم الذین والوقف ولی لانه لا یظلم العبید هم العبید المومنون
نعم لو کان بدلا من الذین قالوا ان الله فقیر صح تاکله النار ط صادقین المنیر الموت ط یوم القیمة ط لابتداء شرط فی امر معظم فقد فاز ط
الغرور کثیرا ط الامور و لا تکتمونه ز لان الجملتین وان اتفقا لم یکن للنبذ متصلا باخذ المیثاق فلم ینعطف الی ظرفه قلیلا ط یشترون
من العذاب ج لما ذکر الیم والارض ط قدیر التفسیر نزلت فی کفار قریش وانه تعالی جعل رسوله امنا من شرهم واتاح العاقبة له وان جمعوا
الجموع وجهزوا الجیوش حتی یظهر هذا الدین علی الادیان کلها وقیل فی المنافقین ومسارعتهم هی انهم کانوا یخوفون المومنین بسبب واقعة
احد ویؤیسونهم النصر والظفر وربما یقولون ان محمدا طالب ملک فتارة یکون الامر له وتارة یکون علیه ولو کان رسولا ما غلب وقد
قیل ان قوما من الکفار اسلموا ثم ارتدوا خوفا من قریش فاغتم النبی لذلک فبین الله تعالی ان ردتهم لا توثر فی لحوق ضرر به فی نصر بعضهم
هذا القول بان المسارعة هی شدة الرغبة فی الکفر انما تناسب من کفر بعد الایمان المستمر علی الکفر وبان ارادته ان لا یجعل لهم حظا فی الاخرة
انما یلیق بمن امن فاستوجب الحظ ثم احبط وبان الحزن انما یکون علی فوات امر مقصود وذلک هو ما قدره النبی من الانتفاع بایمانهم و
انتفاعهم بالایمان فبین الله تعالی انه لا یلحقه بسبب فوات ذلک ضرر بالدین وان وبال ذلک یعود علیهم کما دل علیه بقیة الایة فان قیل الحزن
علی کفر الکافر وعلی معصیة العاصی طاعة فکیف نهی نبیه الله عن ذلک فالجواب انه نهی عن الاسراف فی الحزن بحیث یاتی علیه نظیره لعلک باخع
نفسک الا یکونوا مومنین والمراد لا یحزنوک لخوف ان یضروک ویعینوا علیک انهم لن یضروا الله ای دینه شیئا من الضرر یرید الله
الا یجعل لهم حظا فی الاخرة فیه دلیل علی ان ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصیص علی ان الخیر والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنی قوله ولهم
عذاب عظیم انه کما لا حظ لهم من منافع الاخرة فلهم حظ عظیم من مضارها وفی الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل
اشعار بان استحقاقهم للحرمان بلغ الی حد اراد ارحم الراحمین ان لا یرحمهم وان الداعی الی تعذیبهم خلص خلوصا لم یبق معه صارف
لبنة ثم انزل فی الیهود خاصة وهو الاشبه وفی الکفار عامة ان الذین اشتروا الایة والغرض تاکید تقویة قلب الرسول کانه قیل ان الذین
ینازعونک فی الدین لا لاجل شبهتهم بل بناء علی الحسد والمنازعة فی منصب الدنیا ومن کان عقله هذا القدر وهو انه یبیع بالقلیل
من الدنیا السعادة الکثیرة فی الاخرة کان فی غایة الحماقة ومثله لا یقدر علی الحاق الضرر بالغیر ولو قیل ان الایة فی المرتدین فالمعنی
ان اختیار دین بعد دین ثم الارتداد علی العقبین یدل علی الاضطراب وضعف الرای والانسان المضطرب الحال لا یقدر تقدمه علی ایصال
الضرر الی الغیر ثم بین ان بقاء المنافقین المتخلفین عن الجهاد والکفار الذین بقوا بعد شهداء احد لا خیر فیه وقال ولا یحسبن من قراء
بالیاء فقوله الذین کفروا فاعل وان مع ما فی حیزه ساد مسد مفعولیه ومن قرا بتاء الخطاب فالذین کفروا مفعول اول وان مع ما فی
حیزه بدل منه وصح الابدال وان لم یمض لاحد المفعولین لان المبدل فی حکم المنحی الا تراک تقول جعلت متاعک بعضه فوق بعض مع امتناع
السکوت علی متاعک فی التقدیر ولا تحسبن الذین کفروا انما فی خیر لهم علی ان ما مصدریة ویجوز ان یقدر مضاف محذوف ای ولا تحسبنهم
الاصحاب ان الاملاء خیر لهم او لا یحسبن حال الذین کفروا ان الاملاء خیر لانفسهم قال الاصمعی یقال املی علیه الزمان ای طال وامل له ‖ ای طول لهم
وامهله قال ابو عبیدة ومنه الملاء الارض الواسعة الطویلة والملوان اللیل والنهار ویقال تمتعت عنده ملاوة من الدهر ای حینا و
برهة وانما نصب علی التمیز وفی وصف العذاب اولا بالعظم ثم بالالم ثم بالاهانة تدرج من الاهون الی الاشق وفیه من الوعید والسخط ما لا
یخفی قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والایة دلت علی انها لیست بخیر ففیه دلالة علی انه سبحانه فاعل الخیر والشر
وایضا نص علی ان الغرض من هذا الاملاء ان یزدادوا اثما فاذن الکفر والمعاصی بارادة الله وایضا اخبر عنهم انه لا خیر لهم فیه وانهم لا یحصلون
منه الا علی الازدیاد والاثم والاتیان بخلاف خبر الله تعالی محال فعلمنا انهم مجبورون وانعی ذلک فی صورة مختارین اجابت المعتزلة بان المراد ان هذا
الاملاء لیس خیرا من موتهم کشهداء اذ الایة من تتمة قصة احد لا انه لیس بخیر مطلقا وزیف بان بناء المبالغة لا یجوز ذکره الا مع المفضل علیه لکنه
لم یذکر فعلمنا انه لنفی الخیریة لا لنفی کونه خیرا من شیء اخر وعن الثانی ان ازدیاد الاثم علة للاملاء ولیس کل علة بغرض کقولک قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله اندادا لیضلوا وهم ما فعلوا ذلک للاضلال ویقال ما کانت موعظتی لک الا للزیادة فی
تمادیک فی الغی اذا کانت عاقبة الموعظة ذلک ورد بان حمل اللام علی لام العاقبة عدول عن الظاهر علی انا نعلم بالبرهان ان علمه تعالی بانهم
یزدادون اثما علی تقدیر الامهال علة فاعلیة لازدیادهم اثما فکان تعالی فاعلا للازدیاد ومریدا له قالوا فی الکلام تقدیم وتاخیر وترتیبه
لا یحسبن الذین کفروا انما نملی لهم لیزدادوا اثما انما نملی لهم خیر لانفسهم ویعضده قراءة یحیی بن وثاب بکسر ان الاولی وفتح الثانیة و
رد بان التقدیم والتاخیر خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع ان الواحدی انکرها ثم انه تعالی اخبر انه لا یجوز فی حکمته
ان یترک المومنین علی ما هم علیه من اختلاط المخلص بالمنافق ولکنه یعزل احد الجنسین عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقایع کما فی قصة
احد لله در النائبات فانها صداء اللئام وصیقل الاحرار فقال ما کان الله لیذر اللام لتاکید النفی والخطاب فی انتم للمصدقین جمیعا من
اهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه کان فی حکمة الله ان یترک المخلصین علی الحال التی انتم علیها من اختلاط بعضکم ببعض وهما الغثاث زرت

الشيء بعضه من بعض لهوه ميزاً وميزه تمييزاً وفي الحديث من ماز اذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفرداً
الا انه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم انه المطرح من الشيئين الملقى لردائه فان
الميز يقع على الادون والاهون ثم يحصل هذا الميز قيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلعم الى الخروج مع ما بهم من القروح
ومثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل
بالوحي الى نبيه ولهذا اردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي اي يصطفي ويختار من رسله من يشاء وبنى الكلام
على ثلث مراتب الاولى ان هذا المنصب الذي استأثر الله تعم بعلمه لا يليق بكل احد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسو
ل لا يعلم المغيبات بان يطلع عليه من تلقاء نفسه بخاصية فيه لكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي وباطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن
وذاك منافق الثالثة ان هذا ليس مختص ببعض الرسل في بعض الاوقات بحسب مشيته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله
ان تعتقدوه وحده عالماً بالغيوب ومن جملة الايمان بالرسل ان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيداً مصطفين لا يعلمون من الغيب
الا ما علمهم الله تعم ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا ان هذا التمييز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه ويقول ان فلانا مؤمن وفلان
منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه لا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب
ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم ان هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي تميز الفريقين
ويخلص اهل الوفاء من اهل الجفاء او المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسو
ل ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن اقر
بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم قال السدي قال رسول الله
عرضت علي امتي في صورها كما عرضت على آدم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد انه يعلم من يؤمن
به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد ان من خالفك فهو في النار
والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك فهو من اهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال
ابو العالية نزلت حين سأل المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل
النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا اي لا تحسبن بخل
الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي او احد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف لدلالة
التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مانعي الزكوة ثم رتب
الوعيد عليه فسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لا وعيد عليه ولا يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي
حكم الزكوة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم
عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم
الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عوداً الى ما انجر منه الكلام الى قصة احد وذلك هو شرح احوال اهل الكتاب بعضها فان كثيرا من آيات
بقية السورة فيهم على هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعم يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلعم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم
بلجام من نار والسر فيه انهم لم ينطقوا بافواههم والسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما ان يكون محمولا على ظاهره وهو ان يجعل
ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه يقول انا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلعم ما من رجل
له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه شجاع اقرع وهو يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين
يبخلون الآية وعن ابن عمر قال صلعم ان الذي لا يؤدي زكوة ماله يخيل اليه ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان فيلزمه او يطوقه يقول
انا كنزك واما ان يكون على طريق التمثيل لا على ان ثمة اطواقا اي سيلزمون اثمه في الآخرة الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون ان يأتوا بما بخلوا به يوم القيمة ونظيره ما روي عن ابن عباس
انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه اي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان
به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من
من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان
اذا تفرد به بعد ان كان مشاركا له فيه ومثله وورث سليمان داود اي تفرد بذلك بعد ما كان مشاركا له فيه وعن الباقين والله بما
تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر اي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهي ابلغ في الوعيد لان الغضب

كانه تناهى الى حد اقبل على الخطاب وشافهم بالعتاب ثم شرع فى حكاية شبه الطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما امر بالانفاق فى سبيل الله قالوا لو كان
محمد صادقا فى ان الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن اغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وايضا لو كان نبيا لكان انما
يطلب المال لاجل ان يجئ نار من السماء فتحرقه كما كان فى الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا انه ليس بنبى فهذا بيان النظم وليس
فى الاية تعيين القائلين الا ان العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم فى موضع اخر يد الله مغلولة عنوا انه بخيل
وذلك الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز
عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان انه غنى ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدى ومقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابى بكر الى يهود
بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان تقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو
من علمائهم انزعم ان ربنا يستقرضنا اموالنا فهو اذن فقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر ولطم فى وجهه وقال لولا الذى بيننا
وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر
ما الذى حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الاية تصديقا لابى بكر
وايضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب انت وربك فقاتلا فلا يبعد ان محمدا لما طلب منهم الجهاد
ببذل النفوس والاموال كانوا قد قالوا ما كان الا لاغنياء فاى حاجة الى اموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاص وحده فانما يستقيم قوله
لقد سمع الله قول الذين قالوا لان اتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم اما على قواعد اهل السنة فبان
يقول هذا يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد ان يامر عبيده ببذل الاموال مع كونه اغنى الاغنياء واما على قوانين المعتزلة
فبان فى هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تحبيب البعض للبعض وبذلك يرتبط امور
التمدن وينتظم احوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورود ما فى القران لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق
المحتاج فى ذاته ولا فى شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك فى كمال غناه فى وجوده فقد عاد
بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند اولى الالباب وانما يستاهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة
الوعيد سنكتب ما قالوا فى صحايف الحفظة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على انهم كالمرتقين والله حق قدره حتى نسبوا اليه ما
نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق هو من اسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول
كالاليم بمعنى المولم وسميت باسم صاحبها اى ذات حرقة والمعنى ننتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما اذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا
القول يحتمل ان يقال عند الموت او عند الحشر او عند قراءة الكتب ويحتمل ان يكون كناية عن الوعيد ان لم يكن ثمة قول ذلك العذاب او
الوعيد بما قدمت ايديكم من السب والقتل وذكر الايدى لان اكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب
وان كان بعضه باللسان او بسائر الجوارح والالات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما فى سورة الحج
قال الجبائى قوله وان الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على ان فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير ان لا يقع منهم الذنوب
وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز ان يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان
الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى ان الجزاء لما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك
الملك والمالك ذا تصرف فى ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير
عن نفسه وذلك يوهم ثبوت اصل الظلم له اجاب القاضى بان العذاب الذى توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على
حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكرنا ان ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين اقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم
عنه فى قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له ان يتصرف فى ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم
ان نصك عنه كانه قال انه يخيل اليكم ان فى الوجود شرا بناء على ما فى ظنكم من ان الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل لتبعيته الخير الكثير فاعلموا انه
منزه عن صدور الشر الكثير منى وان هذا من الشر القليل الذى فى ضمنه خير اكثر ونقول اراد نفى الشر القليل واصل الظلم عنه ولكنه القليل
من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عنه عبر بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا
قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوه وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك الكتاب فان الله قد عهد الينا فى التورية الا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند
الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون
الثروب واطايب اللحم فيضعونها فى وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبى فى البيت ويناجى ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون

حول البيت فينزل نار بيضا لها دوي خفيف ولا دخان لها فيأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله واصله مصدر كالكفران و
الرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله ع لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلوة قربان اي بها يتقرب الى الله ليستشفع في الحاجة لديه
للعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التورية مع الاستثناء قال من جاءكم انه رسول الله ع فلا تصدقوه حتى يأتيكم
بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة
واية لصحة النبوة سواء فاي فائدة في تخصيصها ولانه اما ان يكون في التورية ان مدعي النبوة وان جاء بجميع الايات لا تقبلوا قوله الا
ان يجيء بهذه الاية المعينة وح لا يكون ساير المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها جاز في هذه واما ان يكون فيها ان مدعي النبوة
يطالب بالمعجزة اية كانت وح يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا انبههم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من
قبلي بالبينات وبالذي قلتم اي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر
مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك ان القوم يحتمل ان يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة
لا موجبها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث اضاف
اليه البينات ثبت انهم اتوا بالموجب بالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في اصل الشريعة
والنبوة او في قولك ان الانبياء الا فدهم جاءهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك فهي سلوة والمصيبة
اذا عمت طابت جاءوا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور اي مكتوب قال الزجاج
الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه ان يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الواضح
المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات ان معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وانها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القران وعطف
الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة والاستنارة اشرف من مطلق الزبر فخص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال
وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التورية والانجيل والزبور ثم اكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما
يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا العلم بان وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس منفوسة
فالتخصيص لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وكذا الجمادات لان لها ذوات ولقوله
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت لاهل الجنة ولا لاهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار
التكليف والملائكة عند من جوز الموت عليهم روي عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات اهل الارض فلما
نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الاية دليل على ان المقتول ميت وعلى ان النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد ان يكون
باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحيوة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية
ثم الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال يستمر هذه الحالة الى
ان تفنى الرطوبة الاصلية وح فينطفي الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحيوة قالوا والارواح
المجردة لا موت لها وانا نسلمه المسلمون فيه وانما توفون اجوركم يوم القيمة في ذكر التوفية اشارة الى ان بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم
كما قال ع القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار الزحزحة التنحية والابعاد والزحزحة تكرير فقد فاز لم يقيد
الفوز بشيء لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول
لكل ما يفاز به قال ع من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان
يؤتى اليه فالاول غاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم
يتبين له فساده ورداءته وذلك ان لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن علي بن ابي طالب
لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها
على الاخرة فاما من طلب الاخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت
الواو لالتقاء الساكنين لم يجب قبلها من الضم المراد ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من
الصلوة والزكوة والصوم والجهاد والذي كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن في الدين الحنيف وفي اهليه واغراء المخالفين وتحريضهم
عليهم والمنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة وتصبروا على اداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات
فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها التي لا يترخص العاقل في تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب وهو من عزائم
الله ومما الزمكم الاخذ به قال الواحدي كان هذا قبل نزول اية القتال قال القفال الظاهر انها نزلت بعد قصة احد فلا يكون منسوخا
باية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم في كثير الاحوال والامر بالقتال

الموزع

كل ذات

الدنيا في الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودي كان شاعرا وكان يهجو النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره
وكان النبي ص قدم المدينة واهلها اخلاط المسلمون والمشركون واليهود فاراد النبي ص ان يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه
ويؤذون اصحابه اشد الاذى فامر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية وروى ان رسول الله ص ركب على حمار واردف اسامة بن زيد
وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن ابي وذلك قبل ان يسلم عبد الله فاذا في المجلس
اخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه وقال لا
تغبروا علينا فسلم رسول الله ص فنزل فدعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن ابي ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا
ان لا تؤذينا به في مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله ص فاغشنا به في مجالسنا فانا
نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي ص يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي ص دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد الم تسمع ما قال ابو حباب يريد عبد الله بن ابي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله ص
اعف عنه واصفح فوالذي انزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد اصطلح اهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة
فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك فعفى عنه رسول الله ص وانزل الله هذه الاية ثم انه تعالى عجب من حال اليهود انه كيف يليق
بحالهم ايراد الطعن في نبوته مع ان كتبهم ناطقة بها فمن جملة ايذائهم الرسول انهم يكتمون نعته وصفته فلهذا قال وَاِذْ اَخَذَ اللهُ باضمار
اذكر والضمير في لتبيننه قيل لمحمد لانه معلوم وان كان غير مذكور اي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود
الى الكتاب كانه اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا تكتمونه قيل الواو
للحال اي غير كاتمين ويحتمل ان يكون للعطف لانه لم يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتاكيد
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ جعلوه كالشيء المطروح المتروك عن علي ع ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وعن
قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا ياكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا
علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا انهم كتموا الحق ليتوسلوا بذلك الى وجدان حظ يسير من الدنيا
فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من امر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب
لمسارهم واستجذاب لمبارهم او لتقية من غير ضرورة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب الى غيره ثم ذكر نوعا آخر من ايذاء اليهود واوعدهم عليه تسلية
رسوله بذلك فقال لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول ولكل احد والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التاكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين
ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتاكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى اِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَاْتِيًّا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ومعنى بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ بمنجاة منه اي بمكان
الفوز وقال الفراء اي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه في الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان
كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذا انما دعا النبي ص يهود فسألهم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس وَاِذْ اَخَذَ اللهُ
مِيثَاقَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ الايتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها
ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي
جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن اهل الصوم والصلوة نحن اولياء الله فذلك قول الله يَفْرَحُونَ بِمَا اَتَوْا بما فعلوا وَيُحِبُّونَ اَنْ
يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فانزل الله هذه الاية يعني بما ذكروا من الصوم والصلوة والعبادة وعن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين
كانوا اذا خرج رسول الله ص الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الاية
وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن ان انصفنا من انفسنا وجدنا
اكثر مجاري امورنا على هذه الحالة فنسئل العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ والغرض انه كيف يرجو
النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب. التأويل فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ كل واحد من صفتي البخل والسخا بمنزلة الاكسير حتى يجعل
الخير شرا او بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر
والغضب والبخل حب الدنيا راس كل خطيئة وَلِلّٰهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الانسان وارث الدنيا والاخرة اُولٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ اذا مات
من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه ان من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله اِنَّ اللهَ

فقیر ونحن اغنیاء فیان الانسان لیطغی ان راٰہ استغنی فیعکس القضایا فیصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلک لغلبۃ الصفات
الذمیمۃ واستیلاء سلطان الہوی والشیطان فیقول تارۃ انا ربکم الاعلی وتارۃ ان اللہ فقیر ونحن اغنیاء بقربان تاکلہ النار قالت
یہود صفات النفس البہیمیۃ السبعیۃ والشیطانیۃ لانقاد لرسول ای لخاطر رحمانی او الہام ربانی حتی یاتینا بقربان ہو الدنیا ومافیہا یجعلہا
نسیکۃ للہ عز وجل تاکلہ نار اللہ الموقدۃ التی تقدح من زناد محبتہم فان کثیرا من الطالبین الصادقین یجعلون الدنیا ومافیہا قربانا باللہ
فلا تاکل نار اللہ قل یا وارد الحق قد جاءکم رسل من قبلی ای واردات الحق بالبینات بالحجج الباہرۃ وبالذی قلتم ای یجعل الدنیا قربانا
فلم قتلتموہ فلبستموہم ومحوتموہم حتی لم یبق اثر الوارد ان کل نفس ذائقۃ الموت کلہم مستعدون للفناء ولابد لہا من موت فمن کان
موتہ بالاسباب یکون نخوتہ بالاسباب من کان فناؤہ فی اللہ یکون بقاؤہ باللہ لتبلون بالجہاد الاکبر ولتسمعن من اہل العلم الظاہر
ومن اہل الریاء اذی کثیرا بالغیبۃ والملامۃ والانکار والاعتراض وان تصبروا علی جہاد النفس وتتقوا باللہ عما سواہ فان ذلک من عزم
الامور ای من امور اولی العزم فاصبر کما صبر اولوا العزم من الرسل واللہ اعلم اِنَّ فِیۡ خَلۡقِ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ وَاخۡتِلَافِ الَّیۡلِ وَ ع
بدرستی کہ در آفریدن آسمانہا و زمین و گردش شب و

النَّہَارِ لَاٰیٰتٍ لِّاُولِی الۡاَلۡبَابِ ۚ الَّذِیۡنَ یَذۡکُرُوۡنَ اللّٰہَ قِیٰمًا وَّقُعُوۡدًا وَّعَلٰی جُنُوۡبِہِمۡ وَیَتَفَکَّرُوۡنَ فِیۡ خَلۡقِ السَّمٰوٰتِ وَالۡاَرۡضِ
روز ہر آئینہ نشانہاست صاحبان خرد را آنانکہ یاد آورند خدا را ایستادہ و نشستہ و بر پہلوہای شان و اندیشہ نمایند در آفرینش آسمانہا و زمین

رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ ہٰذَا بَاطِلًا ۚ سُبۡحٰنَکَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿﴾ رَبَّنَاۤ اِنَّکَ مَنۡ تُدۡخِلِ النَّارَ فَقَدۡ اَخۡزَیۡتَہٗ ؕ وَمَا لِلظّٰلِمِیۡنَ
پروردگارا نیافریدی اینرا باطل منزہی تو پس نگاہدار ما را از عذاب آتش پروردگارا بدرستی کہ تو ہر کرا در آری در آتش پس بدرستی کہ رسوا کردی او را و نیست ستمکاران را

مِنۡ اَنۡصَارٍ ﴿﴾ رَبَّنَاۤ اِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِیًا یُّنَادِیۡ لِلۡاِیۡمَانِ اَنۡ اٰمِنُوۡا بِرَبِّکُمۡ فَاٰمَنَّا ٭ۖ رَبَّنَا فَاغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوۡبَنَا وَکَفِّرۡ عَنَّا سَیِّاٰتِنَا
یاوری پروردگارا ما شنیدیم منادی را کہ ندا میکرد برای گرویدن کہ بگروید به پروردگار تان پس گرویدیم پس بیامرز گناہان ما را و برطرف کن گناہان ما را

وَتَوَفَّنَا مَعَ الۡاَبۡرَارِ ﴿﴾ رَبَّنَا وَاٰتِنَا مَا وَعَدۡتَّنَا عَلٰی رُسُلِکَ وَلَا تُخۡزِنَا یَوۡمَ الۡقِیٰمَۃِ ؕ اِنَّکَ لَا تُخۡلِفُ الۡمِیۡعَادَ ﴿﴾ فَاسۡتَجَابَ
و بمیران ما را با خوبان پروردگارا بده ما را آنچہ وعدہ کردی تو بر پیغمبرانت و رسوا مکن ما را در قیامت بدرستی تو خلاف نمیکنی وعدہ را پس قبول کرد

لَہُمۡ رَبُّہُمۡ اَنِّیۡ لَاۤ اُضِیۡعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنۡکُمۡ مِّنۡ ذَکَرٍ اَوۡ اُنۡثٰی ۚ بَعۡضُکُمۡ مِّنۡۢ بَعۡضٍ ۚ فَالَّذِیۡنَ ہَاجَرُوۡا وَاُخۡرِجُوۡا مِنۡ دِیَارِہِمۡ وَاُوۡذُوۡا فِیۡ
از برای ایشان پروردگار ایشان کہ من ضائع نکنم کردار شما را از مرد و زن برخی از شما از برخی پس آنان کہ ترک وطن کردند و بیرون شدند از خانہای شان و آزار کشیدند در

سَبِیۡلِیۡ وَقٰتَلُوۡا وَقُتِلُوۡا لَاُکَفِّرَنَّ عَنۡہُمۡ سَیِّاٰتِہِمۡ وَلَاُدۡخِلَنَّہُمۡ جَنّٰتٍ تَجۡرِیۡ مِنۡ تَحۡتِہَا الۡاَنۡہٰرُ ۚ ثَوَابًا مِّنۡ عِنۡدِ اللّٰہِ ؕ
راہ من و کشتند و کشتہ شدند ہر آئینہ برطرف کنم از ایشان گناہان ایشانرا و ہر آئینہ در آورم ایشانرا در بہشتہا کہ روانست زیر آنہا جویہا ثوابہا از نزد خدا

وَاللّٰہُ عِنۡدَہٗ حُسۡنُ الثَّوَابِ ﴿﴾ لَا یَغُرَّنَّکَ تَقَلُّبُ الَّذِیۡنَ کَفَرُوۡا فِی الۡبِلَادِ ؕ مَتَاعٌ قَلِیۡلٌ ۟ ثُمَّ مَاۡوٰىہُمۡ جَہَنَّمُ ؕ وَبِئۡسَ الۡمِہَادُ
و خدا در نزد اوست نیکی ثواب فریب ندہد ترا گردش آنہا کہ کافر شدند در شہرہا بہرہ ایست کم پس آرامگاہ آنہا دوزخ و بد جایگاہیست

لٰکِنِ الَّذِیۡنَ اتَّقَوۡا رَبَّہُمۡ لَہُمۡ جَنّٰتٌ تَجۡرِیۡ مِنۡ تَحۡتِہَا الۡاَنۡہٰرُ خٰلِدِیۡنَ فِیۡہَا نُزُلًا مِّنۡ عِنۡدِ اللّٰہِ ؕ وَمَا عِنۡدَ اللّٰہِ خَیۡرٌ لِّلۡاَبۡرَارِ
لکن آنہائی کہ پرہیز کردند پروردگار شانرا بہشتہا کہ روانست از زیر آن جویہا جاویدانان در آن نعمتی از نزد خدا و آنچہ در نزد خداست بہترست مر خوبانرا

وَاِنَّ مِنۡ اَہۡلِ الۡکِتٰبِ لَمَنۡ یُّؤۡمِنُ بِاللّٰہِ وَمَاۤ اُنۡزِلَ اِلَیۡکُمۡ وَمَاۤ اُنۡزِلَ اِلَیۡہِمۡ خٰشِعِیۡنَ لِلّٰہِ ۙ لَا یَشۡتَرُوۡنَ بِاٰیٰتِ اللّٰہِ ثَمَنًا
و بدرستی کہ از اہل کتاب ہر آئینہ کسیست کہ میگرود بخدا و بانچہ فرستادہ شد بسوی شما و آنچہ فرستادہ شد بایشان ترسانان مر خدا را نفروشند آیات خدا را بہای

قَلِیۡلًا ؕ اُولٰٓئِکَ لَہُمۡ اَجۡرُہُمۡ عِنۡدَ رَبِّہِمۡ ؕ اِنَّ اللّٰہَ سَرِیۡعُ الۡحِسَابِ ﴿﴾ یٰۤاَیُّہَا الَّذِیۡنَ اٰمَنُوا اصۡبِرُوۡا وَصَابِرُوۡا وَرَابِطُوۡا ۟ وَاتَّقُوا اللّٰہَ
کمی آنگروہ مر ایشانراست مزد ایشان در نزد پروردگار ایشان بدرستی کہ خدا زود حسابست ای زمرہ آنہا کہ گرویدہ اید صبر کنید و ہم صبر کنید و پیوند کنید و پرہیز کنید خدا را

لَعَلَّکُمۡ تُفۡلِحُوۡنَ ﴿﴾ القراءۃ الابرار بالامالۃ ابو عمرو وحمزۃ غیر خلاد ورجا الکسائی والبخاری عن ورش وخلف وابن مجاہد والنقاش
شاید کہ رستگار شوید عن ابن ذکوان وکذلک کل ما تکرر فیہ الراء غیر ابن مجاہد والنقاش فی جمیع القران وقتلوا وقاتلوا حمزۃ وعلی
وخلف وقرا ابن کثیر وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا یغرنک بالنون الخفیفۃ رویس الباقون بالتشدید
الوقوف لا حیث کان بالخلاس عباس الوقوف الباب ج لاحتمال الذین صفۃ صغرا ومستانفا نصبا ورفعا علی المدح بتقدیر اعنی
الذین اوہم الذین والوصل اشہر والارض ج لحق المحذوف ای یقولون ربنا باطلا ج للابتداء سبحانک تعظیما والا فالقول محذوف
التعقیب متعقب النار واخزیتہ ط انصار و فامنا قیل والوصل اولی لان کلمۃ ربنا تکرار لمزید الابتہال وقولہ فاغفر لنا معطوف
علی امنا ای انا امنا فاغفر الابرار ج للایۃ وللعطف یوم القیمۃ ط المیعاد انثی لاتحاد الکلام والا فبعضکم مبتداء من بعض ج و
الانہار ز لان ثوابا مفعول لہ او مصدر من عند اللہ ط الثواب البلاد ط لان التقدیر لہم متاع او ذلک متاع جہنم المہاد من
عند اللہ ط للابرار لا لان ما بعدہ حال الخ قلیلا ط عند ربہم ط الحساب تفلحون التفسیر انہ لما طال الکلام فی تقریر القصص والاحکام

عاد الى ما هو الغرض الاصلى من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة اخبرينى باعجب ما رايت من رسول الله فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجيب اتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى الصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل لك ان تاذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القران وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكى فقال له يا رسول الله اتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا ابكى وقد انزل الله على فى هذه الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وعن على ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ الى ان عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على ان العارف بعد استكمال المعرفة لا بد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق فى معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى اخر كالبصر اذا حدق الى مرئى امتنع تحديقه نحو اخر والية الاشارة بقوله اخلع نعليك يعنى المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادى تقدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها اتهر وابهر والعجائب فيها اكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله اسرع وانما قال فى تلك السورة لايات لقوم يعقلون وفى هذه السورة لَاٰيٰتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ لان العقل له ظاهر ولب ففى اول الامر يكون عقلا وفى كمال الحال يكون لبا وبا فى التفسير قد مر هنالك ثم بعد الدلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهى ان يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّٰهَ اشارة الى عبودية اللسان وقوله قِيٰمًا وَّقُعُوْدًا وَّعَلٰى جُنُوْبِهِمْ وهو فى موضع حال اخرى معناه على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد انهم ذاكرون فى اغلب احوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلوة اى يصلون فى حال القيام فان عجزوا ففى حال القعود فان عجزوا ففى حال الاضطجاع وهذا موافق لمذهب الشافعى فى ترتيب صلوة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو ان الاستلقاء يمنع من استكمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب فى الصلوة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت اولى ولان الاستغراق فى النوم يكون فى هيئة الاستلقاء اكثر فذلك وضع الغافلين وقال ابو حنيفة بل يصلى مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد قوله وَيَتَفَكَّرُوْنَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر فى البحث الخامس من تفسير قوله وَعَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَاۗءَ وانما لم يقل ويتفكرون فى الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق والسبب فيه ان الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر فى المخلوق ممكن وفى الخالق غير ممكن كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشىء عبارة عن حصول صورة الشىء فى النفس فيكون الصورة مخالطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شىء الا انه بكل محيط لكنه اذا تفكر فى مخلوقاته سيما السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف اولا ان لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعرف بان فى كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس احوال هذه المصنوعات الى صانعها علم انه تعالى منزه عن مشابهة شىء من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا فى حيز وجهة فيقول سبحانك اى انزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق فى بحار العظمة وجهه الجلال هذا المبلغ وجد نفسه شذرة من ذرات الكائنات واقعة فى حضيض عالم البشرية مخالطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض ان يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله رَبَّنَآ اِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ اَخْزَيْتَهٗ اى ابلغت فى اخزائه نظيره قوله فَقَدْ فَازَ وفى كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ثم توسل الى ما سئل بالايمان بمحمد وذلك قوله رَبَّنَآ اِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا الاية فهذا بيان وجه النظم فى هذه الكلمات والايات على وجه القرب روعى والله اعلم باسرار كلامه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل اهل الارض ومن ثم قيل لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على انه بمعنى المخلوق او الى السموات والارض بتاويل المخلوق وفى كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شانه معقود به الهمم حتى صار حاضرا فى خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر اى خلقا باطلا او على الحال وقيل بنزع الخافض اى بالباطل او للباطل قالت المعتزلة فيه دليل على ان كل ما يفعله الله تعالى فانما يفعله لغرض الاحسان الى العبد لاجل حكمة وغاية وقوله سُبْحٰنَكَ جملة معترضة تنزيها له عن العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة

ووجه النظم في قوله فقنا عذاب النار ان الحكمة في خلق الارض والسموات ان يجعلها مساكن المكلفين وادلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على ان احد طرفي الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لا بد ان ينتهي الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن ان يعلل افعال الله تعالى بمصالح العباد بل له ان يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون له قوة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشي والاضمحلال والمراد انه خلقهما خلقا محكما متقنا كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما في غاية متانة التركيب بحيث تدوم البقاء الا انك منزه عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته بالغنى اقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه في الدنيا والاخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالاية على انه سبحانه خلق الافلاك والكواكب واودع في كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلي قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن ان يقتصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهوا والماء يشاركها في ذلك فلا يبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون في ذلك وقالوا ان الفلكيات اسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام ان وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان تكون افعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سئلوا ربهم ان يقيهم عذاب النار اتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون اقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون اقرب الى الادب واحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده في حسن الطلب قال الواحدي الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج اخزى الله العدو اي ابعده وقيل اهانه وقيل فضحه وقيل اهلكه وقال ابن الانباري الخزي في اللغة الهلاك بتلف او انقطاع حجة او بوقوع في بلاء قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد اخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه واجيب بانه لا يلزم من ان لا يكون من آمن مع النبي مخزيا ان لا يكون غيره وهو مؤمن مخزيا وايضا الاية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا فثبت ان كل من يدخل النار فانه ليس بمخزي وعن سعيد بن المسيب والثوري ان هذا في حق الكفار الذين دخلوا النار للخلود وايضا انه مخزي حال دخوله وان كانت العاقبة الخروج وقوله لا يخزي نفي على الاطلاق والمطلق يكفي في صدقه صورة واحدة وهي نفي الخزي المخلد ويحتمل ان يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفي هو الثاني لم يلزم التنافي واحتجت المرجئة بالاية على ان صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزي الله النبي والمدخل في النار مخزي لهذه الاية والمقدمات باسرها يدخلها المنع اما الاولى فباحتمال ان لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا واما الاخريان فبخصوص المحمول او جزئية الموضوع كما مر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا في ان العذاب الروحاني اشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذي هو التخجيل وهو امر نفساني وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين اي الداخلين في النار من انصار في نفي الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفي الجنس يقتضي نفي النوع والجواب الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وايضا لا تاثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل معنى الاية الى ان الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم انه وعد المتقين الفوز فلهم هذه الحجة بخلاف الفساق وايضا دلائل الشفاعة مخصصة لعموم الاية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصرا له وعورض بالايات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به او جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله لقوله ادع الى سبيل ربك ادعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كانه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من ادبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ ولله در القائل قال يا واضع الميت في قبره خاطبك الدهر فلم تسمع يقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال ابو عبيدة هذا على التقديم والتاخير اي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض ولهذا فسر بقوله ان آمنوا وان مفسرة او مخففة معناه اي آمنوا او بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هو فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من تفخيم شان المطلق والمجمل وكونه اوقع في النفس ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية واما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتاكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء

وقيل الاول

آل عمران

وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما اتى به الانسان مع العلم بكونه معصية و
ذنبا والثاني ما اتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار اي معدودين منهم وفي اتباعهم او مشاركين لهم في الثواب على مثل اعمالهم
ودرجاتهم كقول الرجل انا مع الشافعي في هذه المسئلة اي مساو له في ذلك الاعتقاد احتجت الاشاعرة بالاية على ان العفو غير مشروط
بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم امنا ثم انه تع
اجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم ويعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلعم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادي للايمان وهو الرسول عقيب قولهم امنا وهو التصديق فيكون على صلة للوعد كقولك
وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل ان يتعلق بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما
عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم
بانه لا يخلف الميعاد لما صرحوا به في اخر الادعية لان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء العبودية والمراد وفقنا للاعمال التي بها نصير اهلا
لوعدك واعصمنا عما بها نكون اهل الاخزاء وطلبوا التعجيل النصرة على الاعداء او المراد احفظ علينا اسباب نجاة الميعاد قيل فيه دليل
على انهم طلبوا منافع الاخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم
القيمة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الايات انهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا
ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقته وبديع شكله فعرفوا ان صانعه حكيم والحكيم لا يخلو افعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا
بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تاملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على السنة الرسل ووجدوا عاقبة
التكليف الجنة والنار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والاخلاص من النار ولان دفع الضرر اهم من جلب المنفعة جعلوا
اوائل دعائهم واخرهم الاستعاذة من العذاب لان العذاب الروحاني عند العقلاء اشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم على الاستعاذة
من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطايا وكاشف
الغطاء عن جعفر الصادق رضه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد لان الله تع حكى عنهم في هذه الايات
انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي اجابهم اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى من في منكم للتبعيض
لان كل عامل فرد من افراد المخاطبين ومن في من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما انثى واضاعة العمل عبارة عن اضلاله ثواب بعضكم من
بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر من اصله او المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم
كما يقال فلان مني اي على خلقي وسيرتي قال صلعم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء
مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله صلعم اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء
فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشان العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا اوطانهم مع الرسول او بعده باختيارهم واخرجوا
من ديارهم الجاءهم الكفار الى الخروج واوذوا في سبيلي يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا من قرا بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل اي قطعوا
ومن قرا قتلوا وقاتلوا فاما لان الواو لا يفيد الترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت امارات
القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد اي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا
فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيمة اي ثوابا
يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي ما تريد اي اختص به بملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا
نصب على المصدر المؤكد اي اثابة او تثويبا من عنده لان قوله لاكفرن ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم قال الكسائي هو منصوب على الحال
وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة او بيعا او صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات
العالم بكل المعلومات القاضي جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على ان حكمة الله تع
تقتضي نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهمل جانب العمل راسا عن الحسن خبر الله تع انه استجاب لهم لا
انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب له فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تع لما وعد المؤمنين
الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم اراد ان يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمعه اي لا يغرنك ايها السامع او للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله او له والمراد هو فلعل السبب في
عدم اغتراره هو تواتر امثال هذه الايات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى
من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد تقلبهم تبسطهم وتصرفهم

اي على السنة رسلك

والترتيب

على القطع لعله

في المكاسب والمزارع والمتاجر لا يغرنك تقلب الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة وفي جنب ما وعد الله للمؤمنين من الثواب
او هو قليل في نفسه لانه بالنسبة لمدته الى ما بين امدي الازل والابد مع قلته سبب للوقوع في نار جهنم ابد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت
سببا للمضرة العظيمة لم يكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما
يعد للضيف ويعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلا بد من شيء آخر يكون اصلا بالنسبة
اليها قلت ويحتمل ان يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية والقرب الذي لا يوازيه شيء من نعيم الجنة وقيل المعنى
وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف و
العامل معنى الاستقرار في لهم او هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا او عطاء او نصب على التفسير كما قلنا في ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين
وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمني اهل الكتاب كلهم فقال وان من اهل الكتاب هذا قول مجاهد وابن جريج وابن زيد وقيل
نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فاسلموا
وعن جابر بن عبد الله وانس وابن عباس وقتادة نزلت في النجاشي لما مات نعاه جبرئيل الى رسول الله صلعم في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله صلعم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم قالوا ومن قال النجاشي فخرج رسول الله صلعم الى البقيع وكشف له من المدينة الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج
حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام في لمن يؤمن لام الابتداء الذي يدخل على خبر ان وعلى اسمه عند الفصل
كما في الآية والمراد بما انزل اليكم القرآن وما انزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع فحمل على اللفظ
تارة وعلى المعنى اخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من احبارهم ورؤسائهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن
هذا الوعد حسب ما اشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطي ما لكل احد من جزاء
الحسنات والسيئات والمراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بقرب حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة
الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامرهم بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة
التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها و
مخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل والمدينة فامرهم بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب
وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان او بالسنان ثم انه لا بد
للانسان في تكلف شأن الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على اضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط
الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها
فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر ان هذه الآية مشتملة
على كنوز الحكم والمعارف جامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي
تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكوة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه لسبب الفقر والجوع
وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما اصابكم يوم احد قال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي ان يكونوا اصبر منكم وقال
الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة امرهم بالصبر عليها ولما اكثر الترغيب في الجهاد فيها امرهم بالمصابرة مع الاعداء اما المرابطة
ففيها قولان احدهما ان يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط اولئك خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا للقتال
قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وثانيهما انتظار الصلوة بعد الصلوة لما روي عن ابي سلمة بن عبد الرحمن انه قال لم يكن في زمن
رسول الله صلعم غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلوة خلف الصلوة وفي حديث ابي هريرة ذكر انتظار الصلوة بعد الصلوة ثم قال فذلك
الرباط ثلث مرات والله اعلم التأويل ان في خلق سموات القلوب واطوارها وخلق ارض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية
وصفاتها ونهار الروحانية وانوارها لآيات لاولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى
لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر ان لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا
هذه المرتبة لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما
خلقت هذا باطلا اي خلقته لاظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بالعدل عنا
عذاب نار قهرك والبعد منك وفيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم اخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية ربنا
اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب باسمع الحقيقة مناديا فاغفر لنا ذنوبنا اي كما اسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل

لا تخلف

ان تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا اضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر او انثى فله قيمتكم ورجوليتكم فالذين هاجروا
عن الاوطان والاوطار وعن الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة واخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة
بسطوات تجلى صفات الربوبية واوذوا فى طلبى بانواع البلاء وقاتلوا مع النبيين وقتلوا بسيف الصدق لاكفرن عنهم سيئات
وجودهم ولادخلنهم جنات الوصول فيها اشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص
والهدى والقناعة والعفة والمروة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب
والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلا
تجرى من تحتها الانهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند
الجنة وغيرها وان من اهل الكتاب من علماء الظاهر علما متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله
الذى دخل قلبه ويؤمن بما انزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما انزل
اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال اذا تجلى الشئ خضع له لا يشترون لما اوتوا
من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب يوصلهم الى مقام العندية قبل فانهم
اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا فى مراقبة القلب عند الابتلاءات و
رابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله فى الالتفات الى ما سواه لعلكم
تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين

مدنية

سورة النساء

حروفها ١٦٠٣٠ وكلمها
٣٧٤٥ وآياتها مائة
وستة وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ١ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون
ای گروه مردمان بپرهیزید پروردگار خود را که آفرید شما را از یک نفس و آفرید از آن جفت او را و پراکنده گردانید از آدم و حوا مردان بسیار و زنان و بپرهیزید خدای را که سؤال میکنید
به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان
بوی از خود را و بترسید از قطع ارحام بدرستیکه خدای باشد بر شما نگاه و بدهید یتیمان را مالهای ایشان و بدل مکنید پلید را بپاکیزه و مخورید مالهای ایشان را با مالهای خود بدرستیکه آن
حوبا كبيرا وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما
گناهیست بزرگ و اگر بترسید از آنکه عدالت نورزید در باره یتیمان پس نکاح کنید آنچه پاکیزه است از زنان دو تا و سه تا و چهار تا پس اگر بترسید که بعدالت رفتار نکنید پس یکی را و آنچه
ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
در تصرف دارید از کنیزان این بیشتر باعث است که میل نکنید و بدهید بزنان مهرهای ایشان را که در شرع دینی است پس اگر هبه کنند از طیب نفس از مهر چیزی را پس بخورید آنرا که گوارا است
ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا
و مدهید بی خردان مالهای خود را که قرار داده است خدا از برای شما قیام و زندگانی و روزی دهید ایشان را و بپوشانید ایشان را و بگوئید بایشان گفتار خوش پسندیده و بیازمائید یتیمان را تا که چون برسند
النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا
بحد نکاح پس اگر دریافتید از ایشان ترقی پس بسپارید بایشان مالهای ایشان را و مخورید آن مال را از روی اسراف و پیشی گرفتن بزرگ شدن ایشان را و هر که صاحب چیز است پس خود داری کند و هر که بی چیز است
فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ومما ترك
پس بخورد باندازه پس چون رد کردید بسوی ایشان مالهاشان را پس گواه گیرید بر ایشان و بس است خدای حسیب مر مردان راست بهره از آنچه گذاشته اند پدر و مادر و خویشان و آنچه هست چه کم
منه أو كثر نصيبا مفروضا وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين
از آن یا زیاد بهره واجب و چون حاضر آیند قسمت را خداوندان خویشی و بی پدران و بینوایان پس بدهید ایشان را از آن و بگوئید مر ایشان را گفتاری خوش و باید که بترسند آنها
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
که اگر واگذارند از عقب خود فرزندان ناتوان که بترسند بر ایشان پس باید که بپرهیزند از خدا و بگویند گفتاری محکم بدرستیکه آنانی که میخورند مالهای یتیمان را بستم جز این نیست که میخورند
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا القراءة تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلي وخلف عباس مخيرا الباقون بالتشديد اي بادغام التاء
در شکمهای خود آتش را و زود است که داخل شوند در جهنم التفاعل في السين والأرحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب لا مالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد اللاتي
بالنصب هنيئا مريئا بالتشديد فيهما يزيد وحمزة في الوقف عليهما وقف وإذا انفرد هنيئا همزها كل القراء يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون
قياما ضعافا بالإمالة خلف عن حمزة وابن سعدان نو العجلي وخلف لنفسه وقتيبة على أصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد المفضل
الباقون بفتحها الوقوف ونساء ج لأن الجملتين وإن نفقتا الا انه اعترضت المعطوفات والأرحام رقيبا بالطيب إلى أموالكم كبيرا ورباع
أيمانكم ط ألا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لأن الشرط خارج عن أصل الموجب مريئا معروفا النكاح ج أموالهم ج أن يكبروا ط لابتداء جملتين
متضادتين فليستعفف ج بالمعروف للعدول إلى أصل الموجب بعد وقوع العارض عليهم حسيبا والأقربون الأول والأقربون وكثر منه أو كثر ط نصيبا مفروضا
معروفا خافوا عليهم ص سديدا نارا ط سعيرا التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الأولاد والنساء والأيتام

واليتامى حقوقهم اليهم وحفظ اموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلوة والجهاد والدين من تحريم المحارم وتحليل غيرها الى غير ذلك من التهاسات ومكارم الاخلاق التي يناط بها صلاح المعاش والمعاد افتتح السورة بعثا للمكلفين على التقوى ومن غرائب القران ان فيه سورتين صدرهما يا ايها الناس احديهما في النصف الاول وهي الرابعة من سورة والاخرى في النصف الثاني وهي ايضا الرابعة من سوره ثم التي في النصف الاول صدرت بذكر المبدا اتقوا ربكم الذي خلقكم والتي في النصف الثاني مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة اما القيد الاول وهو انه خلقنا فلاشك انه علة لوجوب الانقياد للتكاليف والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شان العبد امتثال امر مولاه في كل ما يامره وينهاه وايضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على ان مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة اخرى منه واما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق اشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير اشكالهم وتباين امزجتهم واختلاف اخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار حكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة والعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ولنسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد اخرى منها انه امر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من اصل واحد اوردته واحدة اعون على هذا المعنى ولهذا قال صلعم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها انهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة واظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها ان تصور ذلك يذكر امر المعاد فليس الاعادة باصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجز النبي لانه لم يقرا كتابا ولا راجع المفسر على ان المراد بالنفس الواحدة ههنا هو ادم عم والتانيث في الوصف نظر الى لفظ النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وقال ابو مسلم وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فاي فائدة في خلقها من ضلع من اضلاع ادم والجواب ان الامر كما ذكره ابو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف ما روي عن النبي ان المرأة خلقت من ضلع فان ذهبت تقيمها كسرتها الخ جمع صور الطبايع بالانفعال الحادث لا يحتاج الا الى مادة سابقة وان خلق الشيء عن العدم المحض لنفي العرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة للحكمة ان يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف اي انشاها وخلق منها او معطوف على خلقكم والخطاب للذين بعث اليهم رسول الله اي خلقكم من نفس ادم لانهم من جملة الفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر اقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم خلق بني ادم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى اخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو والا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان لا تسبيب بها لعنت بالفاء العطف بالواو وفي الجمع على ان المراد هو ما ذكرنا وان التفصيل والترتيب موكول الى قرينة العقل فافهم والله تعالى اعلم وبث منهما وفرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال اتم فكانت كثرتهم اظهر وفيه تنبيه على انه اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج والبروز وبحال النسوان الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسيهما ثم ان هذا البث ممتنع محمول على ما عند من يرى ان جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب ادم واما عند من ينكر ذلك فالمراد انه بث منهما اولادهما ومن اولاد اولادهما جمعا وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام من قرء بالنصب فللعطف على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها وهو اختيار اكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج واما العطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار ابي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء اي والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرء بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ما قبله ولا سيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا ان قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلعم فلا يجوز الطعن فيها لمثل شبهات نحوية واهية كنسج العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة اخرى وهي انها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي لا تحلفوا بابائكم والجواب ان المنهي هو الحلف بالاباء وههنا حلف اولا بالله ثم قرن به الرحم فان احدهما من الاخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم ايضا منهي عنها لكن لا نسلم انه نهى عنها مطلقا وانما المنهي عنها ما هي على سبيل التعظيم واما الحلف بطريق التاكيد فلا باس بها ولهذا جاء في الحديث افلح وابيه ان صدق سلمنا انها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتسال وهو سؤال البعض لبعض اسئلك بالله وبالرحم وانشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي والارحام كذلك اي انها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال اولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا اما تكرار الامر فللتاكيد كقولك للرجل عجل عجل واما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلان الغرض في الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب لفظ الله تدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه ربك احسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب قوي السطوة قال العلماء في الاية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال رسول الله صلعم من سئلكم بالله فاعطوه وعن البراء بن عازب قال امرنا رسول الله صلعم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى ما في الاية من تعظيم حق الرحم وتاكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلعم يقول قال الله عز وجل انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما

من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر قال قال رسول الله ﷺ
الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها قال العلماء وبني
على هذا الأصل مسألتان إحداهما أن الرجل إذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الأخ والأخت والعم والخال لأنه لو بقي الملك حل الاستخدام بالإجماع لكن
الاستخدام إيحاش وقطيعة رحم والثانية أن الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها لأحد الأمرين لأنه إيحاش وقطيعة ثم إنه ختم الآية بما يتضمن
الوعد والوعيد فقال إن الله كان عليكم رقيبا أي حافظا يحفظ عليكم جميع أعمالكم ويجازيكم بها ثم إنه تعالى بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة
ومن له رحم ناسبه فقال وآتوا اليتامى أموالهم وأصل اليتيم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم
فاليتيم لغة يتناول الصغير والكبير إلا أنه في عرف الشرع اختص بالصغير لقوله ﷺ لا يتم بعد الحلم والمراد أنه إذا احتلم لا تجري عليه أحكام
الصغار لأنه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بأمره فإن قيل إذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير فما دام يكون
يتيما لا يجوز دفع أمواله إليه وإذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله إليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا اليتامى أموالهم قيل في الجواب طريقان أحدهما
أن المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم كقوله فألقي السحرة ساجدين أي الذين كانوا سحرة قبل
السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم والإشهاد لا يصح قبل البلوغ بل إنما يصح بعد البلوغ
وقال ﷺ تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر إلا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية إشارة إلى أن لا يؤخر دفع أموالهم إليهم عن حد البلوغ ولا يماطلوا
إن أونس منهم الرشد وأن يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما روى مقاتل والكلبي أنها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير
لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله
من الحوب الكبير فدفع إليه ماله فقال النبي ﷺ من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله
فقال النبي ﷺ ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الأجر للغلام وبقي
الوزر على والده قيل لأنه كان مشركا الطريق الثاني أن المراد بإيتاء الصغار أي الذين هم يتامى في الحال أن يؤتيهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم ويؤتيهم
من أموالهم ما يحتاجون إليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للأولياء والأوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج أي لا تستبدلوا
الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الأرض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال
غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى والإعراض عنها
بالأمر الطيب وهو حفظها والتورع منها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو أن يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الرديء قال صاحب الكشاف
هذا ليس بتبدل وإنما هو تبديل بل يريد أن الباء في بدل تدخل على المأخوذ وفي تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه
لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون التبدل في موضعه وقيل معنى الآية أن يأكل مال اليتيم سلفا مع التزام بدله
فيكون مستبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة إلى أموالكم في الإنفاق تسوية بينهما لما لا يحل لكم إنه أي الأكل كان حوبا كبيرا
ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالأكل مطلق التصرف إلا أنه خص بالذكر لأنه معظم ما يقع لأجله التصرف وقيل إلى
ههنا بمعنى مع والفائدة في زيادة قوله إلى أموالكم وأكل أموال اليتامى محرم على الإطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لأنهم إذا كانوا مستغنين
عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولأنهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكونوا أزجر
وإن خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل ومقسطا قال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فإذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من
قولهم قاسطته فقسطته أي غلبته على قسطه وإذا قالوا أقسط بالهمزة فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف أي أتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم
أن قوله إن خفتم شرط وقوله فانكحوا جوابه ولا بد من بيان أن هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الأول ما روي عن عروة أنه
قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها
وجمالها إلا أنه يريد أن ينكحها بأدنى من صداقها ثم إذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بأنه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج
عنها فقال تعالى وإن خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء قالت عائشة ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد
هذه الآية فيهن فأنزل الله تعالى ويستفتونك في النساء الآية فقوله فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء المراد هذه الآية وهي قوله
وإن خفتم ألا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال ويكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم إن خفتم ألا تقسطوا
في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثاني وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدي ومنقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية
المتقدمة في أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الأولياء أن يلحقهم الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الأزواج

واكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى في العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب وتاب عنه وهو مرتكب مثله فكانه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا من الحرج خائفين من الزنى ايضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روي عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا انفق ماله لنفسه على النسوة اخذ في انفاق اموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم ان تظلموا اليتامى باكل اموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم ان تنكحوا اكثر من اربع ليزول هذا الخوف فان خفتم في الاربع ايضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكانه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال اهل الظاهر النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله بعد ذلك لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وايضا الاية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه اراد به الجنس تقول ما عندك فيقال الرجل والمرأة تريد ما ذلك الشيء الذي عندك وما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله او ما ملكت ايمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشي على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم اي ما حل لكم من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا امر اباحة فيؤول المعنى الى قوله ابيحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الاية تصير مجملة لان اسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الاية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الاية عامة دخلها التخصيص والتخصيص اولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة اصلا والجواب عن الاول انه ذكر الشيء ضمنا ثم صرح به لا بعد تكرارا بل تاكيدا وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني ان قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما اخرجته اية التحريم لا اجمال واما قوله مثنى وثلاث ورباع لم توجد في كلام الفصحاء الا هذه واحاد او موحد وثناء ومثنى والعشار او معشر بناء على قول الكميت لم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا فاتفق النحويون على انها غير منصرفة وذلك انها معدولة بتكرير ذي اجزاء على عدد معين ولفظ المعدول عنه غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزءا جزءا وجاءني القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد ايضا التكرير عملا بالاستقراء والحاق للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان اصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرفه للعدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب يستعمل في الاوصاف بخلاف المعدول عنه وقيل انه عدل مكرر من جهة اللفظ لان اصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث ومثلث وقيل انه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فعلى البدل وضعف بعد جريانه على المعارف ولو قوعها لا بمعنى الاية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة ومن قرء بالنصب فاختاروا او انكحوا او الزموا واحدة ومن قرء بالرفع اراد فكفت واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال او ما ملكت ايمانكم في التسوية في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شئتم من الاماء لانهن اقل تبعة واخف مؤنة من المهائر لا على المرء اكثر منهن او اقل عدل بينهن في القسم ام لم يعدل عزل عنهن ام لم يعزل ولهذا كان التسوية بينهما وبينهن احتج بها الشافعي في بيان ان نوافل العبادات افضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل افضل من التسري فوجب ان يكون افضل من النكاح لان الزائد على احد المتساويين زائد على الآخر ولقائل ان يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح والرمان يحتمل ان يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة اي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة الضرورية ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على ان فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى ان اكثر الفقهاء على ان نكاح الاربع مشروع للاحرار والعبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكنه النكاح الا باذن مولاه وايضا انه قال بعد ذلك فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لكن لان هذه الخطابات وردت متتابعة على نسق واحد فيبعد ان يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا والعبد لا ياكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد ان يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الاية ومن الفقهاء من سلم ان ظاهر الاية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا اجمعنا على ان للرق له تاثيرا في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب ان يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى انه يجوز التزوج باي عدد اريد لان قوله فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ اطلاق في جميع الاعداد بدليل صحة استثناء كل عدد منه وقوله مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدينة والى البستان كان تنصيصا في ان زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وايضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها واما السنة فلما ثبت بالتواتر انه ص مات عن تسع وقد امرنا باتباعه في قوله فاتبعوه واقل مراتب الامر الاباحة وقد قال ص من رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم امران احدهما الخبر كنحو ما روي

الربع

ان نوفل بن معاوية اسلم وتحته خمس نسوة فقال له امسك اربعا وفارق واحدة وزيف بان القرآن دل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا ونسخ القرآن بخبر الواحد جائز وبان الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب او الرضاع واقول القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته انه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وايضا قوله امسك اربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على ان المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث ثانيهما الاجماع فيها الامة وضعف بان الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب ان المخالف اذا كان شاذا فلا يعتد به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول ولئن سلم ان القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي ان يقال مثنى او ثلاث او رباع باو الفاصلة لانا نقول يلزم منه ان لا يجوز النكاح الا على احد هذه الاقسام ولا يجوز لبعضهم ان ياتي بالتثنية ولبعض ثان بالتثليث ولآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة التي دلت عليه الواو وذلك ادنى ان لا تعولوا اي اختيار الواحدة او التسري اقرب من ان لا تميلوا او لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي ﷺ من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه ان لا تفتقروا ورجل عائل اي فقير وذلك انه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه ان لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين ان هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال عال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس ان لا تعيلوا وايضا انه لا يناسب قوله اول الآية وان خفتم ان لا تقسطوا وايضا عيب انه نقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقال عند اختيار التسري ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وتمام علم انه تعالى اشار الى الشيء بذكر لازمه اي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكشاف في الكشاف على وجه آخر وهو انه جعل قوله تعالى ان لا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم ولا شك ان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل انه ذكر اللازم وهو الانفاق واراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا انه ذكر اللازم وهو الميل والجور واراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني ان نحمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار اولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي ايضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث ان الجواري اذا كثرن فله ان يكلفهن الكسب فينفقن على انفسهن وعلى مولاهن ايضا فكانه لا عيال وايضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكان مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج وآتوا النساء صدقاتهن اي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطي البنات من مهورهن شيئا ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيئا لك النافجة يعنون انك تاخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك اي تعظمه وقال ابن الاعرابي النافجة ما ياخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وامر بدفع الحق الى اهله وهذا قول الكلبي وابي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل ان يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد امروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل ان يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد اي حتى يضمنوها فيكون المعنى ان الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمي ذلك ام لم يسم الا ما خص به الرسول من الموهوبة قال ويجوز ان يراد الوجهان جميعا اما قوله نحلة فقال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد اي فريضة وديانة فيكون مفعولا لها او حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي اي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيئا لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم امر الزوج بان يؤتي الزوجة المهر فكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما امرهم بايتاء الصدقات اباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس ان النفس لهن ولا اهن انفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق او للمذكور وفي قوله طبن بناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون ان يقول سمحن او وهبن وفي قوله عن شيء منه دون ان يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعثهن على تقليل الموهوب لهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها او اكثر ومن هذا التقرير يظهر ان من في قوله منه للتبعيض خرجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور ولا مرية في جواز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم ان من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل اصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب بالجملة فهو عبارة عن التحليل

ويلزمهم لها

١ او المبالغة

او المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على
قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انهما اقاما مقام مصدريهما اي هنئا مرءا والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض
العلماء ان وهبت ثم طلبت علم انها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك
لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطانا ولا يؤاخذكم
الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما امر بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا اوان التكليف فقال
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم اكثر العلماء على ان هذا الخطاب للاولياء فورد ان الانسان لو قيل اموالهم واجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال
الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم ومعلوم ان الرجل منهم ما كان يقتل نفسه
لكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل انفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية
حسنت اضافة اموال السفهاء الى اوليائهم ويحتمل ان يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة
ادنى سبب وقيل خطاب للآباء نهاهم الله تعالى اذا كان اولادهم سفهاء ان يدفعوا اموالهم او بعضها اليهم فعلى هذا يكون اضافة الاموال اليهم حقيقة
والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب اجله يجب عليه ان يوصي بماله الى امين يحفظه على ورثته وقد رجح القول الاول بان ظاهر النهي للتحريم وقد
اجمعت الامة على انه لا يحرم عليه ان يهب اولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله واجمعوا على انه يحرم للولي ان يدفع الى السفهاء اموالهم وايضا
قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا فهذه الاوامر انما تناسب حال الاولياء لا الآباء واقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة
في اموالكم لا يفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية او اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء ازواجا
كن او امهات او بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة
اطاعت قيمها وقد يجمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم اولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير
انه علم الرجل ان امرأته سفيهة مفسدة وان ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح ان المراد بالسفهاء كل من ليس
له عقل يفي بحفظ المال ولا يهتدي له باصلاحه وتثميره والتصرف فيه فيدخل فيه النساء والصبيان والايتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند اهل
الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما انه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به فسماه بالقيام
اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما ففعل حذفت الالف من قياما وهو مصدر قام واصله قوام فقلبت الواو ياء للاعلال في فعله فان لم يكن مصدرا
لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال
ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان ادنتني فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد
صان الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على اهله وفيه الفقر مخذلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها
تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابو العتاهية اجلك قوم حين صرت الى الغنى وكل غني في العيون جليل اذا مالت الدنيا على المرء رغبت اليه ومال
الناس حيث يميل ليس الغنى الا غنى زين الفتى عشية يقري او غداة ينيل وقد اختلفت اقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج
من الفقر مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا قول
من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا قول من غلب
عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور اوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين شعر
ومن كلفته النفس فوق كفافها فما ينقضي حتى الممات عناؤه والحاصل ان الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا
يكون فارغ البال الا بواسطة المال فحينئذ يمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث امر بالكتابة
والشهادة والرهان المقبوضة فمن اراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن ارادها لعينها فنالها من حرمه وندامه ثم انه سبحانه امر بعد ذلك
بثلاثة اشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها كيلا يكون امرا بجعل بعض اموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل امرهم ان يجعلوها
مكانا لرزقهم بان يتجروا فيها ويثمروها حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من اصول الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة
وكما يليق بحال امثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل ان يقولوا اذا ربحت
في سفري هذا فعلت بك ما انت اهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك
وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم امر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه
ان المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها
وعظه ونصحه وحثه على الصلوة وعرفه ان عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول

او عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين ان السفهاء متى يؤتون اموالهم فشرط في ذلك شرطين احدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني فيدخل فيه ما كان بسبب الاحتلام او الجماع او غيرهما ويمكن ذلك بعد استكمال تسع سنين قمرية او يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند ابي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية وللجارية امارتان اخريان الحيض والحبل ولطفل الكفار امارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة واما الايناس فهو في اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا اذن له في البيع والشرى وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لانا لا نسلم ان الابتلاء يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله بحسب ما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع والشرى بحضوره ثم باستكشاف ذلك ان البيع والشرى منه وما يتصل بهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيئا ليبيع او يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي يعقد العقد لو اراد وولد الزارع يختبر في امر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في امر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفأرة وما اشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين او اكثر على ما يليق بالحال بحيث يفيد غلبة الظن انه رشيد ونوعا من الرشد يعني بالدلالة لا الرشد من جميع الوجوه على اكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا انه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يفك الغبن على جنبيه ثم ان ابا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء الى مصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما امر فرعون برشيد مع انه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين ان الشافعي يرى الحجر على الفاسق وابو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد استمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند صاحبي ابي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند ابي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زاد عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مصدران في موضع الحال اي مسرفين ومبادرين كبرهم او مفعول لهما اي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ومجاوزة الحد والاسراف والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا اي اسن وكبر بالضم يكبر كبارة اي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايديهم ومن كان غنيا فليستعفف فليمتنع منه ولينزه عنه وفي السين زيادة مبالغة كانه طلب من نفسه العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في ان الوصي هل له ان ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له ان يأخذ قدر ما يحتاج اليه بقدر اجرة عمله لان النهي في الآية عن الاسراف مشعر بان له ان يأكل بقدر الحاجة ولا سيما اذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي ان عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم اما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان الا واني قد انزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة ولي مال اليتيم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وايضا قياسا على الساعي في اخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا هنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية ان له ان يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا ايسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه واكثر العلماء على ان هذا الاقراض انما جاز في اصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما واما التناول من الالبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال قال ابو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب اصحابنا انه لا يأخذ لا على سبيل القرض ولا الابتداء سواء كان غنيا او فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم واجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما واجيب بان محل النزاع هو ان كل الوصي مال اليتيم ظلم او لا قال وان تقسطوا في اليتامى بالقسط وهو ايضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على ان الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط ان يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في ان الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال ابو حنيفة واصحابه يصدق بيمينه كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب لانه امين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب نعم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقصير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض ومحاسبا كالشريك بمعنى المشارك وفيه تهديد للولي لليتيم ان ينصادقوا ولا يتكاتموا والباء في بالله زائدة نظرا الى اصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من هنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذ

ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً إنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا نعطي إلا من قاتل على ظهور الخيل وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك علي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالاً حسناً وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيئاً فدعاهما رسول الله ﷺ فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلاً ولا ينكأ عدواً فقال رسول الله ﷺ انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فأنزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً فإن الله قد جعل لهن نصيباً ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وسبب الإجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعدها هو أن النقل من المألوف شديد فالتدرج في الأمور دأب الحكيم وهكذا قد نزل الأحكام والتكاليف شيئاً بعد شيء إلى أن كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفي مما قل منه أو كثر بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيباً مفروضاً نصب على الاختصاص بتقدير أعني نصيباً مقطوعاً مقدراً لا بد لهم أن يحوزوه أو على المصدر المؤكد كأنه قيل قسمة مفروضة احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام كالعمات والخالات والأخوال وأولاد البنات لأن الكل من الأقربين غايته ما في الباب أن مقدار نصيبهم غير مذكور ههنا إلا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لأصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الأدلة وأجيب بأنه تعالى قال نصيباً مفروضاً وبالإجماع ليس لذوي الأرحام نصيب مقدر وأيضاً الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الأرحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا أنه غير مراد من الآية وأيضاً ليس المراد بالأقربين من له قرابة ما وإن كانت بعيدة وإلا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد أقرب الناس إلى الوارث وما ذاك إلا الوالدان والأولاد ودخول الوالدين في الأقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار قال المفسرون إنه لما ذكر في الآية أن للنساء أسوة بالرجال في أن لهن حظاً من الميراث وعلم أن في الأقارب من يرث ومنهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال وإذا حضر القسمة أولوا القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك أنها منسوخة بآية المواريث وعن أبي موسى الأشعري وإبراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير أنها محكمة ولكنها مما تهاون بها الناس قال الحسن أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولاً معروفاً كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الأمصار اليوم قالوا إن هذا الرضخ يستحب إذا كانت الورثة كباراً وأما إذا كانوا صغاراً فليس إلا القول المعروف كأن يقول الولي إني لا أملك هذا المال إنما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وإن يكبروا فسيعرفون حقكم والقسمة منه إما أن يعود إلى ما ترك وإما إلى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل المراد قسمة الوصية وإذا حضرها من لا يرث من الأقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الموصي أن يجعل لهم نصيباً من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولاً معروفاً وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع إلى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم وأما المخشي فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الأوصياء أمروا بأن يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافاً وأمروا بأن يشفقوا على اليتامى من الضياع كما يشفقون على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أي الصواب هو أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل ويدعوهم بيا بني ويا ولدي وهذا القول أليق بما تقدم وتأخر من الآيات الواردة في باب الأيتام فجعلهم الله تعالى على حال أنفسهم وذريتهم إذا تصوروها ليكون ذلك أجد ما يدعوهم إلى حفظ مال اليتيم كما قال القائل لقد زاد الحياة إلي حباً بناتي إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين البؤس بعدي وأن يشربن رنقاً بعد صاف وقيل هم الذين يجلسون إلى المريض فيقولون إن ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئاً فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه بالوصية إلى الأجانب إلى أن يستغرق المال بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم أو يخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا يكون الآية للنهي عن الترغيب في الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف في الوصية فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله ﷺ لسعد الثلث كثير وكان الصحابة يستحبون أن لا يبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن يتصل الآية بما قبلها فيكون أمراً للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا أنهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن أبي ثابت سألت مقسماً عن الآية فقال هو الرجل الذي يحضره الموت ويريد الوصية للأجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وأمسك على ولدك مالك مع أن ذلك الإنسان يحب أن يوصي له وعلى هذا يكون نهياً عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً ثم أكد الوعيد في باب أكل مال اليتيم فقال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً أي ظالمين أو على وجه الظلم من أولياء السوء وقضاته لا بالمعروف إنما يأكلون في بطونهم أي ملء بطونهم ناراً أي ما يجر إلى النار وكأنه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال رأيت ليلة أسري بي قوماً لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخراً من النار يخرج من أسافلهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من

الجزء الرابع

صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالفتح فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد و
السعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها والهبتها فهي سعير اي مسعورة والتنكير للتعظيم اي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة
لا يجوز ان يدخل تحت هذا الوعيد اكل اليسير من مال اليتيم لا بد ان يكون مقداره خمسة دراهم لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في آية الكنز في منع الزكوة
ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا ان نزيد
فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي انه اوعد مانع الزكوة بالكي واكل مال اليتيم بامتلاء البطن من النار ولا شك ان هذا الوعيد اشد والسبب
فيه ان الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى تملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم اشنع وايضا الفقير يقدر على الاكتساب من جهة او على
السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه اظهر وهذا من كمال عنايته تعالى بالضعفاء فنرجو ان يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته التأويل ذكر الناس
بعد خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلعم قال اول ما خلق الله روحي فهو ابو الارواح وخلق منها
زوجه وهي النفس خلقها من ادنى شعاع من اشعة انوار روح محمد صلعم وبث منهما رجالا كثيرا ارواحا كاملين ونساء ارواحا ناقصات واتقوا
الله الذي تساءلون به اي تتقوه ان تساءلوا بعزته والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتي بصلة غيري وآتوا اليتامى اموالهم تزكية عن آفة الحرص
والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة وتحلية
وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا تاما
فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك ادنى ان لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء
صدقاتهن نحلة تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارة
الى تربية يتامى القلوب في النفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال
ولا تؤتوا السفهاء وانما قال اموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كلوا من رزق الله واشكروا
شكر نعمته بامتثال اوامره ونواهيه الا ذي طعامك بذكر الله كما قال اذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى اي قلوب المتأدبين بآدابي
توسع في المعيشة بعد ان كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان يسمتوا بذلك التوسع
على الشرع وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد اشبع الزنجي وكده فادفعوا اليهم اموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في مال
سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا اموالهم ولا تأكلوها اسرافا اي فان آنستم يا اولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في اعمال
الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخة ولا تجعلوا الشيخوخة مأكلة لكم عليهم وغبطة عليهم ان يكبروا بالشيخوخة ومن كان
غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف
فلينتفع باعانته وليجزه بالشيخوخة مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم اموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخة فاشهدوا عليهم
الله ورسوله وارواح المشايخ واوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم اخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة
وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله من بركاتهم وانوارهم نصيبا مفروضا
على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة اي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم اولوا القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من انوارهم والمقتفون لآثار
فارزقوهم من مواهب كمالهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتشهير هوان الدنيا عند الله وعزة اهل الله في الدارين
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين او المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر او موت فليتقوا الله
اي يوصيهم بالتقوى وان يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان
الذين يأكلون يضيعون اطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة وسيصلون سعير الانقطاع

يُوصِيكُمُ اللّٰهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ ع ١٣
میفرماید شما را خدا در بارهٔ فرزندان شما مر پسر راست مانند بهرهٔ دو دختر پس اگر بوده باشند دختران همه بالا از دو پس مر ایشان راست دو سوم از آنچه گذاشته و اگر
كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
باشد یکی پس مر اوراست نصف ترکه و مر پدر و مادر او را از برای هر یکی از آن دو شش یک از آنچه نهاده است اگر بوده باشد مر او را فرزندی پس اگر نباشد
لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا
مر او را فرزندی و میراث برد او را پدر و مادر پس مر مادر او راست سه یک پس اگر باشد مر او را برادران پس مر مادر او راست شش یک پس از وصیتی که فرماید بران
أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ

و مر شما راست نصف آنچه نهادند زنان شما اگر نبوده باشد از برای ایشان فرزندی پس اگر باشد مر ایشان را فرزندی پس مر شما راست چهاریک از آنچه نهادند پس از

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ

وصیتی که بفرمایند بدان یا قرضی و از برای ایشانست چهاریک از آنچه نهادید اگر نباشد مر شما را فرزندی پس اگر باشد مر شما را فرزندی پس مر ایشانراست هشت یک

مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ

از آنچه نهادید پس از وصیتی که فرمایید بدان یا قرضی و اگر بوده باشد مردی که میراث برده از او کلاله یا زنی و مر او را برادری است یا خواهری

فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ

پس از برای هر یک از آن دو است شش یک پس اگر بوده باشند بیشتر از این پس ایشان انبازانند در این سه یک از پس وصیتی که فرموده شود بدان یا دینی

غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي

نه گزند رساننده فرموده از نزد خدا و خدا داناست و بردبار این است قرارهای خداوندی و هر که پیروی کند خدا و رسول او را درآورد او را در بهشتهای روان

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ

از زیر آنها جویها جاویدان در آن و این است بهره بزرگ و هر که فرمان نبرد خدا و پیغمبر او را و درگذرد از اندازهای او درآورد او را

نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

ع ۱۴

در آتش جاوید در آن و مر او راست عذاب خوار کننده و آنهایی که مرتکب شوند زنا را از زنان شما پس گواه آورید بر آنها چهار تن را

مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا

از شما پس اگر گواهی دادند پس نگه دارید ایشان را در خانها تا وقتی که در رسد ایشان را مرگ و یا قرار دهد خدا از برای ایشان راهی و آن دو مردی که بیایند زنا را

مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ

از شما پس آزار کنید ایشان را پس اگر توبه کردند و بازآمدند پس روی گردانید از ایشان بدرستی که خدا توبه پذیر مهربانست جز این نیست که توبه بر خداست از برای آنهایی که

يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

میکنند بدی را از روی نادانی پس توبه کنند بزودی پس آن گروه می پذیرد خدا توبه ایشان را و میباشد خدا دانا و بردبار

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ

و نیست توبه مقبول مر آنها را که میکنند گناهان را تا آنکه در رسد یکی از ایشان را مرگ گوید من توبه کردم و نه آنهایی که میمیرند

وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا

و حال آنکه کافرانند آن گروه مهیا کرده ایم از برای ایشان عذابی دردناک ای زمره ایشان که گرویده اید سزاوار نیست شما را که میراث برید از زنان بنا خواه

وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

و گزند مرسانید ایشان را که ببرید از ایشان پاره از آنچه داده اید ایشان را مگر آنکه مرتکب شوند ناشایسته هویدا و رفتار کنید با ایشان به نیکوئی

فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ

پس اگر بد آید شما را از ایشان پس امید است که بد آید چیزی و بگرداند خدا در آن منفعت بسیار و اگر اراده کردید که بدل کنید زنی را در جای زنی

وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ

و داده باشید یکی از ایشان را مال بسیار پس وا مگیرید از آن چیزی را آیا وا میگیرید آن را بهتان و گناهی هویدا و چگونه وا میگیرید آن را

وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

و حال آنکه رسیده بعضی از شما بسوی بعضی و وا گرفته اند از شما عهدی استوار و نکاح مکنید با آنچه نکاح کردند پدران شما از زنها

إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا القراءة واحدة بالرفع ابو جعفر ونافع البناقون بالنصب

مگر آنچه در پیش گذشته بدرستیکه آن میباشد ناشایسته و منفور و بد راهی است فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلى

البناقون بالفتح يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد والمفضل ووافق الاعشى في الاولى وحفص في الثانية البناقون مبنيا

للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وابو جعفر البناقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون

ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتين وارنا اللذين واشباه ذلك واما قوله فذانك فابن كثير وابو عمرو ويعقوب عباس مخير البناقون بالتخفيف

كي هيا بالفتح وكذلك النوبة حمزة وعلى وخلف البناقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وابو بكر وحماد وقرا ابو جعفر ونافع وابو عمرو

وسهل ويعقوب مبينة بالكسر ومبينات بالفتح البناقون كلها بالكسر الوقوف الانثيين ما ترك قلها النصف ط لانتهاء حكم الاولاد فان كان له ولد

فلامه الثلث او دين آباؤكم وابناؤكم لتقدمه هم ابناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدأ وخبره لا تدرون نفعا فريضة من الله حكيما لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع منهما السدس دين

لان غير حال عامله يوصى غير مضار لاحتمال نصب وصية كما يجيء من الله حليم لان تلك مبتدأ حدود الله خالدين فيها الا ان ما بعده اعتراض مقرر

للجزاء العظيم خالدا فيها الا ان ما بعده من تتمة الجزاء فيهن اربعة منكم لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا فاذوهما عنهما رحيما عليهم حكيما السيئات الان

حتى اذا يصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت يصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار اليما كرها لتعد لعدم الاختلاف النهي منبسط للعارض بين المتعقبين

بالمعروف كثيرا شيئا مبينا غليظا سلف ومقتا سبيلا التفسير لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا

ولم يكن ذلك الا بيانا بجملة احكام الميراث ونقول اجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله اى

يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين بالنسب والعهد اما النسب فكانوا يورثون الكبار

ولا يورثون الصغار والاناث كما مر واما العهد فالحلف والتبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوريث

بالعهد مقررا في اول الاسلام مع زيادة سببين اخرين احدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان اجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة

ومخالصة ولا يرثه غيره وان كان من اقاربه والثاني المواخاة كان رسول الله يواخي بين اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر

في الاسلام ان اسباب التوريث ثلثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء ان المعتق يرث بالعصوبة من المعتق وروى ان رسول الله ورث بنت

حمزة من مولى لها وورد هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة

كما يحملون عنه الدية قال انا وارث من لا وارث له اعقل عنه وارثه وعن ابي حنيفة واحمد انه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة ارثا

لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فالحق بالمال لضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لان تعلق الانسان بولده

اشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع ابوي الميت اما حال الانفراد فثلثة ذكور واناث معا او اناث فقط او ذكور فقط اما

الحالة الاولى فبينها هنا قوله للذكر مثل حظ الانثيين اى للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه احكام ثلثة احدها خلف ذكرا واحدا وانثى واحدة

فله سهمان ولها واحد ثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا اخرين كالزوجين فهم ياخذون

سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب انثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضيلته كما ضوعف

حظه لذلك لان الابتداء بما ينبئ عن فضل احد ادخل في الادب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكانه قيل

لهم كفى للذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن الزيادة واما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب النساء من المال اقل من نصيب الرجال فلنقصان

عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث لان احتياجهن الى المال اقل لان ازواجهن ينفقون عليهن او لكثرة الشهوة فيهن فقد يسير المال سببا لزيادة

فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اى مفسدة فكيف حال المرأة وعن جعفر الصادق ان حواء اخذت حفنة من الحنطة واكلت واخذت

حفنة اخرى فخباتها ثم اخذت حفنة اخرى ودفعتها الى ادم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف

نصيب الرجل واما الحالة الثانية فهن اكثر من اثنتان او واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم

القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قراء بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرء بالنصب فالضمير في كانت فان كان يعود

الى النساء وجاز لعدم الالتباس بدليل واحدة وان كان يعود الى غائب حكمي اى ان كانت البنت او المولودة وقراءة النصب وفق لقوله فان كن نساء

وقراءة الرفع ايضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف ان يكون الضمير في كن وكانت مبهما ويكون نساء وواحدة

تفسيرا لهما على ان كان تامة واما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الاية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس ان فرضهما

النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بان النصف ايضا مشروط

بالوحدة واقول لعله نظر الى ان الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنين سوى الثلثة والحمل على الاقرب اولى وقال الاكثرون من الصحابة

وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالاية فلزم ان يكون للبنتين الثلثان ولانه لما بين ان نصيب البنت مع الولد الذكر

الثلث فلان يكون نصيبها مع ولد اخر انثى هو الثلث اولى لان الذكر اقوى من الانثى وعلى هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على

اثنتين فذكر بعده للاناث وان بلغن من العدد ما بلغن لم يتجاوز الثلثين وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في اخر السورة

فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان اولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده انه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث

البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء او خبر بعد خبر للتاكيد ولئلا يخرج اقل الجمع وهو اثنان زائد

كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتاخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها

فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس او قال سعد بن الربيع قتل معك يوم احد قد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي

الثلثين واعط

الله في ذلك فنزلت هذه الاية فقال رسول الله ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما اعطهما امهما الثمن وما بقي فلك واما الحالة الثالثة

وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الاية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين ان للبنت الواحدة النصف علم منه ان

للابن

للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا اكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وابنه فالة وما
ابقت السهام فلاولى عصبة ذكر ولا نزاع في ان الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سكت عن ولد الولد فقيل
اسم الولد يقع على ولد الابن ايضا لقوله تعالى يا بني ادم يا بني اسرائيل وقيل ولد الولد على الولد لما انه كولد الصلب في الارث والتعصيب لكنه يتحقق
شيئا مع اولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب اصلا او لا ياخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنات ابن فالهنا باخذ تكملة
الثلثين ولد الصلب كل الميراث في بناهم التبا واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان
ومنها ان القاتل لا يرث ومنها انه لا يتوارث اهل ملتين والمرتد ماله في لبيت المال سواء اكتسبه في الاسلام او في الردة وعند ابي حنيفة ما
اكتسبه في الاسلام يرثه اقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روى ان فاطمة لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر
الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من ال يعقوب وبقوله وورث سليمان داود اذ الاصل في التوريث
المال دون وراثة العلم والدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في اولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا علي وفاطمة والعباس وهؤلاء
كانوا من اكابر الزهاد والعلماء في الدين واما ابو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله انه يرث الرسول
عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول ان يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها اشد الحاجة وايضا
يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدته تخصيص
الانبياء بذلك لانهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم اجابوا بان فاطمة رضيت بقول ابي بكر
بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على صحة ما ذهب اليه ابو بكر واعلم ان جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الاولاد واما حالة اجتماعهم بالابوين
فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام تغليبا للاب لشرفه ومثله من التغليب
في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في ابويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير
العامل وفائدة هذا البدل انه لو قيل لابويه السدس لاوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي
او بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من ابويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ خبره لابويه وقد
توسط البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث احوال الاولى ان يحصل معهما ولد ولا نزاع ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى
فههنا ثلاثة اوجه احدها ان يحصل معهما ولد ذكر واحد او اكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها ان يحصل معهما
بنتان او اكثر فالحكم كما ذكر وثالثها ان يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم
التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد انما لا يخفى فما الحكمة في انه تعالى جعل نصيب الاولاد اكثر من نصيب الوالدين قلنا الجواب والله اعلم ان الوالد
ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا اما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال اكثر وايضا كانهما قالا لابنائهما حال الاطفال انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وايضا ولد الولد وولد ولده يرثه فحال الولد اهم عند الوالدين من حالهما لهما الحالة الثانية ان لا يكون
معهما احد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله وان لم يكن له ولد وورثه ابواه اي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب
فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين فيحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بان يكون
الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في انه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه او الى
الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى ان الزوج او الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب
ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكور والاناث فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا استحق منه شيء بسهم فما بقي
الثاني بينهما على قدر الاستحقاق الاول وايضا الزوج انما ياخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فاشبه الوصية وفيها الباقي وعن ابن سيرين انه
وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس اكثر مما للام وخالفه في الزوج
والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين
الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على ان واحدا من الاخوة او الاخوات
لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على ان ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى ان الاثنان يحجبان كما في
الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد في التثنية فما فوقهما فصح ان يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب
البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذا للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين الاعرابي في الفتوحات انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام فسئل عن خلاف الائمة في ان اقل الجمع اثنان وثلاثة فعلمه ان اقل الجمع في الشفع اثنان وفي الوتر ثلاثة وقال الاثنان فما فوقهما جماعة
وقد احتج ابن عباس بذلك على ابن عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا استطيع رد شيء كان قبلي ومضى
في البلدان فاشار الى اجماعهم قبل ان اظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين او الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى

للأب الثلثان أن لا يكون لهم شيء من الميراث ويكون خمسة الأسداس للأب وهذا مذهب ابن عباس الأول وذهب الجمهور إلى الثاني إذ لا يلزم من كون الشخص حاجباً كونه وارثاً ولم يرد لهم ذكر إلا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الأبوين ثم ذكر أن هذه الأنصباء إنما تدفع إلى هؤلاء من بعد وصية يوصي بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل المال لم يكن للورثة فيه حق وإذا لم يكن أو كان لكنه قضي وفضل بعده شيء فإن أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقي ميراثاً على فرائض الله تعالى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إنكم تقرؤن الوصية قبل الدين وإن الرسول قضى بالدين قبل الوصية والمراد أنه لا عبرة بالتقديم في الذكر لأن كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وإنما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض فكان إذاً فيها مظنة التفريط بخلاف الدين فإن نفوس الورثة مطمئنة إلى أدائه فكان في تقديمها ترغيب لهم في أدائها ولهذا جيء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما في الوجوب ولأن كلاً منهما ليس يحصل فيه الأمر أن يجيء بأو الفاصلة ليدل على أنه إن كان أحدهما فالميراث بعده وكذا إن كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة أن سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة أنه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في أنصباء أصحاب الوصية كما في الإرث بخلاف الدين فإنه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظاً لأنها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا يكون من أفعال القلوب بل يكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنياً لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعاً وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهاباً إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلاً قريباً في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلاً إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل عن ابن عباس أن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذا الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً لأن أحدهما لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذاك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي إلى كنه تلك الحكمة فلو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الإنفاق والذب عنه فلا بد أن الابن يحتاج إلى أن ينفق الأب عليه والأب يفتقر إلى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الأول فريضة من الله نصب على أنها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أي فرض الله ذلك فرضاً إن الله كان عليماً بكل المعلومات فيكون عالماً بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيماً لا يأمر إلا بما هو الأحسن الأصلح قال الخليل كان فيهما متخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لأنه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان لكنه من الأزل إلى الأبد عليم حكيم وقال سيبويه إن القوم لما شاهدوا علماً وحكمة تعجبوا فقيل لهم إن الله كان كذلك أي لم يزل موصوفاً بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث إما أن يكون متصلاً بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الأول فسبب الاتصال إما أن يكون هو النسب أو الزوجية فهذه ثلاثة أقسام الأول قرابة الولاد الفروع والأصول هو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الألفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الأول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم إلى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وإن كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا التنسيق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الأنثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وفيه تنبيه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثماني مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والأنثى ولا بين الابن وبين ابن الابن ولا بين البنت وبين بنت الابن ويخرج منه ولد البنت لأنه لا يرث وههنا مسألة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لأنها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وقال أبو حنيفة لا يجوز لأنها ليست زوجته ولو كانت زوجته لحل وطؤها لقوله إلا على أزواجهم وأجيب بأنه لو لم يكن زوجة له لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازاً ولو كانت زوجة مع أنه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص وإذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وأيضاً حل الوطء ثابت على خلاف الأصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شيء من تلك المصالح فعاد إلى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح توجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله بريء منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لأن يكون بينهن الرسول لنا أحب إلي من الدنيا وما فيها الكلالة

والكلالة والربو وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي قال الفرزدق
ورثتم قناة الملك لا عن كلالة عن ابني مناف عبد شمس وهاشم والمختار الصحيح من الاقوال قول ابي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من وجى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها
بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كالة ضعيفة ويحتمل ان يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالراس من غير جهة
الولادة فاما انه ذهب على الاستقامة كما قال نسب تتابع كابرا عن كابر كالرمح انبوبا على انبوب فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة
إن امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك الجواب ثم تعقب حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك ان الاخوة
والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم ان لا يكون الميت كلالة الا وقد خلا عن الابوين وايضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم اتبعها ذكر
الكلالة وهذا الترتيب يقتضي ان يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل صفة للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد
ويمكن ان يحمل عليه بيت الفرزدق اي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء ومنه العم كلالة وهو هنا مورث لا وارث وقد يجعل صفة للوارث
ومنه قول جابر مرضت مرضا اشفيت منه على الموت فاتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة اراد به انه ليس له والد ولا
ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والوكالة والجلالة واذا جعلت صفة للوارث او المورث كانت بمعنى ذي كلالة
كما يقال فلان من قرابتي اي من ذي قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف اي احمق وقوله تعالى
وان كان رجل يورث كلالة يحتمل الاول وهو قول عطاء والضحاك ان يكون مأخوذا من ورث الرجل يرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب
كلالة على الحال وعلى انه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز ان يكون مفعولا له اي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير ان يكون مبنيا
للمفعول من اورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة على الوجه المذكور وقيل ما السبب في انه قال وان كان رجل يورث كلالة او امرأة ثم قال وله
اخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان في معنى واحد جاز اسناد التفسير الى ايهما اريد وجاز اسناده اليهما ايضا يقول من كان له
اخ او اخت فليصله او فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز ايضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية اولى
لان الرجال في الاحكام اصل والنساء تبع لهم واما بناء على احد المذكورين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت
من الام ويدل عليه ما نسب الى ابي وسعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من الام او من الام فلكل واحد منهما اي من الاخ والاخت السدس من غير تفاضل الذكر
على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو ان الرجل موروث منه واما على الاحتمال الثاني وهو ان الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد
من اخيه او اخته والمعنى مثل الاول لانا اذا قلنا السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سوينا بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين ان نصيبهم كيف ما كانوا لا يزاد على الثلث وقد يستند الاجماع الى هذا بيانه انه تعالى في آخر السورة قل الله
يفتيكم في الكلالة واثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال فههنا اثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع
فعلم ان المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهناك
الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان او من الاب وهم اولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا انها في الآية مخصصة
كما بينا غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور اي يوصي او علم
انه موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود الى رجل على تقدير انه المورث والى الميت الذي دل عليه سياق الكلالة اي ان كان الرجل وارثا وضرار
الورثة بان يوصي بازيد من الثلث او بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بان الدين
الذي كان له على غيره قد استوفاه او يبيع شيئا بثمن بخس او يشتري شيئا بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان
ان ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس اوصى على
قانون العدالة وقد روى عكرمة عن ابن عباس ان الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن ابي هريرة عن النبي ﷺ ان الرجل
ليعمل بعمل اهل الجنة سبعين سنة فاذا اوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار سبعين سنة فيعدل في
وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وصية من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد او على انه مفعول
مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد ان لا يدعهم عالة بالاسراف في الوصية والله
عليم بمن جار في وصيته او عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم اكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود
الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من احكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف ان يتجاوزها
ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وغيرها كما ان الوالد يقبل على ولده يؤدبه في امر خصوص
ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين
خالدا على الحال ولا يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لانهما جريا على غير من هما له وكان يلزم ان يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها فالت

المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك ان التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فاذن المراد تعدي اي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود ولئن سلمنا ان ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فاي مانع لنا من ان نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبان الآية لعلها مخصوصة بالكافر لان جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ اي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وكل لا يحصل الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرنا من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر ان قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده ايضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم ان المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها لا على وجه الحكمة والصواب فيلزم منه الكفر والله اعلم بمراده قوله عز طوله واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه ان التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة وفيه ان مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي ان يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللوائي واللواتي فكانهما جمعا الجمع وقد تحذف التاء من الاربعة وقد تسهل همزة اللاء بين الهمزة والياء لكونها مكسورة قراءة ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللواء بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللات كاللاءات قال ابن الانباري العرب يقول في الجمع من غير الحيوان التي كقوله اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية اللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح مصدر كالعافية واجمعوا على انها الزنا ههنا قال المحققون حصر هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى بالكفر والبدعة وامثالهما وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنا واللواطة والسحق وما اشبهها وهذه اخس الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم او من الحرائر او من نسائكم المؤمنات والثيبات اقوال فاستشهدوا عليهن اربعة منكم احتياطا لامر الزنا والمراد بقوله منكم اي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده ان لا تقبل شهادة النساء في الحدود وان يشهد والمقصد مفسرا كقولهم رأيناه ادخل ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة او كالرشاء في البئر ولا يقع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عام كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت اي ملائكة الموت وحتى يأخذهن الموت ويستوفي ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح او بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية او اللائط والملوط فآذوهما وبخوهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله اما لكما في النكاح مندوحة عن هذا فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم او طلب الشهود الذين عثروا على سرهما ان يشهدوا وهما بالرفع الى الامام وقد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام واعلم ان للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن ان الثانية مقدمة في النزول فامر بايذاء الزانيين ولا يتمم امرهما وامساك النساء في البيوت الى ان يتبين احوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن ابي مسلم ان الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا ان يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم اي من رجالكم كما في قوله اربعة منكم واما الزنا من الرجل والمرأة فذلك في سورة النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول ابي مسلم بانه قول لم يقل به احد وبان الصحابة اختلفوا في احكام اللواطة ولم يتمسك احد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على ان الآية ليست في اللواطة اجاب ابو مسلم بانه قول مجاهد وهو من اكابر المفسرين على انه بين في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وايضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وليس ذلك في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح حدا وجمهور المفسرين على ان الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فانزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر على ان البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن اصحاب ابي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلالة بل الرجم وقال في الكشاف من الجائز ان لا يكون الآية منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ ابو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار ايضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم اخبر عن المستحقين لعدم قبول فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال اكثر المفسرين كل من عصى الله

فهو جاهل

فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لأنه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم
له وبهذا التفسير يكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أنه يكون جاهلاً بكونها
معصية لكنه يكون متمكناً من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا أجمعنا على أن اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وإن كان لا يعلم كون اليهودية
معصية لأنه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنباً ومعصية وأن النائم والساهي لا يستحق العقاب لأنه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم
بكونه قبيحاً أما المتعمد فإنه لا يكون داخلاً تحت الآية وإنما يعرف حاله بطريق القياس وإنما كانت التوبة على الجاهل واجبة فلأن يكون
واجباً على العامد أولى لأنه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور الموت
ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وإنما كان ذلك الزمان قريباً لأن الأجل آت وكل ما هو آت قريب ولأن مدة عمر الإنسان وإن طالت قليلة
إلى طرفي الأزل والأبد كأنه كالعدم ولأن الإنسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فإنه يوصف بالقرب ومن في من قريب لابتداء
الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين حضور المعصية وبين حضرة الموت
زماناً قريباً لما قلنا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب بعيد ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني
تبت الآن فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب مثل قوله ﷺ إن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما التوبة على الله أن الأول إعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل
والإحسان والثاني إخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالأول التوفيق للتوبة والإعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليماً بأنه إنما أتى بتلك
المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيماً يجب في كرمه قبول توبة العبد إذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت هو وقوع الشدة
بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في الغرق وفي حالة الطلق وعند تلاطم الأمواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة أولى بالقبول
لقوله أمن يجيب المضطر إذا دعاه وإنما المانع من قبولها معاينة سلطان الموت ومشاهدة أهواله وأهوال الدار بحيث يصير معرفته بالله ضرورية
كما لأهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه إذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الأمر إلى حد الإلجاء والإجبار وههنا بحث للأشاعرة وهو أن
أهل القيامة لا يشاهدون إلا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً ويشاهدون أيضاً أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف
يكون ذلك العلم ضرورياً وبتقدير كونه ضرورياً فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الإله المثيب المعاقب فقد يقدم
على المعصية لعلمه بأنه كريم وأنه لا تنفعه طاعة العبد ولا تضره ذنوبه وأيضاً العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق
بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجباً للتكليف والضروري منافياً للتكليف فثبت ضعف هذا الفرق وأنه تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الأوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الأمر
فيجعل المقبول مردوداً والمردود مقبولاً ولا يسأل عما يفعل وأقول التحقيق فيه أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره
حق وقد عين لعباده حال البرزخ بياناً وعياناً وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لأحد عليه اعتراض أنه لم لم يعكس الأمر
ثم إن لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافياً للتكليف ويكون عين اليقين منافياً
له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على
الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت
لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة أو المعنى أنه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الإيمان لا يقبل عند القرب من الموت
أو المراد أن الكفار إذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا يقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله
عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة قال الواحدي الوعيد المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار والأولون
فساق لكنهما مشتركان في العذاب الأليم فثبت أن حكمهما واحد أجيب بأن أولئك إشارة إلى أقرب المذكورين فيحتمل أن للكفار أشنعه لا
من الفساق أو الطائفة الأولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه
كنمرود ومثله قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من إيذاء
النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الأول قوله لا يحل لكم أن ترثوا فيه قولان أحدهما الوراثة تعود إلى المال أي لا يحل
لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا أموالهن وهن كارهات لإمساككم وثانيهما أنها ترجع إلى أعيانهن وكانوا إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه
من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق
الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها من إنسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيئاً فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدي منه بمالها
وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل إنه خطاب للوارث بأن يترك منعها من التزويج لمن شاءت وأراد لتبذل المرأة للميت ما أخذت من الميراث كما كان

يفعله اهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة او للازواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف واعراب تعضلوهن النصب عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفي فلما لم نظر انه النهي لعطف الامر وهو قوله وعاشروهن عليه صاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا ان يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلان الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها او الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلانها اذا تبينت وظهرت صارت سببا للبيان كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس لما صرن اسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا فقيل من اخذ المال اي لا يحل له ان يحبسها ضرارا لتفتدي الا اذا زنت فحل لزوجها ان يسألها الخلع وكان الرجل اذا اصاب امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون في طلب الخلع النوع الثالث من التكاليف المتعلقة باحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ما الكثير اليمين في صحبتها قال الشوم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان عنتم مفارقتهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بان تخلص من زوج سيئ العشرة وتجد زوجا آخر او فونسه النوع الرابع من التكاليف وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك انه لما اذن في مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غيرها لان الفاحشة روي ان الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة اخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة في المهر روي ان عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس افقه من عمر ورجع عن ذلك وفيه احتمال ان يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الرخصة وهو موضع الحال اي وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء ادى المال اليها ام لا واعلم ان النشوز ان كان من قبل الزوجة حل اخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا انه يفيد الملك لو خالع كما ان البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وفي الحديث اذا واجهت اخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال اي باهتين وآثمين او على انه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض اي ببهتان وقيل بمضمر اي تصيبون بهتانا وسبب تسميته هذا الاخذ بهتانا انه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا او انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وانه لا يأخذه منها فاذا اخذه منها صار القول الاول بهتانا اي باطلا او كان من عادتهم انهم اذا ارادوا تطليق زوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك او بالحقيقة ان اخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث انه مشعر بانها قذفت بفاحشة وقبض على ما لها فهو بهتان من جهة وظلم من جهة وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستبهما فقال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي ان المراد بالافضاء الجماع اذ الافضاء الساحة ويقال افضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء ان يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وانما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وايضا الافضاء الابدان يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من افعال احدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب ان يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقق الافضاء وانتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسيره الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وايضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه انه الخلوة او الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم اكد المنع من استرداد المهر بقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان ومعلوم انه اذا الجأها الى ان تبذل له المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقود على الصداق واليها اشار في الحديث واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال آخرون اخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا وصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج النوع الخامس من التكاليف المتعلقة باحوال النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال ابو حنيفة يحرم على الرجل ان يتزوج بمزنية ابيه وقال الشافعي لا يحرم حجة ابي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اي الوطء لان اهلية العقد حاصلة ابدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة اي موطوءة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وانكحوا الايامى منكم ما طاب فانكحوا

تكم من النساء وبقوله النكاح سنتي ولا شك ان الوطي من حيث انه وطي ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبانه من حلف ان لا ينكح
انهم ليسوا من اولاد النكاح لم يحنث سلمنا ان الوطي سمي بالنكاح لكن العقد ايضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكرتم اولى من حملها على ما ذكرنا مع
اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطي فالواجب حقيقة في الوطي مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطي لا في العقد
وانما اطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب فالحمل على الحقيقة اولى او مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فيكون الآية
نهيا عن الوطي وعن العقد معا او لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن العقد لا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون
نهيا عن القسمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة واجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبان استعمال اللفظ المشترك في كلا
مفهوميه غير جائز وبان معنى الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطي ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم انها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء
وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان نكاحهم كان بغير ولي وشهود وكان مؤقتا ومن غير رضاهن فنهوا عن مثل هذا النكاح قاله محمد بن جرير الطبري
سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان
النهي للتحريم لكن لا نسلم انه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا
نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد
تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت وغيرها الا ما اخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله واحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله اذا جاءكم
من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا بناتكم الاكفاء وبقوله الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء
فحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوضح الكلام على قول الشافعي بان وطي حلال مدح به ووطي حرام ذم به فكيف
يشتبهان اما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه احسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب
المنهي عنه فكانه قيل انتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثني غرار
سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد
تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه فلو انه
اقرهم عليهن مدة ثم امر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول فانه ما اقر احد على نكاح
امرأة ابيه وان كان في الجاهلية وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث ابا بردة الى رجل عرس بامرأة ابيه ليقتله ويأخذ ماله انه اي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة اعلم
الله تعالى ان هذا الفعل كان ابدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف
والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب امر ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم
مراتب القبح ثلث في العقول وفي الشرع وفي العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح العادي وساء
فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى اعلم التأويل الوراثة الدينية ايضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بالخرقة من المشايخ والنسبة
بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية
من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد ويتوارث اهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية
والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد ويتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل
اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اي من
خواص العناصر الاربعة التي انتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصها الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه
الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بان تظهر بعض هذه الصفات من النفوس فامسكوهن
في البيوت في سجن الدنيا واغلقوا عليهن ابواب الحواس الخمس حتى يموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها او يجعل الله لهن سبيلا
بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها منكم اي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال و
الاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فاعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة اي بصفة
الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية فحسب فعمل السوء اذا كان بصفة
الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب اي عقيب المعصية قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل ان
يقال من قريب اي قبل ان يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية بالبأس لا اختيارية بالجنان ولا
تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا
ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمال فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقتا والله اعلم

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ اُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَاَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْاَخِ وَبَنَاتُ الْاُخْتِ وَاُمَّهَاتُكُمُ ع ٥
حرام کرده شد بر شما مادران شما و دختران شما و خواهران شما و عمهای شما و خواهران مادران شما و دختران برادر و دختران خواهر و مادرهای شما
اللّٰتِیْٓ اَرْضَعْنَكُمْ وَاَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَاُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَآئِبُكُمُ اللّٰتِیْ فِیْ حُجُوْرِكُمْ مِّنْ نِّسَآئِكُمُ
آنهائی که شیر داده‌اند شما را و خواهران رضاعی شما و مادران زنان شما و دختران زنهای شما آن دخترانی که در حجرهای شمایند از زنان شما
اللّٰتِیْ دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَاِنْ لَّمْ تَكُوْنُوْا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَآئِلُ اَبْنَآئِكُمُ الَّذِيْنَ مِنْ اَصْلَابِكُمْ وَاَنْ
زنانی که صحبت کرده‌اید با ایشان پس اگر نبوده‌اید که صحبت کرده باشید با ایشان پس نیست گناه بر شما و زنان پسران شما آنچنان پسرانی که از صلبهای شمایند و آنکه
تَجْمَعُوْا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا ۝ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ اِلَّا مَا مَلَكَتْ
جمع کنید میان دو خواهر مگر آنچه گذشت بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و زنان پارسا از زنان مگر آنچه مالک شد
اَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَاُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَآءَ ذٰلِكُمْ اَنْ تَبْتَغُوْا بِاَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِيْنَ غَيْرَ مُسَافِحِيْنَ ع ١
دستهای شما نوشتهٔ خدا بر شما و حلال شد بر شما آنچه غیر از این است که بجوئید بمالهای خود زن کنندگان نه زناکنندگان
فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهٖ مِنْهُنَّ فَاٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ فَرِيْضَةً وَّلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيْمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهٖ مِنْۢ بَعْدِ الْفَرِيْضَةِ
پس هرچه برخورداری گیرید بآن پس بدهید ایشان را مزدهای ایشان را قسمتی و نیست باکی بر شما در آنچه راضی شدید بآن از پس از بازبردن
اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ۝ وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا اَنْ يَّنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ
بدرستی که خدا هست دانای داور و هرکه نتواند از شما از توانگری که نکاح کند زنان پارسای مؤمنه را پس از آنچه که مالک شده است
اَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاِيْمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوْهُنَّ بِاِذْنِ اَهْلِهِنَّ وَ
دستهای شما از کنیزکان شما که گرویده‌اند و خدا داناتر است بایمان شما بعضی شما از بعضی پس نکاح کنید ایشان را باذن کسان ایشان و
اٰتُوْهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَّلَا مُتَّخِذَاتِ اَخْدَانٍ فَاِذَآ اُحْصِنَّ فَاِنْ اَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ
و بدهید ایشان را مزدهای ایشان را بشایستگی پارسایان از زنان نه زناکنندگان و نه فراگیرندگان دوستان پس چون شوی دار شوند پس اگر کردند زنائی را
فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِیَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَاَنْ تَصْبِرُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
پس بر ایشان است نصف آنچه بر زنان آزاد بود از عذاب این مر آنرا است که بترسد فساد را از شما و صبر کردن شما بهتر است شما را و خدا آمرزنده مهربان است
ع ٢ يُرِيْدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ۝ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ
اراده کرده است خدا که واضح کند از برای شما و بنماید شما را طریقهای آنها را که از پیش شما بودند و بپذیرد بر شما و خدا دانای کار است و خدا میخواهد
اَنْ يَّتُوْبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيْدُ الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الشَّهَوَاتِ اَنْ تَمِيْلُوْا مَيْلًا عَظِيْمًا ۝ يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّخَفِّفَ عَنْكُمْ
که قبول کند توبه شما را و میخواهند آنهائی که متابعت میکنند خواهشهای نفس را که بگردانید از حق روگردانیدنی هویدا اراده کرده است خدا که سبک گرداند از شما
وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيْفًا ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَاْكُلُوْٓا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّآ اَنْ تَكُوْنَ
و آفریده شده است آدمی ناتوان ای آنچنان کسانی که گرویده‌اید مخورید مالهای خود را در میان خود بطور باطل مگر آنکه باشد
تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوْٓا اَنْفُسَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيْمًا ۝ وَمَنْ يَّفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَّظُلْمًا
سوداگری از رضای متقابلین از شما و مکشید نفسهای خود را بدرستی که خدا هست بشما مهربان و هرکه مرتکب شود این را از روی دشمنی و ستمگری
فَسَوْفَ نُصْلِيْهِ نَارًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا الفرآءة والمحصنات كل القران بكسر الصاد الاولة والمحصنات من النساء
پس زود است که داخل کنیم او را در آتش و هست این بر خدا آسان على الباقون بالفتح واحل بحي مبنيا للمفعول يزيد حمزه وعلي وخلف
وعاصم غير ابو بكر وهما الباقون مبنيا للفاعل احصن بفتح الهمزة والصاد حمزه وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون احصن بضم الهمزة وكسر
الصاد تجارة بالنصب حمزه وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون بالرفع الوقوف دخلتم بهن الاولى لابتداء الشرط مع اتحاد المقصود فلا جناح عليكم
لذلك فان جملة الشرط معترضة اصلابكم للعطف سلف ط رحيما ج للعطف الجزء الخامس ايمانكم لان كتاب الله يحتمل ان يكون مصدر التحريم لانه في معنى الكتابة ويحتمل
مصدر محذوف اى كتب الله كتابا والاحسن ان يكون مفعولا لاى حرمت كتاب الله من قرأ واحل بالفتح لم يحسن الوقف لعطفه على عليكم للعطف على كتب ومن قرأ
واحل بالضم عطفا على حرمت جاز له الوقف لطول الكلام مسافحين لابتداء حكم المتعة فريضة ط فريضة حكيما فتياتكم المؤمنات ط بايمانكم ط من بعض ج للعطف
المختلفين اخدان ج لذلك من العذاب ط العنت منكم ط خير لكم ط رحيم ويتوب عليكم ط حكيم عظيما ط يخفف عنكم ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى اى يخفف لضعفكم
ضعيفا انفسكم ط رحيما ط نارا ط يسيرا التفسير انه سبحانه نص على تحريم اربعة عشر صنفا من النسوة سبعة من جهة النسب وهي الامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت وسبعة اخرى لا من جهة النسب الامهات من الرضاعة والاخوات من الرضاعة وامهات النساء والربائب
النساء بشرط الدخول بالنساء وازواج الابناء والآباء وهذه في الاية المتقدمة والجمع بين الاختين والمحصنات من النساء وذهب الكرخي الى ان هذه الاية

مجملة لأنه أضيف التحريم فيها إلى الأمهات والبنات والتحريم لا يمكن إضافته إلى الأعيان وإنما يمكن إضافته إلى الأفعال وذلك الفعل غير مذكور في الآية فليست إضافة
هذا التحريم إلى بعض الأفعال التي يمكن إيقاعها في ذوات الأمهات والبنات أولى من بعض هذا معنى الإجمال والجواب من العلم بالضرورة من دين محمد أن المراد منه تحريم
نكاحهن والأصل فيه أنه قد تقدم قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم وعنه قوله لا يحل دم امرئ مسلم إلا لإحدى ثلاث فإنه لا يشتبه أن المراد لا يحل إراقة دمه ثم إن قوله حرمت
إنشاء للتحريم كقول القائل بعت وطلقت لا إخبار عن التحريم في الزمان الماضي ولا يشتبه أن المحرم هو الله تعالى كقوله بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وحطا
ذلك لتلك الحرمة بالذات ولم يعدها من الأمة بالتبعية والأصل في كل حكم هو الاستمرار والثابت ما لم يثبت ناسخ والقرينة تدل على أن المراد أنه تعالى حرم على كل أحد
خاصته وبنته خاصته واعلم أن حرمة الأمهات والبنات كانت ثابتة من زمان آدم إلى هذا الزمان ولم يثبت حل نكاحهن في شيء من الأديان بلى إن زرادشت نبي المجوس بزعمهم
قال بحله إلا أن أكثر المسلمين اتفقوا على أنه كان كذابا أما نكاح الأخوات فقد نقل أن ذلك كان مباحا في زمان آدم عليه السلام وإنما أبيح ذلك للضرورة وبعض المسلمين ينكره ويقول
إنه تعالى بعث الحور من الجنة حتى زوج بهن أبناء آدم ورد عليه بأن هذا التناسل لا يكون محض ولد آدم وذلك بالإجماع باطل قال العلماء السبب في تحريم الأمهات والبنات
أن الوطء إذلال وإهانة فلا يليق بالأصل والجزء والأمهات جمع الأم والهاء زائدة وزيادتها في مثل أمهة وقد يجمع على أمات وقد يقال الأمهات للأناسي
والأمات لغيرهم وكل امرأة رجع نسبك إليها بالولادة من جهة أبيك ومن جهة أمك بدرجة أو درجات بإناث رجعت إليها أو بذكور فهي أمك ثم إن لفظ الأم حقيقة
في التي ولدتك أما في الجدة فيحتمل أن يكون حقيقة ويحتمل أن يكون اللفظ متواطئا فيهما إن كان موضوعا بإزاء قدر مشترك بينهما ويكون الآية نصا في تحريمهما أو يكون
مشتركا بينهما وحينئذ يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه فالآية نص في تحريمهما أيضا وإلا فطريقان أحدهما أن تحريم الجدات مستفاد من الإجماع والثاني
أنه تعالى تكلم بهذه الآية مرتين لكل من المفهومين وكذا الكلام إن قلنا إن الأم حقيقة في الوالدة مجاز في الجدات قال الشافعي إذا تزوج الرجل بامرأة ودخل بها أو لم
يدخل وقال أبو حنيفة لا يلزم حجة الشافعي أن جوهر هذا النكاح عقد بمثابة واحدة لكنه محرم لها قطعا في حكم الشرع فيكون طريانها ناقضا الصنف الثاني من
المحرمات البنات ويراد بهن كل أنثى رجع نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث أو بذكور والكلام في أن إطلاق لفظ البنت على بنت الابن وبنت البنت حقيقة
أو مجاز كما مر في الأمهات قال أبو حنيفة البنت المخلوقة من ماء الزنى تحرم على الزاني وقال الشافعي لا تحرم لأنها ليست بنتا له شرعا لقوله الولد للفراش
وهذا يقتضي حصر النسب في الفراش ولأنها لو كانت بنتا له لأخذت الميراث ولثبتت له ولاية الإجبار عليها ولوجبت عليه نفقتها وحضانتها ولحلت الخلوة بها لكن
التوالي باطلة بالاتفاق فكذا المقدم واحتج أبو حنيفة بأن تسميتها بنتا له بناء على الحقيقة وهي كونها مخلوقة من مائه أو بناء على حكم الشرع والأول
باطل على مذهبه طردا وعكسا أما الطرد فهو أنه إذا اشترى جارية بكرا وافتضها وحبسها في داره إلى أن ولدت فهذا الولد معلوم أنه مخلوق من مائه مع أنه لا يثبت
نسبه إلا عند الاستلحاق وأما العكس فهو أن المشرقي إذا تزوج بالمغربية وحصل هناك ولد فإنه يثبت النسب مع القطع بأنه غير مخلوق من مائه والثاني أيضا باطل
بإجماع المسلمين على أنه لا نسب لولد الزاني من الزاني ولو انتسب إليه وجب على القاضي منعه الصنف الثالث الأخوات ويشمل الأخوات من الأب والأم ومن الأب
ومن الأم فقط الصنف الرابع والخامس العمات والخالات قال الواحدي كل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك وقد يكون العمة من جهة الأم وهي أخت أب أمك وكل
أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك وقد يكون الخالة من جهة الأب وهي أخت أم أبيك ولا تحرم أولاد العمات وأولاد الخالات الصنف السادس والسابع
بنات الأخ وبنات الأخت القول فيهما كالقول في بنت الصلب الثامن والتاسع قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة سمى المرضعات
أمهات لحرمتهن كما سمى أزواج النبي أمهات لحرمتهن وليس قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم كقول القائل وأمهاتكم اللاتي كسونكم أو أطعمنكم وإلا
كان تكرارا لقوله حرمت عليكم أمهاتكم بل المراد أن الرضاع هو الذي يستحق بسببه الأمومة ويعلم من تسمية المرضعة أما والمرضعة أختا أنه أجرى
الرضاع مجرى النسب لأن المحرمات بسبب النسب سبع اثنتان بالولادة وهما الأمهات والبنات والخمس الباقية بطريق الأخوة وهن الأخوات والعمات والخالات
وبنات الأخ وبنات الأخت فذكر من كل واحد من القسمين صورة واحدة تنبيها بها على الباقي منهما فذكر من قسم الولادة الأمهات ومن قسم الأخوة الأخوات ثم
إنه أكد هذا البيان بصريح قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فصار صريح الحديث مطابقا لمفهوم الآية وهذا بيان لطيف فأمك من الرضاع كل أنثى أرضعتك
أو أرضعت من أرضعتك أو أرضعت من ولدك من الآباء والأمهات وولدت المرضعة أو الفحل الذي منه اللبن بواسطة أو بغير واسطة وبنتك من الرضاع
كل أنثى أرضعت بلبنك أو أرضعت بلبن من ولدته من الأبناء أو البنات وأختك من الرضاع كل أنثى أرضعتها أمك أو أرضعت بلبن أبيك أو ولدتها المرضعة
أو الفحل الذي در لبنه على المرضعة وعمتك كل أنثى من الرضاع من جهة الأب كل أنثى أرضعت بلبن واحد من أجدادك أو كانت أخت الفحل الذي أرضعت بلبنه
ومن جهة الأم كل أنثى هي أخت ذكر أرضعت أمك بلبنه بواسطة أو بغير واسطة وخالتك من الرضاع من جهة الأم كل أنثى هي أخت أمك من الرضاع أو أخت من
أرضعتك من النسب أو الرضاع ومن جهة الأب كل أنثى هي أخت أنثى أرضعت أباك من الرضاع أو النسب وبنات الأخوة والأخوات من الرضاع كل أنثى ولدتها
مرضعتك وبنتها أو ولدها ابن الفحل الذي منه اللبن أو بنته من الرضاع أو النسب أو أرضعتها أختك أو أرضعت بلبن أخيك وكذا حكم بنات أولاد من
أرضعته أمك أو أرضع بلبن أبيك وبنات أولادهما من الرضاع أو النسب الرضاع المحرم قد يسبق النكاح فيمنع انعقاده وقد يطرأ عليه فيقطعه وللرضاع
أركان أحدها المرضع ويجب أن يكون امرأة فلبن البهيمة لا يثبت تحريما بين الذكر والأنثى اللذين شربا منه وكذا لبن الرجل وأن تكون حية وعند أبي حنيفة
ومالك وأحمد يتعلق بلبن الميتة التحريم وأن تكون محتملة للولادة بأن تبلغ تسع سنين وثانيها اللبن ويتعلق به التحريم ولو تغير بحموضة أو انعقاد
أو غلاء أو اتخذ منه جبن أو زبد أو مخيض أو أقط أو ثرد فيه طعام أو عجن به دقيق وخبز أو خلط بمائع حلال أو حرام وثالثها المحل وهو معدة الصبي

الرضاع

أختك وإن أرضعت بلبن
أخيك من الرضاع أو
النسب وكذا بنات من
أرضعتها أمك

الكوفة لا اثر للحقنة ولا بعد الحولين لهذا الخبر ولا بد من الوصول الى معدة الصبي ... لا بد من خمس رضعات لقوله لا تحرم المصة والمصتان ولا الرضعة والرضعتان
ولما روت عائشة خمس رضعات يحرمن وعند ابي حنيفة الرضعة الواحدة كافية الصنف العاشر قوله وامهات نسائكم ويدخل فيه الجدات من قبل الاب والام
الحادي عشر وربائبكم اللاتي في حجوركم والربائب جمع ربيبة وهي بنت امرأة الرجل من غيره ومعناها مربوبة لان الرجل يربها والحجور جمع حجر بالفتح والكسر وكونها
في حجره عبارة عن تربيته وهو بناء للكلام على الغالب مثل هو في حضانة فلان واصله من الحضن الذي هو الابط وقال ابو عبيدة في حجوركم اي في بيوتكم وعن علي
انه جعل كونها ربيبة له وكونها في حجره شرطا وهو قول داود واسنده الى الحسن واما سائر العلماء فذهبوا الى ان الكلام اخرج مخرج الاعم الاغلب وانه اذا دخل حرمت ابنتها عليه
سواء كانت في تربيته او لم يكن واما اشتراط الدخول بامها فلقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وهو متعلق بربائبكم كما يقول بنات رسول الله من خديجة واما
عدم اشتراط التربية فلقوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم علق رفع الجناح بمجرد عدم الدخول وهذا يقتضي ان السبب لحصول الجناح هو مجرد الدخول
وذهب جمع من الصحابة ان ام المرأة انما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس وحجتهم انه تعالى ذكر جملتين
وهو قوله وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم ذكر شرطا وهو قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوجب ان يكون ذلك الشرط معتبرا في الجملتين معا
واما الاكثرون من الصحابة والتابعين فعلى ان قوله وامهات نسائكم جملة مستقلة بنفسها ولم يدل دليل على عود ذلك الشرط اليها فلا تعلق الشرط بالثانية
واذا تعلق باحدى الجملتين فلا حاجة الى تعليقه باخرى وايضا عود الشرط الى الجملة الاولى وحدها باطل بالاجماع وكذا عوده اليهما معا لان معنى من مع الاولى البيان
ومعناها مع الثانية ابتداء الغاية واستعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معا غير جائز نعم لو جعل من للاتصال كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض
امكن اعتبار الاتصال في النساء والربائب معا فامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن الا ان هذا التفسير
فيه خلل من جهة اللفظ ومن جهة المعنى اما اللفظ فلان قوله وامهات نسائكم وكذا وربائبكم يكون حينئذ مبتدأ وقوله من نسائكم خبرا ويقع بين المعطوفات فاصلة
لان قوله وحلائل ابنائكم وما بعده معطوف على فاعل حرمت واما من جهة المعنى فلان الحكم بالاتصال والاتحاد يقتضي التحليل لا التحريم ظاهرا ومما يدل على ان
الجملة الاولى مرسلة ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي انه قال اذا نكح الرجل امرأة فلا يحل له ان يتزوج امها دخل بالبنت او لم يدخل واذا تزوج بالام
فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج البنت وكان عبد الله بن مسعود يفتي بنكاح ام المرأة اذا طلق بنتها قبل المسيس وهو يومئذ بالكوفة فاتفق ان ذهب الى المدينة
فصادفهم مجمعين على خلاف فتواه فلما رجع الى الكوفة لم يدخل داره حتى ذهب الى ذلك الرجل وقرع عليه الباب وامره بالنزول عن تلك المرأة وعن سعيد بن المسيب
ان زيد بن ثابت قال ان الرجل اذا طلق امرأته قبل الدخول فله ان يتزوج امها فلذلك ان ماتت عنده لم يتزوج امها اقام الموت مقام الدخول في التحريم
كما قام مقامه في باب المهر والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها او ضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وقد تقدم ان الخلوة الصحيحة
عند ابي حنيفة تقوم مقام الدخول وقد تمسك ابو بكر الرازي بالاية في اثبات ان الزنى موجب للمصاهرة قال لان الدخول بها اسم لمطلق الوطي من نكاح
كان او من سفاح ورد بان تقييد قوله من نسائكم يوجب تخصيص الوطي بالحلال الصنف الثاني عشر وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم فيخرج المتبنى و
كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن الى ان نزل وما جعل ادعياءكم ابناءكم لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وحكم الابن من الرضاع
حكم الابن من النسب في تحريم حليلته على ابيه لقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وان كان مفهوم قوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله
واحل لكم ما وراء ذلكم يقتضي الحل ههنا فقد تخصص عموم القرآن بخبر الواحد اتفقوا على ان حرمة التزوج بحليلة الابن يحصل بنفس العقد ولا يتوقف الحرمة
على الدخول لما روي عن ابن عباس انه قال ابهموا ما ابهم الله واراد به التأبيد الا ترى انه قال في السبع المحرمات من جهة النسب انها من المبهمات اي من اللواتي تثبت
حرمتهن على سبيل التأبيد اتفقوا ايضا على تحريم حليلة ولد الولد على الجد اما جارية الابن فقد قال ابو حنيفة يجوز للاب ان يتزوج بها وقال الشافعي لا يجوز لان
الحليلة فعيلة اما بمعنى المفعول من الحل اي المحللة او من الحلول بمعنى ان السيد يحل فيها واما بمعنى الفاعل لانهما يحلان في لحاف واحد ويحل كل واحد منهما في قلب صاحبه
لما بينهما من الالفة والمودة وعلى التقادير يصدق على جارية الابن انها حليلته كما تصدق على زوجته انها حليلته فثبت لها الحرمة بالاية الصنف الثالث عشر
وان تجمعوا بين الاختين اي حرم عليكم الجمع بينهما والتأنيث للتغليب لا كنساء او بتأويل الخصلة ويمكن ان يقال الواو نائب الفعل المطلوب من غير اعتبار
تذكيره وتأنيثه والجمع يكون اما بالنكاح او بالملك او بهما اما النكاح فلو عقد عليهما معا فنكاحهما باطل او على الترتيب بطل الثاني لان الدفع اسهل من الرفع
واما الجمع بينهما بملك اليمين او بان ينكح احدهما ويشتري الاخرى فقد اختلف الصحابة فيه فقال علي وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عمر لا يجوز الجمع بينهما
لاطلاق الاية ولانه لو جاز الجمع بينهما في الملك لجاز بينهما في الوطء قال عثمان وابن عباس يجوز لقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولان الاصل في الابضاع الحرمة فلو
سلم ان الاية تدل على الجواز فالاحوط جانب الترك واما سائر الصحابة والفقهاء فقد قالوا النهي ورد عن نكاحهما فلو جمع بينهما في الملك جاز الا انه اذا وطئ
احداهما حرم وطء الثانية عليه لا يزول هذه الحرمة ما لم يزل ملكه عن الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة او تزويج قال ابو حنيفة ههنا لا يجوز نكاح الاخت في
عدة الاخت البائن لان النكاح الاول كانه باق بدليل وجوب العدة ولزوم النفقة وقال الشافعي يجوز لان نكاح المطلقة زائل بدليل لزوم الحد بوطئها
واما وجوب العدة ولزوم النفقة فنقول يعني حصل بالنكاح حصلت القدرة على حبسها ولا يلزم من حصول القدرة على حبسها حصول النكاح لان استثنائها
عليه لا ينفع واذا اسلم الكافر وتحته اختان فقد قال الشافعي اختار ايتهما شاء وفارق الاخرى سواء تزوج بهما معا او على الترتيب لان الكفار ليسوا مخاطبين
في فروع الشرائع في احكام الدنيا اذ لا يتصور تكليفهم بالفروع ما داموا كفارا انما يعاقبون بترك الفروع في الآخرة كما جاءت على ترك الاسلام ومما يؤيد قول الشافعي

ما روي ان فيروز الديلمي اسلم على ثمان نسوة فقال له اختر منهن اربعا وفارق سائرهن ومن طريق ثم لا يختص بعض الترتيب وقال ابو حنيفة ان تزوج بهما معا فرّق بينهما وان على
الترتيب فسد في الثانية لان الخطاب بالفروع في قوله وان تجمعوا عام متناول للمؤمن والكافر فحال الكافر فيما نص عليه حيث حمل النهي على الفساد والكافر مخاطب
بالفروع ومما يدل على ان الخطاب بالفروع لا يظهر اثره في حق الكافر في الاحكام الدنيوية الاجماع على انه لو تزوج بغير ولي او شهود او على سبيل القهر والغصب
ثم بعد الاسلام تقرر ذلك النكاح اما قوله تعالى الا ما قد سلف فمعناه ان من صح مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما وقد مر نظيره واعلم ان رسول
الله الحق بالاختين جميع المحارم حيث قال لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وضبط العلماء ذلك بان كل شخصين بينهما قرابة او رضاع لو كان احدهما ذكرا
والآخر انثى حرم النكاح بينهما فلا يجوز الجمع بينهما فيحرم الجمع بين المرأة وبنت اختها وبنات الاولاد وامهاتها وكذا بين المرأة وبنت اختها وبنات ابنائها ولا اختها
سواء كانت العمومة والخؤولة من النسب او الرضاع ولا يحرم نكاح المرأة وام زوجها ولا نكاح المرأة وبنت زوجها لانه لا يوجد المحرمية على تقدير ذكورة كل واحد
منهما وانما توجد على تقدير ذكورة ام الزوج او بنته فقط لكان المصاهرة ح بخلاف ما لو فرضت المرأة ذكرا فانه لا يكون بينهما قرابة ولا رضاع وقد ضبط
تحريم الجمع بعبارة اخرى احدها ما يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما قرابة او رضاع يقتضي المحرمية والثانية يحرم الجمع بين كل امرأتين بينهما وصلة قرابة او رضاع لو كانت
تلك الوصلة بينك وبين امرأة لحرمت عليك الصنف الرابع عشر والمحصنات من النساء وقد ورد الاحصان في القرآن بمعان احدها الحرية والذين يرمون
المحصنات فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وثانيها العفة محصنات غير مسافحات احصنت فرجها وثالثها الاسلام فاذا احصن قيل في تفسيره
اذا اسلمن ورابعها كونها ذات زوج المحصنات من النساء اي ذوات الازواج منهن والوجوه كلها مشتركة في اصل المعنى اللغوي وهو المنع فالحرية سبب لتحصين
ما تمنع صاحبها من الآفات والجراحات والحرمة سبب لمنع الانسان من نفاذ حكم الغير فيه والعفة ما تمنع من ارتكاب المناهي وكذا الاسلام والزوج مانع للزوجة
من كثير من الامور والزوجة مانعة من الوقوع في الزنى فقرئ بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن بالزوج ومعنى قوله الا ما ملكت ايمانكم ان اللاتي سبين ولهن
ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وهكذا اذا سبي الزوجان معا خلافا لابي حنيفة قياسا على شراء الامة وبيعها او ارثها فان كلا منهما لا يوجب
الفرقة واجيب بان الحاصل عند السبي احداث الملك فيها وعند البيع نقل الملك من شخص الى شخص والاول اقوى فظهر الفرق وقيل المعنى ان ذوات الازواج
حرام عليكم الا اذا ملكتموهن بنكاح جديد بعد وقوع الفراق بينهن وبين ازواجهن وقيل المحصنات الحرائر والمعنى حرمت عليكم الحرائر الا العدد الذي جعل الله
ملكا لكم وهو الاربع او الا ما اثبت الله لكم ملكا عليهن لحصول الشرائط المعتبرة من حضور الولي والشهود وغير ذلك والقول هو الاول لما روي عن ابي
سعيد الخدري قال اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم
فاستحللناهن ثم اكد تحريم المذكورات بقوله كتاب الله عليكم قال الزجاج يحتمل ان يكون منصوبا باسم فعل ويكون عليكم مفسرا له اي الزموا كتاب الله واحل
لكم ما وراء ذلكم ما وراء هذه المذكورات سواء كن مذكورات بالقول الصريح او بدلالة جلية او خفية او بينها النبي كما قلنا في تحريم الجمع بين الاختين
وغيرهما وقد دخل بعد هذه العمومية الا انه خصصت انواع منها ان المطلقة ثلاثا لا تحل ودليل ذلك قوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا
غيره ومنها الحربية والمرتدة بدليل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ومنها المعتدة بدليل قوله والمطلقات يتربصن ومنها من في نكاحه حرة لم يجز له ان
ينكح امة بالاتفاق وعند الشافعي القادر على طول الحرة لا يجوز له نكاح الامة بدليل ومن لم يستطع منكم طولا ومنها الخامسة بدليل مثنى وثلاث ورباع
ومنها الملاعنة لقوله المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وقوله ان تبتغوا مفعول له اي بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم في حال
كونكم محصنين لا في حال كونكم مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم التي جعل الله لكم قياما فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ويجوز ان يكون تبتغوا
بدلا من وراء ذلكم ومفعول تبتغوا مقدر وهو النساء والاجود ان لا يقدر لانه مفهوم من سوق الكلام وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ومعنى محصنين
متعففين عن الزنى وسمي الزنى سفاحا لانه لا غرض للزاني الا سفح النطفة اي صبها قال ابو حنيفة لا يجوز المهر باقل من عشرة دراهم لانه تعالى قيد التحليل
بالابتغاء بالاموال والدرهم والدرهمان لا يسمى اموالا وقال الشافعي يجوز بالقليل والكثير لان قوله باموالكم مقابلة الجمع بالجمع فيقتضي توزيع الفرد على
الفرد فيتمكن كل واحد من ابتغاء النكاح بما يسمى مالا والقليل والكثير في هذه الحقيقة سواء وعن جابر عن النبي انه قال من اعطى امرأة في نكاح كف دقيق
او سويق فقد استحل وقال ابو حنيفة لو تزوج بها على تعليم سورة من القرآن لم يكن ذلك مهرا ولها مهر مثلها لان الابتغاء بالمال اسم للاعيان لا للمنافع
وكذا قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه والايتاء والاكل من صفة الاعيان ولو تزوج امرأة على خدمة سنة فان
كان حرا فلها مهر مثلها وان كان عبدا فلها خدمة سنة وقال الشافعي الآية تدل على ان الابتغاء بالمال جائز وليس فيه ان الابتغاء بغيره جائز ام لا وايضا فقد
خرج الخطاب مخرج الاغلب الاعم فلا تدل على نفي ما سواه ومما تدل على جواز جعل المنفعة صداقا قوله تعالى في قصة شعيب على ان تأجرني ثماني حجج وما
في شرع من قبلنا يلزمنا الى ان يظهر الناسخ وايضا النبي لما زوج من وهبت نفسها لما لم يجد الرجل الذي اراد التزوج بها شيئا قال له هل معك شيء من القرآن قال نعم سورة
كذا وكذا فقال زوجتكها بما معك من القرآن ومنه يعلم جواز اعتاق الامة صداقا فانها لا تستأهل وقد روي عن النبي انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها وكونه
من خواصه ممنوع فما استمتعتم به من المنكوحات من الجماع او عقد عليهن او خلوة صحيحة عند ابي حنيفة فآتوهن اجورهن اي عليه فاسقط الراجع للعلم به ويجوز
ان يراد بما النساء ومن للتبعيض او البيان لا للابتداء الاستمتاع ويكون رجوع الضمير اليه به على اللفظ وفي فآتوهن على المعنى والاجور المهور لان المهر
ثواب على البضع كما يسمى بدل منافع الدار والدابة اجرا وفريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او اقيمت مقام ايتاء لان الايتاء مفروض ومصدر موكد اي فرض

ذلك فريضة ولا يخفى ان الاستمتاع بها الدخول بها يجب تمام المهر وان استمتع بعقد النكاح فقط فالواجب نصف المهر قال اكثر علماء الامة ان الآية في النكاح مؤبد
وقيل المراد بها حكم المتعة وهو ان يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم الى اجل معلوم فيجامعها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها واتفقوا على
انها كانت مباحة في اول الاسلام ثم السواد الاعظم من الامة على انها صارت منسوخة وذهب الباقون ومنهم الشيعة الى انها ثابتة كما كانت ويروى هذا عن ابن
عباس وعمران بن الحصين قال عمارة سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح قال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي قال هي متعة كما قال الله قلت فهل لها
عدة قال نعم عدتها حيضة قلت هل يتوارثان قال لا وفي رواية اخرى عنه ان الناس لما ذكروا الاشعار في المتعة قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق
لكني قلت انها تحل للمضطر كما تحل الميتة والدم ولحم الخنزير له ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في الصرف والمتعة واما عمران بن
الحصين فانه قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم ينزل بعدها آية تنسخها وامرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتعنا معه ومات ولم ينهنا عنها ثم قال رجل برأيه ما شاء يريد
ان عمر نهى عنها وروى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن علي انه قال لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقي حجة الجمهور على حرمة المتعة ان الوطء لا يحل الا في الزوجة
او المملوكة لقوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وهذه المرأة ليست بمملوكة ولا بزوجة والا لحصل التوارث ولثبت النسب ولوجبت العدة
عليها بالاشهر والتوالي باطلة بالاتفاق وروي عن عمر انه نهى عن المتعة على المنبر بمحضر من الصحابة ثم لم ينكر عليه احد منهم فلو سكتوا عن العلم بحرمتها
فذاك ولو سكتوا لجهلهم بحلها وحرمتها فمحال عادة لشدة احتياجهم الى البحث عن امور النكاح ولو سكتوا مع علمهم بحلها فاخفاء الحق مداهنة وكفر وبدعة
وذلك محال منهم ومما روي عن عمر انه قال لا اوتى برجل نكح امرأة الى اجل الا رجمته ثم ان الصحابة لم ينكروا عليه مع ان الرجم لا يجوز في المتعة فلعله ذكر ذلك على
سبيل التهديد والسياسة ومثل ذلك جائز للامام عند المصلحة الا ترى انه قال من منع منا الزكوة فانا آخذوها منه وشطر ماله مع ان اخذ شطر المال
ممن منع الزكوة غير جائز الا للسياسة وذكر الواحدي في البسيط عن مالك عن الزهري عن عبد الله والحسن بني محمد بن علي عن ابيهما عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن متعة النساء وعن اكل لحوم حمر الانسية قال وروى الربيع بن سبرة الجهني عن ابيه قال غدوت على رسول الله فاذا هو قائم بين الركن والمقام مسند ظهره الى
الكعبة يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم عليكم الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا القائلون باباحة المتعة قالوا الابتغاء بالاموال يتناول الاستمتاع بالمرأة على سبيل التأبيد وعلى سبيل التوقيت بل الآية مقصورة
على نكاح المتعة لما روي ان ابي بن كعب كان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فآتوهن اجورهن وبه قرأ ابن عباس ايضا والصحابة ما انكروا عليهما فكان
اجماعا وايضا امر بايتاء الاجور لمجرد الاستمتاع اي التلذذ وهذا في المتعة واما في النكاح المطلق فيلزم الاجر بالعقد ايضا قال في اول السورة فانكحوا فناسب
ان يحمل هذه الآية على نكاح المتعة لئلا يلزم التكرار في سورة واحدة والحمل على حكم جديد اولى ومما يدل على ثبوت المتعة ما جاء في الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر ثم اكثر الروايات انه اباح المتعة في حجة الوداع وفي يوم الفتح وذلك ان اصحابه شكوا اليه يومئذ طول العزوبة فقال
استمتعوا من هذه النساء وقول من قال انه حصل التحليل مرارا والنسخ مرارا ضعيف لم يقل به احد من المعتبرين الا الذين ارادوا ازالة التناقض عن هذه
الروايات ونهي عمر يدل على انه كان ثابتا في عهد الرسول وما كان ثابتا في عهده لم يكن ينسخ بقول عمر كما اشار اليه عمران بن الحصين واجيب بان المراد من قول عمر
وانا انهى عنها انه قد ثبت عندي نسخها في زمان الرسول وقد سلموا له ذلك فكان اجماعا ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة الذين حملوا
الآية على بيان حكم النكاح قالوا المراد انه اذا كان المهر مقدرا بمقدار معين فلا حرج في ان تحط عنه شيئا او تبرئه عنه بالكلية كقوله فان طبن لكم عن شيء
وقال الزجاج لا اثم عليكم في ان تهب المرأة للزوج مهرها او يهب الزوج للمرأة تمام المهر اذا طلقها قبل الدخول قال ابو حنيفة الحاق الزيادة بالصداق جائز لان
التراضي قد يقع على الزيادة وقد يقع على النقصان وهي ثابتة ان دخل بها او مات عنها اما اذا طلقها قبل الدخول بطلت الزيادة وكان لها نصف المسمى في
العقد وقال الشافعي الزيادة بمنزلة هبة فان قبضتها ملكته بالقبض وان لم تقبضها بطلت والدليل على بطلان هذه الزيادة انها لو التحقت بالاصل
فاما ان يرتفع العقد الاول ويحدث عقد ثان وهو باطل بالاجماع واما ان يحصل عقد مع بقاء العقد الاول وهو تحصيل الحاصل والذين حملوا
الآية على حكم المتعة قالوا المراد انه ليس للرجل سبيل على المرأة من بعد الفريضة وهي المقدار المفروض من الاجر والاجل فان قال لها زيديني في الايام و
ازيدك في الاجر فهي بالخيار ان الله كان عليما حكيما لا يشرع الاحكام الا على وفق الحكمة والصواب ثم وسع الامر على عباده فقال ومن لم يستطع منكم طولا
فضلا في المال وسعة ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان وان ينكح متعلق بطولا يقال طال على الامر اذا غلبه فتمكن من فعله
والمحصنات ههنا الحرائر المعنى ومن لم يقدر على نكاح الحرة فلينكح من الاماء التي ملكتها ايمانكم قال ابن عباس يريد جارية اخيك فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج
بجاريته نفسه والفتيات المملوكات يقول العرب للامة فتاة وللعبد فتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي ولكن ليقل فتاي وفتاتي قال الشافعي ان الله تعالى
شرط في نكاح الاماء ثلث شرائط اثنان في الناكح الاولى فقد طول الحرة وهو عبارة عن عدم ما ينكح به الحرة كما يقول الرجل لا استطيع ان احج اذا كان لا يجد
ما يحج به فاذا كان كذلك جاز له التزوج بالامة لان العادة في الاماء تخفيف مهورهن ونفقتهن لاشتغالهن بخدمة ساداتهن والثانية خشية العنت كما يجيء في آخر
الآية والثالثة في المنكوحة وهو ان تكون الامة لمسلم ومع ذلك تكون مؤمنة لا كافرة لقوله من فتياتكم المؤمنات فالقيد الاول مستفاد من قوله من
فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين والقيد الثاني من وصف الفتيات بالمؤمنات اما فائدة القيد الاول فهي ان الولد
تابع للام في الرق والحرية والزوج يتعلق بالولد فيبقى على ملك الكافر الا ان هذا القيد الثاني اكثر لانه لان الولد اذا رق للكافر يبقى عليه في الحال واما فائدة

القيد الثاني فالمحذور من اجتماع النقصانين الكفر والرق وهذا قول مجاهد وسعيد والحسن ومذهب مالك والشافعي اما ابو حنيفة فانه يقول الغني والفقير
سواء في جواز نكاح الامة وذلك انه يحمل النكاح في الاية على الوطء ويقول المراد من لم يملك فراش الحرة فله ان ينكح امة ثم الامة لو كانت كتابية جاز له نكاحها
ولكن نكاح الامة المؤمنة افضل فحمل التقييد في الاية على الفضل لا على الوجوب قياسا على جواز نكاح الحرة الكتابية بالاجماع مع وصف الحرائر بالمؤمنات
واجيب بالفرق وهو اجتماع النقصانين ومن الناس من قال لا يجوز التزوج بالكتابيات البتة ولا شك ان في الاية دلالة على الحث على عدم نكاح الاماء وان كان قد
عليه لا يجوز الا عند الضرورة وذلك لاتباع الولد الام في الرق ولانها ممتهنة مبتذلة لخراجة ولاجة وقلما تعوت بسبب ذلك فجورا وقحة ولان للمولى عليها
من حق الاستخدام فلا تخلص لخدمة الزوج ولان السيد قد يبيعها فتصير مطلقة عند من يقول بذلك ولان مهرها ملك لمولاها فلا يقدر على تمهيرها من جهتها
ولا على ابرائه والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم مكلفون بظواهر الامور والله اعلم بما في الصدور بعضكم من بعض كلكم
اولاد آدم ولا يتداخلكم انفة من التزوج بالاماء عند الضرورة او كلكم مشتركون في الايمان وهو اعظم المقاصد فاذا حصل الاشتراك فيه فما وراءه غير ملتفت
اليه وفيه توهين ما كانوا عليه في الجاهلية من الفخر بالانساب والاحساب وتانيس بنكاح الاماء اذا كن مؤمنات ثم شرح كيفية هذا النكاح فقال فانكحوهن
باذن اهلهن فلذلك اتفقوا على ان نكاح الامة بدون اذن سيدها باطل لان نكاحهن غير واجب فيوجه الامر الى اشتراط الاذن ولان التزوج بها يعطل على السيد
اكثر منافعها فوجب ان لا يجوز الا باذنه ولفظ القرآن مقتصر على الامة واما العبد فقد ثبت ذلك في حقه بالحديث وهو ما روى ابو عمر عن النبي ﷺ اذا تزوج العبد بغير اذن
سيده فهو عاهر واستدل الشافعي بالاية على ان المرأة البالغة العاقلة لا يصح نكاحها الا باذن الولي لان قوله فانكحوهن الضمير فيه يعود الى الاماء والامة
ذات موصوفة بصفة الرق وصفة الرق زائلة والاشارة الى الذات موصوفة بصفة عرضية زائلة يبقى بعد زوال تلك الصفة بدليل انه لو حلف لا يتكلم مع
هذا الشاب فصار شيخا ثم تكلم معه يحنث في يمينه فعند زوال الرق عنها وهي حرة عاقلة بالغة يتوقف جواز نكاحها على اذن اهلها واذا ثبت الحكم في هذه الصورة
ثبت في سائر الصور ضرورة انه لا قائل بالفرق واعترض على قول الشافعي بان ظاهر الاية يدل على الاكتفاء بحصول اذن اهلها وعنده لا يجوز للمرأة ان تزوج امتها
واجيب بان المراد بالاذن الرضا وعندنا ان رضا المولى لا بد منه فاما انه كاف فليس في الاية دليل عليه ايضا ان اهلهن عبارة عمن يقدر على انكاحهن وهو المولى
ان كان رجلا او ولي المولى ان كان امرأة سلمنا ان الاهل هو المولى لكنه عام يخصص بقوله ﷺ العاهر هي التي تنكح نفسها ثم يلزم ان لا يكون لها عبارة في نكاح
مملوكها ضرورة انه لا قائل بالفرق قالت الحنفية انا نستدل كاستدلال الشافعي لانه يلغيها بل لانا نقول لا نسلم ان صفة الرق للامة عرضية من حيث انها مرة وان سلمنا ذلك
فلا نسلم ان الاشارة الى ذات الامة في الاية يبقى بعد زوال صفة الرق وكونها مثل قول القائل لا اكلم هذا الشاب ممنوع من المعلوم فان المراد به ذات الشاب
من حيث هو لكنه كقول الحالف لا اكلم شابا فانه لو كلم زيدا وزيد شاب يحنث فاذا صار شيخا ثم كلمه لم يحنث وآتوهن اجورهن اي مهورهن وفيه دلالة على
وجوب مهرها سمي لها المهر او لم يسم وفي قوله بالمعروف دلالة على انه مبني على الاجتهاد وغالب الظن في المعتاد المتعارف من مهر المثل او المراد بغير مطل وضرار
واحوج الى الاقتضاء وقيل الاجور النفقة عليهن لان المهر مقدر فلا معنى لاشتراط المعروف فيه فكانه تعالى بين ان كون الامة لا يقدح في وجوب نفقتها وكسوتها
كما في حق الحرة اذا حصلت التخلية من المولى بينه وبينها على العادة وعن بعض اصحاب مالك ان الامة هي المستحقة لقبض مهرها وان المولى اذا اجرها للخدمة كان هو المستحق
للاجرة دونها واحتجوا في المهر بظاهر قوله وآتوهن اجورهن واما الجمهور فعلى ان مهرها للمولى كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وهذا ينفي
كون المملوك مالكا لشيء اصلا ولان منافعها كانت مملوكة للسيد وقد اباحها للزوج بعقد النكاح فوجب ان يستحق بدلها اما ظاهر الاية فلو حملنا
لفظ الاجور على النفقة فلا اشكال ولو حملناه على المهر فالجواب انها ثمن بضعهن فلذلك اضيف الاجور اليهن وليس في قوله وآتوهن ما يوجب كون المهر
ملكا لهن وهب ان المهر ملك لهن ولكنه قال العبد وما يملكه لمولاه او المراد وآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات قال ابن عباس اي عفائف وهو حال
من قوله فانكحوهن وظاهره يقتضي حرمة نكاح الزواني لكن الاكثرين على انه يجوز فالاية محمولة على الندب والاستحباب غير مسافحات قال اكثر المفسرين المسافحة
هي التي تؤاجر نفسها اي جل اراد ها ومتخذة الخدن هي التي لها صديق معين وكان اهل الجاهلية يفصلون بين القسمين وما كانوا يحكمون على ذات الخدن
بكونها زانية فلما كان هذا الفرق معتبرا عندهم فلا جرم افردهما الله تعالى بالذكر تنصيصا على حرمتهما معا والاخدان جمع خدن كالاتراب جمع ترب والخدن الذي
يخادنك اي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن يقع على الذكر والانثى فاذا احصن بالتزوج وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد او بالاسلام وهو
قول ابن عمر وابن مسعود والشعبي والنخعي والسدي وكانه تعالى ذكر حالهن في النكاح في قوله من فتياتكم المؤمنات ثم كرر ذلك في حكم ما يجب عليهن عند
اقدامهن على الفاحشة وههنا اشكال وهو ان المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ان اريد بها الحرائر المتزوجات والحرائر الابكار
فعلى الاول يجب عليهن نصف الرجم وتنصيف الرجم محال وعلى الثاني يجب خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنى الامة محصنة كانت ولم تكن وقد علق
ذلك في الاية بمجموع الامرين الاحصان والزنى والجواب انا نختار القسم الاول ويسقط الرجم عنهن بالدليل العقلي لان الرجم لا يتنصف والثاني والمراد
بيان تخفيف عذابهن وذلك ان حد الزنى يتغلظ عند التزوج فهذه اذا زنت فقد وجب خمسون جلدة لا يزيد عليها فلان يكون قبل التزوج هذا
القدر اولى واعلم ان الخوارج اتفقوا على انكار الرجم واحتجوا بان الاية تدل على ان عذاب الامة نصف عذاب الحرة المحصنة فلو كان على الحرة الرجم لزم تنصيف
الرجم في حق الامة وهو محال والجواب ما مر ان المخصص في حق الامة دليل عقلي والفقهاء جعلوا الاية اصلا في نقصان حكم العبد عن حكم الحرة في غير الحد وان
كان من الامور ما لا يجب ذلك فيه كالصلاة والصوم وغيرهما ذلك اشارة الى نكاح الاماء بالاتفاق لمن خشي العنت منكم وقد عرفت فيما مر ان معنى الوقوع

في مرهقات وللمفسرين ههنا قولان احدهما ان الشبق الشديد والغلمة العظيمة ربما يدعو الى الزنى فيقع في الحد في الدنيا وفي العذاب الاليم في الآخرة والثاني ان
الشبق قد يفضي الى الامراض الشديدة كأوجاع الوركين والظهر والوسواس وكاختناق الرحم للنساء والاول اليق ببيان القرآن وعليه اكثر العلماء وان
تصبروا اي صبركم عن نكاح الاماء بعد شرط المبيحة متعففين خير لكم لما فيه من المفاسد المذكورة وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت
والله غفور رحيم تأكيدا لما ذكره من ان الاولى ترك النكاح الا انه اباحه لاحتياج المكلفين فهو من باب المغفرة والرحمة يريد الله ليبين لكم اللام
مقام ان في قولك اريد ان تقوم وقيل زيدت اللام وقدر ان وذلك لتأكيد ارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتأكيد اضافة الاب وقيل في الآية اضمار و
الاصل يريد الله انزال هذه الاحكام ليبين لكم دينكم وشرعكم وما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم مناهج من كان قبلكم قيل المراد
ان كل ما بين لنا من التحريم والتحليل في شأن النساء فقد كان الحكم كذلك في جميع الشرائع والملل وقيل بل المراد ان الشرائع والتكاليف وان كانت مختلفة في
نفسها الا انها متفقة في باب المصالح وقيل المعنى سنن من كان قبلكم من اهل الحق لتقتدوا بهم ويتوب عليكم قال القاضي معناه كما اراد منا نفس الطاعة
فلا جرم بينها وازاح الشبه عنها كذلك يريد ان يتوب علينا ان وقع تقصير منا او تفريط وفي الآية اشعار بانه تعالى هو الذي يخلق التوبة فينا فيرد عليه انه اراد التوبة
منا وجب ان تحصل التوبة لكلنا وليس كذلك واجيب بان المراد التوبة في باب نكاح الامهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآية وقد حصلت هذه التوبة وكذا
الكلام في قوله والله يريد ان يتوب عليكم وقالت المعتزلة يريد ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا
عن الحق والقصد ميلا عظيما وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم
تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام عليكم فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقولون يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال
نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا فلضعفه خفف تكليفه ولم يثقل اما ضعف خلقته بالنسبة الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات فظاهر ولهذا
اشتد احتياجه الى الغذاء وفي التمدن والاغذية والادوية والمساكن والملابس والذخائر والمعاملات الى غير ذلك من الضرورات واما ضعفه عن ابهر دواعيه فظاهر
ولهذا لا يصبر على مشاق الطاعات وعن الشهوات لا سيما عن النساء سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة
وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي النساء عن ابن عباس ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت
يريد الله ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم اللهم لا تحرمنا مواعيدك انك لا تخلف الميعاد ثم انه لما ذكر ابتناء النكاح بالاموال وامر بايفاء المهور والنفقات
بين عقيب ذلك انه كيف يتصرف في الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لا يبيحه الشرع بوجه وقد مر تفسيره في البقرة
في قوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقد سبق مثله في آخر البقرة وخص التجارة بالذكر وان كان غير ذلك من الوجوه
المستفادة بنحو الهبة والارث واخذ الصدقات والمهور واروش الجنايات حلالا لان اكثر اسباب الرزق يتعلق بالتجارة ويحتمل تحت هذا النهي اكل مال الغير
بالباطل واكل مال نفسه بالباطل كما ان قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم يدل على النهي عن قتل غيره وعن قتل نفسه قال ابو حنيفة النهي في المعاملات لا يدل
على البطلان وقال الشافعي يدل لان الوكيل اذا تصرف على خلاف قول الموكل فذلك غير منعقد بالاجماع فالتصرف الواقع على خلاف قول المالك الحقيقي
وهو الله سبحانه اولى ان يكون باطلا واي فرق بين قوله لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين وبين قوله لا تبيعوا الحر واذا كان الثاني غير منعقد بالاتفاق فكذا
الاول وقال ابو حنيفة خيار المجلس غير ثابت في عقود المعاوضات المحضة لان التراضي المذكور في الآية قد حصل وقال الشافعي ان هذا التراضي يقتضي الحل
الا انا نثبت بعد ذلك للمتبايعين الخيار لقوله صلى الله عليه وسلم المتبايعان كل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
كنفس واحدة او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة حين ما يعرضه غم او خوف او مرض شديد يرى قتل نفسه سهل عليه عن الحسن البصري قال حدثنا جندب لان المؤمنين
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل به جراح فقتل نفسه فقال الله بدرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة وعن ابي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل
ممن يدعي بالاسلام هذا من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فاصابته جراحة فقيل له يا رسول الله الذي قلت له انفا انه من اهل النار
فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم الى النار فكاد بعض المسلمين ان يرتاب فبينما هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ولكن به جراحا شديدة فلما كان
من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار
جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ
بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا وعن عمرو بن العاص قال احتلمت في ليلة باردة في غزاة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت
باصحابي الصبح فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت اني سمعت الله تعالى يقول ولا تقتلوا انفسكم
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وقيل معنى الآية لا تفعلوا ما تستحقون به القتل من القتل والردة والزنى بعد الاحصان ان الله كان بكم رحيما ولاجل رحمته
نهاكم عما يضركم عاجلا وآجلا وقيل من رحمته انه لم يأمركم بقتل انفسكم كما امر بني اسرائيل بذلك توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ومن يفعل ذلك القتل عدوانا
وظلما لا خطأ ولا قصاصا هذا قول عطاء وقال الزجاج ذلك اشارة الى القتل والاكل بالباطل وعن ابن عباس انه عائد الى كل ما نهى الله عنه من اول
السورة فسوف نصليه نارا التنكير للتعظيم وللنوع وكان ذلك على الله يسيرا مثل على وفق المتعارف كقوله وهو اهون عليه والا فلا مانع له عن حكمه ولا منازع له في ملكه

التأويل حرمت عليكم امهاتكم الاية كلها اشارات الى نهى التعلق ومنع التصرف فى الامهات السفليات والمتولدات من وصف الانسان وصفات الحيوان ان الله
كان غفورا بانواع غفرانه ظلمات الصفات الانسانية تتولد من تصرفات الحواس فى المحسوسات عند الضرورات بالامر رحيما بالمؤمنين بما اعطاهم
اليه من التصرفات بقدر الحاجة الضرورية والمحصنات من النساء هى الدنيا التى تتصرف فيها العلويات الا ما ملكت ايمانكم باذن الله تعالى حيث قال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا محصنين جزاير من الدنيا وما فيها غير مسافحين فى الطلب منها وجوهكم فما استمتعتم به منهن من الضروريات فاعطوا حقوق تلك الحظوظ
بالطاعة والشكر والذكر ان الله تعالى احب ... قلب المؤمن عن دنس حب الدنيا كما احب ... فراشه فقال ومن لم يستطع اى من لم يقدر ان يتخلى عن الدنيا
الصالحة باسرها ويجعلها منكوحة له ويخصها بتصرف شرايع الاسلام بحيث لا يكون لها تصرف فى قلبه بوجه ما فليتصرف فى القدر الذى ملكت يمين قلبه من
الدنيا ولم تملك قلبه لانها امة مؤمنة بخدمته وهى مؤمنة له بالخدمة كما قال حكاية عن الله تعالى يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك محصنات بالاصل الذى
غير مسافحات بالتبذير والاسراف ولا متخذات اخدان من النفس والهوى فلما احصن بالاخلاص فى العطاء والمنع والاخذ والدفع فان اتين بفاحشة هى
غلبات شهواتها على القلب فليتبدل بنصف ما ملكت يمينه من الدنيا فى الله حيائه وغرامة هى حدها كما ان حد عجوز الدنيا اذا احصنها ذو الطول من رجال
فاتت بفاحشة اهلاكها بالكلية بالبذل فى الله كما كان حال سليمان اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد لما شغلته عن الصلوة واتت بفاحشة حب الدنيا
فطفق مسحا بالسوق والاعناق ذلك التصرف فى قدر من الدنيا لمن خشى ضعف النفس وقلة صبرها على ترك الدنيا وامتناعها عن قبول الاوامر والنواهى
وان تصبروا عن التصرف فى الدنيا بالكلية خير لكم كما قال يا طالب الدنيا لتبر فتركها ابر يريد الله ان يخفف عنكم فلكم المعونة ولغيركم المؤنة قال ابرهيم
انى ذاهب الى ربى واخبر عن حال موسى بقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وعن حال نبينا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده وعن حال هذه الامة بقوله سنريهم
آياتنا والمعونة هى الجذبة التى توازى عمل الثقلين فلاجرم كان لغير نبينا الوصول الى السموات فقط وكان لنبينا الوصول الى مقام قاب قوسين او ادنى
ولامته التقرب لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه والفرق بين النبى والولى ان النبى مستقل بنفسه والولى لا يمكنه السير الا فى متابعة النبى وسلوكه
وخلق الانسان ضعيفا ولهذا اعين بالجذبة حتى يتصل بقوة ذلك الى مقام لا يصل اليه الثقلان بسعيهم الى الابد ضعفه بالنسبة الى جلال الله وكماله
والا فهو اقوى فى حمل الامانة من ساير المخلوقات وايضا من ضعفه انه لا يصبر عن الله لحظة فانه يحبهم ويحبونه شعر الصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه
لا يحمد وكان ابو الحسن الخرقانى يقول لولا الموت لما ... ابو عبد الانسان يصبر عن الله لعدم المحبة ومن ضعفه انه لا يصبر مع الله عند غلبات سطوات التجلى
كما انه كان يغان على قلبه كان يقول كلمينى يا حميراء وكان الشبلى يقول لا معك قرار ولا منك فرار المستغاث بك منك اليك فضعف الانسان
سبب كماله وسعادته فساعة يتصف بصفات البهيمية وساعة يتسم بسمات الملك وليس لغيره هذا الاستعداد فلهذا جاء فى الحديث الربانى انا ملك حى
لا اموت ابدا فاطعنى عبدى لعلك ملكا حيا لا تموت ابدا الا ان تكون تجارة تنجيكم من عذاب اليم ولا تقتلوا انفسكم التى هى المؤمنة لكم فى شهواتها فان ذلك
يميتها ان الله كان بكم رحيما اذ بين لكم هذه الافات ودلكم على هذه التجارات ومن يفعل صرف المال الى الهوى تعديا عن امر الله وظلما على نفسه

إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ۝ وَلَا تَتَمَنَّوْا
اگر پرهیز کنید گناهان کبیره را که نهی کرده شده اید از آن بر داریم از شما گناهان شما را و در آوریم شما را در جایگاهی خوب و آرزو مکنید
مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ
آنچه را که زیادتی داده است خدا بآن برخی شما را بر برخی از برای مردان بهره ایست از آنچه کسب نمودند و از برای زنان بهره ایست از آنچه کسب کردند و بخواهید خدا را
مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
از فضل او بدرستی که خدا هست بهر چیزی دانا و از برای هر یک قرار دادیم ورثه از آنچه گذاشتند پدر و مادر و خویشان و آنان که بسته شده
ع أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ
سوگندهای شما پس بدهید ایشان را نصیب ایشان را بدرستی که خدا هست بر همه چیزی گواه مردان مدبران امور زنان اند بآنچه که زیادتی داد خدا برخی را
عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ
بر برخی و بآنچه که خرج کردند از اموالشان پس زنان نیکوکار عبادت کنندگانند نگاه دارندگانند حقوق مردان را در غیبت بآنچه حفظ کرد خدا و آنها از زنان که میترسید از
نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
نافرمانی ایشان پس پند دهید ایشان را و ترک کنید ایشان را در خوابگاه و بزنید ایشان را پس اگر اطاعت کردند شما را پس مجوئید بر ایشان راهی بدرستی خدا
عَلِيًّا كَبِيرًا ۝ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بلند مرتبه بزرگ است و اگر ترسید نزاع را در میان ایشان پس برانگیزید داوری را از جانب مرد و داوری را از جانب زن اگر خواهند اصلاح را موافقت اندازد خدا
بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ۝ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
در میان ایشان بدرستی که خدا هست دانای باطلاع و بپرستید خدا را و انباز قرار ندهید باو چیزی را و به پدر و مادر نیکوئی کنید و بخداوندان
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ

دستهای شما هر آینه خدا دوست نمیدارد کسی را که باشد متکبر و نازنده ۝ آنان که بخل کنند و امر کنند مردم را بخیل کردن و میپوشانند آنچه را که داد ایشان را

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

خدا از فضل او و آماده کردانیدیم برای کافران عذابی خوار کننده ۝ و آنان که خرج کنند مالهای خود را بجهت نمودن بمردم و نگروند بخدا

وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ۝ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

و نه بروز پسین و هر که بوده باشد شیطان مر او را همنشین پس بد همنشین است ۝ و چه میشد بر ایشان اگر گرویدندی بخدا و روز پسین

وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ

و خرج کردندی از آنچه روزی کرد ایشان را خدا و هست خدا بایشان دانا ۝ هر آینه خدا ستم نکند مقدار ذره و اگر باشد حسنه را بیفزاید آن و در دهد

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ القراءات يكفر ويدخلكم بياء الغيبة المفضل الياقون بالنون مدخلا بفتح الميم وكذا في الحج ابو جعفر ونافع الباقون بالضم وسئلوا وبابه مما دخل عليه واو العطف وفاؤه بغير همزة ابن كثير وعلي وخلف وسهل وهمزة في الوقف عقدت من العقد عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون عاقدت من المعاقدة حفظ الله بالنصب يزيد الباقون بالرفع والجار بالامالة ابن فليح حماد وقتيبة ونصير وابو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو والنجاري عن ورش والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون المفضل الباقون بضمتين بالبخل بفتحتين حيث كان حمزة وعلي وخلف المفضل عباس مخير الباقون بضم الباء وسكون الخاء حسنة بالرفع ابن كثير وابو جعفر ونافع الباقون بالنصب يضعفها بالتشديد ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعفها بالالف الوقوف كريما على بعض مما اكتسبوا من فضله عليما والاقربون بناء على ان ما بعده مبتدأ نصيبهم شهيدا من اموالهم لان ما بعده مبتدأ بما حفظ الله واضربوهن لابتداء الشرط مع فاء التعقيب سبيلا كبيرا من اهلها لان ان مع الشرط اتحاد الكلام بينهما خبيرا وابن السبيل للعطف ايمانكم فخورا بناء على ان الذين بدل من فضله مهينا لاحتمال ما بعده الاستيناف والعطف باليوم الآخر وان جعل الذين مبتدأ لان خبره محذوف اي فاولئك قرينهم الشيطان قرينا رزقهم الله عليما ذرة لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى اي لا يظلم بنقص الثواب ومع ذلك يضاعفه عظيما التفسير هذا كالتفصيل للوعيد المتقدم ومن الناس من قال جميع الذنوب والمعاصي كبائر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس كل شيء عصي الله فيه فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او منكرا القدر وضعف بان الذنوب لو كانت كلها كبائر لم يبق فرق بين ما يكفر باجتناب الكبائر وبين الكبائر وبقوله تعالى وكل صغير وكبير مستطر لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وبانه تعالى نص على ذنوب باعيانها انها كبائر وبقوله تعالى وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولا بد من فرق بين الفسوق والعصيان فالكبائر هي الفسوق والصغائر العصيان احتج هذا القائل بما روي عن ابن عباس ان الذنب انما يكبر لوجهين لكثرة نعم من عصي فيه ولجلالة الله ولا شك ان نعمه تعالى غير متناهية وانه اجل الموجودات فيكون عصيانه كبيرا وعورض بانه ارحم الراحمين واغنى الاغنياء عن طاعات المطيعين وكل ذلك يوجب خفة الذنب وان سلم ان الذنوب كلها كبائر من حيث انها ذنوب ولكن بعضها اكبر من بعض وذلك يوجب التفاوت واذ قد عرفت ان الذنوب بعضها صغائر وبعضها كبائر فالكبيرة تتميز عن الصغيرة بذاتها او باعتبار فاعلها ذهب الى كل واحد طائفة من الاولين من قال روي عن ابن عباس كل ما جاء في القرآن مقرونا بذكر الوعيد فهو كبيرة كالقتل المحرم والزنا واكل مال اليتيم وغيرها وزيف بانه لا ذنب الا وهو متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا فيكون كل ذنب كبيرا وهو خلاف المفروض وعن ابن مسعود ان الكبائر هي ما نهى الله تعالى في الآيات المتقدمة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر في سائر السور ايضا فلا وجه للتخصيص وقيل كل عمد فهو كبيرة ورد بانه ان اراد بالعمد انه ليس بساه فما هذا حاله فهو الذي نهى الله عنه فيكون كل ذنب كبيرا وقد ابطلناه وان اراد بالعمد ان يفعل المعصية مع العلم بانها معصية فلا يكون كفر اليهود والنصارى كبيرا وهو باطل بالاتفاق واما الذين يقولون الكبائر تمتاز عن الصغائر باعتبار فاعلها فيجعلون لكل طاعة قدرا من الثواب ولكل معصية قدرا من العقاب فاذا وجد للانسان طاعة ومعصية فالتعادل بين الاستحقاقين وان كان ممكنا بحسب العقل الا انه غير ممكن بحسب السمع والا لم يكن مثل ذلك المكلف لا في الجنة ولا في النار وقد قال تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير فلا بد من ترجيح احدهما ويلزم من الاحباط والتكفير والحق في هذه المسئلة وعليه الاكثرون بعدما مر من اثبات قسم الذنب الى الكبيرة والصغيرة انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في هذه الآية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ووقت الموت في جملة الاوقات هذا ولا مانع من ان يبين الشارع في بعض الذنوب انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وذكر عند ابن عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبعمائة وعن ابن عمر انه عدّها تسعا الالحاد في البيت الحرام وشرب الخمر وعن ابن مسعود والياس من روح الله والامن من مكره وفي بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم زيادة قول الزور وعقوق الوالدين والسرقة واما قول العلماء في الكبيرة فمنهم من قال

هي التي توجب الحد وقيل هي التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وقيل كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث صاحبها بالدين وقيل لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقد يراد بالاصرار المداومة على نوع واحد من الصغائر او الاكثار منها وان لم يكن من نوع واحد احتج ابو القسم الكعبي بالاية على القطع بوعيد اهل الكبائر لانها تدل على انه اذا لم يجتنب الكبائر فلا يكفر عنه والجواب عنه ان استثناء نقيض المقدم لا ينتج ويؤيده قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وان اداء الامانة واجب عنه ولم يأمنه سلمنا ان الاية رجعت الى قوله من لم يجتنب الكبائر لم يكفر عنه سيئاته لكنه يكون عاما في باب الوعيد والجواب عنه هو الجواب عن سائر العمومات وهو انه مشروط بعدم العفو عندنا كما انه مشروط عندكم بعدم التوبة ثم قالت المعتزلة ان عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر وعندنا لا يجب على الله شيء بل كل ما يفعله فهو فضل واحسان ويدخل في الاجتناب عن الكبائر الاتيان بالطاعات لان ترك الواجب ايضا كبيرة وندخلكم مدخلا من فتح الميم اراد مكانا للدخول ومن ضمها اراد الادخال ووصفه بالكرم اشعارا بانه على وجه التعظيم خلاف ادخال اهل النار الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم او هو وصف باعتبار صاحبه ثم انه سبحانه لما امرهم بتهذيب اعمال الجوارح وهو ان لا يقدموا على اكل الاموال بالباطل وعلى قتل الانفس حثهم على تهذيب الاخلاق في الباطن ونقول لما نهاهم عن الاكل والقتل ولن يتم ذلك الا بالرضاء بالقضاء وبتطييب القلب بالمقسوم المقدر فلا جرم قال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قالت المعتزلة التمني قول القائل ليت لي كذا وقال اهل السنة هو عبارة عن ارادة ما يعلم او يظن انه لا يكون ولهذا قالوا انه تعالى لو اراد من الكافر ان يؤمن مع علمه بانه لا يؤمن كان متمنيا ثم مراتب السعادات اما نفسانية نظرية كالذكاء والحدس وحصول المعارف والحقائق او عملية كالاخلاق الفاضلة واما بدنية كالصحة والجمال والعمر واما خارجية كحصول الاولاد النجباء وكثرة العشائر والاصدقاء والرياسة التامة ونفاذ القول وكونه محبوبا للخلق حسن الذكر مطاع الامر فهذه مجامع السعادات وبعضها محض عطاء الله تعالى وبعضها مما يظن انها كسبية وبالحقيقة كلها عطاء منه تعالى فانه لولا ترجيح الدواعي وازالة العوائق وتحصيل الموجبات وتوفيق الاسباب فلاي سبب يكون السعي والجد مشتركا فيه والفوز بالبغية والظفر بالمطلوب غير مشترك فيه واذا كان كذلك فما الفائدة في الحسد غير الاعتراض على مدبر الامور وكافل مصالح الجمهور فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو خير له ولو كان خلافه لكان وبالا عليه كما قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي الكلمات القدسية من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته يوم القيمة مع الصديقين ومن لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليخرج من ارضي وسمائي وليطلب ربا سوائي قال المحققون لا يجوز للانسان ان يقول اللهم اعطني دارا مثل دار فلان وزوجة مثل زوجة فلان وان كان هذا غبطة لا حسدا بل ينبغي ان يقول اللهم اعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي ومعاشي وعن الحسن لا يتمن احد المال فلعل هلاكه في ذلك المال واما سبب النزول فعن مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولهم من الميراث ضعف ما لنا فنزلت وعن قتادة والسدي لما نزل قوله للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء في الاخرة كما فضلنا في الميراث وقالت النساء نرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الاخرة فانا نحن احوج لانا ضعفاء وانه على طلب المعاش فنزلت وقيل اتت وافدة النساء الى الرسول وقالت رب الرجال والنساء واحد انت الرسول الينا واليهم وابونا ادم وامنا حوا فما السبب في ان الله يذكر الرجال ولا يذكرنا فنزلت الاية فقالت وقد سبقنا الرجال بالجهاد فما لنا فقال ان للحامل منكم اجر الصائم القائم واذا ضربها الطلق لم يدر احد ما لها من الاجر فاذا رضعت كان لها بكل مصة اجر احياء نفس للرجال نصيب مما اكتسبوا من نعيم الدنيا وثواب الاخرة فينبغي ان يرضى بما قسم لهم وكذا للنساء او لكل فريق جزاء ما اكتسب من الطاعات فلا ينبغي ان يضيعه بسبب الحسد المذموم وللتخصيص لا تتمنوا ما لذلك من الغرائب او للرجال نصيب مما اكتسبوا بسبب قيامهم بالنفقة على النساء وللنساء نصيب مما اكتسبن بحفظ فروجهن وطاعة ازواجهن بالقيام بمصالح البيت واسئلوا الله من فضله من نعمه ومن خزائن الانعام ما لا ينفد مطالب الانام ومن للتبعيض اي شيئا من خزائن كرمه وطوله ان الله كان بكل شيء عليما فهو العالم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل وليفوض التفصيل اليه فان ذلك اقرب الى الادب واوفق للطلب قوله سبحانه وتعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون يمكن تفسيره بحيث يكون الوالدان والاقربون وارثين وبحيث يكونان موروثا منهما والمعنى على الاول لكل احد جعلنا ورثة في تركته ثم انه كانه قيل ومن هؤلاء الورثة فقيل هم الوالدان والاقربون فيحسن الوقف على قوله مما ترك وفيه ضمير كل واما على الثاني فاما ان يكون في الكلام تقديم وتاخير اي لكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون جعلنا موالي اي ورثة واما ان يكون جعلنا موالي صفة لكل بل المحذوف والعائد محذوف كذا المبتدأ والتقدير ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون كما يقول لكل من خلقه الله الناس من رزق الله اي حظ من رزق الله والمولى لفظ مشترك بين معان منها المعتق لانه ولي نعمة في عتقه ومنها العبد المعتق لاتصال ولاية مولاه في انعامه عليه فهذا كما يسمى الطالب غريما لان له اللزوم والمطالبة بحقه ويسمى المطلوب غريما لكون الدين لازما له ومنها الحليف لان المحالف يلي امره بعقد اليمين ومنها ابن العم لانه يليه بالنصرة ومنه المولى الناصر قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا ومنها العصبة وهو المراد في الاية اذ هو الاليق بها كقوله انا اولى بالمؤمنين من مات وترك مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا فانا وليه واما قوله والذين عقدت ايمانكم فاما ان يكون مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع قوله فاتوهم خبره واما ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه مما يوسط الفاء بين الفعل ومفعوله مفسرا مبتدأ ما بعده واما ان يكون معطوفا على الوالدان والايمان جمع يمين اليد والحلف ومن الناس من قال الاية منسوخة وذلك ان الرجل كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وبقوله يوصيكم الله

او ايمانا الواحد منهم كان يتخذ انسانا اجنبيا ابنا له وهم الادعياء وكان النبي صلعم يواخي بين كل رجلين منهم فكانوا يتوارثون بالتبني والمواخاة فنسخ ومن قسم
من زعم انها غير منسوخة قوله والذين معطوف على ما قبله والمعنى ان ما ترك الذين عقدت ايمانكم فله وارث هو اولى به وقال لا تدفعوا المال الى الحليف بل الى الوارث
فيكون الضمير في فآتوهم للموالي قاله ابو علي الجبائي او المراد بالذين عاقدت الزوج والزوجة نصيبهم ميراث الولد والوالدين كما في قوله يوصيكم الله قاله ابو مسلم
وقيل المراد الميراث الحاصل بسبب الولاء وقيل هم الحلفاء والمراد بايتاء نصيبهم النصرة والنصيحة والمصافاة وقال الاصم المراد التحفة بالشيء القليل كقوله
واذا حضر القسمة وذهب جمهور الفقهاء الى انه لا يرث المولى الاسفل من الاعلى وحكى الطحاوي عن الحسن بن زياد انه قال يرث لما روي عن ابن عباس ان رجلا اعتق
عبدا له فمات المعتق ولم يترك الا المعتق فجعل رسول الله صلعم ميراثه للغلام والحديث عند الجمهور محمول على ان المال صار لبيت المال ثم دفعه النبي الى الغلام لفقره
قال ابو حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث بحق الموالاة وخالفه الشافعي فيه وحكى الاوزاعي ان هذه الموالاة لا تصح عند
ابي حنيفة انها الا بين العرب وبين العجم لرخاوة عقدهم في امورهم ان الله كان على كل شيء شهيدا لانه عالم بجميع الجزئيات والكليات فيشهد على الخلق يوم القيمة بكل
ما عملوه وفيه وعيد للعاصين ووعد للمطيعين هذا وقد مر ان النساء تكلمن في تفضيل الله الرجال عليهن في الميراث ونحوه فذكر في هذه الاية ما يشتمل على بعض
اسباب التفضيل فقال الرجال قوامون على النساء قيم المرأة وقوامها مبالغة للذي يقوم بامرها ويهتم بحفظها كما يقوم الوالي على الرعية ومنه سمي الرجال
قواما والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا اي انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء
والعلماء والحكماء وفيهم الامامة الكبرى وهي الخلافة والصغرى وهي الاقتداء بهم في الصلوة وانهم اهل الجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف والشهادة في الحدود والقصاص
بالاتفاق وفي الانكحة عند الشافعي وزيادة السهم في الميراث والتعصيب فيه والحمالة وتحمل الدية في القتل الخطاء والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة
وعدد الازواج واليهم الانتساب فكل ذلك يدل على فضلهم وحاصلها يرجع الى العلم والقدرة ومنها سبب خارجي وذلك انهم فضلوا عليهن بما انفقوا اي بما اخرجوا في نكاحهن
من اموالهم مهرا ونفقة عن مقاتل ان سعد بن الربيع وكان من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم وقال
افرشته كريمتي فلطمها فقال رسول الله صلعم لتقتص منه وكانت قد نزلت اية القصاص فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلعم ارجعوا هذا جبريل اتاني وانزل الله
هذه الاية فقال النبي صلعم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فلهذا قال العلماء لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها
ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل اما في اللطم ونحوها فلا ثم قسم النساء قسمين ووصف الصالحات منهن بانهن قانتات مطيعات لله ولازواجهن
حافظات للغيب قيل بما يجب حفظه من حقوق الزوج في غيبته والغيب خلاف الشهادة ومواجب حفظ غيبة الزوج ان تحفظ نفسها عن الزنا لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها
ولئلا يلحق به الولد الحاصل من نطفة غيره وان تحفظ اسراره عن الافشاء وماله عن الضياع ومنزلها عما لا ينبغي شرعا وعرفا عن النبي صلعم خير النساء امرأة اذا نظرت
اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الاية وما في قوله بما حفظ الله موصولة والعائد محذوف اي بالذي حفظه الله
لهن اي عليهن ان يحفظن حقوق الزوج في مقابلة ما حفظ الله حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن في قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
فقوله بما حفظ الله يجري مجرى قولهم هذا بذاك اي هذا في مقابلة ذاك او مصدرية والمعنى انهن حافظات للغيب بحفظ الله اياهن اي لا يتيسر لهن حفظ الغيب الا
بتوفيق الله او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على الامانة واوعدهن العذاب الشديد على الخيانة ومن قرا بما حفظ الله بالنصب فما اما موصولة اي
بالامر الذي يحفظ حق الله وامانته وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم او مصدرية اي بسبب حفظهن حد الله واوامره فان المرأة لولا انها
رعاية تكليف الله وتجتهد في حفظ اوامره لما اطاعت زوجها ثم ذكر غير الصالحات منهن فقال واللاتي تخافون تعرفون بالقرائن والامارات نشوزهن عصيانهن
والترفع عليكم بالخلاف من نشز الشيء ارتفع ومنه نشز للارض المرتفعة فعظوهن وهو ان يقول اتقي الله فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي
عليك فرض ونحو ذلك واهجروهن في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع اي في بيوتهن التي
يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقيل هو في ضمن الهجران الامتناع من كلامها ولكن ينبغي ان لا يزيد في هجر الكلام على ثلث فاذا هجرها في المضجع فان كانت تحب الزوج شق ذلك
عليها فتركت النشوز وان كانت تبغضه وافقها ذلك الهجران فكان ذلك دليلا على كمال النشوز فحينئذ يباح الضرب وذلك قوله واضربوهن والاولى ترك الضرب
لما روي انه قال لا تضربوا اماء الله فجاء عمر الى رسول الله صلعم فقال ذئرن النساء على ازواجهن اي اجترأن فرخص في ضربهن فاطاف بال رسول الله صلعم نساء كثير
يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلعم لقد طاف بال محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم ومعناه ان الذين ضربوا ازواجهم ليسوا خيرا ممن لم يضربوا
واذا ضربها وجب ان لا يكون مفضيا الى الهلاك البتة وان يكون مفرقا على بدنها لا يوالي بها في موضع واحد ويتقي الوجه لانه مجمع المحاسن وان يكون دون الاربعين
وقيل دون عشرين لانه حد كامل في شرب العبد ومنهم من لا يرى الضرب بالسياط ولا بالعصي وبالجملة فالتخفيف مرعي في هذا الباب لهذا قال علي يعظها
بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكمين وقال اخرون هذا الترتيب مرعي عند خوف النشوز
فاما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وروي ان النبي صلعم علق سوطه حيث يراه اهله فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا بالاذى والتوبيخ واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن ان الله كان عليا كبيرا لا بالجهة بل بالجثة فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على ازواجكم وانه يكم روي ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب به غلاما له فبصر به رسول الله صلعم فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وفيه انه مع علوه وكبريائه سلطانه

تعصونه فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو اذا رجع الجاني عليكم او انه مع علوه وكبريائه لا يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن محبتكم فلعلهن لا يقدرن
على ذلك او انه مع علو شانه وكبريائه يكتفي من العبيد بالظواهر ولا يهتك السرائر فانتم احق بان لا تفتشوا عما في قلبها من الحب والبغض اذا صلح حالها في الظاهر
او انهن ان ضعفن عن دفع ظلمكم وعجزن عن الانتصاف منكم فالله تعالى قادر قاهر ينتصف لهن منكم ثم بين انه ليس بعد الضرب الا المحاكمة فقال وان خفتم قال
ابن عباس اي علمتم وذلك لان الاصرار منها على النشوز حيث لم يؤثر فيها الوعظ والهجران والضرب اعترض عليه الزجاج بانه اذا علم الشقاق قطعا فلا حاجة الى
الحكمين واجيب بان الشقاق معلوم الا انا لا نعلم ان سبب الشقاق منه او منها فالحاجة الى الحكمين لهذا المعنى ونقول المراد ازالة الشقاق في الاستقبال ومعنى
شقاق بينهما شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على سبيل الاتساع وهو اجراء الظرف مجرى المفعول به او على جعل البين مشاقا مثل نهاره صائم والضمير
للزوجين يدل عليهما مساق الكلام او ذكر الرجال والنساء فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة الاصلاح بينهما ويهتدي الى المقصود من البعث
ولا بد فيه من العقل والبلوغ والحرية والاسلام ويستحب ان يكون الحكمان من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن احوالهما وتسكن اليهما نفوس الزوجين
فيبرزان لهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبا كل من الامرين وينبغي ان يخلو حكم الرجل بالرجل وحكم المرأة بالمرأة فيعرفا ما عندهما
وما فيه رغبتهما واذا اجتمعا لم يخف احدهما عن الاخر ما علم ثم المبعوثان وكيلان من جهة الزوجين او موليان من جهة الحكام المخاطبين بقوله فابعثوا فيه
قولان اصحهما وبه قال ابو حنيفة واحمد انهما وكيلان لان البضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان والخطاب في قوله فان خفتم وفي فابعثوا للحكام
لانه لا يجري مجرى دفع الضرر فلكل احد ان يقوم به وثانيهما وبه قال مالك انهما موليان لانه تعالى سماهما الحكمين ولما روي ان عليا بعث حكمين من
فقال اتدريان ما عليكما عليكما ان رأيتما ان تجمعا ان تجمعا وان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا وعلى الاول يوكل الرجل الذي هو من اهله بالطلاق وبقبول العوض في الخلع
والمرأة الاخرى ببذل العوض وقبول الطلاق ولا يجوز بعثهما الا برضاهما فان لم يرضيا ولم يتفقا على شيء ادب القاضي الظالم واستوفى حق المظلوم وعلى الثاني لا
يشترط رضا الزوجين في بعث الحكمين ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فيه وجوه الاول ان يرد الحكمان خيرا يوفق الله بين الحكمين حتى يتفقا على ما هو خير الثاني
ان يرد الزوجان اصلاحا ابدل الله الزوجين بالشقاق وفاقا الثالث ان يرد الحكمان اصلاحا يوفق الله بين الزوجين الرابع ان يرد الزوجان خيرا يوفق الله بين
الحكمين حتى يتفق كلمتهما ويحصل الغرض والتوفيق جعل الاسباب موافقة للغرض ولا يستعمل الا في الخير والطاعة وفيه انه لا يتم شيء من الاغراض الا بتوفيق
الله تعالى ونبه بقوله ان الله كان عليما خبيرا بتوفيق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين بمقتضى علمه وارادته وفيه وعيد للزوجين والحكمين في سلوك ما يخالف
طريق الحق ووعد على الجد في حسم مادة الخصومة والخشونة ثم ارشد الى مجامع الاخلاق الحسنة بقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان من عبد الله
واشرك به شيئا اخر فقد حبط عمله وضل سعيه وبالوالدين احسانا فقد مر واحسنوا بهما احسانا يقال احسن بفلان والى فلان وبذي القربى واليتامى والمساكين
وقد مر تفسيرها في البقرة قال ابو بكر الرازي ان اضطر الى قتل ابيه بان يخاف ان يقتله ان ترك قتله جاز له ان يقتله والجار ذي القربى الذي قرب جواره
والجار الجنب الذي بعد جواره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه الا وان الجوار اربعون دارا وعن الزهري انه اراد اربعين من كل جانب
وقيل الجار ذي القربى الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي والتركيب يدل على البعد ومنه الجانبان للناحيتين والجنبان لبعد كل منهما عن الاخر
ومنه الجنابة لبعده عن الطهارة وعن حضور الجماعة والمسجد ما لم يغتسل ومن قرأ والجنب فمعناه المجنوب مثل خلق بمعنى مخلوق والمراد ذي الجنب فحذف
المضاف والصاحب بالجنب هو الذي حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او في
مسجد وغير ذلك من ادنى صحبة التقت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة فانها تكون
معك وتضطجع الى جنبك وابن السبيل المسافر الذي انقطع عن بلده او الضيف وما ملكت ايمانكم عن علي بن ابي طالب انه كان اخر كلام رسول الله
وما ملكت ايمانكم وذكر اليمين تأكيد كما يقال مشت رجلي والاحسان اليهم ان لا يكلفهم فوق طاقتهم ولا يؤذيهم بالكلام الخشن بل يعاشرهم معاشرة
جميلة ويعطيهم من الطعام والكسوة ما يليق بحالهم في كل وقت كانوا في الجاهلية يسيئون الى المملوك فيكلفون الاماء البغاء وهو الكسب بفروجهن
ويضعون على العبيد الخراج الثقيل وقيل كل حيوان فهو مملوك والاحسان الى كل نوع بما يليق بحاله طاعة عظيمة ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا تياها
جهولا يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه مما ليكون عن الالتفات الى حالهم والتفقد لهم والتحفي بهم ربانفس من اقاربه اذا كانوا فقراء ومن جيرانه اذا كانوا
ضعفاء واسلم من الخيلاء الكبر والفخور المتطاول الذي يعدد مناقبه وعن ابن عباس هو الذي يفتخر على عباد الله تعالى بما اعطاه من انواع نعمه ولعل
هذا يجوز على سبيل التحدث بالنعم فقط الذين يبخلون البخل في اللغة منع الاحسان وفي الشرع منع الواجب وفيه اربع لغات البخل مثل الفقر والبخل بفتح
الباء وسكون الخاء وبضمهما وبفتحهما وسبب النظم ان الاحسان الى الاصناف المذكورين انما يكون في الاغلب بالمال فذم المعرضين عن ذلك الاحسان
لحب المال ويحتمل ان يشمل البخل بالعلم ايضا اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم مقتا للسخاء وهذه غاية البخل وفي امثالهم ابخل من الضنين بنائل
غيره وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضله الغنى حتى اوهموا الفقر مع الغنى والاعسار مع اليسار والعجز مع الامكان وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال ان الله تعالى يحب ان يرى على عبده اثر نعمته وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى
اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه ثم ان هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر مثل ان يظهر الشكاية من الله تعالى
ولا يرضى بقضائه فلذلك قال واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ويحتمل ان يراد كافر النعمة لا كافر الايمان وقال ابن عباس ان الاية في اليهود كانوا

رجاء الامن لانصابها لطولهم وينتصحون لهم يقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا يدرون ما يكون وانهم كمن سمعه محمد ولم يتبينوا ما
للناس ثم ذم الذين لا ينفقون اموالهم عطف عليهم الذين ينفقون اموالهم ولكن رئاء وفخارا وليقال ما اسخاه وما اجوده لا ابتغاء وجه الله وقال
بعد الانفاق دليل على انه لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولا انفق لله وللآخرة ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا امر بالبخل لمخمسا فساء قرينا في الآخرة
يقرن به في النار ثم استفهم على سبيل الانكار فقال وماذا عليهم وما الذي عليهم في باب الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد التوبيخ فكل منفعة في ذلك (اي يقترون وباء عليهم)
كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وكان الله بهم عليما بعث على اصلاح افعال القلوب التي يطلع عليها علام الغيوب
وردع عن دواعي النفاق والرياء والسمعة والفخار احتج القائلون بان الايمان يصح على سبيل التقليد بانه قال وماذا عليهم لو آمنوا مشعرا بان الايمان
بالايمان في غاية السهولة والاستدلال في غاية الصعوبة واجيب بان الصعوبة في الايمان الاستدلالي التفصيلي لا الاجمالي وقال جمهور المعتزلة لو كانوا
غير قادرين لم يقل وماذا عليهم كما لا يقال للمرأة ماذا عليها لو كانت رجلا وللقبيح ماذا عليه لو كان جميلا واجيب بعدم التحسين والتقبيح العقليين وانه لا يسئل
عما يفعل ثم رغب في الايمان والطاعة فقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة والمثقال مفعال من الثقل كالميزان من الوزن والذرة النملة الصغيرة وعن ابن
عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها ثم قال كل واحد من هذه الاشياء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وانتصاب مثقال على انه مفعول
ثان اي لا ينقص الناس مثقال ذرة او على المصدر اي ظلما قدر مقدار ذرة واذا نفى الظلم راسا الا انه اخرج الكلام على اصغر المتعارف وهذه الآية مما يتمسك
به المعتزلة في انه تعالى غير خالق لاعمال العباد والا كان ظلمهم منسوبا اليه وفي ان العبد يستحق الثواب على طاعته والا كان منعه عنه ظلما واجيب بانه اذا
كان متصرفا في ملكه كيف شاء فلا يتصور منه ظلم اصلا وقد يحتج الاصحاب ههنا على صحة مذهبهم في عدم الاحباط بان عقاب شرب قطرة من الخمر لو كان مزيلا
لثواب ايمان سبعين سنة كان ظلما وفي عدم وعيد الفساق بان عقاب شرب جرعة من الخمر لو كان دائما مخلدا لزم ابطال ثواب ايمان سبعين سنة وهو ظلم
ثم قال وان تك حسنة حذفت النون من هذه الكلمة بعد سقوط الواو بالتقاء الساكنين لاجل التخفيف لكثرة الاستعمال ومن قرأ حسنة بالرفع فعلى كان التامة ومن
قرأ بالنصب فالتانيث في ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث والمراد بالمضاعفة ليس هو المضاعفة بالمدة لان مدة الثواب غير متناهية وتضعيف غير
المتناهي محال بل المراد المضاعفة بحسب المقدار كان يستحق عشرة اجزاء من الثواب فيجعله عشرين او ثلاثين عن ابن مسعود انه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة
وينادي مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال آت هؤلاء حقوقهم فيقول يا رب من اين وقد
ذهبت الدنيا فيقول الله لملائكته انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة ضعفها الله تعالى لعبده وادخله الجنة بفضل رحمته
ومصداق ذلك في كتاب الله وان تك حسنة يضاعفها قال الحسن قوله يضاعفها المضاعفة احب عند العلماء مما لو قال في الحسنة الواحدة مائتا الف حسنة لان
هذا يكون مقداره معلوما اما على هذه العبارة فلا يعلم كنهه الا الله تعالى وعن انس ان رسول الله صلعم قال ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا
ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها اما قوله ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فان لدن بمعنى عند الا ان لدن اكثر تمكنا يقول الرجل عندي مال ان كان ماله ببلد آخر ولا يقول لدي مال الا اذا كان بحضرته والمعتزلة حملوا
المضاعفة على الفضل المستحق وهذا الثاني على الفضل التابع للاجر ويمكن ان يقال الاول اشارة الى السعادات الجسمانية والثاني اشارة الى اللذات
الروحانية والله اعلم التأويل جملة الكبائر مندرجة تحت ثلث احدها اتباع الهوى ويتشعب منه البدع والضلالات وطلب الشهوات وحظوظ النفس
بترك الطاعات وثانيها حب الدنيا ويتشعب منه القتل والظلم واكل الحرام وثالثها ان يدعو غير الله وهو الشرك والرياء والنفاق وغيرها ثم اخبر ان
الدين ليس بالتمني فقال ولا تتمنوا فانه لا يحصل بالتمني ولكن للرجال المجتهدين في الله نصيب مما جدوا في طلبه وللنساء وهم الذين يطلبون من الله غير الله نصيب
على قدر هممهم في الطلب واسئلوا الله من فضله فيه معنيان اسئلوه من فضله الخاص وهو العلم اللدني وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما واسئلوه
منه ولا تسئلوا منه غيره ولكل جعلنا موالي لكل طالب صادق جعلنا استعدادا في الازل للوراثة مما ترك الوالدان ... طلبه لعدم الاستعداد والمشيئة
والذين جرى بينكم وبينهم عقد الاخوة في الله فآتوهم بالنصح وحسن التربية والتسليك نصيبهم الكلي فالرجال قوامون على النساء بمصالح دينهن ودنياهن
بفضيلة الله وهو استعداد الخلافة والوراثة وبما انفقوا من اموالهم اي بتجريدهم عن الدنيا وتفريدهم للمولى فالصالحات التي يصلحن للكمال قانتات مطيعات
لله لهن قلوب حافظات لواردات الغيب بما حفظ الله عليهن حقايق الغيب واسراره واللاتي تخافون نشوزهن اذا دارت عليهن كؤس الواردات كما قيل شعر
فاسكر القوم دور كاس وكان سكري من المدير فعظوهن باللسان وخوفوهن بالهجران لتأديب السكران واضربوهن بسطوة الانفصال وفراق الاخوان
كما كان حال الخضر مع موسى حيث قال هذا فراق بيني وبينك هذا قانون ارباب الكمال وارادة من اهل الارادة فان من المريد الا وغيرة من غلبات الاحوال
وان خفتم شقاق بينهما بين الشيخ الواصل والمريد المتكامل فابعثوا متوسطين من المشايخ الكاملين من السالكين المعتبرين ان يريدا اصلاحا اي يريدا بما بينهما
صلاحهما يوفق الله بينهما بالارادة وحسن التربية واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا من الدنيا والعقبى لتتخلقوا باخلاق الله وتحسنوا الى الوالدين عرفهما
احسانا بلا شرك ودنيا وعقبى ... **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ**
وجنلا والله ولي التوفيق

پس چگونه است حال چون بیاریم از هر طائفه گواهی و بیاوریم ترا بر این گروه گواه در آن روز

يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا ○ يا ايها الذين ع

دوست دارند آنان که کافر شدند و نافرمانی کردند پیغمبر را کاش برابر کرده شد با ایشان زمین و پنهان نمیدارند از خدا سخنی را ای گروه آنانکه

امنوا

امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يشترون الضللة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله
نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع
وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان
خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا ايها الذين اوتوا الكتاب
امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون
ع
فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا اولئك
الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
ام يحسدون الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتينهم ملكا
عظيما فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم
نارا كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة
وندخلهم ظلا ظليلا

القرءة تسوى بادغام تاء التفعل في السين ابو جعفر ونافع وابن عامر تسوى بالامالة وحذف التاء الاولى حمزة وعلي وخلف الباقون تسوى مبنيا للمفعول من التسوية لمستم من اللمس وكل في لمستم حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون لمستم من الملامسة فتيلا انظر بكسر التنوين ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن ذكوان الباقون بالضم وفرق بعضهم بين موضع الخفض فلم يجوز الضم كراهة الانتقال من الكسر الى الضم نحو منتابه انظرها وبرحمة ادخلوا وخبيثة اجتثت وعذاب اركض واشباه ذلك نضجت جلودهم وبابه مدغما حمزة

وعلى وخلف وهشام وابو عمرو الوقوف تسوى بهم الارض ط حديثا ه تغتسلوا ط وايديكم ط غفورا ه السبيل ط باعدائكم ط نصيرا ه في الدين ط قوم لا لاتصال لكن ط قليلا ه السبيل ط مفعولا ه
لمن يشاء ج عظيما ه يزكون انفسهم ط فتيلا ه الكذب ط مبينا ه سبيلا ه ويلعن الله ط نصيرا ه لان ام بمعنى همزة الاستفهام للانكار وتغيير العطف من فضله ج لما في الاستفهام مع
معنى التعجب لفاء فقلما صد عنه ط سعيرا ه نارا ط العذاب ط حكيما ه ابدا ط مطهرة ز لاستيناف الفعل على نية من تمام المقصود ظليلا ه التفسير انه سبحانه لما اوعد الظالمين بقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد المطيعين بقوله وان تك حسنة يضاعفها اراد ان يبين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله حجة على الخلق ليكون
الالزام اتم والتبكيت اعظم روى ان النبي ﷺ قال لابن مسعود اقرأ القران علي قال فقلت يا رسول الله انت الذي علمتنيه فقال احب ان اسمعه من غيري قال ابن
مسعود فافتتحت سورة النساء فلما انتهيت الى هذه الاية قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قال العلماء انه بكاء فرح لما شرفه الله تعالى
بكرامة قبول الشهادة على الخلائق والمعنى كيف يصنع هؤلاء الذين شاهدتهم وعرفت احوالهم من مردة الكفر كاليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم
بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا ثم وصف ذلك اليوم فقال يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول قيل هذه الجملة معترضة والمراد بالذين
عصوا والظاهر ان الواو للعطف وح فيقتضي كون عصيان الرسول مغايرا للكفر لان عطف الشيء على نفسه غير جائز فاما ان يحمل الكفر على نوع منه وهو الكفر بالله
او يقال انه عام وافرد ذكر قسم منه اظهارا لشرف الرسول وتعظيما لشانه والتهويل او يحمل عصيان الرسول على المعاصي المغايرة للكفر فيكون في الاية دلالة على ان
الكفار مخاطبون بفروع الشرائع ومعنى لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى او يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا و
الارض سواء او يصيرون ترابا فيودون حالها كقوله ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا اما قوله ولا يكتمون الله حديثا فاما ان يتصل بما قبله والواو للعطف
اي يودون لو انطبقت عليهم الارض ولم يكونوا كتموا امر محمد ولا كفروا به ولا نافقوا او للحال والمراد ان المشركين لما راوا يوم القيمة ان الله يغفر لاهل الاسلام
دون اهل الشرك قالوا تعالوا فلنجحد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر الله لهم فيختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك
يودون انهم كانوا ترابا ولم يكتموا الله حديثا واما ان يكون كلاما مستانفا فان ما عملوه ظاهر عند الله فكيف يقدرون على كتمانه وان عظم او نحوه
ثم اتبع وصف اليوم كيفية الصلوة التي هي سنام الطاعات واعظم المنجيات فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وقد مر سبب نزوله
في البقرة وفي لفظ الصلوة ههنا قولان احدهما ان المراد منه المسجد وهو قول ابن عباس وابن مسعود والحسن واليه يذهب الشافعي والتقدير لا حذف المضاف اي لا تقربوا
موضع الصلوة وثانيهما وعليه الاكثرون ان المراد نفس الصلوة اي لا تصلوا اذا كنتم سكارى ومعنى الاية على القول الاول لا تقربوا المسجد في حالتين احدهما
حالة السكر وذلك ان جمعا من اكابر الصحابة قبل تحريم الخمر كانوا يشربونها ثم ياتون المسجد للصلوة مع الرسول ﷺ فنهوا عن ذلك لان الظاهر ان الانسان اذا اتى
المسجد فانما ياتيه للصلوة ومن شان الصلوة ان يؤتى فيها باقوال مخصوصة يمنع السكر منها وثانيهما حالة الجنابة واستثنى من هذه الحالة حالة العبور والاجتياز
في المسجد بان كان الطريق الى الماء فيه او وقع الاحتلام فيه او كان الماء فيه والمعنى على القول الثاني النهي عن الصلوة في حالتين الاولى حالة السكر اي الا اذا علموا ما يقولون
ومعنى قربان الصلوة غشيانها والقيام اليها والثانية حالة الجنابة ويستثنى منها حالة عابري السبيل ويراد به في هذا القول السفر اي لا تقربوا الصلوة
في حالة الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر ويجوز ان يكون عابري سبيل صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين وانما استثنى حالة المسافرة لما يجيء من تفصيل منها وهو ان المسافر اذا اجنب ثم لم يجد الماء تيمم وصلى مع الجنابة ويرد عليه ان الجنب
المقيم ايضا اذا عجز عن استعمال الماء لمرض او برد يجوز له التيمم والصلوة على الجنابة اللهم الا ان يقال ان عذر السفر اعم واغلب فلهذا خص بالذكر والسكارى
جمع سكران وقوله وانتم سكارى في محل النصب على الحال ولهذا عطف عليه قوله ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى
مجرى المصدر الذي هو الاجناب ثم خالف الضحاك جمهور الصحابة والتابعين فقال ان السكر ههنا اريد به غلبة النوم ويوافقه الاشتقاق فان السكر
عبارة عن سد الطريق ومنه سكر البثق سد طريقه والسكر في الشراب هو ان ينقطع عما عليه من المضاء في حال الصحو فعند النوم يمتلئ مجاري الروح من الابخرة
الغليظة فينسد تلك المجاري بها ولا ينفذ الروح الى السامع والباصر الى ظاهر البدن والجواب ان لفظ السكر حقيقة في السكر من الخمر والاصل في الاطلاق الحقيقة
ومتى يستعمل مجازا فانما يستعمل مقيدا كقوله وجاءت سكرة الموت وترى الناس سكارى وايضا جميع المفسرين على انها نزلت في شرب الخمر وسبب النزول
يمنع ان لا يكون مرادا من الاية ثم على قول الجمهور يمكن ادعاء النسخ في الاية لانه انما نهى عن قربان الصلوة حال السكر ممدودا الى غاية ان يصير بحيث يعلم ما يقول
والحكم الممدود الى غاية يقتضي انتهاء ذلك الحكم عند تلك الغاية فهذا يقتضي جواز الصلوة مع السكر اذا كان بحيث يعلم ما يقول وجواز الصلوة مع هذا السكر
يوهم جواز هذا السكر لكنه تعالى حرم الخمر في اية المائدة على الاطلاق فيكون ناسخا لبعض مدلولات هذه الاية ومن قال ان مدلول الكلام يرجع الى النهي عن شرب
الخمر بحيث يفهم عند القرب من الصلوة وتخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي ما عداه فلا يكون منسوخا بالخبر ان الصحابة لم يفهموا منها التحريم المطلق وكانوا لا
يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون الى ان نزلت اية المائدة فقالوا انتهينا
يا رب والتحقيق فيه ان النهي عن مباح الاصل في وقت ما او بوجه ما وان كان لا يدل على تحريمه ولا على اباحته في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة
في غير ذلك الوقت وبغير ذلك الوجه الا ان جانب الاباحة راجح بحكم الاصل فيغلب على الظن ذلك كما فهم الصحابة ثم انه تعالى ذكر حكم المعذورين في حال الحدث فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة والمعنى
ان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذا المسافرين على حالة السفر اذا عدموه لبعده ويحتمل ان يقال قوله فلم تجدوا ماء

ايضاً

لبس بيدا في حكم المريض لانهم في الرخصة وان وجدوا ماء ثم عمم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف سبع او عدو او عدم آلة استقاء او لحصا في مكان لاماء
فيه او غير ذلك من الاسباب التي لا يكثر كثرة المرض والسفر ويراد بالمرض ما يخاف معه محذورا كبطوء برء وشين فاحش ظاهر بقول طبيب مقبول الرواية الا ربما
لا يخاف روي ان بعض الصحابة اصابته جنابة وكان به جراحة عظيمة فسأل بعضهم فلم يفتيه بالتيمم فاغتسل فمات فسمع النبي فقال قتلوه قتلهم الله وقال مالك
وداود يجوز له التيمم بجميع انواع المرض الذي لا يؤدي الى المرض لو استعمل الماء كما مر من حديث عمرو بن العاص في تفسير قوله ولا تقتلوا انفسكم والسفر يعم
الطويل والقصير عن مسافة القصر وما دونها لاطلاق قوله او على سفر او جاء احد منكم من الغائط الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه الغيطان كان الرجل اذا اراد قضاء الحاجة
طلب غائطا من الارض يغيب فيه عن اعين الناس فكني به عن ذلك واكثر العلماء الحقوا بالغائط كل ما يخرج من السبيلين من معتاد او نادر اما اللمس والملامسة
ففيه قولان احدهما ان المراد به التقاء البشرتين بجماع او بغيره كما هو مقتضى اللغة وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي واليه ذهب الشافعي وثانيهما المراد
به الجماع وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومذهب ابي حنيفة والشيعة لما ورد في القرآن بطريق الكناية وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فتحرير
رقبة من قبل ان يتماسا وعن ابن عباس ان الله حيي كريم يعف ويكني يعبر عن المباشرة بالملامسة وايضا ليشمل الآية الحدثين الاصغر والاكبر ثم على مذهب الشافعي
قال بعض اهل الظاهر انما ينتقض وضوء اللامس دون الملموس لقوله او لمستم والصحيح انه ينتقض وضوءهما معا لاشتراك اللامس والملموس في ابتغاء اللذة قوله فلم تجدوا ماء
قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة فطلب الماء ولم يجده فتيمم وصلى ثم دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى لان عدم الوجدان مشعر بسبق الطلب
فلا بد في كل مرة من سبق الطلب قال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب لقوله ولم نجد له عزما وسبق الطلب في حقه تعالى محال واجيب بانه يحمل الكلام على المجاز للمبالغة كانه
طلب شيئا ثم لم يجد واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه احتاج اليه لعطشه او لعطش حيوان محترم معه جاز له التيمم ولو وجد من الماء ما لا يكفيه فالاصح عنده انه
يستعمله او يصبه ثم يتيمم ليكون عاملا بظاهر الآية والتيمم في اللغة القصد والصعيد التراب فعيل بمعنى فاعل وقال الزجاج انه وجه الارض ترابا كان
او غيره ومن هنا قال ابو حنيفة اذا كان صخر لا تراب عليه ضرب المتيمم يده عليه ومسح كان ذلك كافيا وقال الشافعي لا بد من تراب ليتحقق مفهوم البعض عليه
وليلتصق بيده ويمكنه المسح ببعضه كما جاء في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسي من الدهن الا معنى التبعيض
ولان الصعيد وصف بالطيب والطيب هو المنبت والبلد الذي يحتمل الانبات لقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ولانه خصص التراب بالمعنى
فقال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا اما مسح الوجه واليدين فعن علي وابن عباس اختصاص المسح بالجبهة وظاهر الكفين وقريب منه مذهب مالك
لان المسح يكتفى فيه باقل ما يطلق عليه اسم المسح وقال الشافعي وابو حنيفة يستوعب الوجه واليدين الى المرفقين كما في الوضوء وعن الزهري الى الآباط لان
اليد حقيقة لهذا العضو الى الابط ثم ختم الآية بقوله ان الله كان عفوا غفورا وهو كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان عادته العفو عن المذنبين
كان اولى بالترخيص للعاجزين عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله
على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله والناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله على
فخذي فنام رسول الله حتى اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته ثم انه سبحانه لما ذكر من اول السورة الى ههنا احكاما كثيرة عدل الى ذكر طرف من اخبار المتقدمين واحوالهم
لان الانتقال من اسلوب الى اسلوب مما يزيد السامع هزة وجدة فقال الم تر الى الذين اي الم ينته علمك او الم تنظر الى من اوتوا حظا من علم التوراة وهم احبار
اليهود وانما ادخل من التبعيضية لانهم عرفوا من التوراة نبوة موسى ولم يعرفوا منها نبوة محمد فاما الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه فقد دام
بان معهم علم الكتاب في قوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب لانهم عرفوا الامرين جميعا يشترون الضلالة كانهم اخذوها بدلا لان
من اشترى شيئا فقد آثره واختاره قال الزجاج والمراد تكذيبهم الرسول لاغراضهم الفاسدة من اخذ الرشى وحب الرياسة وقيل المراد يستبدلون الضلالة
وهي البقاء على اليهودية بالهدى وهو الاسلام بعد وضوح الآيات لهم على صحته ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه ولا ابلغ ممن جمع بين
هذين الامرين الضلال والاضلال عن ابن عباس ان الآية نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه فيثبطانهم عن الاسلام
وقيل المراد عوام اليهود كانوا يعطون احبارهم بعض اموالهم لينصروا اليهودية فكانهم اشتروا بها لهم الشبهة والضلالة والله اعلم منكم باعدائكم لانه عالم
بكنه ما في صدورهم من الحنق والغيظ فاذا اطلعكم على احوالهم فلا تستنصحوهم في اموركم واحذروهم وكفى بالله وليا متوليا لامور العباد وكفى بالله نصيرا
فثقوا بولايته ونصرته دونهم وكرر كفى ليكون اشد تأثيرا في القلب واكثر مبالغة وتدخل الباء في الفاعل ايذانا بان الكفاية من الله ليست كالكفاية
من غيره فكان الباء للسببية وقال ابن السراج التقدير كفى اكتفاؤك بالله وقيل فائدة الباء وهي للالصاق ان يعلم ان هذه الكفاية صدرت من الله بغير
واسطة قوله من الذين هادوا اما بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله والله اعلم الى آخر الآية معترضا بين البيان والمبين واما بيان لاعدائكم والجملتان بينهما
معترضتان واما صلة نصيرا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا واما كلام مستأنف على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون الكلم عن مواضعه قال الواحدي الكلم جمع حروفه اقل من حروف واحده وكل جمع يكون كذلك فانه يجوز تذكيره ومعنى هذا التحريف اما ان
يقطعوا مكان لفظ لوضعهم آدم طوال مكان اسم ربعة وجعلهم الحد بدل الرجم واخبر عن الله انه على الامالة والازالة واما في المعاني فمثل من يعتبرون

نظر إلي أن الكلم كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحرفوه وتركوه كالغريب الذي لا موضع له وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة
كما يفعله في زماننا أهل البدعة وجهلة بعض العلماء. هذا القول صحيح لا يستبعد أما تحريفها المشهور المتواتر لكن دعوى التواتر بشرط في التوراة ممنوعة وقيل
كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن أمر فيخبرهم به فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه ومن جملة قبائحهم أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أمرهم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا
وقالوا في الباطن عصينا أو كانوا يقولون كلا اللفظين ظاهراً إظهاراً للعناد وتمرداً في الكفر والجحود ومنها قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع غير مسمع وهو كلام ذو وجهين
أما احتمال المدح فلقول العرب اسمع فلان فلاناً إذا سبه وإذا كان المراد اسمع غير مسمع مكروهاً كان مدحاً وتوقيراً وتعظيماً وأما احتمال الذم فبأن يكون معناه
اسمع منا مدعواً عليك بلا سمعت لأن من كان أصم فإنه لا يسمع فلا يسمع أو بأن يراد اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أي غير مسمع جواباً يوافقك أو بأن يراد
اسمع غير مسمع كلاماً ترضيه وعلى هذا يجوز أن يكون غير مسمع مفعول اسمع لا حالاً من ضميره أي اسمع كلاماً غير مسمع إياك لنبوة سمعك عنه ومنها
قولهم له راعنا وقد عرفنا حاله في البقرة وإنما جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد تصريحهم بالعصيان على وجه لأن المواجهة بالعصيان أهون خطباً في العرف
من المواجهة بالسب وغاية الشوكة ولذا كانت الكفرة يواجهونه بالأول دون الثاني لياً بألسنتهم مفعول لأجله أو مصدر محذوف ولفظ لوى لأنه في معنى اللي
بفم وعينه واو بدليل لويت فقلبت واو وادغمت والمعنى يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت
مكروهاً أو يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم إلى ما يظهرونه من التوقير نفاقاً أو لعلهم كانوا يفتلون أشداقهم وألسنتهم عند ذكر هذا الكلام سخرية
وطعناً على عادة المستهزئين بغير الله ثم إنهم إنما يقدمون على هذه الأشياء طعناً في الدين لأنه يدل على ما كانوا يقولون فيما بينهم إنا نشتمه ولا يعرف
ولو كان نبياً لعرف بإظهار ذلك عليه فيغلبهم جعلوه طعناً في الدين لا لأنه طعنه على صحته لأن الإخبار عن الغيب معجز ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا مكان قولهم
سمعنا وعصينا إذ وضح لهم الآيات وتبين لهم البينات تكرار لعدم إرادة اسمع ودون أن يقال لك غير مسمع وانظرنا مكان راعنا لكان ذلك القول خيراً لهم
وأقوم أعدل وأشد من قولهم وترجح مزية مستقيم ولكن لعنهم الله بكفرهم أي بسببه فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً وهو إيمانهم بالله وبالتوراة وببعض
الأنبياء دون سائر رسله أو إلا قليلاً منهم آمنوا لأن فعيلاً قد يراد به الجمع كقوله وحسن أولئك رفيقاً أو أراد بالقلة العدم ثم زجرهم عن كفر الجحود والعناد
بقوله يا أيها الذين أوتوا الكتاب الآية والطمس المحو يقال طريق طامس ومطموس ومفازة طامسة الأعلام وطمست الكتاب محوته وفي الآية حقيقة
أو مجاز قولان فالمعنى على الأول نمحو تخطيط صورها وأشكالها من عين وحاجب وأنف وفم والقفا فنردها على أدبارها إما للتسبب فيجعل الوجوه
بسبب هذا الطمس على هيئة القفا فهي مطموسة مثلها لأن الوجه إنما يتميز عن سائر الأعضاء بما فيه من الحواس والتخاطيط فإذا أزيلت ومحيت لم يبق
فرق بينها وبين القفا وإما للتعقيب على أن العقوبة شيئان أحدهما عقيب الآخر الطمس ثم نكس الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام وإنما كان
هذا عقوبة لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة كما قال في حق أهل النار وأما من أوتي كتابه وراء ظهره على أن وجوههم مردودة إلى القفا
فيدل الكتابة ونظيره من هنا أن المعنى على القول الثاني نغير الحسن نطمسها بالهدى ونردها بالخذلان على أدبارها أي على ضلالها لأنها وشبهاتها
وذلك أن المتوغل في عالم الحس معرض عن عالم العقل وبقدر الإقبال على ذلك يحصل الإدبار عن هذا وقال عبد الرحمن ونردها إلى حيث جاؤوا
منه وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني قريظة والنضير إلى الطمس على هذا إما بتقبيح الوجوه وإما بإزالة آثارهم عن ديار العرب فيكون الطمس القلب و
التغيير والمراد بالوجوه رؤساؤهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وأدبارهم والضمير في قوله أو نلعنهم
إما للوجوه إن أريد بها الوجهاء وإما لأصحاب الوجوه لأن المعنى من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات فإن قيل
فأين وقوع الوعيد فالجواب أنه مشروط بعدم إيمان جميعهم ولكنه قد آمن ناس من علمائهم كعبد الله بن سلام وأصحابه حكي أنه لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن
سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحول وجهي في قفاي وأيضاً إنه ما جعل الوعيد هو الطمس
بعينه بل إياه أو اللعن فإن كان الطمس تبديل أحوال رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد حصل اللعن فإنهم ملعونون
بكل لسان واللعن الموعود ظاهره اللعن المتعارف لا المسخ وقيل هو منتظر ولهذا قيل وجوهاً منكرة دون وجوهكم ليشمل وجوهاً غير المخاطبين من أبنائهم
حيث ليس ولا بد من مسخ وطمس لليهود قبل يوم القيامة وقيل إن قوله آمنوا تكليف متوجه عليهم في جميع مدة حياتهم فلزم أن يكون قوله من قبل أن نطمس وجوهاً
واقعاً في الآخرة فالتقدير آمنوا من قبل أن يجيء الوقت الذي نطمس فيه وجوهكم وهو ما بعد الموت وكان أمر الله مفعولاً لا أنه لمراد الحكم ولا يتعذر عليه
شيء يريد أن يفعله وهذا كما يقال في الشيء الذي لا شك في حصوله هذا الأمر مفعول وإن لم يفعل بعد فإذا حكم بإنزال العذاب على قوم فعل ذلك البتة والمراد
بالأمر الشأن والفعل الذي يتعلق بإرادته لا الأمر الذي هو أحد أقسام الكلام فلا يصح استدلال الجبائي بالآية على أن كلامه تعالى مفعول أي مخلوق ثم بين أن
مثل هذا التهديد من خواص الشرك والكفر فقال إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية لأنه لا نزاع أن اليهودي يسمى مشركاً في عرف الشرع لاتصالهما بعضهم ولا نهاية
على أن ما سوى الشرك مغفور واليهودية غير مغفورة بالإجماع ومن هنا قال الشافعي المسلم لا يقتل بالذمي لأن الذمي مشرك والمشرك مباح الدم هو الذي
لا يجب القصاص على قاتله ولا يتوجه النهي عن قتله ترك العمل بهذا الدليل في النهي فيبقى معمولاً به في سقوط القصاص عن قاتله واستدلت الأشاعرة بالآية
على غفران صاحب الكبيرة قبل التوبة لأن ما دون الشرك يشمله والمعتزلة خصصوا الثاني لمن تاب كما أن الأول مخصص بالإجماع لمن لم يتب فلو دقيق نظره
قولنا إن الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء والمعنى لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله والمشيئة تكون في صدق

العقلين

الفعلين المنفي والمثبت جميعاً لا نه استثناء من المنفي فيكون مثبتاً لم يتب المشرك فلا يغفر له وان شاء لم يغفر لصاحب الكبيرة فيستوجب الغفران وذكر الواحدي في البسيط باسناده عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله ﷺ اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الخير ولم يدع من الشر شيئاً الا عمله قال عمر ان كلا لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر وعن ابن عباس لما قتل وحشي حمزة يوم احد وكانوا قد وعدوه بالاعتاق ان هو فعل ذلك ثم انهم ما وفوا بذلك ندم هو واصحابه فكتبوا الى النبي ﷺ ندمهم وانه لا يمنعهم من الدخول في الاسلام الا قوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ فقالوا قد دعونا وقتلنا وزنينا وتكبنا كل ما في الآية فنزل قوله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ فقالوا هذا شرط شديد نخاف ان لا نقوم به فنزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ فقالوا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئته فنزل ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ فدخلوا عند ذلك في الاسلام ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ﴾ اختلق وافتعل ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾ لانه ادعى ما لا يصح كونه عن ابن عباس في رواية الكلبي ان قوماً من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي ﷺ فقالوا يا محمد هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وكانوا يقولون ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ فنزل فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ ويدخل فيه كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل او قبول الطاعة والزلفى عند الله ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ وان تزكيته هي التي يعتد بها كما اخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله والله اني لامين في السماء امين في الارض وكفى باظهار المعجز على يده تزكية له وتصديقاً لقوله ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ هو ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ فعيل بمعنى مفعول ابن السكيت هو ما كان في شق النواة والضمير للذين يزكون اي يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او لمن يشاء اي يثابون على زكاتهم من غير نقص شيء من ثوابهم ثم عجب النبي ﷺ عن فريتهم وادعاء زكاءهم ومكانتهم عند الله فقال ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ﴾ اي بزعمهم هذا ﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾ من بين سائر آثامهم قال المفسرون خرج كعب بن الاشرف وحيي بن الاخطب في سبعين راكباً من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشاً على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان والآخرون في دور قريش فقال لهم اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا نأمن ان يكون هذا مكراً منكم فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما فذلك قوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ ثم قال كعب لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقاً واقرب الى الحق نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلاً مما هو عليه فانزل الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ يعني كعباً واصحابه فلما رجع الى قومه قالوا ان محمداً يزعم انه نزل فيك كذا وكذا قال صدق والله ما حملنا على ذلك الا بغضه وحسده وقد مر معنى الطاغوت في تفسير آية الكرسي واما الجبت ففي الصحاح انه كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك وليس من محض العربية لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي وحكى القفال عن بعضهم ان اصله جبس فابدلت السين تاء والجبس هو الخبيث الرديء وقال الكلبي الجبت في الآية هو حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف وكانت اليهود يرجعون اليهما فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في اغواء الناس واضلالهم فلا جرم جزاهم الله بقوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ وبالحري ان جعلوا من هو اضل من النعام واذل من الانعام حيث جعلوا معبودهم الاصنام ﴿أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ وافضل حالاً من الذين هم اشرف الانام لاختيارهم دين الاسلام الذي هو عبادة ذي الجلال والاكرام ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ وعيد لهم بلزوم الابعاد والطرد ولصوق العار والصغار ووعد للنبي والمؤمنين بالاستيلاء والاستعلاء عليهم بالحجة القيمة والخطاب في فلن تجد للنبي او لكل طالب بعينه ثم لما وصفهم بالضلال والاضلال وصفهم بالبخل والحسد اللذين هما شر الخصال لان البخيل يمنع ما اوتي من النعمة والحاسد يتمنى ان تزول عن الغير ما اوتي من الفضيلة وام قيل انها متصلة وقد سبقها استفهام في المعنى كانه لما حكى قولهم للمشركين انهم اهدى سبيلاً من المؤمنين قال امن ذلك يتعجب ام من قولهم لهم نصيب من الملك مع انهم لو كان لهم ملك لبخلوا باقل القليل وقيل الميم زائدة والتقدير الهم والاصح انها منقطعة كانه لما تم الكلام الاول قال بل الهم نصيب من الملك ومعنى الآية انهم كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فابطل الله عليهم قولهم وقيل كانوا يزعمون ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج من اليهود من يجدد ملكهم ودينهم فكذبهم الله وقيل المراد بالملك التمليك يعني انهم انما يقدرون على دفع نبوتك لو كان التمليك اليهم ولو كان التمليك اليهم لبخلوا بالنقير والقطمير فكيف يقدرون على النفي والاثبات قال ابو بكر الاصم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا في عز ومنعة كما يكون احوال الملوك ثم كانوا يبخلون على الفقراء باقل القليل فنزلت الآية فيهم وعلى هذا فانما يتوجه الانكار على انهم لا يؤتون احداً مما يملكون شيئاً وعلى الاقوال المتقدمة يتوجه الانكار على ان لهم نصيباً من الملك فكانه جعل بخلهم كالمانع من حصول الملك لهم فان البخل والملك لا يجتمعان كما قيل بالبر يستعبد الحر والانسان عبيد الاحسان والبخيل ينفر الطباع عن الانقياد له فلا يتيسر له اسباب المملكة وان جمعت بالبذل فسوف يضمحل وانما الغي اذن لدخول الفاء عليه وذلك ان ما بعد العاطف من تمام ما قبله فانتظم بسبب ربط العاطف بعض الكلام ببعض فتخرج بقصد ذلك ان معنى فتخرج الغاوة وارتفاع العمل بعده وجاء في قراءة ابن مسعود فاذن لا يؤتوا بالاعمال ليس بقوي والنقير نقرة في ظهر النواة فعيل بمعنى مفعول ومنها تنبت النخلة وهو مثل في القلة كالفتيل فان قيل كيف يعقل انهم لا يبذلون نقيراً وكثيراً ما نشاهد منهم بذل الاموال قلنا المدعى عدم ابتاء النقير على تقدير حصول الملك والمراد الملك الظاهر كما للملوك الدنيا او الباطن كما للعلماء الربانيين او كلاهما كما للانبياء وحصول شيء من هذه الاقسام لهم ممنوع لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولئن فرض حصول شيء

قال الفاقوسهام [illegible]

منها فما تلك لعل النبي تغلب عليهم حتى لا يبقى معه منهم بذل نقير كما اخبر عنه علام الغيوب اما على تفسير الاصم فلعل المراد انهم لا يبذلون شيئا تستقله فما يملكونه
كشبه النقير في النواة او انهم لا يطيبون بذلك نفسا لغلبة الشح عليهم والله اعلم بمراده فهذا بيان بخلهم اما بيان حسدهم فذلك قوله أَمْ يَحْسُدُونَ وهو
منقطعة والتقدير بل ايحسدون الناس يعني النبي والمؤمنين فان كان اللام للعهد فظاهر وان كان للجنس فلانهم هم الناس والباقون هم النسناس ومعنى الهمزة انكار
الحسد واستقباحه والمراد بالفضل فيما آتاهم الله من فضله المناصب وهو النبوة والخاتمية وما كان ينضم اليها كل يوم من النصرة والعزة والاستيلاء والاستعلاء
والفضل محسود بكل اوان والحاسد مذموم بكل لسان ثم نبه على ما يزيل التعجب من شأن محمد فقال فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الذين هم اسلاف محمد الْكِتَابَ الذي هو بيان
الشرايع وَالْحِكْمَةَ التي هي الوقوف على الاسرار والحقائق والعمل بمقتضى صلاح الدارين وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا عن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود
وسليمان فليس يبدع ان يؤتي محمدا ما اوتي اسلافه وقيل من جملة حسدهم انهم استكثروا نساء النبي فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة و
لسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم اي من اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر والغرض انه لا يبعد من عادة اممهم فمنهم ان بعضهم آمن بهم وبعضهم بقوا على كفرهم فانت
يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء والغرض تثبيت النبي وتسليته وكفى بجهنم لعذاب هؤلاء الكفار المتقدمين والمتأخرين سعيرا ثم اكد وعيد الكفار بقوله إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ويدخل فيها كل ما يدل على ذات الله وصفاته وافعاله واسمائه والملائكة والكتب والرسل وكفرهم بها ان ينكروا كونها آيات او يغفلوا عنها ولا ينظروا
فيها او يلقوا الشكوك والشبهات فيها او ينكروها مع العلم بها عنادا وحسدا او بغيا ولددا وههنا سؤال وهو انه تعالى قادر على ابقائهم في النار احياء مخلدين
من غير ان يحرق جلودهم فما الحكمة في انضاج جلودهم والجواب لا يسئل عما يفعل كما انه قادر على ايصال الالم اليهم من غير ادخالهم النار مع انه لا يمكن ان يقال لم
عذبهم بادخالهم النار وسؤال آخر وهو انه كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلودا لم تعص والجواب يجعل النضيج غير نضيج فالذات واحدة والمتبدل هو الصفة ويؤيده
قول اهل اللغة تبديل الشيء تغييره وان لم يأت ببدله وابدلت الشيء غيرته فالتبديل تغيير الصفة او الذات والابدال تغيير الذات وصاحب الكشاف جزم بان المراد من هذا
التبديل هو تغيير الذات فلهذا فسر التبديل بالابدال ولعل ما حمله على ذلك وصف الجلود بقوله غيرها ولقائل ان يقول المغايرة اعم من ان تكون في الذات او في الصفات
فما الدليل ههنا على انه مغايرة الذات لا الصفات اللهم الا ان يعضده نقل صحيح فيكون الجواب عن السؤال ان المعذب هو الانسان والجلد الميت جزء من ماهيته وانما
هو سبب لوصول العذاب اليه وقيل المراد الدوام وعدم الانقطاع ولا احتراق اي كلما ظنوا انهم احترقوا واشرفوا على الهلاك اعطيناهم قوة جديدة بحيث ظنوا
انهم الآن حدثوا وتجددوا وقال السدي يخرج من لحم الكافر جلد آخر وفي هذا التأويل بعد لان لحمه متناه وبعد نفاده لا بد من طريق آخر في تبديل الجلد فيعود السؤال
وقيل المراد بالجلود السرابيل سرابيلهم من قطران وضعف بانه ترك الظاهر وان السرابيل لا توصف بالنضج لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز
اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه او ليذوقوا بهذه الجلود الجديدة العذاب او المراد بالذوق احساسهم بذلك العذاب في كل حال يكون كاحساس الذائق
بالمذوق إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حَكِيمًا لا يفعل الا الصواب ثم قرن الوعد بالوعيد على عادته فقال وَالَّذِينَ آمَنُوا الآية قال
الواحدي الظليل ليس ينبىء عن الفعل حتى يقال انه بمعنى فاعل او مفعول بل هو مبالغة في نعت الظل مشتق من لفظه كقولهم ليل اليل قيل اذا لم يكن في الجنة شمس
تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل وايضا المواضع التي لا يصل نور الشمس اليها في الدنيا يكون هواؤها عفنا فاسدا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك
والجواب المنع من انه لا شمس هناك حتى يوجد ضوء يشاهد هو نظل فالمراد بالظل الظليل ما كان فينانا اي منبسطا لا جوب فيه اي لا فرج لالتفاف الاغصان او دائما
لا ينسخه الشمس وحسا لا حر فيه ولا برد وعند الحكماء المراد بالظل الراحة لانه من اسبابها ولا سيما في البلاد الحارة كبلاد العرب فلما كان هذا مطلوبا لهم صار موعودا
لهم التأويل او تسوى بهم الارض اي يتمنون انهم بقوا في عالم الطبيعة ولم ينكشف لهم عالم الحقيقة كيلا يروا ما يرون من عذاب القطيعة كما ان السكران ممنوع
من الصلوة فسكران الغفلة والهوى محجوب عن المواصلة لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى من غلبات الاحوال فان السكر ليفتح زلة ولا جنبا بالالتفات
الى غير الله فان الصلوة اذ ذاك باطلة وتشتت من الحالة الاولى السعود ومن الثانية حالة العبودية في الدنيا كانك غريب او كعابر سبيل يقصد الفقد من الالتفات
من المحظورات الا بانجاح الضرورات وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى بحب الدنيا أَوْ عَلَى سَفَرٍ في متابعة الهوى أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ في قضاء شهوة من الشهوات أَوْ لَامَسْتُمُ
عجوز الدنيا في تحصيل لذة من اللذات فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً التوبة والاستغفار فتيمموا وامتعكوا في تراب نعال الكرام فانه طهور الذنوب العظام مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يعني ذاب
علماء السوء يذهب من دأب الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ يأولونه على حسب ارادتهم وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ما في القرآن بالمقال وَعَصَيْنَا بالفعال وينكرون
على ارباب المقامات والاحوال ويقولون اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا يخاطبونهم بكلام ذو وجهين لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا في اهل الدين يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا علم الْكِتَابَ
ظاهره ولم يؤتوا علم باطن الكتاب آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا على الاولياء من علم باطن القرآن مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ من العلم الظاهر لان اهل العلم اللدني يصدقون اهل العلم الظاهر ولكن
اهل العلم الظاهر يصعب عليهم تصديق علوم الاولياء لانه لا يناسب عقولهم مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا القلوب بالعمى والصمم فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ناظرين الى
الدنيا وزخارفها بعد ان كانوا ناظرين في الميثاق الى يومها أَوْ نَلْعَنَهُمْ بمسخ صفاتهم الانسانية بالسبعية والشيطانية كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ بالصورة ومسخ
المعنى اصعب من مسخ الصورة لان فضوح الدنيا اهون من فضوح الآخرة إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ الشرك ثلث مراتب وكذا المغفرة فشرك جلي بالاعيان وهو للعوام
في عبدة الكواكب والاصنام فلا يغفر الا بالتوحيد وهو اظهار العبودية في اثبات الربوبية مصدقا بالسر والعلانية وشرك خفي بالاوصاف للخواص وهو مشوب العبودية
بالالتفات الى غير الربوبية فلا يغفر الا بالوحدانية وهي افراد الواحد للواحد وشرك اخفى للاخص وهو رؤية الاغيار والانانية فلا يغفر الا بالوحدة وهي فناء الناسوتية

وبقاء اللاهوتية

في فناء الله هو نسيم الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل العلوم الظاهرة تعلموا العلم ليباهوا به العلماء اوليماروا به السفهاء فحصل لهم صفات ذميمة اخرى مثل المنافقة
والمماراة والكبر والعجب والحسد والرياء وحب الجاه والرياسة وغلبة الاقران والانداد بل الله يزكي من يشاء بالتسليم نفوسهم الى ارباب التزكية من العلماء الراسخين
والمشايخ المحققين كما يسلم الجلد الى الدباغ ليجعله اديما فاذا سلموا انفسهم اليهم وصبروا على تصرفاتهم رأوا اثر الزكاء فيهم ولن يضيع سعيهم يؤمنون بالجبت يعني
النفس الامارة وطاغوت الهوى ويقولون للذين كفروا من اهل الاهواء والمبتدعة والمتفلسفة هؤلاء اهدى من الذين آمنوا بكل ما امر الله به ورسوله
ثم وصفهم بالبخل والحسد ثم قال فقد آتينا آل ابراهيم يعني اهل الخلة والمحبة الكتاب والحكمة العلم الظاهر والعلم الباطن وآتيناهم ملكا عظيما هو معرفة الله
فمنهم من آمن ومنهم من صد عنه لان من العلماء مقبلين ومنهم مدبرين وكفى بجهنم نفسهم الحاسدة سعيرا تحرق حسناتهم فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب ان الذين كفروا بآياتنا ما ولياتنا الذين هم مظاهر آيات الحق وحجج الله على الخلق سوف نصليهم نارا والحسد والغضب والكبر والعجب كلما نضجت جلودهم اي انقطع
بعض ما في نفوسهم الامارة ومقتضيات هواها ولا يخفى حسن استعارة الجلود لآثار الشيء من حيث الظهور والاشتمال بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
فان دواعي الحرص والغضب والشهوة لا تنتهي البتة ما دامت النفس على صفة الامارية فلن تزال سلاسل الشهوات ذا نفقة لعذاب المتعلقات والذين آمنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم اي ندخلهم بجذبات العناية الى جنات الوصلة تجري من تحتها الانهار من ماء الحكمة ولبن الفطرة وخمر الشهود وعسل الكشوف
لهم فيها ازواج من تجلي صفات الجمال والجلال مطهرة من لوث الوهم والخيال وندخلهم ظلا ظليلا هو ظل شمس عالم الوجود يوم لا ظل الا ظله

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
بدرستی که خدا میفرماید شما را که واپس دهید امانتها را بسوی کسان آن و چون داوری کنید در میان مردمان امر داوری کنید بعدالت بدرستی خدا
نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
خوبست آنچه پند میدهد شما را بآن بدرستی که خدا میباشد شنونده بینا ای زمره آنان که گرویده اید فرمان برید خدا را و پیروی کنید پیغمبر را
وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
و صاحبان فرمان را از شما پس اگر نزاع کنید در چیزی پس باز گردید بسوی خدا و پیغمبر اگر بوده باشید که ایمان آورید بخدا و روز
الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
واپسین این بهترست و نیکوترست عاقبت آیا ندیدی آنها را که گمان میکنند که آنها ایمان آورده اند بآنچه فرستاده شد بسوی تو و آنچه فرستاده شد
يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا
میخواهند که داوری جویند بسوی طاغوت و حال آنکه مامور شدند که کافر شوند بآن و میخواهد شیطان که گمراه کند ایشان را گمراهی دور
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ
و چون گفته شد بآنها که روآرید بسوی آنچه فرو فرستاد خدا و بسوی پیغمبر دیدی اهل نفاق را که اعراض میکنند از تو اعراض کردنی پس چگونه است
إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا
چون رسید بآنها مصیبتی بجهت آنچه پیش فرستاد دستهای آنها پس آیند تورا سوگند خوران بخدا که اراده نکرده ایم مگر نیکوئی و موافقت کردن را
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا
آنها آنانند که میداند خدا آنچه را که در دلهای آنهاست پس روگردان از آنها و پند ده آنها را و بگو مر آنها را در نفسهای ایشان گفتاری رسا و نفرستادیم
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ
هیچ پیغمبری مگر از برای آنکه اطاعت کرده شود بفرمان خدا و اگر ایشان چون ستم کردند نفسهای خود را آمدندی پس طلب آمرزش کردندی خدا را و طلب آمرزش کردی برای ایشان
الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
پیغمبر هرآینه یافتندی خدا را توبه پذیر مهربان پس نه قسم به پروردگارت که نگروند تا که حاکم سازند تورا در آنچه منازعه دارند در میان ایشان پس نیابند
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۝ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا
در نفس خویشان تنگی را از آنچه حکم کرده و گردن نهند گردن نهادنی و اگر چنانچه نوشته بودیم بر آنها اینکه بکشید نفسهای خود را یا که بیرون روید
مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا
از خانهای خود نمیکردند آنرا مگر کمی از آنها و اگر که ایشان کردندی آنچه را که پند داده شوند بآن هرآینه بهتر است آنها را و سخت تر است پا برجای
وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ
و آنهنگام هرآینه دادیم آنها را از نزد خود مزدی بزرگ و هرآینه هدایت کردیم آنها را براهی راست و هر که پیروی کند خدا را
وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
و پیغمبر را پس آنگروه با آنهایند که انعام فرمود خدا بر ایشان از پیغمبران و راستگویان و شهیدان

وَالصّٰلِحِيْنَ وَحَسُنَ اُولٰۤئِكَ رَفِيْقًا ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ عَلِيْمًا

ونیکوکاران وخوب اند این طائفه از جهت رفاقت این زیادتی ست از خدا وبس ست بخدا دانائی

القراءة ان اقتلوا بكسر النون لالتقاء الساكنين ابو عمرو وعاصم وحمزة وسهل ويعقوب الباقون بالضم نقلا لحركة همزة الوصل الى ما قبلها او اخرجوا بكسر الواو للساكنين عاصم وسهل وحمزة الباقون بالضم الا قليلا بالنصب ابن عامر على اصل الاستثناء او بمعنى الا فعلا او ابوا الا قليلا الباقون بالرفع على البدل من اكثر الوقوف الى اهلها لان التقدير بامر كان تؤدوا وان تحكموا بالعدل اذا حكمتم بين الناس بالعدل يعظكم به بصيرا منكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واليوم الآخر تأويلا ان يكفروا به بعيدا صدودا للابتداء مع فاء التعقيب السبع الثاني يحلفون قد قيل على ان تعلق ما ابتداء القسم والاولى تعلق اللام بيحلفون وتوفيقا بليغا باذن الله رحيما تسليما قليلا تثبيتا عظيما لا لان ما بعده من تتمة جواب لو مستقيما والصالحين لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى رفيقا من الله عليما التفسير لما شرح بعض احوال الكفار عاد الى ذكر التكاليف وفيما حكى عن اهل الكتاب انهم كتموا الحق فقالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا امر المؤمنين في هذه الآية باداء الامانات في جميع الامور سواء كانت من باب المذاهب والديانات ومن باب الدنيا والمعاملات وايضا فقد وصف في الآية السابقة الثواب العظيم على الاعمال الصالحات وكان من اجلها الامانة فقال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها روي ان عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب منه فابى فقال وعلمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله البيت وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له من السقاية والسدانة فانزل الله هذه الآية فامر رسول الله عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي فقال له عثمان يا علي اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه هذه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واسلم فجاء جبرئيل وقال ما دام هذا البيت كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان وقال خذوها يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة وهو اليوم في ايديهم ثم نزول الآية عند هذه القصة لا يوجب خصوصها بها ولكنها تعم جميع انواع الامانات فان الامانة مع الرب في كل ما امر به ونهى عنه قال ابن مسعود الامانة في الكل لازمة في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم وعن ابن عمر انه تعالى خلق فرج الانسان وقال هذا امانة خبأتها عندك فاحفظها الا بحقها وهذا باب واسع فامانة اللسان ان لا يستعمله في الكذب والغيبة والنميمة والكفر والبدعة والفحش وغيرها وامانة العين ان لا يستعملها في النظر الى الحرام وامانة السمع ان لا يستعمله في سماع الملاهي والمناهي والفحش والاكاذيب وكذا القول في سائر الاعضاء ثم الامانة مع سائر الخلق ويدخل فيه رد الودائع وترك التطفيف ونشر عيوب الناس والسفاء اسرارهم ويدخل فيه عدل الامراء مع الرعية والعلماء مع العوام بان يرشدهم الى ما ينفعهم في دنياهم ودينهم ويمنعوهم عن العقائد الباطلة والاخلاق غير الفاضلة وتشتمل امانة الزوجة للزوج في ان لا يدخل فراشه غيره وامانة الزوج للزوجة في ايفاء حقوقها وحظوظها وامانة الرعية للملوك وبالعكس وامانة الجار للجار والصاحب للصاحب ويدخل فيه نهي اليهود عن كتمان امر محمد والامانة مع نفسه بان لا يختار لها الا ما هو انفع واصلح في الدين والدنيا ولا يقدم بسبب اللذات العاجلة على ما يضره في العاقبة ولقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه انا عرضنا الامانة والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال لا ايمان لمن لا امانة له والامانة مصدر سمي به المفعول ولذلك جمع ثم لما امر باداء ما وجب لغيرك عليك امر باستيفاء حقوق الناس بعضهم عن بعض اذا كنت بصدد الحكم فقال واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل في قوله اذا حكمتم تصريح بانه ليس لجميع الناس ان يشرعوا في الحكم والقضاء ولذلك عد العلماء من شرائط النيابة العامة الاسلام والعقل والبلوغ والذكورة والحرية والعدالة وكفاية واهلية الاجتهاد بان يعرف ما يتعلق بالاحكام من كتاب الله وسنة رسوله ويعرف منهما العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ ومن السنة المتواترة والآحاد والمسند والمرسل وحال الرواة ويعرف اقاويل الصحابة ومن بعدهم اجماعا وخلافا وجلي القياس وخفيه صحيحه وفاسده ويعرف لسان العرب لغة واعرابا خصوصا وعموما الى غير ذلك مما له مدخل في استنباط الاحكام الشرعية من مظانها وكفى بما في هذا المنصب الخطر انه منصب رسول الله والخلفاء الراشدين من بعده فعلى المتصدي له ان يتأدب بآدابهم ويتخلق باخلاقهم والا فلو بلغه عن النبي انه قال يجاء بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى انه لم يقض بين اثنين قط واذا كان حال العادل هكذا فما ظنك بالجائر وعنه ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واين اعوان الظلمة فيجتمعون كلهم حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون ويلقون في النار ان الله نعما يعظكم به المخصوص بالمدح محذوف وما موصولة او مبهمة موصوفة والتقدير نعم الذي او نعم شيئا يعظكم به ذلك المأمور من اداء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يسمع كيف تحكمون ويبصر كيف تؤدون وفيه اعظم اسباب الوعد للمطيع واشد اسباب الوعيد للعاصي ثم انه سبحانه امر الرعاة بطاعة الولاة كما امر الولاة في الآية المتقدمة بالشفقة على الرعاة فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله الآية عن علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا قالت المعتزلة الطاعة موافقة الارادة وقالت الاشاعرة الطاعة موافقة الامر مطلقا ولا نزاع ان موافقة الامر طاعة انما النزاع في ان المأمور به كايمان ابي لهب هل يكون مرادا ام لا فعند الاشاعرة الامر قد يوجد بدون الارادة لئلا يلزم الجمع بين الضدين في تكليف ابي لهب مثلا بالايمان وعند المعتزلة لا امر الا بارادة والخلاف بين الفريقين مشهور في التفسير الكبير هذه الآية مشتملة

على أكثر علم أصول الفقه لأن أصول الشريعة أربعة الكتاب والسنة وأشار إليهما بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس العطف للمغايرة الكلية ولكن الكتاب
يدل على أمر الله ثم نعلم منه أمر الرسول لا محالة والسنة تدل على أمر الرسول ثم نعلم منه أمر الله والإجماع والقياس وأشير إلى الإجماع بقوله وأولي الأمر
لأنه يقتضي أمر طاعتهم على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوما لأنه لو احتمل إقدامه على الخطأ والخطأ منهي عنه لزم اجتماع الأمر والنهي في الفعل
الواحد وأنه محال ثم ذلك المعصوم إما مجموع الأمة أو بعضها على ما يقوله الشيعة من أن المراد بهم الأئمة المعصومون وعلى ما زعم بعضهم أنهم الخلفاء
الراشدون وعلى ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم أمراء السرايا كعبد الله بن حذافة السهمي وكخالد بن الوليد إذ بعثه رسول الله ﷺ في سرية
وكان معه عمار بن ياسر فوقع بينهما خلاف فنزلت الآية وعلى ما روي عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك أنهم العلماء الذين يفتون بالأحكام الشرعية
ويعلمون الناس دينهم لكنه لا سبيل إلى الثاني أما ما زعمه الشيعة فلأنا نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم والاستفادة
منه فلو وجب علينا طاعته على الإطلاق لزم تكليف ما لا يطاق ولو وجب علينا طاعته إذا صرنا عارفين به وبمذهبه صار هذا الإيجاب مشروطا
وظاهر الآية يقتضي الإطلاق على أن طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة فلو كانت هذه الطاعة مشروطة لزم أن يكون للفظة الواحدة مطلقة ومشروطة
معا وهو باطل وأيضا الإمام المعصوم عندهم في كل زمان واحد ولفظ أولي الأمر جمع وأيضا إنه قال فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وعلى
هذا ينبغي أن يقال فردوه إلى الإمام وأما سائر الأقوال فلا نزاع في وجوب طاعتهم لكنه إذا علم بالدليل أن طاعتهم حق وصواب وذلك الدليل ليس إلا
الكتاب والسنة فلا يكون هذا قسما منفصلا كما أن وجوب طاعة الزوجة للزوج والتلميذ للأستاذ داخل في طاعة الله وطاعة الرسول أما إذا حملناه
على إجماع أهل الحل والعقد لم يكن هذا داخلا فيما تقدم إذ الإجماع قد يدل على حكم لا يوجد في الكتاب والسنة وأيضا فقوله فإن تنازعتم في شيء مشعر بإجماع
تقدم يخالف حكمه حكم التنازع وأيضا طاعة الأمراء والخلفاء مشروطة بما إذا كانوا على الحق وظاهر الآية يقتضي الإطلاق وإذا بطل أن تحمل الآية على
هذه الوجوه عينها تعين أن يكون ذلك المعصوم كل الأمة أي أهل الحل والعقد أصحاب الاعتبار والآراء فالمراد بقوله وأولي الأمر ما اجتمعت الأمة
عليه هو المدعى وأما القياس فذلك قوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إذ ليس المراد من رده إلى الله والرسول رده إلى الكتاب والسنة والإجماع
وإلا كان تكرارا لما تقدم ولا تفويض علمه إلى الله ورسوله والسكوت عنه لأن الواقعة ربما كانت لا تحتمل الإهمال فيفضي إلى قطع مادة الشغب والخصومة
نفيا وإثباتا ولا الإحالة على البراءة الأصلية فإنها معلومة بحكم العقل فالرد إليها لا يكون ردا إلى الله والرسول فإذن المراد رد ما لا
الأحكام المنصوصة في الوقائع المتشابهة لها وهذا معنى القياس فحاصل الآية الخطاب لجميع المكلفين بطاعة الله ثم لمن علم الرسول بطاعة الرسول
ثم لما سكت أهل الحل والعقد بطاعتهم ثم أمر أهل استنباط الأحكام من مداركها إن وقع اختلاف واشتباه بين الناس في حكم واقعة ما أن يستخرجوا
لها وجها من نظائرها وأشباهها فما أحسن هذا الترتيب ثم في إطلاق الآية دلالة على أن الكتاب والسنة مقدمان على القياس مطلقا سواء كان القياس جليا أو خفيا
وأنه لا يجوز معارضة النص بالقياس ولا تخصيصه بالقياس وقد اعتبر هذا الترتيب بعينه في قصة معاذ واستحسنه رسول الله ﷺ وكيف لا والقرآن مقطوع في متنه
والقياس مظنون والقرآن كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والقياس نتيجة عقل الإنسان الذي هو عرضة الخطأ والنسيان وقد أجمع
العلماء على أن إبليس خصص عموم الخطاب في قوله إذ قلنا للملائكة اسجدوا بقياسه وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين فاستحق اللعن إلى يوم الدين
والسر فيه أن تخصيص النص بالقياس يقدم القياس على النص وفيه ما فيه ثم إن كان الأمر للوجوب فقوله أطيعوا يدل على وجوب الطاعة وإن كان للندب
فههنا ما يدل على الوجوب ظاهرا لأنه ختم الأوامر بقوله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وهو وعيد والظاهر أنه يرجع إلى جميع الأوامر لا إلى قوله فردوه
وحده وأيضا مجرد الندب وهو أولوية الفعل معلوم من تلك الأوامر فلا بد للآية من فائدة خاصة فتحمل على المتحتم ليحصل من المجموع معنى الوجوب
ثم هذا الوجوب يكون دائما إن كان الأمر للدوام والتكرار وكذا إن لم يكن كذلك لأن الوقت المخصوص والكيفية المخصوصة غير مذكورين فلو حملنا
على العموم كانت الآية مبينة وإلا كانت مجملة والمبين أولى من المجمل وأيضا تخصيص اسم الله بالذكر يدل على أن وجوب الطاعة إنما هو لكونه إلها والإلهية
دائمة فالوجوب دائم وإنما كرر لفظ أطيعوا للفصل بين اسم الله تعالى وبين المخلوقين ثم نعلم من إطلاق وجوب طاعة أولي الأمر أن الإجماع الحاصل عقيب الخلاف
حجة وأنه لا يشترط انقراض العصر ومن إطلاق قوله فإن تنازعتم في شيء ونعلم أن القياس حجة وإجراؤه في الحدود والكفارات أيضا والمراد بالتنازع قال
الزجاج هو الاختلاف وقول كل فريق القول قولي كأن كل واحد منهما ينزع الحجة إلى جانبه ذلك الرد والمأمور به في الآية خير لكم وأحسن تأويلا أي عاقبة
من آل الشيء إذا رجع وقيل الرد إلى الكتاب والسنة خير مما تأولونه أنتم ثم إنه تعالى لما أوجب على المكلفين طاعته وطاعة رسوله ذكر أن المنافقين الذين في قلوبهم
مرض لا يطيعون ولا يرضون بحكمه فقال ألم تر إلى الذين يزعمون الآية قال الليث أهل العربية يقولون زعم فلان معناه لا يعرف أنه صدق أو كذب ومنه زعموا مطية
الكذب قال ابن الأعرابي الزعم قد يستعمل في القول المحقق لكن المراد في الآية الكذب بالاتفاق قال أبو مسلم ظاهر الآية يدل على أن الزاعم كان منافقا من أهل
الكتاب مثل أن يكون يهوديا أظهر الإسلام على سبيل النفاق لأن قوله تعالى يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك إنما يليق بمثل هذا المنافق
أما سبب النزول ففيه وجوه والذي عليه أكثر المفسرين ما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رجلا من المنافقين يسمى بشرا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي إلى النبي ﷺ وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف وذلك أن اليهودي كان محقا وكان النبي ﷺ لا يقضي إلا بالحق وعلم أنه منصف عن قبول الرشوة وكان
كعب يبطل الحقوق بالرشى فأتاه اليهودي بالمنافق حتى ذهبا إلى رسول الله ﷺ فقضى لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق إلى عمر بن الخطاب

عمر فقال اليهودي خاصمته الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك وتعلق بي فجئت معه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي فنزلت الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق وعلى هذا الطاغوت كعب بن الاشرف قال السدي كان ناس من اليهود اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية اذا قتل قرظي نضيريا قتل به واخذ منه دية مائة وسق من تمر واذا كان بالعكس لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء الاوس وكانوا اكثر واشرف من قريظة وهم حلفاء الخزرج فقتل نضيري قرظيا واختصموا في ذلك فقالت بنو النضير قضاء من علينا انما علينا ستين وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه فقالت الخزرج هذا حكم الجاهلية ونحن وانتم اليوم اخوة وديننا واحد لا فضل بيننا فقال المنافقون انطلقوا الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون لا بل الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون فانطلقوا الى ابي بردة ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة يعني الرشوة فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فاني اخاف ان نفرت النضيري قتلتني قريظة وان نفرت القرظي قتلتني النضير فابوا ان يعطوه فوق عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله هذه الاية فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لابنيه ادركا اباكما فانه ان جاز عقبة كذا لم يسلم ابدا فادركاه فلم يزالا به حتى انصرف واسلم وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى الا ان الكاهن قد اسلم فاسلم وعلى هذا القول الطاغوت هو الكاهن وقال الحسن ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حق فدعاه المنافق الى وثن كان اهل الجاهلية يتحاكمون اليه ورجل قائم يترجم الاباطيل عن الوثن فالطاغوت ذلك الرجل وقيل كانوا يتحاكمون الى الوثن يضربون القداح بحضرته فما خرج على القداح عملوا به فالطاغوت هو الوثن ثم ان الطاغوت اي شيء كان من الاشياء المذكورة فانه تعالى جعل التحاكم اليه مقابلا للكفر به لكن الكفر به ايمان بالله وبرسوله فيكون نصا في تكفير من لم يرض بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم تشككا او تمردا ويؤكده قوله بعد ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية ومن هنا ذهب كثير من الصحابة الى الحكم بارتداد مانعي الزكوة وقتلهم وسبي ذراريهم ثم قال ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا فاحتجت المعتزلة به على ان كفر الكافر ليس بخلق الله والا لم يتوجه الذم على الشيطان ولم يحصل التعجب والتعجيب وان لقائل ان يقول انما فعلوا لاجل انك خلقت ذلك الفعل فيهم وقد مر منهم بل التعجب وقد عرفت الجواب مرارا قوله فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيه وجهان احدهما وهو قول الحسن واختاره الواحدي انه جملة معترضة واصل النظم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا ثم جاؤك يعني انهم اولا يصدون عنك اشد الصدود ثم بعد ذلك يجيؤنك ويحلفون كذبا على انهم ما ارادوا بذلك الصد الا الاحسان والتوفيق ووجه الاعتراض انه حكى عنهم التحاكم الى الطاغوت وانهم يصدون ثم ابتهاما بما يدل على شدة احوالهم بسبب اعمالهم القبيحة في الدنيا والاخرة والثاني انه متصل بما قبله لا على وجه الاعتراض والمعنى انه اذا كانت نفرتهم من الحضور عند الرسول او قال النسائي انه هكذا فكيف يكون نفرتهم اذا اتوا بجناية خافوا بسببها منك ثم جاؤك كرها يحلفون بالله على سبيل الكذب ما اردنا بتلك الجناية الا الخير والمصلحة اما المصيبة فقيل هي قتل عمر صاحبهم فانهم جاؤا وطلبوا بدمه وحلفوا انهم ما ارادوا بالذهاب الى غير الرسول الا الصلاح وهو اختيار الزجاج وقال الجبائي هي ما امر الله رسوله بها من انه لا يستصحبهم في الغزوات ويخصهم بمزيد الاذلال والمعنى ثم جاؤك وقت المصيبة يحلفون ويعتذرون انا ما اردنا بما كان منا من مواسات الكفار الا اصلاح الحال قال ابو مسلم انه تعالى بشر رسوله ان المنافقين سيصيبهم مصائب تلجئهم اليه الى ان يظهروا الايمان ومن عادة العرب عند التبشير والانذار ان يقولوا كيف انت اذا كان كذا ومعنى الاحسان والتوفيق ما اردنا بالتحاكم الى غير الرسول الا احسانا بين الخصوم واستمالة بينهم فانهم لا يقفون عند الرسول ان يرفعوا اصواتهم ويثبتوا حججهم او ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بالحكم العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به وعلى هذا لا يبقى للحلف مناسبة ظاهرة او ما اردنا بالتحاكم الى غيرك يا رسول الله الا انك لا تحكم الا بالحق المر وغيرك يدور على التوسط بامر كل واحد من الخصمين بالاحسان الى الاخر وتقريب مراده من مراد صاحبه حتى يحصل بينهم الموافقة ثم اخبر الله سبحانه بما في ضمائرهم من الدغل والنفاق فقال اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وذلك ان من اراد المبالغة في شيء قال هذا شيء لا يعلمه الا الله يعني انه لكثرته وعظم حاله لا يقدر احد على معرفته الا هو ثم علم نبيه كيف يعاملهم فامره بثلثة اشياء الاول الاعراض عنهم والمراد به انه لا يقبل منهم ذلك العذر ويستمر على السخط او انه لا يهتك سترهم ولا يظهر لهم انه عالم بكنه ما في بواطنهم من النفاق لما فيه من حسن العشرة والحذر من اثارة الفتنة الثاني ان يعظهم يزجرهم عن النفاق بالتخويف من عذاب الدارين الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه وجوه احدها ان في الاية تقديما وتاخيرا والمعنى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف الثاني وقل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا هو ان الله يعلم ما في قلوبكم فلن يغني عنكم الاخفاء فطهروا قلوبكم عن دنس النفاق والا فسينزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك او شرا من ذلك واغلظ الثالث قل لهم في انفسهم خاليا بهم مسارا لهم بالنصيحة فان النصح بين الملاء تقريع وفي السر نفع والجمع قولا يؤثر فيهم ومثل القول البليغ يتعلق بالوعظ وهو ان يكون كلاما حسنا وجيز المباني غزير المعاني يدخل الاذن بلا اذن مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار والانذار ثم رغب مرة اخرى في طاعة الرسول فقال وما ارسلنا من رسول اكثر النحاة على ان من صلة يعني تاكيدا للنفي والتقدير وما ارسلنا رسولا وقيل المفعول محذوف والتقدير وما ارسلنا من هذا الجنس احدا قال الجبائي في هذه الاية من اقوى الدلائل على بطلان مذهب المجبرة لكونها صريحة في ان معصية الناس غير مرادة لله تعالى والجواب ان ارسال الرسل لاجل الطاعة لا ينافي كون المعصية مرادة لله تعالى على ان قوله باذن الله لمن يشير بتيسيره وتوفيقه واعانته يدل على ان الكل بقضائه وقدره وكذا لو كان المراد بسبب اذن الله في طاعة الرسول فقيل في الاية دلالة على انه لا رسول الا ومعه شريعة فانه لو دعا الى شرع من قبله لكان المطاع هو ذلك المتقدم وفيها دلالة على ان الرسل معصومون من المعاصي والا لم يجب اتباعهم في جميع اقوالهم وافعالهم ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين عن النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك وقوله واستغفر لهم الرسول

كاهن الى الاسلام فابى وانصرف فقال النبي

انتصب شفيعاً لهم الى الله بعد اعتذارهم اليه من اذية برد قضائه لوجدوا الله تواباً رحيماً وانما لم يقل واستغفرت لهم لما في الالتفات من الخطاب الى ذكر
الرسول من تفخيم شأنه والتنبيه على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فالآية على هذا التفسير من تمام ما قبلها وقال ابو بكر الاصم نزلت في قوم من المنافقين اصطلحوا
على كيد في حق رسول الله ﷺ ثم دخلوا عليه لذلك الغرض فأتاه جبريل فاخبره به فقال ﷺ ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا فليستغفروا الله حتى
استغفر لهم فلم يقوموا فقال الا تقومون فلم يفعلوا فقال ﷺ قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا منهم فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله
من ظلمنا انفسنا فاستغفر لنا فقال الآن اخرجوا انا كنت في بدء الامر اقرب الى الاستغفار وكان الله اقرب الى الاجابة اخرجوا عني فلا وربك لا يؤمنون عن عطا
ومجاهد والشعبي انها من تمام قصة اليهودي والمنافق وعن الزهري عن عروة بن الزبير انها نزلت في شأن الزبير وحاطب ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله ﷺ
في شراج من الحرة والشراج مسيل الماء كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك وذلك لان ام الزبير
صفية بنت عبد المطلب فتغير وجه رسول الله ﷺ قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر يعني الجدار الذي يحيط بالمزرعة وهو اصغر عن الجدار واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك واعلم ان الحكم في هذا ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الماء وحقه تمام السقي والرسول اذن للزبير في السقي على وجه
المسامحة فلما اساء خصمه الادب ولم يعرف حق ما امر به الرسول من المسامحة لاجل امره باستيفاء حقه وحمل خصمه على مر الحق وفي قوله فلا وربك قولان احدهما
ان لا صلة لتاكيد معنى القسم والتقدير فوربك والثاني انها مفيدة وعلى هذا ففيه وجهان الاول انه يفيد نفي امر سبق والتقدير ليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم بقوله وربك لا يؤمنون الثاني انها لتوكيد النفي الذي جاء في الجواب فهذا الوجه لا يتمشى انما اذا كان الجواب منفيا
ومعنى شجر اختلف واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه والتشاجر التنازع لاختلاط كلام بعضهم ببعض والحرج الضيق والشك لان الشاك في ضيق من امره
حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا وسلم لامر الله اي سلم نفسه له وجعلها خالصة لحكمه ومن التعليمية من تمسك بالآية في انه لا يحصل الايمان الا بارشاد
النبي وهدايته والنزول على حكمه وقضائه في كل امر ديني ومنع بان معرفة النبوة موقوفة على معرفة الاله فلو توقفت معرفة الاله على معرفة النبوة لزم الدور
فاذن الحكم غير كلي والتقليد في جميع الاحكام غير مرضي واعلم ان الرضى بحكم الرسول قد يكون رضى في الظاهر دون القلب فلهذا قال ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت وهو الجزم بان ما حكم به الرسول هو الحق والصدق ثم من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقا وصدقا فقد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد
او يتوقف في ذلك القبول بعدم الحرج اشارة الى الانقياد في الباطن والتسليم اشارة الى الانقياد في الظاهر وفي الآية دليل على عصمة الانبياء عن الخطأ في الفتاوى
والاحكام وعلى انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس والا كان في النفس حرج قالت المعتزلة منها لو كانت المعاصي بقضاء الله لزم التناقض لان الرضى بقضائه
واجب فالرضاء بالمعاصي واجب لكن الرسول قد نهى عنها فيجب ان يحصل الرضا في تركها فيلزم الرضاء بالفعل والترك معا وهو محال والجواب ان المراد من
قضاء الله التكوين والايجاد فالرضى بقضائه ان نعتقد كون الكل بايجاده والمراد من الرضا بقضاء الرسول ان يلتزم ما حكم به ويتلقى بالبشر والقبول
ذلك من هذا قوله ولو انا كتبنا عليهم روي ان حاطبا لما خاصم رسول الله ﷺ فاستوفى الزبير حقه في صريح الحكم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان
القضاء فقال حاطب قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ﷺ ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وكذا قال ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله ﷺ
والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل
بنا ذلك ونزلت الآية والضمير في قوله عليهم يعود الى الناس والمراد بالقليل المؤمنون منهم وعن ابن عباس ومجاهد انه يعود الى المنافقين والمراد انا لو كتبنا القتل
والخروج عن الوطن على هؤلاء المنافقين ما فعله الا قليل منهم رياء وسمعة وحينئذ يصعب الامر عليهم وينكشف كفرهم فاذ لم نفعل بهم ذلك بل كلفناهم الاشياء
السهلة فليتركوا النفاق وليلزموا الاخلاص ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من الانقياد والطاعة لله ولرسوله وسمي التكليف وعظا لاقترانه بالوعد
والوعيد والترغيب والترهيب لكان خيرا لهم اي انفع وافضل من غيره او خير الدنيا والآخرة لان خيرا يستعمل بالوجهين جميعا واشد تثبيتا اقرب الى ثباتهم
على الايمان والطاعة لان الطاعة تدعو الى امثالها وتجر الى المواظبة عليها ولانه حق والحق ثابت والباطل زائل ولان الانسان يطلب الخير اولا فاذا حصل
يطلب ثباته ودوامه ثم بين ان ما يوعظون به كما هو خير في نفسه فهو ايضا مستعقب للخير فقال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما وتوا باجرا واذا جواب
لسؤال مقدر كانه قيل ماذا يكون لهم بعد الخير والتثبيت فقيل هو ان نؤتيهم من لدنا اجرا عظيما وفي ايراد صيغة التعظيم في آتينا ولدنا وفي قوله من لدنا
وفي وصف الاجر بالعظيم وفي تنكير الاجر من المبالغة ما لا يخفى والصراط المستقيم الدين الحق او الطريق من عرصة القيامة الى الجنة وهذا اولى لانه مذكور بعد
استحقاق الاجر ثم اكد امر الطاعة بقوله ومن يطع الله والرسول ولا شك ان الآية عامة في جميع المكلفين الا ان المفسرين ذكروا في سببها وجوها قال الكلبي
نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه الحزن فقال له يا ثوبان ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك
لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك حين لا اراك ابدا وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار
قال للنبي ﷺ اذا خرجنا من عندك الى اهالينا اشتقنا اليك فما ينفعنا شيء حتى نرجع اليك ثم ذكرت درجتك في الجنة فكيف لنا برؤيتك ان دخلنا الجنة فانزل

الله هذه الآية فلما توفي النبي أتى الأنصاري ولده وهو في حديقة له فأخبره بموت النبي فقال اللهم أعمني حتى لا أرى شيئا بعده فعمي مكانه وقال السدي إن ناسا
من الأنصار قالوا يا رسول الله إنك تسكن الجنة في أعلاها ونحن نشتاق إليك فكيف نصنع فنزلت وليس المراد من كون المطيعين مع المذكورين في الآية
أن كلهم في درجة واحدة فإن ذلك يقتضي التسوية بين الفاضل والمفضول وإنه محال لكن المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وإن بعد
المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضا وإذا أرادوا الزيارة والتلاقي قدروا على ذلك والتحقيق فيه أن عالم الأنوار لا تمانع فيه ولا تدافع بل
ينعكس بعضها على بعض ويتقوى بعضها ببعض كالمرايا المجلوة المتقابلة إخوانا على سرر متقابلين ثم إنه تعالى ذكر أصنافا أربعة النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا شك في تغايرها متداخلة كانت أو متباينة والمراد بالتداخل أن لا يمتنع كون كل متقدم موصوفا بما يتلوه فإن يكون النبي صديقا وشهيدا
وصالحا والصديق شهيدا وصالحا وقد مر تفسير النبي في أوائل البقرة وأما الصديق فهو مبالغة الصادق وهو من غلب على أقواله الصدق ونعم الخصلة
مرضية في جميع الأديان ومحققة للنطق الذي هو من مقومات الإنسان وكفى به منقبة أن الإيمان ليس إلا التصديق وكفى بنقيضه مذمة أن الكفر ليس سوى
التكذيب ذكر المفسرون أكثرهم أن الصديقين في الآية كل من صدق بكل الدين لا يتخالجه فيه شك لقوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون
وقال قوم هم أفاضل أصحاب النبوة وخصصه بعضهم بمن سبق إلى تصديق الرسول فصار في ذلك قدوة الناس كأبي بكر وعلي وأمثالهما ولا واسطة بين الصديق
والنبي ولذلك قال في هذه الآية مع النبيين والصديقين وفي صفة إبراهيم إنه كان صديقا نبيا يعني أنك إن ترقيت من الصديقية وصلت إلى النبوة وإن نزلت
من النبوة وصلت إليهم وأما الشهداء فالمراد بهم ههنا أعم من المقتولين بسيف الكفار من المسلمين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ما تعدون الشهيد فيكم قالوا
يا رسول الله من قتل في سبيل الله قال إن شهداء أمتي إذا لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد
وفي رواية ومن مات بجمع فهو شهيد وقيل هو الذي يشهد لصحة دين الله تارة بالحجة والبيان وأخرى بالسيف والسنان وأقول لا يبعد أيضا أن يدخل كل هذه الأمة
في الشهداء لقوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وأما الصالحون فالصالح هو الذي صلح في اعتقاده وفي عمله وهذه مرتبة ينبغي
أن لا يحط عنها مرتبة المؤمن ثم قال في معرض التعجب وحسن أولئك رفيقا كأنه قيل وما أحسن أولئك والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع
فيه وانتصابه على الحال ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وقيل معناه حسن كل واحد منهم رفيقا كما قال يخرجكم طفلا والرفق في اللغة لين الجانب
ولطافة الفعل سمي الصاحب رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ومنه الرفقة في السفر لارتفاق بعضهم ببعض ثم قد يكون الإنسان مع غيره ولا يكون رفيقا له
فبين الله تعالى أن الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يكونون كالرفقاء للمطيع من شدة محبتهم له وسرورهم برؤيته ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله
خبره أو ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره قالت المعتزلة ذلك إشارة إلى الأجر العظيم وموافقة المنعم عليهم من الأنبياء وهذا شيء يتفضل الله به عليهم تبعا
لثوابهم الواجب على الله وأراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه ولولا أنه أعطى العقل والقدرة وأزاح الأعذار ولطف
لم يتمكن المكلف من فعل الطاعة فصار ذلك بمنزلة من وهب غيره ثوبا لينتفع به فإذا باعه وانتفع بثمنه جاز أن يوصف ذلك الثمن بأنه فضل من الواهب
قال أهل السنة ذلك إشارة إلى المجموع ما تقدم ولا يجب على الله شيء ألبتة بل الثواب كله فضل من الله وكيف يجب عليه شيء وإنه هو الذي خلق القدرة والداعية
وأيضا الوجوب عبارة عن استحقاق الذم عند الترك وإنه في الإلهية محال وأيضا كل ما صدر من الطاعات فإنه في مقابلة النعم السالفة التي لا تعد ولا تحصى
فيمتنع كونها موجبة للثواب في المستقبل ومعنى الآية أن ذلك الثواب بكماله رجحه كأنه هو الفضل وما عداه غير معتد به وذلك الثواب المذكور هو من الله
لا من غيره وكفى بالله عليما بالطاعة وكيفية الثواب عليها وفيه ترغيب المكلف على كمال الطاعة والاحتراز عن التقصير فيها التأويل الوجود المجازي فإنه
من الله تعالى كما أن وجود الظل فإنه من الشمس فلا جرم إذا تجلت شمس الربوبية لظلال وجود النفس والقلب والروح يقول بلسان العزة إن الله يأمركم أن تؤدوا
الأمانات إلى أهلها فتلاشت الظلال واضمحلت الاعتبارات وانمحت الآثار وبقي الواحد القهار وهذا أحد أسرار قوله ولله يسجد من في السموات والأرض
طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وإذا حكمتم بعد فناء الوجود المجازي وبقاء الوجود الحقيقي بين الروح والقلب والنفس أن تحكموا بآداب الطريقة
بمراتب القلب شواهد اللقاء ويلائم الروح عقبة الفناء والسر دون سلطان البقاء يا أيها الذين آمنوا الخطاب مع القلب والروح والسر فإنهم آمنوا
على الحقيقة وطاعة القلب أن يحب الله وحده وطاعة الروح أن لا يلتفت إلى غيره وطاعة السر أن لا يرى غيره في الوجود وأما الرسول فهو الرسول الوارد
من الحق في الباطن كما قال لوابصة بن معبد استفت قلبك وإن أفتاك المفتون وأولي الأمر منكم يعني مشايخكم ومن بيده أمر تربيتكم فإن
تنازعتم في شيء يعني منازعة النفس والقلب والروح والسر فردوه إلى الكتاب والسنة أو يريد منازعة القلب فيما حكم به الكتاب والسنة من أحكام فهو
الفهم والدراية فردوه إلى الله لمراقبة القلوب بشواهد الغيوب وإلى الرسول فإن الحق يصدقه النية وصفاء الطوية ذلك الإيمان الإيقاني بعد
تشعشع النور الرباني خير من علم الكتاب والسنة بالتقليد دون التحقيق ثم أخبر عن حال أهل القال المحاكمين إلى طاغوت الهوى والخيال من أهل البدع
والضلال بقوله ألم تر إلى الذين يزعمون الآية أصابتهم مصيبة ملامة من الخلق أو سياسة من السلطان فلا وربك لا يؤمنون فيه أن الإيمان
الحقيقي ليس بمجرد التصديق والإقرار ولكنه سبق على محك الاعتبار وهو تحكيم الشرع لا الطبع النبوة لا الفتوة والمولى لا الهوى ودار الحق
لا موارد الخلق فيما اختلف آراؤهم وتحيرت عقولهم ثم لا يجدوا في قرارة أنفسهم صونا كراهة من القضاء الأزلية والأحكام الإلهية والقدرية
الذين لهم قدم صدق عند ربهم والشهداء أهل الجهاد الأكبر والصالحين لهم صلوح الولاية وحسن أولئك رفيقا في سلوك طريق الحق والله المستعان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ۝ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ

ای گروه آنهائیکه گرویده اید فراگیرید اسلحه خود را پس متفرق شوید فرقه فرقه یا متفرق شوید همگی و بدرستی از شما هر آینه کسی است که بازایستاد و مردم را بس اگر رسد

مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ

واهیه گوید که انعام فرموده است خدا بر من چون نبودم من با ایشان حاضر در جنگ و هر آینه اگر رسد شما را بخششی از جانب پروردگار هر آینه گوید گویا که نبوده

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ

میان شما و میان او دوستی ای کاش بودم من با ایشان پس بهره میبردم بهره بزرگ پس جهاد کنند در راه خدا آنهائی که میخرند زندگانی

الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَمَا لَكُمْ

دنیا را عوض از آخرت و هر که جهاد کند در راه خدا پس کشته شود یا معاوب شود پس زود باشد بدهیم او را مزدی بزرگ و چه شده شما را

لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

که جهاد نمیکنید در راه خدا و ناتوانان از مردان و زنان و طفلان آنهائیکه میگویند پروردگار

أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ۝ الَّذِينَ

برآور ما را از این ده که ستمکارند اهل آن و بگردان از برای ما از نزد خود نگاهداری و قرار ده از برای ما از نزد خود یاوری آنهائیکه

آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ

گرویدند جهاد کنند در راه خدا و آنها که کافر شدند جهاد کنند در راه بت پس جهاد کنید دوستان شیطان را

إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

بدرستی که کید و حیله شیطان میباشد ضعیف آیا ندیدی آنها را که گفته شد بآنها که باز دارید دستهای خود را و برپای دارید نماز را و بدهید زکوة را

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ

پس چون نوشته شد برایشان جهاد ناگاه طائفه از ایشان میترسند از مردم چون ترسیدن از خدا یا سخت تر ترسی و گویند که پروردگارا چرا نوشتی

عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا

بر ما جنگ کردن را کاش پس انداختی ما را تا زمانی نزدیک بگو که بهره دنیا کم است و آخرت بهتر است مرآنرا که پرهیزکرد و ستم کرده نشوید بقدر رشته

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

هر جا که باشید دریابد شما را مرگ و اگرچه بوده باشید در قصرهای رفیع و اگر رسد ایشانرا خوبی گفتندی که این از نزد خداست

وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

و اگر رسید ایشانرا بدی گفتند که این از نزد تو است بگو که همه از نزد خداست پس چیست مر اینگروه را که نزدیک نیستند که

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ

درک کنند حکایتی را هرچه رسید بتو از نیکوئی پس از خداست و هرچه رسید تو را از بدی پس از خود تست و فرستادیم تو را

لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

از برای مردم پیغمبر و بس است خدا گواهی هر که پیروی کند رسول را بتحقیق که طاعت کرده خدا را و هر که برگشت پس نفرستاده ایم تو را برایشان

حَفِيظًا ۝ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ

نگاهبان و میگویند کار ما طاعت است پس چون بیرون آیند از نزد تو باشند گروهی از ایشان بجز آنکه میگفت و خدا

يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

مینویسد آنچه را که شبانه میسازند پس روگردان از ایشان و توکل کن بر خدا و بس است خدا کارگذاری

القراءة ليبطئن بنحوه مثل فليقتلن وليبوئنهم بالياء الخفيف الى الصم يزيد والشموني وحمزة في الوقف كان لم تكن بالتاء الفوقانية ابن كثير وحفص والمفضل وسهل ويعقوب لا تظلمون بتاء الفوقانية يغلب فسوف نؤتيه بالياء بنحو ان تعجب بعجب من يشاء مدغما ابو بكر وحمزة غير خلاف وعلي وهشام ولا يظلمون بالياء التحتانية ابن كثير وعلي وحمزة وخلف وهشام ويزيد وابن مجاهد عن ابن ذكوان لتاقون بتاء الخطاب بيت طائفة مدغما ابو بكر وحمزة الوقوف جميعا ليبطئن لا ابتداء الشرط مع فاء التعقيب شهيدا عظيما بالآخرة عظيما اهلها وليا كالاول فضيلا بين الدعوتين نصيرا في سبيل الله للفصل بين الفصلين بالمتفقين اولياء الشيطان الاحتمال الابتداء ونقله الفاء واللام ضعيفا الزكوة لان جواب فلما مدغم طر لكن التعجب في قوله الم تر واقع على قوله اذا فريق منهم يخشون خشية لانقطاع النظم مع تمام المعنى القتال لان لولا اي هلا استفهام اخر مع اتحاد المعقول قريب قليل للوصف للفصل بين وصف الدارين فتيلا مشيدة للعدل لفظا ومعنى من عند الله بين النقيضين من عندك من عند الله حديثا من الله فصلا بين النقيضين من نفسك رسولا شهيدا اطاع الله لحق العطف مع ابتداء الشرط حفيظا الامينا

العقل بعد هذا الطاعة لابتداء الشرع مع ان المقصود من بيان نفاقهم لا يتم بعد بقوله ليبطئن لاختلال الجملتين مع الاتصال اى ما كتب الله ما بينوا فاعرض
عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا التفسير انه سبحانه عاد بعدما رغب في طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اشق الطاعات ولانه اعظم الامور التي بها يتم تقوية
الدين فقال يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم والحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر والمثل والمثل يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر
آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر السلاح لانه ما يتقى به ويحذر فان قيل
اي فائدة في هذا الامر والحذر لا يغني عن القدر والمقدور كائن والمهم فضل قلت هذا من عالم الاسباب والتوسط بها لم يبطل ولا ريب ان الكل بقدر حتى ما امر ومن
امتثل وترتب عليه الاثر كان بقدر ومن اهمل حتى نزل عليه السلام كان بقدر وهكذا سائر جميع التكاليف فاذا اعتبرتم فانفروا الى قتال عدوكم اي اخرجوا لذلك
قاله واذا استنفرتم فانفروا ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واحدها ثبة محذوفة اللام واصلها ثبى فعوضت الهاء عن الياء المحذوفة والتركيب دال على
الاجتماع ومنه الثبة لوسط الحوض الذي يجتمع عنده الماء وثبت الشيء جمعته او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة وهذا قريب مما قال الشاعر طاروا اليه زرافات
ووحدانا والغرض النهي عن التخاذل والقاء النفس الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اللام الاولى هي الداخلة في خبر ان والثانية هي الداخلة في جواب القسم
وتقدير الكلام لمن حلف بالله ليبطئن وهو اما منقول بسبب التشديد فيكون المفعول محذوفا اي ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو كما هو دأب المنافق عبد الله بن ابي
ثبط الناس يوم احد واما لازم فقد جاء بطأ بالتشديد بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اي ابطأ اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وهذا المعنى اوفق لقوله فان اصابتكم مصيبة
من قتل او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله فتح او غنيمة ليقولن قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل
الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمنادى محذوف اي يا قوم ليتني وجوز ابو علي ان يقال حرف النداء في الفعل والحرف من غير اضمار المنادى كنت معهم فافوز منصوب
باضمار ان اي ليت لي كونا معهم ففوزا والخطاب في قوله وان منكم للمذكورين في قوله يا ايها الذين آمنوا والاظهر ان هذا المبطئ سواء جعل لازما او متعديا كان منافقا
فلعله جعل من المؤمنين من حيث الجنس والنسب والاختلاط او لانه كان حكمهم حكم المؤمنين لظاهر الايمان والمراد يا ايها الذين آمنوا المؤمنون في زعمكم ودعواكم
كقوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر ومعنى الاعتراض في البين ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن ونقل جمع من المفسرين ان هؤلاء المبطئين كانوا ضعفاء المسلمين وعلى هذا فالتبطئة بمعنى الابطاء البتة لان المؤمن لا يثبط غيره ولكنه قد يتثاقل وقوله
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم ثم لما ذم المبطئين رغب في الجهاد بقوله فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون ومعناه يشترون او
يبيعون وعلى الاول فهم المنافقون المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويجاهدوا حق الجهاد ولا يختاروا الدنيا على المعاد وعلى الثاني فهم المؤمنون الذين يؤثرون
الدنيا الآجلة على العاجلة والمراد ان يقاتل ما اهل النفاق وضعفة الايمان عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون وقيل يحتمل ان يراد المؤمنون على التقدير الاول ايضا لان
الانسان اذا اراد ان يبذل هذه الحيوة الدنيا في سبيل الله بخل بنفسه فاشتراها من نفسه ليبيعها بالآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله او لعل المراد به المشتغل
بالقتال الذي ترجح الفاني على الباقي والمراد انهم كانوا يرجحون الحيوة على الموت لاستيفاء السعادات البدنية فقيل لهم قاتلوا فانكم تستولون على الاعداء وتفوزون
بالاموال ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب وعد الاجر العظيم على تقديري المغلوبية والغالبية ليعلم انه لا عمل اشرف من الجهاد وانه يكون المجاهد على بصيرة
من حاله على اي تقدير كان فيقدم ولا يحجم ثم زاد في تحريضهم فقال وما لكم لا تقاتلون ومعناه انه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ الحال الى ما بلغ وقوله
والمستضعفين اما مجرور اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين واما منصوب على الاختصاص اي واخص من سبيل الله لانه عام في كل خير خلاص المستضعفين
وهم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون الاعداء والضعف عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم اذلاء يلقون منهم اذى شديدا فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه
فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح والولدان جمع للغلمان في جنب قيل الرجال والنساء الاحرار والحرائر والولدان العبيد والاماء لان
العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وجمعها الولدان والولائد الا انه خص الولدان بالذكر تغليبا كالآباء والاخوة مع ارادة الامهات والاخوات
ويؤيده عن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من الولدان والنساء والظالم صفة للقرية الا انه مسند الى اهلها فتبع القرية في الاعراب في التذكير لاسناده الى الاهل
والاهل يذكر ويؤنث ولو انث لانه لا يلتفت لموصوف بل لجواز ان يقال اي الاهل خاصة وانما اشرك الولدان في الدعاء وان كانوا غير مكلفين لان المشركين كانوا يؤذونهم
ارغاما لآبائهم لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء واجعل لنا من لدنك وليا اي كن انت لنا وليا وناصرا وول علينا رجلا يوالينا ويقوم بمصالحنا فاستجاب الله دعاءهم لان النبي لما فتح مكة
جعل عتاب بن اسيد اميرا لهم فكان الولي هو الرسول والنصير عتاب بن اسيد كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من
الظلمة ثم شجع المؤمنين تشجيعا بان اخبرهم انهم يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون في سبيل الطاغوت وهو الشيطان فلا ولي
لهم الا الشيطان وان كيده اوهن شيء واضعفه والكيد السعي في فساد الحال على جهة الاحتيال وفائدة ادخال كان ان يعلم انه منذ كان كان موصوفا بالضعف والذلة الا
ترى ان اهل الخير والدين يبقى ذكرهم بالجميل على وجه الدهر وان كانوا مدة حياتهم في غاية الخمول والفقر واما الملوك والجبابرة فاذا ماتوا انقرض اثرهم ولا يبقى في الدنيا
رسمهم ولا ظلمهم قوله سبحانه الم تر الى الذين قيل لهم قال الكلبي نزلت في المؤمنين نفر من اصحاب رسول الله منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود
وقدامة بن مظعون وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا ويقولون لرسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا ايديكم عنهم
فاني لم اومر بقتالهم فلما هاجر الى المدينة وامرهم الله بقتال المشركين كره بعضهم وشق عليهم الثاني قال ابن عباس هي في ذرية ابي صالح لما اشتد ها الله من

المسلمين

المسلمين من استشهد يوم احد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان اخواننا الذين قتلوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فنزلت ويتجه للقول الاول بان رغبتهم في القتال اولا دليل الايمان ويمكن ان يجاب بان المنافقين ايضا كانوا يظهرون الرغبة في الجهاد الى ان امروا بالقتال فاحجموا واحتج اصحاب القول الثاني بانهم كانوا يخشون الناس كخشية الله او اشد وكانوا يعترضون على الله ثم يقولون لم كتبت علينا القتال وكانوا يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة فلهذا قيل لهم قل متاع الدنيا قليل وكل هذه الامور من نعوت المنافقين واجيب بان حب الحيوة والنفرة عن القتل من لوازم الطباع وهو المعني بالخشية والاعتراض محمول على التعجب التكليف لا على الانكار وقوله قل متاع الدنيا قليل انما ذكر ليهون على قلبهم امر هذه الحيوة والاقوى حمل الآية على المنافقين لان ما بعدها وهو قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله في شأنهم بلا اختلاف في الآية ولا لدلالة على ان ايجاب الصلوة والزكوة كان مقدما على الجهاد وهو ايضا ترتيب مطابق لما في المعقول لان التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله مقدمان على الترهيب بالقتل في سبيل الله واذا في اذا فريق للمفاجأة وهو مجرى عن الظرفية والعامل في لما معنى المفاجأة اي فاجأ وقت خشية فريق زمان كتبة القتال عليهم وقوله كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول ومحل الكاف النصب على الحال لما عطف عليه من قوله او اشد ثم نصب خشية على التمييز والتقدير يخشون الناس مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية من خشية اهل الله ثم لو قيل اشد خشية بالاضافة انتصب على المصدر ولا يمكن ان يقول اشد خشية بالنصب على ارادة المصدر اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية فيذات خشية مثل جد جده فيكون المعنى خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وعلى هذا يجوز ان يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منها وكلمة او للشك ههنا فان ذلك على علام الغيوب محال لكنها بمعنى الواو او المراد ان كل خوفين فان احدهما بالنسبة الى الآخر اما ان يكون انقص او مساويا او ازيد فبين في الآية ان خوفهم من الناس ليس بانقص من خوفهم من الله فيبقى اما ان يكون مساويا او ازيد فهذا لا يوجب كونه شاكا فيه ولكن يوجب ابقاء الابهام في هذين القسمين على المخاطبين او هذا نظير قوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يراهم يقول هذا الكلام وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب ان كانت الآية في المؤمنين فهم انما قالوا ذلك لا اعتراضا على الله ولكن جزعا من الموت وحبا للحيوة واستزادة في مدة الكف واستمهالا الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وان كان من كلام المنافقين فلا شك انهم كانوا منكرين لكتبة القتال عليهم فهم قالوا ذلك بناء على زعم الرسول ودعواه ومعنى لولا اخرتنا هلا تركتنا حتى نموت بآجالنا ثم ازال الشبهة وازاح العلة بقوله قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى اي لكل الناس بل لمن اتقى فان للكافر والفاسق هنالك نيرانا واهوالا ومن هنا قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وانما رجح الآخرة فلان نعم الدنيا قليلة ونعم الآخرة كثيرة ونعم الدنيا منقطعة ونعم الآخرة مؤبدة ونعم الدنيا مشوبة بالاقذار ونعم الآخرة صافية عن الاكدار ونعم الدنيا مشكوكة التمتع بها ونعم الآخرة يقينية الانتفاع منها ثم بكت الفريق الخائفين بانهم يدركهم الموت اينما كانوا ولو كانوا في حصون مرتفعة والبروج في كلام العرب القصور والحصون واصلها من التبرج ومنه تبرجت المرأة اذا اظهرت محاسنها والغرض انه لا خلاص لهم من الموت والجهاد موت مستعقب للسعادة الابدية واذا كان لا بد من الموت فوقوعه على هذا الوجه اولى قال المفسرون كانت المدينة مملوة من النعم وقت مقدم الرسول فلما ظهر عناد اليهود ونفاق المنافقين امسك الله تعالى عنهم بعض الامساك كما جرت عادته في جميع الامم قال وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء فعند هذا قال اليهود والمنافقون ما رأينا اعظم شؤما من هذا الرجل نقصت ثمارنا وغلت اسعارنا منذ قدم فقوله وان تصبهم حسنة يعني الخصب والرخص وتتابع الامطار وان تصبهم سيئة يعني الجدب وانقطاع الامطار قالوا هذا من شؤم محمد وهذا كقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وقيل لعموم الحسنة النصر على الاعداء والغنيمة والسيئة القتل والهزيمة وقال اهل التحقيق خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فكل ما ينتفع به من حسنة فان كان منتفعا به في الدنيا فهو الخصب والغنيمة وامثالها وان كان منتفعا به في الآخرة فهو طاعة فالحسنة تعم الحسنات والسيئة تعم السيئات فلا جرم اجابهم الله تعالى بقوله قل كل من عند الله وكيف لا وجميع الممكنات من الافعال والذوات والصفات لا بد من استنادها الى الواجب لذاته ثم تعجب من حالهم وقال فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فنفى عنهم مقاربة الفقه والفهم فضلا عن الفقه والفهم قالت المعتزلة هذه الآية حجة لنا لانه لو كان حصول الفهم والمعرفة بتخليق الله ثم لم يخلقه لم يتوجه التعجب بمعنى التقريع لانه تعالى ما خلقها والجواب انه تعالى لا يسأل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والداعي وقالت المعتزلة ايضا الحديث فعيل بمعنى مفعول والمراد به الآيات المذكورة في هذه المواضع فيلزم منه كون القرآن محدثا والجواب بعد تسليم ما ذكروا انه لا نزاع في حدوث العبارات انما النزاع في الكلام النفسي وقوله عن من قائل ما اصابك من حسنة فمن الله قال ابو علي الجبائي السيئة تارة تقع على البلية والمحنة وتارة تقع على الذنب والمعصية ثم انه تعالى اضاف السيئة الى نفسه في الآية الاولى بقوله قل كل من عند الله واضافها في هذه الآية الى العبد بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فلا بد من التوفيق وازالة التناقض وما ذاك الا بان يجعل هناك بمعنى البلية وههنا بمعنى المعصية قال وانما فصل بين الحسنة والسيئة في هذه الآية فاضاف الحسنة التي هي الطاعة الى نفسه دون السيئة مع ان كليهما من فعل العبد عندنا لان الحسنة انما تصل الى العبد بتسهيل الله والطافه فصحت اضافتها اليه اما السيئة فلا يصح اضافتها الى الله تعالى لا بانه فعلها ولا بانه ارادها ولا بانه امر بها ولا بانه رغب فيها وقال في الكشاف فما اصابك من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك كما روي عن عائشة ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقالت الاشاعرة كل من الحسنة والسيئة باي معنى فرض فهما من الله تعالى لوجوب انتهاء جميع الحوادث اليه لكنه قد يقال بعض الظاهريين ان

اسائة السيئة الى الله تعالى خروج عن قانون الادب وبين في الاية ان كل ما يصيب الانسان من سيئة حتى الكفر الذي هو ابلغ القبائح فان ذلك بتخليق الله ثم والوجه فيه ان يقال الكلام استفهام على سبيل الانكار والمقصود ان شيأ من السيئات ليست مضافة الى الانسان بل كلها بقضائه وتقديره ويؤيده ما يروى انه قرئ فمن نفسك بصيغة الاستفهام ومما يدل على انه ظاهر على ان المراد من هذه الاية اسناد جميع الامور الى الله تعالى قوله بعد ذلك وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا اى ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلته وما قصرت وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا على جدك وعدم تقصيرك في اداء الرسالة وتبليغ الوحي فاما حصول الهداية فليس اليك بل الى الله قال علماء المعاني قوله رسولا حال من الكاف اى حال كونك ذا رسالة او للناس صفة رسولا لا متعلق بارسلناك والا لزم ان يقال الى الناس واصل الكلام وارسلناك رسولا للناس فلا بد للتقدم من خاصية هو التخصيص اعني ثبوت الحكم للمتقدم ونفيه عن ما يقابله حقيقة او عرفا لا ادعاء مطلقا وبعد تقديم قيد المفعول فاللام في قوله للناس اما ان يكون للعهد الخارجي او للجنس او للاستغراق والاول باطل لان المعهود الخارجي حصة معينة من الافراد فيلزم اختصاص رسالته ببعض الانس لوقوع بعض الناس في مقابلة كلهم عرفا فيكون مناقضا لما في الايات الاخر كقوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وقوله بعثت الى الخلق كافة والثاني وهو حمل اللام على تعريف الجنس ايضا باطل لانه يلزم اختصاص رسالته بالانس دون الجن لان ثبوت الحكم لحقيقة الانس بواسطة التقديم ينفي الحكم عما يقابلها عرفا وهو حقيقة الجن او ينفي الحكم عما عداها من الحقائق فيشمل حقيقة الجن ضرورة وعلى التقديرين يلزم الخلف لانه عليه السلام مبعوث الى الثقلين لقوله تعالى وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ الاية فتعين حمل اللام على الاستغراق ليثبت الحكم لكل فرد من افراد الانسان ويحصل موجبه كلية وينفي نقيض هذا الحكم وهو ما كان يزعمه الضالة من اليهود والنصارى هي انه ليس مبعوثا الى بعض الناس كالعجم وانه رسول العرب خاصة وعلى هذا يكون الجن مسكوتا عنهم بالنسبة الى هذه الاية فلا دلالة لها على كونه مبعوثا الى الثقلين لا يكون منافية لدلالة هذه الاية لان التقديم قد استوفى حظه من الخاصة من غير تعرض الى الجن ثم لما بين انه لكل فرد من افراد الناس رسول اوجب طاعته بقوله مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ لان الطاعة للرسول لكونه رسولا فيما امر به رسولا لا يكون الا طاعة لله قال مقاتل في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الرجل الشرك هو ينهى ان يعبد غير الله ويريد ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله هذه الاية وهي من اقوى الدلائل على انه معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي تبليغه وفي افعاله والا لم يكن طاعته فيما اخطأ طاعة لله وَمَن تَوَلَّىٰ قيل هو المتولي بالقلب اى حملك يا محمد على الظواهر واما البواطن فلا تتعرض لها وقيل هو التولي بالظاهر ومعناه فلا ينبغي ان تغتم بسبب ذلك التولي فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا تحفظ الناس عن المعاصي فان من اضله الله لم يقدر احد على ارشاده والمعنى فما ارسلناك لتشتغل بزجرهم عن ذلك التولي كقوله لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ثم نسخ باية الجهاد ثم حكى سيرة المنافقين بقوله وَيَقُولُونَ اى حين ما امرهم تقول لهم طَاعَةٌ اى امرنا وشأننا طاعة والنصب في مثل هذا جائز بمعنى اطعناك طاعة ولكن الرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ اى دبرت خلاف ما امرت به او ما ضمنت من الطاعة قال الزجاج كل امر تفكروا فيه كثيرا وتاملوا في مصالحه ومفاسده كثيرا قيل هذا امر مبيت وفي اشتقاقه وجهان الاول ان اصلح الاوقات للفكر ان يجلس في بيته في الليل فهناك يكون الخاطر اصفى والشواغل اقل فلاجرم سمي الفكر المستقصى تبييتا الثاني قال الاخفش اذا ارادوا العرب قرض الشعر بالغوا في التفكر فيه فسمي الفكر البليغ تبييتا فاشتقاقه من بيات الشعر ثم انه تعالى خص طائفة من المنافقين بالتبييت وفي ذكر وافي التخصيص وجهين احدهما انه ذكر من علم انه يبقى على كفره ونفاقه فاما من علم انه يرجع عن ذلك فلم يذكرهم وثانيهما ان هذه الطائفة كانوا قد سهروا الليل في التبييت وغيرهم سمعوا وسكتوا لم يبيتوا فلاجرم لم يذكروا قلت وجه ثالث وهو ان هذا النوع من الكلام اجلب للقلوب وادخل في قلع الانكار وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على اسرارهم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ان شاء فان الله يكفيك شرهم اذا قوي امر الاسلام وعز بانصاره قال بعضهم الامر بالاعراض منسوخ باية الجهاد والاكثرون على ان الصفح مطلق فلا حاجة الى التزام النسخ والله تعالى اعلم التأويل خُذُوا حِذْرَكُمْ وهو ذكر الله فَانفِرُوا ثُبَاتٍ جاهدوا بالرياضات من عالم النفس وهو عالم الحيوانية أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا من عالم الجسمية وهو عالم الروحانية الى عالم الوحدة وَإِنَّ مِنكُمْ ايها الصديقون لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ من المدعين المتكاسلين في السير المتقاعدين بالاسم الناظرين على الرسم مصيبة شدة ومجاهدة فضل من الله مواهب غيبية وعلوم لدنية ومرتبة عند الخواص وقبول عند العوام يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يشترون حظوظ النفس بحقوق الرب فيقتل نفسه بسيف الصدق او يغلب عليها بالظفر فليسلم على مدد والمستضعفين من الرجال اى الارواح الضعيفة استضعفها النفوس باستيلائها عليها والنساء اى القلوب لان القلب للروح كالزوجة للزوج لتصرفها الروح في القلب كتصرف الزوج في الزوجة والولدان الصفات الحميدة والمتولدة بين الروح والقلب هذه القرية فريتها البدن الظالم اهلها وهو النفس الامارة بالسوء نصيرا شيخا مربيا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ من اهل السلامة كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عن الاعتصام بحبل اهل الملامة وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فانكم لستم اهل العزائم فانغمسوا بدار السلام والسلامة لارباب العزائم من اهل الملام إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ويخافون لومة الناس لو كان من شرطهم ان لا يخافوا لومة لائم ولا يبالوا بلومة لائم فيفوا عن مقامهم كالبهائم وضلوا عن طريقهم كالبهائم لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فيموت بالاجال فان لنا كل الحظ موته في ترك حظه فيا ايها الطالب في دعوى الطلب الذين غلب عليكم حب الدنيا فاشغلكم عن طلب المولى أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ اضطرارا ان لم تموتوا قبل ان تموتوا اختيارا وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ اجسام قوية حصينة وان تصبهم يعني لاهل البطالة من فتوحات غيبية يقولوا هذه من عند الله الاية

المستقصي بالقوافي

للشيخ

للتبيّن فيما عليهم حفا ولن نصيبهم سيئة من الجدب والهزيمة يقولوا للنبي هذه من عندك اي بسببك وسعيك قل كل من عند الله القبض والبسط والفرج والترح من ابوا ما بلت
ما اصابك من نسيح فمومهيبة من الله تفضلاً وكرماً وما اصابك من سيئة بلاء وعناء فمن شوم صفات نفسك الامارة والتطبيق بين للاعماد
او يجمع بين التعليم والخلق وهما من الله ثم والكسبية الفعل وهما من العبد ان كان العبد وكسبه بفعله كلها مخلوقة خلقها الله ثم فافهم وارسلناك
للناس رسولا يهتدون بهداك ويتبعون خطاك ويقولون اذا كانوا حاضرين في صحبتك ينعكس اشعة انوار النبوة عليهم ويصغون باذانهم
الواعية الى الحكم والمواعظ الوافية السمع والطاعة فاذا برزوا من عندك لتدهب عليهم رياح الهوى عاد الطبع المشؤم الى اصله وهكذا حال
اكثرهم في هذا الزمان الى مشايخهم والله يكتب اي يغير عليهم ما يبيتون لان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فاعرض عنهم واصبر معهم
وتوكل على الله فلعل

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا

الله يصلح بالهم ... آیا پس تدبر نمیکنند قرآنرا و اگر میبود از نزد غیر خدا هرآینه یافتندی در آن اختلاف بسیار

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ

و اگر آمد ایشانرا فرمانی از آسودگی یا ترس افشا کردند آنرا و اگر برگردانندی بسوی پیغمبر و بسوی صاحبان فرمان از ایشان

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا

هرآینه میدانستند آنرا آنها که میشنوند آنرا از ایشان و اگر نبود زیادتی خدا بر شما و مهربانیش هرآینه متابعت کردید شیطانرا مگر کمی

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ

پس جهاد کن در راه خدا مؤاخذه نمیشوی مگر بفعل نفس خود و میل ده گروندگانرا امید است که خدا نگاه دارد آسیب آنها را که کافر شدند

وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ۝ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ يَشْفَعْ

و خدا سخت تر است بجنگش و سخت تر است بعقوبت او هر که واسطه شود واسطه نیکوئی میباشد مر او را بهره از آن و هر که واسطه شود

شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۝ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا

واسطه بدی میباشد مر او را عقوبتی از آن و میباشد خدا بر هر چیزی توانا و چون دعا گفته شد بشما بدعائی پس دعا گوئید

بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

بهتر از آن یا همانرا برگردانید بدرستیکه خدا بر هر چیزی نگاهبان است الله خدائی که نیست خدائی بجز او هرآینه گرد آوریم شما را تا روز

الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا

قیامت که شکی نیست در آن و کیست راستگوتر از خدا بسخن پس چیست شما را در منافقان که دو گروه شده‌اید و خدا نگونسار کردشان بانچه

كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا

کسب کردند آیا میخواهید که هدایت کنید آنرا که گمراه کرد خدا و هر کرا گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی دوست دارند کفر شما را چنانچه

كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ

کافر شدند پس بوده باشید یکسان پس فرا مگیرید از آنها دوستان تا دوری جویند از وطن در راه خدا پس اگر برگشتند پس بگیرید شان و بکشید شان

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

هر جا که یافتید آنها را و فرا مگیرید از آنها دوستی و نه یاوری مگر آنها که پیوند گیرند بسوی گروهی که در میان شما و میان ایشان

مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ

پیوندی یا که آمدند شما را تنگ شد سینهای ایشان که کارزار کنند با شما یا کارزار کنند قوم خود را و اگر میخواستی خدا هرآینه مسلط کردی آنها را بر شما

فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝

پس هرآینه کارزار کردندی با شما پس اگر کناره گیرند شما را پس کارزار نکنند شما را و افکنند بسوی شما اختیار را پس قرار نداده است خدا از برای شما بر ایشان راهی

سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِنْ

زود است که بیابید دیگرانرا که میخواهند که آسوده سازند شما را و آسوده گردانند قوم خود را هر چند برگردیده شدند در فتنه نگونسار شدند در آن پس اگر

لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ

کناره نگرفتند شما را و نیفکندند بسوی شما اختیار را و باز نداشتند دستهای خود را پس بگیرید شان و بکشید شان هر جا که یافتید آنها را و آنگروه

جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝ القراءة ومن اصدق وكل ساكن بعدها دال باشمام الزاي علي يعقوب وحمزة غير العجلي

قرار دادیم از برای شما بر آنها قوتی هویدا

حصرت صدورهم وبابه ادغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وقرا سهل ويعقوب المفضل
حصرة صدورهم بالنصب والتنوين الوقوف القرآن لتناهي الاستفهام الى الشرط كثيرا اذاعوا به منهم قليلا في سبيل الله لان قوله لا يكلف يحتمل

التبيان والحال اى قاتل غير مكلف الا نفسك ولعطف قوله حرض على قوله فقاتل المؤمنين لان عسى مستانف لفظا ومتصل معنى لانه ان خبر يجيء
ما امر به كفرته ان يحذو تصيب فيهما الابتداء شرط اخر مع واو العطف فكفل منها معناه نصف الجزء وهذا حسبنا الا هو ولا ربيبة جدتنا بما كسبوا من اضل الله
للتناهي الاستفهام الى الشرط سبيلا في سبيل الله وجدتموهم تصيبكم او يقاتلوكم فلما لكم السلم لان ما بعده جواب فان سبيلا قوم ثم اركسوا فيها نفقتموهم
مبينا التفسير لما حكى عن المنافقين ما حكى وكان السبب فيه اعتقادهم انه غير محق في ادعاء الرسالة امرهم بالتفكر والتدبر وهو النظر في عواقب الامور
وادبارها ومنه قول لو انى استقبلت من امرى ما استدبرت اى لو عرفت في صدره ما عرفت
من عاقبته وظاهر الاية يدل على انه احتج بالقرآن على صحة نبوة محمد والا انقطع النظم ودلالة القرآن على صدق النبي من ثلاثة اوجه الفصاحة والاشتمال
على الغيوب والسلامة من الاختلاف وهو المقصود من الاية واختلف المفسرون في المراد من سلامته من الاختلاف فقال ابو بكر الاصم معناه ان المنافقين
كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من المكائد والرسول كان يخبرهم عنها حالا فحالا فيقال لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لم يطرد صدقه ولظهر نوع
الاختلاف والتفاوت وقال اكثر المتكلمين المراد تجاوب معانيه وتلاؤم مقاصده مع انه مشتمل على علوم كثيرة وفنون غزيرة ولو كان من عند غير الله لم يخل
من تناقض واضطراب الذي يظن به التناقض كقوله لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان مع قوله لنسئلنهم اجمعين وكقوله فاذا هي ثعبان مبين مع قوله كانها جان
ليس بذلك عند التدبر وملاحظة شرط التناقض من اتحاد الزمان والمكان وغيرهما وقال ابو مسلم المراد صحة نظمه وكونه كله بالغا كل جزء من اجزائه وابعاضه بالغا
حد الاعجاز ومن المعلوم ان الانسان وان كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة اذا كتب كتابا طويلا مشتملا على المعاني الكثيرة فلا بد ان يظهر التفاوت في كلامه بحيث
يكون بعضه قويا متينا وبعضه سخيفا نازلا ولما لم يكن القرآن كذلك علمناه انه معجز من عند الله تعالى وفي الاية دلالة على وجوب النظر والاستدلال اذ عاب على التدبر فيها ابطال
وقول الجبائي فيها دلالة على ان افعال العباد غير مخلوقة لله لان فعل العبد لا ينفك عن التفاوت والاختلاف والجواب انه لا يلزم من كون كلام غير متفاوت ولا مختلف
ان لا يكون افعاله مختلفة بحسب اختلاف المظاهر والقوابل سلمنا لكن اختلافه وهو كونه غير مطابق للاغراض والمقاصد الانسانية قد يكون بحسب نظر الانسان
نفسه ثم حكى عن المنافقين وقيل عن ضعفة المسلمين انه اذا جاءهم الخبر بامر من الامور سواء كان ذلك الامر من باب الامن او من باب الخوف اذاعوه وافشوه يقال اذاع السر
واذاع به لغتان ويجوز ان يكون معنى اذاع به فعل به الاذاعة وهو ابلغ ولا يخفى ما في ذلك الافشاء من الضرر من جهة ان الارجاف لا ينفك عن الكذب ومن جهة ان تلك
الرواية ان كانت في جانب الامن ولم يقع او رأت شبهة تستضعف المسلمين في صدق الرسول لان المنافقين كانوا يروونها من الرسول وان كانت في جانب الخوف حصل اضطراب
في الضعفة ووقعوا في الحيرة وابقى البحث عن الارجاف موجبا لظهور الاسرار وذلك لا يوافق مصلحة المدينة فقد يصل الخبر الى الكفار فيستعدوا للقتال او يتحصنوا
وفي معنى الاية اقوال الاول ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله والى اولى الامر وهم كبار الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر
اول ما تحفر فاستعير لاستخراج المعاني والتدبير الثاني كانوا يقفون من رسول الله واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف
واستشعار فيذيعونه فتنعود اذاعتهم مفسدة فقيل لهم لو فوضوه الى الرسول والى اولى الامر وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف
يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه الثالث كانوا يسمعون من افواه بعض المنافقين شيئا من خبر السرايا غير معلوم الصحة فيذيعونه فقيل لهم لو سكتوا حتى
سمعوه من الرسول واولى الامر لعلموا صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع فالمستنبطون هم المذيعون ومعنى يستنبطونه منهم يتلقونه من الرسول واولى الامر
ويستخرجون علمه من جهتهم قالت العلماء في الاية دلالة على ان القياس حجة لانهم امروا ان يرجعوا في معرفة الوقائع الى اولى الامر من المستنبطين فدل انه لو
لا يكون استنباطا فهو اذن ردوا واقعة الى نظيرها وهو القياس واعترض بانا لا نسلم ان المستنبطين هم العلماء واولوا الاراء بل هم المذيعون كما في القول الثالث
سلمنا لكن الاية نزلت في الحروب ولا يلزم من جواز الاستنباط في الوقائع المتعلقة بها جواز الاستنباط في الوقائع الشرعية فان قسم احد البابين على الاخر
كان اثباتا للقياس الشرعي بالقياس الشرعي سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون المراد استخراج الاحكام الشرعية من النصوص الخفية ومن تركيبات النصوص
او بالبراءة الاصلية او بحكم العقل كما يقول الاكثرون ان الاصل في المنافع الاباحة وفي المضار الحرمة وكل هذه الامور ليس من القياس الشرعي في شيء سلمنا ان القياس
الشرعي داخل في الاية لكن بشرط كونه مفيدا للعلم بدليل قوله لعلمه الذين يستنبطونه ولا نزاع في مثله انما النزاع في ان القياس المفيد للظن هل هو حجة
ام لا واجيب بان صرف المستنبطين الى المذيعين ليس القوي اذ لو كان المراد ذلك لكان الاليق بنظم الكلام ان يقال ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر لعلموه
من غير اقامة المظهر مقام المضمر وعن الثاني بان الامن والخوف عام في كل ما يتعلق بباب التكليف ولئن سلم انه مخصوص بامور الحروب فاعرف احكام الحروب بالقياس
الشرعي لزم جواز التمسك به في سائر الوقائع اذ لا قائل بالفرق الا ترى ان من قال القياس حجة في باب البيع لا في باب النكاح لم يلتفت اليه وعن الثالث ان شيئا
من تلك لا يسمى استنباطا وعن الرابع ان العلم قد يراد به الظن الغالب سلمنا لكن القياس الشرعي عندنا يفيد العلم لانه مهما غلب على الظن ان حكم الله
في الاصل معلل بكذا ثم غلب على الظن ان ذلك المعنى قائم في الفرع حصل ظن ان حكم الله في الفرع مساو لحكمه في الاصل وعند هذا الظن يقطع بانه مكلف
بان يعمل على وفق هذا الظن وهذا معنى قولهم الظن واقع في طريق الحكم والحكم مقطوع به كانه تعالى قال لهم مهما غلب ظنك كذا في الواقعة الفلانية فاعلم قطعا ان
حكمي فيها كذا اما قوله لاتبعتم الشيطان الا قليلا فظاهره يقتضي اشكالا وهو ان قليلا من الناس لا يحتاج في عدم اتباع الشيطان الى فضل الله ورحمته
لكن الاحتياج بالنسبة الى كل واحد من الناس ثابت بالاتفاق فهذا تناقض ذكر المفسرون في ازالة التناقض وجوها الاول ان الاستثناء راجع الى قوله

اذا قوله

اذاعوا به كما انهم كما احوج بعض المنافقين من هذه الاذاعة كما خرجهم في قوله بيت طائفة الثاني انه عائد الى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا
قال الفراء والمبرد القول الاول اولى لان ما يعلم بالاستنباط فالاقل يعلمه والاكثر يجهله وصرف الاستثناء الى ما ذكروه يقتضي ضد ذلك قال الزجاج
هذا غلط لانه لا يراد بهذا الاستنباط ما يستخرج بنظر دقيق وفكر غامض انما هو استنباط خبر واذا كان كذلك فالاكثر يعرفونه الا البالغ في البلادة
والا ... ان الاستنباط لو حمل على مجرد تعرف الاخبار والاراجيف فكلام الزجاج الصحيح وان كان محمولا على استخراج الاحكام الشرعية كان فالحق ما
ذكره الفراء والمبرد الثالث ان الاستثناء مصروف الى ما يليه كما هو حق النحو لان المتصل والوجه مفصلات بشرح ما في صفة وجهان احدهما قول جماعة
من المفسرين ان المراد بفضل الله القرآن وبرحمته محمد والتقدير لولا بعثة محمد وانزال القرآن لاتبعتم الشيطان وكفرتم بالله الا القليل منكم فان ذلك القليل بتقدير عدم
بعثة محمد ما كان يكفر بالله وهم مثل قس بن ساعدة وورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل كانوا مؤمنين بالله قبل بعثة محمد وثانيهما قول ابي مسلم ان المراد بالفضل
والرحمة ههنا نصرته ومعونته اللذان تمناهما المنافقون بقولهم فافوز فوزا عظيما والتقدير لولا حصول النصر والظفر على سبيل التتابع لاتبعتم الشيطان
الا القليل منكم وهم اهل البصائر والعزائم من افاضل المؤمنين الذين يعلمون انه ليس من شرط كونه حقا حصول الدولة في الدنيا فلاجل تواتر الفتح والظفر يدل على كونه
حقا بل لاجل ... ولا انقطاع النصر والغلبة يدل على كونه باطلا بل الامر في كونه حقا وباطلا مبني على الدليل وهذا احسن الوجوه قوله فقاتل قيل انه جواب لقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل ... ثم قال ان اردت الفوز فقاتل وقيل انه متصل بقوله ... ذكر من قصص المنافقين كذا وكذا فلا تعتد بهم ولا تلتفت اليهم بل قاتل في
لا تؤاخذ الا بفعلك فاذا اديت فرضك لم تكلف فرض غيرك ويعلم من قوله وحرض المؤمنين ان الواجب على الرسول انما هو الجهاد وتحريض الناس على الجهاد فيجب
والاجماع عليه فاذا اتى بالامرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا شيء واعلام الجهاد في حق غير الرسول من فروض الكفايات ... غلب
على الظن انه مفيد لم يجب بخلاف رسول الله فانه على ثقة من النصر والظفر بدليل قوله والله يعصمك من الناس وبدليل قوله ههنا عسى الله ان يكف باس الذين
كفروا وعسى من الله جزم لان الرجاء عليه محال وهو اطماع واطماع الكريم ايجاب فلزم الجهاد وان كان وحده فلا جرم انه قال في بدر الصغرى لاخرجن ولو وحدي فخرج ومعه
سبعون راكبا ولو لم يتبعه احد لخرج وحده ثم انه تعالى كف باس المشركين والقى الرعب في قلوب ابي سفيان واصحابه حتى ندموا وتركوا الحرب في تلك السنة وفي الاية
دليل على انه كان اشجع الخلق لانه تعالى لم يامره بالقتال وحده الا انه كذلك وقيل اقتدى به ابو بكر حيث حاول الخروج وحده الى قتال مانعي الزكوة ومن عرف ان الامر
كله بيد الله وانه لا يحدث شيء الا بقضاء الله سهل عليه الفوت وكان معرضا عن نصيبه الموت والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا لان عذاب الله
دائم وعذاب غيره غير دائم وعذاب غير الله يخلص الله عنه وعذاب الله لا يقدر احد على التخلص منه وعذاب غير الله يكون من وجه واحد وعذاب الله يصل الى جميع
الابعاض والاجزاء وبسبب الروح والجسم ... والله اعلم بكنه عذابه ونعوذ بالله من عذابه قوله سبحانه من يشفع شفاعة حسنة وجه النظم
من تفسيره وذلك انه قيل المراد منه تحريض النبي اياهم على الجهاد لانه اذا كان يامرهم بالغزو فقد جعل نفسه شفعا لهم في تحصيل الاغراض المتعلقة بالجهاد
وايضا التحريض هو الحث على سبيل الرفق والتلطف ... يجري مجرى الشفاعة وقيل كان بعض المنافقين يشفع لمنافق اخر في ان ياذن له الرسول
في التخلف عن الجهاد وكان بعض المؤمنين يشفع لمؤمن اخر عند مؤمن ثالث ان يحصل له علة الجهاد فنزلت ونقل الواحدي عن ابن عباس ان الشفاعة الحسنة
ههنا ان يشفع ايمانه بالله بقتال الكفار والشفاعة السيئة ان يشفع كفره بالله بمحبة الكفار وترك ايذائهم وقال مقاتل الشفاعة الى الله انما هي دعوة
الله المسلم لما روي عن النبي من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وقال الحسن
ومجاهد والكلبي وابن زيد هي مطلق الشفاعة والحسنة منها هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر وجلب اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة
وكانت في امر جائز لا في حد من حدود الله ولا في ابطال حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعلى هذا توجيه النظم ان التحريض على الجهاد بعث على الفعل
الحسن وانه نوع شفاعة كما مر في القول الاول عن ... انه يشفع شفاعة فانه ... المستمع ... فيغضب ... وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في جانبك ولا اتكلم فيما بقي منها قال اهل اللغة الكفل ايضا النصيب ... فاجيب بان الكفل اسم للنصيب الذي يكون عليه عمدة الاشياء
ومنه يقال كفل البعير واكتفلته اذا ادرت حول سنامه كساء وركبت عليه والكفيل الضامن لان الغريم يعتمد عليه والمقصود من يشفع شفاعة سيئة يكون له منها نصيب يعتمد
عليه يكون له ذخيرة في معاشه ومعاده والغرض التهكم وحصول ضد ذلك مثل فبشرهم بعذاب اليم وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا وحفيظا واشتقاقه
من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها والغرض انه قادر على كل المقدورات حفيظ لجميع المعلومات فيجازي كل شافع بما يليق به ثم امر المؤمنين بالجهاد
امرهم ايضا بان الاعداء لو رضوا بالمسالمة فكونوا انتم ايضا في المسالمة بالسلام فقابلوهم بالاكرام وايضا السلام دعاء بالسلامة والدعاء نوع من الشفاعة والتحية تفعلة
من الحيوة ويحيي الناس من باب التفعيل على تفعلة مثل تسلية وتعزية لكنه ادغم ههنا لاجتماع المثلين كانت العرب يقول عند الملاقاة حياك الله دعاء له
بالحيوة فابدل الله ذلك بالسلام ولعمري ان هذا احسن لان الحيوة ان لم تكن مقرونة بالسلامة لم يعتد بها بل الموت خير منها ولان السلام اسم من اسماء الله
فالابتداء به اولى ولان دفع الضرر اهم من جلب النفع وقد سلم الله على المؤمنين في اثنا عشر موضعا الا ذلك لهذا سمى نفسه بالسلم وعلى لسان نوح يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك والمراد منه ... على لسان جبريل تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر سلام ... قال
المفسرون انه خاف على امته ان يصيبوا مثل امة موسى وعيسى فقال الله تعالى لا تهتم بذلك فاني وان اخرجتك من الدنيا الا اني جعلت جبريل خليفة لك ينزل الى
امتك كل ليلة قدر ويبلغهم السلام مني وسلم على لسان موسى والسلام على من اتبع الهدى وسلم على لسان عيسى ... وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

واستشهد بالسلم عليك واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم امر المؤمنين بالسلام عليك واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وسلم عليك على
لسان ملك الموت الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم قيل ان ملك الموت يسلم في اذن المسلم السلام يقرئك السلم ويقول اجبني فاني مشتاق
اليك واشتاقت الجنان والحور العين اليك فاذا سمع المؤمن البشارة يقول لملك الموت لا بد من هدية من يعبر عن وجهي فيقول وجهي هدية لك وسلم عليك من الارواح
الطاهرة واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وسلم عليك على لسان خزنة الجنة وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وسلم عليك على لسان الملائكة في الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وسلم عليك على لسان اهل الجنة تحيتهم يوم يلقونه سلام
وسلم عليك الى الابد سلام قولا من رب رحيم ولما اراد اكرام يحيى وعده بالسلامة في مواطن ثلاث هي اشد الاوقات حاجة الى السلامة فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا ولما ذكر تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعن عبد الله بن سلام قال
لما سمعت بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت في غمار الناس فاول ما سمعت منه يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام
تدخلوا الجنة بسلام وكانت تحية النصارى وضع اليد على الفم وتحية اليهود الاشارة بالاصابع وتحية المجوس الانحناء وتحية الجاهلية حياك الله وتحية
الملوك انعم صباحا فشتان ما بين تحياتهم وتحيتنا السلام عليك ورحمة الله وبركاته وفي هذا دليل على ان هذا الدين اشرف الاديان واكملها ومما يدل على فضيلة
السلام عقلا ان الوعد بالنفع قد يقدر الانسان على الوفاء به وقد لا يقدر واما الوعد بترك الضرر فانه يقدر عليه لا محالة والسلام يدل عليه فهو افضل انواع الخير
قال بعض العلماء من دخل بيتا يجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم وقال عليه السلام افشوا السلم والامر للوجوب ولان السلم بشارة
بالسلامة وازالة الضرر وهو واجب لقوله عليه السلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولانه من شعائر الاسلام واظهار شعائر الاسلام واجب وعن ابن عباس والنخعي و
اكثر العلماء ان السلام سنة واما الجواب فواجب بالاجماع لان ترك الجواب اهانة والاهانة ضرر والضرر حرام ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
وظاهر الامر الوجوب وعن ابن عباس ما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة قال العلماء الا
ان يزيد في جواب السلم الرحمة وان ذكر في الابتداء السلام والرحمة زاد في جوابه البركة وان ذكر المجموع اعاده فقط فان منتهى الامر في السلام ان يقال السلم عليكم
ورحمة الله وبركاته لان هذا القدر هو الوارد في التشهد وذكر ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وجاء ثالث فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال
ان الله يقول فحيوا باحسن منها فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله فقوله تعالى او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام كره ورجع اما الشارة
هذه السورة واما التخيير بين الزيادة وتركها ورد الجواب فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقين والاولى ان يقوم به الكل اكثارا للاكرام
والاحسان ولا يدخل حرف العطف فقال عليكم السلام وهو واجب على الفور ويفوت ما يعهد بين الايجاب والقبول في العقود فان تاخر عن ذلك كان ابتداء سلام
لا جوابا واذا ورد عليه سلام في كتاب فجوابه بالكتابة ايضا واجب لقوله واذا حييتم بتحية فحيوا ومن قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل قال العلماء
المبتدي يقول السلم عليكم والمجيب يقول وعليكم السلام ليقع الابتداء والاختتام بذكر الله فان خالف المبتدي فليكن الاختتام بحاله ويجوز سلم عليكم بل قالوا
انه اولى من المعرف لان المنكر في القرآن اكثر وان المنكرات وردت من الله والملائكة والمؤمنين والمعرفات وردت في تسليم الانسان على نفسه قال موسى والسلام
على من اتبع الهدى وقال عيسى والسلام علي يوم ولدت وايضا المعرف يدل على اصل الماهية والمنكر على الماهية مع وصف الكمال ومن السنة ان يسلم الراكب
لزيادة هيبته على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر اخترها الجماعة والقائم لانه الواصل على القاعد ولان القائم اهيب
ومن السنة الجهر بالسلام لانه ادعى في ادخال السرور في القلب ومنها الابتداء به لاظهار التواضع ومنها الافشاء والتعميم لان التخصيص يجانس المنافرة وعنه عليه السلام
عند مالك فان اذا تصافح المسلمان تحاتت ذنوبهما كما تتحات ورق الشجر ومن سنته دخل واحد فليقل سلام عليكم وليقصد الرجل والملكين لانه اذا سلم
عليهما وسلما عليه ومن سلم الملك عليه فقد سلم من عذاب الله ومن دخل بيتا خاليا فليسلم ويكون كانه سلم من الله على نفسه وسلم على من فيه من مؤمني الجن والمل
السلام ببركة اسم السلام من البعد من الشياطين والموذيات وليقل السلم علينا وعلى عباد الله الصالحين كان حسنا ومن السنة ان يكون المبتدي بالسلام
على الطهارة وكذا المجيب وعن ان واحدا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قضاء الحاجة فقام وتيمم ثم رد الجواب اذا دخل الجمعة والامام يخطب فلا ينبغي ان يسلم لا
شتغال الناس بالاستماع فان سلم ورد بعضهم فلا باس ولو اقتصر على الاشارة كان احسن ومن دخل الحمام فرأى الناس متزرين سلم عليهم فان لم يكونوا
متزرين لم يسلم عليهم والاولى ترك السلم على القاري كيلا يقطع عليه القراءة باشتغاله بالجواب كذا القول فيمن كان مشتغلا برواية الحديث ومذاكرة
العلم وبالاذان والاقامة ولا يسلم على المشغول بالاكل هكذا اطلقوا وحمله بعضهم على ما اذا كانت اللقمة في فيه ولا يسلم على قاضي الحاجة قال ابو يوسف
ولا على لاعب النرد ولا على المغني ومطير الحمام وكل من كان مشتغلا بنوع معصية ولا منع من السلام على من هو في مساومة ومعاملة واذا دخل الرجل
بيته سلم على امرأته فان حضرت اجنبية هناك لم يسلم عليها واذا سلمت الاجنبية عليه كان يجاف في رد الجواب عليها تهمة او فتنة لم يجبها بل الاولى ان لا يفعل
وحيث قلنا لا يسلم فلو سلم لم يجب عليهم الرد لانه اتى بفعل منهي عنه وكان وجوده كعدمه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تبتدؤا اليهودي بالسلام وعن ابي حنيفة انه
قال لا تبتدئه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس في الدعاء له بما يصلحه
في دنياه ورخص بعض العلماء في ابتداء السلام عليهم اذا دعت الى ذلك حاجة اما اذا سلموا علينا فقال اكثر العلماء ينبغي ان يقول وعليك لما روي

ان اليهود يقولون للمسلمين السام عليكم. وعن الحسن يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام ولا يقل ورحمة الله فانها استغفار. وعن الشعبي انه قال
لنصراني سلم عليه السلام عليك ورحمة الله فقيل له في ذلك فقال اليس في رحمة الله يعيش. واعلم ان من مذهب ابي حنيفة ان من وهب لغير ذي رحم محرم فله الرجوع فيها
ما لم يثب منها فان اثاب عنها فلا رجوع له فيها. وقال الشافعي له الرجوع في حق الولد وليس له الرجوع في حق الاجنبي. واحتج لابي حنيفة بالآية وذلك
ان التحية تشتمل جميع انواع الاكرام فتشتمل الهبة ومقتضاها وجوب الرد واذا لم يحصل فلا بد من الاحسن لا اقل من الجواز. وقال الشافعي هذا الامر محمول
على الندب ثم لو اثيب بما هو اقل منه سقط لكنه الرد بالاجماع مع ان ظاهر الآية يقتضي الاثابة بالاحسن. ثم احتج الشافعي على قوله بما روي عن ابن
عباس وابن عمر ان النبي ﷺ قال لا يحل للرجل ان يعطي عطية او يهب هبة فيرجع فيها الا الوالد فيما يعطي ولده. ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على
محافظة حقوق التحية وغيرها فكونوا على حذر من مخالفته. ثم اكد الوعيد بقوله الله لا اله الا هو ليجمعنكم فالاول توحيد والثاني عدل كأنه
يقول من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا اسلامه واكرموه وعاملوه معاملة بناء على الظاهر فان البواطن انما يعرفها الله الذي لا اله الا هو وانما
ينكشف بواطن الخلق للخلق في يوم القيامة الذي يجمع فيه الاولون والآخرون للجزاء والحساب. وقوله لا اله الا هو اما خبر المبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم
الى يوم القيامة اي ليضمنكم اليه جامعين بينكم وبينه بان يبعثكم فيه. والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا استفهام على سبيل الانكار وذلك ان الصدق من صفات الكمال والكمال للواجب
اولى واحق واقدم واتم من غيره. والمعتزلة نفوا عنه الكذب بناء على انه قبيح ومن كذب انما يكذب لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو
غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على
حنكه من الصدق وكل هذه الامور من الحكيم تستحيل فيجب تنزيهه عنها. واعلم ان المسائل الاصولية قسمان منها ما العلم بصحة النبوة يحتاج الى العلم بصحتها كعلمنا
بافتقار العالم الى صانع عالم بكل المعلومات قادر على كل الممكنات فهذا القسم يمتنع اثباته بالقرآن والخبر والا وقع الدور ومنها غير ذلك كاثبات
الحشر والنشر فانه يمكن اثباته بالقرآن والحديث والله اعلم. ثم عاد الى حكاية احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين وهو منصوب على الحال والعامل
معنوي مثل ما لك قائما اي ما تصنع. وقيل نصب على انه خبر كان اي ما لكم كنتم في شأن المنافقين فئتين استفهام على سبيل الانكار اي لا تختلفوا في كفرهم
ولكن اقطعوا بنفاقهم فقد ظهرت دلائله وانكشفت جلية الحال. ذلك انها نزلت في قوم من العرب اتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فاسلموا واصابوا وباء
المدينة وحماها فقالوا يا رسول الله ﷺ نريد ان نخرج الى الصحراء فائذن لنا فيه فاذن لهم فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فتكلم المؤمنون فيهم فقال بعضهم هم مسلمون فبين الله نفاقهم. وقال مجاهد نزلت في قوم هاجروا ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا انا على دينك ما
اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا. وعن زيد بن ثابت هم الذين تخلفوا يوم احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم. وطعن بعضهم في هذا القول بان
نسق الكلام وهو قوله حتى يهاجروا في سبيل الله يأباه اذ الهجرة تكون من مكة لا من المدينة. وعن عكرمة هم قوم اخذوا اموال المشركين وانطلقوا بها الى
اليمامة. وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا مولى النبي ﷺ. وقال ابن زيد نزلت في اهل الافك. قال الحسن سماهم المنافقين لانهم اظهروا
الكفر ... التي كانوا عليها والله اركسهم الركس والاركاس رد الشيء مقلوبا ويقال للروث ركس لانه رد الى حالة خسيسة وهي حالة النجاسة
ويسمى رجيعا ايضا لذلك. والمراد ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار والسبي والقتل بما كسبوا اي بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على
النفاق ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا لان المخلوق لا يقدر على تبديل خلق الخالق وعلى خلاف مقتضى ارادته ومشيئته. وهذا ظاهر. والمفسرون
والمعتزلة يقولون قوله اركسهم بما كسبوا اي بسبب كسبهم وتعاطيهم ينفي القول بان ضلالهم حصل بخلق الله فالمراد من اضلال الله حكمه بضلالهم
كما يقال فلان يكفر فلانا اي ينسبه الى الكفر ويحكم عليه بذلك او المراد اضلالهم عن طريق الجنة وهو منع الالطاف. ثم ذكر انهم بالغوا في الكفر
الى ان تمنوا ان يصيروا كفارا فكيف تطمعون في ايمانهم وهو قوله ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء اي في الكفر والمراد فتكونون انتم وهم
سواء الا انه اكتفى بذكر المخاطبين عن ذكر غيرهم لتقدم ذكرهم. وقوله فتكونون عطف على تكفرون فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا اي حتى
يضموا الى ايمانهم المهاجرة الصحيحة المعتمدة وهي الهجرة في سبيل الله لا لغرض من الاغراض الفانية ومثله قوله ﷺ انا بريء من كل مسلم اقام بين اظهر المشركين
وانا بريء من كل مسلم مع مشرك. وكانت الهجرة واجبة الى ان فتحت مكة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة لا هجرة بعد ذلك ولكن جهاد
ونية. وعن الحسن ان حكم الآية ثابت في كل من اقام في دار الحرب فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام. وانما قال المحققون الهجرة في سبيل الله تشمل الانتقال
من دار الكفر الى دار الايمان والانتقال من اعمال الكفار الى اعمال المسلمين بل هذا اقدم واهم لقوله ﷺ المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا عن
الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة فحكمهم حكم سائر المشركين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم في هذه الحالة وليا يتولى
شيئا من مهماتكم ولا نصيرا ينصركم على اعدائكم بل جانبوهم مجانبة كلية. ثم لما امر بقتل هؤلاء الكفار استثنى عنه موضعين الاول الا الذين يصلون
اي ينتهون ويتصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم. قال القفال وقد
يدخل في الآية ان يقصد قوم حضرة الرسول ﷺ فيتعذر عليهم ذلك المطلوب فيلتجئوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد الى ان يجدوا السبيل اليه. والقوم
هم الاسلميون وذلك انه ﷺ وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من

والقاطع الله والله سيئاتهم

نافقوا وقال العقبة

الجوار مثل الذي بينك وبينه حلف قال ابن عباس هم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح وقيل هم خزاعة وخزيمة وههنا نكتة دقيقة انه تم دفع السيف عن المحالف
الكفار المصالحين فلان يدفع النار عن المحالف الى جنة الله وجنة رسوله كان اولى وعن ابي عبيدة المراد بالوصلة الانتساب يقال وصل الى فلان واتصل
به اذا انتهى اليه واعترض عليه بان اهل مكة اكثرهم كانوا متصلين بالرسول من جهة النسب مع انه كان قد اباح دم الكفار منهم الاستثناء الثاني قوله
او جاؤكم وفي العطف تحتمل احتمالان ان يكون معطوفا على صفة قوم والمعنى الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم جاؤكم ممسكين عن القتال
لا لكم ولا عليكم وثانيهما العطف على صلة الذين كانه قيل الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم ويؤيد الاول قوله فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم الى آخر الآية اذ يبين ان كفهم عن القتال سبب استحقاقهم لنفي التعرض لهم بالاستقلال لا بواسطة الاتصال ومعنى حصرت صدورهم ضاقت و
الحصر الضيق والانقباض وهو في موضع الحال باضمار قد بدليل قراءة من قرأ حصرة وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف منصوب على الحال اي جاؤكم
قوما حصرة وقيل هو بيان لجاؤكم وقوله ان يقاتلوكم اي عن ان يقاتلوكم ثم هؤلاء الجائون من الكفار او من المؤمنين قال الجمهور هم من الكفار بنو مدلج
جاؤا رسول الله غير مقاتلين وعلى هذا لوم النبي لان الكافر ان ترك القتال جاز قتله وقال ابو مسلم انه تعالى لما اوجب الهجرة على كل من اسلم استثنى من له
عذر وهما طائفتان احديهما الذين قصدوا الرسول للهجرة والنصرة الا انه كان في طريقهم كفار فكانوا يلجؤن ويقصدوا الى قوم بينهم وبين المسلمين عهد
واقاموا عندهم الى ان يمكنهم الخلاص والثانية من صار الى الرسول لا يقاتل الرسول ولا اصحابه لانه يخاف الله فيه ولا يقاتل الكفار ايضا لانهم
اقاربه او لانه بقي اولاده وازواجه بينهم فيخاف لو قاتلهم ان يقتلوا اولاده واصحابه فهذان الفريقان من المشركين لا يحل قتالهم وان كان لم يوجد
منهم الهجرة ومقاتلة الكفار وعلى هذا فمعنى قوله ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي لو شاء لقوى قلوبهم ليدفعوا عن انفسهم ان اقدمتم على مقاتلتهم
على سبيل الظلم وعلى الاول معناه عن ضيق صدورهم عن قتالكم لانه قذف الله الرعب في قلوبهم ولو قوى قلوبهم لتسلطوا عليكم ولقاتلوكم وهو جواب لو على التكرير
او البدل قال الكعبي انه تعالى اخبر انه لو شاء لفعل وهذا يبنى على القدرة على الظلم وهو صحيح عندنا ولا يدل على انه فعل الظلم واراد والنزاع فيه فان اعتزلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما
دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها اي ردوا مقلوبين منكوسين فيها وهذه استعارة لشدة اصرارهم على الكفر وعداوة المسلمين لان من وقع كذلك
منكوسا يتعذر خروجه فان لم يعتزلوكم ويلقوا اي لم يلقوا اليكم السلم ولم يكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم قال الاكثرون وفيه دليل على
انهم اذا اعتزلوا قتال الناس وطلبوا الصلح منا وكفوا ايديهم عن ايذائنا لم يجز لنا قتالهم ولا قتلهم وهذا مبني على ان المعلق بكلمة ان على الشرط يعدم عند عدم
الشرط اما قوله سلطانا مبينا فمعناه حجة واضحة لانكشاف حالهم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ ع
في الكفر والغدر وتسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم
و سزاوار نيست مر مومن را كه بكشد مومنی را مگر از روی خطا و هر كه بكشد مومنی را از روی خطا
﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾
پس بر وی است آزاد كردن بنده مومن و خونبهای آن بسپرده بسوی كسان او مگر آنكه ببخشند پس اگر كشته باشد از گروهی كه در میان شما و میان ایشان پیمانی
﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ﴾
پس خونبهای سپرده بسوی كسان او و آزاد كردن بنده مومن پس هر كه نیابد پس روزه گرفتن دو ماه پی در پی از توبه است از جانب خدا و هست
﴿اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ﴾
خدا دانای ستوده و هر كه بكشد مومنی را عمدا پس پاداش او دوزخ است جاوید در آن و خشم گرفت خدا بر او و دور كرد او را و مهیا كرد
﴿لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ﴾
از برای او عذابی بزرگ ای گروه كسانی كه ایمان آورده اید چون قدم زنید در راه خدا پس تفحص كنید و مگوئید مر آنرا كه افكند بسوی شما
﴿السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾
تسلیم را كه نیستی تو مومن كه خواسته باشید خواسته زندگانی دنیا را پس در نزد خداست غنیمت بسیار همچنین بودید شما از پیش
﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ﴾
پس منت نهاد خدا بر شما پس تمیز كنید بدرستیكه خدا هست بآنچه میكنید باخبر یكسان نیستند نشستگان از مومنان غیر
﴿أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾
صاحبان ناخوشی و جهاد كنندگان در راه خدا بمالهاشان و نفسهاشان زیادتی داد خدا جهاد كنندگان را بمالهاشان و نفسهاشان
﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
بر نشستگان پایه و هر یك را وعده كرده است خدا نیكوئی و زیادتی داده است جهاد كنندگان را بر نشستگان مزدی بزرگ
﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي﴾ ع
پایه های بلند از او و آمرزش و مهربانی و هست خدا آمرزنده مهربان بدرستیكه آنهائیكه میرانند ایشانرا فرشتگان ستم كنندگان

أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
نفسهای خود را گویند که در چه حال بودید گویند که بودیم ما ناتوانان در زمین گویند فرشتگان که آیا نبود زمین خدا با وسعت پس سفر کنید
فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ
دران پس آن گروه جایگاه ایشان دوزخ است و بد جای بازگشتی است بجز ناتوانان از مردان و زنان و اطفال
لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
که راه نبرند حیله را و راه نبرند طریقی پس آن گروه امید است که خدا درگذرد از ایشان و هست خدا درگذرنده
غَفُورًا وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا
آمرزنده و هر که سفر کند در راه خدا می یابد در زمین رخصت بسیاری و فراخی و هر که بیرون رود از خانه اش سفر کننده
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ع ١٢
بسوی خدا و پیغمبرش پس دریابد او را مرگ پس بتحقیق که واجب شد مزدش بر خدا و هست خدا آمرزنده مهربان و چون قدم زنید
فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ
در زمین پس نیست بر شما باکی که کم گردانید از نماز اگر بترسید که بفتنه اندازند شما را آنهائی که کافر شدند بدرستی که
الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا القراءة فتثبتوا من التثبت وكذلك في الحجرات حمزة وعلي وخلف الباقون فتبينوا من التبين
کافران میباشند از برای شما دشمن هویدا هو كذا السلم مقصورا ابو جعفر ونافع وابن عامر وحمزة وخلف والمفضل وسهل الباقون بالالف
غير بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي وخلف الباقون غير بالرفع الذين توفيهم مشددة التاء البزي وابن فليح الرنوف الاخفا بصلة الابتداء وحكم خبرهو
لذلك مومنة مثابعين للاحمار كونه نوبه عصله الفعل محذوف والاوجه كونه مفعولا له من الله حكيما عظيما مومنا لان ما بعده يصلح حالا واستفهاما لا الدنيا
لانقطاع النظم مع انفصال الفاء كثيرة فتبينوا جبرة وانفسهم الاول رحمة لحسبه عظيما لان ما بعده بدل له رحمة رحيما فيم كنتم في الارض فتهاجروا فيها الثاني
الاستفهام بجواب جهنم مصيرا لاستثناء سبيلا عنهم عفورا وسعة على الله رحيما من الصلوة والاصح انه شرط تغليب حال المسافر كفروا مبينا التفسير لما
لم يكن بد في مجاهدة الكفار من انه قد يتفق ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما ذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة وامثالها في هذه
الآيات اما سبب النزول فقد روى عروة بن الزبير ان حذيفة بن اليمان قاتل مع رسول الله يوم احد فاخطأ المسلمون وظنوا ان اباه اليمان واحد من الكفار
فاخذوه وضربوه باسيافهم وحذيفة يقول انه ابي فلم يفهموا قوله الا بعد ان قتلوه فقال حذيفة يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فلما سمع الرسول ذلك ازداد وقع حذيفة
عنده ونزلت الآية وقيل نزلت في ابي الدرداء وذلك انه كان في سرية فعدل الى شعب لحاجة له فوجد رجلا في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا اله الا الله
فقتله وساق غنمه ثم وجد في نفسه شيئا فذكر الواقعة للرسول فقال هلا شققت عن قلبه فندم ابو الدرداء والذي عليه اكثر المفسرين ما ذكره الكلبي ان عياش
بن ابي ربيعة المخزومي اسلم وخاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله فقدمها ثم اتى اطما من اطامها فتحصن فيه فجزعت
امه جزعا شديدا واقسمت لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة وكان ابو جهل اخا عياش لامه
فاتياه وهو في الاطم فقال له ابو جهل ان امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وحلفت لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولم يزل يفتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب يقول له ليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبرامك وانت على دينك حتى نزل فذهب معهما فلما اخرجاه من المدينة وثقاه بنسعة وجلده كل
منهما مائة جلدة ثم قدما به على امه فقالت والله ما احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما عطاهم بعض الذي ارادوا فاتاه
الحارث بن زيد وقال يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى وان كان ضلالة فقد دخلت الان فيه فغضب عياش من مقالته وقال
له والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد هجرة رسول الله وهاجر الى المدينة واسلم الحارث
بعده وهاجر وليس عياش يومئذ حاضرا ولم يشعر باسلامه فبينا هو يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله فقال الناس اي شيء
صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله فقال كان من امري وامر الحارث ما علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت وما كان لمؤمن اي
ما صح له ولا استقام وما كان له فيما اتاه من ربه وعهد اليه وما كان له في شيء من الازمنة ذلك والغرض بيان ان حرمة القتل كانت ثابتة من
اول زمان التكليف الا خطأ الا لهذا العذر وبهذا السبب فيكون مفعولا له او لا في حال الخطأ او الا قتلا خطأ فالوجه انه ثم هو استثناء منقطع
المعنى لكن ان قتله خطأ فجزاؤه كذا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا فيبقى مؤمنا الا ان يقتله خطأ فيبقى مؤمنا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة فعليه عتاق رقبة اي
نسمة مؤمنة والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل والطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وعبر
عن النسمة بالرقبة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق ودية مسلمة الى اهله الدية من الودي كالشية من الوشي والاصل ودية
وهي عوض من النفس ودون سائر المتلفات وقد يستعمل في بدل الاطراف والاعضاء والمراد بالاهل الورثة الا ان يصدقوا اي يتصدقوا

بحث الجنايات

الثناء في العفاد والتصدق الاعطاء والمراد ههنا العفو ومحل النصب على الظرف او الحال اي العامل مسلما او عليه كل من قتل يجب عليه الدية او يسلمها الى ورثة
المقتول الا ان يصدقوا بين ههنا مسائل الاولى القتل على ثلثة اقسام عمد وخطا وشبه عمد اما العمد فهو ان يقصد قتله بالسبب الذي يعلم افضاؤه
الى الموت سواء كان ذلك جارحا او لم يكن واما الخطا فضربان احدهما ان يقصد رمي مشرك او طائر فاصاب مسلما والثاني ان يظنه مشركا بان كان عليه
شعار الكفار فالاول خطا في الفعل والثاني خطا في القصد واما شبه العمد فهو ان يضربه مثلا بعصا خفيفة لا يقتل غالبا فيموت منه فهذا خطا
في القتل وان كان عمدا في الضرب الثانية قال ابو حنيفة القتل بالمثقل ليس بعمد محض بل هو خطا او شبه عمد فيكون ذا اخلاف الائمة فيجب فيه الدية والكفارة
ولا يجب فيه القصاص وقال الشافعي انه عمد محض يجب فيه القصاص حجة الشافعي انه قتل عمد عدوان اما انه قتل فلقوله تعالى لموسى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم
يعني القبطي اذ وكزه موسى فقضى عليه واما انه عمد عدوان فظاهر فلان من ضرب راس الانسان بحجر الرحى وصلبه او غرقه او خنقه ثم قال ما قصدت قتله عد
ماجنا واذا ثبت انه قتل عمد عدوان فهو يوجب القصاص لقوله كتب عليكم القصاص في القتلى وان المقصود شرع القصاص صون الارواح عن الاهدار
والائمة في المثقل كهو في المحدد والعلم الضروري حاصل بان التفاوت في الة الاهدار غير معتبرة حجة ابي حنيفة قوله الا ان قتيل العمد الخطأ قتيل السوط والعصا
فيه مائة من الابل وهذا عام سواء كان السوط والعصا صغيرا او كبيرا واجيب بان العصا والسوط يجب حملهما على الخفيف ليتحقق معنى الخطأ فان من ضرب راس
انسان بقطعة جبل ثم قال ما كنت اقصد قتله لم يعتبر بقوله الثالثة قال ابو حنيفة القتل العمد لا يوجب الكفارة لانه شرط في الاية ان يكون القتل خطأ
وعند انتفاء الشرط لا يحصل المشروط وقال الشافعي يوجبها لما روي ان واثلة بن الاسقع قال اتينا رسول الله في صاحب لنا اوجب النار بالقتل
فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار ولانه نص الله تعالى على الكفارة في قتل الصيد عمدا في الحرم وفي الاحرام فاوجبها على الخاطئ
بالاتفاق وههنا نص على الخاطئ فان يوجب على العامد كان اولى لانه لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء عمدا لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار
لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار كما ان الميت ممنوع من التصرف مطلقا وتحقيق هذا المعنى اوجب ان يكون الرقبة
كاملة الرق وان يكون سليمة عن عيب مخل بالعمل كهرم وعمي وجنون الرابعة قال ابن عباس والحسن والشعبي والنخعي لا يجزي الرقبة الا اذا صام وصلى لانه تعالى اوجب
تحرير الرقبة المؤمنة والايمان اما التصديق واما العمل واما المجموع وعلى التقديرات فالكل فائت عن الصبي وقال الشافعي ومالك وابو حنيفة والاوزاعي
يجزي الصبي اذا كان احد ابويه مسلما لان حكمه حكم المؤمن الخامسة انه تعالى اوجب الدية في القران ولم يبين كميتها وانما عرفت من السنة عن عمرو بن حزم ان النبي
كتب الى اهل اليمن ان في النفس مائة من الابل وهذه المائة اذا كان القتل خطأ مخمسة عشرون منها بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون
جذعة وعشرون حقة وبه قال مالك لما روي عن ابن مسعود ان النبي قضى في دية الخطأ بمائة من الابل وفصلها كما ذكرنا وابدل ابو حنيفة واحمد ابناء اللبون
بابناء المخاض لان هذا الاقل متفق عليه والزائد منفي بالبراءة الاصلية وقد اعتبرها ابناء المخاض غير معتبرة في باب الزكوة فيجب ان لا يعتبر في الدية التي سببها
اقوى من السبب الموجب للزكوة واتفقوا على ان الدية في العمد المحض مغلظة ومن ذلك التثليث في الابل وهو ان يكون ثلثون حقة وثلثون جذعة واربعون
خلفة في بطونها اولادها ومنه الحلول على الجاني بدل سائر المتلفات خلاف دية الخطأ فانها مؤجلة الثلث في السنة الاولى والثلث الاخر في السنة
الثانية والباقي في السنة الثالثة استفاض ذلك من الخلفاء الراشدين لم ينكر عليهم احد فكان اجماعا ومنه ثبوتها في ذمة الجاني لا يتحملها العاقلة خلاف
دية الخطأ فانها تكون على العاقلة لما روي ان امرأتين من هذيل اقتتلتا فرمت احديهما الاخرى بحجر وروي بعمود فسطاط فقتلتها فقضى رسول الله بالدية
على عاقلة القاتلة وهذه صورة شبه العمد فانه يتحمل في الخطأ اولى وجهتا التحمل ثلث القرابة والولاء وبيت المال والقرابة يعني بها العصبة الذين هم على
حاشية النسب هم الاخوة وبنوهم وقال ابو حنيفة ومالك يتحمل الاباء والبنون كغيرهم ويراعى الترتيب في العصبات فيقدم الاقرب فالاقرب فان كان فيهم
وفاء اذا وزع عليهم لكثرتهم او لقلة المال والا اشارك الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال ابو بكر الاصم وجمهور الخوارج الدية في الخطاء انما تجب
على القاتل كما ان تحرير الرقبة انما يجب عليه لانه تعالى عطف الدية في الاية على التحرير ولان الجناية صدرت عنه فلا يعقل ان يغرم غيره كما في سائر الاتلافات
وتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد غير جائز واجيب باجماع الصحابة على ذلك السادسة مذهب اكثر الفقهاء ان دية المرأة نصف دية الرجل باجماع الجمهور
من الصحابة ولان المرأة في الميراث وفي الشهادة نصف الرجل وكذلك في الدية وقال الاصم وابن علية انهما مثل دية الرجل لعموم قوله ومن قتل مؤمنا
السابعة اذا لم يوجد الابل فالواجب عند الشافعي في الجديد الرجوع الى قيمة الابل بالغا ما بلغت وانما يقوم بغالب نقد البلد لما روي ان النبي كان
يقوم الابل على اهل القرى فاذا غلت رفع قيمتها واذا هانت نقص من قيمتها وقال ابو حنيفة الواجب الف دينار او عشرة الاف درهم وعند مالك
الدراهم اثنا عشر الفا الثامنة لا فرق بين هذه الدية وبين سائر الاموال في انه يقضى منها الدين وينفذ منها الوصية ويقسم الباقي بين الورثة على
فرائض الله لما روي ان امرأة جاءت في ايام عمر تطلب نصيبها من دية الزوج فقال عمر لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فشهد بعض الصحابة
بان رسول الله امر ان يورث الزوجة من دية زوجها فقضى عمر بذلك وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين
ولا ينفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وهذا خلاف الجماعة واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية ان من قتل مؤمنا خطأ فعليه تحرير الرقبة وتسليم
الدية ثم قال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وسكت عن الدية فالسكوت عن ايجاب الدية في هذه الصورة مع ذكرها بما قبلها
وبما بعدها وهو قوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة يدل على عدم وجوب الدية ههنا ثم المعنى بقوله

من قوم عدو لكم اما ان يكون من هذا المقتول من سكان دار الحرب او انه نشأ بينهم مع انه في دار الاسلام والثاني باطل بالاجماع لان قتل هذا المسلم يوجب
الدية البتة فتعين الاول انما سقطت الدية لان ايجاب الدية في قتل المسلم الساكن في دار الحرب يحوج الى ان يبحث الغازي عن كل شخص من شجعانهم
وقطان دار الحرب هل هو من المسلمين ام لا وذلك يوجب المشقة والنفرة عن الجهاد على انه هو الذي اهدر دم نفسه بسبب اختياره السكنى فيهم واما
الكفارة فانها حق الله تعالى لانه اهلك انسانا مواظبا على طاعته فيلزمه ان يقيم مقامه من يمكنه المواظبة عليها اما قوله وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق ففيه قولان احدهما ان المراد منه الذمي فعن ابن عباس هم اهل الذمة من اهل الكتاب وعن الحسن هم المعاهدون من الكفار والتقدير وان
كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي على دينهم ومذهبهم وثانيهما ان المراد منه المسلم عطف على قوله فان كان من قوم عدو لكم والضمير فيه
عائد الى ما تقدم وهو المؤمن فكذا ههنا واعترض عليه بانه يلزم عطف الشيء على نفسه لان المؤمن المقتول خطأ سواء كان من اهل الحرب او من
اهل الذمة داخل تحت قوله ومن يقتل مؤمنا خطأ الا انه افرد المؤمن الساكن في دار الحرب ببيان حكمه سقوط ديته وههنا لا غرض في الافراد
تكرارا محضا وايضا لو كان المراد ذلك لما كانت الدية مسلمة الى اهله لان اهله كفار لا يرثونه ولكان كونه منهم مبهما مجملا لانه لا يدرى انه منهم
في اي امر من الامور بخلاف ما لو حمل كونه منهم على الوصف الذي وقع التنصيص عليه وهو حصول الميثاق بينهما واجيب بانه لما افرد حكم المؤمن
المقتول في دار الحرب للغرض الذي ذكر ثم اعاد ذكر المؤمن المقتول فيما بين المعاهدين منصوصا على الفرق بينه وبين ما قبله وبينهما على الشبه
بينه وبين المسلم المقتول في دار الاسلام واما اهله فهم المسلمون الذين يصرف ديته اليهم واما الابهام فيزول اذا جعل من بمعنى في كما في الاية
المتقدمة عليه ههنا مسئلة خلافية شرعية هي ان ابا حنيفة قال دية الذمي مثل دية المسلم لقوله تعالى وان كان اي المقتول من قوم بينكم وبينهم
ميثاق فدية وقال الشافعي دية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم ودية المجوسي ثلث خمسها هكذا روي من قضايا الصحابة ولا يخفى ان استدلال ابي حنيفة
لا يتم على الثاني من قولي المفسرين في الاية وعلى القول الاول ايضا لا يجوز ان يكون المراد بالدية الثانية مقدارا مغايرا للاول وههنا سؤال
وهو انه لم قدم تحرير الرقبة على الدية في الاية الاولى وفي الاخيرة عكس الترتيب ويمكن ان يقال الفائدة فيه ان يعلم انه لا ترتيب بين التحرير والدية ايضا ليقع التسامح
والاهتمام بحق الله تعالى وبحق العبد على التخيير قوله فمن لم يجد اي رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين متتابعين حتى يعتبر
الاعسار المجوز للعدول الى الصوم الاصح عند الشافعي وقت الاداء وعند بعضهم وقت الوجوب واما الشهران فهما هلاليان ان ابتدأ بهما من اول الهلال
والا فالشهر تمم المنكسر ثلاثين والمراد بالتتابع ان لا يفطر يوما منهما فلو افطر ولو بالمرض وجب الاستيناف الا ان يكون الفطر بحيض او نفاس وعن مسروق
ان الصوم بدل عن مجموع الرقبة والدية توبة من الله اي شرع لكم ما شرع لتوبة من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته ومعنى التوبة عن الخطأ
انه لا يخلو من ترك احتياط ومن يلم واسف على ما فرط منه ويجوز ان يكون المعنى نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه اي تخفيفا منه لان التخفيف من لوازم
التوبة وكان الله عليما بانه لم يقصد ولم يتعمد حكيما حكم الفعل لا يؤاخذ الانسان بما لا اختيار له ولا بتعمد وعند المعتزلة معنى الحكيم ان افعاله تقع
على قانون الحكمة ومقتضى العدالة ثم لما ذكر حكم القتل الخطأ اردفه ببيان حكم القتل العمد وله احكام وجوب الدية والكفارة عند غير ابي حنيفة
والقود والقصاص كما مر في البقرة فلا جرم اقتصر ههنا على بيان ما فيه من الاثم والوعيد لا يخفى ما في الاية من التهويل بعد التهديد فلا جرم تمسك اهل الوعيد
بها في القطع بخلود الفاسق في النار واجيب بوجهين الاول اجماع المفسرين على انها نزلت في كافر قتل مؤمنا روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ان مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار وكان مسلما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل رسول الله معه رسولا من بني فهر وقال له ائت
بني النجار فاقرئهم السلام وقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان علمتم قاتل هشام بن ضبابة ان تدفعوه الى اخيه فيقتص منه وان لم تعلموا له قاتلا
ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي اليه ديته فاعطوه مائة
من الابل ثم انصرفا راجعين الى المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شيء صنعت تقبل دية اخيك فيكون عليك
مسبة اقتل الذي معك فيكون نفس مكان نفس وفضل الدية فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيرا منها وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وجعل
يقول في شعره قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت الاية فيه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا ثم اهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه يوم فتح مكة فادركه الناس بالسوق فقتلوه الوجه الثاني انه يجوز عندنا ان يخلف الله وعيد المؤمنين فان
خلف الوعيد كرم وضعف الوجه الاول بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وبان ما قبل الاية وما بعدها في نهي المؤمنين عن قتل المؤمن فكذا هذه
الاية وبانه ترتيب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية فيجب ان يكون الموجب لهذا الوعيد هو مجرد القتل العمد وبان الكفر بالاستقلال موجب
لهذا الوعيد فاي فائدة في ضم القتل اليه اذ لا اثر للقتل في هذه العقوبة فيكون الكلام جاريا مجرى قول القائل ان من تنفس فجزاؤه جهنم
ووجه الثاني بان الوعيد قسم من اقسام الخبر فاذا جاز التكذيب فيه لغرض اظهار الكرم فلم لا يجوز في القصص والاخبار لغرض المصلحة وفتح هذا
الباب يفضي الى الطعن في الشرائع قال القفال الاية تدل على ان جزاء القتل العمد هو ما ذكر وليس فيها انه يجازيه كقول الرجل لعبده جزاؤك ان افعل بك كذا الا اني
لا افعل ولا يخفى ضعف هذا الجواب ايضا لانه من باب الايات كقوله من يعمل سوءا يجز به ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره على انه يوصل الجزاء الى مستحقه
البتة لان قوله وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما صريح في انه سيفعل به ذلك لا سيما وقد اخبر عنه بلفظ الماضي ليعلم انه كالواقع

ولنا كذ هذه المعاني نقل عن ابن عباس ان توبة من اقدم على القتل العمد العدوان غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وحمله
الجمهور على التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة حتى الشرك هذا عند المعتزلة وعند الاشاعرة كل الذنوب يحتمل العفو الا الشرك لقوله
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم بالغ في تحريم قتل المؤمن فقال يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا التفعل ههنا بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تهجموا فيه من غير روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وهو السلم بمعنى الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التحية
يعني سلام اهل الاسلام قال السدي بعث رسول الله صلعم اسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره وكان يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم ولم يهرب ثقة باسلامه فقتله اسامة واستاق غنما كان معه فلما قدم على رسول الله صلعم اخبره فقال قتلته رجلا يقول لا اله الا الله
فقال يا رسول الله صلعم انما تعوذ من القتل فقال كيف انت اذا خاصمك يوم القيمة بلا اله الا الله قال فما زال يردد علي قتلت رجلا وهو يقول لا اله الا الله
حتى تمنيت لو ان اسلامي كان يومئذ فنزلت الاية وقد روى الكلبي وقتادة مثل ذلك وقال الحسن ان اصحاب النبي صلعم خرجوا يتطوفون فلقوا المشركين فهزموهم
فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين اراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال اني مسلم فكذبه ثم اوجره السنان فقتله واخذ متاعه وكان قليلا فرفع ذلك
الى النبي صلعم فقال قتلته بعد ما زعم انه مسلم قال يا رسول الله صلعم انما قالها متعوذا قال فهلا شققت عن قلبه قال لم قال لتنظر اصادق هو ام كاذب قال وكنت
اعلم ذلك يا رسول الله قال ويلك انك لم تكن تعلم ذلك انما يبين عنه لسانه قال فما لبث القاتل ان مات فدفن فاصبح وقد وضع الى جنب قبره قال ثم
عادوا فحفروا له وامكنوا ودفنوه فاصبح وقد وضع الى جنب قبره مرتين او ثلثا فلما راوا ان الارض لا تقبله القوه على الحجارة قال الحسن ان الارض تجن
من هو شر منه ولكن وعظ القوم ان لا يعودوا وعن سعيد بن جبير قال خرج المقداد بن الاسود في سرية فمروا برجل في غنيمة له فارادوا قتله فقال لا اله الا الله
فقتله المقداد فقيل له اقتلته وقد قال لا اله الا الله فقال ود لو فر باهله وماله فلما قدموا على رسول الله صلعم ذكروا ذلك له فنزلت قال القفال ولا منافاة
بين هذه الروايات فلعلها نزلت عند وقوعها باسرها فكان كل فريق يظن انها نزلت في واقعته وعن ابي عبيدة قال قال رسول الله صلعم اذا شرع احدكم الرمح
الى الرجل فان كان سنانه عند نقرة نحره فقال لا اله الا الله فليرفع عنه الرمح قال الفقهاء توبة الزنديق مقبولة لاطلاق هذه الاية وقال ابو حنيفة
اسلام الصبي يصح لاطلاق الاية وقال الشافعي لا يصح والا لوجب عليه لانه لو لم يجب لكان ذلك اذنا في الكفر وهو غير جائز لكنه غير واجب عليه لقوله
رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي والنصراني انا مؤمن او مسلم لا يحكم باسلامه لانه يعتقد ان الايمان والاسلام
هو دينه ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلعم فلا يحصل الجزم باسلامه لان منهم من يقول انه رسول العرب وحدهم ومنهم من يقول ان محمدا الذي هو
الرسول الحق المنتظر بعد فلا بد ان يعترف بان الدين الذي كان عليه باطل وان الدين الذي هو موجود فيما بين المسلمين
حق تبتغون عرض الحيوة الدنيا قال ابو عبيدة جميع متاع الدنيا عرض بفتح الراء يقال ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر وسمي عرضا لانه عارض
زائل غير باق ومنه العرض المقابل للجوهر لقلة لبثه كما قيل العرض لا يبقى زمانين فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام
ويتعوذ به لتاخذوا ماله وقيل يريد ما اعد لعباده من حسن الثواب في الاخرة كذلك كنتم من قبل اختلفوا في وجه التشبيه فقال الاكثرون يريد انكم اول ما دخلتم
في الاسلام سمعت منكم كلمة الشهادة فحقنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار
بالايمان وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم واعترض بان لهم ان يقولوا ما كان ايماننا مثل ايمان هؤلاء لانا
امنا بالاختيار وهؤلاء اظهروا الايمان تحت ظلال السيوف فكيف يمكن تشبيه احدهما بالاخر وعن سعيد بن جبير المراد انكم كنتم تخفون ايمانكم عن قومكم
كما اخفى ايمانه هذا الراعي عن قومه فمن الله عليكم باعزازكم حتى اظهرتم دينكم واورد عليه ان اخفاء الايمان ما كان عاما فيهم وفي التفسير الكبير المراد انكم
في اول الامر انما حدث فيكم ميل ضعيف باسباب ضعيفة الى الاسلام فمن الله عليكم بتقوية ذلك الميل وتزايد نور الايمان فكذا هؤلاء فلعله حدث لهم ميل
ضعيف الى الاسلام بسبب هذا الخوف فاقبلوا منهم ايمانهم الى ان يتاكد ما عندهم بنية قيل ان قوله فمن الله عليكم منقطع عما تقدم وذلك ان القوم لما قتلوا من قتل
من تكلم بلا اله الا الله ذكر ان الله من عليكم بان قبل توبتكم عن ذلك الفعل المنكر ثم اعاد الامر بالتبين مبالغة في التحذير ثم حذر عن الاضمار خلاف الاظهار
فقال ان الله كان بما تعملون خبيرا وفيه من الوعيد ما فيه لما عاتبهم الله على شيء صدر منهم ذكر عقيبه ما كان مظنة ان يقع في قلوبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد
فذكر من فضل الجهاد ما يزيح عللهم ويزيد رغبتهم ويقوي هممهم عما ينبئهم به من فضيلة الجهاد ليبالغوا في الاحتراز عما يوجب خللا في هذا المنصب الجليل فقال
لا يستوي القاعدون عن زيد بن ثابت كنت عند النبي صلعم حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر
اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر قال زيد فتغشى النبي صلعم في مجلسه الوحي فاتكا على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت
ان يرضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون فكتبتها رواه البخاري والمراد بالضرر النقصان سواء كان
في البنية كعمى وعرج ومرض او بسبب عدم الاهبة من قرا غير بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين او على الحال عنهم ومن قرا بالرفع فعلى انه صفة للقاعدين
ويجوز ان يكون غير صفة للمعرفة كما سبق في تفسير غير المغضوب عليهم وقرئ بالجر على انه صفة المؤمنين قال الزجاج ويجوز ان يكون رفعا على جهة الاستثناء
والمعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدون الا اولو الضرر فانهم يساوون المجاهدين بدليل قوله صلعم عند انصرافه من بعض غزواته لقد خلفتم بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم اولئك اقوام حبسهم العذر وفسر الضرر اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمل في الصحة الى ان يبرا

ويعلم منه

ويعلم منه ان صحة النية وخلوص الطوية لها مدخل عظيم في قبول الاعمال ذكروا في معنى قوله نية المؤمن ابلغ من عمله ان ما ينويه المؤمن ابلغ من عمله لان ما ينويه المؤمن
منه وامر على الايمان والاعمال الصالحة لو بقي ابدا خير من عمله الذي ادركه في مدة حياته قيل انه لم تقدم ذكر النفس على المال في قوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم وههنا اخر لان النفس اشرف من المال فالمشتري قدم ذكر النفس تنبيها على ان الرغبة فيها اشد والبائع اخر تنبيها على ان المماكسة فيها
اشد فلا يرضى ببذلها الا في اخر الامر فائدة نفي الاستواء ومعلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فيه تذكير لما بينهما من التفاوت ليهتز القاعد
للجهاد ويترفع بنفسه عن انحطاط مرتبة المجاهد كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون تحريكا للجاهل لينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف العلم ثم ان
عدم الاستواء يحتمل الزيادة والنقصان فاوضح الحال بقوله فضل الله المجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وانتصب درجة على المصدر لان الدرجة
بمعنى التفضيلة وقيل على الحال اي ذوي درجة وقيل بنزع الخافض اي بدرجة وقيل على الظرف اي في درجة وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة قال الفقهاء فيه دليل على ان فرض الجهاد على الكفاية اذ لو كان واجبا على التعيين لم يكن القاعد اهلا للوعد وانتصب اجرا بفضل
لان التفضيل يدل على الاجر وههنا سؤال وهو انه لم ذكر اولا درجة وثانيا درجات اجيب بان اللام في قوله اولا على القاعدين للعهد والمراد بهم اولوا الضرر
وقوله ثانيا على القاعدين للاصحاء الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية وقيل المراد بالدرجة حينها الاولى يشمل الكثير بالنوع
وهي الدرجات لو منعوا المنازل الشريفة والمغفرة والرحمة وقيل المراد بالدرجة الغنيمة في الدنيا وبالدرجات مراتب الجنة وقيل المراد بالمجاهد الاول صاحب
الجهاد الاصغر وهو الجهاد بالنفس والمال وبالمجاهد الثاني صاحب الجهاد الاكبر وهو المجاهد بالرياضة والاعمال واستدل الشيعة ههنا بان عليا
افضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهد وهم بالاضافة اليه قاعدون بما اشتهر من وقائعه وايامه ونكاياته وحماسته اجاب اهل السنة بان جهاد
ابي بكر بالدعوة الى الدين وهو الجهاد الاكبر حين كان الاسلام ضعيفا والاحتياج الى المدد شديدا واما جهاد علي فانما ظهر بالمدينة في الغزوات وكان الاسلام
في ذلك الوقت قويا والحق انه لا يدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين اما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا قالت المعتزلة ههنا فقد ظهر
من الاية ان التفاوت في الفضل بحسب التفاوت في العمل فعلة الثواب هو العمل ولهذا سمي اجرا واجيب بان العمل علة الثواب لكن لانه جعل الشارع ذلك
العمل موجبا له قالت الشافعية الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح لان قوله فضل الله المجاهدين عام يشمل الجهاد الواجب والمندوب
وهو الزائد على قدر الكفاية والمشتغل بالنكاح ثم لما ذكر ثواب المجاهدين اتبعه عقاب القاعدين الراضين بالسكون في دار الكفر فقال ان الذين توفاهم
وانه يحتمل ان يكون ماضيا فيكون اخبارا عن حال قوم انقرضوا ومضوا عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من المسلمين بمكة قد خرجوا في قوم من المشركين
في قتال فقتلوا معهم فنزلت الاية ويحتمل ان يكون مستقبلا بحذف احدى التائين فيكون الوعيد عاما في كل من كان بهذه الصفة قال الجمهور معنى توفاهم
تقبض ارواحهم عند الموت لا منافاة بينه وبين قوله الله يتوفى الانفس قل يتوفاكم ملك الموت لانه تعالى هو المتوفي والفاعل لكل الاشياء بالحقيقة
الا ان الرئيس المفوض اليه هذا العمل ملك الموت وسائر الملائكة اعوانه وعن الحسن توفاهم الملائكة اي يحشرونهم الى النار واما قوله ظالمي انفسهم فمنصوب
على الحال عن مفعول يتوفى والاضافة فيه لفظية ولذا لم تفد تعريفها فصح وقوعها حالا والظلم قد يراد به الشرك ان الشرك لظلم عظيم فالمراد انهم ظالمون انفسهم بنفاقهم
وكفرهم وتركهم الهجرة وقد يراد به المعصية فالمراد الذين اسلموا في دار الكفر بقوا هناك غير مهاجرين الى دار الاسلام حين كانت الهجرة فريضة وفي خبر ان وجوه
الاول قالوا فيم كنتم والعائد محذوف للدلالة اي قالوا لهم الثاني فاولئك مأواهم قالوا حال من الملائكة بتقدير قد الثالث ان الخبر محذوف وهو هلكوا ثم فسر الهلاك
بقوله قالوا فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم والمراد التوبيخ على ترك الجهاد والرضى بالسكون في دار الكفر وهو بالحقيقة النعي عليهم بانهم ليسوا من الدين في شيء ولهذا
لم يجيبوا بقولهم كنا في كذا ولم نكن في شيء بل اجابوا بقولهم كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بانهم ما كانوا قادرين على المهاجرة من ارض مكة حتى يكونوا
في شيء ثم ان الملائكة لم يقبلوا منهم هذا العذر فبكتوهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي
لا تمنعون فيها من اظهار دينكم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فسئل لم عد الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
ومن حق الاستثناء ان يدخل فيه المستثنى لو لم يخرج وليس الولدان من اصحاب الوعيد لانهم ليسوا من اهل التكليف واجيب بان المراد بالولدان العبيد والاماء البالغون او
المراد المراهقون الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء حتى يتوجه التكليف عليهم فيما بينهم وبين الله سلمنا ان المراد بهم الاطفال لكن السبب في سقوط الوعيد هو
العجز وانه حاصل في الولدان فحسن استثناؤهم بهذا الوجه وقوله لا يستطيعون قيل في موضع الحال والاصح انه صفة للمستضعفين وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان
المعرف تعريف الجنس قريب من المنكر والمعنى ان العاجزين هم الذين لا يقدرون على حيلة ولا نفقة او يكون بهم مرض او كانوا تحت قهر قاهر يمنعهم عن المهاجرة ومعنى
لا يهتدون سبيلا لا يعرفون الطريق ولا يجدون من يدلهم على الطريق وانما قال سبحانه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع تنبيها على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنه بل يكون من العفو على ظن وحسبان لا على جزم وايقان فربما ظن الانسان بنفسه انه عاجز ولا يكون
في الواقع كذلك لان النفس … عن المال والوطن شديد والفراق عن الاوطان شاق فلعل حب الوطن يحمله على تأويل غير سديد بل مع قيام هذا الاحتمال لا يحصل الجزم
بالعفو هذا من جانب العبد واما من الرب فعسى اطماع واطماع الكريم ايجاب فالجزم بالعفو حاصل الا انه على لفظ العفو لانه لا يغفر الا مع الذنب لا انه مع
العجز وجوابه تخريج ما قلنا وكان الله عفوا غفورا قال الزجاج اي كان في الازل موصوفا بهذه الصفة او انه مع جميع العباد بهذه الصفة اي انه عادة
… عنه لو قال انه عفو غفور كان اخبارا عن كونه كذلك وحيث قال كان دل على انه اخبار وقع مخبره على وفقه فكان ادل على كونه حقا وصدقا فالله

لان شأنه اخذ العفو والمغفرة مطمعاً غير مقيد بحال التوبة فدل على ان العفو يرجى من غير التوبة قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء كان عبد الرحمن بن عوف يخبر اهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب اليهم ﴿ان الذين توفاهم الملائكة﴾ الآية فلما قرأها المسلمون قال جندب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخاً كبيراً احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الى الطريق فحمله بنوه على سرير متوجهاً الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك به رسولك صلى الله عليه وسلم ومات حميداً فبلغ خبره اصحاب النبي فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجراً فنزل الله تعالى ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً﴾ اي مذهباً ومهرباً ومضطرباً قال الفراء وفي الكشاف راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك واصله من الرغام وهو التراب فانهم يقولون رغم انفه يريدون انه وصل اليه شيء يكرهه وذلك لان الانف عضو في غاية العزة والتراب في غاية الذلة ويمكن ان يقال ان من فارق اهل بلده فاذا استقام امره في بلدة اخرى رغمت انوف اهل بلده بسبب سوء معاملتهم معه اعلم انه سبحانه لما رغب في الهجرة ذكر بعده ما لاجله يمنع الانسان عن مهاجرة الوطن وبين الجواب عنه فالمانع امران الاول ان يكون له في وطنه نوع رفاهية وراحة فيخاف فوات ذلك عنه فاجاب الله تعالى عنه بقوله ومن يهاجر كانه قيل للمكلف ان كنت تكره الهجرة عن وطنك خوفاً من ان تقع في المشقة والمحنة في السفر فلا تخف فان الله تعالى يعطيك من النعم الجليلة والمراتب العظيمة في مهاجرتك ما يكون سبباً لرغم انوف اعدائك ويكون سبباً لسعة عيشك وانما قدم في الآية ذكر رغم الاعداء على ذكر سعة العيش لان ابتهاج المهاجر بدولته من حيث انها سبب رغم انوف الاعداء اشد من ابتهاجه بها من حيث انها سبب سعة رزقه وعيشه المانع الثاني ان الانسان يقول ان خرجت من بيتي في طلب العمل والجهاد والمهاجرة الى الله ورسوله فربما كل غرض يتوخى من طلب علم او حج او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهداً في الدنيا وابتغاء رزق طيب فربما وصلت اليه وربما لم اصل اليه فالاولى ان لا يضيع الرفاهية الحاضرة لطلب شيء مظنون فاجاب الله سبحانه عنه بقوله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله﴾ قال بعضهم ثبت له اجر قصده واجر القدر الذي اتى به من ذلك العمل فاما اجر تمام العمل فمحال والصحيح ان المراد من قصد طاعة ثم عجز عن اتمامها فانه يكتب له ثواب تمام تلك الطاعة كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المريض اذا عجز عما كان يفعله من الطاعة في حال الصحة كتب له ثواب مثل ذلك الى ان يبرأ وايضاً من المعلوم ان كل من اتى بعمل فانه يجد الثواب المرتب على ذلك القدر فلا يبقى في الآية فائدة الترغيب ثم لا يكون الآية جواباً عن قول الصحابة في جندب لو وافى المدينة لكان اتم اجراً فاند المعتزلة في الآية دليل على ان العمل يوجب الثواب على الله لان الوقوع والوجوب السقوط قال تعالى ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ اي وقعت وسقطت ولفظ الاجر وكلمة على يدل على ما قلنا فاجيب بانا لا ننازع في ان الثواب يتبع النية لكن بحكم الوعد والعلم والتفضل والكرم واستدل بعض الفقهاء بالآية على ان الغازي اذا مات في الطريق وجب سهمه في الغنيمة كما وجب اجره ورد بان سهم الغنيمة يتوقف على حيازتها بخلاف الاجر ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ يغفر ما كان منه من القعود الى ان خرج ويرحمه باكمال اجر المجاهدين ومما يفتقر المجاهد اليه معرفة كيفية اداء الصلوة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلا جرم قال ﴿واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة﴾ يقال قصر صلوته واقصرها وقصرها بمعنى ولفظ القصر مشعر بالتخفيف لانه ليس صريحاً في ان التخفيف في كمية الركعات او كيفية ادائها والجمهور على ان المراد القصر في العدد وهو ان كل صلوة تكون في الحضر اربع ركعات وهي الظهر والعصر والعشاء فانها تصير في السفر ركعتين ويبقى المغرب والصبح بحالهما وعن ابن عباس فرض الله صلوة الحضر اربعاً وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف ركعة على لسان نبيكم وعند بعضهم ان المراد التخفيف في كيفية الاداء كما يؤتى به عند شدة التحام القتال من الصلوة مع تلطخ الثوب بالدم ومن الايماء مقام الركوع والسجود ويؤكد هذا الرأي قوله ﴿ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا﴾ فان خوف فتنة العدو لا يزول فيما يؤتى بركعتين على تمام اوصافهما وانما يزول بالتجوز والتخفيف حجة الجمهور ما روي عن يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب كيف نقصر وقد امنا وقال الله تعالى ﴿ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم﴾ فقال عمر عجبت مما عجبت منه فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته فهذا الخبر يدل على انهم فهموا من القصر التخفيف في اعداد الركعات ويؤيده حديث ذي اليدين اقصرت الصلوة ام نسيت وايضاً القصر بمعنى تغيير هيئة الصلوة يجيء بعد ذلك فحمل الكلام على ما لا يلزم منه التكرار اولى واما تقييد القصر بحالة الخوف فلان الآية نزلت على غالب اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف قتال الكفار فلا يمكن الاستدلال بمفهومها على عدم جواز القصر في حالة الامن ولا في حالة الخوف بسبب آخر على ان كل محنة وبلية وشدة فهي فتنة ثم ان الشافعي قال القصر رخصة كسائر رخص السفر فان شاء اتم وان شاء قصر لان قوله لا جناح عليكم مشعر بعدم الوجوب ولما روي عن عائشة قالت اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فلما قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وما ظهر انكار من الصحابة عليه قال ابو حنيفة القصر واجب فان صلى المسافر اربعاً ولم يقعد في الثنتين فسدت صلوته لما روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسافراً صلى ركعتين ولقوله فاقبلوا صدقته وظاهر الامر للوجوب وعن عائشة اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر قال صاحب الكشاف فان قلت فما تصنع بقوله ﴿فليس عليكم جناح ان تقصروا﴾ قلت كانهم الفوا الاتمام فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصاناً في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب نفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه واجيب بان هذا الاحتمال انما يخطر ببالهم اذا قال الشارع لهم رخصت لكم في هذا القصر اما اذا قال وجبت عليكم هذا القصر وحرمت عليكم الاتمام وجعلته مفسداً للصلوة فلم يخطر هذا الاحتمال ببال عاقل وحديث ابن عباس انما يدل على كون القصر مشروعاً لا على ان الاتمام غير جائز وخبر عائشة لا يعارض الآية لان تقرير الصلوة على ركعتين لا يطلق عليه لفظ القصر ثم ان بعض الظاهريين زعموا ان قليل السفر وكثيره سواء في القصر لاطلاق قوله واذا ضربتم في الارض وجمهور الفقهاء على ان السفر المرخص مقدر بمقدار مخصوص فعن الاوزاعي والزهري ويروى عن عمر ان القصر في يوم تام وعن ابن عباس اذا زاد على يوم وليلة قصر وقال

المتزين

انس رضى الله عنه تقصر فى خمسة فراسخ وقال الحسن مسيرة ليلتين وقال الشعبى والنخعى وسعيد بن جبير من الكوفة الى المدائن وهو ثلثة ايام وهو قول ابى حنيفة رحمه الله على
مدة جواز المسح للمسافر واما اصحاب الشافعى فانهم عولوا على ما روى مجاهد وعطاء بن ابى رباح عن ابن عباس ان النبى عليه السلام قال يا اهل مكة لا تقصروا فى ادنى من اربعة
برد من مكة الى عسفان والبرد اربعة فراسخ كل فرسخ ثلثة اميال باميال هاشم جد رسول الله وهو الذى قدر اميال البادية كل ميل اثنا عشر
الف قدم وهى اربعة آلاف خطوة فان كل ثلثة اقدام خطوة قال الفقهاء فاختلاف الناس فى هذه الاقوال يدل على انعقاد الاجماع على ان الحكم غير منوط
بمطلق السفر وقال اهل الظاهر اضطراب السلف فى هذه الاقوال يدل على انهم لم يجدوا فى المسألة دليلا قويا فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا ظاهر العداوة الحاصلة بينكم وبينهم قديما فتكونوا على حذر منهم التأويل يشير الى ان من الروح ان يقصد قتل مؤمن القلب الا ان يكون قتل خطأ وذلك
ان الروح اذا خلص عن حجب ظلمات الصفات البشرية يتجلى الروح للقلب فيتنور بانوار الروحانية ثم ينعكس انوار الروح عن مرآة القلب الى النفس الامارة
فتموت عن صفاتها الذميمة الظلمانية وتحيى بالصفات الحميدة الروحانية وتطمئن الى ذكر الله كاطمينان القلب ففى بعض الاحوال يتأيد الروح بوارد
روح قدسى ربانى ويتجلى فى تلك الحالة الروح للقلب فيخر موسى القلب صعقا من سطوة تجلى الروح القدسى الربانى ويجعل جبل النفس دكا فان قتله
خطأ لانه ما كان مقصودا بالقتل فى هذا التجلى وكان القصد تنويره وتصفيته وقتل النفس الكافرة من قتله موسى اى قلبا مؤمنا فتحرير رقبة مؤمنة وهى
السر محررة عن رق المخلوقات ودية مسلمة الى اهله يعنى يسلم الغافلة فهو لله تعالى دية القلب اهل القلب هم الاوصاف الحميدة الروحانية من جملة الطائفة
البصرية الاوصاف بها اخلاق ربانية الا ان يصدقوا الاوصاف بهذه الدية عليه ساكين اوصاف النفس الحيوانية والشيطانية فان كان القتيل بالتجلى
من قوم عدو لكم اى من صفات النفس وهو مؤمن اى هذه الصفة قد امنت بانوار الروح القدسى ودخلوا هنا من الصفات فتحرير رقبة مؤمنة وهى
رقبة القلب يصير محررة عن رق حب الدنيا ولا دية لاهل القتيل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وهم صفات النفس وميثاقها قبول احكام الشرع
ظاهرا وترك المخالفة مع القلب واوصافه فدية مسلمة على عاقلة الروحية الى اهل تلك الصفة المقتولة وهم بقية صفات النفس كما قال تعالى الا ما رحم ربى وتحرير
رقبة الروح يصيرها محررة عن رق الكونين فمن لم يجد رقبة مؤمنة من الروح والقلب والسر للتحرير بان يكون رقابهم قد حررت عن رق ما سوى الله فصيام
شهرين متتابعين اى يغلبه الاستغراق بشهود رب العالمين على التتابع والدوام مراقبا للقلب لا يدخله شئ من الدنيا والآخرة مراعيا ذلك فلو افطر بادنى شئ
من المشارب كلها استأنف الصوم ولا يفطر بشئ دون لقاء الله تعالى قال قائلهم لقد صام طرفى عن شهود سواكم وحق له لما اعتراه نواكم بعيد يوم حين يبلغ
قلبا لهم ويبدو اهلا للقصب حبيبا كم توبة من الله جذبة منه ومن يقتل مؤمنا متعمدا اى النفس الكافرة اذا قتلت قلبا مؤمنا بالعداوة الاصلية
بينهما ففى حيوة احدهما موت الآخر فجزاؤه جهنم وهى سفل عالم الطبيعة اذا ضربتم فى سبيل الله بقدم السلوك حتى يتبدل الايمان بالغيب ايقانا والايقان
احسانا والاحسان عيانا والعيان عينا والعين شهودا والشهود شاهدا والشاهد مشهودا وهذا مقام الشيوخ فتبينوا عن حال المريد الوارد للقبول
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ولا تنفروه بالتشديدات والتصرف فى النفس والمال تبتغون عرض الحيوة الدنيا اى تهتمون لاجل زاده فان الضيف
اذا نزل نزل برزقه كذلك كنتم من قبل ضعفاء فى الصدق والطلب محتاجين الى الصحبة فى بدو الارادة فمن الله عليكم بصحبة المشايخ وتبقوا لهم اياكم ان الذين توفيهم الملائكة
هم العوام الذين ظلموا انفسهم بدسيسها فيم كنتم اى فى غفلة كنتم تضيعون اعماركم وتبطلون استعدادكم الفطرى فى اى واد من اودية الحرص تهيمون وفى
اى روضة من رياض الدنيا ترتعون اكنتم تؤثرون الفانى على الباقى وتلبسون التراب باللهو والشاه مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامارة وغلبة
الهوى الم تكن ارض الله اى ارض القلب واسعة فتهاجروا عن مضيق سجن البشرية الى فضاء هواء الهوية لا يستطيعون حيلة فى الخروج عن الدنيا لكثرة
العيال وضعف الحال ولا يهتدون سبيلا الى صاحب الولاية وهؤلاء مستضعفون هم الخواص المقتصدون واما خواص الخواص وهم السابقون فهم
المجاهدون الجهاد الاكبر ومن يهاجر عن بلد البشرية فى طلب حضرة الربوبية يجد فى ارض الانسانية مراغما كثيرا ومنازل مثل القلب والروح والسر
فى تلك العوالم من سعة الله ورحمته وسعت كل شئ لا يسعنى ارضى ولا سمائى وانما يسعنى قلب عبدى المؤمن فانهم بالعبرة النظر لا بالفكر لمثل العبر والله الهادى

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا
و چون باشى تو با ايشان پس بپاى دارى از براى ايشان نماز پس بايد كه بايستند گروهى از ايشان با تو و بايد كه فرا گيرند سلاحهاى خود را پس چون سجده كنند بايد كه باشند
مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
از عقب شما و بيايد گروهى ديگر كه نماز نگذارده اند پس نماز كنند با تو و فرا گيرند آلات حرب و سلاحهاى خود را دوست دارند كافران
لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
كه بيخبر باشيد شما از اسلحه خودتان و امتعه خود پس رو آورند بر شما رو آوردنى يكمرتبه و نيست باكى بر شما اگر باشد بشما رنجى از باران
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
يا بوده باشيد ناخوشان كه بگذاريد سلاحهاى خود را و فرا گيريد سلاح خود را بدرستيكه خدا مهيا كرده از براى كافران عذابى خوار كننده پس چون تمام كرديد نماز را
فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
پس ياد كنيد خدا را ايستاده و نشسته

مَوْقُوتًا ۝ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

وقت زده و سستی مکنید در جستن قوم اگر رنجیده بودید پس ایشان هم رنجیده‌اند چنانچه شما رنجیده‌اید و امید دارید از خدا آنچه

يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا

امید ندارند و هست خدا دانای محکم کار بدرستی که ما فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تا داوری کنی در میان مردمان بآنچه نمود ترا خدا و مباش

ع١٦ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ

خیانت کنندگان را خصم و طلب آمرزش کن از خدا بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و خصومت مکن از آنها که خیانت کنند نفسهای خود را

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا

بدرستی که خدا دوست ندارد آنرا که خیانتکار گناه کار است پنهان دارند از مردمان و پنهان ندارند از خدا و حال آنکه او با ایشان است چون تدبیر کنند از آنکه

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ

خوش نیاید از گفتار و هست خدا بآنچه میکنند محیط هان شما آنکسانید که خصومت کردید از ایشان در زندگانی دنیا پس کیست که خصومت کند با خدا

عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا

از ایشان در روز قیامت یا کیست بر ایشان کارگذار و هر که کند بدی را یا ستم کند نفس خود را پس طلب مغفرت کند از خدا یابد خدا را آمرزنده

رَحِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

مهربان و هر که کسب کند گناهی را پس جز این نیست که کسب کرده بر نفس خود و هست خدا دانای داور و هر که کسب کند گناهی را یا صغیره را

ع١٧ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ

پس بیفکند بآن بیگناهی را پس بتحقیق برداشت بهتانی و گناهی آشکارا و اگر نبودی زیادتی خدا بر تو و مهربانی او هر آینه قصد کردی گروهی

مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

از ایشان که گمراه کنند ترا و از راه نبرند بجز نفسهای خود را و ضرر نرسانند ترا هیچ چیز و فرو فرستاد خدا بر تو کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝ القراءة عن اسلحتكم وامتعتكم عباس بخلاف

و علم را و آموخت بتو آنچه را که نبودی دانا آن و هست فضل خدا بر تو بزرگ باختلاس الطاء منهم وبابه بغير همزة ابو عمرو و يزيد

لا عشى لا يستخفي حيث وقع وحمزة في الوقف بالتشديد يزيد والشموني وحمزة في الوقف او توقف من وانكم واسلحتهم لانقطاع النظم مع اتصال

المعنى واحدة اسلحتكم حذركم هنا وعلى جنوبكم للابتداء بالشرطية مع الفاء الصلوة لاحتمال فان ولان موقوتا القوم كما تالمون لاحتمال الواو

الاستيناف او الحال ما لا يرجون حكيما الى ما اريك الله لان ما بعده استيناف خصيما للعطف واستغفر الله رحيما للآية مع العطف نفسهم اثيما لا للاحتمال

الوصف القول محيطا وكيلا رحيما على نفسه حكيما مبينا يضلوك من شيء تعلم عظيما التفسير قال ابو يوسف والحسن بن زياد صلوة الخوف كانت

خاصة للرسول ولا يجوز لغيره لقوله واذا كنت فيهم ولان تغيير هيئة الصلوة امر على خلاف الدليل جوزنا ذلك في حق النبي لفضيلة الصلوة

خلفه فبقى لغيره على المنع وجمهور الفقهاء على المخالفة لان ائمة الامة نواب عنه في كل عصر الا ترى ان قوله خذ من اموالهم صدقة لم يوجب كون

الرسول مخصوصا بهم دون ائمة امته وذهب المزني الى نسخ صلوة الخوف محتجا بانه لم يصلها في حرب الخندق واجيب بان ذلك قبل نزول الآية عن

ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فلقي المشركين بعسفان فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فراوه يركع ويسجد هو واصحابه قال بعضهم لبعض كان هذا

فرصة لكم لو اغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم فقال قائل منهم فان لهم صلوة اخرى هي احب اليهم من اهليهم واموالهم فاستعدوا حتى تغيروا

عليهم فيها فانزل الله عز وجل على نبيه واذا كنت فيهم الى آخر الآيتين اما شرح صلوة الخوف فعند ابي حنيفة ان الامام يجعل القوم طائفتين ويصلي بهم الامام

ركعة اخرى ويسلم وهذا مذهب من يرى ان صلوة الخوف للامام ركعتان وللقوم ركعة وهذا مروي عن ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وقال

الحسن البصري ان الامام يصلي بتلك الطائفة ركعتين ويسلم ثم يذهب تلك الطائفة الاخرى الى وجه العدو وتأتي الطائفة الاخرى فيصلي الامام بهم

مرة اخرى ركعتين كما فعل النبي ببطن النخل ولا يبقى في هذه الصلوة الا اقتداء المفترض بالمتنفل فان الصلوة الثانية نافلة للامام لا محالة وفي جواز

ذلك خلاف بين العلماء وقال الشافعي ان كان العدو في جهة القبلة صلى الامام بجميع العسكر الى الاعتدال عن ركوع الركعة الاولى فاذا هاه

السجدة حرست فرقة اما صف وفرقة من صف الى ان يفرغ الامام وغير الحارسة من السجدتين فاذا فرغ الامام منهما سجدة الفرقة الحارسة

ولحقت به حيث امكنها واذا يجد الامام للركعة الثانية حرست فرقة اما الفرقة الحارسة في الركعة الاولى او الفرقة الاخرى وهذه اولى فاذا فرغ

الامام من السجود سجدت الحارسة ولحقت بالامام في التشهد ليسلم بهم وليس في هذه الصلوة الا التخلف عن الامام بار كان السجدتين والجلسة

بينهما واحتملها لحاجة الخوف وظهر العذر بمثله صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان واما ان لم يكن العدو في وجه القبلة او كانوا بحيث يمنعهم شيء من ابصار

المسلمين صلى الامام صلوة كالصبح او الرباعية المقصورة بكل فرقة ركعة وذلك ان يجاوز الامام بفرقة الى حيث لا يبلغهم سهام العدو

بنقية

فيصلي بهم ركعة فاذا قام الى الثانية انفردوا بها وسلموا واخذوا مكان اخوانهم في الصف الخاذ الصف المقابل الى الامام وهو ينتظرهم ولهذا بهم في الثانية فاذا جلس للتشهد قاموا واتموا الثانية ولحقوا به قبل السلام وسلم بهم وهذه صلوة ذات الرقاع رواه ابوداود والنسائي عن صالح بن خوات عن النبي ﷺ وقال ابوحنيفة ويروى عن ابن عمر وابن مسعود ان الطائفة الاولى يصلي بهم الامام ركعة ويعودون الى وجه العدو وتاتي الطائفة الثانية فيصلي بهم بقية الصلوة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الاولى فيقضون بقية صلوتهم بغير قراءة وينصرفون الى وجه العدو ثم تعود الطائفة الثانية فيقضون بقية صلوتهم بالقراءة والفرق ان الطائفة الاولى ادركت اول الصلوة فهم في حكم من خلف الامام واما الثانية فلم يدركوا اول الصلوة والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في صلاته ولا خلاف في ان رسول الله ﷺ صلى بهذه الصلوة في اوقات مختلفة بحسب المصالح وانما وقع الاختلاف بين الفقهاء في ان الافضل والاشد موافقة لظاهر الآية اي هذه الاقسام فقال الواحدي ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت عند اتيان الثانية كما هو مذهب الشافعي واما عند ابي حنيفة فالطائفة الثانية تاتي والاولى بعد في الصلوة وما فرغوا منها واما قوله فليصلوا معك فظاهره يدل على ان جميع صلوة الطائفة الثانية مع الامام وقال اصحاب ابي حنيفة فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على ان الطائفة الاولى لم يفرغوا من الصلوة ولكنهم يصلون ركعة ثم يكونون من وراء الطائفة الثانية للحراسة اجاب الواحدي بان هذا انما يلزم اذا جعلنا السجود والكون من ورائكم لطائفة واحدة لكن السجود للاولى والكون من وراء الذي بمعنى الحراسة للطائفة الثانية ومعنى سجدوا صلوا وح لا يبقى اشكال والرواية التي اختاره الشافعي احوط لامر الحرب فانها اخف على الطائفتين جميعا والحراسة خارج الصلوة اهون وليس فيها ما في غيرها من زيادة الذهاب والرجوع وكثرة الافعال والاستدبار وليس فيها الا الانفراد عن الامام في الركعة الثانية وذلك جائز على الاصح في الامن ايضا والا انتظار الامام بالطائفة الثانية مرتين ان كانت الصلوة مغربا يصلي بالاولى ركعتين وبالثانية ركعة ويجوز العكس وان كانت رباعية يصلي بكل طائفة ركعتين ويجوز ان يفرقهم اربع فرق ان مست الحاجة اليه بان لا يكفي نصف المسلمين لعدوهم واعلم ان الصلوة على الوجه المشروع لتستغني بل لو صلى الامام بطائفة وامر غيره يصلي بالآخرين او صلى بعضهم وكلهم منفردين جاز ولكن كان اصحاب النبي ﷺ لا يسمحون بترك فضيلة الجماعة وبتنافسون امرهم في الاقتداء به فامره الله تعالى بان يصلي بهم هكذا ليحوزوا جميعا لطائفتين فضيلة التكبير مع الاولى وفضيلة التسليم مع الاخرى فظاهر الخطاب في قوله واذا كنت للنبي اي اذا كنت يا محمد النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم واقمت لهم الصلوة فاجعلهم طائفتين فلتقم طائفة منهم معك وفصل بهم وليأخذوا اسلحتهم فان كان الضمير لغير المصلين فلا كلام وان كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ويحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط ثم قال للطائفة الثانية وليأخذوا حذرهم وكانه جعل الحذر والتيقظ آلة يستعملها الغازي ونبه بذلك لان في الصلوة بان يشتغل بعض بكره في غير الصلوة وانما امر هذه الطائفة باخذ الحذر والاسلحة جميعا لان العدو قلما يتنبه في اول الصلوة لكون المسلمين في الصلوة بل يظنونهم قياما للمحاربة واما في الركعة الثانية فيظهر لهم ذلك من ركوعهم وسجودهم لا قولهم فربما يتنبهون لفرصة الهجوم عليهم كما ذكرنا في سبب النزول فلا جرم خص الله تعالى هذا الموضع بزيادة تحذير مثلة واحدة ثم رخص لهم في وضع السلاح اذا اصابه بلل المطر فيسود ويفسد حدته او يثقل على المراد كان نحشوا وحين كان الرجل مريضا يشق عليه حمل السلاح ولكنه امرهم باخذ الحذر لئلا يغفلوا عن كيد العدو لا يجوز بكل حال ان يغفلوا العدو اخذ السلاح في صلوة الخوف سنة مؤكدة والاصح انه لا يجب لان الامر للوجوب لا رفع الجناح عند العذر ينبي عن وجود الجناح في غير ذلك الوقت لكن الشرط ان لا يحمل سلاحا نجسا ان امكنه ولا يحمل الرمح الا في طرف الصف وبالجملة لا يتأذى به احد وفي هذا دليل على انه كان يجوز للمنتبه ان ياتي بصلوة الخوف على جهة يكون بها حاذرا غير غافل عن كيد العدو فلا يكون شيء من الروايات الواردة فيها على خلاف نص القرآن وكما ان الآية دلت على وجوب الحذر عن العدو فكذا يدل على وجوب الحذر عن جميع المضار المظنونة ولهذا الطريق كان الاقدام على العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء وعن الجلوس تحت الجدار المائل واجبا فانت المعتزلة لو لم يكن العبد قادرا على الفعل والترك وعلى جميع وجوه الحذر لم يكن للامر بالحذر فائدة والجواب انا لا ننكر الاسباب لكنا ندعي انتهاء الكل الى مسببها ولهذا ختم الآية بقوله ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا ليعلموا انه يأمر بهذا الحذر لكون الكفار يحذرونهم ويهينونهم وكان كما اخبر فاما قوله فاذا قضيتم الصلوة فقيل انه ان الاول فاذا قضيتم صلوة الخوف فواظبوا على ذكر الله في جميع الاحوال فان ما انتم عليه من الخوف والحرب جدير بذكر الله واظهار الخشوع والالتجاء اليه الثاني ان المراد بالذكر الصلوة اي صلوا اثناء ما كان مشغولا بالمسايفة والمقارعة وقعودا جاثين على الركب حال اشتغالكم بالرمي وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح والرد على هذا القول ان الذكر بمعنى الصلوة مجاز وان المعنى يصير فاذا قضيتم الصلوة فصلوا وفيه بعد اللهم الا ان يقال المراد فداوموا على الصلوة في حالة التحام القتال واعلم ان الآية مسبوقة بحكمين احدهما بيان القصر في صلوة المسافر والثاني بيان صلوة الخوف فقوله فاذا اطمأننتم يحتمل ان يراد به فاذا صرتم مقيمين فاتموا الصلوة تامة من غير قصر البتة ويحتمل ان يراد فاذا زال الخوف وحصل سكون القلب فاتموا الصلوة التي كنتم تعرفونها من غير تغيير شيء من هيئاتها الا ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي مكتوبة موقوتة محدودة باوقات لا يجوز اخراجها عنها ولو في حالة الخوف وفيه دليل للشافعي في ايجاب الصلوة على المحارب في حال المسايفة والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها وعند ابي حنيفة هو معذور في تركها الى ان يطمئن وان فات الصلوة الخمس مشهورة وقد يستدل عليها بقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى فان الوسطى يجب ان تكون مغايرة للصلوات لئلا يلزم التكرار ونهي دالة على التلث ولو كان الواجب اربعا لم يوجد لها وسطى فاذن اقلها خمس وسوف يجيء آيات اخر دالة على الاوقات الخمس كقوله اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل اقم الصلوة

الليل الشمس وسنشرحها ان شاء الله تعالى في مواضعها قال المحققون ان للانسان خمس مراتب سن النمو الى تمام سن الشباب ثم سن الوقوف وهو ان ينتهي ذلك النشو على غاية كماله من غير زيادة ولا نقصان وسن الكهولة وتظهر فيها نقصانات خفية في الانسان وسن الشيخوخة وتظهر فيها نقصانات جلية ثم الى ان يموت ويهلك واما المرتبة الخامسة فهي الخسران وانه الى ان يندرس وينطمس بالكلية كان لم يكن وكذا الشمس اذا ظهر سلطانها من المشرق لا يزال يزداد ضياؤها الى الطلوع حتى لا يزداد ارتفاعها شيئا بعد شيء الى ان يبلغ وسط السماء ثم يظهر فيها نقصانات خفية من الانحطاط وضعف النور والحرارة الى العصر حين يصير ظل كل شيء مثله ثم يظهر النقصانات الجلية الى ان يصير زمان الظل ظل كل شيء مثليه ثم الى ان تغرب ثم يبقى آثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم تنمحي حتى كان الشمس لم توجد قط فهذه الاحوال الخمس موجودة وعجيبة لا يقف عليها الا العاقل ونوع جميع الاشياء وموافقة لاسنان الانسان فلهذا تعينت اوقاتها للعبادات الا وقات على المعبود الحق جل جلاله ثم عاد الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تضعفوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بما يقتلهم ثم الزمهم الحجة بقوله ان تكونوا تألمون والمعنى ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم ولكم مع ذلك رجاء الثواب على الجهاد دونهم لانهم ينكرون المعاد فانتم اولى اولى بالصبر على القتال والجلادة منهم ويحتمل ان يراد بهذا الرجاء ما وعدهم الله من النصر والغلبة على سائر الاديان او يراد انكم تعبدون الاله العالم القادر السميع البصير الذي يصح ان يرجى منه وانهم يعبدون الاصنام التي لا خير فيها يرجى ولا شر منها يخشى ويروى ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفهم الا بما فيه صلاح لكم في دينكم ودنياكم ثم رجع الى ما انجر منه الكلام وهو حديث المنافقين فبين ان الاحكام المذكورة كلها انما تعرف بانزال الله تعالى وليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قوم ومنه ان كفر الكافر لا يبيح المسامحة في النظر له وان كان يجوز الجهاد معه بل الواجب ان يحكم له وعليه بما انزل الله تعالى على رسوله قال اكثر المفسرين ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق احد بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه في ذلك وسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا انك ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وكان هواه معهم وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فانزل الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الآيات الى قوله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وفي الآية دليل على ان طعمة وقومه كانوا منافقين والا لما طلبوا من الرسول نصرة الباطل والحاق السرقة باليهودي قال ابو علي قوله بما اراك الله ليس فيه من الاراءة بالعين والبصر لان حكم الحادثة لا يرى بالبصر ولا من رؤية القلب لانه يقتضي ثلاثة مفاعيل وليس في الآية الا اثنان احدهما الكاف والآخر الضمير العائد المحذوف فهو اذن بمعنى الاعلام ومعناه بما علمك الله وسمي ذلك العلم بالرؤية لان العلم اليقيني المبرأ عن جهات الريب يكون جاريا مجرى الرؤية في القوة والظهور وكان عمر يقول لا يقولن احد قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه واما الرأي منا فهو ظن وتكلف قال المحققون في الآية دلالة على انه ما كان يحكم الا بالوحي المنصوص وان الاجتهاد ما كان جائزا له يوجب ان يكون حال الامة كذلك لقوله فاتبعوه واجيب بان العمل بالقياس عمل بالنص ايضا وكانه تعالى قال له مهما غلب على ظنك ان حكم الصورة المسكوت عنها مثل حكم الصورة المنصوص عليها بسبب امر جامع بين الصورتين فاعلم ان تكليفي في حقك ان تعمل بموجب ذلك الظن ولا تكن للخائنين اي لاجلهم ولاجل الذب عنهم خصيما مخاصما والمراد من الخصم بالفهم والسكون وهو ناحية الشيء وطرفه وكان كل واحد من الخصمين في ناحية من الحجة والدعوى قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لولا ان الرسول اراد ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه ولما امر بالاستغفار والجواب ان النهي عن الشيء لا يقتضي كون المنهي مرتكبا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية ان قوم طعمة لما التمسوا منه ان يذب عن طعمة ويلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي لعل الامر بالاستغفار لانه مال طبعه الى نصرة طعمة بسبب انه كان في الظاهر من المسلمين وحسنات الابرار سيئات المقربين ولعل القوم شهدوا بسرقة اليهودي وبراءة طعمة ولم يظهر للرسول ما يوجب القدح في شهادتهم فهم بالقضاء على اليهودي فاطلعه الله تعالى على مكيدتهم والحال لعل المراد واستغفر لاولئك الذين يذبون عن طعمة ثم قال ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني طعمة ومن عاونه من قومه ممن علموا كونه سارقا والاختيان كالخيانة يقال خانه واختانه وانما قيل لطعمة خائن نفسه لانه بجرمه حرم نفسه الثواب وصلها الى العقاب ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال المفسرون ان طعمة خان في الدرع واثم في نسبته اليهودي الى تلك السرقة وانما ورد البناء على المبالغة لعموم لطعمة ولكل من خان خيانة فلا يخاصم لخائن قط ولا يجادل عنه لان الله لا يحبه وايضا كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ثم ذكر انه هرب الى مكة وارتد وثقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله ومن كانت تلك خاتمة امره لا يشك في حاله وقالت العلماء اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة وفي الآية دليل على ان من كان قليل الخيانة والاثم لم يكن في معرض السخط من الله يستخفون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه لان الاستخفاء لازم الاستحياء وهو معهم بالعلم والقدرة والرؤية وكفى هذا زاجرا للانسان عن المعاصي اذ يبيتون يدبرون ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته والتبييت التدبير وهو معنى في النفس فوله ليس فيها اشكال عند القائلين بالكلام النفسي واما عند غيرهم فمجاز ولعلهم اجتمعوا في الليل ورتبوا كيفية المكر ونسبه الله تعالى كلامهم ذلك بالقول المبيت الذي لا يرضاه الله والمراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وقوله جادلتم جملة موضحة للاولى كما يقال للسخي انت حاتم تجود بمالك والمراد انتم الذين جادلتم والخطاب لقوم مؤمنين كانوا

يذبّون عن طعمة وقومه لانّهم في الظّاهر مسلمون في المعنى فهبوا انّكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدّنيا فمن الّذى يجادل عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه
ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا عن عذاب الله وهذا الاستفهام معطوف على الاوّل وكلاهما للانكار والتّقريع ثمّ اردف الوعيد بذكر التّوبة فقال
ومن يعمل سوءا قبيحا متعدّيا بالسّوء الى غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودىّ او يظلم نفسه بما يختصّ به كالحلف الكاذب فيما تخاصموه متعدّيا الى الغير باسم السّوء لانّ
ايصال الضّرر الى الغير سوء خاصّة بخلاف الّذى يعود وباله الى فاعله فانّ ذلك في الاكثر لا يكون ضررا عاجلا لانّ الانسان لا يوصل الضّرر الى نفسه ثمّ يستغفر الله
باطلاق الآية على انّ التّوبة مقبولة عن جميع الذّنوب وان كان كفرا او قتلا عمدا او غصبا للاموال بل على انّ مجرّد الاستغفار كاف وعن بعضهم انّ الاستغفار
لا ينفع مع الاصرار وهذا بدون قرانه بالتّوبة يجد الله غفورا رحيما اى لم يحذف هذا الرّابط لانّ الكلام عليه لانّه لا معنى للتّرغيب في الاستغفار الّا اذا
كان المراد ذلك وقيل ومن يعمل سوءا اى ذنبا دون الشّرك او يظلم نفسه بالشّرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتّوبة ليلزمه الحجّة مع العلم بما يكون
منه او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذّبّ عنه ومن يكسب اثما الكسب عبارة عمّا يفيد جرّ منفعة او دفع ضرّه ولذلك لم يجز وصف البارى تعالى بذلك
المقصود منه ترغيب لغلطه في الاستغفار وكانّه قال الذّنب الّذى يذنبه انّما يعود وباله وضرره اليك الّا انّى منزّه عن النّفع والضّرّ ولا بأس من قبول
التّوبة وكان الله عليما حكيما يقتضى حكمته ان يتجاوز عن التّائب ما علم منه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة وقيل الخطيئة الذّنب القاصر على فاعله
والاثم هو الذّنب المتعدّى الى الغير كالظّلم والقتل وقيل الخطيئة ما لا ينبغى فعله سواء كان بالعمد او الخطاء والاثم ما يحصل بسبب العمد ثمّ يرم به بريئا حال المذكور
او بالاثم او بذلك الذّنب لانّ الخطيئة في معنى الذّنب او بذلك الكسب بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا لانّه يكسب الاثم اثم وبرمى البرىء بالاثم فهو جامع
بين الامرين فلاجرم يحمل اللّوم في الدّارين ولولا فضل الله عليك ورحمته ولولا ما خصّك الله بالفضل وهو النّبوّة وبالرّحمة لهمّت طائفة منهم من بنى
ظفر وطائفة من النّاس والطّائفة بنو ظفر ان يضلّوك عن القضاء الحقّ والحكم العدل وما يضلّون الّا انفسهم بسبب تعاونهم على الاثم والعدوان
شهادتهم بالزّور والبهتان لانّ وباله عليهم وما يضرّونك من شيء لانّك انّما عملت بظاهر الحال وما امر الانبياء الّا بالاحكام على الظّواهر وهو وعد بانّه يعصمه
ممّا يريدون في الاستقبال من ابتغاء الباطل ثمّ اكّد الوعد بقوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى انّه لمّا امرك بتبليغ الشّريعة الى الخلق تكفّل
يليق بحكمته ان لا يعصمك عن الوقوع في الشّبهات والضّلال لانّه على الاوّل يكون المراد انّه اوحى اليك الكتاب والحكمة بناء احكام الشّرع على الظّاهر فكيف يضرّون
بناء الاهل به فكيف يضرّونك وهو مستأنف باعتبار حتّى لا يقدر احد منهم على اضلالك وعلّمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاوّلين ويحتمل معنيين احدهما
ان يكون كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى انزل الله عليك الكتاب والحكمة واطلعك على اسرارهما ووقفك على حقائقهما مع انّك ما كنت قبل ذلك
عالما بشيء منهما والثّانى ان يكون المراد منها خفيّات الامور وضمائر القلوب اى علّمك ما لم تكن تعلم من اخبار الاوّلين فكذلك يعلّمك من حيل المنافقين وكيدهم
ما تقدر على الاحتراز منهم وكان فضل الله عليك عظيما فيه تنبيه على شرف العلم حيث سمّاه عظيما وسمّى متاع الدّنيا باسرها قليلا ثمّ قيل الصّلوة
صورة جذبة الحقّ ومعراج العبد فلهذا فرضت في الخوف والامن وشدّة القتال والسّفر والحضر والصّحّة والمرض ليكون العبد مجذوبا بالعناية على الدّوام واذا
كنت فيهم فاقمت لهم الصّلوة اى ردّهم اليها لانّ النّظر اليك عبادة كما انّ الصّلوة عبادة وكما انّ الصّلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فانّك تنهاهم عن الفحشاء
والمنكر فلتقم طائفة هم الخواصّ منهم اى من عرفوا مقامك مع الله كقوله لا تحزن انّ الله معنا وليأخذوا ابعد طائفة من بقيّة القوم اسلحتهم
من الطّاعات والعبادات دفعا لعدوّ النّفس والشّيطان فاذا سجدوا بلغوا من معك نزلوا مقامات القربة فليكونوا اى هؤلاء القوم من ورائكم في المرتبة
المقام والمتابعة يحفظونكم باشتغالهم بالامور الدّنيا وبه لحوائج الضّروريّة للانسان ولتأت طائفة اخرى لم يصلّوا فليصلّوا معك في الحقيقة
لم يصلّوا معك في الوصلة وليأخذوا حذرهم وهم ارباب الطّريقة واسلحتهم وهى اركان الشّريعة ودّ الّذين كفروا وهم عدوّ النّفس وصفاتها لو تغفلون
بكم اذى من مطر يعني اشتغال الدّنيا وفيه ورديّات حوائج الانسان يطرء عليكم في بعض الاوقات ان تضعوا اسلحة الطّاعة والاركان فانّه غير مستطاع
وخذوا حذركم من التّوجّه الى الحقّ ومراقبة الاحوال وحفظ القلب وحضوره مع الله وخلوّ السّرّ عن الالتفات بغير الله ورعاية الانفاس وتفويضه
الى الله والاستمداد من همم اعاظم الدّين والالتجاء الى الائمّة النّبوّة انّ الله اعدّ بهذه الاسباب للكافرين من كفّار النّفس والشّيطان عذابا مهينا
فاذا قضيتم الصّلوة المكتوبة فاذكروا الله في جميع حالاتكم انّ الصّلوة كانت في الازل على المؤمنين كتابا موقوتا موقّتا الى الابد كما اشار اليه
بقوله انّا فتحنا لك اى بابا من القدم الى الحدوث ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك ما تقدّم في الازل من ذنبك ان لم تكن مصلّيا وما تأخّر من ذنبك بان لا تكون
مصلّيا ويتمّ نعمته عليك بان يجعل سيّئاتك وهى عدم صلوتك في الازل والابد مبدّلة بالحسنات وهى الصّلوة المقبولة من الازل الى الابد ويهديك صراطا
مستقيما من الازل الى الابد ومن الابد الى الازل ولا تهنوا في ابتغاء القوم النّفس وصفاتها ان تكونوا تألمون في الجهاد بفناء الرّياضات والعبادات
فانّهم يألمون في طلب اللّذّات والشّهوات كما تألمون وترجون من الله العواطف الازليّة والعوارف الابديّة ما لا يرجون لانّهم النّفس الدّنيّة لا يجاوز
شعورها الدّنيّة المجازيّة الفانية بما اراك الله حين لا خير في كثير من نجويهم الّا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
اوحى اليك بلا واسطة بما اوحى الى الانبياء الكرام — نيست خيرى در بسيارى از رازهاى ايشان مگر آنكه امر كند بصدقه يا نيكوئى كردن يا اصلاح كردن
بين النّاس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرّسول من بعد
در ميان مردم و هر كه بكند اين را از براى طلب خشنودى خدا پس زود باشد كه بدهيم او را مزد بزرگ و هر كه مخالفت كند با رسول از بعد

نصف

ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر
بعد از آنکه ظاهر شد مر او را راستی و پیروی کند بجز راه مؤمنان را باز گردانیم او را آنچه خیانت و درآوریم او را در جهنم و بد جایگاهیست بدرستیکه خدا نمی‌آمرزد
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه
که شریک قرار داده شود به او و می‌آمرزد آنچه غیر آن است مر آن را که خواهد و هر که شریک آورد بخدا پس بتحقیق گمراه شد گمراهی دور نمی‌خوانند غیر از خدا
الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم
مگر مادگان را و نمی‌خوانند مگر شیطان سرکش را دور کرد او را خدا و گفت که هر آینه فرا گیرم از بندگان تو بهره معین را و هر آینه گمراه کنم ایشان را
ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
و هر آینه آرزومند سازم ایشان را و هر آینه بفرمایم ایشان را پس ببرند گوشهای چهارپایان را و بفرمایم ایشان را پس تغییر دهند آفریده خدا را و هر که فرا گیرد دیو را دوست خود از غیر
الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماواهم
خدا پس بتحقیق زیان کرد زیانی آشکارا وعده میدهد ایشان را و آرزومند میسازد ایشان را و وعده نمی‌دهد ایشان را دیو مگر فریب آن گروه جای ایشان
جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
دوزخ است و نمی‌یابند از آن هیچ گریزگاهی و آنان که گرویدند و کردند کردار شایسته زود است که درآریم ایشان را در بهشتها که روان است از زیر
الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
جویها جاویدان در آن همیشه وعده به حق و کیست راستگوتر از خدا در گفتار نیست کار با رزوی شما و نه با رزوی اهل کتاب
من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر
هر که کند بدی را جزا داده شود به آن و نمی‌یابد برای خود غیر از خدا دوستی و نه یاوری و هر که عمل کند از کردار شایسته از مرد
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
یا زن و حال آنکه او مؤمن است پس آن گروه درآیند در بهشت و ستم کرده نشوند مقدار نقیری و کیست نیکوتر در دین از آنکه تسلیم کرد روی خود را
لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض
برای خدا و او نیکوکار است و پیروی کرد ملت ابراهیم را که پاک است و فرا گرفت خدا ابراهیم را دوست و مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین
وكان الله بكل شيء محيطا القراءة يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وخلف وقتيبة وسهل الباقون بالنون نوله ونصله مثل يؤده
و هست خدا بهر چیزی احاطه کننده يدخلون بضم الياء وفتح الخاء وكذلك في مريم وحم المؤمن ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ويزيد وابو بكر وحماد
الآخرون بالعكس ابراهام وما بعده في هذه السورة هشام وكذلك روى الموصلي عن الاخفش عن ابن ذكوان الوقوف بين الناس ط عظيما ط جهنم ط مصيرا ط
لمن يشاء ط بعيدا ط اناثا ج لا ابتداء النفي مع واو العطف مريدا لا لان ما بعده وصفه لعنه الله م لان قوله وقال غير معطوف على لعنه مفروضا لا للعطف خلق
الله ط مبينا ط كيلا يصير بعدهم وصفا للخسران ويمنيهم ط غرورا ط محيصا ابدا ط حقا ط قيلا الكتاب ط يجز به للعطف نصيرا نقيرا حنيفا ط خليلا وما في الارض ط
محيطا التفسير ثم اشار الى ما كانوا يتناجون حيث يبيتون ما لا يرضى من القول والنجوى سر بين اثنين كذا النجو يقال نجوته نجوا اي ساررته
وكذلك ناجيته قال الفراء قد يكون النجوى اسما ومصدرا والاية وان نزلت في مناجاة بعض قوم ذلك السارق بعضا الا انها في المعنى عامة والمراد
انه لا خير فيما يتناجى به الناس ويخوضون فيه من الحديث الا من امر ففي محل من وجوه مبنية على معنى النجوى فان كان النجوى السر جاز ان يكون من في موضع
النصب لانه استثناء الشيء من خلاف جنسه كقوله الا اذى ومعناه لكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير او في موضع الرفع كقوله الا اليعافير والا العيس
وابو عبيدة جعل هذا من باب حذف المضاف معناه الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد او في قيامه وعلى
هذا يكون الاستثناء من جنسه وان كان النجوى بمعنى ذوي نجوى كقوله واذ هم نجوى كان محل من ايضا مجرورا من كثير او من نجوى كما لو قلت لا خير في جماعة
من القوم الا زيد ان شئت اتبعت زيدا الجماعة وان شئت اتبعته القوم وانما قال لا خير في كثير مع انه يقصد الحكم كاثبات بدليل قوله كلام ابن آدم
كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله سبحانه لان القلوب ليكون ادخل في الاعتراف به وليخرج عنه الخطأ والتشاور فيما
ينكر هو او عليه اعلم ان قول الخير اما ان يتعلق بايصال المنفعة او بدفع المضرة والاول ان كان من الخيرات الجسمانية فهو الامر بالصدقة وان كان
من الخيرات الروحانية بتكميل القوة النظرية او العملية فهو الامر بالمعروف والثاني هو الاصلاح بين الناس فثبت ان الاية مشتملة على جوامع الخير
ومكارم الاخلاق وهذه الاوامر وان كانت مستحسنة في الظاهر الا انها لا تقع في حيز القبول الا اذا عمل صاحبها بما امر كيلا يكون من زمرة أتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم لم تقولون ما لا تفعلون والا اذا طلب بها وجه الله فلهذا قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما ويمكن ان يقال ان معنى ومن يفعل الامر والمراد ومن يأمر فعبر عن الامر بالفعل لان الامر فعل من الافعال والمراد بقوله من امر
من فعل لان الامر يلزمه الفعل غالبا ثم قال ومن يشاقق الرسول قال الزجاج ان طعمة كان قد تبين له بما اظهر الله من امره فارتد على صحة نبوة

مخالفة فعادى الرسول واظهر الخلاف وارتد على عقبيه واتبع دين عبادة الاوثان وهو غير دين الموحدين سبيلهم ومعنى نوله ما تولى نجعله واليا لما اختاره لنفسه
ونكله الى ما توكل عليه قال بعض الائمة هذا منسوخ باية السيف لاسيما في حق المرتد والظاهر ان المراد به الطبع والخذلان ونصله جهنم نلزمه اياها
وساءت مصيرا وانتصب مصيرا على التمييز من الضمير المبهم في ساءت لانه يعود الى ما في الذهن لا الى المذكور ويحكى ان الشافعي سئل عن اية في كتاب الله تدل
على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلثمائة مرة حتى وقف على هذه الاية ووجه الاستدلال ان اتباع غير سبيل المؤمنين حرام لانه تعالى جمع بين اتباع غير سبيلهم وبين
مشاقة الرسول ورتب الوعيد عليهما واتباع غير سبيل المؤمنين يلزمه عدم اتباع سبيل المؤمنين لاستحالة الجمع بين الضدين او النقيضين فعدم اتباع
سبيل المؤمنين حرام فاتباع سبيلهم واجب وكما ان الرسول في الاية دلالة على وجوب عصمة النبي وعلى وجوب الاقتداء باقواله وافعاله والا وجب
المشاقة في بعض من الامور وهي منهي عنها في الكل وفي الاية دلالة على انه لا يمكن تصحيح الدين الا بالنظر والاستدلال لان الهدى اسم للدليل لا للعلم اذ لا
معنى لتبين العلم لكنه رتب الوعيد على المخالفة بعد تبين الدليل فيكون تبين الدليل معتبرا في صحة الدين واقول الموقوف على النظر هو معرفة وجود الواجب
لذاته وصحة نبوة النبي والبواقي يكفي في اعتقاده اخبار الصادق على ان اخبار الصادق ايضا دليل فلا حكم الا عن دليل ثم انه كرر في السورة قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به للتاكيد وقيل لقصة طعمة واشراكه بالله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لانه لا اجلى من وجود الصانع ووحدته والمطلوب كلما كان اجلى
كان نقيضه ابطل ثم دعم هذا المعنى بقوله سبحانه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه الا اناثا اي اوثانا وكانوا يسمونها باسماء الاناث كاللات والعزى
فاللات تانيث الله والعزى تانيث الاعز قال الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان ويؤيده قراءة عائشة الا اوثانا
وقراءة ابن عباس الا اثنا جمع وثن مثل اسد واسد والاصل الوثن فابدلت همزة كاجوه وقيل المراد الا امواتا لان الاخبار عن الاموات يكون كالاخبار عن الاناث
تقول هذه الاحجار تعجبني كما تقول هذه المراة تعجبني ولان الانثى اخس من الذكر والميت اخس من الحي وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل
ان بعضهم كان يعبد الملائكة ويقولون الملائكة بنات الله وان يدعون ما يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا بالغا في العصيان مجردا عن الطاعة
يقال شجرة مرداء اذا تناثر ورقها والامرد الذي لم تنبت لحيته قال المفسرون كان في كل واحد من تلك الاوثان شيطان يتراءى للسدنة يكلمهم وقالت المعتزلة جعلت
طاعتهم للشيطان عبادة له لانه لم يتخبث هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه والظاهر ان المراد بالشيطان ههنا هو ابليس لانه وصفه بقوله لعنه الله
وقال لاتخذن وهو جواب قسم محذوف اي شيطانا جامعا بين لعنة الله اياه وبين هذا القول الشنيع وهو الاخبار عن الاتخاذ مؤكدا بالقسم ويمكن ان يقال
المراد بلعنة الله ما استحق به اللعن من استكباره عن السجود كقولهم انت اللعين اي لا تفعل ما تستحق به ومعنى نصيبا مفروضا حظا مقطوعا واجبا فرضه لنفسه
واصل الفرض القطع ومنه الفريضة لانه قاطع الاعذار وفرضة النهر لانها فرضة جعلتها قطعة من المال وفرض الجند لانه المقطوع المعين قال الحسن من كل الف
تسعمائة وتسعة وتسعون وفي ذلك لما روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك فيقول اخرج بعث النار قال
قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الحديث ههنا سؤال وهو ان حزب الشيطان وهم الذين يتبعون خطواته من الكفار والفساق
لما كانوا اكثر من حزب الله فلم اطلق عليهم لفظ النصيب مع انه لا يتناول الا القسم الاقل والجواب ان هذا التفاوت انما يحصل من نوع البشر فاذا ضم الملائكة
اليهم فالغلبة للمحقين لا محالة وايضا الغلبة لاهل الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم وان كثروا ولاضلنهم يعني عن الحق وان قلوا وغيرهم كالعدم قالت المعتزلة
فيه دلالة على اصلين من اصولنا الاول ان المضل هو الشيطان دون الله والثاني ان الاضلال ليس عبارة عن خلق الكفر والضلال فان الشيطان بالاتفاق
لا يقدر على ذلك واجيب بان هذا كلام ابليس فلا يكون حجة على ان كلامه في هذه المسئلة مضطرب جدا فتارة يميل الى القدر المحض وهو قوله لاضلنهم ولاغوينهم
واخرى الى الجبر المحض كقوله رب بما اغويتني ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال وانصرام الاهوال وانتظام الاحوال فلا يكادون يقدمون على
التوبة والاقبال على مهمة زاد الاخرة حتى يعتبر قلبه كالحجارة او اشد قسوة ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام البتك القطع وسيف باتك اي صارم
والتبتيك التقطيع شدد للكثرة وجمهور المفسرين على ان المراد به ههنا قطع اذان البحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا
على انفسهم الانتفاع بها ويسمونها بحيرة وقال بعضهم كانوا يقطعون اذان الانعام نسكا في عبادة الاوثان فهم يظنون ان ذلك عبادة مع انه في نفسه
كفر وفسق وقوله فليبتكن صيغة غائب للغائبين واللام لجواب القسم اي فوالله ليبتكن واصله ليبتكون فلما دخلت النون الثقيلة سقطت الواو
لالتقاء الساكنين واكتفى بالضمة والفاء للتسبيب لان الايذان يلازم ما قبلها وما بعدها والجملة في التفسير لغيره ولامرنهم ومثله في الاعراب قوله ولامرنهم
فليغيرن خلق الله والمراد من التغيير التغيير المعنوي قالت طائفة من الاول قول سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن والضحاك ومجاهد والنخعي وقتادة والسدي انه تغيير
دين الله بتبديل الحرام حلالا او بالعكس او بابطال الاستعداد الفطري فطرت الله التي فطر الناس عليها كل مولود يولد على الفطرة ومن الثاني قال الحسن
المراد ما روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والواشرات والمتنمصات وذلك ان المراة تتوسل بهذه الافعال الى الزنا اما الوشم فهو ان تغرزها
بالابرة ثم تذر عليها النيل والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف شعر الحاجب وغيرها وقال انس وشهر بن حوشب وعكرمة وابو صالح تغيير خلق الله هو الخصاء
وقطع الاذان وفقء العيون وكانت العرب اذا بلغت ابل احدهم الفا عوروا عين فحلها وخصاء البهائم مباح عند عامة العلماء واما في بني ادم فمحظور
وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقال ابن زيد هو التخنث تشبه الذكر بالانثى وعلى هذا فان السحق
ايضا داخل في الاية لانه تشبه الانثى بالذكر وحكى الزجاج عن بعضهم ان الله تعالى خلق الانعام ليركبوها فحرموها على انفسهم كالبحائر والسوائب وخلق

النفس الغير مستحق للناس ينتفعون بها فغيروا خلق الله واعلم أن دخول الضرر في الإنسان إنما يكون على ثلاثة أوجه التشويش والنقصان والبطلان
فادعى الشيطان لعنه الله إلقاء أكثر الخلق في ضرر الدين هو قوله لأضلنهم ثم فصل ذلك بقوله ولأمنينهم وهو القدر من جنس التشويش لأن صاحب الأماني
يتشوش فكره في استخراج حيل الدنيا ووسائل اللطيفة في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية والشيطانية وقوله ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام إشارة
إلى الضرر بالنقصان لأن الإنسان إذا صار مستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف العزم في طلب الآخرة وقوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
إشارة إلى البطلان لأن من بقي مواظبا على طلب اللذات العاجلة معرضا عن السعادات الباقية فلا يزال يتزايد ميله وركونه إلى الدنيا حتى يتغير طبعه
بالكلية ولا يخطر بباله ذكر الآخرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بأن يفعل ما أمره الشيطان به ويترك ما أمره الرحمن به فقد خسر خسرانا مبينا
إذ فاته أشرف المطالب بسبب اشتغاله بأخسها والسبب فيه أن الشيطان يعدهم ويمنيهم مفعول التخفيف أنه سيطول عمره وينال من الدنيا مقصوده ويستولي
على أعدائه ويوقع في قلبه أن الدنيا دول فربما تيسرت لي كما تيسرت لغيري وما يعدهم الشيطان إلا غرورا لأنه ربما لم يطل عمره وإن طال فربما لم يجد مطلوبه
وإن طال عمره ونال مأموله على أحسن الوجوه فلا بد أن يكون عند الموت في أشد حسرة وأبلغ حيرة لأن المطلوب كلما كان ألذ وأشهى كان الإلف معه أتم
وأبقى كانت مفارقته آلم وأنكى وأيضا لعل الشيطان يعدهم أنه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا
فرصة العيش الزائلة فلذلك قال أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا مفرا ومعدلا ولم يعينا أصلها إلا بلا ... من دودها والكناية
التخليد بمعنى الدوام للكفار وطول المكث للفساق ثم أردف الوعيد بالوعد على سنته المعهودة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قال أهل السنة لو كان الخلود الدوام لزم التكرار فإذن هو طول المكث المطلق وقوله أبدا معه ليدل
أنه أبدي وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لأن قوله سندخلهم وعد منه ثم وعد مضمونه هو مضمون وعد الله وما قد حقا
مضمونه أخص من مضمون الوعد لأن الوعد من حيث هو وعد يحتمل أن يكون حقا وأن لا يكون فمضموناهما متغايران تغاير الجنس والنوع ومن أصدق
من الله قيلا توكيد ثالث بليغ من قبيل الاستفهام المتضمن للإنكار وفائدة هذه التوكيدات معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وإلقاء أمانيه
الفارغة والتنبيه على أن قول أصدق القائلين أولى بالقبول من قول من لا أحد أكذب منه والقيل مصدر كالقول وعن ابن السكيت أن القيل والقال اسما
لا مصدران عن أبي صالح قال جلس أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل القرآن كل صنف يقول لصاحبه نحن خير منكم فنزلت ليس بأمانيكم ولا أماني
أهل الكتاب وقال مسروق وقتادة احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أهدى منكم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم
وقال المسلمون نحن أهدى منكم وأولى بالله نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على الكتب التي قبله فنزلت ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان
بقوله ومن يعمل من الصالحات وبقوله ومن أحسن دينا الآيتان وقيل الخطاب في أمانيكم لعبدة الأوثان وأمانيهم أن لا يكون حشر ولا نشر ولا معاد
ولا عقاب وإن عذبوا لكنهم يشفعون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله وقيل الخطاب للمسلمين وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر وأماني
أهل الكتاب قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودات واسم ليس مضمر فقيل
أي ليس وضع الدين على أمانيكم وقيل ليس الثواب الذي تقدم الوعد به في قوله سندخلهم وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب أي
منه وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل
ويؤكد هذا المعنى قوله بيانا للمذكور من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن ههنا استدلت المعتزلة بالآية على القطع بوعيد
الفساق ونفي الشفاعة وأجيب بأنه مخصوص بالكفار لأنهم مخاطبون بالفروع عندنا سلمنا أنه يعم المؤمن لكن قد لا أنه مخصوص في حق المؤمن
بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء سلمنا لكن لم لا يجوز أن يكون جزاؤهم الآلام والأسقام والهموم والغموم الدنيوية روي أنه لما نزلت الآية قال
أبو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك اللأواء فهو ما تجزون به وعن عائشة أن رجلا قرأ هذه الآية فقال
أنجزى بكل ما نعمل لقد هلكنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم كلامه فقال يجزى المؤمن في الدنيا بمصيبته في جسده وبما يؤذيه وعن أبي هريرة لما نزلت الآية بكينا وحزنا
وقلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية لنا شيئا فقال أبشروا فإنه لا يصيب أحدا منكم مصيبة في الدنيا إلا جعلها الله له كفارة حتى الشوكة التي تقع
في قدمه سلمنا أن الجزاء إنما يصل إليه في الآخرة لكنه روي عن ابن عباس أنه لما نزلت الآية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء
فقال إنه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة عقوبة واحدة فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات
فويل لمن غلبت آحاده أعشاره وأيضا المؤمن الذي أطاع الله سبعين سنة ثم شرب قطرة من الخمر فهو مؤمن قد عمل الصالحات فيوجب القطع بأنه يدخل
الجنة قالوا إن صاحب الكبيرة غير مؤمن فأجيب بنحو قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أما حديث نفي الشفاعة فإذا كانت شفاعة الملائكة
والأنبياء بإذن الله صدق أنه لا ولي لأحد ولا نصير إلا الله قال في الكشاف من في قوله من الصالحات للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن
كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال وإنما يعمل منها ما هو في وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة ولا صلاة في بعض الأحوال
ومن في قوله من ذكر لتبيين الإبهام في من يعمل والضمير في لا يظلمون عائد إلى عمال السوء وعمال الصالحات جميعا أو يعود إلى الصالحين فقط وذكره عند أحد الفريقين
يغني عن ذكره عند الآخر والمسيء مستغن عن هذا القيل لأن المعلوم أن أرحم الراحمين لا يزيد في عقابه وأما نقصان الفضل في الثواب فكان يحتمل أن يزل الله

الوهم

الوهم ثم بين فضل الايمان المشروط به الفوز بالجنة فقال ومن أحسن دينا وبيّن الفضل من وجهين الاول انه الدين المشتمل على اظهار كمال العبودية والانقياد لله والاشارة بقوله أسلم وجهه لله وهو راجع الى الاعتقاد الحق وعلى اظهار كمال الطاعة وحسن العمل والاخلاص والى الاشارة بقوله وهو محسن وهو عائد الى فعل الخيرات وترك المنكرات بصفاء النيات وخلوص الطويات وفيه تنبيه على ان كمال الايمان لا يحصل الا عند تفويض جميع الامور الى الخالق والتبري من الحول والقوة ومن الاستعانة بغير المعبود الحق من الافلاك والكواكب والطبائع وغيرها كائنا من كان الوجه الثاني ان محمدا انما دعا الخلق الى دين ابيه ابرهيم ومن المشهور فيما بين اهل الاديان انه ما كان يدعو الى عبادة فلك ولا طاعة كوكب ولا سجدة صنم ولا استعانة بطبيعة بل كان مائلا عن الملل الباطلة بعيدا عنها بعد المركز عن جميع اجزاء الدائرة ولهذا شرفه بقوله واتخذ الله ابرهيم خليلا وهذه جملة معترضة والسبب في ايرادها ان يعلم من كان في علو الدرجة بهذه الحيثية كان جديرا بان يتبع طريقته قال العلماء ان خليل الانسان هو الذي يدخل في خلال اموره واسراره والذي دخل حبه في خلال قلبه ولما اطلع الله تعالى ابرهيم على ملكوت الاعلى والاسفل ودعا القوم مرة بعد اخرى الى توحيد الله ومنعهم عن عبادة النجوم والقمر والشمس وعن عبادة الاوثان ثم سلم نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم جعله الله اماما للناس ورسولا اليهم وبشره بان الملك والنبوة في ذريته الى اليوم الدين كان خليلا لله لان خلته عبارة عن ارادة ايصال الخيرات والمنافع وقيل الخليل هو الذي يوافقك في خلالك وقد قال تخلقوا باخلاق الله فلما بلغ ابرهيم في مكارم الاخلاق مبلغا لم يبلغه من تقدمه فلا جرم استحق اسم الخليل وقيل الخليل الذي يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل فلما كان ابرهيم منقادا لكل ما امر به ونهي عنه فكانه سائر وافق اوامر الله تعالى ونواهيه فاستحق اسم الخليل لذلك هذا من جهة الاشتقاق واما من قبل اسباب النزول فعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل لم اتخذ الله ابرهيم خليلا قال لاطعامه الطعام يا محمد وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى دخل ابرهيم منزله فجاءه ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه فقال ابرهيم باذن من دخلت فقال باذن رب المنزل فعرفه ابرهيم فقال له ملك الموت ان ربك اتخذ من عباده خليلا قال ابرهيم ومن ذلك قال وما تصنع به قال اكون خادما له حتى اموت قال فانه انت وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس اصاب الناس سنة جهدوا فيها فحشروا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى خليله بمصر يسأله الميرة فقال الخليل لو كان ابرهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له ولكنه يريده للاضياف وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل ابرهيم فمروا ببطحاء فقالوا لو انا احتملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا بميرة انا لنستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملأوا تلك الغرائر ثم انهم اتوا ابرهيم وسارة نائمة فاعلموه ذلك فاهتم ابرهيم لمكان الناس فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة فقامت الى تلك الغرائر ففتقتها فاذا هي اجود حوارى تكون فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس واستيقظ ابرهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا الطعام فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله يومئذ اتخذه الله خليلا وقال شهر بن حوشب هبط ملك في صورة رجل وذكر اسم الله بصوت رخيم شجي فقال ابرهيم اذكره مرة اخرى فقال لا اذكره مجانا فقال لك مالي كله فذكره الملك بصوت اشجى من الاول فقال اذكره مرة ثالثة ولك اولادي فقال الملك ابشر فاني ملك لا احتاج الى مالك وولدك وانما كان المقصود امتحانك فلما بذل المال والاولاد على سماع ذكر الله فلا جرم اتخذه الله خليلا وروى طاوس عن ابن عباس ان جبرئيل والملائكة لما دخلوا على ابرهيم في صورة غلمان حسان الوجوه ظن الخليل انهم اضيافه وذبح لهم عجلا سمينا وقربه اليهم وقال كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل انت خليل الله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ الله ابرهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا ثم قال وعزتي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي قلت وذكرنا الفرق بين الخليل والحبيب في سورة البقرة في تفسير قوله اذ قال له ربه اسلم قال في التفسير الكبير انما استنار جوهر الروح بالانوار القدسية والجلايا الالهية صار الانسان متوغلا في عالم القدس فلا يرى الا الله ولا يسمع الا الله ولا يتحرك الا بالله ولا يسكن الا لله فهذا الشخص يستحق ان يسمى خليل الله لما ان محبة الله تعالى تخللت في جميع قواه قال بعض النصارى اذا جاز اطلاق الخليل على انسان تشريفا فلم لا يجوز اطلاق الابن عليه لمثل ذلك والجواب ان الخلة لا تقتضي الجنسية بخلاف البنوة وانه سبحانه متعال عن مجانسة المحدثات ولهذا قال بعد ذلك ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ليعلم انه لم يتخذ ابرهيم خليلا لاحتياجه اليه ولا لاحتياج لكنه اصطفاه لمجرد الفضل والامتنان فانه مع خلته لم يستنكف ان يكون عبدا له داخلا تحت ملكه وملكه وفيه ان من كان في القهر والتسخير بهذه الحيثية وجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وينقاد لاوامره ونواهيه كما قال ابرهيم اسلمت لرب العالمين وايضا انه لما ذكر الوعد والوعيد وانه لا يمكن الوفاء بهما الا بالقدرة التامة على جميع الممكنات والعلم الكامل الشامل بجميع الكليات والجزئيات اشار الى الاول بقوله ولله ما في السموات وما في الارض والى الثاني بقوله وكان الله بكل شيء محيطا وانما قدم القدرة على العلم لان الفعل بوجوده يدل على القدرة وباتقانه واحكامه والاتقان يدل على العلم ولا ريب ان الاعتبار الاول مقدم على الثاني قال بعضهم الاحاطة ايضا ههنا بمعنى القدرة كقوله واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها ولا يلزم تكرار لان الاول لا يدل الا على مالكية ما في السموات والارض والقدرة عليها والثاني يفيد القدرة المطلقة على جميع الاشياء وان من خارج السموات والارض وعلى ان سلسلة القضاء والقدر في جميع الممكنات انما ينقطع بايجاده وتكوينه وابداعه التأويل لا خير في كثير من نجوى النفس والهوى والشيطان الا من امر بالخيرات وهو الله بالوحي وبالخواطر الرحمانية ثم خواص عباده ومن يشاقق الرسول اي يخالف الالهام الرباني ويتبع غير سبيل المؤمنين بل يتبع الهوى وتسويل النفس والشيطان نوله ما تولى نكله بالخذلان الى ما تولى ونصله بسلاسل معاملاته جهنم الصفات البهيمية والسبعية والشيطانية ان الله لا يغفر ان يشرك به ولو كان مغفورا لم يشرك بالله لانه فقد ضل ضلالا بعيدا وهو الضلال الاصلي الازلي فانهم ان يدعون من دونه الا اناثا اي صفات يتوهم منها الله فيها

بهم من شرار

الشيطان يدعون لاشيطانا مريدا يعني الدنيا كما قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه والنصيب المفروض ما نفرض لهم الله هو
للنار ولاضلنهم كما يبعد والله فانه يريد ولبس لهم من الضلالة البينة كما قال بعثت مبلغا وليس لي من الهداية شيء وعد الله حقا وهو قوله هو لاء الى الجنة
ولا ابالي ليس بامانيكم يعني عوام الخلق الذين يذنبون ولا يتوبون ويطمعون ان يغفر الله لهم وقد قال وانی لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ولا اماني اهل الكتاب
علماء السوء الذين يغرون العوام بالرجاء والطمع ويقطعون عليهم طريق الطلب والاجتهاد فليس من عنى نعمة من غيران يتعنى في طلبها من غيران يتمنى نعمة
من يعمل سوءا يجز به في الحال بظهار الدين على ان قلبه كما قال اذا اذنب عبده نكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب رجع منه صقلت ولا يجد له من دون الله وليا
يخرجه من ظلمات المعصية الى نور الطاعة والتوبة ولا نصيرا ينصره بالظفر على النفس الامارة من ذكر او انثى اي من قلب او نفس ومن احسن دينا يعني من محبة حين اسلم
وروحه وقلبه ونفسه شيطانه كما قال اسلم شيطاني على يدي ومن سلام نفسه يقول يوم القيامة امتي امتي حين يقول الانبياء نفسي نفسي وهو محسن يعني انه من اهل
المشاهدة يعبد الله كانه يراه بل يراه ولا يراه احسن الدين خلقه العظيم الى ان يبلغ حد الكمال والختم واتبع ملة ابراهيم بان الله اتخذه خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
بل المحبوب من عام فيها اسمك قال الخليل ونيل المحبة ما اسمك قال الحبيب كان محمد حبيبا اتى بفقر من الخلق الحاجة لانه افتقر بالكلية الى الله في كل احواله
والفرق بين مقام الخليل ومقام الحبيب الخليل اتخذ الالهة عدوا في الله فانهم عدو لي الا رب العالمين واتخذ نفسه عدوا لله وقال لبث ربه تخلق بخلق محمد
وهذا مقام الفناء في الفنا بل البقاء بعد وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًا وَيَسْتَفْتُوْنَكَ
الفناء فلاجرم يقول بالرب عن الرب
و فتوی میخواهند

ع ۱ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ فِيْ يَتٰمَى النِّسَآءِ الّٰتِيْ لَا تُؤْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ
دربارهٔ زنان بگو که خدا فتوی میدهد شما را دربارهٔ ایشان و آنچه خوانده میشود بر شما در قرآن در بارهٔ یتیمان از زنان آن زنانیکه نمیدهید ایشانرا آنچه واجب شد
لَهُنَّ وَتَرْغَبُوْنَ اَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَاَنْ تَقُوْمُوْا لِلْيَتٰمٰى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ
برای ایشان و رغبت میکنید که نکاح کنید ایشانرا و در بارهٔ ضعیفان از اطفال و آنکه بایستید برای یتیمان بعدالت و آنچه بکنید از خیر
فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِهٖ عَلِيْمًا وَاِنِ امْرَاَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوْزًا اَوْ اِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ اَنْ يُّصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا
پس بدرستی که خدا هست بآن دانا و اگر زنی بترسد از شوهر خود برتری یا روگردانیدن پس نیست گناهی بر ایشان که اصلاح کنند در میان خود صلحی
وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَاُحْضِرَتِ الْاَنْفُسُ الشُّحَّ وَاِنْ تُحْسِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا وَلَنْ تَسْتَطِيْعُوْٓا
و صلح بهتر است و حاضر کرده شد نفسها را بخل و اگر نیکوئی کنید و پرهیزگاری کنید پس بدرستی که خدا هست بآنچه میکنید با خبر و هرگز نتوانید
اَنْ تَعْدِلُوْا بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيْلُوْا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوْهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَاِنْ تُصْلِحُوْا وَتَتَّقُوْا
که عدالت کنید در میان زنان و هرچند حریص باشید پس میل مکنید تمام میل پس بگذارید آنرا مانند معلقه و اگر صلح کنید و پرهیزگاری کنید
فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ غَفُوْرًا رَّحِيْمًا وَاِنْ يَّتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّٰهُ كُلًّا مِّنْ سَعَتِهٖ وَكَانَ اللّٰهُ وَاسِعًا حَكِيْمًا
پس بدرستی که خدا هست آمرزنده مهربان و اگر جدا شوند بی نیاز کند خدا هریک را از وسعت خود و هست خدا وسعت دهنده درستکردار
وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيَّاكُمْ اَنِ
و مر خدا راست هرچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بتحقیق وصیت کردیم آنانرا که داده شدند کتاب از پیش شما و شما را که
اتَّقُوا اللّٰهَ وَاِنْ تَكْفُرُوْا فَاِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ غَنِيًّا حَمِيْدًا وَلِلّٰهِ
بپرهیزید خدا را و اگر کافر شوید پس بدرستی که مر خدا راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و هست خدا بی نیاز ستوده و مر خدا راست
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيْلًا اِنْ يَّشَاْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النَّاسُ وَيَاْتِ
آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است و بس است خدا کارگذاری اگر خواهد ببرد شما را ای گروه مردمان و بیاورد
بِاٰخَرِيْنَ وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى ذٰلِكَ قَدِيْرًا مَنْ كَانَ يُرِيْدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ
دیگران را و هست خدا بر این توانا هر که بوده است که بخواهد بهره دنیا پس نزد خداست بهره دنیا و آخرت
ع ۲ وَكَانَ اللّٰهُ سَمِيْعًا بَصِيْرًا يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْا قَوّٰمِيْنَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ
و هست خدا شنونده بینا ای گروه آنانکه ایمان آوردید باشید ایستادگان بعدالت گواهان از برای خدا اگرچه بر نفس خود باشد
اَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْاَقْرَبِيْنَ اِنْ يَّكُنْ غَنِيًّا اَوْ فَقِيْرًا فَاللّٰهُ اَوْلٰى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوٰٓى اَنْ تَعْدِلُوْا وَاِنْ
یا پدر و مادر و خویشان اگر باشد توانگر یا فقیر پس خدا سزاوارتر است بایشان پس متابعت مکنید خواهش که عدالت کنید و اگر
تَلْوٗٓا اَوْ تُعْرِضُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرًا يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ
روبگردانید یا اعراض کنید پس بدرستی که خدا هست بآنچه میکنید با خبر ای گروه آنانکه ایمان آوردید ایمان آورید بخدا و رسول او و قرآن
الَّذِيْ نَزَّلَ عَلٰى رَسُوْلِهٖ وَالْكِتٰبِ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكُتُبِهٖ وَرُسُلِهٖ
که فرستاده بر پیغمبر خود و کتابی که فرستاده است از پیش و هر که کافر شود بخدا و فرشتگان او و کتابهای او و پیغمبران او

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا

در روز واپسین پس بتحقیق که گمراه شده است گمراهی دوری بدرستی که آنانی که ایمان آوردند پس کافر شدند باز ایمان آوردند پس کافر شدند پس افزودند در کفر

لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

نمیباشد خدا که بیامرزد آنها را و نه آنکه بنماید ایشان را راهی را مژده ده منافقان را بآنکه مر آنها راست عذابی دردناک آنان که فرا گیرند

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَقَدْ نَزَّلَ

کافران را دوستان از غیر مؤمنان آیا خواهش میدارند نزد ایشان عزت را پس بدرستیکه عزت مر خدا راست همه و بتحقیق که فرستاده

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

بر شما در کتاب که اگر شنیدید آیات خدا را کافر شوند بآن و مسخریه کنند بآن پس منشینید بایشان تا فرو روند

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ

در حدیثی غیر آن بدرستیکه شما آنگاه مانند ایشانید بدرستیکه خدا گرد آورنده منافقان و کافران در جهنم همه آنان که انتظار کشند

بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ

بشما پس اگر باشد مر شما را فتحی از خدا گویند آیا نبودیم با شما و اگر باشد مر کافران را بهره گویند آیا غالب نشدیم بر شما

وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

و منع میکردیم شما را از مؤمنان پس خدا حکم کند در میان شما در روز قیامت و قرار ندهد خدا از برای کافران بر مؤمنان سلطه را

القراءة يصلحا من الاصلاح عاصم وعلي وحمزة وخلف الباقون يصالحا من التصالح وادغام التاء في الصاد ان تشا حيث كان بغير همز الاعشى واوحد ورش
من طريق الاصفهاني وحمزة في الوقف وان تلوا بواو واحدة ابن عامر وحمزة الباقون كلاهما بواوين فاما الذي نزل والذي انزل مشددا مبنيا للفاعل
عاصم ويعقوب الباقون مبنيا للمفعول الوقوف في النساء فيهن للعطف اي الله والمتلو يفتيكم والولدان للعطف اي في يتامى النساء وفي المستضعفين
وفي ان تقوموا بالقسط عليما صلحا خير الشح خبيرا كالمعلقة رحيما سعته حكيما وما في الارض ان اتقوا الله وما في الارض وكيلا باخرين قديرا والاخرة بصيرا
والاقربين لابتداء الشرط مع اتفاق المعنى ان تعدلوا لذلك خبيرا من قبل بعيدا سبيلا اليما لا لان الذين صفة المنافقين وان كان يحتمل النصب والرفع على
الذم المؤمنين جميعا غيره لان ما بعده كالتعليل مثلهم جميعا لا لان ما بعده صفة المنافقين لكم لابتداء الشرط مع انه بيان الذين معكم لترجيح جانب
العطف وانما ينافي النفاق نصيب لا لان قالوا جواب المؤمنين القيمة سبيلا التفسير احسن الترتيبات ان يفتتح بالدعوة الى الدين الحق والبعث على
التكاليف هو ما عليه القرآن من اقتران الوعد بالوعيد وخلط الترغيب بالترهيب ثم الآيات الدالة على العظمة والكبرياء الى بيان الاحكام والاستفتاء
طلب الفتوى يقال استفتيت الرجل فافتاني افتاء وفتيا وفتوى هما اسمان يوضعان موضع الافتاء وهو اظهار المشكل من الفتى وهو الشاب الذي
قوي وكمل كانه يقوي ببيانه ما اشكل فيثبت ويصير فتيا قويا والاستفتاء لا يقع في ذوات النساء وانما يقع في حالة من احوالهن فلذلك اختلفوا فعن بعضهم
انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان شيئا من الميراث كما مر في اول السورة فنزلت في توريثهم وقيل نزلت في الاوصياء وقيل في توفية الصداق لهن كانت اليتيمة
تكون عند الرجل فان كانت جميلة وما لها تزوجها واكل مالها وان كانت دميمة منعها من الازواج حتى تموت فيرثها اما قوله وما يتلى عليكم ففيه وجوه
احدها انه رفع بالابتداء معطوفا على اسم الله اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب يفتيكم ايضا ويجوز ان يكون رفعا على الفاعلية لكونه عطفا على المستتر
في يفتيكم وجاز بلا تاكيد للفصل اي يفتيكم الله والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى كقولك اعجبني زيد وكرمه ذلك المتلو هو قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
كما سلف في اول السورة جملة لانه الكتاب على هذا الحكم اثناء من الكتاب ثانيها وما يتلى عليكم مبتدأ في الكتاب خبره وهي جملة معترضة ويكون المراد من الكتاب
اللوح المحفوظ والغرض تعظيم حال هذه الآية وان العدل فيها والمنصفة من غاية حقوق اليتامى فالم منها ونحوه بما عظمه الله ونظيره في تعظيم القرآن قوله وانه
في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وثالثها انه مجرور على القسم بمعنى التعظيم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن وحق المتلو ورابعها ان يكون مجرورا على انه
معطوف على المجرور في فيهن قال الزجاج انه ليس بسديد لفظا العدم اعادة الجار ومعنى لانه لا معنى لقول القائل يفتي الله فيما يتلى من الكتاب لان الافتاء
انما يكون في المسائل وقوله في يتامى النساء على الاول صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن ويدل من فيهن وعلى سائر الوجوه بدل من فيهن لا غير والاضافة
في يتامى النساء قال الكوفيون هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل في النساء اليتامى قال البصريون انها على تاويل جرد قطيفة وسحق عمامة ويجوز
بعضهم ان يكون المراد بالنساء امهات اليتامى كما في قصة ام كجة ومعنى لا تؤتونهن ما كتب لهن قال ابن عباس يريد ما فرض لهن من الميراث بناء على انها نزلت
في ميراث اليتامى والصغار وقال غيره يعني ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن قال ابو عبيدة هذا يحتمل الشهوة والنفرة اي ترغبون في ان تنكحوهن
لجمالهن وترغبون عن ان تنكحوهن لدمامتهن احتج اصحاب ابي حنيفة بالآية على انه يجوز لغير الاب والجد تزويج الصغيرة ورد باحتمال ان يكون المراد وترغبون ان تنكحوهن
اذا بلغن ولان قدامة بن مظعون زوج بنت اخيه عثمان بن مظعون من عبد الله بن عمر فخطبها المغيرة بن شعبة ورغبت امها في المال فجاؤوا الى الرسول فقال فلانة

القراءات ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الباقون نزل وانزل مبنيين للفاعل

ان عمها وهو وصيها زوجها فقال النبي عليه السلام انها صغيرة وانها لا تزوج الا باذنها وفرق بينها وبين ابن عمرو لانه ليس في الآية اكثر من كون رغبة الاولياء في نكاح اليتيمة وذلك
لا يدل على الجواز والمستضعفين من الولدان تزيد في ميراثها الصغار والخطاب في ان تقوموا للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم بل يجوز
ان يكون وان تقوموا منصوبا اي يامركم ان تقوموا ومن جملة ما هي اجر الله تعالى امر بقيتهم بر في الدنيا لكن لم يتقدم ذكره قوله وان امرأة خافت ارتفاع امرأة
بفعل يفسره خافت اي علمت وقيل ظنت والظن انه على معناه الاصلي الا ان الخوف لا يحصل الا عند ظهور العلامات الدالة على وقوع المخوف كان يقول
الرجل لامرأته انك دميمة او مسنة واني اريد ان اتزوج شابة جميلة والبعل الزوج والنشوز يكون من الزوجين وهو كراهة كل منهما صاحبه يقال نشوز الرجل
ان يعرض عنها ويعبس وجهها ويترك مجامعتها ويسيء عشرتها عن عائشة انها نزلت في المرأة تكون عند الرجل ويريد الرجل ان يستبدل غيرها فتقول امسكني
وتزوج غيري وانت في حل من النفقة والقسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها
ومعنى صلحا وهو مصدر من غير لفظ الفعل مثل والله انبتكم من الارض نباتا ان يتصالحا على ان تطيب المرأة له نفسا عن القسمة او عن بعضها او عن المهر او النفقة
فان هذه الامور هي التي تقدر المرأة على طلبها من الزوج شاء ام ابى اما الوطء فليس كذلك لان الزوج لا يجبر على الوطء والصلح خير من الفرقة او من النشوز و
الاعراض واللام للعهد او هو خير من الخصومة في كل شيء فاللام للاستغراق وبه تمسك اصحاب ابي حنيفة في جواز الصلح على الانكار والصلح خير من الخيرات كما
ان الخصومة شر من الشرور والجملة معترضة وكذا قوله واحضرت الانفس الشح الا انه اعتراض مؤكد للمطلوب يحصل المقصود والشح البخل مع حرص فارض شحاح لا يسيل
الا من مطر كثير جعل الشح كالامر الحاضر للنفوس لانها جبلت على ذلك ثم يحتمل ان يكون هذا ترغيبا بالمرأة انها تشح ببذل نصيبها او حقها او بالزوج انه يشح بانه
يقضي عمره معها مع دمامتها وكبر سنها وعدم الالتذاذ بصحبتها واعلم انه رخص اولا في الصلح بقوله فلا جناح عليهما دفعا لتوهم ارتفاع الاثم ثم بين انه كالاحتياج
فيه لكنه لك فيه خير كثير ثم حث على الاحسان والتقوى وختم مادة الخصومة راسا فقال وان تحسنوا اي بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن و
تتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة الموجبة الى الصلح فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا فيثيبكم على ذلك وعلى هذا فالخطاب
للازواج وقيل الخطاب للزوجين ان يحسن كل منهما الى صاحبه بحفظه عن الظلم وقيل لغيرهما ان يحسنوا في المصالحة بينهما وتتقوا الميل الى واحد منهما يحكى ان عمران بن
حطان الخارجي كان من ادم بني ادم وامرأته من اجملهم فاجالت نظرها في وجهه ثم قالت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة لانك
رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت ولن تستطيعوا ان تعدلوا لن تقدروا على التسوية بين النساء في ميل الطباع وكونوا ضمنتم واذا لم تقدروا ولعلها
بحيث لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان لم تكونوا مكلفين به وهذا نقض لما ذهب اليه المعتزلة من ان تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز فلا تميلوا
كل الميل اي رفع عنكم تمام العدل وغايته لكن اتوا ما استطعتم بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم ولو حلفتم لن تستطيعوا التسوية في الميل القلبي ولو حرصتم
ولا التسوية الكلية في نتائج الحب من الاقوال والافعال لان الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور
فتمنعوها قسمتها ونفقتها وسائر حقوقها وحظوظها من غير رضى منها فتذروها كالمعلقة بين السماء والارض لا على قرار اي غير ذات بعل ولا مطلقة
والغرض النهي عن الميل الكلي مع جواز التفريط في العدل الكلي في نتائج الميل القلبي واما الميل القلبي فمعفو بالكل والبعض لان القلب ليس في تصرف الانسان انما
هو بين اصبعين من اصابع الرحمن عن النبي انه كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة
كانت احب اليه عنه من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل
فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله كلا يجعل كل واحد منهما زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه وسعة الغنى والمقدرة وكان الله واسعا
من الرزق والفضل والرحمة والعلم واي كمال بعرضه لهذا اطلق حكيما قال ابن عباس فيما حكم ووعظ قال الكلبي فيما حكم على الزوج من امساكها بمعروف
او تسريحها باحسان ثم قال ولله ما في السموات وما في الارض هو كالتقرير لسعة ملكه وحكمه وبيان ان الذي امرهم من العدل والاحسان الى اليتامى والنسوان
ليس لعجز او افتقار وانما يعود فائدة ذلك الى المكلفين لانه لاحسن له في دنياه وعقباه ثم بين ان الامر بتقوى الله شريعة قبلهم لم يلحقها نسخ وتبديل وان استغنائه
تعم بالنسبة الى الامم السالفة كهو بالنسبة الى الامم الآتية فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنسه ليشمل التورية والانجيل والزبور وغيرها من
الصحف قوله من قبلكم اما ان يتعلق بوصينا او باوتوا وقوله واياكم عطف على الذين ومعنى ان اتقوا بان اتقوا ويكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا
عطف على اتقوا اي امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يخشون عقابه ويرجون ثوابه او قلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من الملائكة وغيرهم
من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم حميدا في ذاته وان لم يحمده واحد منهم ثم كرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض وكفى
بالله وكيلا تقريرا لانه اهل ان يتقى وتوكيدا لاستغنائه عن طاعات المطيعين وسيئات المذنبين ثم بالغ في هذا المعنى بقوله ان يشأ يذهبكم
ايها الناس ويأت باخرين يوجد خلقا اخرين غير الانس او من جنس الانس وكان الله على ذلك الاعدام ثم الايجاد قديرا بليغ القدرة لم يزل موصوفا بذلك لم
يزل كذلك وفي الآية من التخويف والغضب ما لا يخفى وقيل الخطاب لاعداء النبي من العرب والمراد باخرين ناس يوالونه يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله يده على
ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس ثم رغب الانسان فيما عند الله من الكرامة فقال من كان يريد ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب الاخس الداني
مع انه اذا طلب الاشرف يتبعه الاخس لانه فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراد ويحصل ربط الجزاء بالشرط وكان الله سميعا لاقوال المجاهدين الطالبين

بان اتقوا

بصيرة بمطامح عيونهم ومطارح ظنونهم فيجازيهم على نحو ذلك ثم بين ان كمال سعادة الانسان في ان يكون قوله لله وفعله لله وحركته لله وسكونه لله فقال
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اختيار العدل محترزين عن ارتكاب الميل شهداء لله لوجهه ولاجل مرضاته كما امرتم باقامتها ولو كانت
تلك الشهادة وبالا على انفسكم او الوالدين والاقربين بان يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره وفي كلام الحكماء اذا كان الكذب ينجي فالصدق انجى واما
الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها وان يقول اشهد ان لفلان علي او على والدي كذا او على اقاربي كذا واما تقديم الامر بالقيام بالقسط على
الامر بالشهادة لله عكس قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لان شهادة الله تعالى عبارة عن كونه خالقا للمخلوقات
وقيامه بالقسط عبارة عن رعايته قوانين العدل في تلك المخلوقات والاول مقدم على الثاني واما في حق العباد فالعدل مقدم على الشهادة فقدم الشرط
على المشروط فافهم ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا تكتموا الشهادة طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فالله اولى بامورهما ومصالحهما وكان حق التسوية
ان لو قيل فالله اولى به اي باحدهما لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين الا انه ثنى الضمير ليعود الى الجنسين كانه قيل فالله اولى بجنسي الفقير والغني اي بالاغنياء والفقراء من جهة النظر لهما
وارادة مصلحتهما فلولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها قال السدي اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم غني وفقير وكان ميله الى الفقير راى ان الفقير لا يظلم
الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير وانزل الآية وقوله ان تعدلوا يحتمل ان يكون من العدل ومن العدول فكأنه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة
ان تعدلوا بين الناس وارادة ان تعدلوا عن الحق واختار الاخر هو ان يراد اتركوا الهوى لاجل ان تعدلوا اي حتى تتصفوا بصفة العدالة لان العدالة
عبارة عن ترك متابعة الهوى ومن ترك احد النقيضين فقد حصل له الآخر وان تلووا بواوين من لوى يلوي اذا فتل وبواو واحدة من الولاية والمعنى
وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق وحكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم او ان وليتم اقامة الشهادة او تركتموها واعلم ان الانسان
لا يكون قائما بالقسط الا اذا كان راسخ القدم في الايمان فلهذا اردفه بما ذكر بقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا وظاهره مشعر بالامر بتحصيل الحاصل
فالمفسرون ذكروا فيه وجوها الاول يا ايها الذين آمنوا في الماضي والحاضر آمنوا في المستقبل اي دوموا على الايمان واثبتوا الثاني يا ايها الذين آمنوا
تقليدا آمنوا استدلالا الثالث يا ايها الذين آمنوا استدلالا اجماليا آمنوا استدلالا تفصيليا الرابع يا ايها الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله
آمنوا بان كنه الله تعالى وعظمته وكذلك احوال الملائكة واسرار الكتب وصفات الرسل لا ينتهي اليها عقولكم الخامس قال الكلبي ان عبد الله بن سلام واسدا
واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني اهل الكتاب قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه
من الكتب والرسل فانزل الله هذه الآية فآمنوا بكل ذلك وقيل ان المخاطبين ليسوا هم المسلمين والتقدير يا ايها الذين آمنوا بموسى والتوراة وبعيسى والانجيل
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبجميع الكتب المنزلة من قبل لا ببعضها فقط لان طريق العلم بصدق النبي هو المعجز وانه حاصل في الكل فالخطاب لليهود والنصارى
او يا ايها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب فهم المنافقون او يا ايها الذين آمنوا باللات والعزى آمنوا بالله فهم المشركون والمراد بالكتاب الذي انزل من قبل
جنسه فان قيل لم ذكر في مراتب الايمان امورا ثلثة الايمان بالله وبالرسول وبالكتب وذكر في مراتب الكفر امورا خمسة اجيب بان الايمان بالثلثة يلزم الايمان
بالملائكة وباليوم الآخر لكنه ربما ادعى الانسان انه يؤمن بالثلثة ثم انه ينكر الملائكة واليوم الآخر لتأويلات فاسدة فلما كان هذا الاحتمال قائما
نص على ان منكر الملائكة والقيامة كافر بالله فان قيل لم قدم في مراتب الايمان ذكر الرسول على ذكر الكتاب وفي مراتب الكفر عكس الامر فالجواب ان الكتب
مقدم على الرسول في مرتبة النزول من الخالق الى الخلق واما في العروج فالرسول مقدم على الكتاب بوجه خص الرسول الاول هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرسل عام لمن تقدمه
فلما خص ذكره اولا للتشريف جعل ذكره ثانيا الذي كان الله لمزيد التشريف لبيان افضليته ثم لما رغب في الايمان والثبات عليه بين فساد طريقة من يكفر بعد
الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا والمراد الذين تكرر منهم الكفر بعد الايمان تارات واطوارا قال القفال
وليس المراد بيان العدد بل المراد ترددهم وتحيرهم على ذلك وقيل اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا
كفرا عند مقدم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم المنافقون اظهروا الاسلام ثم كفروا بنفاقهم وكون باطنهم على خلاف ظاهرهم ثم اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم ثم ازدادوا كفرا بجدهم واجتهادهم في استخراج وجوه المكايد في حق المسلمين وقيل هم طائفة من اهل الكتاب قصدوا تشكيك
المسلمين فكانوا يظهرون الايمان تارة والكفر اخرى على ما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم
يرجعون ثم انهم بالغوا في ذلك وازدادوا الى حد الاستهزاء والسخرية بالاسلام وفي الآية دلالة على انه قد يحصل الكفر بعد الايمان وذلك يبطل مذهب القائلين
بالموافاة وهي ان شرط صحة الاسلام ان يموت الشخص على الاسلام ولهم ان يجيبوا عن ذلك بان يحمل الايمان على اظهار الايمان ومنها ان الكفر يقبل الزيادة
والنقصان فيجب ان يكون الايمان كذلك لانهما ضدان متنافيان فاذا قبل احدهما التفاوت فكذا الآخر وكيفية ازدياد كفرهم فيه وجوه احدها انهم ماتوا على كفرهم
وثانيها بسبب ذنوب اصابوها حال كفرهم وعلى هذا فاصابة الطاعة وقت الايمان يكون زيادة في الايمان وثالثها استهزاؤهم بالدين فاما قوله
لم يكن الله ليغفر لهم فقيل عليه اللام يفيد نفي التاكيد هذا لا يليق بالموضع لان اللائق به تاكيد النفي بان نفي التاكيد اذا ذكر على سبيل التهكم افاد تاكيد
النفي ثم اورد عليه ان الكفر قبل التوبة غير مغفور على الاطلاق وحتى بعد الشرائط المذكورة في الآية وبعد التوبة مغفور ولو بعد الف مرة فكيف يصح
النفي واجيب بان اللام في الذين للعهد والمراد قوم معهودون علم الله منهم انهم يموتون على الكفر لا يتوبون عنه قط فقوله لم يكن الله ليغفر لهم اخبار عن موتهم
على الكفر او اللام للاستغراق وخرج الكلام على الغالب المعتاد وهو ان من كان مضطرب الحال كثير الانتقال عن الاسلام الى الكفر لم يكن للايمان في قلبه

وقع

زيغ واضطراب فالظاهر من حاله مثله انه يموت على الكفر فليس المراد انه لو اتى بالايمان الصحيح لم يكن معتبرا بل المراد منه الاستبعاد والاستغراب كان القائل
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع كانه لا يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على الفسوق ولا ليهديهم سبيلا اي الى الايمان عند الاشاعرة وعند المعتزلة
الى الجنة او محمول على المنع من زيادة الالطاف بشر المنافقين تهكم كقولهم عتابك السيف وتحيته الضرب ايبتغون عندهم العزة كان المنافقون يوادون
اليهود اعتقادا منهم ان محمدا لا يتم امره فيتبعون دولتهم ويحصل لهم بهم قوة وغلبة فخيب الله امالهم بقوله فان العزة لله جميعا وعزة الله يستتبع عزة الرسول
والمؤمنين كقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين جميعا حال من العزة اي مجموعة قال المفسرون ان المشركين كانوا بمكة يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
فيستهزؤن به وبين اظهرهم المسلمون ولا يقدرون بالانكار عليهم لتظاهرهم فنزلت اذ ذاك واذا رايت الذين يخوضون في ايتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين ويجالسهم بعض المنافقين فانزل الله ثم في هؤلاء المنافقين وقد نزل عليكم في الكتاب يعني باية
الانعام ان اذا سمعتم ايات الله هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان مقدر والمعنى اذا سمعتم ايات الله حال كونها يكفر بها ويستهزأ بها وقال الكسائي المعنى
اذا سمعتم الكفر بايات الله والاستهزاء بها ولكن اوقع فعل السماع على الايات كما يقال سمعت عبد الله يلام وفيه نظر لان ايقاع فعل السماع
على الايات ممكن بخلاف ايقاعه على عبد الله انكم اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر ولكن ههنا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك
لم يذكر بعدها الفعل اي انكم تكونون مثلهم وافرد مثلهم لانه في معنى المصدر نحو انؤمن لبشرين مثلنا وقد جمع في قوله ثم لا يكونوا امثالكم وانما لم يحكم بكفر
المسلمين بمكة لمجالسة المشركين الخائضين وحكم بنفاق هؤلاء بالمدينة لمجالسة احبار اليهود الخائضين لان مجالسة اولئك المسلمين كانت للضرورة في وقت
ضعف الاسلام ولم يرد فيه وعيد ومجالسة هؤلاء المنافقين كانت ودا للاحبار وقوة الاسلام وبعد ورود النهي قال اهل العلم في الاية دليل على ان من رضي
بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر يراه وخالط اهله وان لم يباشر كان شريكهم في الاثم ثم حقق كون المنافقين مثل الكافرين بقوله ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين الخائضين معهم والضمير في معهم يعود الى الكافرين المستهزئين بها لانه يكفر بها ويستهزأ بها واذا جامع بالتنوين
لانه بعد ما جمعهم ولكن حذف التنوين تخفيفا في اللفظ والمعنى انهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بايات الله في الدنيا فكذلك يجتمعون في عذاب جهنم يوم
القيمة ومثله قوله غير محلي الصيد الذين يتربصون بكم ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من نصر او اخفاق فان كان لكم فتح من الله ظهور على اليهود قالوا الم نكن معكم
مظاهرين فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين اي اليهود نصيب سماه نصيبا ما في الظاهر قالوا الم نستحوذ عليكم الحوذ السوق السريع والاستحواذ
الغلبة وهذا جاء بالواو على اصله كما جاء استروح واستصوب في الاية ومعناه الا الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم ثم لم نفعل شيئا من ذلك و
نمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم فهما توانوا فصيبنا لنا مما اصبتم لنا تانان ولذلك الكفار كانوا قد هموا بالدخول في الاسلام ثم ان المنافقين نفروهم
واطمعوهم انه سيضعف امر محمد ويقوى امركم فالمراد الستا غلبناكم على رايكم في الدخول في الاسلام ومنعناكم منه وارشدناكم الى ما هو الحكم فادفعوا
الينا نصيبنا مما وجدتم وفي تسمية ظفر المؤمنين فتحا وظفر الكافرين نصيبا تثبيت للمؤمنين وتعظيم لما هم عليه من الدين وتحقير لشأن الكافرين وتوهين
لامرهم فكان ظفر المسلمين امر عظيم يفتح له ابواب السماء حين ينزل على اولياء الله وظفر الكافرين حظ دنيء ينقضي ولا يبقى منه الا الذم في الدنيا والعقاب
في الاخرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة اي بين المؤمن والمنافق والمعنى انه يقال ما وضع السيف على المنافقين في الدنيا ولكن اخر عقابهم الى يوم القيمة
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال علي وابن عباس المراد في الدنيا ولكن بالحجة اي حجة المسلمين غالبة على حجة الكل وقيل في الاخرة وهو
عام في الكل والشافعي بنى عليه مسائل منها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم واحرزه الى دار الحرب لم يملكه بدليل هذه الاية ومنها ان الكافر ليس له
ان يشتري عبدا مسلما ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي والله اعلم التاويل النفس للروح كالمرأة للزوج وبنات النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما
يجب لله للنفوس من الحقوق وحاصل المعنى ان نفسك مطيتك فارفق بها واليه الاشارة بقوله والصلح خير واحضرت الانفس الشح فالروح
يشح بترك حقوق الله والنفس يشح بحظوظها فلا تميلوا كل الميل في رفض حظوظ النفس فتذروها كالمعلقة بين العالم العلوي والعالم السفلي وان
يتفرقا اي الروح والنفس فالروح يجذبه بجذبة نرجع نفسك تعالى يسعه غني الله في عالم هويته يستغني عن مركب النفس بالوصول الى المقصود والنفس
يجذبه عن الروح بجذبة ارجعي الى ربك الى سعة غنى الله في عالم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يا ايها الذين امنوا امنوا للايمان ثلث مراتب ايمان العوام
ان يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والجنة والنار والقدر وهذا ايمان غيبي وايمان الخواص وهو انه اذا تجلى للعبد بصفة من صفاته
خضع جميع اجزاء وجوده وامن بالكلية وهذا ايمان عياني وايمان الاخص وهو بعد دفع الحجب الا انه حين فنائه بصفة الجلال وبقائه بصفة الجمال الذي هو
له الان وبقي في العين وهذا ايمان عيني اية الذين امنوا اي بالتقليد ثم كفروا اذ لم يكن للتقليد اصل ثم امنوا بالاستدلال العقلي ثم كفروا اذ لم يكن عقولهم
مشرفة بالنور الالهي ثم ازدادوا كفرا بالشبهات والاعتراضات لم يكن الله في الازل غافرا لهم بنوره عند الرش ولا ليهديهم سبيلا اليوم لان الاول
لا يخطئ بشر المنافقين اي بشرهم بان اصلهم من جوهر الكفار ولهذا اتخذوا الكافرين اولياء فان ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
ع ابتلاهم ههنا بنتيجة نفاقهم وفرارهم وكما يعيشون يموتون وكما يموتون يحشرون ق بدرستيكه منافقان فريب دهند خدارا ودغا كند او فريب
واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى

هؤلاء

هؤلاء ولا الی هؤلاء ومن یضلل الله فلن تجد له سبیلا یا ایها الذین امنوا لا تتخذوا الکافرین اولیاء من دون

اینان ونه بسوی اینگروه وهر کرا گمراه کند خدا پس نیابی از برای او راهی ای گروه انانکه گرویده اید فرا مگیرید کافران را دوستان از غیر

المؤمنین اتریدون ان تجعلوا لله علیکم سلطانا مبینا ان المنافقین فی الدرک الاسفل من النار ولن تجد

مؤمنان ایا میخواهید که قرار دهید از برای خدا بر شما تسلطی هویدا بدرستی که منافقان در طبقه پایین از اتش اند ونیابی هرگز

لهم نصیرا الا الذین تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دینهم لله فاولئك مع المؤمنین وسوف

از برای ایشان یاوری بجز انانکه توبه کردند ونیکوئی کردند وچنگ زدند بخدا وپاک کردند دین خود را از برای خدا پس ایشان با مؤمنان اند وزود است

یؤت الله المؤمنین اجرا عظیما ما یفعل الله بعذابکم ان شکرتم وامنتم وکان الله شاکرا علیما لا یحب

بدهد خدا گرویدگان را مزدی بزرگ چه میکند خدا بعذاب شما اگر سپاس کنید وگرویدید ومیباشد خدا شکر پذیرنده دانا دوست ندارد

الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وکان الله سمیعا علیما ان تبدوا خیرا او تخفوه او تعفوا عن سوء

خدا اشکارا کردن گناه را از گفتار مگر انکه ستم کرده ومیباشد خدا شنونده دانا اگر ظاهر کنید نیکی را یا پنهان کنید انرا یا درگذرید از بدی

فان الله کان عفوا قدیرا ان الذین یکفرون بالله ورسله ویریدون ان یفرقوا بین الله ورسله ویقولون

پس بدرستی که خدا میباشد درگذرنده توانا بدرستی که انانکه کافر شوند بخدا وپیغمبرانش ومیخواهند که جدائی اندازند در میان خدا وپیغمبرانش ومیگویند

نؤمن ببعض ونکفر ببعض ویریدون ان یتخذوا بین ذلك سبیلا اولئك هم الکافرون حقا واعتدنا

میگرویم ببعضی وکافر میشویم ببعضی ومیخواهند که در پیش گیرند در این میانه راهی انگروه ایشانند کافران براستی ومهیا کردیم

للکافرین عذابا مهینا والذین امنوا بالله ورسله ولم یفرقوا بین احد منهم اولئك سوف یؤتیهم

از برای کافران عذابی خوار کننده وانانکه گرویدند بخدا وپیغمبرانش وجدائی نینداختند در میان هیچیک از ایشان انگروه زود است که بدهد بایشان

اجورهم وکان الله غفورا رحیما القراءة فی الدرك بسکون الراء حمزة وعلی وخلف عاصم غیر الاعشی الباقون بالفتح یؤتیهم بالیاء حفص

مزدهاشان را ومیباشد خدا امرزنده مهربان وعباس الباقون بالنون الوقوف خادعهم لعطف المختلفین کسالی لا لان یراؤن صفتهم قلیلا ه

بناء علی ان مذبذبین نصب علی الذم والاوجه انه حال ای یراؤن مذبذبین بین ذلك ق قد قیل علی تقدیر الابتداء ای لا هم الی هؤلاء والاوجه انه بیان الذبذبة

ای لا منسوبین الی هؤلاء ولا الی هؤلاء سبیلا من دون المؤمنین مبینا من النار لا لابتداء النفی مع العطف نصیرا للاستثناء مع المؤمنین عظیما وامنتم

علیما الجزاء الشاکر ظلم علیما قدیرا ببعض لعطف سبیلا لان ما بعده خبران وقیل ان الخبر محذوف ای هلکوا او ما یتلوه سبیلا نفی حقا لاحتمال ما بعده

العطف والاستئناف مهینا اجورهم رحیما التفسیر قال الزجاج ای یخادعون رسول الله ای یظهرون له الایمان ویبطنون الکفر کقوله ان الذین یبایعونك

انما یبایعون الله وهو خادعهم اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وکنت اخدع منه قال ابن عباس یعطیهم نورا کما یعطی المؤمنین فاذا وصلوا

الی الصراط انطفی نورهم وبقی نور المؤمنین فینادون انظرونا نقتبس من نورکم وباقی تفسیر المخادعة تقدم فی اول البقرة کسالی جمع کسلان کسکاری

فی سکران ای یقومون متثاقلین متباطئین متقاعسین کما تری من یفعل شیئا علی کره لا عن طیب نفس ورغبة وهو معنی الکسل والسبب فی ذلك

انهم یستبعدون بها فی الحال لا یرجون من فعلها ثوابا ولا یخافون من ترکها عقابا یراؤن الناس ای لا یقومون الی الصلوة الا لاجل الریاء والسمعة

ومعنی المفاعلة فی المراءاة ان المرائی یری الناس عمله وهم یرونه استحسان ذلك العمل او فاعل ههنا بمعنی تفعل بالتشدید کقولك نعمه وناعمه ولا یذکرون الله

ای لا یصلون الا قلیلا لانهم متی لم یکن معهم احد من الاجانب لا یصلون واذا کانوا مع الناس تعبدوا بالصلوة یتکلفون حتی یصیبوا ما یتبین عند

اعین الناس فان لم یجدوا منه وخرج یصلون وقیل انهم فی صلوتهم لا یذکرون الله الا قلیلا وهو الذی یظهر مثل التکبیرات فاما الذی یخفی وهو القراءة

والتسبیحات فانهم لا یذکرونها وقیل انهم لا یذکرون الله فی جمیع الاوقات الا ذکرا قلیلا فی الندرة کما تری من بعض المسلمین من یمر بالدین لو صحبته ایاما ولیالی

لم تسمع منه تهلیلة ولا تسبیحة ولا تحمیدة ولکن حدیث الدنیا یستغرق اوقاته ویجوز ان یراد بالقلة العدم قال قتادة یرید ان الله لا یقبل صلوتهم لان

ما رده الله فکثیره قلیل وما قبله الله فقلیله کثیر ومعنی مذبذبین ذبذبهم الشیطان والهوی وحقیقة المذبذب الذی یذب عن کلا الجانبین ای یذاد ویدفع

الا ان الذبذبة فیها تکریر لیس فی الذب کان المعنی کلما مال الی جانب ذب عنه وقرا ابن عباس مذبذبین بالکسر ای یذبذبون قلوبهم او دینهم او رایهم

وعن ابی جعفر مدبدبین بالدال غیر المعجمة والمعنی اخذ بهم تارة فی دبة وتارة فی دبة والدبة الطریقة ومعنی بین ذلك ای بین الکفر والایمان لان ذکر الکافرین والمؤمنین

یدل علی الکفر والایمان وذلك قد یشار به الی اثنین کقوله عوان بین ذلك واعلم ان السبب فی التذبذب هو ان الفعل یتوقف علی الداعی فاذا کان الداعی

الی الفعل هو الاغراض المتعلقة باحوال هذا العالم والمناسبات متغیرة لزم وقوع التغیر فی المیل والرغبة واذا تعارضت الدواعی والصوارف بقی الانسان

فی الحیرة والتردد اما من کان مطلوبه فی فعله ابتغاء الخیرات الباقیة والکمالات لسعادات الروحانیة ثم ان تلك المطالب سرمدیة بریئة عن التغیر لا جرم

کان هذا الانسان ثابتا فی ایمانه راسخا فی شانه ولهذا المعنی وصف اهل الایمان بالثبات یثبت الله الذین امنوا الا بذکر الله تطمئن القلوب

یا ایتها النفس المطمئنة بین انه تعالی ذمهم علی ترك طریقة المؤمنین وطریقة الکفار والذم علی ترك طریقة الکفار غیر جائز قلنا انما توجه الذم لانهم عدلوا

عن الكفر الى ما هو اخبث وهو طريق النفاق ولهذا اورد فيهم من المبالغات ما اورد من قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الكافرين اولياء اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء وهو نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين والتخلق باخلاقهم وقيل فيهم
ومعنى سلطانا مبينا حجة بينة على النفاق لان ولي المنافق منافق لا محالة ومن قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والدرك قال الفراء الاخر من النار دركات
ومع ذلك وصف بالاسفل دركات النار ومنازلها تقابل درجات الجنة وانما كان المنافق في غاية البعد لانه اظهر الطرد عن حضرة الله تعالى وانه مع فرعون لان الدرك
الاسفل اشد العذاب فلهذا لعنهم لانه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقيل ان النار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض
قال ابو حاتم جمع الدرك ادراك وجمع الدرك كفرس وافراس وجمع الدرك ادراك كفلس وافلس ثم قال ولن تجد لهم نصيرا احتج به على ابطال الشفاعة في حق الفساق من اهل
القبلة لانه تعالى ذكره في معرض الزجر عن النفاق فلو حصل نفي الشفاعة مع عدم النفاق لم يبق هذا زجرا عن النفاق من حيث انه نفاق ثم استثنى منهم
التائبين فشرط امورا اربعة اولها التوبة وثانيها اصلاح ما افسدوا من اسرارهم وثالثها الاعتصام بدين الله ورابعها الاخلاص لانه اذا كان مطلوبه جلب
المنافع ودفع المضار فقد عبر عن التوبة فاصلاح العمل سببها اما اذا كان مطلوبه مرضاة الله وسعادة الاخرة والاعتصام بحبل الله بقي على هذه الطريقة ولم يتغير عنها
وعند حصول الشرائط قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل مؤمنون تشريفا للمؤمنين انهم متبوعون فالمنافقون بعد الشرائط تبع لهم ثم بين وعد المؤمنين
بقوله وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ليشمل المنافقين التائبين بالتبعية ثم برهن على ان فائدة الايمان والعمل الصالح انما يرجع على المكلفين
فقال ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لان تعذيب الملوك بعض الرعية انما يكون للتشفي من الغيظ او لدرك الثار او لطلب المنافع ولدفع
المضار وامثال ذلك في حقه تعالى محال فالمفهوم من الكلام انه على فعل الحسن وترك القبيح لينالوا السعادة العظمى من امتثل واطاع فكيف يليق
بكرمه تعذيبه قالت المعتزلة هذا صريح في انه تعالى لم يخلق احدا لغرض التعذيب وفي ان فعل الشكر والايمان هو العبد والا صار التقدير ما يفعل الله بعذابكم
ان خلق الشكر والايمان فيكم ومعلوم ان هذا غير منتظم والجواب مسلم انه تعالى غير مستكمل بالتعذيب ولا بالاثابة لكن وقوع البعض في مظاهر اللطف
والبعض في مظاهر القهر ضروري كما سبق واقتضى انتهاء الكل الى ارادته وخلقه وتكوينه ضروري بواسطة او بغير واسطة فيؤول المعنى الى انه لا يعذبكم ان كنتم
مظاهر اللطف وهذا كلام في غاية التحقيق وفي الكشاف وانما قدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر اولا الى النعمة فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر
الى معرفة المنعم آمن واقول ان لم يكن الواو للترتيب فلا سؤال وان كانت للترتيب فلعله انما قدم الشكر في هذه الاية خلاف اكثر الايات التي قدم الايمان
فيها على العمل الصالح لان الاية مسوقة في عرض المنافقين لم يقع نزاع في ايمانهم ظاهرا وانما يقع النزاع في بواطنهم وافعالهم التي يصدر منهم مخالفة وهو الاصل
للقول واللسان فكان تقديم الشكر ههنا اهم لانه عبارة عن صرف جميع ما اعطاه الله تعالى فيما خلق لاجله حتى يكون افعاله واقواله على نهج السداد وسنن
الاستقامة وكان الله شاكرا اثبت على الشكر بمنح جزاء الشكر شكرا وهو انه يجزي على العمل القليل ثوابا كثيرا عليما بالكليات والجزئيات من غير غلط
ونسيان فيوصل جزاء الشاكرين اليهم كما يليق بحالهم كما يليق بكرمه وسعة فضله ورحمته ثم انه سبحانه لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر ههنا منافيا
للكرم والرحمة ظاهرا ذكر ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر الاية يعني انه لا يحب اظهار الفضائح الا في حق من ظلم وهم المسلمون الذين عظم
ضرر المنافقين وكيدهم فيهم وايضا ان المنافق اذا تاب واصلح لم يكن يسلم من تعيير المسلمين اياه على ما صدر منه في النفاق فبين تعالى ان تعييرهم بعد التوبة امر مكروه
وانه تعالى لا يرضى به الا من ظلم نفسه فعاد الى نفاقه قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح لان محبة الله تعالى عبارة عن الارادة
وقالت الاشاعرة المحبة عبارة عن ايصال الثواب على الفعل ومن يصح ان يقال انه اراده وما احبه قال اهل العلم انه لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر ولكنه ذكر
هذا الوصف لان كيفية الواقعة اوجبت ذلك كقوله اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا والتبين واجب في الظعن والاقامة اما قوله الا من ظلم فالاستثناء فيه متصل
او منقطع وعلى الاول قال ابو عبيدة تقديره الا جهر من ظلم فحذف المضاف وقال الزجاج الجهر بمعنى المجاهر اي لا يحب الله المجاهر بالسوء الا من ظلم وعلى الثاني فالمعنى
لكن المظلوم له ان يجهر بظلامته وماذا يفعل المظلوم قال ابن عباس له ان يجهر بظلامة برفع صوته بالدعاء على من ظلمه وقال مجاهد له ان يخبر بظلم ظالمه وقال الاصم
لا يجوز اظهار الاحوال المستورة المكتومة حذرا من الغيبة والريبة لكن له اظهار ظلمه بان يذكر انه سرق او غصب وقال الحسن له ان ينتصر من ظالمه وعن مجاهد
ان ضيفا تضيف قوما فاساؤا قراه فاشتكاهم فنزلت الاية رخصة في ان يشكو وقرا الضحاك وزيد بن اسلم وسعيد بن جبير الا من ظلم على البناء للفاعل وقيل انه كلام
منقطع عما قبله اي لكن من ظلم فدعوه وخلوه وقال الفراء والزجاج معناه لكن من ظلم فانه يجهر بالسوء من القول وكان الله سميعا عليما فليتق الله فلا
يقل الا الحق ولا يقذف مستورا ثم حث على العفو بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه وهو اشارة الى ايصال النفع او تعفوا عن سوء وهذا اشارة الى دفع الضرر
وعلى هذين يدور المعاشرة مع الخلق فان الله كان عفوا قديرا قال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله وقيل عفوا
لمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه وقال الكلبي معناه ان الله اقدر على عفو ذنوبك منك على عفو صاحبك وفي الخبر ان ابا بكر شتمه رجل فسكت مرارا
ثم رد عليه فقام النبي فقال ابو بكر شتمني وانت جالس فلما رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم
اجلس عند مجيء الشيطان ثم انه سبحانه تكلم بعد ذكر احوال المنافقين في مذاهب اليهود والنصارى واباطيلهم وذلك انواع الاول ايمانهم ببعض الانبياء
دون بعض فمنهم من سلك مسلك من لا يقر بالوحدانية ولا بالنبوات وهم الذين يكفرون بالله ورسله ومنهم من سلك من يقر بالوحدانية وينكر النبوات وهم
الذين يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الايمان بالله والكفر بالرسل وذلك ان اليهود آمنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد

والفرقان والنصارى امنوا بعيسى والانجيل وكفروا بمحمد والقرآن فآمنوا ببعض الانبياء وكفروا بالبعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان
بالكل وبين الكفر بالكل سبيلا اي واسطة اولئك اي الطوائف الثلث هم الكافرون اما الطائفة الاولى فكفرهم ظاهر واما الثانية فلان تكذيب الانبياء
وانكارهم يستلزم تكذيب الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما الطائفة الثالثة فلان الدليل الدال على نبوة بعض الانبياء هو المعجزة
ويلزم منه حصول النبوة حيث حصل المعجز فالقدح في بعض من ظهر على يده المعجزة هو القدح في كل نبي فيلزمهم الكفر بكل الانبياء ولكن ليس
الا توجه الالزامات على انسان لزم ان يكون ذلك الانسان قائلا به فالزام الكفر غير التزام الكفر فالجواب ان الالزام اذا كان خفيا يحتاج فيه الى
تكرر وتامل فالامر كما ذكرتم اما اذا كان جليا واضحا لم يبق بين الالزام والالتزام فرق وانتصاب حقا على انه مصدر مؤكد لغيره كقولك زيد قائم حقا اي
احقق ذلك بهذا المعنى احقيقا واحقا وقيل المراد هم الكافرون كفرا حقا وطعن الواحدي فيه بان الكفر لا يكون حقا بوجه من الوجوه واجيب بان الحق فيها الكامل
الراسخ الثابت ثم ختم النوع بوعد المؤمنين ومعنى بين احد بين اثنين منهم او جماعة لان احدا في سياق النفي يفيد التعدد ومعنى سوف توكيد الوعد
لا الدلالة على التاخير ولهذا قال سيبويه لن تفعل نفي سوف تفعل فالمعنى ان ايتاء الاجور كائن لا محالة وان تاخر التأويل ان المنافقين يخادعون الله في الدنيا
لا انا الله خادعهم في الازل حين رش نوره وشاهده ثم اخطاهم ان شكرتم نعم الله عليكم وامنتم انفسكم من عذابه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
من العوام ولا من التحدث بالنفس من الخواص ولا من الخواطر من الاخص الا من ظلم اما بتقاضي دواعي البشرية من غير اختيار او بابتلاء من اضطراره بهم لا يحب
الله الجهر بالسوء من القول بافشاء سر الربوبية واظهار مواهب الالوهية او يكشف القناع من مكنونات الغيب مصونات غيب الغيب الا من ظلم
بغلبات الاحوال وتعاقب كؤس الجلال والجمال فاضطر الى المقال فقال بالسان الباقي لا باللسان الفاني انا الحق وسبحاني ان تبدوا خيرا ماكوشفتم
به من الطاف الحق تنبيها للخلق وافادة للحق او تخفوه صيانة لنفوسكم عن افات الشوائب نظرا الى المشارب او تعفوا عن سوء ما يدعو النفس الى
النفس الامارة او يتركوا اعلان ما جعل الله اظهاره سوا فان الله كان عفوا فتكونون عفوا متخلقا باخلاقه ان الذين يكفرون فيه اشارة الى
ان الايمان لا يتبعض وان كان يزيد وينقص مثاله شعاع الشمس اذا دخل كوة البيت فيزيد وينقص بحسب سعة الكوة وضيقها ولكن لا يمكن تجزئتها
بحيث يؤخذ جزء منه فيجعل في شيء آخر والله تعالى اعلم يَسْـَٔلُكَ اَهْلُ الْكِتٰبِ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰبًا مِّنَ السَّمَآءِ فَقَدْ سَاَلُوْا مُوْسٰۤى اَكْبَرَ

میخواهند از تو اهل کتاب که فرود آوری بر ایشان کتابی را از آسمان پس بدرستی که خواهش کردند موسی را
مِنْ ذٰلِكَ فَقَالُوْۤا اَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ
بزرگتر از این پس گفتند که بنمای بما خدا را آشکارا پس گرفت ایشان را صاعقه بسبب ستم ایشان پس گرفتند گوساله را از پس آنکه آمد ایشان را آیات
فَعَفَوْنَا عَنْ ذٰلِكَ وَاٰتَيْنَا مُوْسٰى سُلْطٰنًا مُّبِيْنًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّوْرَ بِمِيْثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ
پس گذشتیم از این و دادیم ما موسی را پادشاهی هویدا و بالا گرفتیم در فوق ایشان کوه طور را بجهت پیمان ایشان و گفتیم بایشان که درآیید از در
سُجَّدًا وَّقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوْا فِي السَّبْتِ وَاَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ
سجده کنان و گفتیم مر ایشان را که تعدی مکنید در ماهی گرفتن در روز شنبه و گرفتیم از ایشان پیمانی درشت پس بجهت شکستن ایشان پیمان خود را و کافر شدن
بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَقَتْلِهِمُ الْاَنْۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَّقَوْلِهِمْ قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ؕ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوْنَ
بآیات خدا و کشتن ایشان پیغمبران را بدون سزاواری و گفتن ایشان که دلهای ما در پرده است بلکه مهر نهاد خدا بر آنها بواسطه کفرشان پس ایمان نیارند
اِلَّا قَلِيْلًا ۪ وَّبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلٰى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيْمًا ۙ وَّقَوْلِهِمْ اِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ
مگر کمی و بجهت کفرشان و گفتارشان بر مریم بهتانی بزرگ را و گفتارشان که ما کشتیم مسیح عیسی پسر مریم پیغمبر
اللّٰهِ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ؕ وَاِنَّ الَّذِيْنَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ لَفِيْ شَكٍّ مِّنْهُ ؕ مَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ
خدا و نکشتند او را و بدار نکشیدند او را ولکن مشتبه شد بایشان و بدرستی که آنها که اختلاف کردند در او هر آینه در گمانند از آن نیست ایشان را بآن دانشی
اِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا ۙ بَلْ رَّفَعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ ؕ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا وَاِنْ مِّنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ
بجز پیروی کردن گمان و نکشتند او را در واقع بلکه بالا برد او را خدا بسوی خود و هست خدا غالب و نیکوکار و نیست از اهل کتاب
اِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهٖ قَبْلَ مَوْتِهٖ ۚ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِيْنَ هَادُوْا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ
مگر ایمان آورد باو پیش از مرگش و در روز قیامت میباشد بر ایشان گواه پس بجهت ظلم از آنها که یهود شدند حرام کردیم بر ایشان
طَيِّبٰتٍ اُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ كَثِيْرًا ۙ وَّاَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوْا عَنْهُ وَاَكْلِهِمْ اَمْوَالَ النَّاسِ
پاکیزه‌هایی که حلال بود مر ایشان را و بجهت بازداشتن ایشان از راه خدا بسیاری را و گرفتن ایشان زیادتی را و حال آنکه باز داشته شدند از آن و خوردن ایشان مالهای مردم را
بِالْبَاطِلِ ؕ وَاَعْتَدْنَا لِلْكٰفِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا لٰكِنِ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ يُؤْمِنُوْنَ بِمَاۤ
بباطل و مهیا کردیم از جهت کافران از ایشان عذابی دردناک لیکن استواران در علم از ایشان و مؤمنان که ایمان آرند بآنچه
اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَاۤ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلٰوةَ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ؕ
فرو فرستاده شد بتو و آنچه فرود آمد پیش از تو و برپا دارندگان نماز و دهندگان زکوه و گروندگان بخدا و روز آخر

أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

آنگروه زود دهیم ایشانرا مزدی بزرگ ۝ بدرستی که وحی فرستادیم بتو چنانکه وحی فرستادیم بسوی نوح و پیغمبران که بعد از وی بودند و وحی فرستادیم بسوی ابراهیم

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

و اسمعیل و اسحق و یعقوب و نبیرگان و عیسی و ایوب و یونس و هرون و سلیمان و دادیم بداود زبور را

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُّسُلًا

و پیغمبرانی که حکایت کردیم ایشانرا بر تو از پیش و پیغمبرانی که حکایت نکردیم ایشانرا بر تو و گفتگو کرد خدا موسی را گفتگو کردنی پیغمبرانی

مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝ لَّٰكِنِ اللَّهُ

مژده دهندگان و ترسانندگان تا آنکه نبوده باشد از برای مردم بر خدا حجتی پس از پیغمبران و میباشد خدا غالب استوار ۝ لکن خدا

يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا

گواهی دهد بآنچه فرستاد بسوی تو فرستاد او را بدانش خود و فرشتگان گواهی دهند و بس است بخدا گواهی ۝ بدرستی که آنانکه کافر شدند و باز داشتند

عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

از راه خدا بدرستی که گمراه شدند گمراهی دوری ۝ بدرستی که آنانکه کافر شدند و ستمکردند نمیباشد خدا که بیامرزد مر ایشانرا و نه راه نماید مر ایشانرا

طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝ القراءة لا تعدوا بتشديد الدال مع سكون

راهی مگر راه دوزخ جاویدان در آن همیشه و میباشد این بر خدا آسان ۝ العين ابو جعفر و نافع غير ورش و قرا ورش

مفتوحة العين مشددة الدال طبع بالادغام علي وهشام وابو عمرو عن حمزة بل طبع بلا ادغام مظهرا والحلواني عن قالون سيؤتيهم حمزة وخلف ونقيبه النبأ فوق بالنون زبورا بضم الزاي حيث كان حمزة وخلف البا نون بالفتح الوقوف بظلمهم لا لان ثم لم يجب الاخبار مع ان سياق الكلام متحد غير ذلك لان التقدير وقد بينا مبينا غليظا علف قليلا للعطف عظيما لان التقدير وفي قولهم رسول الله لان ما بعده يحتمل ابتداء النفي والحال شبه لهم منه الظن لاحتمال الاخيرة والحال يقينا لتقرير نفي القتل باثبات الرفع اليه حكيما قبل موته لان الواو للاستيناف مع اتحاد المقصود شهيدا للاية وكان قوله فبظلم راجع الى قوله فبما نقضهم وقوله متعلق الكل حرمنا كثيرا بالباطل اليما والیوم الآخر عظيما من بعده للعطف مع تكرار الفعل وسليمان لان التقدير وقد اتينا لتخصيص داود باتيان الزبور زبورا الا ان التقدير وقصصنا رسلا عليك تكليما لاحتمال البدل او النصب على المدح الرسل حكيما بعلمه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال يشهدون شهيدا بعيدا طريقا ابدا يسيرا التفسير هذا نوع ثان من جهالات اليهود فانهم قالوا ان كنت رسولا من عند الله فائتنا بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالالواح وقيل انهم سالوا ان ينزل عليهم كتاب الى فلان وكتاب الى فلان بانه رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل فان استكبرت ما سالوا فقد سالوا بمعنى يسئل اباؤهم ومن هؤلاء على مذهبهم موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وانما كان سؤال الرؤية اكبر من سؤال تنزيل الكتاب لان التنزيل امر ممكن في ذاته بخلاف رؤية الله عيانا فانها ممتنعة لذاتها عند المعتزلة او ممتنعة في الدنيا عند غيرهم وفي قوله من بعد ما جاءتهم البينات وجوه احدها ان البينات الصاعقة لانها تدل على قدرة الله تعالى وعلى علمه وعلى قدمه وعلى كونه مخالفا للاجسام والاعراض وعلى صدق موسى في دعوى النبوة وثانيها انها انزال الصاعقة واحياؤهم بعد اماتتهم وثالثها انها الآيات التسع من العصا واليد وفلق البحر وغيرها ومجرى الكلام ان هؤلاء يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السماء فاعلم انهم لا يطلبونه منك الا عنادا ولجاجا فان موسى قد انزل عليه هذا الكتاب وانزل عليه سائر المعجزات ثم انهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وابتلوا على عبادة العجل وكل ذلك يدل على انهم مجبولون على اللجاج والبعد عن طريق الحق فعفونا عن ذلك حيث لم نستأصل عبدة العجل واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا وهو ان امرهم بقتل انفسهم والمراد قوة امره وكمال الحالة وانكسار خصومه ففيه بشارة للنبي ان هؤلاء الكفار الذين يعاندونه فانه بالآخرة يستولي عليهم ويقهرهم ثم حكى عنهم سائر جهالاتهم واصرارهم على اباطيلهم منها انه تعالى رفع فوقهم الطور بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه ومنها انه امرهم بدخول الباب سجدا ومنها انه امرهم ان لا يعدوا في السبت اي لا يصطادوا السمك وقد مر جميع هذه القصص في سورة البقرة وقيل العدو ههنا الاعتداء وانما هو بمعنى الحضر والمراد النهي عن العمل والكسب يوم السبت كانه قيل لهم اسكنوا عن العمل في هذا اليوم واقعدوا في منازلكم فانا الرزاق ثم قال واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي العهد المؤكد غاية التوكيد على ان يتمسكوا بالتوراة ويعملوا فيها فبما نقضهم ما مزيدة للتوكيد اي فبنقضهم وبسبب كذا وكذا ثم قال بل طبع الله عليها ردا لقولهم قلوبنا غلف وعند الله انه تعالى ختم عليها فلهذا لا يصل اثر الدعوة والبيان اليها او تكذيبا لادعائهم ان قلوبهم في اكنة وذلك بحسب تفسير الغلف كما مر في سورة البقرة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا وهو ايمانهم بموسى والتوراة على زعمهم والا فالكافر بنبي واحد كافر بجميع الانبياء فالقلة في الحقيقة بمعنى العدم وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فانكارهم قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير اب كذا انكارهم نبوة عيسى كفر ورميهم مريم بهتان عظيم لانه ظهر لهم عند ولادة عيسى من الكرامات والمعجزات ما دلهم على براءتها من كل سوء وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم

الذي ارسل اليكم لمجنون او انه تعالى جعل الذكر الحسن مكان القبيح الذي كانوا يطلقونه عليه من الساحر ابن الساحر والفاعل ابن الفاعلة وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم اي المقتول لهم لدلالة ذكر القتل على المقتول ويكون شبه مسندا الى الجار والمجرور وهو لهم اي وقع لهم التشبيه لايجوز ان يكون
في شبه ضمير المسيح لانه المشبه به وليس بمشبه قال اكثر المتكلمين ان اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله الى السماء فخاف رؤساء اليهود وقوع الفتنة فيما بين
عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس انه هو المسيح والناس ما كانوا يعرفون المسيح الا بالاسم لانه كان قليل المخالطة للناس
وقيل ان اليهود لما علموا انه في البيت الفلاني مع حوارييه امر يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه يقال له طيطانوس ان يدخل على عيسى ويخرجه ليقتله
فلما دخل عليه اخرج الله عيسى من سقف البيت والقى على ذلك الرجل شبه عيسى فخرج فظنوا انه هو المسيح فصلبوه وقتلوه وقيل وكلوا بعيسى
رجلا يحرسه فصعد عيسى في الجبل ورفع الى السماء والقى الله الشبه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست عيسى وقيل ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود
على قتله فلما هموا باخذه وكان معه عشرة من اصحابه قال لهم من يشتري الجنة بان يلقى عليه شبهي فقال واحد منهم انا فالقى الله شبه عيسى عليه فخرج
وقتل ورفع الله عيسى وقيل كان رجل يدعي انه من اصحاب عيسى وكان منافقا فذهب الى اليهود ودلهم عليه فلما دخل مع اليهود لاخذه القى الله شبهه عليه
فقتل وصلب وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل ان المختلفين هم اليهود لما قتلوا الشخص المشبه نظروا الى بدنه فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقيل ان المختلفين هم النصارى وذلك انهم باسرهم متفقون على ان اليهود قتلوه الا ان كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية
والملكانية واليعقوبية فالنسطورية زعموا ان المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته وهو قريب من قول الحكماء ان القتل والموت يرد على
الهيكل لا على النفس المجردة وعلى هذا فالفرق بين عيسى وبين سائر المصلوبين ان نفسه كانت قدسية علوية مشرقة قريبة من عالم الارواح فلم يعظم
تالمها بسبب القتل وتخريب البدن وقالت الملكانية القتل والصلب وصلا الى اللاهوت بالاحساس والشعور لا بالمباشرة وقالت اليعقوبية
القتل والصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين والسالك في الاحكام استواء طرفي نقيضه عند الذاكر وقد يطلق عليه الظن لحمد الله في قوله
ما لهم به من علم الا اتباع الظن واما العمل بالقياس فليس من اتباع الظن في شيء لانه عمل بالطرف الراجح ولان العلم بوجوب العمل قطعي ثم قال وما
قتلوه يقينا وانه يحتمل عدم يقين القتل اي قتلا يقينا اي متيقنين واليقين عقد جازم مطابق ثابت للدليل وتحتمل يقين عدم القتل على ان يقينا
تاكيد لقوله وما قتلوه اي حقا انتفاء قتله حقا وهذا اولى لقوله بل رفعه الله اليه وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما اذا بالغ فيه علمه فيكون تهكما بهم لانه
نفى عنهم العلم اولا نفيا كليا ثم نفيه بقوله وكان الله عزيزا حكيما ان رفع عيسى الى السماء بالنسبة الى قدرته سهل وان فيه من الحكم والفوائد ما لا يحيط بها
الا هو ثم قال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته فقوله ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ان ما من احد من اهل
وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به كقوله وما منا الا له مقام معلوم والضمير في به عائد الى عيسى وفي موته الى الاحد عن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اني ما
قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضر
الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن
الله فيؤمن بانه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت
الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية ومن معدنها وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه
حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وفائدة هذا الاخبار الوعيد والزام
الحجة والبعث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع لانه اذا لم يكن بد من الايمان به فلان يؤمنوا به حال التكليف ليقع معتدا به اولى وقيل الضمير
في به وفي موته لعيسى والمراد باهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن
به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه قال بعض المتكلمين ينبغي ان يكون هذا عند ارتفاع التكاليف
او بحيث لا يعرف اذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف انه عيسى فاما ان يكون نبيا ولا نبي بعد محمد او غير نبي وعزل الانبياء لا يجوز واجيب بانه كان
نبيا الى مبعث محمد وبعد ذلك انتهت مدة نبوته فلا يلزم عزله فلا يبعد ان يصير بعد نزوله متبعا لمحمد قال في الكشاف يجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا يؤمن به على ان الله تعالى يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى
الله وقيل الى محمد ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وكذلك كل نبي شاهد على امته
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم التنوين للتعظيم يعني فبأي ظلم من الذين هادوا والذنوب نوعان ما يتعلق بالخلق وهو قوله فبظلم والاعراض عن دين الحق وهو قوله وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا ومن هذا القبيل اخذ الربوا بعد النهي عنه واكل اموال الناس بالباطل اي بالرشى على الحكم فهذه
الذنوب هي الموجبة للتشديد عليهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فتحريم بعض المطاعم الطيبة كما يجيء في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر الاية واما في الاخرة فقوله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما واعلم ان في متعلق قوله فبما نقضهم وما عطف عليه قولين الاول انه

محذوف والتقدير فبنقضهم ميثاقهم وبكذا وكذا لعنّاهم او سخطنا عليهم ونحو ذلك ثم استأنف قوله فبظلم ومتعلقه حرمنا وكذا متعلق المعطوف بعده الثاني ان متعلق
الكل حرمنا وقوله فبظلم بدل عن قوله فبما نقضهم فانه لو جاء ورجح الاول بان حذف المتعلق افخم ليذهب الوهم كل مذهب ولان تحريم الطيبات عقوبة خفيفة
فلا يحسن تعليقها بتلك الجنايات العظائم بل لو جعل قوله واعتدنا معطوفا على حرمنا زال هذا الاشكال ما ذكروا والكفر في الآيات تكررت ويلزم
من عطف الثالث على الاول وعلى الثاني عطف الشيء على نفسه فقد اجاب عنه في الكشاف بانه تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف
بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم
بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا ثم وصف طريقة المؤمنين المحقين منهم
فقال لكن الراسخون في العلم منهم يعني عبد الله بن سلام واضرابه ممن تبحر في العلم وتثبت واتقن واستبصر حتى حصل المعارف بالاستدلال واليقين دون
التقليد والتخمين لان المقلد يكون بحيث اذا شكك تشكك اما المستدل فانه لا يتشكك البتة والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين و
الانصار والراسخون مبتدأ ويؤمنون خبره واما قوله والمقيمين الصلوة ففيه اقوال الاول روي عن عثمان وعائشة انهما قالا ان في المصحف لحنا وستقيمه
العرب بالسنتها ولا يخفى ركاكة هذا القول لان هذا المصحف منقول بالتواتر عن رسول الله فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه الثاني قول البصريين انه نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة رفع على المدح لبيان فضل الزكوة كقولهم جاءني قومك المطعمين في المحل والمغيثون في الشدائد بتقدير اذكر اعني المقيمين
الصلوة وهم المؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر وطعن الكسائي في هذا القول بان النصب على المدح انما يكون بعد تمام الكلام وههنا الخبر وهو
قوله اولئك سنؤتيهم منتظر والجواب ان الخبر يؤمنون ولو سلم فما الدليل على انه لا يجوز الاعتراض بالمدح بين المبتدأ وخبره الثالث وهو اختيار الكسائي انه
خفض للعطف على ما في قوله بما انزل اليك والمراد بهم الانبياء لانه لم يخل شرع واحد منهم من الصلوة وقال تعالى واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة و
الملائكة لقوله وانا لنحن الصافون واعلم ان العلماء ثلثة اقسام العلماء باحكام الله وتكاليفه وشرائعه والعلماء بذات الله وصفاته الواجبة والممتنعة واحوال
المبدأ والمعاد والعلماء الجامعون بين العلمين مع العمل ثم هم الراسخون في العلم وانهم اكابر العلماء والى الاقسام الثلثة اشار بقوله جالس العلماء وخالط
الحكماء ورافق الكبراء اللهم اجعلنا من زمرتهم بفضلك يا مستغاث ثم انه سبحانه عاد الى الجواب عن سؤال اليهود وهو اقتراح نزول الكتاب جملة فقال انا اوحينا
اليك لانه مبتدأ بذكر نوح لانه اول من شرع الله على لسانه الاحكام والحلال والحرام ثم قال والنبيين من بعده ثم خص بعض النبيين بالذكر لكونهم افضل من
غيرهم ولم يذكر فيهم موسى لان المقصود تعديد هؤلاء الانبياء انهم كانوا رسلا مع ان واحدا منهم ما اتى بكتاب مثل التورية دفعة واحدة ثم ختم ذكر الانبياء بقوله
وآتينا داود زبورا يعني انكم اعترفتم بان الزبور من عند الله ثم انه ما نزل على داود جملة واحدة وهذا الزام حسن قوي والزبور كتاب داود ومن قرأ بضم الزاي
فلعله جمع زبر وهو الكتاب كقدر وقدور ثم قال ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك والمعنى انه تعالى انما ذكر احوال بعض الانبياء
في القرآن والاكثرون غير مذكورين على سبيل التفصيل وكلم الله موسى تكليما هذا ايضا من تتمة الجواب والمراد انه بعث كل هؤلاء الانبياء والرسل وخص موسى عليه السلام
بشرف التكليم معه ولم يلزم منه الطعن في سائر الانبياء فكيف يلزم الطعن بانزال التورية عليه دفعة وانزال غيرها على غيره منجما رسلا مبشرين ومنذرين يعني ان المقصود
من بعثة الانبياء الزام التكاليف بالانذار والتبشير وقد يتوقف هذا المطلوب على انزال الكتب فلا يكون انزال الكتاب منجما مفرقا اقرب الى المصلحة لانه اذا نزل جملة
كثرت التكاليف فتثقل القبول كما ثقل على قوم موسى فعصوا ثم ختم الآية بقوله وكان الله عزيزا حكيما والمعنى ان عزته تقتضي ان لا يجاب المتعنت الى مطلوبه
اما هيبة في القدرة وكل حكمته تقتضي هذا الامتناع لانه لو فعل ذلك لاصروا على اللجاج في كل قضية واحتج الاشاعرة بالآية على ان معرفة الله لا تثبت الا بالسمع
لقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيكون قبل البعثة لهم حجة في ترك الطاعات والمعارف واجابت المعتزلة بان الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون
على النظر فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة مع افادة تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع المعتزلة قالوا في الآية دلالة
على امتناع تكليف ما لا يطاق لان عدم ارسال الرسل اذا كان يصلح عذرا فبان يكون عدم القدرة والمكنة صالحا للعذر اولى وعورضوا بانهم قالوا الآية
تدل على ان العبد قد يحتج على الرب فيبطل قول اهل السنة انه لا اعتراض عليه لاحد اجيب بانه يشبه الحجة وليس بحجة في الحقيقة قوله لكن الله يشهد لا بد له من مستدرك
لان لكن لا يبتدأ به وفي ذلك المستدرك وجهان احدهما ان هذه الآيات باسرها جواب عن قول اليهود لو كان نبيا لنزل عليه الكتاب جملة وهذا الكلام يتضمن انهم قالوا
القرآن ليس كتابا نازلا عليه من السماء فلا جرم قيل لكن الله يشهد بانه نازل عليه من السماء الثاني انه تعالى لما قال انا اوحينا اليك قال القوم نحن لا نشهد لك
بذلك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله انزال القرآن بحيث عجز عن معارضته الاولون والآخرون ليشهد لك بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله عليك
ثم قرر ذلك واوضح بقوله انزله بعلمه اي متلبسا بالعلم الخاص الذي لا يعلمه غيره او بسبب علمه الكامل مثل كتبت بالقلم وهذا كما يقال في الرجل المشهور بكمال الفضل
اذا صنف كتابا واستقصى في تجويده انما صنف هذا بكمال علمه يعني انه اتخذ جملة علومه آلة ووسيلة الى تصنيف ذلك الكتاب وانزله وهو عالم بانك اهل
لانزاله اليك وانك مبلغه وانزله بما علم من مصالح العباد فيه وانزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من شياطين الجن والانس والملائكة يشهدون لانهم
لا يسبقونه بالقول فشهادته تستتبع شهادتهم ومن صدقه رب العالمين وملائكة السموات والارضين لم يلتفت الى تكذيب اخس الناس اياه وكفى
بالله شهيدا وان لم يشهد غيره ان الذين كفروا بمحمد والقرآن وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالقاء الشبهات كقولهم لو كان رسولا لانزل عليه القرآن
دفعة كما انزلت التورية على موسى وكقولهم ان شريعة موسى لا تنسخ وان الانبياء لا يكونون الا من اولاد هرون وداود قد ضلوا ضلالا بعيدا لانه غاية

إضلال أن ينضم معه الإضلال إن الذين كفروا وظلموا محمدا بكتمان نعته وعوامهم بإلقاء الشبهات في قلوبهم ومعنى قوله ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم لا يسلكون
إلا طريقا الموصل إلى جهنم أو لا يهديهم يوم القيامة إلا طريقها والعامل في خالدين معنى لا يهديهم أي يعاقبهم أو يدخلهم النار خالدين وكان ذلك على الله
يسيرا لأنه لا صارف عنه ذلك ولا يتعذر عليه إيصال الألم إليه شيئا بعد شيء إلى غير النهاية واللام في الذين إما للقوم معهودين علم الله منهم أنهم يموتون على
الكفر وإما للجنس بمعنى مجانب بعضهم بشرط عدم التوبة وحمل المعتزلة قوله وظلموا على أصحاب الكبائر بناء على أنه لا فرق عندهم بين الكافر وصاحب الكبيرة
في أنه لا يغفر لهما إلا بالتوبة التأويل أرنا الله جهرة لعل ضربه موسى بلن تراني كأنه بشؤم القوم وما كان في أنفسهم من سوء الأدب بهذا السؤال لئلا
يطمعوا في مطلوب لم يعط نبيهم فما أعطوا بجلالة نبيهم لأنهم كانوا أشقياء والسعيد من وعظ بغيره فكما زاد عنادهم زاد بلاؤهم وابتلاؤهم كرفع الطور
فوقهم عن ذلك قال أهل الإشارة ارتكاب المحظورات يوجب تحريم المباحات والطيبات التي أحلت لأرواحهم الطيبين قبل التلوث بقذر المخالفات والإسراف
في المباحات يستتبع حرمان المناجاة والقربات لكن الراسخون في أكابرهم الذين رسخوا بقدمي الصدق والعمل في العلم إلى أن بلغوا منتهى العلوم فاتصلت
علومهم الكسبية بالعلوم العطائية والله نبيه إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده أي كرمنا أوحينا إليك من سر ما أوحى إلى عبده
ما أوحى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل أي ليلة المعراج ورسلا لم نقصصهم عليك لأن في القرآن منفصلا أنزله بعلمه بخاصية العالمية حتى
علم فيه ما كان وما سيكون والملائكة يشهدون على تلك الخلوة وإن لم يكونوا معك في الخلوة وكفى **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ**
بالله شهيدا على ما جرى فيه كان ما كان سرا لا يبوح به فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر اى گروه مردمان بدرستى كه آمد شما را
الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
پیغامبر براستى از پروردگار شما پس بگرويد كه بهتر است از براى شما واگر كافر شويد پس بدرستى كه مر خداى راست آنچه در آسمانها و زمين است و هست خداى دانا
حَكِيمًا يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
حكم كننده اى اهل كتاب غلو مكنيد در دين خود و مگوييد بر خدا مگر راستى جز اين نيست كه مسيح عيسى پسر
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ
مريم فرستاده خداست و كلمه اوست كه افكند او را بسوى مريم و روحيست از قبل او پس بگرويد بخدا و رسول او و مگوييد كه خدا سه است باز ايستيد بهتر است
إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
جز اين نيست كه خدا خداى يگانه است منزهست او از اينكه بوده باشد مر او را فرزندى مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمين است و بس است خدا كارگزارى
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ ع
هرگز ننگ ندارد مسيح از اينكه بوده باشد بنده از براى خدا و نه فرشتگان مقرب و هر كه سر پيچد از بندگى او و تكبر كند در عبادت
فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
پس زود باشد كه گرد آورد ايشان را بسوى خود همه پس اما آنانكه گرويدند و كردند كارهاى شايسته پس تمام دهد ايشان را مزدهاى ايشان و بيفزايد ايشان را از فضل
وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
و اما آنانكه سر پيچيدند از عبادت و برترى كردند پس عذاب كند ايشان را عذابى دردناك و نيابند از براى خود از غير خدا دوستى و نه يارى
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
اى گروه مردمان بدرستى كه آمد شما را دليلى از پروردگار شما و فرستاديم بسوى شما نورى ظاهر كننده پس اما آنانكه گرويدند بخدا و چنگ زدند
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ
بوى پس زود باشد كه در آورد ايشان را در رحمت خود و زيادتى و راه نمايد ايشان را بسوى خود راهى راست فتوى مى پرسند از تو بگو كه خدا فتوى مى دهد شما را
فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ
در باب كلاله اگر مردى مرد و نباشد مر او را فرزندى و مر او را خواهرى باشد پس مر او راست نصف آنچه بنهاد و او ارث برد از آن خواهر اگر نباشد
لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ
مر او را فرزندى پس اگر بوده باشند خواهران دو تا پس مر ايشان راست دو ثلث از آنچه بنهاده و اگر بوده باشند برادران مردان و زنان پس مر برادر راست مانند
حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ القراءة يستفتونهم بالنون المفضل الباقون بالياء
نصيب دو زن ظاهر ميسازد خدا از براى شما كه گمراه نشويد و خدا به همه چيزى داناست الوقوف خيرا لكم والأرض حكيما إلا الحق وكلمته ثلاثة
مع اتحاد المقصود ونوع منه لعطف المختلفين ولكن قال تعقيبه يوجب تخيل الإيمان مع تمام البيان ورسله ثلاثة خيرا لكم إله واحد ولد لا والمنفي مستأنف
والولد لو وصلا أوهم أن المنفي ولد موصوف بأن له ما في السموات وما في الأرض وكيلا المقربون جميعا من فضله أليما ولا نصيرا وفصل للعطف
مستقيما يستفتونك الكلالة لا ما ترك لأن ما بعده مبتدأ لكن الكلام متحد البيان ولد لأن جملة الشرط تعود إلى قوله فلها نصف ما ترك

لزم الابتداء فكم جامع للمتفقين لا ينبغي ان تضلوا عليه التفسير لما بين نساء طريقة اليهود وجاء عن شبهة هم عم الخطاب فقال يا ايها الناس قد جاءكم
الرسول بالحق اي بالقرآن والقرآن معجز فيكون حقا او بالدعوة الى عبادة الله والاعراض عن غيره هو الحق الذي يشهد له العقول السليمة فآمنوا خيرا
لكم انتصابه بمضمر وكذا في انتهوا خيرا لكم لانه لما بعثهم على الايمان والانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال اقصدوا وائتوا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر والتثليث هو الايمان والتوحيد فان الايمان لا شك انه احمد عاقبة من الكفر بل العاقبة كلها له وقيل انه منصوب على حذف كان اي يكن
الايمان خيرا لكم والاول اصح لئلا يلزم الحذف من غير قرينة وان تكفروا فان لله الغني عنكم لانه مالك الكل وهو قادر على انزال العذاب لا ان يكون محتاجا
اليهم وقيل اي له عبيد اخر يعبدونه غيركم وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يضيع جزاء المحسن ولا يهمل جزاء المسيء ثم لما اجاب عن شبه اليهود خاطب
النصارى ومنعهم عن الغلو في الدين هو الافراط في شان المسيح الى ان اعتقدوه الها لا نبيا وحثهم على ان لا يقولوا على الله الا الحق الذي
تعتقده وهو تنزيهه عن الحلول واتخاذ الشريك والاتخاذ بزوجة واتخاذه لصاحبة وولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وجد بامره من غير
واسطة اب ولا نطفة القاها اي الكلمة الى مريم اي اوصلها اليه وحصلها فيه وروح منه اي انه ظاهر لطيف بمنزلة الروح كما يقال هذه نعمة من الله
بذلك لانه سبب حيوة الارواح او كما انه لما سمي القرآن روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اي رحمة منه كقوله وايدهم بروح
منه والانسان روح النبي رحمة للامة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال انما انا رحمة مهداة وقيل الروح هو النفخ يعني ان النفخ من جبريل
كان بامر الله تعالى فهو منه والتنكير للتعظيم اي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية ونسبة اضافة ذلك الروح الى نفسه لاجل التشريف فآمنوا بالله ورسله
اي امنوا به كما يليق بشأنه والرسل ولا تجعلوه الها ولا تقولوا ثلثة هي خبر مبتدأ محذوف اي الله ثالث ثلثة ان كان معتقدهم ان الذات جوهر واحد وانه ثلثة اقانيم
ويسمونها الاقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وربما يقولون اقنوم الذات واقنوم العلم واقنوم الحيوة او الالهة ثلثة ان كان في الاقانيم
انها ذوات قائمة بانفسها الاب الام والابن لعل القولين مرجعهما الى واحد لانهم اذا جوزوا على الصفات الانفكاك والحلول في عيسى وفي مريم فقد جعلوها مستقلة
بانفسها ولهذا لزم الكفر والشرك ولا يخرج باثبات الصفات لله تعالى لا يوجب الشرك فان الاشاعرة اثبتوا لله تعالى صفات ثمانيا قديمة انتهوا عن التثليث وقولوا
خيرا لكم انما الله اله واحد لا تركيب فيه بوجه من الوجوه سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا وانزهه تنزيها من ان يكون له ولد فلا يتصل شيئه
انفصال الابناء بالاباء ولكن من حيث انه عبده ورسوله موجود بامره وجسد لاحياء من غير اب له ما في السموات وما في الارض كيف يكون بعضه لكن قوام له
على ان الجزء انما يصح في المنقسم عقلا او حسا وانه لا ينقسم بجهة من الجهات لا العقلية ولا الحسية وكفى بالله وكيلا واذا كان كافيا في تدبير المخلوقات
المحدثات فلا حاجة تعالى للقول بابناء ثالث اخر مستقل او مشارك قال الكلبي ان وفد نجران قالوا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فقال لهم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله
والتحقيق ان الشبهة التي عليها يقولون في دعوى انه ابن الله هي انه كان يخبر عن المغيبات ويأتي بخوارق العادات كاحياء الاموات فقيل لهم لن يستنكف
المسيح بسبب هذا القدر من العلم والقدرة عن عبودية الله تعالى فان الملائكة المقربين على حالة لانهم مطلعون على اللوح المحفوظ وقد حملوا العرش
مع عظمته مما بينه فيهم ثم انهم لم يستنكفوا عن كونهم عبادا لله تعالى فكيف يستنكف المسيح عن ذلك اي يمتنع ويأنف التركيب يدل على التنحية والابعاد
من قولك نكفت الدمع انحيته بالاصبع عن خدك ونكفت عن الشيء اي عدلت والقائلون بافضلية الملائكة استدلوا بهذه الآية وقد تقدم
بيان الجواب عنها والبحث عليها في سورة البقرة في تفسير قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولا الملائكة فانه معطوف على المسيح وهو الاظهر وجوز
بعضهم عطفه على الضمير في يكون اي لا يستنكف المسيح ولا يأنف ان يكون هو ولا الملائكة موصوفين بالعبودية او لا يأنف
ان يعبد الله هو والملائكة المقربين احتراز عن الغير فالاول اولى والمراد بالملائكة كل واحد منهم حتى يكون خبره عبدا او يكون الخبر عبادا حذف
لدلالة عبدا عليه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا اي يجمعهم يوم القيامة الى حيث لا يملكون لانفسهم شيئا ثم انه تعالى لم يذكر ما لهم
بالذكر ولا ثواب المؤمنين المطيعين فسئل ان التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد وجاء في الكشاف بان هذا من قبيل
جمع الامام الخوارج من لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به فحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما
حذف احدهما في التفصيل في قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به ولم تو [illegible] مؤمنين توطئة كانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعذب
بالحسنى اذ ادى اجور العاملين وسيعذب بنوع ذلك بما يصيبهم من العذاب قول لو جعل الضمير في قوله فسيحشرهم راجعا الى الناس جميعا لم يحتج الى هذه التكلفات
ويحصل الربط بسبب العموم ومثل غيره في القرآن كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ثم عاد الى تعميم الخطاب بقوله يا ايها
الناس قد جاءكم برهان الاية يحتمل ان يراد بالبرهان كمالات النور كلها او القرآن ويحتمل ان يراد بالبرهان محمد صلى الله عليه وسلم لانه يقيم البرهان على تحقيق الحق وابطال
الباطل وبالنور المبين القرآن لانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فاما الذين امنوا بالله في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه واسمائه واعتصموا
به تمسكوا بدينه او لجأوا الى التراث يثبتهم على الايمان ويصونهم عن نزغ الشيطان فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس الرحمة الجنة والفضل
ما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ويهديهم اليه اي الى عباده صراطا مستقيما هو الدين الحنيف والتقدير صراطا مستقيما اليه ويحتمل ان يراد
بالرحمة والفضل اللذات الحسية الباقية وبالهداية اللذات الروحانية الدائمة ثم انه تعالى ختم السورة بنحو ما بدأ بها وهو احكام المواريث فقال يستفتونك

الاية اهل العلم ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف [illegible] ولهذا تسمى آية الصيف
عن جابر [illegible] دخل على رسول الله صلعم وعندي سبع اخوات فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن فقلت
[illegible] ثم خرج وتركني ثم دخل فقال يا جابر اني لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين الذي لاخواتك وجعل لاخواتك الثلثين
[illegible] لكن الاحكام كان رسول الله صلعم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت
[illegible] فاعلم ان الكلالة اسم يقع على الوارث وهو من عدا الوالد والولد وعلى المورث وهو الذي لا ولد له ولا والد ان امرؤ هلك
[illegible] يفسره هذا الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد واعلم ان ظاهر الآية مطلق ولا بد فيه من تقييد
[illegible] قوله ولد مطلق والمراد به الابن لانه هو الذي يسقط الاخت اما البنت فلا تسقطها ولكنها تعصبها لما روي عن ابن مسعود ان النبي صلعم
[illegible] في بنت وبنت ابن واخت ان للبنت النصف ولبنت الابن السدس والباقي للاخت فعلى هذا فلو خلف بنتا واختا فللبنت النصف والباقي للاخت
[illegible] ان ظاهر الآية يقتضي انه اذا لم يكن للميت ولد فان للاخت تاخذ النصف وليس كذلك على الاطلاق بل الشرط ان لا يكون للميت والد
[illegible] لا ترث مع الوالد بالاجماع الثالث قوله وله اخت المراد الاخت من الاب والام او من الاب لان الاخت من الام والاخ من الام ذكر
حكمهما في اول السورة بالاجماع ثم قال وهو يرثها اي واخوها يرثها ويستغرق ميراثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن
لها ولد اي ابن كما قلنا لان الابن يسقط الاخ دون البنت وايضا ان هذا في الاخ من الابوين او من الاب فاما الاخ من الام فانه لا يستغرق الميراث وايضا
المراد لم يكن لها ولد ولا والد لان الاب ايضا يسقط الاخ لقوله صلعم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ ثم قال
وان كانتا اثنتين يعني من يرث بالاخوة اثنتين فاستوى تثنية باعتبار الخبر كقولهم من كانت امك كذا الكلام في قوله وان كانوا اخوة واراد بالاخوة والاخوات
لكنه غلب جانب الذكورة وروي ان الصديق قال في خطبته الا ان الآية التي انزلها الله في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة
والاخوة من الام والتي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات من الاب والام والتي ختم بها الانفال اولوا الارحام يبين الله لكم ان تضلوا قال البصريون
المضاف محذوف اي كراهة ان تضلوا وقال الكوفيون لئلا تضلوا [illegible] يبين لكم الضلال لتعلموا انها ضلالة فتجتنبوها
والله بكل شيء عليم فيكون بيانه حقا وتعريفه صدقا ختم السورة ببيان كمال العلم كما انه بداها ببيان كمال القدرة [illegible] الاله [illegible]
[illegible] والمنافع [illegible] ان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني ان تؤمنوا [illegible] وان تكفروا فالكل له
[illegible] لا تغلوا في دينكم [illegible] في التفريط والافراط [illegible] الى ان جعلوه ابن الله و
كلا [illegible] سبحانه [illegible] والغلاة [illegible] وهذا
قال رسول الله صلعم لا تطروني [illegible]
و لغلبة [illegible] كان يحيي الاجساد [illegible] كلمة الله [illegible] الانسان
جوهر [illegible] عيسى ابن مريم [illegible]
منه ولا تقولوا ثلثة يعني [illegible] انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
له ما في السموات [illegible] وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله [illegible] ولا الملائكة المقربون [illegible]
كانوا يقولون الملائكة بنات الله كما قالت النصارى المسيح ابن الله قد جاءكم برهان [illegible]
غير نفسه مثل ما كان برهان موسى في عصاه [illegible] ما زاغ البصر وما طغى [illegible]
[illegible] لسانه وما ينطق عن الهوى [illegible]
[illegible] على كرم الله وجهه [illegible] باذن الله [illegible]
[illegible]
وبرهانه [illegible]

تمت [illegible] غرائب القرآن [illegible]

الحمد لله [illegible] والصلاة على [illegible] وآله كتب المصنف في نسخة [illegible] الحسن المشتهر بنظام النيسابوري [illegible]